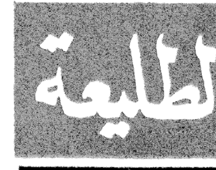


يوليو ١٩٦٧
السنة الثالثة

٧




على طريق ٩ يونيو العظيم



الثورة قائمة .. المعركة مستمرة .. والنصر حليفنا



طـريق المناضـلين الي
الفكر الثورى المعـاصر

مجلة شهريه
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
امين عـز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفه الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتاريه التحرير

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهـــرس

المعدد السابع ـ السنة الثالثة ـ يوليو ١٩٦٧

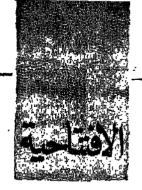
عنوان المراسلات

« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهره تليفون ٤٦٤٦٤ ٤٤١٤٤
الاشتراكات
لسنة بالبريد العادى ج٠ع٠م ودول اتحاد البريـد العـربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

ان «الطليعة» ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح «الطليعة» صفحاتها لكل راى وكلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المشهور الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قـد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك »



الثورة قائمة.. المعركة مستمرة.. والنصر حليفنا

في الخامس من يونيو شن الاستعماريون والصهاينة حربهم القذرة الغادرة على الامة العربية ، فخسرنا ارضا وغرمنا عتادا وفقدنا ارواحا غالية .. ولم تمض أيام حتى افاق الشعب من وقع الصدمة المفاجئة ، وفى هبة شعبية عارمة — يومى ٩ ، ١٠ يونيو — انطلقت قوى الثورة الحقيقية والاصيلة شامخة عملاقة تعبر عن ارادتها . فبعد لحظات من اعلان المناضل عبد الناصر قراره بالتنحى عن رئاسته للجمهورية اندلعت ثورة تلقائية شاملة اجتاحت العالم العربي باسره من الخليج الى المحيط ، وتخطت بمداها وطبيعة القوى الاجتماعية المكونة لها كل اشكال التنظيم القائمة ، انتزعت منها زمام المبادرة وتعدت فى ضخامتها وعنفها جميع التوقعات ، فجسدت تصميم الجماهير العاملة وعزمها على مواصلة القتال ومتابعة النضال حتى تحرز النصر.

وهكذا فقد كسبت الجماهير الشعبية العاملة ارضا نضالية جديدة وقدمت طاقات مادية هائلة واكدت تضامنها وتلاحمها مع القيادة الثورية وتدعيمها لسلطة الشعب العامل ، وكشفت عن قدراتها الخلاقة واثبتت بما لايدع مجالاً للشك مدى استعدادها للنضال والتضحية وتمسكها بالثبات والصمود ومواصلة المعركة دون تحفظ أو تردد ، كما ردت على دعاة اليأس والهزيمة واخرست كل اتجاه للحلول الوسط وشلت حركة الثورة المضادة المتحفزة للانقضاض على السلطة ، ووجهت للاستعمار والصهيونية لطمة قاسية ، بعد أن افسدت مخططاتها .

لقد استهدف الاستعمار من عدوانه علينا اسقاط نظام الحكم الثورى فى سوريا ومصر فاذا بالجماهير العربية أكثر تماسكا واشد تمسكا بقيادتها الثورية .

وتآمرت القوى الامبريالية والصهيونية للانفراد بكل بلد عربى على حدة ، تطيح به لتثنى بغيره ، معتمدة على تفتيت الجبهة العربية واشاعة الفرقة والانقسام فى صفوفها ، وقد احرزت بعض المكاسب فى هذا المجال ، الا أن المبادرة من جانب قيادتنا الثورية فى التصدى للمؤامرة على سوريا قلبت المخطط الاستعمارى راسا على عقب فانهارت عوامل التصدع وبرزت وحدة الامة العربية بصورة اذهلت أعداءنا وأفزعتهم ، فقد أمدتنا بأشحذ أسلحة النصر واكثرها فاعلية .

هناك اذن خسائر لحقت بنا ، ومكاسب تحققت لنا .. والارض فى الحروب لاتعنى الكثير ، والتاريخ يكشف لنا عن حقيقة أن البادىء بالعدوان يكسب بعض الارض فى

الجولات الاولى ، وهو أمر لايعنى شيئا ، بل وقد يؤدى الى اضعاف مركزه ببعثرة قواه ومد خطوطها بما يسهل رد الضربة باقسى منها واستعادة الارض السليبة . أما المعدات الحربية فما ايسر تعويضها ، والارواح نقدمها رخيصة فداء الوطن ، لـكن ماظفرنا به يفوق كل خسارة جزئية مؤقتة عارضة ، فقد كسبنا الانسان العربى بوحدته ونضاليته ووعيه وتصميمه عـلى النصر .. وحققنا وحدة الامة العربية فى اسمى وارقى واصلب اشـكالها واكثرها حسما فى تقرير اتجاه المعركة الفاصلة .

وسارع الاستعمار الى تصوير جولته الاولى وموقعته القصيرة التى كسبها بالغدر وكأنما هى المعركة كلها وخاتمة المطـاف فى النضال العربى ، فى محاولة « ذكية » ليفرض علينا خط المساومة وهو فى موقع قوة مؤقت .. واشـد ما يثير فزعه هو ادراكه بأن النصر الذى حققه قصير الامد ، وسرعان ما يفقده ، لذلك يبذل قصـارى جهده ، ويسخر كل نفوذه ويزاول أعظم ضغوطه بهدف التوصل الى « حل » سريع قبل أن يخسر الارض التى كسبها بالغدر والخداع .. وسوف يخسر أكثر منها .. مصالحه ونفوذه وقواعده .

ومن هنا نشهد الحملة المسعورة لاشاعة روح اليأس والاستسـلام وبث النزعات الانهزامية عن طريق اذاعات الاستعمار وأبواقه ، والتركيز على محـاولة تأليب الرأى العام ، آملة فى تحريك عناصر الثورة المضادة فى الداخل وتهيئة المناخ المناسب لانتفاضها . الا أن الشعب قام قومته العملاقة ، فخرجت جموع العاملين بطبيعتها النضالية واصالتها الثورية .. لاتعـرف المساومة ، ولا تؤمن بالحلول الوسط .. لاتضنيها خسارة مؤقتـه ، أو تضحيات مهما بلغت جسامتها ، ولا تنهك قواها أو يوهن عزمها موقعة خـاسرة عبر طريق النضال الطويل .

خرجت الجمـاهير تعلن بيعتها لعبـد الناصر ، تعبيرا عن احتضانها لكل ما يمثله المناضل عبد الناصر ، وكل ما حققته قيادته الثورية طوال خمسة عشر عاما من تاريخ ثورتنا من مكاسب شعبية ، انتزعها من خلال تلاحمه بآمال وتطلعات الجمـاهير العاملة ، كاسرا الحلقة تلو الحلقـة من الاطـارات العازلة المهيمنة على كثير من المراكز القيادية فى الاجهزة والمؤسسـات التنفيذية والاقتصادية والسياسية والفكرية سواء التى ورثناها منها وتكلست على سطح المجتمع او مايتراكم منها مع الزمن ، والتى كانت بتناقض طبيعتها ومصالحها مع أهداف الثورة سببا فى جميع النكسات التى تعرضت لها ثورتنا فى مسيرتها المجيدة نحو الحرية والاشتراكية والوحدة .

ملايين السواعد ارتفعت فى عزم وتصميم تبغى ازاحة كل مايعوق الاتصال المباشر والارتباط العضوى بين قيادة الثورة وبين القوى الرئيسية للثورة وفى مقدمتها العمال والفلاحين والجنود من ابنـاء العمـال والفلاحين .

ان الشعب العربى لم يسمح للنكسة ان تستمر أكثر من أربعة أيام قاتمة مفجعة فبادر بانتفاضته العظيمة الى تحويل مجرى الاحداث وتلقيننا دروسا هى زادنا الرئيسى على مواصلة طريق الانتصارات التى نحرزها الواحدة تلو الاخرى منذ تفجر ثورة يوليو ١٩٥٢ .

« ان الشعب وحده هو القـائد وهو المعلم وهو الخالد الى الابد » .

ان الشعب المعلم يرشدنا الى حقـائق يجدر بنا أن نرعاها كحبات أعيننا ، ونستند اليها فى مستقبل نضالنا .

● ان قوى الشعب العامل وفى مقدمتها العمـال والفـلاحون ـــ العنصر الغالب والفعال فى حركة ٩ ـــ ١٠ يونيو الشعبية ـــ ليس مجرد شعارات مجردة ، فهى قوة

مادية جبارة وواعية يقظة ، تمثل الدعامة الرئيسية وصمام الامن الحقيقى للنظام الثورى . انها « صاحبة المصلحة العميقة فى الثورة . كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة » .

ان حكمة القائد عبد الناصر التى صاغت هذه العبارات فى ميثاقنا الوطنى ، وكشفت الاحداث الاخيرة عن اغوارها العميقة ، تفترض ضرورة تطبيقها بحيوية وحسم ، بالتخلص من فكريات « النخبة » وكسر حصارها واحتكارها للعمل السياسى واشراك العمال والفلاحين فى جميع الانشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بقدر وفاعلية متزايدتين فى المستويات القاعدية والقيادية على حد سواء .

لقد حدد المناضل عبد الناصر فى خطاب ٩ يونيو أولى مهامنا « بأن نزيل آثار هذا العدوان علينا وأن نقف مع الامة العربية موقف الصلابة والصمود .. وبرغم النكسة فان الامة العربية بكل طاقاتها وامكانياتها قادرة على أن تصر على ازالة آثار العدوان » .

ان أسلحة النصر متوافرة لدينا ، وعناصر القوة التى تملكها ثورتنا انما هى أضخم وأعمق بما لا يقاس من عناصر الضعف أو الانتكاسات المؤقتة ، فالثورة المصرية تملك تأييد الجماهير العريضة ، وتملك قيادة ثورية اصيلة صلبة فى شخص المناضل عبد الناصر ، وتملك المكاسب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى حققتها وتملك التلاحم المتعاظم مع الثورة العربية وقوى الثورة العالمية .

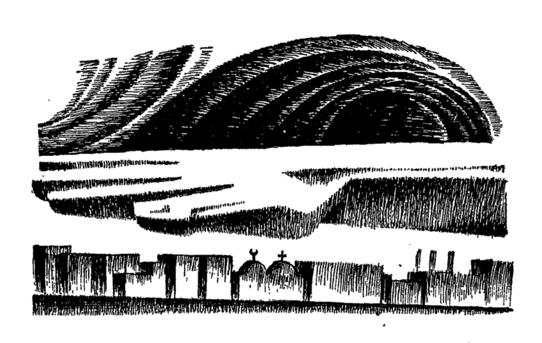
حقا ، اننا نستهل العام السادس عشر من ثورتنا وقلوبنا دامية من جراء نكسة ألمت بنا فى طريق النضال الطويل المضنى ، الا أن قضية الثورة ليست — ولن تكون — قضية موقعة عسكرية واحدة ولن يعرقل مسارها محنة عارضة ، وانما هى أولا وقبل أى شىء آخر **قضية وجود الثورة واستمرارها** ، حيويتها المتجددة وقدرتها على تحويل النكسات الى انتصارات محققة .

وكما أن علينا أن نستخلص من المحنة دروسا لمزيد من الانتصارات فان أوقات المحنة لايجب أن تنسينا أوقات النصر . فخلال خمسة عشر عاما أنجزت الثورة — فى عمرها الزمنى القصير — تقدما يصل الى مرتبة الاعجاز . وقد أوجز المناضل عبد الناصر بعض انتصارات شعبنا بقوله « لقد حقق جلاء الاستعمار البريطانى وحقق استقلال مصر .. وحدد شخصيتها العربية .. وحارب سياسة مناطق النفوذ فى العالم العربى .. وقاد الثورة الاجتماعية .. واحدث تحولا عميقا فى الواقع المصرى .. وأكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطنى .. واسترد قناة السويس .. ووضع أسس الانطلاق الصناعى فى مصر وبنى السد العالى ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء الجدبة .. ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادى النيل الشمالى كله .. وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل .. وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسى .. تحالف قوى الشعب العاملة .. الذى هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطنى والقومى مرحلة بعد مرحلة .. وتبنى الاشتراكية .. وتحقق وتنتصر .. » .

ان الشعب الذى حقق كل هذه الامجاد بقيادته الثورية ، لن تقعده نكسة أو توهن عزيمته محنة ، بل سوف تمدنا بقوى متجددة وقدرات متعاظمة وعزيمة لا تقهر لتابعة مسيرتنا المظفرة حتى النصر .

الثورة قائمة ومستمرة .. وعلينا فى مستهل العام السادس عشر أن نعلن عاليا شعار المقاومة الشعبية وتصفية العدوان واستمرار المعركة وتقدم الثورة فى طريق احراز انتصارات جديدة .

« **الطليعة** »



على طريق ٩ يونيو العظيم

أبو سيف يوسف

كان يوم ٩ يونيو يوم الاستفتاء العظيم، فيه صوت الشعب بأسره لاستمرار الثورة ، فى ذلك اليوم وفى اليوم الذى يليه تدفقت جموع العمال والفلاحين بالقوة التى يندفع بها الطوفان، وتحدثت بصوت يصم الاذان . فى ذلك اليوم طاش صواب الاعداء الامبرياليين والاسرائيليين . لكن علينا ان نعترف — فى الوقت ذاته — بأن انتفاضة ٩ يونيو قد اذهلت ايضا العديد من الثوريين . وهذه الواقعة ربما توهمنا بأن ماحدث قد يدخل فى باب المعجزات . وبالفعل ، كان ما حدث معجزة، وان ظلت — مع ذلك — من المعجزات التى تصنعها الشعوب ، ومن هنا فهى قابلة للتفسير .

ونحن نعلم أن الرجعيين قد فزعوا وذعروا ، وانهم طفقوا يطلقون على الشعب اسماء «الغوغاء» و «الدهماء» و «الداية العمياء» . لكن موقفهم هذا لا يعنينا فى شىء . وانما الذى يعنينا هو الا يكتفى الثوريون بالوقوف من انتفاضة ٩ يونيو موقف الاعجاب الرومانتيكى ، وعليهم بالتالى ان يشرعوا فى تحليلها وتعمق دروسها .

من المعروف ان جماهير شعبنا وفى مقدمتها العمال والفلاحون قد اخذت تدخل بقوة متعاظمة حلبة النضال الوطنى والاجتماعى وذلك منذ ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . منذ هذا التاريخ خاضت الجماهير عشرات المعارك ، انتصرت فى بعضها وهزمت فى اكثر من موقعة ، ولكن فى جميع المعارك ، وفى النصر والهزيمة على السواء كان وعى الجماهير بمصالحها المباشرة ومصالح الوطن يزداد ويتعمق . باختصار : كانت تجرى فى داخلها عمليات خلق واختزان : خلق للمثل والاهداف ولصور الحياة التى تريدها ، واختزان للتجارب التى جمعتها من خلال المعارك المتصلة .

وفى خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة وهى عمر ثورة يوليو ٥٢ — خاضت الجماهير الشعبية ايضا المعارك الوطنية والاجتماعية ضد المستغل الخارجى الاستعمار والصهيونية وضد المستغل الداخلى الاقطاع والرأسمالية . وفى جميع هذه المعارك كان العمال والفلاحون يقومون على الدوام بعملية خلق واختزان . حتى اذا جاءت اللحظة المناسبة فجر خطاب عبد الناصر فى ٩ يونيو الطاقات الكامنة .

وفى تلك اللحظة بالذات اظهرت الجماهير الشعبية ذكاءا وانضباطا ممتازين . فمن ناحية ادرك الشعب ان القضية المطروحة هى قضية الثورة هل تنتكس ام تستمر . قضية المكاسب الوطنية والاجتماعية هل تصان وتتعزز ام تضيع وتتبدد .قضية العدوان الامبريالى الاسرائيلى هل يمر ام يصد ويقبر . ومن ناحية اخرى ابدى الشعب فى حركته انضباطا عاليا. فمع ان الجماهير نزلت الى الشارع نزولا تلقائيا ، وبعد دقائق معدودات من انتهاء خطاب الرئيس ، الا انه بدا منذ اللحظة الاولى ان جموع الشعب تشعر بالخطر المحيط ، وان مسئولياتها فى مواجهة الموقف جسيمة للغاية لان العدو الخارجى يحتل جزءا من ارض الوطن ، ولان الاعداء فى الداخل يتحفزون للعمل ، وهنا تحولت الجماهير الى قوات هائلة للامن تسهر بنفسها على معركتها ولم تسمح — كما حدث فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ — لاى قوة معادية بأن تحرف اتجاهها وتحولها الى أعمال تخريب للممتلكات أو عدوان على الاشخاص .

هكذا دللت انتفاضة ٩ يونيو مرة أخرى على أن ما يسمى « بالشعب » و « الجماهير » و « الجموع الشعبية » ليست من قبيل الكلمات الجوفاء ولن تكون . وانما نحن بازاء حقيقة صلبة وجبارة تفرض نفسها وتتطلب من الثوريين ان يلمسوها بايديهم وان يجددوا الثقة بها والولاء الكامل لها .

ان هذا الواجب يتأكد اكثر فأكثر بالنظر الى الاهداف المباشرة التى حققتها ٩ يونيو .

فأولا : لقد أفشلت انتفاضة ٩ يونيو هدف الامبرياليين والاسرائيليين فى أبعاد قيادة عبد الناصر واسقاط النظام الثورى فى مصر .

ان هبة الجماهير قلبت حساباتهم رأسا على عقب .

فاذا كان المستعمرون الامريكان قد خططوا شهورا طويلة للعدوان ، واذا كانوا قد اعتمدوا فى ذلك على كل التفوق الفنى والصناعى والعسكرى ، على العقول الالكترونية واقمار التجسس وذلك حتى تجىء ضربتهم سريعة وصاعقة — نقول اذا كانوا قد فعلوا ذلك فان امرا واحدا عجزوا — وسيعجزون على الدوام عن قياسه وعمل حساباته ونعنى بذلك المواقف الاساسية والثابتة للعمال والفلاحين : مواقفهم من الثورة واهدافها وتمسكهم بكل سياسة ترمى الى صيانة الاستقلال واسقاط الاستغلال الطبقى فى كافة صوره . والى الذين افزعتهم آلات الحرب والتجسس الامريكية نقول : انه لم توجد بعد — بل لن يملك المستعمرون والصهيونيون الاقمار الصناعية والالات الحاسبة التى تقتل فى نفوس الجماهير طموحها نحو التحرر ونحو حياة افضل. ومن ثم فان الجماهير قادرة مهما لقيت من هزائم مؤقتة على ان تحبط اعمال المستعمرين ،بل هى قادرة فى النهاية على دحر كل وسائل العدوان .

وثانيا : أفشلت انتفاضة ٩ يونيو خطة الثورة المضادة فى فرض الهزيمة والاستسلام على الجماهير الشعبية . وعلى العكس من ذلك كان الشعار المباشر والحاسم الذى ردت به الجماهير على طلب التنحى : « سنحارب .. سنقاوم » والمعجزة التى حققتها الجماهير هنا تتجلى بالاشارة الى الجو الخانق والرعب الذى ساد قبل نزول جموع الشعب الى الشارع . فاستنادا الى النكسة العسكرية انخرطت قوى الرجعية الداخلية فى نشاط محموم يهدف الى اضعاف معنويات الشعب، وركزت دعاياتها فى اتجاه افقاد الجماهير الثقة فى قيادتها وفى جيشها وفى البلدان الصديقة وبوجه خاص فى الاتحاد السوفياتى . وعلينا أن نعترف بأن الدعايات المضللة والمطبوخة بمهارة فى مطابخ المستعمرين والصهيونيين وجدت ارضا خصبة فى بعض اوساط الطبقات المتوسطة والصغيرة .

واذا كانت هبة ٩ يونيو لم تقتلع قوى الثورة المضادة من جذورها الا انها ادخلتها الجحور، وفوتت عليها فرص الانقضاض والافادة من جو النكسة .

ثالثا « افشلت انتفاضة ٩ يونيو خطط المستعمرين والصهيونيين فى عزل الشعب العربى فى مصر عن بقية الشعوب العربية . وعلى العكس من ذلك تألق وجه القومية العربية ببريق مهيب فما أن نزلت الجماهير الشعبية الى الشارع فى مصر حتى التقت مع كل الجماهير فى الوطن العربى فى تيار واحد عارم . واشتد التفاف القوى الوطنية والثورية حول قيادة عبد الناصر ، وعجز الاعداء عن تحقيق اهدافهم فى زعزعة الثقة بهذه القيادة. واكثر من هذا كان لاصرار الجماهير الشعبية على أن يواصل عبد الناصر حمل مسئولياته اثر عميق وبناء فى محيط اوسع واشمل : فى البلدان الاشتراكية وفى الدول غير المنحازة . ففى جميع

هذه البلدان نمت وتعاظمت مواقف المساندة والتأييد بكافة صورها وعلى جميع المستويات .

واذا جاز لنا بعد ذلك ان نلخص منجزات ٩ يونيو قلنا . ان انتفاضة الجماهير غيرت فى ذلك اليوم بكيفية ملحوظة حساب المكسب والخسارة ، وعززت رصيد الشعب من الوحدة الداخلية والقومية ووضعت فى متناول القيادة السياسية وسائل جديدة تماما ، وثورية تماما تمكنها من التصدى لاثار العدوان ، ومن البدء فى بناء البلاد سياسيا وعسكريا .

واذا كان واجبا على الثوريين بعد ذلك ان يثمنوا منجزات ٩ يونيو ويمجدوها ، فان هذا لا يعنى بحال ان ينصرف الثوريون الى عبارة الحركة التلقائية للجماهير ، وان يركنوا الى السلبية بازاء تطور الاحداث فى انتظار ان تحدث معجزة اخرى تقوم بها الجماهير من تلقاء ذاتها . ان ٩ يونيو لن يتكرر بعد اليوم بالصورة التى تم بها ، ولكن ٩ يونيو يمكن بل يجب أن يدخل كعنصر خلاق فى تطورنا الثورى . وهذا يحدث فقط عندما نستخلص منه كافة النتائج والدروس التى تتعلق ببناء حياتنا السياسية .

واذا كان صحيحا بعد ذلك ان الامة تمتلك اسلحة جبارة لاحراز النصر فى المعركة ، وفى مقدمتها وحدة الصف ، فان الخطر لا يزال رهيبا وهو يتمثل فى صورتين :

الخطر الخارجى : خطر الامبرياليين الامريكان والعدو الاسرائيلى فى ارضنا ، هؤلاء الاعداء الذين لن يتوقفوا لحظة واحدة عن التآمر وتدبير الاعتداءات ضد النظم التقدمية والثورية فى الوطن العربى .

الخطر الداخلى : خطر قوى الثورة المضادة فى الداخل . هذا الخطر الذى اثبتت الاحداث الاخيرة خطأ التهوين من أمره . فالواقع ان للثورة المضادة قوى شرسة ، وقدرة على الحركة سريعة ، لعل أظهر آثارها قدرتها على نشر البلبلة الفكرية والتشويش على جماهير الشعب .

وفى مواجهة هذه الاخطار لا نملك الا ان نجاهد ما وسعنا لتكون لنا اهداف واضحة ووسائل ثورية .

ولقد حدد جمال عبد الناصر **الهدف : اعادة البناء السياسى والعسكرى .**

وفى خطاب اول مايو حدد الوسيلة وهى . « ان نتجه الى الجماهير ، وان نفعل ذلك باسرع ما يمكن » .

وفى ٩ يونيو بادرت الجماهير لتلتقى بالقيادة الثوريه على هذا الطريق فلم يبق الا ان تتجسد الاهداف وتنعكس على التنظيمات السياسية واجهزة الدولة .

وعلى سبيل المثال : اذا كانت الجماهير قد ابدت يقظة عاليه ، وقدره على الفهم والحركة فى ٩ يونيو فان التنظيم السياسى الطليعى يجب ان يبنى على صورة الجماهير الشعبيه ومثالها — اذا صح هذا التعبير — ليحتضن الطلائع من ابناء الشعب ، واقدرهم على خدمة قضايا تقدم الثورة واستمرارها .

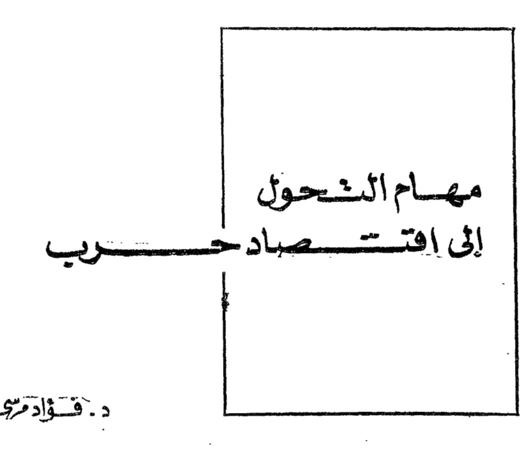
وعلى سبيل المثال : اذا كانت الجماهير قد تجاوزت فى حركتها حدود كل التنظيمات السياسية والنقابية القائمه فان على الاتحاد الاشتراكى ان يعيد بناء نفسه ليتجاوب بنجاح مع حركة الجماهير الواسعة وذلك بالكيفية التى تدعم وحدة الشعب العامل وتحولها الى حقيقة ملموسة .

وعلى سبيل المثال : اذا كانت الجماهير قد دللت على قدرتها على الارتفاع الى مستوى المسئوليات والتضحيات المطلوبه فانه لابد من بناء اجهزة الدولة ليكون للعمال والفلاحين وكل الكادحين دور متزايد وفعال فى قيادتها والاشراف عليها .

وليس فى كل هذا الكلام اختراع جديد ، لان بيانات واحاديث جمال عبد الناصر قد اشادت بدور الناس البسطاء من العمال والفلاحين ، ودعت الى ان يشاركوا مشاركة متزايدة فى شئون الحكم ، كما دعت الى فتح الطريق أمام قيادات شابة وجديدة تناضل من أجل الاشتراكية .

وكل ما هنالك ان ٩ يونيو يفتح آفاقا رحبة لتوضع هذه الافكار موضع التنفيذ بكل السرعة المطلوبة ، وبكل الحسم اللازم . عندئذ يحق لنا ان نقول أنه من خلال انقاض النكسة تولد الثورة ميلادا جديدا وانها انطلقت لتعد بثبات ويقين اسلحة النصر المحقق على الاستعمار الامريكى وعلى المعتدين الاسرائيليين .





مهام التحول إلى اقتصاد حرب

د. فؤاد مرسي

عقب تشكيل الوزارة الجديدة برياسة عبد الناصر ، اجتمعت لجنة الخطة والاقتصاد الجديدة برياسة زكريا محيي الدين واتخذت قرارها التالى :

« استعرضت اللجنة طبيعة المرحلة الدقيقة التى تمر بها البلاد والمترتبة على العدوان الاستعمارى الصهيونى ، والضغوط الاقتصادية التى تتعرض لها بالاضافة الى توقف الملاحة فى قناة السويس ».

وقد أعادت اللجنة تقييم الموقف الاقتصادى على ضوء المرحلة الدقيقة الطارئة التى نمر بها ، ومن توقعات مواردنا واستخداماتنا واحتياجاتنا المستقبلة ، وقررت اعادة دراسة الميزانية العامة والميزانية النقدية وخطة الاستثمارات ، وما يتطلبه ذلك من تعديلات واجراءات نستطيع ان نواجه بها معركة طويلة وضارية فرضت علينا لتعطيل مسيرتنا » .

واذا لم اكن مخطئا ، فان التعديلات والاجراءات المطلوبة لن تكون تعديلات كمية باجراء تغييرات فى الارقام بالزيادة وبالنقصان . وانما المطلوب فى الحقيقة تعديلات نوعية ، تجرى تغييرات فى اتجاهات الاقتصاد القومى ، وتحوله من اقتصاد التنمية فى ظل السلام الى اقتصاد التنمية فى ظل الحرب ، فالمطلوب الآن هو التحول الى اقتصاد الحرب لمواجهة « معركة طويلة وضارية فرضت علينا ».

بعبارة اخرى علينا ان نتحول الى اقتصاد الحرب ، كجزء لا يتجزأ من عملية استمرار المقاومة حتى تتم تصفية آثار العدوان .

تعريف اقتصاد الحرب

ولقد عرفت بلادنا اقتصاد الحرب مرتين فى تاريخها الحديث ، خلال الحربين العالميتين . وفى كل مرة كانت تفرض عليها ظروف اقتصاد الحرب من خارجها خدمة للمستعمرين الاجانب . وفى كل مرة كانت موارد بلادنا تعبأ من اجل المجهود الحربى واحراز النصر للمستعمرين . أما فى هذه المرة ، فان اقتصاد الحرب يفرض علينا من واقعنا وخدمة لمصالحنا القومية بغية احراز النصر على المستعمرين ، وهذا هو ما يعنيه اقتصاد الحرب ، ان تعبأ كل موارد البلاد الاقتصادية لاحراز النصر . ومعنى هذا ان التنمية الاقتصادية سوف تجرى فى ظروف الحرب ، ومن ثم تتقدم عليها اعتبارات النصر اولا .

ان نقطة البدء فى اقتصاد الحرب هى اننا نواجه « معركة طويلة وضارية » العدو فيها هو الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، والاداة المباشرة فيها هى اسرائيل التى تمثل اوقح صورة للفاشية الجديدة فى خدمة

الاستعمار القديم والجديد ، والتى تحتل جزءا من اراضينا ،وتستولى على او تعطل بعضا من مواردنا الطبيعية والبشرية .

والمشكلة فى اقتصاد الحرب ،كما توضع اقتصاديا هى اجراء تعديلات على العلاقة بين التراكم والاستهلاك الفردى لصالح الاستهلاك العسكرى بصفة خاصة . فان جزءا أكبر من الناتج الاجتماعى يخصص لانتاج او لشراء السلاح ، وهذا الجزء لايزيد من ثروة المجتمع . لكنه انفاق ضرورى لزيادة هذه الثروة فيما بعد ».

أسس اقتصاد الحرب

واقتصاد الحرب يقوم على أسس واقعية وامكانيات موجودة . انه تطبيق آخر لمنهج الواقعية الثورية ، منهج البدء من الحقائق الصلبة لا من الرغبات او الاوهام ، والايمان بالقدرة على التغيير الثورى بالاستناد الى قوة التغيير الوحيدة التى لا تقهر وهى جماهير الشعب .

ولدينا اسس واقعية وامكانيات ضخمة لاجراءات التحول الى اقتصاد الحرب ، وها هى :

١ — قطاع عام قائد فى الانتاج والتوزيع ، يقوم على الملكية العامة التى تسمح بالتحولات السريعة، والتى تضمن ان تجرى التحولات لمصلحة الشعب فى مجموعه ، لا لمصلحة فئة اجتماعية تستغل الحرب.

٢ — التقدم الذى احرزته التنمية الاقتصادية فى السنوات العشر الماضية فى ميادين الصناعة والزراعة ، والذى ادخل لاول مرة الصناعة الثقيلة والاساليب التعاونية فى اقتصادنا ، والذى زود البلاد بكوادر غالية قادرة على تطوير الانتاج.

٣ — الموارد البشرية الهائلة لبلادنا ، والتى تمثل قوة أنتاجية وقوة حربية لا مثيل لها . وهى بذلك قوة قادرة على تعويض الثروات التى تفقد نتيجة للاحتلال او تدمير الحرب .

٤ — اصرار جماهير العمال والفلاحين، جماهير المدينة والريف على استمرار الثورة اى استمرار المقاومة الشاملة حتى النصر ، وهو ضمان معنوى لتعبئة الموارد والنضال حتى النصر .

٥ — موقف الشعوب والحكومات العربية ، وخوضها معركة المقاومة الاقتصادية ضد المستعمرين ، وهى معركة غنية بالنتائج اذا احسنا تقديرها وبدانا من ابسط صور التضامن فى المعركة ».

ان سلاحا كالبترول ، مهما تكن احتمالاته ، هو فى نهاية الامر سلاح خطير بأيدى العرب . ولقد بادرت جميع القوى الاستعمارية للتشكيك فى جدية هذا السلاح . ومع ذلك فان صحيفة مثل صحيفة (موند) لا تملك فى نهاية الامر الا ان تقول بشأنه : « ويبقى انه لا يوجد مصدر بديل قادر على ان يحل محل انتاج جميع البلاد العربية مجتمعة ، وهى تستخرج ثلث البترول المستهلك فى العالم ». ان هذه البلاد قد اوضحت لاول مرة انها تستطيع ان تتخذ وان تطبق قرارا مشتركا . ولا شك ان ذكرى هذا القرار سوف تؤثر على طبيعة علاقاتها مع الشركات الاجنبية التى تمنحها حتى الان اهم ثرواتها » .

٦ — التضامن القوى مع بلدان المعسكر الاشتراكى ومساندة وتأييد بلدان العالم الثالث . وهو ما يعتبر مصدرا لموارد اضافية لا تثقل كاهل اقتصادنا .

اجراءات اقتصاد الحرب

ان اقتصادنا القومى انما يدين بحيويته الى النظام الاشتراكى الذى يناضل من اجل ان يبنيه. كما ان اقتصاد الحرب اختبار دقيق لحيوية اقتصادنا . وان القوة المحركة لاقتصاد الحرب هى الدولة الثورية التى تستند الى تحالف قوى الشعب العاملة وبخاصة العمال والفلاحين ، وهى بالتالى تعتمد فى النهاية على بطولاتهم وتضحياتهم الوطنية .

ويقتضى اقتصاد الحرب اعادة النظر فى خطة الانتاج وميزانية الدولة والميزانية النقدية على اساس الاستعداد لمواجهة معركة طويلة وضارية ضد الامبريالية العالمية ، وسنحاول فيما يلى عرض العناوين الرئيسية واهم جوانب هذه المعركة :

أولا : الانتاج

لابد من تعبئة كل طاقات الانتاج الصناعى والزراعى لمتابعة المعركة ومواصلة التنمية . فلابد من تعبئة قدرات الانتاج الصناعى من مهندسين وفنيين وعمال . ولابد من تعبئة الموارد المادية للزراعة والعمل الزراعى للوفاء باحتياجات المعركة والمدن ، ولابد من زيادة الانتاج فى المصانع ، حتى تلك التى لا تتصل مباشرة بالمعركة ، فكل زيادة فى الانتاج هى ضربة على رأس العدو ، وهى رمز لعجزه عن تصفية ثورتنا . وفى هذا المجال نود ان نشير الى الاهمية الخاصة التى تكتسبها الصناعة الثقيلة فى ظروفنا الراهنة .

ثانيا : المبادلة

لابد من تزويد البلاد ، الجيش والمناضلين والشعب ، بتموين دائم ولو قليل ، ومن ثم فلابد من توفير مخزون سلعى كبير . وهنا يجب ان نهتم بحركة الاستيراد ، فالواردات موارد اضافية ».

وعندئذ تجب الموازنة بين الصادرات والواردات على ان تظل الاولوية للواردات . ويجب ان تتم المبادلات الداخلية طبقا لمبدا تجارة بدون استغلال، أى بدون مهربين ولا مضاربين . بحيث يجب ان تتخذ كل الاجراءات لسحق كل محاولة لاستغلال المصاعب الاقتصادية لتحقيق الارباح . فى هذه الظروف يجب سحق كل العناصر والفئات الطفيلية ومصادرة ملكياتها وثرواتها .

ويجب الا نتورع عن تعميم نظام البطاقات لبيع المواد الغذائية وسلع الاستهلاك الجارى ، فقد فرض على البلاد فى الحرب العالمية الثانية خدمة للمستعمرين . ومن الممكن ان نفرضه اليوم خدمة لمصالحنا .

ومشكلة اساسية فى كل اقتصاد حرب هى تنظيم النقل ، اى تعبئة وتطوير النقل خدمة للمجهود الحربى وضمانا لاستمرار شبكة المواصلات فيما بين اجزاء البلاد .

ثالثا : العمل

يقتضى اقتصاد الحرب اعداد الجماهير لتقبل التضحيات الجديدة فى سبيل النصر . ان الجماهير على استعداد لبذل كل التضحيات ، غير ان الاعداد المطلوب هو توفير الظروف التى تسمح للجماهير بمواصلة تضحياتها عن رضى واقتناع وحماس . وهذا يتطلب اقرار مبدا المساواة فى التضحية . وان مبدءا لكل بحسب عمله هو الوجه الاصيل لمبدا المساواة فى التضحية .

وهنا يجب الحرص الصارم على الاجر الحقيقى الذى يصل للعاملين . وفى سبيل حماية هــذا الاجر الحقيقى ، يجب ان تتخذ كافة الاجراءات بلا رحمة ولا شفقة .

ان لدينا قوة عمل وفيرة ، ويجب التخطيط لاحلال عمال جدد محل من يستدعون للخدمة العسكرية او ينخرطون فى المقاومة الشعبية . وهنا يجب التأكيد على توفير العمل اللازم . كما نوجه الانتباه الى قضية هامة هى الاقتصاد فى استخدام العمل ، فقد تولدت اغلب التجديدات والاختراعات عن احتياجات الحروب .

ان البحث العلمى للاقتصاد فى استخدام المواد الاولية وقوة العمل وتوفير وسائل انتاج ومواد اولية بديلة ضرورة حيوية لا مفر منها لكسب النصر

رابعا : التخطيط

من الطبيعى ان ينخفض الدخل القومى لاول وهلة نتيجة للحرب . ففيها فقدت قوى عاملة ، وفقدت قوى انتاجية ، وفقــدت اســلحة يجب تعويضها . ومن ثم لا مفر من الالتجاء الى اسلوب التخطيط الشامل الصارم المركزى لكل حياتنا الاقتصادية . وهنا يجب ان توضع اولويات مركزية صارمة ، من مجموعها يمكن ان يتحقق النصر .

ونود ان نشير بصفة خاصة الى ضرورة التقشف فى الانفــاق العام ، ونقصد بالانفــاق العام ما تتولى الدولة انفاقه كجهاز ادارى لا كقطاع عام انتاجى . ان عملية ثورية يجب ان تجرى فى جهاز الدولة لتحويله الى عون للمجهود الحربى لا الى عبء عليه .

ويكمل مبدا التقشف فى الانفاق العام ، مبدا التقشف فى الانفاق الخاص . فالدولة الثورية يجب ان تعبىء الموارد الشخصــية لتمويل المجهــود الحربى . لكن على الافراد انفسهم ان يبداوا بشىء من التقشف فى الملبس والمــأكل ، فضــلا عن الكماليات . وعلى القادة الثوريين ان يبداوا بهذا التقليد . وان ظهور عبدالناصر بالقميص والبنطلون فى كثير من مقابلاته الرسمية لهو تقليد يجب ان يتأكد وان ينتشر . وبالمثل يمكن ان يبحث كل منا فى حياته الخاصة ليتخلى عن نفقات يمكن التخلى عنها .

كل شيء من أجل النصر

ونشير فى النهاية الى مثل من الاتحاد السوفيتى خلال حربه الوطنية ضد قوات الغزو النازية . فبعد سنة واحدة من بدء الغزو ، تغير تركيب توزيع الناتج الاجتماعى على النحو التالى :

— ان الاستهلاك الانتاجى قد ظل كما كان عند نسبة ٤٣ ٪ .

— ان الاستهلاك الفردى للسكان قد نقص من ٤٢ ٪ الى ٣٨ ٪ .

— ان التراكم القومى قد هبط من ١١ ٪ الى ٢ ٪

— ان النفقات العسكرية قد زادت من ٤ ٪ الى ١٧ ٪ .

وهذا المثل وحده كان للدلالة على معنى اقتصاد الحرب ، فالواجب الان هو ان يوضع كل شىء فى خدمة المعركة الطويلة الضارية ، ان يوضع بعلم وكفاءة وثورية ، بهدف واحد هو احراز النصر .

واننا لعلى ثقة من انه بفضل الوحدة النضالية للشعب ، وبروح الاعتماد على النفس والتصميم على القتال ، وبتأييد ومساندة كل الشعوب المحبة للسلام ، نستطيع ان نتغلب على كل الصعوبات وان نحقق انتصارات مجيدة مقبلة .

الدعاية .. والإثارة .. في المعركة

د. جمال العطيفي

من المؤكد ان الدعاية فى المعركة من اهم اسلحتها . فهى فى الداخل تخلق وحدة النضال وتجمع الجماهير حول الهدف المحدد وتجعلها فى حالة استعداد دائم وتؤكد الوعى بخط النضال وتحافظ على الروح المعنوية عالية . والدعاية الفعالة هى التى تقوم على التوعية والتوجيه ، بما يفترضه ذلك من مشاركة الجماهير . فهى تقتضى المناقشة والحوار ، وتتطلب من الجماهير موقفا ايجابيا . وهى بذلك على نقيض المواعظ التى تفترض السلبية فيمن توجه اليه . والدعاية اذا وجهت الى الخارج ، كانت لازمة ايضا لخلق رأى عام عالمى يقف الى جانب قضيتنا . وهذا الرأى العام العالمى ، يمكنه ان يمارس تأثيرا سياسيا بالغ الاهمية ويربط بين وحدة نضال الشعوب ضد الامبريالية . والدعاية فى الحالين ، اى سواء فى الداخل او الخارج ، لا يمكن ان تنعزل عن الجماهير .

وتعتمد الدعاية فى الداخل اساسا على التنظيمات السياسية والجماهيرية . كما تعتمد على وسائل الاعلام وخاصة الصوتية والمرئية .

ولكن ، حتى تحقق الدعاية الغرض منها ، فانها يجب ان تخضع لتخطيط سياسى ، يخطط لها من ناحية المضمون ومن ناحية الاسلوب . وبغير وحدة الفكر والمضمون وبغير رقابة على اشكال نقل الافكار والحقائق الى الجماهير ، يمكن ان تصبح الدعاية سلاحا معوقا فى المعركة .

ومن الانصاف ان نقرر ان الدعاية فى الايام التى سبقت المعركة ، وبعد ان تقرر انسحاب قوات الطوارىء الدولية والسيطرة على خليج العقبة — كانت تؤدى دورا ممتازا فى تعبئة الجماهير نحو الهدف ، وان اسلوبها كان يعتمد على الاقناع واثارة الحماس فى نفس الوقت . وقد نجحت هذه الدعاية ، سواء على مستوى التنظيم السياسى او على مستوى وسائل الاعلام او عن طريق الجامعات والجمعيات العلمية والاتحادات العمالية ، فى اعداد الجماهير لقبول فكرة حتمية الصراع بيننا وبين العدو الاسرائيلى ، وفى اعدادها لفهم موقف الامبرياليه الامريكية من هذا الصراع وفى تأكيد ايمانها بأن مشكلة خليج العقبة المثارة وقتئذ لم تكن الا جزءا من المشكلة الاصلية .. مشكلة الوجود الاسرائيلى فى فلسطين .

وفى صباح ٥ يونيو بدأ العدوان . ومن ثم فقد كان على الدعاية والاثارة ان تتشكل فى مضمونها طبقا لمقتضيات المعركة ، ووقوف الدول والشعوب العربية صفا واحدا فيها . كما كان عليها ان تغير اسلوبها بما يساير تطور الاحداث المتلاحقة . وقد كانت الإذاعة فى صدارة اجهزة الدعاية والاثارة ، بما تملكه من عدد ساعات ارسال يغطى اليوم كله ، ومن ناحية قوتها ومدى تأثيرها . فالاذاعة هى التى لعبت الدور الاكبر خصوصا فى الساعات الاولى من المعركة ، ومن ثم فقد كانت المسئولة الاولى عن تعبئة الجماهير من ساعة الى اخرى . اما الصحافة ، فقد قلت اهمية دورها ، نتيجة ان الجماهير كانت تحرص على متابعة الاخبار فى الاذاعة من لحظة الى اخرى ، ونتيجة ان الظروف قد دعتها الى تحديد عدد صفحاتها . وباستثناء حالات قليلة ، فقد كان طابعها الغالب فى الايام الاولى للمعركة قاصرا على نقل نفس الاخبار التى سبق للجماهير ان تلقتها عن طريق الاذاعة .

واذا اردنا ان نتصور المضمون الذى يمكن ان تحتويه الدعاية حينما بدأت المعركة ، لتبين لنا : ان هذا المضمون كان يجب ان يبرز ان المعركة ليست مجرد عملية عسكرية تتم بين يوم وليلة . بل كان يجب تهيئة الجماهير لقبول فكرة ان المعركة قد تطول ، كما ان للمعركة جوانبها المختلفة .. السياسية والاقتصادية والفكرية . كذلك فان هذا المضمون كان يجب ان يبرز ان هذه المعركة ليست نزهة سهلة .. بل انها تتطلب الدم والعرق والتضحية . كما ان هذه الدعاية كان يجب ان تبرز اهداف العدو من المعركة

وتأثيرها على مستقبل الوطن العربي واهمية النضال في الدفاع عن حقوق شعبنا ومكاسبه الاشتراكية وامله في مستقبل الرفاهية . ان معرفة العدو ودراسة اساليبه وفضح مغامراته وتعرية المجتمع الذي يعيش فيه واوضاعه الاقتصادية والسياسية وارتباطها بالاستعمار ، يعد امرا بالغ الاهمية . ثم ان هذه الدعاية يجب ان تكون مزودة بالفهم السياسي الناضج عن حقيقة الدور الذي يمكن ان تؤديه الدول الصديقة في المعركة . وفي نفس الوقت ، فانه ينبغي توعية الجماهير بأن حقيقة الامبريالية كنظام عالمي تقتضي مواجهة عالمية لالحاق الهزيمة بها .

هذا المضمون في الدعاية هو التزام اجهزة الاعلام بصفة خاصة ، لانه في الساعات الاولى من المعركة ، وصفوف التنظيم السياسي مشغولة بالتدابير العسكرية ، فان دور هذه الاجهزة يصبح دورا سياسيا وتصبح الوسيلة السريعة للاتصال ولنقل الافكار الى الجماهير . فمن الخطورة مثلا ان نغرق الناس في وهم ان المعركة مجرد عمليات عسكرية وان نجعلهم يتابعون اخبارها وكأنهم يتابعون مباراة في كرة القدم ، او ان نلقى اليهم من الاخبار والتعليقات المرتجلة ما يشعرهم بأن المعركة قصيرة الامد وانه لن تنقضي ساعات الا وكللت جهودنا فيها بالنصر .

كذلك فان اسلوب الدعاية هو الذي يمنح المضمون القوة والفاعلية ، وعلى هذا الاسلوب تتوقف سرعة توصيل الافكار الى الجماهير وتعبئتها للمعركة . وبقدر قدرة اجهزة الدعاية على اقناع الجماهير ، بقدر ما يمكنها ان تدعم فيها روح المقاومة والنضال . والقدرة على اقناع الجماهير تقتضي ربط الدعاية بالواقع وتقتضي تجميعا وتحليلا سريعا لما يدور في اذهان الناس ، وتتبعا لما يذيعه العدو وتعقبه والرد عليه . ويجب ان ندرك ان الشائعات تروج عندما لا ترد بشأن الموضوع الذي يستحوذ على اهتمام الناس ، اخبار واضحة او عندما تكون الاخبار التي تروى للناس عنها غامضة . فحينما تبدا الاذاعة فيتزويد الناسبالاخبار الوردية كلنصف بساعة او كل بضعة دقائق في اليوم الاول للمعركة ، ثم تعود ، بعد ان تعود الناس منها هذه المتابعة المتلاحقة ، فتتراخى اخبارها — فان ذلك يؤثر على ثقتهم فيها ويجعلهم اكثر تقبلا لسموم الشائعات التي ينفثها العدو .

وقد تكون مواجهة الجماهير بالحقائق افضل من اغراقهم في الاماني . ان هذه المواجهة تعنى ان الشعب يقدر مسئولياته وان عليه الا يقف موقف المتفرج ، مع ان المعركة معركته .

واذا كان اسلوب الدعاية في المعركة يجب الا يغفل اهمية ما للعبارات السلسة من تاثير في شحن طاقات الجماهير واثارة حماسها — بل والا يغفل اهمية استخدام الشعارات ذات المضمون وقيمة ترديدها — الا ان هذا الاسلوب يجب الا يتحول الى مجرد اثارة وقتية .. بالصياح والعبارات الفخمة الرنانة . بل انه يجب نجنب المبالغة في التكرار حتي لا تفتر حماسة السامع كما يجب تجنب المبالغة في خطاب العواطف . فالدعاية لا يمكن ان تكتسب قوة وتاثيرا ، الا اذا احست الجماهير ان ما يعرض عليها مد دعمه الدرس والتثبت . ومن الملحوظ ان الاذاعة في الايام الاولى للمعركة تحولتالى خطب واناشيد ، قد تلهب العواطف ، ولكنها لا تخاطب العقل ولا تهتم باقناع الجماهير . والى جانب ذلك كان يمكن للاذاعة ان تقدم باصوات شيخ الازهر او بطريرك الاقباط مثلا البياناتالتى كانت قد نشرتها لهم الصحف . كما كان يمكنها — وهو الامر الذى قامت به بعد ذلك بنجاح — ان تقدم تعليقات قصيرة على الاحداث او ندوات فكرية مثلما فعلته بعد ذلك حينما ناقشت قضية البترول العربي او سحب الارصدة او قناة السويس ، كاسلحة في المعركة . وكان يمكن للتليفزيون في الايام الاولى ان يقدم افلاما تسجيلية تتضمن ارشادات للوقاية من الغارات الجوية او شرحا لكيفية اقامة المخابىء وطرق المقاومة الشعبية او دروسا في التمريض والاسعاف ، وان يقدم برامج يمتزج فيها الاداء الفنى الممتاز بالمضمون السياسى .

لقد اصيبت الجماهير برد فعل شديد ، وهي تدرك في رابع ايام المعركة ان العدو قد توغل في صيجرائنا مع ان الدعاية كانت قد هيأت ذهنه في اول ايامها لنصر سريع يتحقق بعد ساعات ، واحس بعض الناس بخيبة امل لما حسبوه عدم مبادرة من الاتحاد السوفيتى لتقديم المساعدات العسكرية لنا ، وهو خطأ سياسي وقع فيه بعض الكتاب الصحفيين انفسهم . بل ان احد المتحدثين في الاذاعة ابرز في حديث له ما مؤداه اننا وحدنا في المعركة ، يجب الا نعتمد فيها على غير قوانا الذاتية بينما كانت الاذاعة تذيع بعد لحظات برنامجا ثابتا عنوانه « لسنا وحدنا في المعركة » .

وفي ساعات النكسة والشعور بالمرارة ، كان يجب ان يبرز دور التنظيم السياسي ، انه دور يجب ان يكون مسلحا بالوعي وبالمصارحة وبالنقد الذاتي . وقد عاد التنظيم السياسي فقدم نموذجا فريدا في الاتصال بالقاعدة الشعبية ومناقشتها في صراحة في ذلك المؤتمر الذى عقده مكتب تنفيذى القاهرة بالسيدة زينب . وهي صورة كنا نتمنى على التليفزيون لو نقلها كاملة ، كما كنا نتمنى عليه لو نزل الى عمال المصانع والى الفلاحين يسألهم ويناقشهم ويرد على تساؤلاتهم . ومع ذلك فمن الانصاف ان نقرر ان عدسة التليفزيون قد نجحت بعد ذلك فينقل صور الاستفتاء الشعبى الذى تحركت الجماهير تلقائيا لاجرائه ، وهى تعلن تصميمها على التمسك بقيادة عبد الناصر ، وان التليفزيون كأداة توجيه واعلام هامة ما لبث حتى استرد دوره الطليعى واثبت مخططو برامجه عمق فهمهم السياسى .

استراتيجية الاستعمار الجديد في معركة الثقافة العربية

غالي شكري

اذا كانت الظاهرة الاقتصادية والسياسية للاستعمار الجديد هي ((**تبعية**)) الدول الحديثة الاستقلال ودورانها في فلك الامبريالية ، فان المؤسسات الفكرية والثقافية للاستعمار الجديد هي الاجهزة التنفيذية المتخصصة في الترويج لايديولوجية ((**التبعية**)) والدوران في فلك الامبريالية . وهي اجهزة تختلف عن مؤسسات الاستعمار القديم الدعائية ، شكلا ومضمونا . هذا لا ينفي انها قد افادت من التراث الاستعماري في فن الدعاية ، ولا ينفي كذلك ان بعض هذه المؤسسات قد ولد في احضان الاجهزة القديمة ، فهي امتداد لها وان تجاوزتها الى الافاق الجديدة للاستعمار الجديد .

فبعثات التبشير الديني وارساليات المعاهد والمستشفيات الاجنبية ، كلها « اشكال » للدعاية الغربية عرفت طريقها الى العالم العربي منذ الحملة الفرنسية ، وتوطدت اركانها في مصر بعد الاحتلال البريطاني .. فكانت ((**الكنيسة**)) و ((**المدرسة**)) و ((**المستشفى**)) هي المؤسسات الرئيسية للاستعمار الانجليزي والفرنسي التي تروج للايديولوجية الامبريالية عن طريق مناهج التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات ، وعن طريق المحاضرات والفانوس السحري والسينما في المستشفيات ودور العبادة ، وعن طريق غزو الكنيسة الوطنية بتفتيت صفوف ابنائها واجتذاب ولائهم للكنائس الاجنبية بكل ما تمثله من قيم وأفكار .

وجاء **عام ١٩٥٦** يمثل نقطة تحول خطيرة في التاريخ العربي الحديث ، بل ان هذا العام من زاوية اخرى يمثل بداية المرحلة الجديده في علاقة الاستعمار بالدول المتحرره حديثا ، والتابعة على السواء . فقد اثبتت مغامرة السويس للمعتدين انه لم يعد هناك مكان للاستعمار التقليدي ، وانه آن الاوان للبحث عن ((**خطة عمل جديدة**)) تخفي الانياب السامة في اقنعة من ذهب ، والمخالب الوحشية في قفازات حريرية . واقبل التخطيط ((**الفكرى**)) للاستعمار الجديد ، يقدم ((**حلولا**)) لبعض المظاهر والازمات التي صادفت مسارنا الثوري في لقائه بالمثقفين . ولم تكن هذه ((**الحلول**)) سوى الشباك والطعوم التي القت بها اجهزة الاستعمار في مرحلته الجديده ، لتحاول الصيد في الماء العكر . هكذا تحولت مؤسسة فرانكلين التي تم انشاء اول فرع لها في العالم العربي بالقاهرة **عام ١٩٥٣** عن اهداف اتفاقية التبادل الثقافي المنعقدة بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية ، الى مؤسسة للفكر الاستعماري المباشر . وقد بذلت في هذا السبيل غاية الجهد والمال فلم تدخر وسعا في تجنيد اكبر الطاقات العربية من مترجمين ومؤلفين وناشرين في تقديم الافكار المعادية لتطورنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . ولتحقيق هذا الهدف عمدت مؤسسة فرانكلين الى تنسيق جهودها مع خطوات الانسان العربي .. فواكبت بدقة واصرار مختلف ((**ازماتنا**)) و ((**انتصاراتنا**)) بسيل من الكتب التي تعالج ((**الازمة**)) او ((**الانتصار**)) من وجهة نظر الاستعمار الامريكي . ووصلت عملية المواكبة لمشكلاتنا والمتابعة لمعارك حياتنا الى درجة عالية من الدقة ، فاذا وفدت علينا مشكلة ((**التنمية الاقتصادية**)) صدرت عن فرانكلين **خمسة عشر**

كتابا تعالج هذا الموضوع فى اطار النظام الرأسمالى ومزاياه باقلام مجموعة من اساتذة الجامعات فى الولايات المتحدة ، ثبت مؤخرا انها تخضع لاشراف وكالة المخابرات المركزية ، وهى جامعة هارفارد وبنسلفانيا وشيكاغو وكاليفورنيا . واذا وفدت علينا قضية **الكيان الافريقى المتحد** ، سارعت فرانكلين الى اصدار **عشرين كتابا** عن افريقيا وتاريخها وجغرافيتها فى حدود الروابط التى تشد افريقيا الى اوروبا والفواصل التى تعزلها شمالا عن المنطقة الناطقة بالعربية . واذا وفدت علينا معركة **القومية العربية** ضد الاستعمار ، اصدرت فرانكلين **عشرة كتب** عن الحضارة العربية والحضارة المصرية فى اطار الفكرة العنصرية التى تتخذ من الفراعنة او الفينيقيين او الاشوريين والبابليين اصلا تاريخيا وحيدا لحضارة العالم اجمع . مع الالحاح على ان ثمة فرقا جوهريا بين « **العقل الاسيوى** » الذى يتمتع به العرب ، و « **العقل الافريقى** » الذى يتمتع به المصريون . بل وصلت فرانكلين فى متابعتها لنا حدا مذهلا حقا حين تدخلت مطبوعاتها بشكل مباشر فى جزئيات حياتنا وتفاصيلها لا فى الخطوط العامة للنظام السياسى فحسب . لذلك نراها تبادر اثناء « **انتخابات رئيس الجمهورية** » الى نشر اكثر من كتاب عن النظام الرئاسى فى الولايات المتحدة ، و « **حقوق رئيس الجمهورية الامريكى** » واذا دخلنا على مناقشات « **الدستور الدائم** » تدخلت فرانكلين برأيها فى الموضوع ونشرت الدراسات المطولة عن « **مزايا الدستور الامريكى** » .

ونظرة واحدة على مطبوعات الجامعة الامريكية فى لبنان التى اصدرتها بالاشتراك مع فرانكلين او دور النشر العميلة فى بيروت ، تؤكد ان «المخطط» الامريكى كان يهدف الى جعل الجامعات الامريكية فى الشرق الاوسط « **واجهة علمية موضوعية** » وظيفتها البحث الامين المجرد ، وغايتها «**الحقيقة**» اينما كانت .. فالجامعة تختلف عن فرانكلين فى انها لا تخاطب « **مجموع الشعب** » وانما تستهدف صفوة العلماء والمثقفين والمفكرين والادباء والفنانين . ولذلك فهى تخاطبهم بلغتهم التى لا « تشعل » ولا « تثير » وانما تعمق وترسخ مفاهيم الثورة المضادة والاستعمار الجديد . هكذا يصدر نائب رئيس الجامعة الامريكية فى بيروت الدكتور **قسطنطين رزيق** كتابا مثل «**نحن والتاريخ**» وآخر يدعى « **فى معركة الحضارة** » يروج فى اسلوب يوحى بالحياد والموضوعية لقيم الديموقراطية البرجوازية والافكار القومية الشوفينية . وهكذا يصدر رينيه حبشى استاذ الفلسفة بنفس الجامعة العديد من الابحاث حول الحضارة « **المتوسطية** » التى تعزل بعض الشعوب العربية عن بعضها الاخر ، ويكاد يهمس بايديولوجية القوميين السوريين فى مستوى جديد هو « **القومية اللبنانية** » ذات الجذور الفينيقية . واذا كان مدير فرانكلين فى بيروت هو رئيس الدائرة العربية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، فان رينيه حبشى هو فيلسوف جماعة « **الندوة اللبنانية** » المعادية للقومية العربية والاشتراكية ، والتى تبذل منشوراتها جهودا يائسة فى تدعيم الطائفية السوداء .

وسوف يسجل التاريخ ايضا للجامعة الامريكية فى بيروت انها المؤسسة التى جندت خيرة علمائها فى تدوين مجلد ضخم هو « **آثار الدارسين فى الادب العربى** » لم يكن له من هدف سوى تشويه جهود الدارسين المصريين وزعزعة الثقة فى علمهم ابتداء من طه حسين وانتهاء بمحمد مندور ، على النحو الذى بينته باسهاب مقالات الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى تعليقها على هذا الكتاب بالاهرام فور صدوره ، ولم يكن للكتاب من هدف سوى التأكيد على ان الدارسين العظام هم وحدهم الذين تربوا على الموائد الامريكية ومناهجها فى المعرفة ، اما الجامعات الوطنية فى مصر فلم تثمر الا مجموعة من القارئين بالعربية .

هكذا مضت الجامعة الامريكية فى بيروت تشع نيران الحقد على كل ما هو وطنى وكل ما هو متقدم ، فى الفكر والحياة على السواء ، تحاول جهدها ان تربط المثقف العربى بعجلة الفكر الامريكى والحضارة الامريكية .. سواء بالمنح السخية التى توفر له الاقامة الطويلة فى الولايات المتحدة ، او المرتبات المغرية التى يتقاضاها بعد العودة والعمل فى المؤسسات المختلفة للاستعمار الجديد . ولم تكن الجامعة الامريكية فى القاهرة على هذه الدرجة من السفور التى كانت عليها وما تزال الجامعة الامريكية فى بيروت .. فاكتفت فى الفترة الاخيرة بندب كبار الادباء العالميين من امثال الروائى انجس ولسن والشاعر روبرت لويل والناقد ريتشاردز لالقاء محاضراتهم فى قاعة يورت . واكتفت بافتتاح احد ممراتها لعرض لوحات الفنانين المصريين . واكتفت بان يلقى الشعراء المصريون قصائدهم فى هذا الممر . واكتفت بتيسير مهمة الطلبة فى الحصول على مراجع امريكية لا يرقى اليها الشك بحكم طبيعتها « **العلمية** » . واكتفت بارسال الطلبة والاساتذة فى دراسات ميدانية بالريف المصرى والمصانع المصرية . وكان من الممكن ان يقال عن هذه الظواهر انها مجرد « **نشاط زائد عن الحد** » فى اسوأ الفروض لولا ان الاسئلة التى قدمها الطلبة والاساتذة الامريكيون للمواطنين المصريين قد اثارت من الريب والشكوك ما يرتفع بهذا « النشاط الزائد » الى مستوى آخر يعلن عن نفسه بوضوح فى رفض الجامعة رفضا قاطعا ان تتم هذه الدراسات الميدانية باشراف مشترك بين المسئولين المصريين والمسئولين الامريكيين . وحين استهوى تاريخنا القومى الحديث حاسة الشم العلمية عند الجامعة الامريكية فى القاهرة ، رفضت بصورة قاطعة للمرة الثانية أن يشترك المصريون مع الامريكيين فى اجراء هذه الابحاث و « **شراء** » المذكرات

والوثائق من بعض رجال الحكم في مصر قبيل الثورة .

والفئة الثانية هي المجلات ذات الوزن الثقيل ، لا كمجلة **((المختار))** التي تصدر في مصر ، وانما كمجلة **((حوار))** التي ظلت تصدر بانتظام طيلة السنوات الاربع الماضية ، الى ان استقال رئيس تحريرها **توفيق صايغ** منذ أسابيع بعد ان تأكد لديه ان **المنظمة العالمية لحرية الثقافة** تتقاضى أموالها من وكالة المخابرات المركزية الامريكية . وكان **ستيفن سبندر** قد سبق توفيق صايغ الى الاستقالة من رئاسة تحرير مجلة **((انكاونتر))** وكذلك **اجنازيوسيلوني** من المجلة التي تصدر في ايطاليا عن نفس المنظمة ، ولنفس الاسباب . هذا النوع من المجلات ذو وزن ثقيل حقا ، لان المهارة في توجيهه تكاد تحجب الرؤية عن بصائر الكثيرين من الكتاب الشرفاء من امثال سبندر وسيلوني وصايغ والمائتي كاتب عربي الذين شاركوا بصورة أو بأخرى في تحرير ((حوار)) . فالمعروف عن سبندر وسيلوني مثلا انهم من صفوف اليسار الاوروبي ، ومن المعروف كذلك ان «حوار» أفسحت بعض صفحاتها لكتابات يسارية ووطنية بحيث تعذرت الرؤية الواضحة لاهداف هذه المجلة الى ان افتضح أمرها فاقتنع الكتاب اليساريون عن التعامل معها ، وتتجه هذه المجلات الى مخاطبة **((الانفلجنسيا))** العربية سواء بالتأكيد على **((حرية الفكر))** تأكيدا ليبراليا يحتذى النماذج الغربية في النظام السياسي ، او بالتأكيد على «غياب الحرية» من مؤسسات الثقافة والفكر الاشتراكيين ، أو بالتأكيد على «أزمة الحرية» في الوطن العربي .

واذا كانت **((حوار))** قد انتهت ، فان هذا لا يعني مطلقا ان الامبريالية كفت عن التعامل مع المثقفين العرب . فمن قبل كانت مجلتا **((أدب))** و **((شعر))** تقومان بنفس الدور الخطير الذي قامت به **((حوار))** اثناء وبعد توقفهما . لنتوقع اذن مجلة جديدة او اكثر تحل محل حوار مهما تغيرت الاسماء والالوان والمصادر . وهاهي ذي مجلة **((شعر))** تعاود الصدور عن دار **((النهار))** الاستعمارية المعروفة .. تظاهرها في اداءمهمتها الفئة الثالثة من **((مؤسسات النشر))** التي تمولها مصادر الاستعمار الجديد وفي مقدمتها المخابرات الامريكية ، واقصد بهذه الفئة دور النشر التي تصدر الكتب يوميا على وجه التقريب ضد التجربة التقدمية الثورية في مصر والجزائر واليمن وسوريا وتسلك في هذا السبيل اكثر المنعطفات تخفيا فتصدر **دار الكتاب العربي بلبنان** مثلا كتابا عنوانه **((اختبار الاشتراكية في مصر))** وقد زينت الغلاف أقلام نخبة من الكتاب المصريين فتسارع بقراءة الكتاب لتجد أن الناشر العربي قد اختار من صحافتنا بعناية فائقة مجموعة من المقالات — أو اجزاء منها — لهؤلاء الكتاب ينقدون فيها بعض الاوضاع في أجهزتنا الادارية او الفنية . ولا تعليق سوى أن القارىء لن يترك الكتاب الا بانطباع ضخم لهذا الجانب السلبي أو ذاك .. وبدلا من ان تكون النتيجة هي الاعتراف بأن التجربة الديمقراطية في مصر تتيح الفرصة كاملة لكل نقد نزيه بناء ، تتخذ هذه التجربة بعينها ذريعة للقول بأن **((اختبار الاشتراكية في مصر))** يؤكد ان النتيجة «سلبية» فحسب لان الناشر قد أتى بشرائح لا سبيل الى التشكيك في صلاحيتها للحكم ووضعها تحت الميكرسكوب في «شكل» كتاب علمي بأقلام مصرية .. فلا يصبح الامر عند القارىء المسكين مجرد جزئيات ، بل يتعداها الى **((النظام بأكمله))**. وليس هذا الكتاب الا مثالا لكتب عديدة ظهرت في بيروت حول **((مأساة الانفصال))** و **((أزمة اليمن))** وغير ذلك من الموضوعات التي تجذب القارىء من أقصى الارض العربية .

على ان أجهزة الاستعمار الجديد لا تقتصر على توجيه الخطاب الى خاصة المثقفين ، بل هي تعد الاجيال الجديدة اعدادا يفضي بهم الى المؤسسات ذات الوزن الثقيل بصورة تلقائية . فهي تبدأ معهم بالمجلات الخفيفة ذات الطابع العلمي أحيانا ، والمحور الجنسي أحيانا أخرى.. فمجلات مثل **((سوبرمان))** و **((المغامر))** و **((الابطال))** و **((الجواسيس))** وسلسلة مثل **((جيمس بوند))** انما تكمل ذلك الدور الهائل الذي تؤديه افلام المخابرات الامريكية التي تعتمد على احدث منجزات التكنيك العلمي . وبعد ان كانت افلام طرزان في الماضي من أساليب الاستعمار القديم الذي يوهم العالم بأن رسالة الرجل الابيض هي تمدين الرجل الاسود مهما تكبد من أجل هذا **((الهدف النبيل))** من قسوة المناخ وضراوة الاحراش ومفاجآت المجتمع البدائي في أفريقيا .. اضحت الان أفلام جيمس بوند ومطبوعاته المختلفة الاشكال والالوان والاحجام والاسماء توظف منجزات العلم الحديث في خدمة رجل المخابرات القوي كالاسطورة . ومن ثم تصبح **((المخابرات الامريكية))** على وجه التحديد **((قوة هرقلية))** لاقبل لاحد بمقاومتها . بل لماذا نقاومها وهي الامتداد المتطور لطرزان القديم ، ورسالتها اكثر تطورا وازدهارا من رسالته فهي لا تكتفي بتمدين الرجل الاسود بل هي تعمل جاهدة على تمدين الرجل الاصفر والاحمر ومابينبين .. مع اختلاف بسيط عن رسالة طرزان القديم هو أن رجل المخابرات الامريكية ليس فردا مغامرا تستهويه غابات افريقيا واحراشها ، بل هو ممثل رسمي لجهاز أكبر ونظام أعقد واكثر تركيبا .. هو رسول شرعي للاستعمار الجديد يقلب الحكومات الوطنية ويتحرش بالشعوب الثورية ، ولا يكف لحظة واحدة عن تخريب النظم الاجتماعية التقدمية .. كل ذلك تحت ستار الشعارات البراقة اللامعة التي يجسدها تمثال الحرية الشهير عند مدخل نيويورك .

المرونة مع الحسم ..
طريق وحدة النضال العربى

مصطفى طيبة

اذا صح ان الثورة عمل تقدمى بطبيعته ، وانها مجموعة لا حصر لها من المعارك الجزئية التقدمية التى تمهد الارض للمعركة الشاملة فانها لا تناقش حساب الارباح والخسائر الا فى نهاية كل معركة . فمعارك الثورة تقاس بأعماقها الاجتماعية والقومية وبأبعادها العالمية حيث تعتمد على حركة القوى الشعبية والوطنية . وبهذا المقياس فان كل المعارك التى خاضتها الثورة العربية فى تاريخها الحديث سجلت انتصاراتها المستمرة ، وظل كل نصر تحرزه يمهد الارض لنصر بعده . وحين بلغت الثورة العربية مرحلة وجود نظام تقدمى فى مصر ارتضته كل الجماهير العربية قيادة لها وقاعدة لنضالها ، وقفت الثورة على الارض التى تدور عليها معركتها الفاصلة ضد كل القوى المضادة للثورة . ولهذا واحت كل المؤامرات الاستعمارية وبكل اشكالها السياسية والاقتصادية والعسكرية تستهدف فى الاساس تصفية النظام القائم فى مصر والخلاص من قيادته ثم تصفية الثورة وحركة الجماهير العربية . وحين فشلت القوى المضادة للثورة بزعامة امريكا فى تحقيق هدفها بضربة غادرة وشاملة ، فقد كان فشلنا العسكرى — رغم كل ظروفه المؤلمة — خسارة فى معركة جزئية . وعلى عكس ما اراده الاعداء خرج النظام القائم فى مصر اعمق جذورا من تصوراتهم التى دفعت امريكا بعد بريطانيا الى زعامة العدوان الاستعمارى الصهيونى على الامة العربية وكالسلاح الاخير ، وخرجت الجماهير العربية اشد تصميما وارادة كالقوة الحاسمة فى المنطقة كلها ، وسقطت كل الاقنعة عن اخطر الاعداء وعرفت الجماهير الاستعمار الامريكى عدوها الاول .

ان المنطقة العربية لم تشهد حتى اليوم مثل هذا المستوى من التلاحم والتماسك بين كافة اجزاء الوطن العربى . فلقد كان اتساع الهجوم الاستعمارى الصهيونى وبروز دور امريكا فى هذا العدوان عاملا اساسيا — على عكس هدف العدوان — فى بروز القومية العربية كواقع مادى فى كل انحاء الوطن العربى ، وفى تجسيد زعامة الثورة العربية فى شخص المناضل جمال عبد الناصر . واكثر من اى وقت مضى برزت القومية العربية باعتبارها حركة تحرر وطنى ووحدة قومية فى ذات الوقت ، وفرضت قضية فلسطين نفسها بمضمونها الحقيقى كاحدى القضايا الاساسية لحركة التحرير العالمية والتى اتخذ الصراع العالمى حولها ومنذ نشأتها طابعه الخاص . من هنا فالقول بأن ايام العدوان الاستعمارى الصهيونى يمكن ان تحقق للامة العربية من المكاسب اكثر مما الحقت بها من الخسائر ، هو قول يستند الى النظرة العلمية وليس على الحماس العاطفى .

غير ان هذه الخسائر الجزئية يمكن ان تكون بداية لكارثة شاملة ومدمرة لكل ما احرزته الثورة العربية من انتصارات ، اذا افتقدت الشعوب

العربية وضوح الرؤية عند طلائعها الثورية . ان اول ما يجب ان تعيه شعوبنا العربية انها فى **معركة مصيرها كله ، وليس امامها الا ان تكسب المعركة والا فقدت كل شيء ، وان الوقوف عند موقع بذاته هو بداية الانهيار الكامل . وتصبح المهمة الاولى للطلائع الوطنية والثورية هي متابعة التعبئة النفسية والسياسية للامة العربية والمحافظة على حرارتها** ، عن طريق تدعيم المراكز التقدمية ، وتصفية المراكز المتخلفة بضرب الاوكار الاستعمارية ، والامريكية منها على وجه الخصوص فى كافة الميادين السياسية والادارية والثقافية .

ان التعبئة النفسية التى تقوم على اساس ثورى حقا هى المهمة العاجلة والملحة من اجل تصفية آثار العدوان كالهدف المباشر فى هذه المرحلة . ويصبح دعم النظم التقدمية فى البلاد العربية التقدمية بتوسيع مراكز القوى التقدمية وتصفية المراكز المتخلفة فى جميع الابنية المختلفة للدولة هى نقطة البدء التى لا تحتمل اى تردد ، فهى البداية الضرورية التى تحكم منطق حركة وحدة النضال العربى فى الظروف الجديدة ، وعلى كل مستوياته . وهى البدايه التى تخلق الظروف الموضوعية امام شعوب البلدان العربية الاخرى لايجاد صيغة ملائمة لوحدة النضال العربى فى الظروف الجديدة . انه بقدر ما تتوحد القوى الثورية فى العالم العربى ، بقدر ما تجد حركة وحدة النضال العربى وعلى كل مستوياتها الاساليب المختلفة والمتنوعة التى تصب فى مجرى واحد يقود الامة العربية نحو تصفية آثار العدوان دون المساس بكرامتها القومية .

الخطر المباشر على وحدة النضال العربى

حقا لقد تراجعت الاوكار الاستعماريه العميلة فى الوطن العربى الى الخلف امام الزحف الهائل والشامل لحركة القومية العربية ، فعززت القوى الوطنية مواقعها ، واندفعت القوى المترددة الى مواقع اكثر تقدما . لقد تحركت القوى الوطنية فى كافة انحاء الوطن العربى لتضرب المؤسسات الاقتصادية الاستعمارية ، سواء بالتأميم والحراسة ، او بأعمال المقاطعة الاقتصادية الجزئية او الكاملة او سحب الارصدة . وحقا .. ان اضعاف مراكز السيطرة الاقتصادية الاستعمارية لها مغزاها البالغ الاهمية ، لكن يجب ان لا تنسى القوى الاجتماعية المحلية التى تقف دونها ، فهذه القوى الاجتماعية لن تعارض صراحة ضرب المؤسسات الاستعمارية حتى لا تستفز حركة النضال العربى . هنا يصبح اقل خلل فى المستوى اللازم لمركتنا العربية لتعبئة شعوب الامة العربية نفسيا وسياسيا معناه ظهور اتجاه المساومة من جديد وبدرجة اقوى .

فكما كان الاتجاه المغامر الذى ظهر فى حركة النضال العربى خلال السنوات الاخيرة هو رد فعل لاتجاه المساومة من ناحية ، وعدم الوضوح الكامل للاتجاه الثورى من ناحية اخرى ، فان امكانية ظهور اتجاه المساومة من جديد كرد فعل للنكسة ، امكانية قائمة وبشكل اقوى مما كان عليه قبل النكسة . ان خطورة اتجاه المساومة فى الظروف الجديدة ، وعلى الرغم من الابعاد الجديدة العميقة التى اكتسبتها حركة القومية العربية تكمن فى انه بعض تياراته تستطيع النفاذ الى البلدان التقدمية بعد ان كان محصورا ، فهو يستطيع ان يلبس رداء المحافظة على الاستقلال الوطنى بالتنازل عن بعض التغيرات الاجتماعية فى البلدان التقدمية . ويستطيع ايضا ان يجعل من وحدة الصف العربى معوقا للثورات الوطنيه فى بعض البلدان العربية ، وبشعارات براقة .

انه كما ضاقت المسافة بين الاتجاه المتحفظ والاتجاه الثورى قبل العدوان الاستعمارى الصهيونى كرد فعل لاتجاه المساومة والتسليم ، فقد ضاقت المسافة بين اتجاه المساومة والاتجاه الثورى بعد النكسة وكرد فعل لها . وامام هذه الظروف لا يجد الاتجاه الثورى طريقه الحقيقى بغير المرونة والحسم معا . المرونة فى الاشكال المختلفة لوحدة النضال العربى وعلى كل مستوياته ، مع التمسك بحسم بكل ما حققته الثورة العربية من تغيرات اجتماعية ، والطريق الى ذلك هو الحرب الشعبية . فأكثر من اى وقت مضى يجب ان تعى الطلائع الثورية فى كل اجزاء الوطن العربى ان المعركة العربية ضد الاستعمار الامريكى طويلة ومريرة ، والجماهير المؤمنة الواعية هى سلاحها الوحيد ، ان اخطر ما يواجه الثورة العربية اليوم هو محاولة الفصل بين جانبها الوطنى وجانبها الاجتماعى تحت اى دعوى من الدعاوى . وصمام امن حركة الثورة العربية بمضمونها الاجتماعى الجديد هوالشعب ووسيلته الحرب الشعبية . والحرب الشعبية تقوم اول ما تقوم على تنظيم الشعب تنظيما حديديا ، وتسليحه بكل الاسلحة ، ووضعه امام كل الاحتمالات واقساها . وبالحرب الشعبية وحدها تستطيع الثورة العربية ان تصفى آثار العدوان الاستعمارى الصهيونى بالمرونة والحسم معا .

أرض النضال العربى

واكثر من اى وقت مضى فان ارض النضال العربى بمختلف مستوياته هى نفس الارض التى امتزجت عليها اهداف التحرر الوطنى واهداف الثورة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية . فنفس الحقيقتين اللتين دلت عليها مؤامرة الانفصال الرجعى فى سوريا بعد اقل من شهرين على

صدور قرارات يوليو ، اكدتهما مؤامرة العدوان الثلاثى الاخيرة .

الحقيقة الاولى : أن خطة التحالف الاستعمارى تحددت منذ صدور قرارات يوليو سنة ١٩٦١ ؛ وأساسها الهجوم المباشر على القاهرة التى اصبحت منذ ذلك التاريخ الخطر الذى يتفاقم .

الحقيقة الثانية : انه منذ صدور قرارات يوليو انقسم الوطن العربى الى معسكرين متصارعين : المعسكر الذى يضم اعداء التقدم العربى من ناحية ، والمعسكر الذى يحوى فى اطاره كل القوى الثورية العربية التى تصدر فى فكرها وفى عملها عن الالتزام بأهداف عامة مشتركة من ناحية ثانية .

واكثر من اى وقت مضى يجب على حركة النضال العربى ان تستند على قاعدتها الاساسية .. وهى قاعدة الايمان بالشعب قوة للثورة وطاقة تكسب حركتها كل معانيها الاصيلة الخلاقة . وليس انسب من الظروف القائمة اليوم كى يصبح الايمان بالشعب فى التطبيق هو الحرب الشعبية . واكثر من اى وقت مضى فان ما يشكل حركة النضال العربى هو :

● ان ثورة ٢٣ يوليو بانتقالها الى مرحلتها الاشتراكية نقلت مفهوم الوحدة العربية الى موقع جديد يختلف كيفيا عن موقعها القديم . فلقد تحولت الوحدة العربية لتكون تجسيدا لحركة التغيير الاجتماعى وأداتها ، فالتحام النضال الاجتماعى بالنضال الوطنى ، جعل قضية الوحدة فى يد القيادات الشعبية ، واصبحت العلاقة بين الوحدة والتقدم الاجتماعى والتحرر الوطنى علاقة وثيقة ، يقابلها العلاقة بين التجزئة والتخلف . ان التحولات الاشتراكية التى تجرى فى مصر لم تمنع بحال من الاحوال شمول حركة القومية العربية والاقرار الكامل بقيادة الجمهورية العربية المتحدة للامة العربية كلها .

● ان وحدة الهدف يتطلب تحقيقها بناء وحدة متعاظمة بين القوى الثورية ، هذه القوى التى التى عليها عبء قيادة النضال الوطنى التحريرى وتعميق الطريق الذى شقته الثورة العربية .

● ان ثورة مصر بفضل قيادتها والمواقع المتقدمة التى انتقلت اليها اصبحت تشكل القاعدة التى لا ينبغى لاية حركة ثورية ان تنعزل عنها او تعاديها والا انتهت هذه الحركة — على المدى الطويل — الى ان تقع فى شرك الثورة المضادة .

ان التراجع المؤقت فى حركة الثورة العربية والتوقف العارض فى زحفها لا يجب ان يفقد الاتجاه الثورى قدرته على الاستفادة من كل المستويات المختلفة لوحدة النضال العربى . وهو قادر على ذلك بالمرونة والحسم معا وبالاستناد الكامل الى الشعب . ولقد حدد المناضل جمال عبد الناصر ملامح هذا الاتجاه الثورى حين قال :

● ان القضاء على الاستعمار فى العالم العربى يترك اسرائيل بقواها الذاتية .

● ان من الضمانات الاولية اعادة توجيه المصالح العربية فى خدمة الحق العربى .

● ان الامر الان يقتضى كلمة موحدة تسمع من الامة العربية كلها .

وبقدر ما تساهم به مختلف مستويات وحدة النضال العربى فى تأكيد هذه الحقائق بقدر ماتكون لدينا القدرة على ازالة آثار العدوان باعتبارها المهمة العاجلة .



الحرب الاقتصادية ضد الاستعمار

د. عبد الرازق حسن

يشن الاستعمار الانجلو امريكي حربا ضارية على البلاد العربية ، وسيتحدد فى هذه الحرب القائمة مركز البلاد العربية لسنوات طويلة قادمة ، كما ستحدد على اساسها استراتيجية الاستعمار من ناحية ، ودور دول العالم الثالث من ناحية اخرى ، ولهذا يتحتم على البلاد العربية أن تستخدم كل ما تملك من اسلحة لتكبيد العدو اكبر قدر من الخسارة حتى لا تقوى شوكته ، ولان انتصاره فى المعركة سيزيد من احتمال قيام حرب عالمية ثالثة .

وتتلخص الاسلحة الاقتصادية التى يمكن استغلالها فى :

- الارصدة السائلة .
- قناة السويس .
- الاستثمارات الثابتة .
- البترول .
- التجارة الخارجية .

وقد اتخذت هذه الاسلحة فى الحرب الدائرة بدرجات متفاوتة، غير ان المسألة تحتاج الى تنظيم اشمل ، مبنى على الدراسة الواعية حتى تأتى بالنتائج المرجوة لها .

الارصدة السائلة

تنقسم الارصدة الحسابية فى البلاد المعتدية الى أرصدة دائنة او مدينة، فيوجد لبعض البلاد العربية ارصدة ضخمة فى بريطانيا ؛ كما تحتفظ السعودية بقدر طيب من ارصدتها فى الولايات المتحدة وعلى العكس من ذلك تحتفظ الولايات المتحدة بأرصدة لها فى الجمهورية العربية المتحده نتيجة للقروض المختلفة المقدمة فى السنوات العشر الاخيرة . ويقدر البعض الارصدة الدائنة للبلاد العربية فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة بحوالى ١٠٠٠ مليون جنيه . اما الارصدة المدينة فتزيد على ٥٠٠ مليون جنيه .

ويمكن للبلاد الدائنة ان تسحب ارصدتها النقدية ، وقد سبقت اليه السودان بسحبها حوالى ١٦ مليون جنيه كانت تحتفظ بها فى بريطانيا ، واتخذنا نفس الاجراء حتى لا تتكرر عملية تجميد الارصدة التى حدثت قبيل عدوان سنة ١٩٥٦ .

ويؤدى هذا الاجراء الى استنزاف جزء كبير من النقد الاجنبى فى بريطانيا فيختل ميزان مدفوعاتها اكثر من اختلاله الحالى ، وترتفع الاسعار ، ولسنا فى حاجة الى التذكير ان الحكومة القائمة اضطرت الى الحد من الاستثمار ، وتجميد الاجور لمواجهة هذه المشكلة ، وقد أدى هذا الوضع الى زيادة معدل البطالة .

واذا اخذنا بالارقام التى نشرتها احدى الهيئات الرسمية فى انجلترا عن الارصدة نجد ان ارصدة بلدين عربيين علاوة على شياخات الخليج العربى قدرت فى ديسمبر ١٩٦٦ بمبلغ ٣٩٠ مليون جنيه، هذا فى الوقت الذى لم تكن بريطانيا تملك اكثر من ٤١٤ مليون جنيه عملات قابلة للتحويل ، وذلك غير

٦٩٣ مليون جنيه من الذهب. فلو سحبت هذه البلاد هذا المبلغ لكان معناه خفض فى العملات الاجنبية ، وعجز فى ميزان المدفوعات بهذا القدر ، مما يجعل بريطانيا فى مركز اقتصادى ضعيف .. وسحب الارصدة النقدية اجراء اساسى لضمان فاعلية منع تدفق البترول حتى لا تقوم الدول المعتدية بتجميد هذه الارصدة كاجراء انتقامى . ولن يؤدى سحب هذه الارصدة لنفس الاثر السريع بالنسبة للولايات المتحدة ، ولكنه يمكن ان يكون مقدمة لموجة هروب من الدولار ،فينخفض سعره، وبمعنى آخر ترتفع اسعار المنتجات الامريكية فتزداد مشاكل التصريف السلعى فى الخارج .

اما بالنسبة للبلاد المدينة فيمكنها ان تجمد الارصدة الانجليزية والامريكية فى بلادها ..وهذا يعنى حرمانها من استخدام هذه الارصدة ، ويمكن بعد ذلك دراسة حسابها لمواجهة التعويضات الناشئة عن العدوان الغاشم .

قناة السويس

يتلخص دور القناة فى كونها احد الشرايين الاساسية للحركة التجارية بين الشرق والغرب، أى بين مصادر المواد الخام واسواق الاستهلاك من ناحية ، وبين البلاد الصناعية من ناحية أخرى .. وقد مر فى قناة السويس فى سنة ١٩٦٦، ما زنته ٢٤٢ مليون طن من السلع بنسبة ١٤٪ من التجارة العالمية وهى اعلى قليلا من النسبة فى سنة ١٩٥٥ ، ومن هذا القدر مر بالقناة ١٧٦ مليون طن من البترول بنسبة ١٨٪ منتجارة العالم فى البترول (مر بالقناة سنة ١٩٥٥ حوالى ٧١ مليون طن بنسبة ١٨٪ من تجارته العالمية).

وتختصر الملاحة بالقناة المسافة التى تعبرها السلع بنسبة ٣٦٪ للمسافة من هونج كونج الى لندن وبنسبة ٤٣٪ للمسافة من الخليج العربى الى لندن، ويؤدى هذا الى زيادة عدد الرحلات التى تقوم بها السفن بنسب تتراوح بين ١٦٪، ٦٤٪ . وما يعنى ان القناة تمكن من استخدام وحدات نقل أقل وبشكل اسرع . وبتكلفة اقل .

وقد ادى غلق القناة الى زيادة الطلب على ناقلات البترول وسفن شحن البضائع ، وارتفاع أسعار النقل والتأمين ، وقد انعكس اثر ذلك على أسواق الاوراق المالية فى الغرب ، فانخفضت اسعار الاوراق وبالذات شركات البترول ومعامل التكرير .

وتؤدى طول المسافة ، وارتفاع تكاليف النقل الى اختلال العلاقات التجارية بين الشرق والغرب، فيزداد التعامل بين دول الشرق وبعضها ، كما يزداد بين امريكا واوربا الغربية ، وهذا الوضع له آثار متباينة لان زيادة التعامل بين الدول الواقعة شرق القناة يؤدى الى تنمية موارد هذه البلاد والحد من العلاقة التى تنبنى على الاستغلال بينها والغرب ، اما زيادة التعامل بين غرب اوربا وامريكا فسيكون ضد مصالح اوربا ،ويثير لها مشاكل اقتصادية واجتماعية كثيرة لان منتجات الولايات المتحدة غالبة بالنسبة لاوربا ، كما ان الولايات المتحدة ليست سوقا مربحة لاوربا .

الاستثمارات الثابتة

تقدر الاستثمارات الثابتة الانجلو امريكية فى البلاد العربية بمبلغ ٧٠٠٠ مليون دولار ، ٩٠٪ منها ممثلة فى منشئات بتروليةاو متصلة بالبترول، والباقى فى مشروعات تعدين ، وبنوك ، وشركات تأمين . وقدر هذه الاستثمارات ما يتراوح بين ٤٠٠٠ ، ٤٢٠٠ مليون دولار فى السنة يستخدم جزء منها فى التراكم الراسمالى بمعدل يتراوح بين ٦٠٠ ، ٦٥٠ مليون دولار فى السنة ، ويحول الباقى فى شكل أرباح أو ضرائب تزيد من القدرة المادية للبلاد المستغلة .

ويمكن للبلاد العربية انتؤمم هذه الاستثمارات أو تملكها لشركات وطنية كما فعلت مصر بعد الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ بالنسبة للاستثمارات الانجليزية والفرنسية وقد بادرت الجزائر فى الحرب الحالية بفرض سيطرة الدولة على المشروعات الانجليزية والامريكية ،كما اتخذت السودان نفس الاجراء بالنسبة للاستثمارات الانجليزية وهى الغالبة فيها ، وهذا الاجراء يزيد من فاعلية الدول العربية ويمنحها الكثير من الامكانيات التى تعينها فى تطوير حياتها وتنميتها .

البترول

يعتبر البترول من اخطر الاسلحة التى يمكن ان يستخدمها العرب ضد الاعتداء الانجلو امريكى المساند للصهيونية ، لان البترول العربى هو المصدر الاساسى لتموين صناعة الغرب ،وقواته المسلحة . وقد صدرت البلاد العربية من بترولها اكثر من ٤٦٥مليون طن خلال سنة١٩٦٦ ، اتجه ٦٥٪ الى اوربا ، ١٦٪ لليابان ، ١٩٪ للولايات المتحدة وافريقيا وآسيا ، ويمثل مايصدر الى اوربا من ٧٥،٥٠٪ الى ٨٠٪ من حاجتها البترولية ، وتستهلك بريطانيا وحدها حوالى ٧٠ مليون طن من البترول فى السنة يأتى حوالى ٥٠ مليون طن لها من البلاد العربية .

وقد اتخذت البلاد العربية قرارا اجماعيا بوقف تصدير البترول للبلدان المعتدية ، ويعنى ذلك

زيادة الضغط على رصيد البترول الامريكى ، وزيادة استنزاف بترول امريكا اللاتينية وايران . ولايعنى ذلك ارتفاع الاسعار فحسب ولكن اثارة مشاكل استراتيجية كثيرة للولايات المتحدة . ان امريكا تعتمد على البترول العربى فى تمويل اكثر من ٥٠٪ من احتياجات اساطيلها ، فضلا عن ان المخزون الاوربى يكفى لمدة تقدر بحوالى ثلاثة اشهر ، وهناك شك كبير فى ان تتمكن امريكا من كفاية حاجاتهـا وحاجات حلفائها دون ان تعرض اقتصادياتهـا ومخزونها للخطر . ولهذا قد تتجـه امريكا الى استغلال بعض الدول الوسيطة كايطاليا او فرنسا او اليابان لشراء البترول والغازات الطبيعيـة بأكملها ، ولهذا يجب على البلاد العربيـة أن تتنبه ولا تسمح لاى دولة ، بالحصول على ما يزيد عن الحصة التى سبقت حصولها عليها فى العام الماضى مضافا اليها نسبة لمواجهة نموها الاقتصادى ، ومن المصلحة ان يمتد أثر الحرمان من البترول من بريطانيا وامريكا الى كل دولة تصوت فى صفهما فى الجمعية العامة للامم المتحدة .

واعتقد ان الاجراءات الحالية لا تكفى وحدها لضمان فاعلية سلاح البترول ، بل يجب ان يرتبط بها ابعاد رعايا الدولتين المعتديين ورعايا الدول المناصرة لهما من العمل فى الابار او فى معـامل التكرير . وان كان الحل الحاسم فى هذا المجـال هو تأميم الحصص التى يملكها الاعداء فى البترول العربى وبالتالى يصبح بترول العرب للعرب . ومهما قيل عن مشـاكل التصريف فانه حتى لو اكتفت الدول العربية بتصريف ثلث ما تنتجه حاليا فان مركزها المادى لن يتأثر ، واذا اخـذنا فى الاعتبار نسبة ما يعود عليها منه ، واذا اخذنا الطريقة التى يتم بها توزيع عائد البترول فى المجتمع العربى ، فان بلادا قليلة يمكن أن تتأثر بخفض تدفق البترول .

وتؤدى السياسة الموحدة التى اتبعتها الدول العربية ازاء المعتدين الى ضرورة بحث سياسة تنسيق البترول بين البلاد العربية ، حتى لاتتضارب مصالحها ، وحتى يقضى على اى استغلال قـد يأتيها من بعض الدول التى قد تنتهز الفرصة . وعلى الدول العربية ايضا ان تتنبه لجبهتها الداخلية حتى لا تؤدى دسائس الاستعمار الى حـركات مضادة كما حدث بعد تأميم البترول فى ايران .

التجارة الخارجية

هناك نسبة كبيرة من تجارة البلاد العربيـة تتم مع الغرب ، وبالذات أمريكا وانجلترا فستورد من الاولى ما قيمته ٢١٢ مليون جنيه والثانيـة ما قيمته ١٣٠ مليون جنيه ، وما زالت بعض البلاد العربية تربط نقدها بانجلترا ، كالعراق والاردن وليبيا ، مما يؤدى فى التأثير على اقتصادياتهـا ، واذا كانت البـلاد العربية باستثناء القلة منها قد قطعت علاقاتها السياسية بامريكا وبريطانيـا وسارت بعضها شوطا ابعد بمقاطعة التجارة مع الدولتان المعتديتان ، كالجمهورية العربية المتحدة ، والجزائر ، وسوريا ، والسودان ، واليمن ، فان الامر يقتضى ضرورة اعادة الدول العربية تقييم علاقاتها التجارية مع الدول الاستعمارية وسلاح المقاطعة ، وحرمان اساطيل هذه البلاد البحرية والجوية من استخدام الموانى والاجواء العربيـة يؤدى الى متاعب هائلة للبلاد المعتدية ، فى مجالات التجارة ، وفى الناحية الاستراتيجية .

ان التجارة بين البلاد العربية وبعضها تتراوح بين ٥٪ ، ٨٪ من تجارتها الخارجية ، امـا تجارتها مع الدول الغربيـة المستعمرة او التى تساند الاسـتعمار فتتراوح بين ٤٠٪ ، ٨٠٪ وطالما نادينا بأن قيام الوحدة العربية يتطلب وجود اساس اقتصادى وقد آن الاوان لخلق هـذا الاساس بعد ان لمست البلاد العربية ان مستقبلها فى تضامنها وتوحدها .

وليس هناك شك فى ان الظروف الحاضرة هى أنسب الظروف لاعادة البلاد العربية تنسيق علاقاتها التجارية الخارجية وفقا لمصالحها المـادية ، ومستقبلها .

ليس معنى ما ذكرناه من الاسلحة الاقتصادية التى يمكن ان تستخدمها الدول العربيه ضد الدول المعتدية انه لن يصيبها شىء نتيجة استخدامها ، اذ الواقع انه قد تصاب فى الاجـل القصيـر ببعض المتاعب نتيجة نقص الارصدة الاجنبية ، أو مشاكل التصدير ، غير ان الوقت منـاسب لكى تعيد البلاد العربية اقتصادياتها على اساس متوازن ، وترتب احتياجاتها تبعا لاولويات معينة ، ومهما كانت المتاعب الا انها تهون امام الاستقلال الاقتصادى والسياسى .

وبالاضافة الى ذلك كله ، ان اعادة ثقـة البلاد العربية بنفسها واهتمامها بزيادة الانتـاج والحد من الاستهلاك ، والقضاء على كل مظاهر التبذير والاسراف التى نعيش فيهـا ، سيخلق مجتمعا قادرا ليس على صد العدوان فحسب ، وانما على تكوين قوة لها قدرتها لايقاف موجة الاستعمار الطاغية ، وبناء مجتمع انسانى سليم .



ماذا تريد أمريكا؟

د . اسماعيل صبري عبد الله

حقيقة لم تعد محلا للجدل . لقد بينت أمريكا العدوان على حركة التحرر العربي . استهدفت أول الامر سوريا ، فلما تحركت الجمهورية العربية المتحدة دفاعا عن القطر الشقيق وعن القومية العربية وجهت أمريكا العدوان ضد مصر . ولم تكن اسرائيل فى هذا كله الا كلب الحراسة الشرس يطلقه السيد الامريكى فتخضب الارض المقدسة بالدماء آملا أن يترك له سيده بعض العظام .

ومن ثم يتساءل بعض الناس الشرفاء فى أرض العرب ولماذا تدبر أمريكا كل هذا الشر ، ولماذا لاتتحدث واشنطون الا لغة السلاح ، ولماذا لاتعبر الاطلسى الا رياح الدمار ؟ حقا ان الطلائع الواعية لحركة القومية العربية قد أدركت منذ أمد ليس بالقصير طبيعة الاستعمار الامريكى . ولكن الدعاية الامريكية عن طريق الفيلم والكتاب والمجلة والجامعات الامريكية كانت قد نجحت فى أن تغرس فى نفوس فئات واسعة من الشعب العربى صورة للولايات المتحدة زاهية الوانها ، فهى بلاد « **العالم الجديد** » التى كانت موئلا لكثير من احرار اوربا أثناء قرون الاضطهاد ، وهى لم تكن يوما « امبراطورية » استعمارية ، ولم تدخل الحرب العالمية الا دفاعا عن الديمقراطية والحريات الاربع الشهيرة التى اقترنت باسم **روزفلت** ، وهى أخيرا أقوى وأغنى دولة فى العالم تملك كل شىء فلا تحتاج الى شىء . وما أبعد الصورة عن الواقع ، أن سادة الولايات المتحدة الامريكية يعملون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى تنفيذ أضخم نظام للسيطرة العالمية عرفته البشرية من أيام امبراطورية الرومان . ان احلام **هتلر** لم تتجاوز فى الزمن سنوات خمسا ، ولم تتجاوز فى المكان قارة واحدة هى اوربا . اما السيطرة الامريكية فتريد أن تمد ظلها على أرجاء المعمورة . حاولت أكثر من مرة أن تقضم المعسكر الاشتراكى فيما ظنت انه اضعف اجزائه فتحطمت اسنانها فى كوريا الشمالية والمجر وكوبا وخابت مساعيها أمام تمسك **تيتو** والشعب اليوغوسلافى بالاشتراكية رغم كل الخلافات مع بقية الدول الاشتراكية ، نصبت حمم غضبها على شعب فيتنام الباسل . وأرادت بالمناورة أن ترث الاستعمار القديم فاصطدمت بثورة التحرر الوطنى العارمة التى ترفض أن تستبدل سيدا بسيد فأعملت اسلوب المؤامرة والتخريب الداخلى مدبرة الانقلابات والمذابح الرهيبة ، ولم تتردد فى التدخل المسلح بصورة أو بأخرى حين يخفق الترغيب بالقمح والارهاب بالضغط السياسى والاقتصادى والعسكرى .

ونظرة موضوعية الى تاريخ الولايات المتحدة الحديث تثبت اصالة السياسة الاستعمارية فيها ، وانها كما هى الحال دائما ، تنبع من الرغبة الشرهة فى استغلال الشعوب اقتصاديا ، وانها

ليست مرضا عارضا أصاب بلدا مسالما حين اسكرته القوة والثروة . فالولايات المتحدة قد **مارست الاستعمار القديم** واشتركت فى حروب استعمارية لاقتسام المستعمرات شأنها شأن أى دولة استعمارية اخرى . لقد انشغل المستوطنون الاوروبيون أول الامر بأفظع جريمة ابادة عنصر بشرى عرفها التاريخ الا وهى القضاء على سكان البلاد الاصليين من نصف القارة الذى استولوا عليه . ولكنهم ابتداء من القرن التاسع عشر اخذوا يخرجون عن حدود أمريكا سعيا وراء المستعمرات . وهكذا احتل الامريكان جزر هاواى وغيرها من جزر المحيط الهادى . ثم حاربوا اسبانيا حربا انتهت فى ١٨٩٨ بأن انتزعوا منها كوبا وبورتوريكو والفلبين ، ثم انتزعوا جزءا من جمهورية كولومبيا حين أرادوا انشاء قناة بناما وحولوه الى جمهورية « مستقلة » حصلوا منها على امتياز شق القناة واستغلالها واحتلالها عسكريا حتى اليوم . كما شاركت أمريكا الدول الاوروبية فى غزو الصين وفرض الاستغلال الاقتصادى عليها باسم «سياسة الباب المفتوح» واشتركت عسكريا فى قمع الثورة الصينية الاولى فى ١٩١١ .

ولكن **الولايات المتحدة هى بلا منازع مخترع « الاستعمار الجديد »** هذا الاسلوب الذى يفرض الاستغلال الاقتصادى دون حاجة الى احتلال عسكرى اكتفاء بتنصيب حكومات عميلة والتهديد بالقوة (واستخدامها احيانا) واحكام السيطرة الاقتصادية . وقد مارست امريكا الشمالية الاستعمار الجديد على نصف الكرة الغربى بأكمله . فمنذ ١٨٢٣ أعلن مبدأ « **مونرو** » الذى بمقتضاه أكدت الولايات المتحدة معارضتها لكل تدخل أوروبى فى شئون نصف الكرة الغربى . وهكذا تمكنت من السيطرة على دول أمريكا اللاتينية التى حصلت على استقلالها من اسبانيا والبرتغال . ثم عملت على احلال نفوذها محل الدول الاوروبية الاخرى فيما بقى لها من مستعمرات هناك حتى فازت بازاحة النفوذ البريطانى عن كندا لصالحها . وبذلك انفردت أو كادت باستغلال الذهب والقصدير من بوليفيا والنحاس والحديد من شيلى والبترول من فنزويلا وبوليفيا وكولومبيا والفواكه من امريكا الوسطى والسكر من كوبا . كما نجحت فى السيطرة على الصناعة فى البلاد التى اقدمت على التصنيع كما هى الحال فى الارجنتين والبرازيل والمكسيك واوروجواى . وتبين الاحصاءات الامريكية الرسمية لسنة ١٩٦٥ أن ٥٤٪ من الاستثمارات الامريكية المباشرة فى الخارج توجد فى دول أمريكا اللاتينية وأن عائد تلك الاستثمارات يمثل ٤٦٪ من اجمالى عائد الاستثمارات الامريكية فى الخارج . كما يخلص من الاحصائيات الرسمية التى تغطى الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ أن الولايات المتحدة قد أجرت فى أمريكا اللاتينية استثمارات بلغت ٣٨٠٠ مليون دولار ، وانها قد حصلت على ارباح من استثماراتها فى تلك الدول بلغ مجموعها فى نفس الفترة ١١٣٠٠ مليون دولار . واخيرا تبدو السيطرة الاقتصادية واضحة فى احصائيات التجارة الخارجية حيث نجد ان نصيب الولايات المتحدة فى تجارة دول أمريكا اللاتينية لايقل عن ٢٦٫٥٪ (الارجنتين) ويصل الى ٦٢٫٣ ٪ (هايتى) . وهكذا تحصل الولايات المتحدة على الجزء الاكبر من انتاج تلك الزراعة التى لا تجرى فيها استثمارات مباشرة (مثل البن والفواكه وقطن بيرو طويل التيلة .. الخ) واذا اخذنا فى الاعتبار ان كثيرا مما تشتريه أمريكا اللاتينية من أوروبا الغربية واليابان يكون من انتاج شركات يسيطر عليها رأس المال الامريكى اكتملت معالم الصورة القاتمة .

وبعد الحرب العالمية الثانية اخذت الولايات المتحدة فى تطبيق تلك السياسة الناجحة على مناطق اخرى كثيرة فى العالم . وحيث استتب النفوذ الامريكى اخذ رأس المال الامريكى يغزو على اوسع نطاق . ووفقا للاحصائيات الامريكية الرسمية يقدر اجمالى الاستثمارات الامريكية المباشرة فى الخارج فى آخر ١٩٦٤ حوالى ٧٢٣٠٠ مليون دولار . واذا قدرنا لهذه الاستثمارات ربحا متواضعا لايزيد عن ١٠٪ فقط نجد ان عائدها السنوى لايقل عن ٧٢٠٠ مليون دولار . ولكن الامر لايقف عند هذا الحد . فتلك الاستثمارات تزيد بمعدل سنوى بلغ فى ١٩٦٤ حوالى ٦٠٠٠ مليون دولار بما يقابل ذلك من زيادة فى العائد . ومن ناحية أخرى تعمل الشركات الامريكية الموجودة فى الخارج على تنشيط التجارة الخارجية الامريكية ، وقد استوردت عام ١٩٦٣ من أمريكا ما قيمته ٥٠٠٠ مليون دولار وهو مايمثل ٢٣٪ من اجمالى الصادرات الامريكية . وقد استقر حوالى ٧٥٪ من الاستثمارات الامريكية فى البلاد الصناعية الكبرى وفى مقدمتها كندا واليابان ثم اوروبا الغربية . اما البلاد النامية حيث تتفجر الحركة الوطنية وحيث لاتوجد القاعدة الصناعية الواسعة التى تيسر تحقيق العائد السريع ، فان الاحتكارات الامريكية تترك الامر لحكومة واشنطون وضغوطها الاقتصادية والسياسية لتمهد لها الطريق . وكان الاستثناء الوحيد على هذه القاعدة هو البترول العربى . فالارباح الضخمة التى تتحقق منه جعلت الامريكان يستثمرون فيه حوالى ٣٫٥٠٠ مليون دولار رغم « عدم استقرار الاوضاع فى المنطقة » .

وفى ضوء هذه الارقام يتضح أمران على اكبر قدر من الاهمية . الاول : **ان ثراء امريكا**

الاسطورى يرجع بشكل اساسى الى استغلالها لشعوب كثيرة . وليس كما يقال ثراء ذاتيا يغنيها عن المستعمرات ، انه ثراء يعتمد على أساليب الاستعمار الجديد ، ويدفعه نهم الاحتكاريين الى التوسع فى استخدام تلك الاساليب ، والثانى : **ان سعى امريكا للسيطرة على اكبر جزء من العالم مرتبط اوثق الارتباط بالرغبة فى المحافظة على هذا الثراء وزيادته باضطراد .** فالاحتكاريون الامريكيون يرون المعسكر الاشتراكى خارج قبضتهم ، ويخشون ثورة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى التى نجحت فى بعض بلاد العالم الثالث خشية الموت لانهم يعلمون انها تسرى كالنار تقضى على معاقل للاستقلال وتضىء طريق المستقبل للشعوب المستغلة . وهم بذلك يرون فى كل بلد متحرر خطرا داهما على مصالحهم لافى ذلك البلد وحده بل فى بقية البلاد التى يمتصون دماءها . ومن ثم كان فهمهم « للعالم الحر » وللسلام القائم على النابالم : عالم خاضع لسيطرتهم ، وسلام مبنى على الخضوع لهم ، تماما « كالسلام الرومانى » الذى فرضته روما على العالم القديم من طريق اخضاع حوض البحر الابيض كله لسيطرتها . وكان طبيعيا فى مثل هذه الظروف أن يخصوا بأعنف حقدهم الجمهورية العربية المتحدة حصن الحرية والتقدم فى الوطن العربى وافريقيا والتى غدت مثلا جذابا لكافة بلدان العالم الثالث .

ويجب مع ذلك أن نعى أن أمريكا التى تعادينا ليست أمريكا الثلاثين مليون زنجى ولا أمريكا الخمسين مليون فقير ، وانما هى أمريكا الاحتكارات الكبرى التى نجحت فى خلق اضخم جهاز للسيطرة العالمية تعتمد على العناصر الاساسية التالية .

— استيلاء رجال الاحتكارات المباشر على مناصب الدولة الرئيسية .

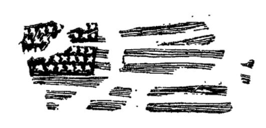
— دور العسكريين المتعاظم فى رسم سياسة الدولة وارتباطهم برجال الاحتكارات وهيمنتهم على اجهزة الدولة المختلفة .

— اجهزة التجسس والارهاب البوليسي المتعددة التى تكون فى مجموعها « حكومة خفية » هى الحكومة الحقيقية للولايات المتحدة . اذ لا ضمان لبقاء اكبر مسئول فى منصبه اذا لم ترض عنه تلك الاجهزة . وكفى بمصرع كيندى مثلا .

— اجهزة الاعلام — من صحافة واذاعة وتليفزيون — التى تملكها الاحتكارات الكبرى والتى تبادر الى صياغة الراى العام وفقا لمصالح تلك الاحتكارات ولاتترك لمواطن فرصة لتفكير مستقل .

— الفكرية القائمة على التعصب العنصرى وتقديس القوة ، الرجل الابيض ارقى من الملون . الحضارة الغربية الراسمالية أرقى الحضارات ، واسلوب الحياة الامريكى فى داخل الحضارة الغربية هو الشكل الاعلى لحياة البشر . ولقد عرفت أمريكا طوال تاريخها فى مواجهة تيار الفكر الحر تيار العنف والفساد والجريمة الذى بدأ بالنهب والسلب على أسلوب رعاة البقر ثم « ارتقى » الى أسلوب العصابات الكبرى وثيقة الصلة بالاحتكارات وبالقيادات النقابية الصفراء ، ثم بلغ قمته فى آلة التقتيل الضخمة التى يمثلها البنتاجون وما وراءه من مصالح مالية .

وتواجه امبراطورية الامريكان ما واجهته بالامس امبراطورية الرومان : عوامل التحلل فى داخلها اجتماعيا وخلقيا ، ومقاومة الشعوب المستغلة . وفى صدر هذه المقاومة يقع اليوم عبء رئيسى على الامة العربية ، وان التاريخ سيكتب لها شرف كبح جماح من يحلمون بالسيطرة على العالم .



حلف بون - تل أبيب

وريث النازية والعدوان

حسين شعلان

اذا كان تحديد معسكر أعداء الشعب، مهمة سياسية اولى من مهام تعبئة الجماهير وشحذ سلاح يقظتها، لمواجهة المعركة القائمة والمستمرة، فان ابراز دور المانيا الغربية المعادى لثورة التحرر العربية والمتواطىء مع الكيان العدوانى الاسرائيلى.. لايقل اهمية عن ابراز دور الاستعمار الامريكى وتركيز الاضواء عليه.

واذا كانت أجهزتنا الاعلامية لم تركز أضواءها الهجومية — الواجبة — على حقيقة الاستعمار الامريكى، عدونا الاول، الا عندما كان العدوان الاخير تاب توسين او ادنى، فلا أظن أننا فى حاجة الى أن نتردد فى تركيز الاضواء على دور المانيا الغربية — كموقع من أهم مواقع الاستعمار الجديد فى عالم اليوم — وقبل أن تمارس حكومة بون غدا، ماتمارسه حكومة واشنطن اليوم، وهنا تبدو بكيفية خاصة أهمية تأكيد المناضل عبد الناصر على حقيقة أنه قد آن أوان أن نعامل الاعداء كأعداء وان نعامل الاصدقاء كأصدقاء.

فوراء التستر بضمير أوربا المثقل باضطهاد النازى لليهود، ووراء خدعة التكفير عن ذلك الاضطهاد البشع، أطلقت الطغمة العسكرية الحاكمة فى بون، ستارا كثيفا من الدخان أمام دعمها السياسى والاقتصادى والعسكرى لاسرائيل. ويحكم تلامذة الفكر النازى الحاكمين فى بون، فى دعمهم لاسرائيل، ضرورة ان يحتفظوا لانفسهم بموضع لقدم فى القاعدة العسكرية التى أعدها الاستعمار العالمى للعدوان على ثورة التحرر العربى، أملا فى تحقيق أطماع فشل هتلر فى تحقيقها من قبل.

محاور التقاء بون وتل أبيب

ولا ينطلق منطق الدعم الالمانى الغربى — الثابت — لاسرائيل، من مجرد أسس عاطفية، وانما ينطلق من أرض التقاء مشترك حول قضيتين محوريتين:

● **أولهما**: انطلاق بناء الدولة فى كل من المانيا الغربية واسرائيل، على أسس من **الفكر العنصرى**. فمثلما تبدأ الطغمة العسكرية الحاكمة فى بون من فكرة التفوق المزعوم للالمان، تبدأ الطغمة العسكرية الحاكمة فى تل ابيب من فكرة التفوق المزعوم لليهود على العرب. واذ يبدآن من منطلق واحد، ينتهيان أيضا الى نهاية واحدة تزعم بأن على المتفوقين مسئولية « تحضير » المتخلفين. وليس ذلك فى نهاية الامر، الا

وسيلة — مقصودة — لتبرير قيام « المتفوقين » بالعدوان على « المتخلفين » واذا صح لنا أن نقول انه اذا كانت **النازية** هي الشكل العالمي لعنصرية المنتصف الاول للقرن العشرين ، جاز لنا أن نقول أيضا أن **الصهيونية** هي عنصرية المنتصف الثاني لهذا القرن . ذلك أن العنصرية تتطور وتتخذ مظاهر متعددة وفقا لظروف كل عصر .. وكل موقع . لكنها — في كل الاحوال وباستمرار — ستظل أحد وجهي عملة واحدة : الرأسمالية العالمية .

● وثانيهما : **العداء المشترك لحركة التحرر العربية** التي يعني زحفها .. تهديدا لبقاء الكيان الاسرائيلي المصطنع ، مثلما يعني تهديدا لاستثمارات المانيا الغربية سواء في منطقة الشرق الاوسط أو في أفريقيا ، وموقف بون هذا من الثورة العربية ، جزء لا ينفصل عن مواقفها العدائية للحركات الوطنية فيجنوب افريقياوروديسيا وانجولا وموزمبيق حيث تساند العنصرية والاستعمار البرتغالي في ضرب هذه الحركات الوطنية .

علاقات رسمية .. بعد فشل الحصار

ارتبط الدعم السياسي الالماني الغربي لاسرائيل — في تزايده — بتصاعد حركة التحرر العربي . ويخطيء من لا يربط بين تفكير اديناور منذ أواخر عام ١٩٥٢ ودعوته الى اقامة علاقات دبلوماسية معاسرائيل وعدم ادخار أى جهد في سبيل تطوير العلاقات معها ، وبين قيام وتطور ثورة يوليو في مصر واتجاهها التحرري . وقد كان طبيعيا أن تلتقي هنا الرأسمالية العالمية — في وجهها الالماني الغربي ووجهها الصهيوني — في موقف العداء الضاري لافاق التنمية الاشتراكية في مصر .

والمتتبع بدقة لتطور العلاقات السياسية الرسمية بين بون وتل أبيب ، يلاحظ بوضوح أن ثمة ضغطا — أي ضغط — لم يمارس من قبل تل أبيب كي تعترف بها بون رسميا . بل لقد حرص كل حاكم في بون — من **اديناور** وحتى **كيسنجر** — على تأكيد أن تدعيم العلاقات مع اسرائيل حجر زاوية رئيسية في سياسة بون تجاه الشرق الاوسط .

ولم يكن اعتراف المانيا الغربية رسميا باسرائيل عام ١٩٦٥ ، سوى مجاهرة من بون بواقع تمارسه بالفعل منذ سنوات طويلة . وتلخص بون وجهة نظرها فتقول في بيانها الرسمي « وبهذه الخطوة تمت تسوية مشكلة عاجلة ظلت معلقة أمدا طويلا في السياسة الالمانية . وبها تم اتخاذ خطوة هامة في طريق اعادة الوضع الطبيعي في الشرق الاوسط » .

ولم تعترف بون رسميا بتل أبيب قبل عام ١٩٦٥ ، لاعتبارات خاصة سياستها الخارجية بشأن المشكلة الالمانية .. بشكل أساسي ، فقد خططت بون سياستها الخارجية — حتى وقت قريب — تجاه المانيا الديمقراطية على السعي لبذل كل الجهودمن أجل عزلهاعن المجتمع الدولي ومن هنا كان حرصها على كسب ود ١٣ دولة عربية، أول الامر ، وابعاد هذه الدول عن الاعتراف بالمانيا الشرقية. وعندما فشلت سياسة بون هذه ووضح أن النظام الاشتراكي في المانيا الديمقراطية يتدعم ويقوى ويتقدم الى مواقع دولية ملحوظة يوشك أن يحظى باعترافات دبلوماسية من جانب دول جديدة متعددة — ، هنا سقط المبرر الذي كان يحول دون أن تجاهر بون باعترافها باسرائيل وبموقفها الحقيقي ضد الشعوب العربية .

تحت اسم التعويضات ..

يتدعم اقتصاد اسرائيل

ونستطيع أن نقول — دون مبالغة — ان أموال المانيا الغربية ، كانت دعامة أساسية في بناء الاقتصاد الاسرائيلي . فتحت اسم التعويضات، قامت المانيا الغربية بمد اسرائيل — تحت هذا البند فقط بمبلغ ٤١٣٢ مليون دولار (١) . هذا فضلا عن المعونات الضخمة التي كانت تقدمها بون لاسرائيل ، تحت لافتات متعددة ، منها شراء السندات أو التبرعات .. الخ .

وعلاوة على ذلك كله ، أمدت المانيا الغربية

(١) من تصريح لناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، في ٢٠ مايو ١٩٦٥ .

أسرائيل بكل الامكانيات الفنية لاقامة صناعة متقدمة . فضلا عن فرق الخبراء الفنيين وبرامج التدريب الفنى المستوعب لاخر خبرات الاقتصاد الرأسمالى فى المانيا الغربية .

وتكفي نظرة واحدة على مؤشر **التجارة الخارجية** بين بون وتل أبيب منذ عام ١٩٥٥ — خارج نطاق اتفاقية التعويضات التى عقدت عام ١٩٥٤ — لكى نتبين أن نسبة واردات المانيا الغربية من اسرائيل قد زادت من **٣ر٨ مليون مارك** عام ١٩٥٥ الى **٢٠٦ مليون مارك** عام ١٩٦٥ . أما صادراتها لاسرائيل فقد زادت من **٤ر٥ مليون مارك** عام ١٩٥٥ الى **٢٧٦ مليون مارك** عام ١٩٦٥ (٢) ويلاحظ أن معظم صادرات المانيا الغربية الى اسرائيل ، تمثل أساسا موادا انتاجية لتدعيم بنائها الاقتصادى .. على عكس ماتقدمه من سلع استهلاكية للدول النامية المتحررة .

وينبغى أن نشير هنا الى الدور الذى تلعبه حكومةبونلدى دول **السوق الاوروبية المشتركة**، من أجل ايجاد مسالك سوقية لترويج الانتاج الاسرائيلى فى مواجهة الحصار الاقتصادى الذى تحاول الدول العربية فرضه على الاقتصاد الاسرائيلى .

الدعم العسكرى .. لخدمة التوسع والعدوان

ليس صدفة أن تكون بون ، أول عاصمة يقصدها بيريز مبعوث اسرائيل العسكرى ،بحثا عن السلاحخلال النصف الثانىمن يونيو الماضى.
فقد دأبت بون على القاء ثقل دعمها العسكرى لاسرائيل منذ عقد الاتفاقية السرية للتسلح بين اديناور وبن جوريون فىعام ١٩٦٠ . ومنالمنطق هنا أن يقدم شركاء اقامة اسرائيل — سياسيا واقتصاديا — كل وسائلالدعم العسكرى الكفيل بحماية هذا الكيان العدوانى بل وتمكينه من شن حملات عسكرية ضد حركة التحرر العربى كله أحرزت تقدما ملموسا . وذلك هو الخط العام الذى يحكم حقيقة بروز المانيا الغربية كمورد رئيسى للسلاح الى النظم العنصرية فى أفريقيا واسرائيل ، وحيث تضاعفت « مساعداتها العسكرية »هذه ثلاث مرات عنأوائل الستينات والتى بلغت فيها قيمة الأسلحة المقدمة لهذهالنظم ٤٤٦ مليون مارك باستثناء ٢٣٠ مليونمارك الى اسرائيل (٣) .هذه السياسة التى تصب فىاتجاه واحد : مواجهة الحركات الوطنية والتحررية المجاورة لهذه النظم وتهديدهاوتطويقها . وتتعلق هذه السياسة أساسا بجزء هام من ايديولوجية الاستعمار الجديد فى ضرورة شن مايسمى « **بالحروب الوقائية** » ضد النظم المتحررة ، وعرقلة التطورات الاقتصادية والاجتماعية لهذه النظم وتنميتها ذات الافاق الاشتراكية . وهنا نقول بأنه لم يكن صدفة أن تعقد الاتفاقية السرية للتسلح بين اسرائيل والمانيا الغربية فى عام١٩٦٠ حيث شهدت برامج التنمية فى مصر منعطفا جديدا هاما .

وبالاضافة الى الاسلحة الحديثة ، تقدم بون لاسرائيل اعدادا من المرتزقة والمدربين والخبراء العسكريين ، لتدريب جنود اسرائيل . بل وتخصص معسكرات داخل المانيا الغربية نفسها لبرامج تدريب عسكرية لحساب جيش اسرائيل .

وفى نفس الوقت تهدفحكومة بون الىتجريب أسلحتها فى الدمار والفتك لحسابات أخرى فى سياستها تعد لها من الان .

ولا تدخر الطغمة العسكرية الحاكمة فى بون، وسعا لانتاج أسلحة بيولوجية وكيمائية داخل اسرائيل . ومن المعروف أن ٤٠٠ عالما بعضهم علماء فى الذرة من المانيا الغربية يعملون فى معهد وايزمانللابحاث الذرية فىاسرائيل وتهدفالطغمة العسكرية الحاكمة فى بون منوراء ذلك ، لامجرد تمكين اسرائيل من الحصول على اشد أنواع الاسلحة تدميرا وعدوانية ، وانما تناور كذلك من أجل الضغط على حلفائها فى حلف الاطلنطى حتى يسمحون لبون بامتلاك الاسلحة النووية والضرب عرض الحائط باتجاه منع انتشارها .

.. مسئولية وطنية

أقول فى النهاية ، ان تركيز الاضواء على دور المانيا الغربية الاستعمارى ، مسئولية وطنية تتحملها اليوم أجهزتنا الاعلاميةللعمل على فضح هذا الدور وتعرية حقيقته المعاديةللتحرر والتقدم فى العالم كله .

(٢) عن بيانات اذاعتها وزاره الاقتصاد فى المانيا الغربية ونقلتها وكالة انباء الشرق الاوسط فى ٣ مارس ١٩٦٦ .
(٣) البرابدا السوفيتية ٠ مارس ١٩٦٥

إسرائيل
بؤرة حرب .. وليست أمة

د. وليم سليمان

في سنة ١٨٧٨ أعلن هرمان ادلر الحاخام الاكبر لانجلترا « اننا كيهود ننتمي سياسيا للبلاد التي نعيش فيها ، اننا بكل بساطة انجليز او فرنسيون او المان . اننا نمارس بالضرورة بعض العقائد الدينية الخاصة بنا — ولكننا لا نختلف في هذا الشأن مع المواطنين الذين يعتنقون اى دين آخر ، كما اننا نشاركهم في المساهمة في رفاهية الوطن ، ونطالب بحقوق وواجبات المواطنين » .

ولم يقدر لوجهة النظر هذه ان تنتصر . لقد شنت عليها الحركة الصهيونية حملة عنيفة . ولعل العنصرية ، والتآمر ، والخداع ، واستغلال مختلف انواع القوى — لعل كل هذا لم يستخدم بمهارة واصرار كما حدث في تاريخ الصهيونية . يقول بن جوريون في محاضرة مطبوعة له : « اولئك اليهود الذين يعتبرون انفسهم جزءا من الشعب الامريكي او الانجليزي او الفرنسي — اولئك اليهود الذين لا يشعرون انهم في منفى .. هؤلاء اليهود جميعا .. خطر على مستقبل اليهودية » . وفي دراسة اخرى له يواصل منطقه فيتساءل : من هو اليهودي — وما هي مقومات الشعب اليهودي في شتى انحاء العالم ...

ويجيب : « ان ما يربط بين اليهود ليس الدين اليهودي — بدليل ان الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ويهود لا دينيون ، اى يهود ملحدون لا يؤمنون بوجود الله . ولا العنصر الواحد بعد هذا التشتت الواسع بين اليهود في شتى البلاد والقوميات . ولا اللغة الواحدة بدليل ان اللغة العبرية كادت تختفي تماما قرونا طويلة ، ومعظم يهود العالم لا يعرفونها ولا يتكلمونها » ثم يجمل هذا الصهيوني العتيد عقيدته : « ان ما ربط بين اليهود وجعل تلك الصفات الاخرى كالدين والعنصر واللغة صفات قابلة لان تجمعهم من جديد في صفة اخرى اساسية . هي : « رؤيا العودة .. الايمان بأن الخلاص هو في العودة الى جبل صهيون حيث اقام داود معبده الاول ... اى الى ارض اسرائيل » .

والحقيقة ان اليهود كدين — في اسفارها المكتوبة وفي منطق وجودها نفسه — تدين الصهيونية ، وترفض تماما تأسيس مجتمع ديني لليهود يتخذ شكلا سياسيا في صورة دولة دائمة . فاليهودية كما تعرضها اسفارموسى وكتب الانبياء اليهود الذين جاءوا بعده تعلن منذ ايام ابراهيم نفسه انها مجرد مرحلة ، تؤدي مهمة مؤقتة .

وأن الهدف هو الجماعة الانسانية الشاملة . وكل ما تضمنه العهد القديم من تنظيمات اجتماعية وسياسية وحربية ، بل كل ما جاء فيه بخصوص العبادات وطقوسها — كل هذا في المنطق اليهودى نفسه مجرد رموز عابرة تعبر عن حقائق دائمة . ولقد اعلن انبياء العهد القديم انفسهم رفضهم لكل تمسك بهذه الشكليات الاجتماعية والطقسية ، على انها غايات في ذاتها.

ان الدين اليهودى كله — الوعد لابراهيم ، ارض الميعاد ، مملكة داود ، هيكل سليمان ، دولة يهودا ، بل والعبادات الطقسية — هذا كله في المنطق اليهودى نفسه مجرد رموز عابرة زائلة . اما الهدف فهو الجماعةالانسانية الشاملة التى لا تعرف العنصرية ولا التمييز العرقى .

فثمة خطأ شائع ان اليهود هم من ابناء اسرائيل ، او من ابناء ابراهيم . اما الحقيقة فهى ان الدين اليهودى كان يفتح باب الانضمام اليه لكل شعوب الارض . وبعد اجراء بعض الطقوس الدينية كان يمكن لاى شخص من خارج عشيرة اسرائيل او ابراهيم ان يصبح عضوا في الجماعة اليهودية ، ويباح له الاشتراك في جميع نشاطات هذه الجماعة بلا تفريق .

ولقد جاء في السيكلوبيديا العلوم الدينية ان ضم هؤلاء اتخذ في القرن الثانى قبل الميلاد شكلا واسعا ، وكان يمارس بغيرة ومكر وخديعة على ايدى الفرنسيين . فكانت جماعات بأسرها كالادوميين والاثيوريين يحولون الى اليهودية قسرا وتعسفا . ويذكر الشاعر الرومانى، **هوراسيوس** فىالقرن الاول قبل الميلاد ان اكتساب الدخلاء الى الديانة اليهودية كان من ابرز الخاصيات التى تميز بها اليهود في عصره . ويكفى أن نقرا تصنيف اليهود الذين كانوا في القدس عند بدء تأسيس الكنيسة المسيحية لندرك كيف أن الجماعة اليهودية كانت تضم خليطا بالغ التنوع من جميع الامم ، وأن لغاتها كانت متعددة بقدر تعدد اجناسها . يقول سفر اعمال الرسل ان اليهود الحاضرين للاحتفال بأحد الاعياد الدينية حوالى عام ٣٣ بعد الميلاد « كانوا من كل أمة تحت السماء » ولكل فريق كانت له « لغته التى ولد فيها » . ثم يعدد الكاتب مختلف الاجناس والقوميات التى ينتسبون اليها : « فريتون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكيه وبنتس وآسيا . وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبية التى نحو القيروان والرومانيون المستوطنون .. كريتيون وعرب .. » (اعمال الرسل ٢ : ٥ — ١١)

فهل يسوغ بعد هذا — الاستناد الى العنصر او اللغة او الدين للقول بان لليهود قومية .. وأية قومية تلك التى تجمع هذا الخليط المتنافر الذى يضم مختلف الشعوب واللغات من اطراف الارض الى اقاصيها ..

ثمار العلاقات الاستغلالية

ان ما اصطلح على تسميته بالمشكلة اليهودية لم يكن فى حقيقة الامر الا التمرةالطبيعية لعلاقات الاستغلال التى صاحبت ظهور النظام الراسمالى فى اوربا — وهى علاقات بالغة التناقض والتعقيد، سواء داخل الجماعةاليهودية نفسها او فى علاقة هذه الجماعة ككل بمختلف الجماعات التى تحيا فى وسطها . والسمة البارزة فى هذه العلاقات كانت انعزال اليهود ، عن المجتمع ، وفقدان الترابط بينهم وبينه .

لماذا ؟

لانه مع بدء نشوء النظام الراسمالى ، احتاج السوق الى ممارسة الاعمال المالية ، فكان لابد من وجود صاحب المال الذى يقرض ويتقاضى دينه بعد اجل مضافا اليه مقدار الفائدة — الربا — وحرمت الكنيسة المعاملات الربوية . فتخصص اليهود فى هذا المجال اذ صاروا يملكون الفرصة الدينية لممارسة هذه المهنة . وهكذا تقبل لعنة الكنيسة ، ولعنة الذين يضطرون الى قبول التعامل معه . ان « **شيلوك** » الذى وصفه **شيكسبير** فى « تاجر البندقية » لم يكن مصادفة — بل نموذج وظاهرة .

وكانت فرصة للراسماليين المسيحيين — اذ استطاعوا ان يغطوا استغلالهم بتحويل سخط الجماهير عليهم — الى العدو الواضح ، اليهود .

وكانت فرصة للراسماليين اليهود — لقد اكتشف هؤلاء عند ظهور الصناعة اليدوية الواسعة انه يمكن الاستفادة من الابواب الضخمة التى تغلق الاحياء اليهودية فى تشغيل اليهود بأرخص الاجور — مقدمين لهؤلاء الحرفيين الفقراء تبريرات لهذه العزلة مستمدة من الدين والتفوق العنصرى .. بل وعمقوا مشاعر الخوف فى نفوسهم .

وبدأت المنافسة فى السوق بين الراسماليين اليهود الذين يقدمون الانتاج الجيد الرخيص ، وغيرهم من الراسماليين الذين لا تتوافر لهم مثل هذه الفرص اثناء الانتاج . وليس ثمة رحمة فى السوق الراسمالية ! كان الامر ينتهي بالهجوم على احياء اليهود وذبحهم وارغامهم على الفرار من البلاد .

والقصة طويلة ممضة — هى الوجه القبيح للنظام الرأسمالى ، الذى تتفاقم فيه المتساكل وتتعقد وتتكاثر الضحايا البريئة .. ، ان الصهيونية هى الابن الطبيعى للرأسمالية .

ولقد كان البرنامج الذى طرحه **هرتزل** فى اول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة **بال** بسويسرا عام ١٨٩٧ يتضمن ما يلى : ١ — ايجاد استعمار يهودى لفلسطين منظم وعلى نطاق واسع . ٢ — الحصول على حق شرعى معترف به دوليا لاستعمار فلسطين . ٣ — انشاء منظمة دائمة لتوحيد جميع اليهود من اجل قضية الصهيونية .

ومنطق البرنامج يكشف عن مخطط لا يمكن تنفيذه الا بمساندة القوة الاقتصادية التى تستطيع تمويل الهجرة واستعمار فلسطين ، والقوة السياسية العسكرية التى تفرض هذه الهجرة وتمنح الحق « الشرعى » (!) فى هذا الاستعمار . ومن هنا جاء ارتباط الصهيونية بالقوى الاستعمارية العالمية فى مختلف مراحل نشاطها . وما زال هذا الطابع الطفيلى العدوانى هو نقطة البداية لفهم اسرائيل الدولة . سواء فى نشاطها الداخلى او فى علاقاتها الخارجية .

فحين كانت بريطانيا « عظمى » وزعيمة للاستعمار فى العالم ركز زعماء الصهيونية نشاطهم لكسبها والارتباط بخدمة اهدافها الاستعمارية — ولقد كتب **حاييم وايزمان** سنة ١٩١٤ الى قادة الراى فى انجلترا يقول : « .. نستطيع ان نقول بشكل معقول انه ان وقعت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى ، وان شجعت بريطانيا الاسكان اليهودى هناك كمحمية بريطانية — فانه يمكن ان يكون لنا هناك فى خلال عشرين الى ثلاثين سنة مليون يهودى وربما اكثر . انهم سيطورون البلاد ويعيدون اليها الحضارة **ويكونون حارسا فعالا لقناة السويس** .. » وهكذا صدر **وعد بلفور** سنة ١٩١٧ ، وصك الانتداب سنة ١٩٢٢ — وفيهما تبنت قوى الاستعمار العالمى هدف الصهيونية الخاص بتأسيس وطن قومى لليهود .

ولا بد ان يكون معلوما ان اعلان تصريح بلفور سبقته موافقة الرئيس الامريكى **ولسن** عليه . وحين اصدرت عصبة الامم صك الانتداب لم تكن الولايات المتحدة منضمة اليها ، الامر الذى كان يعنى عدم ارتباطها بالصك . ولكن المسألة عولجت بتعاقد ثنائى بين بريطانيا وامريكا تضمن موافقة الاخيرة على اسناد الانتداب على فلسطين الى الاولى وتكليف هذه بمهمة انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين .

وفى اثناء الحرب العالمية الثانية ظهر ان بريطانيا اخذت مركزها كقوة من الدرجة الاولى . لهذا توجه الصهيونيون — بعد ان استنفدوا كل التأييد الذى تستطيع سلطة الانتداب منحه — شطر الولايات المتحدة كمصدر رئيسى لدعم الصهيونية . وكانت امريكا فى الماضى قد اثبتت قيمتها كمصدر لعون الحركة ماليا ، ولكنها فى اثناء الحرب ظهرت كمركز جديد للمساعدة السياسية . فأصبحت امريكا نتيجة لذلك بؤرة النشاط الصهيونى فى اثناء الحرب بهدف كسب الشعب الامريكى والكونجرس والحكومة . ووصلت الحملة الى ذروتها فى سنة ١٩٤٣ من اجل « حقن كل شق فى الساحة الامريكية بالفكرة السياسية الصهيونية » كما عبر عن ذلك بعض الكتاب .

والواقع — ان تاريخ الصهيونية — قبل الانتداب ، واثناءه ، وبعد تأسيس الدولة ، هو تاريخ التأييد الاستعمارى لهذا التجمع الدخيل على المنطقة لخدمة الامبريالية العالمية .

● فالاقتصاد الاسرائيلى الحالى مدين لما حققته اجهزة الانتداب من خدمة للوطن اليهودى . ان سنوات الدولة هى امتداد للسنوات التى سبقتها خلال الانتداب .

● ولقد كانت نكبة العرب فى فلسطين واضطرار مئات الالوف منهم الى النزوح هربا من سيف الارهاب الصهيونى نعمة واضحة لاسرائيل ، اذ سهل لها ذلك الحصول على مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية من الارض والمبانى والمساكن والمصانع ووسائل النقل — بالاضافة الى الاملاك العامة من اراض ومبان ومستشفيات وطرق مواصلات . وبذلك وفرت اسرائيل على نفسها عبئا ضخما كانت ستتحمله لو لم تتوافر هذه الامكانيات — وجاء سيل المهاجرين الذى تدفق فى السنوات الاولى من حياة الدولة .

اقتصاد طفيلى

وكما كان الامر فى المراحل الاولى للحركة الصهيونية ، فان بقاء الدولة الحالية لا يمكن ان يستمر دون معونات من الخارج . ان جميع الانجازات التى حققتها اسرائيل تمت بفضل معونات اجنبية ضخمة ، وبلغ مقدارها فى السنوات من ١٩٤٩ — ١٩٦٢ ما قيمته ٤٨٩٠ دولارا — جاء الثلثان منها بدون التزامات مقابلة وبذلك لم تلق عبئا ثقيلا على اسرائيل . والحقيقة ان تيار الاموال الطائلة الذى تدفق على اسرائيل طيلة ١٩ سنة — لم يؤد الى تعزيز استقلالها الاقتصادى بل جعل اقتصاد اسرائيل وامنها مرتبطين اكثر فأكثر بالاحتكارات الاجنبية وبالدول الاستعمارية

ولقد بلغ الارتباط الاقتصادى بالخارج الى الحد الذى اصبحت معه جميع الادوات والمواد الخام ومتطلبات الزراعة والوقود وحتى الخبز اللازم للبلاد – جميع هذه الاشياء تستورد تقريبا من الخارج .

ومن هنا فان دراسة اغلب مشاريع اسرائيل سواء فى مجال الزراعة او الصناعة تكشف عن افتعال بالغ المدى – فهى مشاريع تسير فى اغلبها ضد الطبيعة – تتحدى الجغرافيا والاقتصاد على السواء ، لانها تعتمد على كل ما هو مستورد ، وتصدر الى اسواق بعيدة . وعدا هذا فان صناعات اسرائيل هى فى صلبها صناعة خفيفة ، تقليدية ، كمالية . فصناعة الماس الطفيلية الكمالية هى رأس الصادرات . ولا زالت الصناعات الغذائية فى مقدمة الصادرات ، تتلوها الصناعات النسيجية .

قوى بشرية مستوردة

ان نقطة البداية فى الحركة الصهيونية مازالت هى ركن الزاوية فى كل حياة اسرائيل الدولة – فكل مخططات الحركة الصهيونية ما كان يمكن لها ان تحقق اقل قدر من النجاح الا بمساعدة القوى الاستعمارية العالمية . وهذه الحقيقة ايضا هى التى تتحكم فى اسرائيل . فحتى الكيان البشرى نفسه داخل هذه الدولة (!) لا بد ان يستجلب من خارجها . ومن هنا الصيحات العنصرية الشاذة فى عالمنا المعاصر التى نسمعها تتردد من زعماء اسرائيل وفى مقدمتهم بن جوريون ، تدعو يهود العالم للهجرة الى اسرائيل . وتعلق كل مستقبل البلاد على قدوم اعداد وفيرة من هؤلاء المهاجرين .

لذلك فانه لا يكون ثمة غرابة اذا ما كانت اسرائيل مجرد اداة فى ايدى قوى الاستعمار الشرسة ، سواء فى المنطقة العربية او على الصعيد العالمى .

فصفقات السلاح المتواصلة التى تبرمها اسرائيل مع مختلف دول الغرب – وفى مقدمتها المانيا الغربية والولايات المتحدة ، وتسخير الاسطول السادس ليكون ضمن الامكانيات التى تستند اليها اسرائيل فى عدوانها على المنطقة – هذا كله يثبت ان اسرائيل ليست اكثر من قاعدة للاستعمار اقامها فى المنطقة العربية لتنفيذ اهدافه فيها .

وعلى الصعيد العالمى نجد نفس الارتباط ، ففى رسالة من رئيس لجنة الخارجية والامن فى البرلمان الاسرائيلى نشرت فى مايو ١٩٦٦ يعلن ان هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام ستكون بداية النهاية لاستقلال جميع الشعوب فى جنوب شرق آسيا ، والنهاية المطلقة لاستقلال الانسان فى العالم بأسره .

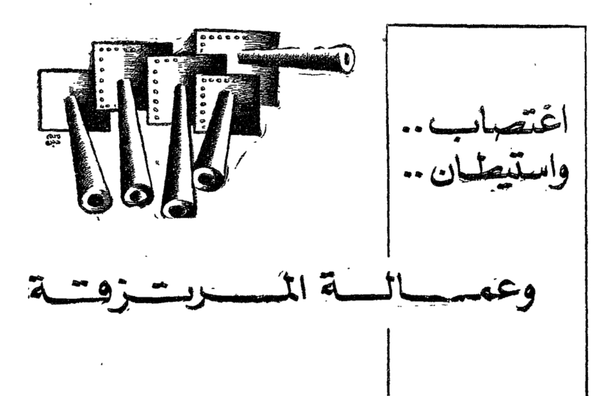
وتسير جميع مواقف اسرائيل فى الامم المتحدة فى نفس الطريق – فهى دائما ضد حرية الشعوب ، وفى صف اعدائها .

وبناء على ذلك كله – فان زوال هذا الخطر لن يكون بمجرد مواجهته فى ذاته ، بل بالتصدى للعائل الذى يمده بأسباب الحياة ويمكنه من القدرة على العدوان . واذا كان هذا العائل فى ضخامة الولايات المتحدة وتوابعها من دول الغرب – فان المواجهة لابد وان تكون بواسطة قوة على نفس المستوى . ومن هنا ضرورة العمل العربى المشترك ، والتعاون الدولى بين جميع الدول المحبة للسلام .

وقبل هذا كله بناء المجتمع المصرى السليم العصرى المتحضر – ليكون هذا المجتمع هو التحدى الحقيقى للعنصرية والتعصب والعدوان الاسرائيلى .

ان اسرائيل كيان صناعى طفيلى عدوانى – هى القوقعة التى كان يتجمع فيها اليهود المرابون المنعزلون داخل مدن اوربا فى العصر الوسيط والحديث – هى هذه القوقعة مكبرة مضخمة . وكما ان حركات التحرر والاشتراكية قد هيأت المناخ الصحى والامكانيات العالمية للقضاء على « حى اليهود » فى اوربا – بل وحرمت الحركة الصهيونية من اكبر اسانيدها لطاردة اليهود الى فلسطين شاهد على ذلك التناقص المتواصل فى عدد المهاجرين – نقول كما ان حركات التحرر والاشتراكية جعلت « حى اليهود » فى داخل الدولة وضعا شاذا متخلفا انتهى الامر بزواله ، هكذا بالنسبة لهذا الحى اليهودى الكبير الممتد فى جسم المنطقة العربية

ان اسرائيل الدولة تسير على عكس حركة التاريخ .



اغتصاب.. واستيطان.. وعمالة المرتزقة

محمد جعفر

يقول المؤرخ المعاصر **أرنولد توينبي** « ان العالم اليوم ينقسم الى قوتين : شعوب تكافح فى سبيل حريتها وقوى امبريالية كبرى تحاول أن تقضى على هذه الحرية » .. وفى كل حرب تحريرية تبرز هذه الحقيقة وتشكل الابعاد الحقيقية للمعركة ..

وكانت هذه هى الابعاد الحقيقية للمعركة التى خاضها العرب على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ . فلم تكن العصابات الصهيونية هى العدو بقدر ما كانت القوى الاستعمارية المختفية وراء المؤامرة .

ووعت الثورة المصرية هذا الدرس فخرجت من عزلتها المحلية الى رحاب الامة العربية ومن الشعوب العربية الى كل شعوب آسيا وافريقيا ودول العالم الثالث تجمعهم وحدة كفاح ووحدة أمل ويشكلون قوة مانعة للاستغلال ضاغطة على كل مظاهر السيطرة والعدوان ..

وايمانا بالشعوب وحقها فى الحياة ، وحتى يمكنها أن تقف بصلابة أمام قوى الاستعمار كان لابد أن تتجه الثورة عمقا الى ازالة التناقضات الاقتصادية والاجتماعية ومظاهر الاستغلال المختلفة التى تحول بين الشعوب وتولى مقدراتها وممارسة سيادتها الحقيقية ورسم طريق التنمية والتقدم .

وأصبحت مصر الثورة القيادة المتقدمة لكل قوى التحرر فى العالم الثالث .

وكان الاستعمار يخشى هذا التطور ويفكر فيه منذ أكثر من نصف قرن بل منذ خرجت القوى الاحتكارية تخضع شعوب الارض — شعوب آسيا وافريقيا بالاخص — لعمليات الاستغلال الامبريالية وعلى مداخل هذه القارات يعيش الشعب العربى

يقول تقرير **كامبل** وهو خلاصة توصيات تقدمت بها عدة مؤتمرات عقدت فى مختلف عواصم الدول الاستعمارية وضمت صفوة رجال المال والعلم والعسكرية « يكمن الخطر الاساسى الذى يهدد القوى الاستعمارية فى البحر الابيض المتوسط وبالذات فى المنطقة التى يسكنها الشعب العربى فهى تتحكم فى مداخل القارتين الكبيرتين وتسيطر على طرق المواصلات والتجارة . والشعب العربى شعب واحد له كل مقومات الوحدة المتعارف عليها وترقد فى أراضيه من الثروات والكنوز الاقتصادية مايمكنه من أن يحقق لنفسه كل ما يصبوا اليه من رقى وتقدم . لذلك أصبح لزاما على الدول ذات المصالح فى هذه القارات أن تعمل على تجزئة المنطقة العربية وتفتيتها والابقاء عليها دائما فى حالة تفكك وضعف ، ومحاربة أى اتجاه نحو الوحدة أو الاتحاد بين أجزائها وأن تعمل وفق خطة موضوعة على القضاء على مقومات الوحدة الفكرية والتاريخية والنفسية وتعميق الفوارق المحلية . ولتحقيق هذه الاهداف

لابد من فصل الجزأين الافريقى والآسيوى عن بعضهما باقامة حاجز بشرى قوى وغريب عندنقطة التقائهما وتستطيع الدول الاستعمارية أنتستخدم هذا الحاجزكأداة لتحقيق أهدافها فى المنطقة، وتؤمن مستقبلها فى آسيا وافريقيا » .

التقت مخاوف الامبريالية بأمانى الصهيونية فكان التحضير المشترك لمؤامرة اغتصابفلسطين. ومنذ اوائل هذا القرن وزعماء الصهيونية يتبادلونالرأى ويعقدون الاتفاقيات السرية مع زعماء الدول الاستعمارية لتحقيق هذا الغرض وتفصح كلماتهم عن نواياهم فهم يحلمون أن تضم البلاد التى سيحتلونها المنطقة من النيل الىالفرات والاقسام الجنوبية من سوريا ولبنان فيمكنهم بذلك أنيصبحوا سادة البحار ويسيطروا على طرق التجارة والمواصلات الى كل من آسيا وافريقيا . ويقول **وايزمان** « ونحن نعتقد أن الدول الغربية يسعدها أن ترى فىهذه المنطقةشعبا مخلصا لها ولاهدافها» وهم يريدون اقامة « حضارة » عصرية فى هذه المنطقة من شرق البحر الابيض المتوسط تكون « دعامة للسيادة الغربية ، وقاعدة سياسية وتجارية ترتكز عليها مصالح الدول الغربية » .

ولمتكن الصهيونيةتربط ولاءها بدولةاستعمارية معينة فكانت تتصل بكل دولة كبرىعلى حدةمحاولة أن تربط مصالحها بمصالح هذه الدولة وبدأتبألمانيا وافهمتها أن اسرائيل ستكون بالنسبة لالمانيا كجبل طارق بالنسبة لانجلترا .. واتصلت ببريطانيا وفرنسا على اعتبار أن اسرائيل ستكون قاعدة غربية ضد احلام التوسع البروسية . ولما وجدت أنزعامة العالم الاستعمارىقد انتقلت الىالولايات المتحدة جعلت نفسها فى خدمة هذه الاخيرة .. ويتضح هذا من تاريخ اسرائيل نفسه التى بدأت فى شكل حركة اغتصاب واستيطان وهو أسلوب استعمارى قديم وتحرص اليوم بعد ارتباطها بالولايات المتحدة زعيمة الاستعمار الجديد أنتقدم نفسها للدول الافرواسيوية على انها دولة صغيرة ضعيفة ونامية وليست لها اغراض استعمارية او استغلالية .

لذلك ركزت اسرائيل سياستها على دعامتين :

● العمل على مقاومة المد الثورى التحررى فى الوطن العربى .

● العمل على تطويق البلادالعربية بحزام من الدول الموالية لاسرائيل تمهيدا لعزلها ، ثم الضغط عليها . وهذا الحزام يبدأ من تركيا شمالا وايران شرقا وبعض الدول الافريقية جنوبا .

مقاومة المد التحررى فى الوطن العربى

● العدوان المستمر على البلاد العربية بهدف تحقيق أغراضها التوسعية لاتاحة الفرصة لعدد أكبر من الصهاينة بالهجرة الى اسرائيل ومساحتها الحالية ــ والمهددة دائما بالزوال ــ لا تسمح لها بالتطور الذى تنشده ، ولسنا فى حاجة الى سرد سجل العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية منذ فرضت على المنطقة ومبادرة الدول الاستعمارية الى مساندتها بأشكال مقنعة أحيانا وسافرة احيانا أخرى .

● يخلق هذا العدوان المستمر فى المنطقة شعورا بالتوتر ويجعل الدول العربية فى حالة استعداد عسكرى لمواجهة العدوان مما يستنزف جزءا كبيرا من ميزانياتها فيقلل من قدرتها على توجيه قسط أكبر من دخولها الى مشروعاتالتنمية وهىطريق هذهالبلاد لتحقيقاستقلالها الاقتصادى الكامل ورفع مستوى شعوبها .

● وهى كقاعدة عسكرية استعمارية تشكل خطرا على الوطن العربى يهدد قوى التحرر فيه ويتيح الفرصة للقوى الرجعية والعميلة لكىتمارس نشاطها الهدام فى المنطقة . وهى تعمل فىتنسيق تام مع القواعد العسكرية الاستعمارية الاخرى التى زرعها الاستعمار فىبعض اجزاء الوطنالعربى مثل قاعدة هويلس فى ليبيا .

ومما هو جدير بالذكر أن اسرائيل كانت تلح على بريطانيا أن تنقل الى اراضيها قاعدة السويس السابقة بعد تصفيتها فى مصر .

وكانت اسرائيل احدى القواعد الاساسيةالتى تساعد الجيش السرى الفرنسى الذى كان يحارب الثورة فى الجزائر .

وتهديدات اسرائيل لحكم الثورة فى سورياوالتى بلغت حد التهديد بالغزو المسلح لاسقاط هذا الحكم فى السابع من مايو هذا العام .

● وكانت الاحلاف العسكرية التى عرضت على شعوب المنطقة من قبل الدول الاستعمارية محاولات لجر الشعب العربى الى فلك الدول الاستعمارية مما يسهل تصفية قضية فلسطين ويخلق مجالا مناسبا لتعاون العرب مع اسرائيل وكان اولها منظمة الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط وكانت الولايات المتحدة تعتقد أن حلف الدفاع العربى المشترك يمكن أن يكون نواة لجهاز دفاعى مماثل لجهاز حلف الاطلنطى وامتداد له وتدخل فيه البلاد العربية واسرائيل .

وجاءت بعد ذلك مؤامرة حلف بغداد وهو فى أساسه موجه ضد القومية العربية وضد الحركات التحررية فى العالم العربى وحلقة فى سلسلة المؤامرات الغربية التى تهدف تأمين سلامةاسرائيل

وعلى أنقاض حلف بغداد جاء مشروع الحلف المركزى .. ولكن الدول العربية كانت دائما تقف موقفا صلبا وتقول لا ..

ووضح للقوى الاستعمارية ان القومية العربية قوة ايجابية خلاقة يتقدم من خلالها المد العربى الثورى .. وهى تقف حجر عثره أمام تحقيق مصالح الدول الاستعمارية فى المنطقة وتقلق أمن اسرائيل.

ولذلك ظهر الاتجاه لعقد حلف اسلامى بغية توسيع الدائرة بحيث تذوب معالم القومية العربية ويتوه تيارها الضخم بين التيارات الاخرى المتعددة والمتباينة .. وبعض الدول الاسلامية أقرب الى اسرائيل منها الى العرب ..

وتحطمت كل هذه المشروعات والخطط والمؤامرات على صخرة الوعى العربى والمد الثورى فى المنطقة.

مقاومة التحرر الافروآسيوى

وتقوم السياسة الاستعمارية على أن يخرج الاستعمار من الدول الافرواسيوية من الباب لتدخل اسرائيل من الشباك .. مزوده برءوس الاموال والخبرة الامبريالية وتحت اسم دولة صغرى نامية من دول المنطقة .

وكانت تعرف أن الدول الافرواسيوية عامة والافريقية خاصة تعانى من مشكلتين أساسيتين :

ا – الطريق نحو صهر فئات المجتمع – وهى مجتمعات قبلية متباينة – حدودها صناعية – اطرافها مترامية – لغاتها غير موحدة – الفوارق بين القرية والمدينة التى شيدها الغرب كبيره .. أى أن الدولة قامت قبل الامة ومهمة الدولة بقيادة الحزب السياسى تكوين الامة ..

ب – طريق التنمية – وهى دول خارجة من تحت الضغط الاستعمارى تريد أن تدعم استقلالها السياسى باستقلال اقتصادى .. وهى لا تملك المال ولا الخبرة ولا الصناعة ولا حتى الكادر الحكومى المدرب او الفنيين اللازمين ..

وهذا الواقع يجعلها لا تستطيع ان تلقى بنفسها فى أحضان الدول الرأسمالية والا فقدت استقلالها تحت سيل من القروض المشروطة والاستثمارات التى تستنزف ثرواتها وتحكم اقتصادها وتمنع تطوره وليس من سبيل سوى أن تعتمد على نفسها وتستعين بالخبرة من البلاد الشقيقة وتستخدم القروض غير المشروطة وتاخذ بطريق التنمية ذو المعدلات الاكثر تقدما واسرع عجلة .. وتقضى على العناصر الاستغلالية المحلية وتوجه اقتصادياتها لصالح الجماهير لتحقيق رفع المستوى المطلوب.. وهذا طريق الحتمية الاشتراكية ، وهو ما لا تريده الدول الامبريالية ..

وتتقدم أسرائيل للدول الافريقية باعتبارها السابق، وتستغل . ان الكثيرين من زعماء أفريقيا الحاليين ممن تربوا فى دول اوروبا الاستعمارية فى النصف الاول من هذا القرن ، وتأثروا بالفلسفة الغربية الديمقراطية والمفاهيم الليبرالية للحرية .. ولذلك وجدت أرضا خصبة لدى دول المجموعة الفرنسية فى غرب القارة ..

وتتقدم نموذجا لبناء الامة مستمد من تجربتها هى وهو على حد تعبير **بن جوريون** « لقد خلقت دولتنا نوعا من المجتمعات جديدا يلائم بصفة خاصة البلاد الناشئة . وهذا النوع من المجتمعات يقوم على أسس التساند المتبادل والتعاون الحر .. وقد اهتدينا بفضله الى نظرة جديدة للعمل تضمن للعامل التقدم والرفاهية ، ويقوم هذا النوع من المجتمعات على جيش لايستطيع فحسب أن يسهر على الامن القومى بل ويكون كذلك احد العوامل الرئيسية لانصهار فئات المجتمع » .

فاذا أخذنا فى الاعتبار أن الجيش الاسرائيلى باعتبار أنه يتكون أصلا من مجموعة من العصابات نشأت قبل الدولة وكان لها نشاطها السياسى والعسكرى .. واذا أخذنا فى الاعتبار أن صغر عدد السكان فى اسرائيل يجعل القوى العاملة كلها احتياطى خاضع للجيش.. والمستعمرات الزراعية فى إسرائيل وحدات لدواعى أمن عسكرية – لادركنا مدى سيطرة العسكرية على اسرائيل – وهذا الوضع اذا كان له ما يبرره فى اسرائيل فليس له ما يبرره فى أى دولة أخرى الا أن يساعد على نشأة نظام من الفاشية .

وقد استطاعت اسرائيل أن تتسلل الى بعض جيوش الدول الافريقية وتقوم بتدريب قواتها المسلحة .. وكانت احدى نتائج هذا أن القوات التى حاربت الثورة الوطنية فى الكونغو كانت من التى دربت فى اسرائيل ..

كذلك فان الحزب الذى يجاهد فى أن يحصل على ولاء القطاعات المختلفة من قوى الشعب كخطوة اولى لتحقيق وحدة الامة .. تتقدم اليه اسرائيل باسم مساعدات التنمية والتدريب لتنزع عنه هذا الولاء ..

ففى قطاعات العمال تحرص اسرائيل على التسلل الى المؤتمرات، وتدعو مندوبى الدول الافريقية وأنشأت منظمة الهستدروت بمساعدة الشركات الامريكية معهدا فى اسرائيل لتدريب النقابات العمالية وتوجه القيادات العمالية نفسيا وثقافيا .. وتعدهم للارتباط باتحاد العمال الدولى للدول الغربية ..

وفى قطاعات الشباب نظمت البرامج والبعثات

والرحلات للشباب الافريقي وهم قوة بقدر ما هم مشكلة لعدم وجود التنظيمات اللازمة في بلادهم — وتوجههم بما يتفق ومصالح الغرب والايديولوجية الغربية .

وتتسلل تحت ستار الخبراء والفنيين الى قطاعات الزراعة وفئات الفلاحين ..

وقد كان للخبراء الصهاينة وللفئات التي دربتها اسرائيل دورها الكبير في انقلاب غانا ضد الدكتور قوامي نيكروما عندما بدا للامبريالية أنه يقود سياسة تحررية تهدف الى اخراج القارة كلها من تحت النفوذ الاستعماري ..

هذا عن بناء الدولة .. أما في قطاعات التنمية فان رءوس الاموال الاسرائيلية او الامريكية تحت اسم اسرائيلي تتسرب في شكل شركات .. ويقوم اتحاد العمال «الهستدروت» بأعجب عملية احتكارية فيسيطر على عدد ضخم من الشركات الاسرائيلية بالاشتراك مع كبريات الشركات الامريكية ويتولى عمليات اقتصادية كبيرة في الدول الافريقية .. وفضلا عن أنها عمليات رأسمالية صميمة تقوم على الاستغلال وتحتضن فئات الرأسمالية المحلية وتعمل على خلق طبقة متعاطفة مصلحيا مع الاستعمار .. فهي لا توجه استثماراتها لاي بناء اقتصادي حقيقي وتقتصر على بناء الفنادق والمدارس ومحطات تنقية المياه وشق الطرق وشركات الملاحة والنقل وأمثلة ذلك كثيرة في فولتا وتوجو وساحل العاج .

ولكن هل استطاع الاستعمار الصهيوني أن يحقق ولو بعض اغراضه ؟

تقاوم الدول العربية ودول العالم الثالث النفوذ الصهيوني مقاومة عنيفة .. عن طريق المؤتمرات والمنظمات على المستوى الشعبي والرسمي وعن طريق التعاون الاقتصادي والسياسي والفني والتبادل التجاري .. وعن طريق اللقاءات السياسية سنقتني على التسلل الصهيوني .. ويكفي ان نقول ان اسرائيل فشلت في دخول اي مؤتمر افرواسيوي أو افريقي .. وفشلت في الحصول على توصية واحدة في صالحها .. في حين استطاعت الجهود العربية أن تستصدر اكثر من قرار بادانة اسرائيل .. الا أن الامر يحتاج الى مزيد من الجهد لعزل اسرائيل وكشف دورها في خدمة المخططات الاستعمارية .

تعليق

العمال العرب في المعركة

اكدت إحداث الايام الماضية بمالايدع مجالا للشك ، ان العمال العرب قوة نضالية رئيسية في المعركة الدائرة الان في كل انحاء الوطن العربي ، ضد قوى الاستعمار والامبريالية وقاعدتهم العدوانية اسرائيل .. فقد اثبتوا دائما انهم كانوا ومازالوا خصما عنيدا لايعرف التهادن او المساومة لكل أعداء الامة العربية واعداء تقدمها ووحدتها . وهو دور لابقاس بنسبتهم العددية في أمة نامية في بعض اجزائها ومتخلفة في معظم الاجزاء الاخرى ، بل ينبع في الاساس من طبيعتهم الثورية وتنظيمهم ووحدتهم محليا وقوميا على نطاق الوطن العربي ، ومن ارتباطهم المصيري بالمعركة ، والتعبير بحق عن مصالح وأهداف شعوبهم في القضاء على الاستغلال الاستعماري والامبريالي وتحقيق التقدم الاجتماعي ، ومن كونهم لايمارسون اى شكل من اشكال الاستغلال ، ولايطمعون في ممارسة الاستغلال في المستقبل لسبب جوهري ، وهو انه يتعارض مع وضعهم الاقتصادي وطبيعة دورهم التاريخي ، ومن ثم لايعرفون المساومة والحلول الوسط اذ لامصلحة لهم من ورائها ، وهذه حقيقة تؤكدها كل يوم الاحداث والمواقف النضالية الرائعة للعمال العرب في كل انحاء الوطن العربي ، من اجل تدعيم المعركة ضد الاستعمار والامبريالية وقاعدتهم اسرائيل وفي سبيل دعم المصالح والاهداف العامة للامة العربية .

واننا مازلنا نذكر بالفخر والاعزاز مواقف العمال العرب اثناء العدوان الثلاثي الغادر على مصر في عام ١٩٥٦ ، وقيامهم بنسف وتدمير أنابيب البترول في سوريا وكركوك في العراق واضراب عمال الموانى في البلدان العربية وتحطيم المصالح الاستعمارية تضامنا مع الشعب العربي في مصر ، والتى بلغت حد التضحية بارواحهم في المظاهرات الدامية التى لم تتوقف خلال ايام العدوان في جزر البحرين ضد احتكارات البترول الامريكية والاصطدام بالقوات البريطانية هناك ، وايضا في بغداد وغيرها من المدن العراقية في طليعة الشعب العراقي البطل وسقوط عشرات القتلى والجرحى برصاص هتاف بغداد واعتقال المئات منهم ومن خيرة ابناء الشعب العراقي في سجون الخائن نوري السعيد .

ان العمال العرب كجزء من القوى الثورية الطليعية في المعركة ، تملك من وسائل الكفاح العديدة التى تعطي المعركة كل يوم ابعادها الحقيقية ومضمونها الشعبي الثوري ، وهو الخطر الذي يثير فزع الاستعماريين وانابهم الرجعيين ، كما انه الشرط الاساسي والضمان الاكيد لاستمرار المعركة والتصدي لكل اتجاه يدعو الى منتصف الحلول او المساومة في اطار الاوضاع الراهنة فيشيع الانهزامية ويبغي النكوص على قرارات تحتضنها وتحميها القوى العاملة . وهو في النهاية الكفيل باحراز النصر النهائي الحتمي لشعوب الامة العربية ضد قوى الاستعمار والامبريالية وقاعدتهم العدوانية اسرائيل . ان امام عمال البترول العرب واجب عاجل هو ضرورة الانسحاب من اتحاد البترول الدولي الخاضع للاستعماريين الامريكان وعملائهم واحتكاراتهم . ؟ ..

وديع أمين

القوى الذاتية العربية والقوى المساعدة الصديقة فى معركة التحرر العربى

د. ابراهيم سعد الدين

تتصف المرحلة الحالية من مراحل حركة التحرر الوطنى بتعقيد شديد ، وبان الدول المتحررة تواجه هجوما استعماريا شرسا يهدف الى تصفية مراكز التقدم الواحدة تلو الاخرى . وبعد ان استطاعت حركة التحرر الوطنى احراز العديد من الانتصارات ، ادى الانقسام فى قوى المعسكر الاشتراكى ونواح مختلفة من الضعف فى صفوف الحركة الوطنية ذاتها الى انتقال المبادأة الى يد الاستعمار العالمى مرة اخرى . وحاول الاستعمار الامريكى بالذات ان يكيل عددا من الضربات الحاسمة لهذه الحركة مصفيا ما استطاع تصفيته من مراكزها . ان الاحداث فى كوبا والكونجو وغانا وفيتنام واندونيسيا ثم فى العالم العربى هى حلقات من سلسلة واحدة وان اختلفت الاساليب والوسائل .

وقد أمكن للاستعمار العالمى ان يحرز فى هجومه الشرس على مراكز حركة التحرر درجات متفاوتة من النجاح . فاذا كان قد اخفق فى كوبا فقد استطاع ان ينال نصرا حاسما فى غانا واندونيسيا والكونجو واشتبك فى حرب دموية فى فيتنام لم يستطع ان يحرز فيها أى نصر . ولا يلوح فى الافق احتمالات مثل هذا النصر رغم ماكدس فى هذه الحرب من قوى عسكرية ضخمة ومن ادوات حديثة للحرب ووسائل علمية وتكنولوجية لم يسبق استخدامها .

والعدوان الصهيونى الاستعمارى على القوى التحررية فى العالم ، هو اكثر الحلقات فى سلسلة العدوان الاستعمارى وهى حلقة تميزت بصفات جديدة وخاصة . ان الاستعمار الامريكى الموجه والمدبر الحقيقى للمؤامرة قد فشل فى استخدام الضغط الاقتصادى والنفسى والوسائل العادية للانقلابات العسكرية والمؤامرات من الداخل لاحداث ردة رجعية فى عالمنا العربى ، قد لجأ الى العدوان الخارجى عن طريق ترسانته العسكرية فى المنطقة اسرائيل . من اجل تحقيق نفس الاهداف التى لم يتمكن من تحقيقها بوسائل اخرى .

وقد تجنبت الولايات المتحدة العدوان المباشر فى منطقة تتصف بحساسيتها وبقربها من حدود الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى تجنبا لتعقيدات ترى فى المرحلة الحالية ضرورة تجنبها . ولكنها حاولت خلال سلسلة من التضليل الديبلوماسي والتواطؤ العسكرى والمساعدة التكنولوجية للعدوان ان تهيىء الظروف اللازمة لكى تحرز اسرائيل نصرا عسكريا سريعا يمكنها

من تحقيق غرضها الاساسى وهو اسقاط النظم التحررية فى البلاد العربية . واذا كان التآمر العدوانى قد فشل فى تحقيق غرضه الاساسى فان النكسة العسكرية الاليمة التى اصابت البلاد العربية لازالت تستغل بواسطة قوى العدوان لفرض شروط تؤدى فى النهاية الى تحقيق نفس الاهداف .

ويطرح الدور القيادى الذى تبعته الولايات المتحده — اغنى الدول واكثرها ثروه وقوة عسكرية — فى التآمر الاستعمارى وفى قيادة النشاط العدوانى ضد الدول المتحررة . وسياستها فى انتقاء أهداف محدده وتركيز قوه ضاربة ضخمة لتصفية قاعدة بعد اخرى من قواعد التحرر . يطرح هذا الدور تساؤلات عديدة حول الكيفيه التى يمكن ان تواجه بها قوى التحرر والسلام ، قوى العدوان لنوقف عدوانها عند حد ولتأخذ زمام المبادره مره من يد القوى الاستعمارية . وعن ماهية الشروط التى يجب ان تتوفر لتحقيق مثل هذا الانتقال سواء كان ذلك بالنسبة لتنظيم قوى الشعوب المكافحة ذاتها . او تنظيم تعاونها سويا ومع قوى المعسكر الاشتراكى من اجل القيام بعمل موحد لوقف المد العدوانى .

ان وحدة قوى التحرر والسلام هى الشرط الضرورى والحاسم لدحر قوى الاستعمار وعدوانه . ان نظره الى توازن القوى العالمى خلال الفترة بين عدوانى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ تبين **انه على الرغم من ميل ميزان القوى العالمى فى هذه الفتره لصالح قوى التحرر والسلام فان الانقسام فى صفوف هذه القوى قد مكن للاستعمار من اخذ زمام المبادأة بيده ، وبالتالى مكن له من ان يكيل عددا من الضربات الحاسمة لعدد من المراكز المتقدمه للحركه التحررية**

وقد يبدو من العجيب ان نشير الى ميل ميزان القوى العالمى لصالح قوى التحرر والسلام فى وقت يزداد فيه المد العدوانى . الا ان نظره فاحصة على موقف مجموعة الدول الاشتراكية والدول المتحررة فى خلال هذه الفترة كفيل بان يبين ان العديد من التطورات التى حدثت فى خلال الفترة المشار اليها سابقا قد زادت من قوة المعسكر التحررى فى مجموعه . فاذا قارنا ظروف الدول الاشتراكية خلال عدوان ١٩٥٦ بالظروف الحالية فان الملاحظة الاولى والرئيسية هى ان هذه الدول كانت تعانى

منذئذ من عديد من التناقضات الداخلية التى بلغت حد الثورة المضادة المسلحة فى المجر ومحاولات **انتزاع** كل من بولندا والمانيا الشرقية من محيط العالم الاشتراكى . وعلى العكس من الاحوال فى عام ١٩٥٦ فقد حققت العديد من الدول الاشتراكية وخاصة فى اوربا مزيدا من التقدم الاقتصادى والتكنيكى مكنها من بناء اقتصادها على اسس اكثر ثباتا وتقدما . وتمكنت اسرة الدول الاشتراكية فى خلال نفس الفترة من **الامتداد** لاول مرة الى امريكا اللاتينية عن طريق الثورة الكوبية التى استطاعت ان تصمد حتى الان فى وجه كافة محاولات الاستعمار الامريكى للقضاء عليها .

ومن الناحية الاخرى فان حركة التحرر العالمى قد استطاعت منذ ١٩٥٦ ان تحقق مزيدا من الانتصارات . ففى عالمنا العربى استقلت الجزائر وانضمت الى صفوف الدول التى تعيد بناء اقتصادها على اساس غير راسمالى . وتم القضاء على حلف بغداد وتحررت اليمن من حكم القرون الوسطى الرجعى واشتعلت الحركة الوطنية فى الجنوب العربى وهددت المصالح البترولية البريطانيه والامريكيه تهديدا مباشرا .

وفى افريقيا حصلت العديد من الدول الافريقيه على استقلالها ، وسار العديد منها فى طريق التحرر الاقتصادى واعاده البناء الاجتماعى . وادى انتصار الثورة الكوبية الى مزيد من الاشتعال لحركه الوطنيه فى امريكا اللاتينيه قاعده الاستعمار الامريكى الرئيسية .

ان الانقسام فى صفوف حركة التحرر وفى صفوف الدول الاشتراكيه بالذات هو دون غيره الذى مكن للاستعمار من الانتقال الى هجوم واسع النطاق على مراكز حركه التحرر الواحدة تلو الاخرى بغرض تصفيتها . ان الانقسام بين الدولتين الكبيرتين فى المعسكر الاشتراكى قد بلغ درجة شلت فيها حتى امكانيات انشاء جبهة موحدة لمواجهه المؤامرات الاستعمارية او لمواجهة الهجوم الاستعمارى المستمر على شعب فيتنام البطل .

واذا كان مثل هذا الانقسام المؤسف — رغم نتائجه الخطيرة — قد اصبح احد الحقائق الموضوعية فى عالمنا المعاصر ، واذا كانت حركة

التحرر والسلام لا يمكنها حتى الان التغلب على الاسباب المؤدية اليه او معالجتها ، فان الحرص على استمرار الارتباط المتين بين حركة التحرر الوطني من ناحية وبين القوى الاشتراكية — رغم انقسامها — من ناحية اخرى هو ضرورة موضوعية لامكان صد الهجوم الاستعماري او وقفه عند حد .

ان هذا التلاحم يتعرض الى الخطر احيانا كنتيجة لعدم الوضوح او عدم الفهم . كما يتعرض للخطر ايضا كنتيجة للتآمر الاستعماري الذي يستغل هذا الظرف او ذاك لايجاد مزيد من الانقسام في صفوف معسكر القوى المحبة للسلام .

وتنتشر في بعض الاحيان في صفوف اجزاء من قوى التحرر نظرة غير موضوعية وشديدة التفاؤل عن قدرات قوى السلام وقوى المعسكر الاشتراكي بالذات على ان يكيل ضربة حاسمة للمستعمرين انى وكيف شاء . وتؤدى هذه النظرة في كثير من الاحيان الى اتباع سياسات مغامرة ستنبنى في الاساس على التقليل من قوى الاعداء وعلى التضخيم من قوى معسكر السلام والاشتراكية . وتنبني السياسة المغامرة احيانا على افتراض بان تازم الموقف لابد وان يؤدى الى اندفاع المعسكر الاشتراكي في مجموعه الى مساندة القوى المتحررة التي تجابه الاستعمار ، وان هذا المعسكر بما لديه من قدرات قادر في الوقت المناسب دائما على وقف التدهور في الموقف الدولي او منع انتصار قوى الاستعمار . وكثيرا ما تخيب مثل هذه التنبؤات المتفائلة ، وتؤدى طبيعتها الى رد فعل عكسي تماما ، حيث تفقد هذه الاجزاء من حركة التحرر ثقتها كلية في قدرات قوى التحرر والسلام وتميل الى الاعتقاد بان قوى الاستعمار والرجعية العالمية — وقوى الاستعمار الامريكي بالذات — من الجبروت والقوة بحيث لا يمكن في الحقيقة مجابهتها . وتتردى هذه الاجزاء المعاصرة من الحركة الوطنية الى هوة التهادن والدعوة الى التسليم .

وتنتشر في نفس الوقت نظرة اخرى مشابهة تتصور امكان حماية قوى التحرر والسلام لحركات التحرر الوطني بغض النظر عن عوامل الضعف الداخلية التي تتصف بها هذه الحركة او تلك . وتميل مثل هذه النظرة الى لوم قوى التحرر العالمي والمعسكر الاشتراكي بالذات على النكسات التي اصابت العديد من حركات التحرر الوطني ؟ وبغض النظر عما اذا كان من الممكن فعلا للقوى الصديقة ان تفعل شيئا في مثل هذه الحالات لانقاذ حكم وطني معين من الانهيار الداخلي ، ان نظرة تحليلية لاتجاهات الاستعمار وانتصاراته ولفشله او نكساته من ناحية اخرى تبين ان الدور الذى تلعبه قوى المعسكر الاشتراكي في كافة الاحوال هو دور مساعد مهما بلغ عظم هذا الدور . وان تنظيم القوى الوطنية وتلاحمها ومقاومتها الصلبة للاستعمار هما شروط ضرورية لصد الهجوم الاستعماري وايقافه عند حد ولتمكين القوى الصديقة والدول المحبة للسلام والدول الاشتراكية من ان تبذل قصارى جهدها لمساعدة الحركة الوطنية الصامدة على قهر وهزيمة العدوان الاستعماري . ان مقارنة بين اتجاهات الاستعمار في الكونغو وغانا واندونيسيا وفشله في كوبا وفيتنام تبين الدور الحاسم للجبهة الداخلية وللقوى الذاتية في مواجهة الهجوم الاستعماري .

ان الدور الحاسم للقوة الذاتية لاى حركة وطنية في احراز النصر لا ينفي الاهمية العظمى للصداقة والتلاحم مع قوى المعسكر الاشتراكي . ومرة اخرى فان التحليل الصادق لدور المعسكر الاشتراكي في معركتي كوبا وفيتنام تبين انه لم يكن من الممكن لاى من الدولتين ان تضمن هذا الصمود وتقاتل بهذه البسالة في وجه الاستعمار الغاشم دون مساعدة حقة وحاسمة من المعسكر الاشتراكي وقوى التحرر الوطني . ودون عزل الاستعمار الامريكي وادانته بواسطة قوى السلام في العالم قاطبة .

ان الشكل الذى يمكن ان تأخذه المساعدة الخارجية من الدول الصديقة يختلف باختلاف ظروف المعركة وباختلاف احتياجاتها كما يتأثر كذلك بالظروف الخاصة التي تواجهها هذه الدولة او تلك من الدول المحبة للسلام وبقدراتها الموضوعية على التحرك .

ويتراوح العون والمساعدة من مجرد التأييد الادبي الى المساعدة المادية سواء اقتصاديا او عسكريا الى التدخل المسلح لمساعدة الدول المعتدى عليها . ورغم اهمية كافة هذه الاشكال من اشكال التأييد ، فأن تصاعد المعركة في مواجهة الاستعمار قد يزيد من اهمية نوع معين من المساعدات لاهميته الحاسمة في قهر العدوان الاستعماري . على انه من الضروري ان نتبين دائما انه مهما كانت اهمية التأييد التي تلقاه حركة وطنية معينة من جانب القوى الصديقة فسيبقى النصر في النهاية رهن بامكان تعبئة قواها الذاتية وتنظيمها لمواجهة العدوان الاستعماري .

وقد حاولت القوى الاستعمارية العالمية وعملائها فى الداخل ان تنتهز فرصة النكسة العسكرية التى اصيبت بها الامة العربية لفصلها فصلا كاملا عن اصدقائها وخاصة عن دول العالم الاشتراكى . فبدات حملة مسممة استهدفت عزل الامة العربية فى معركتها الصعبة والمريرة مع الاستعمار . ولكن القيادات الوطنية سرعان ما واجهت هذه الحملة المغرضة مبينة امرين فى نفس الوقت . ان عزل العالم العربى عن اصدقائه لن يفيد الا المستعمرين وان النصر النهائى فى المعركة رهن بالتعبئة الكاملة لقوى الامة العربية من جانب وللتعاون الفعال مع كافة القوى الصديقة من جهة اخرى .



حرب تحرير ثورية حتى النصر الكامل

ان الحرب التى أعلنتها علينا الاستعمارية العالمية بواسطة قاعدتها اسرائيل قد واجهناها باعلان الحرب من جانبنا ضد هذا الغزو الاستعمارى الجديد . وهذه الحرب التى اعلناها من جانبنا ليست مجرد حرب دفاعية انما هى حرب تحرير شاملة — فقد بداناها ونحن مصممون على الاستمرار فيها حتى النصر الكامل .. انها ليست حربا خاطفة تحدد الضربة الاولى فيها النصر او الهزيمة ، انها حرب تحرير شعبية طريقها صعب وطويل ونحن بالحتم سنجتاز هذا الطريق كل متعرجاته ومنحنياته .. وهذه الحرب .. هى

اولا : حرب شعبية يجب وان نعبىء ونستخدم فيها كل طاقات الشعب وامكانياته وقدراته المادية والذهنية . ان قدرة الشعب العربى الثورية هى التى صنعت كل تاريخنا الثورى بكل أمجاده وبطولاته وهى التى ستصنع النصر فى معركة اليوم مع الاستعمار العالمى وقاعدته « اسرائيل » .

ثانيا : ان هذه الحرب — حيث انها حرب تحرير ثورية شعبية شاملة فانه لن يحدد انتهاؤها او توقفها خسارة موقعة عسكرية هنا او هناك . ان مداها يحدد بطريقة الثوريين الذين فجروا ثورة الشعب المصرى فى يوليو ١٩٥٢ ، والذين انتصروا فى ثورة المليون ونصف مليون شهيد والذين يحاربون كل جبروت الاستعمار الامريكى فى الفيتنام .

ثالثا : ومن هنا فهى حرب قد يطول بها الامد تتطلب صبر الثوار ، صبر المجاهدين ووعيهم بكل ابعاد المعركة واعماقها .

رابعا : ان هذه الحرب الثورية تحدث وقد انتصرت ثورات اجتماعية فى بلادنا العربية ، واستمرار الحرب الثورية يتطلب الحفاظ على هذه الثورات الاجتماعية وتدعيم بنائها — اى الاستمرار فى بناء قواعد الاشتراكية .. فان هذه الحرب فى نفس الوقت الذى تحرر فيه الوطن العربى من الاستعمار تدافع عن النظم الاشتراكية فى البلدان العربية وتحميها من قوى الثورة المضادة فى الداخل والتى يجب وان تدوسها اقدام الثوار حتى تسحقها فى نفس الوقت الذى تزحف فيه على العدو لان هذه القوى ليست فقط مضعفة لعزائمنا او معوقة لجهودنا ولكنها كذلك امتداد لقوى العدو التى أعلنت الحرب علينا .

خامسا : ان هذه الحرب الثورية الشاملة تستهدف تخليص وطننا العربى من كافة القواعد الاستعمارية والعسكرية — وفى مقدمة هذه القواعد اسرائيل هذا الحائط الامريكى الذى بنته قوى حلف الاطلنطى قاعدة لحماية مصالح الاحتكارات البترولية ولتكون مركزا من مراكز الاستراتيجية الاستعمارية العالمية . نحن نريد القضاء على اسرائيل كقاعدة للاستعمار — فلا هى بالدولة ولا بالامة كما يزيفون — نحن لانحارب عنصرا او دينا ما انما نحن نحارب لتحرير الوطن العربى السليب — فلسطين .

وهذه الحرب الثورية المستمرة — وباعتبارها امتداد للثورة فى مجالات التحرر الوطنى والاجتماعى فان اسلحتها ليست هى المدفع والدبابة والطائرة فقط — ولكن لقد دخلتها اسلحة اخرى حاسمة فى تحديد النصر وهى اسلحة يجب استخدامها بكفاية كاملة ، وهى فى ايدينا بكامل عتادها — واول هذه الاسلحة واهمها البترول الذى يجب ان يوقف ضخه الى اوربا وكل البلدان الامبريالية وحلف الاطلنطى وقفا كاملا . وليكن البترول فى ايدى قوى الثورة العربية سلاحا يستخدم استخداما كاملا لشل كل اجهزة العدوان . ومع وقف ضخ البترول يجب وان نستخدم كافة اشكال المقاطعة الاخرى كاستمرار غلق القناة فى وجه الاستعماريين المعتدين وسحب كافة الاموال العربية من بنوك المعتدين والمركونة فى خزائنها فى خدمة الاقتصاد العدوانى وتحويلها كرصيد هام لاستمرار المعركة .

ان الحقيقة التى يجب ابرازها هى ان حربنا التحريرية الشاملة التى اعلناها على قوى الاستعمار العالمى والصهيونية وعلى كافة القوى المعادية للثورة العربية لم تنته بعد — انها مازالت فى بدايتها تخطو خطواتها الاولى — واى محاولات من جانب المترددين والرجعيين والانتهازيين لتصوير ان الثورة والاسلوب الثورى ليست هى الطريق لتحرير البلاد — هى محاولات مكتوب لها الفشل لان الشعب العربى بقياداته الثورية قد صمم على الاستمرار فى المعركة دون توقف حتى النصر النهائى .

ان الشعب العربى قد صمم على ضرورة استمرار الثورة مهما كانت التضحيات وصمم كذلك على حماية قياداته الثورية والمحافظة عليها كحبات قلبه .

ان الثورة العربية ستصمد وستظل رايتها عالية تتحدى كل وسائل العدو الجهنمية .. ان ابطال الكفاح الثورى فى كل بلاد العرب قد صمموا على استمرار « الحرب الثورية » وانها لمستمرة ولن تتوقف والنصر فيها لشعوبنا .

عبد المنعم الغزالى

أقصى درجات التعاون للصمود أمام أقصى درجات العنف

سعد زهران

بعد ان قفز جونسون الى كرسي الرئاسة في الولايات المتحدة على اثر اغتيال كيندي ، وحكومة الولايات المتحدة تنفذ استراتيجية جديدة تتلخص في كلمة ، هي «تصفية العالم الثالث لصالح الاستعمار الامريكي » .

وكان دالاس ، وزير خارجية امريكا الاسبق ، هو صاحب الرأى الذى ينادى بالهجوم على الحكومات المستقلة المحايدة ، ويقول بان على جميع الدول في عالم اليوم اما ان تكون تابعة للولايات المتحدة والا فان الولايات المتحدة تعتبرها عدوة لها ، وتشن عليها حربا لا هوادة فيها . وقد اعطى الرئيس كيندى بلاده اجازة قصيرة من تلك السياسة الخرقاء التى اصطلح على تسميتها سياسة حافة الهاوية ، الى ان اغتيل كيندى ، وجاء جونسون ليستأنف سياسة دالاس ، بل ليضعها في التطبيق على اسوأ الصور ، واشدها وحشية وقسوة .

واسلحة حكومة الولايات المتحدة لوضع سياستها هذه في التطبيق اسلحة متعددة . تتدرج من الضغط الاقتصادى الى اعمال التآمر والتخريب والانقلاب من الداخل ، الى اثارة الحروب والمنازعات المحلية ، ثم اخيرا ، الى العدوان المسلح المباشر على البلاد التى تستعصى على ما دون ذلك من اسلحة التدخل بهدف تصفية الثورات والحكومات الوطنية في العالم الثالث .

ومنذ اواخر ١٩٦٤ ، والعدوان الامريكي يستشرى ويمتد الى منطقة بعد اخرى ، والى بلد بعد آخر . وقد تمكن الاستعمار الامريكى ، قائد قوى الثورة المضادة في العالم ، من انزال الكارثة القومية بكل من اندونيسيا وغانا باعمال اساليب الضغط الاقتصادى والتآمر الداخلى فحسب . كذلك تمكن ، بنفس الاساليب ، من دفع مناطق كثيرة في الهند الى المجاعة والتمزق الاقليمي والاصطدامات الطائفية والفوضى الادارية ... وتمكن من النزول بدور البلد الاسيوى الكبير في المضمار الدولى درجات كثيرة وخطيرة .

وحيث تستنفد الولايات المتحدة هذه الاسلحة والاساليب وتفشل ، تلجأ الى العدوان والغزو العسكرى المباشر ، كما حدث في كوبا وفيتنام والكونغو والدومينيكان ، وعلى البلاد العربية في الشرق الاوسط .

وبلغ من وقاحة السياسة الامريكية حدا جعل ساسة امريكا وحكامها يتبجحون ليعلنوا مقدما عن خططهم ، ويتحدثون علنا عن قرب اسقاط هذه الحكومة الوطنية او تلك ، او اسقاط هذا الزعيم او ذاك . ومنذ اوائل شهر ابريل الماضي وضعت وزارة الخارجية الامريكية خطة عاجلة لما سمته بالمثلث المضطرب ، وهو مثلث حددت رؤوسه بطهران شرقا ، والدار البيضاء غربا ، ومقديشو جنوبا . وموجز الخطة العاجلة هو الاطاحة بالحكومات التى لا تسير على خط التبعية الكاملة

للامبريالية اعداداً لما هو أعظم . وبجوار وكالة وزارة الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط، ووكالة الوزارة لشئون افريقيا ، كون حكام واشنطن لجنة خاصة لمتابعة العمل اليومي لوضع الخطة المشئومة في التطبيق .»

والحق انه لم تكد تمضي ايام معدودة على ذلك الا وبدأت اولى ثمار الخطة تتساقط ، حيث تم الانقلاب العسكرى الفاشى فى اليونان ، واعتقل آلاف الوطنيين والديموقراطيين ، واخذت تعد اليونان للقيام بدور ابعد فى اقرار النفوذ الامريكى، سواء فى قبرص ، او فى شبه جزيرة البلقان ذاتها .

وقد صاحب الحديث عن ذلك المثلث ، ثم اعقبه، تنشيط اسرائيل ، كلب الحراسة الامريكى فى الشرق الاوسط، للقيام بدورها المرسوم فىالعدوان الذى كان يعد ضد البلاد العربية . ففى ٧ ابريل حدث العدوان الصهيونى الشهير على سوريا ، واعقب ذلك الحديث عن صدام عسكرى واسع هدفه الاطاحة بالحكم الوطنى فى سوريا ، احكاما للحصار حول مصر ، وتمهيدا لضرب قلب الثورة العربية فى القاهرة فى جولة تالية قريبة .»

ولا جدال فى ان قيادة الثورة العربية اختارت انسب الظروف لملاقاة العدوان المرتقب . ففى الفترة من منتصف ليلة ١٤ مايو ، الى أن وقع العدوان فى صبيحة ٥ يونيو ، اعلن جمال عبد الناصر التعبئة فى القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة،واتخذ سلسلة الخطوات المعروفة للاسهام فى الدفاع عن سوريا التى كانت تواجه عدوانا مرتقبا محققا بين يوم وآخر . وكان للخطوات التى اتخذتها قيادة الثورة العربية فى تلك الاسابيع الثلاثة فعل السحر فى جميع الجبهات الداخلية والعربية والعالمية . لقد قلبت المبادرة السياسية التى اتخذها جمال عبد الناصر فى ليلة ١٤ مايو جميع حسابات الامريكان وتخطيطهم لمعركة لم يكن هدفهم فيها اقل من القضاء على الثورة العربية فى مصر ، ثم يعقب ذلك سقوط بقية أجزاء الوطن العربى ضحايا سهلة فىأيدى عبودية التحالف الامريكى الصهيونى العنصرى الدموى .» ان امريكا وبريطانيا اضطرتا الى شن حربهما متسترين خلف اسرائيل فى اسوأ ظروف متصورة بالنسبة للغزاة :

● كان الغزاة يحلمون انيكون تدخلهم فىظروف تمزق وصراعات داخلية ، فاذا بهم مضطرون الى التعجيل بجريمتهم فى ظروف تعد الجبهة الداخلية فيها اشد ما تكون وحدة وتماسكا ، فى ظروف بلغ فيها تماسك قوى الشعب العامل (الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية) أعلى واسمى درجة شهدها حتى الان .»

● كان الغزاة يحلمون انيكون تدخلهم فىظروف تمزق قومى ، فى ظروف تحتدم فيها الصدامات والنزاعات المسلحة بين البلاد العربية ، فاذا بهم يضطرون الى التعجيل بجريمتهم والصف العربى اشد ما يكون تلاحما ، اذا بهم يرتطمون بجدار صلد من وحدة عربية جبارة لم يسبق لها مثيل . واذا التدخل الامريكى البريطانى يأتى — لا ليكون فى صف فريق من العرب ضد فريق آخر ولكن ليكون فى صف اسرائيل الصهيونية ، العدو الالد لكل العرب ، والتى يمكن ان يتوحد فى النضال ضد خطرها العدوانى أوسع جبهة وطنية وقومية وروحية .»

● كان الغزاة يحلمون بأن يستفيد تدخلهم من الانشقاق الحادث فى صفوف القوى الثورية عالميا، وبتعبير اصرح — من الخلاف الصينى السوفيتى — بل وان يكون التدخل الاستعمارى فى المنطقة العربية منعناصر تفاقم هذا الشقاق فاذا العدوان يأتى ليواجه أول اجماع من نوعه فى صفوف القوى الثورية عالميا وهو اجماع لم يشهده العالم منذ مواجهة العدوان الثلاثى السابق على بلادنا من احد عشر عاما .»

لقد نجحت قيادة الثورة العربية ، واعنى بها قياده الرئيس جمال عبد الناصر، فى تحويل الظروف غير المواتية التى كان يتم فيها الهجوم الاستعمارى الصهيونى بزعامة واشتراك امريكا ، نجحت المبادرة العربية فى تحويلها الى ظروف مواتية تماما بالنسبة لقوى الثوره العربية . ولا شك أن الاسابيع الثلاثة التى سبقت العدوان الغادر تعد من امجد صفحات الثورة وقيادتها ، والتاريخ وحده هو القادر على أن يوفى المعجزة الكبيرة التى تمت فى هذه الفترة الوجيزة حقها .»

وتأتى بعد ذلك المعركة العسكرية .»

والآن ، وبعد أن انتهت الجولة الاولى للعدوان الامريكى البريطانى المتستر وراء اسرائيل بقبول وقف اطلاق النارفىصباح ٩يونيو ،نستطيع انتبين بعض الحقائق الاساسية التى يمكن ان تعين على تفهم ما حدث وعلى الاستعداد للمستقبل .» ولا شك أن الحديث فى هذا الموضوع له — عن حق — حساسياته الخاصة لاكثر من اعتبار . فالمعركة اولا ما تزال مستمرة . وهى — وان كانت معركة شاملة فى الميادين السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية ، الا ان طابعها العسكرى هو الغالب . وفى مثل هذه الظروف فان المشكلات العسكرية لا يجب تناولها بخفة او بروح الاستهانة بالمسئولية ، فمثل هذه الروح لا يستفيد منها الا العدو الذى يحرص على ملء جو البلد بالشائعات والتهاويل،بهدف النيل منالروح المعنوية والتشكيك فى قدرتنا على رد العدوان وتصفية آثاره والانتقام العادل من مرتكبيه . واذا كانت هذه قاعدة عامة

تنطبق على جميع البلاد المتحاربة ، فانها تنطبق بصفة خاصة على حالتنا نحن ، حيث لجيشنا مكانته الخاصة ودوره الخاص فى الثورة المصرية العربية وخط سيرها وتطورها. انتدبر مسئوليتنا الذاتية فى هذا المضمار ، وعلاجاته الحاسمة العاجلة التى يتطلبها الموقف أمر يجب أن يترك بيد القيادة العليا التى منحها الشعب تأييده الاجماعى فى الاستفتاء الاعظم فى مساء يوم ٩ يونيو وصباح ١٠ يونيو .

ولكن هذا لا ينهى الحديث فى الموضوع قبل ان يبدا . وانما الحقيقة الكبرى التى نريد أن نبرزها هنا هى انه :

أيا كانت مسئولياتنا الذاتية فى المعركة العسكرية، ومع ضرورة اتخاذ كافة الاجراءات التى تكفل سلامة قواتنا المسلحة واعادة تنظيم قيادتها ، ومع ثقتنا الكاملة فى قدرة القيادة العليا على الاقدام على هذه الاجراءات بكل ما يتطلبه الموقف من فهم واخلاص وشجاعة وتجرد عن الذات — الا ان **التشخيص الحقيقى لما تم فى الفترة ما بين ٥ يونيو و ٩ يونيو ١٩٦٧ هو انجيشا لاحد البلاد النامية، وضع فجأة أمام هجوم غادر لاداة حرب عالمية مزودة بآخر ما وصل اليه العلم والتكنيك الحديث، ونعنى بها اداة الحرب الامريكية التى لا تعد القوة العسكرية الاسرائيلية الا جزءا صغيرا مكملا لها.**

وقد يبدو هذا كلاما معادا ، فمن المألوف ان نقول أن اسرائيل قاعدة للاستعمار العالمى ، وان الولايات المتحدة هى زعيمة الاستعمار العالمى واكبر قوة عسكرية فيه . ولكن الجديد فى ١٩٦٧ هو التكامل العسكرى بين اداة الحرب الامريكية وقوة اسرائيل العسكرية . وفى ١٩٥٦ مثلا لم يكن هذا هو الحال . كانت ثمة ثلاثة اجهزة عسكرية ، الاولى بريطانية والثانية فرنسية والثالثة اسرائيلية .. نعم ، كان ثمة تنسيق للخطط وتعاون بين القيادات وسيل من السلاح يتدفق على كلب الحراسة الاسرائيلى ، غير انه لم يكن ثمة ما يمكن ان نسميه بالتكامل العسكرى . أما فى ١٩٦٧ فقد كشفت معارك ٥ — ٩ يونيو عن الابعاد الحقيقية لعملية التكامل العسكرى الذى أحكمت خيوطها بين اداة الحرب الامريكية واسرائيل . ولعل القادة والخبراء العسكريين هم وحدهم الذين يستطيعون شرح ابعاد هذه العملية . واذا كان ثمة مفاجأة فى حرب ١٩٦٧ فهى هذه ، وليست ان المعتدين وجهوا الينا الضربة الاولى . فالضربة الاولى كانت متوقعة ، وكان سليما تماما — فى اطار الملابسات السياسية التى حكمت الموقف كله — الا تأتى الضربة الاولى من جانبنا . غير أن الاستراتيجية العامة لمواجهة العدوان انبنت على تصور نوع من تكرار ما حدث عام ١٩٥٦ ، اى صدام مسلح بين قوات اسرائيل — كوحدة منفصلة — وبين قوات الجمهورية العربية المتحدة ، فاذا تدخلت القوات المسلحة للولايات المتحدة يمكن ان تتدخل القوات المسلحة للاتحاد السوفيتى بنفس الدرجة لمواجهة العدوان . والمفاجأة التى حدثت هى ان العدوان وقع على غير تلك الصورة . كانت عملية التكامل العسكرى الامريكى الاسرائيلى قد تمت قبل ٥ يونيو ، وهى عملية كبيرة بالغة التعقيد ولعل الحقائق القليلة التى كشف عنها النقاب حتى الان تشير الى بعض ابعادها . ان توحيد قيادة العملية العسكرية بين ضباط البنتاجون وأركان حرب موشى ديان،وتنسيق تحركات عشرات القطع البحرية فى الاسطول السادس الامريكى والاسطول البريطانى فى مياه البحرين الابيض والاحمر بما يخدم العمليات العسكرية مباشرة ويتابعها لحظة بلحظة ، وتسخير شبكات الاستطلاع بالاقمار الصناعية وطائرات التجسس وسفن الاستخبار واجهزة الرادار ، وخلق شبكة من الاتصالات السلكية واللاسلكية والالكترونية لتوصيل المعلومات لحظة بلحظة الى القوات المحاربة فى الجبهة والى الطائرات المغيرة على اهدافها وهى فى طريق الذهاب والعودة ، والتشويش على شبكات اتصال الجانب الاخر وتعطيلها والتدخل فيها لاصدار تعليمات واوامر مربكة او مضللة ، وتيسير آلاف المتطوعين وسيل الامدادات ساعة بساعة من عشرات القواعد الامريكية فى ليبيا واليونان وتركيا ومن فوق ظهر حاملات الطائرات وسفن النقل ، وعمل جسر جوى يصل بين منطقة العمليات وبين مصادر الامدادات فى هذه القواعد ... ان كل هذه العمليات الكبرى هى بعض ما نقصده بالتكامل العسكرى الامريكى الاسرائيلى الذى سبق العدوان الغادر فى الخامس من شهر يونيو .

هذه هى الحقيقة الاساسية الاولى فى المعركة العسكرية . وهذه هى — فى نفس الوقت — المفاجأة الكبرى فى الموقف بأسره . والحق يقال انها لم تكن مفاجأة لنا وحدنا ، وانما كانت مفاجأة ايضا بالنسبة لأصدقائنا ، ونعنى مفاجأة بالنسبة للاتحاد السوفيتى نفسه . واذا كان العدو قد استفاد من ميزة الضربة الاولى فان استفادته الكبرى كان من عملية التكامل العسكرى التى تمت باعلى درجات الدقة والاحكام ، وجعلت العدوان الثلاثى الجديد على بلادنا يتخذ هذه المرة هذا الشكل الخبيث الاجرامى . ولا شك فى اننا سنأخذ فى الاعتبار هذه الحقيقة ، نحن واصدقاؤنا، ونحن نتعاون معا لازالة آثار العدوان وإنزال العقاب الرادع بالمعتدين ..

اما الحقيقة العسكرية الثانية فانها تتلخص فى كلمة واحدة هى التصعيد . ذلك ان ما تم حتى الان ليس الا الخطوة الاولى . وطالما ان هذه الضربة الاولى لم تحقق اهداف الغزاة فى القضاء

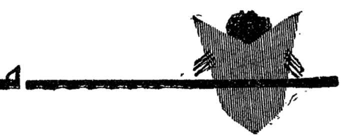
على الثورة العربية المصرية وقيادتها ، فلابد ان تعقبها خطوات . وهذا ما يعبر عنه الامريكيون فى نظريتهم للحروب الصغيرة بكلمةالتصعيد .ونظرية الحروب الصغيرة ،التى وضعها الجنرال الامريكى تيلور ، تهدف الى تحقيق السيطرة الامريكية على العالم — لا عن طريق صدام دولى شامل وانما عن طريق سلسلة من الحروب المحلية والصغيرة، التى تهدف الى اسقاط الحكومات الوطنية والتقدمية فى العالم الثالث واحدة بعد اخرى لصالح الاستعمار الامريكى ، ولا مانع ايضا من الانقضاض على اطراف من المعسكر الاشتراكى نفسه (كما هو هدف العدوان على جمهورية فيتنام الديموقراطية) ، وبعد ذلك يأتى دور البلاد الاشتراكية فى أوربا بعد ان تكون قد عزلت وحوصرت .وجزء هام من نظرية الحروب الصغيرة هذه يتوقف الى حد كبير على مدى نجاح الخطوات الاولى للتدخل المسلح فى تحقيق اهداف العدوان العسكرى ، ومدى رد فعل الطرف الاخر ازاء الخطوات الاولى للعدوان . وباختصار فان الخطة الامريكية المجربة تذهب الى أنه اذا لم تؤت الضربات العسكرية الاولى نتائجها ، واذا كان رد فعل الطرف الاخر لا يهدد بامتداد النزاع العسكرى من حرب صغيرة محلية الى حرب عالمية شاملة — عندئذ لا بأس ، بل يجب ، ان ينتقل العدوان العسكرى الامريكى خطوة جديدة الى الامام ، وهذا ما يعبر عنه بتصعيد الحرب المحدودة الى الدرجة التى تضمن للعدوان الامريكى ان يؤتى ثماره . وهذا ما حدث فى فيتنام . فبعد ان تدخل الغزاة لشن حرب شاملة ضد شعب فيتنام الجنوبية بهدف اخماد ثورته ضد حكومة الخونة والعملاء فى سايجون ، صعد الغزاة الامريكيون هذه الحرب بالبدء بضرب الاهداف العسكرية فى فيتنام الشمالية بالقنابل . وبعد أن فشلت هذه الخطوة فى اخضاع شعب الجنوب ، او ارهاب شعب الشمال وثنيه عن تقديم العون لثوار الجنوب ، صعد الغزاة الحرب مرة اخرى فانتقلوا الى ضرب المنشآت . ثم صعدوها مرة أخرى لضرب المدن .. وهكذا .

ولا نشك لحظة فى ان الغزاة الامريكيين وعملاءهم واذنابهم ، بعد ان فشلت ضربتهم الاولى فى تحقيق هدفها ، يضعون فى خطتهم تصعيد العدوان للوصول به الى اهدافه الاصلية ، وهنا نذكر مرة أخرى ان اهداف العدوان الاصلية هى ضرب الثورة العربية والاطاحة بقيادتها فى القاهرة ، ثم اسقاط العواصم العربية الواحدة بعد الاخرى ، وفتح العالم العربى أمام النفوذ الصهيونى يعربد فيها بغير قيود (وهذا ما تعنيه محاولة فرض الصلح بين اسرائيل والبلاد العربية) ولتقوم اسرائيل بدور الرجل الابيض فى منطقة يسكنها مائة مليون من الملونين الذين — فى نظر الامريكيين والصهيونيين العنصريين — لا حق لهم فى ثروات بلادهم او التمتع بما يكفله موقعها الممتاز على ملتقى القارات الكبرى من ميزات . ان خريطة العالم العربى فى نظر العنصريين الامريكيين والصهيونيين لا تختلف كثيرا عن خريطة جنوب القارة الافريقية ، حيث يتولى حوالى اربعة ملايين من البيض اخضاع ما يزيد على خمسة وعشرين مليونا من الملونين من أهل البلاد ، ويستعبدونهم لصالح الرجل الابيض المستوطن ، ولصالح الاحتكارات الامريكية والاوروبية فيما وراء البحار .

ان التفكير فى المستقبل ، والمستقبل القريب ، يتطلب اعطاء اهمية قصوى لتلك الحقيقتين الكبيرتين فى الموقف العسكرى ، وهما التكامل بين اداة الحرب الامريكية واداة الحرب الاسرائيلية ، وخطر التصعيد المحتمل بين لحظة واخرى .

لكل ذلك بات من الضرورى ان تكون مجابهة العدوان الثلاثى الجديد بالتعبئة والتعاون الى غير حدود بيننا وبين أصدقائنا فى البلاد الاشتراكية وبخاصة مع الاتحاد السوفيتى ، فى الميادين الاقتصادية والعسكرية جميعا ، فلا وسيلة لازالة آثار العدوان ، او لدفع خطر تصعيده الا عن هذا الطريق . وفى تصورنا ان اصدقاءنا ادركوا هذه الحقيقة ادراكا كاملا . وهذا ما تدل عليه نتائج اجتماع قادة الدول الاشتراكية السبع المنعقد فى موسكو فى ٩ يونيو ، فى نفس يوم وقف اطلاق النار . وهذا ما يدل عليه وقفة اليكسى كوسيجين الى جوار محمود فوزى من فوق منبر الامم المتحدة حيث حذر الاول من خطر اندلاع حرب نووية عالمية اذا استمر العدوان، وحيث حذر محمود فوزى شعوب العالم حين تساءل متى سيكون هدف العدوان القادم ، واى شعب جاء دوره ليخضع للعبودية اذا سكت العالم على المؤامرة التى تنفذها اداة الحرب الامبريالية ضد الشعوب العربية . وهذا ايضا هو المغزى الكبير لزيارة الرئيس بودجورنى هو وكبار رجال الدبلوماسية والحرب السوفييت والتقاؤهم بالرئيس عبد الناصر ورجال الدولة والعسكريين العرب .

ان ارادة الصمود امام العدوان واقصى درجات التعاون فى كافة المجالات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية بين البلاد الاشتراكية وبين البلاد العربية التى تعرضت للعدوان ، الى جانب الاخذ باسباب القوة الذاتية وضرورة الاسراع باعادة البناء العسكرى والسياسى فى الداخل ، واعادة النظر فى كثير من مجالات العمل الوطنى . تلك هى الضمانات التى تكفل ازالة آثار العدوان . وان ادراك الامريكيين انهم بصدد تغيرات اساسية فى استراتيجية القوى المناهضة للسيطرة والعدوان الامريكى تنذرهم بأوخم العواقب امريمكن ان يحمل المعتدين على التراجع والا فسيكون الاعصار العالمى الاكبر الذى يكتسح كل بقايا الظلم والاستعمار والاستبعاد وقانون الغاب مرة والى الابد ..




■ حرب العصابات
● ماوتسى تونج

■ حرب العصابات
● تشى جيفارا

■ حرب الشعب . جيش الشعب
● نونجوين جياب

حرب الشعب

قبل

العدوان الصهيونى الاستعمارى ، وتحت شعار ضرورة « ان تتحول الكلمات والكتب والاقلام الى بعث لطاقات شعبنا الهائلة فى التحضير المنظم الواعى لخوض حرب المصير العربية » — اصدرت وزارة الثقافة ثمانية كتيبات تتضمن دراسات نوعية منظمة فى **المقاومة الشعبية** — والكتيبات الثمانية هى المقاومة الشعبية سدادات الطرق — الدفاع عن المصانع — الدفاع عن المدن — القتال من بيت لبيت — الدفاع عن المدن والقرى الصغيرة — الدفاع عن المنازل — حرب العصابات .

لقد اصدرت وزارة الثقافة هذه المجموعة من الكتب العملية المبسطة لتسلح بها مئات الالوف من ابناء الشعب الذين اندفعوا الى لجان المقاومة الشعبية ، ومن اجل ان تسد بها فراغا فى المكتبة العربية ولتأخذ مكانها جنبا الى جنب مع المؤلفات النظرية الثلاثة فى حرب العصابات — التى الفها ثلاثة من اعظم ابطال حروب التحرير الشعبية فى عصرنا — وضمنوها تجربتهم وتجربة شعوبهم فى حرب العصابات .

وكتابان من الكتب الثلاثة صدرا باسم « حرب العصابات » — الف اولهما **ماوتسى تونج** زعيم الصين الشعبية وقائد ثورتها حتى النصر — وكتب الثانى منها **((ارنست تشى جيفارا))** زميل كاسترو فى النضال . والكتاب الثالث هو « حرب الشعب وجيش الشعب » الذى وضعه الجنرال **فونجوين جياب** بطل الانتصار الشهير على الاستعمار الفرنسى فى معركة ديان بيان فو الفيتنامية .

وقد اجمع القادة الثلاثة فى كتبهم — على انه بالرغم من ان حروب العصابات الوطنية تتماثل على الصعيد التاريخى فى تركيبها — الا انه ليس ثمة شك فى ان اختلاف العوامل الجغرافية والاجتماعية بين البلاد المختلفة يتطلب اختلافا فى اساليب حرب العصابات وصورها ، ولكن هناك قوانين اساسية تنطبق على جميع حروب العصابات .

وقد اكد الجنرال جياب فى كتابه « ان شعبا صغيرا يحارب باصرار من اجل حقوقه كفيل بأن يهزم كل الاعداء ويكسب النصر » — واكد ماوتسى تونج انّ حرب العصابات سلاح تستخدمه البلاد الفقيرة فى سلاحها ومعداتها العسكرية ضد بلاد معتدية اقوى منها — وعندما يتمكن الغزاة من التوغل فى قلب البلاد الضعيفة فيحتلون اراضيها — ووصف ماو العصابات المقاتلة بأنها القوة العسكرية التى ينظمها الشعب العامل والتى لا تنفصم عنه — وانها سلاح خاص وقوى يستطيع به الشعب مقاومة الغزاة ويعجز بدونه عن انزال الهزيمة بهم — واكد جيفارا فى كتابه على ان احد الحقائق الجوهرية التى كشفت عنها ثورة كوبا هى انه فى وسع القوات الشعبية ان تنتصر فى الحرب على الجيوش .

حرب العصابات عرفت منذ أقدم العصور

ويخطىء ماوتسى تونج — الوهم الشائع ان الصين هى التى خلقت حرب العصابات — كما ان هذه الحرب لم تكن وليدة العصر الحاضر مطلقا — فقد كانت حرب العصابات منذ اقدم العصور مظهرا من مظاهر الحرب التى خاضها مختلف الاقوام ضد الغزاة والظالمين .

أهمية العمل السياسى لحرب العصابات

وفى المؤلفات الثلاثة اولى القادة عناية خاصة لتأكيد وابراز اهمية **العمل السياسى** فى صفوف رجال العصابات والمقاومة .

لقد اكد ماو انه اذا لم يكن ايمان البعض بوجوب تحرر الشعب عميقا للغاية فى اية حرب طويلة — فان هذا الايمان لابد ان يتزعزع — واذا لم يكن ثمة تثقيف سياسى يمكن كل انسان من فهم هدفنا فى طرد الامبريالية اليابانية واقامة الصين السعيدة — فان الجنود سيفتقدون الى الايمان فى حربهم وبذلك يتضعضع تصميمهم — واكد ماو ايضا ان العمل العسكرى ليس اكثر من اسلوب يستخدم لتحقيق هدف سياسى — واذا لم يكن التوحيد بين الشئون العسكرية والسياسية ممكنا باعتبارهما امرا واحدا — فلابد على الاقل من عدم عزلهما عن بعضهما البعض .

وقد اوضح جياب في مؤلفه انه لا يكفي لتحقيق النصر ان تكون اغراضك متفقة مع الشعب — بل لابد من استخدام كل وسيلة لتثقيف الشعب وتعبئته وتشجيعه وتنظيمه — ويؤكد ان النشاط السياسي يتقدم على النشاط العسكري من حيث الاهمية — والدعاية تأتي في المرتبة الاولى من الاهمية والقتال في المرتبة الثانية — والعمل السياسي في صفوف الجيش هو روح الجيش — كما اكد الجنرال جياب على ان المبدأ الجوهري الاول في تكوين جيش الشعب هو ضرورة وضع الجيش تحت قيادة الحزب الاشتراكي وتقوية قيادة الحزب في الجيش ، بدون توقف باعتبار ان الحزب الاشتراكي الحقيقي هو مؤسس ومنظم ومعلم الجيش ●

ما هي خصائص رجل العصابات ؟

وقد حرص المؤلفون الثلاثة خلال عرضهم لتجاربهم الظافرة ان يلقوا ضوءا على ماهية رجل العصابات وما هي الصفات الاساسية التي يجب توافرها فيه ●

لقد وصفه جيفارا بقوله ان عظمة رجل العصابات تتميز بتصميم لا يتزعزع على القتال والصمود في وجه عدد لا حصر له من العقبات ● واكد ماوتسي تونج ان المتطوعين وحدهم هم الذين يقبلون في الخدمة بفرق العصابات وقال انه من الخطأ دفع الناس قسرا الى الخدمة العسكرية — وليس من المهم النظر الى المركز الاجتماعي او الرسمي الذي يمثله الشخص الراغب في القتال — لان الرجال البواسل ذوي العزائم هم القادرون وحدهم على احتمال متاعب عمليات العصابات في اية حرب طويلة — والشجاعة هي الشرط الاساسي لكل مقاتل — وتعتبر عمليات العصابات الجامعة الحربية التي يتعلم فيها الجنود — وعندما يخوض المرء عدة معارك بتصميم وشجاعة يصبح قادرا على قيادة الجنود وواحدا من الكثيرين من الجنود المحترفين المشهورين ●

واكد جيفارا على ضرورة ان يكون رجل العصابات متعصبا لحرية الشعب — ويجب ان ينتمي الى المنطقة التي سيقاتل فيها — اذ ان مثل هذا الانتماء يمكن ان يوفر له الاحساس بالقتال دفاعا عن منطقته وان يوفر له الاتصالات الشخصية والمعرفة بطبيعة الارض الجغرافية وبدروب الوصول والفرار وبامكانيات المناورة السريعة — وان يحوز تأييد الشعب في المناطق الامينة للاختفاء ●

ويتميز رجل العصابات بالقدرة على المبادرة ، فهو على النقيض من جندي الحرب النظامية الخاضع للقواعد المتزمتة يخترع الاساليب التكتيكية في كل لحظة من لحظات المعركة لمواجهة تطوراتها عامدا الى مباغتة العدو بصفة مستمرة ●

ويعتبر القتال ذروة حياة رجل العصابات وبالرغم من ان كل اشتباك فردي قد يكون قصير الامد الا ان كل معركة تمثل تجربة عاطفية عميقة لرجل العصابات ●

قيادة قوات العصابات

وعن قيادة وحدات العصابات — اكد (ماو) ضرورة أن يكون لوحدات العصابات قياداتها السياسية والعسكرية ولا شك في ان هذا القول صحيح مهما كان مصدر هذه الوحدات او حجمها — وقد يتم تشكيلها من مزيج من الجنود النظاميين ومن جماعات الشعب ويجب أن يكون لجميع الوحدات قادتها من الصلبين في سياساتهم الذين يتميزون بالتصميم والولاء والاخلاص والقوة . ومن الضروري تثقيف هؤلاء تثقيفا رفيعا في الاساليب الثورية وان يكونوا كثيري الثقة بأنفسهم قادرين على فرض الانضباط الصارم وعلى الصمود في وجه الدعاية المضادة ●

ولعل اهم مسئولية تقع على قادة العصابات اختيار المكان والزمان الصالحين للدفاع عن موقع حتى النهاية — فلو ادت الدراسة العميقة لطبيعة الارض الى اكتشاف مناعة موضع من طريق زحف العدو فان في امكان العصابات ان توقف هذا الزحف عن طريق قيام ثلة من رجالها بالدفاع عنه بعناد واصرار ●

واستمرار العمليات الهجومية المتحركة يخلق بين وحدات العصابات اخوة في السلاح ومنافسة في الوقت نفسه وعلى القيادات ان تبقى على هذه المنافسات في وضع صحيح عن طريق شرح الاهداف الجماعية والمسئوليات الفردية للعصابات وعلى القيادات ان تضرب الامثلة بالتضحية بالذات وان تشجع على البسالة والتضحية الشخصية ●

أسلوب عمل العصابات

يقول ماوتسي تونج أنه في حروب العصابات تلعب الدور الاساسي الوحدات الصغيرة التي تعمل مستقلة بعضها عن بعض ومسئولياتها تتلخص في ابادة قوات صغيرة من العدو ومضايقة قواته الكبيرة واضعافها ومهاجمة خطوط مواصلاته واقامة القواعد القادرة على دعم العمليات المستقلة التي تدور في مؤخرة العدو واجبار العدو على توزيع قواته وتنسيق جميع هذه النشاطات مع تلك التي تقوم بها الجيوش النظامية في جبهات القتال البعيدة ●

ويقول جيفارا ان على العصابات ان تواصل ضرباتها باستمرار ويجب الا تسمح لجنود العدو الذين تواجههم حتى بالنوم — اذ تهاجم مراكزهم باستمرار وتعمل على تصفيتها وعليها ان تشعر العدو طيلة النهار وفي الغابات وبين الصخور وطيلة الليل في الارض العراء — انه واقع في قبضتها وتحت رحمتها — ويرى جيفارا انه « لما كانت الهجمات الصاعقة لا الهجمات الطويلة هي مفتاح القتال في المناطق المكشوفة فكان التأكيد لابد وان يكون على استخدام الاسلحة الاوتوماتيكية ، كما ان تركيز النيران من مسافة قصيرة هو العامل الاساسي في ابادة العدو وليست المهارة في التصويب »

ويعطي القادة الثلاثة في مؤلفاتهم اهمية خاصة لقضية الانضباط بين صفوف قوات العصابات . ويقول جيفارا ان الانضباط امر حتمي في حرب العصابات ويجب ان يعتمد على الاقتناع والايمان الشخصي ويجب معاقبة كل من يخالف الانضباط عقابا قاسيا وجذريا ●

ويرى ماو انه يجب طرد الجندي الذي الف مخالفة الانظمة والاوامر . ويعتبر السلاح والذخيرة امران في منتهى الاهمية وكبيري القيمة في ميادين القتال ● ورجال العصابات لا يطلقون طلقة واحدة اذا لم تكن في موضعها وعلى العصابات الا تخلف وراءها اي صريع من رجالها دون ان تنتزع سلاحه وعليها في الوقت نفسه ان تحرص كل الحرص على ما لديها من عتاد .

واولى جيفارا عناية خاصة لدور المرأة واكد ان في وسعها ان تلعب دورا مهما للغاية في تطوير العملية الثورية ، وان المرأة قادرة على اداء اكثر الاعمال مشقة وصعوبة كالقتال مع الجنود — وبالرغم من ان المرأة اضعف بدنيا من الرجل الا انها لا تقل احتمالا منه فلي وسعها ان تقاتل ، وقد لعبت دورا بارزا في الحرب الكورية ●



السعودية

● قاعدة « الظهران » الجوية الاستراتيجية الامريكية ، وتقع في الجزء الشرقي من المملكة السعودية ، بالقرب من حقول البترول ومركز شركة آرامكو الامريكية للبترول ، وهي تتكون من قوة هجومية ضاربة من السلاح الجوى الامريكي والمحملة بالقنابل الذرية ، كما انها مزودة ايضا بالقذائف الصاروخية الموجهة .

عدن

● قاعدة « عدن » الاستراتيجية البريطانية ، وهي تتكون من قاعدتين رئيسيتين ، قاعدة بحرية للاسطول البريطاني وحاملات الطائرات المزودة بالصواريخ والغواصات المزودة بصواريخ بولاريس ذات الرؤوس الذرية، وقاعدة جوية لقاذفات القنابل الهيدروجينية ، وتتولى هذه القاعدة تزويد الطائرات والاسطول بالامدادات والتموين ، وترابط هناك قوات بريطانية قوامها اكثر من ٢٠ الف جندي وضابط بريطاني .

● قاعدة « خور مكسر » الجوية البريطانية الكبيرة بالقرب من عدن .

● الضالع ، والجبلين الشرقية، وردفان الغربية ، والعوازل وغيرها من امارات ومشيخات الجنوب المحتل وبها عديد من القواعد الحربية والمعسكرات البريطانية الاخرى ، وتحتل عدن موقعا استراتيجيا هاما عند مدخل البحر الاحمر، وتوجد بها المركز الرئيسي لهيئة القيادة العامة للقوات المسلحة البريطانية في الشرق الاوسط .

وكانت قاعدة عدن الجوية والبحرية من القواعد العدوانية الرئيسية ، التي اشتركت في الهجوم البحري والجوي اثناء العدوان الثلاثي على مصر عن طريق البحر الاحمر ، والقاء القنابل على المدن المصرية ، وايضا الاشتراك في العدوان على الثورة اليمنية ، ومساندة فلول عصابات الملكيين والقاء القنابل على الشعب اليمني ، وهي تستخدم حاليا في شن الهجمات المستمرة لاخماد حركة التحرر الوطني في الجنوب المحتل .

ظفار

● قاعدة « صلالة » الجوية البريطانية ، وهي مجهزة بقوة ضاربة من الطائرات المقاتلة النفاثة والمزودة بالصواريخ ،ووحدات للمدفعية ،والمشاة، وشبكة من اجهزة الرادار ، ومخازن للاسلحة والقنابل الذرية ، ومحطة لاسلكية للارسال والاستقبال تربطها بمجموعة القواعد في الاقاليم والمناطق الاخرى ، وقد استخدمت هذه القاعدة في قمع ثورة شعب ظفار في يونيو عام ١٩٦٥ ، وابريل عام ١٩٦٦ .

عمان

● قاعدة جزيرة « مصيرا » الجوية والبحرية ، وتوجد بها مخازن الذخيرة والتموين للاسطول البريطاني .

● قاعدة « مسقط » البحرية والجويه البريطانية .

● قاعدة « البوريمي » الجوية البريطانية .

● قاعدة « الشارقة » الجوية البريطانية .

وهناك ايضا مجموعة من المعسكرات الكبيرة والقواعد الجوية والبحرية البريطانية الصغيرة في البلدان الاخرى المجاورة ، مثل **رأس الجد ،وصحار وعبرى ونزوى والفجيرة ورأس الخيمة وام القيوين وعجمان وابو ظبي** ، وغيرها من الاقاليم والامارات الاخرى التابعة لعمان .

البحرين

● قاعدة « الجفير » البحرية البريطانية في جزيرة **المنامة** ، وهي مقر قيادة البحرية البريطانية في منطقة الخليج العربي ، حيث ترابط هناك بصفة مستمرة ثلاث حاملات الطائرات، وخمسة مدمرات ، وستة كاسحات الغام، ووحدة من مشاة الاسطول ، وحاملات الجنود ، ومحطة لاسلكية ، وتوجد هناك مقر المخابرات العسكرية البريطانية في الخليج العربي .

● قاعدة « المحرق » الجوية الاستراتيجية البريطانية في جزيرة المحرق، وهي تضم سربان من الطائرات المقاتلة من طراز « هوكر هنتر » وسرب من طائرات النقل « بيفرلي » وثلاثة الاف من جنود المظلات ، ووحدة للرادار ، ومحطة لاسلكية ،ويتولى حراسة القاعدة فرقة عسكرية معززة بالكلاب البوليسية المدربة .

● قاعدة «الهملة» البرية البريطانية، وتقع في غرب جزيرة المنامة ، وهي تضم وحدات عسكرية من سلاح المشاة ، والمدفعية ، والدبابات ، والمهندسين ، واللاسلكي ، ومستودعات السلاح والذخيرة .

وقد استخدمت بريطانيا هذه القواعد العسكرية اثناء العدوان الثلاثي على

مصر عام ١٩٥٦ ، وفى عام ١٩٥٧ لقمع ثورة عمان ، وضد ثورة الشعب اليمنى والجنوب المحتل ، ولقمع ثورة شعب البحرين فى مارس ١٩٦٥ — ويجرى الآن عملية توسيع هذه القواعد البريطانية الثلاث لاستقبال وحدات الاسطول والطائرات الامريكية العاملة فى المنطقة.

ليبيا

● قاعدة « هويلس فيلد » الجوية والبحرية الاستراتيجية الامريكية ، وتقع على مسافة سبعة اميال شرق مدينة **طرابلس الغرب** ، وهى تعتبر من اكبر القواعد الامريكية فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، وتمتد مسافة ٦٨ كيلومترا على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وتضم القاعدة اكثر من ٦٠٠ منشأة عسكرية يعمل بها عدة آلاف من الجنود والخبراء والفنيين ، وبها عديد من المطارات وقواعد لاطلاق الصواريخ ، ومستودعات القنابل الذرية والهيدروجينية ، والاسلحة والذخيرة وقطع الغيار المختلفة ، ومعسكرات تدريب للطيارين التابعين لحلف الاطلنطى واجراء المناورات العسكرية ، ومحطة للرادار ، ومحطة لاسلكية. وقد لعبت هذه القاعدة الكبيرة دورا خطيرا فى احداث الشرق الاوسط وخاصة ضد الشعوب العربية، وذلك منذ ان ورثتها امريكا عن بريطانيا فى عام ١٩٥٤ ، وقامت بتوسيعها وتجهيزها بالوسائل العلمية الحديثة . فقد استخدمتها بريطانيا اثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وايضا فى عملية نقل القوات الامريكية لغزو لبنان فى اعقاب ثورة العراق عام ١٩٥٨ ، وفى نقل القوات والاسلحة البلجيكية الى الكونغو للعمل ضد حكومة الشهيد لومومبا الشرعية فى الكونغو فى اواخر عام ١٩٦٠ .

وكان آخرها ذلك الدور الخطير الذى قامت به اثناء العدوان الامريكى البريطانى الاسرائيلى الاخير على مصر وسوريا والاردن عن طريق الجسر الجوى الذى اقيم بين القاعدة وبين اسرائيل ، وذلك قبل بدء العدوان لنقل المعدات العسكرية والذخائر والمدافع المضادة للطائرات [وكانت صحيفة الاهرام ومنذ بداية العدوان قد قامت بفضح الدور الخطير الذى تقوم به القاعدة الامريكية ضد امن وسلامة الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، الامر الذى تأكد بعد ذلك بشهادة ٧٠ من الضباط الليبيين العاملين بالقاعدة ، والذين شاهدوا باعينهم دليل المؤامرة على اشتراك الطائرات الامريكية بالقاعدة فى العمليات الحربية اثناء نشوب القتال

وتوجد هناك ايضا عدة مطارات عسكرية امريكية فى برقة وغيرها من المدن الليبية، فضلا عن القواعد البريطانية التالية:

● قاعدة « العضم » الجوية الاستراتيجية البريطانية .

هذا غير حاميتان معسكريتان لبريطانيا فى طبرق وبنغازى .

والمعروف ان جميع القواعد البريطانية تعمل فى تنسيق متكامل مع القواعد الامريكية الاخرى فى الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط .

تونس

● قاعدة « بنزرت » البحرية الاستراتيجية الامريكية ، وهى تعتبر اكبر قاعدة بحرية فى العالم ، وتشغل مساحة ٣٠ كيلومترا ، وتعد من اهم قواعد الاسطول السادس والغواصات الامريكية فى شمال افريقيا والبحر الابيض المتوسط ، كما ان موقعها الاستراتيجى الهام بالقرب من القواعد الامريكية فى جزيرة صقلية فى ايطاليا يجعلها فى مركز تسيطر منه على حوض البحر الابيض المتوسط .

وتشمل القاعدة ميناء كبيرا معدا لاستقبال اكبر السفن الحربية وحاملات الطائرات فى العالم ، وتوجد بها اضخم الترسانات واحواض اصلاح السفن خارج الولايات المتحدة ، وايضا حظائر للغواصات المحفورة فى باطن الجبل ، ومحطة للرادار ، ومحطة لاسلكية ، ومركزا للامدادات العسكرية والتموين للاسطول السادس الامريكى .

وكانت القاعدة تابعة من قبل لفرنسا، وقد استخدمتها فى عام ١٩٦١ لقمع ثورة الشعب التونسى .

الجزائر

● قاعدة « المرسى الكبير » البحرية الفرنسية .

● قاعدة « كولب بشار » الفرنسية للتجارب الذرية .

● قاعدة « ريجان » الفرنسية وهى قاعدة لاطلاق الصواريخ والتجارب الذرية.

مراكش

● قاعدة « نواصير » الجوية الاستراتيجية الامريكية ، وتقع على مسافة ٤٠ كيلومترا جنوب مدينة **الدار البيضاء** .

● قاعدة « سيدى سليمان » الجوية الامريكية ، وتقع على منتصف المسافة بين مدينتى **فاس والقنيطرة** .

● قاعدة « بورنيوتى » البحرية الامريكية ، وتقع على ساحل المحيط الاطلنطى ، وتبعد مسافة ٣٠ كيلومترا شمال مدينة **الرباط** .

● قاعدة « بن اغادير » الجوية الامريكية ، وتقع على مسافة ٢٠ كيلومترا شمال مدينة **مراكش** .

● قاعدة « مكناس » الجوية الامريكية

● قاعدة « سبوتا » البحرية الاسبانية .

● قاعدة « مليلا » البحرية الاسبانية .

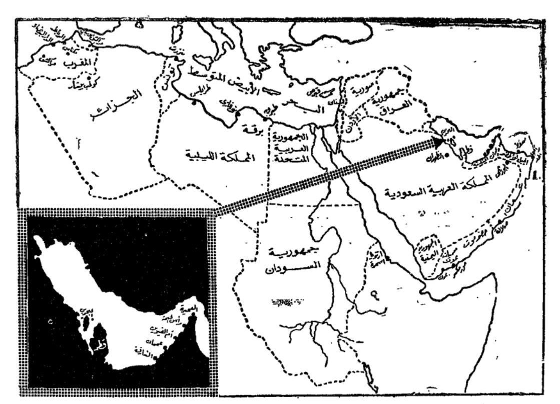
وهاتان القاعدتان الاسبانيتان تقعان فى الجزء الشمالى والشرقى الذى تحتله اسبانيا من اراضى مراكش ، وهذه القواعد تضعها اسبانيا تحت تصرف امريكا وحلف الاطلنطى ، والمعروف انه توجد هناك فوق الاراضى الاسبانية ذاتها فى اوربا عدة قواعد جوية امريكية للطائرات المحملة بالقنابل الذرية والهيدروجينية ، هذا بالرغم من ان اسبانيا ليست عضوا رسميا فى حلف الاطلنطى .

الاسطول السادس الامريكى

● ويعتبر الاسطول السادس قاعدة بحرية وجوية وبرية كبيرة متحركة فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر، وهو يتكون من حوالى ٦٠ قطعة بحرية حربية تضم عددا من حاملات الطائرات المقاتلة النفاثة ، والغواصات المزودة بالصواريخ بولاريس حاملة الرءوس الذرية ، والبوارج التى تحمل طائرات الاسطول، والمدمرات وكاسحات الالغام ، وهو يتخذ من قواعده البحرية العديدة المنتشرة فى بلدان البحر الابيض المتوسط فى تركيا واليونان وايطاليا ومارسيليا ومالطة واسبانيا ، والبلدان العربية مثل ليبيا وتونس ومراكش مراكز للامدادات والتموين وايضا الراحة والترفيه .

وهو ينشط دائما بالقرب من الاماكن الحساسة التى تغلى بالثورة — والتى تسميها واشنطن باماكن الاضطرابات التى تهدد باقتلاع المصالح الامريكية الاستعمارية — بهدف تهديد النظم التقدمية وتدعيم وحماية النظم الرجعية .

ولقد وضح دور الاسطول السادس الامريكى فى اثناء العدوان الاسرائيلى



الاخير على مصر وسوريا والاردن ،عندما قامت طائرات الاسطول السادس فى عمل المظلة الجـــوية الكثيفة فوق سماء اسرائيل لحماية مدنها وقواعدها ومطاراتها العسكرية من انتقام الطائرات العربية، والقيام باعمال التجسس وجمع المعلومات عن تجمعات وتحركات القـــوات المصرية وتدليغهـا لاسرائيل اولا باول بواسطة السفينة « ليبرتى » .

كما ثبت ايضــا اشتراك حاملات الطائرات البريطانية ومن بينهـا حاملة الطائرات « فكتورياس » ، والتى ادعت بريطانيا انهـا فى طريقهـا الى الشرق الاقصى ، عندما صدرت اليها الاوامر قبل بدء العدوان الاسرائيلى بالبقاء فى شرق البحر المتوسط ، وقد اعلنت وزارة الدفاع البريطانية بعد وقف القتال ، عن عودة حاملة الطائرات فكتورياس الى قاعدتها فى بريطانيا بعد ان ادت مهمتها .

اسرائيل

وهى القاعدة الاستعمارية الاساسيــة فى الشرق الاوسط ،والمعروف انه لاتوجد هنـاك احصائيــة دقيقــة عن تسليح اسرائيل ، ولكن الثـابت ان امـريكا قد امدت قاعدتهــا العدوانيــة خــلال السنتين الاخيــرتين بكميات كبيرة مــن الاسلحة والطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل والمدرعات ، وقد تمت هــذه الصفقات فى سرية تامة ، ولم يكن يعرف مقدارها حتى كشفت صحيفة الاهرام عن واحدة فقط من هذه الصفقات فى اوائل ١٩٦٦ ومقدارها مائتى دبابة باتون وبمائة وخمسون طائرة مما اضطــر الدوائر الرسمية الامريكية الى الاعتراف بها .

وتؤكد الاخبــار الاخيرة ان اسرائيل ما زالت تتلقى من امريكا ومنذ وقف القتال ، اعداد كبيرة من الطــائرات والاسلحة والذخائر لتعويضها عن الخسائر التى تعرضت لها اثناء العدوان على مصر وسوريا والاردن .

استراتيجيــة شرق السويس الجديدة

وهناك مجموعة القواعد البريطانيــة والامريكية الجديدة التى تم تشييدها الان فى جزيرة **كوكوس** ، **وجزيرة دنجوجارسيا، وجزيرة الدابرا ، وجزيرة سيشل** فى المحيط الهندى ، والواقعة على منتصف المسافة بين القواعد البريطانية والامريكية فى سومطرة وماليزيا والفيليبين وسنغافورة فى آسيا وبين القواعد الامريكية والبريطانية فى اسمرة فى الحبشــة وكينيا فى شرق افريقيا ، وهو ما يعرف بــ « الحزام الذرى » الجديد حول قارتى آســيا وافريقيا .

وهذا الحزام الذرى الجديد بالاضافة الى سلسلة القواعد العسكرية الاخرى ابتداء من خليج عدن ومدخل البحــر الاحمر وامتداد ساحل عمان على المحيط الهندى والخليج العربى حتى البحـــرين والظهران فى السعودية لتطويق الجزيرة العربية بالقواعد العسكرية .

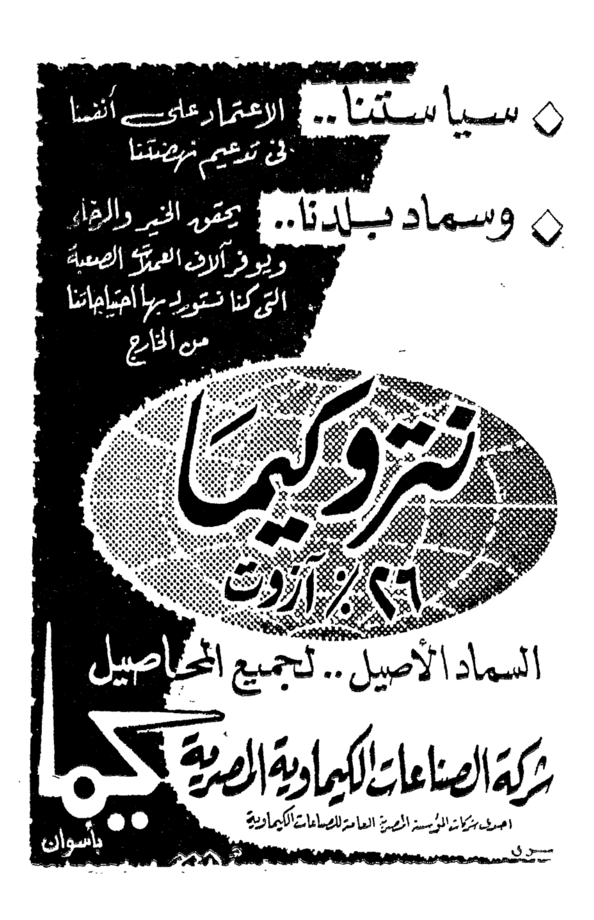
والمعروف انه كان قد تم الاتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، فى اواخر عام ١٩٦٥ على توحيد السياسة العدوانية الاستعمارية للسـيطرة على قارتى آسيا وافريقيا والبلدان العربيــة الغنية بالبترول ، من اجل التعـاون والمشاركة فى اعباء الدفاع عن المصالح الاستعمارية الانجلو ــ امريكية ، وفقا لاستراتيجية شرق السويس الجديدة .

قبرص

● قاعدة « اكروتيرى » الاستراتيجية البريطانية ، وهى تتكون من قاعــدتين حربيتين رئيسيتين ، للبحرية والطيران ، وهى تضم ٢٢ الف ضابط وجــندى بريطانى بصفة دائمة لعمليات الطوارىء اللازمة فى منطقة الشرق الاوسط .

وقد لعبت هذه القاعدة الدور الرئيسى بالاشتراك مع القواعد البريطانية الاخرى فى ليبيا ومالطة وعدن اثناء العــدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وايضا فى احتلال الاردن ولبنان مع القــوات الامريكية عند قيام ثورة العراق عام ١٩٥٨ .

هذا بالاضافة الى قواعد عديدة تحيط بالوطن العربى فى ايران وباكستان وتركيا وقواعد حلف الاطلنطى فى اوربا وعشرات القواعد المتناثرة فى انحاء افريقيا .



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة التي كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش
مطابع مؤسسة الاهرام

أغسطس ١٩٦٧
السنة الثالثة





طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر



٥ يونيو.. الحقيقة والمستقبل

كراس للمناقشة

ما العمل؟

نحن والأمم المتحدة

الفهرس

العدد الثامن ـ السنة الثالثة ـ اغسطس ١٩٦٧

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير في القرن الثامن عشر « قد اختلف معك في الرأى ولكني على استعداد لان ادفع حياتي ثمنا لحقك في الدفاع عن رأيك » .



طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفي الخولي

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفي
د. رشدي سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيفي

سكرتارية التحرير :
ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

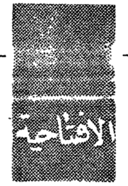
عنوان المراسلات .
« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٦٤ ٢ ـ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادي : ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربي ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

بيــــــان

تصدر الطليعة هذا العدد فى ٨٤ صفحة ، وكانت قد صدرت خلال العدد الماضى (يوليو ١٩٦٧) فى ٥٢ صفحة .

ولا يخالج الطليعة شك فى ان اصدقاءها يقدرون الظروف التى حتمت عليهـــا أن تصدر فى هــذا الحجم المؤقت ، والتى نرجو ان تزول قريبـــا .

وهذه التضحية على العموم تدخل فى اطـــار ضريبة المعركة المستمرة ضد العدوان الاستعمارى الصهيونى على وطننا العربى .



٥ يونيو .. الحقيقة والمستقبل

ثمة حقائق — ذات دلالات محددة — يلتقى حولها اجماع الراى النضالى اليوم . ومن مجموع هذه الحقائق تتجسد أمامنا الابعاد المكشوفة — حتى الان — من ارضية واقع ما بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ . وبالتالى فان اى تحليل لما وقع بالفعل ، ولاحتمالات ما يقع فى المستقبل ، وكيف نواجهه .. يجب ان ينطلق بداءة من هذه الارضية التى علينا أن نكشف باستمرار عن المزيد من ابعادها المجهولة .

ونستطيع أن نحدد الابعاد المكشوفة من هذه الارضية فى الخطوط الرئيسية الاثنى عشر التالية :

● أن اسرائيل ، بدوافعها الخاصة وبدوافع المصالح الاستعمارية المرتبطة بهما معا ، خلقت عمدا جوا من التوتر والاستفزاز الشديدين فى المنطقة العربية منذ أواخر عام ١٩٦٦ . وراحت تضاعف حرارة هذا الجو من خلال اعتداءات اقليمية على الاردن وسوريا . كان آخرها عدوان ٧ ابريل ١٩٦٧ الذى استخدمت فيه الطائرات الاسرائيلية لاول مرة . وصاحبنه بسلسلة متعاقبة من التهديدات على لسان ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل ووزير الدفاع وقتذاك ، ورابين رئيس أركان الحرب ثم الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) بضرب سوريا ضربة قاتلة . ودعمت ذلك بعمليات حشد للقوات الاسرائيلية على الحدود السورية .

وامام هذا الموقف عقدت سوريا مع مصر اتفاقية للدفاع المشترك . وتحركت مصر — عسكريا — لاتخاذ موقف الدفاع عن سوريا او أى بلد عربى آخر فى حالة وقوع هجوم اسرائيلى عليها . واستتبع ذلك بالضرورة انهاء وجود قوات الامم المتحدة بالمنطقة ، الذى تولد فى اعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦ . وقامت كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بترحيل رعاياها من منطقة الشرق الاوسط ، واصبح الجو المسيطر هو جو حرب . وتم الوصول الى هذا الموقف خلال النصف الاول من شهر مايو ١٩٦٧ . ونشطت اسرائيل تدق فى جميع انحاء العالم طبول النجدة ودعوة المتطوعين لانها أصبحت مهددة « بحرب افناء وابادة من جانب العرب » . (!)

● فاجأ الملك حسين ملك الاردن الراى العام العربى والعالمى معا ، بزيارة القاهرة دون سابق ترتيب ، وعقد اتفاقية دفاع مشترك مع الجمهورية العربية المتحدة . وفى نفس الوقت شرعت كل من الولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد السوفيتى — من مواقع ودوافع مختلفة — تعمل دبلوماسيا من اجل استصدار وعد من الجمهورية العربية

المتحدة بأن لا تكون البادئة باشعال نيران الحرب . وفعلا اعلنت القاهرة التزامها **بموقف الدفاع لا الهجوم** . ومضت الولايات المتحدة الامريكية فى اتصالاتها بالقاهرة شوطا ابعد وذلك بدعوتها « للتفاوض من أجل السلام » . واستجابت القاهرة الى نداء واشنجتن وحددت يوم الثلاثاء ٦ يونيو ١٩٦٧ موعدا لسفر زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الى امريكا لمقابلة الرئيس الامريكى جونسون .

(يذكرنا هذا بدعوة أمريكا للقاهرة للتفاوض فى جنيف حول مستقبل قناة السويس بعد تأميمها ، وتحديد يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ موعدا لذلك . واذا بالعدوان الثلاثى يبدأ فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦) .

● فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ قامت اسرائيل بهجوم جوى مفاجىء على مصر وسوريا والاردن والعراق مستهدفة المطارات والطائرات . وفجرت بذلك نيران الحرب فى الشرق الاوسط . وذلك بأسلوب حشد قوات وامكانيات تسليحية ضخمة وحديثة الى اقصى حد تفوق بدرجة كبيرة كل امكانيات اسرائيل الذاتية . وهو نفس التكتيك الامريكى المعروف باسم « **الحروب الاقليمية المحدودة** » الذى وضعه الجنرال « **ماكسويل تيلور** » رئيس أركان حرب القوات الامريكية السابق ومخطط حرب الفيتنام . واتضح من خلال الحرب ، فضلا عن ضخامة وحداثة التسليح العدوانى ، عدة أمور بالغة الاهمية :

اولها : ان التسليح الغربى والامريكى بشكل خاص لاسرائيل هو **ذو طابع هجومى اساسا** . فى حين ان التسليح العربى ، ومورده الرئيسى الاتحاد السوفيتى ، **هو ذو طابع دفاعى فى المقام الاول .**

ثانيها : ان الولايات المتحدة اصرت على ان يقود رجلها الاول فى اسرائيل وهو « **الجنرال دايان** » الحرب الهجومية . ومن أجل ذلك عين فجأة وزيرا للدفاع قبل ثلاثة ايام من الهجوم . وذلك بدلا من ليفى اشكول رئيس الوزراء نفسه ، وعلى الرغم من الخلافات الحادة بينهما والتى أدت خلال عام ١٩٦٦ الى خروج ديان وبن جوريون وشيمون بيرز وغيرهم من حزب أشكول المعروف باسم «**الماباى**» وتكوين حزب معارض باسم « **رافى** » .

ثالثها : التداخل الكامل والدقيق لاجهزة ومؤسسات الحرب الامريكية والاسرائيلية وحركتها الموحدة تحت علم اسرائيل . وذلك بتجنيد الاسطول السادس ، وسفينة التجسس « **ليبرتى** » فى البحر الابيض ، وحاملة الطائرات « **الانترابيد** » التى حرصت على ان تدخل البحر الاحمر قبيل الحرب بأيام معدودة ، واشتراك القواعد الامريكية والبريطانية فى المنطقة فى الحرب ضد العرب . هذا فضلا عن تزويد اسرائيل بالخرائط التفصيلية للمواقع العربية المتحصلة من اقمار وطائرات التجسس الامريكية ، ومدها بالمتطوعين الامريكيين والغربيين عموما من رجال المظلات والطيارين اساسا .

وقد كشف عن ذلك ضبط « الخرائط الامريكية للمواقع العربية » مع الطيارين الاسرائيليين الذين اسقطت طائراتهم فى الاراضى العربية . ووجود « سفينة التجسس ليبرتى رغم كل المخاطر داخل منطقة العمليات الحربية ، واعلان حالة الطوارىء على جميع قطع الاسطول السادس ، ومنع نشر اية انباء عن تحركات طائرات هذا الاسطول ، منذ يوم الاثنين ٥ يونيو ، بناء على اوامر الادميرال المساعد «**جون ماكين**» قائد القوات البحرية الامريكية فى اوربا . وذلك على حد ما اعلنه مراسل وكالة « **الاسشيوتيد برس** » الذى كان مقيما فوق احدى قطع هذا الاسطول .

وقد اعاد هذا الى الاذهان ماسبق ان اعلنه فى **يناير ١٩٥٢** الاميرال «**فيشلر**» رئيس العمليات البحرية بهيئة اركان الحرب الامريكية فى تقريره عن الاستراتيجية الامريكية البحرية عندما قال : « **لا تخفى عن الاعين اهمية منطقة البحر الابيض المتوسط من الناحية العسكرية . وقوة الولايات المتحدة ستقوم على سيطرتها الكلية على شئون البحر الابيض .. وبفضل القواعد المنشأة فى شمال افريقيا والشرق الادنى ، فستكون هناك بعض الضمانات بان البحر الابيض يمكن ان يستخدم مسرحا للعمليات العسكرية ..** »

وهذا هو ما ترجم عمليا بالدقة . فبجانب استخدام قواعد ليبيا فى شمال افريقيا، استخدمت ايضا قاعدة قبرص كما اكد ذلك مستشار الرئيس القبرصى مكاريوس خلال الاجتماع الطارىء الذى عقده المؤتمر الاسيوى الافريقى بالقاهرة بعد العدوان .. ومجىء العدو من الطريق الغربى الطويل (طريق البحر) بدلا من الطرق المتوقعة من الشرق والشمال ، وتغطيته فى هجومه جميع المطارات العسكرية والمدنية بالجمهورية العربية المتحدة فى وقت واحد .

● ان العدوان الاستعمارى الاسرائيلى انصب فى البداية على ضرب القوى العسكرية العربية والاهداف العسكرية ، دون المدنية مع احتلال بعض المناطق العربية . وذلك فى محاولة لخنق الحياة العربية المدنية من الداخل واسقاط النظم التقدمية العربية وتصفية القيادة الثورية التى يمثلها المناضل جمال عبد الناصر بالذات . ولكن حركة الشعوب العربية الهادرة التى انطلقت فى مظاهرات حاشدة يومى ٩ و ١٠ يونيو لمساندة وتدعيم النظم التقدمية والتمسك بقيادة جمال عبد الناصر قضت على كل هذه المحاولات . ومن هنا بدا العدو فى توجيه ضربات انتقامية وحشية بعد وقف اطلاق النار فى ١٤ ، ١٥ يوليو ضد المدنيين فى الاسماعيلية والسويس وبورسعيد .

● انطلقت بسبب العدوان الاستعمارى الاسرائيلى موجة شعبية عارمة لمعاداة الاستعمار الانجلو امريكى جذريا شملت البلاد العربية خاصة ودول العالم الثالث عامة، لم يسبق لها مثيل فى التاريخ . واتخذت عدة اجراءات فى هذا السبيل منها قطع العلاقات الدبلوماسية بالنسبة لمصر وسوريا والجزائر والعراق والسودان واليمن وتنظيم حركة مقاطعة سياسية واقتصادية وثقافية مع كل من امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية وهولندا ، ومنع ضخ البترول العربى اليها واغلاق قناة السويس والمطالبة بسحب الودائع العربية الكبيرة وذات الاثر المالى الفعال من البنوك البريطانية . ودخلت الجزائر بكل امكانياتها الحرب ضد العدوان ، جاذبة معها كل شعوب المغرب العربى وطاقاته ، وبهذا توسعت جبهة مقاومة العدوان لتشمل المشرق والمغرب معا لاول مرة .

● كشف العدوان الاستعمارى الصهيونى عن حقيقة اسرائيل كأداة استعمارية، وواقع احتلالى لارض عربية امام دول العالم الثالث ككل . وذلك بصورة عملية لاول مرة فى التاريخ . ودلت على ذلك المواقف الحادة والعنيفة من كوبا وفيتنام والهند وباكستان وقبرص وموريتانيا ومالى وتانزانيا والصومال وغينيا التى وصلت الى حد قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

● احدث العدوان استقطابا جديدا فى القوى العالمية .ففى حين وقفت معظم الدول الغربية ـ فيما عدا فرنسا ـ بزعامة امريكا فى صف اسرائيل ، اتخذت فرنسا الرسمية بزعامة الجنرال ديجول موقف الحياد وادانة اسرائيل بالعدوان ، ووقفت الدول الاشتراكية جميعها على اختلاف مراكزها ـ فيما عدا رومانيا التى اتخذت وضع الحياد المشوب بالميل نحو اسرائيل ـ موقف التأييد الكامل للشعوب العربية وادانة اسرائيل وقطع العلاقات الدبلوماسية معها . وقد استتبع ذلك الربط بين حرب الفيتنام وحرب الشرق الاوسط باعتبار ان مصدر العدوان واحد وهو السياسة العسكرية الامريكية التى تستخدم كلا من حكومة فيتنام الجنوبية وحكومة اسرائيل . الامر الذى يهدد بنسف قواعد التعايش السلمى ويفتح الباب امام صدام عسكرى واسع النطاق قد يودى بالعالم الى حرب عالمية جديدة .

● بعد وقف اطلاق النار فى ٩ يونيو ١٩٦٧ قاد الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية بالاضافة الى المساعدات حملة سياسية ودبلوماسية عالمية قوية لادانة اسرائيل . ودعا الى اجتماع طارىء للجمعية العامة للامم المتحدة من اجل استصدار قرار من المنظمة الدولية بذلك . ولكن الولايات المتحدة واصلت عدوانها فى الميدان السياسى مثلما فعلت فى الميدان الحربى . وتمكنت باستخدام ضغطها على دول امريكا اللاتينية وبعض الدول الغربية والافريقية من شل فاعلية الامم المتحدة ودفعها خطوات على طريق الهاوية لتلقى مصيرا مماثلا لمصير عصبة الامم المتحدة . وهكذا فشلت الجمعية العامة فى تطبيق الميثاق الدولى بادانة العدوان وسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى

تحتلها دون قيد او شرط . ولم يأت هذا الموقف من جانب امريكا كضربة سياسية للدول العربية ولفاعلية المنظمة الدولية فحسب بل وللاتحاد السوفيتي نفسه بشكل خاص. واثبتت الاحداث مرة اخرى ان هذه المنظمة ستظل عاجزة مادامت لا تشترك الصين في عضويتها من جانب وطالما ظل مقرها في نيويورك من جانب آخر .

● ترفض اسرائيل بمساندة الولايات المتحدة الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة . وتصدر التصريحات على اساس احتفاظها بهذه الاراضي مع ضم منطقة غزة والضفة الغربية للاردن وجزء من الاراضي السورية حول بحيرة طبرية . واقدمت على الرغم من قرارين للجمعية العمومية على ضم مدينة القدس العربية اليها مع طرد المزيد من شعب فلسطين من الاراضي المحتلة وتعذيب وقتل من يرفض الهجرة منهم . وهي تستهدف من وراء ذلك فرض وجودها بالقوة وقبول العرب لها واعترافهم بها من خلال مفاوضات مباشرة او غير مباشرة . وهو امر يصر العرب على رفضه بحسم كامل .

وازاء هذا اعلن العديد من الاسرائيليين الرسميين والدوائر الصهيونية والاستعمارية ان الحرب من وجهة النظر الاسرائيلية لم تحقق اهدافها بعد .

● عادت اسرائيل بعد وقف اطلاق النار الى الهجوم على المواقع المصرية في منطقة القنال فردت عليها القوات المصرية بسرعة وحسم وكبدتها خسائر جسيمة اثبتت باعتراف الاسرائيليين انفسهم ، قدرة القوات المصرية المسلحة وكفايتها . وارجح الاحتمالات أن هذه الهجمات الاسرائيلية كانت من قبيل جس نبض مدى القوى العربية العسكرية بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

● لا نكران للنكسة التي اصيبت بها الشعوب العربية بعد ٥ يونيو . ولا انكار ايضا عن ان جانبا هاما من الاسباب يكمن في التصور والاخطاء الذاتية لعدد من الاجهزة والمؤسسات العربية الداخلية . علاوة على عدم تكامل القوى العربية في كيان موحد من ناحية وعدم تنسيقها بالقدر الكافي واللازم من ناحية اخرى بينها وبين الدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي . وذلك على مستوى التنسيق القائم بين اسرائيل والقوى الامبريالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية .

● توحد الحركة الشعبية العربية — معنويا وماديا وحركيا — توحدا لم يسبق له مثيل في التاريخ العربي من أجل تخطي هذه النكسة ورد العدوان وعقابه أيا كانت التضحيات . وهي في سبيل ذلك ترفع شعار استمرار المعركة على جميع الجبهات: العسكرية والسياسية والاقتصادية .

والآن ماذا تعني عمليا هذه الخطوط الاثني عشر .. او بتعبير آخر ما هو اذن حقيقة الموقف المنبثق من هذه الارضية الموضوعية ؟

انه يعني بوضوح ان ((المعتدى)) — اسرائيل والامبريالية الامريكية اساسا — ازاء عدم نجاحها في اسقاط النظم التقدمية العربية او في فرض وجودها والاعتراف العربي بها لم يحقق بعد اهدافه من العدوان . او على حد تعبير الصهيوني الاحتكاري (روتشيلد) في بيانه الذي اصدره يوم ١٦ يونيو ١٩٦٧ بعد زيارة اسرائيل : ((**لقد انتصرت اسرائيل في الحرب على الصعيد العسكري . ونشعر جميعا باعتزاز عظيم ، ولكن هذا الانتصار لم يحل شيئا للآن . ان الشعب في اسرائيل مازال مجندا ويحتمل ان يبقى هكذا لمدة طويلة**)) .

بل ان هناك علاوة على ذلك بدء عملية تصفية جذرية للمصالح الامبريالية الامريكية والبريطانية في المنطقة .. وهو امر لا يستطيع الاستعمار الانجلو امريكي ان يقف تجاهه صامتا .

وهو يعني ايضا وبنفس الوضوح ان ((**المعتدى عليه**)) — الوطن العربي — ما يزال اجزاء من ارضه محتلة علاوة على فلسطين . ويعني هذا ان التوسع العنصري الصهيوني يمتد كاخطبوط لتحقيق هدفه في بناء ((اسرائيل الكبرى)) من النيل الى الفرات .. اي ان التوسع الاسرائيلي قد خرج من نطاق «فلسطين» ليعتدي

على اراض عربية اخرى ، رافضا الانسحاب مطالبا بالاعتراف الكامل به وبشرعيه اغتصابه للاراضي العربية وشريده للشعب الفلسطيني . وفي الوقت نفسه فشلت الامم المتحدة في مواجهة العدوان وادانته بحيث اصبحت عاجزة تماما عن الحركة في طريق الميثاق ومبادىء القانون الدولي . ونشط الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية وهولندا الى تزويد اسرائيل بمزيد من اسلحة العدوان والحرب . وسوف يزداد نشاطها في هذا المجال بازدياد موجه العداء العربيةللمصالح الامبريالية فيالوطن العربي واقترابها يوما بعد يوم من خطوة التصفية النهائية وخاصة في مجال البترول.

وهكذا نجد أنفسنا امام ((معتد)) لم يحقق اهدافه بعد من ناحية . ((ومعتدىعليه)) من ناحية أخرى يعاني احتلالا لارضه ، وتقفت أمامه الاسرة الدولية عاجزه تماما . وهذه المواجهة الحادة والعنيفة للجانبين ليس لها من معنى الا ان العدوان مستمر والمقاومة له مستمرة ايضا . وبالتالي فلا حل ممكن غير جولة جديدة من الصدام المسلح والسياسي فوق هذه الارضية . وذلك من زاوية كل من الجانبين على السواء.

ومن هنا يصبح خط الحركة الرئيسي في الوطن العربي هو مواصلة المعركة المسلحة لتحرير الارض العربية المحتلة .وفيضوء هذا الخط ومتطلباته السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية يجب رؤية جميع المشاكل والقضايا والامكانيات وحلها وتنظيمها وتعبئتها بما يخدم أولا وأخيرا فاعلية حركة هذا الخط قبل اى شيء آخر .

ولعل هذا يستلزم اول ما يستلزم ان ننظر الى الاخطاء التي وقعت نظرة نقدية مسئولة ، لا مجرد نظرة نقدية مجردة . بمعنى ان النقد المطلوب اليوم هو ((**النقد في حالة الحرب**)) لا ((**النقد في حالة السلم**)) . والنقد في حالة الحرب يتطلب تحديد الاخطاء وعلاجها بأسرع وقت وباقل عدد وضجيج ممكن من الاحاديث والكلمات .وفي اطار الالتزام بمسئولية مزدوجة ، هي الحرص على عدم اعلان ما قد يستفيد منه العدو من ناحية ، وما قد يسبب منبلبلة وتفكك لقوى الجبهةالداخلية منناحية أخرى.

واستمرار المعركة يعطي بطبيعته طاقة هائلة لسرعة وفاعلية العمليات الجراحية للتخلص من الاخطاء وعوامل القصور مهما كانت حادةومؤلمة . كما يعطي في نفس الوقت قدرة هائلة أيضا على سرعة التحام الجراح وشفائها ، واليقظة الغير عاديه للميكروبات المعادية ومقاومتها .

ولكي يتوفر جو « النقد في حالة الحرب » ينبغي أن ننظم قوانا على مختلف المستويات بحيث تنشغل الجماهير — جماعيا وفرديا — في ممارسة مسئوليات عملية محددة تصب كل جهودها في مجرى خدمة المعركة في مختلف المجالات .

واذا كان الهدف الاساسي من العدوان هو ضرب وتصفية دولة تحالف قوىالشعب العاملة التقدمية في مصر وقيادتها ، وكذلك النظم والقوى التقدمية في سوريا والعراق والجزائر وغيرها من بلاد العالم العربي ، ومنع تحولها نحو الاشتراكية .. فان القوى الجماهيرية الواجب تعبئتها وتنظيمها وتحديد مسئولياتها — جماعيا وفرديا — هي بالضرورة صاحبة المصلحة في استمرار هذه النظم وتحولها نحو الاشتراكية . وقد اكدت التجارب الانسانية أن هذه القوى تتكون أساسا من الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود الثوريين . غير انه بسبب ان « القضية » هي أيضا قضية قومية فان الرأسمالية الوطنية لها مصلحة في التحرير ومقاومة العدوان ، وبالتالي فهي جزء من قوى المعركة . ويجب هنا ان نميز دون مساومة او تهادن بين الرأسمالية الوطنية وبين قوى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة .. هذه القوى التي فقدت تاريخيا ومنذ ثورات العالم الثالث التقدمية الساعية نحو الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية جذورها الوطنية والقومية وأصبحت —بالمصلحة والمصير — جزء لا يتجزأ من القوى الاستعمارية العدوانية .

وهذا أمر جوهري ، لا نراه فقط بالنسبة للجبهة داخل كل بلد عربي بل للجبهة العربية على الصعيد القومي كله . وبدون هذا نقع فريسة التناقض بينهدف العدوان الاساسي في القضاء على النظم والقوى التقدمية وبين اشراك عناصر وقوى معينة في الجبهة ، هي حليفة للعدوان بالمصلحة والمصير . الامر الذى قد يؤدى في النهاية الى السماح لطابور خامس بالنفاذ والتخريب داخل صفوف قوى الشعب . ولا ينفي

هذا وجود حالات فردية بين الراسمالية الكبيرة وقفت بالفعل فى صف القوى الشعبية المقاومة للعدوان . ولكن هذه الحالات فى النهاية لا تعدو ان تكون استثناء من القاعدة العامة يجب ان توزن بحجمها الفردي الحقيقي لا بالحجم الطبقى العام .

ومن هنا فان القوة العربية الحاسمة فى مواجهة العدوان — فى رأينا — هى القوى الشعبية التقدمية . ومسئولياتها فى هذا الصدد — قياديا وحركيا — هى المسئولية الاولى والاساسية .. تتحرك بوعى وبمرونة على المستوى القومي العريض مستخدمة كل الطاقات والامكانيات المتاحة فى الوطن العربى ، وكاشفة فى الوقت نفسه — دون تردد — عن جيوب الانهزامية والتعاون المباشر أو غير المباشر مع قوى العدوان الامبريالى الصهيونى .

والواقع ان تجسيد هذا كله يتطلب اول ما يتطلب بناء وحدة القوى الثورية — داخليا وقوميا — من خلال مؤسسات سياسية طليعية قادرة على تعبئة واحتضان جميع الطاقات الشعبية لمعركة البناء والتحرير ، وعلى تربية رصيد متجدد دائما من الكادر المؤهل — سياسيا وعلميا وأخلاقيا — لان يكون دينامو الحركة فى كل مجال ، والمبادر الى التضحية ونكران الذات الثورى قبل أن يطلبه من الجماهير . وهذا العمل الجوهرى الذى اثبتت الاحداث ضرورته يجب ان يكون مسئولية الجميع وحق الجميع ، دون أن نلقى بكل المسئولية على القيادة الثورية وتتخذ موقف الانتظار والترقب للاوامر والتعليمات . وهذا يقودنا الى ضرورة تصفية كل ما كشفت عنه النكسة من عناصر بيروقراطية وانهزامية فى التنظيم السياسى .

وبهذا ندعم تيار الثورة بآفاقها الاشتراكية فى شعبنا ، ونعيد غربلة قواعد وعادات وتقاليد العمل والسلوك والعلاقات الاجتماعية بحيث ننقيها من كل ما هو متخلف ومعوق ومعاد للتقدم الصناعى اقتصاديا ، والاشتراكى اجتماعيا . وفى الوقت نفسه تنصهر الطاقات الشعبية فى سلسلة مترابطة وقوية من المقاومة لكل التحديات المعادية على طول وعرض واعماق الجبهات الداخلية والخارجية ة قادرة على الصمود ومحاسبة المقصرين أيا كانت مواقعهم .

واذا كانت حرب التحرير ومقاومة الاحتلال تستدعى بالطبيعة التضحيات بصفة اساسية ، فانها يجب ان لا تنتهى عند حد الصراخ «بالشعارات الحماسية» وكتاباتها على الجدران . وانما تترجم الى اجراءات واقعية تشمل الجميع وبدرجات محسوبة بدقة اجتماعية بحيث يتفاوت عبئها وفقا لدخول الافراد . اننا مطالبون على الاقل بان نوفر — عن طريق التضحيات وزيادة الانتاج معا — ما خسرناه خلال النكسة ودخل قناة السويس واعادة بناء قواتنا المسلحة ، على أساس انها اولا واخيرا درع حقيقى للشعب وثورته .

وأرضية المعركة تكشف عن نقطة هامة اخرى . وهى نوع العلاقات بين القوى العربية التقدمية — التى هى جزء من قوى العالم الثالث التقدمية — وبين الدول الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، وتعاونهما الضرورى والحتمى لمواجهة قوى الامبريالية والعدوان والحرب .

ان عدوان ٥ يونيو الانجلو امريكى الصهيونى على الشعوب العربية يأتى معاصرا للعدوان الامريكى على فيتنام وبعد اسابيع معدودة من الانقلاب العسكرى فى اليونان الذى خططته وكالة المخابرات الامريكية . وهو من ناحية أخرى يأتى بعد سلسلة من الانقلابات وتصدير الثورات المضادة ، واحيانا الغزو المسلح الى دول تقدمية فى العالم الثالث سجلت نجاحا فى معظمها وما تزال تهدد بالخطر البعض الاخر . ونذكر فى هذا المجال حالات كوبا والدومينكان وغانا واندونيسيا . وعدوان ٥ يونيو من ناحية أخرى قد فتح الشهية لممارسة اعمال عدوانية جديدة ضد الجزائر وغينيا ومالى وتانزانيا ويوغوسلافيا والمانيا الشرقية . أى ان العدوان يفكر ويعمل على توسيع دائرة نشاطه اليوم ليشمل أيضا البلاد الاشتراكية ، وخاصة بعد غاراته الجوية الشديدة والمتوالية على فيتنام الشمالية عضو المعسكر الاشتراكى .

ولقد انطلقت الدوائر العدوانية فى امريكا والمانيا الغربية تتحدث بصراحة عن امكانية استخدام اسلوب عدوان ٥ يونيو على الشعوب العربية لوضع حد لالمانيا الديمقراطية

بل وليولنداوتشيكوسلوفاكيا . وراحت ترى في عمليــة ضم اسرائيل بالقوة للقــدس العربية « **نموذجا لما يجب أن يتم لتوحيد مدينة برلين** » . (!)

ان الرؤية الشاملة لحركة العدوان الامبريالي الذى تقوده امريكا اليوم ، تؤكد ان القوى الاستعمارية تعتبر عدوان ٥ يونيو على الشعوب العربية هو الخطوة الحاسمة للانعطاف بقوتها التخريبية ضد الدول الاشتراكية . بمعنى ان حرب الشرق الاوسط هي موضوعيا آخر خطوة للوراء من جانب القوى التقدمية ، قبل أن ينفــذ اسلوب « الحروب الاقليمية المحدودة والسريعة »خلال ابواب العالم الاشتراكي نفسه .

ومن هنا بالدقة يثار امران جوهريان :

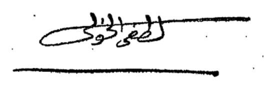
أولهما : ان قوى العدوان الامبريالية قد خربت اسس وموازين القوى التقليدية لسياسة التعايش السلمي ، بحيث ان استمرار هذه السياسة على النحــو القــديم يعني تصفية ثورات التحرر والاشتراكية تدريجيا لحساب القوى العدوانيـــة ، وان الامر اصبح يستدعى تغييرا جوهريا وسريعا فيأسس وعلاقات القوى العالميةلسياسة التعايش السلمي بحيث يمكنها من الرد بقوة وحسم وسرعة على العدوان وحروبه الاقليمية المحدودة وصيانة السلام العالمي في نفس الوقت . وهذا جهد ليس مطلوبا فقط من الدول الاشتراكية بل ومن العالم الثالث ايضا ، والا كان معنى ذلك اننا نفصل عمليا بين قضية الحرية والتقدم وقضية السلام العالمي .

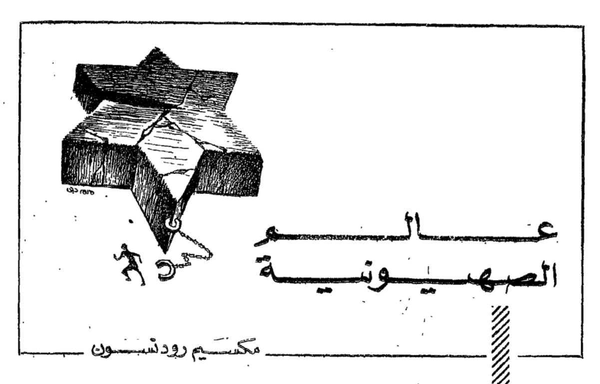
وثانيهما : ان العلاقات بين الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي وبين دول العالم الثالث التقدمية يجب ان تتوثق بكفاية مساوية على الاقل لكفاية العلاقات بين قوى العدوان . بحيث يمكن باستمرار المبادرة بفتح جبهات حرب تحريرية وثورات تقدمية مدعمة بكل القوى والامكانيات المادية والعسكرية الحديثة ردا علىاستراتيجية وتكتيك الحروب الاقليمية المحدودة والسريعة . وبتعبير آخر فان المطلوب هو أنتنتظم العلاقات التقدمية بشكل يتيح لها فرص المبادرة من جديد وبلا حدود وعلى نطاق واسع . وهذا يستلزم بالضرورة تغيير خطة التسليح لدول العالم الثالث من طابعها الدفاعي البحت الى طابع دفاعي هجومي معا .

وبعـــــد ..

ان نقطة البدء الاساسية في علاقاتنا الدولية هي بالدقة تلك الصداقة العميقـــة المخلصة التى اكدتها الاحداث التاريخية بيننا وبين العالم الاشتراكي وفيمقدمتها الاتحاد السوفيتي . وفى هذا الاطـــار يجب دائما ان نقيم العلاقةونطورها . ولقدسبقانأثيرت خلال ندوة الاشتراكيين العرب المنعقدة بالجزائر في شهر مايو الماضي وبحضـــور مراقبـــين من الاتحـــاد الســـوفيتي والبلاد الاشتراكية ، قضيـــة العـــلاقات بين الدول الاشتراكية وبلاد العـــالم الثالث التقدمية وما ظهر خلالها من وجــــود بعض الخلافات في وجهات النظر حول عدد من القضايا السياسية والاقتصادية . واقترحنا في هذا الصدد تنظيم لقاء مشترك لبحث هذه الخلافات وعلاجها موضوعيا قبـــل ان تستفحل ويستفيد منها العدو المشترك .

ولقد جاء عدوان ٥ يونيو ليعطى ابعادا محددة لهذه الخلافات ، التي يجب انتعالج فياطار مسئول من الصداقة والتعاون العميقين . والوقت يمر سراعا والعدو لا ينفك عن الحركة والنشاط الاجراميين . وواجبنا في كلمكان انتتحرك بأقصى سرعةوبأعمق وعى بالاحداث واتجاهها ، من اجل تنظيم علاقات القوى التقدمية في العالم تنظيمــا جديدا وفعالا لمقاومة الموجة العدوانية العنيفة المستشرية ، وردعها لصـــالح حركة الحرية والسلام والاشتراكية في عالمنا المعاصر .





كاتب هذا المقال هو المفكر الفرنسى الاشتراكى مكسيم رودنسون ، الاستاذ بكلية الدراسات العليا العملية بجامعة السوربون .

وينصب المقال على تحديد تاريخ وابعاد عالم الصهيونية وتجسيدها فى اسرائيل التى يصفها الكاتب بأنها محكوم عليها بسبب طبيعتها وظروفها ان تكون عدوانية وان تستند الى العالم الاوروبى الامريكى ضد الشعب العربى الذى تسوده مثل وتطلعات العالم الثالث .

ويقود رودنسون — وهو من اصل يهودى — مع زملائه الاساتذة جاك بيرك وشارل بتلهايم وهنرى لوفيفر وغيرهم حملة تنوير شجاعة وموضوعية فى اوساط الراى العام الاوروبى للقضية الفلسطينية ، وخطر الصهيونية كحركة مرتبطة بالاستعمار العالمى ضد الشعوب العربية ، وضد قضية اليهود فى العالم فى نفس الوقت .

والطليعة ، رغم ما هناك من اختلافات فى وجهات النظر ، فانها تنشر المقال لهدفين اساسيين :
اولهما : تعريف الراى العام العربى بمواقف واتجاهات ورؤية اصدقاء حركة التحرر العربى فى الخارج لقضية الصراع العربى الاسرائيلى .
وثانيهما : ان هذا التعريف هو الخطوة التمهيدية الضرورية لتحديد اسلوب عربى جديد وفعال لمواجهة الدعاية الاستعمارية الصهيونية فى مجال الاعلام . فمثل هذه المقالات الصديقة فى جوهرها تكشف عن المفتاح المناسب لابواب الرأى العام العالمى حول هذه القضية المصيرية .

المرة الثالثة فى ٢٠ عاما ، يتخذ النزاع بين العرب واليهود على ارض فلسطين ابعاد مشكلة عالمية ، واصبح هذا النزاع مشكلة تحتل مكان الصدارة فى الصراع الخفى او المكشوف بين الدول الكبرى . فمنذ عام ١٨٨١ ، تاريخ بدء الاضطهادات الكبرى المعادية للسامية فى روسيا ، تلك الاضطهادات التى تسببت فى هجرة متزايدة نحو فلسطين — مع بقائها رغم ذلك وقتذاك محدودة من الوجهة المطلقة ، وبالمقارنة الى الهجرة اليهودية نحو اوربا الغربية والولايات المتحدة — منذ هذا التاريخ ، بدأت تبرز حالة توتر فى الارض المقدسة . ومنذ تأسيس الحركة السياسية المعروفة بالصهيونية فى مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ ، اصبحت المشكلة مطروحة على يد تيودور **هرتزل** وخلفائه ليصبح موضوع تأملات وحسابات الدول العظمى ، فى ذلك الوقت بعد ١٩١٧ ، تاريخ **وعد بلفور** ، اتخذ صراع المصالح والتطلعات بين العرب والصهاينة طابعا متفجرا — ولكن فى عام ١٩٤٧ ، تصاعدت المشكلة لتصبح احدى المشاكل العالمية الكبرى .. ونحن ننتظر الان اللحظة التى تفقد فيها هذه المشكلة ذلك الطابع ، راجين ان يحدث هذا بأقل الاضرار الممكنة .

لقد كان اليهود — المعروفون ايضا بالعبريين او الاسرائيليين — يشكلون فى العصور القديمة ، شعبا يحتل منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، الارض التى سميت فيما بعد بأرض فلسطين — وكان هذا الشعب ، وفقا لما كان يجرى وقتذاك ، قد اباد جزءا من القاطنين السابقين واستوعب

جزءا آخر باسم الاله يهوة . وكان هذا الشعب فى مجموعه شعبا من المزارعين العنيدين . وقد تحملوا متعرجات سياسة الشرق الادنى فى تلك العصور . وبعد انتصارهم على الشعوب الصغيرة المجاورة ، امتصتهم عمالقة العصور القديمة : اهل آشور وبابل وفارس ، فالدولة الاغريقية الهلينية فالامبراطورية الرومانية — وكان شانهم شأن العديد من جيرانهم السوريين والفينيقيين والكنعانيين هجروا الى اماكن متفرقة من العالم . ولكن بعضهم تمسك بالاله القومى « يهوة » وبقدس اقداسهم فى اورشليم . وقد حطم نيتوس فى ارض فلسطين ارادتهم فى الاستقلال فى عام ٧٠ بعد الميلاد . كما قمعت محاولة اخيرة للتمرد فى عام ١٣٥ .

وحين فقدوا وطنهم القومى احرز دينهم انتصارا لم يكن متوقعا وان كان مذهلا غامضا .. نتيجة لعوامل لا يتسع المجال هنا لتحليلها برز رجال تميزوا بنظرة نفاذة فريدة هم كبار انبياء اسرائيل ، وقد حولوا « يهوة » من اله احد المعابد الى اله الكون كله . لقد كونوا عبر انطلاقة ثورية ايديولوجيه ارتفعت فوق ايمان الاجداد المرتبط عضويا ببقعة صغيرة من شرق البحر الابيض المتوسط وقد زاحمته عناصر سحرية متنوعة . لقد تقدموا باخلاقيات شمولية كما تمسكوا بنقاء الايمان . ورغم العودة الى شكل من اشكال التعصب القومى والى الطقوس التقليدية ، جذبت هذه الايديولوجية العالم الاغريقى الرومانى ، ولكن احد الاتجاهات التى اصابت اليهودية بالهرطقة اصبح يمثل امتدادا لتطلعات الانبياء العظام ، وارتبط بذكرى نبى عذب هو يسوع الناصرى، وهو الذى كتب له ان يغزو العالم متحررا الى اقصى حد من كافه الخصائص الذاتية لليهودية التالية لكبار الانبياء .. وفى عالم البحر الابيض المتوسط الذى اصبح مسيحيا فى عهد قسطنطين فى القرن الرابع بعد الميلاد برزت اليهودية كأيديولوجية مهزومة امام دين قوى نشأ من صلبها . وتحول اهل فلسطين الى المسيحية — شأنهم فى ذلك شأن غيرهم — الى ان تحولوا الى الاسلام فى القرن السابع الميلادى . ولم يعد اليهود أمة حتى ولو نظرنا اليهم كأشتات من المهاجرين ، بل كسلسلة من الطوائف زادت انطواء على نفسها وعوملت أكثر فأكثر كمراكز معارضة مهزومة لا يربطهم غير العقيدة والطقوس والتقاليد المشتركة ، وقد اعتنق الكثيرون منهم الدين السائد ، المسيحية أو الاسلام . وبقيت نواة صلبة ونقية تحيى عقيدة الاجداد ، وتثأر لكرامتها الجريحة بصورة تعمقت على مر الايام بتطلعات الخلاص التى تنطوى على أمل العودة الى صهيون — وهو الاسم الشاعرى القديم لاورشليم — فى نهاية الايام . واصبحت فلسطين الاسلامية باقلياتها من المسيحيين واليهود اقليما داخل العالم الاسلامى ، وهى تتبع فى ذلك المصير المشترك للشرق الادنى .

ولكن كل شىء تغير بيقظة اوروبا والثورة الفرنسيه ، وكان لانتشار « العلمانية » فى غرب اوروبا ان اصبحت الفواصل بين الطوائف الدينية شيئا عتيقا ، واصبح اليهود فرنسيين وانجليز .. الخ . لهم عقيدة يهودية ويتمتعون على قدم المساواة بصورة تأكدت على مر الايام فى الحياة المشتركة للشعوب بعد ان كانوا يعاملون معاملة الجسم الغريب . واخذت تتعدد الزيجات المختلطة والتدين بالدين السائد . ولم يعد هناك فى نظر الكثيرين منهم ما يربطهم بشعب فلسطين القديم او بالدين اليهودى عقيدة الاجداد التى انفصلوا عنها . لقد اصبحوا فرنسيين وانجليز .. الخ ، ملحدين او خلويين شانهم فى ذلك شأن غيرهم ممن ينتسبون الى المسيحية .

وقد تعرض هذا الاتجاه لضربة مفاجئة بعد عام ١٨٨١ من جراء موجة العداء للسامية التى اجتاحت اوروبا والتى كانت حتى ذلك الوقت تتسم بالاعتدال ، لقد كان النظام القيصرى اولا ثم سياسة بعض الطبقات المهددة من جراء التحولات السياسية والاجتماعية فى اوروبا ثانيا يستخدمون بوعى آثار الاحقاد الدينية المنتمية الى العصور الوسيطة ، وقد ايدتهم فى ذلك المشاركة الحماسية للكنيسة الكاثوليكية بغية صرف موجات الغضب والكراهية ، نحو اليهود .

وكان يمكن لليهود ان يتلقوا هذه الضربة بردود افعال مختلفة . فكان هناك من حاول الخروج من المأزق فرديا وان يخفى يهوديته بالتأقلم ، بدافع من الخوف . وكان يمكن انتهاج طريق النضال الثورى ضد النظم الاجتماعية القائمة بالتعاون الوثيق مع غير اليهود . وفى اوروبا الشرقية حيث كان اليهود يشكلون شبه امة تجمعت فى هذه المنطقة بلغتها وثقافتها المتميزة ، اللغة والثقافة « البيدش » بدأت تتشكل قومية ثقافية محلية ذات اتجاهات تميل الى الاشتراكية هى ايديولوجية البوند ، الحزب الاشتراكى اليهودى فى الامبراطورية الروسية .

يهوه

كان واحدا من الالهة العبرية المنتشرة بين اليهود ، و « يهوة » ليس اسما لهذا الاله القديم ، وانما هو اشبه بالنداء المقدس للاله القومى الذى اختير من بين جميع الالهة العبرية ليحل مكانهم جميعا ، ويصبح هو « الاله الواحد » و « الاعلى » و « اله السماء » و « ملك السماء » . وفيما بعد اصبح يدعى « اله اسرائيل » الذى وحدهم فى عقيدة واحدة وطقوس مشتركة .

وظهر رد فعلّ اكثر تطرفا فى اتجاه التعصب القومى هو حركة الصهيونية السياسية التى انشأها اليهودى المستوعب ، النمساوى تيودور هرزل . لقد انفعل هرزل بقوة بمظاهرات الجمهور الفرنسى ضد دريفوس وخرج بنتيجة فى تشخيص الموقف اتفق فيها مع المعادين للسامية : ان يهود اوروبا يشكلون عنصرا غير مستوعب وغير قابل للاستيعاب فى المدى الطويل ، وليس ثمة علاج سوى الرحيل وتكوين امة مستقلة ، كان ينبغى تكوين دولة يهودية : يهودية صرفة ، فى مكان ما .. اين ؟ طرحت امكانيات عديدة للبحث ، منها الارجنتين . ولكن فضلت فلسطين وطن اليهود القديم الذى هجر منذ الفى عام . وبالفعل كانت مشاعر العودة لدى اليهود المتدينين والاحاسيس المنقولة من تمثل نصوص التوراة وحتى التقاليد لدى كثير من اليهود الذين اذيبت يهوديتهم . ان كل هذه العوامل كانت تسمح بتعبئة اكثر فعالية من اجل تحقيق هذا الهدف .

التوطن والنضال

كانت فلسطين فى ذلك الوقت اقليما عربيا يتبع الدولة العثمانية . ولكن لم يكن يبدو ذلك عائقا . ففى عام ١٩٠٠ لم تكن مشاريع الاستعمار ينظر اليها نظرة عدم الرضا التى ننظر بها اليوم . وكانت تعتبر كانما تحمل التقدم والحضارة الى شعوب تتفاوت درجات تخلفها .. حتى اذا تطلب ذلك طردهم من اراضيهم او اخضاعهم بصورة او اخرى . لهذا ليست مصادفة ان هذا المشروع الاوروبى لم يكن يعترضه الاحساس بأنه قد يلقى عدم القبول من جانب السكان الاصليين لارض الميعاد القديمة . وكان من الطبيعى فى ذلك الوقت ان تقتصر الاستراتيجية المخططة على احراز موافقة دولية او عدد من الدول الكبرى مقابل امتيازات يمكن للمعمرين ان يقدموها . وكانت مصطلحات مثل الاستعمار او المستعمرة مستخدمة دون ادنى حرج من جانب رواد الصهيونية الاول . كتب هرزل : « **فى نظر اوروبا نحن نشكل هناك جزءا من قلاعها المنيعة ضد آسيا سوف نكون الديدبان المتقدم للحضارة ضد البربرية** » .

لقد حددت الحرب العالمية الاولى بداية تنفيذ البرنامج الصهيونى . ولم يكن تنفيذ هذا البرنامج ينهض على المستعمرات الزراعية الصهيونية الصغيرة المتناثرة والمقيمة منذ اربعين عاما فى فلسطين (٨٥ الف يهودى لم يبق منهم غير ٥٦ الفا اثناء الحرب مقابل ٥٠٠ الف عربى) وانما كان نتيجة حسابات بريطانية فى السياسة الدولية دعمتها التعاليم التوراتية الغائرة فى اعماق الوجدان الانجلوسكسونى . وسمح وعد بلفور الذى اصدره وزير الخارجية البريطانية فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بأن يشكل اليهود فى فلسطين وطنا قوميا . ويلاحظ انه روعى بوعى استخدام هذا التعبير الغامض ، وقد وضع وعد بلفور موضع التطبيق بفضل انتصار بريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية حليفة المانيا والنمسا . واكتسب الوعد قيمة قانونية بعد قرار الانتداب الذى منحته عصبة الامم لبريطانيا العظمى عام ١٩٢٢ . وحينذاك عرف « الوطن القومى اليهودى » بأنه يستبعد مشروع دولة يهودية . وكان ذلك التفسير الرسمى الذى قبلته القيادة الصهيونية مع محاولتها ايجاد الوسيلة للتغلب على هذه العقبة ، وبفضل الحماية البريطانية ، وايا كانت ردود افعال الموظفين البريطانيين المحليين ، اخذت الهجرة اليهودية الى فلسطين تزداد بالتدريج ، وبدأت تتخذ ابعادا هامة ، فقط بعد وصول هتلر الى الحكم . وكانت المشاريع العديدة لتشكيل دولة مزدوجة القومية يهودية عربية فى فلسطين تصطدم دائما بمشكلة رئيسية هى حرية الهجرة . ففى هذه الدولة كان العرب وهم يشكلون الاغلبية — لا يريدون الخضوع لسيطرة غيرهم . وكانوا يعلمون ان حرية الهجرة ستنتهى بتحويل اليهود الى الاغلبية .

وبالفعل ارتفعت نسبة اليهود فى فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى من ١١ ٪ فى ١٩٢٢ الى ٢٨ ٪ فى ١٩٣٦ الى ٣٢ ٪ فى ١٩٤٣ . وكان رد فعل العرب عنيفا لتبينهم ان فلسطين فى ظل الحماية الاوروبية اصبحت تتشكل بها الظروف التى تنبىء بطردهم من اراضيهم . واخذ ينتاب الانجليز الشعور بأن العرب بدأوا ينظرون اليهم نظرة العدو . واخذوا فى سياستهم يتجهون اتجاها مغايرا .. فكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب ، وكان لعطف العرب وزنه ، واصدرت بريطانيا فى ١٩٣٩ كتابا ابيض قررت فيه الحد من الهجرة مجهضة بذلك الامال فى تشكيل دولة يهودية .

عندئذ بدأ التمرد اليهودى وتحولت بريطانيا من قوة تحمي الى عدو ، وبدأ المتطرفون اليهود النضال الارهابى ضد المحتل البريطانى . واخذوا يجرفون معهم اغلبية سلطات « اليشوف » — اى المستعمرة — ويقصد بذلك الطائفة اليهودية فى فلسطين فى ١٩٤٧ ، وقد اخذ الانجليز يشعرون بعجزهم عن الحفاظ على النظام . وفى وجه صعاب عديدة اصبحت تواجههم فى كل مكان ، قرروا ان يتخلوا عن « مسئوليتهم » بغير التخلى عن نواياهم الخفية . ومن ثم تركوا لهيئة الامم البت فى الامر . وفى نوفمبر ١٩٤٧ اصدرت قرار التقسيم بموافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وبمقتضى هذا القرار كان من المفروض اقامة دولة يهودية واخرى عربية فى فلسطين . وقد وافق اليهود على ذلك ، لانهم قد حققوا المبدأ الذي يسعون اليه حتى مع التسليم

من وجهة نظرهم بأن الحدود التي فرضت لدولتهم بقيت دون ما يسعون اليه . ورفض العرب هذا الاقتطاع لجزء من ارضهم .

وبدأت الحرب في الحال ، بين العرب واليهود . اعلن تأسيس الدولة اليهودية بمجرد مغادرة آخر جنود بريطانيا في ١٥ مايو ١٩٤٨ ودخلت جيوش الدول العربية فلسطين . لم تستطع الا ان تحتل جزءا من الاراضي التي منحتها هيئة الامم للعرب . وانتصر الصهاينة في الحرب وقتذاك بفضل تفوق كادرهم الفني والعسكري والسياسي وبفضل وحدة شعبهم وتعبئته الشاملة . وايضا بفضل المساندة المالية من جانب يهود امريكا . لقد تلقوا اسلحة تشيكية كما حصلوا على اسلحة من جهات اخرى واستفادوا من الهدنتين اللتين قررتهما هيئة الامم . وقد هزم العرب بسبب عدم وحدتهم وحسابات قادتهم المتضاربة وطول خطوط مواصلاتهم والمبالغة في الشعور بالثقة عند بداية المعركة . وما حدث بعد ذلك معلوم عند الجميع .

صورتان متناقضتان

لن اتناول تفصيلا التطورات اللاحقة للموقف ، واكتفى بأن ارشد القارىء الى مقالي بالعدد الخاص من مجلة « الازمنة الحديثة » عن النزاع العربي الاسرائيلي ، وحيث افسح لي مجالا اوسع للعرض . وحسبي ان اشير الى احدى نتائج ما سبق عرضه . فليست هناك واقعة واحدة تدحض التصور الذي يرى العرب منه هذا النزاع . انهم ينظرون الى اليهود الصهاينة بوصفهم معمرين يستندون الى العالم الاوروبي الامريكي في مجموعه . ومن الوجهة التاريخية لا يمكن الا ان نسلم بصحة هذا الراى . ويجيب الاوروبيون على ذلك باندهاش « .. ولكنهم يهود » ! وهم يقصدون بذلك انهم يمسون بهذا الموقف اناسا اسهم بعضنا في ابادتهم ، وسمح معظمنا بأن تتم هذه الابادة بغير وجه حق . وكان للايديولوجية التي صنعناها عن عالمنا تمهد لاعتبار ان اليهود محكوم عليهم بالابادة . واليهود بيننا معرضون باستمرار لعمليات ابادة جديدة . نحن لا نستطيع ان نضمن ان عالمنا لن يفرز جلادين جددا وقتلة جددا . فكيف يمكن التخلي عن هؤلاء الناس ؟ ويجيب العرب : هذه مشكلتكم .. اننا لا نستطيع ان ننظر الى اليهود الا من وجهة نظرنا . وليس علينا ان نتحمل اعباء جرائمكم في الماضي والمستقبل . لقد جاءوا الى ديارنا كمعمرين غزاة وارادت دولكم العظمى ان تفرضهم علينا . وقد اخذهم شعور مفاجىء بالتصدق الذي لا حدود له على حساب الاخرين ، اى على حسابنا . فاذا سلمنا بأن اضطهادهم قد منحهم امتيازا فلماذا لا تعترفون لهم بهذا المركز في داخل مجتمعاتكم ؟ فنحن على استعداد لعمل دولي من اجلهم بشرط ان يتحمل الجميع عبء التعويضات بصورة متكافئة . ولكننا لا نريد ان نمنحهم امتياز فئة مضطهدة ومعذبة على حسابنا وحدنا .

الا ان اليهود في كافة ارجاء العالم شعروا اكثر فأكثر بتضامنهم ازاء « الييشوف » الفلسطيني الذي بلور في صورة دولة اسرائيل . فقبل الحرب العالمية الثانية كان الصهاينة يشكلون حركة لا تمثل سوى الاقلية في عالم اليهود . وكان الذين لاينتسبون الى الصهيونية ، وحتى المعادين للصهيونية هم الاكثرية بشكل واضح . فان الاتجاهات الدينية اليهودية بعد ان اعترضت بقوة ، وفي مجموعها ، على الصهيونية بوصفها حركة لا دينية متعصبة قوميا فقد اخذت تقلل من تحفظاتها مع حرصها على موقف الحذر فيما بين الحربين . ولكن عمليات الابادة الهتلرية ، ثم انشاء اسرائيل تغلب على كثير من التحفظات السابقة ، وبدأت تظهر عملية الاستيعاب في اوروبا كعملية غير ثابتة . وأوحت نجاحات اسرائيل بروح الاعتزاز عند اليهودي ، بخاصة ان الصهيونية الممارسة في باريس او لندن او نيويورك لا تنطوى على اخطار او على معاناة ويكتفي ببعض المعونات والاجتماعات لترضية الشعور بأن كل يهودي قام بواجبه ازاء شعبه الذي طال عذابه . ومن المعترف به حتى لدى غير اليهود وعند اليهود غير الصهيونيين ان اسرائيل قد حققت مزايا لكل من ينتسب اليها من قريب او بعيد . بعض هذه المزايا لايقبل الجدل ، ولكن لابد من تأمل السوءات الى جانب المزايا . فليس صدفة ان عنون اليهودي المعادي للصهيونية الامريكي د . ليليان تل كتابه « ثمن اسرائيل » .

ففي العالم العربي الذي بقي طويلا بعيدا عن مشاعر العداء للصهيونية فرض العداء

الييدش

ظهرت هذه الكلمة في البداية بين اليهود الالمان ، ولكنها فيما بعد اصبحت اللغة السائدة بين اليهود البولنديين والروس الذين رحل معظمهم الى بولندا من الراين ليكونوا طبقة تجارية تقع في الوسط بين النبلاء وعبيد الارض . ولقد حافظوا على لسانهم الالماني . على ان الكتابة والطبع كان يتم في الحروف العبرية ثم عادوا فتخلصوا من الهجاء الالماني بقواعده النحويه وصرفه . وحينئذ زاوجوا بين الخط العبري والكلمات والتعبيرات الاراميه جنبا الى جنب مع السلافيه والبولندية والروسية . اما الخط العبري والكلمات الاراميه فقد وفدا من التوراة والتلمود ، والثقافة الييدشيه هي مجموعة الاداب المكتوبة بهذه اللغة في بلدان اوروبا الشرقية وفي مقدمتها بولندا .

الصهيونية من جراء الموقف فى فلسطين حساسية مفرطة ومعممة حيال اليهود . وقد ترتب على ذلك مغادرة عشرات الالاف من اليهود من البلدان العربيه ، وان لم نذكر فى هذا الصدد وقوع بعض عمليات الاضطهاد فعلا فى بعض الاماكن . فهو ليس بدون ثمن ان يستطيع « اليشوف » اليهودى فى فلسطين ان يعلن ان كل اليهود لابد ان يتضامنوا مع اسرائيل . ومن الوجهة الظاهرية لابد انهم متضامنون بالفعل .

حل المشكلة : التجرد من الصهيونية

ان اليهود فى العالم كله بما فى ذلك هؤلاء الذين ليسوا يهودا الا بالمعنى الهتلرى أو الصهيونى للكلمة ، اى بوصفهم احفاد الاولين الذين انتموا الى الدين اليهودى ، ومنهم كاتب هذه السطور ، فانهم جميعا موضع تورط ازاء الاختيارات والقرارات السياسية لامة هى امة اسرائيل على الرغم من انهم لا يملكون من الامر شيئا فى الاشراف او الرقابة على هذه الاختيارات وتلك القرارات . والموقف يتسم بأوجه مقارنة عديدة ، فضلا عن جوانب اختلاف عديدة مع موقف الكاثوليك فى العصر الذى اصبحت فيه الدولة البابوية تناضل من اجل سلطة « زمنية » بتحالفاتها وانقساماتها ومعاركها مع او ضد هذه او تلك من الدول بهدف تملك بعض القرى فى ايطاليا . فقد اصبح هناك يهود كثيرون فى وضع الانتماء الى وطنين . لقد رأينا ذلك فى باريس خلال الايام الاخيرة . ويمكن ان يترتب على ذلك عواقب وخيمة .

غير ان تسوية المشكلة لا يمكن الا ان تتم فى الشرق الاوسط ، فالى الان عرضت اسرائيل على العرب التفاوض بغير شروط مسبقة ، ولكن هناك دائما شرطا ضمنيا . وبما ان العرب لم يعترفوا ابدا بما فرض عليهم من اقتطاع جزء من ارضهم ، فان مجرد الجلوس على مائدة واحدة مع اسرائيل للتفاوض هو فى حد ذاته تنازل رئيسى لا يمكن ان يقبلوه بدون مقابل . واسرائيل ترفض كل مقابل ، تارة بحجة حقوقها التاريخية **« وهى حقوق زالت منذ الفى عام بمقتضى المفاهيم الشائعة عن الحقوق التاريخية . ولكن تكتسب اهميتها من الايديولوجية الصهيونية » وتارة بحجة « امتياز » الشعب المضطهد .**

وبناء على ذلك بات الحوار مستحيلا ، والتوتر متصل على الحدود التى ما هى الا خط وقف اطلاق النار . وقد استقرت دائرة جهنمية من الهجمات والهجمات المقابلة . وكما قيل ان اسرائيل محكوم عليها بالعدوان ، كما هو محكوم عليها ان تستند على العالم الاوروبى الامريكى الذى خرجت من احشائه ضد شعب تسوده مثل وتطلعات العالم الثالث . ان اسلحة اسرائيل نتيجة لعزلتها وما يحيط بها من تهديدات فى ارض نائية لا يمكن الا ان يكون لها سندا خارجيا ، سندا من قبل الدول التى تناهض تطلعات العرب . وبالتالى تطلعات العالم الثالث . كما ينبغى ان ترتكز على قدره على الهجوم المباغت العنيف بهدف ارهاب القوى التى تحاصرها .

لم يبق سوى طريق واحد مفتوح . وقد اصبح هذا الطريق الاخير اصعب من اى وقت مضى بعد الصدام الاخير . هذا الطريق هو ان تحظى اسرائيل بقبول عالم الشرق الاوسط المحيط بها والتى جاءت تفرض وجودها داخله بارادتها المنفرده ، وذلك عن طريق مجموعة من التنازلات العظمى . ولكن الايديولوجية الصهيونية تحول دون ايجاد تسوية من هذا القبيل : فاذا كان من حق اسرائيل ان توحد فلماذا يتعين عليها ان تعطى تعويضات ؟ ولذلك فالحل الوحيد هو تجريد اسرائيل من الصهيونية ، فهذا الاحتمال لا ينبغى النظر عليه على انه مستبعد تماما بشرط توافر قسط من الزمن ، طويل نسبيا ، وبشرط انزواء التهديدات التى تدعم الوحدة الداخلية وتقوى الايديولوجية الصهيونية داخل اسرائيل . فالمهاجرون اليهود الذين وفدوا من اوروبا لا يشكلون اليوم الاكثرية فى اسرائيل . والجيل الجديد الذى ولد هناك ، وكذلك يهود البلدان الشرقية ، والذين يتحدثون باللغة العربية ، هم الذين يشكلون هذه الاغلبية . فاذا انزوت التهديدات فمن المتصور حدوث هذا التحول داخل اسرائيل ، اى الى دولة يغلب عليها الطابع الشرقى . وهو الامر الذى يخشاه قادة اسرائيل بقوة . وكذلك اذا ارتد العداء للسامية فى اوروبا بصورة دائمة ، فلن يفكر اليهود الاوروبيون والامريكيون فى الهجرة الى هذه الارض الجرداء والتى لم يكن من الممكن تحويلها الى ارض مضيافة الا بعد جهود خارقة وهى خاضعة دائما للتهديد . ولا ينبغى ان ننسى ان فى عام من الاعوام قبل صعود هتلر الى الحكم كان عدد اليهود الذين هجروا فلسطين اكبر من عدد من توافد منهم اليها .

طبعا ، لا توجد ارضية واسعة للاخذ بهذا الاحتمال فى الظروف الراهنة ، وذلك اذا استثنينا امكانية مفاوضة تمس جذر المشكلة بتشجيع من الدول العظمى . ولكن هل هناك امل آخر ؟ فقد وجد فى ازمنة غابرة « يشوف » اخرى فى ارض فلسطين ساندتها ايضا قوى اوروبية فى قلب عالم مناهض . وقد تمتعت هى الاخرى بلحظات انتصار . ولكن هؤلاء الذين فرضت عليهم هذه « اليشوف » تمكنوا من ان يتحدوا ويزيدوا من قوتهم وان يلقوا بهم الى البحر . اقصد دول الصليبيين ، ومن احلامهم لا يبقى اليوم سوى بعض الانقاض الباذخة وبعض الحدائق على الاورانت (Orante) الا يمكن لعبر التاريخ ان تفيد ، ولو مرة واحدة ؟

نقطة البدء
في مواجهة الصهيونية

د. وليم سليمان

الارض هي محور النزاع العربي الاسرائيلي موقف العرب منها واضح تماما وبسيط : هي وطنهم الذى عاشوا فيه مئات السنين . وكانوا فيها يوم ان بدأت ارحال الوافدين تحط على شواطئها وتنتشر فى بقاعها . هذه الحقيقة الواقعة تعني فى نفس الوقت ان الصهيوني الوافد ليس — ببساطة — الا مغتصبا .

فكيف يبرر الصهيوني عمله هذا ؟

محاولة الاجابة عن هذا السؤال من وجهة نظر العدو نفسه اصبحت ضرورة لازمة . لانه ليس يكفى ان اكون مقتنعا بحقى على اساس ما اقبله من حجج . بل لابد من معرفة اسانيد العدو لتكون مواجهته على نفس مستوى قوته — على الاقل .

كان **تيودور هرتزل** مؤسس الحركة الصهيونية وقائدها الرئيسي قد شدد فى مذكراته على اهمية طرد الفلاحين العرب من اراضيهم واستنبط لتحقيق هذه الغاية وسائل متعددة . وقد كتب احد قادة التكتلات العمالية فى الارض المحتلة يشرح كيف تم تنفيذ هذا المخطط ، قال : « لقد تم شراء الارض التى اقيمت عليها مستعمرات (**كيبوتزات**) الهستدروت (اتحاد العمال الصهيوني فى فلسطين) من الاقطاعيين غير المقيمين (فى اراضيهم) وجرى إبعاد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة او بدون تعويضات على الاطلاق . وكثيرا ما تعرض الفلاح العربي وعائلته الى الاجلاء القسرى لرفضه النزوح عن الارض . وكان شبان المستعمرة (الكيبوتز) العتيدة يسارعون الى طرد الفلاح العربى بالقوة ويستعينون بالشرطة احيانا . وكثيرا ما كانت « عودة النظام » تعنى اراقة دم الفلاح العربى »

ولقد كانت الصياغة النظرية لهذا العدوان عملا بالغ المهارة ، قدمه الصهيونيون للعالم خداعا قل أن عرف الانسان نظيرا له . وخلال سنوات طويلة من التخطيط والجهد والمكر — كان الكيان اليهودي فى « الارض » يثبت اقامته على أسس عقائديه عدوانية وضعت التنظيم العملى المناسب لتتحول الى واقع تحتشد حوله جموع المتعصبين المستنفرين . وهكذا نشأ ارتباط وثيق نادر المثال بين الاساس الفكرى للحركة الصهيونية من جهة والتخطيط الصهيوني وشكل تنفيذه من جهة اخرى

فعلى الرغم من ان الحركة الصهيونية هي فى صميمها حركة علمانية — الا انها استغلت العقائدية اليهودية لتحقيق اغراضها . وهكذا تقدمت لجموع اليهود المنعزلين داخل احيائهم فى اوربا ، تقول ان حل مشكلتهم هو فى استعادة ارض الميعاد ، ارض الاباء والاجداد — والعودة اليها . ان كل علاقة بين اليهودى وارض اخرى هى علاقة عابرة . ثم ان العودة الى الارض يجب أن ترافقها الاقامة على

الارض الزراعية ، والكد والعمل في الزراعة تطهيرا للنفس اليهودية مما ألم بها من درن المادة أثناء الانغماس الطويل في نشاطات اقتصادية غير منتجة مثل الاعمال المصرفية والتجارة والخدمات الاخرى في المجتمعات التي تشتتوا فيها .

ولكن الارض فيها اصحابها

لقد جاءت الى فلسطين جماعات « الهجرة الاولى » التي تمت في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر هربا من وطأة الاضطهاد في اوربا الشرقية . وقام المهاجرون الاول بانشاء بعض المستعمرات الزراعية . وكان نظام الانتاج في تلك المستعمرات يعتمد على نظام الملكية الخاصة والانتاج الفردي . وبدات الصعاب امام المهاجرين ولم يستطع الواحد منهم مواجهتها خصوصا وان الخبرة الزراعية كانت مفقودة الى حد بعيد فكان من الضروري الاعتماد على الفلاح العربي . وظهر ان المستعمرات اليهودية على حافة الانهيار .

هنا تدخلت الراسمالية العالمية ـ فقدم المليونير الصهيوني ادمون دي روتشيلد المعونة المالية العاجلة .

وحين جاءت أفواج « الهجرة الثانية » في مطلع القرن العشرين الى الارض ـ كانت اهدافها واضحة تماما ، وبنفس الوضوح كانت وسائلها . وتكامل المخطط الصهيوني لمواجهة الامر الواقع وهو وجود أصحاب الارض على ارضهم ... ونحن نعرض هنا اهم المبادىء التي قام عليها النشاط العدواني الصهيوني في الارض السليبة .

ا ـ نص دستور **الوكالة اليهودية** لدى توسيعها في زيورخ في ١٤ اغسطس ١٩٢٩ على ان « تمتلك الارض كملك للشعب اليهودي .... وتسجل الاراضي المشتراة على اسم الصندوق القومي اليهودي وتبقى مسجلة باسمه الى الابد كي تظل هذه الاملاك ملكا للامة اليهودية غير قابلة للانتقال »

وحتى بالنسبة للاراضي التي كانت تقوم بشرائها الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين (**البيكا**) ـ وهي التي كان البارون ادموند دي روتشيلد قد انشأها عام ١٨٨٣ ـ هذه الاراضي التي يبعث الى مستعمرات مستقلة او مزارعين أفرادا تشجيعا للملكية الفردية ، نص في عقود البيع على اشتراط عدم بيعها ثانية الا لليهود ـ ركما سنرى فيما يلي :

وهكذا نجد ان جميع انواع المستعمرات الزراعية اليهودية ـ المستقلة والتعاونية والجماعية ـ تعبير عن عقائدية معينة توجب العودة الى الارض **الزراعية** في فلسطين ، لا الى فلسطين .

ب ـ وانطلاقا من المبدا الاول ، حصرت المؤسسات اليهودية العالمية عمليات شراء الاراضي واستثمارها في اليهود فقط . ووضع المخطط على اساس قطع صلة العربي نهائيا بأرضه سواء كان هذا العربي في الاصل مالكا لهذه الارض او مستأجرا او مزارعا بالحصة او حتى عاملا زراعيا بالاجرة . ونفذ في هذا المجال مخطط من التمييز العنصري لم يعرف له مثيل ، وقد جاء في دستور الوكالة اليهودية النص الاتي « تشجع الوكالة الاستعمار الزراعي بواسطة العامل اليهودي . والمبدا العام الذي يتبع في جميع الاشغال او المشاريع التي تقوم بها الوكالة أو تشجعها هو استخدام العمال اليهود »

وكان من المألوف ان يرد الشرط التالي في اتفاقيات القروض التي كانت تقدم الى المستوطنين في المستعمرات اليهودية : « يتعهد المستوطن .. بأن يقيم في الارض الزراعية وان يقوم بذاته او بمساعدة عائلته بجميع اعمال الفلاحة اللازمة في مزرعته كما يتعهد بأن يستخدم عمالا من اليهود فقط اذا اضطر لاستخدام عمال وكلما اضطر لذلك »

كذلك كانت عقود ايجار الصندوق القومي اليهودي تنص عادة على ما يلي : « يتعهد المستأجر بأن يجري جميع الاشغال المختصة بفلاحة الارض وزراعتها بواسطة عمال من اليهود فقط . واذا خالف المستأجر هذا الشرط بأن استخدم عمالا من غير اليهود فانه يدفع عشرة جنيهات عن كل مخالفة ... واذا خالف المستأجر احكام هذه المادة ثلاث مرات فيحق للصندوق القومي اليهودي ان يسترد الملك المؤجر دون ان يدفع للمستأجر اى تعويض كان ...

« ينبغي ان لا يستلم الارض احد من غير اليهود فاذا توفي المستأجر اليهودي ولم يكن وريثه يهوديا فيحق للصندوق ان يسترد الارض بشرط ان يعطي الوارث مهلة ثلاثة اشهر قبل الاسترداد . ويشترط على الوارث خلال هذه المدة ان ينقل حقوقه الى يهودي ، والا فيسترد الصندوق الارض دون ان يكون للوارث اى حق في الاعتراض »

وعلى هذا الاساس كانت البلاد تفتح للهجرة ويكفي لبيان ابعاد هذا المخطط ان نعلم ان عدد اليهود في فلسطين تضاعف اكثر من عشر مرات (من ٥٦٫٠٠٠ نسمة الى ٦٥٠٫٠٠٠ نسمة) خلال المدة من ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ . في حين ان العرب لم يزدادوا الا بنسبة الضعف تقريبا (من

٦٤٤٫٠٠٠ نسمة الى ١٫٤١٥٫٠٠٠ نسمة) ومع وفود المهاجرين كان العرب يجردون من اراضيهم لتستوعب هؤلاء الاتين عبر البحار

جـ ـ ولقد جاء « رواد » الهجرة الثانية الى فلسطين مشبعين بفلسفة نشطة مندفعة ، وضع اسسها ا. د غوردون (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) كانت هذه الفلسفة تنادى بدين العمل ـ اى بالعمل كظاهرة خلاقة وقيمة عليا . كانت تعاليم غوردون مستوحاة من الرغبة فى رفض حياة اليهود فى اوربا الشرقية من جهة ، والحث على حياة جديدة فى فلسطين من جهة اخرى ، ولقد خاطب غوردون اليهود قائلا: «ان شعبنا تعود جميع انماط الحياة عدا النمط الطبيعي ـ اى تحقيق الاكتفاء الذاتي عن طريق العمل ـ لن يصبح شعبا حيا عاملا الا اذا بذل اقصى طاقته لتحقيق هذا الهدف. ان العمل ليس مجرد امر يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب ، بل انه القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية ايضا ... اننا بحاجة الى متعصبين للعمل متزمتين له بأعلى معانى الكلمة »

ولقد اثر غوردون تأثيرا ضخما فى المؤسسات التى اقامها الصهيونيون لاستعمار فلسطين . ونجد هذا واضحا تماما فى كتابات دافيد بن جوريون احد رواد الهجرة الثانية . ففى محاضرة القاها عام ١٩١٥ قال : « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى . سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكفاحنا ... ان ارض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراسها من صفوفنا »

وفى مكان اخر يقول هذا الزعيم الصهيونى المتعصب : « ان الوطن لا يعطى ولا يهدى . انه لا يقتضى بامتيازات او اتفاقات سياسية ... انه يصنع بعرق الجبين ... لن تصبح ارض اسرائيل لنا حين يوافق الاتراك والانجليز او مؤتمر السلم القادم ويقعون على معاهدة بذلك ـ انما حين نبنيها نحن اليهود بأنفسنا . ولن نحصل من الاخرين مطلقا على الحق الذى لا ينازع ـ وانما نحصله بجهدنا الخاص فقط . ان الهجرات الكثيفة لا تستقر بفضل التاريخ ، لكنها تصب حيث تتوفر لها شروط البقاء والتقدم ... »

الطابع العسكرى العدوانى

ونحن نجد فى الكيبوتز ـ المزارع الصهيونية الجماعية ـ التطبيق المتطرف البالغ التعصب لهذه المبادىء . فالحياة فى الكيبوتز صعبة وفيها الكثير من ملامح التقشف فى حياة الجندية . وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتها اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعا . كان القصد خلق انسان جديد بعقلية عسكرية ـ لا يدين بالولاء الا للصهيونية ، فلا عائلة ولا طبقة ولا مال ولا هدف يصرف الصهيونى عن الانصراف الكامل لتحقيق مخططات المنظمة الصهيونية والتضحية بكل شيء فى سبيل ذلك . لان الصهيونية تصبح كل شيء اذا تحرر اليهودى من جميع الروابط الانسانية الاخرى .

حتى العائلة نفسها ـ يتولى الكيبوتز مهمة اضعاف الروابط العائلية وتحويل كل ولاء الناشئة الى الحركة الصهيونية ، ففى بيوت الاطفال التى يعتمد فيها الاطفال على الكيبوتز فى كل نواحى حياتهم ـ يلقن الطفل العقيدة الصهيونية والولاء المطلق للدولة وكراهية الاعداء . وتصبح الرابطة بين الناشئة والجيش الاسرائيلى اقوى من اية رابطة اخرى

فاذا علمنا ان احزاب اسرائيل الرئيسية هى وليدة عصابات الكيبوتز المسلحة ، فمن عصابة الارجون ولد حزب حيروت ، وكان حزب الماباى وليد عصابة البالماخ . اما عصابة الهاجانا فمنها نشأ حزب الماباى .

اذا علمنا ذلك ـ أدركنا كيف تكون فكر قادة الفكر فى اسرائيل وقادة النشاط الصهيونى فى مختلف الحقول والمؤسسات .

هذا ـ وان الطابع العسكرى العدوانى لهذا المجتمع هو الذى يتيح له الفرصة دوريا لموازنة اختلاله الاقتصادى الجذرى . فعمليات الابتزاز التى تقوم بها اسرائيل تقوم فى الاساس على دعوى انها مهددة من جيرانها . فاذا قامت بالعدوان العسكرى وحققت اهداف الراسمالية العالمية فى اضعاف النظم العربية التقدمية ـ حصلت على اجرها سخيا .

شاهد على ذلك كله ما حدث فى ١٩٥٦ ، وما يحدث اليوم فى ١٩٦٧ .

د ـ والواقع ان فهم اسرائيل من الداخل لا يمكن ان يتم الا اذا وضعنا فى الاعتبار الطابع العسكرى لذلك المجتمع . وهنا ايضا كان للكيبوتز المكان الرئيسى . فلقد استند الجيش الصهيونى شبه السرى فى فلسطين ايام الانتداب الى هذه المستعمرات . ولقد صممت كل مستعمرة لتكون قادرة على الصمود مدة طويلة من غير معونة او تموين من مستعمرة اخرى . وتقع المستعمرة على ربوة عالية تشرف على جميع الاراضى وتتحكم فى طرق التقدم وتكشف القوات المهاجمة لها على مسافة بعيدة . فالقيادة الصهيونية كانت تعلم ان اهدافها فى احتلال فلسطين واجلاء سكانها العرب لابد ان تولد رد فعل عنيف تكون المقاومة المسلحة

هي نتيجتها الطبيعية . ولقد امتاز تاريخ انشاء الكيبوتزات وتحديد مواقعها بالتركيز على مناطق معينة في فلسطين حسب خطة لاقامة شبكة من المستعمرات المتصلة المترابطة لضرب حصار حول المنطقة التي تطمح الحركة الصهيونية في الاستيلاء عليها .

وبنشوء الدولة ، ازداد الطابع العسكري للكيبوتزات وضوحا . فقد اعتبرت الحياة فيها جزءا من الخدمة العسكرية . ولقد صورت الدعاية الصهيونية حياة اليهود في فلسطين على انها نموذج للديمقراطية والاشتراكية .

ولكن النظرة النزيهة لا تستطيع ان تقتنع بهذه الدعوى المبنية على المغالطة الواضحة .

كيف يمكن ان تكون ديمقراطية في دولة تجعل اساس الانتماء اليها وممارسة الحياة الاقتصادية والسياسية فيها اعتناق المواطن دينا معينا ... ان البديهية الاولى للنظام الديمقراطي ترفض التمييز بين المواطنين على أساس الجنس أواللون أو الدين .

وكيف يمكن ان تكون اشتراكية ــ اذا كان المؤسس للنظام الاقتصادي في هذا المجتمع ، والحامي له هو الراسمالية العالمية ... انالنتيجة الحتمية لهذا الموقف هو انه ــ بصرف النظر عن طرق الانتاج والتوزيع داخل هذا المجتمع ــ فان الراسمالية العالمية لابد وان تجعل الدولة التي تربيها في اطار مخططها العالمي ، ومن اجل تنفيذ أهدافها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان هذا الارتباط بين اسرائيل الدولة وبين الراسمالية العالمية يجعل توازن القوى داخل اسرائيل نفسها محسوبا بحسابات دقيقة . فاذا كنا قد راينا الطابع الجماعي غالبا في النشاط الزراعي ، الا ان النشاط الصناعي والتجاري والفندقي بدا فرديا في نشأته وارتكز في الدرجة الاولى الى ميول ورءوس اموال جيل من المهاجرين في الثلاثينات انصرف الى تلك النشاطات التي تتبعها ، وهكذا اصبح توزيع القوى الحزبية السياسية واضطرارها الى الائتلاف لتستطيع الاضطلاع بالحكم يعني عدم نجاح اي حزب في جعل برنامجه الاجتماعي الاقتصادي منهجا عاما للبلاد . ومن هنا عجز الاحزاب التي تنسب نفسها للاشتراكية عن ان تحث خطى مبادئها بقوة هذا اذا كانت لديها الرغبة الجادة في ذلك ، بالنظر الى ردود الفعل التي تحدثها مثل هذه الاتجاهات في الجهات اليهودية الراسمالية في الخارج التي تمول الحركة الصهيونية ــ وابقاء على المؤسسات الاجنبية الراغبة في توظيف اموالها في اسرائيل (على الاخص المؤسسات الامريكية) وفوق هذا كله حرصا على ارضاء الولايات المتحدة الامريكية بالذات . ومن هنا نشوء الصراع الطبقي داخل اسرائيل .

ولكن ...

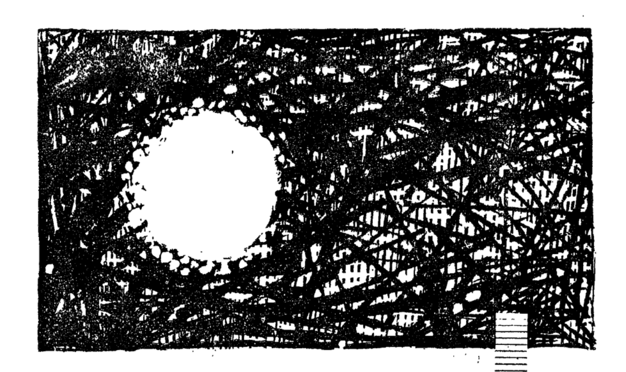
مهما يكن النقد الذي يوجه للعقيدة الصهيونية وللتنظيم المبني عليها والمطبق في اسرائيل ــ مهما يكن هذا النقد ، من ناحيه المبادىء والعلم سليما ومقنعا ، فان هذا كله لا يعني ان النظام الصهيوني في اسرائيل لا يمكن الاستهانه به . ان قنبلة النابالم ــ مهما قيل في لا اخلاقيتها ولا قانونيتها وتحريمها دوليا ــ تحرق وتدمر وتحيل من تلمسهم الى هياكل محمية ، فعلى اساس عقيدة عدوانية ابتكرت من اجل تطبيقها تنظيمات متماسكة ، تواجهنا بها اسرائيل .

ان ثمة نظاما متعصبا شرسا يواجهنا عبر الحدود .

ولابد من ان نواجهه ــ على الاقل ــ بنفس القوة العقائدية والتماسك والتنظيم المحكم ... ولكن بنقطة بداية حضارية ، تطبق الديمقراطية والاشتراكية في نزاهة ، واصرار .

ان الارتباط بالارض والمصنع ، وجعل طليعة قوى الشعب هي اكثر الفئات التصاقا بالتراب العربي واشدها حرصا على الاشتراكية ــ هذا وحده هو نقطة البداية في مواجهة هذا التجمع المتعصب الشرس العدواني .





كراس للمناقشة
.. ما العمل ؟

تفتح الطليعة هذا الكراس أمام الكتاب والمناضلين لابداء وجهات نظرهم فى تشخيص الموقف الراهن بعد العدوان ، وكيفية مواصلة النضال من أجل التحرر والبناء الاشتراكى ، ومحو آثار العدوان .

وأهمية هذا الكراس أنه يعرض للمناقشة المفتوحة مجموعة من الاراء النابعة من مواقع عمل وزوايا رؤية متعددة ، ولكنها تلتقى جميعا على طريق استمرار المعركة فى جميع الميادين بهدف بناء المجتمع العربي الموحد المتحرر والاشتراكى .



ماذا قالت ثورة ٩ و ١٠ يونيو !

زكي مراد

قد يكون من المفيد ، ونحن نقلب الفكر في دروس النكسة ، ان نعود بالذاكرة الى لحظات مماثلة من التاريخ القريب لثورتنا ..

واذا كان هذا التاريخ سلسلة متصلة من الانتصارات والمكاسب القومية والشعبية الرائعة ، واتجاها متزايدا الى العمق والشمول في حركة الثورة ، فانه ، مثل تاريخ كل ثورة ، لا يخلو من لحظات قاسية ، وجب عندها ان يوضع كل شيء تحت المجهر من جديد .

واذا كان الحديث عن الانتصارات والمكاسب احلى مذاقا ، وايسر على النفس ، فان العودة بالذاكرة الى ساعات الانتكاس وتأمل اسبابها واستخراج الدروس منها ، هو ضرورة ثورية قد تزيد اهمية في بعض الاحيان ، عن الحديث العام عن الانتصارات . وقد يكون الحديث عن النكسة مرا ، ولكنها مرارة الدواء الضروري للجسم ، ليتخلص نهائيا من المرض الكامن فيه ، ويصبح اكثر صحة وقدرة على مجابهة مهامه .

ولقد قابلت ثورتنا لحظة من لحظاتها القاسية في سبتمبر سنة ١٩٦١ ، في تلك الايام التي قاد فيها مجموعة من المغامرين الانقلابيين ، بالتآمر مع الدوائر الاستعمارية والرجعية العربية ، حركة الانفصال بسوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، وهي اذ ذاك ، اول نموذج عملي للوحدة العربية .

في تلك الايام الشديدة القسوة اجرى ضمير الثورة حسابا حادا شديد الصراحة مع قوى الثورة وخطاها . وتجلت عبقرية قائدها وجدبته في عدد من الخطب والبيانات التاريخية التي ناقش فيها الاخطاء بكامل الوضوح والاخلاص .. ويكفي ان نذكر هنا ، ببيانه الشهير في ١٦ اكتوبر سنة ٦١ ، اى قبل ان يمضي شهر واحد على الانقلاب الرجعي الاستعماري ..

« نحن على نقطة من نقط التاريخ فاصلة ... »

« واشعر الان انه لابد لي ان اواجه معكم ، بشجاعة وشرف ، اخطاءنا التي يسرت للرجعية انقضاضها وحصولها على رأس الجسر الذي حصلت عليه ....

اولا : وقعنا ضحية وهم خطير قادتنا اليه ثقة

متزايدة في النفس .. كنا دائما نرفض المصالحة مع الاستعمار ، ولكنا وقعنا في خطأ المصالحة مع الرجعية ....

ثانيا : وقعنا في خطأ كبير لا يقل اثره عن الوهم الخطير وهو **عدم كفاية التنظيم الشعبي** .. فتحنا الطريق الى الاتحاد القومي امام قوى الرجعية .. وحولته الى مجرد واجهة تنظيمية ، لا تحركها قوى الجماهير ومطالبها الحقيقية .

ثالثا : لم نبذل الجهد الكافي في توعية الجماهير الواسعة بحقوقها ، وتعريفها بقدراتها وطاقاتها الكامنة على حماية هذه الحقوق ..

رابعا : لم نستطع ان نطور جهاز الحكم الى مستوى العمل الثوري .. اصبحت مصالح الجماهير هي المسخرة لخدمة الجهاز الحكومي بكل ما فيه من خلل .

خامسا : الانتهازية والطبقية الاجتماعية واحكامها .. ولست اخفي عليكم ان اكثر ما كان يحز في نفسي ايام معاركنا العظيمة وفي ذرى انتصاراتنا الضخمة ، ما احس به من صراع على السلطات والاختصاصات ومن انانيته وأثره .. ومن ابتعاد عن الاهداف الكبرى للجماهير اقترابا من اسباب فردية وشخصية .

ولابد لنا الان من عملية تقييم كاملة تعيد صياغة مثل المجتمع الاخلاقية على نحو جديد اكثر ارتفاعا واشد عمقا » .

كان هذا هو الحساب الذي قدمه القائد لشعبه بعد لحظة من لحظات الثورة القاسية . وقد استطاع هذا الحساب الصريح ان يحيل قسوة اللحظة ومرارتها الى جرعة دواء شددت بنيان الحركة الثورية وزادت من قوتها وصلبت عودها في الاندفاعات القومية العظيمة التي تلت فيما بعد .

وكان الميثاق الوطني .. والاتحاد الاشتراكي القائم على تحالف قوى الشعب العامل ، وبروز فكرة الجهاز السياسي الطليعي داخل الاتحاد ، وبروز الدور الرئيسي لجماهير العمال والفلاحين ، بعض الثمار الصحية لذلك الحساب الثوري . وانطلاقا من ذلك الحساب الثوري ومن الدراسة الانتقادية لمختلف جوانب العمل الثوري ، حققت ثورتنا خلال السنوات الخمس الممتدة من اواخر سنة ٦١ الى منتصف سنة ٦٧ ، انتصارات حقيقية في الميادين المحلية والعربية والعالمية ، ورسخت جمهوريتنا اقدامها على الارض العربية ، كقاعدة للتحرر والاشتراكية والوحدة .

وليس هذا مجال عرض تلك الانتصارات ، ولكن يكفي ان نقرر ان القاهرة قد اصبحت بالفعل في عام ٦١ ، وبعد هجوم استعماري عالمي نجح في تسديد ضربات قوية للثورة الوطنية في العالم كله ، احد المنابر الثورية القليلة المحتفظ بفاعليته ، من تلك المنابر التي فرضت على خريطة الارض شخصية العالم الثالث ، منذ عام ١٩٥٥ .

وبذلك اصبحت القاهرة من القواعد الرئيسية التي تضع شعوب العالم الثالث كلها ، املها فيها ، كمنطلق لهجوم مضاد على قوى الامبريالية العالمية التي اصابها السعار .

اما في الحياة الداخلية ، فقد استطاعت الثورة ان تتخلص ، الى حد بعيد ، من «الوهم الخطير» الذي ادى الى مصالحة الرجعية ، وان تسدد ضربات قوية الى الرجعية المحلية . وحاولت الثورة ان تتخلص من الخطأ الكبير الثاني ، فأقامت الاتحاد الاشتراكي وجعلت من أغلبية العمال والفلاحين في صفوفه ضمانة يكفلها القانون ، ضد تسلل الرجعية الى المراكز القيادية ..

ولقد حققت الثورة بعض التقدم في هذا المجال اذ لا شك ان صورة الاتحاد الاشتراكي قد اختلفت عن صورة الاتحاد القومي ، ولو ان التحايل العجيب في تعريف العامل والفلاح قد الحق ابلغ الضرر بالضمانة القانونية التي كفلها الميثاق . ولا شك ان ثمة تقدما في اشكال التنظيم والعمل ووسائل التوعية والتعبئة السياسية .

ان التنظيم السياسي هو روح الثورة الاشتراكية وقلبها الذي يتوزع منه الدم ، ومالم يكن التنظيم السياسي واضح الرؤية ، حاسما في ايديولوجيته ، قادرا دائما على تأسيس وتدعيم افكار واخلاق وعادات وتقاليد جديدة وثورية .. فان الثورة لابد ان تصاب بالعقم والعجز . !

وهكذا نستطيع ان نقرر ان الثورة قد تغلبت من قبل على نكسة خطيرة . وحين واجهت نفسها ، بشجاعة وشرف ، بالنقد الصريح ، امكنها ان تسير في طريقها الصاعد وتصمد لآلاف التيارات والضغوط العاتية العالمية والعربية والمحلية . ومع ذلك ، وبعد مسيرة سنوات خمس ليس عيبا ان نقرر ان بعض الاخطاء التي لم تعالج ، وبعض المشاكل التي تركت دون حل ، قد فرضت آثارها على حركتنا الثورية في هذه المعركة الاخيرة ووضعتنا من جديد امام احد حلين : اما قبول الهزيمة وتصفية الثورة .. واما الاستمرار ، بكامل الجدية ، في التخلص من

الاخطاء ، وتدعيم الطريق الاشتراكي الثوري بكل متطلباته الضرورية ».

ماذا قالت ثورة ٩ ، ١٠ يونية سنة ١٩٦٧ ؟

لقد اجاب الشعب اجابة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الثورات .. ففي لحظه اسنسه وظلام العارات ما يزال يخيم على المدن ، وفي وقت خيل الى الكثيرين فيه ان الاستعمار وعميلته ، قد حققا النصر الساحق !.. انطلقت جموع الشعب تقول لقائدها : « لا ، ان الاعداء لم ينتصروا ولن ينتصروا .. ان قوى الثورة باقية ، سليمة ومتأهبة ، وجيش الثورة ليس القوات المسلحة النظامية فحسب ، ولكنه ، في الاساس ، عمال البلاد وفلاحوها ومثقفوها النابعون من هذه الصفوف . ونحن مستعدون دائما لحمل السلاح دفاعا عن ثورتنا ووطننا وطريقنا الذى اخترناه »

ولم تنتظر هذه الجموع تعليمات الاتحاد الاشتراكى ، ولا توجيها من احد . وانما بادرت من ذاتها وعلى الفور ، احساسا بالخطر الذى يتهدد مكاسبها وثورتها ، وبالمسئولية من هذه الثورة .

هذه هي القوة الثورية الباقية التي لا يمكن ان تقهر .

وليس صحيحا ان الشعب لم يكن يعرف ان ثمة اخطاء كبيرة يجب الحساب عليها ، وليس صحيحا انه لم يكن حزينا بمقدار حزن قائده المخلص من اثر النكسة العسكرية ، ولكن الشعب كان قادرا على تعويض اثر النكسة من قواه الكبيرة الاساسية التي ظلت سليمة ، والتي تبقى سليمة دائما مهما بلغت ضربات الاعداء .

وقد كانت هذه الحركة العظيمة ، ردا فوريا من كافة القوى والعناصر الايجابية في ثورتنا على القوى والعناصر السلبية التي كادت تنجح في تصفية الثورة ووقفها . بيد ان هذا التجمع والتماسك الذى اتى كرد فعل ، لفعل القوى والعوامل السلبية ، والذى يتسم بالتلقائية ، يجب ان يدخل اليه عنصر الوعي والتنظيم .

ان البحر الزاخر الذى انطلق يومى ٩ ، ١٠ يونية ، يجب ان يظل دائم التدفق والتجدد والحركة . فهذا هو الدرس الاساسي للنكسة ..

ان قلعة الثورة الاولي والاساسية هى الشعب .. الجماهير العاملة في الحقل والمصنع والمعمل والمكتب .

هذه الحقيقة الكبيرة يجب ان تفرض نفسها على كل الخطط والتقديرات في العمل الثوري .. ان اكبر قدر من وقت الثوريين وجهدهم واهتمامهم يجب ان ينصرف الى تنظيم قوى الشعب وتسليحها .

وان قوى الجماهير الواعية المسلحة بالنظرة الاشتراكية الثورية ... والمنظمة في وحدات كفاحية ، هي وحدها القادرة على تطهير الجهاز الحكومى وتطويره ، والقضاء على البيروقراطية التي افرخت وعششت فيه منذ قرون ، وهي وحدها القادرة على صياغة « مثل اخلاقية جديدة اكثر ارتفاعا واشد عمقا » واكثر تمشيا مع اهداف ومهام المجتمع الاشتراكى الجديد . ثم هى القادرة في النهاية على الدفاع عن كل شبر من ارض الوطن ضد كل عدو استعماري او صهيوني .

الدرس الرئيسي

قد يقال لى : فيم هذا الكلام .. والاتحاد الاشتراكى قائم كتنظيم سياسى لقوى الشعب ، ثم ها هي « المقاومة الشعبية » تعمل وتدرب آلاف المواطنين ! .. ولكنى اقرر صراحة ان الدرس الرئيسى الذى يجب ان نخرج به من هذه النكسة ، هو **تنظيم الحزب السياسى الاشتراكى القائد للثورة والشعب** . والاتحاد الاشتراكى بوضعه الحالى ليس هو الجهاز السياسى المطلوب ، ولا يستطيع ان يكون كذلك .

ان التنظيم الذى يضم ستة ملايين عضو ، لا يستطيع ان يكون اكثر من « حشد كبير لانصار الثورة » او تجمع لتحالف الشعب العامل .. وهذ الحشد او التجمع نفسه في حاجة الي قيادة سياسية اشتراكية واعية ، ومجربة ، ويقظة .

واذا كانت دروس النكسة كثيرة ومتشعبة النواحي ، فان الدرس الرئيسي فيها ، هو غياب هذا الحزب الطليعى القائد والموجه لكل القوى والسلطات والاجهزة والتنظيمات الجماهيرية الاخرى .

هذا ما تشير اليه تجربتنا الحية ، وما تشير

اليه تجربة كافة البلدان التى بنت الاشتراكية ، والتى نبنيها وسط نيران الاعداء الاستعماريين والرجعيين .

ان شعبنا ليس اقل استعدادا ثوريا من شعب فيتنام او كوريا ، ولكن الفرق ان هناك احزابا سياسية ثورية تستخرج كل الطاقات الكامنة فى الشعب وتستخدمها فى النضال ، وتتغلب بها على اعتى اسلحة الاستعمار الجديد واحدث وسائله التكنيكية . وليس هذا الذى اقرره اكتشافا جديدا فى عملنا الثورى . فلقد نبه الميثاق الى ضرورة وجود « جهاز سياسى طليعى » ، ثم طرح قائد الثورة فى احاديثه عن التنظيم السياسى ، اهمية العمل لبناء هذا الحزب السياسى الطليعى .. بل لقد بذلت محاولات لبناء هذا الجهاز .. ولكنها جميعا كانت ابعد من ان تبلغ هدفها لاسباب عديدة ، اهمها فى رأيى ، نقص الوضوح النظرى فى قضية الاشتراكية .

ان بناء الاشتراكية والدفاع عما انجزته الثورة حتى الان من مكاسب فى هذا السبيل ، لا يمكن ان ينجح فى ظل ايديولوجية يغلب عليها الطابع الرأسمالى ، بل والطابع شبه الاقطاعى فى بعض الاحوال .

ان هذا الجهاز، يجب انيبنى فيظل ايديولوجية ونظرة وعقلية اشتراكية تصارع يوميا ، بل وفى كل لحظة ، الايديولوجية والنظرة والعقلية الرأسمالية او شبه الاقطاعية المتخلفة .

ومثل هذا الجهاز لا يمكن ان ينبذ طاقة ، ولا ذرة من طاقة لواحد من ابناء الشعب او يتركها دون استيعاب فى خدمة العمل الثورى . ومثل هذا الجهاز هو القادر على تحويل بلادنا الى ترسانة هائلة للدفاع عن الوطن والاشتراكية ، فى كل وقت ، وضد كل عدو محتمل .

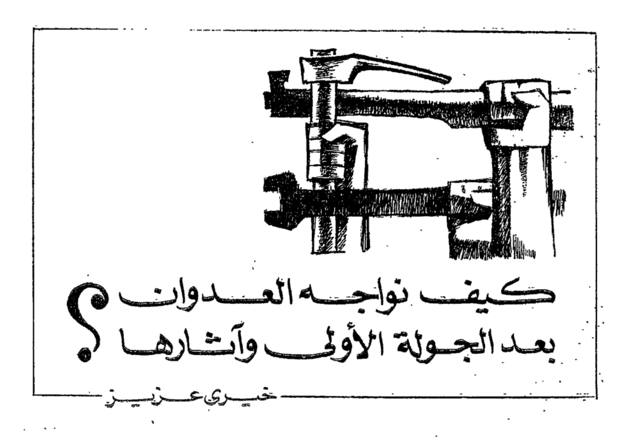
وقد يقول البعض « ان هذا كلام سليم ، ولكن الا يجب ان نتفرغ الان لازالة آثار العدوان اولا ؟ » ولكن ، كيف نزيل آثار العدوان بدون شعب مسلح وواع فى نفس الوقت .. ثم كيف نصل الى شعب مسلح وواع بدون الشروع على الفور فى تأسيس هذا الحزب .

ان التأجيل هو شكل مهذب من اشكال الرفض او عدم الاقتناع الكامل بالفكرة .. ولا اعتقد ان حركة جماهيرنا فى ٩ ، ١٠ يونية قد تركت مجالا للتردد فى هذا الامر ..

وان قائدنا العبقرى ، لقادر على تبين مدى الالحاح التاريخى لهذه المهمة واعطائها ماتستحق من جهد ووقت واهتمام .. ان ثورتنا فى حاجة ملحة الى طليعة سياسية قادرة تعمل مع قائدها العبقرى وتحت قيادته المباشرة على اعادة بناء كل شىء فى ضوء نظرة علمية ثورية ..

وان معركتنا مع عدونا الاستعمارى الصهيونى لطويلة ومريرة ، وتفرض علينا ان نغير الكثير فى اساليب حياتنا وتفكيرنا وعملنا ..

وان هذه الطليعة القائدة لسلاح لا غنى عنه لتحقيق النصر النهائى لشعبنا ولحقه العادل فى الحرية والاشتراكية والوحدة .



كيف نواجه العدوان بعد الجولة الأولى وآثارها ؟

خيري عزيز

مواجهة

العدوان بعد الجولة الاولى ، تتطلب نوعين من الاجراءات :

● اجراءات عاجلة مباشرة لمواجهة الموقف العسكري وتأكيد مقاومة العدو ، وهى اجراءات يغلب عليها الطابع العسكرى والسياسى .

● واجراءات استراتيجية غير مباشرة تتعلق باجراء اصلاح جذرى فى بنائنا الايديولوجى والاقتصادى والسياسى والحضارى عامة ، وهى اجراءات يغلب عليها الطابع الاقتصادى والسياسى

المقاومة الشعبية

والاجراءات الاولى العسكرية تفترض بالطبع المزيد من التعاون مع الدول الصديقة فى المعسكر الاشتراكى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية فى الخارج ، وعدة مطالب اخرى فى الداخل . فبالاضافة لعمليات دعم جيشنا النظامى بالسلاح والرجال وسائر ما يتطلبه ذلك من جهود رئيسية ، يمكن بل يجب الاستمرار فى تدريب الاف وملايين المواطنين عسكريا فى لجان المقاومة الشعبية ، والذين تلقوا المرحلة الاولى من التدريب منهم ، تنتقل اعداد كبيرة منهم الى المرحلة الثانية مع عدم التراخى فى هذا العمل ، وربط متطوعى المقاومة الشعبية وهم الالاف من الابناء المخلصين والطليعيين للشعب ، ربطهم ربطا سياسيا . بأن يشكل جهاز سياسى واع وخبير بأعمال التربية السياسية السليمة ، لخدمة العمل السياسى الدعائى للجان المقاومة الشعبية وبذا نستطيع ان نحصل فى فترة وجيزة على الالاف والالاف من المتطوعين المستنيرين سياسيا وخاصة فيما يتعلق بفهم مخططات واهداف السياسة الامريكية ضد الانظمة العربية الثورية . وهؤلاء المتطوعون يمكن ان يكونوا ركيزة بالتالى لنشر الوعى بمخططات الاعداء ، وبحاجات الموقف بين سائر افراد الشعب مما يساعد على حسر موجة الاشاعات والافكار المشوشة والخاطئة سواء من الناحية العسكرية أو السياسية ، والتى تجد انتشارا لها بين بعض الفئات .

والحقيقة ان التراخى فى تنظيم المقاومة الشعبية ، وترك الالاف من شبابها وبينهم فئات عمالية تحتاج الى التوعية ، يمكن ان يؤدى الى وقوع لجان المقاومة الفتية فى هوة البيروقراطية والفتور . خاصة وقد انحصر العمل فى بعض المناطق التى تعتبر من أكثر مناطق المقاومة الشعبية تقدما فى جمع الاعضاء دوريا والقيام بتمرينات رياضية فحسب مما يصيب كثيرا من اعضائها الوطنيين المتحمسين بالفتور .

كذلك فمن المطالب المباشرة لخدمة المعركة العسكرية القائمة بالفعل ، ايجاد جهاز دعاية سياسي ، يخدم المطالب الملحة للدعاية السياسية الواسعة بين الجماهير ، وينور الشعب فيمايتعلق بكثير من القضايا التى يناقشها فيما بينه ويحتاج فيها الى التوجيه السليم والتوضيح الشامل على أن يقوم هذا الجهاز بمتابعة الاحتياجات اليومية المتطورة للتوعية الجماهيرية . وفى قضية كقضية العلاقة بين الجيش والشعب مثلا ، قضية كهذه لها أهميتها المعنوية والنفسية البالغة سواء على الجنود والضباط الذين يواجهون العدو ، أو على الشعب الذى يشكل القاعدة العريضة التىتغذى بتضامنها وحبها ومساندتها ، القوات المسلحة . قضية كهذه على أهميتها يجب أن تعالج فى بيان سياسى واضح تصدره اى هيئة قيادية فى البلاد يناقش الشعب ويكشف له النوايا الاستعمارية المبيتة ، ويوضح المطلوب منه على المستوى المعنوى فى هذه المرحلة الراهنة التى تحتاج الى كل شيء ماديا ومعنويا . ولم يكن كافيا بحال فى الجمهورية العربية المتحدة ، أن يكتفى فى قضية كهذه وعلى سبيل المثال ، بمجرد الافتتاحية التى قدمتها جريدةالاهرام فىحينه، ذلك انالبلاد عامرة بالاضافة الى ذلك بمئات والاف العناصر الواعية سياسيا ، سواء بالمشاكل السياسية والفكرية لمجتمعنا ، أو بخبرة الدول الاشتراكية والمناضلة فى مخاطبة الشعوب والاعتماد على حسها الثورى والثقة فيها من ناحية اخرى ، ومن الممكن قيامهذه القوى بدور فى التوعية فيما لو صدر بيان سياسى حول المشاكل يجمع جماهير الشعب .

واذا كان الوقت ثمينا جدا ، وأغلى من الذهب فى هذه المرحلة ، فيمكن اذا شئنا خلق عديد من الاشكال التى نحتاج اليها لخدمة المعركة ، على وجه السرعة وذلكبالتحرر من روحالبيروقراطية، وطرح حالة الشلل السياسى جانبا . وكمثالمحدد على الامكانيات المتوافرة فى البلاد لتحقيق مثلهذه الاشكال سريعا ، انه يمكن مثلا تكوين لجنة «دعاية» استثنائية ، تمارس عملية التوعية السياسية الجماهيرية والشعبية الواسعة فى القضايا التى يناقشها الشعب فى الكواليس بشكل يومى ، وذلك عن طريق بيانات تصدر عن هذه اللجنة حسبما ترى وتقدر ، بخلاف الصحافة اليومية ، ولا نعتقد انه يلزمنا جهودا خارقة لخلق لجنة كهذه مكونة من عناصر قيادية واعية ومخلصة ، ومحل ثقة حكومية وشعبية . وتكوينلجنة كهذه، ليس بالامرالمستحيل اوالصعب، او المعقد ، فضلا عن انه يمكن ان يحقق نتائج ايجابية فى هذا المجال ويسد بقوة الفراغ الموجود فى مجال التوعية العامة الواسعة الانتشار .

هذان مطلبان عاجلان مباشران : اما فيما يتعلق بالاجراءات الاستراتيجية غير المباشرة فيلزمنا قبل البدء فى التعرض لها ، الاشارة الى هذه الحقيقة وهى انالاهمية الكبرى لنكسةيونيو ١٩٦٧،لاتكمنفحسبفيماواجهناه مننكسةعسكرية من ٥ الى ٩ يونيه

مراجعة اكثر جذرية لبعض التعريفات

ويحتاج الموقف فى مجال العمل الاستراتيجى وفى جميع النواحى ، الى اجراء مراجعة كاملة لعديد من القيم الخاطئة التى سادت المرحلة الماضية .ففى مجالالتحديدات الثورية السليمة، والاشتراكية العلميةهناك تعريفالعامل والفلاح، وبهذا الصدد اعتقد اناعتبار رئيسمجلسالادارة عاملا ، كعامل المصنع الذى يتقاضى ١٥ جنيها شهريا ، تحديد غير سليم ويقود الى نتائج غير علمية ، وكذلك اعتبار من يملك ٢٠ فدانا فلاحا ايضا غير سليم حيث ان الاغلبية الساحقة من الفلاحين الملاك الصغار او الفلاحين الفقراء ، والعمال الزراعيين تعيش فى مستوى معيشى منخفض جدا بعيدا عن مستوى مالك العشرين فدانا .

فتعريف العامل والفلاح على هذا النحو ،يخلط الامور ، ويحتاج الى مراجعة . انالعمال فىجميع الدول التى بنت الاشتراكية بشكل ناجح وعلمى ، هم بالتحديد القوى العاملة فى المصانع وفى مؤسسات الانتاج المختلفة ، العامل هو لابس « البدلة الزرقاء » ، « العفريتة الزرقاء » فى فى المصنع وفى مجالات الانتاج الاخرى . والفلاح اذا اردنا تعريفا عادلا اوليا له ، فهو المثال المتوسط لملايين الفلاحين الكادحين الذين يفلحون بانفسهم اراضى الريف . ولذا فلو قلنا اننا نهدف بقانون ما ، خدمة العمال والفلاحين ، فينبغىان يكون معناه اننا نخدم به هؤلاء بالتحديد .

تأكيد روح النضال لا سباق الرفاهية

كذلك فان هناك مفهوما اخر كان له اثره فى خلق المناخ الاجتماعى العام فى بلادنا قبل النكسة ، وهو مفهوم عدم الرغبة

فى التضحية بجيل ، من اجل اجيال اخرى لم تولد بعد ، والحقيقة ان احدا لا يود ان يضحى بجيل، كذلك فان الدول الاشتراكية والمتحررة الصديقة التى بنت الاشتراكية بنجاح لم يكن لديهــا قط مفهوم التضحية بجيل ، وانما هى علمت شعوبها فى الحقيقة ، الالتزامات النضالية الواجبة عليها فى كل مرحلة من مراحل النضال ، وكان لكل جيل منها تضحياته الخاصة ، ومن الطبيعى انه مع تقدم الزمن تحصل شعوب هذه الدول على المزيد من المكاسب ومظاهر الرفاهة ، وتعيش الاجيال الجديدة فى جو افضل ممن سبقوها ، فتلك حقيقة عامة تتعلق بالتطور الانسانى العام فى مجموعه، وتتعلق ببناء المستقبل للشعوب وتوطيد اواصر الصلات بين الاجيال ، ولا تتعلق قط برغبـة غير انسانية فى التضحية بجيل معين . ذلك التعليم النضالى للاجيال، افضل من تأكيد روح الكسب الحالى السريع ، وتأكيد روح الانانية فى جيل ــ بل وفئة محددة منه ــ على حساب امل الشــعب الذى لا ينتهى فى غد افضل لابنائه . وبهــذا الصــدد نستطيع ان نقطع بان الجيل السوفيتى الحالى يستطيع ان يعيش فى مستوى اعلى بكثير ممــا هو عليه من ناحية الترف والرفاهيــة ، فيما لو انصرف عن الالتزامات النضالية الواجبة عليــه والمتعلقة بأمنه ، وتطوير وزيادة سلاحه التقليدى والنووى ، وفيما لو انصرف ــ عن المســاندة الفعالة الواجبة لحركات التحرير الوطنى والدول المتحررة . لكن ذلك لا يحدث .

والحقيقة ان دولة اشتراكيــة ما ، لم تشهد هذا السباق العجيب على اقتنــاء الســيارات والثلاجات ووسائل الترف والرفاهية الفــاخرة الاخرى فى السنوات الاولى للاجراءات الاشتراكية مثلما وجد لدينا . بحيث عمت روح الميوعة على روح النضال ، والتطلع الترفيهى على الجــدية الكفاحية ، والاهتمام « الكروى » الواسع، على حلبة قضايا المصير السياسى . واعتبر الارتباط بالمثل الاشتراكية العليا ، حماقة شخصية لا « تنفع » صاحبها وقد توقعه فى مزالق ، وسادت الروح النفعية والوصولية والانتهازية ، خاصة بين الطبقة المتوسطة .

اننا مطالبون باعادة النظر ، وتطوير كثير من مفاهيمنا الايديولوجية ، بحيث نفهم التنمية على انها السبيل الى القوة والمناعة والقــدرة على النضال ، على انها السبيل لتربية العنصر البشرى ليكون اكثر ارتباطا بالمثل الاشتراكى الاعلى ، واكثر صبرا على المكاره . ينبغى تربية الشعب تربية نضالية ، على اساس توعيته بالاخطــار المحدقة بحاضره ومستقبله ، وليعد نفسه لكافة التحديات المفاجئة ، ينبغى تحويله الى ترســانة نضالية موحدة ، مادامت القوى الاستعمارية قوية وباقية ، تهدد امنه ومستقبله . ونظرة واحدة الى ما تفعله كوبا والصين منذ سنوات عديدة لبناء نفسهما وشعبهما فى مواجهة التحدى والخطــر الامريكى الذى يتوقعونه ، نظرة واحدة الى التعبئة الشعبية الواسعة المستمرة للشعب هنــاك ، والتوعية السياسية الشعبية الواسعة هنــاك برغم عدم حدوث عدوان مباشر عليهما ، يمكن ان يكون مثــلا على اعــداد الشــعوب لمواجهة تحديات المستقبل الخفى واخطاره .

تقريب الفوارق وتوسيع

القاعدة الاجتماعية للثورة

كذلك فمن اهم الواجبات الاستراتيجية فى المرحلة القادمة . تحقيق درجة اعظم من العدالة الاجتماعية فى الريف والمدينة لدرجة أعظم من تقريب الفوارق بين الطبقات . فذلك هو الذى يدعم القــاعدة الاجتماعية للثورة ، بل انه يوسع هــذه القاعدة ويجعلها اكثر رســوخا وصــلابة . والضمــان الاساسى لبقاء الثورة واسـتمرارها فى المرحلة القادمة هو توسيع القاعدة الاجتماعية للثورة . فالذى وضح لنا ولغيرنا فى ٩ يونيو ان الاهداف الاشتراكية والثورية ، عميقة ومتاصلة فى وجدان شعبنا وضميره ، وان جماهير الشعب العريضة المكافحة ، متمسكة كل التمسك بالمثل الاشتراكية العليا التى تعم العالم الان ، وتبنى روح المساواة والاخوة الانسانية ، مكان التعالى الطبقى والانانية الفردية الراسمالية . وانه بتأكيد الانحياز نحــو تلك المثل الانسانية ، بتأكيد دعم الامل الاشتراكى والحل الاشتراكى ، تتأكد بالضرورة القاعدة المتينة الصلبة للتفانى فى الاخلاص للثورة وحمايتها .

ومن ناحية اخرى ، ينبغى وضع نسبة معينة لتفاوت الاجور فى القطاعات الصناعية والانتاجية والثقافية الاخرى . وبعض البلاد لكى تضمن درجة معقولة وحقيقية من العدالة الاجتماعية قد حددت نسبة التفاوت بين اصغــر مرتب واعلاه بحيث لا تتجاوز خمسة اضعاف، وبعضها حدده باربعة اضعاف او ثلاثة اضعاف . فتختار لنا النسبة الملائمة الكفيلة بتحقيق درجة افضل من العدالة الاجتماعية وتقريب الفوارق الطبقية .

كذلك لابد من اجراء توسيع للطابع الديموقراطى فى الكليات العسكرية وفى الجيش عامة ، بفتح مجالات الترقى واسعة امام الجنود وصف الضباط الاكفاء المتازين والى أعلى المستويات . والمزيد من اتاحة الفرص لابناء العمــال والفــلاحين والطبقات الكادحة للدخول الى الكليات العسكرية، مما يسهل ارتباط اغلب خريجيها بالامال والاهداف

الشعبية . ومع التثقيف السياسى العالى ، الى جانب التعليم العسكرى يصبح جيشنا اكثر فأكثر ، جيشا شعبيا حقيقيا .

الارتباط المصيرى بين الثورة العربية والثورات الاشتراكية الأخرى

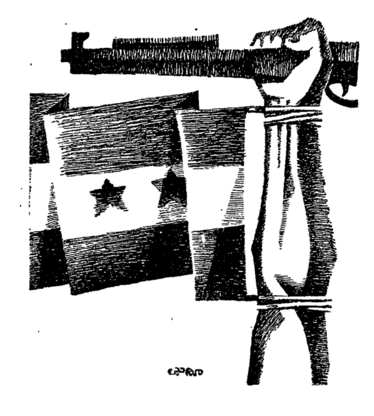
ولابد ايضا من ربط تيار الثورة العربية ربطا حقيقيا مخلصا نضاليا وجماهيريا بالتيار العالم لحركة التحرر الوطنى والثورات الاشتراكية فى العالم ، بما ان جميع تلك الثورات بما فيها نحن ، ترتبط فيما بينها ارتباطا مصيريا ، ارتباط الحياة او الموت فى مواجهة اطماع الاستعمار والامبريالية ، كما اتضح ويتضح هذه الايام بجلاء. ومواجهة التشويهات التى تسربت الى نظرتنا للبلاد الاشتراكية الصديقة واوضاعها والتى ساعد عليها وغذاها ، خلافنا معها فى الماضى ، والتى تستغل من ناحية اخرى وبطريقة خبيثة لتوجيه هجمات فكرية ودعائية ضد عملنا الاشتراكى ومنجزاتنا الانسانية السلمية . لابد من مواجهة هذه المسألة حتى لا تصبح البلاد الاشتراكية صديقة حقيقية مخلصة ونزيهة لنضالنا التحررى الاشتراكى العادل من ناحية ، و « غولا مفزعا » خطرا من ناحية اخرى ، الامر الذى يترك الجماهير نهبا للتناقض والبلبلة والغموض ويترك أرضية ملائمة من الانطباعات المعادية المتشككة يتقفز منها اعداء الشعب .

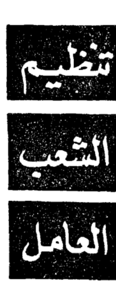
كذلك لابد من تذويب الثلوج فى العلاقات بين القوى الاشتراكية وبعضها ، والعمل على توحيد هذه القوى جميعا .

وبعد ، فهذه جميعا اختيارات ثورية مطروحة على القيادة الثورية فى الجمهورية العربية المتحدة.

ان التاريخ لم يقدم لنا مثلا واحدا على استطاعة القوى الاستعمارية ،دحر ثورة اشتراكية واحدة، سارت بشكل حازم فى الاتجاه الاشتراكى ،سارت بشكل واضح لخدمة الاغلبية العمالية الفلاحية الكادحة ، سارت على هدى قوانين العلم الاشتراكى التى تأكدت صحتها وتتدعم كل يوم، وانما استطاع الاستعماريون ويستطيعوا ان ينفذوا على الدوام ،حيث تضيع الجذرية فى النظرة السياسية ويعم التردد ، حيث ترفض وتهمل الخبرة العلمية المؤكدة لمن سبقونا فى النضال، من اجل تجريب غير مأمون النتائج ، يهدر التراث الانسانى ، ويتعالى على العلم ، ان الاستعماريين ينجحون حيث يسمح لاقليات طبقية جديدة بالظهور على حساب الشعب ، مكان الارستقراطيين القدامى ، وحيث يفتقد الوضوح الايديولوجى ، وتسود الوسطية الفكرية بين الشرير والطيب ، حينما يكون الانحياز للشعب، ضرورة ملحة تقتضى التحديد الثورى الحاسم .







تنظيم الشعب العامل شرط لكل تغيير عميق

أبو سيف يوسف

في أعقاب النكسة طرح رئيس الجمهورية قضية مراجعة العمل الوطني في مجموعه ، واعادة البناء السياسي والعسكري . وكان من الطبيعي أن تشغل هذه القضايا بال المفكرين والكتاب الثوريين الذين حاولوا من جانبهم ان يتعرفوا على طبيعة التغيرات المطلوبة وأبعادها. واذا كانت اراؤهم قد اجمعت على ضرورة احداث تغييرات عميقة وشاملة ، الا ان البعض قد اكتفى بالمطالبة باجراء هذه التغييرات دون تحديد كما ان البعض الاخر اشفق من المبادرة باتخاذ اجراءات واسعة وقدر ان احداث «تغييرات عميقة» هو مرحلة آجلة يجب ان تسبقها مرحلة عاجلة تتم فيها تغييرات محدودة تمكننا من ان نكسب المعركة.

وقضية التغيير هى قضية كل ثورة تريد ان تحيا وان تستمر ، غير انه من الخطورة بمكان فى الظروف الحالية ان نكتفى بشعارات عامة عن «**التغييرات الجذرية**» المطلوبة . كما انه من الخطورة ايضا ان تقسم المرحلة الراهنة تقسيمات لاتحتملها ولا ترتبط بالواقع .

من أجل هذا يلزم ان ننطلق من **نقطة بدء** لاخلاف عليها ، ثم نحاول بعد ذلك ان نستكشف آفاق التغيير المطلوب : ظروفه ، وركائزه الاساسية .

ونقطة البدء هي انه منذ ٥ يونيو وهو يوم العدوان الامبريالي الصهيوني بدأ مجتمعنا يواجه ظاهرة جديدة هي ظاهرة الحرب . وهذه الحرب اذا نظر اليها من حيث انها عمل دبرته وفرضته الامبريالية الامريكية وكلب حراستها اسرائيل ، امكننا ان نصفها بانها «الحرب مضادة للثورة» استهدفت في الاساس القضاء على النظم الثورية في الوطن العربي . ولكن اذا نظرنا الى النتائج المباشرة التي ترتبت على العدوان — احتلال جزء من أرض الوطن — امكن القول بان هذه الحرب لن تكون معركة الدفاع عن الثورة الاجتماعية فحسب وانما هي ايضا حرب وطنية تحريرية هدفها صد العدوان وتحرير الجزء المحتل من ارض الوطن . وهي بهذا المفهوم تجذب حتما الى ساحة المعركة الوطنيين الشرفاء كلهم على اختلاف مواقعهم الاجتماعية وافكارهم السياسية

ولما كانت الحرب وفقا للمفهوم المعروف هي استمرار للسياسة ولكن باساليب اخرى فان بلادنا تخوض الحرب استمرارا للثورة اي باساليب ثورية والهدف المباشر ردع العدوان وازالة اثاره وتحقيق النصر على المعتدين . وتحقيق هذا الهدف لا يحدد نوع الاجراءات او التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المطلوبة فحسب بل انه يحدد ايضا الضمانات التي يجرى في ظلها اي تغير منشود . ومن هنا فان اي تغيير لن يكون مطلوبا لذاته وانما لكسب الحرب .

ثم نتوقف عند طبيعة الحرب التي فرضها علينا الامبرياليون والاسرائيليون . هنا نرى اننا امام عدو رجعي وعنصري، شرس ودموي الى اقصى حد يملك قدرات مادية هائلة ويتخذ من جميع مكتسبات العقل البشري سلاحا يستخدم لقمع ارادة الشعوب وابادة الناس . والعدو الى جانب هذا يخوض المعركة مع الشعوب العربية على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية . فالتغييرات المطلوبة اذن يجب ان تغطي جملة من المهام الرئيسية والعاجلة في مقدمتها :

● بناء القوات المسلحة وتعزيز كفاءتها وضمان تلاحمها مع الشعب العامل .

● تعبئة وتنظيم الاقتصاد القومي في مجالات الصناعة والزراعة تعبئة شاملة ليكون اقتصاد حرب وليفي باحتياجات المعركة .

● حشد كل قوى الامة على النحو العسكري وتنظيم هذه القوى لتصل الى مراكز الصناعة حاجتها من المواد اللازمة ولتصل الى الشعب حاجته الضرورية من المواد الغذائية ، وليتمكن العاملون في نهاية الامر من زيادة الانتاج .

وهذه المهام ليست هينة على الاطلاق ، لاننا كبلاد نامية لا نملك حاليا من مصادر الثروات ووسائل التفوق العلمي مايملك الامبرياليون المتسترون وراء اسرائيل . لكن تجارب الثورات الوطنية التحريرية في المستعمرات والبلاد التابعة تضع ايدينا على هذه الحقيقة وهي ان بلادنا تملك من مصادر « المادة البشرية» ما تعجز أى حكومة استعمارية عن تحصيله وحشده . وهذه «المادة البشرية» هي ملايين الفلاحين والعمال . وتثبت تجارب الشعوب ان هذه المادة معين لا ينضب وانها من الوفرة والاتساع بحيث يؤدي حشدها وتنظيمها الى تمكين الامة من مواجهة صلبة وفعالة مع المعتدين واعوانهم .

انطلاقا من هذا الواقع الوطني نجد بداهة انه اذا كانت ظروف المعركة المسلحة تتحكم الى حد كبير في نوع التغييرات المطلوبة فان ركيزة كل تغيير وضمانته الاساسية تكمن في الخط الجماهيري الذي تلتزم به القيادة السياسية وهي تعيد بناء التنظيمات السياسية والشعبية .

المطلوب اذن ان يلقي الفلاحون والعمال في مجموعهم بثقلهم كاملا في المعركة . فهذا شرط النصر على العدو . وذلك لسبب بسيط هو ان الفلاحين والعمال يمثلون من الناحية العددية الغالبية العظمى من ابناء الشعب . وهم من حيث الاستعداد للقتال قد اثبتوا انهم مستعدون فعلا ، وليسوا في حاجة الى درجة معينة من الثقافة لكي يقتنعوا بضرورة رد العدوان عليهم . انهم يدركون ان الوطن جريح وهم — على الاقل — يشعرون شعورا غريزيا بأن المعركة التي تخوضها البلاد انما تجرى دفاعا عن مكتسبات لهم في الارض وفي المصنع طالما كافحوا من اجلها وليسوا على استعداد للتفريط فيها . وفوق هذا وذاك فان الفلاحين والعمال يتفوقون في المقدمة فعلا من حيث القدرة على تحمل اهوال الحروب الحديثة وما تجره من آلام ، لان حياتهم البسيطة والخشنة تجعلهم اكثر استعدادا لتقبل افدح التضحيات .

ان هذه (المادة البشرية) الضخمة التي تتفوق قوتها الكامنة على كل قوى الطبيعة المعروفة يمكن ان نشبهها بالنهر الجبار الذي يحتاج لكي يعطي قوته — الى السدود والخزانات . ومن هنا فان النصر في المعركة مرهون بحشد وتعبئة الفلاحين والعمال في التنظيمات المختلفة القائمة « الاتحاد الاشتراكي ، المقاومة الشعبية .. الخ » او في غيرها من التنظيمات التي يتطلب قيامها تطور

الاحداث . وعلى اى حال فان لنا ان نتوقع ان تتجه القيادة السياسية خصوصا بعد خطاب الرئيس فى ٢٣ يوليو الى ان تضطلع بهذه المهمة الحيوية . وعلى التنظيمات القائمة ان تثبت جدارتها وكفاءتها باستيعاب طاقات الفلاحين والعمال وباعطائهم مكانهم الذى يستحقونه فعلا بحيث يعبر الاتحاد الاشتراكي عن الحلف المتين بين الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين والجنود ،هذا الحلف الذى يمثل السياسة الثورية فى جوهرها .

وعند الحديث عن تعبئة العمال والفلاحين فى التنظيمات الشعبية نواجه بشيء من التردد — ولا اقول المعارضة — فهناك افكار تذهب الى ان ظروف المعركة المسلحة لا تتحمل الدخول فى اعمال جسيمة من هذا القبيل : بناء التنظيمات الجماهيرية

وفى اعتقادنا ان هذه التصورات خاطئة للاسباب التالية :

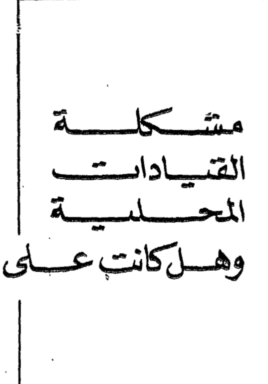
اولا : لان الحرب تعلم الناس السياسة . وحتى اكثر الناس بعدا عن الاهتمام بالسياسة تجذبه وقائع الحرب واحداثها الى حلبة القضايا السياسية ليحاول ان يتفهمها ويدلى برأيه فيها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فكما ان الحرب استمرار للسياسة فهى ايضا «ايجاز للسياسة» انها تلخص بوضوح جملة من القضايا الرئيسية : ما الهدف من المعركة . ما هى وسائل تحقيق النصر . ما هى الواجبات اليومية والمبشرة لكل مواطن . من هم الاعداء ومن هم الحلفاء والاصدقاء . وكل هذا من شأنه ان يسهل اعمال التوعية والتعبئة فى صفوف الجماهير .

ثانيا : لما كانت الحرب تتطلب بالضرورة التوتر فى كل قوى الامة ورفع يقظتها الى اقصى حد . فان الحماس الوطنى الذى يزلزل الجبال يتحول الى قوة خارقة تختصر الزمان والمكان وتمكن القوى الوطنية والشعبية من ان تتخطى معدلات السرعة فى انجاز العمل المطلوب منها . وان الشعور الذى يدفع بالمواطن الى الاستبسال وبذل الجهد الخارق هو ذاته الشعور الذى يهيئه فى اقصر وقت ليضع نفسه رهن اشارة التنظيمات الجماهيرية ، ثم ليشارك فى حياتها وكفاحها مشاركة ايجابية .

ثالثا : ان المعركة التى نخوضها من حيث انها معركة الدفاع عن الوطن وعن الثوره الاجتماعية ترفع فى صفوف الجماهير مستوى المسئولية واليقظة السياسية وتفرض على قوى الشعب درجة ملحوظة مما يمكن ان نسميه «بالانضباط الذاتى» . وهذا الانضباط الذاتى هو الركيزة التى تمكن المسئولين من صيانة الامن الداخلى والمحافظة على سلامة الجبهة الداخلية ، وهو المصل الواقى من الفوضى التى يحاول العدو ان يثيرها فى صفوف الامة عن طريق اعتداءاته واذاعاته واعوانه المستترين .

فلكل هذه الاسباب ولغيرها تفرض مسألة التنظيم والتعبئة الشعبية نفسها كشرط وضمان لكل تغيير جذرى . ولم يكن من قبيل الصدفة ان يوضح جمال عبدالناصر بحسم فى خطابه الاخير ان استمرار الثورة شرط لتحقيق النصر على العدو . ولم يكن من قبيل الصدفة ايضا ان يربط عبد الناصر بين استمرار الثورة وبين ضرورة البدء بتنظيم الجماهير ، هذا التنظيم الذى هو اداة وشرط احداث كل تغيير عميق .





مشكلة القيادات المحلية وهل كانت على مستوى المسئولية؟

د . محمد أحمد عجلان

عاتب احد الاصدقاء بعض العاملين ليلة الصدام فى « رأس العش » ان قد غادروا مواقع عملهم مبكرين ، بينما ان هـذا العـدو لا يهدأ فى عدوانه ، فانبرى بعضهم يقول والدموع تكاد تطفر من عينيه ان اعطنى سلاحا ، وانى لذاهب الى هناك من توى ، واترك لله وحده قضاءه فى ان اعود او لا اعود .

وسمعت عن سيدة فاضلة دخلت الى رئيسها تقول فى عصبية المتحمسات او فى حماس العصبيات ، وتطلب منه ان يدبر لها امر التدريب على قيادة دبابة او الخدمة فى طائرة . واعتقد انه لم يكن بيد ذلك الرئيس ساعتها الا ان طيب خاطرها ، ودعاها الى ما هو اقل من ذلك بكثير ، دعاها ان تقلع عن عادة الحضور الى العمل متأخرة كل يوم .

ولست اشك فى ان ملايين عديدة منا كانت على هذه الصورة . عروق الوطنية التى جرت فى دماء المصريين ٢٥٠٠ من السنين تنبض فى كل جسم تدفعه الى التضحية والفداء ، التضحية بالحياة نفسها ان لزم الامر ، والفداء بالابن وفلذات الاكباد . ولكن اذا عدت مع هذه النفوس التى تلتهب بروح العزم ، وطرقت معها باب العمل اليومى ، لوجدنا صورة غير الصورة ، وتصرفا غير التصرف ، ان كان عاملا فربما وجدت منه بعض الاهمال . وان كان موظفا فربما وجدت القهوة والصحيفة تأخذان منه نصف الوقت ، وان كان شابا فربما ضبطت عليه « زوغان العين » كما يقولون .

وهـذا الذى نذكره ليس ظواهر منعزلة ، ولا هى حالات خاصة ، بل قد كانت وبالمشاهدة طوال المعركة وحتى اليوم ملاحظات ذات اتساع كبير .

ويصبح من الضرورى ان نبحث عن اسباب هـذا الانفصام ، وعن الحقائق خلف هذه التصرفات ذات الطبيعة المزدوجة . ولست اشك الا انه عجز عن الرؤية بوضوح لحقيقة ان القتال ليس على الجبهة فحسب ، وعن ان الذى يقاتل ليس جيشا ولكنه امة بكاملها ، وان الامر ليس كمباراة فى الكرة يتبادل فيها فريقان الكر والفر واصابة الاهداف ، بينما ان المشاهدين مهما بلغ بهم الحماس واصيب الضعاف منهم بالسكتة ليسوا الا مشاهدين فحسب .

وبهذا وجب ان نعيد النظر فى دور مختلف الاجهزة اذ عجزت عن ان تزرع هـذا المفهوم

بعمق فى نفوس الملايين . وجب ان تراجع اجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون ماذا قالت للناس ، وماذا نشرت على الجماهير ، واى آثار كانت لما قالت او صورت او نشرت . ووجب على الاجهزة السياسية على مختلف مستوياتها ان تستعيد وان تدرس نتائج جهودها فيما قبل المعركة واثناءها ، وهل كانت فى تصرفاتها تصدر عن هذا الوضوح ، وتضعه هدفا لها فى العمل بين الجماهير وفى توجيهها . ووجب على الاجهزة الادارية والقيادات فى مواقع الانتاج ان تراجع هى الاخرى ماذا فعلت . هل عبأت جندها لتكون جزءا من الصف المقاتل ؟ وهل استعدت لدور ايجابى ام اتخذت فى احسن الفروض الدور السلبى .. دور اتخاذ احتياطات الامان من الغارات .

ورب مشاهدات اخرى تدفع الى قدر آخر من التساؤلات .

فقد تناقش الكثيرون من العاملين فى العديد من المواقع ادراكا لواجبهم الوطنى، وصدورا عن وعى بأن المعركة شاملة ، وانه كما يسيل الدم الطاهر على جبهة القتال ، يجب ان تسيل حبات العرق وراء الالات ، تناقشوا فى بعض المواقع حول ضرورة ان يرفعوا ساعات العمل الى ثمانى ساعات ، وفى بعض المواقع حول ضرورة ان يقوموا متطوعين بعمل من غادروا مواقع الانتاج الى مواقع القتال . ومع ان وقت الحرب لا يحتمل النقاش الكثير ، ومع ان كل دقيقة وقت المعركة قد تعنى حياة جيل بأكمله ، الا انه كانت ترتفع الاصوات ومن اعداد لايستهان بها تتقاعس عن ان تستجيب ، وحجتها ان لو كانت هناك حاجة لسنت الدولة فى شأنها ما تشاء من قوانين . وقد صدق هؤلاء القول ، فبمجرد ان علموا بقرار لجنة الخطة فى هذا الشأن انتظموا دون ما نقاش ودون تباطؤ او تهاون ، وعملوا تلك الثمانى ساعات . ولكن لابد ان نتوقع فارقا بين ان تعمل الساعة الزائدة متطوعا وعن ايمان ، وبين ان تعملها كقرار اصبح ملزما وكقاعدة واجبة التطبيق .

وشاهدنا قيادات فى عديد من المواقع حين توالت التهديدات واحدة وراء الاخرى ، ثم حين بدا الهجوم الغادر الاثم ، وطوال وقت القتال وتبادل النيران ، تقف مكتوفة الايدى وكان ليس فى مقدورها ان تفعل شيئا .. ان ابلغت بجمع التبرعات قامت الى هذا الواجب تبذل فيه ما استطاعت جهودها من نشاط ، وان مرت ايام دون بلاغ بقيت مكانها فى انتظار التعليمات .

وتلك امثلة اخرى ليست منعزلة ، ومشاهدات لا اظنها محصورة ، بل واسعة . وجب علينا انطلاقا منها ان نتساءل عن الاسباب . وان نعمل الفكر فيما وراء الظاهرة من حقائق .

حقيقة نحن شعب قد مارس سلطة الدولة ردحا من الزمن لم يبلغه شعب آخر على ظهر هذه الارض ، وحقيقة اننا نولد وفى دمائنا صورة دولة مركزية لها السلطان على كل البلاد . ولكنها حقيقة كذلك ان الشعب لم ينتظر الاوامر والتعليمات ليقوم بثوراته التى تعددت ، وبانتفاضاته التى توالت . وحقيقة كذلك ان هذه الالاف التى تنخرط اليوم فى المقاومة الشعبية لم تنتظر التعليمات ، بل انتظرت الفرصة فحسب . وحقيقة فى حياة الشعب ليست فريدة انه لم ينتظر نداء احد يوم ٩ يونيو العظيم . وبالتالى فكيف نرى هذه المشاهدات فى ضوء تلك الحقائق .

« ماكو أوامر »

ولنا اذن ان نتساءل ، اليس هذا التقاعس الذى ذكرت من جانب بعض الجماهير دليلا على انها لم تطمئن بعد على ان كل قياداتها تؤمن بما اكتسبت من حقوق اشتراكية ؟ والا يكون هذا دليلا على ان الشعب وان وثق بقيادته التى منحته حق السبع ساعات ، ومستعد ان يستمع لها ان طالبته باضعاف تلك الساعات ، هو فى نفس الوقت منعدم الثقة او على الاقل ضعيف الايمان بها فيما يتعلق بقياداته المحلية ؟ والا يكون معنى هذا انه عن حق او عن غير حق — ما زال يشك فى انها معادية لحقوقه التى اكتسبها ؟ ثم اليس محتملا انه كان يرى الدعوة حديثا يلقى فحسب، وليس مثلا حيا نابضا تضربه القيادات ؟ والا يعنى الامر انه قد اعتاد من القيادات فى مواقعه ان تنتظر التعليمات ، ومن ثم كان غريبا عليه — وهو غريب بالفعل — ان تلبس فى يوم وليلة ثوب القيادة الواعية التى تمارس دورها الطليعى السليم ؟ .

ويمكن فى شأن تلك القيادات التى تنتظر التعليمات ، أن نذكر بمثل من التاريخ العربى الحديث ، من حرب ١٩٤٨ ، يوم ان كانت القنابل تسقط والقذائف تتوالى على جيش من الجيوش العربية ، وتساءل الجنود فى جيش آخر مجاور ، لماذا لا نحارب ، وكيف لا نطلق طلقة واحدة نشد بها ازر الاخرين ، وكان رد قائدهم «ماكو اوامر» وذهبت فى تاريخنا مثلا . لقد فقد ذلك القائد يومها وجوده ، وكان بفضل قيادته الخائنة صفرا او اقل من الصفر . ولا اظن « ماكو اوامر » الا مرادفة لقول القائل « مفيش تعليمات » ، وكما

تحت قيادة ذلك الجيش يومها وجودها ، فكل قيادة مماثلة تصبح فى نفس الوضع . ووجب الان ان نتساءل ، هل كانت القيادات على مستوى المسئولية ، ولديها ما يكفى من وضوح الرؤية لممارسة دورها ، ومن القدرة الذاتية والاندفاع كقيادة ثورية لتؤدى واجبها ؟

ويثور هنا سؤال آخر ، ولماذا منطق انتظار التعليمات ؟ وهل نريد للجماهير ان تتحرك فقط عند صدور التعليمات ؟ وهل بالتعليمات فحسب تتحرك الجماهير التحرك الواعى الايجابى الخلاق؟ .. واين طريقة التعليمات هذه من منطق الديمقراطية الثورية ؟ او ليس افضل واسلم ، واكثر نجاحا ان نجمع الجماهير لتناقش المشكلة موضع الاعتبار ، وان نضع امامها الحقائق دون مواربة وان نتيح لها ان تبدى الرأى ، وان تقترح من واقعها ومن قدراتها ما تشاء وما تستطيع ، ثم ندفعها الى ابعد ان لزم ، او نجذب اللجام ان كانت الحركة جموحا .

وثمة تساؤل تناقل على كثير من الافواه . لماذا لا نتصالح مع امريكا ، ولماذا الصدام كل بضع سنوات ؟ ويستمر التساؤل فى سذاجة ، اليست امريكا بلدا غنيا قد نستفيد الكثير من مصالحته ؟ وقد يأخذ التساؤل الطابع الانهزامى هل نحن فى قوة امريكا واساطيلها وطائراتها ، ويتدارك المتسائل نفسه فيضيف . وقنابلها الذرية ؟

ولا املك الا ان أؤكد ان هذا لم يكن يتردد فى الافواه الرجعية فحسب ، بل ان الكثيرين ممن رددوه هم فى اعماقهم مواطنون صالحون ، وان كان النبع من فلول الاقطاعية ورأس المال .

ونتساءل ماذا لو طال اثر القتال ، وتعددت الجراح ؟ ونتساءل كذلك كيف يمكن ان تنجح الانهزامية فى ان تنشر هذا وفى وقت قصير كالذى بدا ترديده فيه ؟ .

ونقيم بالتالى نتائج عملنا السياسى فيما قبل المعركة . ونعيد اشرطة الحوادث امام النظر لنسأل الم نكن نقتصر فى عملنا السياسى على ترديد الشعارات ومقتطفات الميثاق ؟ الم نعجز فى الكثير من المواقع عن ان تكون لنا القيادات التى تستطيع ان تترجم الحقائق السياسية الى ما يتصل بمشاهدة الانسان العادى اليومية التى تربط وبشكل مباشر بين زحمة الاوتوبيس ، وموقف العملة الصعبة من اجل القمح ، ومعاداة امريكا لنا فى لقمة العيش .. التى توجد الصلة للعامل بين المنتج الذى سيصدر من وحدته الانتاجية ، ورغيف العيش الذى سيجده فى منزله آخر النهار .. التى تشرح فى يسر وبساطة العلاقة بين ازمة طارئة وعملية البناء ومستقبل الاولاد والبنات .. وهكذا ، حتى تصبح امريكا والاستعمار — كما هم بالفعل — الشبح الذى يهدد امام الانسان الحياة . ان وعيا يبنى على هذه الصورة ، وبهذا الاسلوب هو الكفيل دائما ان يرد كيد الرجعية والاستعمار الى صدورها ، وهو الضمان الى تماسك دون بلبلة ، وقوة وطنية لا ينفذ اليها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

ويهاجمنا الاستعمار لاننا امة تبنى نفسها ، ولانه يهوله ان ينشأ الف مصنع فى خمس سنوات ، وان يستصلح نصف مليون فدان فى نفس المدة ، ويخيفه ان يتدعم مثال الاشتراكية وسط الشعوب التى ينهب ثرواتها ، وبجوار منابع البترول التى يستنزفها . انه يحاربنا لاننا نبنى ، وسيظل — واكرر مرة اخرى انه سيظل — ولن يوقف حربه علينا طالما كنا نبنى .

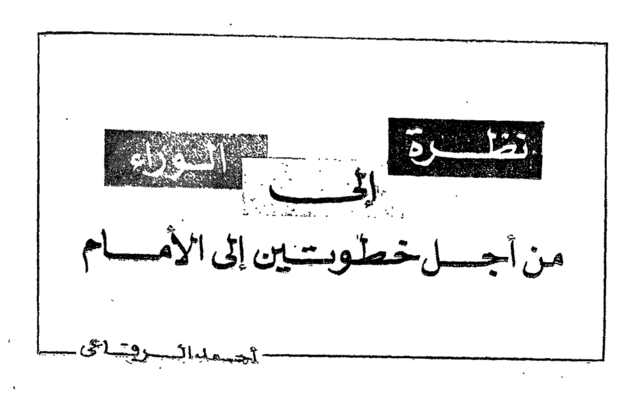
ونسأل انفسنا ، الى اى مدى انعكست المقاومة له فى ان نستمر نبنى ، وبأى صورة عدلنا من شكل ومستلزمات البناء فى ظل الظروف الحاضرة حتى نظل نبنى . ولا اسأل هذا على مستوى القيادة العليا للدولة ، ولكنى اتساءله على مستوى القيادات المحلية ، وفى مواقع العمل . لست اريد الا ان اقول انه يجب ان ينعكس كل شعار وكل مفهوم سياسى الى واقع عملى تنفيذى ، والا اصبح الشعار علما خفاقا ليس من ورائه جنود .

وربما ان النكسة والحديث عنها قد انعكس على ما كتبت ، فكان سلبيات فحسب . ولكنى لست اغفل ما فى مجتمعنا وشعبنا وقوانا كلها من ايجابيات كفيلة بأن تهزم الاستعمار ليس على ارضنا العربية فحسب ، ولكن على دائرة اوسع من ذلك بكثير .

ربما ، انه درس آخر من النكسة كذلك .. ان هذه الايجابيات المتعددة الواسعة والتى تظلل شعبنا كله كما تظلله سماؤه الصافية ، يلزم لها فحسب ان تنظم .

الى نصر ، الى نصر ، فنحن نملك كل مقوماته

انا الى النصر متجهون .



في غمرة الازمات المتلاحقة التى يفجرها الاستعمار فى مختلف بقاع العالم ، لا ينبغى ان تفوتنا للحظة واحدة ، حقيقة اننا نعيش فى مرحلة تصفية الامبريالية . هذه الحقيقة تعنى اولا ان علاقات القوى فى العالم لم تعد فى جانب الاستعمار مهما انعزلت بعض الحكومات فى البلدان النامية عن ارادة شعوبها .. فلسوف تلحق هذه الحكومات الخاضعة لمخططات الاستعمار الجديدة بما سبقها من حكومات مماثلة الى مصير مظلم .

أمريكا وليست اسرائيل

ولعل الهدف الرئيسى الان امام الاستعمار وهو يعانى من مرحلة الشيخوخة ، ان يعمد الى الانقلابات الداخلية واسقاط النظم التقدمية وربط الاقتصاد والسياسة فى البلد النامى بالعجلة الاستعمارية واستخدام بعض الدول كراس حربة مثلما فعلت امريكا باسرائيل . فبالرغم من أن اسرائيل هى التى ظهرت فى ميدان القتال بالشرق الاوسط كقوة ضاربة فان صاحب المصلحة الرئيسية فى الحرب ضد العرب هى الولايات المتحدة .. ومن هنا لاتتغير امريكا سياستها ازاء اسرائيل مهما تعددت الوان الساسة فيها من الحزب الجمهورى الى الحزب الديمقراطى . ولنلق نظرة على نص محدد ببرنامج الحزب الجمهورى فى الانتخابات الماضية حيث يقول « اننا ننظر الى المحافظة على اسرائيل على انها مذهب هام من مذاهب سياسة امريكا الخارجية ، ونحن عازمون على ان سلامة دولة يهودية مستقلة يجب ان تبقى » . كما ينص البرنامج الانتخابى للحزب الديمقراطى على ما يلى « سنعاون اسرائيل فى بناء اقتصاد سليم حيوى لشعبها حتى تستطيع ان تنهض بمهمتها الانسانية فى توفير المأوى للاجئين اليهود الذين لا مأوى لهم وهى تدعم فى نفس الوقت نموها القومى » .

استراتيجية العدوان

نشرت جريدة **هيرالد تريبيون** تقول « ان المصدر الحقيقى للخطر فى الشرق الاوسط ، هو خطر الحركة التى يقودها ويؤثر فيها الزعيم جمال عبد الناصر ، والتى تستظل براية القومية العربية » .. وتحدد هذه الكلمات تحديدا كاملا استراتيجية امريكا فى الشرق الاوسط .. فعبد الناصر بكل ما يمثله شخصه ودعوته والنظام التقدمى الذى أقامه هو الهدف الرئيسى الحقيقى للعدوان . والا فاننا نتساءل : هل فى استطاعة اسرائيل وحدها ان تطيح بالنظم التقدمية فى الوطن العربى ؟ واذا كانت اسرائيل قد كسبت جولة من جولات الحرب ، وتقهقرنا نحن خطوة الى الوراء ، فهل تستطيع ان تحتفظ وحدها بذلك النصر ؟ هل تستطيع اسرائيل بتعدادها الذى لا يتجاوز مليونين ونصف المليون ان تبعث بقواتها الى الجزائر والى سوريا والجمهورية العربية المتحدة والعراق . ان النصر الخاطف فى جولة واحدة لا يمثل شيئا بجوار الاحتفاظ بهذه المكاسب . فاحتفاظ اسرائيل بالمناطق التى تحتلها معناه انهيار اسرائيل كلية .

اسرائيل اذن ليست هي وحدها العدو الحقيقي وانما عدونا الرئيسي هو امريكا ، وما اسرائيل الا قاعدة له ، شأنها في ذلك شأن باقي القواعد العسكرية . ومن هنا تبرز خطورة المعركة وضخامة الامكانيات التي يجب ان نحشدها لها ، وعمق واتساع الجبهة التي يجب ان نشارك فيها على النطاق الدولي .

امريكا وعدوان ١٩٥٦

وربما كان هناك شيء من المبالغة في القول بأن امريكا لم تشترك في عدوان سنة ١٩٥٦ فهذا الاتجاه يعني تعليق بعض الامال على امريكا ، وهذا بدوره يعطيها فرصة الاعداد والتحضير في هدوء، ويخدع جزءا من قوى الشعب ويصرفه عن العدو الرئيسي . والشيء الجدير بالذكر ان امريكا لم تتخل عن استراتيجيتها لحظة واحدة من التحايل الى التحالف على اسقاط ثورة ٢٣ يوليو . وما بدا لنا من عدم اشتراك امريكا في عدوان سنة ١٩٥٦ انهو الا وهم كبير ،اذاشتركت قوات حلف الاطلنطي الذي تتزعمه امريكا اشتراكا فعليا فكانت تجوب شوارع بورسعيد ، وكانت طائرات الحلف تقصف مطاراتنا في نفس الوقت .

ولقد رد الاميرال سارلزر براون قائد الاسطول السادس في ذلك الوقت على سؤال اشتم منه ان الاسطول السادس كان يعطل مناورات البوارج الفرنسية والبريطانية بقوله « انني انفي نفيا باتا الادعاءات القائلة بأن وحدات الاسطول السادس كانت تناور عمدا في طريق الوحدات البحرية البريطانية والفرنسية » واضاف قائد البحرية الامريكية الى ذلك « كانت بوارج الاسطول السادس الامريكي على اهبة الاستعداد لشق طريقها الى القاهرة اذا ما اتضح ان ذلك ضروري»

الطابور الخامس

والحقيقة ان النظرة الى اسرائيل على انها العدو الوحيد الرئيسي لنا ، او انها اكثر من اداة لامريكا انما يوقعنا في اخطاء كبيرة سواء أكان ذلك في المجال الداخلي او الخارجي .

فمن الصعب ان نتصور ان لاسرائيل طابورا خامسا يخشى منه في داخل الجمهورية العربية المتحدة . فلم تكن اسرائيل يوما من الايام سندا لطبقة في مصر تعمل لصالحها ،حتى تحلم من جديد في عودتها الى السيطرة . ان الطبقة الحاكمة فيما قبل الثورة عاشت في حمى قصر الدوبارة وبعد ذلك حولت وجهتها الى امريكا ، ولم يكن لاسرائيل ولن يكون لها مثل ذلك الطابور من الاتباع الذين عملوا لصالح هذه الدول .

ولا شك ان ذلك من شأنه اتاحة الفرصة لفئات كثيرة اضرت بها الاجراءات الثورية ، او تلك التي تخطت الثورة ابعادها الثورية ، ان تنفث سمومها وهي في مأمن ، فهي تقف مع الشعب في عدائه لاسرائيل ، بل وتفرط في حماسها ضدها ولكنها تدعو في نفس الوقت الى التريث في اختيار الاصدقاء ..

هذا المنطق المسموم كان يلعب دوره في تخريب معنويات الشعب وكسر مقاومته . وكم كان مفيدا ان تربي الجماهير على عدم الفصل بين امريكا واسرائيل ، وان صداقتنا مع الامريكان لا يمكن ان تقوم الا على حساب استقلالنا واقتصادنا ، وان علاقتنا مع السوفييت جزء من استراتيجيتنا وانما تقف سويا في مواجهة الاستعمار وعلى رأسه امريكا .

وبذلك فالتركيز على اسرائيل وليس على امريكا افقدنا عنصرا كبيرا من عناصر الحذر الذي يجب ان نتسلح به ، ففي الوقت الذي كانت فيه صحافتنا تركز على مقاطعة الافلام الامريكية التي يمثل فيها احد الصهيونيين ، كان الفيلم الامريكي ينتقل بحرية كاملة بين دور السينما ويترك بصماته من الدعاية السامة على عقول الشباب .

وبكل اسف فلقد تعودنا ان نقرا لبعض كبار الكتاب « عتابا » على امريكا لتأثرها بالصهيونية ، وكأنهم يحاولون ان ينتشلوها من براثن الصهيونية، وبذلك يخفون الحقيقة ، وهي ان الصهيونية ظاهرة استعمارية وان اسرائيل ليست الا قاعدة لامريكا في الشرق الاوسط .

وخطورة هذا الاتجاه تتمثل في اننا اصبحنا الان في حاجة الى مراجعة العديد من تطبيقات مفهوم التعايش السلمي والتي اصبحت في حاجة الى مراجعة ليس على النطاق المحلي وانما ايضا على النطاق الدولي ، فاذا كان موقفنا يتلخص في عدم امكانية التعايش السلمي مع اسرائيل فهو من باب اولى يجب ان ينسحب الى امريكا

عناصر الثورة المضادة

واذا كانت امريكا قد اسست استراتيجيتها وحددتها في نفس الاطار الذي سبق ان حددته انجلترا في سنة ١٩٥٦ فان ذلك يعني الكثير

بالنسبة الينا . اذ ان هدف العدوان الثلاثى كان الاطاحة بدولتنا الثورية وقيادة عبد الناصر . واذا كان المناضل جمال عبد الناصر قد اعلن فى اكثر من مناسبة ان امريكا تتزعم الثورة المضادة، فان ذلك ليس معناه ان الثورة المضادة تصدر كل عناصرها من الخارج ، وانما ترتكز الى بعض العوامل الداخلية ، وما عليها الا ان تهىء الفرصة لها لتعمل وتنشط من جديد .

ولكن الحقيقة التى يجب الانغمض عنها الطرف ان امريكا فى تزعمها للثورة المضادة ارتكزت على العديد من العوامل ، واستطاعت ان تفرض علينا ان نعود خطوة الى الوراء

فما هى العوامل التى ترتكز اليها الثورة المضادة ؟.

وما هى اسباب الخطوة التى اتخذناها الى الخلف ؟

وعوامل الثورة المضادة موجودة فى تلازم مع عوامل الثورة ، وتشحب يوما بعد يوم مع تنشيط عوامل الثورة والدفع بها الى الامام . فاذا ما تعطلت اجهزة الثورة او تخلفت عن المرحله التى تعيشها نشطت عوامل الثورة المضادة .

وكما يستطيع أى مشتغل بالسياسة انيحدد عوامل النجاح واسلحة النصر ، يستطيع انيحدد العوامل التى ترتكز اليها الثوره المضادة . وفى زحام الاحداث تنشط بعض العناصر لتستعيد بالله من ظهور اىخائن فىبلدنا . وانالخيانة فىمجتمعنا عنصر غير موجود وهو قول لا يخرج عن احد اتجاهين : اما افراط فى السذاجة او افراط فى الخبث . أليس شعبنا ككلالشعوب وأليستبلدنا ككل البلاد . الم تمر بلادنا بهذه التجربة عندما خرج سلطان باشا ومعه مجموعة من الاقطاعيين على اجماع الامة . فالاقطاعيون الذين خانواعرابى لمجرد خوفهم من انتصاره ، اليس من المحتملان تراود بقاياهم هذه الفكرة هم او اجزاء من كبار الراسماليين الذين جردتهم ثورة ٢٣ يوليو من امتيازاتهم .

والحقيقة ان التعرف علىعوامل الثورةالمضادة يحدده مدى معرفتنا بالمرحلة التى نعيشها ،فاذا كانت طبقة الاقطاع خاضت حربها ضد الثورة البورجوازية فى فرنسا فليس معقولا ان اقطاعى البلاد الاخرى رحبوا بهذه الثورة فى بلادهم .واذا كانت الثورة الاشتراكية فى روسيا قد وجدت اعداءها فى الاقطاعيين والراسماليين فى داخل بلدها ، فليس معقولا ان الراسماليين فى البلاد الاخرى يرحبونبالاشتراكية .لا شك انهم يحملون لها نفس العداء ، ولكن ربما كانت الظروف لا تساعدهم على ان يشنوا حروبهم بنفس الضراوة التى شنت بها النمسا الاقطاعيةحربها ضدفرنسا البورجوازية . ولا بنفس الوقاحة التى قاد بها كولتشاك الروسى الجيوش الفرنسية والانجليزية والالمانية والقيصرية ضد الثورة الاشتراكية

والحقيقة ان وضوح الطريق امام الثورة وامام الجماهير لايمكن انيتم الااذا كانتلها ايديولوجيتها الواضحة المحددة ، واى ثورة لا تملك ان تكونلها ايديولوجيتها المنحازةالممثلة لفكرطبقة معينة.ولا جدال ان الثورة الفرنسية كان لها افكارها وفلسفتها التى تدين الاقطاع والملكية . والثورة الاشتراكية الاولى فى العالم كان لها افكارها التى تدين الراسمالية والاستغلال . هذه حقائق لا خيار للمرء فيها ، فلكل ثورة فكرها المميزالواضح والذى لا يستطيع ان يرضى كل الطبقات . واذا كنا فى عصر تصفية الراسمالية نجد ان اجزاء من مثقفى البورجوازية ينحازون الى الطبقة العاملة كما سبق ان انحازت من قبل فئات من رجال الدين وابناء الاقطاعيين الى الثورة البورجوازية ، فانذلكليس معناه ان البورجوازية كطبقة ترحب بالاشتراكية وتتقبلها عن طيب خاطر . ولكن الحقيقة الثابتة انها تظل تحلم بأمجادها وتعيش فى احلامها التى بددتها الاشتراكية ، وتظل تحمل الحقد على هؤلاء الذين حرموها امتيازات كانت تضعها فى صدارة المجتمع . وبذلك فالتطور السلمى الى الاشتراكية ليس معناه اختلاطالفكر الاشتراكى العلمى بأفكارالطبقات الاخرىوتمييع للبعض مقوماته .

الاجهزة التنظيمية

واذا ما قلنا الاجهزة التنظيمية فاننا نعنى الاشكال التنظيمية سواء اكانت سياسية ام اقتصادية ام عسكرية . هذه الاجهزة يجب ان تكون اداة الدولة لتنفيذ سياستها ومتابعتها وبالتالى يجب ان تمضى تحت فكرها ، وان تكون لقيادتها نفس المفاهيم الاشتراكية المحددة ، والا استحال الى فراغ وعملية خداع نتصورهاتعمل وهى عاطلة .. وبذلك يكون الحساب الختامى لها معاديا للثورة وليس معها .

والتخلف التنظيمى لا يمكن عزله عن الفوضى الايديولوجية ، فاذا كانت التنظيمات السياسية هى اعصاب الثورة التى تحس بها نبض الجماهير فانها فى ظل الوفاق الطبقى لن تنقل الا مشاكل

واحاسيس الطبقات المحافظة ، وبذلك تفقد هذه التنظيمات قدرتها على الحركة وتقف فى اذيال الجماهير ولا تلبث العناصر المخلفة او المحافظة ان تغزوها وتتعايش مؤقتا فى داخلها مع الطبقة العامله ولكنها لا تلبث ان نلقى بها فى المؤخرة . وهي فى ذلك كله لا تبدو عدوه للثورة فهى قادرة على استخدام كل شعارات الثورة وتحفظ الكثير من النصوص الاشتراكية وبذلك تحيل هـذه التنظيمات الى صور محافظة ، ولا مانع عندها بين الحين والاخر ان ترفع راية مكافحة الشيوعية اذا ما احست انها بدأت تنكشف او ان فكرها بدا يدان . فهى تلوح من حين الى اخر بهذه الراية الرنة ، وهي نعرف ما وراءها من نصوص قانونية لا زالت باقية فى تشريعاتنا حتى الان منذ عهـد صـدقى باشا ، وتسـتنهض بهـا بعض الاجزاء المتخلفة من الجماهير . فالرجعية تبـدا بتفريغ الشعارات من مضمونها ، والاطارات التنظيميه من قدرتها على الحركة ثم ترفع فى بعض الاحيان راية مكافحة الشيوعية

أين تقف القيادات النقابية ؟

واذا كانت ثورة ٢٣ يوليو تنعطف يوما بعد يوم نحو القوى العاملة ، باعتبارها صاحبة المصلحة الاولى فى الاشتراكية ، وأنها اقدر الطبقات على البذل والتضحية . فان قيادة التنظيمات العمالية لم تكن على نفس المستوى الذى تقفه الطبقـة العامله وهى بدلك تتباعد يوما بعد يوم عن فكر الطبقة العاملة بحكم وضعها الاجتماعي وتاريخها الذى لم يشارك فى أمجاد النضال النقابى . فقيادة الطبقة العاملة بغير اية مبالغة تمثل الارستقراطية العمالية بحكم وضعها الاجتماعي . فليس غريبا ان يقف رئيس الاتحاد معارضا الغاء بدلات التمثيل بينما يطلب فرض مزيد من التضحيات على القاعدة العمالية ، وهو فى موقفه هذا كان يعبر عن مشاعر البورجوازية لا عن مشاعر العمال . وبينما كانت الطبقات العاملة تقف سدا منيعا ضـد تحركات الرجعيـة التى حـاولت ان تسيء الى علاقتنـا بأصدقائنا فى البلدان الاشتراكية وانطلقت بعض الاقلام المشبوهة فى ذلك الاتجاه ، فبعث الاتحاد العام للنقابات فى يوم ١٣ يونيو ببرقية الى اتحاد العمال السوفييت يتهمهم فيها بالمسـاومة على حساب الشعوب

ان تنظيماتنا العمالية تحتاج الى مراجعة من جديد . فهى تتباعد عن الطبقة العاملة وتقترب من البورجوازية وبالتالى تفرض قيادة البورجوازية على الطبقة العاملة وتحد من قدرتها

٩ يونيو ثورة جديدة

ولا نكون مبالغين ايضا اذا ما قلنا ان ٩ يونيو كان ثورة جديدة . ثورة فى اهدافها وفى قواتهـا فاذا كانت ثورة ٢٣ يوليو تمثـل الطـلائع التى استولت على السلطة فى يوم ٢٣ يوليو ، فان ٩ يونية تمثل من الناحية الواقعية والطبقية هؤلاء الذين حكموا الشارع بصدق وبجدارة وفرضوا عودة عبد الناصر من جديد . انها القـوة التى حطمت استراتيجية العدوان ويجب ان تمثـل تمثيلا صحيحا فى السلطة .

كثيرون يحاولون ان يصـوروا أن الجمـاهير تحركت بعواطفها ووجدانها ، بدون ان يكون لها هدف محدد . ولكن الجماهير فى نداءاتها وهتافاتها واصرارها كانت تحدد الهدف بعودة عبدالناصر . ان عبد الناصر لا يمثل لها مجرد ٢٣ يوليو بأهدافه الستة وانما يمثل لها املها فى تحقيق الاشتراكية وهل كانت استراتيجية العدوان اكثر من اسقاط ناصر ، ان الجماهير فى ٩ يونيو هى بحق التى ردت العـدوان .

واذا اعتبرنا أن يوم ٩ يونيـه هو بداية ثورة جديدة فى بلدنا . ثورة شعبية فرضت ارادتها فى عودة عبد الناصر الى السلطة فان ذلك يعنى ان الجماهير قد طورت ثورة ٢٣ يوليو الى مفهوم جديد ومضمون جديد .. وأن جماهير ٩ يونيه تختلف عن جماهير ٢٣ يوليو من حيث التـكوين الطبقى والاجتماعى مما يفرض علينا ان نعيد تعريف من هم العمال والفلاحون الذين يدخلون فى نسـبة الـ ٥٠ ٪ .

ومن التجنى أن ندعى ان التنظيمات السياسية هى التي حركت الجمـاهير فى ٩ يونيـه ولـكن الحقيقة ان الجماهير كانت ابعد نظرا واعمق فهما واقدر على الحركة من هذه التنظيمات مما يفرض ان نعيد صياغة تنظيماتها بالشكل الذى ترتقى

قيه الى مستوى ٩ يونيه . والا فاننا نمارس عملية حنق لذلك اليوم

والشيء المؤكد ان الجماهير التى تحركت فى ٩ يونيو كانت تنظر الى عبد الناصر على انه الوطن وانه ٢٣ يوليو وانه المكاسب الثورية وانه الانتصار على امريكا وانه الاستمرار . وبالتالى فمن حق هذه الجماهير ان تجسد قدراتها وابعادها الثورية وان تصاغ لها التنظيمات التى تستوعبها بعيداً عن نظريات وتطبيقات التهادن الطبقى مع الطبقات المعادية . هذه الجماهير التى لا تملك سوى قوة عملها وقدرتها على الاستمرار ، انها تملك فى مجتمعنا اقصى الابعاد الثورية التى سدت الطريق على الطابور الخامس الذى حاول التحرك فى ظلام النكسة . وهى التى اصرت على ايمانها بتدعيم علاقاتنا بالدول الصديقة وبوحدة الطبقة العاملة العالمية وبقيادة عبد الناصر زعيما وقائدا ومعلما ومناضلا فى طليعة الاشتراكيين . لقد اصبحت الامانة الثورية تقتضى ان يكون لهذه الجماهير تنظيمها المحدد الفكر والمعالم الطبقية والقادر على الحركة والذى يستطيع ان يفرض قيادته على كافة اجهزتنا التنظيمية .





التعبئة الديمقراطية لقوى الشعب العامل

عبد المنعم الغزالي

واجهت الثورة العربية في شهر يونيو الماضي العدوان الصهيوني الذي تمكن بأمكانيات أمريكية وبريطانية والمانية غربية من الاستيلاء على جزء من ارض الوطن العربي، وظن الاستعماريون انهم قادرون على هز اركان البناء التقدمي الثوري في وطننا . ولكن يقظة الشعب العربي واحساسه الثوري وانطلاقه واصراره على استمرار الثورة العربية بافاقها الاشتراكية والتحررية اصاب خطة الاستعمار بالفشل ، فلم يتحقق هدف العدوان الرئيسي — اسقاط القيادة الثورية — وظلت القيادة الثورية تخوض المعركة وتقودها .

ولقد كانت هذه المواجهة هي اخطر منحنى واجهته الثورة منذ نكسة الانفصال السوري .. والثورة العربية وهي تواجه هذا المنحنى انما يزداد اصرارها على مواصلة النضال لتحرير الوطن العربي من الاستعمار والصهيونية ، انما يزداد اصرارها على تعبئة كل قواها لمواجهة العدوان ودحره — وتفرض هذه المواجهة على الشعب العربي ضرورة استخلاص دروس عاجلة تقدم مجموعة من الواجبات الرئيسية .

● ان الحرب التي نشبت بيننا وبين العدو — هي حرب ذات طابع عقائدي ، هي حرب بين الثورة والثورة المضادة — هي حرب بين الاشتراكية التي تريد الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان وبين هؤلاء الذين يريدون استمرار النظام الرأسمالي — ومن هنا اصبح هناك واجب رئيسي هو استمرار العمل السياسي بين كافة الجماهير الشعبية في القرية وفي المدينة وفي الوحدة الانتاجية .. في كل مكان تعمل فيه الجماهير او تتحرك . ان العمل السياسي القائم على الحقائق والمصارحة الثورية والمعالجة العلمية هو في

الاساس القوة القادرة على تعبئة هذا الشعب تعبئة واعية فى معركة مواجهة العدو الذى يريد أولا وأخيرا القضاء على نظامنا الثورى والاشتراكى — ان العمل السياسى للدفاع عن كل القيم الجديدة لثورتنا هو الذى سيفرض علينا ضرورة استمرار المعركة بوضوح وحسم ، وهو الذى سيزيح من طريق العمل الثورى فى التنظيم السياسى وفى المنظمات الجماهيرية والديمقراطية وفى الاجهزة الاقتصادية والفكرية كل القوى والعناصر الزائفة والتى تمكنت فى ظروف العمل السلمى ان تتسلل الى العمل السياسى وان تفقده الى حد كبير كل مضمون ثورى وكل محتوى عقائدى — ان العمل السياسى يجب وان تتصدى له العناصر والقيادات المؤمنة بالاشتراكية وباستمرار الثورة ، والمؤمنة بقدرة وامكانيات هذا الشعب ... ان استمرار الثورة ، اى استمرار الحرب ضد العدو ، وضد الثورة المضادة — انما يوجب ضرورة ان يكون العمل السياسى فى ايدى قيادة اشتراكية لا تعرف الوسط ولا انصاف الحلول وليست هى هذه **«الطبقة العازلة»** التى حذر منها ميثاق العمل الوطنى والتى **«تحول دون تدفق العمل الثورى وتجمد وصول نتائجه الى الجماهير التى تحتاج اليه»** ..

وان استمرار العمل السياسى وممارسته على أوسع نطاق انما توجبه ظروف المعركة التى تخوضها الثورة اليوم ، فالانتصار على العدو اليوم يعنى استمرار الثورة وتطورها الى الافاق البعيدة التى تنشدها .

وان النكسة التى نواجهها اليوم ليست نتيجة «الحل الثورى» الذى انتهجته ثورتنا ، واننا باستمرار انتهاجنا «للحل الثورى» وحده سنتغلب على «النكسة» وتستحيل الهزيمة الى انتصارات ثورية نحافظ بها على ما تحقق من مكاسب ثورية ونحرز بها مكاسب ثورية جديدة .

وتأكيد ضرورة العمل على خلق وتدعيم قيادة اشتراكية فى جميع مجالات العمل ، لايعنى تضييق نطاق التحالف الوطنى الواسع ولا يتناقض مع تقديم الجانب الوطنى على كل اعتبارات اخرى حتى نصفى آثار العدوان ، دون أى مساس بالحقوق الاجتماعية والديمقراطية التى حصلت عليها القوى العاملة .

وضع السلطة كلها فى يد الشعب

والحل الثورى الذى انتهجته ثورتنا هدف الى ارساء قواعد ديمقراطية اشتراكية سليمة لتحقيق سيادة الشعب — حددها الميثاق بقوله : **«ان الديمقراطية السليمة هى توكيد السيادة الحقيقية للشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه»** . وعليه يصبح واجبا رئيسيا يواجهنا هو اتاحة الجو المناسب للجماهير العريضة لتمارس حياتها الديمقراطية — وهى الحياة التى أرادتها لها الثورة **لتحمى وتنمى وتطور** كل المكتسبات الثورية فى مواجهة عدو شرس يريد أولا واخيرا افتراس هذه الثورة لصالح احتكاراته ولصالح الطبقات المستغلة . وهى تكون فيما تكون هذه القوة التى وصفها المناضل جمال عبد الناصر بقوله :

« ينبغى لنا مهما كان الثمن ان لانسمح بظهور طبقة جديدة تظن ان الامتيازات ارث لها بعد الطبقة القديمة وعلينا ان نقاوم مثل هذا الانحراف ونقومه ونثور عليه اذا اقتضى الامر ، ونجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه ، فان هذا السلاح سوف يتجه فى لحظة تواتيه الفرصة الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة» .

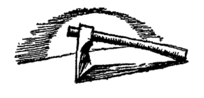
اذا فليكن واجبا من واجبات هذه المرحلة الثورية التعبئة الديمقراطية لقوى الشعب العامل باعتبارها محور العمل الثورى والمعركة تحتدم مع العدو ، وان هذه التعبئة الديمقراطية الواسعة ديمقراطية حازمة مع كل القوى التى حملت زيفا شعارات الثورة والاشتراكية وتسللت الى التنظيمات السياسية والنقابية والديمقراطية فأضعفت فعاليتها وقدرتها على مواجهة الازمات والنكسات بشجاعة الثوار واصرار المناضلين على الاستمرار بالثورة .

ان التعبئة الديمقراطية لجماهير الشعب العامل فى هذه المعركة الحاسمة بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة — الاستعمار والصهيونية والرجعية — يوجب ضرورة العمل من اجل تحويل المنظمات الجماهيرية — النقابات العمالية والقادرة على تنظيم ملايين العمال الصناعيين والزراعيين والنقابات المهنية .. وغيرها الى منظمات جماهيرية حقيقية والى مراكز للعمل الثورى — وشل كافة اساليب القيادات البيروقراطية لهذه المنظمات ، هذه الاساليب التى كشفت عن عزلة هذه القيادات عن جماهيرها وعدم تفاعلها المطلوب مع المعركة وعدم مواجهتها للسلبية والثورة المضادة والعدوان ولقد كشفت المعركة الاخيرة عن عجز هذه القيادات وخاصة القيادات النقابية البيروقراطية عن القيام بدورها فى المجالات العربية والدولية — فهى لم تواجه الهستدروت الاسرائيلى ونشاطه فى العالم وفى افريقيا — ولم تبذل جهدا منظما وجادا فى كسب الحركات العمالية فى العالم كله سواء الاشتراكى أو الرأسمالى الى صف قضيتنا العربية باعتبارها قضية ثورة وتحرر واشتراكية ... ان هذه القيادات البيروقراطية لم تعد هى القيادات الصالحة لقيادة

هذه المنظمات الجماهيرية في معركة حاسمة مع العدو بكافة قواته – الوحشية – ان هذه القيادات العمالية يجب ان تقود حركتنا العمالية بانحياز تام الى صف القوى الاشتراكية والمعادية للاستعمار – ويعنى ذلك ان تتخلى عن كل ارتباطاتها الدولية مع المنظمات العمالية الدولية التى ثبت انها من صنع المخابرات الامريكية وفى خدمة الاحتكارات الاستعمارية مثل الاتحادالدولى للبترول .

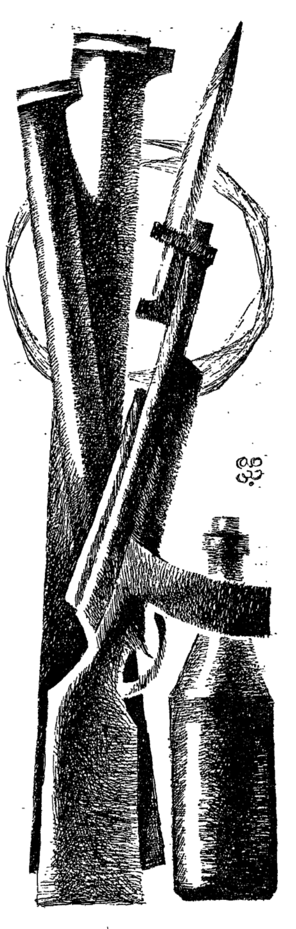
ان التعبئة الديمقراطية لجماهير الشعب العامل واستمرار العمل الثورى يوجب بالضرورة ان تصبح اجهزة العمل الاقتصادى والحكومي والفكرى والاعلامى فى مستوى المعركة – وان تتخلى عن كل محتوى بيروقراطى جعلها لفترة طويلة تحل المشاكل الاقتصادية والسياسية والفكرية بعقلية بيروقراطية وبعقلية رجعية احيانا – ان هذه القوى التى داست لفترة طويلة كل الزهور الجديدة المتفتحة بينما سمحت لاشواك المجتمع القديم ان تنمو وتزدهر – ان هذه القوى البيروقراطية والتى تعودت التحكم والسيطرة تصبح فى ساعات الخطر قوى معرقلة للحركة الثورية ومعاركها التى تخوضها لذلك يجب اخضاع اساليب ومناهج عمل هذه الاجهزة لقيادات ثورية ووطنية تستشعر الخطر الذى يحيط بالثورة ويستفزها هذا الخطر لتكون بكل قوتها فى المعركة دون مظهرية او شعارات براقة خداعة .

ان دروس الازمة التى نعيشها كثيرة – وقد ايقظت فينا الاصرار على الاستمرار بالثورة رغم كل العقبات والصعاب . واوجبت علينا ان نواجه بشجاعة كل عيوبنا ومسالبنا وان تكون هذه المواجهة صريحة كل الصراحة حتى تعرى كل قوى الثورة المضادة من اقنعتها وارديتها الزائفة . المعركة مستمرة مع العدو حتى نحرر وطننا العربى ، وفى نفس الوقت فالثورة مستمرة بكل ابعادها الثورية وبكل افاقها الاشتراكية ، لذلك يجب ان نواجه العيوب التى نخرت فى اجسامنا الثورية كالسوس ، وان نبذل كل جهد ونعبىء كل طاقة للتغلب عليها – والثورة قادرة على التغلب على كل هذه العيوب والمسالب لانها عيوب ومسالب طبقات اجتماعية منهارة تقاوم التقدم والتطور .



المقاومة الشعبية والحرب النظامية في مواجهة التفوق التكنولوجي

د. عباس كسيبة



في الوقت الذي تناضل فيه الطبقات الكادحة من أجل التحول الاشتراكي لمجتمعنا وتبرز النموذج المعبر عن آمال الملايين من الكادحين في العالم العربي ، يشتد الصراع على الساحة العربية ضد الاستعمار والامبريالية وعملائها في الداخل من الطبقات البرجوازية المستغلة .

والقضية الاساسية للجماهير العربية هي في توفير الشكل التنظيمي والقيادات المخلصة التي تستطيع أن تجسم آمال نضالها . ومن هنا تبرز أهمية وجود التنظيم الذي يسمح للجماهير الكادحة صاحبة المصلحة في التحول الاشتراكي للدفاع عن مكاسبها وصيانة حريتها ضد قوى الاستغلال على الصعيدين الداخلي والخارجي . اذ ان الحرب ضد الاستعمار لا يمكن ان تكون حربا تقليدية ، تتم المواجهة فيها اساسا بين جيوش نظامية ، لانه في هذه الحالة يكون التفوق لقوى الاستعمار بامكانياتها المادية والتكنولوجية .

اما اذا تحولت الحرب ضد الاستعمار الى حرب شعبية ، فسوف تفقد جيوش الاستعمار ميزة تفوقها التكنولوجى كجيش نظامى .

والامثلة التاريخية على هذه الحقيقة تؤكد فاعلية هذه المواجهة الشعبية فى مصر ضد الهكسوس والاتراك والفرنسيين والانجليز . والحرب فى كوريا والجزائر وفيتنام ، حيث لا زالت الجماهير تناضل ببسالة ضد قحة الامبريالية وجيشها المزود بأحدث الاسلحة التكنولوجية . فالشعب هو الذى يستطيع الصمود ضد كلقوى الامبريالية فى سبيل تحقيق حريته فى مواجهة قوى الاستغلال .

ومن هنا ايضا تبرز ضرورة الاستفادة من خبرة الشعوب المناضلة والتى حققت اروع انتصاراتها بتصفية كافة اشكال الاستغلال فى الداخل وتقف بصلابة ضد كل انواع الاستغلال فى الخارج .

فمع بداية المعركة وتصعيدها لم يكن هناك احساس جدى بأهمية المقاومة الشعبيةوضرورتها ولكن الجماهير تدرك من خلال واقعها وحساسيتها ضرورة وحتمية الصراع ضد قوى الاستغلال فى الداخلوارتباط ذلك بحتميةالمواجهة المباشرة معقوى الاستغلال العالمى وقمته أمريكا.

واندفعت الجماهير الكادحة من الفلاحين والعمال والمثقفين فى حماس تبحث عن الشكل التنظيمى الذى يمكنها من خلاله ان تؤدى دورها الفعال فى المعركة ضد الاستعمار .

وبالفعل مع بداية العمليات العسكرية سبقت الجماهير فى حركتها قيادات التنظيم السياسى وخرجت بصورة تلقائية تطالب بالسلاح واستمرار القتال والدفاع عن منجزاتها الاشتراكية ، تلك الهبة التى بلغت قمتها فى مسيرة ٩ يونيو الخالدة ، التى عبرت بها الجماهير عن تمسكها بالمناضل جمال عبد الناصر كرمز لمكاسبها فى التحول الاشتراكى .

واقع المقاومة الشعبية فى المعركة

كان الجو السائد فى مدن القنال بعد انسحاب القوات من سيناء واحتلالها لمواقع داخل وخارج المدن ، هو ضرورة استمرار القتال والاشتراك الايجابى من جانب الجماهير فى الدفاع عن نفسها ومنجزاتهاضد هجمات العدو الذىأصبحباقترابه يهدد كل البنيان الاشتراكى ، واندفعت الجماهير تطالب بالسلاح والذخيرة . ونتيجة لذلك فقد استطاع بعض الشباب المتحمس الحصول على السلاح دون ان يكون مؤهلا لاستعماله فانتهزت بعض العناصر الرجعية هذه الفرصة بعد أن عزلتها الجماهير لتبدأ حملتها ضد المقاومةالشعبية وارتفعت اصوات بدعوى تنظيم توزيع السلاح .

ولعل ابرز المتناقضات بينالاجهزة البيروقراطية والجماهير يمكن ان تتجسد فى محاولة عزل الجماهير عن المعركة وحرمانها من فرصة التدريب الجاد فى المعسكرات وتوفير السلاح والذخيرة التى يحتاج اليها الدفاع عن المدينة ، بدعوى عدم وجود تعليمات أو ضرورة اتباع تعقيدات روتينية .

الدروس المستفادة

● ان تنظيم المقاومة الشعبية على اساس جماهيرى هى ضمان رئيسى لتأكيد فاعليتها فى اطار الظروف المحلية والعالمية السائدة حيث يشتد الصراع الطبقى بين القوى المستغلةوالقوى المستغلة (بكسر الغين) على المستوى المحلى والعالمى . حيث يضبح تنظيم المقاومة الشعبية عملية يوميه مستمرة وقادرة فى اى لحظة على تجميع قواها بمستوى تدريب كفء ، يمكن ان يصد اى عدوان وان يسحق اى قوة رجعية تحاول مقاومة التحول الاشتراكى لمجتمعنا .

وعلى هذا الاساس فالمقاومة الشعبية **لا يمكن ان تكون عملية موقوتة** بأيام معارك محددة تنتهى بعدها ثم نبدا من الصفر فى كل مرة تتعرض فيها لعدوان الاستعمارى .

● **ان الحرب ضد الاستعمار ليست منفصلة** عن الصراع الطبقى الذى يدور فى مجتمعنا ، فكل محاولة لاخفاءطبيعة هذاالصراع هو جرفللانظار وتدعيم لقوى الثوره المضادة اذ اننا بذلك نتجاهل طبيعة الاستعمار وارتباطه المصلحى بقوى الاستغلال فى الداخل .

وعلى العكس من ذلك فانه من المحتم أن تزيد معاركنا ضد الاستعمار من حدة الصراع الطبقى وانتكسب الجماهير الكادحةالمزيد منالانتصارات لتصفية عناصر الاستغلال وبناء المجتمع الجديد.

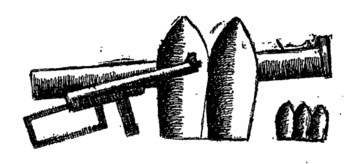
● ان المقاومة الشعبية ليست عملية عسكرية بحتة تتم تحت قيادة عسكرية بل هى أولا وفى الاساس عملية سياسية تحتاج الى كوادر مثقفة سياسيا ومناضلة سواء من بين المدنيين أو العسكريين .

ان الكادر الذى يقدم نفسه لعضوية المقاومة وقت الحرب هو قطعا مستعد لان يموت دفاعا عن وطنه ومبادئه ، على عكس كادر التنظيم السياسي الذى يتقدم لعضوية التنظيم وهو فى السلطة وفى ظروف مستتبة فيكون معرضا لانحرافات انتهازية ، او تحول الى مبررات منافقة .

ان تنظيم المقاومة الشعبية هو عملية تثقيف وتعميق لافكار افرادها حتى يكون دفاع الفردعن وطنه نابعا من ايمانه العلمى بالقضية وليس اندفاعا عاطفيا أو حماسيا موقوتا بظروف خاصة . ولعل ابلغ الامثلة التاريخية على صدق ذلك ظروف حرب التحرير الصينية وعملية التربية الايدولوجية بين افراد قوات التحرير فى خلال الحرب التى استمرت سنوات طوال ، والحرب ضد النازية فى الاتحاد السوفييتى وفرنسا ، وحرب الجزائر الشعبية ، والمقاومة البطولية لجماهير الشعب فى فيتنام . وتؤكد كل هذه الامثلة ضرورة التربية السياسية والوضوح الفكرى لافراد المقاومة كضمانة اساسية للنصر ، كما ان قيادة التنظيم هى فى الاساس قيادة سياسية وليست بالضرورة قيادة عسكرية .

ان الانتماء الطبقى فى ظروف عدم الوضوح الفكرى بين الجماهير هو محك أساسى لتصنيف نوعية القيادات . والتحديد الطبقى للمجتمع بشكل واضح ، وعلى اساس علمى هو الخطوة الاولى الاساسية لبناء اى تنظيم . اذ انه لا يمكن ان نسلم القيادة باستمرار لعناصر الطبقة الوسطى التى تسود فكريتها بين قيادات التنظيم السياسي ويجب ان نتيح الفرصة فى تنظيم المقاومة الشعبية لقيادات من العمال والفلاحين ومرتبطة أيدولوجيا بمصالح هذه الطبقات الكادحة .

ان التفوق التكنولوجى لقوى العدو هو ميزة فى حالة الحرب النظامية عندما تتصدى الجيوش لبعضها . اما فى حالة الحرب الشعبية فانه لا يمكن للتفوق التكنولوجى ان يحقق اى نصر عسكرى . ففى الجزائر كانت القوات الفرنسية تحارب بتكتيك واسلحة حلف الاطلنطى ضد شعب شبه أعزل ومع ذلك وبعد سبع سنوات وباستشهاد مليون مناضل تحقق النصر للشعب الجزائرى . وكذلك فى فيتنام لا زالت الجماهير صامدة امام كل التقدم التكنولوجى لقوات الامبريالية الامريكية . وفى كوريا تحقق النصر للشعب الكورى ضد كل اسلحة القوات الاستعمارية ورغم ذلك فان محاولة عزل الجماهير عن المعركة الدائرة الان والايهام بأن الحرب هى فقط بين قوات نظامية هى تقليل للواقع الثابت تاريخيا . وكما يقول المناضل عبد الناصر « ان الشعب هو المعلم والقائد وهو الخالد الى الابد » .





خمسة دروس للنكسة

د. عبد الرءوف أبو علم

كنت مدينة جنيف يوم ٥ يونيه الماضي، اذ غادرت القاهرة يوم اول يونيه حضور اجتماعات مجلس ادارة هيئة العمل الدولية ، التي تسبق اجتماع مؤتمر العمل الدولي الذي عقد في ٧ يونيه

وكان المفروض ان يحضر الى جنيف بقية اعضاء الوفد وعددهم تسعة يوم ٥ يونية بالذات ، وان يرأس الوفد السيد وزير العمل . الا ان تطورات الاحداث منذ الاعتداء الاستعماري الاسرائيلي منع بقية اعضاء وفد الجمهورية عن الحضور الى المؤتمر، وقد قضيت فترة شهر بأكمله في جنيف وهي مدة المؤتمر . وهكذا تلقيت اخبار العدوان منذ بدايته في مدينة جنيف ،نقلا عن مصادر مختلفة، وفي الاساس من سويسرا وفرنسا وامريكا وانجلترا . الخ ، وكنت دائم الاجتماع والمناقشة ليس فقط بالمصريين في جنيف بل أيضا بالعديد من اخواننا العرب خصوصا هؤلاء الذين حضروا لتمثيل بلادهم في مؤتمر العمل الدولي ، وتبلغ العضوية العربية في هيئة العمل الدولية اثنتى عشرة دولة ، وتضم وفودها ممثلين عن الحكومات والعمال وأصحاب الاعمال .»

لم تكن اخبار بداية اسرائيل بالعدوان مفاجأة للعرب في جنيف ، لان القاهرة كانت قد سبق أن أعلنت ان تحركاتها العسكرية السابقة لخمسة يونية هي تأكيد لسيادتها على أراضيها ، وأن ذلك حق طبقا لاى قانون وطني أو دولي . كما ذكرت أنها لن تبدأ بأي عدوان ، وأنه ان شاءت اسرائيل ان تعتدي، فأهلا بها في معركة عربية اسرائيلية ، وأنه على ضوء الضربة الاسرائيلية الاولى ومداها ونوعيتها سيشن العرب حربا شاملة على اسرائيل ؛ لذلك لم تثر الدعاية الضخمة التي صاحبت الضربة الاسرائيلية الاولى مخاوف العرب في جنيف بالقدر الذي هدفت منه الدعاية ، ولازمتهم رباطة الجأش لان الامر منطقيا ، كان يحتاج بضع ساعات أو أيام، تلم القوى العربية فيها شملها استعدادا للحرب الشاملة التي أعلن عنها ، والتي من المفروض أن الاستعداد تم بشأنها . الا أن تطور الاحداث بعد ذلك اقلق العرب في جنيف،وتوالت أخبار الانتصارات الاسرائيلية ، ثم قبول وقف القتال رغم تقدم اسرائيل في الاراضي العربية .

وكانت هذه الدعاية كلها تتم في أطار ابراز أن المعركة كانت بين اسرائيل وحدها من جانب ، وبين الدول العربية كلها من جانب آخر ، اى انها معركة عربية اسرائيلية لم تتدخل فيها اية دولة أخرى لمناصرة اسرائيل ، واستبعد المعلقون الغربيون كلية اية مساعدة امريكية او بريطانية مباشرة اوغير مباشرة في هذه المعركة .. وراحوا يقررون أن اسرائيل دفعت الى هذه الحرب دفاعا عن نفسها ، وانها دولة محبة للسلام تنادى منذ قيامها بالسلام وبالتفاهم المباشر مع العرب من أجل السلام . !.

وايضا ان الحرب لايمكن أن تكون بين اسرائيل وحدها والدول العربية ، لان اسرائيل ليستدولة بالمعنى المعروف ولاتمثل سياستها مجرد آمال سكانها، ولكنها في حقيقة الامر قاعدة استعمارية ، أنشأها الاستعمار لخدمة اهدافه ومخططاته في المنطقــــة العربية وفي أفريقيا وآسيا . ومن هنا فان تحركها في هذا الوقت بالذات كان بلا شك بناء على مخطط استعمارى ، ومن البديهى أن الاستعمار ضمن لهذه الحركة الاسرائيلية كل عناصر النصر بطــــرق وأساليب مختلفة مباشرة وغير مباشرة .

وعلى ضوء هذا بدا الحديث عن هذه النكسة وأسبابها ، فانتصار اسرائيل هو في حقيقة الامر انتصار للاستعمار العالمى على القوى التحررية العربية ، والاستعمار منذ قرابة عام ١٩٦٤ يحرز انتصارات متفرقة في بعض مناطق العالم وعلى وجه الخصوص في القارة الأفريقية ، ولاداعى للدخول في الاسباب المساعدة له على ذلك في هذا المقال .

على ان تطور المعركة بالصورة التى تمت بها رغم استعدادنا السابق والمعروف ، لابد وان يدفعنا الى القاء نظرة فاحصة على انفسنا لاكتشاف جوانب الضعف والخطأ فينا لانها كانت ولاشك أيضا وبنفس القدر ، من أسباب النكسة .

ان أسباب النكسة من جانبنا عديدة ومتشعبة ، ولابد وأن نعترف أن كل فرد منا مسئول عنها ، وان اختلفت درجة مسئوليته ، فهى مسئولية مشتركة للجميع ، في اى مكان وفي اى مجال ، ان التنظيم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى في اى قرية من قرانا التى يزيد عددها عن الاربعة آلاف ، لابد وان يؤثر على جهدنا الحربى ، وبالتالى كانت مسئولية كل فرد منا بصورة او بأخرى عن هذه النكسة .

ان الدرس الاول هو ضرورة تدعيم ايجابية الشعب ، تدعيم مشاركته الفعالة في ادارة شئون بلده، في جميع مجالات العمل، فالشعب، والرقابة الجماهيرية هما وحدهما القادران على كشف اى انحراف والتنبيه له والاسراع بعلاجه .

ان الشعب لايجب أن يبتعد عن الجيش ، وينظر اليه كجهاز بعيد عنه لايعنيه أمره . أن الجيش بجنوده وضباطه هم أبناء الشعب ، والشعب هو الذى اراد ان يفرغهم لهذا العمل العسكرى ، وفي هذه المؤسسة العسكرية ، للتخصص في العلوم والفنون العسكرية ، حتى يكون قيادة الشعب الفعالة في حالة أى اعتداء خارجى ، يقف الشعب بأكمله من ورائه مدافعا عن الوطن ، وطن كل فرد منا .

اذن فالجيش ، كمؤسسة عسكرية ، شأنها شأن اى مؤسسة اخرى اقتصادية او سياسية او اجتماعية ، يجب أن يستمر ارتباط الشعب بها ، واحترام الشعب لها ، ووقوف الشعب دائما خلفها

وبنفس القدر ايضا ، يجب ان تبقى عين الشعب دائما ساهرة على هذه المؤسسة العسكرية ، تنبه الى أى انحراف فيها ، أو ضعف في أحد اجزائها ، حتى يطمئن دائما الى حسن قيامها بمهمتها العسكرية

كما ان ايجابية الشعب ورقابته الجماهيرية يجب أن تمتد الى جميع اجهزة الدولة الاقتصاديــــة والسياسية والادارية والاجتماعية ، حتى يمكنه في وقت مبكر ان ينبه الى اى انحراف، وان يقومه، والا استشرى أمره ، وصعب علاجه .

والدرس الثانى في ان هذه النكسة بابعادها المختلفة لابد وان تدفعنا الى اعادة النظر في اسلوب تطبيقنا للاشتراكية . ان التحول للاشتراكية عندنا يتم بأسلوب ارتضيناه عام ١٩٦١ ، لكن ثبت ان به بعض الثغرات اثرت على أحداث شهر يونيه ، وكانت بدرجات متفاوتة من اسباب النكسة التى نعانيها . ان عدوان « يونيه » كان من أهدافه القضاء على نظامنا الاشتراكى ، ولكى نحرز النصر كان لابد

من مواجهةبأجهزة ومؤسسات وقيادات وأفراد مؤمنة بالاشتراكية ولديهم الرغبة في الدفاع عنها . ان ايمان المحارب بقضيته شرط أساسي لكسب أى معركة .

والدرس الثالث ان الجيش هو في نهاية الامر رمز لقوةمؤسساتنا الاقتصاديةوالعلمية والفنية والسياسية والادارية .. الخ .. ومنهنا وجبالاهتمام بهذه المؤسساتعلىجميع المجالات.

واقصد بالاهتمام ليس مجرد محاولة ابقائها وتبرير وجودها، واعطائها اختصاصات اضافية لا تمت الى الواقع بصلة ، بل التعرض اليها من اساسها بالدراسة والبحث العميق ، هل مثل هذه المؤسسة (مؤسسة عامة او شركة او وزارة أو مصلحة أو ادارة او اى جهاز من أى نوع كان) لوجودها ضرورة فيمرحلتنا الحالية ، هل وجودها يخدم هدفا اواهدافا معينة ، واذا كان الرد بالنفى فيجب أن تكون لدينا الشجاعة للمطالبة بالغائها ، واذا كان الرد بالايجاب فنبدأ بتحديد هذه الاهداف في بساطة ووضوح ، ثم ننتقل الى اجهزتها فنطورها بالشكل الذى يمكنها من تحقيق هذه الاهداف ، ثم نفعل نفس الشيء بالنسبة الى لوائح العمل الداخلية ، والاجراءات المختلفةالتى تمكن الاجهزة من تحقيق هذه الاهداف .

اننا فيمرحلة تستلزم منا ضرورة التشغيل الأمثل لقوانا البشرية ، وهذا يقتضى ليس فقط وجود الرجل المناسب في المكان المناسب ، بل وفي المقام الاول الابقاء على المؤسسات اللازمة والمطلوبة فحسب والتىتخدمهدفا واضحا من اهداف المرحلة التى نمر بها ،معتطوير كامللاجهزتها ولوائحها بما يمكنها من خدمة هذه الاهداف .

والدرس الرابع أن المعركة ليست فقط معركة بين العربواسرائيل ،ولكنها فيالاساس معركتبين قوىالتحرر والتقدم ،وقوىالاستعمار والاستغلال على المستوى الدولى ، فاسرائيل في حقيقتهاقاعدة استعمارية ، انشأها الاستعمار في قلب هذهالمنطقة الحيوية لتحطيم الحركة الوطنية والوحدة في المنطقة العربية والانقضاض منها على الحركات التحررية فيآسيا وأفريقيا ،وقد ثبت ذلكتاريخها منذ نشأتها بما لايدعمجالا للشك . فهى تمثل اسلوبا مناساليب الاستعمار الخديث ، ولاشك أن بقاءها مرتبط بالاستعمار ارتباطا وثيقا، ومنهنا وجبعدم تقليل دولية المعركة ، ودراستها في أطارها الدولى الصحيح .

أن هذا لايعنى الاستسلام ، بل على العكس لان الواقع أن الاستعمار يحارب اليوم معركته الاخيرة بعد أنتصار قوى الثورة والاشتراكية على هذا النطاق الدولى الواسع ، ولكنه يعنى تعبئة كاملة لقوى التحرر العالمى ، وتنسيق كامل علىهذا المستوى ، وتقدير للموقف في أطار هذه الأبعاد الواسعة .

وهذا يقودنى الى **الدرس الخامس** وهو يتعرض أيضا الى الناحية الدولية ، فلابد وأن يعاد تخطيط سياستنا الخارجية على أساس الواقع الدولى المعاصر ، وعلى اساس من المبدا البسيط وهو مصادقةمنيصادقنا ومعاداة منيعادينا . والسياسة الخارجية التى أعنيها ليست فقط سياسة الحكومة علىالمستوى الحكومىالدولى ، بلوأيضا السياسة الخارجية لتنظيماتنا الشعبية . فمن غير المعقول انتسير سياسةالحكومة الخارجيةفيأتجاه،وتسير سياسة بعض المنظمات الشعبية في اتجاه آخر . أن هذا الوضع فضلا عن انه لايمكن قبوله شكلا ، يشكك في جدية خطنا الدولى وبالتالى يضعف من فاعليته .

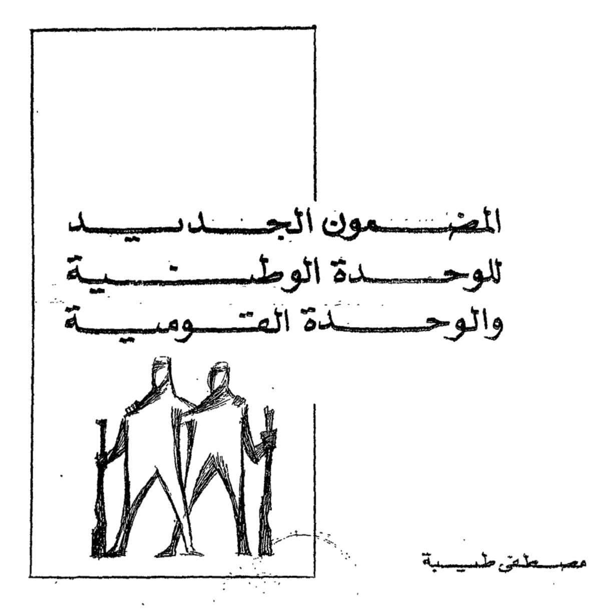
ولابد أيضا وأن تهتم سياستنا الدولية بكشف « خداع » حملة السلام الضخمة التى تبنى عليها اسرائيل سياستها الخارجية . أن ممثلىالحكومات والتنظيماتالشعبية المختلفةالذين نلتقى بهم في العديد من المؤتمرات والاجتماعات الدولية ، ليس لديهم الالمام العميق والدراسة الموضوعية للقضية العربية الاسرائيلية ، ولذلك يتأثرون بسهولةبدعايةالسلامالضخمة التىيرددها ممثلو اسرائيل ، فالسلام هدف من أهداف شعوب العالم ، بل هو هدفها الرئيسى الان في كل مكان ، بعد أن عانى عالمنا أبشع الحروب والتدمير خلال النصف قرن الاخير ، ومازال يعانى منها . واقصد باهتمامنا في هذا الشأن ، ليس فقط الاهتمام على المستوىالحكومى،بلوأيضا علىمستوىالتنظيمات الشعبية ، لان تصريحات قادة بعض هذه التنظيمات تحسب علينا وتستغل دوليا بواسطة اسرائيل على أوسع نطاق .

لقد كان الجو الذى عشته فى جنيف جو حرب ، وجميع برامج الاذاعة والتليفزيون التى عرضت فى سويسرا وفرنسا عن اسرائيل ، كانت توضح حالة الحرب التى تعيشها وتأثير ذلك على كل نواحى الحياة بها وحياة سكانها . ثم عدت الى القاهرة فى ٣ يوليه الماضى . ولابد وان اعترف ان ما رايته فى شوارع القاهرة ، وما سمعته فى الاذاعة والتليفزيون كان صدمة لى . لقد عشت اياما فى شبه ذهول مشتتا بين حالة الحرب التى عشتها خلال شهر بأكمله فى جنيف ونتيجتها المعروفة باحتلال العصابات الاسرائيلية لاجزاء متعددة من ارضنا العادية التى تحياها شوارعنا وتحياها الاذاعة والتليفزيون عندنا . فالشوارع مازالت مليئة بالشباب من اعمار ١٨ الى ٢٨ سنة يسيرون بكل ما تحمله هذا السن من مراهقة . وشباب هذا السن فى اسرائيل شاهدناه يحارب ويقاتل ، وفى حالة حياة عسكرية كاملة .

وبرامج الاذاعة والتليفزيون عندنا لاشك مازال امامها الكثير حتى تكون على مستوى المعركة ، وحتى تقوم بالدور الواجب واللازم لتحقيق اهداف المرحلة الحالية التى تمر بها البلاد .

ان المرحلة الحالية مرحلة حرب ، ولازالة آثار العدوان والانتصار فيها ، لابد وان نعيش حياة حرب ، ونخضع لكل ما تفرضه علينا اقتصاديات الحرب ونجند كل طاقاتنا البشرية ومواردنا المادية لخدمة الجهد الحربى بمعناه الواسع ، ونطور من مؤسساتنا واجهزتنا المختلفة لمواجهة الموقف الحاضر (*)





المضمون الجديد للوحدة الوطنية والوحدة القومية

مصطفى طيبة

مواصلة المعركة ضد العدوان الاستعماري الاسرائيلي ، وسحق آثاره من على ارضنا هو هدفنا الرئيسي اليوم . وليس من شك في ان تحقيق النصر في هذه المعركة يتطلب أقصى تعبئة لكافة قوانا الوطنية والقومية متحدة مع كافة القوى الثورية في العالم .

وفي هذه الظروف بالذات ، يكتسب شعار الوحدة على كافة مستوياتها ، العالمية ، والقومية ، والوطنية اهمية قصوى . من هنا يتعين مناقشة هذه القضية ، وبصفة خاصة في مستواها القومي ، والوطني .

امكانيات الوحدة القوميه

واقصد بالوحدة القومية ، وحدة كافة القوى الوطنية على النطاق العربي بأسره . فالامة العربية تواجه اخطر تحد استعماري في تاريخها الحديث . أن الاستعمار يصوب مدافعه الى صدرها ويحاول فرض ارادته في صلح استعماري ، استسلامي بقوة هذه المدافع . ومواجهة هذا التحدي اليوم ، ليست مسألة اختيار ، فلا بديل لها سوى الركوع تحت اقدام هذا العدو .

من هنا تتأتى أهمية التعبئة الشاملة لكافة قوانا القومية لمواجهة هذا التحدي والانتصار عليه .

ولكن خطورة المعركة التي نواجهها ، تتطلب دراسة جدية لمدى امكانيات تحقيق هذه الوحدة الشاملة ، ومدى الحجم الحقيقي للقوى الفعلية القادرة على الاسهام في هذه المعركة . ان العدوان يمثل تهديدا مباشرا للوجود القومي العربي بأسره ، وبمختلف بلدانه ، لكن الاستعداد لمواجهة هذا التهديد وطرح الخلافات الاجتماعية والسياسية مؤقتا ، ليس بالامر اليسير . فمع ان القوى المناضلة في الوطن العربي ، ركزت سياستها ودعايتها على الجانب القومي في المعركة ، وغلبت جانب الوحدة

على جوانب الخلافة في الصراع ، فان بعض البلدان العربية ، من بينها السعودية فرضت على المعركة واقع الانقسام القائم ، بين نظم وقيادات ثورية مناضلة ونظم وقيادات تصر على ان تجعل من سياستها اليوم امتدادا لا ينفصل عن سياستها بالامس ، اى التراجع والاستسلام .

ونحن لا نتحدث هنا عن وحدة الشعوب العربية ومدى قدرتها فى تحقيق النصر . فتلك حقيقة لا خلاف عليها . انما يجب الاعتراف بأن هذه الوحدة المصيرية لا تكفى . فلا بد من اطار يستطيع تحويلها الى فعل متحرك وفقا لتخطيط موحد . وطالما ان هذا التنظيم لم يتحقق بعد ، فان الاتفاق الرسمى اى بين الحكومات القائمة الرسمية هو الامكانية الوحيدة التى نملكها اليوم . والسؤال الجوهرى هو : **ما هى امكانيات الوحدة ، او الالتقاء فى هذه الظروف ؟**

لا شك فى وجود اتفاق **عام** حول ضرورة ازالة آثار العدوان . وتلك نقطة هامة . ولكن هذا الاتفاق **العام** يفقد الكثير من فعاليته امام بعض الخلافات الرئيسية نستطيع ابرازها فيما يلى :

● هناك خلاف حول تحديد « **قوى العدوان** » التى يتعين مواجهتها والانتصار عليها . فبعض الحكام العرب يرى ان اسرائيل **وحدها** هى المعتدية ، وهى بالتالى التى يجب ان توجه اليها كافة اسلحتنا .

● ويستتبع الخلاف حول تحديد جبهة الاعداء خلاف كذلك حول تحديد جبهة الحلفاء او الاصدقاء

● ثم يأتى الخلاف الثالث حول تحديد الاسلحة التى يجب استخدامها فى هذه المعركة ، فالمقاطعة الاقتصادية للقوى التى تساند اسرائيل ، وخاصة منع البترول عنها

● ثم تأتى نقطة هامة : ان الطابع الوطنى الكامل لهذه المعركة ، لا يجردها من الخطر على مصالح هؤلاء الحكام . فالخوف من انتصار الجماهير العربية فى معركة ساحقة ضد الاستعمار ، بكل احتمالات تحويل هذا الانتصار الى معركة مستمرة ضد كافة آثاره ومخلفاته داخل هذه الاوساط القلقة ، يمثل عنصرا لا يمكن تجاهله .

هذه الاعتبارات لابد من تأملها جيدا ، ولابد من بناء سياسة الوحدة القومية على اسس واقعية صلبة . ان الحقيقة التى يجب ان نبدأ منها هى ان هناك مستويين للنضال العربى المشترك اليوم : المستوى الاول ويتمثل فى وحدة والتحام كافة الانظمة الثورية والتى تمثل الركيزة الاساسية لوحدة النضال العربى المشترك اليوم . وهناك مستوى الالتقاء العام بين كافة البلدان العربية حول نقطة او اخرى فى هذا الصراع المصيرى . وعلينا ان نعمل فى هذين المستويين فى نفس الوقت . فالخلافات الاساسية القائمة يجب أن لاتحول دون محاولة هذا الالتقاء ، ولو فى الشعار السياسى العام للمعركة ، اى ازالة آثار العدوان .

ان هذه الصعوبات القائمة فى طريق الوحدة القومية الكاملة يجب وضعها فى الاعتبار ، ويجب ايضا ان لا تزعجنا . فالقوى القادرة والراغبة فى مواصلة المعركة بحسم ، ضد الاعداء الحقيقيين وليس كلاب حراستهم فحسب ، تملك كل امكانيات النصر الساحق . كما ان حركة الشعوب العربية ونضالها ، قادرة على فرض ارادتها حينما تأتى لحظة الصدام المصيرى الشامل .

الوحـــدة الوطنيـــة

واذا كانت الوحدة على المستوى العربى الشامل تحوطها الصعاب فان الوحدة الوطنية فى مصر ، وفى سائر البلدان العربية المناضلة ، تقف قوية شامخة . فالشعب المصرى بكافة طبقاته الوطنية ارتفع ادراكه الثورى ، والتحمت صفوفه بصورة لم يشهدها من قبل .

وهنا يجب الوقوف عند بعض الحقائق الهامة :

لقد خلق العدوان الاستعمارى مشكلة وطنية فى مصر ، الى جانب المشكلة القومية على نطاق الامة العربية . ان جزءا من ارض مصر تحتله قوى العدوان ، وتحاول استخدامه بشراسة كقاعدة للضغط بهدف تحقيق اهدافها . وتاريخنا النضالى الطويل ، وتجارب جميع الشعوب الاخرى تفرض شعار الوحدة الوطنية الشاملة فى مواجهة هذا الاحتلال . ويصبح من الضرورى تغليب الصراع الوطنى على الصراع الاجتماعى ، وتحويل كل امكانيات النضال من اجل سحق آثار هذا العدوان . فالقضية الوطنية تبرز اليوم فى المقدمة . وتعود من جديد لتحتل مكانها الرئيسى فى مهامنا اليوم . هذه حقيقة يجب ادراكها بعمق .

بيد أن هذا الادراك ، يجب ان يرتبط بحقائق اخرى يستحيل تجاهلها او عزلها عنها . فهدف العدوان الاستعمارى اليوم ، هو نفس هدفه عام ١٩٥٦ ، الاطاحة بالنظام الثورى فى مصر . وهو هدف يختلف جذريا عن كل اهداف الاستعمار على مصر فى تاريخها القديم . فعندما جاءت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون ، واستطاعت احتلال

اراضينا لبعض الوقت كان هدفها مصر كموقع حيوي .

وعندما استطاع الاحتلال البريطاني الذي دام اكثر من سبعين عاما ان يفرض وجوده كان ايضا له نفس الهدف . فخلال هذه المراحل القديمة كانت مصر في نظر هذه القوى الاستعمارية ، موقعا استراتيجيا وحيويا هاما ، ومصدرا لاستغلال الاحتكارات الاجنبية . لقد كانت مصر كموقع جغرافي ، ومجالا اقتصاديا حيويا ، هي هدف العدوان والاحتلال القديم . ولكن هدف العدوان الامريكي الجديد ليس كذلك . انه يريد ضرب **مصر الثورة** . فهدفه الرئيسي القضاء على مصر كقيادة ثورية ، وكنظام اجتماعي يهدد مصالحه في العالم العربي وفي غيره من مناطق العالم . من هذه الحقيقة يجب ان يتضح المضمون الجديد للمعركة الوطنية الحالية . ومنها كذلك يجب تحديد كافة اهدافها .

فاذا كانت ضرورات المعركة الوطنية ، تفرض توحيد كل قوى الوطن لكسب النصر ، فان **الحفاظ على كل انتصاراتنا** في الميدان الاجتماعي دون تراجع عن مكتسبات الثورة ، ودورنا القيادي الثوري في تصفية الاستعمار العالمي ، هو المضمون الحقيقي لهذا الانتصار .

الوحدة الوطنية واليقظة الثورية

وتلك مسألة غاية في الاهمية . **فاذا كان رأس الرمح** في صراعنا اليوم يتجه لسحق العدوان ، وتحرير اراضينا من كل آثاره ، فان ادراك المضمون الحقيقي لهذه المعركة يجب ان يكون واضحا . **فالنصر** او الهزيمة معيارها الوحيد القضاء الكامل على العدوان واهدافه الاساسية ، بمعنى انتصار **مصر الثورية المناضلة** . واليقظة الثورية هنا تتطلب ادراك بعض الحقائق الهامة :

● ان قوى التحالف في هذه المعركة هي العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية وهذا لا يعني اغلاق الباب امام اي عناصر من فئات اخرى تستشعر خطورة ومهانة الاحتلال الاستعماري الصهيوني لارضنا ، وترغب في المشاركة الوطنية ضده .

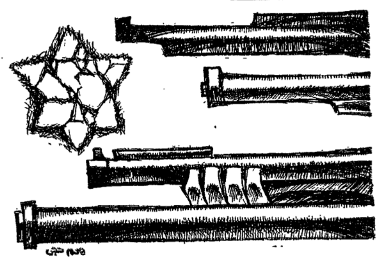
● والوحدة الوطنية الصلبة لهذه القوى ، يجب استنادها الى وعي حقيقي واصيل بالاهداف الكاملة للعدوان . ان جماهير الشعب في الجبهة الامامية والمصانع والحقول هي الركيزة الاساسية لهذه المعركة . ومن ثم يجب توعية هذه الجماهير بالاهداف الاجتماعية والسياسية لهذا العدوان الى جانب توعيتها بالجانب العسكري والوطني له .

● ان جماهير الشعب ، وابناء هذه الجماهير من الجنود المقاتلين في الجبهة الامامية ، يقدمون اقصى التضحيات في هذه المعركة . وفي ظروف هذه الحرب وحتى تحقيق النصر الكامل ، سيكون على هذه الجماهير تقديم المزيد من التضحيات ، ابتداء من دماء حياتها ، حتى لقمة العيش ذاتها . ولكي تندفع هذه الجماهير نحو المزيد من التضحيات ، فهناك مسئوليات وتضحيات يجب ان تقدمها كافة الفئات « المقتدرة » ، تتناسب مع تضحيات الجماهير . فالاصرار على مظاهر الحياة القديمة ، المسرفة في الاستهتار والتمسك بنفس مستوى الحياة التي اعتادت عليها ، يصبح في ظروف الحرب الشاقة امرا يستحيل قبوله .

● ان قيادة هذا التحالف الوطني ، في كافة المجالات السياسية ، يجب ان يكون في ايد اشتراكية واعية قادرة على حماية اهدافه . فشعار الوحدة الوطنية يجب ان تتولى تنفيذه القوى القادرة على تطبيقه بوعي وحسم . واذا كان الاتحاد الاشتراكي هو الاطار التنظيمي الذي يترجم هذه الوحدة ، فان مسئولية قياداته اليوم اصعب واخطر من اي يوم مضى . انها مطالبة بالتركيز على الجانب الوطني في المعركة ، دون اغفال للمضمون الحقيقي لها . فالحفاظ على **مصر الثورية المناضلة** يقتضي اكثر من اي وقت مضى قيادات ثورية مناضلة في مستوى هذه الظروف .

● واذا كنا قد استطردنا في تبيان الجانب الوطني او المحلي في معركتنا الحالية ، فهذا لا يعني انفصالها عن المعركة القومية الكبرى والتحامها الكامل معها . واي محاولة لفصل اي من الجانبين او حتى اعطاء اولويات غير حقيقية لاي منهما ، يصيب القضية بأسرها بضرر بالغ . فكما قلنا في البداية ، ان نضالنا التوحيدي يجري في ثلاث مستويات مترابطة : الالتحام بكل القوى الثورية في العالم ، والالتحام بكافة القوى القومية المناضلة في امتنا العربية ، والتحام جبهتنا الوطنية وصلابة عودها . فالنصر سيتحقق عندما تصبح هذه الجبهات الثلاث ممتزجة في جبهة واحدة تسحق **العدوان** ، تمحو آثاره .

احتمالات العمل العربي الموحد



العلاقة بين وحدة القوى الثورية والتحالف الوطني

محمد سيد أحمد

ما من شك ان المحنة التي نجتازها تتطلب محاولة بلوغ اوسع وحدة وطنية على الصعيد المحلى ، واستكشاف كل امكانيات الوصول الى عمل عربى موحد على صعيد الوطن العربى فى مجموعه .

فالدفاع عن كيان الامة فى مواجهة اغتصاب المعتدى يرتقى الى المهمة القومية الاولى ، تلتقى عندها كل ارادة حرة ، وتبرز قضية صون الثروة القومية ، قبل قضية توزيعها بين مختلف فئات الامة الاجتماعية .

وأمثلة التاريخ عديدة فى ذلك . وانسحبت على البلدان الاشتراكية كما انسحبت على البلدان الاخرى. وقد شهدنا بالفعل ان الاتحاد السوفيتى قد أطلق على حربه ضد الغزاة النازيين ، اسم « **الحرب الوطنية العظمى** » وابرز محتواها القومى فى الدفاع عن الارض الروسية ، قبل ابرازا محتواها الطبقى والاجتماعى فى صون مكتسبات الثورة الاشتراكية .

بل ويبرزا نضال العرب ضد عدوان اسرائيل ، لا كمجرد نضال قومى ضد كيان عنصرى دخيل ، يبيت نوايا عدوانية وتوسعية على الدوام ، بل كنضال يكتسب ابعاد نضال الشعوب ضد **الاستعمار الامريكى** بالذات ، واهدافه الرامية الى السيطرة على مقدرات الشعوب . وهو فى ذلك يلتقى مع نضال شعب فيتنام ، مع نضال شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، مع نضال « العالم الثالث » بأسره ، والبلدان الاشتراكية ، ضد قيادة « **الثورة المضادة** » فى العالم ، ضد اشرس استعمار معاصر ، مع كل القوى التى تناهض سيطرة امريكا على العالم .

ويلتحم هذا النضال اليوم كما التحم نضال الشعوب اثناء الحرب العالمية الثانية ضد اهداف الهتلرية فى التسلط والسيطرة .

ولكن ، بالقدر الذى يتطابق عدوان اسرائيل مع اهداف الاستعمار الامريكى فى التحكم والسيطرة ، هناك فى داخل العالم العربى مراكز لامريكا وقواعد لها لا تقل خطورة عن اسرائيل . وبسبب ان المعركة بقيت غير محسومة ضدها ، لجأت امريكا الى تحريك اسرائيل ..

والسؤال المطروح هو : ما هى احتمالات العمل العربي الموحد ، وما ينبغى ان تكون

أرضيتها ، وهذه المراكز والقواعد ما زالت قائمة، بل وينبغي توقع تحركها بجهد مضاعف ، بعد ان سجلت امريكا نصرا في الجولة الاولى ، واستطاعت — من خلال اسرائيل — ان تصيب بعض الاهداف ، واقل ما يمكن ان يقال عنها انها مشجعة على مزيد من العدوان والانقضاض على حركة تحرير العرب ؟

اولا — بدورة طلائع للثورة العربية تمثلت في الدول العربية المتحررة ، وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا وهي دول تحتل مواقع استراتيجية على اتساع العالم العربي كله مشرقه ومغربه ، لم تؤسس هذه الدول دورها الطليعي على محتوى وطني فحسب ، بل تجاوزته الى تحولات اجتماعية ذات الافاق الاشتراكية . وتعاظمت الجهود لازالة عوامل التباين والتباعد بين هذه الطلائع ، واصبحت تنطبع بطابع الكتلة المتراصة ذات الاشعاع الشامل على حركة التحرير العربية بأسرها تحت شعار « وحدة القوى الثورية والاشتراكية في الوطن العربي » ، وتقود نضالا ثابتا وحاسما من اجل ازالة كل مواقع الاستعمار على اتساع الوطن العربي ، سواء في صوره التقليدية او في صوره الجديدة . وكان آخر وابلغ تعبير عن بلورة هذه الكتلة المتراصة ، والذي سجل امتداد مفعولها الى العالم العربي بأسره ، « **ندوة الجزائر** » التي انعقدت قبل العدوان الاخير بأيام معدودة .

ثانيا — تعاظم النضال الوطني العربي ، وامتداده لشمول كافة ارجاء الوطن العربي بما في ذلك مواقعه الاكثر تخلفا ، بخاصه في الجنوب العربي المحتل ، وتحول هذا النضال الى معركة ... ستعمار في سيطرته على النفط العربي ، وتصيب مصالحه الحيوية في الصميم .

ثالثا — تجمع الرجعية العربية كما لم يسبق له مثيل ، وتحرك الاستعمار من خلالها تحت ستار حلف جديد تدعو له ، وهي تصبغه بصبغة دينية ، واطلقت عليه اسم « الحلف الاسلامي » .

وكانت حسابات الاستعمار تنهض على ان الانتصارات المتلاحقة التي احرزتها الثورة العربية خلال السنوات الاخيرة ، امرا لم يعد في نظره مقبولا ، وهو يشن هجوما شاملا ضد منجزات الحركات الثورية على اتساع « العالم الثالث » بأسره ..

واخذ الاستعمار يحرك كل قواعده ، تمهيدا لصدام فاصل كان يعد له بكل الطرق .. اخذت اسرائيل تضاعف من تحرشاتها واستفزازاتها ضد النظم التقدمية في سوريا ومصر ، وتهدد صراحة بالعمل على قلب نظام الحكم في سوريا .. ولكن قرائن مختلفة كانت تشير الى ان الاستعمار يعد الجنوب العربي ميدانا للمواجهة الحاسمة ، بل ان ضربة ساحقة تستند الى احدث الاسلحة ، وجيوش من المرتزقة ، ومن الخبراء العسكريين في هذه المنطقة كفيلة باحداث نتائج بعيدة المدى في خلق المناخ المواتي للانقضاض على كتلة القوى التقدمية العربية ، وحماية مصالحه النفطية في منطقة الخليج ، المهددة باخطار محققة في مستقبل منظور ..

في ضوء هذه الحقائق ، تبرز مبادرة القاهرة ردا على تفاقم استفزازاتها ، بدلا من ترك المبادأة في مواجهة العدوان الاسرئيلي ومخططات الاستعمار ، تبرز هذه المبادرة كعمل لا تشوبه شائبة من الوجهة الاستراتيجية العامة للحركة حركة الثورية العربية .

في ضوء هذه الحقائق ، ينبغي طرح احتمالات العمل العربي الموحد ..

والواقع ان القضية تفترض طرح عدد من المسائل قد تبدو في الوهلة الاولى من باب المسلمات :

اولا — ان تطور الثورة العربية وديناميكيتها التي بلغت طلائعها مشارف التحول الاجتماعي نحو الاشتراكية ، لا تحتمل في نضالها ضد الاستعمار — شأنها في ذلك شأن كل حركة ثورية — الانتكاس الى منتصف الحلول . **فاما السير قدما الى الامام ، مع تصحيح العوامل التي انتقصت من فعاليتها ، واما التعرض لفقدان مكاسبها الجوهرية ، والانتكاس بالوضع انتكاسا خطيرا ..**

وبالقدر الذي تبرز اسرائيل بوصفها قاعدة واداة للعدوان الاستعماري ، فان « **ازالة آثار العدوان** » لا تقتصر ابدا على ازاله آثارها **المادية** فحسب ، المتمثلة في احتلالها جزءا من الارض العربية في سيناء والضفة الغربية للاردن وسوريا ، وانما تعنى كذلك ، وفي المقام الاول ، **ازالة المفعول السياسي والمعنوي للعدوان** ، المتمثل في اجبارنا على التخلي عن انتهاج الخطوط الاساسية لسياستنا التي ترمي الى مواصلة النضال بدون توقف من اجل التحرر الوطني والوحدة والسلام والاشتراكية .

ثانيا — ان اسباب النكسة لا يمكن البحث عنها في انتهاج الثورة الوطنية طريق الاشتراكية ،

وانما في النواقص التي شابت ممارسة هــذا الطريق نحو الاشتراكية . والواقع ان مكاسب النضـال العربي نحـو الاشتراكية هي **اثمن رأسمال** احرزته في المعركة الطويلة والمريرة ضد الاستعمار ، وهي المكاسب التي يستهدف الاستعمار الان سلبها بكل ما اوتيت له من قوة . وهي الدعامة التي تكفل تعبئة قوى الثورة العربية على اتساع العالم العربي كله . **واحتمالات العمل العربي الموحد رهن بتاكيد هذا الاتجاه ، لابوضع العمل العربي الموحد كبديل له .**

ثالثا — ان استثمار موارد العرب في **النفط والارصدة** المودعة في البنوك الاستعمارية الخ .. يتحقق بالتعبئة الجماهيرية العربية الواسعة النطاق على ارضية تلهب حماس هذه الجماهير العريضة ، وتخدم مصالحها الاساسية ، .. لماذا تركت الامور لارادة بعض الافراد وحدهم ، تكاتفت مصالحهم الشخصية مع الاستعمار ، قبل ان تفكر في الاستجابة لارادة العرب في النضال ضد الاستعمار .

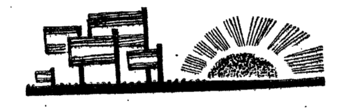
رابعا — ان القوى الرجعية العربية تحركت — او بالاحرى ، امتنعت عن التحرك ضد العرب — في ايام العدوان العصيبة بالقدر الذي يحميها من ثورات شعبها في الداخل . واية ازالة لضغط الشعب تفسح المجال لانطلاقها في مخططها الاصلي لحساب قوى الاستعمار .

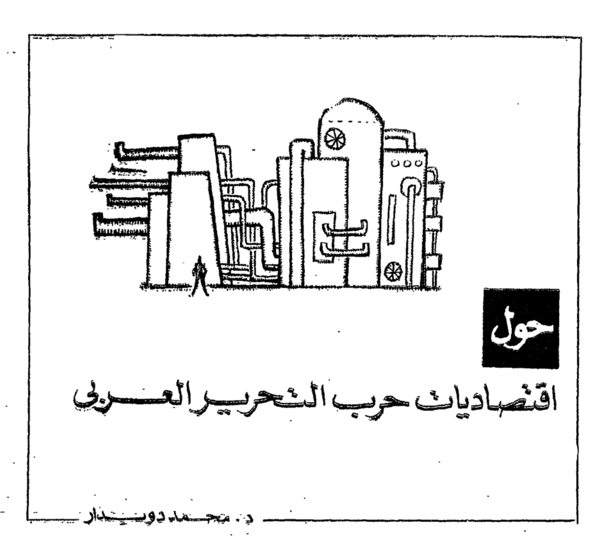
خامسا — ان القوى الرجعية العربية لا تطرح النضال العربي ضد اسرائيل ولا تستطيع ان تطرحه بوصفه نضالا **تحرريا** ضد قاعدة استعمارية ، وانما تطرحه على ارضية **عنصرية** قوامها انه نضال يمارسه العرب والمسلمين ضد اليهود . وهذه القوى تلتقي في هذه الارضية العنصرية مع اسرائيل التي تطرح المعركة على انها نضال اليهود ضد العرب من اجل انقاذهم من تهديد العرب بابادتهم والقضاء عليهم كطائفة . ومن شأن هذه الارضية ان تفقد النضال العربي كافة القوى الصديقة التي تلتقي مع نضال العرب بوصفه نضالا تحرريا ، يستهدف ازالة مواقع الاستعمار في المنطقة .

سادسا — ان مواصلة المعركة لا تفترض تعبئة على الصعيد **العسكرى** فحسب ، بل على الصعيد **الاقتصادى والسياسي والجماهيرى** كذلك ، وهذه التعبئة غير ممكنة التحقيق على ارضية غير ارضية الوطنية وتاكيد المكاسب الاشتراكية ، واخضاع الاقتصاد القومي لمتطلبات النضال التحررى ، **وبدون توعية شاملةللجماهير بدلالة الاجراءات الضرورية** ، وعلى اساس ان تشعر الجماهير ان مصادر عدم الكفائة وتبديد الثروة القومية ، والنواقص التي اساءت الى الاشتراكية ، قد ازيلت ازالة ثورية .

ان العدوان الاستعمارى لم يحقق اهدافه في الاطاحة بالنظم التقدمية في العالم العربي ، وانما نجح فقط في خلق مناخ موات لمواصلة انقضاضه على مكتسبات الثورة العربية . ولذلك ينبغي توقع استمرار العدوان بصور متنوعة في معركة هي معركة حياة او موت لانتفاضة العرب وتذوق طعم الكرامة والعزة والحرية والحياة بعد قرون طويلة من الاذلال الاستعمارى .

وفي هذه المعركة الحاسمة ، يتوقف على تاكيد منجزات الثورة الاجتماعية ، واكسابها ابعادا شعبية اعمق ، وازالة عوامل التعثر ومظاهر التعالى عن الجماهير والابتعاد عنها .. على هذه العناصر تتوقف التعبئة الشاملة للجماهير العربية ، وبقدرانجازها بجرأة واقدام، تتحقق الشروط اللازمة لتوحيد العمل العربي على اوسع نطاق بما يكفل الانتصار الحاسم في نهاية المطاف .





حول اقتصاديات حرب التحرير العربي

د. محمد دويدار

اذا كان اقتصاد السلم يهدف اساسا الى اشباع الحاجات — والحاجات الإجتماعية فى المجتمع الاشتراكى — فان اقتصاد الحرب يهدف فى المقام الاول الى تحقيق النصر . ومن ثم يصبح **المجهود الاقتصادى اساس المجهود الحربى** فيخصص جزء اكبر من الموارد الانتاجية فى المجتمع (بشرية وغير بشرية) للاستهلاك والاستثمار الحربيين (بالنسبة للحرب النظامية والحرب الشعبية) ، وذلك على حساب التوسع فى الطاقة الانتاجية للمجتمع وعلى حساب الاستهلاك المدنى .

وفى مجتمعنا نخوض هذه الحرب التحريرية مع مشكلات التطوير الاقتصادى (اى بناء اساس الاقتصاد القومى) ، فالمعركة تدور فى مجتمع يبنى اساسه الصناعى رغم مجهودات التصنيع فى السنوات العشر الاخيرة ، والمعركة طويلة الامد ولا يمكن القول بارجاء عملية بناء اساس الاقتصاد القومى لحين الانتهاء من الحرب ، اذ كسبها رهين بوجود هذا الاساس . ومن ثم **تعين الاسراع فى بناء هذا الاساس ليخدم اهداف الحرب فى المرحلة الحالية ، ثم يصبح خادما لاهداف التطوير عندما يصبح (فيما بعد) المشكلة الاساسية .**

هذا « الاسراع » ومداه تحدده بطبيعة الحال طبيعة النشاط الاقتصادى الذي لا يزال سائدا وهو النشاط الزراعى ، وكذلك الطرق التى يمارس بها هذا النشاط .

بل ويمكن ان تخدم حالة حرب التحرير قضية التطوير الاقتصادى اذا ما اتخذت الحرب مناسبة لتحقيق تغييرات تنظيمية تفرضها الحرب ويصعب تحقيقها فى الظروف العادية . (نلاحظ فى هذا المجال ان التخطيط للتطور الاقتصادي تم فى البلدان الإشتراكية فى مراحله الاولى فى حالة تشبه حالة الحرب ، كالإقتصاد السوفيتي فى مرحلته الاولى ، والاقتصاد الصينى حاليا ؛ او فى حالة حرب كالاقتصاد الفيتنامى ابتداء من عام ١٩٤٥ حتى الان) .

من هنا يكون الهدف العريض لاقتصادنا هو **التطوير الاقتصادي من خلال حرب التحرير** ، اى تحقيق بناء اقتصادى يمكن من كسب المعركة ، الامر الذى يفرض زيادة الادخار القومي (ليس فقط لتغطية احتياجات الحرب وانما كذلك لبناء

الاساس الاقتصادى) خاصة وان نسبة الادخار الى الدخل القومى لم تزد عن حوالى ٥ر١٤٪ فى سنة ١٩٦٥/١٩٦٦ بينما وصلت الى ٢٥٪ وأكثر فى الاقتصاديات الرأسمالية ، والى ما يدور حول ٣٠٪ فى المجتمعات التى تبنى اسس المجتمع الاشتراكى .

وضوح الهدف وبلورته — ومن ثم ضرورة تعبئة النشاط الاقتصادى لتحقيقه — يجعل من **اقتصاد الحرب اقتصادا مخططا بطبيعته** . فحتى الاقتصاديات الرأسمالية التى تعمل من خلال قوى السوق بطريقة عفوية (والتى يحول فيها تضارب المصالح القائم على الملكية الفردية لوسائل الانتاج دون اعتناق هدف متفق عليه فى حالة السلم) تصبح فى حالة الحرب (حالة الاتفاق على هدف معين : تحقيق النصر) اقتصاديات مخططة (فى هذا المجال نلاحظ ان الكثير من فنون التخطيط (اى ادواته) تطور من خلال الجهود التخطيطية اثناء الحرب فى الاقتصاديات الرأسمالية) . من هنا تبرز **ضرورة وجود جهاز تخطيطى قادر ، وخاصة على مستوى المركز حيث تستلزم حالة الحرب درجة اكبر من المركزية .**

العلاقة بين الكليات الاقتصادية ودعائم السياسة الاقتصادية فى اقتصاد الحرب

هذه الطبيعة لاقتصاد الحرب تتضمن تغيرا كبيرا فى العلاقة الاساسية بين الانتاج (المدنى والحربى) والاستهلاك (المدنى والحربى) والاستثمار : فهى تستلزم تحويل جزء من الطاقة الانتاجية ، المادية منها والبشرية ، من انتاج السلع الاستهلاكية او السلع التى تستخدم فى بناء المصانع المنتجة للسلع الاستهلاكية ، الى الانتاج الحربى . تحويل جزء من عناصر الانتاج من الانتاج المدنى الى الانتاج الحربى يجعل من عرض السلع المخصصة للاستهلاك المدنى محدودا نسبيا . اما بالنسبة للاستهلاك فان اقتصاد الحرب يفرض الحد من الاستهلاك المدنى (الخاص ، اى استهلاك الافراد ، والحكومى) . اما فى مجال الاستثمار فان جزءا من الفائض الاقتصادى الذى يوجه عادة لزيادة الطاقة الانتاجية يستخدم فى حالة الحرب اما فى شراء الاسلحة او فى القيام باستثمارات حربية او فيهما معا .

ويمكن القول ان جوهر هذا التغيير يتمثل فى تخصيص الجزء الاكبر من الفائض الاقتصادى للمجهود الحربى ، الامر الذى يتم عن طريق سياسة اقتصادية تقوم على الاسس التالية :

● **زيادة الانتاج والحد من الاستهلاك** (ومن ثم زيادة الفائض الاقتصادى) : فى كل مكان (فيما عدا الاماكن التى تمثل الجبهة المباشرة للقتال) يتعين على افراد الشعب ان يلتصقوا بوحدات الانتاج ، يحملون السلاح فى حالة القتال ويعودون الى وسائل الانتاج مع انقطاعه . **ليكن الهدف :** الغذاء ، الملبس ، الانتاج ، القتال ، كلها مرتبطة.

● **بالنسبة للدولة ، زيادة الايرادات** (مع تفرقة فى حالة الضرائب وفقا لمستويات الدخول) **وانقاص الانفاق العام** (وفقا لنمط الاولويات الذى تفرضه الحرب) ، اى اتباع **سياسة التقشف .**

● **تحقيق استقرار الاثمان وقيمة النقود ،** ويسهل من تحقيق هذا الهدف وجود الوحدات التى تقوم بالخدمات الاساسية داخل قطاع الدولة وكذلك بالنسبة للوحدات التى تقوم بتسويق السلع الاستهلاكية الضرورية **(وهنا تبرز اهمية تنظيم تجارة الجملة ونصف الجملة) .**

● **التشجيع والمكافأة** (اقامة المسابقات ، المكافآت المعنوية للمتفوقين فى اعمالهم ، للمخترعين ، لمن يقدموا الهبات) **وتوقيع الجزاء** بقسوة على من يبدد الاموال العامة ، على المضاربين ، على المخربين ، على الخونة .

● **اتباع سياسة تدريجية لتنظيم القطاع الزراعى** على نحو يخفف العبء (فى صورة تحسن بطىء وتدريجى فى مستوى المعيشة) على من يقومون فى الريف بتزويد الحرب بأهم ما تحتاج اليه من رجال وعتاد .

زيادة الفائض الاقتصادى والسبيل اليها

الزيادة فى الانتاج تهدف الى زيادة الجزء من الفائض الاقتصادى اولا ، لمواجهة احتياجات المجهود الحربى فى الداخل ، وثانيا ، لزيادة الجزء المصدر لمواجهة مستلزمات الحرب من الموارد المستوردة وكذلك المستلزمات العادية للجهاز الانتاجى من الواردات .

هذه الزيادة فى الانتاج يمكن تحقيقها عن طريق:

● الاستخدام الاكفأ للطاقات الانتاجية — وخاصة المادية منها — القائمة حاليا .

● تشغيل الطاقات البشرية المعطلة جزئيا (فى داخل الجهاز الحكومى ، والطلبة وغيرهم) فى اعمال الاستعدادات الحربية (كحفر الخنادق مثلا) وفى اعمال انتاجية (كمكافحة دودة القطن، وحفر الترع ، واستصلاح الاراضى) .

● زيادة عدد ساعات العمل (على ان يحقق زيادة فعلية فى الانتاج) ، وذلك **مع زيادة (محددة) فى الاجور بالنسبة لذوى الدخول المحدودة ودون زيادة فى المرتبات بالنسبة لذوى الدخول المرتفعة .**

● قصر الانتاج الاستهلاكى على السلع

الضرورية وتعميم عدم التنويع (standandisation) في انتاج كل سلعة .

هذه الزيادة في الانتاج يتعين ان تكون مصحوبة **بحد في الاستهلاك العام** (عن طريق القضاء على الاسراف وحتى انقاص بعض الاستهلاك الحكومى الذى يعد ضروريا في الظروف العادية ، السبيل اليه هو تخفيض الاعتمادات في ميزانية الدولة) **والاستهلاك الفردى** . الامر الذى يثير مشكلة **تحقيق التوازن بين الطلب النقدى على السلع الاستهلاكية ، وبين عرض هذه السلع** الذى يكون محدودا نسبيا .

وتحقيق هذا التوازن يتم من طريق :

١ ـ الحد من الدخول النقدية الموجهة للاستهلاك ، هذا الحد قد يتم عن طريق :

● الضرائب ، وخاصة على الدخول ، وهى لا يمكن ان تفرض على مختلف مستويات الدخول بلا تفرقة . هنا يتعين التمييز بين الدخول المنخفضة والدخول المرتفعة : **فتفرض ضريبة دفاع تصاعدية او يرفع سعر الضريبة القائمة.**

● او عن طريق الادخار الاجبارى ، الذى يمكن ان يستخدم الى جانب الضرائب مع التفرقة بين الدخول وفقا لمستوياتها : فيحدد حد ادنى يعفى من الضرائب والادخار الاجبارى . يليه حد يعفى من الضريبة (او يكون سعرها عليه منخفضا) ويكون هدفا للادخار الاجبارى . ومافوق ذلك يكون هدفا للضريبة والادخار الاجبارى .

٢ ـ تجميد جزء من الطلب النقدى عن طريق الاقتراض العام يستحث افراد الشعب للاكتتاب فيه على أساس من الاعتبارات الوطنية ، وكذلك من طريق التبرع للمجهود الحربى .

٣ ـ تحديد اسعار بعض السلع الضرورية (هنا تبرز أهمية وجود تنظيم حازم للتجارة الداخلية ، وفرض عقوبات صارمة للحيلولة دون قيام السوق السوداء او للقضاء عليه) .

٤ ـ توزيع بعض المواد بالبطاقات .

هذا ويراعى ان **تحقيق التوازن بين الطلب على السلع الاستهلاكية وعرضها لا يقتصر على التوازن العام** ، وانما يتعين العمل على تحقيق التوازن :

● بين الطلب على كل سلعة من السلع الاستهلاكية وبين عرضها .

● وبين الطلب على السلعة في اقليم ما من اجزاء الدولة وعرضها في هذا الاقليم ، الامر الذى يستلزم **اعادة النظر في سياسة توطين الصناعات الاستهلاكية على نحو يضمن سد احتياجات الاقاليم المختلفة والتوفير من استخدام خدمات النقل التى تكون محلا لضغط كبير نتيجة المجهود الحربى** .

● بين الطلب على السلعة في اقليم ما في خلال فترة زمنية معينة وبين عرضها في خلال هذه الفترة بحيث يتحقق التوافق الزمنى بين الطلب والعرض .

ما تستلزمه اعتبارات الامان

تستلزم اعتبارات الامان في اقتصاد الحرب :

١ ـ **زيادة الجزء من الناتج الاجتماعى المخصص للاحتياطى** ، وخاصة في المواد الاستراتيجية والسلع الاستهلاكية الضرورية ، الامر الذى يستلزم :

● تنظيم عمليات التخزين والتوسع في امكانياته ، عن طريق زيادة كفاءة السعة الحالية ، والاضافة الى السعة الحالية . هنا يفضل ان تكون المخازن منتشرة على اقليم الدولة ، على ان توجد اماكن سرية للتخزين واماكن غير مكشوفة .

● وتنظيم عمليات التخزين يستلزم تنظيما بمقتضاه تتمكن الهيئات على مختلف الوحدات الادارية (من الوحدة الانتاجية الى المؤسسة الى الوزارة ، ومن الحى (او القرية) الى المركز الى المحافظة) من تكوين جزء من الاحتياطي من السلع .

٢ ـ **اعادة النظر في سياسة توطين المشروعات ، وفي تركز المشروعات القائمة** ، بحيث تتم ليس فقط على اسس اقتصادية ، وانما كذلك على أسس تتعلق بمستلزمات الحرب . اذ قد تقتضى اعتبارات الامان ان يكون حجم الوحدات الانتاجية صغيرا ، وان تكون الوحدات المنتجة للسلع الاستهلاكية متناثرة على اقليم الدولة . بل وقد يحتاج الامر توزيع الطاقات الانتاجية لوحدات موجودة فعلا بين الاقاليم المختلفة بحسب احتياجات كل اقليم من السلع الاستهلاكية الضرورية . **الامر الذى يخفف الضغط على خدمات المواصلات التى تمثل عنق زجاجة كبير نظرا لاعطاء الاولوية للمجهود الحربى** . كما قد يستدعى الامر وجود وحدات انتاجية في اماكن سرية او تحت سطح الارض . في هذا المجال **يتعين عدم الاقلال من اهمية الدور الذى يمكن ان تقوم به الصناعات الحرفية** في مجال انتاج السلع الاستهلاكية وخاصة المنسوجات . فهذه الصناعات تتميز بامكانية القيام بالنشاط في المنازل ، وهي بطبيعتها منتشرة لا تمثل هدفا عسكريا كالتجمعات الصناعية .

٣ ـ **كما قد تستلزم اعتبارات الامان التضحية ببعض الاعتبارات الاقتصادية** ، فاذا كان ـ على

سبيل المثل — من الاحسن اقتصاديا التوسع فى زراعة القطن (باعتبار ان الانتاجية اعلى وان تعبئة الجزء من الفائض الزراعى الذى يتبلور عينيا فى شكل القطن اسهل ، اذ لايمكن استهلاك القطن بواسطة الفلاحين) وتصديره ثم استيراد القمح ، فان اعتبارات الامان قد تستلزم لصعوبة استيراد القمح (او ما يحل محله من الحبوب) زيادة المساحة المنزرعة قمحا على حساب المساحة المخصصة للقطن .

التعبئة العامة الشاملة

وخاصة للفلاحين هى ضمان

تعبئة الفائض الاقتصادى

كل ذلك يعنى ضرورة ضمان تعبئة الجزء الاكبر من الفائض الاقتصادى بقصد استخدامه فى تحقيق الاولويات التى تفرضها حالة تطوير الاقتصاد المصرى فى ظل الحرب التحريرية . وبما هى الجزء الاكبر من الفائض الاقتصادى لا يزال ينتج فى الزراعة ، وان النشاط الصناعى يسيطر على غالبيته قطاع الدولة ،فان مسألةالاجراءات التى يلزم اتخاذها لتعبئة الفائض الاقتصادى الزراعى تستلزم عناية خاصة ،ليس فقطلاهميتها الاقتصادية وانما كذلك **لان اية حرب تحريرية طويلة المدى لا يمكن ان تستمر الا اذا اتخذت جماهير الفلاحين قاعدة متسعة لها تزود الحرب بالعدد الاكبر ممن يقومون بالقتال فى الحرب النظامية وكذلك بالمواد الغذائية والمواد الاولية، وتمثل أساس المقاومة الشعبيةفىالريف المصرى. اعتقادنا انه يتعين هنا التركيز على نوعين من الاجراءات لتعبئة الفائض الزراعى لخدمة الحرب التحريرية** (*)

● **النوع الاول** يتمثل فى الاجراءات الاقتصادية من سياسة تجارية الى سياسة مالية . هنا يتعين **دراسة امكانية** الاستعاضة عن كل أنواع الضرائب المفروضة حاليا فى الريف ، اما بضريبة واحدة على الايراد الناتج من النشاط الزراعى تكون تصاعدية (على ان تأخذ فى الاعتبار الاعباء العائلية) واما بضريبتين : احدهما تفرض على الايراد الناتج من ملكية الارض الزراعية (وهذه تكون تصاعدية بزيادة حجم الملكية الزراعية) ، والاخرى تفرض على الدخل الناتج من الاستغلال الزراعى (وهذه كذلك تكون تصاعدية) .

● **النوع الثانى** يتمثل فى مجموعة الاجراءات التى تهدف الى **التعبئة السياسية والوطنية لجموع الفلاحين** ، وهو امر تفرضه الحقيقةالتى مؤداها ان القوى الاجتماعية الاساسية تتمثل فى جماهير الفلاحين والعمال ، وهى القوى التى عبرت عن موقفها من قضية تحرر الوطن العربى بتمسكها بقيادتنا الثورية فى انتفاضة التاسع من يونيو الماضى . ولما كانت المعركة هى معركة لقوى الشعب مع قواته المسلحة **فان التعبئة العمةالشاملة تصبح الضرورة رقمواحد،**

الامر الذى يستلزم ان يكون **التدريب علىالقتال وعلى اعمال المقاومة الشعبية اجباريا ، اذ يجب ان يكون الدفاع عن كل وحدة (سكنية او انتاجية) ضد جميع انواع العدوان العسكرى مسئولية يتحملها افراد هذه الوحدة** . ومن ثم يصبح **اقصر سبيل لكسب المعركة ان يكون لكل فرد من افراد الشعبالعاملدورا يلعبه .معرفته لهذا الدور واعداده للقيام به تخلق منه جزءا من المعركة وتحصنه بالوعى اللازم لخوضها ، وهى وعى ينعكس فى سلوك الفرد كوطنى يتصدى لاسلحة الحرب النفسية التى يستخدمها العدو ، وينتج ويحارب فى نفس الوقت .**

هذا القول يصدق على جماهير الشعبالعامل بصفة عامة وعلى جماهير الفلاحينبصفة خاصة، اذ هى تمثل — كما قلنا — القاعدة التى تزود المعركة بالعدد الاكبر من الرجال وبالجزء الاكبر من العتاد . ومن هنا تبرز أهمية **تعبئة جماهير الفلاحينسياسياواشراكها اشراكا فعليا فىالمعركة كجماهير واعية** . وخلق الوعى يستلزم **القضاء على الامية فى الريف** ، اذ يجب تبصير الفلاحين بواجباتهم وحقوقهم وبالاسباب التى تستلزم منهم القيام بمجهودات تفوق طاقة البشر ، وبالتضحيات فى النفس . فى سبيل خلق هذا الوعى لدى الفلاحين ليكن شعارنا : **ان الجهل احد حلفاء العدو** . هنا يمكن الاستفادة من آلاف الطلبة والمدرسين وموظفى الادارة الحكومية المقيمين فى الريف . **على ان نعى ان نجاح كل الاجراءات اللازمة فى الريف رهين باتخاذها فى جو من الثورية ، وليس فى جو من البيروقراطية والتعقيد .**

على هذا النحو نعيش معركة التحرر العربى فاهمين لطبيعتها كغاية ووسيلة : فهى غاية اذ دون كسبها لا تحرر للشعوب العربية من ربقة الامبريالية والصهيونية ،وبالتالى لاتقدم ،ووسيلة عن طريقها يصهر افراد الشعب ليتبين معدن كل فرد : الخائن والمتخاذل والانتهازى تسحقه المعركة وتطهر منه الصفوف ، والصلب المنتج المكافح المؤمن بمستقبل اسعد يكسب المعركة ويصبح وحدة الشعب الذى يبنى غداة انتصاره فيها .







ما العمل ؟

سؤال يصرحه كل مواطن فى طول الوطن العربى وعرضه .

وقد أجاب **الرئيس جمال عبد الناصر** على هذا السؤال فى خطابه التاريخى بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسه عشر لثوره ٢٣ يوليو . واذا كان الرئيس قد طرح الخطوط العريضه للعمل الوطنى فى هذه المرحله الا ان مجال الاجتهاد الشعبى يجب ان يفتح على مصراعيه لتطبيق السياسه العامه التى رسمت القياده خطوطها . بل ان المبادره الشعبيه الصحيه الواعيه مطلوبة فى هذه الظروف أكثر مما كانت فى أى وقت .

وقدوضع محررو الطليعه واصدقاؤها هذا السؤال (ما العمل ؟) امام انفسهم منذ اللحظات الاولى التى اعقبت النكسة . تماما كما وضعه كل فرد فى الشعب ، واعملوا الفكر محاولين تلمس الطريق الى اجابات مدروسه وواقعيه . واسهم عدد منهم بهذه الكتابات . التى نرجو ان تكون فاتحه لكتابات أوسع وأصرح يمكن ان تنشر على صفحات الطليعة وغيرها من منابر الراى الوطنى التقدمى الطليق .

وقد تناول الموضوع من جوانبه العامه كل من **خيرى عزيز وابوسيف يوسف واحمد الرفاعى .** وتحدث **الدكتور عبد الرءوف ابوعلم** عن انطباعاته اثناء وجوده فى اجتماعات مكتب العمل الدولى بجنيف ، حيث كان هناك قبيل وقوع العدوان وأثناءه ، واستخلص كثيرا من النتائج والدروس التى اوحت بها كتابات واجواء يغلب عليها الطابع الاستعمارى العدائى ، وتطرق الى الحديث عن كثير من الجوانب العامه كذلك . هذا ، بينما عالج الكتاب الاخرون بعض الجوانب الخاصة من السؤال العام المطروح للبحث .

تناول **الدكتور محمد دويدار ، فى حديث مركز** مدروس ، موضوع اقتصاديات الحرب ، حيث أكد على الطبيعة الخاصة لمهماتنا الاقتصادية فى هذه المرحلة ، التى تتميز بضروره الجمع بين التنمية والبناء الصناعى ، وبين مواجهة أعباء الحرب من أجل النصر . وأوضح ان ظروف المحنة يمكن أن تتحول — بالارادة والتعبئة الشعبية السياسية — الى ظرف موات ، نتبين فيه أوجه النقص التى شابت عمليات التنمية الاقتصادية فى السنوات العشر الاخيرة ، وأن نبدأ محاولات جذرية جادة لعلاجها والانطلاق نحو البناء الاشتراكى السليم . ولعل ماكتبه الدكتور دويدار يساعد على



فهم الاسس الفكرية التى انبنت عليها الميزانيةالجديدة (وجدير بالذكر أن ما كتبه الدكتور دويدار جاء سابقا على اعلان الاجراءات الاقتصـــاديةالأخيرة) .

ويتناول **الدكتور عجلان** : بأسلوبه الخاص ،موضـوع القيادات المحلية ، وكيف أن ظروف المحنة كشفت عن ضرورة أن تتحلى هذه القيادات بالوعى والشجاعة والاحساس بالمسئولية التى تمكنها من اتخاذ المبادرة التى يتطلبها الموقف ـــ سواءكان ذلك يتطلب عملا عسكريا أو سياسيا أو عملا يوميا بسيطا وجزئيا . ان روح الاتكال وفتور الهمةوالتردد فى المواقف الحاسمة حين يتفشى بين القيادات والذى يولد روح الاندفاع غير الواعى وغيرالمخطط فى القواعد الجماهيرية ، مرده قصـــور الوعى والتـدريب السيـاسى والروح الديمـوقراطية وتراكمات أجيـال بعـد اجيـال من سـيطرة البيروقراطية والتخلف الفكرى والسياسى .

ويوصل **عبد المنعم الغزالى** هذا المعنى بالرجوع الى ميثاق العمل الوطنى ، حيث الحديث عن الطبقة العازلة التى « تحول دون تدفق العمل الثورى وتجمد وصول نتائجه الى الجماهير التى تحتـاج اليه » . ويبين أن الثورة العربية لم تعد تحتمل ـــ وهى تواجه معركة المصير ـــ أى أبطاء فى تطبيق الديموقراطية السليمة ، التى نص الميثاق على أنها « توكيد للسيادة الحقيقية للشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه » . ويؤكد الكاتب المهمة التى وضعها الرئيس عبد الناصر « ينبغى لنا مهما كان الثمن الا نسمح بظهور طبقة جديدة تظن أن الامتيازات ارث لها بعد الطبقـة القديمة . علينا أن نقاوم مثل هذا الانحراف ونقومه ونثور عليه اذا اقتضى الامر » . ويشير عبد المنعم الغزالى بصفة خاصة الى الدور المعوق الذى تقوم به « الطبقة العازلة » فى قيادات المنظمات الجماهيرية والنقابية منها بصفة خاصة ، ويقول انه قد آن الاوان لفتح الطريق أمام القيادات الشعبية التى لم تتلوث بتطلعات هذه الطبقة ومفاسدها .

وتناول كل من **مصطفى طيبة ومحمد سيد أحمد** مسئولياتنا فى الميدان العربى فى هذه المرحلة . وأكد محمد سيد أحمد على جانبين هامين وحاول ان يجمع بينهما جمعا جدليا :

الاول : الطبيعة الوطنية للحرب التى نخوضها ضد العدوان الصهيونى الامريكى ، واتساع القاعدة الاجتماعية للعمل الوطنى ، على النطاقين المصرى والعربى .

الثانى : تأكيد أن الطلائع الاشتراكية ـــ فى اطار التجمع القومى العريض ـــ هى التى تشكل قيادة العمل الوطنى القومى ، وأن تلاحم هذه الطلائع الاشتراكية ومضيها فى سـبيل تحقيق أهدافها الاجتماعية ودعم مواقعها السياسية والفكرية هى فى النهاية الضمان الوحيد لنجاح العمـل القومى العربى العريض .

وأورد **زكى مراد** درسا من تاريخ نكسة أخرى ماتزال ذكراها ماثلة فى الاذهان ، تمكنت الثورة العربية بقيادة عبد الناصر من التغلب على آثارهـا ـــ ونعنى بها نكسة الانفصال السورى عام ١٩٦١ ـــ وأورد زكى مراد ، من واقع الحديث الذى اذاعه جمال عبد الناصر فى أعقاب الانفصال السـورى مباشرة ، دروس تلك النكسة التى تتلخص فى :

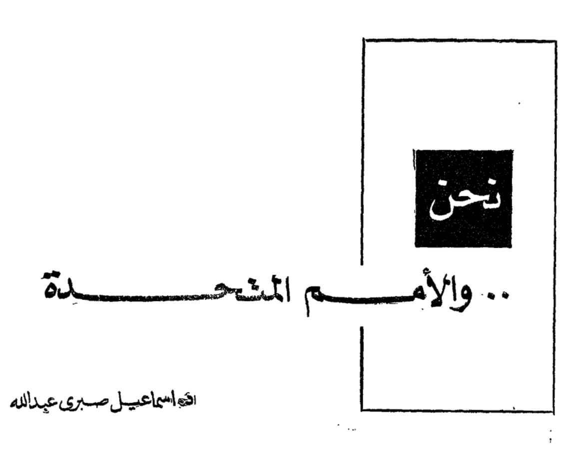
- « كنا نرفض المصالحة مع الاستعمار ولكننا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية » .
- « عدم كفاية التنظيم الشعبى »
- « لم نبذل الجهد الكافى فى توعية الجماهير الواسعة بحقوقها »
- « لم نستطع أن نطور جهاز الحكم الى مستوى العمل الثورى »
- « الانتهازية والطبقية الاجتماعية وأحكامها » تلك هى دروس نكسة الانفصال السورى .

وما أحرانا بالاستفادة من دروس تلك النكسة فى تبين دروس النكسة الحالية ، وفى الاسراع بتلافى أية نكسة أخرى فى المستقبل فى وقت تزداد فيه الامور حرجا . ويجب أن نتبين أننا فى سباق مع الاستعمار وعملائه على الزمن .

وأخيرا يدلى **د . عباس كسيبه** برأى سياسى على درجة من التفصيل فى موضـــوع المقـاومة الشعبية .

واذا كان القارىء يمكن أن يبدأ بكلمة خيرى عزيز ، باعتبارها الكلمة التى تعطى أرضية عامة ـــ سياسية واقتصادية وفكرية ـــ فان من الاوفق أن يعيد قراءتها مرة ثانية بعد أن يفرغ من قراءة الآراء الاخرى ، لانها الكلمة التى تعيد جمع أطراف الموضوع وترتيبه ، ووضع النقط على الحـروف بدرجة ملموسة من الوضوح والحسم .





أثار عجز الجمعية العامة للامم المتحدة عن اتخـاذ قرار حاسـم بادانة اسرائيل والزامها بسحب قواتها شعورا بالمرارة وخيبـة الامل فى البلاد العربية . وسرعان ما تواتر الحـديث عن عدم جدوى المنظمـة الدوليـة وعن سـيطرة الاسـتعمار عليهـا وارتفعت اصـوات تنـادى بالانسحاب منها . **ولكن الانفعال اسوأ اساس تبنى عليه سياسـة ، والعقل دائما خير ناصح ، والدعوة الى العقـل ليست بحـال دعوة الى « التعقل ، او الاعتدال أو الواقعية » او غير ذلك مما يعارض البعض باسمه الاجراءات الثـورية الجسورة . وانما هى دعوة للتفكير العلمى الهادىء باعتباره امضى اسلحة الثوريين .** فالثورة كما اكد جمال عبد الناصر علم وليست مجموعة من اعمال « متطرفة » تمليها ردود فعل عاطفية . وبداية اى تفكير ثورى علمى هى معرفة الواقع معـرفة كاملة ـ لا للتسليم به وانما بقصد تجاوزه ـ ثم البحث فى هذا الواقع عن عنـاصر تغييره . واذا كانت الجسارة اروع صفات الثوار ، فان بعـد النظر ودقة التحليل وطول النفس هى وحـدها التى تصونها عن ان تكون مغامرة .

ويجب ان نتساءل ماذا كنا ننتظر من الجمعية العامة للامم المتحدة حتى نقدر ما حصلنا عليه تقديرا دقيقا يسهم فى رسم خطانا المقبلة . ان المجتمع الدولى قد قطع شوطا بعيـدا فى طريق التنظيم والتحضر ولكنه لم يبلغ بعد ما بلغتـه المجتمعات فى معظم الدول . لقد عاشت البشرية الاف السنين لا يحكم العلاقة بين الدول الا منطق القوة . والى ما قبل ثلاثة قرون او اربعة كانت العلاقات بين الدول الكبرى تقوم على العـداء الكامل وتشكل سلسلة متصلة من الحروب تتخللها الهدنة المسلحة . وكلمة اجنبى فى كثير من اللغات مشتقة من كلمة عدو . وتحويل العلاقات السلمية الى وضع طبيعى وكون الحرب بين الدول امرا استثنائيا ـ وان كان كثير الوقوع ـ كسب حديث للبشرية . ومع ذلك فحتى الحرب العالمية الاولى كان المجتمع الدولى يسلم « بحق الفتح » وكان من الطبيعى أن يملى المنتصر عسكريا شروطه على المهزوم ، كان ستار المجتمع الدولى ما زال كلمة غليوم امبراطور المانيا « الويل للمغلوب » . واليوم تقدم المجتمع البشرى فأقر مبـدأ عدم استعمال القوة لتحقيق توسع اقليمى . بل ذهب ميثاق الامم المتحدة الى ابعد من هذا حين حظر على اعضائها استخدام القوة لاسترداد ما يرون انه حق لهم . ولكن المجتمع الدولى ليس له حتى الان سلطة مركزية او نظام قضائى يكفل بالفعل رد الحقوق الى اصحابها . انه اليوم فى منتصف الطريق : يرفض تأسيس الحق على القوة ويعجز عن احقاق الحق الذى لا تسانده قوة . وهيئـة الامم المتحدة تعبير ناقص عن هذا المجتمع الدولى ، فهى تترك خارج اطارها حـوالى ربع البشرية ، وهى حتى الان تعطى نفس القوة التصويتية لاى دولة مهما يكن عدد سكانها ، ولكن مسار الهيئة ليس فى اتجاه الخضوع الكامل للاستعمار . ويكفى

ان تدلل على ذلك بأن أمريكا نجحت أن تغطى عدوانها على كوريا الشمالية بعلم الامم المتحدة ، اما اليوم فأمريكا فى الجمعية العامة فى موقف الدفاع واقصى ما يمكن ان تنجح فيه هو شل الجمعية العامة ولكنها لا يمكن ان تجر اغلبيتها ورائها فى سياستها العدوانية . **ومن المعروف على اية حال انه حتى لو اصدرت الجمعية العمومية قرارا بادانة اسرائيل والزامها بسحب قواتها ، فانها لا تملك ماديا وسائل تنفيذ مثل هذا القرار . وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة لضم القدس الى اسرائيل . ولذلك فان الجمعية العامة فى وضعها الراهن هى فى الاساس ميدان للصراع السياسى ومنبر لكسب الراى العام العالمى ووسيلة محتملة للحصول على التأييد الادبى . ومن ثم فان كل تعويل على الامم المتحدة وجدها لالزام اسرائيل بالانسحاب نعلق بوهم وتفكير خاطىء من أساسه .**

فتصفية اثار العدوان واجبنا نحن ، لن ينهض به احد بدلا منا ، وانما علينا أن نهيء له افضل الظروف العالمية ، والامم المتحدة واحد من تلك الظروف .

وفى ضوء هذا الفهم يمكن ان نقدر ما وصلنا اليه من نتائج فى الامم المتحدة . **والحقيقة الاولى** التى يجب أن نشير اليها هى ان قضية العرب وجدت على المنبر الدولى اصواتا نبيلة ارتفعت تفضح العدوان وتكشف عن دور الاستعمار فيه وتندد بالمعتدين وتتبنى الى حد بعيد وجهة نظرنا . **والحقيقة الثانية** هى ان ثلاثا وخمسين دولة صوتت على الانسحاب الفورى للجيوش المعتدية .
وهذا العدد وان كان لا يمثل اغلبيه مطلقـه فى الجمعية العمومية ، الا ان سكان هذه الدول يبلغ مجموعهم اكثر من ١٥٦٠ مليون نسمة ، اى اكثر من نصف سكان العالم وحوالى ثلاثة ارباع سكان الدول الاعضاء فى الامم المتحدة . فاذا أضفنا الى ذلك شعب الصين العظيم وشعوب كوريا وفيتنام والمانيا الديمقراطية **وجدنا ان الدول التى تقف بجانبنا تضم اكثر من ٢٣٠٠ مليون نسمه ، اى اكثر من ثلثى البشرية .** ويجب ان نضيف الى شعوب تلك الدول تأييد أقسام واسعة من شعوب الدول التى لم تصوت معنا . لقد شهدت تلك البلاد اصواتا تناصرنا . ومن الاهميه بمكان ان نبحث طبيعة الحكومات والدول التى صوتت معنا . فالتصويت فى مثل هذا الموقف ليس عملا عارضا وانما هو اختيار اساسى بين الاستعمار وحركة التحرر . ويبرز التحليل الى جانب اصوات الدول العربية اصوات الدول الاشتراكية وكذلك الدول التقدمية (مثل غينيا ومالى وكمبوديا) واصوات عدد كبير من الدول حددت موقفها على اساس تضامن اسيوى او افريقى ، ثم ثلاث دول كان الاسلام هو العامل الحاسم فى تحديد تصويتها (اندونيسيا وماليزيا وتركيا) . وهنا ينبغى ان نبرز حقيقة هامة الا وهى أن التضامن الاسيوى الافريقى لم يلعب دوره كاملا ، فحيث قامت حكومات رجعية او انقلابية تغلب ولاءها للاستعمار على مصالح شعوبها . وقد اتضح هذا فى افريقيا بالذات . وأخيرا هناك اربع حالات خاصة تسترعى الانتباه . فاليونان رغم موقف حكومتها العسكرية الموالى للغرب تماما ما صوتت معنا ، ويرجع ذلك فى تقديرى الى عمق الصداقة التاريخية بين الشعب اليونانى والشعوب العربية . واسبانيا تحرص على الخروج من عزلتها بتحسين علاقاتها مع اكبر عدد ممكن من الدول ، ونظرا لانها لم تعترف باسرائيل — حيث لم تكن عضوا بالامم المتحدة — فانها تعمل على تدعيم علاقاتها العربية . واليابان ، وهى دولة راسمالية كبرى ، كانت حريصة على الا تعزل نفسها عن الدول الاسيوية والا تعرض للخطر مصالحها الاقتصادية والتجارية فى البلاد العربية . اما موقف فرنسا فله اهمية خاصة . حقا لقد لعب ديجول شخصيا دورا هاما فى تحديد هذا الموقف ، واستطاع ان يقف فى وجه هستيريا تأييد اسرائيل التى استولت على الراى العام الفرنسى . ولكن الامر اعمق من ان يكون مجرد سياسة شخصية لديجول . لقد حاربتنا فرنسا فى ١٩٥٦ الى جانب اسرائيل لانها كانت تريد ضرب ثورة الجزائر . اما بعد تصفية المواقع الاستعمارية الفرنسية فى الوطن العربى فقد فقدت اسرائيل أهميتها فى نظر أقسام كبيره من الراسمالية الفرنسية التى تريد ان تحافظ على علاقات اقتصادية وثقافيه طبيعية مع البلاد العربية . وهكذا يتأكد ان دور اسرائيل ككلب حراسة هو الذى يوفر لها التأييد الاستعمارى ، **وانه اذا فقد الاستعمار مواقعه فى بلادنا ضاع جزء كبير من اهمية اسرائيل فى نظره .**

والحقيقة الثالثة هى ان قضية التحرر من الاستعمار فى كافة انحاء العالم واحدة لا تتجزأ . وانه حيث نجح الاستعمار الامريكى فى احداث انقلاب رجعى وفرض حكومة عميلة وقفت تلك الحكومة ضد قضية العرب العادلة . فلولا سقوط نكروما لصوتت غانا الى جانبنا . وبعض دول افريقيا التى تنتسب الى المجموعة الفرنسية لم تستجب لمساعى باريس وانصتت لاوامر واشنطون ، لأن الحكومات العسكرية او المدنية العميلة التى نجح الاستعمار الامريكى فى اقامتها باعت بلادها له . **والغريب فى هذا الشأن ان يقول بعض الناس ان دول أمريكا اللاتينية قد صوتت ضدنا لاننا نؤيد الحركات الثورية فيها ولاننا اشتركنا فى مؤتمر القارات الثلاث .** فليس بعد هذا القول قلب للحقائق . فكوبا الثورية هى التى ارتفع صوتها مدويا لصالح الحق العربى . ولو كانت

حكومة جولارت ما زالت قائمة فى البرازيل لاختلف موقف تلك الدولة الكبيرة ولولا العدوان الامريكى على جمهورية الدومينيكان لوجدنا حليفا اخر . . ان الحكومات التى تلقت اوامرها من واشنطون لا يمكن ان تصدر عن مبدأ اوتنطق عن عدل، ان عددا من مندوبى امريكا اللاتينية فى هيئة الامم يتلقى مرتباته مباشرة من الحكومة الامريكية . ان الامل الوحيد فى ضرب سيطرة امريكا على الامم المتحدة يكمن بالذات فى الحركة الثورية فى امريكا اللاتينية، فكلما ارتفع علم للحرية فى أرض سيمون بوليفار انهدت بعض دعائم السيطرة الامريكية .

والحقيقة الرابعة هى ان الولايات المتحدة بذلت كل ما تملك من تهديد وترغيب لشل الجمعية العامة تماما . وربما اخطرها ما فى مشروع دول امريكا اللاتينية الذى لم تقبل امريكا اى تغيير جدى فيه ، انه يهدم تماما مبدأ اساسيا من المبادىء التى قام عليها ميثاق الامم المتحدة . فهذا الميثاق يدين استخدام القوة من جانب اى عضو فى الهيئة الدولية فى جميع الاحوال الا فى حالة الدفاع الشرعى عن النفس ضد عدوان سافر وحتى يتدخل مجلس الامن . ومعنى ذلك ان اعضاء الهيئة قد التزموا بعدم استخدام القوة حتى لغرض ما يعتقدون انه حق لهم . واقتراح دول امريكا اللاتينية يقرن مطالبة اسرائيل بالانسحاب بمطالبة العرب بالاعتراف بها . وحتى اذا كانت الدول صاحبة الاقتراح ترى شرعية وجود اسرائيل وضرورة الاعتراف بها فان تأسيسها لطلب المفاوضة مع اسرائيل على احتلال اسرائيل لاراض عربية جديدة يعنى التسليم باستخدام القوة وهدم أهم مبدأ قامت عليه الامم المتحدة . وهكذا يتضح ان امريكا وقد يئست من أن تجعل من المنظمة الدولية فرعا لوزارة الخارجية الامريكية ومن سكرتاريتها العامة ملحقا للبنتاجون تعمل فى اصرار على هدمها . وهكذا يقفز الى الاذهان ما فعله هتلر وموسوليني قبيل الحرب العالمية الثانية من تخريب لعصبة الامم انتهى بانسحاب المانيا وايطاليا منها ، وكان ذلك من نذر اندلاع الصدام المباشر المسلح . ان اى تنظيم دولى مهما يكن صفته قيد على الدولة التى تحترف العدوان وتسعى فى جنون الى السيطرة على العالم . ويكفى أن تكون تلك سياسة عدونا الاكبر ازاء الامم المتحدة لنتمسك نحن بعكسها ونعمل على بقاء المنظمة الدولية وتدعيم نفوذها .

والحقيقة الخامسة هى ان الحق لا يكفى ان يوجد بل يجب ان يكون معروفا . ويجب ان نسلم هنا ان الحق العربى ما زال يحتاج الى مزيد من العرض والتوضيح . لقد استفاد المعتدون فى ١٩٦٧ من تجربة ١٩٥٦ الفاشلة . وظهر ذلك بنوع خاص فى أمرين : الاول ، سرعة الحركة التى لم تترك بين بدء الازمة وبدء العدوان اكثر من عشرين يوما . ذلك ان الشهور الثلاثة التى مرت فى ١٩٥٦ بين تأميم قناة السويس وبين بدء العمليات الحربية أتاحت لنا فرصة عرض قضيتنا على العالم . والامر الثانى هو تفادى استخدام قوات الدول الاستعمارية علنا حتى يضللوا الرأى العام العالمى بصورة المائة مليون عربى يريدون افناء مليونين من الاسرائيليين تغطية لحقيقة الاستعمار الامريكى البشع الذى يريد ضرب النظم التقدمية فى البلاد العربية . ولكن استمرار اسرائيل للعدوان واستهتارها بهيئة الامم وموقف واشنطون المخزى يتيح امامنا فرصة واسعة لطرح القضية على وجهها الصحيح الا وهو الصدام بين الاستعمار الامريكى الشرس وبين حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى العالم الثالث كله . لقد تطورت الاحداث بسرعة فى السنوات الاخيرة فى بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بحيث أصبح الصدام الحالى الذى تشهده الارض العربية صداما حاسما له ابعد الاثر على قضية السلام فى العالم كله . ان اى تسليم بمنطق الاستعمار واى مهادنة له فى المعركة الرهيبة القائمة فى بلادنا يشكل «ميونيخ» اخرى لن تزيد الاستعمار الا نهما ومغامرة . واى محاولة « لانقاذ السلام فى الشرق الاوسط» على غير اساس من رد العدوان تكون نذيرا يهدد السلام العالمى . لقد وضعتنا الظروف فى موضع يجعل من قضية تحرير ارضنا قضية تهم البشرية كلها ، وعلينا الا نكل فى عرض هذه الحقيقة وتوضيحها فيزيد اصدقاؤنا فى ارجاء المعمورة عددا وتصميما .

المشروعات التى قدمت إلى الجمعية العامة

مشروع قرار عدم الانحياز

يطالب بانسحاب قوات اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة » ويطلب من السكرتير العام ان يتأكد من الالتزام بهذا القرار ، ويدعو جميع الاطراف الى تقديم كل مساعدة الى السكرتير العام فى تنفيذ القرار ، وان يقدم بصفة عاجلة تقريرا الى مجلس الامن والجمعية العامة حول التزام اسرائيل بنصوص هذا القرار . ثم يدعو مجلس الامن ان يبحث المسائل

المتعلقة بالوقف في المنطقة بعد انسحاب قوات اسرائيل ، وبيان الدول التي وافقت او رفضت او امتنعت ، كالاتي :

وافقت (٥٣) دولة هي :

افغانيستان ـ الجزائر ـ بلغاريا ـ بورما ـ بوروندي ـ روسيا البيضاء ـ كمبوديا ـ الكاميرون ـ سيلان ـ الكونجو (برازافيل) ـ الكونجو (كينشاسا) ـ كوبا ـ قبرص ـ تشيكوسلوفاكيا ـ فرنسا ـ جابون ـ اليونان ـ غينيا ـ المجر ـ الهند ـ اندونيسيا ـ ايران ـ العراق ـ اليابان ـ الاردن ـ الكويت ـ لبنان ـ ليبيا ـ ماليزيا ـ مالي ـ موريتانيا ـ منجوليا ـ المغرب ـ نيجيريا ـ باكستان ـ بولندا ـ رومانيا ـ السعودية ـ السنجال ـ الصومال ـ اسبانيا ـ السودان ـ سوريا ـ تونس ـ تركيا ـ اوجندا ـ اوكرانيا ـ الاتحاد السوفيتي ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ تانزانيا ـ اليمن ـ يوجوسلافيا ـ زامبيا .

رفضت (٤٦) دولة هي :

الارجنتين ـ استراليا ـ النمسا ـ باربادوس ـ بلجيكا ـ بوليفيا ـ بتسوانا ـ البرازيل ـ كندا ـ شيلي ـ كولومبيا ـ كوستاريكا ـ الدانمرك ـ الدومينكان ـ اكوادور ـ السلفادور ـ جامبيا ـ غانا ـ جواتيمالا ـ غيانا ـ هندوراس ـ ايسلاند ـ ايرلندا ـ اسرائيل ـ ايطاليا ـ جامايكا ـ ليسوتو ـ ليبيريا ـ لوكسمبرج ـ مدغشقر ـ مالاوي ـ المكسيك ـ هولندا ـ نيوزيلندا ـ نيكاراجوا ـ النرويج ـ بنما ـ باراجواي ـ بيرو ـ الفلبين ـ توجو ـ ترينداد وتوباجو ـ بريطانيا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ اوروجواي ـ فنزويلا .

امتنعت (٢٠) دولة هي :

جمهورية افريقيا الوسطى ـ تشاد ـ فورموزا ـ داهومي ـ اثيوبيا ـ فنلنده ـ ساحل العاج ـ كينيا ـ لاوس ـ مالطه ـ نيبال ـ النيجر ـ البرتغال ـ رواندا ـ سيراليون ـ سنغافورة ـ جنوب افريقيا ـ السويد ـ تايلاند ـ فولتا العليا .

لم تشترك (دولة واحدة) هي :

البانيا .

تغيبت (دولتان) هما :

هايتي جزر المديف .

مشروع قرار دول أمريكا اللاتينية

طالب بسحب قوات اسرائيل من جميع الاراضي التي احتلتها . ويدعو الاطراف في الصراع الى وضع نهاية لحالة النزاع العسكري للعمل من اجل اقامة تعايش سلمي قائم على حسن الجوار . ويعلن ان مشروعية احتلال او اكتساب الاراضي بشتى وسائل القوة لاينبغي الاعتراف بها . كما يطلب من مجلس الامن ان ينظر في الموقف والتعاون مع الاطراف والاعتماد على وجود الامم المتحدة من اجل تنفيذ الانسحاب واقامة تعايش سلمي ، ومن اجل ضمان حرية المرور عبر الممرات المائية في المنطقة ، ومن اجل الوصول الى حل مناسب وكامل لمشكلة اللاجئين ، ومن اجل ضمان عدم انتهاك الاستقلال الاقليمي والسياسي لدول المنطقة بما في ذلك انشاء مناطق مجردة من السلاح ، واخيرا يؤكد الرغبة في انشاء حكم دولي لمدينة القدس .
وبيان الدول التي وافقت او رفضت او امتنعت ، هي كالاتي :

وافقت (٥٧) دولة هي :

الارجنتين ـ استراليا ـ النمسا ـ باربادوس ـ بلجيكا ـ بوليفيا ـ بتسوانا ـ البرازيل ـ الكاميرون ـ كندا ـ جمهورية افريقيا الوسطى ـ تشاد ـ شيلي ـ فورموزا ـ كولومبيا ـ الكونجو (كينشاسا) ـ كوستاريكا ـ داهومي ـ الدانمرك ـ الدومينكان ـ اكوادور ـ السلفادور ـ اثيوبيا ـ جامبيا ـ غانا ـ جواتيمالا ـ غيانا ـ هندوراس ـ ايسلندا ـ ايطاليا ـ ساحل العاج ـ جامايكا ـ اليابان ـ ليسوتو ـ ليبيريا ـ لوكسمبرج ـ مدغشقر ـ مالاوي ـ المكسيك ـ هولندا ـ نيوزيلندا ـ نيكاراجوا ـ النرويج ـ بنما ـ باراجواي ـ بيرو ـ الفلبين ـ سيراليون ـ تايلاند ـ توجو ـ ترينداد وتوباجو ـ بريطانيا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ فولتا العليا ـ اوروجواي ـ فنزويلا .

رفضت (٤٣) دولة هي :

افغانستان ـ البانيا ـ الجزائر ـ بلغاريا ـ بوروندي ـ روسيا البيضاء ـ سيلان ـ الكونجو (برازافيل) ـ كوبا ـ قبرص ـ تشيكوسلوفاكيا ـ فنلنده ـ غينيا ـ المجر ـ الهند ـ اندونيسيا ـ العراق ـ الاردن ـ الكويت ـ لبنان ـ ليبيا ـ ماليزيا ـ موريتانيا ـ منجوليا ـ المغرب ـ باكستان ـ بولندا ـ رومانيا ـ السعودية ـ السنجال ـ الصومال ـ السودان ـ سوريا ـ تونس ـ اوجندا ـ اوكرانيا ـ الاتحاد السوفيتي ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ تانزانيا ـ اليمن ـ يوجوسلافيا ـ زامبيا .

امتنعت (٢٠) دولة هي :

بورما ـ كمبوديا ـ فرنسا ـ جابون ـ اليونان ـ ايران ـ اسرائيل ـ كينيا ـ لاوس ـ مالطة ـ نيبال ـ النيجر ـ نيجيريا ـ البرتغال ـ رواندا ـ سنغافورة ـ جنوب افريقيا ـ اسبانيا ـ السويد ـ تركيا .

تغيبت (دولتان) هما :

هايتي ـ جزر المديف .

مشروع قرار الاتحاد السوفيتي

يطالب بادانة العدوان الاسرائيلي وبانسحاب قواتها بلا قيد او شرط الى ما وراء خطوط الهدنة وان تلتزم اسرائيل بدفع تعويضات عن الخسائر التي نتجت عن عدوانها الاخير على الدول العربية .

مشروع قرار
الولايات المتحدة الامريكية

يطالب باجراء مفاوضات بين العرب واسرائيل ، وبحرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية وبايجاد تسوية لمشكلة اللاجئين ، وبتقييد شحنات الاسلحة الى الشرق الاوسط ، والاعتراف بحق جميع الدول ذات السيادة بأن تعيش في سلام دائم .

وقد قام مندوبامريكا بسحب مشروع القرار ، فلم يعرض للتصويت) .

أول قرار للجمعية العامة
بشأن القدس

تقدمت باكستان بالمشروع التالى :

« ان الجمعيةالعامة تعتبر الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لضم القدس والاماكن المقدسة فيها اليها ، اجراءات غير مشروعة » »

وقد وافقت عليه ٩٩ دولة .

وامتنعت عن التصويت ٢٠ دولة

ثانى قرار للجمعية العامة
بشأن رفض اسرائيل
لتنفيذ القرار الاول

تقدمت باكستان بمشروع جديد بعد ان تحدت اسرائيل قرار الجمعيةالعامة ورفضت تنفيذه . ويدعو المشروع الى:

التنديد بفشل اسرائيل فى تنفيذ توصيات الجمعية العامة الخاصة بالقدس ، ومطالبتها بالغاء جميع الاجراءات التى اتخذتها والامتناع عن اتخاذ اية اجراءات اخرى تؤدى الى تغيير وضع القدس .كما يدعو السكرتير العام الى رفع تقرير لمجلس الامن والجمعية العامة حول الوضع وحول تنفيذ القرار . كما يدعو مجلس الامن الى العمل على تنفيذ هذا القرار .

وقد وافقت عليه ٩٩ دولة

وامتنعت عن التصويت ١٨ دولة

وتغيب عن الحضور ٤ دول

قرار الجمعية العامة
فى ٢١ مايو

ان الجمعية العامة :

بعد ان بحثت الموقف الخطير فىالشرق الاوسط واخذت فى اعتبارها القرارات التى اصدرتها والاقتراحات التى بحثتها فى دورتها الخامسة الطارئة :

١ - توصى مجلس الامن باستئناف نظر الموقف المتوتر فى الشرق الاوسط كمسألة عاجلة .

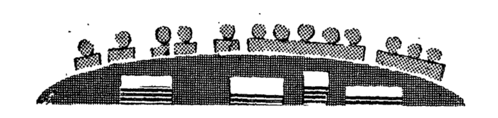
٢ - تطلب من السكرتير العام ان يقدم الى مجلس الامن محاضر الدورة الطارئة الخاصة للجمعية العامة .

٣ - تقرر فض دورتها مؤقتا وتخويل رئيس الجمعيةالعامة الدعوة الى عقدها من جديد اذا دعت الضرورة الى ذلك.

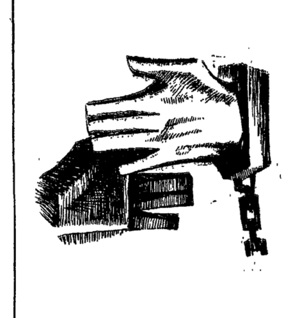
وقد وافقت عليه ٣٦ دولة

وامتنعت عن التصويت ٤٠دولة

وعارضته ٣٤ دولة



مهادنة أمريكا .. طريق مسدود



ميشيل كامل

نجحت الولايات المتحدة الامريكية حتى وقت قريب في خداع قطاع كبير من الراى العام العالمي واخفاء طبيعتها الاستعمارية واهدافها الاستغلالية وراء حملة دعائية هائلة ، معتمدة على استخدام أساليب الاستعمار الجديد وتصوير حملاتها العسكرية العدوانية ضد الشعوب على انها مجرد جهود منزهة للدفاع عن «العالم الحر» «والحضارة الانسانية» .

وقد وقع بعض المثقفين فريسة هذا التضليل ، ثم اننا فتحنا ابوابنا على مصراعيها لمؤسسات الثقافة والنشر الامريكية وتركنا بعض الاقلام تجول وتصول فى حملة دعائية واسعة تتجه الى الاشادة بالحياة الامريكية وتمجيد سياستها والترويج لاكذوبة عدائها للاستعمار ودفاعها عن الحريات وسخائها فى تقديم المعونات « المنزهة عن الغرض » ودعم خرافة عملها على تنمية البلاد المتخلفة .. الخ .

واخطر ماترتب على هذه السياسة انها حرفت الانظار عن العدو الرئيسى واخفت معالمه ، ومكنته من التستر وراء دخان التعمية هذا، ليضرب ضربته من موقع اكثر ملاءمة وفى ظروف تراخى اليقظة ضده .

هذا لايعنى ان القيادة السياسية لم تكن متنبهة الى هذا الخطر واعية بابعاده ، الا أن سياستنا الدعائية كانت تحكمها عدة تبريرات :

● البعض يعتبر الاستعمار الامريكي مكشوفا مفضوحا للجميع ، وان هذه القضية اصبحت من البديهيات المسلم بها ، لا مجال للتركيز عليها ، فهي مضيعة للوقت والجهد .

● واخرون رغم اقتناعهم بأن امريكا هي العدو الرئيسي الا انهم بسبب اعتبارات تكتيكية — كتوقع عقد صفقة مثلا — يهملون متطلبات معركتنا الاستراتيجية .

● ثم هناك النظرية القائلة بالا نستفزها وان نعمل على تحييدها — وكانه امر ممكن — خاصه في مراحل معينه، بما يعكس عقليه مترددة غير واعيه.

● سيادة منطق عدم الانحياز ، والتعايش السلمي بمفهوم منحرف وخاطىء . على انه اتخاذ موقف «سلبي» من العدو والصديق . دون تفرقة، والوقوف بمنأى عن صراع. لايسمح الواقع الدولي المعاصر لأى قوه او بلد ان تقف بمعزل عنه .

ولاشك ان موقف الولايات المتحدة الامريكية — وبصفة خاصة في معركتنا المصيرية الاخيره — بقيادتها لعمليات الغزو الاستعماري واسهامها في العدوان العسكري وتصرفاتها في هيئة الامم المتحدة ضد الامة العربية، هي حقائق دامغة تدين الاستعمار الامريكي . الا ان التشكل الخبري والطابع الاثاري في حملتنا الدعائية لايكفي في مجابهة متطلبات المعركة

وفي هذا المجال فنحن نواجه بمسئولية متابعة حملتنا الدعائية والتخطيط لها وتطوير اساليبها بما يتناسب مع احتياجات الموقف .

والمتابعة هي ضرورة تفرضها عدة اعتبارات :

● ان الاستعمار يملك اضخم واعظم اجهزة دعائية، تستخدم اساليب مبتكرة مدروسة مخادعه ، لايمكن التقليل من شأن اثارها وفاعليتها على قطاع من الراي العام مهما كان صغيرا .

● مادامت عناصر الثورة المضادة قائمة نشطة، فسوف تجد الدعايات المسمومة رواجا، اذ تغذيها هذه القوى باساليب متباينة — مباشرة وغير مباشرة — باشاعة روح الانهزامية واليأس ، بهدف تصفية المعركة لمصلحة الاستعمار .. بالعمل على التهويل والتضخيم من قوى العدو والتهوين من امكانيات النضال ضد التكتيك الحربي الحديث ، ومحاولة تفتيت الجبهة الداخلية والعربية وعزلنا عن اخلص واصلب اصدقائنا في المعسكر الاشتراكي والعالم الثالث .. الخ من اساليب ، مستخدمة في ذلك اسلحة تتراوح بين الجدل الفكرى والفلسفي حتي الاشاعات الموجهة والنكات الهادفة ، وهي تستند في نشاطها الي حصيلة من الفكريات المعادية التي بثها الاستعمار والرجعية في ارضنا الفكرية .

● ان الدعاية الغربيـة بجذورها التاريخية الراسخة ، والرواسب المتخلفة عنها من الصعب اقتلاعها تماما في فترة وجيزة، اذ يقتضي هذا جهودا مضنية وعملا متصلا للخلاص من آثارها .

● هيمنة عناصر من البورجوازية المتوسطة والصغيرة والمثقفين على المواقع الاساسيه في بنياننا السياسي والاقتصادي والثقافي ، اولئك الذين شكلت فكرياتهم طبقا للمناهج الدراسية التقليدية، وفي ظل الدعايات المجمومة لفترات زمنية طويلة .

ونحن لانعني بحديثنا هذا بعض الافراد من الخونة واعوان الاستعمار ، فهؤلاء لا وزن حقيقي لهم ، بل نقصد اولئك الذين افقدتهم الثقافة ، والفكر الراسمالي القدرة على وضوح الرؤية ، ويتخذون مواقف متخاذلة مترددة أو خاطئة عن غير وعي منهم كتصور بعضهم لامكانية المساومة والمصالحة مع الولايات المتحدة الامريكية او احتمال قيام علاقة من المنفعة والتعاون المتبادل دون ان تتجه أمريكا الى فرض سيطرتها الكاملة وتحكمها المطلق في شئوننا .

هل يمكن التعايش سلميا مع الولايات المتحدة الامريكية ؟

الواقع اننا نرغب في التعايش السلمي ، وطالما سعينا له ، خاصة مع امريكا . لكنها بحكم طبيعتها لن نرضي لنا بالتعايش سلميا ، طالما نعمل على الدفاع عن استقلالنا وسيادتنا ، فقد شهرت علينا اسلحة الضغط الاقتصادي والسياسي ونشاط المخابرات الانقلابي والحرب النفسية والعدوان المسلح بهدف القضاء على ثورتنا واعادتنا الي مناطق النفوذ .

وقد رفع المناضل عبد الناصر النقاب عن حقيقة امريكا الإستعمارية عندما اوضح في اول مايو من هذا العام انه « كانت شعوب كثيرة يتصورون بعد الحرب العالمية الاخيرة انها القوة الجديدة الخارجة لمساعدة الثورة ، فاذا هي رغبة في السيطرة وغرورا ، تمثل الثورة المضادة ولا تقبل صوتا يرتفع معارضا لها ، وتظن انها تستطيع ان تشتري الشعوب واوطان الشعوب بالدولارات » و « أن الاستعمار لن يغفر لنا اننا حاربنا سيطرته وقاومنا أهدافه وكشفنا عملاءه ورفعنا أصواتنا بدعوة الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، وأن اصواتنا لقيت صداها في كل مكان من أرض الامة العربية » .

والواقع ان التعايش السلمى يمكن ان يتحقق **منمواقع القوةوحدها**، فالاستعمار لايفهم الامنطق القوه،ويطبق عليهالمثل الدارج «يخافميختشيش» وهذا الموقع فى الظروف الدولية الراهنة يتركز فى قوة الردع للمعسكر الاشتراكى فى مواجهة المعسكر الامبريالى ،وهو الموقع الذى نستطيع منه أن **نفرض** على الاستعمار تعايشا يقبله صاغرا مجبرا .

وقد وجدت دعوى معاداة امريكا للاستعمار رواجا فىمعظمانحاء العالم،التى لمتخضعللسيطره الامريكية المباشرة، بلعانتمن التحكم الاستعمارى للبلدانالغربية الاخرى، اذ حددمجالالنفوذالامريكى طبقالاتفاقياتتوزيعالاسواق العالميةبامريكااللاتينيه وحدها لفتره زمنية طويلة ، بدات منذ اعلان مبدا **مونرو** عام١٨٢٣، ورفعشعار «امريكا للامريكيين» الذىاستولت الولايات المتحدة بمقتضاه علىمعظم بلاد القارة الامريكية واخضعت شعوبها بالحديد والنار، وأخمدت بعنف ووحشية ثوراتها التىهبت للدفاع عن كيانها والنضال من اجل استقلالها .

وكان استيلاء الولايات المتحدة على جزر الفلبين بمثابةنقطة وثوبهامةالى الصينثم القارةالاسيوية باجمعها.وقدتخصصتامريكافىسياسة «المبادىء» لتغطية اهدافها التوسعية .. فمبدأ « مونرو » اعلن للدفاع عن حقوق شعوب امريكا اللاتينية ، ومبدأ « **هاى** » الذى طالبت بمقتضاه بفتح ابواب الصين، تنشد بمصلحة الصين ،ومبدأ «**ترومان**» يرعى مصالح اليونان وتركيا، اما مبدأ «**ايزنهاور**» فلتأييد « السيادة الكاملة والاستقلال لكل دولة فى الشرق الاوسط » .

وفى سنة ١٩٠٤ صرح الرئيس **تيودور روزفلت** ان وفاء الولايات المتحدة **لمبادئها** « يضطرها الى القيام بوظيفة قوه بوليسية دولية تجاه نصف الكرة الارضية الغربى» واعلن سياسة «**العصاالغليظة**» وجاءبعده **تافت** الذىصاغمبدأ «**دبلوماسيةالدولار**» والتى جعلت من استخدام المعونات والمساعدات الاقتصادية سياسة متكاملة لممارسة الضغط على البلدان لاخضاعها .

وهكذا استهلت الامبراطورية الامريكية حياتها بالعدوان والقرصنة وسفك الدماء .. سياسة « العصا الغليظة » ، التى عبر عنها الجنرال سميدلىبتلر بصرختهالمفعمة بالندم «لقدقضيتثلاثة وثلاثين عاما فى خدمة جيشنا الامريكى ، كنت فى معظمها اشبه بقطاع الطرق أعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى. وهكذا ساعدت على جعل المكسيك مكانا آمنا لشركات البترول الامريكية عام ١٩١٤ ، وعلى جعل هايتى وكوباارضا يستطيعبنك الناشيونالسيتىاستغلالها ومهدت السبيل امام بنك الاخوة براون لاستثمار نيكاراجوا سنة ١٩٠٩ — ١٩١٢ ، وفتحت ابواب الجمهورية الدومينيكيةأمام شركاتالسكر الامريكية سنة١٩١٦ . اما الصينفقدساعدت شركةستاندرد اويل على ان تشق طريقها اليها عام ١٩٢٧ .. »

لكن اسلوب قطاع الطرق لا يجدى فى جميع الاحوال ، لذلك نجد أن الولايات المتحدة الامريكيه اخذت المبادرة فى تطبيق اساليب الاستعمار الجديد طبقا « لدبلوماسية الدولار » ، وذلك لانها بدات فى تشييد امبراطوريتها بعد ان تم توزيع واقتسام العالم بين الدول الامبريالية الاوربية ، وقد عملت علىاخفاء طبيعتهاالاستعمارية والظهور فى صورة صديق الشعوب بادعاء الدفاع عن الديمقراطية وحق تقرير المصير والعدالة الاجتماعية .

وعلى اثر الحرب العالمية الاولى أعلن **ويلسون** مبادئهالاربعهعشر ، الا انمواقف الحكومة الامريكيه التاليه سرعان ماكشفت النقاب عن زيف مبادىء ويلسون ،فقد كان هو اول من أيد اعلانالحماية علىمصر، وساند بريطانيا فىسياسة الكبت والارهاب التى اتبعت ضد ثورة ١٩١٩ ، وقضى بالاساليب الوحشية على ثوره شعب الفلبين، وايد فى مؤتمر الصلح فكرة اقامة نظام الوصاية على المستعمرات الالمانيه والعثمانية السابقة فى الشرق الاوسط ،وهى السياسة التى فضحها **لينين** حينئذ بقوله « انهم حين يتحدثون عن توزيع الوصاية فيما بينهم على المستعمرات فان هذا لايعنى الا توزيع حق السلب والنهب .. توزيع حق استغلال غالبية سكان العالم من جانب اقلية تافهة »

واستشرت أطماع الاحتكارات الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد رات الفرصة سانحة لاستغلال حالة الانهيار الجزئى التى اصابت دول غرب أوربا ،لتولى قيادة المعسكر الراسمالى واخضاع العالم لنفوذها وسيطرتها ، وتتابع سقوط البلاد التابعة من قبضة الامبراطوريات القديمة بين ايدى الولايات المتحدة الامريكية .

وكانت الولايات المتحدة فى نشاطها التوسعى بالشرق العربى تحرص على استخدام الدول الاستعمارية القديمة لحراسه مصالحها ضد الحركات الوطنيه النامية حتى لاتخلع القناع الزائف الفعال فى خداع الشعوب، عن عدائها للاستعمار ، ولذلك بقيت تحرك حلف بغداد من وراءالستار، الا أن النائبالعمالى كروسمان كشف عن دور امريكا فى اقامة هذا الحلف عندما اعلن فى البرلمان « لاينبغى تهنئة وزير خارجية بريطانيا على عقد هذا الميثاق ،فهو لم يعن بعقده كثيرا

ولم يستند الى مبادىء بريطانية بل الى مبادىء أمريكية ، أن الشخص الذى يستحق هذه التهانى هو مستر فوستر دالاس» . وكانت خطة واشنطن هى « وضع حجر الاساس فى ارتباط مباشر بين حلف بغداد وحلف الاطلنطى وحلف جنوب شرق آسيا» كما أعلنت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكى ».

والواقع أن الولايات المتحدة بدأت التدخل بصورة رسمية صريحة فى الشرق العربى منذ تزعمت مؤامرة تقسيم فلسطين وخلق دولة اسرائيل واحتضانها لها وتسليحها وتقويتها ، ثم اشتراكها فى اعلان التصريح الثلاثى لسنة ١٩٥٠، الذى هدد بتدخل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا (قبل ديجول) فى الشرق الاوسط اذا كان الوضع هناك « يهدد السلام والاستقرار » ».

وسرعان ما اضطرت الولايات المتحدة الامريكية أن تصعد الى المسرح وتزاول « مسئولياتها تجاه العالم » علانية فتقدمت بعدة اقتراحات منها الدخول فى اتفاقية ثلاثية مع بريطانيا ومصر ، أو توسيع فى منظمة حلف شمال الاطلنطى لتشمل دول شرق حوض البحر الابيض المتوسط (١) . كما تقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا « بمشروع انشاء قيادة الشرق الاوسط » ويقضى بأن ترابط القوات الامريكية مع القوات البريطانية فى منطقة القنال . ثم أصدرت الدول الثلاث فى ١٤ اكتوبر عام ١٩٥١ بيانا حول المشروع دعت فيه الدول العربية واسرائيل وجنوب أفريقيا واستراليا ونيوزيلندا للاشتراك فيه واقترحت أن تكون مصر مقر قيادته ، وأن تقوم الحكومات العربية بوضع قواتها المسلحة وقواعدها العسكرية وموانيها وطرق مواصلاتها تحت تصرف القائد العام للمنطقة .

وفى مايو ١٩٥٣ زار دالاس بلاد الشرق الاوسط داعيا الى خلق تكتل عسكرى جديد فى الشرقين الادنى والاوسط اطلق عليه اسم « الحزام الدفاعى الشمالى » .

لكن مقاومة الشعوب العربية للسياسة التى تهدف الى ابتلاعها عن طريق الاحلاف الاستعمارية أفسد جميع هذه المحاولات ، كما حطم حلف بغداد ، ومشروع ايزنهاور والحلف الاسلامى وغيرها من محاولات الاحتواء عن طريق الاحلاف والاتفاقيات العسكرية .

خذ .. ولكن !

أما فيما يتعلق « بدبلوماسية الدولار » ، فيبرز فى مقدمتها المعونات كسلاح استعمارى .. والتى تقدم على أنها مجرد منحة دون مقابل او صدقة بلا عائد ، بينما هى فى حقيقتها قروض ربوية بفوائد باهظة تصل أحيانا الى ٨ فى المائة .. ثم رؤوس الاموال التى تصدر الى مختلف بلدان العالم لاستنزاف ثروات الشعوب ونهبها ، ولنا فى هذا المجال تجارب مريرة ».

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ظن الاستعمار الامريكى أن الفرصة متاحة له للتسرب بكل ثقله الى مصر ، فتقدم رجال الاعمال الامريكيين بعروض لتشغيل رءوس أموالهم مقابل شروط اذاعها مكتب الاستعلامات بالسفارة الامريكية بالقاهرة فى ٣٠ يوليو ١٩٥٣ وتتضمن :

- ضمان ضد المصادرة ونزع الملكية .
- ضمان بتصفية المشروع اذا اراد صاحب المال ذلك
- كفالة ارباح معقولة .
- ان تكون الضرائب معتدلة ، وغير قائمة على اساس التفرقة
- ان تكون التشريعات العمالية والاجتماعية عملية !
- حكومة مستقرة !!

بما يشكل تدخلا صريحا فى شئوننا الداخلية . ونصه سحب العرض الامريكى البريطانى بتمويل مشروع السد العالى وما تبع تأميم قناة السويس من ضغوط اقتصادية ، فضحت طبيعة المعونة كسلاح استعمارى .. فقد جمدت ارصدتنا وممتلكاتنا فى الخارج وأشتد الحصار الاقتصادى ليبلغ ذروته فى حرب للتجويع، عندما رفضت أمريكا ان تبيعنا القمح والعقاقير والبترول ».

وكان هدف أمريكا من عقد اتفاقيات القمح معنا هو أن تقدم لنا الطعم الذى تستطيع بواسطته ممارسة الضغط تمهيدا للأنقضاض ، فبعد أن تربط اقتصادنا بالاعتماد جزئيا على ماتقدمه من تسهيلات تشرع فى عمليات الضغط والتسويف والتلويح

(١) كتاب المشاكل الرئيسية لسياسة الولايات المتحدة الإمريكية من وضع جماعة الدراسات الدولية لمؤسسة بروكنغ (١٩٥١-١٩٥٢)

بوقف « معونتها » وقد كشف المناضل عبد الناصر عن آخر هذه المحاولات عندما تقدمت الولايات المتحدة بشروط وقحة مقابل تجديد الاتفاقية ..

وتبلغ الوقاحة بالساسة الامريكيين الحد الذي يدفع عضو الشيوخ جوزيف كلارك – ١٢ ابريل ١٩٦٧ – الى المطالبة برفض أمداد جمهوريتنا بالاغذية الا اذا « كف الرئيس جمال عبد الناصر عن الحصول على الاسلحة وسحب قواته من اليمن وفك قواته الهجومية كلها .. وفى هذه الحالة يمكن تكوين بعثة دولية لتوجيه الاقتصاد المصرى وتوزيع المواد الغذائية والاشراف على التصنيع وبرنامج تنظيم النسل » ..

وليست هذه مجرد تصريحات غير مسئولة ... والا فلماذا أخذت بها الحكومة الامريكية وقدمت شروطها ومارست ضغوطها المرة تلو المرة . واذا لم تستسلم لما تضعه من شروط مهينة قاتلة راحت تستعرض وحدات اسطولها السادس وحاملات طائراتها وتنزل قواتها على الارض العربية – كما حدث فى لبنان عام ١٩٥٨ – وتحرك عمليات العدوان على جمهورية اليمن بواسطة المرتزقة والاسلحة والخونة العرب ، وتقدم « الغطاء الصلب » لحماية بؤرة هذا العدوان ... ثم تدفع بترسانتها الحربية فى اسرائيل للاعتداء على الشعوب العربية بمؤازرتها المادية والمعنوية والعسكرية المباشرة. وتمارس ضغوطا رهيبة على مختلف الدول فى هيئة الامم لتقر «مبدا» دولى جديد، وهو انه «فى مقدور اى دولة أن تحصل على مكاسب اقليمية وسياسية عن طريق العدوان العسكرى »

تلك هى أمريكا « زعيمة العالم الحر » التى تفهم الحرية على انها اطلاق يدها فى استعباد الشعوب واذلالها، وتساند اشد الحكومات الرجعية والفاشية تطرفا فى كل بقاع العالم، وتشن حرب الابادة ضد شعب فيتنام البطل ، بعد ان لقنها شعب كوريا درسا قاسيا . نصيرة سنجمان رى ونجوديم وتشومبى وتشان كاى شيك ودكتاتوريو أمريكا اللاتينية ... وكل من باع وطنه للشيطان ..

بلد « الحرية والديمقراطية والرخاء » ، حيث يلقى الزنوج ابشع معاملة ، ويحرمون من حقوقهم الاولية كمواطنين . . حيث يعيش ٤٠ مليون أمريكى دون الحد الادنى اللائق بالمعيشة (٢) .. البلد الذى يعانى من بطالة مزمنة ، ويبلغ عدد العاطلين من عمالها – سواء كليا أو جزئيا – ما لا يقل عن عشرة ملايين عامل بصفة دائمة ..

... أم نبحث عن نماذج «الديمقراطية والرخاء » خارج حدودها ، فى أمريكا اللاتينية ، وبعد ١٥٠ عاما من « الابوة » البيضاء والوصاية الجبرية والتدريب على أسلوب الحياة الامريكية فى ضوء « المبادرات الفردية » و « المشروع الحر » .. هناك ١٥٠ مليونا من أبنائها يعيشون على الكفاف لا يحصلون على كفايتهم من الغذاء و ٧٠ مليونا من الاميين ، من بين مجموع السكان البالغ عددهم نحو ٢٥٠ مليونا . . ديكتاتور يسقط ليحتل مكانه ديكتاتور آخر اشد ولاء وأكثر خضوعا وذلة لحكام واشنطن. فاذا ماثار شعب لينصب حكومة ثورية أطاح بها أوصياء الشمال – كما حدث فى جواتيمالا وفى الدومينيكان – أوشنوا عليها حربا صليبية لاسقاطها – كما يجرى فى كوبا – **تلك هى أمريكا .**

وعلى ضوء هذه الصورة الواقعية ، تطرح السؤال من جديد ...

هل تقدم أمريكا على مصالحة لا يكون هدفها اسقاط النظم الثورية التقدمية ؟

هل يمكن التوصل الى حل وسط يحفظ لنا حريتنا واستقلالنا ؟

أتقبل امريكا بالتعايش سلميا معنا فى اطار سياستنا الاستقلالية وترضى باقامة علاقات طابعها المنفعة والاحترام المتبادل ؟

أتسكت عن مصر الثورة ؟ وترضى باشعاعاتها المؤثرة على الواقع العربى وفى العالم الثالث ؟ وتسمح لحركة الوحدة العربية بأن تقوى وتنمو على حساب مصالحها الاستعمارية ؟

ان سياسة منتصف الحلول ومنطق المصالحة والتنازلات مهما كانت مبرراتها ، هى الطريق المؤدى الى الهاوية .. الى العبودية وفقدان كل ما حققته شعوبنا بنضالها الباسل من مكاسب وطنية واجتماعية ولا سبيل امامنا الا متابعة المعركة حتى النهاية ، اذ لا مجال لنا فى الاختيار . وسوف نناضل ضد دعاة الهزيمة وانصار الحلول الوسط والمصالحة بنفس الصلابة التى نقاتل بها الاستعمار والصهيونية فى معركتنا المصيرية الفاصلة ..

---

(٢) من تقرير للجنة مجلس الشيوخ الامريكى حددت فيه الحد الادنى لنفقات المعيشة بمبلغ ٦٠٠ دولار فى السنة .

الأحلاف والاستثمارات الأمريكية في العالم

تحكم حركة الاستثمارات الامريكية في العالم ، دوافع نهب ثروات الشعوب وتحقيق اقصى حد للارباح . وفي سبيل تأمين عمليات النهب هذه ، سعت الاحتكارات الامريكية وسلطتها السياسية الحاكمة، الى اقامة شبكة من الاحلاف العسكرية العدوانية ، كواحدة من اسلحتها الرئيسية . وتتخذ امريكا من هذه القواعد العسكرية — التي تسمح بها الاحلاف — مراكز وثوب للعدوان على مواقع ثورات التحرر والتقدم .. وضد شعوبها التي تسعى الى السيطرة على ثرواتها وتحقيق مصالحها .

وتحقق هذه الاحلاف — آخر الامر — للولايات المتحدة،احكام سيطرتها لا العسكرية فحسب ، وانما وسيطرتها السياسية والاقتصادية بل والاجتماعية عن طريق الترويج لنمط الحياة الامريكية .

وفيما يلي بيان بالاحلاف والاتفاقيات التي اقامتها امريكا في مختلف انحاء العالم لخنق حركة التحرر الوطني والاشتراكي .

أمريكا.. والأحلاف العدوانية

حلف شمال الاطلنطي (١)

تم التوقيع على وثيقة الاشتراك في الحلف في ابريل عام ١٩٤٩، وتنص الوثيقة على ان اى اعتداء يقع على دولة من الدول الاعضاء في الحلف يعتبر اعتداء على بقية الدول جميعا .

الدول الاعضاء	عددالسكان	القوات العسكرية
الولايات المتحدة الامريكية	١٩٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٦٩٠ر٠٠٠
كندا	١٩ر٠٠٠ر٠٠٠	ــر١٢٠ر٠٠٠
ايسلاند	ــر١٧٠ر٠٠٠	ــــــ
بريطانيا	٥٤ر٠٠٠ر٠٠٠	ــر٤٢٥ر٠٠٠
النرويج	٣ر٧٠٠ر٠٠٠	ــر٠٣٧ر٠٠٠
الدنمرك	٤ر٧٠٠ر٠٠٠	ــر٠٥٢ر٠٠٠
هولندا	١٢ر٠٠٠ر٠٠٠	ــر١٢٣ر٥٠٠
بلجيكا	٩ر٠٠٠ر٠٠٠	ــر١١٠ر٠٠٠
لوكسمبرج	ــر٣٥٠ر٠٠٠	ــر٠٠٥ر٠٠٠
فرنسا	٤٧ر٠٠٠ر٠٠٠	ــر٦٢٠ر٠٠٠
المانيا الغربية	٥٥ر٤٠٠ر٠٠٠	ــر٤٣٠ر٠٠٠
البرتغال	٩ر٣٠٠ر٠٠٠	ــر١٠٨ر٠٠٠
ايطاليا	٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠	ــر٤٨٠ر٠٠٠
اليونان	٨ر٥٠٠ر٠٠٠	ــر١٦٢ر٠٠٠
تركيا	٣١ر١٠٠ر٠٠٠	ــر٤٨٠ر٠٠٠

ويعتبر حلف شمال الاطلنطي الرابطة الاساسية التي تضم سائر دول الاستعمار القديم بزعامة الامبريالية والاستعمار الامريكي الجديد ، وذلك في محاولة اخيرة للابقاء على المصالح الاستغلالية والنظام الاستعماري المنهار في العالم ، وسحق حركات التحرر الوطني لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ووقف المد الثوري التحرري والاشتراكي في العالم — وان الاعمال العدوانية للحلف منذ انشائه والتي لا يزال يقوم بها لا يمكن عدها او حصرها ، فهي على سبيل المثال :

● التدخل العسكري المباشر لدول الحلف بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وتحت راية

(١) عدد السكان والقوات العسكرية حتى عام ١٩٦٤ .

الأمم المتحدة في الحرب الكورية عام (٤٩ — ١٩٥١) .

● تقديم الاسلحة والمساعدات العسكرية لفرنسا لمواصلة الحرب في الهند الصينية (٤٩ — ١٩٥٤) ، والتي بلغت حوالي ٧٠ ٪ من نفقات الحرب .

● الاشتراك في الحرب الجزائرية ، عن طريق امداد فرنسا بأسلحة ومعدات الحلف ، واشتراك طائرات التجسس الامريكية لحساب فرنسا .

● تقديم المساعدات العسكرية والمالية والاقتصادية لاسرائيل لمواصلة اعتداءاتها المستمرة ضد البلدان العربية .

● الاشتراك في الثورة المضادة الفاشلة في المجر عام ١٩٥٦ ، عن طريق تدريب وتسليح العناصر الرجعية في معسكرات دول الحلف في اوربا ضد النظام الاشتراكي .

● الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، عن طريق استخدام اسلحة وجيوش بريطانيا وفرنسا الأعضاء في الحلف وتقديم الاسلحة لاسرائيل للاشتراك في العدوان .

● التدخل في شئون الدول الاخرى ، على نحو ما حدث ضد حكومة لومومبا الشرعية في الكونغو عام ١٩٦٠ ، والعمل على تجنيد المرتزقة من الدول الاعضاء في الحلف وتدريبهم وتسليحهم للقيام بالاعمال الارهابية ضد شعب الكونغو .

● العمل على اغتيال النظم التقدمية في القارة الافريقية ، كما حدث بالنسبة لحكومة كوامى نكروما في اوائل عام ١٩٦٦ .

● المؤامرات الفاشلة ضد النظم التقدمية في غينيا وتانزانيا والكونغو برازافيل للرجوع بها الى حظيرة الاستعمار الجديد .

● تقديم الاسلحة والمساعدات العسكرية للاستعمار البرتغالي في الحرب ضد الثوار الوطنيين في انجولا وموزامبيق للابقاء على المصالح الاحتكارية البرتغالية والامريكية والبريطانية هناك .

● مساندة وتأييد دول الحلف لحكومات جنوب افريقيا وروديسيا العنصرية الفاشية ضد الوطنيين الافريقيين .

● تأييد وتدعيم الحركات الرجعية الانفصالية وتسليحها لتقويض الوحدة الوطنية ، على نحو ما حدث في جنوب السودان واوغندا وفي نيجيريا اخيرا .

● المؤامرات المستمرة ضد حياد قبرص ولاسقاط حكومة مكاريوس الوطنية ، ولاشعال الحرب الاهلية وتقسيم الجزيرة بين القبارصة الاتراك واليونانيين بهدف تحويل الجزيرة الى قاعدة عسكرية لحلف الاطلنطى .

ومن المعروف أن فرنسا قد قررت الانسحاب من المنظمة العسكرية للحلف وتصفية قواعده في ارضها ، مما اضطر قيادة الحلف الى نقل مقرها الى بلجيكا .

معاهدة ريو (منظمة الدول الامريكية) (٢)

تم التوقيع على المعاهدة في اغسطس عام ١٩٤٧ ، وهي خاصة بالدفاع عن المصالح الامريكية في نصف الكرة الغربي ، وتتعهد الدول الاعضاء بتقديم المساعدة الى الدولة الاخرى ، وبناء على طلبها ، في حالة وقوع عدوان عليها من الخارج .

الدول الاعضاء	عدد السكان	القوات العسكرية
الولايات المتحدة الامريكية	١٩٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٦٩٠ر٠٠٠
المكسيك	٤٤ر١٤٠ر٠٠٠	—٠ر٥٨ر٦٠٠
جواتيمالا	٤ر٤٣٠ر٠٠٠	—٠ر١٢ر٠٠٠
السلفادور	٣ر٠٣٠ر٠٠٠	—٠ر٣ر٨٠٠
هندوراس	٢ر٣٦٠ر٠٠٠	—٠ر٣ر٨٠٠
نيكاراجوا	١ر٦٥٠ر٠٠٠	—٠ر٣ر٢٢٠
كوستاريكا	١ر٤٨٠ر٠٠٠	—٠ر١ر٢٠٠
بناما	١ر٢٨٠ر٠٠٠	—٠ر٣ر٤٠٠
فنزويلا	٩ر٠٣٠ر٠٠٠	—٠ر٢٤ر٧٠٠
كولومبيا	١٨ر٠٦٠ر٠٠٠	—٠ر٤٦ر٣٠٠
البرازيل	٨٤ر٦٧٠ر٠٠٠	—ر٢٥٢ر٧٠٠
الارجنتين	٢٢ر٦٩٠ر٠٠٠	—ر١٠٩ر٨٠٠
اكوادور	٥ر٠٨٠ر٠٠٠	—٠ر٣٧ر٠٠٠
بيرو	١٢ر٠١٠ر٠٠٠	—ر١٧٧ر٧٤٠
باراجواي	٢ر٠٩٠ر٠٠٠	—٠ر٩ر١٠٠
بوليفيا	٣ر٧٤٠ر٠٠٠	—٠ر٢٤ر٥٠٠
اوروجواي	٢ر٧٤٠ر٠٠٠	—٠ر١٢ر٠٠٠
شيلي	٨ر٥٦٠ر٠٠٠	—٠ر٤٣ر٥٠٠
هايتي	٤ر٤٨٠ر٠٠٠	—٠ر٣٧ر٠٠٠
الدومنيكان	٣ر٧٥٠ر٠٠٠	—٠ر١٨ر٥٠٠

كوبا ... كانت كوبا هي الدولة الوحيدة التي خرجت من هذا التضامن والتحالف الرجعي، بعد انتصار ثورتها الشعبية المسلحة والقضاء على حكم الخائن باتيستا في عام ١٩٥٩ ، والتخلص من قبضة الامبريالية والاستعمار الامريكي الجديد .

ان الاساس الذي قامت عليه هذه المعاهدة في عام ١٩٤٧ ، للتضامن والتعاون المشترك بين الدول الامريكية والدفاع عن نصف العالم الغربي ، قد تحولت تدريجيا الى جزء لا يتجزأ من النظام العسكري العدواني للولايات المتحدة ، والموجه

(٢) عدد السكان حتى آخر عام ١٩٦٦
عدد القوات العسكرية للمكسيك ، السلفادور ، هندوراس ، بناما ، فنزويلا، كولومبيا اورجواى .. حتى عام ١٩٦٥
عدد القوات العسكرية في الدول الاخرى حتى عام ١٩٦٣ ..

اساسا ضد حركة التحرر الوطنى وشعوب امريكا اللاتينية ، واقامة النظم العسكرية والدكتاتورية الموالية للولايات المتحدة .

● الانقلاب الرجعى فى كوبا واقامة دكتاتورية باتيستا فى عام ١٩٥٢ .

● قمع الحركة العمالية والديمقراطية فى السلفادور فى عام ١٩٥٢ .

● الانقلاب العسكرى فى كولومبيا فى عام ١٩٥٣ .

● اصدر المؤتمر العاشر (لمنظمة الدول الامريكية) الذى عقد فى كراكاس عاصمة فنزويلا فى مارس عام ١٩٥٤ قرارا يسمح للولايات المتحدة باتخاذ الوسائل المناسبة بما فيها التدخل العسكرى لانقاذ دول امريكا اللاتينية من الخطر الشيوعى المزعوم .

● الانقلاب العسكرى فى باراجواى فى عام ١٩٥٤ .

● التدخل المسلح من جانب الولايات المتحدة لاسقاط حكومة جاكوب اربنز الوطنية وقمع ثورة الشعب المعادية للاحتكارات الامريكية وشركة الفواكه المتحدة فى عام ١٩٥٤ .

● الانقلاب العسكرى فى الارجنتين واسقاط حكومة بيرون واستيلاء الجنرالات اليمينيين الموالين للولايات المتحدة على السلطة فى عام ١٩٥٥ .

● الانقلاب العسكرى فى السلفادور واقامة حكومة من المدنيين والعسكريين فى عام ١٩٦١ .

● التدخل المسلح من جانب الولايات المتحدة ودول المنظمة الامريكية ضد الثورة الكوبية ، وتقديم المتطوعين وتدريب الكوبيين الهاربين من انصار باتيستا فى القواعد العسكريه القريبة وامدادهم بالسفن والطائرات ، للقيام بعملية الغزو الفاشلة فى ابريل عام ١٩٦١ ، والمعروفة بمعركة خليج الخنازير .

● الانقلاب العسكرى فى بيرو واقامة دكتاتورية عسكرية فى عام ١٩٦٢ .

● الانقلاب العسكرى فى البرازيل واسقاط حكومة جولارت الوطنية ، بسبب موقفها للحد من نشاط وارباح احتكارات الولايات المتحدة ، واقامة دكتاتورية عسكرية للجنرالات الموالين للولايات المتحدة فى عام ١٩٦٤ .

● الانقلاب العسكرى فى بوليفيا واقامة دكتاتورية عسكرية فى عام ١٩٦٤ .

● التدخل العسكرى من جانب الولايات المتحدة وقوات منظمة الدول الامريكية لغزو جمهورية الدومينيكان فى عام ١٩٦٥ ، لاخماد الثورة الشعبية المسلحة بقيادة مجموعة الضباط الوطنيين والمعادية للولايات المتحدة فى البلاد .

حلف جنوب شرق آسيا (٣)

تم التوقيع على وثيقة الحلف فى سبتمبر عام ١٩٥٤ ، والتى تنص على انه يجب ان يتم التشاور بين جميع الدول الاعضاء ، فى حالة وقوع اى عدوان على دولة من الدول الاعضاء ، للاتفاق على اتخاذ التدابير اللازمة للدفاع المشترك .

ويعتبر الهدف المباشر للولايات المتحدة من قيام الحلف ، هو العمل على نسف اتفاقيات جنيف فى عام ١٩٥٤ ، والخاصة بانهاء حالة الحرب فى الهند الصينية واحترام حياد هذه الدول ، وعدم التدخل الاجنبى الخارجى فى شئونها الداخلية .

● التدخل المستمر من جانب الولايات المتحدة بكل الوسائل لمنع قيام الوحدة الطبيعية بين شعب كوريا فى الشمال والجنوب .. ومساندة الحكم الرجعى العميل فى كوريا الجنوبية ضد اهداف ومصالح الشعب الكورى فى التحرر والوحدة ، والقيام بالغارات الجوية المستمرة على كوريا الشمالية ، والمؤامرات المستمرة ضد لاوس وكمبوديا ، وشن الحرب الاجرامية ضد شعب فيتنام الجنوبية التى يساهم فيها معظم دول الحلف ، وتوسيع نطاق هذه الحرب الى دولة فيتنام الشمالية الديمقراطية الشعبية .

الدول الاعضاء	القوات العسكرية
بريطانيا	٤٢٥ر٠٠٠
الولايات المتحدة	٢ر٦٩٠ر٠٠٠
فرنسا	٦٢٠ر٠٠٠
نيوزيلاند	١٢ر٥٠٠
استراليا	٥٢ر٠٠٠
تايلاند	٨٤ر٥٠٠
باكستان	٢٥٣ر٠٠٠
الفيلبين	٥٧ر٠٠٠

(٣) عدد القوات العسكرية حتى اواخر عام ١٩٦٤ .

الحلف المركزى (بغداد سابقا) (٤)

تم التوقيع على الوثيقة الرسمية للحلف فى نوفمبر عام ١٩٥٥ ، من اجل العمل العسكرى المشترك بين الحكومات الاعضاء للدفاع عن الشرق الاوسط بقيادة بريطانيا — والمعروف أن امريكا لم تشترك رسميا فى الحلف منذ البداية ، وانها كانت تشترك فى اجتماعات الحلف بصفتها مراقبا فقط — وبعد انتصار ثورة العراق فى يوليو

الدول الاعضاء	القوات العسكرية
الولايات المتحدة	٢ر٦٩٠ر٠٠٠
بريطانيا	٤٢٥ر٠٠٠
تركيا	٤٨٠ر١٠٠
ايران	٢٠٨ر٠٠٠
باكستان	٢٥٣ر٠٠٠

١٩٥٨ ، واشتداد واتساع حركة التحرر الوطنى فى الشرق الاوسط وخاصة الشعوب العربية ضد الاهداف والمخططات الاستعمارية الانجلو — امريكية وقاعدتهم العدوانية اسرائيل — قررت امريكا الاشتراك رسميا فى اعمال الحلف العسكرية ، واستخدامه للتدخل فى الشئون الداخلية لدول الشرق الاوسط ، وتقويض حركة التحرر الوطنى فى منطقة الشرق الأوسط .

● المؤامرات الامريكية التى لم تتوقف حتى الان ضد سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، سواء عن طريق الضغوط السياسية والاقتصادية والتهديدات العسكرية من جانب اسرائيل ، او اعداد وتمويل الثورات المضادة فى الداخل ، كما حدث بالنسبة لمؤامرة سليم حاطوم وزملائه فى سوريا ، وتمويل فلول عصابات الاخوان المسلمين الاجرامية فى الجمهورية العربية المتحدة بالمال والسلاح للقيام بأعمال الاغتيالات والتخريب الداخلية ، أو الضغط بكل الوسائل على الدول العربية كما حدث بالنسبة لبنك انترا فى لبنان لقبول الدعوة للحلف الاسلامى المشبوه ، والتدخل ضد ثورة الشعب اليمنى ، ومساندة الاستعمار البريطانى فى الجنوب المحتل وسائر الامارات والمحميات العربية الاخرى فى شبه الجزيرة العربية .

حلف انزوس (٥)

تم التوقيع على الوثيقة الرسمية للحلف فى سبتمبر عام ١٩٥١ ، وتنص الوثيقة على ان اى اعتداء يقع على اية دولة من الدول الأعضاء المشتركين فى الحلف يعتبر عدوانا على بقية الدول الأخرى .

الدول الاعضاء	القوات العسكرية
الولايات المتحدة	٢ر٦٩٠ر٠٠٠
استراليا	٥٢ر٠٠٠
نيوزيلاند	١٢ر٠٠٠

ان الهدف الرئيسى للولايات المتحدة من قيام الحلف ، هو خدمة اهدافها العدوانية والتوسعية ، عن طريق جر البلدان الاخرى واستخدام اراضيها ، للدفاع عن المصالح الامريكية وقمع حركات التحرر فى البلدان الأخرى — وانه بالرغم من أن الوثيقة الرسمية للحلف تؤكد انه حلف دفاعى للدفاع عن الدول الأعضاء فقط ، وفى حالة وقوع عدوان عليها من الخارج — فانه ليس من المتصور مثلا ان يستطيع شعب فيتنام الجنوبية الصغير ، الذى يناضل ضد قوات الاستعمار الامريكى التى تحتل اراضيه ، ان يقوم بالاعتداء على اراضى استراليا ونيوزيلاند مثلا ، وهما تبعدان عنه بمئات الاميال ، فان العكس هو الذى يحدث الان ، وان جيوش هاتين الدولتين هما اللذان يشتركان فى الحرب الاجرامية القذرة الدائرة الان ضد شعب فيتنام

(٤) عدد الجيوش حتى اواخر عام ١٩٦٤
(٥) عدد القوات العسكرية حتى عام ١٩٦٤ ..

مع القوات الامريكية وأيضا قوات كوريا الجنوبية وتايلاند والفيليبين بجانب قوات حكومة سايجون العميلة ، بهدف تحطيم ارادة الشعب الصغير البطل واجباره على الخضوع ، وهو الذي يلحق بهم جميعا الخسائر والهزائم المتوالية كل يوم من جانبه .

المعاهدات العسكرية الثنائية

انه بموجب هذه المعاهدات الثنائية بين الولايات المتحدة وبين كل من هذه الدول على حدة ، يتعهد كل من الطرفين بتقديم العون والمساعدة للطرف الآخر فى حالة ما اذا تعرض لعدوان خارجي ، وكذلك حق استخدام الاراضي والمنشآت العسكرية التي تقع في اراضيه .

امريكا ... اليابان
امريكا ... الفيليبين
امريكا ... فورموزا
امريكا ... كوريا الجنوبية
امريكا ... جواتيمالا
امريكا ... هندوراس
امريكا ... كولومبيا
امريكا ... بيرو
امريكا ... أكوادور

الاستثمارات الأمريكية المباشرة خارج الولايات المتحدة الأمريكية

فى عدد ديسمبر سنة ١٩٦٣ نشرت مجلة ورشون الشهرية احصائية جديدة عن لاستثمارات الامريكية المباشرة فى خارج لولايات المتحدة الامريكية . والمجلة هى سان حال رجال الاعمال الامريكيين .

وطبقا لبيانات الغرفة التجارية بالولايات المتحدة ، زادت الاستثمارات الامريكية من ١١ر٨٠٠ مليون دولار سنة ١٩٥٠ الى اكثر من ٣٧ر٠٠٠ مليون دولار . واذا نحينا جانبا الاستثمارات الامريكية فى شركات الملاحة الدولية والتي تربو على ٢ر٠٠٠ مليون دولار لاتضح لنا أن الاستثمارات المباشرة فى الخارج تبلغ ٣٥ر٠٠٠ مليون دولار وتوزيع هذه الاستثمارات على البلدان المختلفة يوضحه الجدول التالي :

فى نصف	دولار
العالم الغربي ويشمل	٢١ر٦٥٨ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ كندا	١٢ر١٣١ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ فينزويلا	٢ر٨٣٦ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ البرازيل	١ر٠٨٨ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ المكسيك	٨٧٣ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ الارجنتين	٧٩٧ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ شيلي	٧٦٨ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ بنما	٥٥٦ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ كولومبيا	٤٥٦ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ بيرو	٤٥١ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ جواتيمالا	١٢٧ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ جمهورية الدومينيكان	١٠٨ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ هندوراس	٩٩ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ كوستاريكا	٦٣ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ أوروجواى	٥٣ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ بوليفيا	٣٢ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ جمهوريات أخرى (١)	١ر٠٧٤ر٠٠٠ر٠٠٠
ــ مناطق اخرى (٢)	١ر٠٥٦ر٠٠٠

المجموع فى اوربا الغربية ويشمل	٨ر٨٨٣ر٠٠٠ر٠٠٠
بريطانيا	٣ر٨٠٥ر٠٠٠ر٠٠٠
المانيا الغربية	١ر٤٧٢ر٠٠٠ر٠٠٠
فرنسا	١ر٠٠٦ر٠٠٠ر٠٠٠
سويسرا	٥٥٥ر٠٠٠ر٠٠٠
ايطاليا	٥٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠
هولندا	٣٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠
بلجيكا ولكسمبورج	٢٨٣ر٠٠٠ر٠٠٠
السويد	١٧٦ر٠٠٠ر٠٠٠
الدانمرك	١١٥ر٠٠٠ر٠٠٠
تركيا	١٠٨ر٠٠٠ر٠٠٠
النرويج	١٠٧ر٠٠٠ر٠٠٠
اسبانيا	٨٥ر٠٠٠ر٠٠٠
البرتغال	٣٧ر٠٠٠ر٠٠٠
بلاد اخرى	١٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠

المجموع فى افريقيا والشرق الاوسط ويشمل	٢ر٤٥٢ر٠٠٠ر٠٠٠
الشرق الاوسط	١ر٢٠٦ر٠٠٠ر٠٠٠
جمهورية جنوب افريقيا	٣٥٣ر٠٠٠ر٠٠٠
ليبيا	١٩٣ر٠٠٠ر٠٠٠
ليبيريا	١٧٨ر٠٠٠ر٠٠٠
روديسيا شمالية وجنوبية ونياسالاند	٨٣ر٠٠٠ر٠٠٠
الجزائر	٤٥ر٠٠٠ر٠٠٠
بلاد اخرى	٣٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠
المجموع فى الشرق الاقصى ويشمل	٢ر٤٥٥ر٠٠٠ر٠٠٠
أوستراليا	١ر٠٩١ر٠٠٠ر٠٠٠
الفيليبين	٣٧٤ر٠٠٠ر٠٠٠
اليابان	٣٦٩ر٠٠٠ر٠٠٠
الهند	١٩٩ر٠٠٠ر٠٠٠
اندونيسيا	١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠
نيوزيلندا	٨٢ر٠٠٠ر٠٠٠
ماليزيا	٩٠ر٠٠٠ر٠٠٠
باكستان	٤٨ر٠٠٠ر٠٠٠
بلاد اخرى	١٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠

وتوضح هذه الاحصائية التى نشرتها مجلة « فورشون » لسان حال رجال الاعمال الامريكيين ، ونقلا عن اوثق المصادر فى الولايات المتحدة ، عن مبلغ ضخامة الاستثمارات الامريكية خارج الولايات المتحدة حتى عام ١٩٦٣ ، والتى تكشف عن حقيقة امبراطورية رأس المال الامريكى ، وحقيقة الاستعمار الامريكى الجديد ، الغير منظورة على الخريطة ، كما تعودنا ان ننظر من قبل الى الامبراطوريات الاستعمارية القديمة .. والتى نجحت فى التمويه والتخفى عن اقسام واسعة من المثقفين ، وان تخدع كثيرا من الساسة والزعماء الوطنيين لسنين طويلة ، بحيث لم يكن يرون فيها سوى منارة للحضارة ورسولة للمدنية . بينما كانت فى الواقع تنهب موارد الشعوب وتستنزف ثرواتها الطبيعية وتمتص جهودها وتحولها الى رأس مال ، تعود الى استثماره من جديد وهكذا وبشكل مستمر .

كما تكشف هذه البيانات عن حقيقة اخرى ، وهى تغلغل رأس المال الامريكى فى معظم الدول النامية المنتجة للمواد الاولية ، والدول الرأسمالية الصناعية الكبرى فى اوربا على السواء ، وان تحركات رأس المال الامريكى للبحث عن مناطق الاستثمار والاستغلال ، لا يفرق بين الاعداء او الاصدقاء من الاستعماريين القدامى فى اوربا مثل بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وهولندا والبرتغال ، الذين اصابهم جميعا الضعف والعجز نتيجة النمو غير المتكافىء بين البلدان الراسمالية ، وتعاظم النظام الاشتراكى واتساع حركة التحرر الوطنى فى كل مكان . مما يجعلها تضطر معه الى الرضوخ والتسليم لشروط الامبريالية والاستعمار الامريكى الجديد القوى الغنى ، لفرض نفوذه وحمايته لها ، وذلك فى سبيل الاحتفاظ بالبقية الباقية من ممتلكاتها ومصالحها والابقاء على النظام الرأسمالى الاستعمارى فى العالم ، ولصد موجات الاشتراكية العلمية وحركة التحرر الوطنى الزاحفة .

ويعمل الاستعمار على اخفاء ارقام استثماراته ، فنادرا ما يكشف عنها ، والجدول المرفق يتضمن ارقام عام ١٩٦٣ ، وهناك بيانات متفرقة عن السنوات التالية اشرنا اليها فى التعليق . وان الامثلة التالية تكشف عن جوانب وابعاد الصورة للاستثمارات الامريكية وحقيقة الاستعمار الامريكى الجديد .

القارة الافريقية

● وتعتبر جمهورية ليبيريا من اهم واقدم مناطق الاستثمار الامريكى فى افريقيا ، اذ تبلغ جملة الاستثمارات الامريكية فى عام ١٩٦٤ ، حوالى ٣٠٠ مليون دولار ، ويأتى فى مقدمة هذه الاحتكارات الامريكية العاملة هنيباك اتحاد الجمهورية للصلب ، ومجموعة بتلهايم الاحتكارية ، وشركة فايرستون للمطاط ، وتبلغ ارباحها حوالى ٦٠ مليون دولار سنويا — وتقدر جملة الارباح التى حصلت عليها شركة فايرستون من عملياتها فى داخل ليبيريا وحدها خلال ٢٦ عاما الماضية ١٦٠ مليون دولار ، بينما لم تتعد قيمة رسوم الامتياز وضريبة الدخل التى دفعتها الشركة لحكومة ليبيريا مبلغ ٨ ملايين دولار عن نفس المدة

● وتبلغ جملة استثمارات ، شركة امريكان ميتال كلايمكس » فى عام ١٩٦٤ ، ١٠٠ مليون دولار موزعة على اربع شركات لتعدين الكبرى فى افريقيا ، فهى تسيطر على ٤٦٪ من رأس مال شركة « روديسيا سيلكشن ترانست » القديمة للنحاس فى جمهورية زامبيا — و ٩٪ من رأس مال شركة « بيلابورا » ، و١٩٪ من رأس مال شركة « اوكيب » فى جنوب غرب افريقيا — و ٣٠٪ من شركة « تسوميب » للنحاس والزنك والفضة فى جمهورية جنوب افريقيا .

● وفى جنوب افريقيا بلغت الاستثمارات الامريكية فى عام ٦٤ حوالى ٢٠٪ من مجموع استثماراتها فى القارة ، وهى تعد من أهم مصادر الولايات المتحدة بمادة اليورانيوم الخام ، وهى تحصل منه على ما يزيد قيمته عن ١٥٠ مليون دولار سنويا ، والمعروف ان الولايات المتحدة تسيطر على معظم انتاج القارة من معدن اليورانيوم الثمين سواء من انتاج جنوب افريقيا او الدول الافريقية الاخرى مثل الكونجو والجابون — كما تملك شركات البترول كلتكس وموبيل الامريكية نصف معامل تكرير البترول فى جنوب افريقيا .

وتسيطر رؤوس الاموال الامريكية على نسبة ٢٥٪ من انتاج القارة من الكروم ، والانتيمون ، والتانتلوم ، والمنجنيز ، والجرافيت ، والماس ، والنحاس ، والحديد ، والكوبلت ، والكوبالت ، كما تحصل على ارباح طائلة نتيجة سيطرتها الاقتصادية على معظم الدول النامية فى القارة ، والتى مازال الانتاج الزراعى يشكل معظم صادراتها ، مثل الفول السودانى من السنغال ومالى والنيجر وجامبيا والكاكاو من غانا ، والبن والكاكاو من ساحل العاج .

الشرق الاوسط

● وتسيطر شركات البترول الامريكية على معظم إنتاج بترول المملكة السعودية — وثلث بترول العراق — و ٥٠٪ من بترول الكويت — وكل انتاج بترول البحرين ، (والمعروف ان الاحتكارات الامريكية تملك ٦٠٪ من جملة انتاج البترول فى الدول العربية جميعا) .

الشرق الاقصى

● وتقدم فورموزا مثالا آخر لسيطرة الاحتكارات الامريكية سيطرة كاملة على كافة فروع الاقتصاد فى الجزيرة . « فشركة وستنجهاوس » تسيطر على كافة المنشآت الكهربائية فى الجزيرة وفى تحديد اسعار التيار الكهربائى — كما تسيطر « شركة رينولدز ميتال كومبانى » التابعة لمجموعة روكفلر على انتاج الالمنيوم فى الجزيرة — و « شركة انجولز » لبناء السفن تسيطر على كافة منشآت واحواض السفن — و « الشركة القومية للسماد » على كافة مصانع السماد — كما تسيطر المؤسسات الامريكية على مصانع تكرير السكر فى الجزيرة — هذا فضلا عن خضوع كافة النشاط الصناعى والتجارى والمعاملات المالية ، والبنوك والاحتكارات الامريكية فى الجزيرة ..

أمريكا اللاتينية

● وفى جمهورية كوستاريكا تسيطر الشركة الاحتكارية « الكوا » الامريكية للتعدين على كل انتاج البوكسيت — وتملك « شركة الفواكه المتحدة » الامريكية اكثر من ٥٠٠ الف هكتار من الاراضى فى البلاد .

● وفى بناما تسيطر « شركة قناة بناما » الامريكية ، على قناة بناما التى تعتبر المورد المالى الرئيسى للبلاد ، وتبلغ جملة ارباح الشركة الامريكية من عوائد القناة حوالى ١٠٠ مليون دولار سنويا .

● وفى مستعمرة غيانا البريطانية فى امريكا اللاتينية ، تسيطر « شركة رينولدز ميتال كومبانى » الامريكية على انتاج المنجنيز والبوكسيت ، اللذان يشكلان حوالى ٣٠٪ من صادرات البلاد .

● وفى بوليفيا تملك شركات البترول الامريكية وخاصة (شركة زيت الخليج) على حقوق امتياز البترول هناك — كما تستولى شركات التعدين على نصف انتاج التصدير — وتسيطر البنوك الامريكية على سائر المعاملات المالية فى البلاد .

● وفى البرازيل استطاعت شركات البترول الامريكية ان تنفذ الى مؤسسة (بتروباس) القطاع العام فى البلاد ، والذى يعتبر اساسا للسياسة الوطنية التحررية ، وان تمارس تأثيرها على السياسة العامة والاقتصادية للبرازيل .

● وفى السلفادور تسيطر الاحتكارات الامريكية على التجارة الخارجية فى البلاد ، اذ تسيطر على ٣٤٪ من الصادرات و ٣٧٪ من الواردات ، وايضا فى القطاعات الاساسية للصناعة ، وفى مجال الخدمات العامة والمرافق ، وذلك

> قدمت الطليعة في عددها الماضي — يوليو — حصرا للقواعد العسكرية الاستعمارية في الوطن العربي ، تضمنت قواعد المرسى الكبير وكولمب بيشار وريجان الفرنسية بالجزائر . ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه القواعد تجرى تصفيتها . وقد تم فعلا تسلم السلطات الجزائرية لمعظمها ، وكان آخرها قاعدة كولمب بيشار التى تسلمتها الجزائر في ٢٩ يونيو الماضي . واتفق خلال شهر يوليو على تصفية قاعدة المرسى الكبير في نهاية العام الحالى وذلك قبل ثمانية اعوام من الموعد الذى نصت عليه اتفاقيات ايفيان .

من طريق سياسة منح القروض والمشاركة والتخفى وراء الاسماء الوطنية واعمال الرشوة ايضا وغير ذلك من اساليب واشكال التسلل للاستعمار الامريكى الجديد فى البلاد .

وتوضح بيانات الغرفة التجارية فى الولايات المتحدة لعام ١٩٦٣ ، فن اتجاه الاستثمارات الامريكية فى فروع الاقتصاد الرئيسية لدول امريكا اللاتينية : وهى تقدر بحوالى ٣٥٫٧٪ فى انتاج البترول، و ٢٤٫٣٪ فى الانتاج الصناعى، و١٠٫٢٪ فى التجارة ، و ١٢٫٦٪ فى استخراج وصهر المعادن ، و ٨٫٢٪ فى النقل والمرافق ، و ٩٪ فى الزراعة والبنوك وشركات التأمين .

اوروبا الغربية

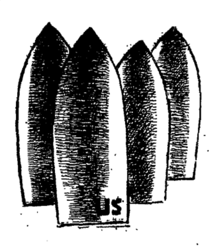
● وفى بريطانيا تقدر مجموع الاستثمارات الامريكية فى عام ١٩٦٤ ، بحوالى ٤٫٥٥ الف مليون دولار ، ويسيطر رأس المال الامريكى على عدد من الصناعات الاساسية فى بريطانيا ، وذلك عن طريق التحكم فى اكثر من ١٠٠٠ شركة بريطانية، وتقدر هذه النسبة بحوالى ٥٠٪ فى صناعة السيارات ، و ٥٥٪ فى صناعة الادوية، و ٥٠٪ فى صناعة تكرير البترول ، وايضا فى جهاز التوزيع .

● وفى فرنسا يقدر رجال الاقتصاد مجموع الاستثمارات الامريكية حتى عام ٦٣، بحوالى ١٠٠٠٠٠٠ مليون فرنك ، وان الاحتكارات الامريكية قد اقامت ٣١٢ فرعا لها فى فرنسا ، واخذت تتحكم فى ٢٠٠ مؤسسة فرنسية ، وذلك خلال الفترة من يناير ١٩٥٨ ويونيو ١٩٦٢ — واصبح رأس المال الامريكى يسيطر الآن على ٩٠٪ من انتاج المطاط الصناعى ، و ٦٠٪ من انتاج الالات الزراعية ، والتليفونات ، والمصاعد الكهربائية ، و ٥٠٪ من مصابيح الكهرباء ، و ٢٠٪ من الالات والمعدات الكهربائية — وفضلا من هذا فان رأس المال الامريكى قد نجح فى تحقيق غزوات اخرى فى الاقتصاد الفرنسى ، وان مؤسسة « ليبتاى » الامريكية للمواد الغذائية قد اقامت مصنعا كبيرا لها فى لنجويدو ، وان « شركة كريزلر » التابعة لمؤسسة جنرال موتورز الأمريكية قد استولت على جميع أسهم شركة « سيمكا » الفرنسية للسيارات .

ولقد أصبحت المجموعات الاحتكارية الأمريكية التى تحمل جبهة متحدة مع الاحتكارات فى المانيا الغربية وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج تشكل تهديدا خطيرا للصناعات التعدينية ، والكيميائية ، وهندسة الكهرباء ، والالكترونات ، والسيارات ، والبترول ، والصناعات الغذائية فى فرنسا .

ان الاحتكاريين الامريكيين يعملون دائما على اخفاء حقيقة ارباحهم الخيالية التى ينهبونها من الشعوب فى البلدان النامية ، حتى لا يتعرضون لسخط وهياج الشعوب ضدهم، وحتى لا يتسببون فى احراج عملائهم من الحكام الخونة الذين ينفذون سياستهم فى البلدان النامية امام شعوبهم .

ويعتبر مهندسو سياسة الاستعمار الاقتصادى الجديد فى واشنطن ، ان الاستثمارات الامريكية فى البلدان النامية هى شكل من اشكال المعونة الاقتصادية لهذه البلدان ، بينما يتعمدون فى نفس الوقت اخفاء حقيقة الاموال التى ينهبونها فى صورة ارباح خيالية ، تزيد عن رأس المال المستثمر فى الاصل، الامر الذى يوضحه هذا الفارق الشديد فى نسبة رأس المال المستثمر فى عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٣ — كما تكشف عنه المجلة الامريكية عن غير قصد منها ، وبحكم كونها تصدر من اجل سائر رجال الأعمال من الرأسماليين الاحتكاريين اولا واخيرا — والذى يوضح ان المسألة ابعد ما تكون عن ارباح تجارية مشروعة بل هى فى واقع الامر عملية سرقة ونهب لثروات وموارد هذه البلدان الطبيعية واستنزاف جهود وعرق الشعوب والطبقة العاملة والفلاحين داخل هذه البلدان، والعمل بمختلف الوسائل ومختلف الضغوط السياسية والاقتصادية ، والتهديدات ، وتدبير الانقلابات وتشجيع الثورات المضادة داخل هذه البلدان، وايضا التدخل العسكرى المباشر كمحاولة أخيرة يائسة مفضوحة من جانبهم أمام الرأى العام العالمى ، وذلك مثل التدخل الذى يحدث الآن فى فيتنام والعدوان على سوريا والجمهورية العربية المتحدة والأردن ، ومحاولة اسقاط النظم التقدمية فى سوريا والجمهورية العربية المتحدة لاعادتهما الى حظيرة الاستعمار الجديد، والاحتفاظ بهما داخل اطار الاقتصاد الرأسمالى كمزرعة لانتاج المواد الاولية وسوقا لتصريف السلع والمنتجات الامريكية وتحويلها الى قواعد عسكرية موجهة لاخضاع كافة الشعوب العربية .





بريد

فيتنام مجلة اسبوعية تصـــدرها جمهورية **فيتنام الديمقراطيـــة** . ولا تقتصر المجلة التى تصـــدر فى صفحات لا تزيد عن العشرة ، على نشر اخبار الحرب والغارات التى تشنها القوات الامريكية ، وانما تشمل ــ بتركيز واضـــح ــ محـــاولات جادة لصياغـــة الخبرات والدروس المستفادة من حرب التحرير ، جنبا الى جنب مع مقالات التوعية والتعبئة السياسية التى تفرد لها المجلة حيزا ملحوظا .»

ويتضمن العدد ١١٤ من **بريد فيتنام** ، قـــوائم بخسائر القوات الامريكية فى الحرب من طائرات ودبابات وعربات وجنود وضباط قتلى وجرحى .

وقد نشرت بريد فيتنام رسالتى الرئيس **هوشى منه** رئيس جمهورية فيتنام الديمقراطية الى كل من الرئيس جمال عبد الناصر والدكتـــور نور الدين الاتاسى ، حيث ادان فيهما العدوان الاستعمارى الاسرائيلى واكد تأييد ومساندة شعب فيتنـــــام الديمقراطية للعرب ضد الاســـــتعمار الامريكى واسرائيل . وابرزت المجلة نشـاط المؤسســـــات والهيئات والاتحادات الشعبية والعامة فى فيتنام الديمقراطية تضامنا مع الشعب العربى .»

ويبين مقال « **نجاح عظيم لفيتنام الديمقراطية فى كل الجبهات** » ان شعب فيتنام الشمالية لا يحقق نجاحات ضد الاستعمار الامريكى وقواته فحسب ، وانما يحرز ايضا تقدما واضحا فى زيادة الانتـــاج الزراعى والصناعى برغم التركيز الشديد لغارات سلاح الطيران الامريكى .»

واهم ماقدمه العدد ملحقا من ١٦ صفحة يشمل مقالا واحدا بعنوان « **انتصار شتاء ١٩٦٦ وربيع ١٩٦٨ ، والدروس الخمسة المستفادة من نتائج العمل العسكرى** » ، بقلم **ترونج ســـان** المعلق العسكرى المسئول فى جبهة تحرير فيتنام الجنوبية . ويتناول المقال ــ فكريا ــ تقييما للخبرات المكتسبة من حرب التحرير وصياغتها كتجربة نضالية خلاقة تثرى النضال الانسانى وتضيف اليه .»

واول الدروس يحـــــددها الكاتب فى ضرورة « **معرفة الهدف الاستراتيجى للعدو والكشف عن قدراته وخططه فى العمل ، من اجل بلورة هدفنا الاستراتيجى واساليب مقاتلته** » . وتلك نقطـــة بدء هامة لكل امة تناضل من اجل انتصارها على الاستعمار . وعلى هذا الاساس بدأنا اولا : بأن تدرنا بدقة الهدف الاستراتيجى للعدو ثم حدنا ــ ثانيا ــ اسلوبه فى الحركة ــ بناء على خبرتنا التى استقيناها من احتكاكنا السابق به ــ من اجل ان نهزم خططه فى مسرح العمليات العسكرية ، ثالثا : قمنا بتقدير قدرات جيش العدو بهـــدف التوصل الى الاساليب الكافية لمواجهته . وفى هذا المجال اتضحت لنا الحقائق التالية :

١ ــ يبذل العدو قصارى جهده ليفرض على قواتنا ان تواجهه بشكل ممزق ومفتت .

٢ ــ كان العدو يسعى لاجبار قواتنا على ان تحاربه فى ظروف غير مواتية لها .

٣ ــ حاول العدو عزل قواتنـــا المسلحة عن الشعب الذى لا غنى عنه فى حـــرب عصـــابات تحريرية .

٤ ــ سعى العدو بشـــكل مستمر الى عزل الثورة فى جنوب فيتنام عن شمال الفيتنام ، بهدف اضعاف القوى الثورية ووحدتها .

ولقد اتضح لنا ــ بعد ان نجحت قواتنا فى

تحديد حساباتها بدقة ـ ان قوات العدو ليست على هذه الدرجة المخيفة من القوة التى كان يتصورها الناس . صحيح ان العدو يملك اسلحة قوية ،ولكن جبهته مليئة بالثغرات الكثيرة والهامة والتى يمكن استغلالها بمهارة .

الدرس الثانى : ان نتمسك بموقف هجومى لا نتنازل عنه . ليس هذا فحسب بل ونسعى لتطويره . وذلك بتدعيم وتطوير امكانياتنا الخلاقة فى ارض العمليات ،واجبار العدو على ان يشتبك معنا فى معارك من اختيارنا نحن . وفى هذا الشأن يمكن استخلاص الاتى :

١ ـ ان الهجوم بلا هوادة ، هو الاسلوب الايجابى والفعال للمحافظة على مواقعنا وتدعيم سيطرتنا على مسرح القتال . وذلك بان نشن هجومنا باستمرار فى كل مكان وفى كل وقت ، بكل اصرار وبدون تردد ، ودون ان ندع للعدو اى فرصة للاشتباك مع قواتنا الضاربة .

٢ ـ ان نحتفظ بقواتنا فى وضع يسمح لها بالقيام بجهود مركزة لتلبية متطلبات المحافظة على مواقعنا وتدعيم سيطرتنا على جبهة القتال . وكذلك من اجل دفع العدو الى مواقع اكثر سوءا .

٣ ـ ان نجبر العدو على دخول معارك من اختيارنا نحن . ولا يتأتى ذلك الا عن طريق ان نلزمه باستمرار مواقع الدفاع لا الهجوم . وفى هذا الصدد يمكن استخلاص الاتى :

اولا : ان نجبر العدو على تفتيت قواته ، وان نشن هجمات ـ فى نفس الوقت ـ فى كل مواقعه .

ثانيا : ان نشل قدرة العدو لدرجة تمنعه من استخدام احسن اساليبه فى القتال .

ثالثا : الا نسمح للعدو بمحاصرة او اختراق صفوف قواتنا . وعلى العكس ، نسعى الى محاصرته واختراق صفوفه بشكل دائم .

رابعا : ان نلزمه وضعا لا يقدر معه على مواجهة حملاتنا الهجومية المتتابعة والمضادة له .. على كل المستويات والاشكال .

خامسا : الا نمكنه اطلاقا من فرصة حشد كل معداته .

سادسا : الا نسمح للعدو بان يسيطر على جبهة القتال حتى فى تلك المناطق التى يحتفظ فيها بقواعد كبيرة .

الدرس الثالث : ان ندرك ونقر باهمية العلاقة بين ضرورة هزيمة العدو ، والتمسك بحقوق الشعب ، وباهمية ان يتدعم الارتباط بين العمل العسكرى والعمل السياسى .

ومن خلال صراع قوات جبهة التحرير ضد خطتى العدو ((**ابحث ودمر**)) و ((**المصالحة**)) ، يمكن استخلاص النتائج التالية :

١ ـ ينبغى ان يتأكد ويتضح فى استراتيجية الحرب الثورية العلاقة الوثيقة بين انزال الهزيمة بالعدو والتمسك بحقوق الشعب سيد بلاده .

٢ ـ ينبغى ان ننظر باهتمام ارتباط العمل العسكرى بالعمل السياسى ، كأسلوب اساسى فى النضال . اذ يلعب كل من العمل العسكرى والعمل السياسى ، دورا استراتيجيا هاما وعلى قدم المساواة . ويؤدى كلاهما الى نتائج ايجابية فعالة وحاسمة . فالعمل السياسى يخدم النضال العسكرى الذى يخدم بدوره العمل السياسى ، ليحققا معا ـ آخر الامر ـ النصر فى الحرب .

الدرس الرابع : ان يتزايد بدون توقف الهجوم الفعال ، والتأثير الاستراتيجى لحرب الشعب.

كانت تاكتيكات قوات العدو الامريكية ، محكا حقيقيا ، دللت نتائج مواجهتها ، على تفوق اساليب حربنا الشعبية بوضوح ، وزادتها الممارسة اثراء او حققت مستوى أعلى من التقدم.

ويمكن فى هذا الصدد رصد النقاط التالية :

١ ـ ان اساليب القتال هذه ، تعكس بشكل معقول مهام النضال ، وتزيد بشكل ملحوظ من قدرات جيش التحرير على تدمير العدو .

٢ ـ اننا استخدمنا اسلحتنا باقصى طاقاتها، ابتداء من الاسلحة البدائية الى الاسلحة الحديثة، فخلقنا بذلك قوة فعالة هائلة .

٣ ـ عادة ما كنا نلجأ ـ لكى نهزم العدو ـ الى اسلوب مواجهة قوات كبيرة العدد لقوات صغيرة العدد او العكس ، كما كنا نربط بين هذين الاسلوبين .

٤ ـ كنا نعمل على مباشرة عمليات على نطاق ضيق او على نطاق واسع . كما كنا نعمل على الربط بين الاسلوبين .

٥ ـ عملنا على هزيمة العدو فى كل المواقع ـ داخل تحصيناته وقواعده وخارجها ـ سواء فى النهار او الليل وفى الجبال والغابات والمزارع .

٦ — كانت كل وحدة من قواتنا وكل مجموعة من الشعب ، قادرة على العمل المستقل — اذا اضطرتها الظروف — والى احتمال العمل لمدة طويلة ».

٧ — كنا نعمل على التنسيق الكامل بين مختلف النشاط السياسى والاقتصادى ، ونحن نهاجم العدو فى المجالات العسكرية ».

الدرس الخامس : ان نعقد اهمية خاصة على بناء وتطوير قواتنا العسكرية وقواتنا السياسية وقوات الميليشيا والعصابات . وان نقر بشكل سليم العلاقة بين الكم والكيف .

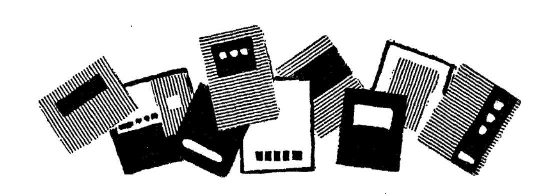
وذلك .. اولا : بتطوير كل من عملنا السياسى وعملنا العسكرى بشكل فعال ومتوازن ».

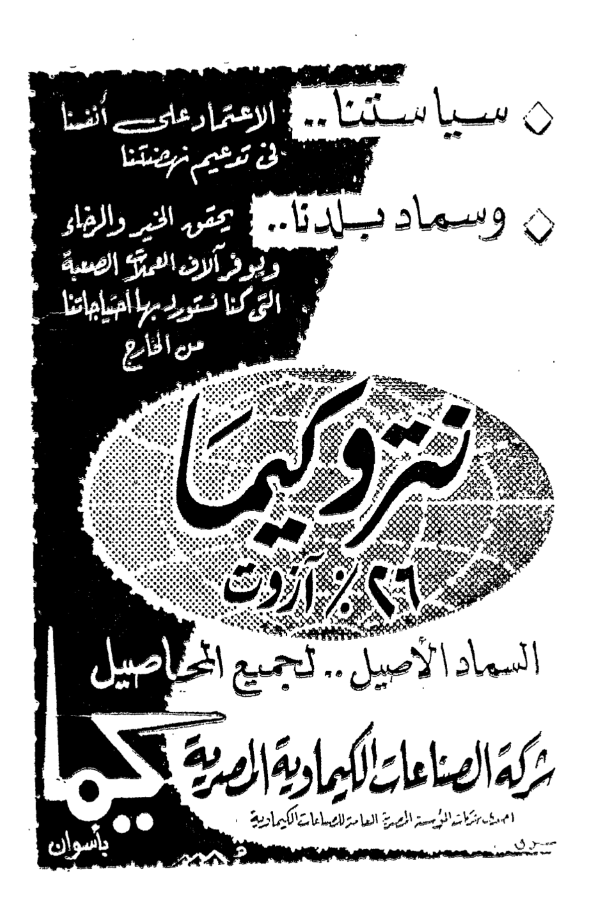
ثانيا : خلال عملية بناء قواتنا المسلحة وتطويرها ، كنا نقر بشكل سليم العلاقة بين الكم والكيف . فلكى ننزل الهزيمة بجنود العدو المليون ، وطدنا انفسنا على اقرار مبادىء اساسية واستراتيجية . فدعمنا بناء القوات المسلحة الثورية على نطاق واسع وقوى . وضمناها قوات ميليشيا وقوات حرب عصابات ، وكونا قوات اقليمية منظمة باعداد مناسبة ».

ومثل هذا الشكل التنظيمى يدعم ويقوى قواتنا المسلحة وقوى الشعب ، لتحقيق نجاح كبير . ويساعدنا فى نفس الوقت على شن حرب طويلة . وكلما طال وقت الحرب ، كلما اصبحنا فى وضع اقوى . وبذلك نهزم — بكل تأكيد عدونا المتفوق .

لقد فرض علينا ان نقاتل مليونا من الجنود الامريكيين والعملاء ، ولسوف نحارب مليونين ، او خمسة ملايين ، او عشرة .. او عشرين ، ولمدة سنوات اكثر ، اذا اقتضى الامر .

لقد ذقنا من قبل مرارة الحياة كعبيد ولمدة اجيال مضت ، ونحن نستمتع اليوم باحلى ما فى الحياة ، وشعبنا على يقين من انه لا يوجد شىء اغلى واثمن من الاستقلال والحرية .




سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء ويوفر آلاف العملات الصعبة التي كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام



سبتمبر ١٩٦٧
٩
الطليعة
طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر
حسابات العمل والتضحيات في المعركة
لماذا لجأ الزنوج في أمريكا إلى العنف
كلمات عن الوقت



طـريق المناضـلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهـــرس

المعدد التاسع ـ السنة الثالثه ـ سبتمبر ١٩٦٧

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معـك فى الراى ولـكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) .

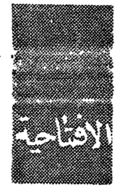
عنوان المراسلات .

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع بطلوم القاهرة تلفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٤٤١٤٤

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى . ج٠ع٠م ودول اتحاد البريد العـربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .



٧ كلمات عن الوقت

ما اريد ان اسعى به فى وضوح خلال افتتاحية هذا العدد لايزيد بحال عن كلمات معدودة ، لعلها اقرب ماتكون الى صرخة عقل بارد ، وقلب ساخن ، ونفس يعصرها الالم القومى ولكنها تثق بلا حدودفى المستقبل وصانعيه من جماهيرنا الشعبية :

١ ـ معركة ١٩٦٧ ليست ككل معاركناالسابقة ـ حجما ونوعا ـ انها اعمقها واشرسها وامرها واطولها ، ومن هنا فهى معركة فاصلة لقضيه الحرية والاشتراكية والوحدة والسلام فى وطننا وفى العالم الثالث ككل ، العدو فيها واضح محدد هو الاستعمار العالمى بزعامة امريكا متدثرا بعلم اسرائيل ، وقوانا فيها ايضا واضحة ومحددة هى الجماهير الشعبية العربية وقياداتها الثورية وقواها المسلحة ، وتتمثل فى العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين .

٢ ـ خسرنا جولة ٥ يونيو .. فلم نكن على مستوى المعركة .. هذا حق اعترفنا به ، وهذه شجاعة بناءة ، ولكن لم نسقط واستطعنا الصمود للنضال ، وما زلنا صامدين . فليس ٥يونيو١٩٦٧ ـ فى مفهومنا السياسى والاجتماعى والعسكرى ـ هو آخر ٥ يونيو فى التاريخ .

٣ ــ والصمود يعنى مواصلة البناء والحركة النضالية على طريق التحرر والاشتراكية والوحدة مستخدمين بخبرة اوفر وثورية اعمق كل اسلحتنا وكل تأييد حلفائنا من قوى الاشتراكية والحرية والسلام فى العالم .

ومواصلة البناء والحركة النضالية يعنى اول مايعنى ان هذا هو وقت بلورة وحدة العمل الثورية على اساس أعلى درجة من الوضوح الفكرى الثورى واوسع وحدة للقوى الوطنية الثورية لا وقت تصفية الحسابات الشخصية واثارة المشاكل الفرعية والجانبية ، وان هذا هو وقت ترجمة الصمود جماعيا وعلميا الى نظرية ثورية لانجاز اعمال ثورية فى مجالات المقاومة المسلحة والاقتصاد والسياسة ، وليس وقت اللف والدوران من حول عموميات وتجريدات لا تذهب فى النهاية الى اكثر من ترديد الشعارات .

٤ ــ والذى يحدد اليوم ــ بشكل اساسى ــ نوعية الوقت هو ان العدو مابرح يحتل سيناء والقنيطرة والضفة الغربية من نهر الاردن بالاضافة الى ارض فلسطين .. وان حماية الثورة الاجتماعية ذات الآفاق الاشتراكية وتطويرها باستمرار هى طريق الحياة الحتمى الذى لا بديل تاريخى له ..

٥ ــ ووقتنا هذا فى موقعه من النصف الثانى من القرن العشرين ليس هو بالتالى من نوع وقت اهل بيزنطه الذين جلسوا منذ قرون خلت يناقشون فى صخب غير مسئول طبيعة الملائكة وهل هم من جنس الذكور أم من جنس الاناث فى حين كان العدو يخترق ابوابهم .

٦ ــ ايها المتناقشون فى وطننا هذا فى وقتنا هذا ... حقنا جميعا .. حق جميع الوطنيين والثوريين فى النقاش لا جدال فيه وهو مطلوب ومفيد بكل اضوائه . ولكن فلنضع فى اعتبارنا عند كل نقاش أن العدو يحتل ارضنا .. العدو يحتل ارضنا ، وعملية اجلائه ودحره عسكريا وسياسيا هى جوهر القضية فى استراتيجيتها الواحدة وتكتيكاتها المتنوعة والمتعددة ..

((كيف؟)) ، لا ... ((هل ؟)) ، هو سؤال هذا الوقت .

٧ ــ وحتما سوف يكون هناك يوم يواجه فيه كل منا حساب الشعب والتاريخ على ما صنعت يداه وحركته وفكره وقلمه فى هذا الوقت الذى هو اخطر من كل وقت فى حياة الوطن ..

لطفى الخولى

ملحوظة : تخصص الطليعة عددها المقبل للاجابة على سؤال وقتنا : كيف ؟

لماذا لجأ الزنوج في أمريكا إلى العنف

محمد حقي



ليس من شك في ان ثورة الزنوج الاخيرة قد بلغت بالنضال العادل والمشروع للزنجي الامريكي مرحلة جديدة ... سواء في اسلوب النضال الذي تحولت به بعض المدن الامريكية الى ما يشبه ميادين القتال ... او في غاية النضال التي اعترف بها المسئولون الكبار في الولايات المتحدة حيث حاولت اعتذاراتهم عما حدث تحمل تصويرا ضمنيا لتعاسة الملايين من الزنوج والبؤس البشع الذي يعيشون فيه . ويجيب كاتب هذا المقال عن السؤال الرئيسي امام ثورة الزنوج الاخيرة : ما هي الاسباب التي ادت بهم الى « تصعيد الحرب » ضد البيض الى هذه الدرجة الخطيرة ؟

عندما اراد الكاتب الامريكي الزنجي **جيمس بولدوين** ان يقدم لاخر كتاب له سنة ١٩٦٣ ، كتب بيتا من الشعر يقول : « **لقد اعطى الله لنوح علامة هي قوس القزح في السماء ، ولكن لن يكون هناك ماء فيما بعد ، ولن تكون في المرة القادمة سوى النار** » ... وكانما كان بولدوين يتنبأ بثورة الزنوج هذا العام ، بعد ان عميت ابصار البيض المتعصبين في امريكا عن رؤية النذر تحيط بهم من حولهم كعلامة قوس القزح في السماء ، ولم تعد ثورة الزنوج ثورة سلمية ، او ثورة عدم اعتداء ، او عصيان مدني ، وانما دخلت دور العنف البالغ ، واحترقت عدة مدن كبرى في شرق الولايات المتحدة وشمالها ، من « **نيوآرك** » في ولاية نيوجرسي الى «**ديترويت**» في ولاية ميتشجان ، وتحول عدد منها — كما وصفتها الصحف ووكالات الانباء — الى مدن للاشباح ، واعاد بعضها ذكرى صورة برلين سنة ١٩٤٥ ، وبدأ بعضها كما لو كانت قد قصفت بالقنابل .

واول مايلاحظ على هذه الثورة انها انفجرت في مدن الشمال الصناعية وليس في ريف الجنوب الذي يعانون فيه من الاضطهاد منذ ٣٥٠ عاما ؛ وان القائمين بها جيل جديد من القيادات الشابة التي لاتؤمن بالانتظار او الصبر او الحلول الوسط

او المؤقتة ، وانها استطاعت ان تستحوذ على اهتمام الغالبية من الزنوج وتحويل انظارها عن القيادات القديمة ، والافكار القديمة ، والاساليب القديمة .

ولابد ان هناك شيئا ما حدث حتى دفع بالزنوج الى هذا الطريق الجديد ، من الثورية وانعدام الامل تماما ، الى الثورة المسلحة .

حقوق متأخرة مائة سنة

لقد عاش الزنجي — على حد قول الدكتور **مارتن لوثر كنج** الزعيم الزنجي — منذ اعلان الوثيقة التي وقعها « **ابراهام لنكولن** » . واصبحت تسمى فيما بعد بوثيقة اعلان التحرر — كمن يقيم على جزيرة منعزلة ، محروما من الاستقرار المادى او الامان العاطفى او الكيان الذاتى ، ويعانى — وهو فى جزيرته هذه — من فقر مدقع ، بينما يرى حوله بحرا من الرخاء الهائل ، ومازال الزنجي بعد تابعا عند ادنى درجات المستوى الاقتصادى ، تحيط به دائرتان ، تتمثل الاولى فى لون بشرته ، وتمثل الثانية ثقافة ضحلة دون مستوى الكفاية ، تقضى عليه باستمرار العزلة ، والعيش حياة العوز والفاقة .

وهناك مجلدات كثيرة كتبت عن الوان الاضطهاد التى عاناها الزنوج ايام الرق ، وكيف عملوا مائتى عام دون اجر ، وكيف جيء بهم الى امريكا ، وكيف هلكت جماعات كبيرة منهم فى الطريق ، وكيف بنيت ثروة هذه البلاد على اكتافهم ومن عرقهم ، من تجفيف المستنقعات ، وبناء المنازل ، وزراعة القطن ، وكيف رفعوا — والسوط يلهب ظهورهم — من شأن البلاد من مستعمرة منسية الى دولة ذات سلطان فى التجارة والمعاملات .

وعندما انتهت الحرب الاهلية باعلان وثيقة التحرر ، لم يحدث شيئا على الاطلاق ، وتجمد وضعهم ، وكانوا يشتركون فى الحرب — سواء فى الحرب العالمية الاولى او الثانية — ليعود الواحد منهم بعدها الى نفس الوان الاضطهاد وسوء المعاملة والاحتقار بسبب اللون .

الهجرة الى المدن

من هنا فقد استسلم الزنوج الى نوع من الثورية ، فقد كتب العالم الاقتصادى السويدى المعروف « **جونار ميردال** » ، (فى دراسته الهامة التى نشرها منذ عشرين عاما بعنوان « محنة امريكا ») ان الزنجي يحس بانعدام الامل لان الزنوج يحسون بأنهم لايمكن ان يتكاثر عددهم فيكونون الاغلبية الديموقراطية فى السياسة او فى اى ميدان آخر . وقد كرر المؤرخ البريطانى البروفسور « **أرنولد توينبى** » هذه الملاحظة عدة مرات فى عدة احاديث اجراها منذ بضعة شهور . غير ان عدة اشياء هامة حدثت فى السنوات الاخيرة ، أولها هجرة الزنوج بأعداد كبيرة من ريف الجنوب الى مدن الشمال . ففى الفترة مابين سنة ١٩٤٠ الى ١٩٦٠ زاد عدد الزنوج الذين يعيشون خارج ولايات الجنوب من اربعة ملايين الى تسعة ملايين ، اى نحو نصف تعداد الزنوج كلهم ، ولاشك ان هذا الرقم زاد بنسبة كبيرة منذ سنة ١٩٦٠ حتى الان .

وقد نزح معظم هؤلاء الزنوج ليزدحموا فى افقر احياء مدن الشمال الكبرى وأزقتها ، ففيما بين ١٩٤٠ و ١٩٦٠ زاد عدد الزنوج فى **نيويورك** مرتين ونصف مرة لتصبح ١ر١ مليون ، او ١٤ فى المائة من السكان ، وزاد عددهم فى **شيكاجو** مرتين ونصف مرة ليصبح ٨٩٠ الفا ، اى ٢٤ فى المائة من تعداد المدينة ، وتضاعف عددهم فى **فيلادلفيا** ليصبح ٥٢٩ الفا او ٢٦ فى المائة من سكانها ، وزاد تعداد الزنوج فى **ديترويت** ثلاث مرات لتصبح نحو نصف مليون نسمة ، اى نحو ٢٩ فى المائة ، وتضاعف عددهم فى **لوس انجيليس** بنسبة ٦٠٠ فى المائة من ٧٥ الفا الى ٤٦٤ الفا ، وهناك مدينتان يشكل فيهما الزنوج اغلبية اكثر من ٥٠ فى المائة من السكان هما **واشنطون** العاصمة ، **ونيوآرك** بولاية نيوجرسى ، هذا عدا المدن الاخرى الاصغر قليلا مثل : بافالو ، وروتشستر ، وتوليدو ، وآكرون ، ونيوهيفن وميلووكى وكنساس وويتشيتا ، ويمثل الزنوج نحو الثلث فى بعضها مثل **بلتيمور وكليفلاند** .

اكتشاف أفريقيا من جديد

كل ذلك بعث الامل فى قلوبهم من جديد لان هذه الاغلبية العددية بدأت تضع قوة سياسية يحسب حسابها فى ايديهم — وان كانوا لم يستخدموها كلها بعد — وأكسبهم ذلك قوة جديدة وايمانا بقدرتهم على الحركة والتأثير والتقدم .

والعامل الثانى الذى لايقل اهمية مطلقا عن العامل الاول هو استقلال الدول الافريقية وتخلصها من الاستعمار واستعادتها لا لسيادتها وحسب ، وانما لكرامتها وذاتيتها وشخصيتها — الامر الذى بعث الامل فى قلوب الزنوج ودفعهم الى استعادة روابطهم التاريخية والثقافية ، والبحث عن جذورهم التى دمرها كل من الاستعمار والرق ، ولايمكن فهم المغزى العميق الذى يعنيه استعادة اكتشاف افريقيا بالنسبة للزنوج الا اذا درس الانسان مشكلة الذاتية بالنسبة للزنجي الامريكى وشعوره

بالانتماء ، وكيف ان ادبهم كله يدور حول الاهمال والضياع ، مثل كتاب « لا احد يعرف اسمى » **لجيمس بولدوين** ، و « الرجل الخفى » **لرالف اليس** ، وفكره ان الزنجي ينكلم من كهف معلق بحاجز زجاجي بحيث لايسمعه احد للزعيم الراحل **بير جهارت ديبوا** وغير ذلك . والخلاصة ان افريقيا تساهم - بلا جدال - بقدر هائل فى استعادة الزنجي الامريكى لاحترامه لنفسه ، ولكبريائه المفقودة .

ويقول الدكتور القس مارتن لوثر كنج فى كتابه « لماذا لايمكن ان ننتظر » : « **كان الزنجي يراقب البلاد التى اختطف منها وهى ترزح تحت نير الاستعمار،تم استقلت ٣٤ دوله منها سنة ١٩٦٣، ورأى الزنجي رؤساء دول من الملونين ، يدلون باصواتهم فى جلسات الامم المتحدة لتقرير مسائل حيوية، بينما لا يصرح له هو بالاقتراب منصناديق الانتخاب او التصويت فى كثير من المدن فى وطنه ، ورأى ملوكا وحكاما من السود يحكمون بلادهم من قصورهم بينما ينتقل هو من حصار اجتماعى الى حصار اجتماعى آخر اكثر بشاعة ، بينما يرى حياة البذخ والثراء فى بلاده ترتفع الى اعلى مستوى فى التاريخ ، وهو محروم منها** »

فيتنام والدجل السياسى

وزادت مشاكل الزنوج بتعقد وسائل الانتاج الحديثة ، وحاجة الالات الذاتية الى قدرات عالية، وكفايات تعليمية هو محروم منها ، وبدلا من ان تمتص المصانع ايد عاملة من بين الزنوج كانت تلفظ اعدادا كبيرة منهم ، واصبح الزنجي اول ضحية لتقدم بلاده التكنولوجى .

ثم جاءت حرب فيتنام ، وسيق الزنوج بأعداد لا تتناسب مع نسبتهم الى تعداد السكان . ونكل بزعمائهم وزهرة شبابهم - مثل الملاكم محمد على كلاى - عندما احسوا بالتعاطف مع هذا الشعب الذى يقاتل يائسا فى معركة قريبة الشبه جدا من معركتهم منحيث مواجهة خصم بالغ القوة والبطش والحماقة ، وبعد ان كان بعض زعمائهم فى الماضى يطالبون « بمشروع مارشال » لتحسين احوالهم، وجدوا ان حكومة جونسون تنفق مليارات الدولارات على الحرب فى فيتنام ، التى لايرون لها اى هدف مقنع،وتبخل عليهم ببضع ملايين لاصلاح احوال احيائهم السكنية المزدحمة ، او لبناء المدارس ، او لتدريب العمال مهنيا ، او غير ذلك .

وزاد الطين بلة ميل السياسيين الامريكيين من الحزبين الكبيرين الى استغلال قضاياهم فى الاستاد السياسى وخدمة اغراضهم الخاصة ، كما حدث اثناء ازمة ديترويت ، عندما راح كل من الرئيس **ليندون جونسون** من ناحية **وجورج رومنى** حاكم ولاية ميتشجان (اهم المرشحين الجمهوريين حتى الان فى انتخابات الرئاسة القادمة) من ناحية اخرى يتبادلان الاتهامات ، الاول يتهم الثانى بعدم الكفاءة والقدرة ، والثانى يحمل الاول مسئولية اراقة الدماء .

كل ذلك والزنوج احوالهم تزداد سوءا ، وجموعهم تزداد فقرا ، وكل القوانين التى تصدر فى صالحهم لا تنفذ الا ببطء شديد .

قوانين على الورق

ومثال ذلك - اصدار المحكمة العليا قرارا عام ١٩٥٤ بوضع حد للتفرقة العنصرية فى المدارس - على وجه السرعة،وظل القانون حبرا على الورق، يحبو ببطء يبعث على اليأس ، وفى سنة ١٩٦٣ - اى بعد صدور هذا القرار التاريخى بتسع سنوات كان عدد الاطفال الزنوج الملحقين بالمدارس التى ادمجت السود والبيض معا ٩٪ من مجموع التلاميذ - اى انه اذا سارت الامور على هذا المنوال فلن يتحقق الاندماج فى المدارس قبل عام ٢٠٥٤ .. اذا تحقق !

كذلك اعد استاذان لعلم الاجتماع بجامعة كولومبيا هما الدكتور **فرانسيس فوكس بيفن وريتشارد كلوارد** - عدة ابحاث فى بداية هذا العام اثبتا فيها ان الاحوال السكنية فيما يسمونه « بالجيتو » الزنجي - اى « المعازل » او الاحياء الفقيرة المزرية التى يعيش فيها الزنوج معزولين تماما عن بقية المجتمع - تزداد سوءا عاما بعد عام بالرغم مما تنفقه الحكومة الفيدرالية ، والسلطات المحلية للمدن ، لان التركيز كله كان على بناء احياء سكنية جديدة يتحقق فيها الاندماج . . . وهو امر لا يتم فى الواقع . وكان الافضل التركيز على تحسين احوال « الجيتو » نفسه ، كما ان معظم اعتمادات التعليم تنفق على بناء مدارس يرجى ان تكون مختلطة - دون ان يتحقق ذلك - بينما لا تبنى مدارس كافية لاولئك الذين لا امل لهم مطلقا فى دخول هذه المدارس المختلطة .

وادرك الزنوج انهم يحتاجون الى اكثر من نص فى الدستور ، لأن عناد البيض ومقاومتهم تقف حائلا دون تنفيذ هذه النصوص .

الحقوق على الناصية

وقد كتب المعلق **جيفرى جودسل** فى صحيفة

«كريستيان سانيس مونيتور» يقول: « ان مافعلته قوانين الحقوق المدنية (التى صدرت سنة ١٩٦٤) — وهى من اهم القوانين التى صدرت فى الولايات المتحدة منذ مائة عام — هو تصعيد تطلعاته وآماله بحيث جعلته يريد ان يستمتع بكل حقوقه دفعة واحدة وعلى الفور . فقد كان يعتقد انها اصبحت — بعد صدور القوانين — على بعد خطوة واحدة ، او « على الناصية » — على حد التعبير الشائع — بيد ان احداث السنتين الماضيتين اقنعته بأنه برغم كل القوانين المحفوظة فى الكتب ، فمازالت الابواب مغلقة ، عليها متاريس قوية ، ومزلاج ضخم ، وقفل هائل ، كل هذا والتليفزيون يعرض عليه كل يوم ما يتمتع به الامريكى الابيض والمحرم عليه هو وحده — ولقد كان الدخان الذى تصاعد فى نيوارك وديترويت هو دخان الآمال المحطمة والتطلعات المكبوتة » .

ويختم « جودسل » كلامه قائلا : « لقد نمت آمال الزنجى بسرعة اكبر من سرعة التقدم الذى سمح له به ، وبالرغم من انه احسن قليلا اليوم مما كان عليه حاله منذ ٢٥ عاما، فلا شك انه اكثر حرمانا ، واكثر عزلة ، واكثر مرارة من اى وقت مضى » !

فقد لجأ البيض الى طريقة فيها كثير من الخبث والدهاء «لابقاء الزنجى فى مكانه» — ففى التعليم مثلا — عادت المحكمة العليا بعد اصدار قرارها التاريخى سنة ١٩٥٤ فأصدرت قانونا « لتوزيع التلاميذ على المدارس » ، الذى يخول لكل ولاية الحق فى تحديد الطريقة التى ترغب فى اتباعها عند توزيع التلاميذ على أساس قواعد معينة ، منها مراعاة مستوى الاسرة ، والمهارات والقدرات الخاصة ، وغير ذلك من شروط التقييم ، والنتيجة طبعا ان القانون كان له اثر عكسى بالغ المدى على انتشار مدارس الادماج والحد من عددها !

ولا يستطيع اى زنجى ان يلقى اللوم على المحكمة العليا . . . الم تصدر قرارا بانهاء التفرقة العنصرية فى المدارس ؟

الرمزية وقوانين ازالة الزنوج

وفى ميدان الاسكان ادخل نظام جديد اسمه نظام التقسيم الى مناطق (Zoning System) المقصود به حماية البيض الذين هربوا من المدن الكبرى الى الضواحى من ان يتكرر زحف الزنوج عليهم مرة اخرى وراء فرص العمل او رغبة فى الاندماج ، وطبقا لهذا النظام تقسم الضواحى الى مناطق يخصص لكل بيت فيها مساحة معينة ، كأن تبنى على فدان ونصف فدان مثلا ، ولا يمكن طبعا ان يتوفر للزنجى النازح من دلتا نهر المسيسيبى الى ازقة المدن واحيائها الفقيرة ان « يشترى » بيتا لنفسه فى هذه الضواحى ، وبذا يجد الزنوج انفسهم سجناء الاحياء الفقيرة — او « الجيتو » — فلا هم وجدوا عملا فى المناطق التى يعيشون فيها ، بسبب زحف المصانع الى الضواحى هى الاخرى ، ولا هم وجدوا مسكنا بجوار مواقع العمل الجديدة !

وبذلك يتمكن البيض من تقديم صورة رمزية للعدالة على الورق ، بينما يضمنون بقاء التمييز العنصرى واستمراره فعلا وعملا حتى وان كان ملغيا بحكم القانون !

وقد تحدث **مارتن لوثر كنج** طويلا عن هذه « الرمزية » — كتعيين شخص واحد مثل **رالف بانش** مثلا فى مركز مرموق ، المجد الذى يكفى لارضاء خيلاء عشرين مليونا من الزنوج ، او تعيين قاض هنا ، ووزير هناك ، او الحاق ثلاثة اطفال من السود بالمدارس الثانوية . . الى آخر النماذج التى تقدم تضليلا للزنوج، باعتبارها رمزا لمساواتهم مع البيض والتستر على التمييز العنصرى القائم فعلا .

كذلك فان كثيرا من المقالات التى تكتب فى مجلات مثل « تايم » و « نيوزويك » و « لايف » عن « مدى تقدم الزنوج » السريع فى السنوات الاخيرة، غير ان الزنوج يشيرون الى نفس هذه المقالات ليدللوا على ان البيض — على حد تعبيرهم — يريدون القاء الفرص والحقوق المدنية اليهم كحبات « الفول السودانى » ، بأكثر قدر ممكن من البطء، واقل قدر ممكن من الكميات .

١٢٪ فى ١٢ سنة

فمن النماذج التى تقدم مدينة كيمبردج بولاية فرجينيا ، التى توصف بأنها مدينة نموذجية ، بدأ الاندماج فى مدارسها سنة ١٩٥٥ ، حتى اصبح هناك ١٢٪ فى المائة من الصبية الزنوج يتلقون علومهم فى مدارس مختلطة ، غير ان الزنوج يعتبرون ذلك مقياسا للبطء وليس مقياسا للنجاح او السرعة ، اذ يقولون : « كيف تريدون منا ان نفخر بـ ١٢٪ فى المائة تحققت فى ١٢ سنة ؟ وهل معنى هذا ان ينتظر الزنوج مائة سنة اخرى لينالوا حقوقهم التى يضمنها لهم قانون البلاد ودستوره !

وقد مرت ثورة الزنوج بمرحلتين، مرحلة المقاومة السلمية، ومعظمها فى الجنوب، وكان الزنوج على

استعداد لمواجهة التعذيب والموت ، وتعرضوا لوحشية البوليس البالغة ، بل انهم عرضوا اطفالهم لقسوة البوليس وكلابه المتوحشة وهراواته، وذلك لكى يكشفوا للعالم كله عنغلظة البوليس وفظاظته فى وضح النهار ، ليراه العالم اجمع امام عدسات الكاميرا وعلى صفحات الجرائد ، بدلا من ان يتيح له الفرصة ليتستر على تعذيبهم فى داخل السجون القاتمة ، وعبر الطرقات المظلمة .

ثم بدأوا فى الدفاع عن انفسهم بالقوة . وصدم الرجل الابيض عندما راى هذا الزنجى الذى تعود ان يراه وقد رضى بالخنوع والذلة ، وقد قرر ان يحمل السلاح ليرد الاذى عن نفسه وعن اهله، من هنا راح معظمهم يتهم قيادات الزنوج الجديدة «بالشيوعية» ، حتى ذهبمعلق مثل **وليم هوايت**، المعروف بقرب صلته بالرئيسجونسون الى القول بأن « قادة الزنوج يستغلون متاعب الزنوج لتغيير سياسة امريكا الخارجيةضد العدوان الشيوعى»!

شماعة الشيوعية

وبسرعة تشكلت عشرات اللجان للتحقيق فى اسباب الاضطرابات العنصرية التى اجتاحت نحو ٥٠ مدينة امريكية،واذا ماراجعالانسان تصريحات زعماء هذه اللجان — وكلهم ينتمون الى ولايات الجنوب المتعصبة عنصريا ضد الزنوج — لوجد انها لاتخرج كلها عن اتهام زعامات الزنوج الشابة بالشيوعية، وهاهم يتهمون «**ستوكلى كاريما كل**» — الذى كان خارج الولايات المتحدة وقت وقوع الاضطرابات — بالخيانة لمجرد انه اشترك فى مؤتمر تضامن شعوب امريكا اللاتينية الذى عقد فى هافانا !

وقد سخر الممثل الكوميدى الزنجى اللاذع اللسان من هذه اللجانمتسائلا : «ولماذا لا يحققون مع مثيرى الشغب من البيض فى الاضطرابات التى يثيرونها هنا وهناك ؟

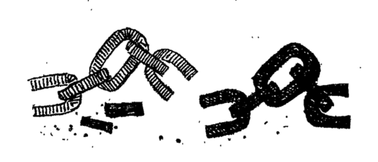
الحمد لله ان كلزعماء الزنوج كانوافى نيوآرك وقت احتراق ديترويت ، وان كارمايكل كان فى كوبا عندما وقعت حوادثها . هذه مرة على الاقل لايمكنهم القاء مسئولية الاضطرابات عليه » !

جنوب أفريقيا واسعة !

ولاول مرة بدأ الرجل الابيض فى امريكا يدرك ان الاسود لم يعد يخافه ، وبدأت الاصوات تحذر من «زحلقة المسئولية» ، وتجنب الحقائق ، والقاء المسئولية فى كل المصائب التى تحل بالولايات المتحدة على « العناصر المتطرفة » .

فقد كتب المعلق المعروف **جوزيف آلسوب** يقول: « ان الوقتمتاخر جدا الان،ولابد من العناية فورا بمشاكل « الجيتو » واحياء الزنوج ، فأمريكاتقف اليوم على مفترق الطرق،فاما ان تتحول الى شيء اوسع جدا من جنوب افريقيا تمارس فيهاسياسة « الابارتيد » بأسلوب اقل نظافة ، واما ان تحاول انقاذ نفسها من هذا المصير . فهل يدور بخلد احد انه يمكن الاستمرار فيحل المشكلة بطرف البندقية طول الوقت ؟ هل يعتقد زعماء الكونجرس انه يمكن قمعالزنوج بأسلوبالبندقيةطول الوقت ؟ »

ان ثورة الزنوج هذا الصيف اعلان على انهم غير مستعدين للانتظار اكثر من ذلك. فقد حاولوا اسلوب التطور فى اطار النظام والقانون ، ولكنهم ادركوا ان النظام والقانون فى امريكا انما وضعا لخدمة مصالح البيض ، ولم يعد الزنوج يفهمون او يقدرون او يصدقون الديموقراطية الدستورية فى امريكا ، وكثير منهم يرون انه لا مصلحة لهم فيها ، وربما كانت ثورتهم هذه حافزا لليسار الجديد فى الولايات المتحدة ، واملا جديدا فى قلوب الاجيال القادمة فيها ..





العمل والتضحيات هماالقدماناللذان يرتكزعليهما النشاط الوطنى من أجل تصفية آثار العدوان فى المرحلة الحاسمة والمصيرية التى تجتازها بلادنا اليوم .

وقد خصصت الطليعة دراستها فى هذا العدد لتقديم « حساب العمل والتضحيات » ، بادئين بتقييم ميزانية ١٩٦٧ / ١٩٦٨ — باعتبارها المرآة التى تعكس الاهداف القومية فى الظروف الجديدة — ثم مدى أسهام الفئات الاجتماعية المختلفة فى توفير مستلزمات تدعيم الجهد الحربى وتقوية القاعدة الاقتصادية لبنياننا القومى . كما يتضمن بحوثا عن الاعباء التى تكبدها شعبنا خلال الحربين العالميتين لمصلحة الاحتكارات الاجنبية ، وعرضا لبعض تجارب الشعوب فى مجال التخطيط لمواجهة الحصار الاقتصادى والعدوان الاستعمارى .



ماتزال الميزانية التى واجهنا بها العدوان الاستعمارى الاخير موضوعا هاما يثير الحوار بين المسئولين ومفكرى الاقتصاد وكتاب السياسة وجماهير الشعب . وفى هذا المقال يعرض الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وجهة نظر فى اقتصاد الحرب وما ينبغى ان يكون عليه فى ظروف خاصة يعيشها مجتمع فى طريق البناء الاشتراكى ، والنضال الوطنى ، معا .

د . اسماعيل صبرى عبد الله

كان من الاثار المباشرة للعدوان الاستعمارى الصهيونى ان نقصت موارد البلاد فى حين زاد ما عليها ان تواجهه من اعباء . وكان طبيعيا ان يعاد النظر فى الميزانية العامة للدولة فى ضوء الاوضاع الجديدة . وقد صدرت الميزانية الجديدة بالفعل . ودارت حولها مناقشات لم تحظ بها ميزانية من قبل . ولا عجب فى هذا ، فالميزانية هى التصوير المالى لحياة البلاد الاقتصادية فى عام كامل . وحياتنا الاقتصادية فى الظروف الحالية جزء لا يتجزأ من المعركة المصيرية التى نخوضها ، والاقتصاد ميدان اساسى من ميادين القتال : واهتمام الناس بالحديث عن الميزانية محكوم بفهم كل منهم عن دور الاقتصاد فى المعركة .

وعبر المناقشات المتعددة ، يمكن ان نوجز على النحو التالى ما بدا انه مميزات للميزانية الجديدة .

ولابد ، اول الامر ، من التنويه **بالجهد الذى بذله المسئولون عن اعدادها** . لقد فاجأنا العدوان فى الشهر الاخير من السنة المالية ، وكان هناك مشروع ميزانية كامل ينتظر اقرار مجلس الامة . وهكذا تعين على اولئك المسئولين ان يعيدوا فى عدد محدود من الايام النظر فيما اعدوا خلال شهور . وقد انجزوا بالفعل مهمتهم فى سرعة تستحق التقدير .

وهناك من ناحية اخرى **المحاولة الجادة لتحقيق التكافؤ فى التضحية** ، والتى كانت من السمات المميزة للميزانية الجديدة . ولم يكن التعبير الوحيد عن هذه المحاولة تخفيض بدل التمثيل بنسبة ٥٠٪ وغيره من البدلات بنسبة ٢٥٪ . بل تعداه الى خوض ضريبة تصاعدية هى **ضريبة الامن القومى** . وفى مجال الضرائب غير المباشرة كان رفع اسعار اطارات السيارات الخاصة ورسوم التليفزيون والتليفون من مظاهر الرغبة فى النيل من دخول اصحاب الدخول المتوسطة والمرتفعة ، حيث ان ماعدا ذلك من ضرائب غير مباشرة يقع عبؤه الاكبر على الطبقات الشعبية .

وهناك من ناحية ثالثة ، **الحرص على استمرار التنمية** الذى تمثل فى تقرير مبلغ يقرب من ٢٥٠ مليونا للاستثمار بالرغم من ضيق الموارد ، وذلك مع الحرص على تضييق مدى العجز الذى يمول

بالوسائل النقدية ذات الاثر التضخمى ، وقد هبط بالفعل الى ما دون مستواه فى سنوات سابقة كانت ظروفها عادية .

ولكن بعض المعلقين اخذ على الميزانية الجديدة بعض النواقص الهامة ، التى يمكن ان توجزها بدورها فيما يلى :

هناك ، اولا ، بعض **الدخول المرتفعة التى لم تنجح الاجراءات الاخيرة فى المساس بها . والواقع** ان تلك الاجراءات قد تركزت بوجه خاص على الدخول التى تتحقق فى شكل مرتبات . اما الدخول التى تتحقق فى شكل ارباح تجارية وصناعية ودخل مهن حرة ، فان اثر الضريبة فيها سيكون محدودا . فثمة عدد كبير من اصحاب تلك الدخول يجيدون التهرب من الضريبة الاصلية ، وبالتالى لا تنالهم الضريبة الاضافية (ضريبة الامن القومى) الا من أضيق الحدود . كما ان هنـــاك دخولا مشروعة لا تخضع للضريبة اصلا ، مثل ارباح عمليات « تأجير الشقق المفروشة » التى تحولت الى مهنة ومورد دخل اساسى لعدد لا بأس به من الافراد ، ويمكن ان نقول نفس الشىء عن ارباح عمليات « تشغيل التــاكسى » .. الخ ، وهذا كله بالاضافة الى الدخول التى يتعـذر وصفها بالمشروعية والتى تمتاز عادة بالارتفاع ، مثل كل ما يتحقق من اعمال المضاربة والتخزين وفروق الاسعار فى عمليات التوريد للحكومة والقطاع العام وارباح مقاولى البــاطن الــذين ليس لهم حسابات منتظمة، ومقاولى الانفار فى الريف .. الخ .

ويـــلاحظ هنـــا ان نظامنا الضريبى يعيبه من الناحية الفنية عدم وجود ضريبة ذات طابع عام تصيب الدخـــول التى لا تنـــدرج تحت احـــدى الضرائب النوعية الست (الاطيان الزراعية ، العقارات المبنية ، الارباح التجارية والصناعية ، المهن غير التجارية ، القيم المنقولة ، كسب العمل) والضريبة العامة على الايراد لا تفرض الا على الدخول التى تخضــع اصلا لاحـــدى الضرائب النوعية ، ويترتب على هذا الوضع انه يتعذر الاخذ بما هو مطبق فى فرنسا مثلا من اعتبــار امتلاك الممول لسلع استهلاكية معينة (شقة ، سيارة من قوة معينة ، شقة ثانية ... الخ) دليلا على حصوله على دخل معين ، حتى اذا كان الدخــل الذى اقر به اقل من ذلك اضـــيف اليه الفرق .

وهناك ، **ثانيا ، الالتجاء الى رفع الاســـعار** كوسيلة للحد من الاستهلاك ، فمن المعروف ان تلك الوسيلة غير مرغوب فيها اقتصاديا فى الظروف التى تتميز بوجود اتجاه تضخمى وارتفاع فى الاسعار من الاصل ، فهى فى مثل تلك الظروف تغذى موجة الارتفاع فى الاسعار بدل ان تحد منها ، وثبــات القوة الشرائية للنفوذ امر حيوى فى اقتصاد يقوم على التخطيط . كما ان الحد من الاستهلاك عن طريق رفع الاسعار يعنى ان اصحاب الدخول الكبيرة لا يتحملون من نتائج نقص الاســـتهلاك مايتحمله اصحاب الدخول الصغيرة .

وهناك ، ثالثا ، **تخفيض الاستثمارات بنســبة كبيرة** ، حقا انه كان لابد من الغاء بعض الاستثمارات الجديدة او خفضها ، نظرا لاســـتحالة توفـــير التمويل الخارجى لها . ولكن النقد هنا يدور حول نسبة التخفيض لانه لم يكن محكوما دائما بمشكلة النقد الاجنبى ، كما انه لم يدرس الدراسة الكافية التى من شأنها استبقاء المشروعات التى بدأ تنفيذها بالفعل واستبعاد تلك التى تعد جديدة تماما ، وقد اثار تأجيل مشروع مجمع الحديد والصلب بالذات تحفظات هامة نظرا لحيـــويته ولانتهاء الدراسات المتعلقة به ولضرورته حتى لتحسن اقتصاديات صناعة الصلب المصرية ، ولكل هذا كان من رأى بعض الاقتصاديين انه كان من الافضل ان تصدر ميزانية مؤقتة ـــ استجابة لاعتبارات السرعة ـــ لمدة ثلاثة شهور او اربعة تستخدم فى دراسة مستفيضة تسمح بوضع الميزانية على اسس اسلم .

وفى تقديرنا ان المشكلة تتعلق بالمنهج والنظرة العامة قبل ان تتعلق بالاجراءات المحددة التى تضمنتها الميزانية ، لقد عولجت الامور معالجة مالية مقبولة فى عمومها ، ولكنها معالجة مالية صرفة ، كما لو كانت القضية التى يواجهها اقتصادنا القومى قضية مالية تنحصر فى حدوث نقص كبير ومفاجىء فى الموارد تقابله زيادة فى الاعبــاء . وترتب على ذلك ان الميزانية تصدت لسد الثغرات التى تحققت بالفعل او التى يمكن توقعها بشكل يقارب التأكيد ، اما ما وراء ذلك من الاحتمالات فقد اكتفت بأن رصدت له « اعتمادا للطوارىء » قدره حوالى خمسون مليون جنيه .

ونحن نعتقد ان النظرة للأمور يجب ان تختلف جذريا ، وتبدأ من فكرة اننا فى حالة حرب وجزء هام من ترابنا الوطنى تحتله قوى غاصبة غاشمة ، وعندئذ يمكن ان نفكر بعقلية اقتصاد الحرب ونفتح عيوننا على احتمالات ونتائج متعددة ومتنوعة ، فمن المسلم به مثلا انه لايمكن الجزم مقدما بالزمن الذى ستستغرقه تصفية آثار العدوان ، وبالتالى يجب ان تتجــاوز الابحاث والتقديــرات الاطار السنوى للميزانية ، ومع تصعيد وسائل الضغط على الدول الاستعمارية التى اعدت للعــدوان وساندته وتعمل على تدعيمه، لابد من عمل حساب اجراءات مضادة ، ولا يمكن هنا ان ننسى الحصار الاقتصادى الذى فرض علينا عقب هزيمة العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ . واذا تجددت الاشـــتباكات العسكرية ولو بشكل جزئى أو على نطاق محدود فانه يمكن ان تصيب بالضرر مخازن السلع او بعض طرق النقل .... الخ . **فاذا نجحنا فى طرد المعتدى ، فانه يتعين تعمير ما خربه العدوان ،**

ونفقات التعمير كثيرا ما تزيد عن نفقات الحرب ذاتها ، ونحن ندرك ان الهدف الرئيسى للعدوان الامبريالى الصهيونى هو نظامنا الثورى ، وهذا النظام لا يقض مضاجع المستعمرين لانه صفى مظاهر الظلم الاجتماعى الصارخة فحسب ، بل لانه يعمل على تنمية الاقتصاد القومى وتوسيع رقعة الثروة الوطنية لرفع مستوى معيشة الجماهير وضمان الاستقلال الوطنى ، ان جانب الكفاية يقلق الاستعمار بقدر ما يقلقه جانب العدل واذا كان العدوان قد اخفق فى ان يفرض علينا التخلى عن بعض من مكاسبنا فى الثورة الاجتماعية ، فانه لابد ان يعمل على عرقلة تقدمنا فى طريق الكفاية ، طريق زيادة الانتاج ، **لكل هذا تكتسب قضية التنمية ابعادا وطنية كبرى** ويصبح استمرار التنمية امرا حيويا لا يقل اهمية عن تطهير ارضنا من الاحتلال والمحافظة على نظامنا الاشتراكى .

وفى ضوء هذه النظرة تبدو ضخامة الموارد التى يتعين تدبيرها لمواجهة كل ذلك ، فلابد من موارد تكفى اعباء اعادة البناء العسكرى وتضمن توفير المخزون السلعى اللازم للاستهلاك لفترة طويلة مع توزيعه على مختلف انحاء البلاد ، وتكفل لنا القدرة على مواجهة اى نقص فى الاستيراد ، وتسمح بتكوين احتياطى للطوارىء ثم للتعمير ، وتجعل من الممكن الاستمرار فى التنمية بمعدل يفوق معدل زيادة السكان بشكل واضح كما يزيد عن معدل النمو فى البلاد المتقدمة، **ومن الواضح انه لايمكن تدبير مثل هذه الموارد الا بضغط الاستهلاك الى الحد الادنى . وهنا لاتجدى الوسائل غير المباشرة فى تحديد الاستهلاك، لا يجدى التأثير فى الاستهلاك عن طريق رفع الاسعار او خفض الدخول بل لابد من التأثير المباشر فى الكميات العينية للسلع الاستهلاكية ، لابد من حصر السلع الاستهلاكية الاساسية وتقدير حصة منها لكل فرد ثم ضمان حصوله عليها عن طريق البطاقات،** وبهذا الاجراء نحقق عدة اغراض فى وقت واحد : نصل بالاستهلاك الى الحد الادنى ، ونضمن وصول هذا الحد الى كل فرد ، ونحقق المساواة الفعلية فى التضحية ، لقد سبق ان كتبنا فى « الطليعة » اكثر من مرة ان المساواة الفجة فكرة غريبة عن الاشتراكية العلمية التى تقوم على حصول كل فرد من المجتمع على اجر يناسب ماقدمه للمجتمع ، ولكن الحرب تقوم على فكرة المساواة ، فكما ان رصاص العدو لايميز بين المواطنين على حسب مستوى دخولهم ، فان استهلاك الحد الادنى (وهو اثر من آثار الحرب) يجب ان يتساوى فيه الجميع ، وليس فى هذا بدعة ، فكل البلاد التى عرفت حروبا شاملة تمس مصيرها سارت على هذا المنوال بغض النظر عن نظامها الاجتماعى ، وخلال الحرب العالمية الثانية لم يكن نظام البطاقات فى انجلترا ارق مما كان عليه فى الاتحاد السوفييتى .

فاذا تم تحديد الاستهلاك على هذا النحو الجذرى ، اصبح من الضرورى امتصاص فائض الدخول الذى يبقى بيد اصحاب الدخول العالية لتوفير الموارد المنشودة ولمنع انتشار السوق السوداء بشكل يخل بنظام البطاقات ، وهنا ايضا نجد فى تجربة غيرنا من الدول ــ بما فيها الدول الرأسمالية ــ اساليب كثيرة ومتنوعة لامتصاص فائض الدخول ، فهناك بالطبع الزيادة التصاعدية فى الضرائب المباشرة ، ولكن هناك ايضا اشكال من **التأمين الاجبارى كالتأمين على المبانى ضد اخطار الحرب** ، ان الدولة تلتزم بتعويض من تتهدم مبانيهم بسبب الاعمال الحربية ، وهذه التعويضات تمثل مبالغ كبيرة ، ولهذا فان اسلم اسلوب لمواجهة هذه الاعباء هو التأمين الاجبارى الذى يسمح بتجميع احتياطى للتعويضات من الاقساط البسيطة نسبيا التى يدفعها اصحاب العقارات ، وفى الوقت نفسه يؤدى تحصيل الاقساط الى سحب جزء من فائض الدخول ، وهناك الادخار فى شكل **سندات حرب** ، تكون ذات فائدة مرتفعة ولا تكون قابلة للسداد الا بعد تصفية آثار العدوان والتعمير ، ومثل هذه السندات ، من الناحية التكنيكية يمكن ان تتخذ اشكالا متعددة لا مجال للخوض فى تفاصيلها هنا .

وتخفيض الاستهلاك الفردى على هذا النحو يجب ان يسبقه ويكمله تخفيض الاستهلاك الحكومى على اوسع نطاق ، ولابد هنا من تصنيف لما تؤديه الدولة من خدمات على حسب اولوية كل خدمة من حيث المجهود الحربى والتنمية ثم اعمال التخفيض بنسبة متدرجة تتناسب عكسيا مع درجة اولوية الخدمة ، وهناك فى تقديرنا خدمات يمكن الخفض منها الى حد كبير دون ضرر يذكر ، ولا سيما اذا كانت تمول بنقد اجنبى (كنفقات التمثيل السياسى والقنصلى ومختلف المكاتب بالخارج) ، وهناك خدمات يمكن اداؤها عن طريق التطوع الشعبى على نطاق واسع مثل شق طرق وممرات المطارات وبناء المدارس والوحدات الصحية .... الخ .

ولكن كل هذا لا يتأتى الا فى اطار من التعبئة السياسية للجماهير والتنظيم السياسى الكفء ، ان الحرب فى ذاتها والمشاعر الوطنية التى تفجرها معين متدفق للحماسة والتضحية الجماهيرية كان دليله الرائع والمذهل هبة ٩ و ١٠ يونية ، ولكن لابد لتحول هذه الحماسة الى اعمال محددة من تنظيم شعبى متحرك منفتح قادر على الربط بين كل عمل جزئى والمعركة الكبرى التى تحدد مصيرنا، تنظيم يجعل من عمالنا وفلاحينا ومثقفينا وسائر جماهير شعبنا العامل كتائب ثورية فى جيش عظيم يبنى بيد ويقاتل بالأخرى .



ميزانية الدولة

في ضوء التحديات الخارجية والداخلية

رياض الشيخ

ليست الميزانية الاخيرة مجرد حالة من حالات الطوارىء الاقتصادية في مواجهة احدى الازمات ، وانما هي تعبير اقتصادى من حالة التعبئة الشاملة التي يخوضها شعبنا ضد الاستعمار والصهيونية . وفي هذا المقال يعرض الكاتب لمختلف الجوانب التي تصب في الميزانية ، قادمة من كافة المجالات التي يناضل فيها الانسان المصرى بعرقه ودمه .. ثم تعود فتتحول الى « ارقام » نابعة موضوعيا من احتياجات الفرد واحتياجات المجتمع .

يعكس الاهتمام المتزايد الذي نالته — ولا تزال — ميزانية الدولة للعام الحالى ١٩٦٧/١٩٦٨ في مختلف أوساط المجتمع حقيقتين بارزتين :

أما **الحقيقة الاولى** فتتمثل فيما بلغته الميزانية العامة من أهمية قصوى وما تمارسه من تأثير عميق في شتى جوانب حياتنا : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وقد تم هذا نتيجة لاتساع وظائف القطاع العام وتعددها ، وبصفة خاصة نتيجة لممارسة القطاع العام لمهمة القيام بعملية التنمية ، وليس بمجرد قيادتها فحسب .. وينعكس ذلك كله في ميزانية الدولة .. وهي البيان المالى والحسابى للقطاع العام بمعناه التقليدى **(قطاع الحكومة أو الخدمات العامة)** والواسع ، شاملا أيضا **(قطاع الاعمال العام)** فاتسع حجم الميزانية في مختلف جوانبه **(اتساع حجم الاجور والدخول التي تتولد داخل القطاع العام + اتساع حجم الموارد القومية التي يتم استخدامها والتصرف فيها بواسطة القطاع العام ... الخ)** ، كما تغير تركيبها فأصبحت الاستثمارات العامة تمثل القسم الاكبر من الاستثمارات القومية **(ويتولاها القطاع العام بصورة مباشرة في غالب الاحيان وغير مباشرة في احيان أخرى)** . وباختصار تمثل الميزانية العامة في الجمهورية العربية المتحدة الاداة الرئيسية للتخطيط الاقتصادى والاجتماعى والتأثير في الحياة الاقتصادية للمجتمع وبطريقة واعية ومحددة .

أما الحقيقة الثانية ، في تفسير الاهتمام المتزايد بميزانية العام الحالى ، فتتعلق بمجموعة الظروف والتحديات (الخارجية وعلى رأسها العدوان الصهيوني الاستعمارى ، والداخلية وفي مقدمتها الاسراع بالتصنيع والتنمية التي تواجه المجتمع المصرى في الفترة الحالية والتي تعبر الميزانية العامة عما احدثته هذه التحديات من آثار من ناحية وعن الطريق الذي سيسلكه المجتمع لمواجهة هذه التحديات من ناحية أخرى . وفي هذا الشأن تقوم ميزانية الدولة بمثابة المرآة التي تعكس آمال الشعب وأمنياته كما تعكس الوسائل والاسباب التي تعتمد عليها الدولة لبلوغ غاياتها وترجمة هذه الآمال والامنيات الى الواقع الحى في المجتمع .

وهذا المقال محاولة سريعة لدراسة ميزانية الدولة للعام الحالى وذلك في ضوء التحديات الاجنبية والمحلية التي يواجهها المجتمع المصرى في الوقت الحاضر . ونبدأ المقال بالاشارة الى الاثار المالية للعدوان القائم **(نقص ايرادات الدولة وضرورة زيادة الانفاق العام اللازم لمواجهة هذا العدوان** . ثم ننتقل الى دراسة التغييرات التي أجريت في الميزانية العامة **(زيادة بعض انواع**

الضرائب وخفض الانفاق العام فى بعض المجالات) وذلك فى محاولة لتحديد طبيعة ومعالم الطريق الذى تعبر عنه ميزانية الدولة لمواجهة التحديات الخارجية والمحلية المشار اليها . وعلى ضوء هذه المعالم وبدراسة التغيرات الحديثة فى الميزانية العامة (**(الفرق بين الميزانية التى وضعت قبل العدوان وأرسلت الى مجلس الامة الذى سار شوطا طويلا فى مناقشتها ، وبين الميزانية فى صورتها النهائية والتى تم وضعها بعد العدوان)**

وسنحاول تحديد ابعاد **المشكلة المالية** فى مصر كما تكشف عنها دراسة الميزانية العامة . وغنى عن البيان أن هذه المشكلة تعبر بصورة صادقة وصريحة عن كثير من أهم مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواء منها ما يفرض نفسه بكل الحاح اليوم ، وما سيبقى مع الزمن ليواجه الاجيال القادمة مثلما يواجهنا اليوم بشكل او بآخر .

على أننا قبل ان ننتقل الى دراسة الميزانية على النحو السابق ، يلزم ان نشير بصراحة الى وجهات النظر المختلفة بشأن طبيعة العلاقة بين التحديات الخارجية **(للعدوان وما يفرضه من ضرورة تدعيم الجهد الحربى لرده)** والتحديات الداخلية **(متمثلة فى عمق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية ومايفرضه من ضرورة السير قدما فى عملية التصنيع والتنمية والاسراع بعجلة التطور الاقتصادى والاجتماعى)** . وفى هذا الشأن نكتفى بتأكيد مسألتين بشأن طبيعة العلاقة بين كل من التحديات الداخلية والخارجية . وتتمثل **المسألة الاولى** فى تفاوت وجهات النظر بشأن طبيعة هذه العلاقة . أما **المسألة الثانية** فواضحة الى حد كبير ونقصد بذلك أن طبيعة العلاقة تحدد طبيعة الطريق لمواجهة هذين النوعين من التحديات . فلو اعتبرنا أن العلاقة بينهما تنافسية فمواجهة التحدى الخارجى **(وله الاولوية بطبيعة الحال)** تتضمن التوقف — ولو مؤقتا — عن مواجهة التحدى الداخلى والابطاء فى عملية التصنيع والتنمية . ومن ناحية أخرى ، اى لو اعتبرنا أن التحديات الخارجية تستهدف تعطيل عملية التنمية وبعبارة اخرى لو افترضنا ان افضل طريق لمواجهة التحديات الخارجية والداخلية معا هو بناء اقتصاد قوى متنوع وعلى درجة عالية من الكفاءة ، فتدعيم الجهد الحربى يجب أن يتم فى اطار اقتصاد نام متجدد بفضل الاستثمارات المتزايدة وفى شكل مالى تترجم وجهة النظر الاولى فى ميزانية الدولة فى صورة زيادة الانفاق العام العسكرى وتخفيض أوجه الانفاق الاخرى الفردية والعامة ، الجارية والاستثمارية مع ما يستتبعه ذلك من البحث عن زيادة الايرادات العامة لمواجهة الفرق بين زيادة الانفاق العام العسكرى والنقص فى مجالات الانفاق العام الاخرى والاستثمارات العامة بصفة خاصة ، أما وجهة النظر الثانية فيمكن ترجمتها ماليا فى ميزانية الدولة فى زيادة الانفاق العام العسكرى مع **عدم المساس بالاستثمارات** العامة وتعويض ذلك جزئيا بتخفيض بعض اوجه الانفاق العام الاخرى **(غير العسكرية وغير الاستثمارية)** . غير ان هذه الزيادة فى الانفاق العسكرى والاستثمارى العام لابد وان تفرض زيادة فى الايرادات العامة من المصادر القائمة والبحث عن مصادر أخرى فى حالة استنفاد المصادر القائمة وتعذر او استحالة الحصول منها على مزيد من الايرادات .

وفى الظروف العادية قد يكون من الصعب زيادة الايرادات العامة بواسطة زيادة معدلات الضرائب القائمة او فرض ضرائب جديدة . غير انه فى ظروف التحديات من النوع الذى يواجهنا ، وهى تحديات لامن الفرد وآماله فى مستقبل افضل قد لا يتعذر زيادة معدلات الضرائب القائمة ، بل يصبح ممكنا فرض ضرائب جديدة وبصفة خاصة فى القطاعات التى ظلت ، لسبب او لآخر ، لاتسهم بنصيب عادل لتمويل الانفاق العام للامن والدفاع او للاستثمارات العامة للتنمية . وفى الواقع تقدم هذه التحديات فرصة ملائمة لرفع مستوى الايرادات العامة سواء بزيادة معدلات القائم منها او بتوسيع قاعدة المجتمع الذى يسهم فى التمويل العام . ومن العوامل المساعدة فى هذا الصدد ما تفرضه التحديات **(الخارجية والمحلية معا)** من تعميق لمفهوم المساواة والشعورية حقيقة وواقعا حيا سواء أمام العدوان الخارجى او أمام المستقبل وتطلعاته ، وما يحدث نتيجة لذلك من انتشار الرغبة بين الافراد وزيادة استعداد كل منهم ، بشكل أو بآخر ، للاسهام والتضحية ضمانا للامن وسعيا فى طريق التقدم .

وفى شأن الاختيار بين وجهتى النظر السابقتين — او أية وجهة نظر أخرى تجمع بين عناصر كل منهما بدرجة تكبر او تقل — يمكن القول وفى ضوء تصريحات المسئولين عن قيادة المجتمع السياسية(١) بأن القيادة السياسية قد قررت ان تخوض معركة التحديات الخارجية ومعركة التحديات الداخلية فى آن واحد ، اى أن واجب الامن والدفاع وواجب الاستمرار فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية يمثلان معاقمة اهداف المجتمع فى المرحلة الحالية .

وعلى ضوء هذه الاهداف ومع معرفتنا لمايتطلبه

(١) ونجد ذلك واضحا فى الشعار الذى اعلنته القيادة السياسية « يد يبنى ويدتحمل السلاح » .

تنفيذها من امكانيات مادية ومالية ، نتساءل عن مدى قدرة نظامنا المالى والضريبى الحالى على تعبئة الموارد الكافية وتخصيصها لخدمة أهداف المجتمـع .

أولا ـ الآثار المالية للعدوان : تضـخم عجز الميزانية العامة للدولة . ووفقا لبيان السيدوزير الخزانة ومشروع ميزانية الدولة يتلخص العجز فى الايرادات العامة فيما يلى :

- ٩٢ مليون جنيه خفض فى الايرادات الجارية لميزانية الخدمات (٢)
- ٨٠ مليون جنيه خفض فى الايرادات الجارية لميزانية الاعمال (٣)
- ١٧٢ مليون جنيه خفض فى الايرادات الجارية للميزانية العـامة
- ١٢٥ مليـون جنيـه خفض فى الايـرادات الراسمالية (٤)
- ٢٩٧ مليون جنيه اجمالى الخفض فى ايرادات الميزانية العامة (الجارية والراسمالية)

وبالاضافة الى ماتقدم ، قدرت القيادةالسياسية أن تقوية امكانياتنا الدفاعية تستلزم موارد تقدر قيمتها بـ ٥٩ مليون جنيـه (٥) . ومن ثم يمكن القول بأن آثار العدوان تقدر فى جانبها المـالى بعجز قدره ٣٥٦ مليونجنيه (٢٩٧ + ٥٩) (٦) . واذا اضفنا الى هذا التقدير رقم العجز فىالميزانية العامة قبل العدوان ولايقلعن ٨٠ مليونجنيه (٧) فان اجمـالى العجـز فى الايرادات العـامة **(ويشمل العجزالمقدر فىالميزانيةقبل العدوان (٨٠) وتقدير خفض الايرادات نتيجة للعـدوان (٢٩٧) وتقدير تقوية الدفاع الوطنى (٥٩)) يبلغ حوالى** ٤٣٦ مليون جنيه . ويعبر هذا الرقم عن المشكلة المالية التى واجهت المسئولين فى وزارة الخزانة . كما يعبر هذاالتقدير للعجز (٤٣٦مليونجنيه) (٨) عن الزيادة المطلـوبة فى الايرادات العـامة لو بقى الانفـاق العام على مسـتواه المخطط قبل العدوان بل وزيادته بمقدار ٥٩ مليون جنيـه تدعيما للامكانيات الدفاعية ، وهذا التقدير لاشك ينبىء عن فجوة كبـيرة بين الايرادات والنفقات العامة فهو يتجاوز ٣٠٪ من رقم الانفاق العام الكلى ، كما يتجاوز خمس الدخل القومى .

وفى مواجهة هذا الموقف تشترك كل من وزارة الخزانة والقيادة السـياسية . وتتلخص مهمة وزارة الخزانة فى البحث عن الوسائل والاسباب البديلة كما يلى :

- بحث امكـانية زيادة الايرادات العـامة من مصادرها القائمة : رفع اسـعار الضرائب والرسوم ، زيادة فروق الاسعار الخ . وبطبيعة الحال يتمهذاالبحث فىضوء الامكانياتالاقتصادية لزيادة الضرائب والرسوم والاسعار الخ .
- البحث عن مصادر جديدة للايراداتالعامة: فرض ضرائب او رسوم جديدة مثلا على الانشطة والقطاعات الاقتصـادية التى لا تزال قـدرتها الاقتصادية على دفع الضريبة تفوق ما تسهم به فعلا فى تمويل النشـاط العام ، او تعميم نظـم التأمين المختلفة ، الاجتماعى وغيرها .
- تمييز أنواع النفقـات العامة التى يمكن ضغطها عن تلك التى لا يتيسر ضغطها لسبب او لاخـر .

اما القيادة السياسية فتتحدد مهمتها فى اختيار الاجراءات الذى ترى أنها ممكنة سـياسيا من ناحية ، وقادرة على تحقيق الهدف وفقا لتقديراتها من ناحيـة أخـرى .

ثانيا ـ الاجراءات المالية لمواجهة العجز : خفض الانفاق العام (الاستثمارات العامة بصفةرئيسية)

وتتلخص الاجراءات المـالية لتحقيق توازن ميزانية الدولة والاقتصاد الداخلى فيما يلى :

١ ـ ضغط الانفاق العام : فقد تقرر خفض المصروفات الجارية بنحو ٧٢ مليون جنيه منهـا خفض فى الاجور يبلغ ١٨ مليون جنيه .. كماتقرر خفض المصروفات الراسمالية بنحو ١٨٩ مليون جنيه . أى ان اجمالى الخفض المخطط فى الانفاق العام يصل الى ٢٦١ مليون جنيه .

---

(٢) الاهرام ١٩٦٧/٧/٢٦ .

(٣) نقص حصيلة ميزانية الخدمات من الضرائب والرسوم الجمركيـة والاتاوات والرسوم على نواحى الانتاج التى سوفة تتاثر من النقص فى حصيلة النقد الاجنبى .

(٤) نتيجة نقص ايرادات قناة السويس والبترول والنقل البحرى (تمثل ايضا نقصا فى حصيلة النقد الاجنبى) .

(٥) يمثل نقصا فى الفائض المتولد فى القطاع العام بالاضـافة الى التسهيلات الائتمانية والقـروض التى كان مقـررا استخدامها فى تمويل مشروعات خطة الانجاز والتى تقرر تاجيلها . وفى الميزانية العامة يقدر النقص فى الفائض بمقدار ٤٠ مليون جنيه (الفرق بين فائض قطاع الاعمـال المقدر قبل العدوان والفائض المقدر بعد العدوان (٩٧ ـ ٥٧)) .

(٦) مشروع الميزانية العـامة للدولة للسنة المالية ١٩٦٨/٦٧ : الجـداول التفصيليـة للاسـتخدامات الجـارية والراسمالية للخدمات قسم ٤٤ ـ طوارىء .

(٧) لا يشمل هذا الرقم تقدير العجز الجارى فى ميزانية الخدمات والاعمـال قبل العدوان والذى يبلغ حوالى ٩٩ مليون جنيه ، ولكنه يشمل العجـز فى الموارد الراسمالية نتيجة لتاجيل بعض مشروعات خطة الانجاز ويقدر بحـوالى ٨٥ مليون جنيه .

(٨) قد لا يعبر هذا التقدير عن العجز الحقيقى فى الميزانية وذلك لسببين :

١ ـ التكرار فالنقص فى ايرادات قنـاة السويس مثلا يظهر مرة بصفته نقصا فى الايرادات العامة الجارية لقطاع الاعمال ويظهر مرة اخرى فى صورة نقص فى فائض قطاع الاعمال (قطاع قناة السويس) وتنقص نتيجة لذلك الموارد الراسمالية ونحن نرجو ان يتم عرض ميزانية الدولة بطريقة تمكن من معرفـة الانفاق والايراد العام دون تكرار .

٢ ـ جزء كبير من العجـز فى الموارد الراسمالية (اكثر من النصف) يمثل قروضا وتسهيلات ائتمانية كانت متاحة للتمـويل مشروعات خطة الانجاز التى رؤى تاجيلها .

٢ ــ زيادة الايرادات العامة الجارية والراسمالية : وتأتي هذه الزيادة والتي تقدر في مجموعها بحوالى ١٣٢ مليون جنيه ، من المصادر الاتية :

أ ــ ٧ر١٧ مليون جنيه فرض ضريبة للامن القومى (٥٠٪ من ضريبة الدفاع باستثناء ضريبة الدفاع الخاصة بالاراضي الزراعية التي تقرر تحديد ضريبة الامن القومى بواقع ٢٥٪ فقط من ضريبة الدفاع)

ب ــ ٨ر٦ مليون جنيه مضاعفة فئات رسم الدمغة وزيادة رسوم الدمغة على المشغولات

ج ــ ٧ر٢ مليون زيادة الضريبة على سيارات الركوب ورسم الانتاج على البيرة وفرض ضريبة اضافية على أجرة دخول الملاهي .

٥ر٢٦ اجمالى حصيلة زيادة الضرائب والرسوم السلعية

د ــ ٥ر٢٦ حصيلة زيادة اسعار بعض سلع الاستهلاك النهائى

٥٣ اجمالى حصيلة الاجراءات الضريبية والسلعية .

هـ ــ ٧٩ مليون جنيه زيادة في الموارد الراسمالية (قروض ومعونات وتبرعات من الافراد والدول العربية والصديقة) .

وبالاضافة الى ما تقدم تقرر رفع ادخار نصف يوم الى ٤/٣ يوم (من ٧ر١ ٪ من الاجر الشهرى الى ٥ر٢ ٪) .

ويلاحظ بشأن هذه الاجراءات ونتائجها ما يلى :

● ان الحكومة قد اعتمدت في مواجهة عجز الميزانية على تخفيض الانفاق العام بصفة اساسية . فالخفض في الانفاق العام (الجارى والراسمالى) يصل الى ٢٦١ مليون جنيه . اما الزيادة في الايرادات (الجارية والراسمالية) فلا تتجاوز نصف الخفض في الانفاق العام (١٣٢ مليون جنيه) .

● اعتمدت الحكومة في ضغط الانفاق على ضخامة حجم الاستثمارات العامة فاتجهت اليها بالتخفيض فهبطت الاستثمارات المخططة من ٢ر٣٩٣ (٩ر٥٨ خدمات ، ٣ر٣٣٤ اعمال) الى ٦ر٢٠٧ (٩ر٣٣ خدمات ، ٦ر١٧٣ اعمال) . وبصفة خاصة هبطت قيمة الاستثمارات في قطاع الاعمال الى حوالى نصف ما كان مخصصا لها في الميزانية قبل العدوان .

● اتجهت الحكومة في زيادة الايراد الى القروض ولم تلجأ الى فرض ضرائب جديدة بصفة اساسية . فحصيلة ضريبة الامن القومى لا تجاوز ١٧ مليونا والزيادات الضريبية الاخرى لا تتجاوز ٥ر٩ . فاذا اضفنا اليها حصيلة فروق الاسعار الجديدة (٥ر٢٦) لوجدنا ان حصيلة الاجراءات الضريبية والسعرية لا زالت (٥٣) دون الزيادة في الانفاق العام لتدعيم الامكانيات الدفاعية (٥٩)

● ان الاجراءات الانفاقية والايرادية لاترتفع الى مستوى العجز المالى المقرر فلا زالت توجد فجوة بين اجمالى الانفاق العام والايرادات الجارية والراسمالية تبلغ ٤١ مليون جنيه . والمفروض ان يتم تمويل هذا العجز اذا تحقق بواسطة الجهاز المصرفى والاصدار النقدى الجديد .

والنظرة السريعة بل والخاطفة على هذه الاجراءات تبين بما لايدع مجالا للشك ان القيادة السياسية كانت غاية في الاعتدال في تقديرها لما يتطلبه الموقف من تضحيات وانها التزمت جانب الحكمة في توزيع هذه التضحيات بين الحاضر والمستقبل (الموازنة بين التمويل بالقروض وخفض الاستثمارات العامة من ناحية والتمويل عن طريق زيادة بعض الضرائب والاسعار وبعض صور المدخرات الاجبارية من ناحية اخرى .)

المضمون الاجتماعى للميزانية الجديدة

غير ان تقييم ميزانية الدولة لا يمكن ان يتم بواسطة القاء نظرة او نظرات سريعة على ارقامها، في الوقت الحاضر بصفة خاصة وبعد ان تفوقت الميزانية العامة على ماعداها من ادوات السياسة العامة . بل ان الدراسة الجادة لميزانية الدولة يجب ان تنصرف الى مضمونها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وذلك بصفتها مرآة تعكس المجتمع في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية ومن هذه الزاوية ساحاول فيما تبقى من هذا المقال الاشارة الى بعض الجوانب التى تحتاج الى مناقشتها بالراى الصريح من جانب علماء الاقتصاد ورجال الفكر والسياسة .

أبعاد المشكلة المالية المصرية

للازمات جميعا جوانبها الايجابية ، ونكستنا الحالية في مواجهة التحديات الخارجية تتطلب منا ان نتجول بانظارنا بين واقعنا في بحث دقيق عن المشاكل والعوائق واسبابها . والمشاكل المالية وما تعبر عنه من مشاكل اقتصادية واجتماعية تبرز بصورة واضحة بمقارنة ميزانية الدولة للعام الحالى بصورتها المقترحة قبل العدوان ، ومن المهم ان نؤكد هنا ان العدوان

قد ترك آثارا يمكن ترجمتها بلغة المال والميزانية فى الحقائق البسيطة الآتية :

١ ـ ضرورة تقوية امكانياتنا الدفاعية بما يبلغ ٥٩ مليون جنيه فى العام الحالى . وهذا مبلغ بسيط اذا قيس بحجم التحديات الاجنبية التى فرضت ضرورته وكذلك اذا قورن بحجم الانفاق العام الكلى فى الميزانية قبل التعديل (١٢٨٤/٥٩ × ١٠٠ = ٤٪) ، او بحجم الدخل القومى (حوالى ٣ ٪ من الدخل القومى) .

٢ ـ توقف قناة السويس عن العمل كمجرى مائى دولى : وهذه الحقيقة وحدها مسئولة بصورة مباشرة وغير مباشرة عن معظم العجز فى الايرادات الجارية لكل من قطاع الاعمال وقطاع الخدمات ، وعن جزء كبير من العجز فى الايرادات الراسمالية (فائض قطاع الاعمال بصفة خاصة). والى هذا الحد فهذه الحقيقة الوحيدة مسئولة ايضا والى حد لا يستهان به عن الخفض فى الاستثمارات العامة .

والى جانب هاتين الحقيقتين ، وهما تعبران من آثار العدوان المادية والمالية معا يمكن اضافة حقيقة اخرى لا علاقة لها بالعدوان . فقد بدأ ظهورها فى الاعوام القليلة الماضية وبدا خطرها يتزايد عاما بعد عام . وتتلخص هذه الحقيقة فى عجز الايرادات الجارية عند تغطية النفقات العامة . وقد قدر هذا العجز الجارى فى مشروع ميزانية العام الحالى قبل العدوان بما يقرب من مائة مليون جنيه .

وبمعرفة هذه الحقائق الثلاث ، يمكننا ان نبحث فى التغييرات فى الميزانية الحالية عن مشروع الميزانية العامة قبل العدوان بحثا عن بعض جوانب المشكلة المالية . ويلاحظ فى شأن هذه التغييرات انها لا تعكس الآثار المالية للعدوان فحسب بل تعكس معها ايضا آثار تقدير القيادة السياسية للطريق الذى سيسلكه المجتمع لمواجهة هذا العدوان (زيادة الانفاق العام العسكرى بـ ٥٩ مليون جنيه والاختيار بين المحافظة على مستوى الاستثمارات العامة او خفضه وبين زيادة الضرائب او التمويل بالقروض الخ) . كما تعكس بعض حقائق نظامنا وتاريخنا الضريبى والمالى وما يعبر عنه من حقائق اقتصادية واجتماعية .

ومن السهل ان نلاحظ من ارقام الجدول (١) ما يلى :

● اهمية المصادر غير الضريبية بين الايرادات الجارية لميزانية الخدمات . ففى الميزانية قبل التعديل كانت الايرادات غير الضريبية تمثل أكثر من ٢/١ الايرادات الجاريه . وبعد التعديل

جدول (١)

مقارنة الايرادات فى الميزانية الجارية للخدمات قبل وبعد العدوان (٩)

مصدر الايراد	الحصيله فى الميزانيه قبل التعديل: بملايين الجنيهات	الحصيله فى الميزانيه قبل التعديل: ٪ من جملة الايرادات	الحصيلة فى الميزانيه بعد التعديل: بملايين الجنيهات	الحصيلة فى الميزانيه بعد التعديل: ٪ من جملة الايرادات	+ —	بملايين الجنيهات
١ ـ الضرائب على الدخل والثروة	١٢٨ر٨	٢٠ر	١٠٧ر١	١٦ر-	—	٢١ر٧
٢ ـ الضرائب والرسوم السلعية	٢٤٦ر١	٣٩ر٢	٢٠٤ر٩	٣٠ر٦	—	٤١ر٢
٣ ـ ضريبة الدمغة	١٦ر-	٢ر٥	٢٨ر٤	٤ر٢	+	١٢ر٤
٤ ـ ايرادات متنوعة	١٤٤ر٤	٢٣ر٢	١٥٩ر-	٢٣ر-	+	١٤ر٦
٥ ـ ايرادات مجالس محلية	٥٧ر٢	٩ر	٥٥ر-	٨ر٢	—	٢ر٢
٦ ـ اعانة العجز الجارى	٤٠ر٤	٦ر	١١٩ر٥	١٨ر	+	٧٩ر١
جملة الايرادات الجارية	٦٣٢ر٩	٩٩ر٩		١٠٠ر٠	+	٤١

(٩) المصدر . مشروع الميزانية العامة للدولة ١٩٦٧/١٩٦٨ قبل وبعد التعديل، ومشروع ميزانية صندوق الاستثمار ١٩٦٧/١٩٦٨ قبل وبعد التعديل .
وزارة الخزانة : المطبعة الاميرية بالقاهرة .

جدول (٢)
الضرائب على الدخل والثروة

الضريبة	قبل التعديل بملايين الجنيهات	بعد التعديل بملايين الجنيهات	+ − بملايين الجنيهات
١ ـ الضرائب والرسوم العقارية			
الضرائب على الاطيان	١١ر١	١٣ر٩	+ ٢ر٨
الضرائب على المباني	٢ر٦	٣ر٩	+ ١ر٣
جملة	١٣ر٧	١٧ر٨	+ ٤ر١
٢ ـ الضرائب على دخول الافراد :			
الضريبة على الهايا والاجور وما فى حكمها	٢٠ر١	١٩ر٦	− ر٥
الضريبة على المهن الحرة	ـر١	١ر١	+ ر١
الضريبة العامة على الايراد	٣ر٣	٢ر٨	− ر٥
جملة	٢٤ر٤	٢٣ر٦	− ر٩
٣ ـ الضرائب على دخول الاعمال :			
الضريبة على الارباح التجارية والصناعية	٥٦ر٤	٤٢ر٤	− ١٤
الضريبة على ايرادات رءوس الاموال المنقولة	١٤ر٧	١٤ر٤	− ر٣
اتاوات	١٧ر٦	٦ر٩	− ١٠ر٧
جملة	٨٨ر٧	٦٣ر٧	− ٢٥ر٠
٤ ـ الضرائب والرسوم على التركات :	ـر٢	ـر٢	
جملة الضرائب على الدخل والثروة	١٢٨ر٨	١٠٧ر١	٢١ر٧

ارتفعت الى حوالى ٤٥ ٪ من جملة الايرادات العامة (١٠) .

● انخفضت أهمية الايرادات الضريبية بعد التعديل فاصبحت ٥٥ ٪ بدلا من ٦٥ ٪ قبل التعديل .

● الاهمية النسبية للضرائب غير المباشرة (الضرائب والرسوم السلعية) تبلغ حوالي ضعف الاهمية النسبية للضرائب المباشرة (الضرائب على الدخل والثروة) وهذا صحيح فى الميزانية الحالية والميزانية قبل التعديل

وتشير هذه الملاحظات الى مجموعة من التساؤلات حول ميزانيتنا ونظامنا المالى والضريبى فتمويل الانفاق العام على الخدمات باعانة العجز الجارى وبصفة مستمرة ومتزايدة انما يعنى أن الاستهلاك الجماعى يمتص قدرا متزايدا من مواردنا القومية كان من الممكن توجيهه نحو تمويل الاستثمارات العامة وخدمة عملية التنمية . ويعنى هذا بعبارة اخرى ان القدرة الضريبية الفعلية تقصر عن تمويل المستوى الحالى من الاستهلاك الجماعى . وايا كانت الزاوية التى ننظر منها الى هذه الحقيقة فلا شك انها تشير الى عائق رئيسى امام تمويل التنمية فى بلادنا يحول دون الارتفاع بالقدرة الادخارية الفعلية الى المستوى الذى تتطلبه عملية التنمية . ولمواجهة هذا الخطر ، وهو خطر قائم قبل العدوان وبعده ، يلزم البحث فى امكانية خفض الانفاق العام على الخدمات او الحد من ارتفاعه وذلك دون المساس بمستوى الخدمات القائمة اذا كان ذلك ممكنا .

ومن ناحية اخرى يلزم البحث فى وسائل زيادة القدرة الضريبية عن مستواها الحالى اذ لا يعقل ان يستمر ابتلاع الاستهلاك الجماعى لجزء متزايد من فائض قطاع الاعمال او الموارد الرأسمالية الامر الذى يحد من قدرة قطاع الاعمال العام على قيادة عملية التنمية والسير بها قدما .

---

(١٠) تشمل الايرادات الضريبية الضرائب على الدخل والثروة والضرائب والرسوم السلعية وضريبة الدمغة وجزء من ايرادات المجالس المحلية . اما الايرادات غير الضريبية فتشمل معظم الايرادات المتنوعة وجزء من ايرادات المجالس المحلية واعانة العجز الجارى .

ولسنا بتأكيد هذا الخطر بمبالغين في شأنه بحال من الاحوال . ونحن عندما لا نحس بوجوده ــ رغم وجوده ــ فاننا لا نفعل سوى ان نقلد النعامة عندما تدفن رأسها في الرمال تغاضيا عن عدوها الماثل للعيان .»

ويلخص الجدول (٢) التغيرات في الحصيلة المقدرة لمختلف انواع الضرائب على الدخل والثروة وكما يتبين في الجدول (١) تكون الضرائب على الدخل والثروة حوالى ٢٠٪ من اجمالى الايرادات الجارية لميزانية الخدمات . غير ان هذه النسبة قد انخفضت بعد التعديل الى ١٦٪ فقط . وفى كل من الميزانيتين لا تتجاوز الضرائب على الدخل والثروة نصف حصيلة الضرائب والرسوم السلعية .»

وفى الجدول (٢) تظهر بوضوح العوامل المؤثرة في حصيلة مختلف الضرائب على الدخل والثروة . فحصيلة الضرائب على الاجور والمهايا وما فى حكمها لم يطرأ عليها تغيير يذكر . ويعكس ذلك في الواقع تأثير تخفيض الاجور والمهايا (خفض البدلات) وكذلك تاثير فرض ضريبة للامن القومى . اما حصيلة الضرائب على دخول الاعمال فقد قدر لها انخفاض كبير نتيجة لتقلص النشاط الاقتصادى فى بعض المشروعات بسبب العدوان .»

هذا فيما يتعلق بتغير حصيلة الضرائب على الدخل والثروة ، اما فيما يتعلق بالاهمية النسبية لكل ضريبة على حدة فيلاحظ ان حصيلة الضرائب على دخول الاعمال (ارباح تجارية وصناعية ، ايرادات رءوس اموال منقولة ، اتاوات) تحتل المكانة الاولى بين الضرائب على الدخل والثروة ، اذ تكون ما يزيد على ثلثى حصيلة كل الضرائب على الدخل والثروة مجتمعة . وتليها فى الاهمية الضرائب على الاجور والمهايا وما فى حكمها وتكون حصيلتها حوالى السدس . ثم تاتى فى الترتيب الضرائب والرسوم العقارية . اما الضريبة على المهن الحرة والضريبة العامة على الايراد فهما فى انخفاض مستمر .»

ويعكس هذا الهيكل للضرائب على الدخل والثروة جانبا هاما من جوانب نظامنا المالى . فكثير من الدخول لا تزال خارج نطاق الضرائب على الدخل والثروة . ونشير هنا بصفة خاصة الى الدخول المتولدة فى النشاط الزراعى . فهذه الدخول لا تخضع للضرائب رغم اهميتها فى الاقتصاد القومى ورغم ارتفاع نسبتها فى الدخل

جدول (٣)
موارد واستخدامات صندوق الاستثمار

الاستخدامات	
	(١)
١٥٩ر٠	العجز الجارى بالخدمات والاعمال
٢٣٢ر٢	استثمارات الخدمات والاعمال
١٢٢ر٢	سداد أقساط قروض محلية وأجنبية
	(٢)
	استخدامات أخرى (اقراض ، فوائد
١٠٨ر٦	مدينة ، تحويلات رأسمالية الخ) (٣)
٦٢٢ر٠	

الموارد	
٦٧ر١	فائض ايرادات قطاع الاعمال وارباح عمليات النقد الاجنبى (٤)
٦٥ر٨	موارد من قروض أجنبية
١٧٣ر٤	قروض محلية من مدخرات حقيقية (٥)
٢٧٤ر٧	موارد رأسمالية متنوعة (٦)
٤١ر٠	عجز الموارد
٦٢٢ر٠	

١ ــ ١١٩ر٥ خدمات ، ٣٩ر٥ اعمال

٢ ــ ٥٧ر٤ محلية ، ٤٩ر٨ اجنبية ، ١٥ غير محدد

٣ ــ ٣٢ر٦ فوائد مدينة ، ٢٦ر٦ اقراض ، ٤٩ر٤ تحويلات راسمالية اخرى .

٤ ــ ٥٧ر١ الفائض ، ١٠ ارباح العمليات .

٥ ــ ١٥٤ر٦ الزيادة فى احتياطيات اجهزة التامين والمعاشات ، ١٨ر٨ حصيلة شهادات الاستثمار والزيادة فى مدخرات صندوق توفير البريد

٦ ــ ٣٢ر٥ فوائد دائنة ، ٣٦ر٦ تجديد قروض ، ٨٨ر٤ موارد راسمالية ، ٣١ر٤ موارد استثنائية ، ٢٦ر٥ موارد ذاتية ، وغيرها .

القومى ورغم اهميتها لتمويل عملية التنمية . ودخول كثير من اصحاب المهن الحرة ما زالت الادارة المالية عاجزة عن الوصول اليها لصعوبات ادارية وغيرها ».

ويتأكد قصور الايرادات الضريبية الفعلية عن مقابلة احتياجات الاستهلاك الاجتماعى بدراسة موارد واستخدامات صندوق الاستثمار . فاعانة العجز الجارى لميزانية الخدمات تكون ما يقرب من خمس استخدامات الصندوق . وبالاضافة الى ذلك تكون خدمة الدين العام، المحلى والاجنبى (فوائد واقساط الديون) حوالى ربع استخدامات الصندوق . وتكشف دراسة الموارد عن استمرار هذه الظاهرة : الاعتماد على القروض (المحلية والاجنبية) فى تمويل كل من الاستثمارات والعجز الجارى فى الميزانية العامة (للخدمات والاعمال) كما تكشف الارقام ايضا عما للزيادة فى احتياطيات اجهزة التأمين والمعاشات من اهمية بين مصادر المدخرات المحلية الحقيقية . فهذه الزيادة تكون حوالى ربع موارد صندوق الاستثمار . وفى نفس الوقت لا يتجاوز فائض ايرادات قطاع الاعمال (٥٧را) ٩٪ من اجمالى موارد الصندوق (١١).

وتكشف الجداول الثلاث السابقة عن المشكلة المالية بكافة ابعادها كما تؤكد خطورتها . وفى جدول موارد واستخدامات صندوق الاستثمار تلخيص للموقف المالى باكمله . فمن بين موارد الصندوق التى تتجاوز ست مئات من ملايين الجنيهات يخصص منها للاستثمارات الجديدة مقدار لا يزيد عن ثلثها ،كثيرا بينما يخصص لمواجهة العجز الجارى وخدمة الدين العام مايفوق ذلك بكثير . وهذا هو مصدر الخطر الذى تواجهه المالية المصرية . فالاعتماد على القروض لتمويل جزء كبير من الاستهلاك الجماعى (اعانة العجز الجارى) وجزء كبير كذلك من الاستثمارات العامة انما يعنى تخصيص مبالغ متزايدة من الايرادات العامة فى المستقبل لخدمة اغراض الدين العام . وهذا الخطر وان ظهر واضحا فى الميزانية الحالية التى تاثرت بالعدوان على النحو السابق الاشارة اليه . الا انه خطر كامن وموجود منذ عدة سنوات ويشتد بازدياد خطورته ما لم نعمل على ازالة اسبابه وتطوير نظامنا المالى والضريبى والانفاقى فى الاتجاه السليم من زاوية هدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية : هدفنا اليوم وغدا، فى الزمن القصير والطويل على السواء ».

والمشكلة المالية ، كما تكشف عنها ارقام الجداول السابقة ، تتلخص اساسا فى قصور القدرة الضريبية الفعلية وعجزها حتى عن تعبئة ما يكفى من الموارد لتمويل الاستهلاك الجماعى فحسب . ويتركز هذا القصور فى الضرائب على الدخل والثروة بصفة خاصة . من حيث تتحقق معظم حصيلتها فى صورة الضرائب على دخول الاعمال . اما الضرائب على دخول الافراد وهى الموضوع المناسب لتطبيق التصاعد تحقيقا للوفرة فى الحصيلة وللعدالة الاجتماعية فى آن واحد فلم يبق منها مصدرا لحصيلة تذكر سوى الضريبة على الهايا والاجور وما فى حكمها ».

ولكن قصور القدرة الضريبية الفعلية لا يعنى بالضرورة قصورا فى القدرة الضريبية الممكنة (او الاقتصادية) . ففى المجتمعات التى تشبه مجتمعنا ، يغلب ان تحول الضغوط السياسية لبعض الفئات او الجماعات دون زيادة الضرائب او حتى فرضها . وقد يكون من الصعب فى الظروف العادية التغاضى عن هذه الضغوط او مقاومتها . غير انه فى ظروف الازمات التى تتعرض لها المجتمعات يصبح ممكنا تخطى هذه الضغوط والتغلب عليها، ونتيجة لذلك قد تتحقق الزيادة فى القدرة الضريبية الفعلية سواء بفرض ضرائب جديدة على الدخول والانشطة التى كانت فيما سبق فى مهرب منها او زيادة معدلات الضرائب القائمة زيادة ملموسة ».

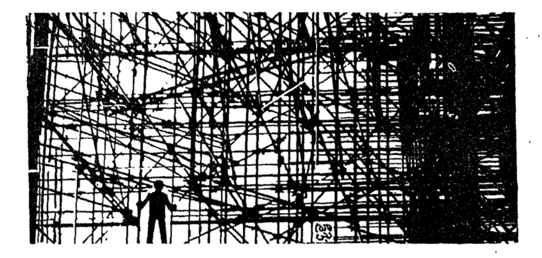
غير ان المشكلة المالية لا تقتصر على جانب التمويل (الايرادات) فحسب ، فكثيرا ما تتسع لتشمل جانب الانفاق كذلك . وفى هذا الجانب نجد المشكلة متمثلة فى الاسراف سواء فى تقديم الخدمات العامة او فى استخدام الموارد العامة وذلك مع اهمال متطلبات الاستثمار .

هذه الجوانب المتعددة للمشكلة المالية وما تعبر عنه فى شكلها الحقيقى من مشاكل اقتصادية واجتماعية فى حاجة الى دراسة، جادة ومناقشات صريحة وذلك حتى يتحقق التوازن لاقتصادنا الداخلى والقومى وحتى يتحقق كذلك التوازن بين اهدافنا اليوم واهداف الغد وبين احتياجات الفرد واحتياجات المجتمع ».

---

(١١) غير ان فائض قطاع الاعمال المشار اليه قد تاثر كثيرا نتيجة للعدوان ولاغلاق قناة السويس بصفة خاصة وفى مشروع الميزانية قبل التعديل قدر الفائض بنحو ٩٧مليون جنيه اى حوالى ١٤٪ من موارد صندوق الاستثمار .

٢ - العمال والحرب



الطبقة العاملة : التضحية والديمقراطية

أحمد فهيم

تناول احمد فهيم ، رئيس اتحاد العمال ووكيل مجلس الامة ، موضوع اسهام العمال فى التعبئة الاقتصادية ، فتحدث عن ثلاث نقاط هامة هى : رفع ساعات العمل من ٧ الى ٨ ساعات يوميا ، والاجراءات الاقتصادية التى اتخذت لموازنة الميزانية العامة للدولة ، ومدى ما يمكن ان تسهم به النقابات فى رفع الكفاية الانتاجية للعمل . كتب يقول :

كان العمال اسبق فئات الشعب اسهاما فى التعبئة الاقتصادية ، وذلك منذ تقرر رفع ساعات العمل من ٧ ساعات الى ٨ ساعات يوميا ، بعد العدوان بأيام معدودة .

ويوم العمل ذى السبع ساعات هو احد ثمرات القرارات الاشتراكية لعام ١٩٦١ ، حين خفضت ساعات العمل الى ٧ ساعات يوميا دون اى تخفيض فى الاجر . ويلاحظ ان اصحاب المصانع — قبل يوليو ١٩٦١ — كانوا يجعلون يوم العمل لا يصل الى ٨ ساعات فحسب ، ولكن غالبا الى ٩ ساعات ، وكثيرا ما كان يصل الى ١٠ ساعات او اكثر .

لذلك كان طبيعيا، فى ظروف الطوارىء الحالية، أن يرحب العمال بتقديم هذا الجهد الاضافى المتمثل فى رفع ساعات العمل اليومية الى ٨ ساعات ، اسهاما منهم فى التعبئة الاقتصادية الشاملة لمواجهة العدوان وخوض معركة ازالة آثاره . وجدير بالذكر ان المبادرة فى هذا الصدد جاءت من جانب العمال أنفسهم .

غير ان الامر ، بالنسبة لعدد كبير من العمال لم يكن مجرد تقديم جهد اضافى ، وانما كان انتقاصا من أجورهم الحقيقية . ذلك انه منذ صدرت القرارات الاشتراكية فى ١٩٦١ ، كانت بعض المصانع التى ترغب فى زيادة انتاجها او المصانع التى تضطرها ضرورات الانتاج الى تشغيل آلاتها ٢٤ ساعة يوميا — كانت بعض هذه المصانع تلجأ الى تشغيل عمالها ٨ ساعات يوميا ، مع احتساب الساعة الزائدة كعمل اضافى (مع ملاحظة انساعة العمل الاضافى تعنى ساعة وربع فى ورديات النهار وساعة ونصف فى ورديات الليل) وهذا يعنى حوالى ٣٥ ساعة عمل مدفوعة الاجر كل شهر بالاضافة الى متوسط الاجر الشهرى للعاملين فى المصانع التى كانت تأخذ بهذا النظام . وعلى ذلك ، فقد تضمن قرار رفع ساعات العمل

الى ٨ ساعات يوميا خفض دخول هذه الفئة من العمال بحوالى ١٩٪ .

ان هذا الخفض لم يسر الا على العمال الذين كانوا يعملون الساعة الثامنة كعمل اضافى . ومعروف ان منحق صاحب العمل ان يوقف العمل الاضافى فى اى وقت اذا دعت الضرورة. ولما كانت الدولة هى صاحبة العمل فى المشروعات المؤممة، ولما كانت الظروف الصعبة التى ترتبت على العدوان من أوجب ما يستدعى الحد من الانفاق ؛ لذلك يعد هذا الاجراء ، (بالنسبة للعمال الذين كانوا يعملون الساعة الثامنة كعمل اضافى) مجرد الغاء للعمل الاضافى وللاجر المدفوع عليه، وعلى الرغم من أن هذا أثر على دخل فئات عديدة من العمال تأثيرا وصل الى ما يقرب من الخمس ، الا انهم تقبلوا التضحية راضين فاستعداد العمال للتضحية — حتى من ضروريات حياتهم — امر مشهود ومسلم به .

ومن المفيد ان تعتنى هيئات الاحصاء والتعبئة فى بلادنا بنشر احصائيات ودراسات دقيقة وافية عن مدى اسهام كل صناعة وكل فئة فى معركة التعبئة الاقتصادية ، وان تعتنى هيئات الاعلام بتبسيط هذه الدراسات ونشرها ، لان هذا يجعل الناس يشعرون بقيمة تضحياتهم ووزنها ، ويشيع روح المنافسة الصحية من أجل تقديم مزيد من المساهمات والتضحيات .

وبعد زيادة ساعات العمل جاءت الميزانية الاخيرة باجراءاتها المعروفة ، وفى هذا الصدد اعترض تماما على ما نشرته بعض الصحف فى عناوين كبيرة تقول ان تضحيات كبار العاملين تفوق الى حد كبير تضحيات صغارهم . وهذا عكس للحقائق لاسباب عديدة اهمها :

١ — مهما كانت ضآلة المبلغ الذى اقتطع من أجور صغار العاملين ومرتباتهم ، فان هذا المبلغ يقتطع كله من ضروريات الحياة . ان هذا المبلغ يقتطع مما ينفق على الغذاء والملبس ومصاريف العيال . بينما الاقتطاعات من مرتبات وبدلات كبار العاملين لن تمس الا بعض كمالياتهم .

٢ — صغار العاملين هم غالبية الشعب ، والمبالغ الصغيرة حين تجمع من أعداد غفيرة تجمع مبالغ كبيرة . وعلى ذلك فغالبية التضحيات تأتى من جانب مجموع صغار العاملين .

٣ — لا يعقل ، فى بلد تبنى الاشتراكية، ان تكون نسبة الحد الاعلى للمرتبات الى الحد الادنى للاجور هى (رسميا) ٥٥ : ١ . واقول «رسميا» لان هناك امتيازات عينية عديدة (منها السيارات والتليفونات .. الخ الخ) تجعل النسبة بين دخل أصحاب اكبر مرتب ودخل اصحاب اصغر اجر تفوق ذلك الرقم الرسمى بكثير .

وقد كان يسرنى جدا أن أرى صحفنا كلها تنشر — على عكس ما فعل البعض — عناوين تبرز تضحيات الشعب وتمجدها ، وتؤكد فكرة ان الشعب هو صاحب الثورة ، ولذلك فهو الذى يتحمل ويضحى من أجل حمايتها بالدم ، وبالاقتطاع من قوت يومه . وليعلم الصحفيون ان الشعب اليوم اكثر نضجا ومعرفة بالحقائق واحساسا بالمسئولية ، فهو بغير حاجة الى أن « يطيب خاطره » بعناوين او كلمات تهون من شأن تضحياته وتبالغ فى تضحيات « كبار العاملين » .

كذلك فان استخدام الصحف لكلمتى « كبار العاملين » و « صغار العاملين » — يوحى بأنه ما يزال هناك احجام عن استخدام كلمة العمال . وفى هذا المجال أذكر ان « النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج » ، وهى النقابة التى أتشرف برئاستها ، هى النقابة العامة الوحيدة التىتسمى نفسها نقابة «عمال» ، بينما النقابات العامة الاخرى هى نقابات « للعاملين » ، تحاشيا لكلمة عمال . هذا ، علما بأن تعاليم مجتمعنا تكرم العمال والفلاحين وتنزلهم اكبر منزلة ، فهم اصحاب المصلحة الاساسية فى التحول الاشتراكى ، والقوة الاساسية فى عملية البناء وفى الدفاع عن الثورة ، والرئيس جمال عبد الناصر قال ان كلنا عمال .

وقد يثار ، فى هذا الصدد ، موضوع اعادة النظر فى تعريف العامل . وانا شخصيا ارى أن التعريف السليم هو ان «العامل هو كلمن يحصلعلىدخله من العمل فحسب» . وهذا هو التعريف المأخوذ به حاليا ، وانما الذى يجعل الامر غيرمقبولفىنظر نسبة كبيرة من الشعب هو ذلك التفاوت الكبير بين الحد الادنى والحد الاعلى للاجور والمرتبات . ان المشكلة الحقيقية ليست فى التعريف بقدر ماهى فى التقليل من هذا التفاوت . وفى بلد كالاتحاد السوفييتى لا تزيد نسبة اعلى مرتب الى أقل اجر عن عشرة الى واحد (١٠ : ١) ، وهذه نسبة معقولة . ويلاحظ ان هناك بلاد (مثل كوريا الشمالية) تصل فيها هذه النسبة الى (٣ : ١) فقط .

واذا عدنا الى موضوعنا الاصلى ، فقد لاحظت — منخلال علاقاتى اليومية بالعمال — انهم تقبلوا الاجراءات الاقتصادية الاخيرة بفهم ورضى واستعداد كامل للتضحية . ولا أبالغ اذا قلت ان هذه هى المرة الاولى التى الاحظ فيها هذا ، ولكن الشعب يتطلع الى المزيد من الحد من الامتيازات التى حصل عليها البعض دون وجه حق، والحق أنه قد آن الاوان للنظر فى كل الاوضاع الشاذة . واعتقد ان هذا لن يكون له تأثير كبير مباشر فى

الميزانية ، ولكن سيكون له أثر كبير جدا على معنويات الناس ومشاعرهم ، لانهم سيحسون حينذاك انهم يعيشون فعلا في مجتمع اشتراكي تتقارب فيه الاوضاع المعيشية ».

ولا اقصد الحد من المرتبات والامتيازات التى يحصل عليها كبار الموظفين فى الدولة والقطاع العام فحسب ، وانما اقصد ايضا الحد من الدخول الكبيرة التى يحصل عليها اصحاب المهن الحرة والاستثمارات الخاصة فى الصناعة والزراعة والتجارة والعقارات وغيرها ». ان الرئيس فى خطابه بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورة يوليو ردد عبارة علقت بأذهاننا ومشاعرنا حين قال : « الشعب يطالب .. وانا معه » . وهذه العبارة يجب ان تكون شعارا يعمل على هديه الجميع حتى تستقيم الامور .

وقد يثير هذا موضوع تحديد حد اعلى لدخل المواطن ، سواء كان هذا الدخل من اجر او مرتب أو من استثمارات او أملاك خاصة ، أو من مجموع بعضها او كلها . وهذا الموضوع محل حديث كبير فى كل الاوساط الشعبية . واؤكد هنا اننا سائرون حتما فى هذا الاتجاه ، وان يكن بطريقتنا الخاصة . ولا يجب ان يغيب عن ذهننا أنه منذ سنوات معدودة ، وقبل الدخول فى مرحلة الثورة الاجتماعية ، كان هناك من يشترك فى عضوية مجالس ادارة ٣٧ شركة وبنك ، وكان دخل مثل هؤلاء الناس من مكافآت هذه المجالس وحدها يتخطى ١٥٠ او ٢٠٠ الف جنيه سنويا . اننا سائرون حتما نحو أوضاع يتحدد فيها دخل المواطن ، وان يكن الامر بحاجة الى دراسة لمعرفة انسب السبل التى تؤدى الى ذلك ، ولتحديد ما تتحمله مجموع العلاقات الاجتماعية من خطوات مباشرة .

فاذا انتقلنا من موضوع الاجراءات والقوانين الى التطبيق العملى فان الامر بعد ذلك يتوقف على ضمائر المنفذين . ولكن المجتمع له وسائله ايضا فى ايقاظ الضمائر واشعار المنفذين بالمسئولية . ومن هذه الوسائل ما هو قانونى ، ومنها ما هو سياسى .

ومن ناحية القانون ، يجب تشديد العقوبات على كل من يتلاعب بالملكية العامة وبأموال الشعب كما يجب تبسيط الاجراءات بحيث لا تظل القضايا الخاصة بالتبديد والاختلاس والتحايل على سلب الاموال والملكيات العامة تتعثر شهورا او سنوات طويلة (بدعوى كفالة الضمانات القانونية للمتهمين) الى أن تضيع معالم الجريمة ويخرج مرتكبوها مزهوين ببراءتهم بعد أن يكونوا قد حظوا على عطف الكثيرين ، وظهروا فى صورة الابطال المضطهدين ، ويعودون الى مراكزهم الاجتماعية او الادارية ليمارسو مزيدا من أعمال التخريب والسلب والسرقة .

وكثيرا ما نسمع تحليلات لهذه الاوضاع مثل : ان هذه هى طبيعة الاجراءات القانونية ، فلماذا لا تعدل هذه الاجراءات بشكل يخدم صيانة أموال الشعب وملكيته بشكل اكثر فاعلية ؟ . كما نسمع أحيانا ان وكلاء النيابة مشغولين جدا وغير قادرين على متابعة السيل الذى لا ينتهى من القضايا — الامر الذى يؤدى الى تعطيل كثير منها . وهذه الحجة ايضا غريبة ، وهى تتناقض مع ما يملأ الصحف يوميا من حديث عن زيادة عدد الخريجين من كليات الحقوق عن حاجة الدولة . ان تطبيق القانون لصيانة أموال الشعب ، ولضمان تنفيذ الاجراءات والقرارات الاقتصادية على وجه سليم دون تلاعب يجب أن يكون اكثر حسما وسرعة . فالمثل يقول : « العدل البطيء لعنة » .

أما الاجراءات السياسية التى تكفل سلامة تنفيذ القوانين والاجراءات الاقتصادية فتتلخص فى كلمة الديموقراطية .

وهنا يجب ان نميز بين نوعين من الديموقراطية: الديموقراطية كما عرفت فى البلاد الرأسمالية ، والديمقراطية الاشتراكية . والنوع الاول من الخطأ ان يطلق عليه اسم الديموقراطيه ، انها فى الواقع وسيلة لتحكم الرأسمالية فى الشعب العامل . وقد جربنا هذه الديموقراطية فى بلادنا قبل عام ١٩٥٢ ولم تجلب لنا الا خراب البيوت . كما اننا نشهد تطبيقاتها فى قلعتها الاولى ، فى الولايات المتحدة الامريكية ، التى تزعم ان نظامها هو قمة الديموقراطية . فماذا نرى ؟ . نرى التمييز العنصرى الفظيع ، نرى الزنوج والملونين يعاملون كمواطنين بلا حقوق ، مواطنين من الدرجة الثانية والثالثة . وقد شاهدت ذلك بنفسى عندما زرت أمريكا عام ١٩٦٤ ، حيث البطالة متفشية بين الزنوج بأضعاف نسبتها بين البيض ، واجورهم اقل ، ويسكنون مكدسين فى احياء قذرة بائسة وكأنهم فى جحر او عزل صحى ، ولا يدخلون احياء البيض النظيفة اللامعة الا للخدمة او لاداء الاعمال الشاقة او المهن الحقيرة ، وامتداد هذه الديموقراطيه الرأسمالية ، وهذه العنصرية البغيضة فى خارج امريكا هو ما نشهده من اجرام على اضطهاد لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية لحساب الاحتكارات الاستعمارية والاقليات العنصرية .

أما الديموقراطية فى المعسكر الاشتراكي فانها الديموقراطية التى تهدف الى اسعاد الشعب كله ، حسب امكانياته وطبيعته الخاصة . وهنا فى الجمهورية العربية المتحدة فانا اعتقد ان ديمقراطيتنا الاشتراكية تنبع من صميم تقاليد هذا الشعب المكافح الذى ناضل دائما من اجل حرية الرأى وحرية الحركة وحرية العمل بلا حدود . ان الشعب يجب ان يشترك فى تسيير كل شئونه ، وعلى كل صاحب رأى أن يبديه بلا تخوف طالما ان هدفه هو خدمة الوطن ودعم نظمه الاساسية ودعم الطريق الثورى الذى اختاره .

غير أن الديموقراطية لا يمكن ان تعنى الفوضى وانما لابد ان ترتبط الديموقراطية بالرقابة الحازمة والمحاسبة الدقيقة والاجراءات السريعة . اقول ذلك لاننا فى كثير من أمورنا نبدو هينين متساهلين فى محاسبة المخربين ، ونقدم تبريرات وشعارات مختلفة لذلك . فمثلا : يقال ان الديموقراطية تكفل الضمانات لكل الافراد . وهذا مبدأ سليم . ولكن الذى لاحظنـاه حتى الان ان غالبيـة المختلسين والمتلاعبين بملكية الشعب وامواله يتمكنون من الافلات من العقاب متسترين خلف هذه الضمانات . ان سارق أموال الشعب والمتلاعب بأقواته يجب ان يردع ، وارى ان العقوبة فى هذا يجب ان تصل الى الاعدام ، وان تـكفل الاجـراءات بالسرعة والحسم فى التنفيذ حتى ولو أدى ذلك الى تعديل شامل فى كثير من القوانين الموجودة حاليا .

وهناك نوع آخـر من الديموقراطية ، هو « ديموقراطية الادارة » ، بمعنى ضرورة التوسع فى اشراك العمال فى الادارة بكل ما تحويه هـذه الكلمة من معان ، اى اشراك العمال فى وضـع الخطة والتنفيذ والتصرف فى المكافآت والعـلاوات والترقيات . ولا يجوز ان ينفرد شخص — مهمـا كانت عبقريته — برسم الخطط وتنفيـذها دون مناقشة مع الاخرين . وانا أومن بأن المناقشة هى وحدها القادرة على اظهار الحقائق والوصول الى اسـلم الحلول ، واحب ان اطمئن الاداريين الا يخشوا العمال ، فطبيعة شعبنا منذ القدم هى الوفاء عند تحمل المسئولية ، وبخاصة اذا كان هو صاحب المصلحة . ومن له مصلحة فى زيادة الانتاج ونجاح المشروعات التى خلقتها الثورة مثل العمال؟ واذا كانت تجربة اشراك العمال فى مجالس الادارة لم تؤت كل ثمارها ، فذلك لان التجربة ما تزال فى بدايتها ، ولان العمال لا يعطون كل الفـرص التى يجب ان تتاح لهم للاسهام الجدى فى ادارة منشآتهم ، وعلى أى حال ، فان ثمار هذه التجربة فى تحسن ملحوظ فى الدورة الثانية بعد ان ارتفع عدد المنتخبين فى مجالس الادارة من ٢ الى ٤ ، وبعد ان استفاد العمال من تجارب وخبرة الدورة الاولى لمجالس الادارات على أثر صدور القوانين الاشتراكية .

واخيرا ، فان السبيل الى التعبئة الاقتصادية الحقة يكون بزيادة الانتاج ، او بتعبير ادق : بزيادة انتاجية العمل . ويتحقق ذلك عن طريق :

١ — التدريب المهنى ٢— التوعية ٣— كفاءة الادارة .

وانشاء مراكز التدريب المهنى هو مهمة الدولة والمؤسسات الصناعية والاقتصادية . وعلى هيئات التخطيط والمتابعة ان تحدد حاجة مختلف فـروع الصناعة وتوزع الاختصاصات وتتابع النتائج .

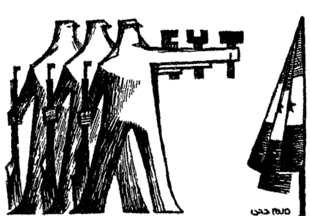
ويظن البعض أن من مهمة النقابات انشاء مراكز للتدريب المهنى من صندوق النقابات .

ولكن هذا غير سليم ، فانشاء المراكز عملية فنية وعلمية تحتاج الى درجة عاليـة من التخصص والاحاطة بآخر منجزات العلوم الحديثة ، كما أن تكاليف تأسيسها باهظة — تصل الى مئات الالوف من الجنيهات . هـذا عدا المصروفات اللازمـة لتشغيلها . لهذا كان الحديث عن ضرورة اقـدام النقابات على انشاء مثل هذه المراكز حديثا يفتقر الى المعرفة الدقيقة بطبيعة هذه المراكز ودورها والامكانيات الواجب توافرها لتأسيسها وتشغيلها كما يفتقر الى معرفة احدى بديهيات دور النقابات، سواء فى المجتمع الراسمالى اوالمجتمع الاشتراكى .

وكل ما يمكن ان تقوم به النقابات فى هذا الصدد هو ان تشجع العمال وتدفعهم الى الالتحاق بمراكز التدريب المهنى . وهذا يفضى بنا الى النقطة الثانية وهى : التوعية . وفى هذا المجال تستطيع النقابات الى جانب التنظيم السياسى ، ان تقوم بدور كبير . وعلى النقابات ان تقيم مراكز ثقافية تهدف الى رفع المستوى الفكرى للعمال ، وتعميق وعيهم بطبيعة النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة وما يحرزه العمال والشعب عموما من انتصارات وانجازات فى ظل الاشتراكية . هكذا يمكن ان يتضـاعف حماس العمال لتقديم مزيد من الجهد والاقبـال على مراكز التدريب وكل ما من شأنه زيادة انتاجية العمل . ويسرنى ان أذكر ان بعض النقابات عندنا بدأت فى اقامة مثل هذه المراكز الثقافية . (مثل النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج التى انشأت معهدا تنتظم الدراسة فيه ٩ شهور فى السنة ، ويحضره دارسون من جميع اللجان النقابية ومن العمال المستنيرين من مختلف المـدن والمنـاطق العمالية) .

أما عن كفاءة الادارة فهذا يتطلب اولا مراعاة الدقة فى تطبيق مبدأ « وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب » . بمعنى أنه لا يجب وضع أى شخص فى موضع المسئولية فى مكان هو غير كفء له . كما يجب ان يكون المسئولون الاداريون على وعى سياسى عال يؤهلهم لقيادة الوحـدة الانتاجية ، فقيادة الوحدات الانتاجية لاتتطلب مجرد مهارة فنية مهنية فحسب . ويجب على القـادة الاداريين ان ينظروا الى العمال باحترام واخوة ويسلمون بضرورة اشراكهم فى كل ما يتعلق بالعمل . واخيرا ، فان انتخاب جزء من اعضاء مجلس الادارة يعد تجربة رائدة فى بلادنا ، والاهتمام بهذه التجربة وموالاة تطويرها امر واجب . وبمرور الوقت وتعميق الوعى تتعمق التجربة وتؤتى نتائج أفضل . وجميع الادلة تشير الى أن النتائج التى تحققت فى الدورة الحالية افضل كثيرا من الدورة السابقة .

دور العمال فى مرحلة تصفية العدوان



اذا كانت الثورة الاجتماعية ونظامنا الثورى هما الهدف الرئيسى للعدوان الاخير ، فلاريب ان هذا يلقى المزيد من التبعات على الطبقات والفئات الاجتماعية صاحبة المصلحة فى الثورة الاجتماعية والنظام الثورى . ومن بين هذه الطبقات يبرز دور الطبقة العاملة فى مواجهة اعباء المرحلة الراهنة .. وهى القضية التى يعرض لها كاتب هذا المقال من خلال المسئولية التاريخية للعمال فى بناء الاشتراكية .

د. عبد الرءوف أبو علم

ان الحديث عن دور العمال فى المرحلة الحالية امر سليم، تفرضه الظروف الموضوعية التى تحيط بنا . فالاعتداء الاستعمارى الاسرائيلى فى الخامس من يونيه الماضى ، يهدف فيما يهدف الى الاطاحة بنظامنا الاشتراكى ، والعمال اصحاب المصلحة الاساسية فى التحول الاشتراكى لابد وان يكونوا طليعة جيش المقاومة فى الداخل والخارج .

ودور العمال لايمكن الوقوف به على حدود جمهوريتنا ، فالاعتداء منذ يومه الاول ضرب اكثر من دولة عربية فى وقت واحد ، واثر فى المنطقة كلها بهدف تصفية النظم التحررية فيها ، واخضاع المنطقة كلها لنفوذه ، وهذا يفرض علينا الامتداد بدور العمال الى المجال العربى ... فالطبقة العاملة العربية كلها فى المعركة ، ومصيرها مرتبط بمصير المعركة نفسها .

كما ان تطور الاحداث منذ الخامس من شهر يونيه الماضى اوضح بصورة كبيرة عمق دولية المعركة ، وان ابعادها الحقيقية ليست بين العرب واسرائيل وحدها ، بل انها جزء من صراع دولى عنيف بين قوى التحرر والتقدم وقوى الاستعمار والاستغلال ، لهذا كان المجال الدولى له اهمية خاصة ، والتأثير على الرأى العام العالمى والسياسة الدولية لم يعد مسئولية الحكومات وحدها ، بل هو فى نفس الوقت مسئولية جميع التنظيمات الشعبية التى لها نشاط دولى ، وهذا يفرض علينا مرة اخرى الامتداد بدور العمال العرب الى المجال الدولى ، ومناقشة نشاطهم على هذا المستوى .

العمال والاشتراكية

ان مفهوم النقابية السياسية الذى يربط كفاح العمال بكفاح الشعب كله ، والذى يؤمن بالنضال السياسى لانتزاع السلطة السياسية من يد الرأسمالية الحاكمة المستغلة ، يهدف فى النهاية الى القضاء على استغلال الانسان للانسان ،

وهذا لايتأتى الا بالقضاء على النظام الرأسمالى واحلال النظام الاشتراكى محله .

لهذا كان تحولنا الى الاشتراكية الذى اعلناه فى يوليةعام ١٩٦١امر يهم الراسمالية والاستعمار على المستوى الدولى ، ولا يمكن ان تقف آثاره ونتائجه داخل حدودنا ، ان تصفية هذا النظام لابد اذن وان يكون هدفا من اهداف الاستعمار والرأسمالية ، خصوصا وانه بعد اعوام قليلة من بدء التحول ، بدات دول اخرى فى المنطقة العربية تنهج المنهج الاشتراكى ، وان كان بطرق ودرجات مختلفة ، والمنطقة العربية لها موقع جغرافى واستراتيجى بالغ الاهمية فجزء منها فى افريقيا والآخر فى آسيا ، وتكون الحدود الشرقية والجنوبية للبحر الابيض المتوسط وتمد بداخلها قناة السويس ، كما ان ثرواتها الطبيعية المتمثلة فى الوقت الحاضر فى البترول هامة للاقتصاد الرأسمالى .

ان العمال اذن هم من اسباب المعركة ، وارجاعهم الى ما كانوا عليه سلعة فى السوق الرأسمالى يستغلها الرأسماليون،هدف من اهداف المعركة ، وعلى ضوء هذا يجب عليهم :

● الوقوف خلف قيادتهم التى قادتبهم معارك التحول الاشتراكى منذ عام ١٩٦١ ، بكل مايحمل هذا الوقوف من ثقة وتأييد . ان المعاركـكما انها فى حاجة الى جند مدافعين،فى حاجة ايضا وبنفس القدر الى قيادة واعية مدربة ، ان ثقة الجنود فى قيادتها مع ايمانهم باهداف المعركة ، عامل أساسى ورئيسى لاحراز النصر النهائى .

ان التحول الاشتراكى الذى أتى لمصلحة الطبقة العاملة له اعداؤه فى الداخل والخارج ، وهؤلاء فى النهاية يمثلون عناصر الثورة المضادة، وكل ثورة لابد لها من ثورة مضادة من هؤلاء الذين تأثرت مصالحهم الاساسية بالثورة ، وهذا يفرض على العمال تعبئة كاملة من جانبهم خلف قيادتهم الاشتراكية ، فالقيادة الاشتراكية تستمد قوتها من جماهيرها ، ومن ايمان الجميع بعدالة القضية التى يدافعون من اجلها .

والقيادة الاشتراكية فى حاجة الى قيادات عمالية واعية وهذه هى مسئولية العمال فى المقام الاول ، فعلىجماهير العمال ان تحذر منالقيادات الانتهازية والرجعية التى تحاول استغلال ثقة العمال ، بحمل بعض الشعارات الاشتراكية ، لتمييع حركتهم وتمييع القضية التى يكافحون من اجلها .

ان القيادات النقابية الانتهازية والرجعية جزء من الثورة المضادة ، بل هم من اخطر اجزائها لانهم بحكم مواقعهم النقابية يمكنهم التأثير على حركة العمال وحركة الجماهير ... ومن هنا تكون خطورتهم البالغة ، واكتشاف هذه القيادات وكشفها وابعادها عن المواقع النقابية مسئولية العمال الاولى .

● ان المعركة ليست مجرد معركة عسكرية ، بل انها نضال طويل بين نظامين ، وهذا يفرض وعى جميع المواطنين بابعادها واشتراكهم فيها اشتراكا فعالا ، وهذا يفرض واجبا سياسيا على التنظيمات العمالية ، هو واجب التوعية بين جماهير العمال بالابعاد الحقيقية للمعركة حتى يخوضها كل فرد من افراد هذا الشعب ، وهذه هى طبيعة معارك الشعوب ، لا تتحدد فى المواقع العسكرية بين قوى عسكرية ، حيث الميزان فى صف الاستعمار والرأسمالية ، بل على مستوى الشعوب والجماهير ، والتنظيم النقابى عندنا لديه امكانية حركة واسعة فى هذا المجال ، فهو يضم حوالى ١ر٣ مليون عضو منتظمين فى حوالى ستة آلاف لجنة نقابية علىمستوىعمال الصناعة والزراعة والتجارة والخدمات والمرافق والحكومة فىجميع انحاء الجمهورية ..فمن الممكن ان تتحول كللجنة من هذه اللجان الى مركز توعية سياسية، ليسلاعضائها فقط بل ولغير اعضائها من المقيمين بالقرب منها ... مع توعية مبسطة واضحة على اساس فكرى موحد .

● ان حرب اليوم،فىحاجة الىقاعدة اقتصادية قوية، وهذا بدوره يفرض على العمال والتنظيمات العمالية دورا اقتصاديا،بصفتهم منتجين،ومديرين للانتاج ، ومستهلكين .

ان القضاء على الملكية الفردية لوسائل الانتاج وتحويل العمال الى ملاك بنقل هذه الملكية اليهم يلقى على عاتقهم بدور هام فى معركة الانتاج ، ويصبح الانتاج هو احد التحديات الحقيقية التى تواجه العمال ، ويستطيعون بالتغلب عليها ان يدعموا التحول نحو الاشتراكية . ويسجلوا ارتفاعا حقيقيا فى مستوى معيشة العاملين .
واذا كانت التنظيمات النقابية قد قصرت منذ التحول الاشتراكى حتى الآن فى القيام بدورها فى معركة الانتاج ، فان المرحلة الحالية تلح عليها فى تحمل هذه المسئولية . .

واول مهامها فى هذا الشأن الاشتراك الفعال فى اعداد الخطة ثم النزول بها الى جماهير العمال، حتى يرتبط كل عامل بها على مستوى وحدته الانتاجية ، ويعرف بوعى كامل ، المطلوب منه ومن وحدته ، ويلتزم مع جميع العاملين بالوحدة على تحقيق الخطة فى مواعيدها ، وذلك مع تعميق مفهوم الملكية الجماعية ، وما يفرضه ذلك من صيانة الآلات وحسن استخدام المواد الخام ،

واطلاق الطاقات الخلاقة المبتكرة لتطوير الانتاج وتحسينه .... الخ ».

والعمال ايضا لهم دور في ادارة الانتاج يتمثل في وجودهم داخل مجلس الادارة ، ولابد أن يأخذ وجودهم اليوم معنى جديدا يبعدهم عن سلبيات الماضي ، ويدفع بهم الى مشاركة فعالة ، وتعاون واع مع الادارة لرفع الانتاج وزيادته تدعيما للقاعدة الاقتصادية ، حتى يمكنها مواجهة تحديات الحصار الاقتصادى ، وفقدان بعض الموارد كنتيجة مباشرة للعدوان ، والانكماش في الاستثمارات الجديدة لمواجهة الاعباء العسكرية العاجلة .

والعمال وعائلاتهم يمثلون الجزء الاكبر من المستهلكين ، والتقشف في مثل هذه الحالات امر مفروغ منه لانه ضرورة يفرضها الواقع ، على ان التقشف لابد وان يكون نابعا عن وعي حتى يحقق اهدافه ، فالحد من الكماليات عموما ، وتقليل استهلاك المستورد ، والقابل للتصدير بديهيات لازمة ، على ان حملة التقشف لابد وان تنزل الى كل اسرة وكل فرد فيها حتى تتم عن وعي ورضاء واطمئنان ، نابعة من الشعب لا مفروضة عليه .

وهذه التضحيات والمسئوليات الاقتصادية قام بها العمال في مجتمعات اشتراكية اخرى ، مرت بمثل ظروفنا ، بصورة اوسع من تلقاء انفسهم وبرضاء كامل ، ان وعي العمال بالمعركة وارتباطهم الكامل بها ، وايمانهم بأهداف النضال التي تمثل في نفس الوقت اهدافهم ، هو الذى يجعل منهم طليعة المدافعين في جميع مجالات العمل المطلوبة ».

● ان الاعتداء يوم بدأ لم يقف على حدودنا بل امتد الى دول عربية اخرى .. الى سوريا والاردن ، وهو بذلك كان اعتداء موجها الى الامة العربية كلها ، ومهددا لامنها ووحدتها ، وهذا دفع العمال العرب في جميع انحاء الوطن العربى الى المعركة بقوة وعنف ، وحركة العمال العرب الاعضاء في تنظيمات نقابية ، والذين يقدر عددهم بحوالى خمسة ملايين ، لايصح ان تترك للتلقائية بل لابد من تنظيمها وتعبئتها وتوجيهها ، والمفروض ان الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب هو التنظيم الذى يضم هذه الملايين ، والذى تقع عليه المسئولية الاولى ، واذا كان اتحاد العمال العرب قد تخلف في الماضي في بعض المعارك العربية ، فان معركة اليوم تعتبر للعمال العرب معركة مصير ، وستحدد نتائجها شكل المنطقة وشكل مجتمعاتها لاعوام عديدة قادمة ، والتعرض لاتحاد العمال العرب ، لابد وان يمس بالضرورة الاتحاد العام للعمال ، فاتحاد العمال العرب يمثل في حقيقة الامر الاتحادات العمالية العربية الاعضاء به ، ولا يمكن ان يكون الا تعبيرا عن هذه العضوية بكل مافيها من ايجابيات وسلبيات ، وتقع على الاتحاد العام للعمال في هذا الشأن مسئولية كبيرة مستمدة من كونه اكبر الاتحادات العمالية العربية واقدمها واكثرها خبرة وتجربة ، ويمثل الطليعة الاشتراكية للعمال العرب ، كما يمثل قاعدة وقيادة النضال العربى ، مضافا الى ذلك ان القاهرة هي مقر السكرتارية الدائمة لاتحاد العمال العرب ، والامين العام له أحد اعضاء الاتحاد العام للعمال ، ان تنشيط اتحاد العمال العرب ليقود جماهير اعضائه في هذه المعركة على جبهاتها المختلفة العسكرية والاقتصادية والسياسية والدولية امر لازم وضرورى ، لا تكفى فيه البيانات والبرقيات ، بل التحام الاتحاد بقاعدته ، والتوعية العميقة المستمرة والجهد الشاق المتواصل .

ان حركة العمال العرب ضرورة لتدعيم واستكمال الجهد الحكومي العربى ، ان الجهد الحكومي يخضع لاعتبارات ومجاملات وحسابات دبلوماسية ، وهو لذلك في حاجة دائمة الى حركة التنظيمات الشعبية ورقابتها والضغط من جانبها.

● ان دولية المعركة التي فرضها علينا الاستعمار، تدفعنا الى الاهتمام والتركيز على السياسة الدولية ، على المستوى الحكومي والمستوى الشعبى . ان الاتحاد العام للعمال والتنظيمات النقابية العربية كلها في حاجة الى ممارسة الدبلوماسية الشعبية ... والى الاتصال المباشر بالحركات العمالية في مختلف دول العالم لكسب اكبر عدد ممكن منها لقضيتنا ، ان اسرائيل تعتمد اعتمادا كبيرا على «الهستدروت» ونشاطه الدولى امر معروف للقيادة العمالية العربية ، وعلى وجه الخصوص في القارة الافريقية ، ولذلك لم يكن مستغربا تخلف عدد كبير من الحركات العمالية الافريقية عن تأييدنا ، ان التنظيمات العمالية تمثل الآن قوة كبيرة داخل دولها ، وفي العديد منها تعتبر قوة ضاغطة رئيسية على الحكومات فيها ، وفي بعض الدول الافريقية تشارك الحركة العمالية في ادارة جهاز الدولة ، وتتولى بعض القيادات النقابية مراكز سلطة حكومية ، لذلك كان الاتصال بهذه الحركات العمالية وقياداتها امر واجب، وهو في الاساس مسئولية العمال العرب وتنظيماتهم النقابية .

على ضوء هذا يتبادر الآن سؤال ، هو كيف يمكن للاتحاد العام للعمال ان يقوم بهذه المهام والمسئوليات السياسية والاقتصادية والدولية .

أولا — ان نقطة البداية هي نزوله للجماهير، لقاعدته العمالية، ان المرحلة الحالية لا تتطلب قرارات علوية مهما كانت قوتها وبلاغتها، ومهما طالبت العمال بتضحيات، ان المعركة في حقيقتها ليست مجرد ساعة عمل اكثر او اقل، بأجر او بدون اجر، وليست مجرد تخفيض في بعض البدلات، انما هي معركة الانسان العربي، معركة العامل العربي، معركة توعية العامل العربي بأبعاد المعركة،وحقيقتها واهدافها ... واذا تمت هذه التوعية بنجاح .. واقتنع العامل العربي انه يخوض معركته من اجل بقائه وتحسين حاله، فسوف يقدم من التضحيات اكثر بكثيرمما يمكن ان تطالبه بها قرارات..سوف يقدم حياته عن رضاء واقتناع،انها في سبيل تحقيق حياة افضل له ولابنائه، ان جماهير العمال ليست في حاجة الى وصاية وطبيعة المعركة وعمقها تفرض النزول بها الى جماهير العمال، والصعود بما لديهم من آراء ومقترحات ».

ثانيا — وهذه التوعية تتطلب كوادر معدة، وقيادات حائزة لثقة القاعدة، يعبر سلوكها الاشتراكي عن القدوة الحسنة لجماهير العمال، ان القيادة في اى تنظيم واى وقت قادرة على تدعيم ثقة الجماهير او تحطيمها .. وذلك بطريقة سلوكها، فاذا نادت القيادة العمالية اليوم بالتقشف، وبتخفيض ساعة العمل ثم استمر بعضها في العمل في اكثر من جهة، نقابية وسياسية وادارية وتشريعية ومجالس ادارة مؤسسات عامة ... الخ، حاصلا على اجر او مكافأة او بدل من كل جهة، او من بعضها، مع تحايل في طريقة الحصول عليه، وتسميته بشتى المسميات، حتى يتمشى مع الاوضاع الجديدة، واذا نادت بعض القيادات بتفانى العمال في المعركة لان معركة الاشتراكية معركتهم، والدفاع عنها ضد عناصر الثورة المضادة في الداخل واجب عمالي، ثم تهاونت هذه القيادات مع البرجوازية وتحالفت معها، وارتفعت بوضعها المادى الى طبقتها ... انهارت ثقة العمال ايضا، وزاد شكهم وضعفت عزيمتهم.

ان الاتفاق على هاتين النقطتين يقودنا الى قضية التنظيم النقابى نفسه، والى قدرته على القيام بهذه المهام، والتنظيم لابد وان يكون قويا حتى يمكنه تحمل هذه المسئوليات والقيام بها، والقوة في التنظيم النقابى تعنى في الاساس .

أ — تحديد المفهوم الاشتراكي للنقابية، وجعله اساس برامج التوعية والثقافة العمالية، والنزول به الى جماهير العمال عن طريق الاجتماعات والندوات والصحافة العمالية، ضمانا لوحدة الفكر ووضوح الرؤيا، كما انه يساعد التنظيم على تحديد خطته وسياسته الدولية .

ان عدم تحديد هذا المفهوم بوضوح حتى الآن تسبب عنه بلبلة بين جماهير العمال، كما انه من الاسباب الرئيسية في استمرار ارتباط بعض النقابات العامة حتى يومنا هذا باتحادات عمالية دولية مهنية، مرتبطة بالاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة ».

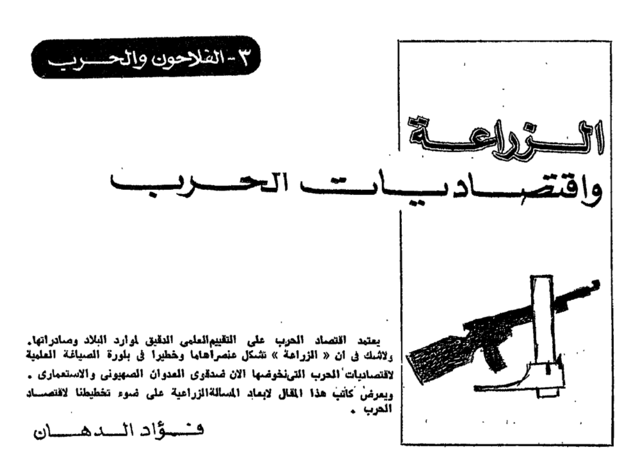
ب — اعادة بناء التنظيم النقابى على اساس هذا المفهوم، وبالتالى تخليصه من المعوقات التى تصاحب المفهوم الراسمالى للنقابية، والتى عانى ومازال يعانى منها التنظيم النقابى، فعلى سبيل المثال يرفض المفهوم الاشتراكى للنقابية وجود اى وصاية ادارية على التنظيم النقابى ويلح على تسلم التنظيم جميع اختصاصاته سواء في ادارة شئون نفسه على جميع مستوياته، او ادارة بعض المؤسسات العمالية مثل مؤسسات التأمينات الاجتماعية والتأمين الصحى، والتأمين ضد البطالة، والثقافة العمالية، والتدريب المهنى ... الخ ».

كما يرفض المفهوم الاشتراكى للنقابية ايضا قصر التنظيم النقابى على قلة من العمال، ويصر على توسيع قاعدة العضوية بحيث تضم الغالبية الكبرى من العمال، وهذا يتم تلقائيا كنتيجة لهذا المفهوم عندما تحس القاعدة العمالية بحركة التنظيم وفاعليته واخلاص قيادته في خدمة اهداف القاعدة والمجتمع ».

جـ — توفير الضمانات الديمقراطية لتحرك التنظيم ونشاطه، واخيرا فان توافر المناخ الديمقراطى شرط اساسى لتحرك التنظيم وقيامه بمسئولياته، سواء كان ذلك داخل التنظيم او خارجه، ان الديمقراطية داخل التنظيم نفسه شرط اساسى لحركته ونشاطه، كما ان المناخ الديمقراطى العام هو الذى يمكن التنظيم من التعبير عن نفسه، وتحقيق اهداف اعضائه واهداف المجتمع .

ان تحديد المفهوم الاشتراكى للنقابية، واعادة بناء التنظيم على اساس هذا المفهوم، وتوفير الضمانات الديمقراطية لحركته ونشاطه، من شأنها ان تخلق منه تنظيما قادرا على قيادة العمال في المرحلة الحالية، وقيادة المجتمع في فترة تحوله نحو الاشتراكية، والمرحلة الحالية التى تضيف الى مسئولية الاستمرار في البناء الاشتراكى — مسئولية مواجهة الثورة المضادة، التى شنت علينا حربا من الخارج، وتستعد لضربات شديدة في الداخل، تفرض على العمال وتنظيماتهم النقابية خوض المعركة بكل قوة ووعى ويقظة .. على المستوى الوطنى ... والمستوى الدولى ».

الزراعة واقتصاديات الحرب



يعتمد اقتصاد الحرب على التقييم العلمي الدقيق لموارد البلاد ومصادراتها. ولاشك فى ان « الزراعة » تشكل عنصراهاما وخطيرا فى بلورة الصياغة العلمية لاقتصاديات الحرب التى نخوضها الان ضد قوى العدوان الصهيونى والاستعمارى . ويعرض كاتب هذا المقال لابعاد المسالة الزراعية على ضوء تخطيطنا لاقتصاد الحرب .

فؤاد الدهان

كان نصيب القطاع الزراعى من الاجراءات الاخيرة التى اعتمدت عليها الميزانية الجديدة لمواجهة آثار العدوان هو فرض ضريبة امن قومى بواقع ٢٥٪ من ضريبة الدفاع المفروضة اصلا على الاطيان الزراعية ، وتبلغ ضريبة الدفاع عليها ٥ر١٠٪ من القيمة الايجارية اى ٤/٣ قيمة الاموال المربوطة على الفدان على اساس ان القيمة الايجارية للفدان تبلغ سبعة امثال الضريبة وبهذا تكون ضريبة الامن ٦٢٥ر٢٪ من القيمة الايجارية أى أقل من خمس الاموال المربوطة على الفدان .

وقد فرضت ضريبة الامن القومى على الدخول فى جميع قطاعات المجتمع ، الا ان سعرها بالنسبة للعقارات المبنية وايرادات القيم المنقولة والارباح التجارية وكسب العمل بلغ نصف ضريبة الدفاع المفروضة اصلا بدلا من الربع كما هو الشأن بالنسبة للاراضى الزراعية . وقد صرح وزير الخزانة فى المؤتمر الصحفى الذى أذيعت فيه أسس الميزانية بأن ذلك يرجع الى الظروف التى تعرض لها الانتاج الزراعى هذا العام والى الزيادة التى كانت قد طرأت على ضريبة الاراضى الزراعية سنة ١٩٦٦ .

وبالاضافة الى هذه الضريبة فقد تقرر تعديل القواعد الخاصة بالعمولة المفروضة على السلف الزراعية ، فأصبحت ٤٪ على السلف الزراعية القصيرة الاجل و٥٪ على السلف المتوسطة والطويلة الاجل مع تقرير غرامة تأخير قدرها ٧٪ على السلف التى لا تسدد فى مواعيدها ، وهذه الفئات تنطبق على جميع الحائزين أيا كانت حيازاتهم ، فى حين أن القواعد السابقة التى صدرت فى ١٩٥٦ كانت تفرض العمولة بواقع ٤٪ من السلف على الحائزين لاكثر من عشرة افدنة ، مع اعفاء من تقل حيازاتهم عن ذلك الحد ، وفرض غرامة تأخير بواقع ٦٪ على كافة المتاخرين . وقد اتخذ هذا الاجراء لمعالجة مشكلة تأخير سداد السلع الزراعية بعد أن بلغت المديونيات المتاخرة ٤٢ مليون جنيه ، وبلغ عدد الفلاحين المدينين مليونا و ٨٠٠ الف مزارع .

مواجهة العدوان بالارقام

ان مواجهة العدوان تستلزم المشاركة الشاملة لجميع قطاعات المجتمع بأقصى ما يمكنها بذله من تضحيات نضالية وتعبئتها جميعا من اجل توفير مستلزمات النصر فى المعركة التى نخوضها ، ومن اهم هذه المستلزمات تحقيق توازن اقتصادى جديد يتفق مع الظروف التى طرأت بعد العدوان ويضمن استمرار عجلة الانتاج وتقدمها دون ان تنقلب موازين العدالة التى تهدف الاشتراكية الى تأكيد

دعائمها . فلقد ترك العدوان آثارا بعيدة على الموارد التي يعتمد عليها اقتصادنا وتستند اليها خططنا الاستثمارية ، ومجابهة هذه الاثار لا تستغنى عن اى طاقة فى المجتمع بحيث يرتفع البذل كلما زادت القدرة ليس فقط بدافع العدالة وتمكين المبادىء الاساسية لمجتمعنا ولكن ايضا حتى يتوفر لهذه المجابهة اقصى فعالية ممكنة . ومن هذه الزاوية نناقش مدى مساهمة القطاع الزراعى فى اقتصاديات الحرب فى اطار التعبئة الشاملة المفروضة على المجتمع كله .

طبقا لارقام الميزانية يبلغ مجموع العجز المالى الذى يتعين مجابهته بعد العدوان مبلغ ٤٣٢ مليون جنيه ، عبارة عن ١٧٢ مليون جنيه قيمة العجز فى الايرادات و١٢٥ مليون جنيه عجز فى الموارد الراسمالية التى كان من المتوقع تحقيقها نتيجة تأثر قدرة الشركات على تحقيق الفائض وضبط التسهيلات الائتمانية و٥٩ مليون جنيه زيادة الاعباء لتقوية امكانياتنا الدفاعية يضاف اليها ٧٨ مليون جنيه قيمة العجز فى الميزانية التى كانت مقدمة لمجلس الامة قبل العدوان والتى كان من المتوقع موازنتها عن طريق فرض اجراءات ضريبية وسعرية جديدة . وقد تمت الموازنة فى الميزانيه على اساس ١٨٩ مليون جنيه خفض فى الاستثمارات الجديدة و٧٩ مليون جنيه قروض ومعونات من الدول الصديقة ، و٧٢ مليون جنيه خفض المصروفات الجارية ، و٥٣ مليون جنيه وفرتها الاجراءات الضريبية والسعرية الجديدة و٤١ مليون جنيه عجز سيتم تمويله بالاقتراض من الجهاز المركزى .

وبالنظر الى هذه الارقام نظرة شاملة تبدو بعض الملاحظات ذات الدلالة غير المباشرة بالنسبة لدور الزراعة فى اقتصاديات الحرب

فيلاحظ **أولا** ان الاجراءات الضريبية والسعرية وفرت ٥٣ مليون جنيه وهو اقل من مبلغ العجز الذى كانت تعانى منه الميزانية اصلا قبل العدوان وقدره ٧٨ مليون جنيه والذى كان مفروضا مجابهته عن طريق مثل هذه الاجراءات .

ويلاحظ **ثانيا** وجود عجز قدره ٤١ مليون جنيه سيمول عن طريق الاقتراض من الجهاز المركزى ، وهذا التمويل سيترتب عليه بالضرورة نتائج تضخمية تؤدى الى زيادات غير مخططة وغير محسوبة فى الاسعار لا يمكن التحكم فى مقدارها ومدى انتشارها بين السلع المختلفة ، وتؤثر بالتالى على تقديرات الخطة وحساباتها وتخل بتوازناتها ، وتفرض تضحيات على فئات الشعب المختلفة درجات متفاوتة بعيدة عن العدالة . ومثل هذه الزيادات غير المرسومة فى الاسعار تساعد فى خلق السوق السوداء وايجاد الفئات الاستغلالية التى تضارب عليها .

ويلاحظ **ثالثا** ان اكثر من نصف العجز المترتب على العدوان بصفة مباشرة قد غطى عن طريق خفض قيمة الاستثمارات الجديدة ، وقد بلغت قيمة هذا الخفض حوالى ٤٥٪ من الاعتمادات التى كانت مخصصة للاستثمارات الجديدة قبل العدوان . ولاشك ان هذا الخفض يمثل نسبة كبيرة من شأنها ان تؤثر الى حد كبير فى امكانيات تحقيق معدل للتنمية يسمح بتعزيز مطرد النمو لقدراتنا الاقتصادية واضطراد التنمية بأقصى ما نستطيع من اهم عوامل النضال الاقتصادى فى معركة طويلة الامد وضارية . والسؤال الذى يتبادر الى الذهن بعد أن حددنا طريقنا وهو طريق النضال فى جميع القطاعات وبكافة الاسلحة ، هل هذه الصورة التى تعكسها الميزانية تمثل بالفعل المدى الحقيقى لما يمكن ان تصل اليه طاقة شعبنا فى مجال النضال الاقتصادى ؟ الا يمكن لوحداتنا الاقتصادية مثلا ان تكيف نفسها تكيفا اكبر مع الظروف الجديدة بحيث توفر اكبر قدر ممكن من مبلغ الـ ١٢٥ مليون جنيه الذى يمثل العجز فى الموارد التى كان من المتوقع تحقيقها نتيجة لتأثر قدرة هذه الوحدات على تحقيق الفائض وذلك بزيادة الكفاءة الانتاجية وضغط المصروفات الى حد أبعد مما هو واقع فعلا ؟ الا يمكن لقطاعاتنا المختلفة — وبالذات القطاع الزراعى — أن تقدم مساهمة اكبر فى التضحية المطلوبة .

قدرة اكبر وتضحية اقل

المقياس الذى نقاس به التضحيات خلال المعارك المصيرية هو مدى اتفاقها مع امكانيات البذل ومدى ارتقائها الى المستوى الذى بلغته فى القطاعات الاخرى .

وبالمقارنة بين قطاع الزراعة وقطاع العاملين من هذه الناحية لوجدنا ان ضريبة الأمن القومى هى التى مست اساسا وبصفة مباشرة الدخول الزراعية ، اما فى قطاع العاملين فبالاضافة الى فرض نفس الضريبة وبسعر مضاعف على المرتبات فانه ترتب على الاجراءات الاخيرة تخفيض بدلات التمثيل الى نصف ما كانت عليه فى عام ١٩٦٤ وتخفيض البدلات الاخرى بنسبة ٢٥٪ مع الغاء المكافآت التشجيعية ومنحة الانتاج التى كانت تصرف سنويا وخفض اعتمادات الاجور الاضافية الى اضيق الحدود ، وزيادة نسبة الادخار الاجبارى الى ٥ر٢٪ من الاجر ، بالاضافة الى قرار الاتحاد العام للنقابات تنازل جميع

العاملين عن الارباح النقدية التي كانوا يصرفونها سنويا لصالح المجهود الحربي .

ويبلغ مجموع حصيلة ضريبة الامن القومي من جميع القطاعات بما فيها الزراعة مبلغ ١٧ مليون جنيه وفقا لارقام الميزانية ، ولا شك أن نصيب القطاع الزراعي من هذا المبلغ لا يمثل الا نسبة صغيرة خاصة وأن سعر الضريبة بالنسبة للاراضي الزراعية هو نصف سعرها بالنسبة لحالاتها الاخرى . هذا في حين أن حصيلة الارباح التي تبرع بها العمال تبلغ وحدها ٦ ملايين جنيه وحصيلة الادخار الاجباري ٥ر٦ مليون جنيه وحصيلة التخفيضات في البدلات والمكافآت والاجور الاضافية والغاء المنحة وغيرها ٩ر٢٥ مليون جنيه ».

ومن ناحية أخرى فان ضريبة الامن القومي المفروضة على الاطيان لا تتدرج مع تدرج المستويات الاجتماعية في الريف ، فسعرها موحد لان الضريبة التي تستندإليها وهي ضريبة الاطيان موحدة دون اعتبار للمساحة المملوكة ، في حين انها بالنسبة للعاملين قد تدرجت من ٧٥ر٠٪ للمرتبات التي تقل عن ٤٠٠ جنيه في السنة فاذا زادت عن ذلك تصبح الضريبة ٢٥ر١٪ عن الـ ٤٠٠ جنيه الاولىو ٥ر٢٪ عن الـ ٤٠٠ جنيه الثانية و٣٪ على ما زاد عن ذلك . كما أن الجانب الاكبر من التخفيض في الاجور والبدلات قد وقع عبؤه على اصحاب المرتبات الكبيرة وشاغلي المناصب الرئيسية وهكذا راعت الاجراءات المفروضة على العاملين السير نحو تحقيق درجة أعظم من العدالة الاجتماعية وتضييق الفوارق الشاسعة بين مرتبات كبار العاملين وصغارهم

لقد صرح وزير الخزانة ان تخفيض نسبة ضريبة الامن على الاراضي الزراعية انما يرجع الى الظروف التي تعرض لها الانتاج الزراعي هذا العام والزيادة التي كانت قد طرأت على ضريبة الاراضي الزراعية سنة ١٩٦٦ . وليس هذا بالمبرر المقنع في مثل الظروف الحالية التي نمر بها ».

ان اعادة تقدير ضريبة الاطيان تمت بعد أن ظلت عشرات السنين دون تعديل وحتى تتناسب الى حد ما مع التقدير الصحيح لريع الارض ، ومع ما تتحمله الاستثمارات العامة من أعباء في خدمة الانتاج الزراعي . واذا كان الزراع قد تحملوا في العام الماضي بعض المشقة نتيجة لشدة اصابة محصول القطن وما ترتب عليها من هبوط المحصول وارتفاع تكلفة المقاومة فقد كانت المحاصيل الشتوية هذا العام في مجموعها مرضية كما ان التقديرات تشير الى محصول ناجح للقطن هذا العام . وقد أعلنت في فبراير الماضي الزيادات الكبيرة التي اضيفت الى اسعار القطن هذا العام في كل الاصناف وفي جميع الرتب بهدف تعويض الزراع عن اصابة العام الماضي وتبلغ هذه الزيادات ٣ ريالات للقنطار بالاضافة الى العلاوات التشجيعية لحث المنتج على العناية بنظافة اقطانه ونقاوتها وهي تتدرج في الاقطان الطويلة التيلة من ٣ ريالات للقنطار رتبة جود حتى تصل الى ٥ر١٢ ريال للقنطار من الرتب العالية وفي الاقطان الطويلة الوسط من ريالين الى ٨ ريالات للقنطار.

والزراعة تقدم ٣٣٪ من دخلنا القومي ، وقد زاد الدخل القومي من الزراعة خلال الخمسة عشر عاما الماضية بما يقرب من الضعف نتيجة للتوسع في مشروعات تحسين الري والصرف وتنظيم الدورة الزراعية وتوفير الخدمات الزراعية واستزراع الاراضي الجديدة وتحسين الاراضي الضعيفة ورفع انتاجية الارض . فمثلا ارتفع متوسط انتاج الفدان من القمح من ٥ر١٨ اردب في ١٩٥٢ الى ٥ر٧ اردب في ١٩٦٦ نتيجة لاستخدام الاصناف الجديدة التي تم استنباطها. ولقد تحقق تقدم كبير في اقتصاد المزارعين ملاكا أو مزارعين وتهيأت لهم بدرجة أكبر سبل الاخذ بالاساليب الحديثة في الزراعة نتيجة لتدخل الدولة بكافة اجهزتها المتخصصة واستثماراتها بهدف التأثير الايجابي في الانتاج الزراعي لصالح العاملين فيه .

ويتضح من الاحصاءات أن المساحات التي يتراوح حجمها بين ٢٠ و٥٠ فدانا قد اتجهت نحو الزيادة خلال الفترة التي استغرقها تطبيق الاصلاح الزراعي من ١٩٥٢ الى ١٩٦٣ فأصبحت تمثل ٤ر١٣٪ بعد ان كانت ٩ر١٠٪ بالرغم من العوامل الطبيعية التي تؤدي الى تفتيت الملكية بسبب الارث ، أي أن المكاسب التي تحققت لافراد هذه الطبقة تدفعهم الى شراء الارض من صغار الملاك .

من كل حسب طاقته

لا شك أن قطاع الزراعة يمكنه ويتعين عليه أن يساهم بقدر اكبر مما هو قائم فعلا في الاعباء الاقتصادية للمرحلة المصيرية التي نمر بها . ويتعين توزيع عبء هذه المساهمة بحيث تتدرج وفقا لمستويات الملكية والحيازة السائدة في الريف وتضمن تحقيق عدالة اجتماعية أوسع وتحقق خطوة جديدة على طريق تذويب الفوارق بين الطبقات . فالمجتمع الريفي لا يمكن النظر اليه كوحدة واحدة متناسقة لا تمييز فيها بين كبار الملاك ومتوسطيهم وصغارهم، بل يجب ان يترتب

على تفاوت المستويات المعيشية تفاوت مقابل فى مدى التضحيات المطلوبة من كل فرد . فالواقع ان ١ر٢٪ من مجموع الملاك فى الريف يمتلكون اكثر من ٢٠ فدانا وتبلغ نسبة المساحات المملوكة لهم حوالى ٢٩٪ من مجموع الاراضى ، كما ان ٤ر٠٪ من مجموع الملاك يمتلكون أكثر من ٥٠ فدانا وتبلغ المساحات المملوكة لهم ٢ر١٥٪ من مجموع الاراضى . ولا شك ان الملكيات الكبيرة فى مستوياتها العليا تؤهل أصحابها للتمتع بمستويات معيشية لا تقل ان لم تزد كثيرا عن أعلى مستوى يمكن أن تحققه الوظيفة العامة فى أعلى درجاتها ، وقد وصلت نسبة الاعباء الجديدة التى نحملها شاغلو المناصب الكبيرة فى الدولة ووحداتها الاقتصادية الى ١٧٪ من مرتباتهم بالاضافة الى الضرائب المفروضة عليهم أصلا . ولا يوجد مبرر يحول دون أن تتحمل الدخول المماثلة الناشئة عن استغلال الارض قسطها العادل الذى يتساوى مع ماتتحمله دخول العاملين مع مراعاة التدرج وفقا لحجم الملكية او الحيازة .

ان كبار الملاك الزراعيين قد تعودوا فى مستوياتهم المعيشية المرتفعة على كثير من العادات المظهرية والترفيهية التى قد يشعرون معها بصعوبة التنازل عن بعضها ، شأنهم فى هذا شأن أصحاب الدخول الكبيرة فى اى قطاع من قطاعات المجتمع الذين قد لا يجدون مبررا لحياتهم الا فى التسابق نحو تحقيق مظاهر الترف والرفاهية ومثل هؤلاء تمتد عدوى تطلعاتهم وتشمل فئات اخرى فى المجتمع وتؤثر على مناعتهم النضالية ومواقفهم الفكرية فى مواجهة الاخطار المحدقة بواقعنا . لقد ورد فى بيان الحكومة فى المؤتمر الصحفى الذى اعلنت فيه الميزانية الجديدة «ان واجب كل مواطن ان يضع اهداف النضال أمامه دائما وان يكيف معيشته حسب الظروف الجديدة وان الاعباء التى سيتحملها كل منا هى أعباء ضئيلة بالمقارنة بخطوره المعركة التى تواجهنا» فلا يجب بالتالى أن نضعف أمام التطلعات الضارة التى تسد طريق الاندفاع الثورى ونخضع لها ، وعلى الرأسمالية الوطنية فى الريف — وخاصة فى شرائحها العليا — ان تكيف نفسها فى معيشتها كما فعلت الطبقة العاملة فى مجتمعنا فالتضحيات الكبيرة التى ارتبطت بها بالرغم من مستويات معيشتها المنخفضة نسبيا يجب أن تصبح مثالا يدفع الرأسمالية الوطنية فى الزراعة الى درجة من نكران الذات وتقبل قدر أكبر من التضحيات . ان العاملين لم يكتفوا بتقبل التضحيات المفروضة عليهم بل سارعوا بحماس وتقدير للمسئولية منقطعى النظير الى المشاركة الاختيارية فى بذل تضحيات اضافية مثل حركة التبرع بأجر يوم والعمل ساعات اضافية بدون مقابل والتبرع بالارباح السنوية التى كانت تصل فى المنشآت الناجحة التى تصرف الحد الاقصى الى مبلغ ٥٠ج سنويا لكل عامل ، وهى تضحيات اذا قيست بمستوى حياة العامل الصغير لبرزت أهميتها واتضحت خطورتها .

نحو ضريبة عادلة على الاستغلال الزراعى

ان مناقشة النظام الضريبى الذى تخضع له الارض الزراعية ذو اهمية أساسية عند تقدير مدى وأساليب مساهمة الزراعة فى أعباء المعركة القائمة .

وضريبة الاطيان من أقدم الضرائب فى مصر اذ ترجع الى الامر العالى الصادر فى ١٨٩٩ ثم تعدلت أحكامها فى عام ١٩٣٩ وظلت حتى الان قائمة دون تعديل فى أحكامها الرئيسية . وهى تقوم على اساس تقدير **القيمة الايجارية** للفدان كل عشر سنوات ثم فرض ضريبة عليها بنسبة ١٦٪ منها . فاذا كان المزارع مالكا فهو يدفع الضريبة على اساس القيمة الايجارية المقدرة حكما اما اذا كان غير مالك فان الدخل الذى يحققه لا يخضع لاى ضريبة .

وحتى قيام الثورة كانت القيمة الايجارية تقدر بما لا يتناسب اطلاقا مع الريع الحقيقى للارض بفضل نفوذ وسيطرة كبار الملاك على الاجهزة الحكومية التى تقوم بعملية التقدير ، حتى لقد بلغ مجموع القيمة الايجارية لجميع الاطيان وفقا لاعمال لجان التقدير فى ١٩٣٥ حوالى ٣٣ مليون من الجنيهات . وفى نفس الوقت كانوا ينجحون بحكم نفوذهم على الفلاحين من الحصول على الجانب الاكبر من ناتج الارض فى شكل ايجار يزيد أضعافا عن القيمة الايجارية المتخذة اساسا للضريبة .

وبعد الثورة وبصدور قوانين الاصلاح الزراعى تحددت القيمة الايجارية للفدان سبعة أمثال الضريبة ، أى اصبح الايجار الصورى المتخذ من قبل اساسا لفرض الضريبة هو القيمة الايجارية الحقيقية التى لا يجوز زيادتها ، وقد ترتب على هذا الاجراء تحرير الاستغلال الزراعى من نفوذ السيطرة الاقطاعية ولكن ظل الإستغلال الزراعى نفسه غير خاضع لاى ضريبة . واذا قدرنا نسبة ما تمثله ضريبة الاطيان الى الحقيقى الناتج عن الارباح الزراعية لوجدنا ان هذه النسبة تقل كثيرا عن مستوى الضرائب المفروضة

على الدخول النوعية الاخرى، اذ ان الايراد الفعلى فى الزراعة يزيد كثيرا عن القيمة الايجارية المتخذة أساسا للضريبة . واذا كان هذا الوضع مقبولا بالنسبة للحيازات الصغيرة التى عانت اجيالا طويلة من الاستغلال الاقطاعى فانه لا يقبل بالنسبة للحيازات الكبيرة التى قد تصل الى ٥٠ فدانا بالنسبة للمستأجرين ، والى ١٠٠ فدان للمالك الذى يستغل أرضه بنفسه .

والتشريعات المالية فى معظم الدول تفرض ضريبة على ارباح الاستغلال الزراعى وان كانت تعامل هذه الارباح معاملة مختلفة عن معاملتها للارباح التجارية والصناعية . فاذا كان المالك يستغل الارض لحسابه فهو يجمع فى هذه الحالة بين صفة المالك وصفة المستثمر الزراعى ، ويكون عليه أن يؤدى للدولة الضريبة العقارية على ارضه والضريبة على ارباحه الزراعية . ويلاحظ أن القانون الضريبى القائم يفرض ضريبة الارباح التجارية على كل من يستأجر ارضا زراعية بهدف اعادة تأجيرها للغير — وهى صورة اصبح من المستحيل تحققها بعد الغاء الايجار من الباطن — فى حين انه يعفى المالك الذى يؤجر ارضه كما يعفى المستأجر الذى يستأجر الارض لاستغلالها من هذه الضريبة .

ولا شك أن عدم خضوع الاستغلال الزراعى فى جميع مستوياته للضريبة مما يتناقض مع المبادىء السليمة التى تقضى بتحقيق المساواة فى تحمل عبء النفقات العامة . وقد كانت الاعتراضات التى اثيرت فى وجه فرض الضريبة على الاستغلال الزراعى تتعلق بالصعوبات فى تقدير الارباح ، الا ان هذه الصعوبات لم يعد لها وجود يذكر بعد أن اصبحت الحيازات الزراعية منظمة والجمعيات التعاونية تشرف على تسويق الحاصلات الرئيسية وفقا لاسعار محددة ، كما أن الاعباء التى يتحملها الاستغلال الزراعى معروفة لنا ولا تتفاوت كثيراً . ولاشك انه اذا نظر فى فرض مثل هذه الضريبة فيتعين مراعاة التدرج فى سعرها تحقيقا للعدالة بحيث يتحدد حدا لاعفاء ذوى الحيازات الصغيرة ثم يتدرج سعرها فى الارتفاع حتى تصل الى المستوى الذى يتناسب مع الاعباء التى يتحملها ذوو الدخول الكبيرة فى القطاعات الانتاجية الاخرى .

الالتزام والمسئولية

من الواجبات الاساسية الملقاة على عاتق اى مواطن هو اداء التزاماته نحو المجتمع بروح الحرص وعدم التحايل ، مع تحمله مسئولية ذلك .

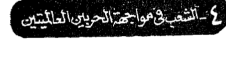
ومن الأمثلة الواضحة على التهرب من اداء الالتزامات هو تراكم المتأخرات المستحقة على المزارعين لمؤسسة الائتمان الزراعى حتى بلغت ٤٢ مليون جنيه وهو مبلغ ضخم حرمت منه الاستثمارات العامة لصالح فئة لا حق لها فيه .

وقد منحت هذه السلف لخدمة العمليات الزراعية وتسهيلها واسترداد الدولة لها فى مواعيدها شرط اساسى لتمكينها من اداء الخدمات للانتاج الزراعى، ولا شك ان استمرار هذا الاتجاه يؤدى الى الخلل فى تقديرات الخطة وعرقلة الانتاج ليس فقط فى الزراعة بل وفى جميع القطاعات .

وهذا التصرف يعتبر محاولة للتهرب من اداء الالتزامات وللكسب غير المشروع على حساب الصالح العام ، وهو لم يأت فى الواقع نتيجة ظروف عارضة تعرض لها الانتاج الزراعى ، اذ كلما تعرضت الزراعة لظروف سيئة سارعت الدولة الى تحمل القسط الاكبر من التضحية . وصرفت التعويضات التى تعوض الزراع عن خسائرهم مع التيسير عليهم فى سداد المتأخرات بتقسيطها . كما أن الملاحظ أن المتاخرات تتحقق على السواء فى السنوات السيئة ، وفى السنوات المربحة ، كما ان الجانب الاكبر منها يتراكم على كبار الملاك لا على صغارهم ، ولاشك ان الانتاج الزراعى يترك لصاحبه دخلا صافيا يتجه معدله نحو الزيادة وذلك بعد خصم مستلزمات الانتاج التى تصرف من اجلها هذه السلف .

وقد سبق التيسير على الزراع بتخفيض المديونيات المتأخرة ، ولكنها عادت الى الارتفاع . وفى فبراير الماضى تقرر تيسير جديد بالنسبة للحائزين الذين تقل حيازاتهم عن عشرة افدنة بتقسيط متأخراتهم على سنتين ، وقد ناشد رئيس الوزراء عندئذ فى مجلس الامة من تزيد حيازاتهم على ١٠ افدنة المسارعة فورا الى تسديد المتأخرات المستحقة عليهم ، وصرح ان هذا التيسير سيكون آخر فرصة للمتخلفين عن السداد مقررا ان الحكومة ستتخذ كافة الاجراءات التى تضمن تحصيل حقوق الدولة ولو كان ذلك بالطريق الادارى مع حرمان الزراع المتأخرين ملاكا كانوا أو مستأجرين من حيازة هذه الاراضى

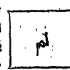
ولاشك ان تهرب الزراع من سداد السلف المتأخرة يتضمن مساسا واستهتارا بالمال العام يرقى الى مرتبة الجريمة الاقتصادية . فهذه السلف ليست مجرد دين عادى ناشىء عن عملية عارضة ولكنها أشبه بالامانة التى تسلم للزراع لاستخدامها سنويا كأداة من ادوات الانتاج ويتعين ردها فى ميعادها حتى يتيسر الحصول عليها فى السنة التالية لتستمر عجلة الانتاج . وبالتالى فان التأخر عن ردها أشبه بخيانة الامانة ترتكب فى حق المال العام وهو مالا يمكن التغاضى عنه خاصة فى ظل ظروف الحرب .



مصر في الحرب العالمية الأولى

الجماهير تجوع لصالح الاحتكارات البريطانية

بالرغم من ان بلادنا لم تشارك فى اتون الحرب العالمية الاولى ، سواء فى التمهيد لها او فى ميدان القتال مباشرة ، الا ان النظام الاستعمارى الذى امتد نفوذه الاقتصادى والسياسى الى هذه البقعة الهامة من مناطق العالم ، فرض على شعبنا المزيد من الضغوط الباهظة ثمنا لشىء يجنى هو ثماره . ويعرض الكاتب فى هذا المقال لانعكاسات هذه الحرب التي شهدتها بدايات القرن الحالى ، على المجتمع المصرى بمختلف طبقاته الاجتماعية .



لم تكن مصر احدى الدول المقاتلة فى الحرب العالمية الاولى ، لم تشترك فى التمهيد لهــا ، ولم تكسب اى شىء من مغانمها ورغم هذا فقد اجبــرت على تحمــل جزء من اعبــائها ، كان ــ بالنسبة لظروف مصر ــ استنزافا لمواردهــا وتجويعا لشعبها . وهكذا دفع شــعبنا من دمه وحريته وقوة عمله بعض الثمن الذى انتصرت به الاحتكارات البريطانية وحلفاؤها على الاحتكارات الاوروبية الاخرى التى كانت تزاحمهــا اســواق المستعمرات . وكان الجزاء الذى ناله الشــعب المصرى بعد انتهاء الحرب اعتراف ممثلى الدول المنتصرة فى مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر واقرارهم شرعية احتلالها ، وتلك نتيجــة طبيعية لمنطق الامبرياليــة العالميــة التى تشــن الحروب محتمية وراء مبادىء براقة وهدفهــا الحقيقى مزيد من الاستنزاف والجوع لشــعوب المســتعمرات .

كان من المحتم أن تتأثر مصر بنشوب الحرب العالمية الاولى باعتبارها ــ عضوا فى مجتمع دولى

ترفرف عليه أعلام السيطرة الاقتصادية والسياسية للامبريالية العالمية »، ان تعدد جبهات القتال وطول الحرب نسبيا وطابعها الدولى قد أثر فى اقتصاديات العالم كله ». لقد أحدثت الحرب ارتباكا شاملا فى وسائل النقل والمواصلات ، أدى الى عرقلة حركة التجارة الدولية ، وتحولت مئات المصانع التى كانت تنتج السلع الاستهلاكية الى وحدات للانتاج الحربى ومستلزماته ، افضلا عما سببته المعارك الحربية من تدمير للموارد الاقتصادية والبشرية »، ومن هنا تأثرت كل شعوب العالم بالحرب بدرجات متفاوتة تتناسب مع دورها فى المعارك الحربية من ناحية ومدى التطور الاقتصادى الذى وصلت اليه من الناحية الاخرى ».

وكان من المحتم ان تتحمل مصر من اعباء الحرب ما لم تتحمله غيرها من البلاد غير المقاتلة، بسبب وضعيتها الدولية فى تلك الفترة باعتبارها احدى المستعمرات البريطانية ، افعلى امتداد السنوات الثلاثين التى قضتهم مصر كمستعمرة — من الاحتلال حتى نشوب الحرب — تحكمت سياسة كرومر ثم غورست واخيرا كتشنر فى تطويع الاقتصاد المصرى لكى يصبح اقتصاد المستعمرة ، وهذا يعنى باختصار ، أن تكون مصر سوقا لابتزاز قوة العمل المصرية — فى شكل مواد زراعية — لصالح الرأسمالية الاوربية ،التى كانت تصدر اليها قوة عمل شعوبها فى شكل سلع مصنعة ورأسمال مصرفى »، ولعل هذا ما جعل السير « ملن شيتهام » القائم بأعمال المعتمد البريطانى ، يصف سنوات الاحتلال بانها «سنوات الاصلاح الثلاثين الماضية » . لقد اتت تلك السنوات أكلها فعلا أثناء الحرب ، فقد كان الاقتصاد المصرى قد تم تطويعه تماما لكى يصبح صالحا للابتزاز بأقل جهد ممكن . وكان الشعب المصرى بعد تصفية « جيش الفلاحين المصريين » الذى كونه عرابى ، وبعد ضرب حركته الوطنية وحرمانه من كل الحقوق الديمقراطية ، فى وضع تتمكن معه بريطانيا من تحويله لتحقيق مزيد من سيطرة احتكاراتها على شعوب المستعمرات ».

ومن الطبيعى — واخلاقيات الاستعمار هى ما نعرف — ان تؤكد بريطانيا فى عدة وعود رسمية منذ اعلان الحرب انها « تحارب لغرضين هما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التى كسبها محمد على فى الاصل فى ميدان القتال ، واستمرار هذا القطر على التمتع بالسلم والرخاء اللذين تمتع بهما مدة الاحتلال البريطانى فى ثلاثين سنة» ولهذا فانها « قد اخذت على عاتقها جميع اعباء هذه الحرب بدون أن تطلب من الشعب المصرى اية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الاهالى وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية او اداء اى مساعدة لاعدائها » وقد ظلت بريطانيا تعتقد فعلا — بعد انتهاء الحرب — أن مصر لم تتحمل اى شىء من اعبائها حتى لقد افتتح السير «ونجت» — المندوب السامى البريطانى — حديثه مع الزعماء الثلاثة فى مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ المعروفة — بقوله « ان المصريين هم اقل الامم تضررا وتألما من الحرب ، وانهم مع ذلك استفادوا منها أموالا طائلة ، وان عليهم ان يشكروا دولة بريطانيا العظمى التى كانت سببا فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم ، والحليف المباشر — فى تقرير هذه الاكذوبة — هو البنك الاهلى المصرى الذى اصر على ان يؤكد « ان الرخاء قد ازداد تدريجيا حتى بلغ مستوى لم تعهده البلاد قبل الحرب» (١) . ان أكذوبة ونجت — التى رددها بعد ذلك ملنر وكرزون تحتاج الى دراسة حقيقية جدا للرخاء المزيف (٢)

سنوات الاصلاح الثلاثين

كانت السياسة السائدة طوال « سنوات الاصلاح الثلاثين » السابقة على الحرب الاولى هى ابتزاز اقصى ربح ممكن من قوة العمل المصرية.

وعلى الرغم من أن الهدف المعلن لذلك كان اصلاح الادارة المصرية لضمان سداد الديون التى اقترضها اسماعيل من الدول الاوربية »، فان السياسة الكرومرية قد اتجهت الى تحويل مصر الى سوق لتصدير المواد الخام واستيراد السلع المصنعة ورأس المال من ناحية ، والى محاولة انفراد بريطانيا بمركز مخصوص فى مصر يحقق لاحتكاراتها ارباحا أزيد من أرباح الاحتكارات الاوربية الاخرى من ناحية ثانية ».

● وتطبيقا لهذه السياسة تحولت ميزانية مصر بكل مواردها الى ميزانية « تسديد ديون » حتى أن الفائدة على الدين العام — وليس اصل الدين نفسه — كانت تمثل نسبة مئوية تبلغ ٣٢٪

(١) البنك الاهلى المصرى ١٨٩٨ — ١٩٤٨ — اصدار البنك الاهلى .
(٢) من المؤسف حقا ان كل الدراسات التى تدرس فى الجامعة عن تاريخ مصر الاقتصادى فى تلك الفترة لم تتنبه لهذا المزلق انظر د. لبيلة — ود. امين عفيفى على سبيل المثال .

من ايرادات الدولة في متوسط الفترة من (١٨٨٠ ــ ١٩٠٩) ، ٢٩ ٪ من قيمة الصادرات فى نفس الفترة .

ولكى يزداد ايراد مصر وتستطيع تسديد الديون كان لابد من تحويلها الي مزرعة قطنية تكون فى خدمة مصانع لانكشير التى كان من المجتم ان تجد لها مصدرا للمواد الخام لا يضعها تحت رحمة القطن الامريكي ويكون ارخص منه ، فضلا عن مميزاته الطبيعية . ولهذا فقد ارتفعت كمية انتاج القطن المصرى من ٢٫٧٩٢٫٠٠٠ قنطار فى عام ١٨٨٥ الى ٧٫٦٦٦٫٠٠٠ قنطار عام ١٩١٤ ، وذلك على حساب المحاصيل المصرية الاخرى مثل القمح والذرة التى كانت مصر تحتاجها لغذاء شعبها . واحتفظ القطن لنفسه بالمركز الاول فى صادرات مصر ، وازداد مركزه متانة بارتفاع نسبة الصادرات منه من ٣٦ ٪ فى عام ١٨٣٦ الى ٨١ ٪ فى سنة ١٨٨٩ ، ثم الي ٩٣ ٪ عام ١٩١٤ . ان صورة مصر كسوق لتصدير المواد الخام تتضح اذا ما راجعنا ارقام الصادرات المصرية . لقد ارتفعت هذه الصادرات فى نهاية « سنى الاصلاح » الي ٣٣٩ ٪ عما كانت عليه فى بدايتها (٣) . ومن الطبيعى ان تكون الدول الاوربيه هى صاحبة النصيب الاوفى منها حتى لقد بلغ نصيبها فى سنة ١٩١٠ حوالي ٨٩ ٪ من جملة الصادرات المصرية ، واختصت بريطانيا وحدها من هذه الصادرات ٥٠ ٪ من جملتها ، ٥٥ ٪ من مجموع المصدر الى اوربا (٤) .

● وتحولت مصر الى سوق لاستيراد السلع المصنعة من اوربا ، فمصر التى تخصصت فى الانتاج الزراعي ــ والقطن بالذات ــ قد تدمرت صناعاتها الوطنية تماما . حتى انها لم تكن تحتفظ لنفسها من القطن الذى تزرعه الا بعدد ضئيل من القناطير ، وعلى سبيل المثال فقد احتفظت بـ ٥١ قنطارا فقط من محصول ١٨٨٤ (حوالى ٢٫٥ مليون قنطار) و بـ ٤١ قنطارا من محصول ١٩٠٢ (حوالى ٥ ملايين قنطار) . ان تدمير الصناعة الوطنية كان نتيجة طبيعية لاجبار مصر على اتباع سياسة الباب المفتوح فلاتزيد رسومها الجمركية ــ على السلع الواردة من اوربا ــ كما اجبرت على ان تفرض رسوم انتاج توازي نفس النسبة على اي سلع تصنع في مصر مما يساوي بين اسعار السلع الواردة مع السلع المصنعة محليا في السوق الوطني رغم الفارق الشديد بينهما فى الجودة ، وقد ادى هذا كله الي ايقاف اى محاولة لانشاء الصناعة الوطنية . ومن هنا اعتمدت مصر اعتمادا كليا على السلع المصنعة فى اوربا ، فارتفع مجموع الواردات المصرية فى سنة ١٩١٣ الى ٣٤٠ ٪ عما كان عليه فى عام ١٨٨٢ .

ان هذه الزيادة فى الواردات توضح الي اى مدى فتحت بريطانيا مصر لمنتجات الاحتكارات الاوربية، حتي ان مصر ــ مزرعة القطن ــ كانت تستورد المنسوجات القطنية فارتفع الوارد منها من ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه فى عام ١٨٨٢ الى ٧ ملايين جنيه فى نهاية « سنى الاصلاح » وفى سنة ١٩١٣، استوردت مصر ، سلعا تامة الصنع قيمتها ١٣٫٩٣٧٫٠٠٠ جنيه ، ومواد شبه مصنوعة (٣٫٨٨٥٫٢٥٨ جنيه) ، ومواد غذائية (٢٫٦٥٣٫٤٤٢ جنيه) واخيرا ١٫٠٤٠٫٩٠٩ جنيه للمواد الاولية اغلبها ادوات بناء . وكان من الطبيعي ايضا ان تكون الدول الاوربية هى صاحبة النصيب الاوفى من تلك الواردات ، حتي لقد بلغ نصيبها ٨٥ ٪ من واردات مصر على عام ١٩١٠ ، واختصت بريطانيا وحدها بمركز خاص اذ شغلت ٣٦ ٪ من جملة الواردات و ٤٠ ٪ من واردات الدول الاوربية .

ان اتجاه الاحتكارات الاوربية لزيادة تصدير السلع المصنعة الي مصر لم يكن ناتجا من رغبتها فقط فى اتاحة الفرصة لفائض انتاجها السلعي للتوزيع ، اذ كان هذا هدفا ثانويا بالنسبة للهدف الرئيسي وهو تصدير الراسمال المالي . ولكنها كانت تحاول مع زيادة صادراتها الي مصر ان توازن ميزانها التجارى حتي لا تضطر الي موازنته بالذهب .

● وكما تحولت مصر الي سوق يصدر المواد الخام ويستورد السلع المصنعة ؛ فقد تحولت ايضا الي سوق يصدر اليه راس المال الاوربى . فارتفع راس المال الاجنبى العامل فى مصر الي ٩٢٫٠٣٩٫٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩١٤ اى بنسبة تصل الي ٩١ ٪ من جملة رءوس الاموال المستثمرة تقاسمتها انجلترا وفرنسا وبلجيكا وعدد اخر من الدول الاوربية لم يتعد نصيبها ١٫٢٢٨٫٠٠٠ جنيه . ومن الطبيعي ان يختار الراسمال الوافد اكثر اشكال الاستغلال تطفلا علي قوة العمل المصرية ؛ ومن هنا اتجه اكثر من نصفه

(٣) مليكه عريان ــ مركز مصر الاقتصادى ــ المكتبة السلفية ١٩٢٤ .
(٤) توزيع الصادرات المصرية جغرافيا ، بيان احصائي بنشرة البنك الاهلي المصرى ١٩٦٤ .

(٠٠٠ر٥٦٩ر٥٤ جنيه) الى مجال الرهن العقارى، حيث يقدم سلف للمزارعين بضمان عقاراتهم ومحاصيلهم ، واستطاع بسعر الفائدة المرتفع الذى كان يفرضه ، وبالتقلبات الاقتصادية ان ينتزع ملكية عشرات الالوف من الاراضى الزراعية حتى ان البنك العقارى المصرى قد استطاع ان ينزع ملكية اراض قدرها ٠٠٠ر١٠٠ر١ فدان ما بين ١٩١١ و ١٩١٣ . كذلك اتجهت رءوس الاموال الاجنبية ايضا الى الشركات العقارية والزراعية (٠٠٠ر٣٣٢ر١٢ جنيه) حيث قامت باستصلاح عشرات الالاف من الافدنة ، بتسخير العمال الزراعيين بأجور تافهة ، ثم استغلال هذه الاراضى بعد ذلك بالبيع أو الايجار بأعلى أسعار الفائدة. وتوزع راس المال الباقى فى انشطة متفرقة، فعمل ٠٠٠ر٥٠٥ر١٣ جنيه فى التجارة والنقد والصناعة اتجه اغلبها الى عمليات تجارة القطن، واتجهت ٦ ملايين جنيه الى البنوك وبيوت المال ، و ٠٠٠ر٧٣٣ر٥ الى النقل (عمليات النقل الداخلى كالترام والسكك الحديدية واتوبيسات الاقاليم) . وقد بلغ نصيب فرنسا من هذه الاموال ٠٠٠ر٢٦٧ر٤٦ جنيه ، يليها انجلترا ٠٠٠ر٢٥٠ر٣٠ ثم بلجيكا ٠٠٠ر٢٩٤ر١٤ — وقد تركزت الاموال الفرنسية فى الرهن العقارى ، واتجه اغلب الاموال البريطانية الى البنوك والمؤسسات المصرفية مع توازن فى توزيعه بين مختلف الانشطة ، بينما اتجهت رءوس الاموال البلجيكية الى الشركات الزراعية والعقارية (٥).

● وحول عملية الاستنزاف هذه دار الصراع بين الدول الاوربية حول توزيع الاسلاب بطريقة تتناسب مع قوة واطماع احتكارات كل منها . وقد تزايد هذا الصراع فى نهاية القرن الماضى ، حتى بدأ يحل باتفاقات ثنائية بين بريطانيا ومنافساتها ، خاصة بعد انقسام المعسكر الاستعمارى نفسه فى عشية الحرب الى معسكرين متناقضين ، غير ان المسألة التى كانت تزعج السيطرة البريطانية كانت الامتيازات الاجنبية التى تحول دون انفراد بريطانيا بادارة مصر بشكل كامل .

● وقد ادت « سنوات الاصلاح الثلاثين » الى مزيد من التغيرات فى تركيب المجتمع المصرى ، كان بعضها مقصودا فى الخطة الكرومرية ، وجاء بعضها الاخر نتيجة لتطور المجتمع المصرى، ذلك التطور الذى لم يكن كرومر او سواه يستطيع ان يتحكم فى قوانينه الطبيعية . فقد ادى استقرار الملكية الزراعية ومشروعات الرى التى نفذها الاستعمار الى زيادة ثروة كبار الملاك ، والى اتساع المساحة المنزرعة والمساحة المحصولية مع بروز ظاهرة اختلال توزيعها بشكل واضح . وكان هدف الاستعمار ان يرسى دعائم كبار ملاك الاراضى كطبقة مساعدة له ، تقوم بدور الوسيط لاستنزاف قوة العمل المصرية نظير جزء من الارباح . مع اتجاه لارساء قواعد طبقة من صغار الملاك ومتوسطيهم تعمل على موازنة الوضع الطبقى فى المجتمع بحيث يمكن مواجهة كبار الملاك بها اذا فكروا فى الحصول على جزء اكبر مما يسمح به نظير وساطتهم .

كانت مساحة الارض الزراعية فى عام ١٩١٤ حوالى ٠٠٠ر٤٦٠ر٥ فدان موزعة على ٠٠٠ر٦٥٠ر١ مالك ، بينما كان عدد الذين يعملون فى الزراعة عموما ٠٠٠ر٤٤٠ر٤ ، اى ان هناك حوالى ثلاثة ملايين يعملون فى الزراعة ولا يحوزون اى قطعة من الارض (مستأجرين وعمال زراعة)

وتدل احصائية ١٩٠٧ على ان ٦ر٤٠ ٪ من مجموع المشتغلين بالزراعة مستأجرون و٣ر٣٦٪ منهم عمال ازراعيون. ولاشك ان عدم توفر احصائيات دقيقة عن توزيع الملكية المستأجرة او عدد عمال الزراعة ، يشكل نقصا هاما ، خاصة وان الاستئجار هو شكل الاستغلال الاساسى فى الريف المصرى فضلا عن اشكال الزراعة الاخرى مثل المزارعة والمشاركة ... الخ . على ان ارقام توزيع الملكية تعطى دلالة هامة — رغم نقصها — وتؤشر تلك الارقام الى ان متوسط الملكية الزراعية عموما فى مصر اقل من خمسة افدنة ، فاذا انتبهنا الى مراكز تجمع الملكية لاحظنا ان الذين يملكون اقل من خمسة افدنة بلغت نسبتهم حوالى ٧ر٩٠ ٪ من عدد الملاك يملكون ٦ر٢٦ ٪ من مساحة الارض، يليهم مالكو المساحة التى تتراوح بين خمسة افدنة وعشرون فدانا ويمثلون ٣ر٧ ٪ من الملاك يملكون ١٩ ٪ من المساحة المنزرعة . ثم مالكو ما بين ٢٠ و ٥٠ فدانا ولا يزيدون عن ٢ر١ ٪ من الملاك يملكون ١١ ٪ من الارض ، اما الذين يملكون اكثر من ٥٠ فدانا فيبلغ عددهم ٨ر ٪ من الملاك يملكون ٩ر٤٣ ٪ من الارض . وهذا التوزيع يكشف عن وضع اجتماعى هرمى ، فكلما ارتفعت نسبة الملكية قلت نسبة الملاك وبالتالى زاد — رغم عدم توفر بيانات احصائية عن الحيازات الفعلية — المتوسط العام للملكية المالك ، فبينما نجد ان الفئة الاولى — فقراء الفلاحين — الذين يملكون اقل من

(٥) د. امين مصطفى عفيفى عبد الله — تاريخ مصر الاقتصادى — جـ٢ ص ١١٤ — ١٢٢ — المطبعة الاميرية ١٩٤٧ .

بجنسة البدنة لئة كبيرة العدد جدا ، بحيث يكون متوسط ما يملكه المالك فى تلك الفئة حوالى الفدان ، يرتفع هذا فى الملكيات المتوسطة (من ٥ ـ ٢٠ فدان) الى ثمانية افدنة تقريبا ثم يرتفع فى الفئة التالية (اغنياء الفلاحين من ٢٠ ـ ٥٠ فدان) الى متوسط حوالى ٣٣ فدانا ، ثم يصل الى ١٦٦ فدانا للمالك الواحد من كبار ملاك الاراضى (اكثر من خمسين فدانا)

على ان الصورة لا يمكن ان تكتمل اذا لم ننتبه لظاهرة خطيرة تلك هى وجود عدد من الملاك الاجانب يصل الى ٦٥٢٩ مالكا يملكون ٨١٩ر٥٧٣ فدانا ، اى ان حوالى ١١ ٪ من الاراضى الزراعية كانت تحت سيطرة الاجانب . مع ارتفاع فى النسبة العامة لمتوسط ملكياتهم . حتى أن كبار ملاك الارض الأجانب يصل متوسط ما يملكه الواحد منهم ٣٥٣ فدانا ويملكون وحدهم ١٠ ٪ من جملة الاراضى الزراعية فى مصر .

الحروب فى مزرعة قطنية

كان من الطبيعى ان تتعرض مزرعة القطن المصرية لكارثة بمجرد نشوب الحرب ، فالقطن سلعة يتحكم فيها اصلا السوق العالمى ، وقد زاد من المشكلة ان الحرب قد نشبت بعد جنى محصول ١٩١٤ . وهكذا بدات الحرب بكارثة قطنية . على ان الكارثة استمرت طوال سنوات الحرب نتيجة لسياسة انجلترا القطنية التى سارت اتجاهين واضحين : الاول الاستفادة من تدهور سعر القطن ـ نتيجة لظروف الحرب ـ لاتاحة الفرصة للاحتكارات الاجنبية لشرائه بأبخس الاثمان ، والثانى الاستفادة من ارتفاع سعر القطن ـ نتيجة لدخوله فى صناعات حربية ـ لالتهام اكبر نسبة من هذا الارتفاع لحساب الاحتكارات الاوربية وخاصة البريطانية .

● فقد بدات الحرب بعد جنى القطن وبيعه ، وكان من الضرورى مع اخطارها أن تتدهور الاسعار فى البورصة ، فانخفض سعر القنطار الى ١٠ ريالات ، وكان من الممكن ان يستمر الهبوط لولا أن اجتمعت لجنة البورصة وقررت تصفية الكنترانات بسعر ١٥ ريالا . ولكن المستعمر المالى البريطانى الغى الامر بدعوى ان هذا قد يسبب خسائر للمصدرين ، وان تصفية الكنترانات فى بورصة الاسكندرية يضع المصدرين تحت رحمة بورصة ليفربول . وتدخل ايضا ليحول بين الحكومة المصرية وبين شراء مليونى قنطار بسعر ١٥ ريالا وتخزينها حتى تتضح الأمور . ولم يجد حلا عبقريا سوى السماح للبنك الاهلى باصدار بنكنوت بلا غطاء ذهبى يشترى بمقتضاه القطن .

ويبدو ان الاحتكارات الاوربية ـ وما اصطلح على تسميتهم بالأجانب المحليين ، كانوا يعملون فى تناسق كامل ؛ فقد اسرعت البنوك العقارية بمطالبة الفلاحين بديونها ، ورفضت كل الحلول التى عرضت عليها لتأجيل الديون لفترة ، وبهذا حرم المنتجون المفترون من فرصة تخزين اقطانهم حتى تستقر الاحوال ؛ واسرعوا يبيعونها مما زاد فى تدهور الاسعار ، وتدخلت الحكومة هى الاخرى فى المعمعة فطالبت بالضرائب ؛ وكان امام المزارعين أحد حلين : اما ان يبيعوا اقطانهم باى سعر لتسديد الديون والضرائب ، او تنزع ملكية اراضيهم ؛ ولم يقتصر الامر على بيع الاقطان بل وصل الى بيع الحلى والذهب والدجاج ؛ حتى لاحظت الحكومة ان سعر الذهب يتدهور فاعلنت انها قررت تعيين « جاشنجية » لفحص بيع الحلى الذهبية باوزانها الكاملة وبثمنها الحقيقى وتلقى المقطم رسالة من الفيوم جاء فيها ان الفلاحين فى بعض المراكز اضطروا الى بيع القنطار من القطن بستين قرشا (ثلاثة ريالات) ليتسنى لهم دفع الضريبة ، وحدث فى مراكز اخرى ان الدجاجة التى لا يقل ثمنها عن ستة قروش او سبعة بيعت بقرشين ؛ وقد بلغ محصول القطن فى عام ١٩١٤ سبعة ملايين قنطار صدرت بمبلغ ٠٠٠ر٥٠٠ر١٦ جنيه فى حين ان محصول السنة السابقة وهو تقريبا مساو له قد بيع بمبلغ ٠٠٠ر٥١٤ر٢٩ جنيه ؛ لقد ادى كل هذا الاضطراب الى ان استطاع الغزالون الانجليز الحصول على القطن المصرى بثمن بخس وصل الى حوالى ثمانية ريالات او تسعة وهو اقل من تكلفة انتاجه (٦) .

● وتدخلت الحكومة فأصدرت قرارا بتحديد المساحة المزروعة قطنا بما لا يزيد عن ثلث الزمام ، وكان الغرض من هذا التحديد تحويل الاراضى الى زراعة الحبوب ـ حتى تكفى احتياجات الجيوش المحاربة ـ وتقليل الانتاج القطنى حتى يرتفع سعره ، وقد ارتفع السعر فعلا فى سنتى

---

(٦) السياسة القطنية لانجلترا خلال الحرب الاولى ـ دراسة كتبها بدكتور [illegible] ونشرها فى كتاب « جهود النقابة الزراعية العامة فى [illegible] » بعد دار [illegible] ١٩٥٢ .

١٩١٥ و ١٩١٦ ولم يكن هذا راجعا الى تحديد المساحة ــ لان ما يتحكم اساسا فى سعر القطن هو الانتاج العالمى ــ ولكنه كان يرجع الى الاحتياج اليه فى بعض الصناعات الحربية . وكان لابد ان تستفيد بريطانيا من هذا الارتفاع فى السعر ، فتدخلت فى سوق القطن للاستيلاء عليه فى سنتى ١٩١٧ و١٩١٨ . فاحتكرت بذرة القطن جميعها من محصول ١٩١٧ بسعر اقل من سعرها الحقيقى ثم الغت اوامر تصدير القطن وحصرتها فى عدد محدود من بيوت التصدير الاجنبية مما مهد لها وسيلة الربح على حساب المنتج . وفى موسم ١٩١٨ احتكرت الحكومة البريطانية محصول القطن كله ، وحددت سعره بـ ٤٢ ريالا للقنطار وكان يسلم فعلا من اصحاب الاقطان باثنين وثلاثين ريالا . وبررت الحكومة البريطانية ذلك بأن هناك « ضرورة الاحتفاظ بما للامبراطورية البريطانية وما للحلفاء من المواد الطبيعية سدا لحاجتهم الضرورية » فضلا عن ان ارتفاع اسعار النقل ــ بسبب ظروف الحرب ــ بما فيها تكاليف التأمين تدعو الى وجود فرق بين سعر الشراء من المنتج والتسليم للبائع . ورأى منتجو القطن وقتذاك ان هذه العملية تتضمن سرقة حقيقية ، فان الثمن الذى كان سائدا فى بورصة ليفربول هو بين ٥٠ و ٦٠ ريالا للقنطار ، اى ان المنتج المصرى كان يبيع قطنه بخسارة تبلغ النصف وان اسعار النقل لم تزد زيادة « تتجاوز قط تسعة ريالات فى القنطار مع ان الفرق بين سعرى انكلترا ومصر بلغ الثلاثين من الريالات » . وكانت هناك عملية سرقة تجرى فى « لجنة رقابة القطن » وهى لجنة اجنبية كانت تشرف على تصدير المحصول الذى احتكرته بريطانيا عن طريق تفويضها ١٤ محلا اجنبيا ، وكانت هذه المحلات تتولى فحص عينات القطن وتحديد رتبه وبالتالى تحديد سعره ، ولما كان الفرق فى سعر القنطار ــ بين رتبتين متتاليتين ــ يبلغ احيانا خمسة ريالات فى القنطار ، فقد عمدت هذه المحلات ــ دون رقابة ــ الى غش المنتج المصرى وغبنه عمدا فى رتبه او اكثر لكى تحقق لنفسها ربح الفرق بين السعرين بالاضافة الى العمولة الرسمية التى كانت تحصل عليها من المنتج .

وقد حققت هذه العملية لبريطانيا ربحا ضخما سواء فى حالة هبوط اسعار القطن او فى حالة ارتفاع سعره ، وقد اعترف مستر تشرشل فى البرلمان الانجليزى « ان الحكومة الانجليزية ربحت من عملية احتكار القطن المصرى فى أثناء الحرب ربحا كبيرا وان من نصيبها فى الربح وهبت مبلغ مليون جنيه الى جمعية تشجيع وانماء زراعة القطن فى المستعمرات البريطانية » (٧). فاذا كان مليون جنيه مجرد جزء من هذه الارباح فكم تبلغ قيمتها اذن ؟ . تقول مدام جوليت ادم فى كتابها « انجلترا فى مصر » ان « اثمان القطن قد سعرت تسعيرا بخسا ، وقد قرر الكثيرون من الماليين الاخصائيين وعلى الاخص الامريكان ان لو كانت مصر فى حيدة ابان الحرب لربحت اكثر من عشرة مليارات من الفرنكات » (٨) .

ان ارتفاع اسعار القطن هو النغمة التى ضربت عليها بريطانيا لكى تروج لاكذوبة الرخاء الذى تحقق فى مصر اثناء الحرب الاولى . وبصرف النظر عن كل ما ذكرناه عن عملية النهب التى تعرض لها القطن المصرى ، فان هناك نقطة لابدان نقف عندها قليلا ، هى : ذلك الجزء الذى ربحته مصر من اقطانها من الذى اخذه . ان توزيع الملكية الزراعية على النحو الذى شرحناه يكشف عن ان ما عرف بالاجانب المحليين من اصحاب رءوس الاموال الأجنبية والمرابين وكبار مصدرى القطن هم الذين استولوا على القسم الاكبر منه « بلغ ربح محل كارفر لتصدير الاقطان فى سنة ١٩١٧ مبلغ ٨٠٠٠٠٠ جنيه (اى اكثر من البنك الاهلى) وربح محل خوريمى ٨٠٠٠٠٠ جنيه (اى اكثر من البنك العقارى) ، وربح المحلين يعادل ريع ٢٠٠٠٠٠ فدان من اطيان الوجه البحرى» (٩) . اما الجزء الذى ربحه اصحاب الاراضى فمن الطبيعى ان يلتهمه كبار ملاك الاراضى واكثرهم اجانب كما قلنا . اما المنتج الصغير ، والمنتج الحقيقى وهو العامل الزراعى فلم يستفد من هذه العملية ولم يسبب له الرخاء المصطنع سوى ارتفاعا هائلا فى الاسعار عرضه لخطر الجوع .

بنكنوت بـلا ذهب

كان لابد ان يجوع الشعب ، فان الاستنزاف لم يقتصر على سرقة القطن ، ولكنه اتجه ايضا الى سرقة الجماهير الشعبية عن طريق اتباع سياسة

---

(٧) عزيز خانكى ــ شئون مصرية

(٨) جوليت ادم ــ انجلترا فى مصر ترجمة على فهمى كامل ــ جـ١ ص ٢٩٨ مطبعة الدفاع الوطنى ١٩٢٥ .

(٩) عزيز خانكى ــ شئون مصرية ــ ط ٢ ــ ص ٨٣ ــ المطبعة العصرية ــ ويلاحظ ان المنتج الصغير كان يبيع اقطانه لتجار القطن الصغار واغلبهم اجانب مما يزيد من تعرضه لاعمال السمسرة ويجعله يبيع قطنه بابخس الاثمان .

مالية تؤدى الى التضخم مع كل ما يترتب عليه من تخفيض لقيمة النقد وارتفاع شامل في الاسعار مما يعرض الجماهير الشعبية وهى محدودة الدخل بطبيعتها الى حالة شبيهة بالجوع .

ففى الوقت الذى وقفت فيه الحكومة المصرية حائلا دون تصريف محصول القطن عام ١٩١٤ . لم تجد فى نفسها القدرة على الوقوف امام البنك الاهلي عندما طلب منها ان يؤجل دفع قيمة أوراق البنكنوت بالذهب ، وبذلك اصبح لاوراق البنكنوت الصادرة عنه قيمة فعلية تساوى القيمة التى للنقود الذهبية المتداولة رسميا فى القطر المصرى ، وبعد شهرين فقط طلب محافظ البنك الاهلي الاذن من الحكومة المصرية باستعمال الذهب المودع لدى بنك انجلترا فى لندن كغطاء للاصدار « لتعذر نقل الذهب وتلافيا لاخطار النقل فى ظروف الحرب » . وفى سنة ١٩١٦ اخطر البنك وزير المالية انه « نظرا لاستحالة الحصول عملا على الذهب فى لندن فانه لن يتسنى الاستمرار فى التوسع فى اصدار البنكنوت لمواجهة حاجة البلاد من العملة على الاساس المنصوص عليه فى نظام البنك بتغطية النصف ذهبا والنصف الآخر سندات ، ورد المستشار المالى الانجليزى ـ ادوارد سيسل ـ بأنه يرجو « الاستمرار فى اصدار البنكنوت وفقا لمقتضيات الاحوال على ان يكون الاصدار مضمونا كله بأذونات الخزينة البريطانية بدلا من الذهب . وتخلى الحكومة المصرية طرف البنك ومديريه من كل التبعات التى قد تنشأ من جراء تنفيذ هذا الطلب » . وارسل البنك يسأل مركزه الرئيسى فى لندن فوافق مضيفا هذا التحفظ « تثبتوا مع ذلك من ان الاجراء الذى يقوم به المديرون لا يعتبر عملا اجراميا » . وبالطبع فقد كانت العملية بأكملها عملية اجرامية . فقد اطلق يد البنك الاهلي فى اصدار اوراق النقد المصرى ليسهل لانجلترا الحصول على النقد اللازم لشراء محصول القطن والمحاصيل الزراعية دون ان تتنازل عن جزء من الذهب الذى فى حوزتها ، فزادت قوتها الشرائية ، بتزايد الاوراق المتداولة فى مصر من ٨٫٠٢٠٫٠٠٠ جنيه عام ١٩١٤ الى ٦٣٫٩٥١٫٠٠٠ جنيه فى نهاية الحرب . واحدث هذا تضخما هبط بقيمة النقد المصرى ، فانخفضت القيمة الفعلية له ، وبهذه القيمة المنخفضة حصلت القوات البريطانية والاسترالية والهندية التى كانت تقيم فى مصر اذ ذاك على سلع وخدمات بلغت قيمتها فى فترة الحرب ـ بتقدير البنك الاهلي ـ ما يتراوح بين ٨٠ و ٨٥ مليونا من الجنيهات . وقد ادى هذا التضخم الى ارتفاع نفقات المعيشة ارتفاعا باهظا ، فقد كان الرقم القياسى لاسعار الجملة فى القاهرة مثلا (فى الفترة بين يناير ويوليو ١٩١٤) = ١٠٠ ارتفع هذا الرقم الى ١١٥ فى سنة ١٩١٥ ، ١٥٢ فى سنة ١٩١٦ ، ١٩٩ فى سنة ١٩١٧ ثم ٢١٢ فى سنة ١٩١٨ واخيرا ٣١٦ فى أوائل ١٩٢٠ (١٠) . ويوضح الاستاذ عزيز خانكى العلاقة بين زيادة البنكنوت وزيادة الاسعار خلال الحرب فيقول « فى سنة ١٩١٥ زاد البنك الاهلي ورقه من ٨ ملايين الى ١١ مليونا من الجنيهات ، فزادت اثمان الحاجات ٣٠ ٪ ولما زادها فى سنة ١٩١٧ من ٢١ مليونا الى ٣٠ مليونا زادت الاسعار ٥٠ ٪ وها نحن فى سنة ١٩١٩ والورق المتداول يزيد على ٤٦ مليونا ، والاثمان تزيد اربعة اضعاف على ما كانت عليه فى سنة ١٩١٣ فأين ثمانية ملايين فى سنة ١٩١٥ من ٤٦ مليونا فى سنة ١٩١٩ » (١١) . ويضرب امثلة لاسعار الحبوب « ان اردب الفول يباع فى الاسواق بسعر يتراوح بين ٣٦٠ و ٤٠٠ قرش بعد ان كان يباع من عدة سنوات بسعر يتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ قرش ، وثمن الشعير يتراوح بين ٢٦٠ و ٢٨٠ قرشا . بعد ان كان سعره يتراوح فيما مضى من الزمان بين ٦٠ و ٧٠ قرشا . وحمل تبن القمح ثمنه بين ١٦٠ و ٢٠٠ قرش بعد ان كان يباع فى عهد الرخاء بخمسين قرشا ، وتبن الشعير يباع بين ١٢٠ و ١٥٠ قرشا للحمل بعد ان كان يباع فى الزمن الغابر بسعر يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ قرشا ، وتقاوى البرسيم التى كانت تباع بسعر ١٢٠ او ١٥٠ قرشا للاردب اصبحت تباع فى الاسواق بسعر ٩٠٠ و ١٠٠٠ قرش للاردب ، والماشية التى كانت تكلف صاحبها خمسة قروش فى اليوم اصبحت تكلفه من ١٨ الى ٢٠ قرشا وبعد ان كان ثمنها ٢٠ جنيها بلغ ٦٠ جنيها ـ مما رفع اسعار اللحوم عموما » (١٢) .

اسود من سنى يوسف

لخص الاستاذ **عزيز خانكي** الموقف خلال سنوات الحرب بأنه « هو الخراب بعينه ، سل سواد الناس يقولون لك بالاجماع ان ايامهم هذه قطعة من سنى يوسف » . ورغم تغنى اللورد ملنر فى تقريره بالرخاء المصرى خلال سنى الحرب ،

(١٠) البنك الاهلي المصرى ١٨٩٨ ـ ١٩١٨ .
(١١) عزيز خانكى ص ٨٤ .
(١٢) نفس المرجع ص ٨٥ ـ ويلاحظ ان عزيز خانكى محام من كبار ملاك الارض المهتمين باستصلاح الاراضى .

فقد اضطر الي الاعتراف بأن « اسعار الحاجيات كالحنطة والثياب والوقود قد ثقلت وطأتها على الفقراء ولاسيما ان اجورهم لم تكن تكفي للنفقة التي يقتضيها غلاء المعيشة مع انهم كانوا يرون عددا من مواطنيهم ومن الاجانب غير المحسوبين عليهم يجمعون الثروات الكبيرة ، فعائلة من اربعة انفس رجل وزوجته وطفلين لم تكن تستطيع في اوائل سنة ١٩١٩ الحصول على ما يكفيها من الطعام الا بثمن يفوق متوسط الاجرة كثيرا » . واضطر البنك الاهلي الي الاعتراف بصيغة التضعيف بأن « معظم الثروات الجديدة ذهب الي جيوب ثراة القوم »

ويزيد من الضغط على الشعب الضرائب الحكومية ، فقد كانت مصر تعتمد على الضرائب والرسوم الجمركية لدفع نفقات ادارتها الحكومية ، فالفلاح الذي يملك خمسة افدنة في الوجه البحري يدفع ضريبة مقدارها ٤٧٥ قرشا ، بينما كانت البيوت المالية الاجنبية وكبار التجار لا يدفعون مليما واحدا لعدم وجود ضريبة على الدخل ، واي مراجعة لاسمائهم تكشف عن جنسياتهم ، من تجار الاقطان كارفر وجوريمي ومن تجار المانيفاتورة صيدناوي وشيكوريل واوروزدي باك ، ومن تجار الدخان ماتوسيان وملكونيان وجناكليس ودبهتريتو وصوصيه ومن تجار الاخشاب ستباني وكرم ومن تجار الورق ريتم وناكامولي وتجار الادوية مثل دلمار وغناجه وتجار السكريات والحلوى والمأكولات مثل جوربي وسولت وفلوران ووكر . ان البنوك التي كانت تسرق قوة العمل المصرية لم تكن تدفع مليما واحدا للضرائب لا البنوك التي في شكل شركات مساهمة مثل البنك العقاري او الانجلو اوروبا اوالعثماني غير الكريدي ليونيه والكونتوار والفرنكو والكابيا فضلا عن البنوك الخصوصية وهي كثيرة جدا ، موصيري وقطاوي وسابريل وكوريل وعدس . كما ان شركات الاحتكار الاجنبية التي كانت تدير المرافق العامة لم تكن تدفع مليما واحدا من الضرائب .

ومع انخفاض الاجور بشكل عام حتي ان الحكومة حين قررت انصاف العمال الزراعيين برفع اجورهم بعد الحرب قررت ربط الاجور بين قرش يوميا للطفل وثلاثة للرجل (١٣) . فان الاسعار كانت تسابق الريح . وقد تعرض موظفو الحكومة لحالة فقر مدقع لثبات دخلهم مع هذا الارتفاع الجنوني في الاسعار . خاصة وان الموظفين الاجانب كانوا يحتلون عادة المراكز القيادية والاشرافية في السلك الاداري ، بينما كان معظم الموظفين المصريين من صغار الكتبة والفراشين .

وكادت المسألة تصل الى حد المجاعة حين بدأت السلطة العسكرية البريطانية تجمع الحبوب عن طريق المصادرة الاجبارية لتقديمها للجيشين ، فقد ارتفعت اسعارها جدا ، يقول اللورد ملنر « ان اسعار الحبوب في الاسواق كانت أعلى كثيرا من الاسعار التي تدفع لها حين المصادرة ، وقد فرض علي كل مركز تقديم مقدار معين من الحبوب نيط جمعه بالموظفين المحليين فربحوا بذلك ارباحا كثيرة ، فان العمد جمعوا مقادير أعظم مما طلب منهم جمعه وباعوا الباقي بأسعار السوق العالية ، والاهالي الذين لم يكن عندهم حبوب اضطروا ان يشتروا المطلوب منهم بأسعار السوق العالية ويقدموه بأسعار المصادرة الواطئة »

ولم تكتف السلطة العسكرية بمصادرة الحبوب بل استولت ايضا علي الدواب «فلم تبق علي جمل او حمار صالح للعمل الا واستولت عليه بابخس الاثمان» . ويقول اللورد ملنر أن الفلاحين قد «تضايقوا كثيرا من أخذ دوابهم وهي واسطة النقل عندهم ولكن يظهر ان اثمانها كانت تدفع اليهم عند اخذها منهم وكانت اثمانا حسنة» — ويبدو ان ملنر يتناسى التضخم كما هو واضح — «غير ان الاثمان التي كانت تطلب من الفلاح بعد الحرب لشراء الدواب التي باعها كانت اعلي بكثير من الاثمان الاولى بكثير» (١٤)

السيوف في الصحراء

وكان لابد من أن تنتهي هذه المصادرات كلها بمصادرة البشر ، فبدأت السلطة العسكرية تصادر البشر ، ومنذ بدايات الحرب ، اعلنت السلطة العسكرية انها تقبل متطوعين للعمل كعمال في الخطوط الخلفية للقتال ، وتحت ظل هذا التطوع بدأت تجمع قسرا في عملية أشبه بالسخرة العمال والفلاحين وترسلهم الى مختلف جبهات القتال في شبه جزيرة سيناء والعراق وفلسطين والدردنيل وفرنسا ، ويقول «الجهود» انه «ظهر في سنة ١٩١٦ أنه اذا لم تستخدم السخرة فلن تتوفر الامدادات اللازمة للفرق الاحتياطية ، ولذا فقد كان الحصار يضرب علي

(١٣) الينور بيرنز — الاستعمار البريطاني في مصر — ترجمة احمد [illegible] ص ٢٨ ؟
(١٤) جميع النصوص المأخوذة من ملنر عن تقريره بالكتاب الابيض المصري — وزارة الخارجية المصرية ١٩٤٠ .

جموع الريفيين اثناء ذهابهم الى الاسواق ثم يرسلون الى أقرب «نقطة عمل» وبينما كانت الاغلبية تقابل مصيرها بالتسليم كان البعض يبدى مقاومة وكان آخرون يفرون الى المناطق المجاورة رجاء السلامة . وكانت نهاية هؤلاء جميعا واحدة المقاومة تخمد ويقبض على الفارين ثم يسلمون الى ضابط القرعة «ويذكر اللورد ملنر ان «الخدمات التى اداها الفيلق المصرى للعمال لا تقوم بثمن ولم يكن عنها غنى للحملة على فلسطين» . ويعترف بأن المظالم قد وقعت على هذا الفيلق فيقول «كان الناس قد اختلفوا فى تقدير هذه المظالم والمساوىء ولكنها على كل حال من الكثرة بحيث ساءت الناس جدا فى بعض الجهات «وينقل الإستاذ الرافعي وصف جريدة انجليزية عمالية لطريقة معاملة فيلق العمال المصرى ، وتقول الجريدة الانجليزية ان العمال كانوا يجلدون لكى يقبلوا التطوع بالاكراه وانه قد سيق فى الفرق الاحتياطية اطفال فى الرابعة عشرة وشيوخ فى السبعين وان الرعاية الصحية كانت منعدمة «فكانت تساق الجموع المريضة من هؤلاء المساكين لتأدية الاعمال الحربية والكرباج كفيل بتسخيرهم من غير حساب فى الاعمال الشاقة ، واصبح الجلد من الاعمال اليومية ، وكلف الاطباء بتنفيذ الجلد والكشف على المرضى فى بقعة واحدة حتى خاف المرضى الخلط بين صفوفهم وصفوف المقدمين للجلد» . وقد اضطرت بريطانيا الى الاستعانة برديف الجيش المصرى ، فبلغ عدد من جمعوا منه ١٢٠٠٠ مجند ، ويكفى للدلالة على طريقة معاملتهم ان هذه المعاملة اضطرتهم الى التظاهر العسكرى امام سراى عابدين فى آخر يناير ١٩١٦ وتجددت مظاهرتهم فى اليوم التالى، وقالت الحكومة فى بيانها الرسمى ان المظاهرة حدثت لان افراد الرديف ذهبوا الى عابدين «ليرفعوا الى الاعتاب السلطانية شكواهم من التأخير فى دفع المكافأة المستحقة لهم وعدم كفاية الاجور التى تقرر دفعها لهم وعدم موافقة الغذاء» . تقدر الينور بيرنز «مجموع المصريين المجندين فى مختلف القوات بحوالى مليون نسمة ، بينما كان مجموع السكان بين سن ١٧ و ٣٠ — وهى الاعمار التى كان التجنيد يتهمن أصحابها — مليونا ونصف المليون» ان عددا ضخما من هؤلاء البؤساء قد مات من العمل الشاق فى الصحراء والثلوج ومن لم يمت بالتيفوس مات بغارات الاعداء .

الصمت ضمان الجوع

كان لابد ان يصادر كل الشعب المصرى ، وان يضرب سياج من الصمت يمنع اى معارضة ، وهكذا أعلنت الاحكام العرفية ، وصدر قانون التجمهر الذى يعتبر تجمع اكثر من خمسة افراد خروجا على القانون ، واوقفت الجمعية التشريعية التى لم تعقد سوى فصلا تشريعيا واحدا فى دورتها البرلمانية الاولى . واعتقل عدد كبير من اعضاء الحزب الوطنى فى طره والعباسية ودرب الجماميز ، ونفى آخرون الى خارج البلاد . وكفت المعارضة الصحفية تماما بسبب تشدد الرقابة العسكرية البريطانية ، فأغلق الحزب الوطنى صحفه وحتى حزب الامة — التجمع السياسى لكبار ملاك الارض — اغلق صحيفة «الجريدة» ، ولم يبق من الصحف السياسية سوى المقطم «جريدة دار الحماية البريطانية» «والاهرام» كانت اذ ذاك محايدة بين الشعب والاحتلال .

ورغم من حالة الصمت الرهيبة التى فرضت خلال الحرب ، فان محاولتين قد جرتا لاغتيال السلطان حسين كامل ، وأكثر من محاولة لاغتيال بعض وزرائه ، وكثرت عملية سرقة الاسلحة من المعسكرات البريطانية ، وتعطيل القطارات الحربية مما اضطر السلطة العسكرية الى التحذير بأنها ستطلق الرصاص فورا على كل من يضبط متلبسا بمحاولة تعطيل القطارات (١٥) .

وانتهت الحرب ، واجتمع ممثلو الاحتكارات الاوروبية فى فرساى يتبادلون انخاب النصر ويقتسمون الغنائم ، بينما كان الشعب المصرى يجمع صفوفه ليثور .

(١٥) اعتمدنا بخلاف ماذكر فى الهوامش على : تاريخ فؤاد الاول الاقتصادى للدكتور محمد فهمى لهيطة والتطور الاقتصادى فى مصر الحديثة لراشد البراوى وحمزه عليش — وثورة ١٩١٩ للرافعى — وكرومر فى مصر لرشدى صالح — وتقارير كتشنر الى حكومته عامى ١٩١٢ ، ١٩١٣ .

الأعباء الاقتصادية للحرب العالمية الثانية



د. فؤاد مرسي

كانت الحرب العالمية الثانية من التجارب الخطيرة التي مرت بحياة الشعب المصري في الاربعينات من هذا القرن . فقد كان الموقع الاستراتيجي النادر الذي تحتله أرضنا في ملتقى قارات ثلاث ، يهيىء لكل من الطرفين المتنازعين دوليا فرصة ثمينة من فرص النصر ؛ لهذا كان الصراع ضاريا من اجل الفوز بهذه المنطقة الحيوية . ولهذا ايضا كان للصراع الدولي نتائجه المباشرة على خريطة مصر الاجتماعية والسياسية ابان تلك الفترة التي يتعرض لها الدكتور فؤاد مرسي بالرأى والتحليل في هذا المقال .

اندلعت الحرب العالمية الثانية كنتيجة لا مفر منها لتطور القوى الاقتصادية والسياسية العالمية على أرضية الرأسمالية الاحتكارية . فقد حاولت الدول الفاشية الرئيسية عندئذ، المانيا وايطاليا واليابان ، أن تغير بقوة السلاح الوضع القائم داخل النظام الرأسمالى العالمى لمصلحة جماعة معينة من الدول الرأسمالية الاحتكارية .

ثم امتدت الحرب العالمية الثانية بعد ذلك بالعدوان الفاشى على الاتحاد السوفيتى . ومن ثم تكون تحالف هائل معاد للفاشية ضم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، بهدف سحق القوات المسلحة للدول الفاشستية ؛ وبالطبع لم تكن الاهداف واحدة عند جميع الخلفاء.

فبينما كان الاتحاد السوفيتى يرى أن الهدف الرئيسى هو سحق الامبرياليات الالمانية واليابانية وتحطيم الفاشية واعادة وتطوير المؤسسات الديمقراطية في اوربا ونشر ريح التحرر الوطنى فى البلدان المستعمرة والتابعة ، كانت الولايات المتحدة ومعها بريطانيا العظمى تبغيان التخلص من المنافسة الالمانية واليابانية في الاسواق العالمية وتأكيد تفوق الاحتكارات الامريكية خاصة .

ومع ذلك ، ونظرا للطابع الفاشى الرهيب لقوى المحور (المانيا وايطاليا واليابان) فقد أصبح الخلفاء في مجموعهم يخوضون حربا تحريرية عادلة ، كانت ترمى لتحرير العالم من الطغيان

الثانوى . ولذلك سارعت جميع القوى التقدمية والوطنية والديمقراطية لمساندة جهود الحلفاء .

لكن الأمر لم يكن بمثل هذا الوضوح فى مصر التى كانت عندئذ شبه مستعمرة بريطانية ، لا تحتلها فقط القوات المسلحة للامبراطورية البريطانية وانما تدور معارك الحرب ايضا على أرضها ، وتهتز لها كرا وفرا ، وانتصارا واندحارا .

فى هذه الظروف ، شددت بريطانيا من قبضتها على البلاد ، وفرضت لمصلحتها أجراءات اقتصاد الحرب ، بحيث جندت جميع موارد مصر وثرواتها وعمل شعبها معبأة لجهود الحرب . وعاشت البلاد بكافة طبقاتها تحت وطأة اقتصاد الحرب المفروض أساسا لمصلحة بريطانيا .

لقد كانت مصر عندئذ جزءا لا يتجزأ من النظام الاستعمارى العالمى ، وجزءا من السوق الرأسمالية العالمية . وبينما كانت بريطانيا بالنسبة لمصر هى العميل الأول والمصرفى الاول والرأسمالى الاول ، كانت بقية الدول الرأسمالية تقبض على ما بقى من مراكز اقتصادية فى البلاد ، وبخاصة فى التجارة الخارجية والبنوك ، وكلنا نعرف كيف كانت هذه البنوك التى تساهم فى تمويل القطن لا تتحرك الا طبقا لاعتبارات خارجية تحكمها اسواقها الاصلية . ولقد كانت هذه التبعية للسوق الرأسمالية العالمية موضع ارتياح لدى الدوائر الاقطاعية والاحتكارية المحلية ، فقد كانت المشكلة الاولى التى تعنيها هى ضمان تصريف محصول القطن كل عام بسعر مجز بالجنيه الاسترلينى .

لهذا ادت التبعية للسوق الرأسمالية العالمية عند اندلاع الحرب الى نتائج خطيرة . لقد عزلت مصر عن كل العالم الا بريطانيا فقط ، واتخذت الإجراءات لصالح اقتصاد الحرب البريطانى . فرضت الرقابة على الصرف ، وانضمت مصر الى منطقة الاسترلينى ، وسمح لبريطانيا بالاستيلاء على كل العملة التى تحصل عليها مصر من صادراتها ، وهذا كله مساعدة لبريطانيا على تمويل حربها .

التطورات الاقتصادية

انخفضت الواردات وتدهورت الصادرات ، فقد كانت بريطانيا نفسها تفرض حصارا بحريا هو فى الحقيقة حصار اقتصادى ، وأصبحت مصر مرغمة على أن تبيع القطن لبريطانيا وحدها ، وصارت مرغمة على أن تقدم منتجاتها وعملها بسخاء للجيوش المتحالفة ، ولم تكن بريطانيا تدفع الا بالجنيه المصرى . وبذلك جرى التوسع فى اصدار النقود الورقية . وكان هذا عونا ضخما لبريطانيا . لكنه أطلق بذور التضخم بلا قيد ولا ضابط ، فجرت موجة إثر موجة من التضخم وما زلنا نعانى منها .

ان توقيع الحرب ثم اندلاعها فعلا قد أطلقا العنان لروح المضاربة على الواردات ، بأمل تكوين مخزون كبير والتلاعب بالاسعار ، وبالذات فى المواد الغذائية وقطع الغيار ووسائل النقل وبعض المواد الاولية مثل فحم الكوك والصفيح والقصدير والحديد . فهذه السلع التى تحتاجها صناعة الحرب ، أو التى تتطلب خامات ضخمة فى السفن قد توقف استيرادها أو كاد . وبالفعل صارت عملية الاستيراد تتوقف الى حد كبير على تطورات المعارك العسكرية أكثر مما تتوقف على العوامل الاقتصادية ، بحيث كانت قيمة الواردات بالنسبة لما كانت عليه فى عام ١٩٣٩ على النحو التالى : ٨٦ ٪ فى ١٩٤٠ ، ٨٣ ٪ فى ١٩٤١ ، ٦٢ ٪ فى ١٩٤٢ ، ثم عادت فانهارت فى عام ١٩٤٣ الى ٥٠ ٪ وارتفعت قليلا قبل نهاية الحرب الى ٥٦ ٪ .

اما صادراتنا فكانت فى وضع اسوأ . واذا قلنا صادراتنا عندئذ فنحن نعنى القطن والقطن فقط الذى كان يمثل اكثر من ٧٥ ٪ من قيمة الصادرات كلها . ان اندلاع الحرب كان اعلانا بحرمان مصر من عدد من المشترين التقليديين للقطن مثل المانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ، وكانت صادراتنا من القطن اليها تمثل ٣٠ ٪ تقريبا من حجم المحصول . ومن ثم لم تبق سوى بريطانيا نفسها . وكان الاقطاعيون يبررون تبعيتنا لبريطانيا بالقول بانها تضمن تصريفا منتظما لمحصول القطن ، هذا المحصول الذى لم يكن ينتج للتصنيع المحلى بقدر ما كان السلعة الرئيسية للتصدير .

وها هو القطن لم يعد يصدر ، فقد اغلقت الاسواق الخارجية ، واحكم الحصار البحرى ، وتعذر الشحن على سفن تجارية مستعدة لنقل القطن الى لانكشير . واتجهت كل جهود الحكومات عندئذ لاقناع بريطانيا بشراء المحصول ، وتخزينه فى مصر ، توقعا لنهاية الحرب . فى هذه الظروف ، التى اصطحبت بعزلة سوق القطن المصرى عن السوق العالمية ، فرضت بريطانيا اسعارا زهيدة . وقبلتها الحكومات .

لكن بريطانيا اتجهت لتخفيض السعر سنة بعد اخرى ، معتمدة على تراكم مخزون ضخم من القطن . وعلى الرغم من انه بعد سنة واحدة من بداية الحرب اقدم الزراع على تخفيض محصول القطن بمقدار ٣٣ ٪ عما كانت ، الا انه كان هناك مخزون كبير يتراكم سنة بعد اخرى :

في سبتمبر ١٩٣٩	٧٧٢	الف قنطار
في سبتمبر ١٩٤٠	١٠٥٦٠ر١	الف قنطار
في سبتمبر ١٩٤١	٧٥٧ر٥	الف قنطار

فاذا اضيف محصول ١٩٤١ ، اصبح هناك حوالي ١٤ مليون قنطار من القطن . هنالك تدخل وكلاء الاقطاعيين والزراع ، وشكا مجلس النواب من انخفاض اسعار القطن التي تدفعها بريطانيا ، وكانت حجته هي التضخم الذى يأخذ بخناق البلاد وارتفاع اسعار القطن الامريكي . ولم تجد الحكومة عندئذ حلا الا ان تمول الفرق بين اسعار العام السابق والاسعار المطلوبة — من الميزانية العامة اى من أموال جميع الشعب .

لكن بريطانيا طلبت والحت في الطلب لخفض المساحة المزروعة قطنا . وابتداء من عام ١٩٤١ بدا تنظيم زراعة القطن ، بخفض المساحة المخصصة لها ، وتقرير علاوة لزراعة الحبوب . واستمر الاتجاه لزراعة القمح والذرة والارز وقصب السكر بدل القطن ، حتى انخفض انتاج القطن في نهاية الحرب بمقدار ٥٠٪ عما كان عند بداية الحرب، وعندما انتهت الحرب كان المخزون المتراكم سببا في تدهور اسعار القطن ، بحيث انتهت الحرب وقد دالت دولة القطن في مصر .

والخطير في هذه الظروف ان بريطانيا استطاعت ان تمول كل ماتشتريه من مصر ، من قطن وطعام وقوة عمل ، « بالورق » .. فابتداء من عام ١٩٣٩ كان البنك الاهلى يستمد سلطاته من وزارة الحرب البريطانية بغرض تمويل الجيوش البريطانية في مصر . ولم يكن البنك الاهلى يفعل أكثر من ان يصدر المزيد من النقود الورقية يطبعها لتمويل النفقات العسكرية ، حتى لقد كان للسلطات البريطانية مطبعتها المخصصة لهذا الغرض !

هكذا تراكمت الارصدة التي عرفت عندئذ باسم الارصدة الاسترلينية . تراكمت للبنك الاهلي في مقابل النقود المصرية التي يصدرها . وتراكمت ايضا لحساب المؤسسات الراسمالية ولحساب الرأسماليين الذين تجمعت لديهم أموال وعجزوا عن توظيفها في السوق المحلية . فاتجهوا لتوظيفها في سندات بريطانية .

وهكذا شكلت هذه الارصدة المتراكمة في مقابل ثروات الشعب من قطن وطعام وعمل ، شكلت ادخارا جبريا مفروضا على المصريين لصالح السوق الراسمالية البريطانية . ومع ان مصر قامت بتحويل الدين العام من دين خارجي الى دين داخلي ، وبذلك أتاحت لبريطانيا ان تشترى من السوق المصرية بمقدار ما كان لها من دين ، الا ان الارصدة الاسترلينية بلغت في نهاية الحرب رقما هائلا هو ٤٤٠ مليون جنيه استرليني ، مملوكة على النحو التالي : الحكومة المصرية ٣ملايين، البنك الاهلي كبنك اصدار ١٤٤ مليونا ، البنك الاهلي كبنك تجارى ٢٠٠ مليون ، البنوك الاخرى ٤٣ مليونا ، الرأسماليون ٤٩ مليونا .

وعندئذ ماذا كنا نتوقع من جراء توقف الواردات ، وتوقف الصادرات ، وانخفاض سعر القطن تم خفض مساحته المزروعة ، ومضاعفة الطلب على الاقوات نتيجة الجيوش المقيمة ، ودفع كل ماتشتريه بالورق الذي تسهل طباعته؟ لقد كانت النتيجة الطبيعية هي زيادة كمية النقود الورقية بلا ضابط ، وانطلاق التضخم الرهيب، وارتفاع الاسعار . وعلى الرغم من محاولات التسعير الجبرى وفرض نظام البطاقات ، فقد اصبح لاغلب السلع سوقان سوق رسمية لاتوجد فيها وسوق سوداء تتواجد فيها باسعار اعلا .

ومنذ بداية الحرب ، اغرت حالة الاحتكار التي نشأت عن الحصار البحرى بالمبالغة في رفع الاسعار مضاربة على عدم استيرادها مستقبلا . وظهر تجار الحرب ، الذين يضاربون على كل شيء ، بينما يدفع الشعب الثمن . ولا تدل الارقام الرسمية عن اسعار الجملة ونفقات المعيشة على حقيقة الغلاء ، فهي لا ترصد سوى بعض السلع لا كلها ، وهي ترصدها بالاسعار الرسمية لا بالاسعار الفعلية التي تدفع بالفعل . ومع ذلك فهاهي الارقام الرسمية :

تطور الاسعار
سبتمبر ٣٩ = ١٠٠

في ديسمبر	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥
أسعار الجملة	١٢٢	١٤٣	١٨٣	٢٥١	٢٩٣	٣٣٠ ١/٢	٣٣٣ ١/٢
نفقات المعيشة	١٠٨	١٢٢	١٥٦	٢١٥	٢٣٧	٢٩٢	٢٩٠ ١/٢

التحـولات الاجتمـــاعية

فى هذه الظروف ، ضاعفت الحرب من حدة الصراع الطبقى ، وساعدت على سرعة التحايز الاجتماعى وبروز الطبقات مستقلة بعضها عن بعض . لقد ضاعفت الحرب من سرعة التحول الراسمالى فى اقتصاد شبهاقطاعى تابع للسوق الرأسمالية العالمية .

وعلى سبيل المثال ، فلقد إنتعشت الصناعية فى ظروف غير طبيعيـة ، صنـاعة المنسوجات والاغذية والمشروبات ، فهذه الصناعة عند بداية الحرب كانت تفي بحاجيات السوق المحلية في الحدود التالية :

الكحول والسكر والسجاير ١٠٠ ٪ ،الحبوب ٩٩ ٪ ، الاحذية والصابون والإسمنت ٩٠ ٪ ، الاثاث ٨٠ ٪ ، البيرة ٦٥ ٪ ، الزيوت ٦٠ ٪ ، الصودا ٥٠ ٪ ، المنسوجات القطنية . لكنها فى الحرب انتعشت وتوطدت ،فقد توقف الاستيراد تقريبا ، وتراكمت بسبب الحـــرب رءوس اموال بلا توظيف ، ومن تم انطلقت موجة من التحول الراسمالي . يقول شهدى عطيه الشــافعى فى كتابه (تطور الحركةالوطنيةالمصرية) ان رءوس الاموال فى شركاتالمساهمة الصناعية والتجارية ارتفعت عندئذ من ٨٦ مليون جنيــه الى ١٠٦ ملايين جنيه فى نهـاية الحرب ، بينمـا ارتفعت رءوس الاموال فى الصناعة وحدها من١٥ مليون جنيه الى ٣٣ مليون جنيه .

وظهرت طبعه اغنياء الحرب ، اولئك الذين استطاعوا تكوين راسمال بفضلظروف الحرب واشتد ساعد طبقة الراسمالية الزراعية ، طبقة اغنياء الريف المشتغلين بالانتاج الراسمالى اي انتاج محاصيل للسوق المحليـة ، وتضـاعفت الارباح الراسماليه . ارتفعت الارباح الموزعه فى شركات المساهمة من ٧ر٥ مليون فى عام ١٩٤٢ الى ٢٠ مليون جنيه فى عام ١٩٤٦ ، وارتفعت ايجارات الاراضي الزراعية من ٣٥ مليون جنيه فى ١٩٣٩ الى ٩٠ مليون جنيه فى ١٩٤٥ . لقد امتد الانتعاش الى طبقة الاقطاعيين ،

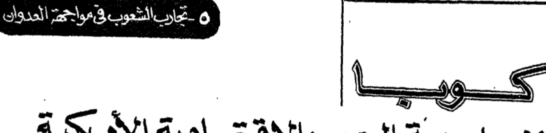
وفى نهاية الحرب ، عندما بلغ تقـدير الدخل القومى ٥٠٢ مليون جنيـــه ، كان ٣٠٨ مليون جنيه منها تمثل ارباحا وفوائد وايجارات ، اي عوائد للراسماليين والملاك ،ولم تستطع الدولة، دولتهم ، ان تفرض عليهم اعباء مباشرة مقـــابل مكاسبهم ، فظلت ضريبة الاطيان وضريبة القيم المنقولة على حالهما . كل ماهنالك إنها فرضت ما يسمى الضريبة علىالارباح الاستثنائية .وهي ضريبة زهيدة العبء ، لعوب لاتصيب الا الربح (الإستثنائى) . وهى بعد ضريبةموقوتة بزمن الحرب ، سرعان ما الغيتبنهايتها على الرغممن امتداد آثار الحرب سنوات طويلة بعدها .

وتحت ستـــار ظروف الحرب التى اوقفت الاستيراد تقريبا ، لم يقم الراسماليون القدامي او الجدد بتجديد وسائلالانتاج ، وعلى العكس تم استهلاكهـا بقوه طمعـا فى الربح . وانتهت الحرب وهمحريصونجميعا علىعدم تجديدها.

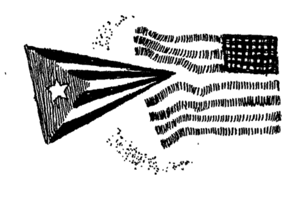
واصابت الحرب طبقـة صغار الراسماليين ذوى الدخول الثابتــه من الملـكيات الصغيره ، الارض او المبانى او الديون ، فقد ظلت دخولهم ثابته او خفضت بفعل بعض القوانين . وانضم اليهم الموظفون الذين لم يظفروا الا بعلاوة غلاء مفرطة فىالحجل .وحلالدمار والافلاس باعداد كبيره من اصحاب الحوانيت والورش الصغيرة الذين اوقفت الحرب تجارتهم او صنــاعتهم ، مثل تجار الفحم .

اما جمهره الشعب من العمالوالفلاحين ،فلقد تحملت كالعادة فىجميع الحروب اغلب الاعباء. فعلى الرغم من حالة التضخم التى رفعت سعر كل شيء ، هبط متوســط دخل الفرد بشــكل خطير ، ان متوسط الدخل الفردى فيمـا بين عامى ١٩٢١/١٩٢٨ كان ٣ر١٢ جنيها فىالعام ، وكان قبل الحرب ٦ر٩ جنيها ، فهبط فيما بين عامى ١٩٤٠ / ١٩٤٥ الى ٤ر٩ جنيها . ويذكر شهدى عطيه الشافعى ان مصلحة الاحصــاء فى عام ١٩٤٢ قـــدرت ان ما يلزم لعامل وزوجته واربعة اولاد لايقل عن ٤٣٩قرشا فى الشهر طعاما وكساء ، وذلكطبقا للاسعار الرسميةلا الفعلية. ومع هذا فقد كانمتوسطالاجر الشهري للعامل عندئذ لايتجاوز ٢٩٣ قرشا ،ولم يكن انخفاض اجر العامل ليوقف عندئذ عمليةهجرة الفلاحين الى المدن والتجـائهم بالمصانع التي احتاجت استغلالهم . لقــد كانت العملية التاريخيه لافقار جماهير الفلاحين تسير باطراد ، وتســاعد على تزويد صــفوف البروليتاريا باعــداد متزايده من العمال .

وانتهت الحرب وقــد تغيرت خريطـة مصر الاجتماعية ، بعــد ان كانت الحرب قــد زادت الاغنياء غنى والفقراء فقرا . وانتهت الحــرب ايضا وقد تهيأت مصر لثورتها الوطنية الكبرى بزاد ثورى ظل يتضاعف عاما بعد عام .



كوبا فى مواجهة الحرب الاقتصادية الأمريكية



وديع أمين

تعد التجربة الكوبية من أولى التجارب الثورية فى عالمنا المعاصر قدرة على اعطاء « النموذج » على الامكانيات الهائلة التى يثمرها التحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية .. فالشعب الكوبى مايزال شعبا صغيرا يعانى من التخلف الذى ورثه من عصور التحالف غير المقدس بين الاحتكارات الامريكية والراسمالية الكوبية الحاكمة فيما قبل ثورة الجماهير بقيادة فيدل كاسترو. فماهى أبعاد هذا النموذج الذى تقدمه لنا التجربة الكوبية الرائدة.

ليس من المبالغة القول بأن كوبا لم تكن ملكا للكوبيين ، وانما كانت فى الواقع ملكا للشركات الاحتكارية الامريكية .. وان مزارع القصب ومصانع تكرير السكر فى الجزيرة ، كانت كلها ملكا « لشركة الفواكه المتحدة » الاحتكارية ، التى تملك حوالى نصف الاراضى الزراعية فى جواتيمالا وكوستاريكا وغيرهما من بلدان امريكا اللاتينية ــ وكان يعد من اكبر المساهمين فى هــذه الشركة وزير خارجية الولايات المتحدة السابق ، فوستردلاس ، صاحب سياسة حافة الحرب ، والمشروعات والاحــلاف الاستعمارية الامريكية الاخرى مثل حلف البحر الابيض المتوسط ، ومشروعات الدفاع عن الشرق الاوسط ومشروع ايزنهاور ــ كما كانت شركة « رينولدز ميتال كومبانى » وشركة « فريبورت » تسيطران على انتاج النيكل ، وشركة « بتلهايم » الاحتكارية للصلب على انتاج الحديد ، كما كانت شركة « اسو » وشركة « تكساس » الامريكيتان تحتكران كافة النشاط البترولى فى البلاد ، هذا فضلا عن الكهرباء والنقل والمواصلات والبنوك التى تسيطر عليها جميعا رؤوس الاموال الامريكية، وقد بلغت جملة هذه الاستثمارات الامريكية فى كوبا فى عام ١٩٥٧ بما يزيد عن ٨٠٠ مليون دولار.

واستكمالا لهذه الصورة الرهيبة ، كان هناك حفنة من الاقطاعيين يشكلون نســبة ١٪ من الشعب، يملكون حوالى ٥٠٪ من مجموع الاراضى الزراعية ، بينما يملك ٧٠٪ من الفلاحين ١٢٪ فقط من الاراضى .

وقد بلغ عدد العاطلين فى كوبا فى عام ١٩٥٨ ،

حوالى مليون شخص ، من بين ستة ملايين هم مجموع الشعب الكوبى ، نصفهم تقريبا من العمال الزراعيين الذين كانوا يعانون من البطالة الجزئية لمدة ستة اشهر كل عام ، بينما الباقى يعيشون فى حالة من البطالة الكاملة . كما بلغ العجز فى ميزان المدفوعات التجارى الكوبى مع الولايات المتحدة الامريكية ١٠٠٠ر١ مليون دولار خلال السنوات العشر السابقة للثورة ومن هنا لم يكن الاقتصاد الكوبى سوى مزرعة للاستعمار الاقتصادى الامريكى الجديد .

ولم يكن يخطر فى ذهن **فيدل كاسترو** وزملائه الاثنين والثمانين ثائرا ، هم مجموع ركاب اليخت الصغير « **جرانما** » ومعظمهم من المثقفين ابناء البورجوازية الصغيرة ، القادمين الى الساحل الكوبى لتحرير الجزيرة فى ديسمبر عام ١٩٥٦ ، ان الثورة التى سيقومون بها من الممكن ان تتحول الى الاشتراكية ، فان اقصى ماكانوا يحلمون به فى تلك الساعات ، هو القضاء على حكم الخائن باتيستا ونظامه الدكتاتورى الموالى للولايات المتحدة ، والقيام بجملة اصلاحات دستورية واجتماعية واعادة الحياة الديمقراطية الى البلاد، وكلها لاتخرج فى جملتها عن مضمون واطار النظام الراسمالى الديمقراطى .

ان تاريخ تطور الثورة الكوبية الى الاشتراكية، هو نفسه تاريخ نضوج الثورة الاجتماعية فى كوبا وتطور فكر فيدل كاسترو زعيم الثورة وتحوله الى الاشتراكية العلمية ، وذلك من خلال تجاوبه مع الجماهير ومعارك الثورة ، فى مواجهة الحرب الاقتصادية الامريكية، وفى سبيل التحرر السياسى والاقتصادى الكامل من اغلال العبودية والاستغلال الاستعمارى — ولقد قاومت امريكا الثورة منذ البداية بمساندة عميلها الخائن باتيستا ، ولكنها فشلت فى النهاية فى تحطيم الثورة التى يتكون جيشها اساسا من الفلاحين الغالبية العظمى من الشعب والعمال والمثقفين فى المدن .

ولقد نشب الخلاف بين القوى الثورية منذ اليوم الاول لتسلم السلطة ، داخل حركة ٢٦ يوليو بزعامة كاسترو ، بين الجناح اليمينى الذى يمثله الساسة البورجوازيين القدامى من قادة **حزب الشعب والحزب الثورى** المؤتلفان داخل حركة ٢٦ يوليو ، وبين الجناح اليسارى الثورى الذى يتزعمه فيدل كاسترو ، وذلك بسبب الخلاف حول تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى — وكان الاصلاح الزراعى يمثل ركنا اساسيا فى برنامج الثورة لتحرير جماهير الفلاحين الذين خاضوا حرب التحرير فى الجبال بقيادة كاسترو ، من العبودية الاقطاعية واستغلال الشركات الامريكية ، ولقد رفضت القوى البورجوازية وعلى رأسها **مانويل اوروتيا** رئيس الجمهورية المؤقت، ورئيس الوزراء **ميرو كاردونا** الموافقة على قانون الاصلاح الزراعى .. ولكن كاسترو لم يتراجع، فقد كان يملك القوة الفعلية الممثلة فى جيش التحرير الشعبى وبصفته زعيما للثورة — وصدر قانون الاصلاح الزراعى الاول فى مايو ١٩٥٩ ، الذى نص على تحديد الملكية الزراعية بـ ٤٠٠ هكتار (الهكتار حوالى ٥ر٢ فدان) ، وتوزيع الاراضى المصادرة على الفلاحين المعدمين بنسبة ٢٧ هكتارا لكل فرد ، وبذلك تمكن ٣٠ الف فلاح وعائلاتهم من الحصول على الارض لاول مرة .

وبالرغم من ان القانون جاء اقرب الى الاعتدال منه الى الثورة الزراعية، فانه يعتبر ضربة موجهة فى الاساس الى الاحتكارات الامريكية ، التى تملك معظم مزارع القصب الواسعة ، ومن حيث كونه خطوة كبيرة على طريق التحرر الاقتصادى من قبضة الامبريالية الامريكية .

وفى اليوم التالى،قدم السفير الامريكى احتجاجا رسميا واعلن معارضة حكومة الولايات المتحدة لهذا العمل العدائى ضد مصالح الشركات الامريكية ، ولم يكن هذا كل شىء فقد قدم رئيس الوزراء ومعه اربعة آخرون من الوزراء استقالاتهم وغادروا البلاد الى الولايات المتحدة — ولم يبال كاسترو بالامر، بل وصمم على عدم دفع التعويضات عن الاراضى المؤممة للشركات الامريكية ، مبررا ذلك بأن الارض هى اراض كوبية وقد عادت اليها، وان الشركات الامريكية قد نالت اكثر من حقوقها من وراء عمليات السرقة والاستغلال لموارد البلاد وعرق وجهود ابنائها طوال الخمسين عاما الماضية .. وكان ذلك بداية الصدام الفعلى بين كاسترو والولايات المتحدة وبين القوى البورجوازية المستغلة والعميلة فى الداخل التى شعرت بدنو الخطر ناحيتها .

وبدأت الولايات المتحدة تهدد بتخفيض حصتها من استيراد السكر الكوبى ، ورفضت البنوك الامريكية فتح الاعتمادات الخاصة بالمعاملات التجارية مع كوبا ، كما اوقفت الولايات المتحدة تصدير البضائع الى كوبا ، واستخدمت نفوذها وسيطرتها على دول امريكا اللاتينية لمنعها من الاتجار مع كوبا ، وكان اخطر هذه الاجراءات هو وقف ارسال البترول الامريكى الى كوبا ، بهدف شل حياتها وتدمير اقتصادياتها — كما بدأت تتوالى الغارات الجوية على كوبا ، التى تقوم بها (طائرات مجهولة !) لالقاء القنابل الحارقة على مصانع السكر واشعال الحرائق فى مزارع القصب ، وفى نفس الوقت الذى كانت حكومة كاسترو تواجه فيه الحرب الاقتصادية التى شنتها عليها الولايات المتحدة من الخارج ، راحت القوى الاقطاعية والبورجوازية العميلة فى الداخل تستغل تلك الضائقة الاقتصادية التى تمر بها

البلاد في عامها الاول للثورة ، للقيام بالمؤامرات واعمال النسف والتخريب والاغتيالات ، بهدف احداث الذعر والفوضى بين المواطنين وتعبئة الشعور المعادي ضد سياسة حكومة الثورة ولم تنجح تلك الأعمال الإجرامية اليائسة فى احداث الأثر المطلوب ، بل على العكس فقد زادت من وعي الجماهير الشعبية بمصالحها وبالاخطار التي تهدد الثورة، وهب العمال والفلاحون للدفاع عن البلاد وتكوين (لجان الدفاع عن الثورة) في كل مكان،لحراسة المؤسسات الصناعية والمرافق العامة فى انحاء البلاد ، ووضحت اصابع المخابرات المركزية الامريكية وراء كل هذه الاعمال الاجرامية ، التى تستهدف تخريب وتصفية الثورة من الداخل .

واخذت حكومة كاسترو تبحث عن اسواق جديدة لتصريف محصول السكر الرئيسي للبلاد ، وحتى لايظل اقتصاد البلاد تحت رحمة الولايات المتحدة .. وحضر ميكويان نائب رئيس الوزراء السوفيتي الى كوبا في فبراير عام ١٩٦٠ ، لتوقيع اول معاهدة للتبادل التجاري وتنظيم المدفوعات بين كوبا والإتحاد السوفيتي ، وضمنت كوبا بمقتضى هذه الإتفاقية الجديدة تصدير مليون طن من السكر الخام سنويا الى الإتحاد السوفيتي ولمدة السنوات الخمس القادمة ، كما عرض الاتحاد السوفيتي شراء انواع اخرى من المنتجات الكوبية ، في مقابل ما تحتاجه كوبا من السلع السوفيتية اللازمة لتطويرها الإقتصادى المستقل، كما نصت هذه الاتفاقية على الاحتفاظ لكوبا برصيد في ميزان المدفوعات يساوي ٢٠٪ من قيمة الصادرات الكوبية الى الإتحاد السوفيتي ، كما تم توقيع اتفاقية اخرى للتعاون الاقتصادي والتكنيكى بين البلدين ، وحصلت كوبا ايضا على قرض طويل الاجل قيمته ٩٠ مليون روبل (ما يعادل ١٠٠ مليون دولار) ، لشراء المصانع والماكينات واجهزة لصناعات التعدين وتكرير البترول والنسيج وغيرها من فروع الصناعة ؛ وذلك بفائدة ٢ر٢٪ سنويا ، على أن يتم السداد خلال ١٢ عاما من المنتجات الكوبية .. ولقد ابدى الاتحاد السوفيتي كعادته دائما تفهما كبيرا ومخلصا للظروف القاسية التي تواجهها كوبا من جراء الحرب الإقتصادية التي تشنها عليها الولايات المتحدة ، والمهمة الصعبة في سبيل تنمية وتطوير اقتصادها الوطني .

وفي تلك الاثناء كانت الاتهامات الموجهة الى الثورة وزعمائها من جانب القوى الاقطاعية والبورجوازية العميلة ؛ وتتهمهم بالشيوعية والكفر تزداد حدة وسعارا ، ونشطت حركة الهجرة للعناصر البورجوازية ووجهتها صوب الولايات المتحدة لتنضم هناك الى جيش الثورة المضادة في ميامي بولاية فلوريدا ، بعد أن تخلت عن وطنيتها وفضلت عليها مصالحها الاستغلالية.

وبدأت المعركة تدخل مرحلة جديدة في تاريخ النضال والتحدى الكوبى لسياسة الحرب الإقتصادية الامريكية على الجزيرة الصغيرة ؛ ففي ٢٧ يونيو عام ١٩٦٠ ، اعلنت الشركات الامريكية امتناعها عن تكرير البترول السوفيتى ، وجاء الرد سريعا من جانب كاسترو ، ولم يكن قد مضى سوى اربعة ايام، ففى يوم ١ يوليو بالتحديد،اعلن كاسترو تأميم مصانع تكرير البترول الامريكية ومصادرة كافة منشآتها ووضعها تحت اشراف معهد البترول الكوبى ، وفى يوم ٦ يوليو اعلنت الولايات المتحدة إمتناعها عن شراء السكر الكوبى ؛ وجاء الرد سريعا وعنيفا هذه المرة من جانب كاسترو ، ففي اليوم السابع من اغسطس اعلن كاسترو تأميم جميع الاستثمارات الامريكية في كوبا لصالح الشعب،وشملت المناجم والاراضى والشركات الصناعية وايضا تلك التى تساهم فيها الاستثمارات الامريكية بنصيب ، والتى بلغ عددها حوالى ٦٠٠ منشأة اقتصادية .

وبهذه الاجراءات الحاسمة كانت الثوره الكوبية قد وصلت الى نقطة اللاعودة فى عدائها للاستعمار الامريكى ، واصبح محتما عليها أن تواصل الطريق ، وتمضى بالثوره الوطنية التحررية المعادية للاستعمار والاستغلال نحو انجاز مهام الثوره الوطنية الديمقراطيه وتحرير المجتمع من الاستغلال الداخلى ، وقد جاء بيان هافانا الاول : الذى اعلنه كاسترو فى يوم ٢ سبتمبر ١٩٦٠ ، واضحا ومحددا بهذا الشأن « وإن هدف الثورة الكوبية هو القضاء على استثمار الانسان من قبل الانسان » .

وقبل مرور شهر على تاريخ تأميم الاستثمارات الإستعمارية ، أصدر كاسترو القانون الجديد بتأميم المؤسسات الصناعية والتجارية للبروجوازية الكبيرة والمتوسطة والتي شملت ايضا التجارة الخارجية وتجارة الجملة ــ ولقد ساهمت هذه التأميمات الواسعة فى معظم فروع الاقتصاد الوطني وشملت قواعد الانتاج الاساسيه ، على تكوين القطاع الاشتراكى الذى اصبح يسيطر على ٨٠٪ من جملة الانتاج الصناعى فى الدولة ، وكانت ان وضعت البلاد على ابواب التحول الاشتراكي .

لقد جاء انتقال الثوره الكوبيه الى الطريق غير الراسمالي عبر النضال الثورى النشط من إجل القضاء على الإستغلال الاستعمارى والراسمالى، وبفضل وجود القيادة الثورية الديمقراطية فى قمة السلطة ؛ وتفهما وتأييدها لاهداف ومصالح الجماهير الشعبية الواسعة : من العمال والفلاحين والمثقفين والبورجوازية الصغيرة ؛ استجابة للمصلحة الحقيقية فى القضاء على الاستغلال وتحقيق التقدم الاجتماعى .

وفى السادس عشر من ابريل عام ١٩٦١ ، اعلن كاسترو الطابع الاشتراكى للثورة الكوبية، موجها بذلك صفعة اخرى جديدة للسياسة الاستعمارية الامريكية .. ذلك انه فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تظن انها سوف تقتلع الثورة من الارض الكوبية وان تقضى عليها، كانت الثورة على العكس تزداد كل يوم رسوخا وصلابة وتضرب بجذورها فى باطن الارض الكوبية .

وحتى الآن كانت قد فشلت كل محاولات امريكا لخنق الثوره الكوبية ، كما اخذت حلقة الحصار الاقتصادى الشديد المفروض عليها تضعف من حولها ، بفضل مساندة الاتحاد السوفيتى وبقية دول المعسكر الاشتراكى ، ووجود عديد من الدول الرأسمالية التى تتاجر معها ، كما تحطمت كافة المؤامرات واعمال التخريب فى الداخل ، ولكن المؤامرات الاستعمارية لم تنته ، فقد بات مفهوما ان الولايات المتحدة لن تتجرع الهزيمة وانها تجهز لعمل عدوانى جديد .

ففى اليوم التالى (١٧ ابريل) على اعلان الطابع الاشتراكى للثورة الكوبية ، فوجىء العالم بالتدخل الامريكى السافر ، ونزول قوات الغزو المعادية على الساحل الكوبى فى منطقة (بلايا جيرون) والمكونة من عصابات المرتزقة المأجورين وابناء البرجوازية الكوبية الهاربين ، الذين تم تدريبهم وتسليحهم على ايدى المخابرات الامريكية فى القواعد والمعسكرات الامريكية فى ميامى ودول منطقة البحر الكاريبى، تساندهم وحدات الاسطول والطائرات الحربية الامريكية ، وكانت المطارات الكوبية قد تعرضت فى اليوم السابق للغزو للتدمير بقنابل الطائرات التى قامت من القواعد الجوية الامريكية فى دول امريكا اللاتينية المجاورة — وهب الشعب الكوبى كله وراء الجيش الشعبى ممثلا فى فرق الميليشيا الشعبية ولجان الدفاع عن الثورة واشترك النساء والشيوخ والاطفال وكل فرد قادر على حمل السلاح فى المعركة ، للدفاع عن مكاسبهم الثورية وحماية الثورة الاشتراكية ضد قوات الثورة المضادة ، واستمرت المعركة ثلاثة ايام وانتهت بسحق قوات الغزو الفاشل ، ووقوع عدة مئات منهم اسرى فى قبضة الشعب الكوبى، وتم الحاق اول هزيمة عسكرية بالولايات المتحدة فى امريكا اللاتينية .

ويفسر كاسترو احداث هذه الفترة الهامة بقوله « عندما فشلت كل الوسائل الاقتصادية فى تحقيق التأثير المطلوب ، اخذت الامبريالية الامريكية تعد للتدخل المباشر ، وقد رفضت كل الدول الرأسمالية ان تبيعنا السلاح، على العكس فقد اعاننا الاتحاد السوفييتى ودول المعسكر الاشتراكى على شراء الاسلحة ، وانه بفضل هذه الاسلحة نجحنا فى سحق المعتدين فى معركة بلاياجيرون » .

والطريف ان كاسترو قد نجح فيما بعد ، فى مقايضة الولايات المتحدة على هؤلاء الاسرى ، وذلك فى مقابل ماقيمته عدة ملايين دولارات ، من الجرارات والآلات الزراعية التى يحتاج اليها لاغراض التنمية الاقتصادية ، وان يحذر هؤلاء الاسرى ، بأن الذى سيقع منهم فى الاسر فى المرة القادمة سيكون نصيبه الاعدام رميا بالرصاص .

لقد كانت معركة بلاياجيرون (المشهورة بمعركة خليج الخنازير) من اكبر الحوافز المادية لتطوير الثورة الكوبية وتدعيمها ودفعها الى الامام، فقد ساعدت على انصهار القوى الثورية والاشتراكية بقياداتها المتعددة على اختلاف اصولها ومنابعها الفكرية ، كما ادت الى بلورة المفاهيم الاساسية الخاصة والمتعلقة بمستقبل الثورة الكوبية ، مما ساعد على انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية بنجاح والانتقال بثبات الى مرحلة الثورة الاشتراكية .

كما اوضحت طبيعة هذه المرحلة الثورية الجديدة، استحالة السير الى الامام وتحقيق الثورة الاشتراكية بدون وجود الحزب الثورى الذى يتصدى لقيادة وتنظيم الجماهير ، ويضطلع بمهمة التحويل والبناء الاشتراكى فى كافة مجالات الدولة.

ان كل التحولات الاشتراكية التى تمت حتى الآن كانت بدون اشتراكيين — ولقد قامت الثورة منذ البداية بدون قيادة الحزب الشيوعى ، بل وبدون اشتراك الشيوعيين عند القيام بالثورة ، (وان كان ذلك لم ينف اشتراكهم فى معارك واعمال الثورة بعد ذلك) ، كما تحولت الى ثورة اشتراكية ايضا بدون قيادة الحزب الشيوعى ، وذلك بسبب اخطائه وجموده العقائدى وعجزه عن اكتشاف طريق الثورة الاشتراكية فى الظروف العالمية الجديدة ، فى بلد متخلف مثل كوبا — وكان فيدل كاسترو بوصفه زعيم وقائد الثورة الكوبية، قد اعلن فى هذه الفترة ايمانه (بالماركسية اللينينية) مسجلا بذلك اول حادث من نوعه فى تاريخ العالم ، فلم يحدث من قبل انتقال زعماء سياسيين الى الماركسية اللينينية وهم فى قمة السلطة . وفى يوليو عام ١٩٦١ بدأ تكوين الحزب الاشتراكى الموحد للثورة الكوبية ، من المنظمات الثورية والاشتراكية الثلاث فى كوبا وهى ، حركة ٢٦ يوليو بقيادة فيدل كاسترو ، والحزب الاشتراكى الشعبى (الشيوعى) ، والتنظيم الطلابى الثورى المعروف باسم (مجلس الادارة الثورى) ، وقد استمرت تجربة بناء الحزب الاشتراكى للثورة مدة اربعة اعوام ، وفى اكتوبر عام ١٩٦٥ ، اعلن تشكيل اللجنة المركزية للحزب الجديد ، الذى سمى باسم الحزب الشيوعى

الكوبى ، وتم انتخاب فيدل كاسترو سكرتيرا للحزب الجديد .

وفى اكتوبر عام ١٩٦٣ ، كان قد بدأ تنفيذ الاصلاح الزراعى الثانى لاستكمال الثورة الزراعية الاشتراكية فى كوبا ، بهدف تصفية البورجوازية الزراعية ، وتحديد الملكية الزراعية فى الريف بـ (٦٠ هكتارا) ، وقد ادى هذا التحول ، الى ان اصبح القطاع الاشتراكى فى الزراعة يشكل ٧٠٪ من مساحة الارض المزروعة ، تؤلف الآن حوالى ٥٨٠ مزرعة حكومية وتنتج حوالى ثلاثة ارباع مجموع محصول قصب السكر فى البلاد ، كما بلغ عدد الذين حصلوا على الأرض اكثر من ١٠٠,٠٠٠ فلاح ينتظمون الآن فى مزارع تعاونية .

والآن وبعد مرور ثمانى سنوات على انتصار الثورة الكوبية ، وهى نفس المدة تقريبا التى استغرقتها الحرب الاقتصادية التى تشنها الولايات المتحدة على كوبا بهدف خنقها والقضاء عليها ، تبرز امامنا حقيقتان وهما :

● ان الولايات المتحدة لم تنجح فى تحقيق هدفها الاساسى من وراء سياسة الحرب الاقتصادية لخنق كوبا اقتصاديا ، واثارة سخط الجماهير ودفعها لاسقاط النظام الثورى فى البلاد — بل على العكس فقد استثارت غضب الجماهير وحقدها على الولايات المتحدة ، وزادت من وعيها بمصالحها ضد الاخطار التى تهدد مكاسبها الاشتراكية ، واستماتتها فى الدفاع عن الثورة ، والالتفاف حول قيادتها الثورية الاشتراكية .

● انه بالرغم من معاناة كوبا للكثير من جراء الحصار الاقتصادى والحرب الاقتصادية التى تشنها عليها امبريالية الولايات المتحدة ، غير أن كل هذه الصعوبات لم تمنعها من المضى الى الامام فى سبيل تنظيم وتطوير اقتصادها الوطنى ، وتحقيق نجاحات كبيرة على طريق التنمية والبناء الاشتراكى .

وانه على سبيل المثال ، ان القطاع الاشتراكى ينتج الآن حوالى ٩٥٪ من جملة الانتاج الصناعى فى البلاد ، ويملك ١٠٠٪ من التجارة الخارجية وتجارة الجملة ، و ٧٥٪ من تجارة التجزئة .

وفى مجال النهوض بالزراعة تتحقق سياسة التوسع الافقى بالعمل على زيادة مساحة الارض الزراعية ، وزراعة محاصيل جديدة ، وفى العام الماضى اضيفت الى مساحة الارض المزروعة ٢٧٠ الف هكتار جديد ، وذلك بجانب تحقيق النمو الرأسى عن طريق العناية بالارض وتعميم الآلات والأساليب العلمية الحديثة ، لتحسين غلة الارض وزيادة المحصول .

وقد بلغ انتاج السكر فى العام الماضى ٥ر٦ مليون طن بزيادة حوالى ٤٥٪ عنه فى عام ١٩٦٣ ، وتهدف الخطة الحالية للتنمية الزراعية للوصول بانتاج السكر الى ١٠ ملايين طن فى عام ١٩٧٠ — هذا فضلا عن الزيادة الكبيرة فى انتاج البقول والموالح والبن والتبغ والماشية والطيور والبيض واللبن وغيرها من المنتجات الزراعية والحيوانية .

كما زادت ايضا نسبة حمولة الاسطول التجارى الى ستة اضعاف ماكانت عليه قبل الثورة ، وذلك لمواجهة زيادة النشاط التجارى مع الدول الاخرى وتقريب المسافات فيما بينها ، والتقليل من نفقات الشحن .

كما ادت سياسة النهوض بالتعليم الى انشاء المعاهد العلمية والتكنولوجية الجديدة ، وزيادة عدد الجامعات والمدارس الثانوية والاولية واصبح كل الاطفال الذين فى سن المدرسة يجدون لهم الآن مكانا فى المدارس .

وفى مجال الخدمات الطبية ازداد الاهتمام والعناية بصحة المواطنين ، عن طريق توفير الخدمات الطبية والعلاجية ، وزيادة عدد الاطباء والمستشفيات ، وقد زادعدد الاسرة فى المستشفيات الى ضعف ما كانت عليه قبل الثورة .

وانه يكفى للدلالة على مدى النجاح ودرجة التقدم فى كوبا ، انها الدولة الوحيدة الآن من بين دول امريكا اللاتينية التى تحررت من الامية وتسجل اقل نسبة فى عدد الوفيات بين المواليد من الاطفال ، وذلك طبقا لتقارير واحصائيات الامم المتحدة .

ان التغييرات الاشتراكية التى تمت فى كوبا خلال سنوات الحصار والحرب الاقتصادية للولايات المتحدة ، لم تشمل فقط وسائل الانتاج ومظاهر الحياة المادية ، بل امتدت الى روح المواطن الكوبى ذاته . ان كل من زاروا كوبا فى السنوات الاخيرة على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم السياسية ، يجمعون على ان اعظم ما حققته الثورة الكوبية ، هو وعى وحماس الجماهير الملتهب ، وان الثورة الاشتراكية قد فجرت حماس وطاقات الجماهير الخلاقة للعمل والابتكار ، ذلك ان وجودهم على مرمى المدافع الامريكية ، يلهب حماستهم ويحفزهم ويدفعهم الى العمل للتغلب على الحرب الاقتصادية الامريكية وتحديها .

ولقد سبق ان اعلن كاسترو فى خطاب له عام ١٩٦٣ ، قائلا « اننا واثقون من انتصار شعبنا ، ذلك انه قد توفر له عاملان اساسيان . اولهما روح شعبنا الثورى الوطنى ، وثانيهما ، وجود المعسكر الاشتراكى وعلى راسه الاتحاد السوفييتى ،

ووحدة جميع العمال في العالم ، ووحدة جميع الشعوب التى قاست من الامبريالية والاستعمار » .

ان الحديث عن كوبا يقود بالضرورة الى التعرف على التنظيم السياسى القائد ، وهو الحزب الشيوعى الكوبى ، الذى يعتبر العقل المفكر والدينامو المحرك وراء كل هذه النجاحات والانتصارات ، ومدى قدرته على اجتذاب الجماهير الشعبية الى العمل السياسى ، والارتفاع بوعيها السياسى ومستواها التنظيمى وتعبئة كل قواها للعمل والبناء الاقتصادى والاجتماعى ، وانه ما كان لينجح فى تحقيق قيادته بالاساليب الادارية والطرق البيروقراطية بواسطة اصدار الاوامر وفرض وصايته على الجماهير .. بل تحققت نتيجة ارتباطه العضوى بقضايا الجماهير المصيرية والحيوية ، والتعرف الى مشاكلها اليومية وايجاد الحلول لهذه المشاكل ، وايضا عن طريق تقديم المثل والقدوة فى العمل والتضحية وانكار الذات ، والعمل فى دأب وصبر واخلاص على كسب ثقتها ـ حتى اصبح الحزب عنصرا اساسيا فى حياة الشعب ، وتغلغله وانتشاره فى كل مكان ، فى الشارع والحى والمصنع والمؤسسة والمزرعة الحكومية والتعاونية ، والجامعة ، والمصالح ، والكتيبة والوحدة العسكرية داخل صفوف القوات المسلحة .

ويرجع نجاح الحزب الى اهتمامه بالدرجة الاولى بنوعية اعضائه والتدقيق الشديد فى اختيارهم على اسس وقواعد تنظيمية سليمة ، والتأكد من اخلاص العضو للقضية الاشتراكية ، وارتباطه بالجماهير وقدرته على قيادتها والتأثير فيها ، ولا يتم اختياره مرشحا الا بعد انتخابه من الجماهير ، وبعد ان تقول فيه رأيها ، وخضوعه بصفة مستمرة لاشراف الجماهير ورقابتها عليه .

وتعتبر شخصية كاسترو فى بساطتها وحيويتها ، النموذج والمثال لحيوية الثورة الكوبية ، وفى العلاقة المباشرة والرابطة الوثيقة بين قائد الثورة والشعب ان حياة كاسترو بعيدة عن المكاتب ، فهو يوجد دائما حيث توجد الجماهير ، فى المصنع والمزرعة والجامعة وفى الساحات والميادين أثناء الاجتماعات العامة ـ اذ ليس احب الى قلبه من وجوده بجانبها والذهاب اليها بنفسه والجلوس معها بالساعات يناقشها فى كل شىء ، ويشرح لها اهم القضايا السياسية الدولية وكذلك مشاكل الدولة الخاصة ، كما يستمع الى آرائهم وانتقاداتهم ومطالبته بتصحيح تلك الاخطاء ، كل ذلك بصدر رحب ينبع من حبه الشديد وايمانه الذى لا يتزعزع بالشعب الكوبى ، ومن ادراكه بأنه لايمكن خدمة الجماهير وتحقيق مصالحها بدون الحياة والتفاعل معها والتعرف الى مشاكلها والعمل على حلها .

وأن كان هناك شىء يقال اخيرا ، فهو ان كوبا ، او السردينة (كما يشبهونها) مازالت باقية تفزع الحوت الضخم الراقد بجوارها هناك فى آخر الدنيا ، وان تسبب له الارق والخوف وهو عاجز عن ابتلاعها ، وان تقوم بدور الطليعة والرائد لبقية شعوب امريكا اللاتينية .



كل شيء من أجل الجبهة
كل شيء من أجل النصر



في تجارب الشعوب نماذج حية وبطولات رائعة حققوها بالمقاومة العملاقة للغزو الاجنبي .. وفي تجربة الشعب السوفيتي على وجه الخصوص ، الكثير مما يجب ان نتوقف عنده طويلا . ويعرض كاتب هذا المقال لمختلف الابعاد التي انطوت عليها التجربة السوفيتية في مقاومة الغزو الهتلري ، ويحدد الظروف التي رافقت النضال السوفيتي الى النصر

حلمي يس

شكلت « الحرب الوطنية الكبرى » التي خاضتها الشعوب السوفيتية من عام (١٩٤١ — ١٩٤٥) قسما هاما واساسيا من احداث الحرب العالمية الثانية ، وتحملت الشعوب السوفيتية خلال تلك السنوات العبء الاكبر من التضحيات التي قدمتها البشرية في معركتها ضد الفاشية .

ففي ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ انقضت على الاتحاد السوفيتي ١٩٠ فرقة من بينها ١٥٣ فرقة المانية و ٣٧ فرقة من دول خاضعة لالمانيا في ذلك الوقت (فنلندا — رومانيا — المجر) وكانت هذه الفرق المعززة بحوالي خمسة آلاف طائرة واسطول بحري كبير — سكرى بنشوة الانتصارات الساحقة التي حققتها على دول اوروبا — بولندا — والدانمارك وبلجيكا وهولندا والنرويج وفرنسا واليونان ويوغوسلافيا — تلك الدول التي تهاوت واحدة بعد اخرى تحت وطأة الجحافل الهتلرية — بعضها قاتل يوما او يومين وبعضها استطاع ان يصمد خمسة عشر يوما على الاكثر .

واستطاعت الجيوش الالمانية في الضربة الاولى التي جاءت مفاجأة للقيادة السوفيتية — ان تحطم مايزيد عن الف طائرة وهي على الارض وان تدمر مئات الدبابات دون ان تطلق طلقة واحدة — وخلال الشهور الاولى من الحرب — احتل الغزاة مساحات واسعة ذات اهمية حيوية من الاراضي السوفيتية وهي مساحات عامرة باكبر المصانع والمعامل والمزارع — لقد احتل الالمان اوكرانيا وبيلوروسيا وجمهوريات حوض البلطيق وقطاعات روسيا الاتحادية الواقعة في الغرب والشمال الغربي ، وكذلك بعض المقاطعات الجنوبية — وفي هذه الاراضي كان يعيش قبل الحرب ٨٨ مليون نسمة ينتجون ٣٣٪ من مجموع الانتاج الصناعي في الاتحاد السوفيتي وكانت تزرع ٤٧٪ من المساحات المزروعة من اراضيه وكان فيها حوالي ٥٠٪ من مجموع رؤوس الماشية فيه .

لقد بدا للمراقبين خارج الاتحاد السوفيتي ان النصر الالماني محقق على الشعوب السوفيتية وان خطة هتلر القائمة على اساس توجيه ضربة خاطفة ومركزة ضد القوات السوفيتية على وشك النجاح .. تلك الخطة التي بنيت اساسا كما قال **الجنرال بوتكر** احد جنرالات هتلر « على ان احتلال المناطق الزراعية لأوكرانيا وقطع المواصلات بين المناطق المركزية ومناطق القوقاز الغنية بالنفط سيشل اقتصاد روسيا لمدةطويلة» .

ان النجاح السريع الذى حققه الهتلريون في اول هجومهم على الاتحاد السوفيتي ، قد وضع الشعب السوفيتي كله والنظام الاشتراكي امام امتحان رهيب وقاس وتعين على الحزب الشيوعي السوفيتي والحكومة السوفيتية ان يخوضا بالشعب نضالا لا هوادة فيه على مستويين :

اولهما : من اجل اتمام اعداد وتنظيم الجيش السوفيتي لخوض حرب كبيرة حديثة امام عدو متفوق جدا في التكتيك ومستند لامكانيات وموارد أوروبا الاقتصادية معبأة على اعلى مستوى من التنظيم العسكري الالماني — وقد خاض الشعب السوفيتي معارك ضارية وقاتل قتالا باسلا وعنيدا دفاعا عن كل شبر من ارض الوطن واشتعلت حرب الانصار خلف خطوط الالمان — وصمد المدافعون من المدن الكبرى ذات الاهمية الخاصة (لينينجراد ٩٠٠ يوم واوديسا ٦٩ يوما

وسيباستبول ٢٥٠ يوما) رغم التدمير الشامل — مما سمح للقيادة السوفيتية اكتساب الوقت لكي تعيد تنظيم القوات الاستراتيجية الاحتياطية وان تدفع بها في الهجوم المضاد الحازم لتحطيم الهجوم الالماني وازاحته عن الاراضي السوفيتية .

وثانيهما : اعادة بناء مؤخرة البلاد بحيث تهيء الظروف للتغيير الجذرى فى مسار الحرب — لقد رسمت خطة شاملة بحيث تجعل الصناعة والزراعة ووسائل النقل والعلم والادب والفن وقفا على خدمة الجبهة ، وتضمنت الخطة ايضا ربط جماهير الشعب — شيوخه وشبابه ونسائه واطفاله — عماله وفلاحيه بالمعركة لكي يقدم كل انسان سوفيتي مايستطيع للمساهمة في الجهود الحربي .

لقد هبت الشعوب السوفيتية كلها دفاعا عن وطنها واصبحت البلاد معسكرا حربيا ضخما تحركه رغبة واحدة — هى الرغبة فى سحق العدو الغاصب وطرده من ارض الوطن — واصبح الشعار الذى رفعه الحزب الشيوعي السوفيتي — « كل شيء من اجل الجبهة — كل شيء من أجل النصر » هو القانون الذى يحكم حياة كل مواطن سوفيتى — فى الجبهة او فى المؤخرة — فى خط النار او فى مراكز الانتاج الصناعى والزراعى .

ورغم الخسائر الفادحة والمفاجئة فى المراكز الصناعية الهامة فقد بادرت الحكومة السوفيتية بنقل ١٣٦٠ مصنعا كبيرا الى منطقة الاورال (شرق الاتحاد السوفيتي) والى سيبريا — وتم نقلها وتركيبها واعادة تشغيلها فى شهور قليلة للغاية ، وشرعت الحكومة فى بناء مصانع جديدة بالمناطق الشرقية .

لقد حولت غالبية المصانع من **الانتاج المدنى للانتاج الحربى** ، وتحول الاقتصاد كله من اقتصاد سلم الى اقتصاد حرب ، وكانت الصناعات الحربية اولى الصناعات بالاهتمام — لشدة الحاجة لتعويض الخسائر ولامكان مواصلة تسليح الجيوش الجديدة ودفعها لملاقاة الغزاة — واصبحت المناطق الشرقية قاعدة للصناعات الحربية — وفى النصف الثانى من عام ١٩٤١ بدأ تزويد القوات الجوية السوفيتية بألف وسبعمائة وخمسين طائرة شهريا ارتفعت عام ٩٤٢ الى ٢٢٦٠ طائرة شهريا وبلغ اجمالي انتاج الطائرات عام ٩٤٢ اكثر من ٢٦ الف طائرة من مختلف الانواع اى اكثر من انتاج عام ١٩٤١ بنسبة ٦٠٪ وزاد انتاج الدبابات بنفس النسبة تقريبا — وبعد عام من بداية الحرب — امكن للمناطق الشرقية من الاتحاد السوفيتى وحدها ان تنتج كمية من المنتجات الحربية تعادل ماكان الاتحاد السوفيتي كله ينتجه فى بداية الحرب ، وذلك رغم القصف المستمر لمراكز الإنتاج .

ولما كان الحديد والصلب من اهم اسباب الانتاج الحربى فقد بنيت فى شهور قليلة افران جديدة كان بناؤها قبل الحرب يستغرق سنتين ونصف السنة — وفى عام ٩٤٣ تم بناء بستة واربعين فرنا للحديد والصلب مختلفة الانواع فى المناطق الجديدة وثمانية مصانع للدرفلة وثلاثة لفحم الكوك الامر الذى اتاح للصناعة السوفيتية ان تنتج نوعا ممتازا من الصلب .

ومن اكثر الصعوبات التي واجهتها الصناعة السوفيتية خلال فترة العدوان — مشكلة الوقود — فقد وقع اكبر احواض الفحم الحجرى فى اوكرانيا تحت الاحتلال الالمانى — كما احتل الالمان حوض الفحم الذى يقع على مقربة من موسكو لمدة شهر — قاموا خلاله بتدميره واغراقه بالمياه — وامكن التغلب على هذه الصعوبات بافتتاح مناجم جديدة فى الاورال وفى الشمال عند الشواطىء القطبية وفى كازاخستان — وبذل الشعب السوفيتى جهودا كبيرة لاعادة بناء المناجم التى ضربت بحيث أمكن استخراج ٢٣ الف طن فحم يوميا فى شهر مايو ٤٢ وصلت الى ٣٥ الف طن يوميا فى اكتوبر ٤٢ متجاوزة بذلك مستوى الانتاج قبل الحرب .

ونفس الامثلة يمكن ضربها بالنسبة للبترول او الطاقة الكهربائية التى ازدادت معدلات انتاجها خلال العام الاول من الحرب نتيجة استخدام المصادر الجديدة للطاقة فى المناطق الشرقية وخلال عام ١٩٤٣ تم بناء عدد كبير من المصانع الجديدة واكتشفت حقول جديدة للبترول وتطور استخراج النفط فى مناطق جديدة وراء الفولجا وفى اوزبكستان — وبذل مهندسو النفط جهودهم لاستخراج المزيد من مستخرجات النفط الخام من بنزين وغاز وشحومات .

وعندما قطع العدو وسائل المواصلات التى تربط بعض المناطق الصناعية مع القوقاز — وانقطع وصول البترول ومنتجاته بالسكك الحديد وعن طريق بحر قزوين — ابتكر عمال البترول وسيلة فذة لحفظه فقد نقلوه الى الوديان بين الجبال وصنعوا بحيرات من البترول وسط الجبال — واستخدم هذا البترول فورا بعد اعادة بناء وسائل النقل وانسحاب القوات المعتدية من بعض المناطق المحتلة — وفى نفس الوقت وتحت وابل من الغارات الجوية تم انشاء خط انابيب للغاز من آسيا الوسطى الى المناطق المركزية .

اما بالنسبة للانتاج الزراعى — فقد كان الوضع اشد قسوة والمشكلات اشد تفاقما — فاحتلال مساحات واسعة من اجود الاراضي الزراعية وذهاب الغالبية العظمى من الفلاحين الى الحرب — ادى الى نقص الايدي العاملة وعدم توافر الخبرة الفنية اللازمة للزراعة لاستخدام الماكينات — مما سبب انخفاضا شديدا في المحاصيل مما ترتب عليه نقص مقادير الاغذية التى تشتريها الدولة من الفلاحين .

لقد عمل الفلاحون في المزارع التعاونية ومزارع الدولة ببطولة نادرة ليمونوا الجبهة والمؤخرة بالمنتجات الضرورية ، واتسعت في المناطق الشرقية مساحات الاراضي المزروعة — وتقدم النساء والشيوخ والاطفال للعمل في الحقول والمزارع مكان الرجال الذين ذهبوا للحرب .

ولقد استجاب الفلاحون والفلاحات لنداء الحزب الشيوعي وبذلوا كل جهودهم لاعطاء الدولة كل امكانياتهم وقدموا كل احتياطياتهم الشخصية من المأكولات — وقدم الفلاحون والفلاحات التعاونيين الحبوب ومنتجات تربية المواشي علاوة على المقادير المقررة — ونزع الفلاحون ارصفة الشوارع واسفلت الرصف ليزرعوا مكانها الخضروات — لقد نجحت هذه الجهود الباسلة في الا يتجاوز الانخفاض في انتاج البقول والحبوب عام ٤٢ اكثر من الثلث .

وازاء الصعوبات الناتجة من نقص الايدى العاملة التى ذهبت الى الجبهة والنقص الواضح في طاقات بناء المصانع وفي ادارتها وتنظيم الاقتصاد أصدرت رئاسة مجلس السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي قرارا حول « تعبئة سكان المدن القادرين على العمل لفترة الحرب » مما سمح بوصول مئات الالوف من المواطنين السوفيت الى المصانع الحربية والى ساحات البناء والى شبكة المواصلات ولما كانت اغلبيتهم وخصوصا النساء لم يكن لديهم الخبرة المهنية فقد كان يجرى تدريبهم في المصانع مباشرة امام الآلات بطريقة التدريب الفردي والجماعي — كما ازدادت فرق التدريب في المدارس الصناعية ومراكز التدريب.

ومن اجل تعبئة جميع قوى الشعب لتحقيق النصر — واثارة الحماس والمنافسة الثورية في صفوف الجماهير — قام الحزب الشيوعي السوفيتي بوصفه القوة القائدة والمنظمة والموجهة للنضال الشعبى ضد الغزاة —: قام الحزب بوضع رجالاته البارزين في قطاعات الكفاح ذات الاهمية الفاصلة على الجبهة وفي المؤخرة وارسل للعمل في الجيش كثيرين من اعضاء اللجنة المركزية للحزب وسكرتيرى اللجان المركزية للاحزاب في مختلف الجمهوريات السوفيتية وتقدم ملايين من اعضاء الحزب للقتال في الجبهة — حتى بلغ عددهم في نهاية الحرب اكثر من ثلاثة ملايين عضوا اى حوالى ٦٠٪ من اعضاء الحزب في ذلك الوقت .

ان الدور الذى لعبه اعضاء الحزب — قيادة وقاعدة — قد عزز مكانته في صفوف الجماهير — واذكى بينها الحماس لابتكار المبادرات الاشتراكية لتطوير الانتاج — الذى كان يتم في ظروف قاسية للغاية ومن اجل زيادة الانتاج ومن اجل كشف واستخدام الاحتياطيات الصناعية في جميع المصانع .

ولقد امكن لالوف من العمال ان يسجلوا ارقاما قياسية في انجاز العمل المتقن وان يتعلم العامل ويتقن اكثر من عمل في مهنته — وامكن لعمال السكك الحديد ان يواصلوا عملهم وان يبنوا اكثر من ثلاثة آلاف كيلو متر من طرق السكك الحديد لتزويد الجبهة في الوقت المناسب بالسلاح والعتاد والجنود .

وفي مجال المنافسة الاشتراكية قام عمال السكك الحديد بترميم العربات والقطارات اثناء عملها ودون ان تتوقف — وأمكن لهم ان يقتصدوا نصف الوقود باستخدام الكميات التى لم تحترق من الفحم الحجرى خلال الاشتعال الاول .

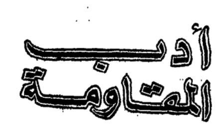
ولقد برع ملايين النساء في مهن اعتبرت منذ قرون طويلة وقفا على الرجال فقط — وخلال عام ١٩٤٣ كان ٤٠٪ من عمال الحديد والصلب من النساء ، وعملت النساء عشرين ساعة يوميا في الزراعة .

ونظم الشباب السوفيتي فرق الشباب للعمل في المصانع والمعامل ، وبلغ عدد هذه الفرق في اواخر عام ٩٤٣ نحو ٤٥ الف فرقة حققت نجاحات كبيرة في زيادة الانتاج وتحسينه وتخفيض نفقته .

هذا وقد وصلت نسبة النساء والشباب الذين تقدموا للعمل مكان المحاربين الى ما يعادل ٥٠٪ من عمال المصانع ومايقرب من ١٠٠٪ في الزراعة.

وبالرغم من التضحيات الجسيمة التى تحملها الشعب السوفيتي نتيجة اعادة تنظيم اقتصاديات البلاد وتحويلها الى اقتصاد حرب وبالرغم من النظام الصارم لتوزيع المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية بالبطاقات فقد تبنى الشعب السوفيتي جميعه — الشعار الذى رفعه بعض الفلاحين التعاونيين بمبادرة منهم — شعار « سلاح للجبهة على حسابنا الخاص » . وفي خلال سنوات الحرب الاربعة — قدم ابناء الشعب السوفيتي بمحض اختياره وتبرعا منه ٩٤ مليار روبل على هيئة نقود واشياء نفيسة وسندات قروض من اجل تشكيل اسراب الطائرات وصنع طوابير الدبابات والمدفعية تحمل اسماء مدنهم ومزارعهم ومصانعهم .

ان النصر الذى حققه الشعب السوفيتي على الغزاة — ماكان ليتحقق فقط بفضل العشرين مليونا الذين قتلوا او اعدموا او دفنوا احياء تحت انقاض ٧٠ الف مدينة ومحلة عمالية دمرتها القنابل — وانما تحقق ايضا بفضل الالتفاف الواعى للشعب السوفيتي حول قيادته الثورية وتدعيم التحالف بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وبفضل ما قدمه الشعب السوفيتي من تضحيات هائلة وشجاعة في كل نواحى حياته تحت شعار (كل شيء من اجل الجبهة — كل شيء من اجل النصر) .





فى الوطن العربى اليوم موجة من ادب« المقاومة » ظهرت على اثر النكسة الاخيرة . فاين مكان هذه الموجة منخريطة ادب المقاومة بشكل عام ، وادب المقاومة العربية بشكل خاص ؟ ما هى الابعاد الحقيقية لهذه الموجة الجديدة التى تتخذ من معركتنا الضارية مع الصهيونية والاستعمار خامة لها ؟

غالى شكرى

لا يثور

الجدل ويحتد حول اهمية الادب ودور الفن مثلما يثور ويحتد فى وقت الازمات الكبرى او المحن التى تلحق بأمة ما فى وطن معين . ويظل النقاش فى دائرة نظرية مفرغة طالما كان المجتمع الذى تدور بين جنباته المناقشات ، مجتمعا هادئا نسبيا ومستقرا على نحو من الانحاء . ثم يختلف الوضع اختلافا كيفيا حين تتجدد هذه المناقشات فى احدى المراحل العصيبة التى يجتازها هذا البلد او ذاك ابان محنة من المحن تهزها حتى الاعماق . فالمحنة من تلقاء نفسها ، وبكل ما تتضمنه من عناصر السلب والايجاب ومحصلات الوجدان والتاريخ ، تفرض على المجتمع المأزوم هذا السؤال القديم الجديد :

ما هو دور الادب والفن ؟ ولكنها تفرضه فى مستوى آخر ، مستوى « الامر الواقع » و « التحدى القائم » الذى يواجه كافة نشاطات الانسان ، ومن بينها الاداب والفنون . هذا المستوى الجديد هو « الامتحان العملى » لوظيفة الادب فى المجتمع ، وهو المستوى الوحيد الذى يطرح المشكلة من خلال ما هو مجسم وموضوعى ومحدد ، لا من خلال ما هو متخيل وذاتى ومجرد ، كما كان الامر يدور فيما مضى بين حدود الدائرة النظرية المفرغة . ولعل الجانب النظرى الوحيد الذى تستدرجنا اليه المشكلة الراهنة بالضرورة ، هو ان السؤال فى حقيقته ذو شقين : اولهما ، ما هو دور الادب ــ على ضوء محنة ما ــ بشكل عام .. وما هو دوره ازاء المحنة نفسها بشكل خاص ؟

اذا اخذنا مثلا محددا كرواية « العجوز والبحر » لهمنجواى ، حيث تكاد تكون الرواية الوحيدة التى كتبها دون ان يذكر كلمة «الحرب» بخير او بشر .. فماذا نجد ؟ نجد انسانا وبحرا يتصارعان فوق شبكة الصيد وحيوان البحر الذى يأكلها .. وليس من المهم بعد ذلك ان ينتصر الصياد العجوز او ينهزم امام الوحش البحرى ، وانما المهم هو هذا الرمز المباشر والعميق الدلالة فى آن ، الرمز القائل بأن الانسان ــ لمجرد كونه كائنا بشريا ــ فى صراع لا يكل ولا يهدأ من اجل الحياة . هذه هى الشحنة الرئيسية التى يملأ بها همنجواى حنايا الانسان المعاصر فى عالمنا ، وهى الشحنة التى تنقذ الوجدان المتعب من الاستسلام امام « الامر الواقع » او الوحش البحرى الذى قد يتجسد حينا فى غاز اجنبى ، وحينا آخر فى سلطة طاغية ، وحينا ثالثا فى قهر اجتماعى عات .. الى غير ذلك من صور

الضغوط التى تلاحق الانسان اينما كان وفى اى زمان .

واذا عدنا مئات السنين الى التراث اليونانى، نطالع صورة اخرى للصراع البطولى الخارق بين الانسان والكون ، كما ابدعتها القريحة الاغريقية فى اسطورة سيزيف .. هذا البطل الذى حكمت عليه الآلهة أن يرفع الصخرة الى قمة جبل عال ما ان يصل اليها حتى تتدحرج الصخرة لتهوى الى السفح فيرفعها من جديد لتسقط من جديد ، وهكذا الى مالا نهاية . لقد اتخذ البير كامى من هذه الاسطورة العظيمة محورا فكريا لنظريته فى « عبث الوجود الانسانى » بالرغم من انها لا تختلف عن قصة همنجواى من حيث الجوهر فى انها تجسيد عميق للصراع الابدى بين الانسان والظروف المحيطة به . نقطة الخلاف بين « العجوز والبحر » والاسطورة الاغريقية ، ان همنجواى لا يجعل من الصراع الانسانى قدرا غيبيا او عقابا من الالهة ، وانما يراه جزءا لا يتجزأ من طبيعة العلاقة الديناميكية بين الانسان والكون ، علاقة التفاعل بين الجنس البشرى والوجود المحيط به . اما العقل اليونانى القديم ، فقد راى فى هذا الصراع « نتيجة » للخطأ فى حق الالهة ، لا سببا للحياة بكل ما تحتويه من تناقضات تحتدم فيما نسميه صراعا ، وما هو الا الحياة فى انبثاقها واستمرارها وصيرورتها اللانهائية .

فهل تعد «العجوز والبحر» فى الادب المعاصر ، و « اسطورة سيزيف » من الادب القديم ، مما يمكن ان ندعوه بأدب المقاومة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تشير الى قضيتين متمايزتين : أولاهما ان الادب كأدب هو فى ذاته نشاط انسانى يقاوم عوامل الضعف والخور التى قد تلم بالنفس البشرية فى لحظات الانكسار .. فليس هناك عمل أدبى جاد فى تاريخ الانسان القديم والحديث ، يمكنه ان يخلو من هذه السمة البارزة وهى « المقاومة » لان هذا العمل يفقد عنصرا خطيرا من مكونات وجوده اذا خلا — من احد وجوهه — من فكرة الصراع بين الانسان والكون .. سواء تمثل هذا الكون فى الوجود الطبيعى او النسيج البشرى . والقضية الثانية هى أن لادب المقاومة عموما وجهه الانسانى العام الذى لا يندرج فى تصويره للصراع البشرى تحت أية اطر قومية او قوالب اجتماعية : والجانب الايجابى الهام فى هذا اللون من الوان الادب ، هو انه من عوامل « التجمع » لا من عوامل « الفرقة » .. فحين تكتب مؤلفة مثل « ايثيل مانين » قصتها « الطريق الى بئر سبع » عن مأساة فلسطين ، وهى الكاتبة الانجليزية .. وحين تكتب مؤلفة مثل « هارييت بيتشر ستو » قصتها « كوخ العم توم » عن مأساة الزنوج فى الجنوب الامريكى وهى الكاتبة الامريكية البيضاء .. فانهما ينطلقان فى صياغة هذه المأساة او تلك من هذا المنظور الانسانى الشامل ، وليس من المنظور القومى او الدينى او الاجتماعى ، والا لما كتبا روايتيهما منذ البداية . ولا يعنى هذا ان البعد الانسانى لا يتأتى الا عن طريق « الادب المجرد » — ولا اقول التجريدى ! — كقصة همنجواى التى يمكن ان تحدث فى اى زمان ومكان وبشر ، وكالاسطورة الاغريقية ، وانما يتواجد هذا البعد كذلك فى الانطلاق منه نحو « مآسى انسانية محددة » فى هذه البقعة او تلك ، فى هذا العصر او ذاك .. فالمأساة الفلسطينية التى تحددت بحرب ١٩٤٨ ، هى الخامة « المحددة » فى رواية مانين ، والمأساة العنصرية التى تحددت بالحرب الاهلية فى الولايات المتحدة هى الخامة « المحددة » فى رواية ستو .. ولكن « الزاوية » الفكرية التى تشكلت من خلالها هذه الخامة هى الزاوية الانسانية العريضة الرحبة ، وليست بأى حال من الاحوال ، هى القومية العربية التى لا تنتسب اليها الكاتبة الانجليزية ، ولا هى اللون الاسود الذى لا تتلون به الكاتبة الامريكية البيضاء . هذا الادب « الانسانى » اذن ، هو — من احد وجوهه — ادب « تجمع » للدرجة التى تجذب « الخامة الانسانية » اليها انظار واهتمام — وربما تجاوب — من يتناقضون مع شكلها القومى او مضمونها الاجتماعى .

ولقد احس فريق من الادباء الغرب الشباب بأهمية هذا « البعد الانسانى » ، فكتب غسان كنفانى قصته « رجال فى الشمس » من مأساة فلسطين من خلال قصة رجال ثلاثة ارادوا العبور من حدود البصرة الى حدود الكويت سعيا وراء القوت بعدان تركوا أرضهم قسرا واغتصابا .. ويصور لنا الفنان ما يعانيه الرجال الثلاثة على يدى سماسرة البصرة المختصين بالتهجير والهرب عبر الحدود . ويلتقون اخيرا بسائق عربة « فنطاس » يقترح عليهم أن يعبر بهم الحدود بشرط ان يدخلوا الى جوف الفنطاس ويغلق عليهم اثناء مرورهم أمام محطات الرقابة ووحدات التفتيش . ويوافقون على الاقتراح ويركبون العربة ، وما أن تلوح مراكز التفتيش على الحدود حتى يندفعون الى بطن الفنطاس ويحكم السائق اغلاق الفتحة العليا التى تدلوا منها .. وما ان يتجاوز بهم منطقة الرقابة حتى يعيد فتح العربة فيخرجون ملها بين الحياة والموت والعرق الغزير يتصبب من اجسادهم التحاخنة بحرارة الشمس وانصهار الحديد : ثم يصل بهم الى مركز جديد للتفتيش فيعيدون الكرة ويهرولون الى داخل الزنزانة الجهنمية . ولكن صاحبنا السائق يغيب عليهم هذه المرة وهو يمرر اوراقه

بين الرقباء للموافقة على العبور اذ راح احدهم يمزح معه حول ليلة حمراء مرتجاة . ويعود السائق ليجتاز بهم المنطقة كلها ويبادر الى سطح الفنطاس ليناديهم الى الخروج . ولكن بعد فوات الاوان، فقد تسببت اللحظات القليلة التى تأخرها فى موتهم جميعا . وكانت المهمة العسيرة التى تنتظره هى اخراج الجثث من بطن العربة ، ولا بأس من ان يفتش جثث الاموات بعد ذلك ، فلعلها تحمل ما يقيت الاحياء .»

هذه القصة اذن تجرد مأساة فلسطين من ثيابها القومية لتبرز الى الوجود ثيابها الانسانية الخالصة .. وهذا هو البعد الجاذب لاهتمام الذين لا يشاركوننا الثياب القومية . فالعنصر الانسانى المحض فى « رجال فى الشمس » ان البشر فى هذه الرقعة من العالم الواسع يموتون ، لا لشىء الا لانه « لا حياة لهم » فى عرف الذين سلبوهم ارضهم وديارهم ، ومع هذا فهم يصارعون حتى الموت . هم يصارعون صراع العجوز فى قصة همنجواى ، وصراع سيزيف فى الاسطورة الاغريقية .. ولا يعدون ذلك عبثا فى عبث كما يتصور البير كامى ، وانما يعدونه جوهر الحياة وديناميتها . وهذا — بالضبط — ما حمل كاتبا آخر هو حليم بركات فى قصته « ستة ايام » ان يصل بهذا البعد الانسانى الى حده الاقصى حين وضع بطله « سهيل » موضع الامتحان العسير امام آسره من ضباط الاعداء .. فقد كان سهيل خلال الايام الستة التى انذرت قوات العدو قريته فى مداها ان تختفى من خريطة فلسطين اذا لم تسلم .. كان سهيل يعيش فى بوتقة عنيفة الوطأة بين التخلف الذى يحياه اهله ووطنه ، والحضارة التى وفد من بين احضانها فى اوروبا . واذا بالحرب تحاصره اثناء زيارته العابرة ، وتتحول به الايام الستة الى ايام شبيهة بأيام الخلق الاولى فى تاريخ البشرية ، يوما بعد يوم يضىء فيه نور جديد ، ويوما بعد يوم يصحو على المعنى الحقيقى للحضارة والقوة والحرية .. وفى اليوم الاخير يقع فى الاسر والتعذيب الرهيب ، فيرى بين الغيبوبة والوعى شريط الايام الستة يغلب شريط ايام عمره كلها .» ولا يتبقى امامه الا ان يكون او لا يكون ، ولكن على نحو شديد الاختلاف عن هملت ، فهو يكون حين يسلم عنقه للجلاد ولا يستسلم ، وهو لا يكون حين ينقذ عنقه وحده ويسلم بلده كلها . ولا يظل « سهيل » بين الغيبوبة والوعى طويلا ، اذ هو يختار بوعى كامل ، أن يسكن الى الغيبوبة الابدية .»

ان امثال هذه القصص تخترق الغلالة القومى الضيق ، لتنادى اعمق اعماق الوجدان البشرى العام . وهى لذلك — وفى المستوى الفنى — ليست هتافا تقريريا مباشرا، وانما هى اقرب ما تكون الى نبضات القلب المختنق الذى لا يختلف بشأنه طبيب من السويد او آخر من جنوب افريقيا .» هذا التركيز على البعد الانسانى فى ادب المقاومة، من شأنه ايضا ان يفرق بين كونه ادبا للمقاومة وبين أن يتحول الى ادب المناسبات . فأدب المقاومة العربية — على سبيل المثال — يمكن للقارىء خارج الديار العربية أن يستجيب للقاء وجهه الانسانى العام فيتعاطف مع قضيتنا « الخاصة » ، ويمكن للقارىء خارج الديار العربية ان يحس آلام اوطان اخرى تعانى من نفس المصائب والملمات ، فلا تحول كلمة « فلسطين » من ان يجد لها مرادفا فى روديسيا البيضاء او جنوب افريقيا ، بل ولا الجنوب الامريكى نفسه ما دامت « العنصرية » هى الخيط الواحد الذى يشد هذه المآسى جميعها . ويمكن اخيرا للقارىء خارج الديار العربية ان يشعر « بالانسان » فى هذه المنطقة من العالم « انسانا » يصارع من اجل الحياة : قانون الوجود الذى لا يتغير . اى اننا بهذا الادب لا نقاوم ضعفنا ولا دعاة الهزيمة والاستسلام ، بل نحن نشارك بهذا الادب فى حركة النضال الانسانى ، عامة .»

على ان هذا البعد الانسانى لا يتعارض مطلقا مع البعد القومى فى ادب المقاومة . فليس هناك وجه عام ومجرد ومطلق ينفرد بالعمل الادبى . تتفاوت فحسب ، نسب التركيز على هذا الوجه او ذاك . وفى تاريخ الادب المصرى الحديث تعد رواية « عودة الروح » طليعة الادب القومى المناضل ضد الاستعمار . حقا هناك قصة محمود طاهر حقى « عذراء دنشواى » التى كتبها عام ١٩٠٨ اى قبل ان ينشر الحكيم قصته بربع قرن .. ولكن الفرق الكبير بين بناء « عودة الروح » و « عذراء دنشواى » لا يجعل من قصة حقى النموذج الاكثر جدارة بأن نستشهد به فى هذا المضمار . ذلك ان رواية « عودة الروح » تجاوزت الفكرة الوطنية العاجلة — وهى الاستقلال والثورة ضد الانجليز — الى المحور القومى الشامل الذى يجعل من « مصر » بثورتها وتخلفها وحضارتها ونكساتها وطبقاتها هى المضمون العميق الرحب لادب المقاومة فى الاطار القومى . وليس من الغريب ان يعلق معظم الذين قرأوها من نقاد الغرب فى لغات اجنبية ان الذى بهرهم فى الرواية هو « ريف مصر » بناسه وارضه ونباته وحيواناته وروحه وجوه ، أى أن الذى اعجبهم هو « العنصر القومى » فى الرواية ، لانهم فى اغلب الظن لم يستشعروا بعدا انسانيا سائدا وان لم يخل منه العمل الفنى خلوا تاما . وبالرغم من ان « عودة الروح » تستلهم ثورة ١٩١٩ فى جانبها التاريخى ، الا ان توفيق الحكيم آثر ان « يعمم » هذه الثورة ، فجاءت « عودة الروح » قصة الثورة المصرية عموما وليست قصة ثورة

بعينها تجسيب ، بل جاءت قصة « مصر » عموماً وليست قصة ثورتها فحسب . لقد دمج الفنان معنى مصر بمعنى الثورة فكون مزيجا مركبا هو « ثورية مصر » الكامنة في شعبها ، والتي تهب من رقدتها كلما دعا الداعي الى ذلك . ان الحكيم يصوغ هذه الفكرة المحورية في الرواية كما لو كان قدرا ميتافيزيقيا ان تثور مصر او ان تعود اليها «الروح» بمجرد ان تتعرض حياتها للخطر . ومع ذلك فالرواية لا تحمل مضمونا ميتافيزيقيا وان كانت تتزين بهذا الشكل الميتافيزيقي — ان جاز التعبير — ليشحن الوجدان المصري بالثقة المطلقة في امكانياته الثورية المترسبة في الاعماق ، والتي تطفو على السطح اذا عكرت صفو نيلها الملمات . اى انه من خلال هذا الشكل يحقق للنفس المصرية «ارادة النصر» في احلك الظلمات، وابشع الهزائم . وليس من الغريب للمرة الثانية ان تكون « اهل الكهف » هي شقيقة « عودة الروح » في المضمون وان اختلف الشكل من البناء الروائي الى البناء الدرامي . فنظرية البعث التي تقوم عليها اركان هذه الدراما هي نفسها نظرية الثورة في « عودة الروح » : طريقهما واحد هو الفداء ، وهدفهما واحد هو الخلود . والبعث الحضاري في « عودة الروح » يتخذ من الاسطورة الفرعونية عمادا لها ، والبعث الحضاري في « اهل الكهف » يتخذ من مصر المسيحية عمادا آخر .. ومعنى هذا ان البعث الذي يقصده الحكيم هو البعث «المصري» هو البعث « القومي » الذي يبدأ من الجذور التاريخية وينتهي بمصر المعاصرة . وهكذا تقف اعمال الحكيم المبكرة مع اشعار الفنان العظيم بيرم التونسي ، موقف الريادة والطليعة من ادب المقاومة في تاريخنا الحديث .

هذا البعث يتخذ اشكالا متنوعة في ادب المقاومة العربية ، خاصة في الشعر . اننا نجد حشدا هائلا من الشعراء التموزيين كما يدعون انفسهم او كما يسميهم بعض النقاد ، وهم هؤلاء الذين يتخذون من اسطورة « البعث » خامة فنية ينسجون منها مختلف وجهات النظر الفكرية في الحياة العربية المعاصرة . فهناك من يتخذ من «فينيقيا» قبلة روحية يتطلع اليها بمعنى ان يعود المجد الغابر الى هذه المنطقة من العالم . وهي فكرة « القوميين السوريين » على وجه الخصوص . وهناك من يتخذ من « تموز » الها للمطر يسترحم ماءه ان تروي الارض العطشى بغير تفرقة او تمييز ، وهي فكرة الشعراء الاشتراكيين من امثال بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي . وهناك من ينسج البعث في اطار القومية او الحضارة العربية كما يصنع خليل حاوي . هذه الاشعار جميعها تندرج تحت ادب المقاومة بمجرد انها تتخذ من « البعث » رؤية فكرية ، وهي في الاساس رؤية قومية تختلف من الهلال الخصيب الى القومية العربية الى التركيز على الوجه الاجتماعي للنضال القومي . ولكن ما لاريب فيه ان شعر المقاومة الحقيقي ، ومن زاوية رئيسية ، كان الشعر الشعبي ، شعر العامية .. فقد استطاع شاعر عظيم كبيرم التونسي ان يحيل « مصر » الى رصاصات قاتلة في قلوب الاعداء ، وان يحيلها شموعا هادية في قلوب الاصدقاء ، وان يجعل منها قانونا للايمان في قلوب المصريين . ويعد بيرم التونسي في مصر هو الشاعر الاب والام لحركة شعر العامية المعاصرة ابتداء بصلاح جاهين الى عبد الرحمن الابنودي وسيد حجاب . ولعل القيمة الاساسية في انتاج هذه المدرسة التونسية انها تمثل ارفع مستويات الالتحام القائم بين النضال القومي والصراع الاجتماعي . فاتخاذ العامية المصرية لغة لهذا الشعر ، بكل ما تحتويه من تراث فكري وفني ، يؤكد الوجه القومي لهذا اللون من الوان ادب المقاومة . واتخاذ الثورة الاجتماعية نسيجا ايديولوجيا لهذا الشعر ، يؤكدالوجه الثوري لهذا الادب . ولقد كانت هناك فكرة متطرفة نوعا ، تقول بان « الادب الشعبي » وحده هو ادب المقاومة بما ينطوي عليه من بطولات جماعية وفردية مجهولة ومعلومة ضد الغزاة والمستبدين ، كبطولة ادهم الشرقاوي وبطولة ياسين وغيرها من البطولات الشعبية العامية . والحق ان هذا الادب يشكل قطاعا هاما من قطاعات ادب المقاومة ، ولكنه ليس الادب الوحيد الذي قاوم الغزاة والمستبدين . وقيمته الان لا تزيد من اهمية « ضرب المثل » على قدرة الشعب على المقاومة . فلا شك ان الادب المكتوب باللغة العربية الفصحى ، قد شارك بنصيب موفور في « اعمال » المقاومة البطولية ضد الاستعمارالاجنبي والطغيان المحلي على السواء . بل ان هذا الادب العربي « الفصيح » هو نقطة الارتكاز الرئيسية في النضال الشعبي المعاصر ، لسببين : اولهما ان انتشار التعليم باللغة العربية يمنحها الاولوية في حق التعبير . وثانيهما ان « وحدة المصير » التي تجمع الشعوب العربية من شأنها ان تعمل على توحيد اساليب النضال ، ومن بينها لغة الادب . ليس معنى ذلك ان اللغة الشعبية توقفت عن اداء دورها النضالي ، او انه لم يعد لها دور ما ، وانما اضحت اللغة العربية هي الركيزة الاساسية في ادب المقاومة العربية .

هذه اللغة الجامعة للوجدان العربي والذهن العربي لا « تميع » الصراع الاجتماعي في كل بلد عربي على حدة . ومن هنا كان البعد الاجتماعي في ادب المقاومة من الابعاد الهامة التي تضاف الى كل من البعد الانساني والبعد القومي . نجيب محفوظ — مثلا — يكتب باللغة العربية ،

وتوفيق الحكيم كذلك ، ومعظم انتاج يوسف ادريس وعبد الرحمن الشرقاوى ، ومع هذا فالبعد الاجتماعى هو البعد الذى ينال تركيزا واضحا فى أدب المقاومة عند محفوظ والحكيم وادريس والشرقاوى . ولقد آن الاوان لان نفرق بين الادب الذى « يقاوم » قبل حدوث المحنة ، وهو الادب الذى يرتفع الى مستوى النبوءة ، والادب الذى يقاوم «اثناء» المعركة وبعد الهزيمة او النكسة ، والادب الذى « يؤرخ » للازمة بعد انتهائها بوقت طويل او قصير . هناك فرق كبير بين مؤلفات نجيب محفوظ التى كتبها قبل الثورة تدين الوضع الاجتماعى القائم وتقاومه فى افئدة الحكام والمحكومين ، وبين المؤلفات العديدة التى صدرت بعد الثورة « تسجل » جرائم الاقطاع والاستعمار والرأسمالية . هناك فرق كبير بين اعمال توفيق الحكيم التى ناضلت الاستعمار فى مواقعه الفكرية الرابضة فى قلوب بعض المثقفين وعقولهم ، وبين الاعمال التى « أرخت » بعد الحصول على الاستقلال للوجود الاستعمارى فى بلادنا ».

الفرق هو أن نجيب محفوظ فى رواية كزقاق المدق كان «يناضل» الاستعمار الانجليزى بمصرع عباس الحلو وسقوط حميدة وكان الاحتلال ما يزال جاثما على صدر مصر . الفرق ايضا هو ان نجيب محفوظ فى « ثرثرة فوق النيل » و « ميرامار » كان بمثابة النذير قبل النكسة التى نجتازها الان ، أى أنه كان على وعى نافذ البصيرة بما حدث — لا فى التفاصيل وانما فى الخطوط العامة — من قبل ان يحدث . الا يدعو الى التأمل وفتح العينين على آخرهما أن نجد كاتبا فى مصر — كنجيب محفوظ — ينهى رواياته قبل الثورة بمصرع عباس الحلو وسقوط حميدة وانتحار حسنين وسقوط نفيسة ، ويصبح هذا المجتمع فى حالة « ازمة حادة » لا تنفرج الا فى ٢٣ يوليو .. الا يدعو الى التأمل ان نقرأ فى نهايات احدث قصصه عن جريمة قتل يتنصل منها اهل العوامة العجيبة فى « ثرثرة فوق النيل » وعن انتحار سرحان البحيرى — محدث الاشتراكية والمنتفع بها — فى رواية « ميرامار »؟ ما معنى ذلك ؟ معناه ان نجيب محفوظ كان « يناضل » بأدبه ازمة حقيقية فى بناء هذا المجتمع من قبل أن تفصح هذه الازمة عن نفسها بصراحة قاسية . وهو مايمكن ان يقال بصورة من الصور عن بعض مسرحيات الحكيم مثل « السلطان الحائر » و « الصرصار ملكا » و « رحلة قطار » و « رحلة صيد » و « كل شىء فى محله » ، ومسرحية عبد الرحمن الشرقاوى «الفتى مهران» ومسرحية الفريد فرج « حلاق بغداد » و « مأساة الحلاج » لصلاح عبد الصبور . هذه الاعمال جميعها « تاومت » فى اشكال متعددة ومن زوايا فكرية مختلفة ، « تاومت » الازمة من قبل أن تفصح عن نفسها علانية وفى صورة تراجيدية دامية ».

هناك ايضا من « قاوم » الازمة يوم اعلنت عسكريا عن نفسها صباح ٥ يونيو ، بأن ظهرت عشرات الاغانى والالحان ، بل والقصص والمسرحيات التى كتبت فى ساعات معدودة ، ومعظم هذه الاعمال — للاسف — لا يندرج فى باب « الادب » او « الفن » وان كان من اليسير ان نعده من « المقاومة » درجة او درجات . فكلمة « الادب » تعنى تلقائيا القدرة على البقاء والصمود امام الزمن . وكم من اعمال فى آداب الامم الاخرى كتبت أثناء الحروب الطويلة ، وكتب لها فى نفس الوقت البقاء الطويل . ذلك انها لم تكتب تحت ضغط اللحظة العابرة وحدها ، وانما كتبت فى ظل « الحرب » عموما بكل ما تعبر عنه هذه الكلمة من معان كبرى فى قاموس الانسانية . أما نحن فلم يبق لنا من الاعمال التى كتبت خلال حرب السويس عام ٥٦ سوى اقل من القليل بالرغم من أنه لم يمض عليها سوى عشر سنوات او اكثر قليلا ، فماذا يكون الامر بعد خمسين عاما ؟ بالطبع ، لن يبقى شىء منها ، لانها انجزت لمجرد « المقاومة » فحسب ، ولم يفكر اصحابها لدقيقة واحدة انهم يكتبون «ادبا» و « فنا » ».

هذا هو الفرق بين مسرحية عظيمة كتبت اثناء المقاومة الفرنسية ضد النازى هى « الذباب » لسارتر ، ومسرحية اخرى كسيحة عن « شهوانية » الجنود الانجليز و « بلطجة » الجنود الفرنسيين و « غطرسة » الاتراك و « دموية » الرومان و « همجية » الهكسوس .. الى غير ذلك مما تغرقنا به شاشة التليفزيون وخشبة المسرح ومحطة الاذاعة . اى انه من الممكن ان يكون هناك « ادب » اثناء المقاومة ، بل هو الادب الاكثر فعالية فى قلوب الجماهير التى تقاوم .. والجائزة الكبرى التى ينالها هذا الادب الثورى النابع من ارض المعركة وضمير الفنان وأخلاصه ، هى أن بقاءه يطول على الزمن ، ويمتد اثره الى مناطق اخرى وعصور ما تزال « مقاومتها » فى حاجة الى الامدادات الروحية والفكرية . هى أيضا الادب الذى يضيف الى رصيدنا الثورى من الفكر والفن ما يسوغ لنا تراثا حيا باقيا متجددا . ولعل نجاح تجربة « من اب مصرى الى الرئيس ترومان » هى التى اوحت الى عبد الرحمن الشرقاوى ان يكتب رسالته الى جونسون .. ولكن القصيدة الاولى بالرغم من مضى خمسة عشر عاما ، هى التى تحمل فى ثناياها أعمق وشائج الصدق والاصالة والحرارة ، بينما القصيدة الجديدة اقبلت « شبحا » للاولى ، او امتدادا كميا لا يطوى فى تضاعيفه

هزات الوصل العميقة بين «المناضل» المصرى ، وبقية المناضلين فى جميع انحاء العالم .»

أما ادب المقاومة الذى يكتفى بالتأريخ لحركات المقاومة السابقة ، فانه يكتفى فى نفس الوقت « بضرب المثل » على البطولة اذا عاودتنا المحن من جديد . وهو يرتفع احيانا الى مستوى رفيع كالمستوى الذى بلغته ثلاثية « بين القصرين » لنجيب محفوظ و « سليمان الحلبى » لالفريد فرج ، و « الحصاد » لعبد الحميد السحار و « فى بيتنا رجل » لاحسان عبد القدوس ، وتهبط احيانا اخرى الى مستوى يبتذل فيه الكاتب نفسه حين يتجرد من « موضوعية الفن » وينزلق الى النفاق الرخيص . ان أعمالا عظيمة مثل « دروب الحرية » لسارتر ، و « المثقفون » لسيمون دى بوفوار ، و « نهر الدون ينساب فى هدوء » لشولوخوف ، و « الحرب والسلام » لتولستوى ، وغيرها ، ستظل بمثابة الوثائق غير القابلة للفناء فى تسجيل الصراع البطولى للانسان على ظهر هذا الكوكب .

هذه هى الابعاد الثلاثة الرئيسية لكل ادب يتمتع بصفة «المقاومة» سواء كانت هذه المقاومة « انسانية » مطلقة ، أو « قومية » محددة او « اجتماعية » ذات صبغة شعبية .. فهذه الابعاد قد تتجاور الى جانب بعضها البعض فى العمل الادبى الواحد ، ولكن الفنان يركز على احداها وفق موهبته الفنية وزاويته الفكرية معا . وادب المقاومة اذن لا يقتصر على ما يسمى بالادب الشعبى ، ولا يقتصر على مايسمى بالادب الوطنى ، لان المقاومة ارحب من أن تنحصر فى هذه الدائرة المغلقة او تلك . فاذا اضفنا ان الادب فى ذاته بدأ تاريخه « نشاطا مقاوما » تكد لنا يمينا لا يدع مجالا للشك أن دور الادب فى الحياة اكبر من أن ينكره احد ، وتأكد لنا أن هذا الدور هو توليد الصراع فى نفس الانسان اذا خلت منه ، وتجديد حس المقاومة اذا كان هذا الحس قد خبا مع الايام .»

وفى عالمنا المعاصر تنشط حركة ادبية « عالمية » فى مقاومة الاستعمار الامريكى الذى هو بدوره ظاهرة « عالمية » . هنا لا يقتصر دور الادب على الوصف والتسجيل ، بل يتجاوز هذه الخطوة اليسيرة الهينة الى ما هو اكثر جدوى وعمقا .. فآلاف القصائد والقصص والمسرحيات التى يكتبها الادباء فى الصين وفيتنام واوروبا وافريقيا والاتحاد السوفيتى ، لا تكتفى بأن ترفع اصبع الاتهام الشهير الذى رفعه زولا فى قضية دريفوس ، بل هى لا تعمد انطلاقا الى عقد المحاكمات الشهيرة التى يقيمها برتراند راسل ضد الحرب فى فيتنام .. كلا ، ان ادب مقاومة الاستعمار الامريكى فى عالمنا المعاصر ، يقوم الان بما هو اجل واخطر .. انه يصفى التركة الفكرية والوجدانية التى تركها هذا الاستعمار فى « داخل » البشر الذين استعمرهم والذين لم يستعمرهم . انه يصفى « العقلية الامريكية » و « الشعور الامريكى » اللذين سادا ويسودان الانسان الحديث هنا وهناك .. هذه التصفية الداخلية للاستعمار الامريكى هى النسيج الرئيسى للادب الذى يكتبه كل اديب مناضل فى عالم اليوم .. فلا يكفى « الحماس » لطرد الاستعمار الامريكى من هذه البقعة او تلك ، وانما لابد من « الوعى » بمكونات هذا الكابوس الفكرية والشعورية .. فالتطهر منها هو اولى الخطوات الجادة الى المقاومة . ان هذا الوعى هو ما يميز ادب المقاومة العظيم عن ادب المناسبات السريع الزوال .»



احتمالات الصدام مع العدو
وفلسفة تصعيد الحرب الأمريكية



بقلم كاظم السيناوى

في هذا المقال الذى نكتبه جميل كاظم المناف من بغداد يعالج :

« ● التكامل بين (اداة) الحرب الاسرائيلية وبين اداة الحرب الأمريكية ـ البريطانية ، تؤكد بصورة قاطعة وحاسمة أن اسرائيل ليست (قاعدة) اميركية من نوع ـ جديد ـ وفريد ـ في الشرق الأوسط ، وانما هى (نبتة) امريكية ـ اوروبية ـ غرست على طريقة غزو الاوربية لبلاد الهنود الحمر !

● اذا كان ثمة مفاجأة في الايام الستة بيننا وبين اسرائيل ، فهى التكامل (الكلى القدرة) بين امريكا واسرائيل . ولذلك نحن لا نحارب جيشا اسرائيليا ، وانما جيوشا متحدة مؤخرتها في لندن وواشنطن ومقدمتها في فلسطين . اسرائيل اذن شريحة امريكية اوروبية في الشرق العربي ورغم حقائق الوضع الجغرافى التى تعاكس ذلك ، الا ان الامريكيين ينظرون الى حدودهم وكأنها ذات امتدادات تشمل المنطقة العربية باسرها »

بعدما تأكدت الولايات المتحدة الامريكية ان نتائج حرب الأيام الستة أو الحرب الخاطفة التى شنتها اسرائيل القاعدة الامريكية ـ الغربية ـ البحتة ، لم تسقط النظم التقدمية العربية ، ولم تؤد الى نسف واقع حركة القومية العربية من الاساس .. ولم تنحصر نتيجة لذلك معنويات الشعب العربى .

عادت الى مخططاتها التى سبقت العدوان بأعوام آملة ابراز ـ محور جديد ـ من بعض القوى العربية المرتبطة اقتصادياتها ونظمها بالاحتكارات النفطية .

● وهكذا بدأنا نسمع عن نغمة : انه لم يثبت عمليا اشتراك امريكا وبريطانيا مع اسرائيل في عدوانها الأخير ، ولذلك يجب على العرب ضخ النفط الى الدول المذكورة الخ .. وبدأنا نسمع الاصوات التى ارتفعت سابقا منادية بالصلح مع اسرائيل ، ترتفع من جديد قائلة : ان العرب لا يريدون حل مشاكلهم مع اسرائيل بالطريق

الايجابية » والطرق الايجابية فى عرف هؤلاء هى: المفاوضات مع اسرائيل » .

● وابعد من ذلك فلقد بلغت الجرأة والوقاحة ـ بالبعض ـ الى حد القول بأن انكسار القوات العربية فرصة لشن حرب على القوات العربية الموجودة فى اليمن .. كل هذا يقال ضمن المخطط الامريكى القديم ـ الجديد الذى يمتد منذ عهد الرئيس جون كيندى حتى الآن . بل ابعد من ذلك منذ رئاسة ايزنهاور .

من حافة الهاوية

الى الرد المرن

● فى عهد ايزنهاور كانت سياسة ـ حافة الهاوية ـ التى يتبعها دلاس تؤكد بأنه يجب الهجوم على ـ العالم الثالث ـ والحكومات المحايدة ، وتقوم هذه السياسة على مقوله بان على جميع الدول فى العالم ان تكون تابعة للولايات المتحدة والا فانها معادية لها . ولذلك تعتبرها الولايات المتحدة عدوة لها ، وتشن عليها حربا لا هوادة فيها ، وفى عهد الرئيس كيندى ، هذبت هذه السياسة الى حد ما ، واتبعت سياسة ـ الرد المرن ـ اى الرد الاقتصادى ، وارادت الانتلجانسيا التكنوقراطية المستنيرة التى سيطرت على الشؤون السياسية فى البيت الابيض الوصول بالسياسة الامريكية الى حدود معقولة بالمعيار الامريكى الا ان اغتيال كيندى اوقف هذه المحاولات، وتؤكد بعض المصادر ان اغتيال جون كيندى جاء على ايدى الاحتكارات الامبريالية بل ويرددان للصهيونية يد فى الامر .

وفى الانتخابات التى جرت لاختيار رئيس جديد للولايات المتحدة استطاعت الاحتكارات ابراز معادلة صعبة : جولدووتر . صاحب فكرة : الرد النووى الشامل ضد جونسون الذى يبدو ازاء الاول متعقلا ، وهكذا كانت اللعبة ـ متقنة ـ وفاز الرجل المتزن ـ وخسر الرجل ـ الهستيرى ـ وهذه اللعبة تشبه لعبة المجنون الاخرق، والمجنون الاعتيادى ، عندما عرضا على احد الاشخاص التاثر بهما ، وقيل له ايهما تفضل ، قال افضل الثانى لانه أهون الشرين ، وهكذا قفز جونسون الى كرسى الرئاسة فنفذ السياسة الجولد ووترية بدون جولد ووتر ، واستأنف سياسة دلاس ، بل وضعها فى التطبيق على اسوأ الصور واشدها وحشية وقسوة .

النكسات والكوارث

ومنظرو السياسة الامريكية الجديدة يؤكدون انها تبدا من الضغط الاقتصادى الى التآمر والتخريب والانقلابات المسلحة من الداخل ، الى اثارة الحروب والمنازعات المحلية وبعث مشاكل الحدود والاضطرابات ، واخيرا العدوان المسلح الذى تتعدد صوره من مكان الى آخر . ومنذ اواخر عام ١٩٦٤ والخطة الامريكية لغزو العالم تستشرى وتمتد من منطقة الى اخرى ، وقد تمكنت الولايات المتحده قائدة الثوره المضادة فى العالم من انزال الكارثة بكل من اندونيسيا وغانا بأعمال التآمر الداخلى واحداث انقلابات مسلحة فى دول افريقية حديثه الاستقلال ، كذلك تمكنت من ممارسة اسلوب الضغط الاقتصادى على دول كثيرة ، كما اثارت ازمات الحدود بين الصومال والحبشة وبين الاخيرة والسودان ، ودفعت مناطق كثيرة فى الهند الى الاضطرابات الطائفية ـ والتمزق الاقليمى والاصطدامات والفوضى ، وتمكنت من النزول بدور الكثير من الدول الاسيوية المحايدة فى المضمار الدولى والهبوط بمكانتها درجات كثيرة وخطيرة .

هيئة الامم المتحدة ـ غير متحدة ـ

وحيث ترى الولايات المتحده ان اساليب الضغط الاقتصادى والتآمر الداخلى والتخريب غير مجدية تعلن عن نواياها وتلجا الى العدوان المسلح المباشر كما حدث فى كوبا والدومينيكان والفيتنام والكونجو ، وعلى البلاد العربية اخيرا ، وقد بلغت الوقاحة بساسة البيت الابيض حدا جعلهم يسمون الوجود المعنوى للامم المتحدة ويتبجحون انهم عندما يضغطون على الهيئة الدولية فانما يمارسون حقيقة ـ السلام الامريكى ـ على العالم ، كذلك بلغت الصفاقة بالاميركيين الى حد جعلهم يصورون الحرب التى شنتها اسرائيل وامريكا وبريطانيا ، بانها حرب وقائية لصيانة السلام ، وراحوا يتحدثون علنا عن قرب اسقاط النظم العربية الثورية .

رؤوس المثلث المضطرب

ومنذ اوائل ابريل (نيسان) الماضى وضعت وزارة الخارجية الامريكية ووكالة الاستخبارات

المركزية خطة عاجلة خاصة بالشرق الاوسط لما اسمته بالمثلث المضطرب ، وحددت رؤوس المثلث بطهران شرقا ، والدار البيضاء غربا ، ومقديشيو جنوبا .

● وموجز الخطة هو الاطاحة بالحكومات التقدمية التي لا تسير في خط التبعية الامريكية — وقد كونت لجنة من وزارة الخارجية الامريكية والاستخبارات المركزية خاصة — بالمثلث المضطرب — سميت : اللجنة الخاصة لمتابعة العمل اليومي لوضع الخطة موضع التطبيق .

ماذا تريد امريكا ؟

● وقد صاحب وضع نظرية المثلث المضطرب وقوع انقلاب رجعي في اليونان واشتداد حرب المرتزقة والرجعيينضد الجمهورية اليمنية، وبروز محاولات انقلابية يمينية في اكثر من بلد عربي تقدمي، كما برزتازمة النفط مع سوريا والعراق، كذلك اعتمدت النظرية على الامكانيات الذاتية لاسرائيل عن طريق تنشيط طيرانها واسلحتها المدرعة بواسطة المتطوعين الامريكان والكنديين، وحشدت القوات الاسرائيلية على سوريا في ٧ ابريل (نيسان) ، واعقب ذلك الحديث عن صدام عسكري واسع هدفه تأديب سوريا .

● ولا جدال فان اهداف الخطة الامريكيةهي تصفية الثورة العربية وتثبيت كيان اسرائيل بعد توسيعه ، ولقد اختارت المخابرات الامريكية انسب الظروفلملاقاة الرد العربي الشامل المنتظر الذي كاد ان يقع على ايدي القوات العربية المصرية ، فلكي لا يمر الوقت ، ولكي لا تصل القوات العربية جميعها الى الجبهة ، ومن اجل التضليل ، عمدت امريكا الى شن هجومها على الامة العربية في ٥ يونيو (حزيران) الماضي ، بواسطة اسرائيل .

● ولقد كان الغزاة يرون ان تدخلهم سيكون في ظروف اخرى ، اما وقد تصاعدت الاحداث وفعلت الاجراءات التي اتخذتها ج·ع·م في الاسابيع الثلاثة التي سبقت العدوان ، فعل السحر في الشعب العربي ، فتجسدت طاقاته وامكانياتهوقلبت المبادرة العربية الخطط الامريكية راسا على عقب .

● فقد تعجل الامريكان الجريمة وراحوا يتسترون خلف اسرائيل في ظروف بلغ بها تماسك الشعب العربي الحدود القصوى .

● كانت الخطة في البداية : ايجاد صدامات مسلحة بين البلاد العربية واسرائيل ، ثم التدخل بحجة حماية المصالح الامريكية ، فاذا بها تنقلب وتتحول الى شكل جديد ، كان العدوان يقصد منه التدخل بواسطة الانشقاق الحاصل بين البلاد العربية ، فاذا بالعدوان يكون ضد الاجماع العربي ، لقد استقطبت قيادة الثورة العربية في القاهرة الجماهير العربية وانتزعت كافة مبادرات المستعمرين والمتواطئين معهم ، وبذلك خلقت الظروف المواتية للمعركة .. الا ان الاميركيين بقدر ماكانوا يتعجلون المعركة كانوا يمارسون التضليل السياسي ، وقد عرف شعبنا الكيفية التي مورس بها ذلك التضليل .

وتأتي بعدئذ المعركة العسكرية

● في المعركة العسكرية التي بدات في الخامس من يونيو (حزيران) واستمرت ستة ايام ، انتهت الجولة لصالح العدو — مؤقتا — اي العدو الاسرائيلي الذي تسترت خلفه بريطانيا بخسة وخسة ونفاق وامريكا بلؤم ووقاحة الاهوج والمهوس ، وقد قبل الجانب العربي ايقاف اطلاق النار ريثما تنجلي غيوم الازمة .. ونستطيع ان نتبين بعض الحقائق الجوهرية التي يتعين علينا فهمها في الوقت الراهن لكيما نكون على استعداد للمستقبل :

الحقيقة الاولى : اننا يجب ان نتمتع بروح معنوية عالية ونزيل حساسيتنا الخاصة التي نستهين بها بالعدو ، فالمعركة قبل كل شيء لاتزال مستمرة، وهي وان كانت معركة شاملة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدبلوماسية والعسكرية ، الا ان طابعها العسكري هو الغالب ، وفي مثل هذه الحالة يجب ان ندرك ان العدو استطاع تحشيد قوات كبيرة جدا ، ورغم ذلك كنا نتناول موضوع الصدام بيننا وبينه بروح الاستخفاف والاستهانة الامر الذي ولد لدينا سايكولوجية — الغرور — ولقد استغل العدو هذه الظاهرة وملأ الجو بالشائعات بعد ايقاف اطلاق النار ، وراح يشكك في قدرة العرب على الرد وتصفية آثار العدوان والانتقام العادل .

الحقيقة الثانية : استطاع الامريكان النيل من معنوياتنا بواسطة استغلال التناقضات التي تعج بها الساحة العربية ، وراح يركز على الامكانيات الذاتية للامة العربية وعدم قدرة العرب على استغلالها ، وهذا ما يوجب عليهم — منطقيا — الخضوع للتبعية الامريكية ، وبالتالي الاستسلام للعدو (!)

وقد كان ردنا على ذلك فيه شيء من الايجابية، الا ان الذى نؤكده هنا هو توفير المناخ السليم لاستغلال الامكانيات الذاتية العربية فى الوقت الراهن وباسرع الاحوال، وطبعا المناخ السياسى والاقتصادى والجماهيرى هو المناخ الصالح الذى ندبر فيه مسؤوليتنا الذاتية فى جميع المضامير .

الحقيقة الثالثة : والشيء المهم الذى يجب ان نعيه، هو الثقة بقواتنا العربية الباسلة التى خاضت اشرف معركة مصيرية ، ومع ثقتنا الكاملة بها ، فيجب ان ندرك ان جيوشا لبلاد نامية لم تستكمل تحشداتها ولم توجد لديها خطط موحدة اضافة الى مواقعها الهجومية المكشوفة ، وضعت فجأة فى مواقف دفاعية ، وامام هجوم غادر وحرب شبه عالمية اشتركت فيها اضخم آلة تكنيكية حربية فى الدول الغربية الكبرى .

وقد يبدو هذا تحصيل حاصل الا ان الذى نؤكده ان وعى هذه الامور بعلم ودراية وبصيرة هى الشيء الاساسى فى ارتفاع رصيد معنوياتنا . فى مواجهة احتمالات المستقبل ... اما الآن ، فقد بقيت لدينا مسألة .

تصعيد الحرب التى اخذت تلوح بالافق ، وقد يبدو كلاما معادا اذا قلت ان اسرائيل قاعدة امريكية ، وان اعلان امريكا عن نيتها بتزويد اسرائيل بطائرات سكاى هوك واعلان بريطانيا عن امدادها اسرائيل بجميع احتياجاتها من المعدات والدبابات هو البداية فى تصعيد الحرب اذ اننا لا نشك لحظة ان الغزاة الامريكان يريدون من وراء التصعيد احراز انتصارات جديدة لقاعدتهم اسرائيل ، ذلك لان الضربة الاولى لم تحقق اهداف العدوان فى تدمير وانهاء الثورة العربية كلية ولابد ان تعقبها ضربات اخرى ، وهذا ما يفصح عنه الاميركيون بنظرية الحرب المحدودة التى تقول عندما : تنجح الضربة الاولى ويكون رد الفعل العالمى ضعيفا باشر الضربة الثانية، فالثالثة، الخ «وبذلك نستطيع كما يقول الجنرال ماكسويل تايلور : تحقيق السيطرة الاميركية على العالم بدون صدام دولى شامل » فالحروب الصغيرة، وسلسلة الحروب المحلية تهدف الى اسقاط الحكومات الوطنية والتقدمية فى العالم الثالث الواحدة بعد الاخرى لصالح امريكا ، ولا مانع بعدئذ من الانقضاض على اطراف من المعسكر الاشتراكى » .

وبعد ذلك يأتى دور البلدان الاشتراكية فى اوربا الشرقية بعد انتكون قد حوصرت وانعزلت»

تلك هى نظرية الحرب المحدودة التى وضعها المنظر ستانلى والجنرال ماكسويل تايلور رئيس الاركان الاميركى السابق ! !

● واذ كنا قد وعينا من العدوان الاخير حقائق كثيرة الا اننا نعى ايضا ان :

العامل الحاسم فى احراز اسرائيل انتصارها الموقت هو التكامل العسكرى بينها وبين كل من بريطانيا وامريكا ، وهو الشيء الجديد فى العدوان الاخير .

● فى عام ١٩٥٦ لم يكن الامر كذلك لانه كانت ثمة ثلاثة اجهزة عسكرية للعدو فرنسية وبريطانية، واسرائيلية ، اما الآن فالعدو يمتلك جهازا واحدا مؤخرته فى الولايات المتحدة ، وانكلترا ومقدمته او قاعدته فى اسرائيل .

● فى عام ١٩٥٦ كان التنسيق هو اساس الخطة ، أما فى عام ١٩٦٧ فان التكامل هو اساس الخطة التى احكمت خيوطها بين اداة الحرب الاميركية ــ البريطانية ، واداة الحرب الاسرائيلية ، واذا كانت هناك ثمة مفاجأة فى الامر فهى هذه ، اما لماذا وجه العدو الينا الضربة الاولى ؟ فهذا لانه كان متوقعا ذلك ، الا ان ملابسات الامور اضاعت علينا ادراك ان اداة الحرب الاسرائيلية هى اداة الحرب الاميركية، غير ان الاستراتيجية العامة لحروب التحرير تجابه فلسفة تعقيد الحرب وتكامل ادوات الحرب الاستعمارية ، بمعارك النفس الطويل وارادة الصمود ، ودون ريب فصمودنا سيكون من اسباب قوتنا الذاتية واحراز النصر ! .



الاستمرار فى الثورة الاجتماعية هو الحل الأساسى لمواجهة العدوان



يعرض الكاتب فى هذا المقال اهمية توسيع الجبهة الثورية ، على اساس راسى لا افقى عن طريق دعمها بالعناصر المناضلة الفعالة من العمال والفلاحين . وهم اصحاب المصلحة الرئيسية فى استمرار الثورة الاجتماعية .

عادل حسين

أثيرت مناقشات واسعة منذيوم ٩ يونيه، وهذا طبيعي .. فمن المفهوم تماما أن تجرى مناقشة أوضاع ما قبل العدوان ، لان احتلال العدو لبعض ارضنا قد غير ابعاد الموقف ، كما أن الهزيمة التى نتجت عن العدوان تدعونا الى البحث ـ بشكل جاد ـ عن النواقص التى أدت الى الهزيمة .

وقد كانت قضية الاستمرار فى الثورة الاشتراكية من القضايا التى احتلت مكانا هاما فى المناقشات .. فبعض الدوائر قالت ان التطورات الاشتراكية فى السنوات الماضية تدخلت حالة من الفوضى والتفكك الاجتماعى ادت الى الهزيمة .. وهذه الدوائر ترى ـ بالتالى ـ اننا يجب ان نتراجع عن التقدم الذى احرزناه فى طريق الاشتراكية .

ومن المفهوم ان هذه الدوائر تتالف من الطبقات التى أضيرت مصالحها ، وقد توهمت ان ما قيل عن الحراسات يعنى اتجاها يؤيدها فهللت وتفاءلت . ولكن كان واضحا ان الاتجاه العام هو أن يحتفظ بالمضمون الطبقى الثورى للحراسة ، على أن تتم الاجراءات طبق قواعد محددة تضمن العدالة وتضمن حسن استخدام الاموال والمنقولات ، وهذا امر طبيعي ويجب أن يتحقق .

.. المهم ان هذا الرأى ـ اى التراجع عن الانجازات الاشتراكية ـ خطير ، وهو لايمثل أكثر من حلم .. ولن تسمح الجماهير العاملة لمثل هذا الحلم أن يتحقق .. والدوائر الرجعية المروجة لهذا الكلام غير راغبة ولا قادرة على المشاركة فى معركة

الوطن الحالية ، واذا كان هذا صحيحا ، فانه يعني — على الاقل — انه لن تتم تغيرات في القوى الاجتماعية التي تكون جبهتنا الوطنية . ستظل هذه القوى هي العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية المتوسطة التي تعمل في مجالات وبطريقة لاتتعارض مع الخطط العامة للدولة .

أما الدوائر والطبقات المضروبة والحاقدة ، فلن تكون ضمن قوانا المناضلة ، باستثناء العناصر التي تثبت اخلاصها ».

لكن هناك كتابات تحمل اتجاها مخالفا ، اذ تقول انه يحدث أن يتعرض الوطن لعدوان من قوة أجنبية خارجية ، واذ ذاك يظهر خط قتال جديد ، ويتغير توزيع القوى المتصارعة. وباستثناء حفنة محدودة من الخونة التي ترتبط بشكل مباشر وثيق بالعدوان الاجنبي ، فان معظم فئات المجتمع تقف بكل اختلافاتها موقف الدفاع عن الوطن على درجات مختلفة من الاستعداد للتضحية والمقاومة ».

والقول بان هناك « حفنة محدودة من الخونة» قد يعطي معنى عصابة متآمرة أكثر مما يعطى المعنى الطبقي الاوسع .. وخاصة أن كثيرين ممن أضيروا بالاجراءات الثورية لم يكن ينطبق عليهم معنى الارتباط المباشر بالاستعمار ، ولكنهم — الان — معادون لقضية الثورة التى نحرص عليها، ومن هنا فمن الخطر أن يتحدث الان عن توسيع الجبهة بادخال هذه الفئات .

كما أن تأكيد هذا المعنى بالاشارة الى انه من البديهي أن هذا الواقع يفرض بالضرورة أساليب جديدة للعمل وتشكيلات جديدة للصف الوطني وتوزيعات جديدة للقوى التي يفصل بينها خط النار ، وهي توزيعات تستهدف أكبر توسيع ممكن للتحالف الوطني ضد الاستعمار ، واكبر تحييد ممكن للقوى الضعيفة المترددة، وأكبر تضييق ممكن للقوى المحلية التي تقف في جبهة العدو ». ولا يتحقق ذلك أساسا بالمناقشات الفكرية ، بل يتحقق عن طريق الاجراءات العملية ».

وهنا لا تحدد هذه الاجراءات ، ولكن أعتقد أن المقصود هو ضرورة عمل تنازلات فيما يتعلق بمصالح هذه الفئات التي أضيرت ».

وقد أفاض هؤلاء في شرح خبرة الحزب الشيوعي الصيني في أهمية التنازلات مع كبار الملاك وكبار الرأسماليين اثناء الحرب المشتركة ضد الغزو الياباني ... ولاشك أن خبرة الحزب الشيوعي الصيني — أثناء الغزو الياباني — هي خبرة ثوار وطنيين عظام .. ولكن ظروف الصين — في ذلك الوقت — تختلف تماما عن ظروف بلدنا ..

قد تكون الظروف تقارب ظروف البلاد العربية « خارج المجتمعات ذات النظم المتطورة » ، والاصح أنها تشبه ظروف العالم العربي ككل . فقد كانت الصين تحكم بأكثر من دولة .. كانت هناك دولة ثورية يحكمها الحزب الشيوعي وقواته المسلحة ، ودولة يحكمها حزب الكيومنتانج بما يمثله من اقطاعيين وبورجوازيين كبار .. كانت الدولتان تتحاربان ، وبعد الغزو الياباني رات الدولة الثورية أن تتوقف الهجمات والاشتباكات الداخلية ، كي تتوحد الجهود ضد اليابان . حاولت الدولة الثورية ذلك ، ونجحت الى حد كبير ، رغم مؤامرات دولة الكيومنتانج ... نجحت « بالتشدد والمرونة » .

ومن ثم فالخبرة التاريخية تسمح للدول العربية بأن توحد جهودها ضد العدوان الاستعماري الاسرائيلي ، ويجب أن توقف الاشتباكات فيما بينها كي تتفرغ لهذه المعركة المشتركة .

هذا كلام لا غبار عليه ، ولكن من الخطر ان نردد هذا المثال عن التعاون والتنازل لبعض القوى المحافظة ، حين نتناول الاوضاع الداخلية في الدول العربية الثورية .. فنحن ندعو — في هذه الحالة — الى اعادة الحياة لفئات ضربت — فعلا — في هذه البلاد ، كي نتعاون معها بعد عودتها الى الحياة !

كيف سنواجه العدوان ؟

ومع ذلك .. لندع هذا النوع من المناقشة الذي يعتمد على المقارنات العامة والتجريد ... ولنسأل مباشرة :

كيف نستطيع أن نواجه التحدى القائم ؟

نوع الاجابة على هذا السؤال سيحدد ما اذا كانت هناك ضرورة للاستمرار في الثورة الاشتراكية أم يجب التراجع او التوقف

فاذا كانت الاجابة اننا سنواجه التحدى بأن نستعد للمقاومة (بأشكالها العسكرية وغير العسكرية) فسوف تترتب على ذلك التزامات تحتم علينا اجراء تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية.

اما اذا كنا غير مستعدين لمواجهة التحدى بالمقاومة ، وارتضينا أن نقدم تنازلات كبيرة ، فان هذا يعني سياسة أخرى ، وقد يدعو أو يساعد على اجراء تغييرات من نوع يختلف .

في الحالة الاخيرة (وهذا مجرد فرض جدلي) .. اى اذا كنا سنقبل انسحاب القوات الاسرائيلية مقابل شروط سياسية مجحفة ، لن نكون مضطرين الى تغييرات اجتماعية تزيد الاعتماد على الطبقات الكادحة المقاتلة .. بل اننا لن نجبر — في الحقيقة —

على اتخاذ سياسة من هذا القبيل الا اذا كانت الفئات المتهادنة تتحكم فى مراكز السلطة ، وتقدر على اقصاء اى قوى وطنية راديكالية .

واذا سرنا فى غير طريق المقاومة ، فان الوصول الى حلول لن يستغرق وقتا طويلا . وبالتالى لن يكون هناك داع لاقتصاد الحرب ، بكل مايعنيه من مشاق وتعقيدات ، وانما يكفى أن تتخذ اجراءات مؤقتة ، توازن الوضع الحسابى بعد انقطاع بعض الموارد .

فى حالة اختيارنا لهذا السبيل السهل والذليل (وهو أمر لن يحدث) تصبح الارض ممهدة ـ فعلا ـ لعودة كثير من القوى الاجتماعية التى ضربتها الثورة ، وستوجد حينذاك كل المبررات للعودة الجزئية الى بعض امتيازاتها .

لقد كان هذا مجرد فرض ، وهو لا يمثل نقطة البدء فى تفكير اى وطنى راديكالى ، ولذا فان الاهم هو أن نفكر على أساس أن شعبنا ومثقفينا الثوريين قد اختاروا ـ فعلا ـ طريق المقاومة ، وعلينا أن نفكر ـ فورا ـ فى النتائج المترتبة على هذا الاختيار .

الاستعداد للمقاومة

واعتقد ان الاستعداد لمقاومة عنيدة يدعو الى الآتى :

● **مراجعة جادة للاخطاء** .. لقد هزمنا فى معركة مسلحة ، وكشفت المعركة عن نواقص كبيرة فى عملنا العسكرى والسياسى ، وينبغى أن نعالج هذه الاخطاء كى ننتصر فى معاركنا القادمة .

● **الاخطاء ليست نواقص فردية فى المحل الاول ، وانما نواقص تشمل أسلوب حياتنا كله** .. تشمل نظامنا الاقتصادى ومؤسساتنا السياسية ، وسنجد ان النقص الاساسى فى كل ذلك أننا لم نكن نقدر حقيقة الاخطار التى تواجهنا ونحن نصمم هذه النظم ، وبالتالى لم تكن محكمة بما فيه الكفاية ، ولم نكن مقاتلين وثوريين الى الدرجة التى يتطلبها الموقف .

ولكى ننتصر فى الحرب ينبغى أن نحيا وأن نفكر كما يحيا ويفكر المقاتلون فى ميدان القتال .

● **واذا ترجمنا هذا اجتماعيا وسياسيا ، فانه يعنى أن نضع مزيدا من السلطة فى يد الطبقات والعناصر الاكثر قدرة على القتال والصمود** .. وسنجد هنا أن الطبقات الاكثر راديكالية فى وطنيتها .. الطبقات التى ترفض الاستسلام باصرار اكبر .. هى نفس الطبقات الاكثر ايمانا بالاشتراكية . وهذا الارتباط ـ فى الظروف الحالية ـ بين الوطنية الراديكالية وبين الاشتراكية ليس صدفة .

● **أما من الناحية الاقتصادية ، فاننا لايمكن أن نستعد للمقاومة الوطنية : دون أن نستعد من الناحية الاقتصادية باقتصاد حرب .**

ان الموافقة على النقاط الاربعة لهذا البرنامج المباشر تعنى اننا لايمكن ان نواجه المعركة الوطنية الا بمزيد من التغيرات الاجتماعية الهامة .

التنمية الاشتراكية والحرب

وقد يساعد استطراد الحديث عن اقتصاد الحرب ، على توضيح وجهة النظر هذه بشكل اكمل .

ماذا يعني اقتصاد الحرب فى دولة نامية ؟

نبدأ هنا بالحديث عن الحل الاشتراكى لمشاكلنا ، والذى وجدناه طريقا حتميا .

الحل الاشتراكى ، هو الاسلوب الوحيد والمجرب لتحقيق تنمية سريعة ناجحة ... هو اقصر الطرق للوصول الى دولة عصرية .

وقد آن لنا ان ندرك أن الحل الاشتراكى فى بلد كمصر ، لايعنى تحقيق ارتفاع مباشر وملحوظ فى مستوى المعيشة ، والمطالبة باستمرار التطور الاشتراكى لايعنى فى كل وقت ـ كما افترض البعض ـ مزيدا من خفض ساعات العمل والاسعار وزيادة الاجور والدخول .

لقد عشنا بهذا الوهم الغريب سنوات ، وشمل الوهم دعايتنا وسياستنا ، وبالذات اثناء الخطة الخمسية الاولى .. فزادت معدلات الاستهلاك ـ كما هو معروف ـ عن المعدلات المرسومة والمعقولة ، وكان هذا على حساب التوسع فى الاستثمار ، وكان سببا فى ارتباك علاقاتنا الاقتصادية الدولية .

لقد ارتفع متوسط الاجر ـ فى كل القطاعات ـ أكثر من الزيادة فى متوسط الانتاجية ، وزادت مكاسب العمال ـ فى تلك الفترة ـ عن الحدود التى تستطيعها قدراتنا ، وعن الحدود اللازمة لزيادة المدخرات .

ونفس الامر حدث بالنسبة لمنتفعى الاصلاح الزراعى وصغار الفلاحين ، حيث استهدفت السياسة ـ أيامها ـ التيسير على هذه الجماهير الغفيرة ، وليس الموازنة الطبيعية بين بعض التيسير الممكن ، وبين امتصاص قدر من دخل الريف لتمويل التنمية .. لاشك ان الهدف كان نبيلا ، ولاشك ـ أيضا ـ أننا لم نعط الفلاحين شيئا كثيرا ، ولم يرتفع مستواهم طفرة .. ومع ذلك فان هذا التحسن ـ الذى يبدو بسيطا ـ كان اكبر من احتمالنا .. وهذه هى الحقيقة الصريحة لاننا بلد فقير .

واذا كنا قد تحدثنا عن العمال وصغار الفلاحين ، فان الانحراف الاكبر هو فيما يسمى بالطبقة الوسطى ،

ابتداء من أعيان الريف، الى التجار، الى المقاولين، الى بعض أصحاب المهن الحرة ، الى كبار المديرين والفنيين ورجال الدولة..هذه الطبقة حصلت على دخل يزيد جدا عما نستطيع ، لقد حصلت على مستوى معيشى يقارب المستوى المقارن فى الدول الغربية ، مع أن متوسط الدخل عندنا منخفض جدا اذا قورن بمتوسط الدخل فى هذه الدول .

وقد حصلت هذه الطبقة على الامتيازات الهائلة تحت شعار أن اشتراكيتنا لها وضع خاص ، وتحت شعار ان الاشتراكية عندنا لن تضحى بهذا الجيل على اعتبار انها وحدها هذا الجيل !) ويعلم الله ان مثل الاشتراكية .. اى اشتراكية .. من واقعنا أو غير واقعنا .. بريئة من هذا الكلام العجيب ، الذى فتح الباب — على مصراعيه — أمام تطلعات المواطنين منكل الطبقات، واصبح التنافس المحموم من أجل الاثراء السريع غولا مخيفا يغتال اى محاولة لزيادة المدخرات القومية ولتحقيق تنمية اشتراكية جادة .

ولاشك ان هذه الاخطاء جعلت النموذج الذى اقمناه بعد يوليه ١٩٦١ لايتطابق — بالدقة — مع النموذج المتكامل للتنمية الاشتراكية .

النموذج الاشتراكى للتنمية

ان النموذج المتكامل يقوم على عدد من الدعائم :

● لاتوجد اقلية ثرية تتحكم فى مواقع الانتاج فتمنع التخطيط المركزى ، وتبدد جزءا من الفائض الاقتصادى فى مشروعات غير ضرورية ، او فى استهلاك ترفى .

● من خلال التأمينات واشراف الدولة ، ينسق العمل — فى كل القطاعات — طبقا لخطة مركزية موحدة ، تستهدف امتصاص كل الموارد المتاحة ، وتستهدف — أيضا — انفاقها طبقا لاولويات ، لا تحددها المصالح الانانية الضيقة ، وانما النظرة الشاملة والبعيدة للصالح القومى .

● والمفهوم ان تحكم الدولة فى الموارد ، والغاء وجود الاقلية المترفة ، لايضمن فقط امتصاص كل الفائض الاقتصادى ، ولكنه يضمن — ايضا — تحقق الاستقرار الاجتماعى . فرغم المشاق التى قد يواجهها العاملون لن يلجأوا الى التمرد أو العصيان ، لان العدالة فى توزيع الاعباء على كل الفئات العاملة (أى عدم التفاوت الكبير فى الدخول) يحول معركة التنمية من كونها معركة يستغل فيها الصغار ، الى واجب وطنى يشقى الجميع — فى تعاون — من أجل احتماله وتحقيقه .

والمعنى الاشتراكى فى تنمية بلد نام ، هو — بالتحديد — هذا المعنى ، وليس اى شىء آخر .

الاشتراكية — هنا — هى العدالة فى توزيع الاعباء ، وليس تحقيق الرفاهية .

طبعا مطلوب ان يحدث تحسن مطرد فى مستوى المعيشة ، وعلى اسس من تقدم العمل والكفاءة ، ولكن هذا التحسن الجزئى لن يعنى تحقيق الرفاهية للمواطنين — فى المراحل الاولى للتنمية — لان الموارد المحدودة فى هذه البلاد لايمكن ان تحقق الرفاهية للجميع ، والمراحل الاولى للتنمية — تحت اى نظام — لايمكن الا أن تكون صعبة ، ومليئة بالتضحية .. والمشكلة هى هل تكون التضحية عامة (بدرجات متفاوتة) ؟ ام ان البعض سيفلت منها ، كما كان الشأن فى تجارب التنمية الرأسمالية ؟

والحقيقة ان المعنى الذى نذكره هنا للاشتراكية هو السبب فى أن بعض المفكرين الغربيين يرفضون تسمية هذه النظم التقدمية فى البلاد النامية بأنها اشتراكية ، والصحيح انها نوع من الاشتراكية ، ولكنها — بالقطع — ليست الاشتراكية التى يتحدث عنها يساريو الغرب فى المجتمعات المتطورة .

كيف ينجح ؟

ولكن هل هذا النموذج فى التنمية الاشتراكية صالح للعمل فعلا ؟ . لقد ثبت انه صالح .. ولكن كيف ؟

فمن المفهوم — علميا — أن عجز الموارد فى اى مجتمع عن تحقيق الرخاء العام ، يخلق أرضا موضوعية لظهور طبقة متميزة تتكالب على الفائض المحدود ، وتسعى لاعتصار المجتمع كى تستأثر بالرفاهية على حساب فقر الاغلبية الساحقة . ولقد كان هذا هو الاساس الموضوعى لانقسام المجتمع الى طبقات متصارعة ، منذ انحلال المجتمع الشيوعى البدائى .. فكيف اذن تستطيع الدول النامية أن تقضى على الطبقة الراسمالية ، وتحول دون ظهور طبقة جديدة تحل فى مكانها الاستغلالى ؟

ان كبار الفنيين والاداريين مرشحون طبيعيا لان يكونوا هذه الطبقة، ويرثوا كل التركة. ولاشك أن منعهم من تشكيل فئة متميزة مستحيل ، ولكن هل نستطيع ان نمنعهم من أن يحلوا فى موضع الراسمالية بشكل كامل ؟ الامر صعب .. ولكن هناك عدد من العوامل يساعد تجارب التنمية الاشتراكية فى تحقيق ذلك .

● **العامل الاول هو التنظيم الاشتراكى القائد :**
وهو تنظيم يتكون خلال فترة طويلة ، وخلال عديد من المعارك ، على اسس ايديولوجية واضحة .
ويجب الا يذوب هذا التنظيم — عند قيادته للسلطة — فى فئة كبار الفنيين والاداريين ، ذوى المثل والتطلعات غير الاشتراكية .

اذا استطاع التنظيم ان يحتفظ بمثله الاشتراكية،

وباستقلاله عن هذه الفئة، سيظل مرتبطا بالجماهير العاملة .. سيظل قدوة للكادحين الفقراء ولكبار الفنيين ، فى كيفية التحمل لمهام البناء . سيكون التنظيم — فى هده الحالة — اداة حقيقيه تصهر الطبقات والفئات المختلفة وتلحمها معا .

● **العامل الثانى هو اشتراك الجماهير الكادحة بشكل مباشر وواع فى المعارك .**

حين تصبح هده الجماهير قوة ضغط منظمـة تستطيع أن تكبح جماح أى فئة منحرفة .

وقد ادى غياب هدا العنصر — الى حد ما — فى التجربه السوفيتية ، الى ان الزمام كان مهددا بالافلات لولا القبضه الشديده للحزب ولستالين . وتشير الدلائل الى أن الصين تحقق نتائج افضل فى ابقاء الفوارق الطبيعية محدودة بفضل هـذا التحريك الهـائل للجماهير الفقيرة ، ويبـدو أن الثوره الثقافيه عمل هام فى هذا الاتجاه .

● **العـامل الثالث هو التهديد الخارجى ..**
لقد تقدمت التجربة السوفيتيه الفاسية ، وسـط ضغط أولى شديد ، والتجربة الصينيه تتقـدم الان — ايضـا — بين تحديات لا تقل قسوة .

والحقيقة ان مهمة اللحاق بالدول المتقدمة هى حرب ضد التخلف تشنها الدول النامية . ان لحاق الاتحاد السوفيتى بالدول الراسماليه المتطورة كان تحديا يستحق — فى حـد داته — بذل الجهـد والتضحيات، ولحاق الصين الان بالدول الراسماليه والدول الاشتراكيه المتقدمه هو نفس التحـدى الذى سبق للسوفييت ان واجهوه .

واذا كان النضال من اجل القضاء السريع على التخلف هو نوع من الحرب فعلا ، فان هذا هو احد اسباب اقتناع الشعوب والقيادات الثورية فى الدول النامية بأسلوب التنمية الاشـتراكى ، الذى هو بالطبيعة — اقتصاد حرب يركز الموارد ويتحكم فيها لمحاربة العدو الذى هو التخلف .

واذا كانت شعوبنا ترى فى اللحـاق بالدول المتقدمة مهمه وطنيه مقدسه ، فان هذا الجو العام من المشـاعر الوطنية يساعد الجماهير على تحمل المشاق .. خاصـة حين نتذكر — ايضـا — أن الحرب فى معركة التخلف لا تظل تعبيرا مجازيا، لان الدول المتقدمة — فى كثير من الاحيان — لا تنظر بارتياح الى المحاولات الثوريه للتنمية ، بل وقد تسعى الى عرقلتها وتهديدها بمختلف الاشكال . ومن هنا ترتبط عمليات البناء الاقتصادى ارتباطا عضويا بالحفاظ على الاستقلال السياسى، وبالدفاع المباشر عن أرض الوطن وسيادته . ويؤكد هـذا الأرتباط العضوى معنى ان التنمية عمل وطنى ، فهى ليست — فقط — مواجهة التحدى الحضارى، ولكن مباشرة لبناء اساس يساعد المجهود الحربى فى حالة التهديد العسكرى الخارجى .

فى كل الدول الاشتراكية التى حققت تنمية ناجحة كانت التنمية ترتبط عضويا بمهام الدفاع المبـاشر عن الوطن ، فماذا يجد فى هذه الدول اذا حدثت حرب فعلية (كما حدث فى الحرب الوطنية العظمى بالاتحاد السوفيتى) ؟ ماذا يعنى اقتصاد الحرب فى هذه الحالة ؟

ان نفس الجهـاز المصمم للتعبئة الـكاملة ، والتحريك الكفء للموارد فى حرب البناء ، سيوجه بحـزم اكبر لتغطية احتياجات القوات المسـلحة والجبهة .

سيعمل الناس بنفس النظام ، ولكن مع تحول معين فى اولويات التخطيط ، ومع استعداد لتحمل مصاعب أكثر .

•• والآن ننتقل الى مصر

لقد تحررت مصر من قوات الاحتـلال ومن القواعد .. وسيطرت على الاحتكارات الغربية التى تعمل فى ارضها وتكبل اقتصادها بعد عدوان ١٩٥٦ .

وبعد هذه المعارك ، كان واضحا انه لايمـكن تحقيق الرفاهية للشعب فى مدى قصير نسبيا ، وانه لايمكن أن يسـتمر التحرر ، الا بأن نمنع قـوى الاستعمار من العودة ، وبأن نسد — فى اقـرب وقت — هذه الفجوة التى تفصلنا — صـناعيا وعلميا وفنيا — عن عالم النصف الثانى من القرن العشرين .

وكان طبيعيا ان نصل — على ضوء ذلك — الى ما سبق أن وصل اليه غيرنا ، وهو أن الاسلوب الاشتراكى هو الاسلوب الوحيد لتحقيق هـذه الاغراض الوطنية والحضارية .

وقد مرت تجربتنا فى البناء تحت نفس الضغوط التى تعرض لها غيرنا . فالدول الاستعمارية حاولت أن تعيق تقدمنا بمختلف الوسائل ، وكانت اسرائيل عنصرا هاما فى هذا الضغط . لقد التحم عندنا الضغط والتهديد الخارجى المبـاشر مع عـامل التخلف الحضـارى ، وتكون منهما مزيج يدعونا الى سرعة التقدم ، والى احتمال التضحيات من اجل هـذه السرعة . لقد كانت واجبات الدفاع الثقيلة ضمن دوافعنا لانتهاج اسلوب الاقتصاد الاشـتراكى ، وكانت ضمن دوافعنا للاسراع فى العمل بعد ذلك .

واذا كانت هناك دروس نستخلصها من هزيمتنا فى معركة يونيه ، فان الدرس الاول هو اننا لم نسرع بما فيه الـكفاية ، ولم نبذل من الجهـد والتضحيات كل ما كان مطلوبا .

فماذا نفعل الان وبعـد ان اصبحت الحـرب حقيقة نحياها ؟ ماذا نفعل ونحن نستعد لمعارك الغد ؟

اقتصاد الحرب مزيد من الثورة

سنفعل كما فعل غيرنا فى مثل هذا الظرف ، سنحول الطاقة الاقتصادية كلها لخدمة هذه المعارك، وسنبذل كل الجهد من اجل ان نحكم تصميم نظامنا الاقتصادى بحيث يصبح أكفأ لمواجهة الاحتياجات .

اقتصاد الحرب هنا يعنى مزيدا من التحكم فى الموارد والانفاق .. يعنى مزيدا من امتصاص الفائض .. وبالذات هذا الفائض الذى لازالت تستأثر به الطبقات الثرية ، والا فمن أين نحصل على مزيد من الموارد، بعد أن نضبت بعض المصادر؟ وبعد ان زادت أعباء الدفاع ؟

ولا يعقل فى ظروف من الضغط الشديد على الاستهلاك، أن نترك الفوارق واسعة بين الدخول. والا فكيف نستطيع ان نجعل الجماهير تقبل على التضحية ببعض السلع الضرورية ، بينما البعض غارق فى الاستهلاك الترفى .

ولا يعقل كذلك الا نزيد من تحكمنا فى اوجه الانفاق ، ونقف بحزم ضد اى انفاق كمالى مستهتر على المظاهر .. صحيح ان الاسراف الاساسى هو فى الوقت الذى يضيع ، وفى الفاقد العالى فى مستلزمات الانتاج ، وفى الالات التى لا تستخدم بالكفاءة القصوى. ولكن هل يمكن ان نحرك حماس العاملين الى احترام الوقت ، والى العناية بالاموال العامة الى درجة التقديس .. الا اذا راوا ان الجدية تكسو كل تصرفات المسئولين ، وان بعضهم لا يتكلم عن توفير المال العام ، وعن المتاعب الاقتصادية ، وفى نفس الوقت يصر على تبديد قسم من مواردنا الشحيحة فى مظاهر خارجية .

لن نستطيع ان نحول اقتصاد البلد الى خدمة كاملة للمجهود الحربى ، الا بأن نتلافى النواقص السابقة ، الا بمزيد من التقشف والتحمل والعلم والجدية .

هذا هو معنى تحويل اقتصادنا لخدمة المعركة الحالية ، فهل يمكن أن يتم ذلك بدون تغييرات اجتماعية ؟

هذا هو السؤال العملى الذى يواجهه كل من يستعد لمواصلة النضال .

ان هذه التحولات الاقتصادية تتعارض مع مصالح بعض الفئات .. صحيح ان ظروف المعركة قد لا تجعلها تقاوم بشدة ، ولكنها على الاقل لن تكون المبادرة بطلب هذه التحولات .

وهذا هو الاساس الاقتصادى لمطالبتنا هنا بأننا يجب أن نحيا حياة المقاتلين ، وباننا يجب ان تضع مزيدا من السلطة فى يد الطبقات الاكثر تطرفا فى وطنيتها .. والتى هى — كما قلنا — اكثر الطبقات اشتراكية بالضرورة .

لا سبيل للمقاومة الا هذا .. أن نمضى فى الثورة . ونحدث كل التغيرات الاجتماعية التى تسهل تنظيم قوانا ، وحشدها للقتال حتى النهاية.

الجديد فى الجبهة الوطنية

هل يعنى هذا انه لم يطرا أى جديد على قضية التغير الاشتراكى بعد احتلال اسرائيل لجزء من اراضينا ؟

بالقطع حدث تغيير .. تغيير يدعونا الى مزيد من التغير ، وتغيير يمكننا من احداث هذا التغير.

ان التطور الاجتماعى يرتبط الان، وبوضوح تام، بقضية التحرر الوطنى .. واضح الان أن رفض التغيرات المطلوبة فى تنظيم المجتمع لايعوق التنمية او الاشتراكية ، وانما يعوق توفير الامكانيات لتحرير الوطن .

وهذا الوضع يجعل احداث التغير اسهل ، يجعل كثيرين من مترددى الامس يقفون معنا ، وبحزم .. لان العمق الوطنى فى قلوب الشعب يقف ضد اى تردد .

هذا هو الجديد الذى طرا كنتيجة للعدوان ، وهذا هو معنى ان نربط — فى دعايتنا وشرحنا — كل ما نطلبه من تغيير بقضية التحرر الوطنى .

وهناك سؤال آخر : هل يعنى هذا الشرح أن قوات الجبهة .. جبهة الشعب العامل لن يطرأ عليها توسيع ما ؟

أن الطبقات والفئات التى ضربت لن تدخل كمجموعات توسع صفوف الجبهة . فالجبهة لن تتوسع افقيا — ان جاز التعبير — وانما راسيا .

اى انها ستظل كما كانت من نفس الطبقات التى ترتبط مصالحها بالتغير الاجتماعى . ولكن الجديد اننا سنستطيع — فى هذه الظروف — ان نجذب اليها ملايين اخرى من بين أبناء هذه الطبقات .

المفروض ان عمال المصانع وصغار الفلاحين لا تتعارض مصالحهم مع التغيرات الاجتماعية ، والمفروض أنهم يؤيدون مضاعفة الانتاج فى اقرب وقت ، ولكن هل كانوا جميعا فعلا يشاركون فى دعم العمل الثورى ويتحمسون له ؟

الجديد الان اننا يمكن أن نكسب دعمهم وحماسهم جميعا . وهذا هو اتجاه التوسع الذى نريده فى الجبهة الداخلية . انه الاتجاه الذى يسهل احداث التغييرات الاجتماعية المطلوبة لانقاذ الوطن .

الطريق إلى تنظيم سياسى ذى دور حاسم

مبارك عبده فضل



قضية « التنظيم السياسى » هى واحدة من القضايا الملحة والعاجلة فى مواجهة آثار العدوان الاستعمارى فى المدى القريب ، وفى مواجهة تحديات العصر المضادة لثورات الشعوب فى المدى البعيد .. فالتنظيم السياسى الثورى هو الدرع الواقى للاستقلال الوطنى والثورة الاجتماعية على السواء ، وهو الحل الوحيد امام التجربة الثورية الرائدة فى بلادنا لحمايتها من كافة احتمالات الخطر . فما هو الطريق الثورى الى هذا التنظيم الثورى ؟

عندما يتزايد الاحساس بخطر هجوم استعمارى او رجعى على بلادنا ، ووسط الشعور بألم النكسة وحزنها — كما حدث بعد انفصال سوريا — تعلو الاصوات بالحديث عن التنظيم السياسى واهميته ، ويقترن الحديث ببعض الاجراءات فى بناء التنظيم ، التى تسجل بدورها بعض الانتصارات .

ولكن مع مضى الوقت ، عندما يبدو لنا ان الهجوم قد تضاءل او انكمش ، او ان الجماهير قد عبرت النكسة واجتازتها ، نخدع انفسنا بمظاهر الاشياء دون ان نغوص فى أعماقها ، ونقع فى الخطأ الفاحش ، فيخفت الصوت الذى كان يعلو ، ثم تهدأ الاجراءات وتتعثر ، وتسير الامور سيرتها المعتادة ، الى ان نفيق من جديد مع بوادر هجوم او صدى نكسة .

ولقد تجدد الحديث عن التنظيم السياسى بعد النكسة الحالية التى نعيشها والتى هزت اعماق المجتمع المصرى والوطن العربى ، ووضعت كل شىء تحت مجهر النقد والفحص .

وقد تعرض المناضل جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى مساء ٢٣ يوليو الماضى لمشكلة التنظيم السياسى ، وحدد مجموعة من النقاط حولها .

قال الرئيس عبد الناصر ان « .. التنظيم

السياسي الشعبي سوف يكون له دور حاسم في المعركة .. » . هذه الحقيقة — التي اكدتها القيادة — لابد ان يسلم بها عدد كبير من العاملين في مجال الفكر والتنظيم السياسي ، اذ على قدر التسليم بهذه الحقيقة ، والايمان الحقيقي بها ، سنقف امام ضميرنا الثوري ، وامام الشعب والتاريخ لنراجع خطواتنا — بكل شجاعة — كل فترة لنرى اذا كنا نسير حقا على الطريق الثوري الذي يحول املنا في « بناء تنظيم سياسي ذو دور حاسم » من مجرد امل الى واقع مادي حي في مجتمعنا .

ان بناء « التنظيم السياسي » يجب ان يعطى الاولوية والاهمية عما عداها من الواجبات ، وخاصة بعد ان خطونا خطوات في اعادة بناء قواتنا المسلحة ، وبعد اعلان الميزانية الجديدة وما تضمنتها من سياسة اقتصادية ثورية جديدة .

وبدون اعطاء الاولوية لهذه المشكلة ، وبناء تنظيم سياسي قوي ، لايمكن ضمان استمرار الاجراءات التي اتخذت في خطها السليم ، كما يصعب اتخاذ اجراءات اخرى اكثر ثورية مستقبلا .

وانطلاقا من هذا ، وايمانا به ، اعلن المناضل عبد الناصر توليه مسئولية الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي .

ان النقاط التي اثارها المناضل عبد الناصر في خطابه عن التنظيم السياسي تتضمن معان عميقة لابد من الوقوف عندها والتفكير فيها ، واتخاذ الاجراءات على ضوئها وهداها ، ولذا فهي تثير أمامنا عددا من القضايا الهامة لابد من حسمها .

في احدى هذه النقاط التي اثارها جمال عبد الناصر قال « **... التنظيم السياسي يجب ان يكون في الميدان ... مع الجماهير وان يقود** » .

ومن هذه النقطة بالتحديد تنبع اهم واخطر قضية في عملنا لبناء التنظيم السياسي ، أن اتخاذ موقف واضح وسليم في هذه القضية يؤثر بدوره على القضايا والمسائل الاخرى الفرعية التي تتعلق ببناء التنظيم .

والقضية كما اتصورها هي : **ما هي الجماهير الاساسية التي نزاول بينها عملنا السياسي والتنظيمي ؟**

ان العمال والفلاحين يكونون اغلبية شعبنا ، وبالتالي فان الاجابة على السؤال الذي طرحناه بسيطة وواضحة . ان الجهد الاكبر والاساسي من عملنا السياسي والتنظيمي يجب ان يتجه بحسم نحو العمال والفلاحين اساسا ، نبني بينهم تنظيمنا السياسي وندعم قواعده في المصانع والقرى .

ولا يعني هذا ان نغفل العمل السياسي والتنظيمي بين قوى الشعب الاخرى ، ليس هذا قصدنا ، اذ من المهم ان نعمل بين هذه القوى الشعبية ، ولكن بجهد اقل من الذي نبذله بين العمال والفلاحين .

ان العمال والفلاحين ، ليسوا اغلبية شعبنا فحسب ، فالى جانب ذلك ، فان صفحات تاريخنا تزخر بالمقاومة التي قاموا بها بشكل اساسي ضد الاستعمار واعوانه من الرجعيين ، كما ترخر بالتضحيات الرائعة التي قدموها دون حدود .

ولن نذهب بعيدا ، ففي الايام التي نعيشها حاليا ، لعب العمال والفلاحون الدور الاول يوم ٩ ، ١٠ يونيو فرغم الظلام والغارات — ودون ان تتلقى امرا من احد — تحركت جماهير العمال والفلاحين بسرعة فائقة ومبادرة ثورية اذهلت الاصدقاء ، وخيبت آمال الاعداء ، وحالت دون ان تصل المؤامرة الاستعمارية الى هدفها الحقيقي والاساسي وهو «ازالة النظام الثوري»، كما فرضت ارادتها الثورية بعدول عبد الناصر عن قرار التنحي ، ثم الهمت قائدها اسس السياسة الاقتصادية الثورية الجديدة « **مقاومة الاسراف** » .. « **التكافؤ في التضحية** » .. « **وضع حد للامتيازات** » .

والى جانب كل هذا ، فان العمال والفلاحين يلعبون الدور الاول في معركة الانتاج بالمصانع والمزارع ، ادراكا منهم ان معركة الانتاج هي المؤخرة التي ترتكز عليها سياسة مقاومة العدوان الاستعماري الاسرائيلي .

ان الايمان الحقيقي بقضية تركيز الجهد الاكبر من عملنا بين العمال والفلاحين حيث يعملون ويعيشون ، يثير قضية اخرى تتفرع عنها وترتبط بها تمام الارتباط . وهي : من اى المنابع الطبقية نختار اغلب العناصر القيادية لتنظيمنا السياسي على المستويات المختلفة ؟

ليس سرا ولا بدعة ان قيادات اى تنظيم سياسي ، تتشكل على المستويات المختلفة من عناصر منحدرة من منابع طبقية مختلفة ، فيكون فيها العامل والفلاح والمهندس والعالم والمحامي والطبيب والطالب والمثقف .. الخ . حدث هذا في بلادنا ، وفي البلاد الاخرى اشتراكية كانت ام رأسمالية .

ونظرا لان القيادات التي تحتاجها بلادنا — كما قال الرئيس عبد الناصر — هي « **القيادات المعبرة دائما عن مطالب قوى الشعب العاملة وامالها والقادرة على الاحساس بمشاكلها في كل مرحلة من مراحل التطور وحلها ...** » . فان اغلب العناصر القيادية للتنظيم السياسي في المستويات المختلفة، يجب ان يختاروا — بوضوح وحسم — من العمال والفلاحين واولئك المثقفين الثوريين البسطاء النابعين منهم والقادرين على الحياة وسطهم دائما .

ان القيادات التى تتحدداغلبيتها بهذا الوضوح والحسم تكون اكثر من غيرها قدرة على الاحساس بمشاكل الشعب وبشكل خاص مشاكل العمال والفلاحين ، واكثر قدرة على حلها . اذ انها تعيش وسط جماهيرها من العمال والفلاحين فى المصانع والمزارع وفى القرى والاحياء الشعبية بعيدا عن مباهج القاهرة وصالوناتها وحفلاتها وثرثرات مثقفيها . والى جانب ذلك فهى اكثر قدرة من غيرها على قيادة جماهيرها دونما حوائط عازلة من الاوراق والمكاتب والحجرات المغلقة ، ودونما « تسلط او تعالى » يستمد جذوره من الامتيازات الطبقية .

وبصراحة اكثر فان القيادات العمالية والفلاحية ، هى اكثر القيادات التى تتوفر فيها الصفات التى ينشدها الشعب فى قادته ، فهى اكثر بعدا عن « الامتيازات بغير وجه حق » واكثر احساسا وتطبيقا لشعارات « التكافؤ فى التضحية » و «النقاء الثورى والطهارة الثورية».

واذا اخطأ قائد او اكثر من القيادات النابعة من العمال والفلاحين ، او فكر فى الانحراف ، بحثا عن امتياز بغير وجه حق ، فان فكرة المحاسبة التى عبرعنها المناضل جمال عبدالناصر فى ٢٣ يوليو بقوله « **لابد لكل انسان منا ان يؤدى عمله ، وان تكون للعمل مقاييس للحساب — ثوابا او عقابا ...** » يمكن ممارستها عملا لا قولا مع هذه القيادات بالذات اكثر من غيرها ، لانها تعيش كما قلنا بين جماهيرها ، التى تركز عليها انظارها وتتأهب للحساب والنقد حتى ولو تصبر التنظيم السياسى فى مزاولة فكرة المحاسبة.

ومن هنا فان الخوف من الجماهير وحسابها العسير ، قد يعصم هذه القيادات من الخطأ والانحراف قبل الوقوع فيه ، وهنا تصدق الحكمة القائلة « الوقاية خير من العلاج » .

واذا سلك قائد او اكثر من هؤلاء طريق الخطأ او الانحراف ، واصر على السير فيه — وهذا احتمال قائم — فان التنظيم السياسى الذى يزخر بمجموعات عريضة من قيادات العمال والفلاحين ، ويغرس نفسه بعمق بينهم ، يمكن ان يصل بالحساب الى نهايته ، الى « العزل من مراكز القيادة » . ويأتى بقائد افضل واحسن ينبع من العمال والفلاحين الذين لم ولن يصابوا بالعقم السياسى ، باعتبارهم اهم منبع بشرى فى بلادنا « لتجدد القيادات » على مر الزمن .

ان الحديث عن القيادات النابعة من العمال والفلاحين ، ليس جديدا .. فقد حدد « **الميثاق الوطنى** » انه « يجب ان يضمن للعمال والفلاحين نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها ... » « ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية ،

ضمان اكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة » .

ان مقاومة العدوان الاستعمارى ، والحفاظ على نظامنا الثورى ، وتدعيم الثورة الاجتماعية والسير بها للامام ، يحتاج — كما قلنا — تحديد اتجاه العمل الاساسى ، فى مجال بناء التنظيم السياسى ، بالتركيز على العمال والفلاحين وخلق ركائز تنظيمية قوية بينهم ، ويرتبط به — كما وضحنا — اختيار افضل العناصر العمالية والفلاحية وتسليمها بسرعة وشجاعة زمام القيادة السياسية على كافة المستويات التنظيمية ، بحيث تشكل هذه العناصر بالاضافة الى المثقفين الثوريين اغلبية هذه القيادات .

ان تحقيق هذا الواجب الثورى والملح ، ليس امرا سهلا ولا هينا ، وخاصة اذا ادركنا ان بلادنا — لظروف مختلفة — لم تسدها « الروح التنظيمية » ولم ترس بها بعد « تقاليد تنظيمية عميقة » .. انه يتطلب نضالا شاقا وصبورا ، ويحتاج عددا كبيرا من العناصر التى تؤثر التضحية ، وتقدر على الحياة بين العمال والفلاحين ، وتدرك ما فى ذلك الجهد من ارهاق للجسم والفكر ، بعيدا عن الحياة المرفهة الهادئة .

ان الاحساس بجسامة المسئولية ، يجب ان يدفعنا الى عدم التفريط فى اى مواطن يمكن ان يبذل جهدا ما فى انجاز هذه المسئولية التاريخية ، او تبديد اية طاقة مهما كانت ، تفيدنا فى سعينا نحو هذا الهدف . طالما كان هذا المواطن مناضلا ومعاديا للاستعمار ، مؤمنا بالاشتراكية ومكافحا من اجلها ، وملتفا حول القيادة الثورية لعبد الناصر .

اذا توفرت هذه الشروط فى اى مناضل ، فكل قيد نغل به يده ، بحجة انه ذو تفكير من لون معين ، او انه اخطأ يوما ما فى حق الثورة ، يجب ان يزال ، اذا كنا نريد حقا الوفاء بالمسئولية التى حملناها على اكتافنا .

ان مقاييس الماضى ، وقوانينه ، وافكاره ، لا يجب ان تقيد حركتنا ، فنعزل اناسا معينين من حقل العمل السياسى والتنظيمى ، او ان نبدد طاقة تحتاج اليها المعركة .

قال الرئيس عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو « **.. كل واحد عليه مسئولية ، كل فرد عربى فى كل وطن عربى عليه مسئولية** » . واذا كنا نريد حقا أن نترجم هذه الكلمات الى واقع حى ، ويمارس كل فرد مسئوليته ، فلابد من اتخاذ اجراءات ثورية ، تساعد المواطنين الذين يرغبون فى تحمل المسئولية فى هذه المرحلة الحرجة التى نعيشها .

ان ما جاء بخطاب المناضل عبد الناصر فى ٢٣ يوليو عن « **الايمان بطريق استمرار النضال**

وتدعيم الثورة الاجتماعية ، والدور الحاسم للتنظيم السياسى فى المعركة ، وقيادة الجماهير من مواقعها دون تسلط أو تعال ، والقدرة على الاحساس بمشاكل الشعب وحلها ، وتجديد القيادات الثورية ، والبعد عن الامتيازات الطبقية ، والتمسك بالتكافؤ فى التضحية ، والنقاء الثورى والطهارة الثورية . والتصرف بجدية وحزم » .

ان كل هذا ، يجب ان ننظر له ونضعه كمقاييس للاختيار امامنا ، يتم على اساسها اجتذاب كل من يقف معها فعلا لا قولا الى مجال العمل السياسى ، وابعاد كل من يقف ضدها حتى ولو كان يتشدق بالفاظ التسبيح بها .

ان ما اثير فى هذا المقال ، من تركيز للجهد الاساسى بين العمال والفلاحين ، وتشكيل اغلب القيادات السياسية من النابعين منهم والمثقفين الثوريين الملتصقين بهم ، والغاء العزل السياسى عن بعض المناضلين الاشتراكيين سوف تجد المعارضة .

ومن المفيد ان نورد صورا من حجج المعارضين ، ونناقشها ، ولن نجد فى الغالب من يعارض صراحة فكرة تركيز العمل بين العمال والفلاحين اساسا ، خاصة بعد اجراءات يوليو الاشتراكية ، وبعد خطب القائد التى اشادت بالعمال والفلاحين ، ان المعارضة المستترة لهذه الفكرة ، سوف تركز قتالها فى جبهة محددة هى : توجيه الاتهامات للقيادات العمالية والفلاحية .

سوف يقول هؤلاء الذين يحاربون من وراء ستار :

● ان القياديين من العمال والفلاحين لا يدركون المسائل العامة والقضايا النظرية التى ستناقش فى الاجهزة القيادية ، مما يستوجب حشد المثقفين والمتعلمين القادرين على المناقشة فى هذه الاجهزة بدلا من العمال والفلاحين .

وهم لا يدركون كذلك المسائل الفنية الصناعية والزراعية والتجارية ، مما يستوجب حشد رؤساء الشركات والمؤسسات والمهندسين فى الاجهزة المذكورة .

● ان المثقفين والمتعلمين يملكون الى جانب ملكة المناقشة القدرة على الانتقال للعمال والفلاحين فى مواقع عملهم وحياتهم ، اذا تولت الاجهزة السياسية حثهم على ذلك .

● ان هؤلاء القادة من العمال والفلاحين سوف يفسدون ، شأنهم شأن الاخرين ، يبحثون عن الامتيازات مما يعزلهم عن العمال والفلاحين .

والواقع أنه لابد من مناقشة هذه الاتهامات ، نقطة ، نقطة :

● الواجب الاول والاهم امام الاجهزة القيادية لتنظيمنا السياسى ، هو بلورة مشاكل الشعب وحلها ، من خلال احساس اغلبيتها العمالية والفلاحية . ومن هنا فالنقاش فى القضايا النظرية العامة تأتى فى المرتبة الثانية .

والى جانب ذلك فقد اثبتت التجربة ان تسليح العمال والفلاحين بالوعى النظرى والسياسى ومدهم بالخبرة الفنية الضرورية اسهل كثيرا من خلق روح الاحساس بمشاكل الشعب لدى « المتعلمين والفنيين » ولدى المثقفين الذين يمارسون حياة المدن .

● واثبتت التجربة ايضا أن حث « المثقفين » للانتقال للريف والمجالات العمالية ، ليقوموا بدور القادة من العمال والفلاحين ، امر صعب للغاية ومحكوم عليه بالفشل — كخط عام — فالقلة النادرة من « المثقفين الثوريين » يرحبون بذلك ، اما الاغلبية فترفض ذلك . مما يستوجب الاعتماد على عناصر قيادية من العمال والفلاحين فى خلق وتدعيم مراكز سياسية قوية بالريف والمجالات العمالية .

ان الاسباب الكامنة وراء فساد بعض القادة من العمال والفلاحين هى :

ان بعضهم برجوازى الاصل والمنبع ، وتسلل الى المراكز القيادية مرتديا **التعريف غير الواقعى** « للعامل والفلاح » ، وبالتالى فهذا البعض ليس محسوبا فى الحقيقة على العمال والفلاحين .

والبعض الاخر فسد فعلا رغم انه من اصل عمالى وفلاحى ، وكان السبب وراء ذلك هو ضعف التنظيم السياسى الذى يقوم بدور الرقابة على قادته ، الى جانب ان الرجعية وبعض القادة النابعين من اصول لا تمت للفلاحين والعمال تولت بمهارة وحذق افساد هؤلاء القادة ليتم عزلهم عن جماهير العمال والفلاحين .

وعلى اى حال فنحن لا نعصم القادة من العمال والفلاحين عن الفساد ، ولكن الحقيقة التى لا يمكن انكارها هى ان الذين يفسدون منهم اقل كثيرا من الذين يفسدون من غيرهم . ومن الممكن المحافظة عليهم كعناصر صالحة ، اذا احتفظنا بهم دائما وسط جماهير العمال والفلاحين ، حتى ولو كانوا فى اعلى المستويات التنظيمية فى جهازنا السياسى ، فالجماهير سوف تكون العين اليقظة والساهرة على ابنائها ، تمنعهم من الانزلاق الى مهاوى الفساد والانحراف .

ان معركتنا المقدسة دفاعا عن حرية وطننا ، والوطن العربى كله ، وتدعيما لثورتنا الاشتراكية ، وحفاظا على قيادتها الثورية ، تتطلب منا اكثر من اى يوم مضى بناء تنظيمنا السياسى وتدعيمه ليقوم بدور حاسم فى المعركة المقدسة ، كما قال قائدنا جمال عبد الناصر .

فليكن طريقنا اليه ، من خلال اتجاه حاسم نحو جماهير العمال والفلاحين ، وقيادات نابعة منهم ، نحافظ عليها ونصونها ، بجهد تبذله الطاقات الاشتراكية متحدة .





- **أمريكا وبريطانيا •• تتصارعان على البترول فى نيجيريا**
- **الانسحاب أو الهزيمة العسكرية فى فيتنام**

■ **جنوب اليمن المحتل**

كل الاطراف •• تحضر لما بعد ٩ يناير

تدخل قضية تحرير جنوب اليمن المحتل ، مرحلة جديدة حاسمة من مراحل تطورها ، ويتوقف على نتائج تطوراتها هذه الايام ، مستقبل الجنوب العربى كله الى سنوات غير قليلة قادمة .

فمن المفروض أن تقوم بريطانيا باعلان أستقلال البلاد فى ٩ يناير القادم . ومن ثم تدور المؤامرات البريطانية هذه الايام حول البحث عن اطار وصيغة لهذا الاستقلال تفرغه من مضمونه الوطنى . وذلك بعد ان فشلت محاولاتها السابقة سواء باستخدام القوة من طريق استقدام فرق للكوماندوز خلال الشهور الثلاثة الاخيرة • او من طريق اعادة تشكيل حكومة الاتحاد لاجراء مجرد تغيير شكلى قد يخدع أبناء الجنوب ، وكانت محاولة تكليف حسين على بيومى بتأليف وزارة انتقالية ثم فشلها ، مثالا واضحا لذلك .

ويعتقد المراقبون ان بريطانيا كانت تظن ان نتائج العدوان الاسرائيلى يمكن أن تؤثر على تطور المعارك الوطنية فى الجنوب . ولكن الاحداث أكدت غير ذلك . فمن الملاحظ انالاسابيع الاخيرة قد تميزت بطابع عام لهجوم قواتالتحرير الوطنية حتى أنها استطاعت أن تحرر خمس امارات هي **الضالع والشعب ودثينة والمفلحى ولحج** • ويرى المراقبون العسكريون ان لسقوط لحج فى أيدى الوطنيين أهمية خاصة فهي تتاخم حدود الجمهورية العربية اليمنية من جهة وتعد مركزا عسكريا هاما فى الجنوب من جهة أخرى . وقد بلغت قوة الوطنيين العسكرية فى الجنوب حدا يجعلهم — كما تقول الانباء — يشنون على القوات البريطانية وقوات السلاطين ، ٩٠ هجوما فى ٢٤ ساعة كما حدث فى ١١ أغسطس مثلا . كما راحت وكالات الانباء فى الشهر الماضىتتحدث من الاسلحة الصاروخية ومدافع المورتر والهاون والبازوكا التى تتسلح بها قوات التحرير .

ومن المعروف ان **لجنة الامم المتحدة** الخاصة بالجنوب المحتل (وتضم ٣ أعضاء من **فنزويلا ومالى وافغانستان)** قد بدأت فى منتصف الشهر الماضي لبحث كيفية نقل السلطة من بريطانيا . وقد أجرى **لورد شاكلتون** وزير الدولة البريطانى أكثر من اجتماع مع اللجنة ، كما تسعى بعض عناصر وزارة الاتحاد (لاتعترف بها الامم المتحدة) الى مقابلة اللجنة بصفتهم الشخصية . وجدير بالذكر أن اللجنة قد وجهت دعوة عامة الى جميع العناصر الوطنية فى الجنوب لارسال ممثلين عنهم الى جنيف لبحث قضية الاستقلال .

ويركز الوطنيون فى الجنوب ، فى عملهم من أجل الإستقلال الوطني ، على العمل على جبهتين فى وقت واحد . **أولا :** جبهة العمل العسكرىواحرازا

مزيد من الانتصارات على قوات الاحتلال. وثانيا: جبهة العمل السياسي . وفي هذا المجال تدور جهود **جبهة تحرير اليمن المحتل** حول قضايا ثلاث هي : ١ ــ تقديم ميثاق وطني تجرى مناقشته مع قواعد قوات التحرير في كافة القطاعات. وذلك بهدف قيام وحدة كل التنظيمات الوطنية العاملة في مجال النضال العسكري والتي لم تنضم الى الجبهة حتى الآن ». ٢ ــ تقديم مشروع دستور لطرحه على الشعب . وتتنبأ الدوائر العربية المطلعة أن يعلن دستور الجبهة النظام الجمهوري في الجنوب كما يؤكد عروبة المنطقة وخاصة جزيرة ميون التي تبذل بريطانيا كل جهودها من أجل تدويلها خوفا من أن تفقد سيطرتها على مدخل **باب المندب** الى البحر الاحمر ومن ثم خلق مشاكل لا حصر لها **لاسرائيل** حليفة بريطانيا ». وسوف ينص الدستور أيضا على اقامة برلمان مركزي تمثل فيه كل الولايات وتنبثق عنه حكومة مركزية . ٣ ــ تشكيل حكومة انتقالية تقوم بتسيير الامور في البلاد وتولى السلطة في المناطق التي يقوم جيش التحرير بتطهيرها ». وتتوقع الدوائر العربية أن تسارع الدول العربية والصديقة بالاعتراف بهذه الحكومة الانتقالية ».

ومن المعتقد أن بريطانيا لن تسلم بسهولة أمام الانتصارات العسكرية والسياسية التي تحرزها قوات التحرير ». ولكن ترى الدوائر الوطنية العربية ان احراز النصر النهائي لاستقلال الجنوب رهن بمدى يقظة الوطنيين ووحدتهم . كما ترى هذه الدوائر العربية ان على قيادة جبهة التحرير أن تعد من الآن للبرامج الخاصة بقضايا البناء والكوادر التي ستتولى تنفيذها ».

●

■ **نيجيريا**

أمريكا وبريطانيا .. تتصارعان على البترول

يتابع الرأى العام الافريقي باهتمام بالغ ، تطورات القتال بين حكومة الاقليم الشرقي لنيجيريا الذي أعلن انفصاله تحت اسم جمهورية **بيافرا** وبين الحكومة الاتحادية لنيجيريا ».

وتحاول الدوائر السياسية الغربية تصوير هذا الصراع على أنه مجرد انعكاس للخلافات والحزازات القبلية في نيجيريا وبخاصة في أعقاب انقلاب **ايرونسي** ثم انقلاب **جوون** ». فمن المعروف أن في نيجيريا حوالى ٢٥٠ قبيلة أهمها وأكبرها قبائل **الهوسا** (في الشمال) **والايبو** (في الشرق) **واليوروبا** (في الغرب) .

وقد كان **لبريطانيا** التي كانت تستعمر نيجيريا حتى عام ١٩٦٠ نفوذا واضحا بين قبائل الهوسا التي تملك ٧٤٪ من أراضي البلاد وتمثل ٥٤٪ من مجموع السكان (٥٦ نسمة) . وقد وجه انقلاب الجنرال ايرونسي في يناير ١٩٦٦ ضربة جادة لنفوذ الشماليين وقضى على زعمائهم السياسيين باغتيالهم . وكان ايرونسي قد نجح في اقامة دولة موحدة ، والغى كل الاحزاب القائمة . وفي يوليو ١٩٦٦ قام يعقوب جوون ــ وهو واحد من قادة الجيش في عهد ايرونسي ــ بانقلاب كلف ايرونسي حياته .

وجوون الذي تلقى تدريبه العسكري في كلية ساندهيرست البريطانية ينتمي الى قبيلة **جوس** احدى قبائل الهوسا . ومنذ توليه السلطة وكبار الملاك الشماليين يعتقدون أن الامور قد عادت الى سيرتها الاولى . وهنا غلب على تصريحات زعماء الاقليمين الشرقي والغربي ، طابع الدعوة الى الانفصال عن نيجيريا ، وتشكيل دولتين مستقلتين لكل منهما .

ويرى المراقبون الافريقيون ، انه بالاضافة الى عدم اغفال طابع الصراع القبلي في القتال الناشب اليوم في نيجيريا ، الان دور الامريكيين والبريطانيين ومطامعهم الاستثمارية ، مسألة يمكن أن نرصدها بسهولة • فرءوس الاموال البريطانية العاملة في نيجيريا تبلغ ٥٠٠ مليون دولار . أما امريكا فقد نجحت حتى أكتوبر ١٩٦٦ في استثمار ١٨٠ مليون دولار سوف تزيد الى ٢٥٥ مليون دولار قبل نهاية ١٩٦٧ .

ولا يفصل المراقبون بين المساعدات الامريكية الى نيجيريا وبين حركة استثماراتها المالية • فقد بلغت المساعدات العسكرية ٢١ مليون دولار في عام ١٩٦٢ زادت الى ٣٣ مليون دولار في عام ١٩٦٥ . وجدير بالذكر انه على أثر انقلاب ايرونسي اعلنت أمريكا عن رغبتها في مد حكومة الانقلاب ١٨٠ مليون جنيه كقرض كما أعلن البنك الدولي للبناء والتنمية عن انه سيقدم لنيجيريا ٢٠٠ مليون دولار . ومعروف أن نيجيريا تأتي في قائمة الدول الثلاث عشرة الاولى لانتاج البترول في العالم .

ويعد الاقليم الشرقي المركز الرئيسي لانتاج البترول وخام الحديد في نيجيريا ، اذ ينتج وحده ٦٠٪ من انتاج نيجيريا للبترول . وكانت شركة شل البريطانية تتولى امتياز انتاج البترول في نيجيريا وفي السنوات الاخيرة ، دخلت ٧ شركات أمريكية للبترول ».

شركة أمريكا فيما وراء البحار ، وشركة أسولغرب أفريقيا ،وشركة درلنج الدولية، وشركة موبيل أويل ، وشركة الخليج ، وشركة تنيسى ، وتكساس لافريقيا ، بالاضافة الى شركة أيطالية وأخرى فرنسية، دخلت جميعها تشارك الشركات البريطانية القديمة .

ويرد المراقبون تفجر الصراع الى مثل هذه الدرجة من الحدة ، الى ازمة البترول التيتتوقع كلمن أمريكاوبريطانيا مواجهتها علىأثر تطورارت

تعليق

التمييز بين الصهيونية واليهودية .. قضية أساسية

اذا كانت معركة الحياة او الموت الوطن العربى كله تتعلق بالموقف من الاستعمار والصهيونية ، فمن المستحيل ان يطمئن احد الى حسن سير المعركة اذا حدث اى خلط مثلا على اى مستوى بين مفهوم الاستعمار الاجنبى، ومفهوم « الاجانب » عامة ، او اذا حدث خلط بساذج أو متعمد بين مفهوم الصهيونية وبين الديانة اليهودية .

فاذا جاء الخلط من مواطن طيب او ساذج فهذه مسألة يمكنعلاجها ببساطة ، واذا حدث الخلط من صحفى او ناشر محترف ، فهذه مسألة لن يعيى أحد حتى بعلاجها ! ولكن اذا حدث الخلط من جانب بعض اصحاب المسئولية فى الاجهزة التنفيذيه او الشعبية فهنا يصعب السكوت . ورغم انه ــ بداية ــ لا عذر لاحد بعد هذه السنين الطويلة فى التخلف عن ادراك مفهومات حياتنا ومعاركنا الرئيسية ، الا انه لا يزال هناك امل فى اصحاب النوايا الطيبة .

اما اذا كان الخلط متعمدا بمعنى انهم غير راغبين فى تغيير مواقفهم الخاطئة فليس هناك خيار امام الثورة والوطن الا فى محاسبتهم او « صرفهمبمعروف » .

وقد تبدو القضية امام البعض نوعا من الرفاهية : ... هل من المصلحة الان ان نعقد امتحانا لاحد وهو يخلط خلطا مخجلا (تحت شعارات حماسية) بين الصهيونية كتيار سياسى رجعى عنصرى استعمارى ، وبين اليهود عامة فى كل انحاء الدنيا .! نعم هذا وقته .. والذين شهدوا كيف خسرنا معركة الدعاية على اهميتها فى العالم يدركون ان اهم عناصر الخسارة هى قصورنا الدعائى وفهمنا الخاطىء لهذه الحقائق .

كما ان الصهيونية لا تقتصر على اليهود ، كما قد يظن البعض .. بل تضم فى صفوفها بوعى وبغير وعى انجليزا وامريكيين وافريقيين وعرب احيانا ، فان الديانة اليهودية تشمل بعض اليهود المعادين بثبات وامانة للصهيونية . ولنأخذ مثلا على ذلك بالمفكر الاشتراكى الفرنسى « مكسيم رودنسون » .

واذا نجحنا فى ان نفهم ذلك ونستفيد منه عمليا فاننا بنفس القدر سننجح فى اكتشاف من يخدمون موضوعيا الحركة والدعاية الصهيونية بين ظهرانينا .. والذين يغطون انفسهم بسذاجة تحت ستار الالفاظ الحماسية والجوفاء لاثبات اخلاص غير متوفر لقضية الوطن العربى وحق الشعب الفلسطينى .

ولست ادرى لمصلحة من سوى الصهيونيين ان يوضع ماكسيم رودنسون على نفس المستوى مع ليفى اشكول . ولمصلحة من ــ ونحن نملك آلاف الادلة على جرائم الصهيونية واسرائيل ــ ان نلجأ الى ادلة وهمية وعنصرية ضد اليهود كيهود (كما جاء فى كتاب بروتوكول حكماء صهيون) ، وليس ضد اليهود كصهيونيين ؟ لمصلحة من سوى الصهيونية ان نتجاهل اعدادا منظمة من اليهود بزعامة حاخام امريكى مثلا اسمه « المربيرجر » يعلن كل يوم بالنشر والخطابة والتنظيم ان اسرائيل لا تمثل يهود العالم ولم تقم تحقيقا لاية نبوءة فى التوراة ، وان الصهيونية تعادى اليهود وتضر بمصالحهم ، وان اليهودى فى اى بلد هو مواطن ذو ولاء محدد لذلك البلد لا فرق بينه وبين زميله المواطن سوى اختلاف فى العقيدة الدينية !

ان اية محاولة لوضع اليهود فى سلة واحدة هى بالدقة ما تريده الحركة الصهيونية لان الصهيونية تقوم على فكرة رئيسية هى ان اليهود شعب مشتت ومنفى من « وطنه القومى » ويجب تجميعه بكل الوسائل وتهجيره الى فلسطين او كما يسمونها اليوم « اسرائيل » ..

اما المعادون للصهيونية من مسلمين ومسيحيين ويهود فيرون كما يرى ذلك الحاخام ان اليهودى فى اى مكان كالمسيحى او المسلم فى اى مكان انما هو مواطن لدولته التى ولد واقام فيها ولا علاقة له بشعب او بجنس يهودى غير موجود . اما اذا كان اليهودى صهيونيا فهذا موقف آخر لا يتعلق بديانته بقدر ما يتعلق بموقفه السياسى . ولذلك فان التاكيد على مسالة اليهود فى العالم كمجموع لا يضر باحد ، كما يضر بأصحاب القضية الفلسطينية المعادين للاستعمار والصهيونية .

ملاحظة اخرى انه بسبب اعتبارات معروفة نجح الصهيونيون فى خداع غالبية من اليهود فى العالم فى اتجاه الصهيونية. فما هى مهمتنا فى هذه الحالة ؟ اليأس والسير فى تيار الصهيونية ؟ ام بذل جهد اكبر لانتزاع هذه الاغلبية من براثن الصهيونية ؟

والدليل على ذلك مثلا ان اعدى اعدائنا بالامس واليوم وغدا هو النظام السياسى والاجتماعى الذى يحكم الولايات المتحدة الامريكية ، وبدون امريكا فمن المؤكد ان العدوان الصهيونى الاسرائيلى على بلادنا لم يكن لينشأ اصلا ، ومع ذلك هل نحن ضد الامريكيين كجنس ؟ أليست هناك اقلية قليلة من الامريكيين تقف الى جانبنا والاغلبية ضدنا ، ومع ذلك فنحن لا نتخذ موقفا عنصريا من الامريكيين ، بل نثق ان عدالة قضيتنا ونشاطنا الايجابى سيقنع الكثيرين من الامريكيين بتغييم موقفنا ؟

من السذاجة ان نعدد عشرات الامثلة ، ومن المصلحة المؤكدة لشعبنا وقضيتنا ان نعزل بذكاء من يعلنون حماسا هستيريا فى الدفاع عن قضايانا ، وهم فى نفس الوقت امضى الاسلحة فى ايدى خصومنا من الاستعماريين والصهيونيين .

فيليب جلاب

الاحداث في الشرق الاوسط بعد العدوان الاسرائيلي .

●

■ فيتنام

الانسحاب أو الهزيمة العسكرية والازمة الداخلية ؟

لايبدو حل المشكلة الفيتنامية — في نظر العديد من المراقبين السياسيين والعسكريين — أمرا قريب الحدوث .. ذلك أن ما استخلصوه من الموقف العملي لحكومة **ليندون جونسون** الامريكية ، «انها أصبحت مقتنعة تماما بأن الحرب الفيتنامية لايمكن أن تكسب ، الا بزيادة الغارات على الاهداف الحيوية في فيتنام الشمالية » .

ولقد قامت طائرات الولايات المتحدة بالفعل بشن غارات عنيفة ومتتالية على عديد من الاهداف في فيتنام الشمالية ، وعلى أهداف تبعد ١٠ كم فقط عن حدود الصين الشعبية . بل ولقد اخترقت طائرتين منها ، المجال الجوى الصيني ، واسقطت الصين الشعبية احداهما . ولذا فان معظم المراقبين يرون في تلك الخطوة من جانب الولايات المتحدة ، « تصعيدا » جديدا خطرا للحرب الفيتنامية . وقد وصف السناتور الامريكي فولبرايت هذه الخطوة بأنها « خطيرة وتتسم بالغباء » وستكون نتائجها بالنسبة للولايات المتحدة أشبه بالكارثة » كما وصفتها صحيفة **النيويورك تايمز** الامريكية بأنها « سياسة الوصول الى حافة الحرب وهي سياسة خطيرة » ، كذلك فقد عبر السناتور **مايك مانسفيلد** ، زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ عن خوفه من « احتمال حدوث مواجهة بين الولايات المتحدة والصين الشعبية » نتيجة هذا القرار .

والحقيقة أن قرار الولايات المتحدة بارسال ٥٠٠٠٠ جندى أمريكي آخرين في فيتنام انما هو تعبير عن سياسة التصعيد هذه ، التي لاتعكس من ناحية اخرى سوى فشل كافة درجات التصعيد الامريكية السابقة في وقف تيار الثورة التحررية في فيتنام الجنوبية . وقد عبر بعض المراقبين السياسيين والعسكريين الامريكيين انفسهم عن أن قوات جيش التحرير الفيتنامي تستطيع القتال الى مالانهاية ، وأنه لاجدوى من مواصلة الولايات المتحدة لحربها في فيتنام .

ومما له دلالة بهذا الصدد أن **كينيث جالبريث** الذي يعتبر من أوسع المفكرين الاقتصاديين والسياسيين نفوذا في الولايات المتحدة قد صرح بأن الرأى العام الامريكي بدأ يصل الى « مرحلة حرجة فيما يختص بالحرب الفيتنامية » واقترح أن تسعى الولايات المتحدة لايجاد وسيلة للانسحاب من الحرب الفيتنامية . كذلك فقد اشار السناتور الامريكي **ثورستن مورتن** الى أنه « اذا أراد مرشح الحزب الجمهوري هزيمة الرئيس **جونسون** في الانتخابات القادمة ، فان عليه أن يقدم برنامجا لانسحاب القوات الامريكية من فيتنام بطريقة لاتتنافى مع كرامة الولايات المتحدة .. وهو تصريح يلقى ضوءا على ضغوط الرأى العام الامريكي بعد عدة سنوات من الحرب في فيتنام . خاصة وقد أوضح هذا العضو بمجلس الشيوخ الامريكي أنه « يجب أن نعترف بأننا ندافع عن قضية خاسرة » واعرب عن شكه في أن يفيد قرار ارسال ٥٠٠٠٠ جندى امريكي اضافي الى فيتنام في اجبار هانوى والثوار على التفاوض .

وعلى أية حال ، فان طريق حل المشكلة الفيتنامية يبدو معقدا في هذه الفترة بسبب الاتجاه الامريكي للتصعيد العدواني المتزايد ، كذلك فان هانوى لن تخضع للابتزاز الامريكي ، كما أن سياسة الولايات المتحدة الحالية قد تدفعها الى اختراق خط عرض ١٧ درجة والهجوم على فيتنام الشمالية كوسيلة لانهاء الحرب ، وهو أمر يدفع باحتمال تدخل الصين في الحرب ، ويصل بابعاد الموقف في جنوب شرق آسيا الى آفاق عالمية بالغة الخطورة .

●

■ الولايات المتحدة الامريكية

ثورة الزنوج : هل تهدد بحرب أهلية ؟

في ٢٤ من يونيو الماضي ، نشرت الصحف الامريكية تقريرا لمجموعة من الاطباء الامريكيين الذين طافوا بمنطقة المسيسبي قبل شهر من هذا التاريخ ، وقالوا ان آلافا من الاطفال الزنوج يعانون قسوة الجوع والمرض ويعيشون في ظروف مفجعة . ولم يكد يمضي على نشر هذا التقرير حوالي اسبوع ، حتى اكدت وكالات الانباء ان اعمال العنف قد زادت حدتها في مدينة بافالو الامريكية التي مزقتها الاضطرابات العنصرية • وبعد ذلك باسبوع آخر تجددت الاضطرابات بين البيض والزنوج في حي أفونديل بسنسناتي ، واضطر الحرس الوطني الى التدخل وعلى ضوء التقرير الذي

كتبه الاطباء عن حالة الزنوج في منطقة المسيسبي ، أجرت الرابطة القومية لتقدم الملونين تحقيقا كشف عن ان المسئولين في الولاية قد وضعوا « **خطة محكمة لابادة الزنوج في ولايتهم** » عن طريق ارغامهم على الفرار منها او تجويعهم حتى الموت .»

وفي منتصف يوليو وقعت الاضطرابات التي سميت فيما بعد بانها « **مقدمة الثورة** » التي اشتعلت في مدينة نيوآرك بولاية نيوجرسي حيث اشتبك الزنوج مع البوليس في معركة اسفرت عن اصابة ٢٥٠ بين جريح وقتيل من الزنوج والبوليس . ثم توالت الاشتباكات الدامية لليال ثلاث صدر بعدها قرار حظر التجول في المدينة بعد ان تحولت الى ثكنة عسكرية ، فقد ارتفع عدد الجرحى في الليلة الثالثة الى ٦٥٠ جريحا من بينهم ٦٠ على الاقل اصيبوا بطلقات نارية ، بينما وصل عدد القتلى الى ١٦ قتيلا ، وبلغ عدد الذين القى القبض عليهم الى ٨٠٠ معتقل ، وانطلقت جموع الثوار — بالرغم من قرار حظر التجول — تشعل الحرائق وتحطم المتاجر والمكاتب وحاول نحو ٤٠٠٠ من رجال البوليس والحرس الوطني قمع المظاهرات بالسيارات المصفحة والمدافع الرشاشة ، وكان القناصة الزنوج يصوبون النيران اليهم من اسطح المنازل ، وقدرت الخسائر بملايين الدولارات . وفي الليلة الرابعة كانت الارقام ترتفع بصورة مذهلة فقد بلغ عدد المعتقلين ١١٠٦ شخصا ، والجرحى والقتلى ١١٢٠ ، واصبحت المشكلة هي الفزع من قيام « **ثورة زنجية** » على امتداد طول البلاد وعرضها . وذلك بعد ان امتد اللهيب الدامي الى مدينة بلينفيلد التي تبعد عن نيو آراك بمسافة ١٨ ميلا ، ومدينة دي موينس التي تبعد عنها بمسافة الف ميل وتتبع ولاية اخرى هي ولاية ايدوا . واخذت ارقام الخسائر المادية والخسائر في الارواح تزداد بنسبة مروعة .. حتى حذر اعضاء « مؤتمر المساواة العنصرية » من ان الامور قد تتضاعف سوءا اذا استمر تجاهل مطالب الزنوج في الولايات المتحدة وطالبوا بالبدء فورا في مشروعات جديدة للزنوج في مجالات الاسكان وانشاء المدارس وتوفير الوظائف واشراك الزنوج في مناصب البوليس .

واعترف الرئيس الامريكي **جونسون** في مؤتمره الصحفي في ١٨ يوليو بان الولايات المتحدة ستستمر في مواجهة « **مواقف غير سارة** » حتى يتحقق تقدم يذكر في تحسين احوال المعيشة وفرص التعليم والعمالة للفقراء . وفي اليوم التالي لتصريحات جونسون اعلن الزعيم الزنجي ستوكلي كارمايكل ان « **الاضطرابات العنصرية الاخيرة في ولاية نيوجرسي هي ثورة كالثورة التي قامت بها الولايات المتحدة ضد بريطانيا ، وان الموت والدمار اللذين يصاحبان الاضطرابات العنصرية هما ثمن النضال الثوري » واتهم وكالة المخابرات المركزية باغتيال الزعيم الزنجي المسلم مالكولم اكس .**

واستمرت الاضطرابات في التنقل بين مختلف الولايات ، ففي مدينة كايرو عاصمة ولاية الينوي بدأت سلسلة من الاشتباكات بين الزنوج والبوليس على اثر وفاة جندي زنجي حبس بتهمة الغياب بدون اذن ثم عثر عليه مشنوقا في زنزانته. وفي بلدة ايري بولاية بنسلفانيا تظاهر عدد من الشبان الزنوج واشعلوا الحرائق في كثير من المباني والسيارات . وساد الخوف من تجدد الاضطرابات العنصرية في اربع ولايات امريكية. وقد امرت السلطات المحال باغلاق ابوابها اعتبارا من الخامسة مساء وفرضت حظر التجول من الثامنة وانذرت باعتقال كل من يشاهد في شوارع المدينة .وتولى البوليس مع رجال الحرس المسلحين تفتيش البيوت في منطقة واسعة يقطنها الزنوج وتشمل نحو ١١٢ مبنى وذلك بعد حصارها بحثا عن ٤٦ سلاحا مسروقا من احد المحال اثر مصرع احد رجال البوليس البيض .»

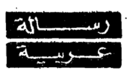
وفي نيوآرك عقد زعماء الزنوج اجتماعا مقفلا أعلن فيه فلويد ماكيسيك مدير مؤتمر المساواة العنصرية انه سيعمل لعزل عمدة المدينة — وهو ابيض — من منصبه ، ليحل محله عمدة زنجي .» وقال انه « **في أي مجتمع تزيد نسبة الزنوج على ٦٠٪ لابد من تعيين عمدة زنجي** » والمعروف ان سكان نيوآرك يبلغ عددهم ٤٠٠ الف نسمة . وفي ٢٣ يوليو نشبت الاضطرابات العنصرية في شوارع مدينة نيويورك وفي مدن برمنجهام بولاية آلاباما ويونجستاون بولاية اوهايو وويد زبورو بولاية كارولينا الشمالية . وفي مدينة ديترويت تحول مؤتمر صحفي للزنوج الذين يطالبون بان تكون « **السلطة للسود** » الى معركة عنيفة . وهو ماحدث في نيويورك على اثر مؤتمر صحفي عقده الزنوج . وقال **ليروي جونس** الكاتب المسرحي الزنجي ، وهو عضو بحركة « **السلطة للسود** » انه طلب من الامم المتحدة التدخل في الاضطرابات العنصرية في نيويورك وارسال قوات لصون السلام في هذه المدينة . وبعد ذلك بيومين امر جونسون باستخدام قوات المظلات لاخماد ثورة الزنوج في مدينة ديترويت، وقد وصلت هذه القوات بالفعل الى المدينة . وكان جونسون قد امر ايضا بارسال خمسة آلاف من القوات الاتحادية الى ديترويت اذ وصلت ثورة الزنوج في هذه المدينة حدها الاقصى حتى وصفها احد المراسلين من

الجو بانها تبدو كما لو كانت قد قصفت بالقنابل. واعلن رومني حاكم المدينة حالة الطوارىء وامر باغلاق جميع المدارس والمكاتب وطالب سكان المدينة بالتزام منازلهم . كما امر بمنع التجمعات لاكثر من خمسة اشخاص ومنع بيع الخمور وفرض حظر التجول . وقد صدرت الاوامر الى رجال الحرس الوطني باطلاق الرصاص « **على اي شيء يتحرك** » طوال وقت حظر التجول الذي عجزت كل القوات المشتركة في المعركة عن تنفيذه ، وقدرت قيمة الخسائر في ديترويت بمائتي مليون دولار . وصرح جيروم كافاناج عمدة المدينة بانها اصبحت تبدو كبرلين في عام ١٩٤٥ ، أو وارسو بعد الثورة على النازي . وعاد جونسون الى التصريح بانه سيستخدم القوات المسلحة لمواجهة الموقف ، وقال « **اننا لن نسمح بانعدام القانون ولن نغفر لاعمال العنف** » .

هذا وقد بلغت خسائر ثورة الزنوج في امريكا حوالي الف مليون دولار . وفي بيان لبعض زعماء الحزبين الجمهوري والديموقراطي هوجم جونسون بعنف لعجزه عن السيطرة على الموقف . واوصى البيان بان ثورة ديترويت ليست الا مقدمة « **لمؤامرة منظمة ومخططة ومنفذة على مستوى قومي** » وان امريكا « **تتجه سريعا نحو حالة فوضوية شاملة** » غير ان زعماء الزنوج أعلنوا بدورهم تحدي جونسون قائلين : اما التحرير او الابادة ، وبلغ الامر باحد الزعماء ان دعا الى حرق واشنطن اذا لم يعترف بحقوق الزنوج ، كما دعا زعيم آخر الى «**خلق فيتنام داخل أمريكا**» ..

ولما كانت كلمات الزعماء الزنوج تقترن بثورتهم الفعلية ، فان بعض المسئولين على اعلى المستويات يحذرون الان من قيام حرب اهلية شاملة . خاصة وان الثورة شلت معظم الولايات ، وامتدت الى واشنطن التي لم تعرف الاضطرابات العنصرية منذ سنوات . ويزداد التساؤل حول احتمالات الحرب الاهلية يوما بعد يوم حيث يشكل البيض — في الجانب المقابل — جماعات مسلحة تقتحم احياء الزنوج وتقتلهم بالجملة ، فهل يغامر النظام الامريكي الراهن بحرب اهلية جديدة ؟

●●●



من الكويت .. إلى الخرطوم .. إلى بغداد

زكريا نيل

يكتب هذه الرسالة الزميل زكريا نيل الذي تابع عن قرب الاجتماعات العربية المتواصلة بعد عدوان ٥ يونيه . وفي هذه الرسالة يلقي زكريا نيل الاضواء على حركة الاحداث واتجاهاتها خلال هذه المؤتمرات .

هناك حقيقة ليست موضع مناقشة بالنسبة للقاءات العربية الراهنة .

فهذه اللقاءات تأخرت عن وقتها المطلوب ، وكانت حتمية الاحداث المباغتة تقضي بانعقادها بعد ساعات من العدوان ، لعمل مواجهة حاسمة وحازمة أمام الغزاة المعتدين .

وهذه اللقاءات سواء أكانت على مستوى سياسي كمؤتمرات الكويت والخرطوم لوزراء الخارجية ، أو على مستوى اقتصادي كمؤتمر بغداد لوزراء الاقتصاد والنفط ، أو كانت على أعلى مستوى من المسئولية كمؤتمر الذروة للملوك والرؤساء . هذه اللقاءات اذا وقفت متجردة الا من المحافظة على الشرف والحق العربيين ، كان لزاما عليها ان تنهي كل شيء في لقاء واحد ، لا في عدة لقاءات .

ذلك ان ما جرى على الارض العربية ، لم يحدث من قبل في تاريخ هذه المنطقة ، بل ولم يحدث على اي ارض من قارات الدنيا . مخطط تآمري من ابشع المخططات واشرسها ، استقطب في داخله كل

القلاع الاستعمارية والرجعية والصهيونية ، ومطابقته ، وهو يدرس المبادىء والاخلاق على الارض العربية واحتل جزءا جديدا من الوطن العربى ، ثم ذهب يساوم ويهدد وينذر ويرمى بكل ثقله فى المعركة السياسية ، عساه أن يصل الى ما لم يصل اليه فى المعركة العسكرية ».

والحق أن هذه أول تجربة يراها العرب ، ولا يزالون مأخوذين مما جرى ، وان كانوا بدأوا يشعرون .. شأنهم فى ذلك شأن من غاصت الشفرة على عجل فى لحم يده ، ولم يشعر بالالم والجرح الا بعد ساعات .

والتجربة العربية هذه ليست بمفهومها السطحي مواجهة موقف خطير لتصفية آثاره .. ولكن التجربة فى معناها الحقيقى امتحان لمقدرة الارادة العربية ، ومن نتائج هذا الاختبار سيكون المنطلق الكبير نحو بلورة ثقل التكتل العربى ، اذا اجتاز العرب الامتحان بصبر وجلد وايمان ، وعلى المدى القريب والبعيد ، سيكون الثقل العربى المتكتل ، فى كفة الميزان الدولى أداة تغيير وترجيح .

ولكن .. هل كان ما حدث وأثير فى تلك اللقاءات العربية ، يكفى لرد سريع على المعتدين .
الجواب : نعم .

وذلك اذا تجردت النفوس من المؤثرات العارضة التى غطتها بضباب الخلافات والحساسيات ، وعادت الى الجوهر الحقيقى لمقومات الخلق العربى المناضل ، الذى يهب للنجدة وحماية الوطن ، ولا يعرف فى ساعات العسرة والاخطار المحدقة شماتة أو حقدا أو ثارا أو مساومة أو انتقاما .

ففى مؤتمر الكويت الذى جاء فى أعقاب العدوان بأسبوع واحد ، كان يكفى فيه مشروع السودان لاتخاذ الوسائل والاجراءات ، وكان مجرد المسارعة فى تطبيق ما جاء فى ذلك كفيلا بتغيير الموقف لصالح العرب .. وعندما تنكب الطريق بالعرب فى المنظمة الدولية ، ورأوا الغرائب والعجائب كل يوم فى المعركة السياسية ، صدق معظمهم ما كان يكذبونه قبل المعركة ، رأوا أمريكا بأعينهم تقود العداوة والحقد علانية ودون حياء ضد الحقوق العربية وضد الكيان العربى ، حتى وصلت الى النهاية ، وجاء مؤتمر الخرطوم .

استكشاف

بعد كل ما جرى على الارض العربية من معارك عسكرية ، وبعد كل ما حدث فى الامم المتحدة من معارك سياسية ، رجع العرب الى مؤتمر الخرطوم ، وكان هذا المؤتمر — فى رأيى — بمثابة استعادة للوجود العربى الذى ظل تائها تحت التخدير السياسى الامريكى فترة طويلة ، ثم اصطدم بالحقيقة فى نيويورك ، ووجد نفسه وحيدا الا من الاصدقاء المخلصين ، ومن الاصدقاء الذين رأوا نفس الخطر يتهددهم ، فى مصير يؤدى بهم الى نفس الطريق .. وكان لابد من عمل شىء ، يعيد للعرب ثقتهم بأنفسهم ، واحساسهم بوجودهم ، وكان مؤتمر الخرطوم هو أداة الاستكشاف لمعالم هذا الوجود .

أمتع فرصة موانية

بصرف النظر عما حدث من وجهات نظر فى مؤتمر الخرطوم ، وبصرف النظر عما ظهرت فيه من اتجاهات كان طابعها الحرص والحذر الشديدين ، فان جميع من حضروا المؤتمر كانوا يدركون الخطر بأبعاده وحدوده ، ولكنهم كانوا يبحثون عن بديل للعمل السياسى الذى تأكد فيه فشل الامم المتحدة على يد أمريكا ، وتحت ضغط من أجهزتها الاستعمارية وكان لابد من خطة عمل ، تخاطب العقل ، وتعتمد على الارقام فى كل عملية حساب ، لاى خطوة قادمة ، وكان المشروع الاقتصادى المتكامل الذى قدمته العراق الى المؤتمر ، الى مؤتمر الخرطوم فرصة من أهم الفرص المواتية ، جاءت فى أعقاب الخطوة الهائلة التى تقدمت بها الجمهورية العربية المتحدة من أجل التضامن العربى ، عندما أعلنت فى المؤتمر اقتراحا محددا ، لحل الخلاف بينها وبين السعودية حول اليمن ، ودعت الى العودة فورا الى اتفاق جدة ، وحسما لاى خلاف جديد ، اقترحت القاهرة أن تبتعد هى والسعودية عن الاشراف على تطبيق الاتفاقية ، وانما تتولى مسئولية ذلك ٣ دول عربية أخرى غيرهما ، وذلك حرصا على أن تكون هناك فرصة مفتوحة أمام امكانية العمل العربى الشامل ، فى أدق ظرف يقفه العرب .

المشروع العراقى

كان المشروع العراقى الذى قدم الى مؤتمر الخرطوم ، يكفى وحده كجدول أعمال فيه خطة عمل متكاملة ، للرد على الدول الاعداء وتصفية آثار العدوان ، وهذا المشروع ، لم يكن من قبيل المشروعات العفوية ، التى تقدم فى لحظات المد العاطفى الملتهب ، ولكنه أخذ سمات ومميزات خاصة ، ذلك لان الدولة التى قدمته ، من أقدم الدول العربية انتاجا للنفط وهى العراق التى تدرك القيمة الاقتصادية للنفط وآثاره ، وتبنى معظم مخططاتها الانمائية إعتمادا على دخله ، وكان ذلك مثارا لاهتمام المؤتمر ، الذى شدته الارقام .

الي مؤتمر بغداد

قد يختلف الرأى هنا حول تصرف مؤتمر الخرطوم في المشروع العراقي ..

هناك من كان يرى أن احداث الساعة ، لا تسمح بالانتظار ، وانه من أجل الحق العربي يجب أن تكون الدول العربية ملتزمة بتنفيذه ، وان تعطى التعليمات الى خبرائها ، للعمل فورا للاجهزة التى تقام على تنفيذ المشروع .

وهناك من كان يأخذ المسائل بحذر ، ولا اقول بتحفظ ، لان هذه الكلمة ينتفض لذكرها الاحساس العربي ، لانها طالما كانت بسبب النكبات والهزائم التى نزلت بالامة العربية ، وهؤلاء الحذرون ولا أقول المتحفظون طلبوا أن يكون مكان بحث هــذا المشروع عند المختصين من رجال الاقتصاد والنفط على أعلى المستويات ، ومن أجل ان تسد العراق الباب امام اى محاولة للتمييع ، طلبت ان يكون الاجتماع عندها وفى ضيافتها ، وكان مؤتمر بغداد لوزراء الاقتصاد والبترول .

معنى الارقام فى المشروع العراقي

مرة اخرى نقول عن مؤتمر بغداد ما سبق أن قلناه عن مؤتمر الخرطوم .. بصرف النظر عما ظهر فيه من اتجاهات ومواقف ، فان المؤتمر كان فرصة لدراسة ممتعة عن الثروات العربية وآثارها على العالم .

فالمشروع فى جزئه الاول بدأ بداية طبيعية ، بدأ بأخطر الاسلحة الاقتصادية وأمضاها ، وأبعدها أثرا وفعالية وهو :

البترول وقنــاة السويس :

بالنسبة للبترول العربي اقترح المشروع عدة اقتراحات باعتباره من أمضى الاسلحة الاقتصادية العربية ، اذ يمثل انتاجه ٢٩٪ فى المائة من انتاج البترول العالمى ، ويمثل احتياطيه ٦٠٪ فى المــائة من احتياطى العالم ، مع ما يتميز به من قلة تكاليف الانتاج والنقل ، بالاضـافة الى انه اقل سعرا وافضل مواصفات من مثيله فى أي بقعة من بقاع العالم ، وتبلغ فعالية التأثير قمتها اذا عرفنا ضخامة الاستثمارات فى حقل البترول العربي ، والتى تمثل الاستثمارات الامريكية والبريطانية وحدهما فيه ٨٠ فى المائة من المجموع العام .

من أجل ذلك اقترح المشروع العراقي استخدام البترول على مرحلتين :

١ — مرحلة ايقاف ضخ البترول كلية لمدة ٣ أشهر .

٢ — مرحلة ايقاف الضخ الجزئى عن الدول التى شاركت فى العدوان أو وقفت منـه موقف التأييد .

اعتراف اجماعي

الحقيقة الثانية التى انعقد عليها اجماع الخبراء العرب فى لجنة البترول المتفرعة من مؤتمر بغداد بعد دراسات معمقة ، وارقام مذهلة أن البترول العربي يعتبر سلاحا فعالا فى المعركة العربية ، وانه من أجل أن تتضح خطورته على العالم الغربي — أمريكا واوربا — لابد أن تحدد الارقام الموقف العربي ومقابله ، بعملية حساب ، ندخل فيها فى احتمالات ، كما يوضحها الجدول التالى الذى كان أساس البحث فى مؤتمر بغداد :

ما معنى ذلك ؟

معنى ذلك انه اذا ما قرر مؤتمر القمة العربي وقف ضخ البترول كلية لمدة ٣ اشهر تكون خسائر الدول الأجنبية المستغلة للبترول العربي انتاجا وتصنيعا واستثمارا ٦٩٩٩ مليون دولار فى الشهور الثلاثة ، وينقص دخل الدول العربية جميعها ٦٦٩ مليون دولار فى نفس فترة منع الضخ الكامل ، ويعتبر هذا المبلغ بالنسبة للجانب العربي ايرادا مؤجلا يمكن تعويضه عندما تعود آبار البترول الى الانتاج بكل طاقاتها الطبيعية .

القنــاة ..

ولقد اتضح من الارقام والحسابات أيضا أن غلق قناة السويس يسبب خسائر شهرية للجانب

البترول العربي فى المعركة

تقييم مختصر	الكميات الموقوفة مليون طن	خسارة الجانب الاجنبي سنويا مليون دولار	نقص الدخل العربي سنويا مليون دولار	خسارة الجانب الاجنبي شهريا مليون دولار	نقص الدخل العربى شهريا مليون دولار
١ — وقف الضخ كلية	٤٥٠	٢٨٠٠٠	٢٦٧٦	٢٣٣٣	٢٢٣
٢ — عن امريكا واوربا	٢٧٨	١٢٤٠٨	١٥٣٩	١٠٢٤	١٢٨
٣ — وقف الضخ عن امريكا واوربا باستثناء الدول التى ايدت العرب	٢١٤	٨٠٠٤	١٢٣٦	٦٦٧	١٠٣
٤ — المنع عن امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية	٩١٣	٢٠٦٤	٦٩٦	١٧٢	٥٨
٥ — المنع عن امريكا وبريطانيا	٦٣	١٠٢٥	٣٧٤	٨٥	٢١

الاجنبي تبلغ ٣٠٠ مليون دولار » ويشكل هذا الرقم ارتفاعا في أجور النقل بمقدار ستة اضعاف ماكانت عليه قبل العدوان ، مع ارتفاع نسبة حمولة الناقلات بحوالى ٢٠ ــ ٢٥ في المائة ومع زيادة أسعار البترول غير العربي عن البترول العربي بمقدار الضعف تقريبا ».

اتساع قاعدة الخطر

وانه من المبادىء الاساسية التي تكشفت بصورة واضحة لدى مؤتمر بغداد ، حتى عند الذين تحفظوا داخل اللجان على بعض النقاط ان الجميع قد اتسعت أمامهم قاعدة الخطر الاستعماري الصهيوني وأزالت أحداث الساعة من عقولهم كل غموض بالنسبة لما حدث في المنطقة العربية ».

ولذلك فان الجزائر ضغطت في مشروعها الذي قدمته الى المؤتمر على هذه الحقيقة اذ قالت « اننا نعتقد اعتقادا جازما بضرورة متابعة الكفاح بدون توقف ضد العدوان في جميع الميادين ونعتقد ان الوسائل التي في أيدي الدول العربية تمكنهم من تحقيق أهداف أمتنا ، وان الخطر الامبريالي الصهيوني على الدول العربية، مجموعة أو مفردة في الحاضر او المستقبل أمر قائم ، **وان الجماهير الشعبية سوف تنطلق لا محالة في حالة تهاون السلطات الحالية ، وان الجزائر مستعدة لتشترك في كل سعى للكفاح الذي لايمكن أن يتحقق بغير حل مرض للامة العربية المهانة** ».

نص لا مفر من اعلانه

وانه لتقتضينا الامانة ان نضع هذا النص من المشروع الجزائري المقدم الى مؤتمر بغداد في مقام الحديث عن استعمال البترول العربي سلاحا في وجه اعدائنا ».

« ان هذه المكانة التي تحتلها الدول العربية في العالم المعاصر ستكون هي قوتها الحقيقية سواء في ميدان تطورها وتحسين معيشة العرب ، أو في الدفاع عن مصالحها العليا وانتصار قضاياها ، ولكن الواقع الذي نعيشه يظهر لنا بانه بدل ان يكون الامر كذلك فعلا ، فاننا نعيش خلال هذا القرن العشرين تناقضا مؤلما يجعل نفطنا عاملا في افقارنا وانحطاط اقتصادنا وتفرقة في قلب العالم العربي ، بدل أن يكون مصدر قوة ورفاهية ، الى أن أصبح عاملا من عوامل خيبة الجماهير العربية التي لم يعد بامكانها أن تقف مكتوفة الايدي أمام الوضع المزري بين فقرهم وبين الثروات الهائلة التي تنتهب من بلادهم نحو البلدان الاجنبية التي تحقق بذلك في كل يوم فوائد اكثر وقوة أكبر ».

ان هذا التناقض لم ينته مع الاسف . ذلك ان الدول الغنية قد بلغت بالاستغلال البشع المنظم للثروات العربية درجة من القوة تمكنهم من الاستفادة على حسابنا من القوة التعاقدية (التي كان من المفروض ومن الطبيعي أن تستفيد منها الدول المانحة لهذه الامتيازات) لتستعملها في النهاية كقوة ضد العرب انفسهم .

فهكذا نجد المانيا الغربية وبريطانيا بالرغم من أنهما تعتمدان على البترول العربي بحوالى ثلثي احتياجاتهما من البترول ، لم تترددا في المساس بسيادة الدول العربية على أراضيها، ووضعتا العالم العربي في خطر بمساندتهما للصهيونية، ومساهمتهما المباشرة في تحطيم الوطن العربي .

ان الاحداث التي داست كرامتنا في الماضي والعدوان الذي يتحدانا اليوم وهو يهدف الى القضاء علينا يفرض على المسئولين العرب اتخاذ مسئولياتهم على ضوء النتائج التي نتوصل اليها حتى نضع حدا لهذا الوضع الخطير الغير مقبول ».

ولذا أصبح لزاما علينا أن نتخذ اجراءات مناسبة يطبقها كل العرب . ان هذه الاجراءات التي تتخذ سواء في ميدان الدفاع الوطني أو تقوية الاقتصاد العربي تهدف كلها الى مواجهة العدوان في الوقت الحاضر والاستجابة الى حاجاتنا في التطور والتقدم في المستقبل . »

الارصدة العربية في المعركة

ان سحب الارصدة العربية من الدول المعتدية ليس بالسلاح الهين ، ولكنه أمضى الاسلحة بعد البترول وقناة السويس ، وهذه الحقيقة تأكدت لدى وزراء الاقتصاد العرب في مؤتمر بغداد اذا أجمعوا على أن سحب الارصدة سوف يؤثر تأثيرا بالغا على بريطانيا ، وسوف يزيد من اضطراب ميزان مدفوعاتها الذي يعاني العجز باستمرار ، حيث بلغ هذا العجز في نهاية عام ١٩٦٦ نحو ١٧٨ مليون جنيه استرليني ، بينما لم يزد احتياطيها في نهاية شهر يوليو الماضي عن (١٠٠٠) مليون جنيه استرليني ، واذا ما علمنا بأن استثمارات الدول العربية بالجنيه الاسترليني تزيد على (٥٥٠) مليون جنيه ــ وهذا الرقم هو ما اعترفت به الحكومات غير ما للافراد ــ ندرك مدى تاثير السحب على وضع الاسترليني والوضع الاقتصادي البريطاني ، وذلك اذا اجرى خلال فترة قصيرة ، وبالرغم من أن سحب ارصدة الدول العربية من الدولار لن يكون له نفس التأثير على الاقتصاد الامريكي الا ان سحب هذه الارصدة سيزيد من متاعب العجز في ميزان المدفوعات الامريكي الذي يزداد باضطراد نتيجة لاسباب مختلفة اهمها حرب فيتنام ».

المقاطعة الاقتصادية

اما موضوع المقاطعة الاقتصادية فقد تشعب به البحث داخل اللجان ، وكاد أن يقحم ممثلي

الدول العربية فى متاهات لاتنتهى بهم الا الى طريق مسدود ، ويكفى دلالة على ذلك أن الموضوع انتهى الى ٣ نقاط :

١ — أن تتبع الدول العربية سياسة محددة تبع ظروفها الخاصة فى تنويع التجارة الخارجية وتقليص الاستيراد من البلدان الاجنبية وخاصة الدول التى ساندت العدوان .

٢ — توسيع التبادل التجارى مع الدول التى وقفت الى جانب العرب فى الأمم المتحدة كلما أمكن ذلك .

٣ — أن تسعى الدول العربية الى الاستعاضة ما أمكن ذلك عما تستورده من سلع من بلدان غير عربية باستيراد سلع عربية مماثلة .

معنى الكرامة العربية

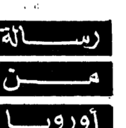
لم يكن من السهل فى مؤتمر مثل مؤتمر بغداد أن يحدث تجاوب يكون على مستوى الاحداث ويرتفع اليها ، ذلك انه كانت هناك ملابسات القت بشىء من الضباب فى سماء قاعات المجتمعين ، ولقد كان من الضرورى الا يكون هناك أثر لهذا الضباب ، حتى تتفتح الرؤيا أمام أبناء أرض واحدة تشتعل فيها النيران ، وستأكل الجميع ان لم يقفوا كرجل واحد لاخمادها ، والانتقام ممن اشعلوها .

المكسب والخسارة

والحق ان مؤتمر بغداد كان يتحدث فى كل مايصدر عنه عن الاعداء الحقيقيين — وان لم يعترف بهم صراحة — لم يتحدث عن اسرائيل ، ولكنه تناول بالبحث الموقف الامريكى البريطانى وتآمره ضد الامة العربية ، ومن أجل ذلك فانه كان من الاشياء الشاذة أن يجرى حساب المكسب والخسارة فى هذه الاجتماعات ، اذ ان قضايا التحرير لا تعترف بمنطق الارباح أو تعمل حسابا للخسائر فى معركة المصير ، وعلى حد تعبير سجلته محاضر الاجتماع لوزير الاقتصاد العربى — حسن عباس زكى — ان الكرامة لا تتجزأ ، وسنظل — مهما ضخمت التضحيات — على موقفنا فى غلق قناة السويس الى ان يزال كل اثر للعدوان ، وليست القضية قضية أموال ، ولكنها قضية مصير ، وقضية مستقبل فلسطين .

وبعد ... ان هذه المؤتمرات جميعها كانت جسرا الى مؤتمر القمة ، وسيكون لقاء القمة فى الخرطوم نقطة التحول فى مستقبل الامة العربية ، وسيقف الشعب العربى على كل الحقائق ليعرف الى أين يكون المصير ويكشف عن الموقف المحدد لكل جهة ازاء العدوان أمام الشعوب العربية .

●●●



النار .. التى أشعلت روح اراجون

شعر

صدر فى باريس احدث كتب **الزاتريوليه** زوجة الشاعر الفرنسى الكبير **لنويس اراجون** تحت عنوان « **المستحيل الاعظم** » ، وفى نفس الوقت صدرت احدث مجموعات اراجون الشعرية ، وهى تتضمن نفس النغمة القوية التى تتخلل اشعاره كلها فى حبه الكبير لالزا . وبينما يجمع العديد من النقاد على ان قصيدة « **النار** » من أهم قصائد المجموعة الجديدة ، فان اغلب هؤلاء النقاد قد تفاوتت آراءهم من حيث الحدة والعنف

فى استقبال القصيدة ، « **ايد يولوجيا** » .. يقول اراجون :

يا الهى ، يا الهى ، انها لاتنطفىء
اننى كفاية تشتعل كلها
كنت اتصور هذه النار هى الشفق
كنت اعتقد ان قلبى يخطو الى النهاية

★ ★ ★

كنت انتظر دائما اليوم الذى اصبح فيه رمادا
كنت اقرا فى مكانى وانا اتقدم فى السن
كنت ارقب لحظة ما بعد الاشتعال
كنت اسمع الغناء وهو يخفت

★ ★ ★

كنت مذبوحا بسكين الزمن
كنت اضع يدى على الجرح حتى اعيش

مقـــــــــدرا في ذلك نهايـــــــتي
القليل الباقي واللاشيء الذى املـكه

★ ★ ★

غـــير انى مهما اردت التخلص منها
ارقب في هذا الجسد الانذار والغارة
الغياب والليل ، الهوة والضــــــياع
اعـــاني في داخلي الــرفض العميق

★ ★ ★

هنــــا تهب الــرياح كاعجــــوبة
قــــريك يحــــولني الى ربيـــــع
لم أحصــــل في حيــــاتي كلها قــــدر
ما اشعر به من دوار حتى اليوم بين احضانك
عذاب الحب يمنح الشــعلة الخلود
الحـــــريق في داخلي ينشر الهــلاك
لاشيء افـــــاد . لا العمر ولا الزمن
ياروحي،ياروحي،الى اين تذهبين بي

★ ★ ★

هذا هو النص الكامل للقصـــيدة التي تنشر بالعربية لاول مرة ، وقد علق عليها بعض النقاد بقولهم انها تعد امتدادا لقصيدة اراجون الشهيرة « **ليس من حب سعيد** » ، وتساءل هذا الفريق من المعلقين عما اذا كان اتجاه اراجون الى الشعر العاطفي الحزين من الممكن ان يتكامل مع اتجاهه الفكري الاشتراكي ، وأجاب آخرون بأن كتـــاب الناقد الانجليزي جورج طومسون « **الماركسية والشعر** » قد فرق بوضوح بين ان يلتزم الشـاعر بالفكر الاشتراكي ، وبين ان يسلك جماليا وفق ما تمليه تجاربه الشخصية في الحياة .

ولعله من أهم التعليقات التي اثـــيرت حول قصيدة « **النار** » ما صرحت به الزا من ان الاتساق بين الفن والحب في حياتها المشتركة مع اراجون هو المصدر العميق لكل ما يكتبانه من فن .. وان الاشتراكية والنضال الثوري لا يتناقضان مع الحب والشعر الحزين كما يتصور بعض الجامدين من ناحية ، والرجعيين الذين يحترفون الصيد في الماء العكر من ناحية اخرى .. بل ربما كان العكس هو الصحيح فالايمان بالاشتراكية هو الايمان بمستقبل الانسان مع الحب والحياة .

●

مسرح

(١) أضواء جديدة على المسرح الاغريقي

تعليقا على كتاب « **دراسات في تاريخ الدراما الهيلينية** » كتب الناقد الانجليزي **بيترليفي** يقول انه يمكن اعتبار الفترة الحالية بمرحلـــة البعث الجديد للتراث اليوناني بالرغـــم من الانجــــازات العظيمة التي حققتها الاجيال المتعاقبة في مجال المسرح .. سواء في قطاع التراجيديا الخالصة ، او في قطاع الكوميديا الاجتماعية والسياسية .. فلقد ازدهرت هذه الانماط بعينها في اثينـــا منذ عشرات القرون .

ويمكن ان يقال بشكل عام ، ان فن المسرح قد ولد في « **عصر الديموقراطية ومكانها** » . واذا كان البعض يتصايحون بأن «**الفن**» سقط وتدهور ، فأننا نسألهم عن «**سر**» الانتشار العظيم للدراما اليونانية في مختلف الاقطار والازمان . وفي القرن الرابع قبل الميلاد كانت المسرحيات اليونانية تمثل عشرات السنين التي قد تصل الى قرن كامل . وحتى ميلاد المسيح كانت هناك عشرات المسارح التي اخذت تقدم فيما بعد بعض مشاهد التوراه . على ان هذا المسرح قد اخذ في الافول في ظـــل الامبراطورية الرومـــانية التي يتصف عهـــدها المسرحي بالغموض .

ان اتجاهات المسرح الحديث في اوروبا هي التي تلح في اقامة العديد من التساؤلات «**الاكاديمية**» حول التراث الاغريقي . فالمجلات الادبية المتخصصة تصدر اعدادا خاصة عن هذا التراث . والجامعات تتوفر رسائلها العلمية على تمحيص هذا التراث والمسارح تقوم بعـــرض هذا التراث . والنقاد يهرولون خلف اليونان الاقدمين يبحثون عما خفي عنهم في انتاج المعاصرين . فحين تصدر مسرحية **لبيكيت** او تعرض مسرحية **ليونسكو** او تترجــم مسرحية **لجان جينيــه او روبربانجيه** ، لا يرى الناقد مفرا من البحث عن اصول الكورس اليوناني حتى يضع يده على سر هذه الاصوات الشارحة للموقف الدرامي او المخاطبة للبطل او الجمهور . كذلك فان الناقد المعاصر لم يعد يكتفي بسقوط الحائط الرابع عند **بيرانديللو** ليتعرف على الظواهر الجديدة في المسرح الحديث حيث يخلو خلوا شبه تام من ضرورة رفع الستار واسداله . انه يعبرون مئات السنين الى **اسخيلوس ويوريبدس وسوفوكليس وارستوفانيس** ، ليكتشف « **مناخ المسرح المفتوح** » وهو المسرح الذي اغلقت الكنيسة أبوابه — او انها اسدلت ستائره — مع تقديم المسرحيـــــات الدينية في العصور الوسطى . وظلت الابواب مغلقـــة في العصرين الكلاســـيكي والرومانتي ، وعادت الى فتح مصاريعها في العصر الحديث على يدي بيرانديللو .

وحين يواجه الناقد الحديث «**البطولة التراجيدية**» المعاصر وقد تخففت من كثير من القيود الكلاسيكية واغلال المسرح الاجتماعي ، فانه لن يجد الا في المسرح اليوناني القديم جذور هذا «الاتجاه» الى تخليص «**البطل**» من شوائب غمرة الحياة اليومية سواء كائنة في قصر كلاسيكي ، او في حارة شعبية معاصرة . هذه « الزحمة » من التفاصيل المادية التي كانت تختلف من الكلاسيكيين الى الواقعيين ،

يخلو منها المسرح الطليعى فى اوروبا متأثرا بتقاليد الدراما اليونانية الموغلة فى القدم . ولا يقتصر هذا «**التخفيف**» على الديكور او عدد الشخصيات والاحداث والمواقف، وانما يتجاوز هذه «**الاعراض الشكلية**» الى الجانب الفكرى .. ذلك ان «توحد» البطل التراجيدى المعاصر ، يشبه الى حد كبير «**المواجهة**» العنيفة التى كان يلقاها البطل اليونانى القديم ، مواجهة القدر او القوى الغيبية التى تشكل مصيره .

العودة اذن، من جانب بعض الدراسات الجادة، الى رحاب المسرح الاغريقى ، ليست — كما يقول بيترليفى — انعزالا عما يجرى فى عالمنا من احداث، وما يستجد فيه من ظواهر ، وانما هو مشاركة حية فيما يجرى امامنا ، ولا نجد له تفسيرا كاملا فى مقومات عصرنا الحاضر .

(٢) بعيدا عن عصر الازمات

ويجيب ايفور برون أن هذا ليس صحيحا ، تحقيقا فنيا عن المسرح الانجليزى المعاصر قدمته بقولها ان الطابع العام الذى يسود هذا المسرح اليوم هو « فقر القيمة الفنية الباقية » مادامت المسرحيات الناجحة فى قلب لندن ، هى مسرحيات كاتب كوميدى مثل فريدريك لوتردال .. وبالرغم من ان مسرحيته « الموافقة » قد كتبت فى وقت باكر نسبيا ، وكذلك كانت مسرحيته « نهاية مسز تشينى » سبق اخراجها عام ١٩٥٢ .

على ان ذيوع اعمال لوتردال هذه الايام على خشبة المسرح الانجليزى له دلالته الخاصة عند ناقد متخصص مثل ايفور برون ، فيقول ان هذه الاعمال تتسم فى الاغلب بحبكات لا وزن لها اذا قيست بشوامخ « مسرح الحبكة التقليدى » بينما يقيم المؤلف لحبكاته تلك اهمية كبيرة تفوق بطبيعة الحال فى مسرح خفيف كهذا قيمته الفكرية، وكذلك فان ما يمتلىء به الحوار من قفشات لفظية تعتمد اولا واخيرا على حركات الممثلين لا على موهبة « خاصة » عند الكاتب . وشخصيات لوتردال تفتقد تماما الشعور بالمسئولية ، انهم يحصلون على حقوق بغير ان يؤدوا اية واجبات ، وهم يصبحون واجهات لمجتمع المال دون ان يتم ذلك بالكسب المشروع . وهم يملكون افخم المنازل وارداً اشكال السلوك ، وينفقون وقتهم فى اتفه الامور .

ويمكن ان يقال ان هذه « **لوحة تقليدية للبرجوازية الانجليزية العالية فى اوائل هذا القرن** » ولكن الصورة فى ذاتها لا تشفع مطلقا لقيام بناء درامى متسق ومتكامل ، وكان المجتمع فى الماضى يستقبل امثال هذه المسرحيات بترحيب شديد لما تتضمنه من « **اثارة فى ذلك الوقت** » لا فى شكلها القصصى وانما فى شخصياتها . وكانت تدعى هذه الامثال « **بمسرح المشكلات** » اذ كانت ، دراميا ، تبرز « **الازمة** » وتضع « **الحل** » .. بالطبع من وجهة نظر شديدة التحديد ، هى وجهة الشريحة الاجتماعية التى يدافع عنها الكاتب المسرحى والمخرج المسرحى ، ومن قبلهما صاحب المسرح او شركة الانتاج .

ولعل الحقيقة الدامغة فى الحياة الانجليزية المعاصرة انها ليست «**حياة المشكلات**» بالمعنى التقليدى المألوف منذ ربع قرن ، وبالتالى فهى ليست بحاجة الى « **مسرح المشكلات** » .. فالصحافة والاذاعة والتلفزيون ، امست كلها تقوم بهذا الدور الباهر فى القاء الضوء على مايموج به المجتمع من مشكلات حيوية من خلال «**مناظرات ديموقراطية**» ان جاز التعبير ، تسمح بعرض وتحليل وحل المشكلة المطروحة للبحث بصورة اكثر وضوحا وعمقا مما كان يفعله المسرح فيما مضى . هل معنى ذلك ان وظيفة المسرح اليوم « **البعد عن المشاكل** » ؟

ويجيب ايفور برون أن هذا ليس صحيحا ، وانما بدأ المسرح ان يكون مسرحا حقيقيا للمشكلات حين تخلى عن مناقشة « **المعنى البرجوازى القديم للمشكلات** » وهو المعنى الذى يحاصر المتفرج سواء كان برجوازيا او لم يكن بين اسوار «مشكلة برجوازية صرفة » .. والمشكلة فى هذه الحدود هى « **احدى جزئيات الحياة اليومية من وجهة النظر البرجوازية** » .. لقد اصبح المسرح اليوم هو مسرح المشكلات الحقيقية حين تخلى عن نقطتين : الاولى هى مناقشة الجزئيات الصغيرة ، والثانية هى الانحصار بين جدران الهموم البرجوازية . لقد اضحت هناك مشكلات «**كبرى ومجردة وغير منتمية لطبقات بعينها**» تشغل بال الانسان المعاصر « **فالشباب مشكلة والعصر مشكلة والجنس مشكلة** » وهكذا تتجه دراميا نحو كلاسيكية جديدة تخاطب الانسان « **العام** » من خلال التعبير عن « **قيمة مطلقة** » .. ولعل الجديد فى كلاسيكية « **القرن العشرين البريطانى** » انها لا تعبر عن قيم اخلاقية كالفضيلة والرذيلة والخير والشر او الغيرة والتضحية والسماحة والعنف الى غير ذلك من مطلقات عصر النهضة الاوروبى، وانما اضحت تعبر عن «قيم اجتماعية» ان جاز التعبير عن قيم نسبية نابعة من ارض البشر ودمائهم وحياتهم الحقيقية وليست صادرة عن « **مثل عليا** » وراء هذه الحياة . « انها كلاسيكية واقعية بصورة من الصور » كما يقول **ايفور برون** .



٩ يونيو : استمرار الثورة وتطويرها من خـــلال تنظيم ســـياسى

يقول المواطن **السيد شعراوى** من الاسكندرية، فى رسالة بعث بها الى الطليعة :

لقد اخطأت أمريكا — قائدة الثورة المضادة فى العالم — التقدير حين ظنت انها تستطيع أن تقضى على نظام الحكم الوطنى القائم فى سوريا ، كحلقة اساسية فى مخططها الاستعمارى لضرب الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها من أهم مواقع النضال ضد نفوذ ومصالح الاستعمار فى المنطقة ..

فقد حاول الاستعمار الامريكى أكثر من مرة أن يحقق اهدافه بضرب الثورة فى مصر ومن الداخل.. ولكن لم تفلح هذه المحاولات وانكشف أمرها وتحطمت مؤامراتها على صخرة عناد ونضال شعبنا البطل .

وبعد ان نجح الاستعمار العالمى فى ضرب الثورة التحررية فى أكثر من موقع فى آسيا وافريقيا — وبخاصة فى اندونيسيا وغانا — ، ثم نجاحه فى تغيير اتجاه الاحداث فى اليونان الى صالحه بالانقلاب الاخير ، حاولت امريكا هذه المرة ان تستخدم القاعدة الاستعمارية : اسرائيل كسلاح اساسى فى سعيها لضرب النظام الثورى فى مصر .. وبالغزو المسلح .

وكان ٩ يونيو ، يوما حاسما فى انشاء مخطط الاستعمار الامريكى والعدوان الاسرائيلى .. فقد خرجت الجماهير وحمت الثورة والاشتراكية والقطاع العام .. فى مواجهة الاستعمار العالمى واى نكوص الى مواقع الاستغلال القديمة ..

ولقد اخرست الجماهير فى ٩ يونيو ، كل افتراءات قوى الثورة المضادة التى طالما شككت فى التجربة الاشتراكية وجماهيريتها . بل والتى كانت تسعى دائما الى تأليب الجماهير واثارة سخطها .. متظاهرة بتبنى متاعب الجماهير الاقتصادية .

وقد أكدت الجماهير فى ٩ يونيو ، انها مستعدة لان تضحى بكل شىء فى سبيل عدم الانتكاس بالثورة .. بل وبضرورة استمرارها وتطويرها وتقدمها. وقد حسمت الجماهير بذلك اختيارها مرة أخرى.. فقد اختارت طريق بقاء الثورة وتطورها واستمرارها .. دون تراجع ودون انتكاس ..

واذا كانت الدروس التى يمكن استخلاصها من النكسة كثيرة .. الا أن قضية تنظيم الجماهير .. تبرز فى مقدمة هذه الدروس بل واهمها قضية تنظيم الجماهير التى خرجت تحمى الثورة سياسيا وعسكريا . ومن هنا ينبغى أن تصبح مهمة انجاز هذه القضية ، هى المهمة الاولى والاساسية التى يجب أن نضعها موضع التطبيق .

أن العقلية السياسية يجب ان توجد فى كل مكان .. فى المصنع ، وفى الحقل ، فى الثقافة ، وفى الجيش .

صحيح اننا نواجه عدوا قويا ، ولكن الانتصار عليه مسألة حتمية .. وممكنة ..

●

العمل الثورى الملتزم .. سبيلنا الوحيد

وتحت هذا العنوان ، كتب المواطن **محمد احمد حسان** مدرس علوم وعضو منظمة الشباب ، يقول :

يستطيع كل من تتبع تطورات الموقف فى الشرق الاوسط ، ان يرصد الحقائق التالية :

● ان امريكا وبريطانيا ، سعيا وراء التستر باسرائيل الى ضرب الثورة العربية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

● وضح بشكل كامل ونهائى امام الامة العربية ، عدوها كما عرفت صديقها .

● ان الاعتماد على النفس ، قضية تبدو اهميتها وتحتمها الظروف العالمية كما تحتمها الظروف المحلية .

● اهمية الاسلحة الاقتصادية الماضية التى تملكها الامة العربية من بترول وثروات اخرى وودائع فى بنوك الدول الاستعمارية

● خطر القواعد العسكرية الاجنبية فى الوطن العربي حيث انها كانت دائما مراكز لتهديد الثورة العربية واستقلال الشعوب العربية

● ان الاستعمار فى كل صوره القديمة والجديدة، وسواء كان فى الوطن العربى او فى اي جزء من العالم ، انما يدعم العدوان ويسنده . ومن ثم تصبح قضية القضاء عليه كنظام ضرورة هامة .

● اهمية الراى العام العالمى كقوة لابد وان توضع فى الاعتبار .

واقول اخيرا ان العمل الثورى الملتزم بأهداف النضال الوطني والاجتماعي ، هو السبيل اللازم والوحيد لتحقيق اهدافنا الوطنية والاشتراكية .

● ●

برقيات متبادلة بين على يعته وبريجنيف

جاءنا من علي يعته السكرتير العام للحزب الشيوعي المغربى نص البرقية التي ارسلها الى ليونيد برجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى ، والرد الذى بعث به برجنيف اليه . وهذا هو نص البرقيتين :

الى الرفيق ليونيد برجنيف الامين العام للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى موسكو

ايها الرفيق العزيز

يطيب لنا أن نعبر لكم شخصيا وللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ولحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية عن امتناننا العميق للمساعدة المعنوية والسياسية والمادية التى قدمتموها للشعوب العربيةفي كفاحها ضد العدوان الصهيوني الامبريالي . اننا نعتقد اننا الان فى بداية مرحلة جديدة لكفاح الشعوب العربية من اجل سيادتها واستقلالها وامنها والسير نحو التقدم والاشتراكية ، كفاح يتطلب الوحدة المتينة للقوى الثورية والتقدمية ، ويفترض تحالف جميع القوى الوطنية المعادية للامبريالية ، ويحتاج الى المزيد من التضحية .

ونحن واثقون بانه يمكننا الاعتماد على المؤازرة التي سوف لاتبخلون بها على شعوبنا العربية فى كفاحاتها المقبلة .

ففى غضون النكسة المؤلمةالتي عشناها ،اتضح ان التحالف بين النظام الاشتراكى العالمى وحركة التحرر الوطني حقيقة حية . كما تاكد انه عامل حاسم من الانتصار على المعتدين الامبرياليين واذنابهم .

ويقيننا ان تدعيم هذا التحالف سيسمح باستكمال التحرر التام فى اقرب الاجال . هذا التحرر الذى تتجند من اجله الجماهير العربية وتصبو اليه كل القوى التقدمية فى العالم .

وفى الختام ، نرجوكم ، ايها الرفيق العزيز ،ان تتفضلوا بقبول تعابير احساساتنا الاخوية .

على يعته الدار البيضاء

رد ليونيد برجنيف : الى الرفيق على يعته

ايها الرفيق العزيز

أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي تعبر لكم عن امتنانها العميق لتحيتكم الحارة التي تضمنت تقديركم الرفيع للخطة السياسية وللنشاط العملي للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي وللحكومة السوفيتية ، بمناسبة عدوان اسرائيل على الدول العربية .

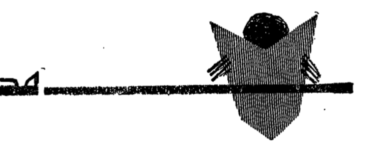
أن الشيوعيين وجميع السوفيتيين عازمون ، عزما راسخا ، على مد مساعدتهم بالاشتراك مع جميع الشعوب المحبة للسلام ، الى الاقطار العربية ، ضحية العدوان الغادرفي كفاحها العادل من أجل تصفية العدوان وانسحاب قوات المعتدين الإسرائيليين من الاراضى المحتلة .

اننا نشاطركم تماما رايكم القائل ان هذا الكفاح يتطلب من الشعوب العربية المزيد من الجهود والتنسيق المستمر وتوثيق وحدة جميع القوى المعادية للامبريالية والتقدمية ، وتدعيم تضامن حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية مع البلدان الاشتراكية .

اننا نتمنى لكم النجاح فى نشاطكم لصالح شغالى المغرب ،وفى كفاحكم لمجابهة ضغوط الاستعماريين على مواقف الحركة العربية للتحرر الوطنى، ومن اجل استرجاع الحوزة الترابية للدول العربية ضحية العدوان الاسرائيلى ومن اجل السلام والتقدم الاجتماعى للشئون العربية .

وتقبلوا تحياتنا الاخوية .

ليونيد برجنيف
موسكو : الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى



حوار طويل على الجبهة الادبية

دار النشر باللغات الاجنبية ـ بكين

« شو يانج »

الطبعة الانجليزية

يشير مؤلف هذا الكتاب الصغير فى صفحته الاولى ،الى ان كتابه ليس الا مقالا طويلا كان قد اعده كحديث ادبى فى اللقاء الذى تم بين افراد الجناح الشيوعى فى اتحاد كتاب الصين فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٧ وقد اعاد كتابته بعد ذلك فاضاف اليه العديد من الملاحظات ووجهات النظر التى اثمرتها مناقشاته المتشعبة فى الدوائر الادبية والفنية .. وحينئذ اكتملت له مقومات الكتاب النقدى الذى يعبر عن الاتجاه السائد على الحركة الادبيـــة الصينية ،فأصدر طبعته الثالثة عام ١٩٦٥ .ومنذ الكلمات الاولى يؤكد شو يانج ان كتابه يصـــوغ المعركة الضارية بين الخط الاشتراكى فى الادب والفن والخط المعادى للاشتراكية ، وهى المعركة القائمة بين اليسار الثورى واليمين الانتهازى ، او ـ بصراحة اكثر ـ بين البروليتاريا والبرجوازية ، او بين الطريق الاشتراكى والطريق الراسمالى .

والادب والفن من زاوية ما هما تعبير فكرى مباشر عن اراء عصر من العصور ، وهى الاراء التى تعكس بصورة ما الصراع الاجتماعى بين الطبقات المختلفة ، وان اختلفت حدة هذا الصراع والاشكال التى يتخذها من مرحلة الى اخرى . وفى كـل مرحلة يحتدم فيها الصراع ، يعيد التاريخ امتحانه الصارم للطبقة العاملة وقواها النضالية . وفى كل مرة تنتصر الطبقة العاملة على قوى الثوره المضادة تربح مع انتصارها العديد من الافكار الجديدة التى تتولد فى خضم الصراع . ولا سـبيل الى استثناء الاداب والفنون من اكتساب المـزيد من الافكار الجديدة فى غمرة التحامها المشروع مـع الافكار القديمة . ولا سبيل ايضـا الى عـودة التاريخ الى الوراء . ولا بد من ان يكتب النصر للادب الاشتراكى ، لانه الادب المعبر عن اكثر قوى التقدم صلابة وقدرة على الصمود .

وفى عام ١٩٥٦ انجزت الصين مهام الثـورة الاشتراكية فى الانتاج ، وهو اعظم تطور تاريخى فى حياتنا . ولا شك ان علاقات الانتاج الجديدة قد اضافت عناصر جديدة على معادلة القـوى الاجتماعية ترجح كفة العمال والفلاحين . غير ان البرجوازية بطبيعتها الطبقية لم ترحب بهـــذا التغير الجديد الذى طرا على ميزان القـوى فى الصين . والعقلاء وحدهم من البـرجوازيين هم الذين تكيفوا مع الوضع الجديد مؤمنين بأن املهم الوحيد لم يعد سوى تأقلم ذواتهم مع المجتمع الجديد . غير ان اليمييين المتطرفين ومن يمثلهم بين المثقفين لم يبدوا استعدادا لتقبل هذا الوضع الجديد، فلم يتخلوا عن « النظام » الاستغلالى ، و « وجهة نظر » المستغلين ، لقد رفضوا النظام الاشتراكى الجـديد الذى حـل مـكان النظام الراسمالى القـديم بكل ما يعنيـه من « طريق مسدود » فى وجه الصين وتطورها . وحاولوا بكل ما اوتوا من قوى وامكانيات ان يعرقلوا خطى الشعب الصينى فى طريقه الجديد ، حاولوا ان يعيدوا الماضى الى الحاضر لاغتيال المستقبل .وهم يشبهون فى ذلك بطلة احدى قصص « لوشن » المسماه « زوبعة فى فنجان » حيث سميت هذه البطلة باسم الوزن الذى ولدت به . وبعد خمسين عاما من ميلادها كانت هذه السيدة تندب الماضى

الذي لا « يرقى » حاضرها اليه ، لان الحاضر في رايها ليس في « عظمة » الماضي الآفل — وكانت تذكر دائما ايامها الخوالي في الصبا بقولها « ان الصيف لم يكن حارا كما هو الآن ، والبقول لم تكن رخوة كما هي الان .. باختصار ، هناك شيء ما خطأ في عالم اليوم » وراحت تكرر « اجل ، لاريب ان كل جيل جديد اسوأ من الجيل السابق » . والرجعيون المعاصرون يرددون بغير انقطاع «آجل لا ريب ان مجتمعنا الجديد أسوأ جيلا بعد جيل من مجتمعنا القديم » . لقد انتهت الاسس الاقتصادية للنظام القديم ،وهو القاعدة الفسيحة التي كانوا يتحركون عليها في نضالهم الاعمى ضد العمال والفلاحين . وهنا يكمن السر في تعاستهم البالغة العنف ازاء ما يتحقق لجماهير الشعب الصيني من انتصارات ضد التخلف والفقر ،وهم لا يتركون فرصة واحدة تفوت من بين أيديهم في شن الحملات الهوجاء ضد هذا الشعب . ومن هنا ايضا ينطلق العمل البطولي للمثقفين الثوريين في الصين المعاصرة، وهم يقيمون «البناء الفوقي» سياسيا وايديولوجيا للوضع الاقتصادي الجديد في المجتمع الاشتراكي الصيني .

وحين يرى البعض ان الحزب الشيوعي بدأ يصحح اخطاءه ويختبر اسلوبه في العمل النضالي من خلال النقد والنقد الذاتي ،يظنون ان فرصتهم قد حانت . ولا ريب في ان الامبرياليين شعروا بالسعادة حين وجه الحزب الشيوعي السوفييتي نقداته الى ستالين في المؤتمر العشرين ، وذلك لانهم تصوروا في هذا النقد مادة لا تنفد ضد النظام السوفييتي والشيوعية . ووصل هذا التصور أعلى ذراه في احداث المجر عام ١٩٥٦ ، ولعل هذه الاحداث وغيرها ، هي التي تمتحن مدى صلابة المناضل الاشتراكي وتختبر مدى ثوريته . وهكذا نقول ان هذه الاحداث برهنت على زيف « تقدمية » أجزاء كثيرة من اليسار الاوروبي ومثقفيه على وجه الخصوص . ولعل التصريح الذي ادلى به الكاتب الامريكي هوارد فاست حينذاك ، يعد اكبر دليل على ان مغريات الليبرالية البرجوازية تستطيع ان تهزم الصلابة المدعاة في أوقات المحن . قال فاست في حينها انه لم يكن يدري — في ظل ايمانه بالاشتراكية — انه يعيش في اكذوبة ضخمة تلف كيانه كله . وتلك هي النهاية الطبيعية لكل مثقف برجوازي يؤمن بالاشتراكية عن طريق المصادفة ، أو في احسن الاحتمالات ، من اجل تسلية ارقى يتيه بها على اترابه كاي «شيء» من ادوات الترف . وليست نهاية فاست وغيره بالنهاية التي تدعو الى الحزن، بل هي تدعو الى التأمل وامعان الفكر في كل موقف ايديولوجي « منحرف » عن الاتجاه الثوري للطبقة العاملة .

ونحن نذكر الشعار الذي اطلقه ماوتسي تونج واللجنة المركزية للحزب الصيني ، حين قال « دع مائة زهرة تتفتح ، ومائة مدرسة فكرية تتصارع» وما زال ماثلا لذاكرتنا ايضا ما حدث فور ذيوع هذا الشعار الثوري . ان المثقفين الرجعيين من بقايا الطبقات المنهارة ،وجدوا فرصتهم في احداث المجر عام ١٩٥٦ واغتنموا هذا الشعار في ترسيخ ايديولوجيتهم المضادة للاشتراكية والثورة . ولكن الحزب كان جادا في ان يدع المدارس الفكرية المختلفة تتصارع من اجل تطوير الاشتراكية والثورة والصين ، خاصة في مجال الادب والفن . ولكن الحزب كان يعلم ايضا ان دائرة الصراع التي يعنيها والتي يرفض الخروج عن حدودها ، هي دائرة الصين الاشتراكية . فنحن نرحب بملايين الزهور التي تتفتح ، ولكنا نقاتل حتى الموت الاعشاب السامة التي تهددها بالفناء . وكذلك فنحن نرحب بمختلف المدارس الفكرية التي تتصارع ، ولكنا نقاتل حتى الموت الاتجاهات التي تعود بنا الى الوراء ، الى الاستسلام وتصفية الثورة . وبالرغم من ايماننا المطلق بأن الفكر الثوري للشعب ،بقدوره ان يهزم الفكر البرجوازي المعادي له في اطار من الحرية الكاملة لكل من الاتجاهين ، الا اننا نؤمن يقينا ، وبنفس المقدار ، ان الفكر اليميني لن يكتفي بحرية التعبير وحدها وانما سيطالب — ويحاول ان يحقق — بحرية الحركة المضادة التي قد يستخدم فيها قوات اجنبية معادية للشعب الصيني . وهكذا يتوسل البرجوازيون بالفكر وحرية الفكر في البداية الى ان يحين الوقت المناسب للانقضاض على الاشتراكية نفسها واسقاطها بالقوة المسلحة . ومن هنا تصور اولئك اليمينيون ان الفرصة سانحة لهم حين دعا الحزب الى حملة النقد الذاتي الجماعية .. تصوروا ان بامكانهم بث « افكارهم » المدمرة بين صفوف الجماهير التواقة بطبعها الى النقد والنقد الذاتي . وكانت خطة هجومهم تعتمد اولا على ميادين الثقافة والفكر. فقد ظنوا ان هذه الميادين هي اضعف الحلقات على طول الجبهة الثورية ، وانها الثغرة التي يستطيعون النفاذ منها . واذا ما تحقق لهم النصر في هذه الميادين عبروا الطريق الى الشاطيء الاخر والهدف الرئيسي للمعركة: وهو النظام الاشتراكي ككل . ولم يكن هذا بالامر السيء على طول الخط. انه من احد الوجوه كشف النوايا الخبيئة في صدور المثقفين الرجعيين ، «النوايا» التي تحولت فيما بعد الى « افعال » ايجابية يتلقاها افراد الشعب بما يقدمونه اليهم من ثقافات وافكار واداب وفنون . وهذا شيء حسن ، لانه اوضح الطريق وحسم السؤال : ايهما افضل ، الطريق الاشتراكي ام الطريق الراسمالي ؟ ان تظل ثوريا ام تتحول الى رجعي ؟ هذا هو السؤال العاجل والملح الذي واجهه كل صيني . ففي اثناء مرحلة الثورة الديموقراطية كان كل فرد يناضل

الاستعمار والاقطاع والراسمالية البيروقراطية، ثوريا . ولكن الان فى ظل الثورة الاشتراكية ، يتعين على الثورى ان يناضل الراسمالية فى مختلف صورها وان يتجه نحو الطريق الاشتراكى فاذا اردت المضى فى الطريق الراسمالى ، فانت رجعى وسيتحصر اختيارك بين الطريقين ، اذ لا طريق وسط هناك ».

وكان شيئا صعبا على مثقفينا ان يجتازوا امتحان العبور الى الاشتراكية ، من محطة الثورة الديموقراطية . والواقع انه قد ظهر فى صفوف المثقفين والكتاب والفنانين ، عدد من اليمينيين كان من بينهم بعض اعضاء الحزب الذين حاولوا ضربه من الداخل . وهم يشكلون حصانة ايديولوجية لليمينيين خارجه .. هناك مثلا تشانغ تن — فى الناقد السينمائى ، الذى كتب فى مقال نشره فى ديسمبر ١٩٥٦ تحت عنوان « دق الطبول فى صناعة السينما » يقول ان الفيلم الصينى لم يحرز اى تقدم منذ الاستقلال ، ثم هاجم القيادة الحزبية للادب والفن راميا من وراء ذلك ان تعود السينما الصينية الى ما كانت عليه فى خطها الراسمالى القديم . ان تشانغ يعد من اوائل المثقفين اليمينيين الذين بكروا واعطوا اشارة البدء لتخريب الثقافة الوطنية والتقدمية فى الصين . وفى نفس الفترة ظهر الكثيرون من الكتاب اليمينيين والتحريفيين الذين انكروا المبدأ القائل بأن الادب والفن فى امكانه أن يقدم شيئا للعمال والفلاحين والجنود ، كما ان فى امكانه ان يسهم فى بناء الاشتراكية . وهم يعتبرون ان ما قاله ماوتسى تونج فى الادب والفن اصبح غير ذى موضوع و «مودة» قديمة ،ذلك ان مبدأ الواقعية الاشتراكية فى رايهم لم يعد يعبر عن شىء يعتدبه وتحت شعارات مثل «اكتب بصدق» او «اصدق مع الحياة » راحوا ينادون الادباء والفنانين ان يوجهوا عنايتهم الى « الجانب الاخر من الحياة» حتى لا يصاب ادبهم — الثورى — بجمود النظرة الوحيدة الجانب ، وهذا ما يرونه طريقا جديدا الى الواقعية .

وبعد فترة لمعت فى الافق بوادر عاصفة كبرى على وشك الهبوب . كانت العاصفة فى وجه « اليمين » الادبى والفنى فى بلادنا . كان هناك نفر من متطرفى « اليسار » الجامد يحاولون التصدى للتيار اليمينى والمنحرف . ولكن ما اضعف « الجمود » فى وجه التيارات الرجعية العاتية ؟ كان « الجامدون » ضعافا لانهم لم يثقوا بدرجة كافية فى الطبقة العاملة والشعب ولا فى الاشتراكية والثورة . كانت « يساريتهم » مجرد رد فعل للردة اليمينية . ولقد سمح الحزب لليمينيين ان يتكلموا خارجه بصراحة وحرية ، لانهم كانوا يتمسحون بالانضباط فى اتهام الحزب باللاديموقراطية . وهكذا فقدوا كل ما كانوا يحلمون به من تعاطف ، فقد هزمتهم افكارهم وسط الجماهير ، هزمتهم معاداتهم للاشتراكية والدستور والنظام الثورى ، فعادوا القهقرى الى داخل ذواتهم يجترون اوهاما بددتها الرياح . ولم يخف الحزب من انتشار سمومهم ، لانها تحولت مع مقاومة الشعب البطولية الى امصال واقية منحت ثورته مناعة تاريخية « اننا اذن نخطىء خطأ فادحا اذا لم نعط الفرصة لكل من يحاول تجربة ثقافية جديدة ، حتى ولو كانت ضارة ، نخطىء اذا وقفنا لهؤلاء بالمرصاد كلما ظهرت رؤوسهم على السطح ، نخطىء اذا دفعنا بهم الى قرار سحيق كلما تجراوا على الخروج علانية . ان ثقافتنا تغتنى فى صراعها الحر مع كافة الاتجاهات ، ما دام كشفها امام اكبر رقعة من الجماهير ممكنا ». فالجماهير قادرة على التمييز بين ما هو سام وما هو مفيد بلا وصاية عليها من احد . اننا بذلك نحقق فى المدى البعيد انتصارات هائلة ».

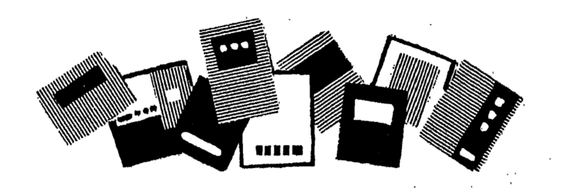
لقد تصور اليمينيون أن أحداث المجر يمكن ان تتكرر فى الصين وكما استخدم الرجعيون فى المجر اسماء كوزوث وبيتوفى على السنتهم ،كذلك حاول الرجعيون فى الصين أن يستخدموا شعارات الحزب الديموقراطية قائلين « مايو الجديد ، الحركة الرابعة » . وتلك هى الايام التى فتح فيها تنج لنج عينيه بغبطة وسعادة ، كما فعل اليمينى لن — يو — يان، وايضا فنج هسو — فنج الذى قال ان « الفيضان سوف يخلع البوابة من مكانها » وحث جميع الذين يناهضون الحزب والحكومة تحت شعار « مراجعة الاخطاء ومقاومتها » و « الرياح تأتى بالديموقراطية الكبرى » . حتى الناقد اليمينى شن يونج راح يقول فى صوت جهير « ان الميلاد العظيم للتغير قد آن أوانه » . وبعد ذلك اعترف تشانج فى نقده الذاتى قائلا : « لقد كنت أضع احداث المجر فى خيالى وتصورى باعتبارها شيئا ممكنا فى الصين » . وكان اعترافا صحيحا . وكان من الطبيعى ان يستعين اليمينيون بعناصر من خارج الحزب وداخله من اجل تحطيمه . وقد حاول تنج لنج وتشن شى — هسيا ان يخلقا تجمعا يمينيا فى الصحيفة اليومية « ون وى پاو » متوهمين ان هذه الصحيفة بما تملكه من سعة انتشار فى الاوساط الادبية والفنية يمكن لها ان تكون منبرا مناضلا ضد الحزب . وانضم اليهم فيما بعد الشاعر اليمينى اى شنج . وانغمس فينج هسو — فنج الذى كان يعمل رئيسا لتحرير « دار الشعب لنشر الادب » فى تيارات اليمين . وكذلك كان حال تشيانج فنج فى « المعهد المركزى للفنون الجميلة » اذ انخرط فى «الجماعة الديموقراطية» كما دعت نفسها فى مواجهة « الحزب »

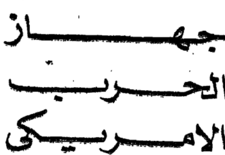
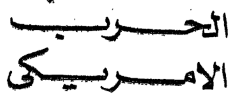
وينسى تنج لنج وتشن شى — هسيا وفنج

هسيو ـ تنج وغيرهم ان حركتهم لا يمكن ان تتطور او ان يكتب لها البقاء.. لانهم لايدركون انه منذ فترة ليست بعيدة عن الاذهان حين كان الفاشيون بسبيل غزوهم للعالم وكانت جيوش هتلر تحتل جزءا لا يستهان به من الاراضى السوفييتية ، حين كانت ينان مطوقة بالرجعيين من حزب الكومنتانج ، حين كانت الجماهير والمقاومة الشعبية خلف خطوط العدو يحملون اعناقهم على ايديهم في حرب ضروس ضد العسكرية اليابانية .. كان ذلك هو الوقت الذى اختار فيه تنج لنج وتشن شي ـ هسيا واصدقائهما في ينان ايقاف المد الثورى . وما تزال كتاباتهم ابان تلك الفترة مثل « ليلى المتوحشة » و « خواطر حول يوم في حياة امراة » تؤيد ما ذهبنا اليه في تفسير وقفة الكومنتانج وراءهم ـ وهذا ما يؤكد الصياغة العلمية لقوانين التاريخ القائلة بانه في كل نقطة تحول جذرية يجتازها المجتمع الثورى ، سوف يوجد من داخل حزب الثورة ، من يدعو الى التوقف او الرجوع الى الماضى . ولكن القانون نفسه يقول ان هناك من يبقى صامدا على خط النار يقاتل من اجل النصر .

وحوالى عام ١٩٤٢ كانت هناك نقطة تحول تاريخية . كانت معركة ستالنجراد قد غيرت مجرى التاريخ والموقف الدولى . ولقى نضالنا الحزبى اساسا عظيما لانتصار الثورة الصينية .. وبعد خمسة عشر عاما من ذلك التاريخ ، نمر بنقطة تحول جديدة برهنت عليها احداث المجر في ١٩٥٦ وانتصار الثورة على الثورة المضادة . فقد امست القوى الاشتراكية في العالم اكثر صلابة وقدرة على الصمود ، واصبح الاتحاد السوفييتى يحتل مركزا قياديا في العلم والتكنولوجيا . ولا ريب انه في كل من نقطتى التحول هاتين ، تظهر امثال اولئك الرجعيين الداعين الى الاستخذاء والاستسلام . لقد شبت نيران الرجعية الادبية في نقطة التحول الاولى واخمدتها ارادة الجماهير في تقدم الثورة . لكن الثورة الان لم تعد كما كانت عليه في ذلك التاريخ ، لقد تطورت وقويت ، ولم يعد في مقدور اعدائها العودة بها الى الوراء .

ان الحوار الادبى والفكرى المضاد لليمين ، قد اثمر بغير شك افكارا جديدة ينتفع بها كل الثوار ، واعترف شخصيا اننى افدت الكثير من هذا الحوار الذى طال . واضحى كتابنا وفنانونا اكثر استيعابا للمنهج الاشتراكى الثورى في حياتهم وفنهم . ولعل الامل الوحيد الباقى امام اليمين هو ان يحاول ايجاد « نقطة بدء جديدة » بالرغم من ان كافة الطرق امامه مسدودة . ولا ريب ان الشعب والحزب على استعداد دوما للمساهمة في اعادة تربية وتكوين هؤلاء الذين انحرفوا ـ لاسباب عديدة ـ عن مسار الثورة . غير ان مفعول هذه المساهمة ايجابيا يتوقف من زاوية رئيسية عليهم وحدهم .



جهاز الحرب الامريكى

يعتمد الاستعمار الامريكي في مختلف جولاته العسكرية على جهاز ضخم ينفذ له خططه الاستراتيجية والتكتيكية وهو الجهاز الذى يضم مجموعة القواعد الامريكية خارج الولايات المتحدة وداخلها .

تقدر القوة العدوانية للولايات المتحدة، من القوات العسكرية العاملة بحوالى ٢ر٦٩٠ر٠٠٠ ضابط وجندى (١) وهى تسكل على النحو التالى :

القوة الاستراتيجية النووية ، والتى نعد القوة الهجومية الرئيسية للولايات المتحدة ، ومركزها فى الولايات المتحدة ، وهى مقسمة الى ثلاثة اقسام .

● القيادة الجوية الاستراتيجية ـــ وتقدر مجموع قوتهـا بحوالى ١ر١٠٠ طائرة ، وهذه القوة الجوية الضـارية لقاذفات القنابل تتكون من ٦٣٠ طائرة من طراز ب ـــ ٥٢ ، وهى معدة لحمل القنابل الذرية ـــ و ٩٠ طائرة من قاذفات القنابل من طراز ب ٥٨ ، التى تزيد سرعتها على سرعة الصوت ـــ و ٣٨٠ طائرة من طراز ب ٤٧ .

● قوة الصواريخ الاستراتيجية ـــ ومجموع عددها ٨٠٠ قاعدة صاروخيـة معظمها من طراز « تيتان » وهى تتكون من فرق اواقسام ، تنتشر فى مواقـع ارضية ثابتة ، فى اجزاء مختلفـة من العالم .

● قـوة القـذائف البحـرية الاستراتيجية ـــ ومجموعها حوالى ٢٣ من الغواصات الذرية ، المزودة بصواريخ بولاربس المجهزة لحمل الرءوس الذرية ، وقوة كل منها ١٦ قذيفـة من طراز بولاريس .

القوة البرية ـــ وعددها ٩٧٢ر٠٠٠ ضابط وجندى ، وتشكل ١٦ فرقة عاملة، تتكون على النحو التالى :

٦ فرق مشاة ، ٤ فرق ميكانيكية ، ٤ فرق مدرعة ، فرقتان للمظلات ، كما تشمل ايضا ١٧ الفا من الخبراء والفنيين العسـكريين .

القوة البحرية ـــ وعددها ٦٦٨ر٥٠٠ ضابط وجندى ، كما تضم حوالى ٩٠٠ سفينة حربية من بينها ١٥ من حاملات الطائرات .

كتائب مشاة البحرية ـــ وهى تتكون من ٣ فرق ، تضم ١٩٠ر٠٠٠ ضـابط وجندى ، وحوالى ١ر١٥٠ من الطائرات المقاتلة .

القوة الجوية ـــ وعددها ٨٤٠ر٠٠٠ ضابط وجندى ، وتضم حوالى ١٤ر٥٠٠ طائره ، معظمها من الطائرات الهجومية المقاتلة وقاذفات القنابل التكتيكية (هذا بخلاف الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل التكتيكية النفاثة ، التى تعمل علـى ظهر حاملات الطائرات البحرية) .

القوات الامريكية فى الخارج

ويقدر عدد القوات الامريكيـة التى تعمل خارج الولايات المتحدة فى الوقت الحالى ، باكثر من نصف مجموع القوات الامريكية ، موزعة على شبكة الاحلاف والقواعد العسكرية فى حوالى ٥٠ بلدا فى الخارج ، وحيث تتركز معظمها بشكل رئيسى الان فى اوربا وآسيا .

اوربا الغربية ـــ الجيش السـابع الامريـكى ، ويتكون من ٢٣٧ر٠٠٠ ؛ و٢ر٥٠٠ دبابة ، و ١٠٠٠ طائرة مـن الطائرات الاستراتيجية والتكتيكيـة ، والمخصصة لنقل الوقود والتموين ، وهى موزعة فى ٢٧ قاعدة امريكية رئيسية فى اوربا يقع اهمها فى جرينلاند وايسلاند ، والقواعد الاستراتيجية الاخرى فى اسبانيا هذا فضلا عن وجود اكثر من ٢٥٠ قاعدة جوية وبحرية اخرى من القواعد العسكرية فى دول اوربا التابعة لحلف الاطلنطى .

القواعد العسكرية المتحركة

الاسطول الاول ـــ مركز عملياته فى شرق المحيط الباسيفيكي .

الاسطول الثانى ـــ مركز عملياته فى المحيط الاطلنطي

الاسطول الخامس ـــ مركز عملياته فى المحيط الهادى .

الاسطول السادس ـــ مركز عملياته فى البحر الابيض المتوسط (٢) .

الاسطول السابع ـــ مركز عملياته فى غرب الباسفيك ـــ كما يشمل نشاطه العدوانى خليج تونكين ، وبحر الصين الجنوبى ، والمنطقة الممتدة على طول شواطىء فيتنام الشمالية والجنوبية ـــ ويعد الاسطول السابع من اكبر القواعد العسكرية الامريكية المتحركة ، فهو يضم ١٧٥ قطعة حربية ، من بينها ٥ من حاملات الطائرات ، و ٧٠٠ طائرة من قاذفات القنابل والمقاتلة النفاثة ، و ٧٠ الف ضابط وجندي .

(١) هذه الاحصائية عن قوة الولايات المتحدة العسكرية حتى عام ١٩٦٥ ، وذلك قبل التوسع فى العمليات الحربية فى منطقة جنوب شرق اسيا فى السنتين الاخيرتين ، وتوالى الهزائم التى منيت بها العسكرية الامريكية على أيدى قوات جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية ، والخسائر الفادحة فى اعداد الطائرات والطيارين فوق اراضى دولة فيتنام الديمقراطية الشمالية ، الى درجة اضطرت معها الولايات المتحدة الى سحب عشرات الالوف من قواتها العاملة فى اوربا وخاصة من المانيا الغربية ، لتعـويض خسارتها الهائلة وسد النقص الخطير فى قواتها العاملة المدربة فى فيتنام ، ولمواجهة القوة المتزايدة لجبهة التحرير الفيتنامية ـــ كما يتضح ذلك من كثرة استدعائها للقوات الاحتياطية ، وتجنيد الشباب الامريكي وارساله الى ميادين القتال فى فيتنام خلال العامين الاخيرين ، وكان آخر ها هو موافقة الكونجرس الامريكي ، اوائل اغسطس الماضى على ارسال ٥٠ الفا آخرين من الجنـود الامريـكيين الى فيتنام (الطليعة)

(٢) راجع الطليعة ، العدد ٧ ، ١٩٦٧ ، القواعد العسكرية فى الشرق العربى

القواعد والقوات الامريكية في جنوب شرقي آسيا (٣)

فيتنام الجنوبية — ويوجد حاليا هناك اكبر تجمع للقوات الامريكية ، اذ تبلغ حوالى ٤٧٠ الف ضابط وجندى ، كما توجد اكثر من ٢٥٠ من القواعدالعسكرية الجوية والبحرية والمعسكرات ومخازن الذخيرة التى تستخدم الان فى شن الحرب الاجرامية القذرة ضد شعب فيتنام الجنوبية ، وضد دولة فيتنام الديمقراطية الشمالية ، وايضا فى شن الهجمات ضد قوات التحرير فى لاوس ، والقيام بالاعمال الاستفزازية ضد دولة كمبوديا المحايدة .

تايلاند — وتعد من اهم القواعد الامريكية فى جنوب شرقي آسيا ، كما يوجد بها المقر الرئيسى لقيادة حلف جنوب شرقى آسيا ، وتبلغ الحشود الامريكية هناك ٢٥٫٠٠٠ ضابط وجندى امريكى ، و ٤٠٠ طائرة ، تستخدم حاليا فى شن الغارات الجوية على جمهورية فيتنام الشمالية ، وضد قوات التحرير فى لاوس ، والتحرش بدولة كمبوديا . والمعروف ان تايلاند من بين الدول المشتركة فى الحرب ضد شعب فيتنام الجنوبية بجانب القوات الامريكية .

الفيليبين — ويوجدحالياهناك ٢٥٫٠٠٠ ضابط وجندى امريكى ، كما توجد بها القوة الجوية الثالثة عشرة التابعة لقيادة الباسفيك ، وتستخدم القواعد العسكرية الامريكية الان فى مطاردة الثوار الوطنيين فى الغابات — وقد استخدمت من قبل كمركز لشن الحرب العدوانية ضد جمهورية كوريا الشمالية فى عام ١٩٥١ . والفيليبين ايضا تشارك فى الحرب الفيتنامية بجانب القواتالامريكية .

كوريا الجنوبية — ويقدر عدد القوات الامريكية هناك بحوالى ٦٠ الف ضابط وجندى ، مهمتها الرئيسية مساندة النظام الرجعى الاقطاعى فى البلاد ضد القوى الوطنية ، ومنع توحيد شطرى البلاد الجنوبى والشمالى ، وقد استخدمت امريكا قواعدها هناك كمراكز لشن الحرب العدوانية ضد الشعب الكورى فى عام ١٩٥١ .

والمعروف ان كوريا الجنوبية من اكبر المساهمين فى الحرب ضد شعب فيتنام الجنوبية اذ تبلغ مجموع قواتها هناك ٦٥٫٠٠٠ جندى .

اليابان — وتعد اليابان من اهم القواعد الامريكية فى الشرق الاقصى والمحيط الهادى ، ويبلغ عدد القواعد التى فوق اراضيها حوالى ١٥٠ قاعدةمن القواعد الجوية والبحرية الخاصة بالقوة الجوية الخامسة الاستراتيجية التابعة لمركز القيادة الجويةالاستراتيجية فى جزر هاواى فى المحيط الهادى ، وقواعد ومراكزتموين الاسطول السابع ، وهى تعد محطة لخدمة وتجهيز الفرق العسكرية بسرعة لمسرح العمليات الحربية فى الشرق الاقصى ، ويقدر عدد القوات الامريكية هناك بحوالى ٤٠ الفا معظمهم من الخبراء العسكريين والفنيين وقوات الحراسة ، الذين يشرفون على هذه القواعد والمنشآت العسكرية — وقد استخدمت هذه القواعد كمراكز لشن الحرب العدوانية على شعب كوريا من قبل ، كما تستخدم حاليا فى الحرب ضد شعب فيتنام الجنوبية .

اوكيناوا — وتعد جزيرة اوكيناوا من اقدم القواعد الامريكية فى منطقة الباسفيك ، منذ ان استولت عليها الولايات المتحدة من اليابان عند نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد كانت من اهم قواعد التدخل العسكرى للولايات المتحدة فى جنوب وشرق آسيا بعد ذلك — وهى تحتل الان مركزا هاما فى النظام العسكرى للولايات المتحدة ، حيث يرابط بها اكثر من ٣٠٫٠٠٠جندىامريكى ، كما توجد بها اهم القواعد البحرية والقواعدالجوية الاستراتيجية والتاكتيكية وقواعد الصواريخ ، ومخازن للقنابل الذرية فى منطقة جنوب شرق آسيا .

فورموزا — ويقدر عدد القوات الامريكية هناك فى الوقت الحالى بأكثر من ١٠٫٠٠٠ جندى ، وقد عملت امريكا على تحويل الجزيرة الى ترسانة حربية للعمل ضد جمهورية الصين الشعبية ، كما تعمل امريكا حاليا على اعدادوتجهيز جيش فورموزا (حوالى ٦٠٠٫٠٠٠) كقوة استراتيجية لاستخدامه فى الحرب فى الهند الصينية ، والمعروف ان فورموزا من بين مجموعة الدول التى تشترك الان فى الحرب الفيتنامية تحت قيادة امريكا.

امريكا اللاتينية (٤) — ويوجد بها مئات القواعد البحرية والجوية المنتشرة فى منطقة البحر الكاريبى ، وبورتريكو وشاطىء البرازيل الشمالى الشرقى ، وجواتيمالا ، وكوستاريكا والدومينيكان ، ونيكاراجوا ، وهندوراس ، وكولومبيا ، وبيرو — وقد استخدمت امريكا هذه القواعد فى التدخل العسكرى لقلب نظام الحكم الوطنى فى جواتيمالا عام ١٩٥٤ ، وفى الغزو المسلح ضد كوبا عام ١٩٦١ ، كما استخدمت القواعد فى بناما ، لاخماد الحركة الوطنيةهناكفى عامى٦٤ ، ١٩٦٥ ، وكان آخرها التدخل العسكرى الامريكى لقمع الثورة الوطنية فى الدومينيكان وقيادة الضباط الوطنيين اليساريين عام ١٩٦٥ .

افريقيا — تحتل القارة الافريقية فى الوقت الحالى نصيب كبير من اهتمام خبراء البنتاجون العسكريين الامريكيين ، حيث يجرى العمل الان فى بناء عشرات القواعد الامريكية الجديدة فى وسط وغرب القارة ، وعلى الاخص فى جمهوريات الاتحاد الفرنسى السابق ، كما يجرى العمل ايضا فى توسيع القواعد التى ورثها امريكا عن بريطانيا فى كينيا وجنوب افريقيا وروديسيا ، هذا فضلا عن وجود عشرات القواعد الجوية والبحرية المنتشرة فى سائر اركان القارة ، وهى تعكس جميعا اهتمام الاحتكارات الامريكية للمحافظة على اهم مصادر المواد الخام والمصالح الامريكية الاخرى ، ولمواجهة حركات التحرر الوطنى المتزايد فى انحاء القارة . ففى الشمال توجد عديد من القواعد الجوية والبحرية ، فى ليبيا وتونس ومراكش (٥) — وفى غرب القارة مثل داهومى وفولتا العليا ، والكونغو كينشاسا ، وليبيريا ، ونيجيريا الاتحادية ، وخاصة فى الاقليم الشرقى الانفصالى حيث توجد شركات البترول الامريكية والبريطانيه — وفى شرق القارة ، فى الحبشة واريتريا ، كما يجرى العمل ايضا حاليا انشاء قواعد جديدة فى جمهورية افريقيا الجنوبية الغربية ، فى المنطقة المعروفة باسم ممر كابريفى ، الواقعة على حدود انجولا وبتشوانالاند ، بالقرب من جمهورية زامبيا ، لاستخدامها ضد قوات الثوار فى انجولا ، ومساندة الحكم العنصرى الفاشى فى روديسيا ، وتهديد جمهورية زامبيا .

مجموعة الجزر — وتبدى الولايات المتحدة اهتماما متزايدا نحو اختبار الجزر الصغيرة المنتشرة فى اماكن كثيرة من العالم ، لبناء قواعد جديدة ، مثل جزيرة اسنسيون ، وجزر ازورس ، وجزر بهاما فى المحيط الاطلنطى — وجزر الرابرا ، ونشبجوس ، ودييجوجارسيا ، وفاركوار ، وديروش فى المحيط الهندى وجزر كارولينا ، ومارشال فى المحيط الباسفيكى — وجزر ماريانا فى المحيط الهادى .

وهذه القواعد الجديدة تهدف الى تحقيق غرضين اساسيين ، فانه فضلا عن استخدامها فى مواصلة وتدعيم الحروب العدوانية ضد حركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، فهى يمكن استخدامها ايضا لتكون بمثابة قواعد احتياطية او خط دفاع ثان ، فى حالة اذا ما اضطرت الى الجلاء عن قواعدها الحالية ، تحت ضغط نمو واشتداد حركات التحرر الوطنى وهجمات الشعوب المتزايدة هذه الايام ، على القواعد الاجنبية فى اراضيها .

---

(٣) عدد القوات الامريكية العاملة فىجنوب شرق آسيا حتى اوائل عام ١٩٦٧
(٤) — راجع الطليعة العدد ٨ ، ١٩٦٧من امريكا والاحلاف العدوانية .
(٥) — راجع الطليعة ، العدد ٧ ، ١٩٦٧ القواعد العسكرية فى الشرق العربى


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام





سؤال الوقت: كيف؟

ديمقراطية الشعب العامل في التطبيق

نحو مراكز دفاع ثورية.. ومشتركة



طـريق المناضـلين الى
الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :
ميشيل كامل
عبد المنعم اتقصاص

الفهـــرس

العدد العاشر ـ السنة الثالثة ـ اكتوبر ١٩٦٧

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معــك فى الراى ولــكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) .

عنوان المراسلات .

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٤٤١٤٤

الاشتراكات

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحـاد البريد العــربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .



نحو مراكز دفاع ثورية.. ومشتركة

لم تكن حربا عادية فى شىء ، تلك التى شنتها القوى الامبريالية والصهيونية ضد الشعوب العربية فى منطقة الشرق الاوسط ، خلال الايام العاصفة الستة من شهر يونيو ١٩٦٧ .

فلم يكن عاديا فى شىء مثلا ، ان يتوافر لاسرائيل — وهى على حد تقدير المراقبين « البلد الصغير الناشىء المحدود فى امكانياته الذاتية بدرجة غير عادية » — كل هذه الطاقة الحربية الهائلة . وهى الطاقة التى مكنتها خلال ساعتين فحسب من ان تسيطر على المجالات الجوية لكل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن والعراق فى وقت واحد .

ولم يكن عاديا فى شىء ان يتمكن علم « بلد صغير ناشىء » محدود الرقعة ، ان يخفى بمهارة خلال العمليات الحربية ، الجهاز الحربى لاقوى دولة فى العالم ، وهى الولايات المتحدة الامريكية . وذلك بالاضافة الى اجهزة مساعدة لبريطانيا والمانيا الغربية وهولندا .

ونستطيع ان نمضى — دون حدود — فى سرد العديد من **« الظواهر غير العادية »** لهذه الحرب الخاطفة ذات الايام الستة . وفى ضوء ما انكشف من ابعاد صورة هذه الحرب حتى الان ، يمكن وضع اليد على مجموعة من الاسباب الموضوعية لهذه الظواهر غير العادية . ومع كل اضاءة للجوانب التى ما برحت معتمة فى الصورة سنلتقى بأسباب جديدة .

بيد ان ما يستحق الوقوف عنده والتصدى له بالبحث اليوم ، كمهمة رئيسية وعاجلة ، هى تلك الظاهرة التى امكن فيها لجهاز الحرب الاسرائيلى ان يستوعب خلال ممارسته للعدوان جهاز الحرب الامريكى ، بحيث اصبح الاثنان « كلا واحدا لا يتجزأ » فى ميدان المعركة المسلحة .

واهمية هذه الظاهرة تنبع من كونها « **اسلوب جديد** » تشرع القوى الامبريالية فى استخدامه خلال صراعها مع حركة الشعوب للتحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى طريق الاشتراكية . وما حرب الايام الستة من يونيو الا عملية تجريبية لهذا الاسلوب . ويجب ان نعترف ان التجربة اسفرت بالفعل عن « بعض النجاح الخطر » لصالح القوى الامبريالية ».

انه اسلوب جديد بالنسبة لاسلوب العدوان الامريكى على فيتنام . فهناك يتحرك جهاز الحرب الامريكى بسفور تام ودون اية محاولة للتمويه سواء فى ضرب فيتنام الديمقراطية فى الشمال ، او فى محاربة حركة التحرير الفيتنامية فى الجنوب . كل ما فى الامر ان جهاز الحرب الامريكى يغطى وجوده فى فيتنام الجنوبية فى صورة إستجابة « لطلب مشروع » من حكومة فيتنام الجنوبية العميلة له (!)

وهو ايضا « اسلوب جديد » بالنسبة لحركة جهاز الحرب العدوانى الامريكى ازاء كوبا والدومينيكان ، حيث كان السفور بالعصا الامبريالية صارخا .

وهو اسلوب جديد كذلك يختلف عن اسلوب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، اثر تأميمها لشركة قناة السويس ». حيث اشتركت علانية ودون خفاء اجهزة الحرب البريطانية والفرنسية جنبا الى جنب مع اسرائيل فى العمليات العسكرية .

والواقع ان الاسلوب القديم حيث كانت القوى الامبريالية العسكرية تتحرك بوضوح تحت اعلامها الصريحة لضرب حركات التحرر الوطنى والنظم التقدمية المتمردة على النفوذ الاستعمارى والنظام الامبريالى العالمى ، اصبح يواجه بموجات مضادة واسعة النطاق من شعوب العالم كله ، سرعان ما تلقى تجاوبا داخل البلاد الامبريالية نفسها وتفجر فيها الازمات ». الامر الذى يؤدى الى اصابة جهاز العدوان الامبريالى بالشلل . او على الاقل تقيد من حريته فى الحركة »، وتضطره باستمرار الى اتخاذ مواقف التبرير والدفاع — عالميا وداخليا — مما يضعفه فى النهاية من فعاليته وتحد من قدراته على المبادرة .

وازداد الامر تعقيدا اثر افتقاد النظام الامبريالى الامريكى لاحتكار السلاح النووى وذلك بعد نجاح الاتحاد السوفيتى فى امتلاكه ، بل واحراز قدر من التفوق فى بعض الانواع مثل الصواريخ النووية العابرة للقارات والصواريخ المضادة للصواريخ . الامر الذى اجبر القوى الامبريالية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية على قبول سياسة التعايش السلمى — عالميا — كبديل للصدام النووى الرهيب .

وغدا بالتالى **التدخل السافر** لجهاز الحرب الامبريالى وبالذات الامريكى ضد حركات التحرير الوطنية وخاصة فى المناطق الاستراتيجية مثل منطقة الشرق الاوسط ، محفوفا بمخاطر احتمالات الصدام مع الاتحاد السوفيتي وجها لوجه ». وهو صدام قد تبدا خطواته الاولى بالاسلحة التقليدية لتنزلق بعد ذلك الى هوة الصدام النووى .

وهنا قد يتقدم البعض « **حالة فيتنام** » كمثال على تحرك عدوانى امريكى سافر منذ اكثر من سنتين دون أن يقع رغم ذلك صدام مباشر بين امريكا والاتحاد السوفيتي .

وهناك بعض الحق فى هذا الكلام . ولكن « **تطور حالة فيتنام** » اليوم يظهر ان خطر الصدام المباشر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يقترب يوما بعد يوم من نقطة الانفجار ». وان « هذا الخطر » قد اصبح موضع الاهتمام العميق فى كل من العالم الامبريالى والعالم الاشتراكى .

ويجب ان لا يغيب عن الذهن هنا عدة عوامل رئيسية بالنسبة للعدوان الامريكى على فيتنام :

● **اولها** : ان العدوان يستند دوليا ـ داخل فيتنام الجنوبية ـ الى طلب حكومة رغم ان عمالتها واضحة ولكن معترف بها دوليا .

● **وثانيها** : ان العدوان تحرك بكل قوته مستغلا فرصة النزاع الصينى السوفيتى وآثاره السلبية على وحدة العمل الاشتراكى .

● **وثالثها** : ان امتداد العدوان على فيتنام الشمالية قد واجهته صورا مختلفة لصدام غير مباشر حتى الان مع الاتحاد السوفيتى فى شكل اسلحة ومعدات حربية سوفيتية ضخمة ، وخبراء عسكريين لتدريب الجيش الفيتنسامى على احدث وسسائل الحرب التكتيكية ، هذا فضلا عن مساعدات الصين القوية .

● **ورابعها** : أن العـــالم الاشتراكى وبالذات دول معـــاهدة حلف وارسو قد ابدت استعدادها بالفعل لأرسال جنود متطوعين للقتال مع جنود وشعب فيتنام الشمالية . وما برحت حكومة فيتنام الشمالية تدرس الأمر ولم تصل فيه الى قرار بعد .

● **وخامسها** : أن البيت الابيض الامريكى يواجه ـ عالميا وداخليا ـ ضغطا متزايدا بدرجة خطيرة لوقف العدوان ومنع اى تصعيد للحرب وسـحب القوات والامتناع عن ضرب فيتنام الشمالية بالقنابل ، وان هذا الضغط قد فجر ازمات سياسية واقتصادية واجتماعية يتسع نطاقها باستمرار داخل الولايات المتحده وداخل التحالف الغربى ككل . بحيث اصبحت أمريكا محاصرة عالميا بموجة عاتية من العـــداء لم يســبق لها مثيل فى التاريخ .

● **وسادسها** : ان جهاز الحرب الامريكى ـ رغم قوته ـ وبكل ما حشده من طاقات عسكرية هائلة فى فيتنام ـ بشريا وتكنيكيا ـ قد فشل فى ان يحرز اى نصر عسكرى او سياسى حتى الان . بل ان العكس هو الصحيح . فطاقة المقـــاومة فى شـــمال فيتنام وجنوبها تتضاعف وتكبد القوات الامريكية خسائر متزايدة باستمرار فى جسامتها . حتى لقد وصف بعض المراقبين الأمريكيين الوضع الراهن بأنه « **حرب لا قاع لها** » . وراح عدد منهم يتحدث بصراحة فى شك عن قدرة جهـــاز الحرب الامريكى وفقدانه لرصـــيد سمعته المعنوية فى « **تخويف الغير** » . وأخذ عدد آخر يخشى من ارتداد فشل الجيش الامريكى فى فيتنام الى نوع المغـــامرة الهستيرية ـ داخليـــا وعالميـــا ـ بحيث يورط الانسانية فى كارثة نووية . بل لقد تنبا بعض الســـياسيين والعلماء الامريكيين اذا ما استمر الوضع فى التردى على هذا النحو ان يقوم العسكريون المغامرون فى البنتاجون وادارة المخابرات بعملية انقلاب عسكرى فى امريكا . وذلك فى كتاب اصـــدروه بعنوان « **مجتمع الخوف** » .

ومن هنا فانى اميل الى الاعتقاد بأن « حالة فيتنام » هى ـ فى ارجح الاحتمالات ـ آخر حالة من نوعها فى تاريخ هذا القرن . او بتعبير أكثر تحديدا فى تاريخ الامبريالية . حيث تقدم فيه القوى الاستعمارية دفاعا عن مصالحها ـ الاخذة فى الانهيار امام زحف حركات الثورة الاشتراكية وثورة التحرر الوطنى التقدمية ـ الى اســتخدام جهاز حربها العدوانى بسفور وتحت علمها الصريح . والواقع انه ما لم تنجح الجهود الانســـانية العاملة اليوم على وقف العدوان والحرب فى فيتنام بأسرع وقت ممكن ، فهناك احتمـــال كبير فى وقوع الصدام المباشر خلال العام القادم على الأكثر بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى خاصة أو بين العالم الأمبريالى والعالم الاشتراكى بما فى ذلك الصين وكذلك القوى التحررية التقدمية عامة .

وبانتهاء العمليات العســـكرية فى فيتنام فانه يمـــكن القول ان المصـــالح الامبريالية التقليدية فى « **آسيا** » تكون قد صفيت بدرجة كبيرة ، بحيث لا يساوى الامر بعد ذلك ان

تخاطر القوى الامبريالية بأية مغامرات عدوانية جديدة فى هذه القارة . وخاصة بعد امتلاك الصين للسلاح النووى .

ولو استعرضنا خريطة العالم المعاصر بعد ذلك لامكننا ان نحدد ثلاث مناطق رئيسية مرشحة للعمل العدوانى الامبريالى . وهى افريقيا وملحقا بها منطقة الشرق الاوسط ، وامريكا اللاتينية ، ودول اوربا الاشتراكية بما فى ذلك المانيا الشرقية على وجه الخصوص .

ومن الواضح ان اية مغامرة عدوانية على دول اوربا الشرقية مستبعدة الان من الخطة الاستراتيجية للامبريالية العالمية وبالذات الامريكية .

فهذه الدول الاشتراكية تنتظم فى حلف دفاعى مشترك مع الاتحاد السوفيتى هو حلف وارسو . فضلا عن انهيار الحصار التقليدى الذى فرضته الامبريالية حول هذه الدول فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . فقد اخترقته علاقات متزايدة الاتساع والحجم مع دول اوربا الغربية ، اضطرت امريكا بعد ذلك الى بناء جسور اتصال وتبادل مع هذه الدول واحدة بعد اخرى . وخاصة بعد التمرد الفرنسى الصريح ، والاوربى الخفى بصفة عامة على التبعية الامريكية . حتى لقد شرعت بذور بناء موقف موحد لاوربا شرقا وغربا ، وبغض النظر عن الاختلاف فى النظم الاجتماعية والسياسية ، تنبت ثمارها بدرجات متفاوتة من النضج ، فى وجه « اوربا الغربية الاطلنطية » بزعامة امريكا .

واكثر من ذلك فان تجربة تصدير القوى الامبريالية ، للثورة المضادة الى المجر عام ١٩٥٦ قوبلت على الفور بتدخل عسكرى حاسم وسريع من الاتحاد السوفيتى .

وخرجت القوى الامبريالية من هذه التجربة ومن كل محاولات جس النبض للحركة المضادة فى المانيا الشرقية بدرس هام . وهو ان المغامرة بالعدوان على اى بلد من بلاد اوربا الشرقية يعنى الصدام العسكرى المباشر مع الاتحاد السوفيتى والانزلاق نحو الحرب النووية .

وهكذا يمكن القول ان اوربا الشرقية قد اصبحت — فى اطار سياسة التعايش السلمى — منطقة محرمة للعب بالنار . او على الاقل هى اليوم منطقة **«صدام باردة»** ، وبالتالى غدت مؤجلة فى الخطة الاستراتيجية الحالية للقوى الامبريالية . وأن كانت بعض الاصوات الامبريالية قد عادت للارتفاع من جديد بعد الحرب الاخيرة فى الشرق الاوسط تطالب باستخدام اسلوب حرب ٥ يونيو فى هذه المنطقة .

ويتبقى اذن بعد ذلك امريكا اللاتينية وافريقيا وما يجاورها من نتوء الشرق الاوسط ، مناطق مفتوحة للصدام الساخن .

وهذا حتمى . ففى هذه المناطق يتركز اليوم الاستغلال الاحتكارى العالمى للمواد الخام ورأس المال والايدى العاملة الرخيصة .

وفى هذه المناطق تتعاظم حركة التحرر الوطنى بآفاقها الاشتراكية مهددة المصالح الاحتكارية . وفى نفس الوقت فان النظم المنبثقة عن هذه الحركة — المتفاوتة فى طبيعتها التقدمية — ليست جزءا من المعسكر الاشتراكى مما يترتب عليه التزامات مباشرة . ولكنها مع ذلك جزء فعال من الحركة العالمية التقدمية المعادية للامبريالية . وفى هذا الاطار تلتقى وتتفاعل مع قوى المعسكر الاشتراكى وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

ومن خلال هذا اللقاء والتفاعل ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، امكن لعدد من ثورات التحرر الوطنى ان تتخطى هدف الاستقلال الشكلى التقليدى الى الاستقلال الاقتصادى واختيار الاشتراكية العلمية طريقا الى التطور . وان تنمى من اقتصادها الوطنى . وتتسلح — نسبيا — بالخبرات الفنية والتكنولوجية . وتبنى قواتها الدفاعية المسلحة .

وجسدت النظم وليدة هذه الحركات للتحرر الوطنى التقدمية ـ وخاصة فى المناطق الاستراتيجية ذات القدرة على الاشعاع البعيد المدى فى مجالاتها ـ الخطر العاجل والمحدق على القوى الامبريالية ومصالحها الاحتكارية وموازين علاقات القوى مع المعسكر الاشتراكى دوليا .

ومن هنا كان طبيعيا أن تركز القوى الامبريالية ضرباتها اليوم ضد هذه النظم بهدف تصفيتها وعزلها عن عملية التفاعل مع القوى الاشتراكية .

واستخدمت فى هذا المجال عديدا من الاساليب ، ابتداء من تفريخ المؤامرات الداخلية الى تصدير الثوره المضادة الى العدوان المسلح المباشر . منطلقة فى ذلك من وجود ثمة طبقات اجتماعية محلية ذات مصالح مشتركة مع الاستعمار ، ومن سلسلة قواعدها العسكرية التى اقامتها القوى الامبريالية فى هذه المناطق بهدف اساسى هو حصار الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية عسكريا فى البداية ولكن هذا الهدف تحول اخيرا الى ضرب النظم الوطنية التقدمية نفسها ، وذلك بعد ان فقدت هذه القواعد اهميتها الاستراتيجية ضد الاتحاد السوفيتى ، اثر التطور المذهل للاسلحة النووية ووسائل اطلاقها وحملها المتميزة ببعد المدى .

وتطور تكنيك القوى الامبريالية وبالذات الامريكية ـ منذ اواخر الخمسينيات ـ فى ضرب القوى الوطنية التقدمية ونظمها الثورية ، الى اتباع ما اسماه الجنرال ماكسويل تيلور « **بالحروب الاقليمية المحدودة** » . وهى تعنى تركيز قوة عسكرية ضخمة ذات سلاح تقليدى ـ اى غير نووى ـ ضد هدف اقليمى محدود فى ضربات سريعة بالغة العنف .

ومما يساعد على نجاح هذا التكنيك الامبريالى الجديد توافر القواعد العسكرية القريبة من المواقع المستهدفة ، والتطوير الكمى والنوعى للاسلحة التقليدية .

وهما امران ـ وخاصة الاول منهما ـ يفتقدهما المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى بالذات ، كحليف للقوى الوطنية التقدمية . حيث لا توجد لديه فى اية بقعة من العالم قواعد عسكرية . وحيث يتركز اهتمامه التسليحى اساسا على الاسلحة النووية دون الاسلحة التقليدية ، وذلك لفقدانها كل اهمية فى الحرب العالمية من ناحية ولعدم وجود اية مصالح او اهداف عدوانية اقليمية لديه من ناحية اخرى .

ومن هنا تتفوق القوى الامبريالية فى القدرة على الحركة العدوانية السريعة ذات التسليح التقليدى الجيد ، على القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى . خاصة وان هذه القوى الاخيرة بسبب ما تعانيه من تخلف لا تنتج محليا ما تحتاجه من اسلحة تقليدية متطورة للدفاع . وانما تعتمد فى ذلك على الاستيراد من الخارج ، وطاقتها فى ذلك محدودة بالقياس الى طاقة العدو الضخمة .

بيد انه رغم هذا التفوق فان العدوان السافر للقوى الامبريالية بقواتها ، لم يعد ممكنا فى كثير من الاحوال فى عصرنا اليوم بسبب ما يفجره على الفور من حركات مضادة عارمة فى العالم وفى داخل بلد العدوان ذاته . فضلا عن انه يفتح الابواب على مصراعيها سريعا لمد البلد الصغير المعتدى عليه بالمساعدات المادية والعسكرية والمتطوعين وخاصة من البلدان الاشتراكية لمقاومة عدوان البلد الكبير ، مما يضطر العدوان الى الانحسار والتراجع فاقدا سمعته فى « تخويف الغير » دوليا ، وخاسرا مصالحه فى منطقة الهدف التى غالبا ما تؤمم فى نفس الوقت .

ولعل ما يعانيه العدوان الامريكى السافر اليوم فى فيتنام ومن قبله العدوان الفرنسى ، وما عاناه العدوان الفرنسى البريطانى على مصر عام ١٩٥٦ دليل صارخ على هذه الحقيقة .

ومن الوعي بهذه الحقيقة ، شرعت القوى الامبريالية وبالذات الامريكية فى تطوير تكنيكها فى العدوان . **وذلك بتجنيد جهازحربها فى خدمة جهازحرب لدولة صغيرة عميلة .** بحيث تبدو العملية ، فى الظاهر حربا اقليمية محدودة بين دولتين صغيرتين او اكثر . فى حين تحرص دولة العدوان الكبرى على اعلان حيادها البرىء . وذلك لتقطع الطريق ــ دوليا ــ على اى تدخل مضاد وخاصة من الاتحاد السوفيتى .

وهذا هو ما بدات الولايات المتحدة الامريكية تجربته لاول مرة بشكل منظم فى حرب ٥ يونيه ١٩٦٧ ، التى شنتها تحت علم اسرائيل ضد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا وبقية البلاد العربية .

ويعتمد هذا التكنيك العدوانى الامبريالى الجديد على العوامل الاربعة الرئيسية الاتية :

- **تعمق العلاقات بين الامبريالية الامريكية ودولها العميلة بدرجة تفوق بمراحل نوعية وحدود العلاقات القائمة بين الاتحاد السوفيتى والدول الوطنية التقدمية الصديقة . فالعلاقة مثلا بين امريكا واسرائيل مختلفة جذريا عن العلاقة بين الاتحاد السوفيتى ومصر او سوريا .**

- **استحالة تطور الحروب الاقليمية المحدودة فى المرحلة الراهنة من العصر ، الى حرب نووية . وذلك بسبب حرص جميع الاطراف النووية فى العالم على تجنب هذه الكارثة باى ثمن . ولهذا فقد التهديد بالحرب النووية موضوعيا جدواه وفاعليته .**

- **تمتع الامبريالية ونظمها العميلة بمزايا استراتيجية عسكرية جوهرية لا يوجد مقابل لها لدى الدول الاشتراكية عامة والاتحاد السوفيتى خاصة ، وكذلك لدى القوى الوطنية التقدمية ونظمها الثورية . وفى مقدمتها القواعد العسكرية الجوية والبرية وقواعد الاساطيل واسلحة الضغط الاقتصادى .**

- **توسع القوى الامبريالية فى صناعة الاسلحة التقليدية وتطويرها سواء فى اوطانها الاصلية او فى البلاد التابعة لها بدرجة تفوق ما هو قائم فى البلاد الاشتراكية وبلاد التحرر الوطنى التقدمية التى تعتمد فى تسليحها اساسا على الاستيراد .**

ونستطيع ان نلمس بصمات هذه العوامل الاربعة الاساسية بوضوح فى تجربة العدوان الامبريالى الصهيونى تحت علم اسرائيل على البلاد العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ . فهناك التداخل الامريكى الاسرائيلى حربيا واقتصاديا وسياسيا . وهناك القواعد العسكرية والاساطيل واسلحة الضغط الاقتصادى . وهناك الكم الهائل والنوع المتطور من الاسلحة التقليدية المستخدمة ابتداء من الطائرات حتى قنابل النابالم الامريكية . وقد كشفت الاحداث بعد عدوان ٥ يونيو عن مدى التسليح السرى والعلنى لاسرائيل من المانيا الغربية وامريكا التى استخدمت بلك الاستيراد والتصدير كغطاء . كما كشفت الاحداث عن عمليات تصنيع واسعة محلية فى اسرائيل لاسلحة فرنسية والمانية غربية . وقد اعلن اخيرا عن قيام شركة « روكويل ــ ستاندرد » الامريكية ببيع مصنعها الخاص بصنع الطائرات النفاثة فى « اوكلاهوما » الى اسرائيل .

ويدل اتجاه الاحداث على رضاء الولايات المتحدة عن تجربة ٥ يونيو ١٩٦٧ . وبالتالى على نجاح تكنيكها الجديد فى العدوان المتخفى تحت اعلام الدول الصغيرة التابعة لها ، مما يقطع اننا على ابواب مرحلة جديدة يشيع خلالها استخدام هذا التكنيك على نطاق واسع فى افريقيا والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية على الاقل . وسوف لا تعدم القوى الامبريالية الوسائل المتعددة لخلق وافتعال اسباب الصراعات فى هذه المناطق بين الدول والقوى التابعة لها والمنفذة لخططها وبين الدول والقوى التقدمية ، مثل الصراع العربى الاسرائيلى بشأن قضية فلسطين ، والتوسع الاقليمى الصهيونى على حساب البلاد العربية ، ومثل منازعات الحدود بين البلاد وخاصة فى افريقيا .. الخ .

ومن هنا يصبح واجبا ملحا على كل من القوى الاشتراكية والقوى الوطنية التقدمية ان تسرع الى مواجهة هذا التكنيك العدوانى الجديد بتكنيك ثورى مضاد وفعال ، والا كان البديل لذلك هو ضرب وتصفية القوى الوطنية التقدمية من ناحية وتمهيد ارضية ملائمة لانتشار الاتجاهات المغامرة داخل هذه القوى من ناحية اخرى . الامر الذى قد يصفى فى النهاية سياسة التعايش السلمى ويدفع العالم الى كارثة الحرب النووية .

وفى رأينا ان مواجهة هذا التكنيك يجب ان تنطلق اليوم من الوعى بأن حقائق الوضع الراهن للعالم وقواه المتصارعة قد قربت المسافات ووحدت من المصالح المشتركة موضوعيا بين القوى الاشتراكية والقوى الوطنية التقدمية ذات الافاق الاشتراكية . بحيث غدت فى واقع الامر ــ وعلى الرغم من التمايز فى النظم السياسية والعلاقات الاجتماعية ــ قوة واحدة وذات مصير مشترك فى صراعها التاريخى والحتمى مع القوى الامبريالية .

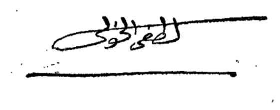
ويستلزم هذا بالضرورة ــ وازاء الشراسة العدوانية الحالية للاستعمار ــ وحدة فى العمل ضد العدو المشترك .

ويمكن ان نجسد وحدة العمل المطلوبة اليوم عمليا فى نقطتين رئيسيتين :

اولهما : ضرورة وضع وتنفيذ خطة متكاملة لتصنيع الاسلحة التقليدية وتطويرها محليا فى جميع البلدان الوطنية التقدمية بالاشتراك مع الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى . وذلك ابتداء من الطائرات المقاتلة حتى الدبابات والمدافع والقنابل . ويمكن حتى : تؤثر عمليات التصنيع الحربية على خطة التنمية الاقتصادية فى هذه البلاد ان تبنى المصانع بحيث يمكن ان تستخدم فى نفس الوقت للانتاجين المدنى والحربى . وذلك مثل المصانع التى يمكن ان تنتج موتورات السيارات والطائرات او الجرارات والدبابات .. الخ .

ثانيهما : بناء مراكز دفاع ثورية مشتركة اختيارية فى المواقع الاستراتيجية من البلدان الوطنية التقدمية تعمل فيها قوات مسترجة من البلدان الاشتراكية والوطنية التقدمية . وذلك لمواجهة القواعد العسكرية الاستعمارية المنتشرة فى كل مكان من العالم ، حيث تسيطر الامبريالية الامريكية وحدها على ٣٧ قاعدة منها . ان مثل هذه المراكز ــ التى تختلف جذريا عن القواعدالعسكرية بسبب العامل الاختيارى فى تكوينها، والمشاركة على اساس المساواة فى بنائها ، وسيادة الدولة القائمة فيها عليها ، والحرية الكاملة لها فى انهائها ــ من شأنها ان تكون درعا قويا ومسلحا بتكنولوجية حديثة لا تستطيع دولة وطنية صغيرة فى حدود زمن قصير نسبيا ان تحصل عليها بمفردها .

وبعد .. ان هذا التجسيد الواقعى لوحدة العمل بين البلاد الاشتراكية والبلاد الوطنية التقدمية ، يطرحه عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ للبحث الجاد المسئول كمهمة عاجلة لا تحتمل التأجيل فى هذه الظروف التى اخذت القوى الاستعمارية بالفعل تكسب بعض الجولات المؤقتة الهامة . صحيح انها لم تتمكن بعد من اعادة تغيير ميزان القوى لصالحها من جديد . ولكنا نخدع انفسنا اذا لم نعترف بأن خطر ذلك التغيير اصبح قائما ومحدقا بالفعل .





أفكار للمناقشة

نظرات فى الوضع الراهن

كان للنكسة اثرها فى توسيع اهتمامات الناس السياسية وانشغالها بالاوضاع التى احاطت بالازمة سواء على المستوى المحلى او العربى والعالمى ، فى محاولة للاسهام فى رأب الشرخ الذى نتج عنها ولمسته جماهير شعبنا من واقع خبرتها منذ اللحظات الاولى .

وكان محررو « الطليعة » ـ ككل المواطنين ـ دائمى النقاش حول أهم قضايا الساعة ، دار بينهم حوار طويل عن النكسة واسبابها ودروسها والسبيل الى التغلب على آثارها . وقد تمكنا من بلورة بعض الافكار التى برزت من خلال هذه المناقشات وكانت حصيلة لها وهي تشكل فى مجموعها محاولة اولى لفهم الوضع الراهن بما يحيط به من ملابسات فى النطاق المحلى والعربى والدولى.ورأينا ان ننشر هذه المحاولة باعتبارها من حق كل قراء « الطليعة » ، نطرحها للمناقشة ، ايمانا منا بان تبادل الرأى والحوار الجاد المسئول الذى يتم بطريقة موضوعية هو المنهج العلمى السليم لتكشف الواقع وسبر اغواره والتمهيد لتجاوزه .
وقد بدأنا بنشر بعض الاراء حول الوضع الدولى والعربى تمهيدا لمناقشة حول الاوضاع الداخلية نقدمها فى العدد القادم .

أ ـ عالميا

١ ـ انتصارات الشعوب

انتصارات حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات والبلاد التابعة : منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تجرى عملية تاريخية حاسمة ، هى احدى علامات عصرنا المميزة . ونقصد بها التصفية المستمرة وشبه الكاملة لنظام الحكم الاجنبى المباشر فى المستعمرات والبلدان التابعة . اى لهذه الظاهرة التى اصطلح على تسميتها بالاستعمار القديم .

لقد سقط الاستعمار القديم وتحرر مليار ونصف مليار من البشر ، واستقلت منذ انتهاء الحرب الثانية ٥٩ دولة ، ولم يبق تحت الحكم الاستعمارى المباشر سوى واحد ونصف فى المائة من الشعوب التى كانت تحت نير السيطرة الاستعمارية . ولم يبق للاستعمار القديم سوى

جيوب محدودة (امثلة — جنوب افريقيا — روديسيا — المستعمرات البرتغالية ..) .

واذا كانت الشعوب التى تحررت قد سلكت طرقا متعددة فى سبيل كسب استقلالها الوطنى ، فاستخدمت اساليب الكفاح المسلح تارة واساليب اكثر سلمية تارة اخرى ، فقد بات من المؤكد ان قوى الشعوب فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية كانت ولا تزال تهجم على طول جبهة عريضة لتدك صروح الامبراطوريات القديمة ، واوشكت ان تصفى الاستعمار القديم تصفية نهائية . وان الوطن العربى نفسه ليشهد هذه الايام تصفية واحدا من اهم جيوب الاستعمار القديم فى الوطن العربى ، بفضل النضال البطولى لثوار جنوب اليمن المحتل .

● **قيام وتوطد النظام الاشتراكى :** ورغم كل المحاولات التى بذلتها ولا تزال تبذلها الامبريالية لتصفية النظام الاشتراكى ، فان الوقائع تبرهن على ان النظام الاشتراكى انما يتوطد اكثر فأكثر بشكل عام وفى البلدان الاشتراكية فى مجموعها .

واذا كانت الامبرياليه الامريكية بما تملكه من وسائل الدمار الشامل ، قد ترددت فى استخدام السلاح النووى ضد البلدان الاشتراكية ، فهذا معناه انها تدرك ان الاتحاد السوفيتى قد حقق من التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، ومن اسباب التقدم العلمى والتكنولوجى ما يجعله فى مركز القوة والرد على الضربة بالضربة .

والواقع ان حصيلةالتطور فى السنوات الاخيرة تبين انه رغم كل الصعوبات الهائلة التى احاطت ببناء الاشتراكية فى غالبية بلدان شرق اوربا وآسيا ، فان هذه البلدان قد نجحت فى توطيد نظامها الاجتماعى والسياسي واخذت سيطرتها على قضايا التخطيط والادارة تزداد وتتأكد ، وذلك الى الحد الذى جعلها تفتح أوسع النوافذ ، وترفع شعار المباراة السلمية مع النظام الرأسمالى ، وتعلن انها حققت من التقدم فى رفع مستوى المعيشة ما يجعل المواطن الاوربى المتوسط (وهو الفريسة السهلة للدعايات الرأسمالية) ، يتقبل بحذر كل ما يذاع عن تدهور احوال المعيشة فى البلدان الاشتراكية .

● **اخفاق محاولات الضرب المباشر للدول الاشتراكية :** وامام انتصار الثورة فى الصين ، بادرت الامبريالية العالمية ، الى اتخاذ اجراءات « لردع » الحركة الثورية الاسيوية . فكان العدوان على كوريا الشمالية تحت علم هيئة الامم المتحدة . لكن هذا الاعتداء فشل فى تحقيق اهدافه . وبقيت كوريا الشمالية دولة تبنى الاشتراكية . ثم نظمت الامبريالية محاولة للثورة المضادة المسلحة فى المجر ، لكن هذه المحاولة اخفقت . وعادت المجر تتقدم فى طريق الاشتراكية مستفيدة من كل الاخطاء والثغرات فى عمل الحزب والدولة . وقبل ذلك كله حاولت الامبريالية ان تستفيد من العلاقات التى ساءت وتعقدت (على عهد ستالين) ، بين الاتحاد السوفيتى وبين يوجوسلافيا ، وسعت الى احتواء هذه الجمهورية الاشتراكية ، والى فصلها عن النظام الاشتراكى العالمى . غير ان يوجوسلافيا اختارت الاشتراكية . ثم كانت منذ سنوات قليلة المحاولات لضرب كوبا وانتهت الى الفشل والى بقاء كوبا عضوا فى اسرة البلدان الاشتراكية .

● **ظاهرة الدول الثورية فى العالم الثالث :** من ابرز ظواهر انتصارات الثورات الوطنية التحريرية التى اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية ، واعتمدت فى نجاحها على نضال العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، لم يكن من الممكن ان تقف عند حد الحصول على الاستقلال الشكلى. ففى كثير من بلاد العالم الثالث طرحت الشعوب مسألة القضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعى . لكن هذه الشعوب اكتشفت ان طريق التقدم ، انما هو طريق الكفاح من اجل الاستقلال الاقتصادى ، هو طريق تصفية النظم الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، وتأميم المصالح الاستعمارية ، والكفاح ضد محاولات الاستعمار الجديد ، العودة بأساليب واشكال متجددة . وفى غمار معارك مريرة وضارية من اجل بناء اقتصاد وطنى ، توصل اكثر من بلد الى ان الاشتراكية هى الحل الحتمى ، الذى يضمن القضاء على التخلف . من هنا بدأ عدد من هذه البلدان يتخذ فى مجال التنمية اجراءات عميقة تحقق التقدم الاجتماعى وتمهد الارض امام بناء الاشتراكية ، الامر الذى يعد ضربة قوية ومباشرة ضد النظام الرأسمالى العالمى .

● **حماية السلام العالمى وافشال محاولات الامبريالية اثارة حرب عالمية ثالثة :** ما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها حتى راح السلم العالمى يتعرض لاخطار متزايدة من جانب قوى الامبريالية العالمية . بل ان الولايات المتحدة تعمدت فى الايام الاخيرة من الحرب أن تستخدم القنبلة الذريه ضد اليابان ، بهدف ارهاب وترويع الاتحاد السوفيتى وقوى الديمقراطية والتحرر الوطنى فى كل مكان . ثم كان العدوان المسلح على كوريا ، وبعده جاء العدوان الثلاثى على مصر . واستمرت محاولة الاوساط المتطرفة فى امريكا واوربا الغربية لضرب قوى الشعوب عن طريق الاحلاف العسكرية العدوانية وفى مقدمتها حلف شمال الاطلنطى . واتيحت

مئات القواعد العسكرية .. لكن محاولة الاوساط العدوانية جر البشرية الى الحرب باءت بالفشل . ذلك ان نضال الشعوب من اجل الاشتراكية والديمقراطية والتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي قد تفجر بقوة لم يسبق لها مثيل ، وقطع الطريق على دعاة الحرب . ولم تعد امريكا تملك وحدها السلاح النووي .

في الوقت ذاته تجمعت قوى ضخمة على صعيد كل بلد على حدة ، وعلى الصعيد العالمي كله : قوى تختلف في الفكر والمذهب الاجتماعي والطبقة ، ولكنها تتفق على رفض العيش في ظل ما يسمى « بتوازن الرعب النووي » . وهكذا بزغت حركة جبارة تدافع عن السلام العالمي .

وقد ادى النضال الوطني التحريري من ناحية ، واصرار الدول الاشتراكية من ناحية اخرى على التمسك بسياسة التعايش السلمي الى احداث ثغرات خطيرة في جبهة الامبرياليين دعاة الحرب . ذلك ان الكفاح الوطني التحريري في الدول المستقلة حديثا ، قد ولد سياسة الحياد الايجابي في مقابل سياسة الارتباط « بالعالم الحر » . وهذا يفسر لنا لماذا تجمد وتفكك حلف كحلف السنتو (المعاهدة المركزية) . وبفضل كفاح الشعوب الاوربية يتعرض الان حلف الاطلنطي لازمة طاحنة . وتنهمع الان في اوربا عاصفة جماهيرية تضم الكاثوليك والشيوعيين والاشتراكيين والرأسماليين الوطنيين للمطالبة بعدم تجديد معاهدة حلف الاطلنطي ، التي سينتهي العمل بها عام ١٩٦٩ .

• • •

ان استقرار جميع الظواهر السابقة يدل بما لا يقبل الشك على ان جبهة الشعوب ماضية في توطيد انتصاراتها ضد الامبريالية العالمية . وان التقدم هو الخط العام الذي يحكم معركة الشعوب ، وذلك ايا كانت الهزائم المحلية او الانتكاسات المؤقتة ، وايا كان السلاح الذي يقعقع به تجار الحروب .

٢ — الهجوم المضاد الذي تقوم به الامبريالية

تميزت السنوات الثلاث الاخيرة بهذا الهجوم المضاد الذي نظمته وقادته على جبهة عريضة الولايات المتحدة الامريكية ، قائدة الامبريالية العالمية ، ضد البلدان الاشتراكية ، وضد الدول الثورية والحركات الوطنية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وعلينا ان نقرر ان الاوساط الرجعية والمتطرفة هي التي تستحوذ الان — اكثر فاكثر — على مقاليد الامور في السياسة الامريكية ، وهي التي تشيع العسكرية في جميع نواحي الحياة الامريكية . وهذه الاوساط تنسق اعمالها مع حكام المانيا الغربية المطالبين بالانتقام : حتى لقد اصبحت المانيا الغربية بفضل مساعدات الامبريالية الامريكية تملك في الغرب اقوى الجيوش الاوربية عدة وعددا ، واصبحت بالتالي خطرا داهما يهدد السلم في اوربا هناك ، حيث يقف المعسكران المتصارعان في مواجهة بعضهما البعض بكيفية مباشرة ويومية .

على ان هذا الهجوم المضاد انما يعكس الازمة العامة للنظام الراسمالي نفسه ، كما انه تعبير عن احتدام التناقضات بين الامبرياليين انفسهم : الامر الذي يدفع الاوساط العدوانية الى البحث عن مخرج للازمة ، وعن حلول للتناقضات في المغامرات العسكرية ، وفي الاتجاهات التوسعية . هكذا اصبحت حرب فيتنام التي يصعدها المعتدون الامريكيون اكبر خطر يهدد السلم العالمي . اما الاوساط الحاكمة في المانيا الغربية فلا تكف عن المطالبة بالعودة بالحدود الاوربية الى عام ١٩٣٧ . ولا تخفي استفزازها ونياتها في العدوان على المانيا الديمقراطية .

ولعل من الاهمية بمكان كبير ان نتبين اتجاهات هذا الهجوم الامبريالي المضاد والخطر وكيف يتمايز هدفا واسلوبا من مكان الى آخر ، اي من البلدان الاشتراكية ، الى بلدان العالم الثالث .

١ — فبالنسبة للاتحاد السوفيتي : برزت خلال السنوات الاخيرة الوقائع التالية :

- اتجاه الاتحاد السوفيتي الى السيطرة اكثر فاكثر على متطلبات الثورة العلمية والتكنولوجية .
- دعم القوة الدفاعية للاتحاد السوفيتي .
- انهيار « الحرب الباردة » واخفاق الدعايات الغربية حول « خطر الجيش السوفيتي ، الذي يهدد بغزو اوربا والانقضاض عليها » .

في مواجهة هذه الوقائع لم تجد الامبريالية بدا من التسليم — بشكل ما — بنوع من التعايش مع السوفييت . (وان ظلت اجهزة الحرب النفسية والدعايات الامبريالية المخططة ببراعة ، تحاول ان توهم الراي العام العالمي بان هذا التعايش يحمل في طياته نوعا من التواطؤ بين اكبر دولتين لاقتسام العالم) .

هذا عن الاتحاد السوفيتي .. لكن تكتيك الامبريالية يختلف مع ذلك في مواجهة بقية البلدان

الاشتراكية الاخرى . لانه لما كانت المواجهة المباشرة او الصراع العسكري يحملان في طياتهما اخطارا شديدة على الامبرياليين انفسهم ، فقد اتجهت كل من الولايات المتحدة والمانيا الاتحادية الى اتباع تكتيك جديد مع البلدان الاشتراكية في شرق اوربا . وهكذا اعلن مستر جونسون في اكتوبر ١٩٦٦ ، ان الولايات المتحدة تسعى الى بناء جسور الى شعوب شرق اوربا . وقد عدلت امريكا بالفعل عن مقاطعتها الاقتصادية لبلدان شرق اوربا ، وقدمت القروض لعدد منها . وعادت توطد صلاتها الثقافية معها .

غير ان بناء مثل هذه الجسور المزعومة كان هدفه في الواقع تعميق التجزئة والانقسام داخل البلدان الاشتراكية ذاتها ، وبين بعضها البعض . كما كان الهدف استغلال العلاقات السوية بين الدول للتسرب الى داخل الاقطار الاشتراكية لتخريب اقتصادها ، الامر الذي يمهد بالتالي لتقويض نظامها الاجتماعي .

وقد اعتمدت الولايات المتحدة في رسم هذا التكتيك على طائفة من العوامل في مقدمتها :

● التناقضات الطبيعية والصعاب الداخلية في كل بلد اشتراكي على حدة .

● التناقضات بين الدول الاشتراكية ، تلك التناقضات التي تجد اساسها الموضوعي في التفاوت الواضح في درجات النمو الاقتصادي والتركيب الطبقي للمجتمع . وتزداد هذه التناقضات احتداما تحت تأثير النزعات السوفيتية . وفيها يجد الاستعمار مادة لينفخ في لهيب حربه السيكولوجية الموجهة ضد شعوب هذه البلدان .

● وعلى الرغم من ان هذه البلدان تسترشد بنظرية واحدة ، هي الماركسية اللينينية ، الا ان الحركة الشيوعية العالمية لم تتمكن (حتى بعد ان تخلصت من السيطرة الكاملة لشخص ستالين) ، من ان تصل الى صيغة عملية تصون الوحدة فيما بينها ، من خلال تنوع المشكلات وتعدد الاراء وتحدد الاطار الذي يجري فيه الصراع الطبيعي والصحي بين الجمود العقائدي ، وبين التجديد الثوري .

ب ـ وبالنسبة للهجوم المضاد على بلدان العالم الثالث والدول الثورية فيه ـ بوجه خاص ـ فانه على الرغم من ان التناقض الرئيسي هو بين النظام الرأسمالي من ناحية والنظام الاشتراكي من ناحية اخرى ، على الرغم من ان الولايات المتحدة توجه استراتيجيتها في الاساس الى منع نمو وتوطد النظم الاشتراكية ، الا ان الامبريالية الامريكية قد ركزت ـ خلال السنوات الثلاث الاخيرة ـ نشاطاتها العدوانية السافرة ضد الجناح الاخر للحركة الثورية : ونعني به جناح الدول المستقلة والثورية . هنا ايضا تسلح الامبرياليون الامريكيون بنظرية جونسون التي تدعو **الى التدخل بالقوة العسكرية** في كل مكان من العالم تنهض فيه حركة ثورية او تتم تطورات لا تتفق مع اهداف امريكا .

ومن المعروف ان شعوب البلدان التي استقلت حديثا هي جزء لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية . ومن المعروف ايضا ان اي حركة تحرر وطني هي في الحقيقة وفي نهاية المطاف انتصار للاشتراكية . ذلك ان ثورة التحرر الوطني قد تجاوزت في عدد من البلدان المتحررة ابعاد الثورة الوطنية الديمقراطية ، ومضت تشق طريق الثورة الاجتماعية محققة الالتحام بين المرحلتين . غير ان هذا الالتحام لم يكن مع ذلك جديدا . فقد تحقق من قبل في كل الثورات الوطنية الديمقراطية ، التي قادتها بعض الاحزاب الشيوعية من (لينين الى ماو) . لكن الجديد هنا هو ان ظروف عالم اليوم جعلت هذا الالتحام ممكنا بدون قيادة بروليتارية . بل لقد تم احيانا تحت قيادات ثورية تنتمي الى البرجوازية الصغيرة الثورية . وهكذا اكتسبت تلك الدول الثورية وضعا خاصا . فهي ليست دولا اشتراكية ، وليست عضوا في معسكر البلدان الاشتراكية ، لكنها ايضا ـ في الوقت نفسه ـ ليست دولا رأسمالية تسير في طريق التطور الرأسمالي ، هذا الطريق المفضي بالضرورة الى التبعية للاستعمار . وليس من شك في ان هذه التجارب الجديدة قد اصبحت معقد آمال كبيرة . وكان الامل ـ ولا يزال ـ ان تتمكن الجماهير الشعبية في تلك الدول من ان تحل قضايا الصراع الطبقي لصالح الاشتراكية .

ويبدو ان الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة كانت ترى في نفس الرأي ، وكانت توجس خيفة من مصير هذه الحركات الثورية التي ينخرط فيها الفلاحون والعمال والمثقفون الثوريون في الدول التي استقلت حديثا . ولعل الامبريالية قد قسمت هذه الدول الى قسمين :

(أ) مجموعة الدول التي تخلصت من الاستعمار القديم ووقفت عند حد كسب الاستقلال السياسي .

(ب) مجموعة الدول الثورية التي اخذت تشق طريق التغييرات الاجتماعية العميقة .

فيما يتعلق بسياسة الامبريالية نحو المجموعة الاولى :

فقد واجهتها بأساليب الاستعمار الجديد لتخضعها سياسيا بطريق غير مباشر ، ثم لتربطها مباشرة برباط التبعية الاقتصادية حتى تبقيها جزءا لا يتجزأ من السوق الرأسمالية العالمية ، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية استخدم المستعمرون الجدد كل الوسائل من الحروب المحلية الى سياسة الكتل والاحلاف الى المؤامرات والضغط الاقتصادى والرشوة (لابد من ان نشير هنا — كأمثلة — الى الاحداث التي وقعت بين الهند وباكستان ، وبين اندونيسيا وماليزيا ، والى ما حدث بشكل خاص في القارة الافريقية في الكونجو وكينيا ونيجيريا (1) ... الخ) .

وبنجاح المستعمرين الجدد في تجميد او تصفية الثورة الوطنية الديمقراطية في عدد كبير من البلدان المستقلة حديثا ، تمكن هؤلاء المستعمرون الجدد ايضا من ان يمنعوا التحامها بالثورة الاجتماعية ، وبالتالي تمكنوا من ان يضربوا الثورة العالمية في اضعف حلقاتها .

لكن هذا كله قد مهد السبيل امام المستعمرين الجدد ليتقدموا بعد ذلك فيحاصروا الدول الثورية التي رفضت ان تبتلع طعم الاستعمار الجديد . وهكذا في خلال العامين السابقين نشط المستعمرون بكيفية محمومة الى اسقاط النظم التقدمية في اكثر من بلد من بلدان العالم الثالث . وكان سلاحهم الاساسي الانقلاب الداخلي (غانا) . وهددوا غينيا والجزائر . وكان اخطر اعمالهم العدوان السافر المسلح الذي نظموه مع كلب الحراسة اسرائيل لضرب النظم الثورية في الجمهورية العربية وفي سوريا ..

وحتى تكتمل ابعاد الخطر الذي يحيق بالدول الثورية لابد من الاشارة هنا الى ان هجوم الاستعمار عليها انما يساعد عليه ويغذيه حاليا عاملان هامان احدهما خارجي والاخر داخلي .

اما العامل الخارجي : فيتمثل في الانقسام العميق الذي اصاب وحدة الحركة الشيوعية (اساسا بين الاتحاد السوفيتي وبين الصين) .

واما العامل الداخلي : فيتمثل في هذه الظاهرة وهي ان الدول الثورية قد امكنها ان تحل بنجاح قضايا مرحلة التحرر السياسي . ولكنها عندما انتقلت الى حل قضايا مرحلة التحرر الاقتصادى واجهتها صعوبات خطيرة .. ولم يكن مصدر هذه الصعوبة ان العالم ينقسم الى دول غنية والى اخرى فقيرة . لان كثيرا من البلدان المتحررة تزخر بطاقات بشرية وثروات هائلة . ولكن مصدر الصعوبة هو ان هذه البلدان لم تتوصل حتى الان الى الكشف عن افضل الحلول للمشكلات التي تطرحها التنمية . وعلينا ان نضيف انها ايضا لم تكتشف افضل الحلول لقضية الديمقراطية : قضية تمكين الطبقات الثورية من السلطة .

وتحت تأثير هذه العوامل وغيرها كان التطور يتم ببطء شديد ، الامر الذي يفسر ضعف البناء الداخلي لهذه الدول ، ويجعلها هدفا مغريا لمؤامرات المستعمرين الجدد ونشاطاتهم العدوانية .

٣ — نقاط الضعف في المعسكر الامبريالي

ان عرض النشاط العدواني المسعور الذي تقوم به الامبريالية العالمية تحت قيادة الولايات المتحدة الامريكية ينبغي ان يوضع في اطاره الصحيح : اطار العصر الذي نعيش فيه ، عصر انتصار الشعوب، والسقوط الحتمي للاستعمار . لانه ايا كانت بشاعة الاعتداء الذي تتعرض له الدول المتحررة . وايا كانت مظاهرات القوة التي يقوم بها العدو الامبريالي فينبغي الا ننسى ان النظام الامبريالي برمته يوجد بشكل اساسي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في **موقف الدفاع عن النفس** ، ضد المد العظيم : مد حركة الثورة العالمية بجناحيها الوطني والاشتراكي .

فاذا صح ان الامبريالية بعد ذلك تقوم « بهجومها المضاد » فهذا الهجوم المضاد هو بالنسبة للامبرياليين **اسلوب دفاع** . ان العدوان الاجرامي على فيتنام الديمقراطية ان هو الا هجوم مضاد على حركة الشعب الفيتنامي التي هبت تصفى مواقع الاستعمار في فيتنام الجنوبية . والعدوان الصهيوني على البلاد العربية هو ايضا هجوم مضاد لوقف انتصارات مصر والجزائر وسوريا واليمن والعراق ومحاولة يائسة لمواجهة اندلاع الثورة في جنوب اليمن المحتل .

فالشعوب عندما تتحرك للرد على هجمات الامبرياليين وتستعيد قدرتها الهجومية فهي انما تتحرك تاريخيا وعمليا من مواقع القوة ، على الطريق الى انتصارات نهائية وحاسمة ، مهما تكلفت من تضحيات ومهما كانت النكسات المؤقتة .. ان كشف الحساب على مدى عشرين عاما

---

(1) يلاحظ هنا ان الاستعمار الامريكي ركز تركيزا خاصا على افريقيا . وقد عبر من ذلك الكاتب الامريكي جون جنتر في كتابه « داخل افريقيا » . قال : « ان اهميتها لا ترجع الى وضعها الاستراتيجي ومافيها من مواد خام وانما ايضا بسبب انها آخر حدودنا . ان القسم الاكبر من اسيا قد فقد . بقيت افريقيا . انها اكبر غنيمة على الكرة الارضية » .

او اكثر يدين كما عجز الامبرياليون تماما عن تقسيم القسمات الاساسية للحركة الثورية في العالم :

● لقد عجزوا عن تجميد ومحاصرة الاشتراكية او احتواء اي بلد اشتراكي .

ــ وعجــزوا عن وقف اندلاع ثورات التحرر الوطني .

ــ وعجــزوا عن محــاصرة وضرب الحركة الديمقراطية الجبــارة التى تعبــر عن نضــال الجماهير الكادحة في الدول الراسمالية ذاتها .

ــ وعجــزوا حتي الان عن جر البشرية الي مجزرة نووية . وعلى العكس من ذلك تدعم وتعزز نشاط المناضلين من اجل السلم .

ان هــذا كله يقودنا ، بالضرورة ، الي رؤية التناقضات التي تنهش المعسكر الامبريالي ، بل وتنهش الامبريالية الامريكية ذاتها .

فاذا كانت الامبريالية قد شددت هجومها على الدول المتحررة في السنوات القليلة الماضية ، فان هذه الفترة قد شهدت ايضا احتداما في الصراع بين الدول الامبرياليه بعضها والبعض . وعلي سبيل المثال تقوم فرنسا منذ مدة بحركة ايجابية تتزعم بها في اوربا حركة الانســلاخ عن النفوذ الامريكي . وفى داخل حلف « واشنطن ــ بون » تبرز تناقضــات مصدرها ان المانيا الغربية تريد ان تحتل المكانة الممتازة التى تحتلها ــ حاليا ــ الولايات المتحــدة في اوربا . لكن الســيــاسة الاقتصـــادية لكل من الولايات المتحــدة وبون سياسة التسلط الاقتصادي والمغامرات العسكرية تحفز الشعوب الاوربية واقساما من الراسمالية الوطنيــة ، بل وبعض العنــاصر الحــاكمة الي معارضة التسلط الاقتصادى على بلادهم والدفاع عن الكرامة الوطنية . وتزداد التناقضات بــين المانيا الغربية وبين فرنســا ، وبين فرنســـا وبين بريطانيا . وبوجه عام تتفاقم الازمة العامة للنظام الراسمالي وتتفشى النزاعات السيــاسية والاقتصادية والعسكرية بينهم . وليس ادل على عمق التناقضات من ان الولايات المتحدة عجزت عن ان تقنع بلدا اوربيا واحدا من اعضاء حلف الاطلنطى بالاشتراك معها في حرب فيتنام .

وهــذه التناقضــــات التي تمزق معســكر الاســتعمار تنهش في الوقت ذاته الامبرياليــة الامريكية . وليس سرا ان الراســمالية الامريكية اصبحت فريسة مشكلات حادة للغــاية (حرب فيتنــام ــ الزنوج ــ البطــالة ــ ازمة ميزان المدفوعات) . وليس ســرا ايضا ان العلاج الذى يصفه الاطباء الرأسماليون لهذه الامراض ، انما يفاقم من وطأة المرض : هذا العلاج الذى يتلخص في المزيد من التسلح والمزيد من اشاعة العسكرية في نظام الحكم ، والمزيد من العدو . على الحقوق الديمقراطية للكادحين ، والمزيد من تصعيد الحرب ، والبحث عن مغامرات جديدة ».

قضية الثورة التكنولوجية

تبقي بعد ذلك في الحديث عن نقاط الضعف في المعسكر الامبريالي ، كلمة عن « مصادر القوة » التي يستمدها الامبرياليون من الثورة العلميــة والتكنولوجية ويسخرونها لترويع الشعوب .

ان عصرنا الذي نعيش فيه هو ايضا عصر ثورة لم يسبق لها مثيل في العلم والتكنولوجيا ، حيث يجرى تقدم مذهل في مجالات الطاقة الذرية وغزو الفضاء والكيمياء والالكترونات . الا ان التقدم الحادث في مجال «الاليه» (آتوميشين) هو الذى يمثل جوهر الثورة العلمية والتكنولوجية لان الادوات والاجهزة (العقول والالات الحاسبة) هي التى تحقق المكننة العالية وتقوم بتشــغيل المصانع والرقابة على العمل واداء الاعمال التى يعجز الانسان من ادائها .

ولقد شرعت بعض البلدان الراسمالية الكبرى وبالذات الولايات المتحدة الامريكية في استخدام « الاتوميشين » في اواخر ايام الحرب العــالمية الثانية . وحققت بعض هذه الدول تقدما لا شك فيه . وعرفت هــذه البلاد نوعــا من الازدهار الاقتصادى في اوائل الستينات . الا ان هــذا الازدهار لا يعزى الي استفادة الدول الامبريالية من نتائج الثورة التكنولوجية بقــدر ما يعزى في الواقع الى عاملين رئيسيين :

اولهما : الزيادة البالغة في التركز الرأسمالى ــ خصوصا في الولايات المتحدة والمانيا الغربية .

وثانيهمــا : تخلى الامبرياليين عن اســاليب الاستعمار القديم الباهظة التكاليف واصطناعهم لاساليب الاستعمار الجديد المربحة .

ثالثا : وعى الامبرياليين بخطــورة منجزات العلم والتكنولوجيــا وحرصــهم على منافســة المعسكر الاشتراكي وعدم التخلف عنه .

فالتقــدم العــلمى والتكنولوجيــا في البلاد الامبريالية يمكن ان يعد الى حد ما ثمرة من ثمار الثراء الفاحش في ايدى الاحتكارات العــالمية . والدليل على ذلك انه عندما بدأ ينحسر الازدهار

الاقتصادي الذي عرفته بلاد الغرب الاستعماري في اوائل الستينات وضح بجلاء ان الثورة العلمية والتكنولوجية لاتستطيع ان تنقذ النظام الرأسمالي من ازمته العامة الحادة ، ولا تستطيع بالتالي ان تقدم اى حل جذرى للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية الحادة التي تأخذ بخناق مجتمع كالمجتمع الامريكي . ان هذا معناه ان مستقبل اى تطور علمي وتكنولوجي مرهون في نهاية الامر بالعلاقات القائمة في المجتمع بين قوى الانتاج ، وهي في المجتمع الرأسمالي قائمة بين رأس المال والعمل . اى على اساس تحقيق اقصى ربح بأقصى استغلال للعمال . وهذا وحده يحدد وسيحدد حتما من تقدم الاتوميشن في البلدان الرأسمالية . يضاف الى ذلك ان منجزات العلم والتكنولوجيا تسخر هناك في الاساس لا لزيادة الانتاجية ولا لتحقيق الرفاهية للشعوب ، بل لخدمة الاغراض العسكرية ، اغراض الحرب والدمار .

إذن فقوة الامبريالية المستمدة من التقدم العلمي والتكنولوجيا ليست مطلقة : بمعنى ان استخدامها ضد الشعوب لا يمكن بحال أن يجهض كفاح البشريةالتقدمية ضد الاستعمار والاستغلال بكافة صورهما .

٤ — النتائج المستخلصة في مواجهة العدوان

اذا كان الوضع العالمي كما راينا معقدا او مليئا التناقضات فان دواعي الوضوح تضع ايدينا على سمتين رئيسيتينمتناقضتين في هذا الوضع:

● **السمة الاولى :** هي ان ميزان القوى هو بالقطع — على الصعيد العالمي — في مصلحة قوى السلام والاشتراكية والديمقراطية والتحرر الوطني . وان هذه القوى في مجموعها وفي مسيرتها العامة توطد مراكزها وتنتقل — بشكل عام — من موقع الى موقع اكثر تقدما .

● **السمة الثانية :** هي ان الامبريالية العالمية لم تزدد قوة ولكنها **ازدادت عدوانية** في السنوات الاخيرة . وانها باتت تنهج في علاقاتها مع البلدان المتحررة والبلدان الاشتراكية «نهجا» يهدد بحرب عالمية ثالثة . ان حرب فيتنام ، والمواجهة بين المعسكرين في اوربا ، وحرب الشرق الاوسط قد زادت من احتمالات تفجر صراع على النطاق العالمي .

من هاتين الظاهرتين نستنتج :

انه في امكان قوى الشعوب ان تكبح جماح المعتدى وتمنع قيام حرب عالمية مدمرة ولكن بشرط :

أ — ان تميز الشعوب الخطر في الوقت المناسب .

ب — وان تسارع الى صد كل محاولة للعدوان حتى لا تتحول هذه المحاولة الى مغامرة او الى حرب نووية .

ج — وان يكون النضال ضد الامبريالية عملا نقوم به الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة في الثورة : عمل للفلاحين من اجل الارض وللعمال وللمثقفين من اجل حياة افضل .

وان تطبيق ما تقدم على الموقف الناشيء من العدوان الصهيوني الاستعماري على الوطن العربي يتطلب :

١ — ان يثق الشعب العربي في قدرته على صد العدوان الامبريالي الصهيوني ودحره معتمدا على قوته وتضامننا في الوقت نفسه بالضرورة مع قوى الاشتراكية والسلام والتحرر في العالم اجمع .

٢ — ان تعي الجماهير الشعبية في بلادنا وان تنظم على اساس ان العدوان الواقع ، انما يتهدد الفلاحين في ارضهم والعمال في مكاسبهم وكل قوى الشعب الكادحة في حياتها المادية والثقافية . وان المعركة بعد هذا كله ليست هينة ولا لينة لان العدو لن يرضى بأقل من ضرب النظام الثورى في البلاد .

٣ — ان حماية السلام العالمي هو واجب الشعوب المقدس ، والشرط المطلق لتحقيق التقدم . وهذا يحتم على جميع القوى الثورية في العالم ان تضع قضية التكاتف على صد العدوان الموجه ضد مصر وسوريا في الوضعالذى يتناسب مع خطورة الضربة الموجهة الى البلدان العربية ، وذلك من حيث ان التراجع امام هذه الضربة وقبول الامر الواقع سوف يسكر الامبريالية الامريكية ويحفزها على القيام بمغامرات اشد خطرا قد تصبح معها الحرب العالمية امرا لا مفر منه . « ليس من قبيل الصدفة انه بعد الغزو الاسرائيلي ارتفعت اصوات الامبرياليين في المانيا الغربية تطالب بضربة مماثلة ضد المانيا الديمقراطية » .

٤ — **واخيرا فاننا في مواجهة العدوان نجد** لزاما ان نتقدم بالدعوة الى تجاوز الحساسيات ومواجهة الموقف على اساس المصلحة المشتركة للوطن العربي وللبلدان الاشتراكية . ان العدوان يفرض تجاوز الدبلوماسية الى ضرورة المناقشة الصريحة بين

الثوريين لتحديد الشروط الداخلية والخارجية لتحقيق النصر . ان مثل هذه المناقشات يمكن — فيما لو تمت — ان تثرى الحركة الثورية العامة ، وأن تفسد كل محاولة تبذلها الامبريالية لعزل البلاد العربية عن البلدان الاشتراكية . بل ربما قدمت اسلوبا جديدا للتعايش السلمى ، ومهدت لحد ادنى من الوحدة داخل الحركة الثورية العالمية ، الامر الذى يساعد بدوره على دعم الوحدة بين البلدان الاشتراكية ذاتها ، ويدلل مرة اخرى على ان البلدان المتحررة تستطيع دائما ان تلعب دورا ايجابيا وصحيا فى العلاقات الدولية .

ب - عربيا

١ — الوضع عشية العدوان : لقد اصبح ثابتا ان الاستعمار العالمى يدفع باسرائيل الى العدوان فى كل مرحلة تحرز فيها الحركة القومية العربية تقدما ملحوظا ، ومراجعة الاوضاع الثورية فى الوطن العربى قبيل العدوان الاخير تؤكد هذا المعنى ، فهى تظهر بين ما تظهر من ظواهر ايجابية :

● اتجاه الاوضاع نحو الاستقرار فى اليمن الجمهورى فى حين تحرز ثورة التحرر الوطنى فى الجنوب المحتل النصر تلو النصر فى طريق تصفية الواقع الاستعمارى فى هذا الجزء من الوطن العربى الذى يشرف على المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ويتاخم الخليج العربى اغنى مناطق البترول فى العالم .

● تأكد المحتوى الاجتماعى المتقدم للقومية العربية باعتبارها حركة تحرر وطنى وتقدم اجتماعى ووحدة قومية .

● ظهور مجموعة من الدول العربية ذات النظم التقدمية ، والتقارب المتزايد بين تلك الدول .

● تطور اسلوب معالجة قضية الوحدة بالتركيز على التحرر والاشتراكية كأساسين للتوحيد وبدء اللقاءات الواسعة بين القوى التقدمية فى الوطن العربى .

● تعاظم دور الجماهير الشعبية وبصفة خاصة الطبقة العاملة التى نمت ، لا حيث يجرى التصنيع فحسب ، بل حتى فى الدول العربية غير الصناعية حيث تنتشر حقول البترول .

ولكن هذا الجانب الايجابى الواضح لاينبغى ان يجعلنا نغفل بعض الظواهر السلبية التى عرفتها البلاد العربية فى نفس الفترة . فهناك **اولا اتجاهات انعزالية واضحة ظهرت** فى عدد من الدول العربية ، حتى فى اكثرها تقدما ، وهناك **ثانيا** دور البورجوازية الصغيرة الغالب فكريا وقياديا وما يترتب عليه من اتجاهات غير علمية وغير واقعية ، ولكن الامر المؤكد هو وضوح حقيقة القومية العربية حتى فى نظر الغرب الذى ظل امدا بعيدا يروج لفكرة انه لا جامع بين العرب الا العداء لاسرائيل ... الخ .

٢ — نتائج العدوان : لم ينجح العدوان فى تحقيق هدفه الاساسى ، وهو الاطاحة بالنظم التقدمية فى الدول العربية ، بل انه يمكن ان نقول انه قد ترتبت عليه **آثار ايجابية هامة** نذكر منها :

● انفضاح دور امريكا خلف اسرائيل ، وتبدد الصوره التى طالما لقيت رواجا فى بعض الاوساط عن ان النفوذ الصهيونى هو الذى يجعل الولايات المتحدة تنحاز لاسرائيل ضد العرب ، لقد كشف العدوان الاخير عن حقيقة ان امريكا هى العدو ، فهى باعتباره قائدة الاستعمار العالمى ، وكذلك بما لها من مصالح استعمارية ضخمة فى الوطن العربى وبصفة خاصة البترول ، تعمل على ضرب الحركة القومية العربية وتصفية الثورة العربية ، واسرائيل قاعدة عدوانية امامية تمولها امريكا وتسلحها وتدفعها ضد البلاد العربية مستغلة العنصرية الصهيونية والعقلية الاستعمارية للمستوطنين الاسرائيليين .

● تعاظم الحركة الثورية للشعوب العربية تلك الحركة التى بلغت ذروتها اثناء القتال وفرضت مواقف التضامن والوحدة على جميع الدول العربية .

● تقدم الاوضاع الثورية فى بعض البلاد العربية التى اتخذت فى اطار مواجهة العدوان اجراءات تحرر سياسى واقتصادى ازاء الاستعمار ، وخير مثال على ذلك السودان والعراق .

● بروز دور الجماهير العربية وبصفة خاصة العمال العرب وفى مقدمتهم عمال البترول والموانى .

ولكن النكسة العسكرية كان لابد وان تخلق **بعض الظواهر السلبية** لعل من ابرزها :

● محاولة الاستعمار والدوائر الرجعية تحميل النظم التقدمية والدعوة الاشتراكية مسئولية النكسة والعمل على استغلال هزيمة ١٩٦٧ فى تصفية النظم التقدمية كما ادت هزيمة ١٩٤٨ الى تصفية الكثير من النظم الرجعية .

● انكشاف بعض نواحي الضعف في البناء الداخلي للدول التقدمية وسعي الاستعمار والرجعية لاستغلال ذلك بالمؤامرة والانقلاب والضغط الخارجي .

ومهما يكن من امر فان تصفية العدوان الاخير وآثاره قد اصبحت المشكلة الرئيسية للثورة العربية ، بحيث يتوقف مصيرها كله علي مدي النجاح داخليا وعربيا وعالميا في معالجة تلك القضية ، وهذا العدوان قد عبأ الشعور الوطني في كافة البلاد العربية ودعم النضال ضد الاستعمار ، ولذلك فلابد من تحقيق اوسع جبهة عربية حول « برنامج ادنى » لمواجهة العدوان ، ولكن هذه الجبهة لا تقيد حق الدول التقدمية في التعاون علي برنامج اقصى ، فرفض اي شيء يمكن ان تقدمه حكومة عربية موقف يساري مدمر ، كما ان القنوع بهذا الحد الادنى تسليم بقيادة المعركة لاقل أطرافها استعدادا للنضال والتضحية .

٣ ـ الموقف الواضح من قضية شعب فلسطين : واول ضمان لتحقيق اي هدف وطني او ثوري هو تحديد هذا الهدف ، لقد ربط العدوان بين قضيتين : قضية حقوق شعب فلسطين من ناحية ، وقضية تحرير المناطق التي احتلتها اسرائيل اثناء العدوان من ناحية اخرى ، ويجب الا تصرفنا القضية الثانية عن القضية الاولى ، فمشكلة فلسطين والوجود الاسرائيلي هي المحور الاصلي للقضية كلها، وهي تحمل في ثناياها دائما احتمالات تجدد العدوان .

ومن ثم يتعين علينا ان نتبنى فكرا واضحا فيما يتعلق بطبيعة اسرائيل ودورها وموقفنا منها حالا ومستقبلا، وفيما يتعلق بالشعب العربي الفلسطيني وحقوقه ودوره ، وفيما يتعلق بتحرير المناطق المحتلة .

أ ـ اسرائيل : اننا نعتقد ان اسرائيل كدولة قاعدة استعمارية عدوانية خلقها الاستعمار خلقا في قلب الوطن العربي لتكون خنجرا موجها باستمرار الى قلب الثورة العربية ، وهذا الفهم يتضمن :

● ان اسرائيل ليست امة ، ليست قومية تصطدم مع القومية العربية ، كما يمكن ان يحدث بين الهند وباكستان ، وذلك ان اليهودية ليست الا دينا كالاسلام والمسيحية ، وكل ادعاء بأن اليهودية دين وقومية ليست الا دعوة عنصرية لاسند لها من الواقع والتاريخ ، وتلتقي بدعوات النازية والفاشية، وهذا بالدقة ما تفعله الصهيونية، وهذا بالدقة مايتعين علينا ان نتجنبه وان نميز تمييزا واضحا بين اليهود والصهيونية والوجود العدواني الاسرائيلي ، ولابد من التنبه هنا الي الفكرة الرائجة في بعض الاوساط اليسارية في اوروبا والقائلة بأنه لاتوجد امة يهودية ولكن ثمة امة اسرائيلية قد تكونت في اسرائيل ، والرد علي هذه الفكرة ينحصر في ان ثمة عوامل اساسية تحول دون تكون امة في اسرائيل رغم التعايش علي ارضها منها : اصرار الصهيونية علي عدم التمييز بين الاسرائيلي واليهودي بصفة عامة ، وبقاء التمايز الثقافي والحضاري بين الاسرائيليين علي حسب البلاد التي وفدوا منها ، واعتماد الاقتصاد الاسرائيلي بشكل اساسي علي المعونة الخارجية ، ولا يطعن في هذه الحقيقة وجود مظاهر صراع طبقي داخل اسرائيل ، فقد كان هناك صراع طبقي بين المستوطنين الاوروبيين في الجزائر ومع ذلك فلم يكونوا امة،كذلك لايحتج بنشأة جيل ولد في اسرائيل ، فقد ولد في الجزائر من المستوطنين اجيال متعاقبة ومع ذلك ظلوا علي ارتباطهم بأوروبا .

ان حقيقة الوضع في اسرائيل هي انها ظاهرة استيطان استعماري اوروبي ، والسيطرة داخل اسرائيل بين اليهود النازحين من اوروبا المرتبطين حضاريا بالغرب الذين يعدون انفسهم جزءا لا يتجزأ من الحضارة الراسمالية الغربية، وهم يستخدمون النعرة الدينية والعنصرية لاجتذاب اليهود الشرقيين واستغلالهم ، ومن واقع هذا الارتباط العضوي بالغرب ، مضافا الي الارتباط الاقتصادي ؛ لا يتصور هؤلاء الصهاينة علاقة بالبلاد العربية غير علاقة السيطرة والاستغلال ، وهم بسببهم الحثيث لجذب المهاجرين يفتعلون ضغطا سكانيا علي ارض فقيرة يستخدمونه مبررا للتوسع الاقليمي على حساب البلاد العربية ، وهم حين يتحدثون عن الصلح مع العرب يحلمون بان تكون اسرائيل « كونتوار » تجاري وصناعي للراسمالية الغربية تنفذ منه الي البلاد العربية وتدفع له العمولة ، والاستعمار يؤيد اسرائيل ويساعدها سياسيا واقتصاديا وعسكريا لانها اداة بطش بقوى التحرر والتقدم العربيه ، وكلب حراسه لصالحه الاستعمارية ، « وترمومتر سيكولوجي » لحسابه في القارات الثلاث ، لكل هذا كان وجود دولة اسرائيل خطرا مستمرا ومتجددا ضد البلاد العربية ، ولكن يجب ان يكون واضحا ان هذا الخطر مرتبط بوجود الاستعمار في المنطقة العربية، وان اسرائيل هي اكثر مواقعه مناعة ، وان علينا ان ندرك ان تصفية الوجود الاسرائيلى جزء من تصفية الوجود الاستعماري ، وانها بالتالي معركة طويلة ، واذا كنا نرفض في اصرار الاعتراف باسرائيل فليس معنى ذلك بالضرورة الدخول في حرب معها ، فالصين تعتبر فورموزا جزءا من اراضيها ومع ذلك فهي لا تحارب من اجل ضمها، وانما علينا أن نحكم الحصار الاقتصادي حولها لتظل دائما جسما غريبا معزولا وقاعدة اجنبية مآلها

الى التصفية ولو بعد حين ، كذلك يجب ان نوضح للعالم اجمع ان تصفية وجود اسرائيل كدولة لايعنى بحال ابادة سكانها من اليهود اوطردهم بالجملة.

ب ــ الشعب العربي الفلسطيني : يجب الا ننسى لحظة واحدة ان مشكلة فلسطين هى فى الاصل مشكلة تحرر وطنى قائمة بين عرب فلسطين المطرودين من ديارهم وبين النازحين الاوروبيين ، ودور الدول العربية فيها هو فى المقام الاول دور مساندة الشعب الفلسطيني الشقيق ، وهذا يقتضى :

● العمل على توحيد حركات المقاومة الفلسطينية فى جبهة للتحرر الوطنى ذات قيادة جادة تتمتع بثقة الاغلبية وتستطيع ان تقود نضالا شاقا وطويلا كنضال شعب الجزائر او شعب فيتنام .

● التركيز على مطالبة الامم المتحدة بتنفيذ كافة قراراتها وبخاصة عودة اللاجئين بل وقرار التقسيم الاصلى ذاته ، باعتباره خطوة اكثر تقدما على الطريق فى اتجاه حل المشكلة فى المدى الاستراتيجى البعيد ، فعدم الاعتراف باسرائيل لا ينبغى ان ينتهى فى العمل الى عدم التمسك بما فى قرارات الامم المتحدة من امور تحمي بقية من حقوق العرب .

● العمل على وجود دولة فلسطين العربية المستقلة لكى تجد حركة المقاومة الفلسطينية قاعدة لها متميزة عن الدول العربية المجاورة .

ج ــ تحرير المناطق المحتلة : لا شك ان المعركة تعتمد بصورة اساسية على الظروف الخاصة بكل من الدول التى اصابها العدوان ولكن ثمة تسمات مشتركة للنضال التحررى لابد من الاشارة اليها :

● ضرورة استنفاد كل وسائل النضال السياسى والاقتصادى قبل الاحتكام للسلاح ، حيث ان استنفاذ القتال فى الاجل القصير وقبل دعم الجبهات الداخلية الى ابعد الحدود ليس افضل الظروف بالنسبة للعرب .

● ولكن لابد من ان ندرك ادراكا عميقا ان القتال يمكن فى اى لحظة ان يصبح امرا لا مفر منه ، وانه حتى لنجاح الحلول السياسية لابد من الاستعداد للقتال ، فثمة فرق شاسع بين حق اعزل ، وبين حق تسانده القوة والاصرار على خوض نضال عسكرى عنيف ومشرف وطويل .

● القتال ضد اسرائيل والامبريالية لايمكن ان يكون حربا نظامية خالصة بل لابد من الاعتماد فيه على مختلف اشكال الحرب غير النظامية والتنسيق بين المقاومة داخل المناطق المحتلة وبين اعمال الفدائيين وبين الاعمال العسكرية التقليدية ، كما ان احتمالات الموقف فى حالة تجدد القتال لايمكن حصرها ، وبالتالى لابد من الاستعداد الكامل للحرب الشعبية فى كل المناطق التى يمكن ان تصل اليها قوات معادية .





سؤال الوقت : كيف ؟

لا شك أن جماهير شعبنا العامل لديها الحد الادنى والضرورى من الوضوح الفكرى عن أهداف الثورة ومراميها ، فقد توحدت حولها وتبنتها وناضلت من أجلها دائما بصلابة وعزم بلغت ذروتها فى ٩ ــ ١٠ يونيو .. الاهم من ذلك هو الوضوح الفكرى حول منهج واسلوب العمل النضالى لتحقيق هذه الاهداف . ومن هنا فان سؤال الوقت الذى يتردد على أوسع نطاق هو .. كيف ؟ وقد ازداد هذا السؤال الحاحا بعد عدوان ٥ يونيو الذى تسبب فى شرخ كشف عن تناقضات تعتمل داخل النظام واساليب فى العمل لا بد أن تراجع ومؤسسات برزت الحاجة الى اعادة بنائها على أسس جديدة ، وعلاقات اجتماعية يجب اعادة صياغتها جذريا تدعيما لسلطة قوى الشعب العاملة وضمانا لقيادة اكثر هذه القوى ثورية التى تعتبر بحق الولاء الذى يختزن الطاقات الثورية الاصيلة .. العمال والفلاحين .

وقد ركزت الطليعة فى دراستها على محاولة الاجابة على هذه التساؤلات ، فيما يتعلق بالموقف من العدو العام والعدو الخاص واسلوب العمل الداخلى ، اسهاما منها فى بلورة وحدة الفكر الثورى حول مسائل تاتى فى مقدمة الضمانات لتصفية آثار العدوان ، ومواصلة مسيرتنا الثورية لبناء الاشتراكية ، .. وهى آراء نطرحها للمناقشة بهدف تعميقها ، كما سنواصل العمل على القاء بعض الاضواء على جوانب أخرى من المشكلات التى تواجهنا كالموقف من الاصدقاء والحلفاء والعمل على النطاق العربى فى الحقل القومى وقضايا السلطة وبناء الحزب وغيرها من قضايا الساعة .



٩ يونيو يعنى استمرار الثورة الاشتراكية

د. محمد العفيفى

منذ اليوم الأول لنشأة الانسان وتاريخ الانسانية يكشف دائما ابدا عن ظاهرة هامة لاتغيب الا عن صاحب هدف فى ان تغيب او صاحب غفلة ؟ هذه الظاهرة هى انه خلال اقسى الفترات التى تمر بنضال شعب من الشعوب وحينما يحيط الظلام المميت بكل شىء ، وحينما تبدو كل السبل وكأنما تقطعت جميعا ، وكل الطرق وكأنما سدت جميعا ، وحينما يتصور البعض عن عمد او عن عجز او عن فقر فى الوعى ان ساعة الفناء قد حلت ، اذ بالظلام وقد تبدد فجأة وكأنما هتك ستاره سيف قاطع بتار ، واذ بالطريق تتضح معالمه وكأنما لم تطمس ابدا . وكأنما برق خاطف شديد الوهج قد غمر الجميع بضوء لاذع ...

وفى يوم الجمعة الموافق التاسع من يونيو عام ١٩٦٧ ، وفى الساعة الثامنة والنصف مساء على وجه التحديد حدثت هذه الظاهرة فى تاريخ نضال الشعب المصرى .. كان نضال الشعب تواجهه نكسة كأشد ما تكون النكسات .. كانت كل السبل تبدو وكأنما قد تقطعت جميعا ، وكل الطرق تبدو وكأنما سدت جميعا ... وكان قائد النضال الذى حدثت على يديه من قبل نفس الظاهرة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يعلن فى تصميم تنحيه عن القيادة — وفى نفس اللحظة التى انتهى فيها القائد من اعلان نيته ... وبرغم الاظلام وبرغم الغارة .. بل وبرغم انتظار البعض للتعليمات ! .. تفجرت الظاهرة فى قوة هزت ارجاء العالم اجمع .. لم تتفجر فى القاهرة والمدن فحسب ، ولا فى قرى مصر فحسب ، ولا فى جميع انحاء الوطن العربى فحسب ، بل امتدت ايضا الى آسيا وافريقيا واوروبا ...

ان الذى حدث فى تلك الليلة برق شديد الوهج لذع بضوئه كل من فى صالحه ان لا يرى وكل من فى صالحه ان يرى ولكن يعجزه عن الرؤيا ضعف فى قوة ابصاره ، وبرغم انه كان فى نفس الوقت برقا خاطفا لم يستمر سوى ساعات ، والساعات فى تاريخ الشعوب لا تعد حتى ولا باجزاء من الثانية ، الا انه هو وحده الذى يحدد فى وضوح معالم الطريق امام نضالنا الشعبى لو اننا اسرعنا فاستخلصنا الدروس التى قدمها الينا ، والا اصبح مجرد برق خطف ابصارنا بعض الوقت ثم تركنا مشدوهين .

وإذا اخذنا في دراستنا لما حدث ليلة ٩ يونيو بأسلوب طرح الاسئلة ومحاولة الاجابة عليها لكان اول سؤال يطرح :

من الذى خرج ليلة ٩ يونيو ؟

من اى الفئات كانت تلك الملايين التى ظلت طوال الليل وحتى ظهر اليوم التالى ساهرة لا تنام ولم ينقطع لها هتاف في كل مدن الجمهورية وقراها الا بعد ان سمعت رئيس مجلس الامة يتلو بيان الرئيس الذى يعلن فيه نزوله على رغبة الملايين التى هى بالنسبة اليه امر ، ودعوته اياهم ان يعود كل منهم الى موقع عمله ؟ ... لم تكن تلك الملايين من اعضاء « جمعية عنهم » الذين سارعوا في اليوم التالى وقد ارتاحوا وشبعوا نوما الى التأييد عن طريق الاعلان .. ولم يكونوا من اصحاب اللافتات التى حرص بعض افراد الرأسمالية الوطنية على ان يزين بها شوارع العاصمة قبل المعركة .. ولم يكونوا من الجهابذة الذين يدعون العلم بكل شىء والذين يتصورون انه لولاهم لتوقفت الحياة على ارضنا الطيبة ، فهم اهل العلم ، والملايين في جهالة ، وهم اهل الحكمة ، والملايين في غفلة .. ولهذا كان واجبا على الملايين ان تخلى لهم ولاولادهم معهم ومن بعدهم مكان الصدارة بكل ما للصدارة من جاه ومال ونفوذ والا كانوا مقصرين في حق انفسهم ووطنهم .. ولم يكونوا من وجهاء الريف و « ابناء الاصول » فيه .. وانما كانوا من العمال والفلاحين المثقفين الثوريين الذين يقيمون صروح الحضارة والتقدم والسعادة على ارضنا بسواعدهم وعرقهم وخبراتهم .. الذين رفضوا ان يتوقف العمل خلال غارات العدو والذين واصلوا العمل ليلا ونهارا وتبرعوا بالمال والعمل قبل ان يطالبهم بذلك احد .. الذين لا يزال يقع عليهم وعلى ابنائهم من بعدهم العبء الاكبر لاستمرار النضال حتى يومنا هذا وطالما دبت على وجه الارض قدم للاستعمار والاستغلال .. الذين لن يقهر روحهم عدوان ايا كانت قوته ، لهم وهم وحدهم القادرون حقا لا قولا على تطهير ارضهم المقدسة تطهيرا كاملا من كل آثار العدوان ...

لماذا خرجت الملايين ؟

يجيب الرئيس على هذا السؤال في خطابه في العيد الخامس عشر للثورة فيقول : « اننى لم اعتبر لدقيقة واحدة ان خروج جماهير شعبنا برغم الظلام وبرغم الغارات مساء يوم ٩ يونيو تكريما لشخصى ، وانما اعتبرت ان ذلك الموقف كان تصميما على النضال .. لقد كان موقف شعبنا يوم ٩ و ١٠ يونيو يحمل معنى استمرار النضال الشعبى ومعنى استعداد الشعب لكل التكاليف والتضحيات ، ومعنى التصميم على المقاومة والصمود » .

لم تخرج الملايين تطالب بالاستسلام للعدو ، فما كان الاستسلام ولن يكون ابدا مطلبا من مطالب الشعب .. وانما خرجت ، وقد جمع شملها على غير موعد سابق وفى كل انحاء الجمهورية ، وعى تلقائى بأن هناك اصواتا لابد وسترتفع تطالب بالاستسلام وهى اصوات ، ويا للعجب ، جنى اصحابها من ثمار الثورة اكثر مما جنت الملايين ، وكان على الملايين ان تسكت هذه الاصوات وتخرس السنتها منذ البداية وقبل ان تنتقل من الهمس سرا الى الافصاح علنا ..

لم تخرج ملايين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ليطالبوا بالردة عن طريق التحول الاشتراكى فتعود وسائل الانتاج ، ان لم يكن اليوم فغدا او بعد غد ، الى الملكية الخاصة للرأسماليين القدامى او ورثتهم او لراسماليين جدد ، ويعود العمال عبيدا للالة وفريسة للاستغلال .. وتعود الارض دون قيد على الملكية ان لم يكن اليوم فغدا او بعد غد ، الى لصوصها القدامى او ورثتهم او الى لصوص جدد ، ويعود الفلاحون عبيدا لهم يكدحون ليل نهار وصيف شتاء ولا يجنون سوى العرى والمرض والجهل .. وتعود مصرنا العزيزة ، ان لم يكن اليوم فغدا او بعد غد ، ضيعة مفتوحة امام الرأسمال الاجنبى ومايحمله معه من فقر وتخلف ومن يمشى في ركابه من الدجالين والمحتالين ومصاصى دماء البشرية .. لم يخرج عمالنا وفلاحونا ومثقفونا برغم الظلام والغارات من اجل هذا والا فكاننا نحكم عليهم ، دون سائر عمال العالم وفلاحيه ومثقفيه ، بأنهم مجانين ! يأتيهم الخير فيأبون الا الشر ، وتصيبهم العزة فيأبون الا الذل ، وتزداد دخولهم فيأبون الا الفقر ..

لماذا عبد الناصر بالذات ؟

يقول الرئيس بحق ان الجماهير لم تخرج تكريما لشخصه غير ان السبب المباشر لخروجها كان اعلانه عزمه على التنحى ومن هنا كان المطلب المباشر لها هو ان يبقى ، وقد اعتبرهو هذا المطلب امرا فبقى .. فأية صلة هناك بين بقاء عبد الناصر في مركز القيادة وبين استمرار النضال والمضى بحزم في طريق التحول الاشتراكى ؟ .. صلة ثورية عميقة تأكدت وازدادت قوة عبر خمسة عشر عاما من التجارب العديدة والمتنوعة .. والصلة الثورية تعنى الحب

المتبادل والتوحد في الامال والالام والارتباء بالعلاقة الي آفاق رحبة يصبح فيها الخاص والعام وكأنه شيء واحد .. ان كل فرد من الملايين التي خرجت ليلة ٩ يونيو يشعر ان بينه وبين عبد الناصر علاقة شخصية خاصة دون ان يجلس اليه او يتحدث معه حديثا خاصا .. لماذا ؟ .. لان كل فرد من هذه الملايين كان يريد التحرر من الاقطاع والرأسمالية ووجد عبد الناصر معه .. وكان يريد التحرر من الاستعمار ويرفض الاستسلام له ووجد عبد الناصر معه .. وكان يريد بناء مجتمع جديد متقدم يوفر العدل كما يوفر الكفاية ووجد عبد الناصر معه .. بل اكثر من هذا ان عبد الناصر جمع كل هذه الامال وصاغها في خطة ورسم طريق تنفيذها . قيادة عبد الناصر اذن تعني رفض الاستسلام واليأس .. تعني استمرار النضال والامل .. تعني رفض الردة عن الطريق الاشتراكي .. تعني المضي بعناد وبصلابة اكثر في طريق التحول الاشتراكي وتطهيره بحزم من كل ما نبت فيه من اعشاب طفيلية امتصت بعض مكاسبه وحجبت بعض معالمه وشقت علي جانبيه بعض القنوات الفرعية الملتوية .. تعني البت فورا ودون تردد في كل ما كشفت عنه النكسة من نقط الضعف وما كان وراء هذه النقط من اسباب وما كان يغذيها من قوي ..

واذا كان كل فرد قد وجد عبد الناصر معه قبل النكسة فانه سيجده حتما معه واكثر قوة وحزما بعد النكسة ولا ادل علي ذلك من قول الرئيس في خطاب ٢٣ يوليو ١٩٦٧ : **« الشعب كان يطالب ببداية جادة وحازمة تتفق مع جدية الظروف التى نواجهها وحزمها . وانا مع الشعب في هذا . ان الشعب كان يطالب بوضع حد للامتيازات التي حصل عليها البعض بغير وجه حق . وانا مع الشعب في هذا . ان الشعب كله كان يطالب بالتكافؤ في التضحيات وانا معه في ذلك . ان الشعب يطالب بالنقاء الثورى والطهارة الثورية وانا اطالب مع الشعب بذلك »** .

لماذا هذا الاصرار على الاشتراكية ؟

علنا احيانا ولكن بطريق ملتو غير مباشر ، وسرا احيانا اكثر ولكن بصراحة وفي وضوح تلوك بعض الالسنة سؤالا ظاهره البراءة وباطنه الخبث والتخريب .. ومن الطبيعي تماما ، بل لعله ايضا من الواجب ، ان تثار الاسئلة وان يدور الحوار حول الوصول الي اجابات عليها .. ولكن الواجب يقضي في نفس الوقت امرين ، الاول ان نميز الطيب من الخبيث من هذه الاسئلة ، وسبيلنا الي هذا هو ان نربط بين الاسئلة وبين القوي التي توجهها وتروجها واضعين في اعتبارنا ان تحالف قوى الشعب لا يزال الي يومنا هذا يضم من لا تتوحد مصالحه تمام التوحد مع مصالح جماهير الشعب ، ومن اثبتت النكسة بخاسة معدنه ولين عظامه ، ومن تسببت في ان تطفح احقاده علي الثورة فتطفو علي السطح بعد ان ظل سنوات ناجحا في ان يخفيها .. والامر الثاني ان يدور الحوار حول الوصول الي اجابات عليها في جو صحي قوامه الصراحة والتمسك تمسكا عنيدا وواعيا بالواقع والبعد تمام البعد عن الذاتية والعوامل الشخصية ، وان يكون هناك هدف واحد من الحوار هو اصلاح ماوقعنا فيه من اخطاء ، وتبديد مالا يزال يحيط ببعض جوانب فكرنا الاشتراكي من غموض ، وعلاج ما لا يزال يعاني منه طريق نضالنا من قصور ، وكل ذلك من اجل انتصار جماهير الشعب ..

ولعل اشد الاسئلة خبثا ما يتصل بالاشتراكية من اسئلة ، في العلن بطريق ملتو غير مباشر اذ يتساءل البعض لماذا لا نتفق مع الولايات المتحدة ؟ الم يثبت انها اذا وعدت اوفت ؟ يشيرون بذلك الي علاقاتها باسرائيل .. واحيانا تثير الاسئلة الشكوك حول جدوي سياستنا العربية وعلاقاتنا بالدول العربية .. واحيانا اخري تثير الشكوك حول جدوي علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخري .. غير ان السؤال يتخذ شكلا صريحا ومحددا في الجلسات الخاصة الضيقة فيصبح : ما الذي جنيناه من الاشتراكية سوي النكسة ؟ ايكون هكذا حالنا بعد كل ما انفقنا من مال وكل ما تحملنا من تضحيات ؟ .. ويمعنون في خبثهم فيقولون ان عبد الناصر نفسه يقول ان العدوان لم يكن هدفه شخص عبد الناصر ولا احتلال الارض ، وانما هدفه الاساسي هو القضاء علي الثورة الاشتراكية ، فلماذا اذن هذا الاصرار « العجيب » علي الاشتراكية ؟ .. حجة قد تبدو مقنعة لاول وهلة ولكنها سرعان ما ترتد الي نحورهم .. صحيح ان الهدف الاساسي للعدوان هو القضاء علي ثورتنا الاشتراكية ومنذ سنوات ، لا اليوم فقط ، وعبد الناصر ينبهنا الي هذه الحقيقة .. لقد كان الانفصال في ١٩٦١ ضربة موجهة الي ثورتنا الاشتراكية ، وكان الضغط الاقتصادي علينا من جانب الولايات المتحدة موجها الي ثورتنا الاشتراكية ، وكان تآمر الاخوان المسلمين تآمرا بثورتنا الاشتراكية ، وكان الحلف الاسلامي حلفا ضد ثورتنا الاشتراكية .. كان انتهاجنا الطريق الاشتراكي اذن سببا في شن الاستعمار عدوانه علينا .. هذا صحيح ولكن

ما ليس بالصحيح هو الزعم الخبيث بأن انتهاجنا الطريق الاشتراكى هو سبب النكسة .. الطريق الاشتراكى هو سبب العدوان ، ولكنه ليس على الاطلاق سبب النكسة ، بل لعل الاقرب الى الصواب هو ان سبب النكسة يعود الى قصر المسافة التى قطعناها على الطريق الاشتراكى والى عجزنا عن تحديد نواحى قصورنا تحديدا سريعا وعلاجها علاجا حاسما .. وهنا يكمن جانب من جوانب ذكاء العدو اذ سرعان ما نفض يديه من اسلوب التآمر بنا والضغط علينا اقتصاديا ولجأ الى اسلوب العدوان العسكرى المباشر فالانتظار لم يكن فى صالحه ..

والامر الثانى هو ان العدوان علينا انما جاءنا من العدو لا من الصديق .. ولا اظن الا ان العدو يكره ما هو فى صالحنا وما هو ضد مصالحه .. فاذا كان يهدف من عدوانه القضاء على الثورة الاشتراكية فلا لسبب الا لان هذه الثوره انما تحقق مصالح جماهير الشعب وتهدد مصالحه هو ولو كان الامر على العكس من ذلك لما عمد الى القضاء عليها ، بل لكان — اذا جاز القول — قد عمل على تقويتها..ومن هنا فالسبيل امامنا واضح ولا سبيل غيره وهو النضال المستمر من اجل مزيد من الاشتراكية الحقيقية لا التخلى عنها . وفى هذا يقول الرئيس :

« **لكى نستطيع مواجهة العدوان فانه من الضرورى تدعيم الثورة الاجتماعية فى مصر .. هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون ازالة آثار العدوان فحسب ، بل ينبغى ان يكون ايضا حماية نظامنا الثورى .. اذا استطعنا ان نحمى الثورة الاجتماعية فى مصر وندعم الثوره العربيه الشاملة فاننا نستطيع تحرير الارض المحتلة ..** » .

والامر الثالث هو ان العدو ، واظننا جميعا متفقون الان على اننا عندما نقول العدو فاننا نعنى هرم الامبريالية العالمية والاحتكار العالمى وعلى قمته الولايات المتحدة ، لم يبدأ محاولاته العدوانية ضدنا عندما اتضحت فقط الافاق الاشتراكية لثورتنا ، بل بداها منذ الايام الاولى لثورتنا عندما كان مضمونها فى الاساس مضمونا وطنيا هو تحرير الارض، ولا اظن الا ان كل طالب بالمدارس الاعدادية يعرف ما حاكه لنا الاستعمار من مؤامرات وضغوط قبل ١٩٦١ ، ابرزها الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ .. اكان المفروض عندئذ ان نتخلى ايضا عنثورتنا الوطنية التحررية ما دامت كانتتعرضنا لعدوان العدو ؟ وان نرضى باستمرار استعمارنا واستمرار تبعيتنا للاحتكار العالمى ؟ ولقد نادى البعض فعلا بهذا الراى وطالب فى ١٩٥٦ بأن نتفق مع بريطانيا ؟

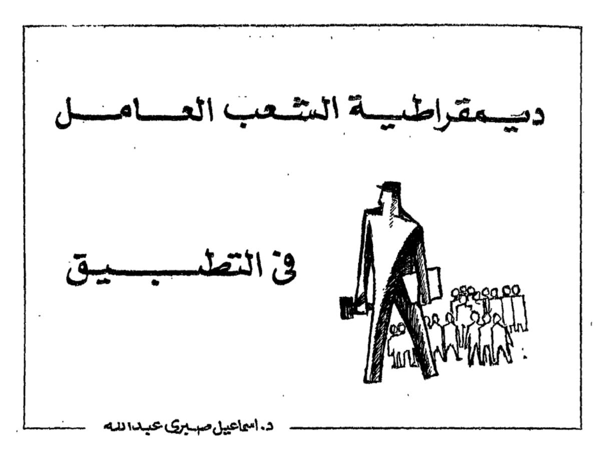
وجدير بالملاحظة والدراسة ان من نادوا بهذا الراى فى ١٩٥٦ كانوا فى الاساس ممن انتزعت الثورة السلطة منهم ، وان من ينادون اليوم بهذا الراى هم فى الاساس ممن استفادوا من الثورة لا لانهم اصحاب مصلحة حقيقية فيها ، ولكن لظروف خاصة وهم يخشون اذا استمرت الثورة ان تزول هذه الظروف فيقل ما حصلوا عليه من امتيازات ..

ان اربع سنوات فقط من السير فى طريق التحول الاشتراكى لا تمثل فى عمر الثورات الاشتراكية زمنا يذكر ، انها اشبه ما تكون بالخطوة الاولى لطفل بدا يتعلم كيف يمشى .. ورغم هذا ورغم ما احاط بها من صعاب واخطاء فقد افزعت العدو ودفعته دفعا الى الاقدام على عدوانه الاخير .. لماذا ؟ .. لان من يخطو الخطوة الاولى كفيل بأن يخطو بعدها خطوات وخطوات .. ولان الخطوة الاولى حققت ، ومرة اخرى على الرغم من الصعاب والاخطاء ونواحى القصور ، زيادة فى الدخل القومى ، قضاء على الملكية الاستغلالية ، اشراكا للعمال فى ادارة الانتاج ، توزيعا للارض على الفلاحين ، مجانية التعليم فى جميع المراحل ، مجانية الخدمات الصحية ، توفير فرص عمل جديدة .. فهل بسبب هذا الذى تحقق حدثت النكسة ؟ واذا كان الامر كذلك فهل يعنى المنادون بالردة عن الاشتراكية ان نلغى ما حققناه على طريق التحول الاشتراكى ،اى ان نقضى نحن على ثورتنا الاشتراكية فنحقق للعدو هدفه الذى لم يستطع هو ان يحققه على الرغم من النكسة ؟ لقد حدثت النكسة واحتل العدو جزءا عزيزا من ارضنا .. ولكن .. هل عادت ملكية وسائل الانتاج الى الافراد ؟ هل الغيت مجانية التعليم والخدمات الصحية ؟

لعل درس الدروس الان هو ان نعيد مسح مجتمعنا طبقيا كما سبق ان فعلنا اثر قوانين يوليو ٦١ ، لنحدد فى وضوح من قوى الثورة ومن القوى المضادة لها .. ولا معيار هناك على الاطلاق الا معيار واحد هو استمرار الثورة الاشتراكية الحقيقية .. ولنحدد فى وضوح ايضا من من قوى الثورة تكون له القيادة ولا معيار هناك على الاطلاق الا معيار واحد هو القدرة على تحمل ما يفرضه استمرار الثورة من تضحيات .. والقدرة ترتبط بالمصلحة ولكن ليس كل صاحب مصلحة بصاحب قدرة ..

الى متى يا قوم نظل مهملين عن عمد او عن غفلة قول الميثاق عندما نص على انيضمن للعمال والفلاحين نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها :

« ان ذلك فضلا عما فيه منحق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية ، **ضمان اكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة** » .



شغلت الصحف بين ما شغلت به بعد ١٠ يونيو قضية الديمقراطية، وقد بدا لبعض ان الحديث عن الديمقراطية فى ظروف حرب واحتلال اجنبى لجزء عزيز من ارض الوطن امر غريب يمكن ان يثير الريب ، والواقع غير ذلك تماما ، فالفهم العلمى للديمقراطية باعتبارها ممارسة الجماهير لدورها الفعال فى كل مجالات العمل الوطنى وليس مجرد حق لبعض المثقفين فى الثرثرة ، يجعل من قضية الديمقراطية ومدى توفيقنا فى حلها من اهم مايتعين بحثه فى تجربة الماضى ومن اول مايجب علاجه ضمن ماتعده من عدد النصر ، وبهذا المعنى نفسه يمكن ان نقول ان الحرب ذاتها يجب ان نخوضها باسلوب ديمقراطى ، فلا ضير اذن فى ان تثار قضية الديمقراطية ، وانما يجب الا تثار بشكل مجرد ولا فى جزئيات تطرح فى غير ما وعى بعناصرها المتكاملة ، يجب ان نتذكر حين نتصدى لقضية الديمقراطية اننا لا نبحثها فى خلاء ، بل ابتداء من واقع مادى قائم فى مجتمعنا فى ظروف تاريخية محددة .

ولذلك فاننا نعتقد انه يتعين قبل ان نحكم على تجربتنا الديمقراطية سلبا او ايجابا ان نحدد اولا معالم تلك التجربة كما قررها الميثاق ، ثم نعرض، ثانيا ، لما وصلت اليه فى التطبيق ، وفى ضوء هذا الواقع وحده نستطيع ان نحدد الثغرات التى تظهر فى محتواها النظرى او فى اسلوب وضعها موضع التنفيذ، وعندئذ يتوافر الاساس الصلب لاقتراحات التعميق والتطوير .

عناصر ديمقراطية الشعب العامل

ان دراسة الاجراءات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتشريعيه التى بدات بقوانين يولية المجيده، ووجدت تعبيرها الفكرى فى الميثاق واكتملت بالاعلان الدستورى وما صاحبه من اجراءات فى ١٩٦٤، تمكن الباحث من تحديد العناصر الاساسية للتجربة الديمقراطية التى ارادت القيادة الثورية واراد الشعب ان يجعلا منها اطارا لمرحلة التحول الى الاشتراكية،ونستطيع ان نحصر تلك العناصر على النحو التالى :

اولا — السلطة : ان جوهر قضية الديمقراطية هو تحديد من من الطبقات الاجتماعية تكون بيده السلطة ، وربما كانت هذه العبارة المجملة بحاجة الى شىء من التوضيح ، لقد تعلمنا فى كتب القانون الدستورى والعلوم السياسية ان الديمقراطية كلمة من اصل يونانى تعنى « حكم الشعب » ، وعلى هذا يكون المحتوى الاساسى لفكرة الديمقراطية هو الحكم او السلطة ، وبذلك نميز بين الديمقراطية والحرية السياسية او مايسميه

فقهاء القانون الدستورى الحريات العامة ، حقا ان الامرين متصلان كما سنرى ، ولكن من المهم الحرص على التمييز بينهما ، اذ ان الحريات العامة يمكن ان تقرر ولا تكون السلطة برغم ذلك بيد الشعب ، فاذا عدنا الى قضية السلطة فى ضوء مفهوم الديمقراطية الحرفى وجدنا عجبا ، فمن الذائع مثلا ان مدن اليونان القديمة ، وبخاصة اثينا ، كانت « مهد الديمقراطية » ، وانها عرفتها فى ارقى اشكالها وهو اسلوب « الديمقراطية المباشرة » حيث يشارك مجموع المواطنين مباشرة، وليس عن طريق ممثليهم ، فى ادارة شئون الحكم، ولكن هذه الصورة الزاهية تخالف الحقيقة التاريخية ، ذلك ان صفة المواطن لم يكن يتمتع بها الا السادة ، اما العبيد وهم الاغلبية الساحقة من سكان اثينا فلم تكن لهم اى حقوق سياسية ، وحين ادى التطور الاقتصادى للمجتمع الاثينى الى وجود مواطنين احرار فقراء لا يملكون عبيدا بدا الانقضاض على «الديمقراطية». وعلى ذلك فحكم الشعب فى ذلك المجتمع القائم على الرق لم يكن الا حكم سادة العبيد ، وكذلك كان الشأن فى روما فى عهد الجمهورية ، وهنا يمكن ان نلمس مرة اخرى اهمية التفرقة بين قضية السلطة وقضية الحريات العامة، فحين حل النظام الامبراطورى الاستبدادى فى روما محل النظام الجمهورى ظلت السلطة بيد سادة العبيد ، ولكن « الحريات العامة » التى كان يتمتع بها هؤلاء السادة كأفراد اخذت فى التضاؤل حتى اختفت ، وفى المجتمع الاقطاعى فى اوروبا وجدت «ديمقراطية سادة الاقطاع» التى كانت تتمثل فى حق اولئك السادة فى انتخاب الملك (وهو تقليد ظل سائدا فى بولندا مثلا حتى القرن الثامن عشر) او الامبراطور (فى المانيا حتى اوائل القرن التاسع عشر) . وحيث وجد ملوك اقوياء فرضوا توارث الملك فى ذريتهم ظلت السلطة فى جوهرها اقطاعية، وعمل الاقطاعيون على المحافظة على بقية من « حرياتهم العامة » ، ولم تكن « الوثيقة العظمى (الماجنا كارتا) التى وقعها ملك انجلترا فى ١٢١٥، والتى يعدها معظم المؤرخين الاساس التاريخى للديمقراطية فى بريطانيا ، لم تكن فى الاصل الا وثيقة بحقوق الاقطاعيين فى مواجهة الملك ، وحين نجحت الرأسمالية فى الاستيلاء على السلطة فى انجلترا ثم فى فرنسا اعلنت شعارات المساواة ، ولكن النظام الانتخابى فى البلدين قام على اشتراط « نصاب مالى » فى الناخب وفى المرشح لعضوية البرلمان ، اى انها انشأت « ديمقراطية من يملكون » وحرمت منها من لا يملكون وهم اغلبية الشعب ، ولم يستقر مبدأ « الاقتراع العام » — اى عدم تقييد حق الانتخاب بشرط الملكية — الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ومعنى ذلك ان الاقتراع العام انتشر بعد ان قوى عود الرأسمالية وبدأت تأخذ شكل احتكارات قوية تسيطر على الصحف وغيرها من اجهزة الاعلام ، كما تسيطر عن طريق التمويل على الاحزاب والحملات الانتخابية بحيث تضمن فى نهاية الامر ان تكون الغلبة لممثليها فى البرلمان رغم ظاهر المساواة امام صناديق الانتخاب .

وقد فضح الميثاق تجربة الديمقراطية الزائفة التى عرفتها بلادنا غداة ثورة ١٩١٩ ، لقد كان مجلس الشيوخ حكرا على كبار الملاك العقاريين وكبار موظفى الدولة من ابنائهم حيث كان يشترط لعضويته ملكية عقارية تدفع ضريبة لا تقل عن ١٥٠ جنيها او سبق شغل منصب حكومى كبير ، اما انتخابات مجلس النواب فكانت تزيف بمعرفة الادارة ، او اذا تركت « حرة » تخضع لنفوذ الاقطاعيين على فلاحيهم ، وهكذا حدد الميثاق ان السلطة كانت قبل الثورة بيد تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل فى تعاون مع الاستعمار ، ورفع الميثاق شعار اسقاط هذا التحالف ليحل محله تحالف قوى الشعب العاملة ، **وبذلك يكون الميثاق قد حدد الفئات الاجتماعية التى يجب ان تكون بيدها السلطة بأنها قوى الشعب العاملة وهى : الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية .**

ولم يكن هذا التحديد تحكميا ، بل انه قام على اساس موضوعى هو ان تكون السلطة بيد القوى التى من مصلحتها استمرار الثورة او التى تقبل استمرارها وتتعاون فى سبيله، وكان من الضرورى لاستكمال هذا التحديد حرمان الطبقات الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة من الحقوق السياسية ، حقا ان مصادرة ملكية تلك الطبقات اجراء يضرب الاساس الاقتصادى لسيطرتها ، ولكن تصفية مواقعها الاقتصادية لم تكن كافية لتصفية نفوذها السياسى ، فجذوره ممتدة حتى فى ضمائر البشر ، ومن ثم كان لا بد من حرمان الاقطاعيين وكبار الرأسماليين من حقوق الانتخاب والترشيح وشغل المراكز القيادية فى الدولة والقطاع العام ومن حق التنظيم السياسى والدعوة لافكار معادية للاشتراكية اومناقضة للميثاق، وتلك ضرورة موضوعية تمليها مصلحة الثورة بعيدا عن اى رغبة فى التنكيل بالاشخاص او اضطهادهم ، وغنى عن الذكر ان الحرمان قاصر على الحقوق السياسية ، اما الحقوق المدنية وفى مقدمتها حق العمل فتبقى مكفولة لهؤلاء المواطنين ، كما ان الحرية الشخصية يجب ان تظل مكفولة لكل من لا يأتى عملا معاديا للثورة ، واخيرا فان وضع الجيل الثانى من ابناء تلك الطبقات يتوقف على

موقفهم الفكرى والسياسى من الثورة ، فمن يتخلى منهم عن فكره الطبقى وينضم فى اخلاص الى فكر الشعب العامل ويتبنى بحق قضية الاشتراكية، يجد مكانه فى صفوف ابناء الشعب ، وليس هذا الاحتمال مجرد وهم او تعليل بآمال واهية ، فحتمية الحل الاشتراكى تعنى انه ليس ثمة طريق آخر لتحرر الوطن وتقدمه وعزته غير طريق الاشتراكية، ومن المعقول ان يتغلب الفكر الوطنى عند الاجيال التى لم تنشأ فى نعماء الاستغلال الطبقى وتعلمت ان تعمل وتكسب بالعرق ، وعن طريق الوطنية العريض تتعلم تلك الاجيال الاشتراكية ويمكن ان تتقبلها .

ثانيا : الحريات العامة : لايكفى ان تعلن الوثائق من ينبغى ان تكون بيده السلطة ، بل لابد من توفير الضمانات التى تحقق وجود السلطة بيد الفئات الاجتماعية التى تحددها الوثائق السياسية والدستورية ، ومن ثم فان الوجه الثانى لقضية الديمقراطية هو تلك الضمانات التى تسمى عادة الحريات السياسية او الحريات العامة، فحقوق المواطن الاثينى، وامتيازات السيد الاقطاعى ازاء سلطة الملك كانت نوعا من الحريات مكفولا للطبقة السائدة ، للطبقة صاحبة السلطة ، وفى المجتمع الراسمالى تستند سلطة الطبقة الرأسمالية الى واقع ملكيتها لوسائل الانتاج ، ولذلك فان اعلان حقوق الانسان الذى اصدرته الثورة الفرنسية الكبرى نص فى مادته الثانية على ان الملكية الخاصة مصونة لا تمس ، واعتماد الطبقة الرأسمالية فى فرض سلطتها على السيطرة الاقتصادية مكنها من ان ترفع شعارات الحرية والاخاء والمساواة ، اى ان تعلن الحريات العامة لكافة المواطنين ، ذلك ان الاستخدام الفعال لتلك الحريات يفترض دائما توافر الملكية، فما مدى فعالية حرية الراى اذا كانت الصحافة ومهنة النشر فى يد احتكارات كبرى ترفض نشر ما يضر بمصالح الطبقة السائدة ؟ وما القيمة الفعلية للمساواة امام القانون والقضاء اذا كان احد المتنازعين يملك ما يمكنه من استخدام اكبر المحامين فى حين يتقدم الاخر اعزل من كل عدة قانونية ... ويمكن بالطبع ان نعدد الامثلة، وفى هذا يقول الميثاق : « **ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت كل قيمة** » ومؤدى هذا هو ان الاشتراكية حين تحقق بالتأميم حرمان الطبقات المستغلة من مواقع سيطرتها الاقتصادية لا تستغنى عن الحريات العامة بل معطيها عمقا جديدا وتجعل منها حقيقة واقعية وليس مجرد وهم قانونى ، **وهنا يقول الميثاق :** « ان الديمقراطية هى الحرية السياسية ، والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية ، ولا يمكن الفصل بين الاثنتين ، انهما جناحا الحرية الحقيقية » ، ومن ثم كان طبيعيا ان يؤكد الميثاق ويسجل الاعلان الدستورى كفالة حرية العقيدة كفالة مطلقة وضمان حرية الراى فى الاطار الذى حدده الميثاق ، وبين الحريات العامة تبرز قضيتان لهما دور حاسم فى تحديد مدى الممارسة الفعلية لبقية الحريات واعنى بهما : حرية التنظيم السياسى وحرية الصحافة .

وترجع اهمية **حرية التنظيم السياسى** الى واقع ان المجتمع لايتكون من افراد منعزلين وانما من جماعات تربط بين افراد كل منها مصلحة مشتركة او اتجاه فكرى واحد ولذلك فان ممارسة معظم الحريات العامة تتخذ من الناحية العلمية اشكالا جماعية ، واول تلك الاشكال يظهر فى « **التنظيمات الجماهيرية** » التى تدافع بشكل مباشر عن المصالح الاقتصادية او الاجتماعية لفئات معينة مثل نقابات العمال واتحادات الفلاحين وتنظيمات النساء والشباب والطلبة والنقابات المهنية ، كذلك تعبر التجمعات المختلفة سياسيا عن مصالحها وافكارها عن طريق الاحزاب ، فكل حزب سياسى فى اى بلد من البلاد يعبر فى النهاية عن مصلحة وفكر فئة اجتماعية او طبقية او طبقات اجتماعية معينة ، وفى ظل الديمقراطية البرجوازية يمكن ان تأخذ الحياة الحزبية اشكالا بالغة التعقيد ، فيمكن مثلا ان ينجح حزب بورجوازى يسيطر عليه الراسماليون فى اجتذاب جماهير واسعة من العمال والفلاحين ، ويمكن ان توجد عدة احزاب بورجوازية فى نفس الوقت، كما يمكن ان تتنازع عدة احزاب تمثل العمال والفلاحين ... الخ ، ومن ثم فان المحتوى الطبقى لمختلف الاحزاب ليس امرا يتضح للوهلة الاولى، ولا تكفى فى تحديده الشعارات والبرامج ، بل لابد من تحليل عميق للتكوين الطبقى للكادر والنشاط العملى لكل حزب ، ومهما يكن من امر فان الحياة الحزبية هى الصورة الطبيعية للعمل السياسى فى ظل الديمقراطية والبورجوازية ، واى عدوان عليها يحرم الطبقات الشعبية من اهم وسائل نضالها ، وفى البلاد التى تواجه قضية التحرر من الاقطاع والاستعمار **توحد القضية الوطنية بين طبقات متعددة رغم مايمكن ان يكون بينها من خلاف فى المصالح .** ولذلك تنشأ عادة جبهة وطنية تضم كل الاحزاب التى تلتقى حول برنامج للتحرر الوطنى الكامل، وبالتحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية كنتيجة لحتمية الحل الاشتراكى تتحول الجبهة الوطنية ـ بعد انفصال بعض الفئات عنها ـ الى تحالف يتقبل الاشتراكية وتلعب فيه الطبقات الشعبية الدور المحرك والقيادى، وقد تميزت التجربة المصرية من الناحية التاريخية بظروف خاصة ، فالاحزاب التقليدية التى تداولت الحكم قبل الثورة كانت جميعا تمثل

الاقطاع ورأس المال الكبير المستغل وتورطت في التعاون مع الاستعمار او مصالحته ، اما قوى الشعب الثورية فلم تكن تملك الاحزاب القوية التي تضم صفوفها وتقود نضالها ، وكان من غير المعقول في مثل هذه الظروف ان يكون الشعار هو خلق الاحزاب الشعبية اولا ثم جمعها في جبهة ثانيا : وفي هذا الواقع التاريخي المحدد ولد الشكل الخاص لحق التنظيم السياسي الذي نص عليه الميثاق وهو **الاتحاد الاشتراكي العربي**،

وكان لب التجربة هو الجمع بين حزب طليعي يتكون من كادر ثوري صلب (وهو ما عبر عنه الميثاق بأسم الجهاز السياسي) وبين تجمع جماهيري وأسع يضم كافة المواطنين الذين يتبنون الميثاق ويشتغلون بالسياسة . فالحزب الطليعي ضرورة لقيادة العمل الثوري ، اما التجمع الجماهيري فهو الوعاء الذي تمارس فيه الجماهير حريتها في التنظيم السياسي ، فالاتحاد الاشتراكي العربي يعبر عن مصالح قوى الشعب العاملة من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسماليين وطنيين ، وهذا التحالف لا يصفي التناقضات الطبقية وانما «يفتح المجال لامكانية حلها سلميا» وذلك لان « الصراع الحتمي والطبيعي بين الطبقات لايمكن تجاهله او انكاره » كما يقول الميثاق ،

ومعنى ذلك انه بدل افتعال تكوين احزاب تمثل قوى الشعب العاملة تجعلها جبهة ، قامت التجربة المصرية على اساس اعطاء تلك القوى الفرصة للتعبير عن مصالحها المشروعة داخل اطار التحالف الشعبي الذي يمثله الاتحاد الاشتراكي العربي ، اى ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو المجال الذي تمارس داخله الجماهير حرية الفكر وحرية الراى وتعبر عن مصالحها سعيا وراء تصفية تناقضاتها سلميا عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات ، والالتزام الاساسي لكل اعضاء الاتحاد الاشتراكي هو الميثاق ، اما الجهاز السياسي فهو الطليعة القائدة المكونة من العناصر المناضلة الصلبة والتي تعمل في دأب على استطلاع آفاق المستقبل ورسم الطريق اليه واقناع الجماهير بهذا الطريق وتحقيق تقبلها له والتفافها حوله ، وهو باعتباره كتيبة طليعية يواجه الجماهير دائما برأى واحد وارادة واحدة وتتحقق فيه وحدة الفكر والارادة عن طريق المناقشة المنظمة التي تنتهي دائما بخضوع الاقلية لراى الاغلبية وخضوع المستوى التنظيمي الادنى للمستوى الذي يعلوه ، وبهذا لايكون الاتحاد الاشتراكي تطبيقا لنظام الحزب الواحد الذي يصادر حرية التنظيم السياسي لبعض قوى الشعب العاملة ، بل انه يقدم شكلا جديدا لتلك الحرية، ويكون من الطبيعي ان تظهر داخله اتجاهات مختلفة وتيارات فكرية متباينة تعكس تكوينه الطبقي ، ولكنها بالتزامها جميعا بالميثاق تتقبل مبدأ الحل السلمي لتناقضاتها في أطار التحول نحو الاشتراكية ، فما دام المجتمع مكونا من طبقات تنهض بينها تناقضات فلا يمكن مصادرة حرية اى منها في التنظيم ، وانما يجب توفير الاطار الملائم لممارسة تلك الحرية ، ومن الناحية الاخرى تستند وحدة الراى في الحزب الطليعي الى حقيقة تجانس المصالح الطبقية التي يعبر عنها نتيجة لخلوه من الفئات والعناصر المستغلة .

اما **حرية الصحافة** فانها لا تقل حيوية عن حرية التنظيم السياسي ، فهي اهم وسيلة لنقل الراى الى الجماهير ، وهي بنموها التكنيكي اصبحت تلعب دورا حاسما في تشكيل راى الجماهير، ولذلك فلا يمكن ان يتفق العمل الثوري مع بقاء الصحف ملكا لجماعات رأسمالية احتكارية تهيمن على سياستها وتؤثر عن طريقها في تكوين راى عام موات لمصالح الرجعية ، والبديل الطبيعي للكية الاحتكارات هو ان تكون الصحف ملكا للاحزاب الثورية والوطنية ، ولما كانت حرية التنظيم السياسي عندنا قد اتخذت شكل الاتحاد الاشتراكي العربي ، كان طبيعيا ان تكون اهم الصحف ملكا للاتحاد الاشتراكي ولما كان هذا التجمع الجماهيري الواسع يعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة على ما فيها من تناقضات ، فانه لابد ان تجد الاراء والافكار التي تظهر داخل الاتحاد الاشتراكي التعبير الصادق عنها في تلك الصحف ، فلا ينبغي ان تكون الصحف جميعا معبرة عن راى واحد هو راى الجهاز الطليعي ، والا كان معنى ذلك مصادرة حرية الراى المسلم بها لقوى الشعب العاملة في اطار الميثاق ، كذلك لاينبغي أن تؤدى حرية الصحافة في ظل ملكية الشعب الى تحولها الى ادوات للتعبير عن المسئولين عن تحريرها وحدهم ، بل يجب ان يكون مضمون تلك الحرية انفتاح صحف الشعب لنشر كل الاراء التي تظهر في صفوف الشعب وتنظيم مناقشاتها على منهج موضوعي يصون وحدة التحالف الثوري ويساعد عن طريق النقد والنقد الذاتي على تصفية النواقص وتصحيح الاخطاء .

واخيرا فان الضمان الاساسي لكافة الحريات العامة هو **احترام سيادة القانون** ، فالفرق بين الهمجية والتحضر هو احترام القانون ، ذلك أن القانون حكم عام يسرى في حق كل من ينطبق عليه، وهو يحدد سلفا للمواطن ما له من حق وما عليه من واجب ، والبديل الوحيد لسيادة القانون هو تحكم الافراد والاجهزة ، ولا ينبغي ان ننظر الى فكرة القانون على انها قيد على الارادة الثورية ، أن القوى الثورية تستولى على السلطة لا حبا في السلطة ذاتها ، وانما بالدقة لكى تتمكن عن

طريقها من سن القوانين التى تحدث التغييرات الثورية المنشودة . فالقانون فى يد سلطة رجعية اداة جمود ومحافظة ، وهو فى يد سلطة ثورية يجب أن يكون اداة ثورة وتقدم ، ألم تتخذ اعظم الاجراءات ثورية عندنا شكل « قوانين » الاصلاح الزراعى ، « وقوانين » التأميم ؟ ان تغيير طبيعة المجتمع يتخذ شكل تغيير التشريعات التى تحكمه ويبقى بعد ذلك ان لكل مجتمع تشريعاته التى توضح للمواطنين حقوقه وواجباته وتصونه من التحكم وتضمن الحفاظ على انتصاراته ، ان لكل مجتمع « شرعيته » أو « مشروعيته » القانونية ، اى تلك المجموعة من القوانين التى تعبر عن اسسه التى يقوم عليها والتى تحكم غيرها من التشريعات ، بل ان عملية التغير الثورى ذاتها يحكمها مبدأ « المشروعية الثورية » ، بمعنى انها تقوم على احلال قوانين محل اخرى وليس على اهدار فكرة القانون نفسها ، ومن الخطأ ان نقدر اى اجراء من الاجهزة التنفيذية على ضوء محتواه الموضوعى وحده فنعده تقدميا او رجعيا بحسب ما اذا كان يحترم تقدم الثوره او يعرقله، فالشكل الذى يحتويه الاجراء فى ذاته ضمان للحريات العامة، اذ البديل الوحيد لسلامة الشكل هو ترك تقدير الامر للافراد القائمين على الاجهزة التنفيذية ، وحتى اذا اضطرت السلطة الثورية خلال مرحلة التحول الى الالتجاء الى اجراءات استثنائية فلابد من احاطة تلك الاجراءات بضمانات قانونية توفر الرقابة الشعبية عليها وتضمن عدم اساءة استخدامها ، ولا يجوز الاحتجاج ضد مبدأ سيادة القانون بأن فى بلادنا عددا ضخما من التشريعات البالية التى يرجع بعضها الى فرمانات عثمانية او اوامر عالية خديوية والتى تناقض روح الثورة بل حتى روح العصر ، فالرخصة بمخالفة القوانين بحجة عدم تعبيرها عن احتياجات المجتمع تضر بالمجتمع من ناحيتين : فهى اولا تغنى عن مراجعة التشريعات القائمة وتصفيتها وتطوير الصالح منها ، اذ ما الحافز على ذلك لدى الاجهزة التنفيذية مادام فى وسعها تجاوز تلك القوانين ؟. وهى ثانيا يمكن أن **تفتح السبيل لخرق التشريعات الثورية ذاتها** ، فعدم احترام القانون يمكن ان يصبح عادة ومنهجا فى العمل . حقا ان مهمة مراجعة كافة القوانين واللوائح مهمة شاقة لابد أن تستغرق زمنا طويلا نسبيا . ولكن من الممكن مواجهة الامر بعدة اجراءات. فيجب اول التصدى لتطوير القوانين بروح ثورية وثابة تجمع بين المعرفة بتكنيك التشريع والتشبع بالاتجاه الاشتراكى . ويجب ثانيا اعطاء أولويات للتطوير بحيث يبدأ بالتشريعات الاكثر مساسا بالحريات العامة والانتاج . (فليس من المهم مثلا المبادرة الى تطوير تشريع الكمبيالة او البروتستو) . وفى انتظار الانتهاء من هذه المهمة يجب تطوير جهاز القضاء. فالقاضى يملك الامتناع عن تطبيق قانون يعارض المبادىء الاساسية للدستور . ولذلك فان توفير **الثقافة الاشتراكية لرجال القضاء وتطعيم المحاكم بمحلفين منتخبين يمكن أن يحول فى العمل ، وبطريقة قانونية ومشروعة ، دون تطبيق قوانين تخالف مبادىء الثورة** . كذلك لابد من انشاء **المحكمة الدستورية العليا** التى اشار اليها الميثاق ووجود محلفين شعبيين بهما لتضمن باستمرار اتساق التشريعات المطبقة مع الميثاق والدستور .

ثالثا : الوضع الخاص للعمال والفلاحين :

والسمة الثالثة التى تميز التجربة الديمقراطية فى بلادنا هى الدور الخاص الذى تعطيه لجماهير الفلاحين والعمال داخل تحالف قوى الشعب العاملة وفى اجهزة الحكم والانتاج . ويبرز هذا الوضع بصفة خاصة فى الامور التالية :

١ ــ نص الميثاق على ان يكون ٥٠ ٪ على الاقل من اعضاء التنظيمات الشعبية السياسية بما فيها مجلس الامة من الفلاحين والعمال .

٢ ــ تمثيل العمال فى مجالس ادارة شركات القطاع العام .

٣ ــ النص على أن يكون اربعة اخماس اعضاء مجالس ادارة الجمعيات التعاونية من الفلاحين الذين لا يحوزون أكثر من خمسة افدنة .

٤ ــ نص قانون الاتحاد الاشتراكى العربى على أن يكون ٥٠ ٪ على الاقل من مجموع الاعضاء من العمال والفلاحين .

وقد برر الميثاق هذا الوضع الخاص للفلاحين والعمال بانها « القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما انها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » . وواضح من هذا النص أن الوضع الخاص للعمال والفلاحين يستند من ناحية العدالة المطلقة الى انهم يمثلون الاغلبية الساحقة من المواطنين . كما انه يستند من الناحية الاجتماعية الى كونهم اصحاب « المصلحة العميقة » فى الثورة ، فليس من بينهم صاحب رأس مال يمكن أن تستهويه دعايات الرأسمالية او يستميله الاستعمار . والاشتراكية بالنسبة لهم هى الطريق الذى لا بديل له لتحريرهم من الاستغلال والارتفاع بمستوى معيشتهم . وهو

يستبد اخيرا، من الناحية السياسية التي ما ولدته فيهم سنين الحرمان الطويلة من طاقات نضالية جبارة .

وهذا التفسير واضح لايحتاج الى مزيد من الشرح . وانما مايبدو فريدا في التجربة المصرية هوبالدقة النص على نسبمعينة للعمال والفلاحين وقد يظن البعض ان وراء هذا النص تسليما بنوع من التمثيل «الفئوى» ، اى ان يكون لكل فئة أو طبقة اجتماعية نسبة معينة من الممثلين في الاجهزة السياسية . ولكن هذا الظن خاطيء .

وانفراد تجربتنا بمثل هذا النص امر يرجع الى ظروفنا التاريخية ، وبالذات الى ما اصاب الحياة الحزبية عندنا قبل الثورة . فالعمال والفلاحون يشكلون الاغلبية العظمى للناخبين . وحيث يوجد حزب أو احزاب قوية تمثلهم يكون في وسعهم ان يحصلوا على الاغلبية المطلقة في المجالس المنتخبة دون أن يضمن لهم القانون نسبة معينة . ويتأكد ذلك عندما يبدأ المجتمع التحول نحو الاشتراكية فيصفى المواقع الاقتصادية للاقطاع والرأسمالية الكبيرةالتى كانتتزيف ارادةالناخبين ولكن واقع الحياة الحزبية في بلادنا حرم هذه الطبقات الشعبية ، ضمن ما حرمت منه ، من الاحزاب القوية التي تعبر عن مصالحها وتعبيء صفوفها وتقود نضالها . هذا ، في حين أن الرأسمالية الوطنية ليست غريبة على الحياة السياسية ، بل اخذت تمارسها منذ قبل الثورة واكتسبت فيها الدربة والدراية ولم يكن يضيرها الا ضغط من « اصحاب المصالح الحقيقية » او «أرباب البيوتات» كما كان يحلو للاقطاعيين وكبار الرأسماليين أن يسموا انفسهم . فلما ازاحت الثورة هذا الضغط،انفتح الطريقامام الرأسمالية الوطنية لتضع خبرتها في خدمة مصالحها بحيث «تملأ الفراغ» دونانتترك للعمالوالفلاحين فرصة الحصول على تمثيل يتفق ووزنهم الاجتماعى والعددى ، ومن ثم خرجت القيادة الثورية بتقدير عميق منها للظروف الاستثنائية التي تميزت بها تجربتنا على النص على ضمان نسبة ادنى لتمثيل العمال والفلاحين . وبهذا الفكر الثاقب اهتدت القيادة الى حل مبتكر لمشكلة ربما كانت جديدة كل الجدة في تاريخ التجارب الثورية .

رابعا : شعبية الحكم : والسمة الرابعة للتجربة الديمقراطية عندنا هي تلك التي احتوتها هذه الفترة من الميثاق : « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ، فذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينظم سيادة الشعب ... كذلك فان الحكم يجبأن ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى ايدى السلطات الشعبية » .

وواضح ان الفقرة المشار اليها تعالج مشكلة من اهم المشاكل التي تواجه كل ثورة الا وهي مشكلة **جهاز الدولة** . ان الثورة تغير المحتوى الطبقى للسلطة ، اى لاعلى مستوى سياسى في الحكم . ولكن السلطة الثورية الوليدة تواجهفور مولدها قضية الجهاز الذى تعمل من خلاله . فكل قرار تتخذه يتعينأن يقوم افرادبصياغته القانونية وأن يسهر آخرون على تنفيذه في حين يتصدى فريق ثالث لمحاكمةمن يخرج عليه وانزال العقاب به . وهى من ناحية اخرى تحتاج الى صيانة امن البلاد الداخلى والخارجى وايفاد من يتحدث باسمها ويعبرعن سياستهالدىمختلف الحكومات والهيئات الدولية ... الخ . وكل هؤلاء الذين يؤدون بانتظام مجموع هذه الاعمال يكونون جهاز الدولة . وبدون هذا الجهاز تكون الثورة حبرا على ورق وسرعان ماتنهار السلطة الثورية . ولا يكفى أن يتم تغيير السلطة حتى يتحرك جهاز الدولة تلقائيا في خدمة السلطة الجديدة باخلاص وفعالية . فهذا الجهاز اقامته السلطة السابقة ونظمته بالشكل الذى يخدم المصالح الطبقيةالتى تمثلها . كما انه يتكون من افراد لهم ارتباطاتهم الطبقية وافكارهم الاجتماعية والسياسية التي يغلب ان تكون متسقة مع الاوضاع السائدة قبل الثورة . ولهذا فلا يتصور ان يسير جهاز الدولة كما هو في خدمة الثورة . وقد واجهت الثورات مشكلة جهاز الدولة بطرق مختلفة على حسب الظروف الخاصة بكل منها . فحيث يكون جهاز الدولة بأكمله معاديا عداء اصيلا للثورة لا يرجى منه اىفائدةقامت السلطة الثورية بتصفيته تماما واقامة جهاز دولة جديد محله مع مايعنيه هذا من مصاعب جمة . فليس من الممكن توفير الكادر الفنى والادارى اللازم للدولة بين يوم وليلة . ومع ذلك كانت هناك حالاتلم يكن فيهامفر من التخلص من جهاز الدولة الموروث مما قبل الثورة . وتلك كانت الحال التي واجهتها الثورة الروسية حيث ورث جهاز دولة بالغ الرجعيةفى كافة مستوياته. وكذلك الشأن في الثورة الجزائرية حيث كانجهاز الدولة استعماريا يعتمد على المستوطنين وعملائهم وانهار بانهيار النظام الاستعمارى. وفى حالات اخرى عمدت السلطة الثورية الى تطوير جهاز الدولة تطويرا يشمل اشكاله التنظيمية لتبسيطها ونقل اختصاصات كثيرة الى التنظيمات الشعبية المنتخبة ،وأساليب عمله لضمان وضعه في خدمة الجماهير ، والافراد الذين يشغلون الوظائف فيه لضمان ارتباطهم باهداف الثورة والفكر الثورى .

وفي بلادنا ، كانت مشكلة جهاز الدولة بالغة التعقيد . فنحن البلد الوحيد في العالم الذى عاش في ظل نظام دولة مركزى منذ خمسة آلاف عام دون انقطاع . وفي معظم الاحوال كان هذا الجهاز في خدمة طبقات مستغلة كانت في احيان كثيرة غريبة عن البلاد . وقد عمل الاستعمار والاقطاع ورأس المال المستغل في تشكيل جهاز الدولة وتسييره على النحو الذى يخدم مصالحهم . وجعلوا من « الوظيفة » مظهرا للسلطة ومبررا للتعالى على الجماهير ووسيلة للاثراء . ولكن عددا كبيرا من موظفى الدولة كانوا رغم ذلك من أبناء الطبقة الوسطى يشاركون الجماهير مشاعرها الوطنية ويضيقون بالاستغلال والتخلف والاستبداد المفروضة على المصريين . ولذلك لم يكن جهاز الدولة في مجموعه رجعيا خالصا لابد من تصفيته . ومن ناحية اخرى لم يكن للسلطة الثورية الجديدة حزب ضخم حافل بالكادر الذى يمكن ان يلعب دورا حاسما في تطوير جهاز الدولة. وفي هذه الظروف وضع الميثاق طريقين لهذا التطور المنشود : الاول ، هو رقابة الشعب عن طريق المجالس الشعبية المنتخبة على اجهزة الدولة التنفيذية حتى «يظل الشعب دائما قائد العمل الوطنى، كما انه الضمان الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من ان تتجمد في تعقيدات الاجهزة الادارية او التنفيذية بفعل الاهمال اوالانحراف» . والثانى هو نقل سلطات الدولة على المستوى المحلى تدريجيا الى الشعب نفسه ممثلا في هيئاته المنتخبة .

تجربة الديمقراطية في حركتها الاجتماعية

تلك هي العناصر الاساسية في تجربة « ديمقراطية الشعب العامل » كما رسمتها الوثائق السياسية والدستورية والتشريعية . وفي تقديرنا أنها عناصر كان من الممكن أن تضمن للتجربة النجاح . ولكن الامر الواضح هو أن قسطها من النجاح الذى اصابته بالفعل اقل بكثير من الامال التى علقتها عليها . ومن ثم يتعين أن نفتش عن الثغرات والعوامل والاسباب التى ادت الى هذه النتيجة . ويمكن أن نصف ذلك على النحو التالى :

اولا : ثغرات في النصوص الاساسية : اننا نعتقد أن الميثاق نفسه قد حوى بعض الثغرات التى ساعدت على تعثر التجربة . ونخص بالذكر منها : الجهاز السياسى ، ومفهوم المثقفين .

١ - عدم وضوح طبيعة الجهاز السياسى :

أن الفقرة الاساسية التى تعرضت للجهاز السياسى في الميثاق هي تلك التى تقول : « أن الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربى ، يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويطور الحوافز الثورية للجماهير، ويتحسس احتياجاتها ، ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات» .

ويتضح من هذه الفقرة - رغم ايجازها الشديد - ان الجهاز السياسى ليس مجموع المستويات القيادية في الاتحاد الاشتراكى كما فهم البعض ، والا لما كانت ثمة حاجة الى النص على خلق جهاز سياسى جديد . كما ان الفترة السابقة تعطى للجهاز المشار اليه مهام واضحة هي تجنيد وتنظيم الكادر ، وقيادة الجماهير ، والكشف عن مطالبها واقتراح برنامج تحقيقها ، وهذه المهام هى بالدقة مهام « الحزب الطليعى » وربما كان ما احاط بالحياة الحزبية القديمة عندنا من مآس ، والحرص على عدم ذكر ما يمكن ان يستفاد منه تبنى نظام الحزب الواحد ، ربما كان كل ذلك من بين أسباب عدم الافاضة في شرح دور الحزب الطليعى . ولكن عدم اتضاح طبيعة الجهاز السياسى كان لابد ان يؤدى في العمل الى احدى نتيجتين كلاهما تشويه للتجربة في تقديرنا : الاكتفاء بطابع التجمع الشعبى العريض في الاتحاد الاشتراكى ، وعدم قيام حزب طليعى ، او تحول الاتحاد الاشتراكى نفسه الى حزب . ويمكن أن نقول ان قانون الاتحاد الاشتراكى وفترة تطبيقه الاولى سارا في اتجاه عدم وجود الحزب . كما يمكن أن نقول ان تجربة المكاتب التنفيذية جعلت الاتحاد الاشتراكى يقترب من مفهوم الحزب على حساب مفهوم التحالف الطبقى الواسع . هذا مع ان الجديد في تجربة التنظيم السياسى عندنا هو بالدقة الجمع بين الحزب الطليعى والتنظيم الجماهيرى الواسع في آن واحد كما سبق ان اشرنا .

٢ - اى مثقفين ؟ جاء بالميثاق ان السلطة يجب أن تكون بيد تحالف قوى الشعب العاملة وهي : الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والراسمالية الوطنية . ولا يمكن بحال ان تعد كل المثقفين من انصار الثورة . حقا ان الثقافة تقرب صاحبها من الفهم السليم للامور وتجعله اكثر استعدادا لتقبل الثورة باعتبارها علم تغيير المجتمع .

ولكن لا يمكن أن يدخل ضمن تحالف قوى الشعب العاملة جميع المثقفين بلا تمييز . واذا كانت صفة « الثورى » شرطا ليلعب المثقف دوره في الحزب الطليعى ، فانه يمكن ان نشترط في المثقف لكى يكون عضوا في الاتحاد الاشتراكى

أن يكون مواليا للثورة . ولا يمكن بحال التهوين من شأن موقف المثقف من الثورة . ذلك ان الجانب الفكرى يلعب دورا هاما فى موقفه . وفى حين تحرك العامل او الفلاح مصلحته الطبقية قبل كل شيء ، يتعذر ان نتغافل لدى صاحب الفكر طبيعة هذا الفكر . وقد ترتب عمليا على عدم تحديد المثقف الذى يدخل ضمن قوى الشعب العاملة اعتبار كل « المهنيين » جزءا من تلك القوى ،كما لو كانت كليات الجامعة — والجامعات الاجنبية — تقدم معدرجاتها العالمية شهادة بالولاء للثورة واهدافها .

ثانيا : اجراءات صاحبت صدور الميثاق :
ان الانصاف يقتضى أن نقر بان الميثاق كان قفزة كبرى الى الامام فى ميدان الفكر والعمل الثورى لعبت فيها قيادة عبد الناصر دورا رائعا فى استيحاء الجماهير عميق رغباتها رغم قصور كل القنوات الموصلة لراى الجماهير عن التعبير عنه. ومن يراجع اعمال المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية يلمس فى جلاء الدور الطليعي لجمال عبد الناصر . ولذلك فليس من الغريب ان يصطحب الميثاق منذ مولده بمحاولات « للتخفيف » من ثوريته ، مثل تلك التى سارت فى هذا الاتجاه « المعقول » امرين : تعريف الفلاح والعامل ، والمفهوم الشكلى للعزل السياسى .

١ — **تعريف العامل والفلاح :** لسنا نريد ان نطيل فى هذا الموضوع الذى كان محل مناقشات كثيرة خلال السنوات الثلاث الماضية . وقد عبر الكثيرون داخل اجتماعات الاتحاد الاشتراكى وعلى صفحات الجرائد وفى جلسات الاستماع التى نظمتها لجنة مشروع الدستور الدائم عن الاعتراض على التعريف الذى اخذت به « لجنة المائة » .

وكل ما نريد ان نضيفه هنا هو ان تعريف الفلاح قد صادر بالفعل الى حد كبير الوضع الخاص الذى اراده الميثاق للفلاحين . فكما سبق ان أوضحنا ، كان الهدف الاساسى من النص على حد ادنى لتمثيل العمال والفلاحين هو ضمان صحة تمثيلهم ازاء الراسمالية الوطنية ،وفى الريف نجد انه **بعد استبعاد الاقطاع يكون خط التمييز الطبقى الاساسى هو ذلك الذى يفصل بين الفلاح الذى يعمل بيده وذلك الذى يعتمد فى زراعة أرضه على عمل الغير الاجير** . ومن المسلم به بصفة عامة ان مساحة خمسة افدنة هى المساحة التى يمكن ان يزرعها الفلاح وافراد اسرته بايديهم والتى تستوعب عملهم بالفعل . اما من تزيد ملكيته عن خمسة افدنة فلابد ان يعتمد على الاجير . وهكذا نجد ان حيازة الخمسة افدنة هى الحد الكيفى الذى يفرق بين الفلاح الذى يعمل بيده وبين الفلاح الراسمالى ، فى حين ان اى حد اعلى من ذلك ليس الا فارقا كميا بين فئات مختلفة من الراسمالية الوطنية . ولذلك فان تعريف الفلاح بأنه من يحوز خمسة وعشرين فدانا يجعل الراسمالية الوطنية فى الريف تقتسم كل المقاعد النيابية : النصف لفئاتها الدنيا ، والنصف الاخر لفئاتها الاكثر ثراء . واستعراض حالات اعضاء مجلس الامه «الفلاحين» يثبت انه فيما عدا بعض مناطق الاصلاح الزراعى المحدودة العدد للغاية، جاء هؤلاء الاعضاء ممن يملكون اكثر من خمسة افدنة ، أى من الراسمالية الوطنية .

اما الاخذ بالتعريف « النقابى » للعامل فهو بدوره يهدر التمثيل الخاص للعمل اليدوى . واعتبار كل من يعمل بأجر عاملا يلغى نظريا التمثيل المستقل للمثقفين كاحدى قوى الشعب العاملة. فالمهندسون والاطباء والمحاسبون ورجال القانون الذين يعملون فى شركات القطاع العام ليسوا عمالا بالمعنى الذى قصد الميثاق توفير الحماية له. وهؤلاء لم يكونوا اصلا فى حاجة الى نص خاص يحفظ لهم نسبة من التمثيل لان لهم من وصفهم الثقافى والاجتماعى ما يفتح امامهم فرص الانتخاب بعد استبعاد الاقطاع ورأس المال المستغل،ويكفى أن نشير هنا الى نفوذهم على عمالهم الذى يتيح لهم فرصة الفوز بالمقاعد التى كانت قديما من نصيب اصحاب تلك الشركات . **ومن الناحية العملية أدى التوسع فى تعريف العامل الى ان تكون مقاعد العمال — فيما عدا قلة من القادة النقابيين — من نصيب الاداريين والفنيين .**

٢ — **مفهوم العزل السياسى :** قامت فكرة العزل السياسى على الاخذ بمعيار شكلى فى تحديد العناصر التى تعد معادية للثورة . فبعد النص على تطبيق العزل على من اصابتهم الاجراءات الاشتراكية — وهذا مفهوم طبقى واضح — ورد النص على تطبيقه على كل من اعتقل او حكم عليه لاسباب سياسية منذ ١٩٥٢ . ومن الجلى ان هذا معيار شكلى خالص . ان الحرمان من الحقوق السياسية اجراء يجب ان ينصب على من يعادى الثورة . والعداء للثورة يمكن ان يستفاد من الوضع الطبقى للمواطن ، كما هى الحال بالنسبة للاقطاعيين وكبار الراسماليين . كما انه يمكن ان يكون موقفا سياسيا نتيجة لتبنى اهداف مناقضة لاهداف الثورة والعمل من اجل ضرب الثورة وتصفيتها . وبعبارة اخرى العزل يجب الا يصيب الا قوى الثورة المضادة والعناصر التى تنحاز لها تفادى التحرر والاشتراكية وتضع نفسها موضوعيا فى خدمة الاستعمار والرجعية .ولايمكن

ن يكون مجرد الاعتقال ولو يوما واحدا دليلا ناطعا على الانتماء الى الثورة المضادة . والغريب ن يتخذ الاعتقال السابق للميثاق دليلا على مناهضة اهداف الميثاق . وقد ادى هذا المفهوم الشكلى للعزل السياسى الى حرمان الثورة من نشاط عناصر كثيرة اختلفت مع قياداتها فى مراحل معينة من تطور العمل الوطنى ولكنها عناصر اشتراكية تلتزم بالميثاق . وساعد على تفتيت وحدة القوى الاشتراكية انه بينما صدرت قرارات كثيرة ترفع العزل عن افراد اصابتهم القرارات الاشتراكية ، لم تتجاوز قرارات رفع العزل عمن سبق اعتقالهم بضعة عشر قرارا. واذا كان مفهوم القوى الاشتراكية يشمل كثيرا من العناصر الوطنية التى اقتنعت من خلال نضالها بحتمية الحل الاشتراكى ، فانه يشمل ايضا اليسار الماركسى الذى حل تنظيماته الخاصة وقبل بمحض ارادته الالتزام بالميثاق والنضال ضمن تحالف قوى الشعب العاملة. واستمرار عزل العناصر الماركسية يتيح الفرصة امام الرجعية للترويج لكثير من الافكار المعادية للاشتراكية باسم ضرورة التمايز بأى ثمن عن الماركسية كما يوفر للعناصر الانتهازية سلاحا فعالا فى ارهاب المناضلين من ابناء الشعب بتهمة الشيوعية .

ثالثا : حرمان فئات هامة من العمل السياسى:
نصت المادة العشرون من قانون الاتحاد الاشتراكى العربى على ان : « تبين طريقة تمثيل القوات المسلحة ورجال الشرطة ورجال القضاء فى منظمات الاتحاد الاشتراكى بقرار من اللجنة التنفيذية العليا » . وحتى الان لم يصدر هذا القرار . وتظهر اهمية هذا النقص اذا تذكرنا ان الجيش والشرطة والقضاء هى اهم اجزاء جهاز الدولة ، فهى التى تمثل قوة القهر فيه وهى المسئولة عن امن البلاد الخارجى والداخلى وعن احترام القوانين . وبالتالى فانه من المستحيل تماما تطوير جهاز الدولة وتطويعه لخدمة الشعب وتلك الاجهزة الثلاثة بعيدة تماما عن العمل السياسى .

ان الثورة العربية فى مصر — شأنها شأن كل ثورة اصيلة — لم تكن لترغب فى بناء « جيش محترف » يتخذ من القتال وسيلة وغاية ويضع نفسه فى خدمة اية سلطة . فمثل هذا الجيش لابد ان يتحول الى اداة تسلط على الشعب. لقد جعلت ثورتنا من اول اهدافها بناء **جيش وطنى** ، اى قوة ضارية تتقدم صفوف الشعب فى النضال ضد الاستعمار والاقطاع حتى يتحقق الاستقلال الكامل . وبالتحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية كان لابد لهذا الجيش من ان يصبح جيشا ثوريا متشبعا بأهداف الشعب الاشتراكية مؤمنا بأنه كتائب من ابناء تحالف قوى الشعب العاملة انفق الشعب على تكوينها وتسليحها لتكون درعا للتحول الاشتراكى .

اما **رجال القضاء** فقد سبق ان اشرنا الى الدور الذى يمكن ان يلعبوه فى حماية مبدأ سيادة القانون دون اخلال بأهداف الثورة . ونحن نعتز فى مصر بجهاز قضائى كانت النزاهة والامانة والكفاءة والوطنية سماته حتى فى احلك ايام السيطرة الاستعمارية والاقطاعية . ولهذا لا ينبغى ان يعد نيلا من كرامة القضاء ورجاله ان نقرر واقع أنهم تربوا فى اطار قانونى رأسمالى . فتشريعاتنا تستند فى مجموعها الى القانون الفرنسى الذى وضع فى عهد نابليون . وحجر الزاوية فى هذا النظام التشريعى كله هو الملكية الفردية لوسائل الانتاج « والحرية الاقتصادية لمن يمارس تلك الملكية . والاشتراكية نظام حديث نسبيا فى العالم . والتطبيق الاشتراكى له ظروفه الخاصة فى كل بلد بحيث نرفض جميعا ان ننقل بالجملة القوانين السوفيتية مثلا كما نقل الحكام عام ١٨٨٣ القوانين الفرنسية بالجملة . ولهذا فلن يتيسر التطوير الثورى للقوانين عندنا الا اذا انفتح التنظيم السياسى لرجال القضاء ليعيشوا مع الشعب نضاله وآماله . وعندئذ سيبرز منهم ومن غيرهم من رجال القانون المناضلين داخل التنظيم السياسى ذلك النفر المشبع بالفكر الاشتراكى والمزود بالتكتيك القانونى والذى يمكن ان يجرى التطوير الثورى للقوانين .

رابعا : الانتخابات غير السياسية : لقد شهدت البلاد فى الفترة من ١٩٦٢ الى ١٩٦٤ اكبر حملة من الانتخابات فى تاريخها : انتخابات الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى ، انتخابات اللجان النقابية ، انتخابات ممثلى العاملين فى مجالس الادارة ، انتخابات الجمعيات التعاونية الزراعية ، انتخابات مجلس الامة . فلم يكن الفائزون فى تلك الانتخابات دائما افضل العناصر خلقا واكثرها نضالية واشدها تمسكا بالاشتراكية. وقد ولدت هذه الظاهرة رد فعل يتحفظ ازاء مبدأ الانتخابات ذاته ولو بصفة مرحلية. وفى المستوى النظرى ذهب بعض الكتاب ، ومنهم من لا يمكن ان تكون عقيدته الديمقراطية محل شك، الى الدعوة الصريحة الى اهمال مبدأ الانتخاب فى المرحلة الحالية وتفضيل الموظف الحكومى المسئول امام الدولة على الهيئة المنتخبة التى يمكن ان تسيطر عليها اتجاهات رجعية او نفعية . وفى المستوى العملى، **اتبع مبدأ الاختيار** [illegible] **تشكيل المكاتب التنفيذية**

للاتحاد الاشتراكي ، ثم اخذ الاتحاد الاشتراكي يلقى بوزنه كله خلف قوائم مرشحين في الانتخابات النقابية في حين نقلت اختصاصات هامة من مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية الى المشرف الزراعي .

وتلك قضية خطيرة لا يجوز غض الطرف عنها ولا التردد في مناقشتها بصراحة . فالانتخاب حجر الزاوية في كل عمل ديمقراطي . ومعنى الانتخاب هو الاحتكام للجماهير . والشك في جدوى الانتخاب بصفة عامة تشكيك في وعي الجماهير وقدرتها على فهم مصالحها واختيار ممثليها ودعوة مستترة لفرض الوصاية على هذا الشعب الذي وصفه عبد الناصر بانه «هو المعلم والقائد وهو الخالد» . والبديل الوحيد للانتخاب هو الاختيار . ومهما تحلت الجهات التي تتولى الاختيار بأعلى درجات الموضوعية ، فان الاختيار بطبيعته يتضمن عنصرا ذاتيا لا يمكن اغفاله . ومن يتولى مسئولية سياسية او نقابية بطريق التعيين يحس بانه مدين بها لمن عينه او رشحه او زكاه وهكذا يفرخ الاختيار « الشللية » في حين ان الانتخاب يجعل المنتخب مسئولا قبل كل شيء امام ناخبيه ، اى امام الجماهير . والواقع ان العيب ليس في مبدأ الانتخاب ، وانما في الطريقة التي جرت بها الانتخابات . ان الفكر السياسي المرتبط بالراسمالية والديمقراطية الغربية يعطي للاقتراع مفهوما شكليا محضا ويضفي عليه قداسة زائفة . ولكن الفكر السياسي الاشتراكي الذي يحترم الجماهير بالفعل يحذر من الاعتماد على تلقائيتها ويرى ان الانتخاب لا يكتسب دلالته الحقيقية الا اذا سبقته معركة سياسية توضح اهميته ، وتقدم للجماهير المعايير الموضوعية للاختيار . وتبرز اهمية المعركة السياسية بنوع خاص اذا كان الانتخاب تجربة جديدة تخطو خطواتها الاولى ، لم تستوعبها الجماهير بعد وتحدد أبعادها . وربما كان خير دليل على ذلك انتخابات ممثلى العاملين في مجالس ادارة الشركات . فلابد لجديتها من حملة سياسية واسعة النطاق لشرح اهمية اشتراك العمال في الادارة ، ومعنى هذا الاشتراك وان المندوبين المنتخبين لن يمثلوا العمال في مواجهة الادارة (كما هى الحال بالنسبة للقادة النقابيين) وانما سيمثلونهم في **الادارة** . كذلك لابد من عرض موضوعى للشروط التي ينبغي ان تتوافر فيمن ينتخب لهذه المهمة . اما اذا لم يتم احد بهذا الجهد السياسى فان العمال يمكن ان ينتخبوا على اسس اخرى بعيدة عن روح التجربة وهدفها (كتفضيل من يدافع عن حقوق العمال او الموظف الذي يملك بحكم عمله تقديم تسهيلات للعمال ، او الانتماء الى بلد واحد ... الخ) وواضح ان الحملة السياسية المطلوبة يجب ان يقوم بها هنا التنظيم السياسي بالتعاون مع التنظيمات النقابية . فاذا انتقلنا الى الريف شاهدنا كيف تحايلت الراسمالية الريفية على قانون تخصيص ٨٠٪ من مقاعد مجلس ادارة التعاونيات لصغار الفلاحين . لقد استغلت راسمالية الريف فرصة الانتخابات المتعددة التي شهدتها القرية في نفس الفترة : الاتحاد الاشتراكي ، الجمعية التعاونية ، مجلس القرية ، منصب العمدة ..الخ .. فلجأت الى تقسيم المراكز النيابية بين العائلات بحيث أصبح الفلاح الصغير الذي ينتخب في الجمعية يحس بانه مدين بهذا الوضع لعائلته واثريائها الذين انتزعوه له وليس لتاييد اخوانه من الفلاحين الفقراء في مواجهة اثرياء القرية . وهنا ايضا يظهر اثر انعدام العمل السياسى وافتقاد التنظيم الجماهيرى للفلاحين الفقراء الذى يوحد جهودهم ويحمى مصالحهم .

خامسا : المجالس الشعبية والحكم المحلى :

واخيرا فان جزءا اساسيا من التجربة الديمقراطية لم يخرج الى حيز الوجود اصلا الا وهو المجالس الشعبية ونقل سلطة الدولة تدريجيا الى الهيئات المنتخبة في المستوى المحلى . ولابد هنا من التمييز بين مفهوم الحكم المحلى ومفهوم اللامركزية الادارية . فحين ينقل القانون اختصاصات هامة من اجهزة الدولة المركزية الى اجهزة الدولة الاقليمية تكون بصدد لامركزية ادارية . وتلك هى الحال في المحافظات عندنا . فالمحافظ نفسه معين مركزيا . وكبار الموظفين الذين يتولون شئون الخدمات في المحافظة معينون مركزيا . والامر الجديد هو انه قد اصبح له ولهم حق اتخاذ بعض القرارات دون استئذان العاصمة . اما الحكم المحلى فالمقصود منه في الحقيقة هو ان يتولى المواطنون حكم نفسهم بنفسهم في القطاعات التى لا تنهض ضرورة تقتضى ادارتها عن طريق الدولة باجهزتها المركزية والاقليمية . جوهر الحكم المحلى هو انتقال سلطة الدولة تدريجيا الى الهيئات المنتخبة كما قال الميثاق . وفي ضوء هذا الفهم نرى ان الحكم المحلى يجب ان يبدأ من القرية وليس من المحافظة . فادارة شئون القرية غير معقدة ومحدودة المهام ولا تستلزم عددا كبيرا من الموظفين المتفرغين ،ويمكن لجمهور الفلاحين فهم شئونها ورقابة القائمين عليها رقابة فعالة . وهذه الديمقراطية المحلية تلعب دورا حاسما في تدريب الجماهير على الديمقراطية وممارستها وتولد لدى المواطنين الشعور بالمسئولية والروح الجماعية . لقد شهدت البلاد في ظل تجربة

الحكم عندنا سباقا بين القرى على الحصول من الدولة على خدمات محلية بما زاد اعباء ميزانية الخدمات ونصيب الخدمات من الخطة القومية المولة مركزيا »، ولو كانت ادارة القرية بيد مجلس منتخب له ماليته الخاصة لانصرف جزء كبير من تلك الجهود الى اقتناع الجماهير بالاسهام نقدا وعينا فى المشروعات التى تفيدهم وترفع مستوى معيشتهم ولاتقتصر تدخل اجهزة الدولة على توفير الخبرة الفنية وتقديم المعونة المالية فى حدود معينة . وفى مستوى القرية لا يوجد ما يدعو الى الازدواج بين جهاز تنفيذى ومجلس شعبى . بل ان الهيئة الشعبية المنتخبة تتولى المهام التنفيذية مباشرة مستعينة بعدد محدود من الفنيين او الاداريين المتفرغين .ويمكن أن يطبق نفس النظام على المدن وان كانت ادارتها اكثر تعقيدا ، وذلك بشرط ان تقتصر الادارة على المدينة نفسها ولا تمتد الى الاشراف على مجالس القرى . اما فى مستوى المحافظة فلابد فى المرحلة الحالية من الجمع بين جهاز تنفيذى بعضه معين مركزيا ومجلس شعبى يحقق الرقابة . وبهذا يمكن تلافى التضخم الشنيع للاجهزة الادارية التى نمت فى اطار تجربة الحكم المحلى ، وبخاصة الافراط فى انشاء الوظائف ذات المرتبات العالية».

نقاط لبرنامج ديمقراطى

وبعد ، ان تجربة ديمقراطية الشعب العامل لم تكن خاطئة جذريا ، بل انها مازالت اطارا صالحا من الناحية النظرية لمرحلة التحول الاشتراكى التى تعيشها البلاد . ولكن الظاهرة الملفتة للنظر هى العقبات المتعددة التى صادفتها فى التطبيق والثغرات التى نفذت منها اليها مخلفات ما قبل الميثاق واشكال التحايل على أهدافها الحقيقية . وذلك كله ليس من قبيل القضايا «الفنية» بل انه فى حقيقته تعبير عن حركة الصراع الطبقى فى المجتمع المصرى . ان محصلة تجربة السنوات الخمس الماضية هى ان الطبقات الوسطى قد نجحت فى الاستئثار بالجانب الاكبر من الحياة السياسية على حساب الطبقات الشعبية . لقد نمت الطبقات الوسطى عندنا بعد ١٩٥٢ نتيجة لتصفية الاقطاع وضرب المواقع الاستعمارية فى اقتصادنا القومى ، ولتقدم حركة التنمية والتصنيع مما فتح مجالات واسعة امام المتعلمين حتى من ابناء الفئات الدنيا من الطبقات الوسطى لشغل مناصب هامة والحصول على دخول مرتفعة »، وكان طبيعيا أن تنتشر بينهم تطلعات طبقية تدور حول الحلول ولو جزئيا محل الطبقات المستغلة التى اقصيت عن السلطة .

وهذه الطبقات الوسطى جزء من تحالف قوى الشعب العاملة »« ومازالت بصفة عامة تلعب دورا ايجابيا فى الانتاج ولا يمكن ان يكون الموقف الثورى هو تصفيتها »، وانما يجب أن تتاح الفرصة التى ارادها الميثاق للطبقات الشعبية لتأخذ مكانها الطبيعى فى الحياة السياسية والاقتصادية باعتبارها اغلبية الشعب ».وفى تعديل علاقات القوى الطبقية على هذا النحو يكمن المحرك الاساسى لتنشيط تجربتنا الديمقراطية »، ولهذا نقترح كنقاط هامة فى برنامج ديمقراطى للمرحلة الحالية :

١ ـ تعديل تعريف العامل والفلاح بما يضمن عدم استيلاء الطبقات الوسطى على النسبة التى كفلها لهم الميثاق ».

٢ ـ حزب اشتراكى ثورى يكون طليعة للاتحاد الاشتراكى العربى ويضم خيرة المناضلين

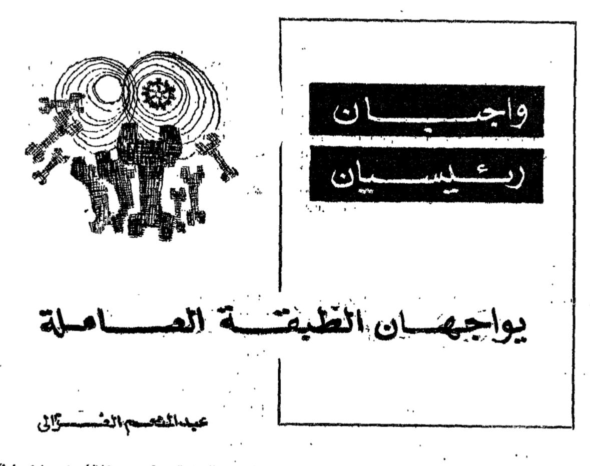
٣ ـ رفع العزل عن كل العناصر والقوى الاشتراكية التى تلتزم بالميثاق وبالنضال فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة ».

٤ ـ توفير أعلى ضمانات حرية الرأى والعمل السياسى ـ فى حدود الميثاق ـ داخل الاتحاد الاشتراكى العربى والمنظمات الجماهيرية .

٥ ـ تنظيم كل قوى الشعب العاملة التى نص عليها الميثاق فى الاتحاد الاشتراكى ، وفى مقدمتها رجال القضاء ».

٦ ـ البدء بتطبيق نظام الحكم المحلى فى القرى ثم المدن وتكوين المجالس الشعبية فى مستوى المحافظات ».

٧ ـ احترام سيادة القانون والعمل الجاد على تطوير القوانين وتمثيل الشعب فى القضاء عن طريق نظام المحلفين ».



واجبان رئيسيان يواجهان الطبقة العاملة

عبدالمنعم الغزالي

إن ما حدث في الخامس من يونيو ١٩٦٧ هز قيم هؤلاء الذين لايؤمنون بالثورة طريقا للتغيير — هؤلاء الذين كانوا يرون في « الثورة » مزيدا او جديدا من الامتيازات او تحقيقا لتطلعات طبقية .. بينما ازداد اصرار الجماهير الكادحة والمؤمنة بالثورة طريقا للتغيير الجذري الشامل وعزما على الصمود والمقاومة والاستمرار بالثورة وحمايتها ... والطبقة العاملة المصرية التي واجهت طيلة تاريخ طويل كل موجات الثورات المضادة سواء في مرحلة الثورة الوطنية او في مرحلة الثورة الاجتماعية — هذه الطبقة تواجه قوى الثورة المضادة ، وقد واجهتها بصمود وثبات في التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ — وعليها ان تستمر في المواجهة حتى يكون لها المشاركة الطليعية ، وهي مشاركة حتمية وضرورية لتصفية كافة قواعد ومراكز انطلاق الثورة المضادة في حياتنا الثورية ...

وتفترض هذه المواجهة ان تحدد مجموعة من الواجبات الرئيسية التي يجب على الطبقة العاملة المصرية ان تعيها وتستوعبها وتنجزها من خلال حركتها المنظمة الواعية سواء كانت هذه الحركة من خلال الاتحاد الاشتراكي ، او من خلال منظماتها النقابية ، او من خلال مشاركتها في مجالس الادارة ..

الواجب الاول ، مهام في حقل الانتاج

ان الحرب المعلنة ضد الثورة العربية — تهدف في الاساس الى الحد من تحررنا الاقتصادي وسد الطريق على تطور اقتصادنا في اتجاه الاشتراكية ، في اتجاه ارساء القواعد لانتصار الثورة الاجتماعية .. ومن هنا يصبح واجبا رئيسيا علينا ونحن نواجه العدو ان تستمر عملية البناء الثوري لاقتصادنا الصناعي والزراعي وان تحقق معدلات عالية في النمو والانجاز ، وواجب الطبقة العاملة هنا — وهي قوة العمل البانية — الا تكون واعية فقط بذلك ، بل ان تحمل على اكتافها عبء هذه العملية — ولقد كثر الحديث حول هذه القضية تحت شعار زيادة الانتاج — واتخذت اجراءات عديدة منذ فترة لتحقيق هذا الشعار مثل زيادة ساعات العمل والحد من الاجازات المرضية .. الخ . ولكن حتى اليوم لم نحصل على النتائج المرجوة — لان اغلب هذه الاجراءات اتخذت دون حساب اساسي لحركة القوة البشرية المنتجة لانجاز هذه المهمة بمشاركة فعالة وحقيقية

قوامها الوعي والتضحية بكامل الرضاء . بل انه عند تنفيذ هـذه الاجراءات تم تنفيـذها بطريقة ادارية وبيروقراطية بدت في اغلب الاحيان كأنها عـدوان على حقوق اكتسـبتها القوة البشرية المنتجة بنضـال طويل ومرير وكمنجـزات من منجزات الثورة منذ قيامها في ٢٣ يوليو او بعـد اجراءات يوليو ١٩٦٢ ـ مما ولد مواقف سلبية والوانا من عدم الرضاء والتضرر الامر الذى تفيد منه الى حد كبير قوى الثورة المضادة في حركتها العدوانية المعادية للثورة الاشتراكية .

فمثلا ـ عندما طرحت قضية زيادة ســاعات العمل طرحت بشكل مطلق دون ما تحـديد اذا كانت هذه الزيادة في هذا المكان او ذاك ستحقق زيادة فعلية في الانتاج او انها لن تحقق زيادة في الانتاج اطلاقا ، بل ستؤدى احيانا الى زيادة في الاستهلاك ـ والقصور هنا مصدره في الحقيقة ان القيادات الجمـاهيرية تلقفت شـعار زيادة الانتاج تلقفا سطحيا واحالته الى شعار زيادة ساعات العمل ، بينما كان الواجب عليها ، ان تلتقى بجماهيرها تناقش معها القضية الى حد التفاصيل لتحدد افضل الاجراءات لتحقيق الزيادة والتطوير في الانتاج في المكان الذى تعمل فيـه ، وذلك حتى يمكن تحقيق استخدام اكفأ للطاقات الانتاجية المادية والبشرية والقائمة فعلا ، وحتى يمكن تحويل الطاقات البشرية المعطلة الى طاقات عاملة (بدلا من زيادة ساعات عملها المعطلة !) وان تكون زيادة ساعات العمل حيث يكون من الممكن تحقيق زيادة فعلية في الانتاج .

وعندما يتحدد واجب رئيسي من واجبـات الطبقة العاملة بزيادة الانتاج وتطويره فانه يتحدد كواحد من واجباتها كقوة طليعية ورائدة في بناء الاشتراكية . وهو واجب يحتم التضحية والبذل لان بناء الاشتراكية ليس مهمة يسيرة والطريق اليها ليس ممهدا ، ولكنها حقوق تكتسب وتؤخذ بالنضال والعمل الشاق . والقيام بهذا الواجب يفترض كذلك ـ بل يوجب ـ ان كل زيادة او تطوير او تحسين في الانتاج كما ونوعا ترتب توزيعا يتناسب مع كمية ونوع العمل المبذول ، فالعامل الذى يعمل بطريقة افضل والذى يعطى اكثر للمجتمع يأخذ منه في مقابل ذلك اكثر .. ومن هنا فانجاز هذا الواجب والتضحية والبذل من أجل انجازه توجب عطاء ـ وعليه فان النظرة الى التضحية في مجال زيادة الانتاج ونحن نواجه الظروف الصعبة لا تنفى الاستمرار في منح ميزات للعمل المنتج لان ذلك في النهاية يعنى اسـتمرار الثورة في مواجهة الثورة المضـادة ، ان الثورة المضادة تهدف دائما الى ابقـاء الجمـاهير على حالها او الانتكاس بما وصلت اليه وحققته .. قال المناضل جمال عبد الناصر في الحوار الذى دار بينه وبين رؤساء مجالس الادارات والشركات في مارس ١٩٦٧ : « **هل الطبقة العاملة حصلت على كل ما نتمناه لها ؟ حصلت على الكثير ولكن ليس كل ما نتمناه للطبقة العاملة وانا اقول على قدر زيادة الانتـاج لابد ان تزيد حقوق الطبقـة العاملة . قد يكون فيه واحد مشـاغب وهـذا الشخص المشاغب لا يمكن ان ناخذه قاعدة ونترك الباقى »** .

واذ يتحدد واجبا رئيسيا للطبقة العاملة هو ان تكون القوة الطليعيـة والرائدة في مجال زيادة الانتاج وتطويره وتحسينه ليكون سلاحا في ايدى المجتمع يواجه به كافة انواع الضغوط الاقتصادية ـ فان ذلك يلزم قيادات الطبقة العاملة سواء في مجال التنظيم السياسي او النقابي او الادارى بواجبات معينة ـ يلزمها **اولا** بأن تكـون قـدوة ومثالا للعمل المنتج وللتضحية ، والايكون وجودها القيادى ميزة لها ومصدرا لزيادة ثرائها وتحقيقها لتطلعات طبقية . **وثانيا** ان تكون هذه القيادات قيادات اشتراكية مناضلة ومستعدة لان تحاسب جماهيريا وبطريقة ديمقراطية . **وثالثا** ان تكون صاحبة مصلحة حقيقية في الثورة الاشتراكية ، فقد عانت من قبل اضطهاد راس المال واستغلاله وبطشـه ولم تكن في خدمته ولا مستفيدة منه ، **وان تكون قد مارست مواجهة العناصر الانتهازية والفاسدة دون خوف من مراكزها او نفوذها .**

واجب ثان ، ممارسة الديمقراطية

وهذا الواجب ـ المتصوربالنسبةله انه حق ـ حق الطبقة العـاملة في الحركة الديمقراطية ، ولكن الحركة الديمقراطية للطبقة لا تتحقق هكذا لمجـرد الاقرار بالحـق ـ ان تحقيـق الحركة الديمقراطية عملية نضالية ـ هى عملية صراع تمارسه الطبقة العاملة ضد بقايا القوى الرجعية القديمة ، وضد القوى الرجعية الجديدة ذات النفوذ والتي تحاول ان توقف مد لتطور الثورى او ان تنتكس به الى خلف .. ومن هنـــا فان ممارسة الطبقة العاملة للديمقراطية هى واجب يجب عليها ان تمارسه وان تمكن من ممارسته من خلال التنظيمات الشعبية في مواجهة اى ضغوط رجعيـة او انتهازية تحـاول خنق حرية هـذه المنظمات او شل حركتها ـ وكما يقول ميثـاق العمـل الوطنى : « ان فترات التغـيير الكبرى بطبيعتها حافلة بالاخطار التي هى جزء من طبيعة

المرحلة . **على ان التأمين الاكبر ضد هذه الاخطار كلها هو ممارسة الحرية وخصوصا بواسطة المجالس الشعبية المنتخبة »** .

ولفترة طويلة وبسبب ضغوط من قبل القوى المضادة القديمة وضعت القيود على حرية الجماهير العمالية في حركتها المنظمة الواعية وحيل بينها وبين المشاركة الواعية في عملية البناء بهدف افقاد الثورة روحها وحياتها وعزلها عن الجماهير الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية فيها ، ولتعطيل صمام امن الثورة حتى تتمكن القوى المضادة من الانقضاض علي الثورة ومنجزاتها — ولقد حاولت هذه القوى المضادة لفترة من الزمن ان تحرم الجماهير الكادحة من حرية الحركة بحجة ان ممارسة الحرية تشكل خطرا على امن النضال الوطني والثوري — وهي بذلك داست قيمة من قيم ميثاق العمل الوطني عندما حدد : « **ان ممارسة الحرية بعد العملية الثورية الهائلة لاعادة توزيع الثروة الوطنية في يوليو سنة ١٩٦١ لا تشكل خطرا على امن النضال الوطني ، بل انها صمام الامان له فانها تخلق القوة الشعبية القادرة على الانقضاض على كل محاولة للتآمر والقيام بالتفاف لسلب الشعب ثمار نضاله »** .

ان الذي حدث في التطبيق هو ان عناصر تأجرت باسم الثورة والحركة العمالية وتمكنت بوسائل مختلفة من ان تتولى مراكز القيادة بالنسبة للطبقة العاملة — وهكذا تصدت هذه القوى معطلة ومعرقلة لاية حركة ديمقراطية لجماهير الطبقة العاملة — لان الحركة الديمقراطية الحقيقية لجماهير الطبقة العاملة تعني بالنسبة لهم نهاية وجودهم واسقاطهم من مراكز القيادة التي منها استفادوا وتميزوا وحققوا تطلعاتهم الفردية الانانية — ولقد نبه الى هذا النوع من « الانتهازية » المناضل جمال عبد الناصر في حواره مع رؤساء المؤسسات والشركات في مارس ١٩٦٧ عندما قال : « **احنا عاوزين الناس اللي تناقش والناس اللي تتكلم والناس اللي عندها كرامة والناس اللي عندها شخصية والناس اللي عندها وعي وطني ووعي سياسي ومش عايزين المشاغبين والمناكفين والتجار اللي لا زالوا الافكار القديمة عالقة بهم — وفي نفس الوقت مش عاوزين الدلاديل ولا عايزين الطراطير على هذا الاساس نستطيع ان ننجح دي الحقيقة — وتبقوا انتم معاونين معاونة تامة للاتحاد الاشتراكي »** .

ان ممارسة الطبقة العاملة للديمقراطية — تعني اول ما تعنى ان تنجز واجبا هاما ورئيسيا هو ازاحة القيادات الغيرصالحة ، وعملية ازاحة هذه القيادات يجب وان تتم وتتحقق من خلال التنظيمات الجماهيرية القائمة فعلا — من خلال الارتباط بالاتحاد الاشتراكي والتجمع الواعي داخل النقابات العمالية والمنظمات الجماهيرية — وذلك وصولا الى ما حدده الميثاق : « ... **واذا سمحت القيادات الشعبية بأن يحدث ذلك منها فانها لا تكون مقصرة في حق الشعب الذي صدرها للقيادة فقط وانما هي في نفس الوقت تكون قد عزلت نفسها عن جماهيرها وفقدت اتصالها بها . وسلمت بعدم قدرتها على حل مشاكلها ، وبالتالي يصبح ولا مفر امامها من ان تتنحى او يسقطها الشعب ويسحب منها ما اسلمه اليها من مسئولية القيادة ... »**

ان بعض هذه القيادات قد ابتعدت تماما عن قيم طبقتها العاملة ، وانحرفت بالعمل الوطني والثوري عن اهدافه الحقيقية — فاغلب هذه القيادات ، مثلا ، خالفت القانون الثوري الذي اوجب ان يكون هناك عمل واحد للرجل الواحد ، فمن هؤلاء القادة من يعمل في اكثر من عملين ومنهم من يتصدى للقيادة في اكثر من مستوى صادا لاي قيادات جديدة من ان تأخذ مكانها ، ومنهم من انحرف واصبح يعيش كطبقة متميزة اقتصاديا واجتماعيا داخل طبقته — وهو الانحراف الذي حذر منه الميثاق بقوله : « **والقيادات الجديدة لابد لها ان تعي دورها الاجتماعي ، وان أخطر ما يمكن ان تتعرض له في هذه المرحلة هو ان تنحرف متصورة انها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت اليها امتيازاتها . »**

انه لا يمكن للجماهير العمالية ان تتحرك « بالحرية » التي حددها الميثاق لتنجز واجباتها الثورية دون ازاحة هذه القوى المعطلة والمعوقة لهذه الحركة ازاحة ديمقراطية على اساس ممارسة النقد ، والنقد الذاتي والقيادة الجماعية ومشاركة الجماهير مشاركة حقيقية في اختيار قادتها في العمل الوطني — واستبعاد هؤلاء الذين سعوا بكل الوسائل لركوب الثورة والاستفادة منها .

ولتتحرك الجماهير العاملة — « بالحرية »

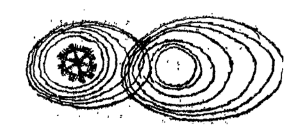
التى حددها الميثاق لابد وان تجد مكانها الحقيقى فى التنظيم السياسى وبتمثيل حقيقى للعمل المنتج الذى يحصل على وسائل معيشته بعمله وليس له اية علاقة بتملك وسائل الانتاج .

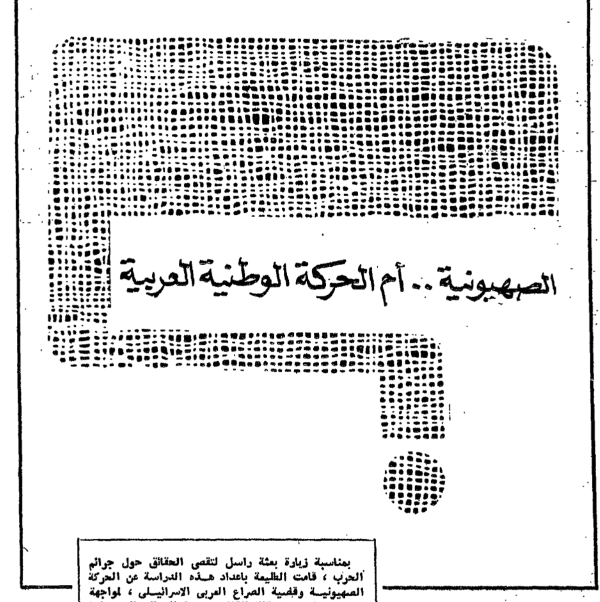
وان تجد الطبقة العاملة مكانها الحقيقى فى التنظيم السياسى ، المكان الذى منه تمارس دورها القيادى فى العملية الثورية للانتقال بالمجتمع من الراسمالية الى الاشتراكية شرط ضرورى حتى يكون التنظيم السياسى قادرا على التحرك بفعالية وكفاية لقيادة جماهير الشعب والتعبير عن مطالبها الحقيقية ، وليمضى بالثورة الاجتماعية الى اهدافها فى مواجهة مناهضة للانتهازية وللطبقات الاجتماعية التى تتعارض مصالحها واستمرار الثورة ولقوى الثورة المضادة .

وان ميثاق العمل الوطنى عندما حدد « ان الدستور الجديد يجب ان يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم اغلبية الشعب ، كما انها الاغلبية التى طال حرمانها من حقها الاساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه . » — انما حدد ذلك على اساس انه الضمان الاكيد « **لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة** ».

ان ابعاد الطبقة العاملة عن ممارسة دورها القيادى فى عمليات التغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى والفكرى تضعف من قوى الثورة ونحن نواجه اعباء البناء الثورى بعد النكسة .

ان الطبقة العاملة من خلال ممارستها الحقيقية للديمقراطية ستكشف عن كل قدراتها وامكانياتها وستوجه هذه القدرات والامكانيات توجيها ثوريا لانجاز كافة المهام الثورية التى تواجهنا ، ونحن نتجه الى بناء الاشتراكية والى تحرير الوطن العربى من كل **دنس الاستعمار والصهيونية** والرجعية .





الصهيونية .. أم الحركة الوطنية العربية ؟

بمناسبة زيارة بعثة راسل لتقصى الحقائق حول جرائم الحرب ، قامت الطليعة باعداد هـذه الدراسة عن الحركة الصهيونيـة وقضية الصراع العربى الاسرائيـلى ، لمواجهة الدعايات الاستعماريةالمضللةالتىتروجها الدوائر الصهيونية

ان أحدا لاينـكر أن دولة اسرائيل انما تعد ثمرة مايقرب من ثلاثة ارباع قرن من النشاط الفكرك والسياسى والاقتصادى بل والعسكرى ، هذا النشاط الذى مارسته الحركة الصهيونية العالمية لا فى فلسطين فحسب بل ايضا ـ وعلى الاخص ـ فى أوروبا وامريكا فى صفوف المواطنين اصحاب العقيـدة اليهودية او من اصـل يهودى فى بلدان القارتين وفى اروقة مكاتبهما الوزارية ـ كما انه لا تزال الصهيونية بالنسبة لاسرائيل ـ حتى اليوم ـ محور ايديولوجيتها وسياستها واقتصادياتهـا واستراتيجيتها العسكرية بل والاسـاس المبرر لوجودها .

هاتان حقيقتان لا يطعن فيهما احد ـ وعنـدما يطالبوننا باسم السلام وباسم التآخى بين الشعوب

وبهدف تخليص اسرائيل من الارتماء بين احضان النفوذ الامبريالى ، عندما يطالبوننا من اجل ذلك بتجاهل اكثر من مليون لاجىء عربى امسوا ضحية للهلاك ، ويطالبوننا فى نفس الوقت بالخضوع الفكرى لنظرة الصهيونية الى الامور وبقبول مخططاتها للمستقبل .

انهم يطالبوننا بقبول الفكرة القائلة بأن الصهيونية ايديولوجية حركة وطنية كانت بمثابة اختيار « الشعب اليهودى » لها فى طريق تحرره ضد معاداة السامية — التى تعد بحق سمة مميزة وبارزة لاكثر النظم رجعية فى اوروبا وبأن اسرائيل تبعا لذلك ثمرة كفاح حركة وطنية بل ثمرة كفاح حركة وطنية تقدمية اكثر من غيرها ، اذ شقت طريق وجودها ضد اكثر النظم رجعية فى اوروبا ابتداء من اوتوقراطية الاقطاع فى روسيا القيصرية لتنجح فى النهاية فى التغلب على ظلمات النازية الحالكة ، متحملة فى سبيل ذلك ملايين الضحايا .

وهم اذ يطالبوننا بقبول هذه الفكرة فانهم يطلبون الينا فى نفس الوقت التصرف بمقتضاها .

وقد سعت الصهيونية دائما الى ان تقرن بين مولدها ومولد الحركات القومية فى اوروبا الشرقية والوسطى وذلك لتوافق الظاهرتين الزمنى . كما انها تسعى لاحتلال وضعية على نفس مستوى جميع الحركات القومية التى شقت طريقها وصاغت ايديولوجيتها فى بوتقة الحركات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تبلورت فى القرن التاسع عشر بالهام الثورة الفرنسية ومبادئها . وحتى قبل الاضطهاد الجماعى الذى مارسه النازيون ضد اليهود فى معسكرات الاعتقال — والذى اثار ثائرة اليسار فى العالم اجمع اكثر مما اثار الصهيونيين — سعى الصهيونيون الى الانتساب الى قوى التقدم والاشتراكية — خاصة تلك التى نبتت على ارض روسيا القيصرية واوروبا الشرقية وكانت حيلتهم سهلة نسبيا خاصة قبل المقاومة العربية المتعاظمة التى اشتدت بعد الحرب العالمية الاولى — الا ان مهمتهم هذه اصبحت اكثر صعوبة بعد مولد دولة اسرائيل .

وتزعم الصهيونية — وذلك بحكم تعريفها — انها حركة تهدف الى علاج مشكلات مجموعات من البشر او افراد متعلقين باليهودية او يفرض عليهم تمييز عنصرى لانهم من اصل يهودى يعيشون كاقليات فى اطار وحدات اجتماعية واقتصادية اكبر وهى الامم القائمة او التى كانت فى طريقها الى التكوين فى اواخر القرن التاسع عشر فى اوروبا الشرقية والوسطى .

وتجند الصهيونية انصارها وتنظمهم فى اطار هذه المجموعات المحدودة لا فى صفوف الامة كلها ، وهذا امر طبيعى بحكم مفهوم ان اليهودى عند الصهيونية هو فرد ينتمى الى امة غير تلك التى يعيش بين ابنائها وان رسالتها نحوه هى انتشاله من وسط الامة التى يعيش فيها كالغريب وخلق دولته الخاصة التى يحيا فيها حياته الطبيعية .

والاشتراكيون والمحافظون والشيوعيون والفاشيون والبراجماتيون .. فى مختلف انحاء العالم ومهما بلغت نزاهتهم او ديماجوجيتهم ، ومهما كانت استراتيجيتهم او تكتيكهم مطالبون او على الاقل مضطرون الى اتخاذ مواقف من المشاكل الاجتماعية والسياسية والاخلاقية ، اذ انهم جميعا ينشطون وينظمون انصارهم ويجندونهم داخل وحدات اجتماعية طبيعية وهى الامة بمختلف طبقاتها — وبعبارة اخرى فهذه الاحزاب لا تستطيع ان تفلت من مسئولية ايديولوجيتها ومن ضرورة توضيحها للراى العام اذ ان ظروف المجتمع المادية تحكم وجود هذه الاحزاب فى داخله من خلال مواقفها المختلفة فى مناصرة او معاداة اصحاب العمل او العمال ، الحرب او السلام ، الاستعمار او استقلال الشعوب الخ .

اما الصهيونية فليس لها من حيث مبدئها ان تتخذ موقفا ازاء هذه المشكلات ، واذا سعت الى اتخاذ موقف — تأكيدا لزعمها بأن لها هى ايضا مسئولية نحو الانسانية جمعاء — فلا يمكن ان يزيد موقفها عن اعلان وتصريح لا يملك ان يتحقق من صدقه ولا يمكن ان يترتب عليه شىء من الناحية العملية .

وقد مست موجات معاداة السامية التى شنتها النظم الرجعية منذ اواخر القرن السابق كلا من الصهيونيين والاحرار ، مست الصهيونيين لانها تعرضت لليهود الذين تجند الصهيونية انصارها فى صفوفهم ومست الاحرار لان معاداة السامية تعد تعبيرا عن التخلف . وتصبح — من ثم — تعبيرا عن معاداة النظم الرجعية لاى تقدم . ولذا كان على كل من الاشتراكيين والاحرار من جانب وعلى الصهيونيين من جانب آخر ان يتخذوا موقفا مباشرا من حركات معاداة السامية . وبينما كان جوهر موقف الاشتراكيين والاحرار فى مواجهة معاداة السامية هو استنكارها والمناداة بالحقوق المدنية للجميع وبالحريات العامة والكفاح السياسى من اجل تحقيق هذه الشعارات ، فان موقف الصهيونيين من المشكلة ، وان كان بالضرورة استنكار معاداة السامية ايضا — الا انهم يفسرونها اساسا على انها ظاهرة حتمية ، بل ظاهرة تؤكد نظريتهم التى تقول ان معاداة السامية لن تختفى الا بتجميع يهود العالم فى دولة يهودية .

وهكذا استطاعت الصهيونية ان تفلت امدا طويلا من اية رقابة جادة من قبل الراى العام العالمي بل حتى من علماء الاجتماع وكبار المفكرين الاحرار — الذين انكبوا على فكرة الصهيونية وانتهوا الى ادانتها — لم يعالجوا المسألة الا فى اطار زعمها انها حل لمشكلة معاداة السامية ، فكانوا يرفضون الصهيونية كمخرج يمكن ان يمد علاجا لمأساة اليهود المضطهدين بدون الاهتمام بنتائج النشاط الصهيوني فى المجتمع ككل .

وفى نفس الوقت كان فى مقدور الصهيونيين ان يزعموا بسهولة نسبية انهم يمثلون اليهود فى مواجهة المعارضة التى لا يمكن الا ان تكون ضعيفة لانها نابعة من يهود يناضلون من اجل المحافظة على القيم الدينية لليهودية بعيدا عن الدنياوية السياسية التى تعمل الصهيونية على اصباغ الدين اليهودى بها ، وفى غياب معارضة اهم بكثير من جانب يهود علمانيين لا يمكن ان تتبلور معارضتهم فى شكل منظم ، اذ ان هؤلاء بحكم علمانيتهم قد تمثلوا بمواطنيهم فى مختلف البلاد كى يحلوا معا مشاكلهم القومية المشتركة .

وهكذا استطاعت الصهيونية المنظمة ان تتظاهر امام كل من ليس له دراية بالموضوع انها تعتبر الحل الذى اختاره اليهود فى مواجهة معاداة السامية ، كما استطاعت ان تدعى انها احدى القوى المتحررة التى ناضلت ضد الرجعية خلال الحلقات التسع الماضية — ومن ثم فان كل من يعترض طريقها يعد معاديا للسامية ورجعيا .

ومن المؤكد ان التوافق الزمنى الذى يجمع بين ظهور الصهيونية واندفاع الحركات القومية فى اواخر القرن التاسع عشر فى اوروبا الوسطى والشرقية لم يكن من قبيل المصادفة ، كما انه من المؤكد ان الاهتمام المشترك الذى يوليه الصهيونيون من جهة والاحرار ومختلف الوان الاشتراكيين من جهة اخرى لمسألة معاداة السامية — كجزء من سياسة تقييد الحريات العامة — كان ايضا امرا طبيعيا جدا .

والواقع ان الفكرة الصهيونية قد ولدت فى اواخر القرن التاسع عشر مع ازدهار حركات تحرر القوميات المضطهدة فى الامبراطوريتين ، النمسوية المجرية والروسية القيصرية وذلك لا كجزء من نظرية وايديولوجية هذه الحركات ولكن كنظرية وفكرية مقابلة . ولهذا لم يكن من الممكن للصهيونية ان تظهر الا متلازمة مع هذه الحركات . وفى الوقت الذى امتد فيه تنظيم رعايا ملكيات الامبراطوريتين العفنتين بمعايير ومعطيات العصور الوسطى والنظام الاقطاعى فى تصنيف الناس على اساس دينى ومهنى وعنصرى ، كانت هناك ايديولوجيتان تتصارعان : الاولى وهى ايديولوجية حركة القوميات المناضلة من اجل الاعتراف بحقوق الانسان الفرد كمواطن بدون تمييز عنصرى او دينى وعلى اساس تبعيته للقومية المناضلة من اجل وجودها . والثانية : وهى ايديولوجية مختلف القوى الرجعية — ومنها الصهيونية — التى كانت تدافع كرد فعل رجعى للفكرية الايديولوجية الاولى عن الابقاء على تصنيف الناس بمقتضى معايير العصور الوسطى بل بمقتضى معايير قبلية ودينية تعد من نظريات تنظيم دويلات الاقطاع .

وكان **ليون بنسكر** — الذى سبق هرتزل قليلا فى دعوته الصهيونية — يؤكد فى كتابه « التحرر الذاتى » الذى ظهر فى سنة ١٨٨٢ ان اليهود يضيعون وقتهم عندما يأملون فى التمتع بتحسن مصير الانسانية الذى كانت تتنبأ به حركة الانسانيين الروسية العظيمة فى القرن التاسع عشر . وكان يقول ان على اليهود ان يتجنبوا هذا الطريق للتحرر اذ انهم مطالبون بالعمل اولا (بصفتهم يهودا) بتحرير انفسهم بأنفسهم عن طريق النشاط الطائفى . وكان **هرزل** اكثر وضوحا بعد ذلك بعشر سنوات عندما قال فى بيانه « **الدولة اليهودية** » : « فى الوضع الذى يسود العالم اليوم — والذى يبدو انه سيظل سائدا فيه لمدة غير محددة — نجد ان للقوة الاولوية على الحق ، ولا يجدى بشىء ان يكون الانسان وطنيا مخلصا كما كان الهوجينوت الذين اضطروا الى الهجرة » . ولا يمكن ان تعارض مبادىء حركة القوميات ، التى تزعم الصهيونية انها شكل من اشكالها ، بوضوح اكبر من ذلك .

وفى حين ان ما تبقى من الرواسب السياسية والفكرية عند آخر الجماعات البشرية ، التى لم تزل متعلقة بالمفهوم القبلى للتنظيم الاجتماعى ، فى طريقه الى الزوال فى البلاد النامية المناضلة من اجل التحرر ، ليحل محله مفهوم القومية — على الاقل فى المستوى القانونى — نجد ان الصهيونيين يقولون لمعارضيهم من المواطنين اصحاب العقيدة اليهودية المعادين للصهيونية بلسان قائدهم الصهيونى الامريكى الحاخام **واينشتين** فى ابريل ١٩٥٦ :

« ان انصار الحركة الاصلاحية اليهودية الذين اجتمعوا فى مؤتمر **بيتسبورج** سنة ١٨٨٥ كانوا يعتقدون ان الوقت قد حان آنذاك كى يبتعد اليهود عن كل الاسانيد غير الدينية للعقيدة اليهودية وكى لا يتميزوا عن غيرهم بأكثر ما يميز اليهودية عن الديانات الاخرى كدين فحسب » .

«وقد كان هؤلاء القادة الاوائل لحركة الاصلاح متأثرين لقوتين عظيمتين اصبحتا غير قائمتين اليوم .

فمن جهة كانوا يواجهون عقيدة جامدة وديانة ظلت بعيدة عن تيارات العالم الايديولوجية كبلتها وعزلتها معاداة السامية ، ومن جهة اخرى فقد خدعتهم فكرة بزوغ فجر المبادىء العالمية الكاذب فانجرفوا اليها . كان **جوته وليسنج وفولتير** واقرانهم واثقين من ان عصر الانسانية العالمية على وشك ان يبدأ . ولما كان الاصلاحيون اليهود — بحافز من الجوع اليائس — متشوقون الى ان يكون لهم مكانة المواطن في أي وطن في العالم فقد طهروا الانبياء من كل فكرة قومية ، واعلنوا انهم على استعداد لان يتساموا ويرتفعوا الى دين مبادىء الانسانية جمعاء ، وفي سنة (١٩٣٧) تنبهنا الى الخطأ الذي وقع فيه الاصلاحيون الاوائل بظنهم ان بادرة الربيع الكاذبة هي الربيع ذاته » .

وقد صاغ الاصلاحيون اليهود في الولايات المتحدة الامريكية ميثاق **بينسبورج** في سنة ١٨٨٥ في حين ان **هرزل وبنسكر** طرحا نظريتهم الصهيونية في ١٨٨٢ وفي ١٨٩١ وكان الاصلاحيون اليهود — تحت تأثير قوة دفع النضال من اجل تطبيق الحقوق الدستورية المكتسبة بعد انتصار الشمال المتقدم على الجنوب المستعبد في الحرب الاهلية الامريكية — يسعون لحل مشكلة معاداة السامية في اطار هذا النضال فكافحوا من اجل تخليص اليهودية من كل الخصوصيات غير الدينية التي فرضها بيل العصور الوسطى الطويل عليها ، وكانوا يسعون الى ذلك من خلال تدعيم مفهوم القومية المتحرر والانساني الذي كان في مقدور البورجوازية الصاعدة ان تصفيه نظريا — وكانت فعلا في حاجة الى تحقيق مضمونه الى حد كبير .

ومن الطبيعي جدا الا يظهر لهذا التيار — الذي أرسى قواعد نضال اليهود من أجل تحررهم كجزء من الامة التي يعيشون فيها — كيانا متبلورا ذا شأن كبير اذ انتهى بقدر نجاحه في تحقيق رسالته ! ومنذ ظهور الاب **جريجوار** والثورة الفرنسية وسيادة مبادئها المتعلقة بمفهوم الديمقراطيات البورجوازية والاشتراكية كان من المحتم ان يتضاءل هذا التيار بقدر ما كانت اهدافه تتحقق وبقدر ما تشربت القوميات اليهود فيها فاصبحوا مواطنين يتحررون من خلال حركة القومية العامة لا من خلال منظماتهم الطائفية .

اما التيار الثاني فقد ذهب يبحث في المفهومات شبه الاقطاعية لتنظيم الدولة ذهب يبحث عن أسس لاقامة دولة يهودية كرد فعل معاكس لتعاليم « **جوته وليسنج وفولتير** » واقرانهم .

والواقع ان نشر التعاليم الصهيونية في اوروبا الوسطى والشرقية في اواخر القرن الماضي كان يعني استنكار جميع المثل العليا التي اعلنتها حركات القوميات والتي كان يشترك في قيادتها في هذه الحقبة من الزمن — وخاصة في هذا الجزء من العالم — مفكرون وقادة اشتراكيون — وبسعيها — أو بالاحرى بادعائها انها تسعى — للتوصل الى حل متفرد ومنفصل لقضية المضطهدين بسبب عقيدتهم اليهودية أو لكونهم من أصل يهودي على اساس المحافظة على خصوصياتهم الدينية وغير الدينية ، نجحت الصهيونية في صرف عدد كبير من اليهود عن مختلف الاتجاهات الاشتراكية التي كانت نشيطة في الحلبة السياسية الروسية خلال الجيلين السابقين لثورة اكتوبر ، بل ذهبت الصهيونية الى حد جعل منظمة **البوند** الصهيونية « اليسارية » قوة مناوئة لثورة اكتوبر .

وهكذا يتبين ان بين الصهيونية والامل في عالم افضل صراع اساسي وتناقض مبدئي . ان التخلي عن هذا الامل يشكل حجر الزاوية لنجاح الصهيونية . فلكي تعيش يتحتم عليها ان تستنكر تعاليم الانسانيين الاحرار والاشتراكيين ، كما انه عليها ان تخفت جوانب اليهودية الروحية والعالمية لتبرز جوانبها القبلية العتيقة . وفي الواقع ليست الصهيونية ايديولوجية موازية لايديولوجية الانسانيين ولتعاليم مختلف مدارس الاشتراكية ، بل ان الصهيونية تشكل تعاليم مضادة تدعو الى التخلي عن القيم العالمية والى تمجيد الطريق القبلي للخلاص .

ان السعي لخلق تداعي فكري بين تاريخ الصهيونية وتاريخ الاشتراكية هو تزوير بشع للتاريخ . وفي حين ان الاشتراكيين الديمقراطيين يشكلون جزءا من العناصر المكونة للحالة السياسية والاجتماعية في كل بلد فان الصهيونية لا تلتقي معهم الا في نقطة واحدة وهي نقطة معاداة السامية ، ومع هذا لا تقوم الصهيونية بمقاومة معاداة السامية بل ولا تدعي مجرد الادعاء ان هذه هي مهمتها . ولكن مهمتها فيما يخص معاداة السامية تنحصر في الاستفادة منها ، واتخاذها منبعا ووقودا جديدا لقوتها . فقد حصل الصهيونيون مثلا في سنة ١٩٠٣ على مساندة وزير داخلية الامبراطورية الروسية **بليهفي** المشهور بقسوته دفاعا عن القيصر وبعدائه لليهود ، هذا في الوقت الذي كانت تختمر فيه ارهاصات ثورة ١٩٠٥ . وقبل سنة واحدة من اغتياله على يد الاشتراكي الثوري **سازونوف** (سنة ١٩٠٤) ومساومات الوكالة اليهودية مع سلطات الرايخ الثالث سنة ١٩٣٥ — عندما كانت النازية في أوج معاداتها

للسامية ، من اجل التوصل الى اتفاق يسمح بنقل رؤوس اموال الالمان اليهود الى فلسطين عندما كانتتحت الانتداب البريطاني ،امر معروف عالميا ،بل أستثار غضب «اليسار» الصهيوني .
وقد كشفت مستندات الدولة التى نشرت بعد الحرب العالمية الثانية ان هتلر كانقد سمحرسميا للصهيونية بزيادة نشاطها فى المانيا ذاتها ، هذا كله فى حين انه لم تكن هناك اية ارضية للتفاهم بين الاشتراكيين والنازيين . وقد كانت وارسو سنة ١٩٣٨ مسرحا سمحت الحكومة البولونية — المعروفة عندئذ بعدائها للسامية — ان تجرى عليه استعراضات المتشنجين المتعصبين الصهيونيين من انصار اليمين المتطرفوالمعروفين باسم المراجعين يرفعون أثناءها شعارات «المانيا لهتلر — ايطاليا لموسوليني — فلسطين لنا — عاش جابوتنسكى » ، بينما لم تكن تسمح الحكومة البولونية لاية حركة سياسية منظمة اخرى وخاصة اليسارية منها بأى نشاط .

ولان الصهيونية رد فعلى رجعى لمفاهيم الحركات القومية ولكونها — فىأحسن الاحوال — على هامشمختلفالتيارات التحررية والاشتراكية بل فى الواقع معادية لهما،وتدعم أسباب وجودها بالتقائها مع كل موجة من موجات معاداة السامية ، فلم يكن فى مقدورها ان تحقق الدولة اليهودية اعتمادا على جماهير اى بلد فى العالم ولا على جماهيرها المبعثرة فى مختلف انحاء العالم والمحددة العدد .

وحيث انها لم تكن تشكل تيارا نابعيا من ضرورة املاها التاريخ فلم يكن فى مقدورها ان تحقق اهدافها الا بان تقطر نفسها وراء المصالح الرجعية للدول الكبرى التى تملك روافع الامر والنهى وتملك الوسائل التنفيذية القوية التى تستطيع بها أن تساعد على استقرار الصهيونية بشرط أن تضعها فى خدمتها .

وقد تقرر فعلا منذ اول مؤتمر صهيونى انعقد فى بازل سنة ١٨٩٧ ان تتخذ « الاجراءات الاولية الحصول على الموافقة اللازمة من الحكومات » .
وقد صرح ليون بنسكر قبل ذلك بخمسة عشر سنة فقال « ومن الجلى ان اقامة الوطن اليهودى لا يمكن ان تتم ابدا بدون مؤازرة الحكومات » .
ويقول الزعيم الصهيونيالمخضرم حايم وايزمان — وهو اول رئيس للدولة اليهودية — يقول بدون مواربة انه حتى سنة ١٩١٨ لم تظهر المسألة العربيةفىالمقدمة ، وكان الصهيونيون تداهملوها عمليا ، وذلك كله يمنحنا فكرة عما كانت تعتبره الصهيونية فى هذا الوقت الاساس من نشاطها

وهذا فى حين ان عدد اليهود الذين هاجروا الى فلسطين تحت ضغط الصهيونية او من ابناء البلاد اصلا لم يزد عن ٥٦٫٠٠٠ نسمة .

والواقع انه كان محتوما على قادة الصهيونية ان ينشطوا فى اطار ما يسمى اليوم « بالحرب الباردة » والتى كانت تجرى حينئذ بين الدول الاستعمارية الكبرى ومن خلال الدبلوماسية السرية التى كانت تشكل مصائر العالم والفتن التى كانت تدبر فى قصور مختلف العواصم الاوربية الكبرى لتضمن نصيبها من الامبراطورية العثمانية التي كان الجميع يتوقعون تمزقها . وقد استطاعت الصهيونية ان تنتزع تصريح بيلفور وهى مقطورة ببريطانيا ، ومن خلال مساومات سايكس بيكو وهذا فى غيبة صاحب الشأن الرئيسى : الشعب العربى — وهذا لا يعنى ان القادة الصهيونيين لم يكونوا يزاولون نشاطا موازيا — حتى إثناء الحرب — فىعواصم مختلفالدول المتحاربةوكذلك تجاه شريف مكة، وقبل لورنس الشهير، بلكانت الصهيونية تؤمن بانه يجب ان تتعامل مع الجميع فيما عدا طرف واحد : شعب فلسطين العربى .
وقد صرح هرزل « على جمعية اليهود انتتفاوض مع السلطات صاحبة السيادة على الاراضى المعنية ، وذلك فى حماية الدول الاوربية العظمى اذا ما وافقت تلك الدول على ذلك » ويقول كذلك « واذا سلمنا صاحب الجلالة السلطان فلسطين فسنبذل ما يلزم من جهد لننظم له مالية تركيا .
اما بالنسبة لاوروبا فسوف نشكل هناك جزءا من الحاجز الذى يحميها من آسيا وسوف نكون ديدبان الحضارة المتقدمة ضد البربرية ، وسنظل دولة محايدة على علاقة مستمرة باوروبا كلها التى سيكون عليها ان تضمن وجودنا » . واذا اخذنا فى الاعتبار انه مازالت هناك الى اليوم اصوات تقول ان طرد الفلاح الفلسطينى من ارضه لا يجب ان يكون له اى حساب امام مصالح الصهيونية ، فانه من السهل ان نتصور الحالة قبل سنة ١٩١٤ . ومع ذلك فمن المسلم به ان المقاومة العربية بدأت مع بوادر الاستعمار الصهيونى ، ولكن حتى فى تلك الظروف كانت الصهيونية ترضى الاسياد الاقطاعيين وكبار الملاك الذين كان يسعدهم ارتفاع أسعار الارض فى حين أن ترى الفلاحين المتواضعة كانت تتلاشى من الوجود بلا رحمة .

اما القادة الصهيونيون الواعون بابعاد المسألة ، فلم يكونوا غارقين فى تخيلات تتعلق بالطريق الذىيجبانتقطعه الصهيونيةوالاساليب التى يتحتم عليهم استعمالها . ومع ان الصهيونية كانت قسوية على المستوى

الدبلوماسي — بقدر خيانة الاسياد الاقطاعيين العرب وانتهازيتهم وبقدر ضعف تنظيم الجماهير العربية — فكانت تؤمن بحتمية اللجوء الى العنف وبالرغم من انه كان في مقدور الصهيونية — فيما بين الحربين — الحصول على أراض بفضل تشريعات دولة الانتداب وحرابها، وبفضل التواطؤ مع كبار ملاك الارض العرب فقد كان عليهم في نفس الوقت اخضاع جماهير الفلاحين وصغار التجار والمثقفين والبورجوازية التي كانت في طريق التكوين .

والاستاذ **يهوذا ماجنيس** الامريكي اليهودي الذي جرفه تيار «مثالية» الصهيونية الديماجوجية والذي هاجر الى اسرائيل ليتولى لمدة عشرين عاما منصب رياسة الجامعة العبرية بالقدس قد تبين له استحالة الفصل — في الممارسة العملية — بين الصهيونية والارهاب فهجر اسرائيل وعاد الى وطنه الاصلي ليموت على ارضه التي ولد عليها ، وصرح قائلا « لا يمكن ايجاد الدولة اليهودية — هذا اذا تمكنت من شق طريقها للوجود — الا عن طريق الحرب ... تستطيعوا ان تتحدثوا مع العربي عن اي شيء الا ان تحدثوه عن الدولة اليهودية ... ان الدولة اليهودية بحكم تعريفها سيترتب على وجودها أن يحكم اليهود شعبا آخر يعيش داخل تلك الدولة» .

وكان جابوتنسكي يعلم ذلك تماما منذ زمن بعيد وكان في الواقع نبي الدولة اليهودية ، وقد نبذ وادين ووقع عليه الحرمان ومع ذلك يتضح الان ان الحركة الصهيونية في مجموعها تقريبا قد اخذت بوجهة نظره . وقد صرح في كتاباته الاولى — وهل حدث ان تنازل شعب في الماضي ارادنيا عن أرضه ؟ هكذا سيكون الامر مع العرب ، فلن يتنازلوا عن سيادتهم بدون أرهاب ، — هذه أمور قد اخذ بها من سبق وادانوه »

كم من اليهود المعادين للفاشية باخلاص في مختلف بلاد أوروبا الشرقية استطاعت ان تكسبهم الصهيونية بواسطة ما يطلق عليه « اليسار » الصهيوني فيما بين الحربين باسم الكفاح ضد فاشية جابوتنسكي ؟ وفي الوقت الذي كانت فيه الحركات اليسارية في جميع البلاد المحيطة بفلسطين والواقعة تحت الانتداب موضع اضطهاد وحشي تمارسه نفس سلطات الاحتلال البريطانية كانت المستعمرات الصهيونية التي اطلق عليها مسميات «الشيوعية» و «الهاشومير» و « الهستدروت » — وتتمسح جميعها بالاشتراكية — تترعرع في امان وفي حماية الاستعمار البريطاني . ولم يقع ضحية لارهاب حكومة الانتداب البريطاني الا القليلين من اليسار الاسرائيلي الذين رفضوا هذا الدور . وفي الواقع الامر كان النموذج الشكلي « الاشتراكي » — بشرط ان يكون صهيوني قبل أي شيء — الذي يعارض غدة نظريات ومواقف «بورجوازية» « ورجعية **لهرتزل ولوايزمان ولبن جوريون** بعيد كل البعد عن القدرة على تطهير الصهيونية من الاستعمار والعنصرية والارهاب ، أي من جوهرها ومن أساليبها ومن طريقتها الحتمي ، بل كان على النقيض من ذلك يستخدم في خداع اليهود المترددين والجماهير اليسارية في جميع أنحاء العالم وكان دائما هو القفاز الحريري الذي يغطي قبضة الصهيونيين الحديدية في معاملاتهم مع الشعب العربي .

وليس هنا مجال الاستطراد عما في ضمير مختلف «الاشتراكيين» الذين نشطوا في اسرائيل . وانما لا يمكن للمرء أن يفلت من أن يصبح ترسا في عجلة جهاز الصهيونية العالمية العدواني وجهاز دولة أسرائيل ، اذا ما التحق بهما — حتى بشكل سلبي — ان لم يتخذ موقفا ايجابيا ضد كل انواع النشاطات الصهيونية في العالم وضد الاسس الصهيونية لدولة اسرائيل بصفتها كيان كهنوتي عسكري بني على العنصرية المشينة لقانون العودة والتي لايمكن أن تنمو الا في مواجهة عدائية لحركات التحرر الوطني والاجتماعي العربي وفي حماية الاوساط الاكثر رجعية في جميع انحاء العالم . ومن السهل ابراز الجوانب الايجابية للحياة في اسرائيل بالمقارنة الى الجوانب السلبية التي ما تزال قائمة في المجتمع العربي المجاور مع التركيز على « اليسار » الاسرائيلي — كما كان من السهل اكثر من ذلك القول بأن فرنسيي الجزائر كانوا اكثر ثقافة من الجزائريين ، الا انه بالرغم من كل ما يمكن ان يقال عن اهمية الجوانب الايجابية النابعة من المدنية الغربية الرأسمالية المتقدمة التي انبتت اسرائيل فلايمكن ان تشكل هذه الجوانب السمة الرئيسية لاسرائيل بتفرعاتها الصهيونية ، التي تتحكم في الاتجاه التاريخي لدولة اسرائيل — بما في ذلك « يسارها » — والتي تجعل منها مركزا متقدما للاستعمار يستمد أسباب وجوده من الغرب الاستعماري ، ووظيفته أن يكون اداته في « تهدئة » الشرق الاوسط محافظة على مصالحه في المنطقة .

وقد استطاعت الصهيونية في سنة ١٩٤٨ أن تزعم انها كانت الالهام الثوري لحرب « التحرر الوطني » التي شنها يهود فلسطين ضد المحتل البريطاني وتناست أن هذه العملية

ذاتها هي التي اخرجت اكثر من مليون مواطن عربي من ديارهم . ولكي تعطي وزنا لهذا الزعم لم تكن الصهيونية تبرز من وجوه العالم العربي الا ملوكه وباشواته في اقطاعياتهم .. ولاشك ان بريطانيا عشية ١٩٤٨ كانت تساند الملوك وامراء الاقطاع ومختلف المجموعات الرجعية في المنطقة لمواجهة هجمات الحركة الوطنية العربية الجديدة ذات المضمون الديمقراطي والشعبي . وتحول في نفس الوقت دون افتضاح تلك العناصر الرجعية امام جماهيرها، وبالرغم من أن البريطانيين كانوا يتبعون هذا التكتيك الا انهم كانوا يواصلون في نفس الوقت سياسة التوازن المزعومة بين قوى الصهيونية والرجعية العربية على حساب صاحب المصلحة الاول : الشعب العربي ، اذ كانت المهمة الاولى تنحصر في استبعاده — وحيث أن الصهيونيين قد توفر لهم نقط ارتكاز قوية على حساب الشعب العربي ، فقد أصبحت مهمة الامبريالية البريطانية المحافظة على « العدالة » بين « اليهود والعرب » أي بين الصهيونيين ادواتهم لقهر الشعب العربي من جهة وكبار الملاك العقاريين والرأسماليين العرب شركائهم في استغلال الشعب العربي من جهة اخرى . ولم يكن في مقدور البريطانيين ان يحدوا من الاغداق على الصهيونيين بالامتيازات في هذه المرحلة التكتيكية الا لانهم كانوا على ثقة من أن للمجتمع الطائفي الذي أقاموه في فلسطين ولتفرعاته الصهيونية في العالم ، اسس اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية تجعله مرتبطا بهم ارتباطا غير قابل للانفصام وكذلك كانوا لا يخشون الطبقات الحاكمة العربية التي تحققوا — بفضل مراكزهم الاقتصادية والسياسية في العالم العربي — من ضعفها وفسادها واستعدادها للمساومة . فلم تخرج الخلافات بين مختلف الاطراف في هذه الفترة عن اطار الخلاف العائلي الذي كان يسعى الصهيونيون من ورائه الى ارساء قاعدة « الدولة اليهودية » والحصول على امتيازات من الامبريالية الامريكية اهم واوقع

كل هذه العوامل قد ساعدت الصهيونية وسمحت لها بأن تتقمص ثوب « الحركة التقدمية » القادر على ابهار هواة « اليسارية » الذين قبلوا — لاعتبارات لا حصر لها ولكي يريحوا ضمائرهم — أن يتجاهلوا ما كان يحدث للشعب العربي ، وطبيعة الصهيونية العنصرية والكهنوتية والرجعية في اساسها . كما انهم تجاهلوا اتجاه دولة اسرائيل التوسعي وحتمية تحالفها مع الامبريالية . الا انه علينا ان نسجل للاسف ان جزءا كبيرا من اليسار المسئول المناضل والذي لايفتقد سبل العمل قد ترك نفسه ضحية لسياسة مازال يدفع ثمنها حتى اليوم ، وكذلك مازال يدفع ثمنها الشعب العربي والسلام والامن العالمي .

واذا كان من المستحيل ان تشكل جوانب ضعف الحركة الوطنية العربية واخطاؤها السمة الرئيسية التي تحكم اتجاهها التاريخي ذا الصبغة التقدمية والعالمية ، كما اكدت ذلك السنوات التالية فان « المثالية » .. الهوجاء والخرافية التي لقنتها الصهيونية لبسطاء اعضاء « الكيبوتي » و « الهستدروت » وهم ضحايا ادوات الصهيونية، لم يكن في مقدورها أن تزيل الطبيعة الرجعية والمتفردة غير العالمية للصهيونية .

ان تجاهل قواعد الصهيونية هذه والسماح للصهيونية بالنشاط ، ترتب عليه تعاظم ما سمته الاحزاب العمالية والماركسية السبعة ، التي اجتمعت في موسكو في ٩ يونيو ١٩٦٧ ، في بيان لها مشيرة الي اسرائيل « بؤرة حرب » . وقد فرض واقع نمو الحركة الوطنية العربية في اتجاه اليسار (وكان يجب التنبؤ بمسارها حتى عندما كانت تسيطر عليها الرجعية) قد فرض هذا الواقع على الصهيونية ان تكشف عن جوهرها الرجعي (الذى كان يجب على اليسار المسئول ان يتنبأ به رغم اجنحة الصهيونية « الاشتراكية ») ولا يجرؤ اليوم المتحدثون الرسميون باسم اسرائيل أن يتباكوا على حالة الفلاح العربي الذي جاءوا لانقاذه من جلاديه باستعراض منجزات مجتمع متقدم بل انهم يتضامنون علنا مع القبائل التابعة لامام اليمن المخلوع . ولا يمكن للحركة الوطنية العربية ان تتقدم ، ولن تتحقق اماني الجماهير العربية الا في اتجاه منظور تقدم الانسانية جمعاء . ومهما بلغت العراقيل التي تضعها الامبريالية والرجعية في طريق الحركة الوطنية العربية ، ومهما اتسمت تلك الحركة بجوانب ضعف ومهما تعرضت للوقوع في اخطاء فانها لن تجد الخلاص الحقيقي الا بمقاومة الاستعمار والرجعية ، وبالتغلب على جوانبها الضعيفة وبتصحيح اخطائها في اطار وفي اتجاه المجهودات المشتركة لقوى التقدم في العالم اجمع ضد الامبريالية والحرب والعنصرية بمختلف الوانها بما في ذلك معاداة السامية .

وعلى العكس ، لا يمكن لدولة اسرائيل ان تحقق اماني الصهيونية الا على حساب الشعوب العربية وعلى هامش منظور الحركة العالمية من اجل التقدم والسلام ، بل وبالضرورة بالتحالف مع الرجعية اينما وجدت . ان خلافات اسرائيل مع الامبريالية البريطانية في سنتي ١٩٤٧، ١٩٤٨ كانت مؤقتة وعرضية الى حد لم يمنع البريطانيين من

الاعتماد على التحالف مع اسرائيل بعد عشر سنوات فقط وذلك اثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ، اذ ان مصر كانت قد ذهبت الى حد التعرض للمصالح المالية العالمية الكبرى بتأميمها قناة السويس وكانت حكومتها الوطنية قد ادانت قادة حركة الاخوان المسلمين الرجعية والمعادية للسامية ، الامر الذي جمع بين الامبريالية واسرائيل «بيسارها» المزعوم الذي يدعي معاداة الامبريالية وصهيونيتها التي تدعي انها تعمل لتخليص اليهود من معاداة السامية .

ولما كانت فرنسا سنة ١٩٦٧ قد تخلصت من حرب الجزائر ولما كانت سائرة اكثر فاكثر في طريق سياسة سلامية ، كان على امريكا ـ وهي في اوج تطلعاتها الامبريالية على العالم اجمع ـ ان تحتضن اسرائيل في عدوانها الاخير . ان للعلاقات القائمة بين اسرائيل والصهيونية وكل رجعيات العالم اسس ومصالح موضوعية مشتركة . وحتى ان لم تكن هذه العلاقات محكومة بنظم وترتيبات معينة فانهما تتجه بالضرورة الى التنسيق بحكم الايديولوجية المشتركة من جهة وعن طريق النشاط العملي من جهة اخرى . ويمكن ان تظهر بين الصهيونية والرجعية العالمية تناقضات حول مصالح ثانوية متعارضة، الا انهما بصفة اساسية وعند الضرورة ينسقان علاقتهما ومصالحهما لا بالمعاهدات ولكن بما هو اهم واكثر حسما : اي باللقاء الحتمي .

ان قانون الجنسية في دولة اسرائيل فريد في نوعه بالنسبة لقوانين الجنسية في العالم اجمع ان لقوانين الجنسية في ساحل العاج وفي الولايات المتحدة الامريكية وفي الاتحاد السوفيتي اسس مشتركة باكثر مما هو مشترك بين كل من قوانين هذه الدول الثلاث وقانون الجنسية في دولة اسرائيل . ان الدولة الاسرائيلية تعتبر الشخص اسرائيليا مهما كانت جنسيته واينما كان مولده مادامت امه يهودية .

وفي بحث ماكسيم رودنسون الرائع الذي ظهر في العدد الخاص من مجلة «الازمنة الحديثة» ياتي بنص لميشيل بارزوبار يشير في كتاباته عن بن جوريون ويرفعه الى مرتبة الانبياء ومع ذلك يقول في هذا النص « ويمكن اتهامه بالعنصرية ، الا اننا في هذه الحالة يجب ان نتعرض للصهيونية باسرها اذ انها مبنية على مبدا وحدة اجتماعية يهودية خالصة في فلسطين » ومن هنا نتبين ان مترجم حياة بن جوريون والذي يرفعه الى مرتبة الانبياء يستطيع ان يضع بن جوريون موضع نقد او مديح ويستطيع ان يتعرض لليسار او لليمين الصهيوني ولكن ذلك كله لا ينسيه قبول طبيعة الصهيونية العنصرية على انها طبيعة غير قابلة للتغيير وغير قابلة حتى للنقد . انها بمثابة بديهية يبدا منها لتبرير مواقف بن جوريون ونبدا منها نحن لادانة الصهيونية ليس فقط لكوننا عرب ولكن لكوننا عرب ملتزمين نحو الانسانية جمعاء .

ان توظيف الضغط المالي تارة وممارسة ابتزاز الضمائر الى حد الابتزاز المبتذل تارة اخرى للحصول على ولاء ـ او حتى على مجرد عطف ـ مواطنين يدينون باليهودية او من اصل يهودي في مختلف البلاد نحو اسرائيل في كل الظروف ، ان ذلك الابتزاز يشكل عدوانا على سيادة هذه البلاد . ويقوم وكلاء الصهيونية من اصحاب الملايين في جميع انحاء العالم مثل روتشيلد او من المتمسحين « بالاشتراكية » بتعبئة الراى العام لصالح اسرائيل مع التركيز على المواطنين الذين يدينون باليهودية او من اصل يهودى ، ويطالبونهم بصفتهم هذه ان« يفخروا » بنتائج الحرب الخاطفة التى شنها موشى ديان . وذلك يجري في الغرب بمباركة الحكومات ، ويجرى في البلدان الاشتراكية من جانب القلة غير المسئولة خرقا للقوانين السائدة بها . وبصرف النظر عن راى كل انسان في السياسة الاسرائيلية فمن المؤكد ان السيادة ـ وهي شرط كيان كل دولة في العالم ـ هي التي تجسد حقها في المحافظة على مصالحها كما يتراءى لها وان تنجز اهدافها وسياستها كيفما شاءت .

وعندما تدعم الصهيونية وضعا ما بين مواطنين يهود او من اصل يهودي في دولة صاحبة سيادة عن طريق الدعاية السياسية والابتزاز وعن طريق تطعيم الديانة اليهودية بمفاهيم دنياوية وغير دينية ، وبعث مفاهيم اساسها قبلي وذلك بتبريرها فان الصهيونية بذلك تنظم المجتمع البشرى على اساس الاصل العنصري وتخلق روابط والتزامات متبادلة بين هؤلاء المواطنين واسرائيل وترتكب عدوانا مفضوحا ضد سيادة اية دولة يكون جزء من مواطنيها يهودا او من اصل يهودى .

وصرح بن جوريون في اغسطس ١٩٤٩ لوفد صهيوني امريكى يزور اسرائيل « مع اننا حققنا حلمنا في اقامة دولة يهودية فاننا لم نزل في البداية لا يوجد اليوم الا ٩٠٠،٠٠٠ يهودى في اسرائيل في حين ان الجزء الاكبر من الشعب اليهودي لم يزل في الخارج . ولن تكون مهمتنا القادمة اسهل من مهمة خلق الدولة اليهودية وهى تهدف الى احضار جميع اليهود الى اسرائيل . انكم تعلمون كم كان من الصعب احضار وامتصاص ٠٠٠،٠٠٠؟ مهاجر . نحن مصممون على احضار ملايين آخرين

وانى واثق اننا سنحضرهم . ونناشد اساسا الشبيبة فى الولايات المتحدة وفى البلاد الاخرى لمساعدتنا فى انجاز هذه الرسالة العظيمة . ونناشد اولياء الامور ليعاونونا فى احضار ابنائهم هنا . واذا رفضوا معاونتنا فسنحضر الشبيبة الى اسرائيل وآمل الا يكون لذلك ضرورة »

وهكذا كان المتحدث الرسمى باسم دولة اسرائيل عندئذ وبدون منازع اول متحدث باسم الصهيونية

اولا : يدوس بكل وقاحة على سيادة جميع الدول التى يعيش فيها مواطنون يهود او من اصل يهودى بمطالبتهم بالولاء لاسرائيل واعطاء ظهورهم لاوطانهم

ثانيا : يكشف الاهداف التوسعية المبيتة لاسرائيل ومد حدودها كى تمتص « الجزء الاكبر من الشعب اليهودى الذى يوجد فى الخارج » ويقدر باكثر من عشرة ملايين .

ثالثا : يذهب بالتحريض الى حد تهديد أولياء الامور الذين يسعون لحماية ابنائهم من الدعاية الصهيونية ومن الولاء لسيادة اجنبية

وهكذا تجعل الصهيونية دولة اسرائيل ، الدولة الوحيدة فى العالم التى تمتد سيادتها خارج حدودها دون ان يكون لها مستعمرات او حقوق امتياز فى الدول الاخرى !

ويخلط الصهيونيون عمدا اليهودية والصهيونية دون ان يرفع المعادون للسامية صوتهم. ويتوصلون الى التأثير على الكثير من اليهود او من اصل يهودى ومن الاحرار المعادين للعنصرية من مختلف الاتجاهات والعقائد الدينية وينجح بذلك الصهيونيون فى دفع تلك العناصر الى اتخاذ موقف العطف على اسرائيل مهما كانت سياستها ، خوفا من تانيب ضميرهم لانهم بذلك يتخلون عن « ابناء دينهم ». وهم فى مأساة او فى خوف من الشعور بانهم معادون للسامية مثلهم مثل النازيين . وحتى اذا كان ضميرهم لا يؤرقهم فيتخذون هذا الموقف خوفا من تسليط تهمة المعاداة للسامية الشيئة او لتجنب الوقوع تحت وطأة وسائل الضغط الهائلة التى يسيطر على كثير منها الصهيونيون وحلفاؤهم فى مختلف بلاد العالم .

وكل من يقبل الفكرة الصهيونية القائلة بان اسرائيل وطن قومى لليهود لا يمكنه ان يرد بأى شكل التهمة التى تلصق باليهود على انهم اتباع وطنيين فى نفس الوقت ويكون من الصعب عليه بمكان ان يواجه هجمات المعادين للسامية التى تنسب الى اليهود غير الاسرائيليين ولاء مزدوجا وعندما تترك للصهيونية حرية تعبئة المواطنين الفرنسيين اليهود او من اصل يهودى ليجعلوا منهم قوة ضغط على مختلف الاحزاب السياسية او على الحكومة الفرنسية ذاتها كى تتخذ سياسة ما نحو اسرائيل او البلاد العربية او الاتحاد السوفيتى او امريكا ، فمن الذى يستطيع ان يحسم طبيعة هذا النشاط وهل هو ناتج عن خلاف فى الرأى بين فرنسيين ، او عن قوة تتحكم فيها سيادة اجنبية بما لها من التزامات نحو سيادات اجنبية اخرى ؟

وليس المعادون للسامية وحدهم هم الذين ينسبون الى اليهود الجنسية المزدوجة والولاء المزدوج . ان دولة اسرائيل ذاتها والصهيونية المنظمة على نطاق دولى تفرضان على المواطنين اليهود او من اصل يهودى لا جنسية مزدوجة فحسب بل وولاءا مزدوجا ،وكثيرا مايكون ذلك ضد ارادتهم .

والواقع ان الصهاينة استطاعوا عن طريق سياسة دولة لها روابط منظمة مع حركة دولية وتضم منظمات تعمل على اراضى بلاد مختلفة وتفرض على ضمائر جزء من مواطنيها قضايا عصبية ، استطاعوا ان يروجوا لها بعد فشل **جوبلز** فى الترويج لها استنادا لمزاعم بروتوكولات حكماء صهيون الخرافية .

ان المشكلة التى يواجهها المرء اليوم لتعريف عبارة يهودى يرجع سببها الى ان الصهيونيين بلوروا فى دولة اسرائيل ــ بعد هزيمة النازية الكاملة ــ فكرة امة يهودية لا تنفصل عن الديانة اليهودية . وهذا ما يدفع بالمواطنين اليهود او من اصل يهودى فى مختلف البلاد ــ من الذين يكتفون باتخاذ موقف سلبى من الصهيونية دون ادانتها ــ الى التقوقع فى وضع اقلية شبه دينية وشبه قبلية تبحث عن كيانها فى تصورات العصور الوسطى فى تصنيف الناس

ان المواطن اليهودى او من اصل يهودى الذى يعتقد انه تحرر من براثن الصهيونية عن طريق اكتفائه باتخاذ موقف سلبى من الصهيونية ، يسرع فى التضامن مع اسرائيل مهما كانت السياسة التى تتبعها لانه يعتبرها ملجاه الاخير او مصدر حمايته فى حالة اندلاع موجة معاداة السامية ، يشكل احدى احتياطيات النشاط الصهيونى الاساسية ــ وهو وان كان يرفض بادىء ذى بدء ان يعتبر نفسه تابعا لدولة اجنبية

الا انه يعتبرها ملجأه الاخير وقوة تحميه فينجرف الى موقف التضامن غير المشروط عمليا في اللحظات الحرجة .

والصهيونية تزعم انها تتحدث باسم اليهود لانها تنجح في اثارة ضجيج في صفوف جزء من المواطنين اليهود في مختلف بلاد العالم المتأثرين بمفاهيم طائفية، الا ان اغلبيتهم التي لم تعد تعيش في عزلة وتقوقع الاقلية الدينية والعنصرية وتمثلت بباقي ابناء الوطن لا تشعر باي علاقة خاصة باسرائيل او بالصهيونية ، ولهذا لا يسمع صوتها ككتلة يهودية معادية للصهيونية . ومع ذلك فقد كشفت السنوات الاخيرة عن مواقف متزايدة الصلابة لمنظمات يهودية وافراد من اليهود في الدول الغربية ذاتها يرفضون باستنكار ان تتحدث الصهيونية باسمهم او ان تفرض الصهيونية عليهم اى التزام نحو اسرائيل . وهؤلاء مثلهم مثل كل من يرفض الصهيونية تتهمهم الصهيونية بانهم معادون للسامية رغم انهم يهود ! ومما يؤكد هذا الاتجاه المتزايد الاهمية تباكى قادة اسرائيل على هبوط الاقبال على الهجرة وتصريحاتهم المتكررة بان الخطر الاكبر الذى يهدد اسرائيل يكمن في اتجاه اليهود الجارف الى الذوبان بباقي مواطنيهم في مختلف بلاد العالم وفي تلاشي خصائصهم الطائفية . وفي الواقع انه بعد هزيمة النازية وحملاتها البربرية ضد اليهود فقدت الصهيونية اخصب منبع كانت تستمد منه المهاجرين وتبرر به وجودها . ومهما بلغ تعقيد مشكلة معاداة السامية فانه من المؤكد انها تتراجع في طريقها الى الزوال بقدر ما تتقدم مبادىء حقوق الانسان كمواطن دون تمييز دينى أو عنصرى .

الا ان الصهيونية لا تكتفي بحماية الامبريالية والرجعية وبتعبئة غير الاسرائيليين من اليهود ، او من اصل يهودى الذين يقعون في فخها بل تذهب الى حد استغلال انبل مشاعر الشرفاء الذين اثارت النازية ثائرتهم بجرائمها البشعة ضد اليهود . فان هؤلاء بحساسيتهم المرهفة نحو قضية معاداة السامية يتسرعون في اتخاذ موقف التعاطف مع الجانب الذى يضم عددا من اليهود في اى خلاف . ان الدفاع عن اليهود بمقتضى مبدأ الدفاع عن اية مجموعة بشرية مهددة شيء ، والدفاع عنهم لا لشيء الا لانهم « يهود » هى العنصرية بعينها حتى اذا كان ذلك يمارس باسم الكفاح ضد « معاداة السامية »

واذا كان مبدأ لا اخلاقيا ان يضطهد انسان لاصوله الدينية ، فانه ايضا ليس باخلاقي ان يمنح انسان امتيازا وحصانة وان تبارك جميع أعماله لا لشيء الا لانه من اصل دينى معين .

ان القضية التي يدافع عنها العرب في مقاومتهم للاعتداءات الصهيونية المتكررة ، ليست قضيتهم وحدهم . وقد ثبت ان الصهيونية لا يمكن ان يمتد اجلها الا بقدر مايمكن ان تيأس البشرية من امكانية انتصار مبادىء **جينه وليسنج وفولتير** وحيث ان هذه المبادىء تشق طريقها الى النصر فيما يختص بالتمييز العنصرى ، فلا يمكن الا ان تأمل الصهيونية في هزيمة هذه المبادىء في العالم اجمع .

وقد حولت الصهيونية الى الان شعبا باكمله الى لاجئين ، واهدافها المعلنة تتضمن توسيع دولة اسرائيل لتستوعب عشرة ملايين مواطن من ابناء مختلف بلاد العالم — وقد ثبت التقاء الأمبريالية المتازمة باسرائيل على الاقل عامى ١٩٥٦ و١٩٦٧، كما ان مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية السبع المنعقد في ٩ يونيه ١٩٦٧ وصف اسرائيل بانها بؤرة حرب . ومن ثم فان العرب المناضلين ضد الصهيونية وضد مخططات اسرائيل الصهيونية يشكلون اداة قوى التقدم والسلام العالمية .

ان العرب لا يزعمون ان قضيتهم عادلة لا لشيء الا لانها قضيتهم ، اذ ان امانيهم هى نفس امانى جميع شعوب العالم واهدافهم لا يمكن ان تتحقق الا في اطار تقدم القيم العالمية لحقوق الانسان بدون تمييز عنصرى أو دينى .

وعلى الاشتراكيين والاحرار في مختلف انحاء العالم ان يقدروا جسامة التضحيات التى يقبلها العرب على انفسهم واهداف الضغط الهائل الذى تمارسه الامبريالية العالمية على حركتهم الوطنية والتى تمثلها حكومات عربية تقدمية

ان العرب في مواصلتهم الكفاح ضد الامبريالية وفي مقاومتهم لاسرائيل كاداة للامبريالية والصهيونية يقدمون نصيبهم في الصراع التاريخى ضد جميع اشكال القوى الرجعية بما في ذلك المعاداة للسامية .



إسرائيل

كيف نواجهها .. بعد حرب ٥ يونيو

محمد سيد أحمد

من الاهمية بمكان ، وعدوان اسرائيل لم يعد يمثل مجرد خطر جاثم يهدد على الدوام حركة التحرر العربية، بل أصبح بعد أحداث ٥ يونيو يحتل مواقع جديدة من الارض العربية،بما اخل بالتوازن السابق في المنطقة،وأكد تباينا بين قدرات الاطراف المتنازعة على التمسك بمراكزها ومنجزاتها .. من الاهمية بمكان أن نراجع بنظرة نقدية بناءة سبيل مواجهتنا للعدو ، وأن نستكشف مواطن الخلل التي تسببت في النكسة ، بما يكفل تعميق فعاليتنا ، وزيادة كفاءتنا في تحقيق اهدافنا مستقبلا .

وتشكل اسرائيل في جبهة القوى العالمية التي تناصب العداء للثورة التحررية العربية الصاعدة، **« العدو الخاص »** ، المتصدى صراحة وبشكل مكشوف للعدوان ، والمستفيد بشكل مباشر ، قبل غيره من هذه القوى بثماره . ويكمن جوهر عملية **« ازالة آثار العدوان »** في أفقاد اسرائيل هذه الميزة الخاصة ، بكشف وعزل وتعرية وتفتيت **« عوامل القوة »** التي تستند اليها .

وينبغي علينا أن نسلم بأن كل هذه العوامل ليست من صنع اسرائيل وحدها،أو حتى من صنع القوى المناصرة لها .بل يرجع بعضها الى عوامل القصور والتخلف في مواجهتنا نحن لها . واصبحت الظروف لا تحتمل استمرار اغفالها .. والا اسهمنا بارادتنا الحرة في تدعيم مراكز القوى المعادية .

ونحن لا نستهدف في هذا المقال ان نتعرض لكل أوجه القصور التي برزت في موقفنا ، بغية البحث عن علاج لها، ولكن نريد التركيز بوجه خاص على تلك التي مست **تقديرنا « للعدو الخاص »** ، والتي حالت دون امكانية تعبئة كل قدراتنا الفعلية ، وطاقاتنا المتاحة والكامنة ، لانزال الهزيمة بتدابيره ومخططاته على أمثل وجه،وبأكبر قدر من الفعالية .

وحتى يمكن التعرض لهذه القضية بما تستوجبه من جدية ، علينا في المقام الاول أن نستكشف بوضوح وعمق ، عددا من المسائل « المنهجية » .

المسألة الاولى هي ان اسرائيل كيان عنصري دخيل ومفروض على الكيان القومي العربي ، اغتصبت رقعة من الارض العربية ، وأثبتت منذ وجودها أنها ترمي على الدوام الى توسيع هذه الرقعة المغتصبة باستمرار . ولكن وجود اسرائيل ليس مرهونا بهذه الصفة وحدها . وانما تمثل من وجهة نظر **الاستعمار العالمي** ، حلا **« موفقا »** لعدد من مشاكله :

● فهي اتاحت الفرصة في المقام الاول لايجاد « حل » استعماري لمشكلة أنشأتها الراسمالية ، وعمقتها النازية — أكثر اشكال الاستعمار المعاصر ضراوة وعدوانية ، وهي مشكلة **« العداء لليهود والسامية »** ، كأبرز صورة من صور **العنصرية** كان يمكن للاستعمار اطلاقهـا من عقالها في أوربا .. وينبغي التنبه الى ان القوى الديموقراطية المعادية للاستعمار وحدها ، هي التي تنشد حلا للمشكلة اليهودية في أوربا ، تقوم على اذابة الفوارق العنصرية بين اليهود وغير اليهود ، وتصفية هذا التمييز في أية صورة كانت . اما الاستعمار ، فيقيم مخططه على « حل » هو نقيض هـذا الجـل ، **ينهض على الفصل المادي المطلق بين اليهود وغير اليهود ، عن طريق تبني الحل العنصري الصهيوني للمشكلة ، وانشاء وطن قومي لليهود ، يضم أكبر عدد ممكن منهم،بعد انتزاعهم من أوطانهم الاصلية، ويعمق من موجة العنصرية في العالم ، بوصفهـا حركة رجعية في الصميم ، تناهض حـركة تحرير الشعوب ، وتجد اليوم تطبيقات مماثلة في أنشائه لدولة جنوب افريقيا في ١٩١٠ ، ودولة روديسيـا البيضاء في ١٩٦٦ .**

● ولكن الوجه العنصري الصهيوني لاسرائيل ليس سوى جزء من « استثمارات » الاستعمار في اقامة هذه الدولة . والوجه الاخر لاسرائيل ، هو استيطان دولة«أوربية الطابع»،متفوقة تكنولوجيا، في قلب العالم العربي ، قادرة على ممارسة دور فعال في مناهضة حـركة التحـرير العربية ، بل وحركة التحرير فيارجاء مختلفة منافريقيا وآسيا، وهي حيال هذه الحركات تقوم بدور « الوكالة » لحساب الاستعمار ، بتقديمهـا « معونات » فنية ومادية ، تنبع اصلا من الاستعمار ، ولكنها تختفي وراء دولة صغيرة تدعى انهـا جزء من « العالم الثالث » ، وهي في حقيقة الامر امتداد لمشاريع الاستعمار وتدخله بصورة مقنعة .

هذه الحقائق تجعل وجود اسرائيل ليس مرهونا فقط برفض العرب لهـذا الوجـود ، بل باصرار الاستعمار العالمي على استمرار هذا الوجـود ، واستعداده للتدخل بكل الوسائل ، بمـا في ذلك الحرب ،لضمان هذا الوجود،باعتبار أن الاستعمار لا يمكن ان يسـمح بتصفيـة قاعدة للعنصرية ، استـقرت منـذ قرابة عشرين عاما ، واثبتت في التطبيق كفاءة كبيرة في تنفيذ مخططاته في مناهضة حركات التحرير على اتساع العالم الثالث .

ومن هنا ، فازالة هذه القاعدة العنصرية ليست مرهونة بارادة العرب وحـدهم ، بل ترتبط أوثق الارتبـاط بالتـوازن الدولي الراهن بين قوى الاستعمار ، والقوى المعـادية له .. وهي أشبه بمشكلة « فورموزا » ، وغيرها من المشاكل المعلقة المماثلة ، التي لا يتوقف حلها في الحال على الحق والعدل ، ولكن على موازين دقيقة ، يحـددها في التحليل الاخير توازن القوى الاجتماعية والعسكرية على نطاق العالم اجمع .. ويرتبط حلها الجذري ، بتغيير جذري في هذه الموازين ، لصالح قوى التقدم والحرية .

وهذا لا يعني بحال من الاحـوال استحـالة مناهضة اسرائيل في سياستها العنصرية والتوسعية، ولا استحالة احباط مشاريعها العدوانية .. فليس الاستعمار وحده هو الذي يحكم مقدرات العالم . ولكنه يحدد أن ازالة اسرائيل كقاعدة للعنصرية أمر يرتبط بالتوازنات الدولية ، في عصر موازين الموت النووي ، قبـل أن يرتبط بالنـزاع العربي الاسرائيلي وحده .

المسالة الثانية : هي أن الظروف الراهنة لاينبغي أن تطغى وحدها في تحديد طرق مقاومة العدوان وازالة آثاره ، بل يجب أن ترتبط بتخطيط لحـل المشكلة بصورة جذرية ، حتى اذا لم تتوافر كل عناصر هذا الحل الجذري في الحـاضر المباشر ، وتنهض ضرورة هـذا الموقف من ان اهمال جانب الخط الاستراتيجي ، تحت وطأة ظروف النكسة المؤقتة ، يجعل علاج الموقف اقرب الى **رد الفعل** منه الى **الفعل**،محكوما **بمواقف القوة**قبل أن يحكمه **موقف المبدأ** .. ولذلك يجب طرح **الممكن والواجب** معا ، وتخطيط طرق **تحويل الممكن الى الواجب** .

وهذا بدوره يطرح عددمن الاسئلة— **ماهو الممكن ؟ وما هو الواجب ؟ وما هي طرق تحويل الممكن الى الواجب ؟**

وربما كان اهم ما ينبغي أن يستوقف انتباهنا ، حتى لا تبقى الاجابة على هـذه الاسئلة مجـرد عموميات خالية من كل محتوى حقيقي وفعال ، هو موقع اسرائيل المحدد ، داخل القوى التي تتحرك في فلكها .

موقفان كلاهما خطأ

وقد تذبذبت الدعايات العربيـة في تشخيص علاقة اسرائيل بالدول الاستعمارية ، وبالاستعمار الامريكي على وجه الخصـوص ، بين موقفين قصويين ، كلاهما لا يعبـر عن الحقيقـة تعبيرا صادقا دقيقا .

● **الموقف الاول** يفترض أن اسرائيل هي **الاساس**،

واستطاعت من خلال المنظمات الصهيونية ، ورأس المال اليهودى ، أن تجند الحكومات الاستعمارية ، بضغوط مختلفة ، كى تقف فى صفها ضد العرب .

وينهض هذا الموقف على ان اسرائيل وحدها هى العدو ، وبضغوط مماثلة للضغوط التى تمارسها الدوائر الصهيونية العالمية على الحكومات الاستعمارية ، يمكن التأثير بشكل حاسم على موقفها ، وفك الرباط الذى يربطها باسرائيل .

وهذا الموقف يتجاهل تماما الارضية **الاجتماعية** للمعركة .. والتحالف الاستراتيجى الذى يقوم بين اسرائيل والاستعمار فى مواجهة حركات التحرير العربية . ويعجز هذا الموقف عن تقديم تفسير شاف للضمانات التى تمنحها الدول الاستعمارية لاسرائيل ، للحيلولة دون المساس بكيانها ، حتى اذا تطلب ذلك لجوئها للقوة المسلحة بصورة مباشرة .. وايا كانت عواطف « جولدبيرج » و « روستو » وغيرهما من كبار مستشارى جونسون اليهود حيال اسرائيل ، فمن المؤكد أن ولاءهم يتجه للسياسة الامريكية أولا ، قبل أن يتجه لاية جهة أخرى ، ولبرز ذلك بشكل لا يترك مجالا للشك ، اذا ما تعارضت سياسة اسرائيل مع سياسة الحكومة الامريكية .

ولا يترتب على هذا الموقف مجرد التهوين من شأن الرباط الوثيق الذى يربط اسرائيل بالدوائر الاستعمارية العالمية ، مع التهويل من قدرة اسرائيل على تحريك هذه الدوائر من اجل مصالحها الخاصة ، ولكن يترتب عليه كذلك **نظرة خاطئة الى قضية اسرائيل** ، من شأنها الحد من قدراتنا وفعاليتنا فى مناهضتها .

فيفترض هذا الموقف قدرة اسرائيل على ان تجند لمصالحها قوى تتجاوز قدراتها الذاتية بكثير ، وفى مقدمتها جميع يهود العالم بلا استثناء . ان هذا الموقف لا يميز بين اليهود والصهيونية . اذ يفترض — مقدما — ان كل يهود العالم يدينون حتما بالولاء لاسرائيل والصهيونية ، قبل الولاء لاوطانهم الاصلية . وهو موقف ينهض فى التحليل الاخير على ارضية عنصرية ضارة ، ويضع اسرائيل ، وكافة من استطاعت ان تجتذبه الى مساندتها ، فى سلة واحدة .. هذا من حيث الارضية **الفكرية** . اما من جانب **التطبيق** ، فهو موقف غير دقيق ، ويتجاهل امكانيات يمكن استثمارها . ويكفى دليلا على ذلك ان حتى موقف التأييد والمساندة ، من جانب يهود العالم انفسهم ، لاسرائيل ، تتباين وتتفاوت اسبابها .. ويبرز ذلك على سبيل المثال فى **الموقف من الهجرة** .. من الظواهر الملحوظة خلال السنوات الاخيرة التى سبقت احداث يونيو ، هو تساوى عدد المهاجرين اليهود الى اسرائيل مع هؤلاء الذين رحلوا عنها ، وفى السنة الاخيرة زاد عدد المهاجرين الى خارج اسرائيل عن هؤلاء الذين هاجروا اليها ، لاول مرة منذ ان انشئت دولة اسرائيل فى ١٩٤٨ .. ومع ذلك ، لا تضم اسرائيل سوى اقل من سدس اليهود القاطنين خارج حدودها .

ان كثيرا من اليهود يساندون اسرائيل بالمال لتبرير عدم رغبتهم فى الهجرة اليها ، استجابة لضغط المنظمات الصهيونية عليهم .. **ان الصهيونية عند جميع اليهود لا تتساوى فى دلالتها** .. ويتباين الموقف منها مع تباين الموقع والظروف الاجتماعية والوطن الاصلى .. واشتهر يهود بموقف العداء السافر للصهيونية ، من زاوية مصلحة اليهود انفسهم ، ومستقبل اليهودية بعد توالى اعمال اسرائيل العدوانية ، ومن اشهرهم روزنثال الامريكى ، كما وقف يهود موقف الدفاع السريع عن العرب اثناء العدوان الاخير ، نذكر على سبيل المثال البروفيسور بيتلهايم ، وماكسيم رودنسون .

هذا لا ينفى بطبيعة الحال أن الصهيونية قد نجحت بالفعل — وبرز ذلك بشكل واضح فى الايام التى سبقت العدوان مباشرة — نجحت فى تعبئة عدد كبير من اليهود للدفاع باستماتة عن اسرائيل ، بدرجة أن قضية ولائهم لاوطانهم الاصلية اصبحت تبدو امرا مشكوكا فيه فى نظر حكومات الدول التى ينتمون اليها .. برزت هذه القضية فى فرنسا حيث استشعرت الحكومة الفرنسية بعدم ارتياح وحرج من تصرفات السفارة الاسرائيلية فى باريس ، وتصرف بعض اليهود الفرنسيين ازاء اسرائيل .. وبرزت بشكل اوضح فى بولندا حيث اتخذ جومولكا موقفا حاسما ، واعلن انه لن يحتمل وجود « طابور خامس » من اليهود داخل بلاده .

ولكن يجب التسليم بان قدرة الدعاية الصهيونية على تعبئة جمهور عريض من المناصرين لاسرائيل فى اوربا ، فى أحوج اللحظات التى سبقت العدوان ، وبغرض الاستناد اليه لاخفاء ملامح العدوان ، وتبريره فيما بعد ، لم يكن يرجع فقط الى الاموال الباهظة التى انفقتها ، ولا الى مجرد وجود « عقدة ذنب » فى اوربا بسبب الاضطهاد النازى لليهود ، ووقوف معظم الاوربيين من هذه الجرائم موقف اللامبالاة .. وانما كان يرجع كذلك الى قصور فى اوجه دعايتنا ، وبالدقة الى الموقف الفكرى الذى يقف خلف هذه الدعاية ويوحد بين الصهيونية وكل اليهود فى العالم .

استطاعت اسرائيل ان تصور العرب قبل عدوانها الاخير ، بأنهم هم العنصريون ، وهم الذين يواصلون اليوم حملات هتلر لابادة اليهود ، مستندة

فى ذلك الى بعض التصريحات التى نسبت الى شخصيات عربية ، ورددت فى كل الاذاعات ومحطات التليفزيون فى العالم ، وابرزت فى كافة الجرائد ، ان هذه الشخصيات « تطالب بابادة اليهود ، والقائهم فى البحر » .

واذا كانت الجرائم الفعلية التى ارتكبتها اسرائيل اثناء العدوان وفى اعقابها ، غطت على دعايات الصهيونية عن جرائم محتملة ، كان ينوى العرب على حد زعمها ارتكابها ، الا ان هذه الدعايات عذبت بما سمح لاسرائيل ان ترتكب ابشع جرائمها على الاطلاق ، وهو عدوان صبيحة ٥ يونيو ، والراى العام العالمى غير مهيأ لادانته ، بل وقفت دوائر عريضة فى الغرب ــ تنتسب الى اليمين واليسار على السواء ــ وتتلمس له الاعذار ، بل وتنفى عنه صفة العدوان اصلا ! ! .

والواقع ان الموقف القائم على اعتبار اسرائيل هى الاساس ، ولم تساندها دول الغرب الا بفضل قوه المنظمات الصهيونية ، والاموال اليهودية ، موقف يقلل من مسئولية الاستعمار العالمى فى مساندة العدوان ، والتحريض عليه ، وخلق الظروف المواتية له . فاسرائيل لم تكن تجرؤ ان تقوم بهجومها الباغت فى صبيحة يوم ٥ يونيو ، لولا جو التوتر والحرب الذى انشاته تحركات الاساطيل الامريكية والبريطانية فى الايام السابقة ، ولولا وعود امريكا وبريطانيا باستعدادهما لفتح خليج العقبة ، ولو بالقوة المسلحة .

وهذا الموقف ينهض على وهم ان المصالح الاصيلة للدول الغربية تستطيع ان تفضى بها الى التحلل من التزاماتها حيال اسرائيل ، اذا ما توافرت شروط معينة ، وهو من الوجهة العملية يفضى الى تناقض لا مخرج منه ، فهو من ناحية يلتمس من المسئولين فى الغرب التحلل من تبعيتهم للمخطط الصهيونى العالمى ، ومن ناحية اخرى يفترض انتشار الاخطبوط الصهيونى على اوسع نطاق ، ويصطدم به فى كل مكان ، وهو موقف يحد الى اقصى حد من فعاليتنا الايجابية ، ويضاعف من عناصر قوة العدو بدون مبرر .

● **الموقف الثانى** الذى يقف على طرف النقيض من هذا الموقف ، هو الموقف الذى يعتبر ان اسرائيل **ليست سوى ذنب للاستعمار** ، يحركها كما يشاء .

وهذا الموقف يفترض ان اسرائيل هى مجرد امتداد لمخطط الاستعمار العالمى ، وعلى راسه الاستعمار الامريكى ، ضد حركة التحرير العربية ، ليس الا . **وهو موقف يقلل من السمات المميزة « للعدو الخاص » ، وللفاعل الاصيل فى ارتكاب العدوان الاخير .**

والواقع ان هذا الموقف ينطوى على تقليل من شأن قدرات اسرائيل الذاتية ، ويضعها فى صف الامتدادات والقواعد **العادية للاستعمار** . وهذه صورة تجافى الواقع . فبمجرد ان يتم عدوان ينطلق من احدى قواعد الاستعمار التقليدية ، يتحرك الراى العام العالمى لادانته . . ان عدوان امريكا على فيتنام حاليا دليل واضح على ذلك . . الا ان اسرائيل تتسم بطابع متميز خاص ، تنفرد به دون غيرها من « قواعد الاستعمار » ، **وهى انها تستطيع ان تعبىء جزءا هاما من الراى العام العالمى لمناصرة تحركاتها ، حتى اذا ما اتسمت هذه التحركات بطابع العدوان السافر ، كما اثبتت ذلك الاحداث الاخيرة .**

ويرجع السر فى ذلك الى ان اسرائيل ليست مجرد اداة فى يد الاستعمار وحسب ، بل تبدو فى نظر كثير من اليهود وغير اليهود كأنما هى « حل » **لمشكلة قومية** ، و « الحل » على وجه التأكيد حل عنصرى ، ورجعى ، وقد لا تتوافر له مقومات الحياة والاستمرار فى ظروف طبيعية ، ولكن علينا ان نسلم بأن الدعاية الصهيونية استطاعت ان تعبىء رأيا عاما واسعا فى العالم ، لمناصرة هذا « الحل » ، والدعوة له ، وتنفيذه فى التطبيق ، ولو بالقوة المسلحة ، وعلى اساس تشريد مليون ونصف مليون من العرب ، شعب فلسطين الاصلى .

ورغم ان اليهودية ديانة وليست قومية ، والديانة وحدها لا تشكل مقومات القومية ، كما يدل على ذلك جميع القوميات فى العالم التى تضم مواطنين من ديانات مختلفة ، الا ان هناك عنصرا خاصا استطاعت الصهيونية ان تستغلها للتحريض فى مساعيها لتحويل الديانة اليهودية الى اساس للقومية ، وهى اشتراك اليهود على اختلاف قومياتهم فى تحمل قدر متميز من الاضطهاد العنصرى بوصفهم اقليات ، تتمتع فى احوال كثيرة بقوة ونفوذ مراكز المال فى المجتمعات الراسمالية المختلفة ، واضطهادهم بوجه خاص على يد النازى اثناء الحرب العالمية الثانية ، وتحرص الدعاية الصهيونية دائما على تذكير اليهود ، بل والعالم اجمع ، بجرائم النازيين ضد اليهود ، بهدف تغذية هذا التفاعل بين يهود من قوميات مختلفة ، واذكاء الشعور بضرورة استمرار وجود « وطن قومى » لليهود ، يؤمنهم مستقبلا ضد تكرار وقوع جرائم مماثلة . فلا يخلو عام واحد دون ظهور عدد من الكتب عن الجرائم النازية ضد اليهود ، والدعاية مستمرة فى كافة مجالات النشر والاعلام ، فى الاذاعة والتليفزيون والسينما ، فى كافة ارجاء العالم .

ولكن ينبغي ان نسلم بأن نجاح الصهيونية في تنمية نوع من الشعور القومي الشاذ داخل اسرائيل، رغم تباين الاصول القومية لليهود الذين هجروا اليها ، لا يرجع الفضل فيه الى جهود الدعاية الصهيونية وحدها ، بل ساهم العرب أيضا ــ على غير ارادة منهم ــ في اذكاء هذا الشعور ، وذلك بامتناعهم عن التمييز بين رفضهم المشروع لاسرائيل، ككيان عنصري اغتصب بالقوة جزءا عزيزا من أرض الوطن ، ويضمر على الدوام نوايا توسعية ، وبين عدم التورع عن اللجوء ايجابا الى كافة الاساليب الكفيلة باضعاف مكونات هذه الدولة ، وقد تفترض هذه الاساليب ــ ضمن ما تفترض ــ عدم الوقوف موقف الرفض المطلق والشامل لكل ما يجرى في الداخل رغم كل شيء بل قد لا تستبعد محاولة التأثير على الاحداث عن طريق العمل الايجابي على مستويات مختلفة ، لتنمية عوامل الصراع بين قوى متباينة الاتجاه ، بدلا من التسليم مقدما بحتمية تجمعها صفا واحدا وبلا استثناء ، في موقف متجانس شامل .

بمعنى انه رغم ان الصهيونية، القائمة على فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، هي الفكر السائد والمهيمن ، ويكاد يكون الشامل في اسرائيل، الا ان هناك تناقضات متنوعة الطبيعة داخل اسرائيل ينبغي التسليم بأن العرب لم يبذلوا الجهد اللازم، والممكن ، لاستثمارها بكفاءة لصالحهم . وذلك في اطار الرفض الجذري للحركة الصهيونية بكل آثارها وتجسيداتها .

ان اسرائيل ، **القائمة على العنصرية** ، تميز اولا بين مواطنيها اليهود والاقلية العربية التي تعتبرها تتشكل فقط من « مواطنين من الدرجة الثانية »، محرومين من حقوق أساسية . واسرائيل تميز ثانيا بين اليهود الوافدين من اوربا ، واليهود الوافدين من البلدان الشرقية والعربية .

وان اسرائيل ، **القائمة على الصراع الاجتماعي،** شأنها في ذلك شأن أية مجتمعات ، لا بد أن تتميز باتجاهات سياسية متباينة تجسدت بالفعل في تعدد أحزابها ، ولا بد من وجود يمين ويسار نسبي ، واتجاه صهيوني متطرف يرى حتمية اللجوء الى العنف المتجدد باستمرار ــ وهو الغالب ــ كشرط لارساء وجود الدولة الدخيلة ، وتحقيق أهدافها التوسعية على الدوام ، واتجاه صهيوني اكثر اعتدالا نسبيا ، يدرك ان مصالح الدولة الصهيونية نفسها تستدعي محاولة البحث ، آجلا او عاجلا ، عن حل يمكنها من الوجود والاستمرار محاولة الاستقرار كجزء من المنطقة . وان اسرائيل ، أيا كانت قدراتها الراهنة ، فلن تستطيع ان تصمد مستقبلا في مواجهة مائة مليون عربي ، ويعجل من ذلك انتهاجها على الدوام ازاءهم سياسة تنهض فقط على القوة والعنف .

ان وجود هذين التيارين حتمي في داخل اسرائيل، لان التفكيرين معا ينبعان من تقدير متباين لمصلحة اسرائيل نفسها . تفكير يغلب الاعتبارات العاجلة على الاجلة، والاخر يطرح المصالح البعيدة ويطالب بسياسة تكفلها في الامد العام وذلك بالمفهوم الاسرائيلي نفسه . والعرب ، بامتناعهم عن التدخل ايجابا لاستغلال هذه التناقضات ، انما يفسحون المجال للاتجاهات الاكثر تطرفا وعدوانية كي تسود، وينمون عوامل « الوحدة » على حساب عوامل التفكك التي لا بد وأن تنخر هذا المجتمع غير مكتمل المقومات موضوعيا .

علاقة اسرائيل بالاستعمار

والواقع أن علاقة اسرائيل بالاستعمار ليست علاقة من النوع البسيط ، الذي يقتصر على طابع العلاقة بين **التابع والمتبوع .. لا الاستعمار هو التابع** ، بأن اسرائيل تستطيع أن تحركه كما تشاء من خلال نفوذ المنظمات الصهيونية الدولية ، **ولا اسرائيل هي التابع** ، بمعنى أنها مجرد ذنب للاستعمار ، وامتداد لوجوده في مركز استراتيجي داخل الارض العربية .

تنهض علاقة اسرائيل بالاستعمار على أسس أكثر تعقيدا ، وهي أقرب الى حليف خاص للدول الاستعمارية الكبرى منها الى ذنب لها ، أو دولة يستطيع الاستعمار تحريكها بشكل مطلق حسب مصالحه وحدها ، وبدون مراعاة لأى اعتبار آخر .

وقد أثبتت الاحداث الاخيرة ان اسرائيل قادرة ، على استبدال حليف استعماري بحليف آخر ، كما أثبتت أنها تحتفظ بقدر من الاستقلالية ازاء الدول الاستعمارية جميعها ، وهي قادرة على استثمار مواقف الدول الاستعمارية المختلفة، بما يرجع اليها بالنفع الاكبر . وقد اثبتت هذه الاحداث كذلك ، أنها تستطيع أن ترفض بعض ما تطلبه منها دول استعمارية كبرى ، اذا قدرت ان هذه المطالب تتنافى مع مصالحها الذاتية .

وادراك هذه الحقيقة ، وهي ان علاقة اسرائيل بالاستعمار تتسم بصفة ((الحليف الخاص)) قبل أن تتسم بصفة ((التابع)) او ((المتبوع)) ، امر جوهري لتحديد دائرة ((الممكنات)) وتطويرها ثوريا الى

« ما هو واجب تحقيقه » لازالة كيانها العنصرى العدوانى التوسعى كخط استراتيجى عام .

فموقف اسرائيل « كحليف خاص للاستعمار » يكسبها اكبر قدر من المزايا ، بدون ان تتحمل الاعباء الناجمة عن محاولة فرض سياستها عليه(كمتبوع) أو ان تعانى عيوب موقف « التابع » ، وهو الموقف الذى يجسد « عوامل القوة » فى مركزها ، كما هو الموقف الذى ينبغى تفهمه ، والانطلاق منه ، فى سعينا لتصفية هذه العوامل،وتحويلها الى نقيضها .

مواجهة اسرائيل

وعند تحديد الخطوط الرئيسية لمواجهة اسرائيل، ينبغى فى رأينا الانطلاق من عدد من النقاط الاساسية، يمكن اجمالها فى الآتى :

● لا ينبغى ان ننسى ان الاصل فى مناهضة حركة تحرير الشعوب بشكل عام،وحركة التحرر العربية بشكل خاص ، والثورة المصرية بوجه أخص ـ بوصفها احدى الثورات التى قامت بدور طليعى فى تحرير الارض العربية ، وتحديد ملامحه وأبعاده ـ هو الاستعمار العالمى ، وعلى راسه الاستعمار الامريكى .. وان اسرائيل فى اطار القوى المعادية هى مجرد جزء . وهذا الجزء ، أيا كانت سماته الخاصة ، وخطره الخاص ، لا يمكن ان يرتقى وحده الى مركز الكل ، ولا يمكن أن يستبدل بالكل .. وأيا كانت وطأة ظروف النكسة الراهنة والمؤقتة ، وتأثيرها فى جذب الانتباه كله الى اسرائيل اساسا ، فلا ينبغى أن يفقدنا هذا الظرف الخاص الاتجاه ، وأن نبحث عن حلول لمواجهة اسرائيل تقوم عمليا على اعتبار أن اسرائيل هى الاساس، وما الاستعمار الا حليف لها ، نعاديه أو نواجهه بالقدر الذى يحتم ذلك مواجهة اسرائيل فقط ، أو اساسا .

ولذلك ينبغى ان يستند نضالنا فى الجوهر الى كافة القوى العالمية المعادية للاستعمار،فى مواجهة قوى الاستعمار العالمى التى تحرك ، او تستثمر حركة اسرائيل ، لصالحها . وينبغى ان تضم هذه القوى الحليفة دول المعسكر الاشتراكى ، وقوى التحرر المنطلقة فى العالم الثالث ، فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية،وبوجه خاص بينها القوى الثورية التحررية فى العالم العربى،وكافة قوى الديموقراطية على اتساع العالم اجمع ، بما فى ذلك القوى التى تتحرك داخل الدول الاستعمارية نفسها .

● ولكن هذا التشخيص العام والاساسى لا ينبغى ـ فى الوقت ذاته ـ أن ينسينا ان اسرائيل هى « العدو الخاص » ، وهى « الفاعل الاصيل » فى العدوان الاخير ، والمحتلة حاليا لاجزاء خطيرة من الارض العربية فى سينا والاردن وسوريا فضلا عن فلسطين ، وهذا يخرج مواجهتها من ظروف المواجهة العادية مع الاستعمار ، فى كيانه الاصلى، وفى فروعه المتنوعة،وهى الظروف التى تميز فترة طويلة من نضالنا القومى والاجتماعى ، على امتداد حركة الثورة الوطنية .

ان الظروف الخاصة التى انشأتها اسرائيل بعدوانها الاخير تتطلب اجراءات عسكرية واقتصادية وسياسية متنوعة ، بل قد تتطلب اجراءات ذات طابع اجتماعى لتدعيم كيان الجبهة الداخلية ، وتطوير الساليب عملنا ، للحاق بمتطلبات العمل الفعال فى المجتمعات العصرية ، الخ ، ولكن كل هذه الجوانب بتفاصيلها لا تشكل لب موضوعنا الان ، لتركيزها الاضواء على مشاكل « الجبهة الداخلية » فى مواجهة العدو ، قبل التعرض للمشاكل الخاصة « باسلوب » و « منهج » هذه المواجهة .

اما فيما يتعلق (بأسلوب) و (منهج) المواجهة ، تتركز القضية فى تحديد الممكنات التى تكفل كشف حركة اسرائيل على اتساع العالم اجمع كقوة ضاربة للاستعمار ، وكقاعدة خطيرة من قواعده الامامية ، بعد تجريدها من العوامل التى تكسبها قوة فى سلوكها العدوانى ، والتى تتمثل اساسا فى قدرتها على تضليل الشعوب،وتقسيم جبهة القوى العالمية المعادية للاستعمار .

ان هذا المنهج يطرح القضية فى اطارها الصحيح، ويخلق انسب الظروف الممكنة لازالة آثار العدوان فى الامد القصير ، ولنسف كيانها كقاعدة عنصرية للتوسع والعدوان فى المستقبل .

الا ان انجاز هذا المخطط بنجاح ، والتحكم فى الموقف بصورة ايجابية فعالة ، يستدعى تحديد عدد من القضايا المنهجية والمبدئية :

اولا : تجريد مواجهتنا لاسرائيل من شبهة العنصرية فى اية صورة كانت . فالعنصرية وقود للاستعمار ولاسرائيل ، وما هى الا ذخيرة فاسدة فى ايدينا ، ترتد ضدنا بدلا من ضرب العدو ـ والعنصرية من حيث المبدا ـ لغة لا يستسيغها سوى الاستعمار ولا تصلح الا فى مخاطبته . وهى منفرة لكافة القوى العالمية المعادية له . وفى مواجهة اسرائيل على وجه التحديد،ينطوى الموقف العنصرى على تدعيم جبهتها ضدنا ، بافتراض انها تضم ـ ابتداء :

جميع يهود العالم بلا استثناء بغض النظر عن المواقع التى يحتلونهـا فى مختلف إرجاء الارض وتأثير هذه المواقع على مواقفهم .

بل وكل من يعطف على قضية اليهود، حتى اذا ما كان سبب هذا العطف اجتماعيا وليس عنصريا، نتيجة لما عاناه اليهود فى الماضى من اضطهاد الرأسمالية والاستعمار والنازية ، وليس ما ترتكبه اسرائيل اليوم من جرائم لحساب الاستعمار ، وضد حركة تحرير الشعوب العربية .

ان الموقف العنصرى فى مواجهة اسرائيل هو توسيع لجبهة « العدو الخاص » بدلا من تضييقه .. هو السير فى خط مواز للدعاية الصهيونية التى تستهدف هى الاخرى تعبئة كل يهود العالم ، وكل من يعطف عليهم ، الى صف اسرائيل ، بالمساعدات الايجابية النشطة .

ثانيا : تجاوز النظرة الى اسرائيل ككتلة واحدة متجانسة ، والاسهام بصورة ايجابية فى فك مكوناتها المتنابذة ، بدلا من العمل على تجميعها وتدعيمها .

فاسرائيل أصلا لا يمكن ان تشكل « قومية » بالمعنى العلمى المعروف للكلمة .. والنظر اليها ككتلة متجانسة يدعم جهود الصهيونية للتأثير على جميع اليهود بوصفهم « قومية واحدة » بدلا من مناهضة هذه الجهود باستثمار التناقضات الناشئة بالضرورة من كون اسرائيل :

ـ عنصرية تعانى صورا شتى من الاضطهاد العنصرى .

ـ طبقية تعانى صورا شتى من الصراع الاجتماعى .

ثالثا ـ التمييز بين اسرائيل كدولة عنصرية ، وعدوانية وتوسعية تعمل على جلب عدد متزايد من اليهود الى فلسطين بصورة مطردة ، وبين اليهود كبشر ـ عموما ـ وكطائفة فى فلسطين .

وتأكيد أن رفض اسرائيل كدولة ، التى تنهض على مؤسسات عنصرية وعدوانية وتوسعية ، لا يعنى قط ازالة او ابادة الطوائف اليهودية القائمة حاليا فى فلسطين من الوجود .

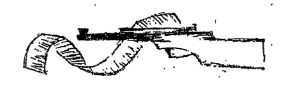
وتكتسب هذه المسالة اهمية خاصة فى التطبيق نظرا لان احد المبررات العملية التى تثيرها الصهيونية لتشجيع الهجرة بصفة مستمرة الى فلسطين ، هى ضرورة حماية « الوطن القومى اليهودى » من الاخطار التى تتهددها من كل جانب .

ان هذه النقاط الثلاث تستهدف تحديد « العدو الخاص » بدلا من ان نسهم من جانبنا فى توسيع نطاقه ، وان ننطلق فى عمل من شأنه ان يدعم الصهيونية فى كسب الاعوان والحلفاء فى مختلف ارجاء الارض .

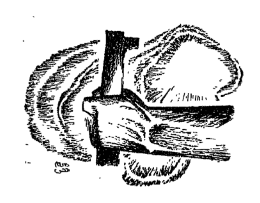
ويفترض هذا الموقف فى الوقت ذاته تركيز اتجاه ضربتنا بكل قوة على القوى السياسية والعسكرية التى تجسد فى أشخاصها سياسة اسرائيل العنصرية العدوانية التوسعية فى ابشع صورها ، والمسئولة اولا وقبل غيرها عن الجرائم التى ترتكبها ضد العرب . وهى تتمثل اساسا فى الدوائر الحاكمة داخل اسرائيل ، التى تنادى بصورة محددة بسياسة العنف ضد العرب ، والتى اكتسبت خلال الحرب الاخيرة الكلمة العليا فى اسرائيل ، وهى التى تصر على الاحتفاظ بمكاسب العدوان ، وعلى اتخاذ هذا الاسلوب اساسا لسياسة اسرائيل على الدوام .

ان هذه القوى لا تستطيع ان تواصل هذه السياسة الا بفضل تضليل الشعوب ، وبفضل التعبئة التى حققتها اسرائيل لصالح قضيتها لدى فئات عريضة من الرأى العام العالمى .

وبديهى ان اعتبار هذه الدوائر الحاكمة فى اسرائيل تشكل على وجه التحديد الحلقة الرئيسية فى موقف « العدو الخاص » يجرد اسرائيل العنصرية فى الوقت ذاته من عوامل القوة من دعايتها، ويقضى على قدرتها فى تجنيد قوى عديدة لاتنتمى الى قوى الاستعمار العالمى ويبرز موقف العرب بوصفه موقفا لايعادى اليهود عنصريا او كطائفة من البشر ، ويحرك كافة العوامل الكفيلة بتصفية قاعة العنصرية والعدوان .



موقفنا.. من العدو الاستعماري



سعد زهران

الحديث عن العدو الاستعماري يدفعنا — لضمان التركيز على ما هو اهم — الى تناول موضوع موقفنا من امريكا بالذات ، (او الامبريالية الامريكية ان شئنا الدقة) فهى ليست زعيمة معسكر الاعداء فحسب ، ولكن لان وزنها المادى والمعنوى فى هذا المعسكر يشكل النسبة العالية لمجموع وزنه ، ولان الحديث عن موقفنا من الاعداء يدور فى الحقيقة حول محور اساسى هو موقفنا من امريكا . وهذا الحديث يتضمن — بالحتم — اشارات الى بعض حلفائها او ادواتها ، على ألا تتجاوز هذه الاشارات الاوزان النسبية لكل من هذه الادوات والتوابع .

الحرب بيننا وبين الامبريالية الامريكية

محتومه ومشبوبة بالفعل

وكلمة الحرب ليست اختراعا او تزيدا تصد به اشعال الحماس ضد عدو بلادنا ، ولكنها الكلمة الصحيحة التي استخدمها مخططو السياسة الامريكية انفسهم . وكان **جون فوستر دالاس** ، وزير خارجية امريكا الاسبق هو اول من ابتكر كلمة الحرب الباردة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ووضع نظرية متكاملة لها عام ١٩٥٠ فى كتابه ((**حرب أم سلام**)) ، وهو المعين الاساسى الذى يستمد منه استراتيجيو الولايات المتحدة أفكارهم وأساليب عملهم . وفى هذا الكتاب ، يوفر دالاس على الجميع مؤونة الاجتهاد ، ويطرح المخطط الامريكى للسيطرة العالمية دون مواربة . فالعالم فى نظر سادة وشنطن عالمان : عالم حر يدين بالولاء غير المشروط للولايات المتحدة ، وعالم شيوعى — ولا شيء بينهما . ووضع دالاس الخطوط الاساسية لحملة شاملة فى جميع الجبهات السياسية والاقتصادية والفكرية ، تتخذ شعار مكافحة الشيوعية ستارا لبسط النفوذ الامريكى على العالم ، وتصفية جميع النظم والحكومات التى ترفض الخضوع . كذلك وضع الوزير الامريكى افكارا متكاملة عن تحريك عوامل الانقلاب الداخلى فى البلاد الخارجة عن حدود ((العالم الحر)) كما تصوره ، وتولى شقيقه ، **الان دالاس** ، الذى كان يتولى رياسة المخابرات الامريكية ، تولى وضع افكار وخطط شقيقه فى التطبيق ، الى ان جعل من ذلك الجهاز البغيض افظع جهاز عرف فى التاريخ للتجسس والتخريب والانقلاب والتدخل فى شئون البلاد الاخرى .

ومجموع هذه الخطط ، التى وضعها دالاس ، لاخضاع العالم دون صدام عسكرى مباشر مع القوة العسكرية السوفيتية — هى ما اطلق عليه دالاس اسم ((الحرب الباردة)) . ولم يدع الزعيم الامريكي لاحد مجالا للخيار فى عالم اليوم. فقد اعتبر دالاس ان الموقف الحيادى فى الميدان الدولى موقف غير اخلاقى وغير واقعى بالعدوان

على كل حكومات العالم ان تحدد موقفها ، فاما ان تضع نفسها فى « عالم أمريكا الحر » والا فان حكام الولايات المتحدة يعتبرونها فى صف الاعداء ، ويطبقون عليها القواعد الموضوعة للحرب الباردة .

وعلى ذلك ، فالحرب الباردة ، سياسية واقتصادية وفكرية ونفسية ، دائرة ضدنا من جانب الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٥ . وليس ذلك راجعا الى اشتراك مصر فحسب فى مؤتمر باندونج وقيامها بدور بارز فى ذلك اللقاء التاريخى الذى رفع شعار الحياد الايجابى كأفضل طريق تنتهجه البلاد الافروآسيوية حديثة الاستقلال فى الميدان الدولى ، ولكن لان مصر ايضا رفعت لواء مقاومة حلف بغداد الذى كان يهدف الى اخضاع منطقة الشرق الاوسط للنفوذ الامريكى البريطانى . ثم توجهت فى نفس العام لشراء السلاح من الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية .

وظلت الحرب الباردة الدائرة ضدنا فى تصاعد مستمر حتى ١٩٦٢ ، وان خفت حدتها واتخذت شكل « محاولة الاحتواء » فى فترة تأزم العلاقات العربية السوفييتية (من اواخر ١٩٥٨ الى النصف الاول من ١٩٦١) (١) .

والحرب الساخنة أيضا

أما عن الحرب الساخنة ، فان واضعى الاستراتيجية الامريكية للسيطرة على العالم لا يتورعون عن الالتجاء اليها ، بل انها هى الاصل . وانما هم يعملون حسابا خاصا لحرب عالمية يكون فيها الصدام مباشرا مع الاتحاد السوفييتى وتستخدم فيها الاسلحة النووية والصاروخية ، ويكون الفناء الذرى من نصيب الطرفين ، بل وربما العالم كله . وهذا ما الجأ دالاس وتلامذته الى ابتكار فكرة الحرب الباردة . اما اذا دعت دواعى السيطرة العالمية الانقضاض على بلد صغير بقوة السلاح ، مع ضمان حصر النزاع المسلح بحيث لا يمتد ليكون حربا عالمية ، فان الامبريالية الامريكية لا تتردد فى الالتجاء الى الحرب الساخنة . ومن اجل هذا ، وضع الاستراتيجيون الامريكيون نظرية « الحروب الصغيرة » او « المحدودة » .

لذلك ، كانت « الحرب الباردة » — عمليا — من نصيب الاتحاد السوفييتى ومجموعة بلاد حلف وارسو التى يعنى التدخل المسلح ضدها عدوانا على الاتحاد السوفييتى ، بما يستتبع ذلك من احتمال الصدام بين العملاقين العالميين . بينما كانت كافة اشكال الحروب — باردة وساخنة — من نصيب البلاد حديثة الاستقلال فى آسيا وافريقيا التى القت عن كاهلها نير المستعمرين القدامى ، والتى ارادت شعوبها ان تنتهج طريقا مستقلا يناى بها عن طريق الوقوع فى قبضة الاستعمار الجديد الذى تتزعمه امريكا ، كما كانت من نصيب بلاد امريكا اللاتينية التى تناضل للفكاك من قبضة الامبريالية الامريكية المتوطنة . ويلاحظ ان الولايات المتحدة كانت تمارس اعمالها العدوانية تحت لافتات كاذبة مدعية انها انما تتدخل لدفع عدوان مزعوم ، فليس اشد من الامبريالية الامريكية نفاقا وتبجحا وجراة على الحقائق . كذلك عنيت الولايات المتحدة الا يرتفع علمها ذو الاشرطة والنجوم على جيوش عدوانها المدبر الا فى حالات الضرورة القصوى ، فقد كانت دائما حريصة على استخدام واجهات من دول او قوى تابعة ، أو من منظمات دولية او اقليمية — ومن امثلة البلاد التى تعرضت للعدوان المسلح للامبريالية الامريكية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية :

● **كوريا الشمالية** : التى قام دالاس شخصيا بتدبير العدوان عليها فى يونيو ١٩٥٠ ، وتم العدوان تحت علم الامم المتحده وبدعوى رد عدوان من جمهورية كوريا الديموقراطية ضد كوريا الجنوبية . وظلت الحرب مشتعلة ٣ سنوات ، وراح ضحيتها حوالى ٤ ملايين كورى ، ولكن العدوان الامريكى هزم وفشل فى تحقيق اهدافه بعد مقاومة باسلة من الشعب الكورى ومساعدة الصين الشعبية والمعسكر الاشتراكى كله .

● **جواتيمالا** فى ١٩٥٤ . استخدم فى العدوان عليها بضعة آلاف من المرتزقة اتخذوا البلاد المجاورة لها قاعدة للهجوم الذى دبرته وكالة المخابرات المركزية لاسقاط حكومة **اربنز الوطنية** التى اتخذت عدة اجراءات ضد شركة الفواكه المتحدة الامريكية ، وعقدت صفقة سلاح مع أحد البلاد الاشتراكية .

● **الكونغو** التى تعرضت لثلاث عمليات :

— الاولى فى ١٩٦٠ ، والتى استخدمت فيها

(١) انظر كتاب محمد حسنين هيكل « نحن وامريكا » .
وقد قسم هيكل تاريخ العلاقات المصرية الامريكية بعد ١٩٥٢ الى اربع مراحل :
١ — محاولة الترويض ، وهى التى استمرت حتى عام ١٩٥٥ .
٢ — مرحلة العقاب التى امتدت حتى آخر عام ١٩٥٨ .
٣ — محاولة الاحتواء التى امتدت حتى عام ١٩٦٢ .
٤ — مرحلة العنف التى بدأت بالنصف الثانى من عام ١٩٦٢ ، وبلغت ذروتها فى عدوان ٥ يونيو .

هيئة الامم المتحدة ، وانتهت الى اغتيال الشهيد لومومبا ، وتمزيق الكونغو ، واقامة حكومة من العملاء .

والثانية في ١٩٦٤ ، حيث دبرت المخابرات الامريكية غزوا ثلاثيا ، امريكيا بريطانيا بلجيكيا ، لتصفية حركة المقاومة في شرقي الكونغو التي كانت تتخذ مدينة ستانلي فيل مركزا لها .

والثالثة بدأت في يوليو ١٩٦٧ ، والتي ما تزال مستمرة حتى كتابة هذه السطور ، حيث تتخذ قوات من المرتزقة البيض (المجهولي الجنسية) القنصلية الامريكية في مدينة بوكافو (في شرق الكونغو) مركزا لقيادتها . وهدف العملية الاصلي هو اسقاط حكومة الجنرال موبوتو واعادة تشومبي الى حكم الكونغو .

● **كوبا** ، حيث دبرت المخابرات الامريكية غزو خليج الخنازير الشهير الفاشل في ابريل ١٩٦١ ، واستخدمت فيه بضعة آلاف من الكوبيين الهاربين والمنفيين المعادين للثورة التي حررت الجزيرة المناضلة من الاستعمار الامريكي .

وجدير بالذكر ان هذا الهجوم تم تدبيره وتنفيذه قبل ان يعلن كاسترو التزامه بالماركسية اللينينية وانتمائه الى معسكر البلاد الاشتراكية .

● **جمهورية الدومينيكان** : حيث نزل مشاة البحرية الامريكية مع قوات صورية لبعض الحكومات التابعة في امريكا اللاتينية ، تحت علم منظمة الدول الامريكية للاطاحة بدستور البلاد واقامة حكومة من العملاء بعد مذابح دامية راح ضحيتها عدد كبير من القيادات الوطنية والديموقراطية .

● **فيتنام** : حيث بدأ التدخل الامريكي عام ١٩٦١ يتخذ شكل حرب واسعة النطاق ضد شعب فيتنام الجنوبية المناضل من اجل تحرير بلاده من ربقة الاستعمار الامريكي وعملائه في حكومة سايجون . وفي ١٩٦٥ بدأت الغارات الجوية على جمهورية فيتنام الديمقراطية ، كما بدأ استخدام القوات النظامية الامريكية على نطاق واسع صراحة بعد ان كان التدخل يتم تحت ستار « الخبراء » . . وعلى الرغم من ان قوات امريكا في فيتنام تزيد على ٤٠٠ الف ، وانها تستخدم هناك قوات مسلحة من سبع دول من اتباعها في الباسفيك وجنوبي شرق آسيا . . الا ان الولايات المتحدة تصر حتى الان على انها ليست في حالة حرب هناك ، وعلى ان قواتها هناك بدعوة من حكومة سايجون لحماية استقلال فيتنام الجنوبية من عدوان فيتنام الشمالية !!

● **نيجيريا** : فقد اعلنت الحكومة الاتحادية في لاجوس ان الحرب الاهلية الدائرة هناك منذ اكثر من شهرين تتم بتدبير وتمويل من أمريكا وبريطانيا اللتان حركتا العناصر الانفصالية في الاقليم الشرقي لتمزيق وحدة كبرى البلاد الافريقية ، والابقاء على المناطق الغنية بالثروات البترولية والمعدنية في ايدى الاحتكارات الغربية .

وهذه الامثلة تدل على ان الامبريالية الامريكية لا تعدم حجة تتذرع بها لشن حروبها الدموية ضد البلاد الصغيرة حديثة الاستقلال ، كما لا تعدم اصطناع اى ستار زائف أو شعار كاذب يتخفى وراءه عدوانها .

امبريالية عنصرية

والامبريالية الامريكية ، الى جانب سعيها للسيطرة العالمية ، هى امبريالية عنصرية . وقد كشفت ثورة الزنوج الاخيرة ما جهدت الدعاية الامريكية في اخفائه على الرأى العام العالمى اجيالا عديدة ، حيث عرف أبسط الناس في جميع انحاء العالم ان البطالة ، والمهن الشاقة واعمال الخدمة ، والاجور المنخفضة ، والاحياء المكتظة القذرة ، والمعاملة غير الانسانية ، والتمييز المهين ، والحرمان من الحقوق المدنية ، والابعاد عن الحياة السياسية ... هى نصيب الملونين في بلاد تتباهى بانها بلاد الوفر والرفاهية والديمقراطية والامتياز الوحيد الذى يتمتع به الزنوج الامريكيون هو ازدياد نسبة قتلاهم في حرب فيتنام عن نسبتهم العددية في المجتمع الامريكي .

والامتداد الطبيعى لهذه السياسة العنصرية خارج الحدود هو نوع من تقسيم العالم الى جنس ابيض ممتاز يجب ان تكون له السيطرة على بقية الاجناس البشرية الملونة . وفي المخطط العالمى للامبريالية الامريكية يجب ان يحتل كل جنس مكانه في خريطة التبعية للولايات المتحدة . وليس صدفة ان تقف الولايات المتحدة بكل ثقلها ، (مع بريطانيا والمانيا الغربية) الى جانب الاقليات البيضاء لفرض حكم عنصرى على جنوب القارة الافريقية (جمهورية جنوب افريقيا ، روديسيا ، جنوب غرب افريقيا ، المستعمرات البرتغالية ، غينيا وموزمبيق .....) وذلك لصالح اقليات

بيضاء مستوطنة صاحبة امتيازات في الداخل، ولصالح الاحتكارات الامريكية والبريطانية والالمانية .. التي تستولى على الثروات القومية للشعوب الافريقية المغلوبة على امرها .

الخريطة الامبريالية العنصرية للعالم العربي

والخريطة العنصرية للعالم العربي في المخطط الامريكي هي اقرب شيء الى ما يجري في جنوب القارة الافريقية ، حيث اغلبية ملونة من الشعوب العربية ، واقلية بيضاء متميزة في اسرائيل ، وهي كيان مصطنع مغروس في قلب الوطن العربي ، حيث تتركز رؤوس الاموال الاستعمارية ، والخبرة الفنية والعلمية ، والمراكز الصناعية والمصرفية ، تحكمه ارستوقراطية عسكرية صهيونية تخضع شعوب المنطقة بقوة السلاح لصالح الاقلية الصهيونية البيضاء المتوطنة ، ولصالح الاحتكارات الامريكية والبريطانية التي تخوض معركةمستميتة لاحكامقبضتهاعلى مصائر المنطقة العربية . ومن وجهة نظر الامبرياليين ، ليس للشعوب العربية حق في ثرواتها البترولية او في موقعها الممتاز على خريطة العالم المتحكم في الممرات المائية والجوية والبرية بين الشرق والغرب . ونصيب هذه الشعوب من الحياة لا يجب ان يزيد ، من وجهة نظر الامبرياليين العنصريين ، عن نصيب شعوب جنوبي القارة الافريقية ، او حتى عن نصيب الملونين الذين يحملون الجنسية الامريكية في بلادهم .

والصلح مع البلاد العربية الذي تحاول اسرائيل فرضه على البلاد العربية بتاييد من الاستعمار الامريكي معناه ان تفتح ابواب البلاد العربية على مصاريعها للتوسع الصهيوني الامبريالي الذي يتخذ قواعده العسكرية والمالية والصناعية في اسرائيل .

ويخطيء من يظن ان ارتماء اي بلد عربي تحت اقدام الامريكان يضمن ان يتدفق عليه سيل المنح والامتيازات والاستثمارات المادية كما تتدفق على اسرائيل . فهذا مناقض لطبيعة الامبريالية الامريكية ، الاستغلالية العنصرية .

وها هي غانا بعد نكروما ، حيث اعاد انقلاب فبراير ١٩٦٦ البلد الافريقي المناضل الى حظيرة التبعية الامبريالية . فماذا كانت النتيجة ؟ ما هي النتيجة بعد ان ردد الانقلابيون كل التخرصات الامبريالية عن حكم نكروما ، وقبلوا كل الشروط التي فرضتها عليهم الاحتكارات الغربية ، ومن اهمهااعادة ٣٥ شركةمؤممةالىاصحابها الاجانب؟ (ومعلوم ان كل الشركات التي كان نكرومـا قد اممها كان عددها ٣٨ فقط) ...

النتيجة هو تدهور الاقتصاد الغاني ، واغلاق معظم المشروعات الصناعية التي كان قد تأسست اثناء حكم نكروما وتعطل العاملين بها ، وافلاس الخزانة الغانية — الامر الذي دفع الحكومة الى فصل خمسين الف موظف ، في بلد صغير لا يزيد تعداده على اربعة ملايين !!

الامبريالية والثورة الاجتماعية

واندفاع الامبريالية الامريكيةنحو تحقيق حلمها في السيطرةالعالمية ياتي في عصر انهيار الامبريالية عالميا ، في عصر انتصار ثورات الشعوبالمناضلة من اجل التحرر السياسي والاجتماعي . ويعلم الامبرياليون جميعا انه طالما ظل تطور اي بلد في حدود النظام الراسمالي ، طالما يحسم اي بلد طريق تطوره فياتجاه الاشتراكية ،فانهم يضمنون لانفسهم موضعا لقدم يستطيعون عن طريقهاعادة بسط سيطرتهم الاقتصادية والسياسية علىالبلد المعين — ان آجلا او عاجلا . فالامبرياليون الاجانب لا يستطيعون احكام سيطرتهم على مصائر اي بلد وثرواتها الا بالتواطؤ والاشتراك مع طبقات — او بقايا طبقات — استغلالية في الداخل . اما اذا بدا اي بلد ينتهج طريق التطور الاشتراكي ، ويصفي الطبقات المستغلة ، ويقيم نظاما يضمن ملكية الشعب العامل لوسائل الانتاج الاساسية ... فان ذلك هو النذير بان للامبريالية بانها ستفقد اي فرصة للتسلل الى مراكز السيطرة الاقتصاديةاو السياسية علىذلك البلد . انانتهاج ايبلد لطريق التطور الاشتراكي هو النذير بان علاقات الامبريالية الامريكية مع ذلك البلد تسير في طريق اللاعودة . وهذا هو السبب في ان مرحلة اللاعودة (او مرحلة محاولة العنف ، او مرحلة الحرب الساخنة ...) في علاقاتنا مع امريكا بدات منذ اواخر ١٩٦١ ، بعد صدور القرارات الاشتراكية ، وبدء انتهاجنا طريقا غير رأسمالي للتطور ، وبعد صدور ميثاق العمل الوطني في العام التالي ، واعلان فكرة حتمية الحل الاشتراكي ، وبدء تلمسنا الطريق الى تطبيق لافكار الاشتراكية العلمية على واقعنا ...

حاجز الخطر

وفى طريق الانتقال الى الاشتراكية ، تمر العلاقات مع الامبريالية العالمية عامة ، ومع امريكا بشكل خاص ، بفترة من الخطر الحاد ، وهى فترة التوتر والتخلخل الاجتماعى الذى يسبق ويصحب عملية الحسم فى الاختيار بين الاشتراكية والراسمالية ، وحيث لا يكون قد تم بعد إطلاق كل الطاقات الكامنة لقوى الشعب العامل على اسس اشتراكية سليمة ومتكاملة لحماية طريق التطور داخليا ، او يكون قد تم التكامل مع قوى الاشتراكية عالميا لدفع خطر العدوان الامبريالى من الخارج .

ان هذه الفترة اقرب الى اللحظات الحرجة التى تمر بها الطائرات النفاثة وهى تخترق حاجز الصوت .

لذلك فان استمرار الاوضاع الانتقالية لفترة طويلة (اى اطالة فترة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية) ، يمكن ان يزيد فترة الخطر من جانب الامبريالية على استقلالنا السياسى وكل منجزاتنا الاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم ، فان موضوع دفع خطر الامبريالية على الوطن والثورة يتطرق الى كافة مشكلات انجاز التحول الاشتراكى فى بلادنا ، وفى مقدمتها تعبئة قوى الشعب العامل — وفى مقدمتها الفلاحون والعمال — وتمكينها من مراكز القيادة فى التنظيم السياسى والدولة كالضمان الاصيل لحماية طريق التحول الاشتراكى فى الداخل ، مع التكامل مع قوى الاشتراكية والتحرر عالميا لضمان صد العدوان الامبريالى العنصرى من الخارج .

ولعل العدوان الامبريالى الصهيونى الاخير هو التجسيد الدامى والدليل القاطع على ان بلادنا تمر بالفعل بلحظات « اجتياز حاجز الخطر » مع الامبريالية عامة ومع امريكا خاصة . وحتى نتمكن من اجتياز هذا الحاجز الى بر الاشتراكية الامين ، فان الحاجة تعد ماسة لاتخاذ احتياطات طوارىء غير عادية من جانبنا للصمود امام عدوانية الامبريالية التى تزداد ضراوتها فى هذه الظروف . والحق ان امريكا وحليفاتها حلت نصف المشكلة من جانبها بعد ان كشفت ، بما لا يدع مجالا للشك ، عن كل ما تضمره لبلادنا وقوميتنا وثورتنا من نوايا تصل الى حد الرغبة فى التدمير ، بعد ان حبست عنا اسهامها فى مشروع السد العالى ومشروعات التصنيع ، وبعد ان قطعت آخر ما بيننا وبينها من علاقات اقتصادية بامتناعها عن بيع القمح لنا بآية تسهيلات ائتمانية ، وبعد ان مولت عدة انقلابات فاشلة كانت تريد تحويل البلاد الى مذابح وخرائب ، وترد بلادنا عشرات السنين الى الوراء ، وبعد ان توجت كل جرائمها ضدنا بذلك العدوان الامريكى البريطانى الصهيونى الغادر الذى لم يكن الهدف منه — وما يزال — هو القضاء على كل منجزات الشعب العربى لاجيال عديدة .

العداء المطلق (؟)

ان الحديث عن الخوف من الذهاب فى علاقاتنا مع امريكا الى ما يسمى بحد « العداء المطلق » اصبح غير ذى موضوع ، فالعلاقات بين مصر وامريكا — بعد عدوان ٥ يونيو ، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى ٨ يونيو — دخلت بالفعل فى حالة « العداء المطلق » . ونحن من جانبنا ، لم نأخذ المبادرة فى هذا الاتجاه ، كما لا نملك ان نسير فيه الى نهايته (بمعنى أننا لا نملك — حتى لو اردنا — أن نسير الى حد تدمير امريكا مثلا) وهل كان يمكن تصور ان تسير الامور الى غير هذه النتيجة بعدان اتخذت امريكا المبادرة فى هذا الاتجاه من جانبها بالفعل ، ووصلت فيه الى نهايته ، اى الى حد الرغبة فى القتل ، بل والشروع فيه ؟

ان حقيقة ما حدث هو أننا اتخذنا ، او حاولنا ان نتخذ — وفى حدود ما تسمح به امكانياتنا ، الاجراءات الوقائية التى ترد عنا النتائج المدمرة لهذا « العداء المطلق » من جانب دولة اعمتها « حماقة القوة » ، والشهوة الجامحة للسيطرة والتسلط .

واذا كانت أمريكا — ومن ورائها توابعها — اعلنت علينا الحرب السياسية والدبلوماسية فى المجتمع الدولى ، والحرب الاقتصادية بالحصار والتشهير ومحاولة التجويع ، والحرب الخفية باجهزة المخابرات ، والحرب النفسية من فوق كل منابر الاعلان والدعاية العالمية ، والحرب الفعلية الساخنة بقوة السلاح فى ذلك العدوان الغادر الذى ما يزال يحتل — بجنود صهيونيين — اجزاء من اراضينا حتى اليوم ... فان ابجديات الواجب الوطنى ، بل ان الكرامة الوطنية الفطرية ذاتها كانت تستلزم ان نواجه هذه الحرب العدوانية الظالمة الشاملة

من جانب الامبرياليين والغزاة بحرب دفاعية تحريرية عادلة وشاملة ايضا فى جميع هذه المجالات .

هل من طريق آخر ؟

شىء واحد يمكن ان يغير طابع العداء المطلق فى العلاقات بيننا وبين امريكا فى هذه الظروف ، لانه اذا كان العدوان نفسه هو الذى دفع العلاقات الى حد العداء المطلق ، فان تغيير موقف امريكا من موضوع ازالة آثار العدوان (وبالتحديد من موضوع انسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها التى كانت عليها قبل ٥ يونيو) هو وحده الكفيل بالرجوع عن حالة العداء المطلق الذى انتهت اليها العلاقات بيننا وبينها .

وقد يبدو هذا شرطا مستحيلا . فهل يمكن ان تغير امريكا موقفها ، وهى التى شجعت على العدوان واشتركت فى تدبيره وتنفيذه ؟

الاجابة على هذا السؤال تبدأ بتدبر النتائج التى اسفرت عنها الجولة الاولى من حروب الشرق الاوسط .

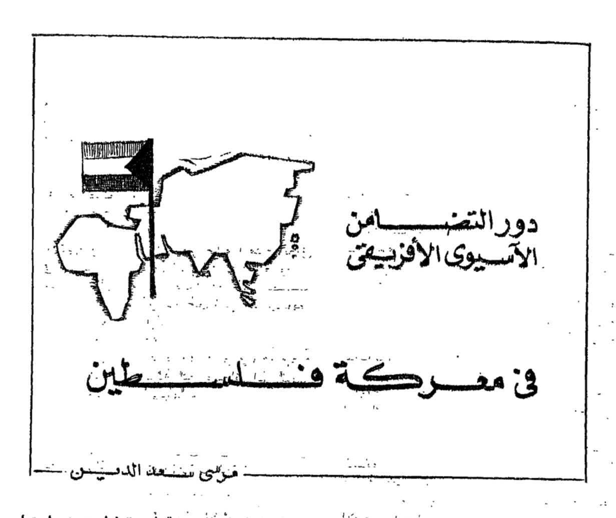
ان هذه الجولة ، وان كانت قد انتهت بنكسة للبلاد العربية المجاورة لاسرائيل واحتلال اجزاء من اراضيها ، الا انها لم تؤد الى تحقيق اهداف العدوان الاصيلة ، وهى اسقاط نظم الحكم الوطنية الثورية فى كل من مصر وسوريا . غير ان الغرب الامبريالى خسر كثيرا من نفوذه السياسى ومواقعه الاقتصادية فى العالم العربى ، واندلع شعور شعبى طاغ بالعداء والحقد ضد الولايات المتحدة لم يسبق له مثيل ، وهو شعور يمكن ان ينفجر — ان آجلا او عاجلا — عن ثورة شاملة على الامبريالية وكل بقاياها واعوانها ومصالحها فى المنطقة . كذلك ، فان المصالح الاقتصادية لكثير من الدول البحرية فى غرب اوروبا — وبخاصة بريطانيا — اضيرت ضررا كبيرا نتيجة لاغلاق قناة السويس ، وبدأت كثير من الاوساط ذات النفوذ تضغط على حكوماتها وعلى الولايات المتحدة ذاتها لايجاد مخرج سريع لمأزق الشرق الاوسط . يضاف الى ذلك ان جانبا كبيرا من الراى العام الذى ضللته الدعاية الصهيونية الاستعمارية فى الغرب بدأ يفيق على ضوء ما كشفت عنه حقائق العدوان . لم تعد اسرائيل — فى نظر الكثيرين — هى تلك الدولة الصغيرة المسكينة التى تريد ان تعيش فى سلام مع جيران عدوانيين ، وانما تتكشف ، يوما بعد يوم امام الراى العام العالمى ، طبيعة اسرائيل كقاعدة عدوانية للاستعمار العالمى تشن حروبا توسعية عنصرية ، تستخدم فيها الاسلحة الوحشية المحرمة دوليا والاساليب الاجرامية للقتل والتعذيب والتشريد الجماعى ، مجددة بذلك ذكرى النازية والفاشية .

واخيرا ، هناك الموقف المشرف الذى يتخذه الجنرال ديجول وحكومته ، والذى يتلخص فى الا يستفيد المعتدى من ثمار العدوان ، ويؤيد مطلب انسحاب القوات المعتدية الى مواقعها السابقة على ٥ يونيو دون شروط . ولاشك ان هذا الموقف سيظل مركزا جذب له وزنه ، فى الغرب ، لكل القوى الرشيدة والقوى التى اضيرت مصالحها الاقتصادية والتى تبحث عن مخرج سريع من مأزق الشرق الاوسط .

وغنى عن الذكر ، ان من اهم عوامل تغيير موقف العدو الاستعمارى هو موقف اصدقائنا الطبيعيين فى الميدان الدولى ، وبخاصة فى البلاد الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى وذلك باستمرار التأييد السياسى والادبى ، واستمرار الدعم الاقتصادى والعسكرى (بالسلاح والخبرة الفنية) .

غير ان العامل الاساسى الذى له الاثر الفاصل لتشجيع الاصدقاء وردع الاعداء ، هو المضى فى تعبئة قوى الامة من اجل مواصلة المعركة العسكرية لرد قوات العدو اذا اقدم على تصعيد عمليات العدوان انتقاما لتزايد المقاومة فى المناطق المحتلة ، او اذا استمر يحاول فرض الامر الواقع بقوة السلاح .





دور التضامن الآسيوى الأفريقى في معركة فلسطين

فوزى شعث الدين

اجمعت الاراء على ضرورة خلق نظرة عربية جديدة للاحداث ولما هو حولنا سواء في النطاق العربي او النطاق العالمي بجميع معسكراته وتكتلاته ، وقد كانت النكسة فرصة أمام العرب لاعادة النظر في مواقف عديدة وفي علاقات مختلفة، وقد كتب الكثير حول هذا ، ودارت مناقشات متعددة . ولكن في جميع المقالات والمناقشات التى دارت لم يأت ذكر التضامن الافريقى الاسيوى الا في مقال او اثنين ، وحينئذ كان ذكرا عابرا لم يتعد ذكر الاسم ، ووضعا للامور في اطارها الطبيعى ، وجدت ان للتضامن الافريقى الاسيوى على حق كمواطن عربى من ناحية وكاحد العاملين فيه من ناحية اخرى ، وجدت انه من الضرورى ان نقيم الدور الذى لعبته هذه الحركة الشعبية منذ انشائها في ديسمبر عام ١٩٥٧ حتى الآن ، وتطور هذا الدور ، ثم مايجب ان يكون عليه الان.

ان حركة تضامن شعوب آسيا وافريقيا هى في الواقع من ثمارات مؤتمر **باندونج** ، أو رد فعل لهذا المؤتمر التاريخى الذى يعد بحق نقطة تحول في تاريخ آسيا وافريقيا ، بل وفي تاريخ العالم الحديث ، لقد كان ذلك المؤتمر تعبيرا رسميا للارادة المستقلة للدول الاسيوية الافريقية ، كان تأكيدا للدول المشتركة في حقها لرسم سياستها الخارجية المستقلة النابعة من صميمها والتى لاتخضع لاملاءات العواصم العالمية الكبرى ،لاول مرة في تاريخها استطاعت تلك الدول ان تأخذ طريقها السياسى ناظرة الى مصالحها الخاصة ومصالحها كمجموعة ومن ثم كان عدم ارتباط غالبيتها بالحرب الباردة التى مر بها العالم .

ومن باندونج ولدت حركة الشعوب الافريقية الاسيوية ، ولدت في اعقاب الاعتداء الثلاثى على مصر ، وتمركزت في القاهرة محركة قوى التضامن في القارتين ، والان بعد اعتداء اجرامى مشابه لاعتداء ١٩٥٦ ، نتوقف لحظة لنقيم هذه الحركة ، حين ظهرت الحركة عام ١٩٥٧ اقام الاستعمار وقعد واطلق حولها اشاعات عديدة ليس باقلها انها مخلوق شيوعى يرمى الى اعطاء الاتحاد السوفيتى الفرصة التى لم تواته في باندونج ، اى الاشتراك باعتباره دولة آسيوية، ولكن الواقع ، الذى اثبتته الاحداث منذ ١٩٥٧ هو ان حركة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية هى بالضبط ما يقوله عنوانها، تضامن بين شعوب القارتين اللتين يجمعهما تاريخ مشترك من الخضوع للاستعمار والنضال ضده ، وامل مشترك هو التخلص النهائى من هذا النظام اللا انسانى الذى

قاست منه شعوب القارتين ، لقد كان المؤتمر فرصة للشعوب الافريقية الاسيوية التى استقلت وتلك التى كانت لاتزال تخضع للاستعمار فى التقابل وتبادل الراى ووضع سياسة مشتركة على اساس مبادىء باندونج الشهيرة ، ولذلك فيمكن الى حد ما اعتبار حركة التضامن محاولة لتعبئة الراى العام فى القارتين لتبنى مبادىء باندونج والدفاع عنها والنضال من اجلها .

هذا هو الاساس الاول الذى ننطلق منه ، تعبئة الراى العام الافريقى الاسيوى للوقوف بجوار قضايا التحرر ومبادىء باندونج ، فهل نجحت الحركة فى هذا ؟ لا شك فى انها نجحت ، وبطريقة حاسمة ، ويمكن ان نأخذ عينات من القضايا التى تبنتها الحركة ومن اولها قضية الجزائر ، ان الدارس لما قام به التضامن الافريقى الاسيوى **للجزائر** سيجد ادلة كافيةعلى اهمية هذا الدور وفعاليته ، ولم يقتصر هذا الدور على التأييد السياسى والمعنوى بل تعداه الى المساعدات الاقتصادية بل والعسكرية ، لقد استطاعت الحركة ان تعبىء الراى العام لا فى القارتين وحدهما بل وفى العالم كله،هذا بالاضافة الى لجان مساعدة الجزائر التى كونت فى بلاد آسيا وافريقيا وفى الدول الاشتراكية وفى بعض الدول الاوروبية . ان سجل التضامن الخاص بقضية الجزائر يثير الفخر فى نفوس اعضاء الحركة ويبعث الثقة فى قدرة الشعوب ، اذا اتحدت على تحقيق اغراضها .

وهناك بالمثل قضية **فيتنام** ، لقد كان التضامن الافريقى الاسيوى هو المنبر الاول الذى اثيرت فيه هذه القضية ولن اكون مبالغا اذا قلت ان هذه الحركة هى العامل الاول فى اظهار القضية وفى وضعها فى الاطار الافريقى الاسيوى اولا ثم فى الاطار العالمى ، والا لاستمرت قضية محلية محدودة كقضية كوريا مثلا قبل ظهور التضامن الافريقى الاسيوى وكغيرها من القضايا ، لقد كان مؤتمر **ستوكهولم** الاخير الخاص بفيتنام والذى اشتركت فيه اكثر من مائة دولة وهيئة ومنظمة هو ذروة النشاط الافريقى الاسيوى لقضية فيتنام ، ولا اريد هنا ان ابخس الهيئات العالمية الاخرى مجهودها فى هذا النطاق ، وانما اود فقط ان أؤكد دور التضامن فى هذه القضية، ولا اعتقد انى فى حاجة الى ذكر تفصيلات للمساعدات المختلفة والمؤتمرات الطارئة وحملات التوعية التى نظمتها حركة التضامن الافريقى الاسيوى فى هذا النطاق .

ثم هناك مدلولات متعددة نشرتها الحركة، ومدلولات اخرى قضت عليها قضاء تاما،لقد تبنت الحركة مهاجمة الاحلاف والقواعد العسكرية اينما توجد وشرحت خطأ المفهوم الذى نشره الاستعمار حولها ، لقد اكدت للشعوب الاسيوية والافريقية كيف ان هذه التحالفات وتلك القواعد انما هى جرح خطير للاستقلال ، ودفعت ، واقول هنا دفعت ، عددا من الحكومات على ان تعيد النظر فى اتفاقياتها العسكرية مع الدول التى كانت تستعمرها واستطاعت ان تخلق مفهوما جديدا للامن القومى ، ان مفهوم الامن القومى الذى نشره الاستعمار هو الانتماء الى معسكر قوى عسكريا ، او الانعزال عن الاحداث ، ولكن المفهوم الجديد الذى خلقته حركة التضامن هو رفض كلا الاتجاهين واحتضان سياسة عدم الانحياز . وهذه السياسة لاتعنى العزلة او الانعزال ، بل تعنى اتخاذ مواقف معينة تمليها الرغبة الحقيقية للسلم ، ان شعوب آسيا وافريقيا تريد الامان والمحافظة على استقلالها والسلام والكرامة والثراء، ولكنها تريد تحقيق هذا عن طريق سياسة مستقلة وعن طريق ضمان السلام العالمى فى نطاق دولى، ومن ثم كانت اهمية المنظمات الدولية لحركة التضامن ، وقد يقول قائل ان الدول الاوروبية هى الاخرى تنادى بالسلام ، ولكن هذه الدول تنادى به فى نطاق ما تسميه : الامن الجماعى ، والامن الجماعى يعنى رفض القوة كوسيلة للتغيير الاجتماعى والدولى بغض النظر عن اهمية المشكلة المعروضة ، ولكن شعوب آسيا وافريقيا تعتقد ، على اساس، ان هذا الموقف يعنى تجميد الاوضاع الحالية بحيث تستمر المستعمرات مستعمرات والحكومات العميلة كما هى ، وهى ترى ان هناك قضايا معينة مرتبطة بالاستعمار يجب فيها استعمال القوة كحل اخير ، وعلى الرغم من ان شعوب آسيا وافريقيا تفضل عدم العنف وتحب السلام الا ان موقفها حيال الحكم الفاشى فى جنوب افريقيا وفى روديسيا وفى المستعمرات البرتغالية يحتم اللجوء الى القوة اذا لزم الامر، ولذلك فان حركة التضامن كانت من اول من ايدت استيلاء الهند على جوا من البرتغاليين .

والان نصل الى قضية فلسطين ، كانت تلك القضية من القضايا التى شغلت حركة التضامن الافريقى الاسيوى منذ بدايتها ، بل ان الحركة نفسها قامت جزئيا كرد فعل للاعتداء الثلاثى على مصر ، ولكن لا شك فى ان هذه القضية مرت بأطوار مختلفة فى نطاق التضامن، ففى عام ١٩٥٧ حين عقد مؤتمر القاهرة للتضامن الافريقى الاسيوى كانت غالبية الشعوب الافريقية لاتزال ترزح تحت نير الاستعمار ، وكانت القضية الاساسية بالنسبة الى مندوبى تلك الشعوب هى قضية بلدهم . ولذلك اخذت قضية فلسطين موقفها الطبيعى وجاء القرار الخاص بها قويا يعكس وجهة النظر العربية تماما ، ولكن تدريجيا بدات الشعوب

الافريقية تستغل وبدا التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا يأخذ شكلا جادا واستطاعت اسرائيل ان تخلق لها وجودا ملموسا فى دول القاره المختلفة وبدأت الصعوبات تواجه الحركة ، ولعل اساس تلك الصعوبات كان ، بصراحة ، عدم فهم العقلية الافريقيه فهما كاملا ومحاولة العرب شرح القضية من وجهة نظرهم فقط ، لقد اتخذت المؤتمرات المختلفة قرارات قوية فعلا ولكن المهمة لم تكن سهلة وكان من الواضح ان هناك دائما موقفين افريقيين حيال فلسطين ، موقف شعبى يؤيد القضية فى مؤتمرات التضامن وموقف حكومى يفتح البــاب على مصراعيه لوجهة النظر الاسرائيليه ولكن شيئا هاما امكن تحقيقه وهو انه على الرغم من المحاولات المستمره من جانب اسرائيل للدخول الى حركة التضامن الافريقى الاسيوى باعتبارها فى آسيا ، وعلى الرغم من الضغوط التى قامت بها بعض الوفود الافريقية والاسيويه فانها فشلت حتى الان فى هذا ، ومنذ مؤتمر موشى الذى عقد فى فبراير ١٩٦٣ بدا شرح القضية يأخذ مجرى آخر وبدا التقارب بين الموقفين الشعبى والحكومى ففى ذلك المؤتمر الذى عقــد فى تنجانيقا (قبــل وحدتها مع زنزبار) قامت اسرائيل باقصى مايمكنها من ضغط الى درجة انها ارسلت وزيرة خارجيتها جولداماير الى تنجانيقا عارضة مساعدات عديدة، وبدات المعــركة تاخذ طابعا خطـــيرا . وكان الخوف الا تستطيع حركة التضامن ان تخرج من هذا المؤتمر بقرار حول فلســطين ، ولكن ركــز العرب فى حديثهم وفى اتصـــالاتهم على دحض ادعـــاءات اسرائيـــل للافـــريقيين من انها دولة اشتراكية ومن ان العرب يريدون القضاء عليها ومن ان لها الحق فى البقاء ، ومن انها تريد السلام مع العرب الى آخــر ذلك من اسس الــدعاية الاسرائيلية . لقد ربط العرب لاول مره بين وجود اسرائيل ووجود المستوطنين فى افريقيا ، وبينها وبين الاستعمار وذكروا مواقفها فى الامم المتحده تجاه قضايا التحرير وخاصه فى افريقيا وفيتنام . لقد استطاعوا ان يضعوا قضـــيــة فلســـطين فى الاطار الافريقى ثم فى الاطار الافريقى الاسيوى ، وجاء قرار موشى من اقوى القرارات التى اتخذها اى مؤتمر للتضامن الافريقى الاسيوى ، فبعدان تبنى واكد جميع القرارات السابقه قال :

ــ يعلن المؤتمر ان مايســـمى باسرائيـــل هو قطعه من الاستعمار الصهيونى اقامها مع حلفائه الاستعمار الغربى فى قلب الوطن العربى فلسطين حماية لمصـــالحه وتحقيقا لاغراضـــه البترولية والاستراتيجية ، ولتحول دون تقدم الامة العربية نحو الوحدة والتحرر والبناء الاشتراكى ، وعلى هذا الاساس يدين المؤتمر قيام اسرائيل فى الجزء المحتل من فلسطين العربية ويساند المؤتمر حركة تحرير فلسطين .

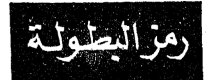
ــ يناشد المؤتمر جميع اللجـــان والمنظمـــات والاحزاب الوطنية فى افريقيا وآسيا ان تضاعف جهودها فى كافة انحاء بلادها لمـــكافحة تسرب الصهيونية فى افريقيا وآســـيا منعا لبسط نفوذ الاستعمار الجديد على البلاد الافريقية والاسيوية .

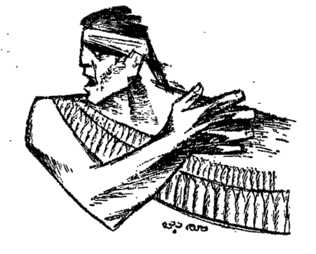
ــ يشـــجب المؤتمر المؤامرة الاســـتعمارية الصـــهيونية الجـــديدة والتى دبرتها السـياسة الاستعمارية الامريكية والمسماة بمشروع الصلح بين الدول العربية واسرائيل التى تستهدف تصفية قضية فلسطين وابعاد الشعب الفلسطينى عن تقرير مصيره والحيلولة دون استرداده لبلاده .

ــ يناشد المؤتمر الشعوب الافريقية والاسيوية والاحزاب الوطنيه ان تضغط على حكوماتها لالغاء ومنع الاتفاقات الثنائية المعقوده والتى تعقد مع اسرائيل الاداة الخطيره للاستعمار الجديد .

ــ يقرر المؤتمر العمل على وقف العلاقات القائمة بين بعض مناضلى افريقيا من ناحية وبين حكومة واحزاب الصهيونية لمخالفة ذلك لروح التضامن الفعلى بين آسيا وافريقيا .

وهكذا نجد قرارا شاملا ، يحتوى على اسس جديده وموقف جديد ونظره جديده، وهذه الاسس وهذا الموقف وهذه النظره هى التى يجب ان تقود الحركه الان فى دورها تجاه قضيه فلسطين ، بل يجب ان تقود العرب ايضـــا فى هذه المرحلـــة السياسية من النضال، لقد قلت ان حركة التضامن يمكن ان تكون جهازا لتعبئة الراى العام فى آسيا وافريقيا ، وبالاشتراك مع حركة القارات الثلاث، فى امريكا اللاتينيه ، بل وفى العالم ، ان الراى العام هو الشعب بعض النظر عما تنشره اجهزة الاعلام المأجوره ، وقد رأينا كيف تغيرت مواقف شعوب باكملها ، بما فى ذلك عناصر فى امريكا ، حيـــال قضيه فيتنام ، وهى لم تفعـــل هذا بسبب تبنى الصحافة او وسائل الاعلام للقضية، وانما بسبب تعبئة الاجهزة والمنظمات والهيئات الشعبية ، ان مؤتمر موشى ناشد الشعوب والاحزاب والمناضلين، وهذه هى اجهزة التعبئة التى يجب ان نستفيد منها وهذا هو الدور الجديد للتضامن ، ولكى ينجح فى هذا الدور يجب ان يتعاون تعاونا تاما مـــع الاجهزة العربية ، يجب ان نبدأ فى الحال عمليات متعددة ، عن طريق حركة التضـــامن الافــريقى الاسيوى ، لتعبئة الشعوب للوقوف بجانب الحق، ولعلنا فعلا قد خسرنا معركة الدعاية ولكن امامنا الفرصة لنكسب معركة الشعوب .





.. فى قصــص المقــاومــة

غــالى شــكرى

قصة البطولة وقصة المقــاومة ليستــا مترادفين . على انه اذا اقترنت قصة البطولة بقصة المقاومة،فاننا نحصل حينذاك على قصة من أروع القصص طالما كان كاتبها قد أوتى من الموهبة الفنية والقدرة ما يرتفع بها الى مستوى العمل الانسانى الناضج . فلعل الرواية أو القصة القصيرة على السواء تمتلك ناصية الاطار المتسع أو القالب المستريح ، الذى يتيح للكاتب فرصة المعالجة المستأنية، ويباعد بينه وبين الاندفاع كما هو الحال فى الشعر مثلا . أى أنه فى امكان القصة أن تتجاوز ضرورات اللحظة العابرة والانفعال الطارىء ، وأن تتجه مباشرة الى صميم القضية وقلب المشكلة . وهى من هذه الزاوية أيضا تختلف عن فن آخر كالمسرح تدور أحــداثه حول ((تجسيم)) الازمة فيظل النسيج الدرامى ــ بطبيعته ــ أسيرا لهذا المعنى من معانى البطولة مهما تعددت الزوايا الفكرية والفنية التى يرى منها الكاتب المسرحى هذه ((الازمة)) . أما فى القصة ، فالوضع يختلف لانها تستخدم فنيا مختلف أدوات التعبير والصياغة من السرد النثرى الصرف الى المونولوج ومقطوعاته القريبــة من الشــعر الى الديالوج فى حــوارياته التى تلج أبواب الصراع الدرامى .. وهكذا ، فالقصة وقد اكتملت لها هذه المميزات جميعها ، فانها تتمتع بحرية الحــركة فى الاداء ، الى الدرجة التى تقترب من هذه الحركة فى الطبيعة . ان القصة بين فنون الادب هى المرادف ((البسيط)) للسينما أو الــكاميرا السينمائية بين الفنون الصناعية المركبة . لا يعنى هذا ان القصة مرآة الطبيعة كما قيل فى القرن الماضى ، وانما هى تملك احدى الخصــائص الهامة فى الطبيعة وهى ((حرية الحركة)) التى يبلغ مداها وفق المذاهب الفنية المختلفة ، أن تحاول ((محاكاة)) الواقع أحيانا، وأن ((تخلق)) واقعا جديدا احيانا اخرى .

اقول ان هذه السمة البارزة فى الادب القصصى، من اهم العوامل التى اسهمت فى صياغة ((**بطولة المقاومة**)) على نحو غاية فى التركيب ، بحيث غدت هذه البطولة فى قصص المقــاومة ((**رمزا**)) ، لا ((**صورة**)) شعرية ، او ((**ازمة**)) مسرحية . فحين تتعدد الابعاد الشاملة لمعنى البطولة لا يبقى امام الكاتب الا ان ((**يرمز**)) الى هذا المعنى بدلا من الاقتصار على بعد دون آخر وبدلا من الاغراق فى واقعية تقترب من حافة الابتذال . ان تعدد الابعاد فى القصة الواحدة ، لا ينفى ((**التركيز**)) على احدها ، ولا ينفى كذلك ان هناك قصة ترتفع الى مستوى ((**النبوءة**)) ، فهى تومىء بروح الاحداث دون ان تغمس اشاراتها فى مادة الواقع ، وهناك القصة التى تسهم مباشرة فى اعمــال المقاومة من موقع ((**لحظة الحضور**)) ، وهنــاك القصة التى تؤرخ لمقاومة مضت ولكنها تشحذ القلب والعقل فى كل زمان ومكان .

وليس من الغريب ان نجد كاتبا من فرنسا ــ

على سبيل المثال — كمالرو يصوغ روايته «**الوضع الانسانى** » من نسيج المقاومة البطولية للشعب الصينى فى بدايات الربع الثانى من هذا القرن ،كما نجد فى نفس الوقت كاتبا من الولايات المتحدة الامريكية مثل شتاينبك يستمد « **افول القمر** » من نضال الشعب النرويجى ضد النازى ابان الحرب العالمية الثانية . اى انه على الرغم من المضمون « **القومى** » لأية قصة من ادب المقاومة ، فانه من الممكن للبعد الانسانى ان يجذب كاتبا الى بطولة بعينها قد لايكون منتميا الى قوميتها . وليس صحيحا ما يقال من ان الكاتب الغربى قد راى فى الحرب « **العالمية** » الاخيرة مضمونا « **عالميا** » صالحا للتشكيل باية الوان قومية ، فالنازية والفاشية عدو واحد مشترك لكل شعوب العالم ، وبالتالى فان كاتبا روسيا — مثل اهرنبورج — يستطيع ان يكتب « **سقوط باريس** » لمجرد أن البلاء القادم سوف ينزل بفرنسا وروسيا معا .. ليس هذا صحيحا لان العنصر الانسانى الجاذب لاهتمام كاتب ما بمقاومة شعب لا ينتمى اليه ، اكبر واعمق من العنصر السياسى المشترك « **الحرب العالمية ضد النازى** » .. ان العنصر الانسانى الاشمل هو العنصر الذى نراه فى قصة مالرو عن الصين ، وفى قصة مانين عن فلسطين . ولم تكن مقاومة الصين او مقاومة فلسطين جزءا من المقاومة العالمية ضد الفاشية .

ولنبدأ بقصة جون شتاينبك التى كتبها اثناء الحرب ، فهى من هذه الزاوية لا تؤرخ للمقاومة ولا تمهد لها، وانما هى قد واكبت احدى مراحل الكفاح الدامى للشعب النرويجى فى بداية الغزو النازى للنرويج .. وهى القصة التى أثارت الفاشست ضد شتاينبك للدرجة التى معها حكموا عليه بالاعدام ، وظل هذا الحكم معلقا فوق عنقه الى ان اندحرت الهتلرية والموسيلينية الى غير رجعة .. وبقيت هذه الرواية الرائدة لتلعب دورا جديدا فى حياة شتاينبك نفسه فقد مضت الايام وأصبحت القصة حكما معلقا فوق عنقه ، ولكن ليس بسبب وقفته السابقة الى جانب الحق والعدالة ، وانما كدليل ادانة لكاتب تخلى عن قضية الشعوب وتحول الى معسكر أعداء الشعوب يدبج المقالات ضد شعب فيتنام و « مقاومته » و « بطولاته » .
أى أن شتاينبك الحالى يقف على الطرف النقيض من شتاينبك « أفول القمر » ، على أن روايته هذه تظل بالرغم من تحوله الى موقع العدو تؤدى دورها الخلاق فى صفوف المقاومة البطولية التى تخوضها الشعوب فى عصرنا ضد كافة أشكال النازية الجديدة ولعل هذا ما يؤكد الاستقلال النسبى للعمل الفنى فى أداء دوره الخاص بمعزل عن أهواء صاحبه بمجرد خروجه من حوزته .

تبدأ أفول القمر بهذه العبارة الحاسمة كنصل السكين « **كان كل شىء قد قضى عند الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين .. لقد احتلت البلدة ، وهزم المدافعون عنها ، وانتهت الحرب** » .. وهكذا يبدأ الكاتب قصته من لحظة دامية حزينة ، بل هى اعمق اللحظات جميعا ، لحظة الهزيمة . وقد اختار شتاينبك منذ البداية شعبا مسالما هادئا مستقرا لم يعرف الحرب منذ قرون هو الشعب النرويجى . ويبدو لنا هذا الاختيار موفقا الى ابعد الحدود لانه يؤكد لنا فى النهاية حقيقة هامة من أخطر الحقائق البشرية ، وهى أن « **الغزو** » لا يقابل بالاستسلام من اكثر الشعوب هياما بالسلام وابتعادا عن روح الحرب وقد اختار شتاينبك لاحداث روايته بلدة صغيرة يعسكر الجيش الغازى فى وسطها بلا جبال ولا غابات ولا ادغال . ويبدو لنا هذا الاختيار أيضا موفقا الى ابعد الحدود ، لان « **الطبيعة** » لم تشارك البشر فى مقاومتهم للعدو ، بل استطاع البشر وحدهم ان يحيلوا حياة الغزاة بينهم الى جحيم لا يطاق .
واختار شتاينبك بعد ذلك شخصياته من الناس البسطاء الذين يمكن ان نلتقى بهم فى هذه البلدة ومثيلاتها : رئيس البلدية ، الطبيب ، خادم رئيس البلدية وزوجته ، عامل منجم وزوجته واشباههم من ابناء الشعب المهزوم . وفى الجانب الاخر نجد : قائد الحامية التى استولت على البلدة ومجموعة من مساعديه العسكريين الذين تتفاوت رتبهم العسكرية وجاسوس مدنى واحد مهد لهم السبيل للغزو .

ولا يعمد شتاينبك الى حدث روائى ضخم تدور من حوله بقية « **التفاصيل** » لانه يعمد اولا واخيرا الى هذه « **التفاصيل** » بعينها ليجعل منها الحدث الاكبر الذى يشغل بال الغزاة والمغزوين على السواء . وشتاينبك لا يؤسس بناءه الروائى على قطعة نادرة من الصخر الاثرى ، لانه يبحث اولا واخيرا عن المعدن العادى والمألوف فى حياة البشر ، قوتهم وضعفهم جنبا الى جنب .. حتى ينتهى الى ان « **الطبيعة البشرية** » فى ذاتها ترفض الضيم ، ولا يجب ان يقال ان هناك « **طبيعة عبقرية** » هى وحدها القادرة على مقاومة الاعداء ، تتمثل فيما نسميهم « **أبطالا** » ينسج الخيال حولهم الاساطير . لقد حدد الكولونيل لانسر قائد الحملة موعدا للقاء رئيس البلدية أوردين ، ويستقبل شتاينبك هذا اللقاء بمزيج من « **الانسانية** » التى تتبدى فى قول الدكتور وينتر «**نحن رائعون جدا . ان بلادنا تسقط فى يد الغزاة ، وبلدتنا قد احتلت ، ورئيس البلدية على وشك ان يقابل الفاتح ، ومع ذلك فالسيدة — زوجته — تاخذ بخناق الرئيس المتملص من بين يديها وتنزع الشعر من أذنيه**» بينما يضيف فى نفس الصفحة قليلا من « **الرمز** » حين يدخل الغرفة أحد الجنود تمهيدا لدخول القائد « **لقد بدا وكأن شيئا من الضوء الدافىء قد فارق الغرفة ، وحلت محله**

ظلمة ظفيفة)) . وقدم القائد الى الرئيس أوردين كافة ((الاحترامات)) والمبررات التجارية والهندسية التى دعت الى هذه ((**الزيارة**)) بصورة يعتذر عما حدث فى بدايتها من ((**مظاهر**)) مؤلمة اذ قتل من جنود البلدة ستة وجرح ثلاثة وهرب الاخرون . الى أن أضاف ((**وهذه المسألة كلها مهمة هندسية اكثر منها غزوا عسكريا**))ولهذا السبب يرى القائد الالمانى الابقاء على ((**السلطة المحلية**)) كما هى لان الشعب يثق فيها،وبالتعاون المتبادل يمكن أن تسير الامور سيرا حسنا . ومن هنا يجيء الاقتراح بأن ينزل القائد واركان حربه فى قصر رئيس البلدية امعانا فى كسب ثقة الشعب . وتذهب اعتراضات الرئيس اوردن ادراج الرياح ((**.. ولكن شعبى قد انتخبنى . لقد رفعونى الى هذه المرتبة وفى استطاعتهم ان ينزلونى**)) ، ((**ان شعبى لا يحب ان يفكر الاخرون له**))((**البلدة هىصاحبةالسلطة**)). ويصاب أهل البلدة بوقع المفاجأة فيما يشبه الذهول، ولكن القائد المحنك لا يستسلم لهذا الوجه السلبى الذى يستهين به بعض مساعديه ، فهو يرى ان الهزيمة شيء مؤقت ، لا تدوم ، والاستماع الى ما يتهامس به الاهل خلف الابواب اكثر جدوى. انه يذكر الحرب الاولى وكيف انه شاهد فى بروكسل امرأة عجوزا أعدم ابنها فى حركة المقاومة ((**حتى اذا قتلناها آخر الامر رميا بالرصاص كانت قد قتلت اثنى عشر رجلا بدبوس قبعة طويل أسود**)). ولم تتوقف بعد اعدامها حوادث القتل ((**وحين انسحبنا آخر الامر أهلك الشعب التائهين،وأحرق بعضهم ، وفقأ أعين بعضهم ، بل أن نفرا آخرين صلبوا صلبا**)) . ولم يكد يتم ذكرياته حتى قاطعه نبأ هزه من الاعماق،فقد قتل الكابتن بانتيك،قتله أحد عمال المناجم . وهكذا - يقول لانسر - ((**تبدأ القصة من جديد . سوف نقتل هذا الرجل رميا بالرصاص ونخلق عشرين عدوا جديدا**)) . ولقد تكاثر الاعداء يوما بعد يوم حتى فارقت الدهشة والذهول عيون الناس .. وكانت ((**آنى**)) زوجة جوزيف خادم الرئيس اوردن رائدة العداء للغزاة وبدأت مقاومتها بالقاء الماء المغلى على رؤوس الجنود من النافذة . وكانت ((**موللى**)) زوجة الكس العامل الذى أعدموه ، هى ثانية الرواد فى مقاومة الغزاة ، بدأت مقاومتها باغتيال الملازم تونذر الذىذهب اليها فىخلوةبقصد((**الحب**)) كما بدأت المقاومة بتخصيص بيتها للاجتماعات السرية . وكان الرئيس اوردن هو ابرز شخصيات المقاومة التى ظلت فى الظل طيلة أحداث الرواية - من قبيل الخداع الفنى - حتى أعلنت النهاية أن هذا الرجل كان عقل الشعب وضميره ، وما أن اكتشف الغزاة سره حتى قادوه الى المصير المحتوم. شتاينبك اذن لم يركز الاضواء على فرد من الافراد، وانما وزعها بالتساوى بين الجميع ، فقد شارك الشعب بأسره فى مقاومة المحتل ، كل فرد حسب موقعه من التخطيط الذى قاد المقاومة . ولربما يختلف دور الشعوب ، بعضها عن بعض ، كما يختلف دور الافراد ، اثناء مقاومة أحد الغزاة .. ولكن هذا الاختلاف لا يصنع ((**تمايزا**)) بين شعب وشعب ، أو بين فرد وفرد ، وبالتالى - فى رأى شتاينبك - لا مجال للبطولة الفردية اثناء حركة المقاومة لانها بطبيعتها حركة جماعية . وتتحول البطولة - فى أفول القمر - الى بطولة جماعية ، بطولة الشعب المسالم الذى رفض أن يستسلم . ويرمز شتاينبك الى هذه البطولة من عدة جوانب، لا عن طريق الانماط النموذجية ، وانما عن طريق الشخصيات الحية التى تعيش المقاومة جنبا الى جنب حياتها الخاصة . اى أنه يميل الى ((**الانسنة**)) النموذج البشرى بدلا من نمطيته ذات البعد الواحد . اننا نتابع جوزيف خادم الرئيس اوردن فى حياته الخاصة مع زوجته آنى ، اى مع اللحظات العادية المألوفة ، كما نتابعهما فى نفس الوقت باهتمام أكبر حين تثور آنى اذ يحكم العدو بالاعدام على الكسندر عامل المنجم الذى قتل الضابط بانتيك .. تقول لجوزيف :

((- حسنا ، سترى ! اذا مسوا الكسندر بسوء فسوف يجن جنون الشعب.وسوف يجن جنونى. انا لن اتسامح فى ذلك !

فسألها جوزيف :

- ما الذى ستفعلينه ؟

فقالت آنى :

- سوف أقتل بعضهم بنفسى .

فقال جوزيف :

- وعندئذ يقتلونك رميا بالرصاص .

- فليفعلوا ! اقول لك يا جوزيف ، فى استطاعة الاشياء أن تذهب الى بعيد جدا .. أن يقضوا ساعات الليل كلها متجولين ، قاتلين الناس رميا بالرصاص)) .

ولم يكن جوزيف فى كل تساؤلاته مجرد رجل يريد أن يعرف آراء زوجته ، بل كانت له هو أيضا آراؤه الخاصة ، تلك التى تقذف بها دفعة واحدة فى وجه آنى صارخا :

((الناس يتكتلون ، انهم لا يريدون أن تغزى بلادهم.ان اشياء سوف تقع قريبا.افتحى عينيك جيدا . سوف تكون ثمة اشياء تقومين بها أنت)) .

هذا هو الرمز الاول فى الرواية ، ولكى يؤيد شتاينبك اكثر فاكثر على انها بطولة الشعب بأجمعه ، فانه يصوغ موقف جوزيف وآنى من خلال التشابك المعقد بينهما وبين اعدام الكسندر وبطولة موللى زوجته التى اغتالت الملازم تونذر .

اننا لا نستطيع ان نعزل الخيط الذى ينسج به الكاتب شخصية الكس عن الخيط الذى ينسج به شخصية جوزيف ، كما اننا لا نستطيع ان نعزل هذين الخيطين عن خيطى آنى ومولى .. ان هذه الخيوط الاربعة تشكل فيما بينها نسيجا واحدا يمكننا ان ندعوه بنسيج **((الفئات الشعبية))** المشاركة فى المقاومة من موقعها الخاص فى اطار الكفاح القومى ككل . اى ان هذا الرمز فى **((افول القمر))** هو البعد الاجتماعى فى الرواية كما تصوره شتاينبك : ان هذه الفئة من فئات الشعب هى اكثرها صلابة وقدرة على الصمود ، لانهم اصحاب المصلحة الرئيسية فى طرد الغزاة .

اماالرمز الثانى فقد مثله رئيس البلديةلوردين والطبيب ونتر .. انهما من المواطنين الذين لا يفرطون فىشبر واحد من ارض الوطن ، ولكنهم يبذلون غاية الجهد للبحث عن **((حل سلمى))** يكفيهم عناء المقاومة المسلحة . اوردين يرفض ان يكون رئيسا للمحكمة التى نطقت بالاعدام على الكسندر ، ولكنه يتساءل عن الطريق الذى ينبغى عليه ان يسلكه لتحرير البلدة من المحتل الاجنبى ، وهو يكتفى فى معظم الاحوال بكلمتين اثنتين **((لست ادرى))**. ويكاد الدكتورونتر انيصل الى حافة اليأس حين يقول فى صراحة قاسية **((ليس امام الشعب اية فرصة للقتال . وليس قتالا ان يتصدى الانسان للمدافع الاوتوماتيكية))** . ان وينتر بهذه الكلمات لا يرفع الراية البيضاء ، وكذلك اوردين فانه لا يستسلم ، ولكنهما معا يعبران عن هذه الشريحة الاجتماعية من الطبقة الوسطى ، حيث تغزوها وقت الازمات افكار الشك واحيانا اليأس .. ولكن هذه الشريحة بعينها حين تفاجأ بالواقع الذى يخلق من ارادة الشعب فى المقاومة اسلحة جديدة لم تخطر على بالهم من قبل ، فانهم لا يقفون من المشهد الجديد موقفا سلبيا ، بل هم يؤازرون حركة المقاومة ويتصدون احيانا كثيرة لقيادتها . وهذا ما حدث بالفعل حين فوجىء اوردن وونتر بأن غشاوة الذهول قد انجابت عن العيون وحل مكانها شىء كالغضب .. وتكررت حوادث القتل السرى والعلنى لجنود الاحتلال ، وتكررت حوادث التخريب للسكك الحديدية والمنشآت العسكرية .. وتبلورت — وهذا هو الاهم — فى وجوه البشر وعيونهم معانى جديدة لم تعرفها حياتهم السلمية فيما مضى . وحينئذ يتغير موقف اوردين من الكلمتين ((لست ادرى)) الى قوله فى وداع الكسندر **((الكس ، اذهب وانت عالم ان هؤلاء الرجال لن ينعموا بالراحة . لا راحة لهم على الاطلاق حتى يذهبوا او يموتوا))** وهكذا نتابعه وهو **((يتحرك))** فى الظلام من بيت الى بيت ، ومن اجتماع الى آخر .. حتى زادت حوادث القتل وارتفعت نسبة التخريب المنظم ، وتحددت وسائل المقاطعة التامة للغزاة الذين ادركوا

الشكل الجديد للمقاومة فراح بعضهم يهمس **((هذا الشعب المخيف . والبنات المثلجات))** حتى فقد احد الضباط اعصابه واتهم نفسه بالهزيمة امام هذا **((الصمت))** و **((البغض))** و **((التجاهل))** ثم انهارت الاعصاب تماما واخذ فى الصراخ القريب من الهذيان **((هذا هو ! ان العدو فى كل مكان ! كل رجل ، كل امرأة ، وحتى الاطفال))** . ويفكر لحظة ويتأمل لحظات ويقهقه فى هستيريا لان التقارير الواردة من الخارج تقول ان الشعوب تهتف لزملائه ، ولعل التقارير الصادرة من هنا الى الخارج تردد نفس العبارات ، اما الحقيقة فانها شىء آخر ، الحقيقة فى عيون هؤلاء الناس المخيفين المتربصين فى الثلج .

وهذا هو الرمز الثالث والاخير فى قصة شتاينبك . الرمز الذى يشير به الى التناقض الحاد بين انسانية العدو والتزامه العسكرى ، بين عقله ووجدانه .. ونحن نلتقط هذا الرمز من الكلمات التى تشبه المونولوج الداخلى على لسان القائد **((صاحب الذكريات))** ومن الكلمات التى تشبه الهذيان وتبلغ حد الهستيريا عند الضابط الذى يجاهر علانية برغبته فى العودة الى الوطن **((ويكون فى مقدورى ان ادير ظهرى للناس من غير ان اخاف اذى ما))** ، **((فتحنا البلاد وها نحن خائفون .. فتحنا البلاد وها نحن مطوقون))** . ويصرخ مشدوها بحلم اجترا على نومه رأى فيه **((الزعيم))** مجنونا ، ويرسم شتاينبك مفارقة موحية الى ابعد الحدود ، فيكون نصيب هذا الضابط بالذات ، القتل على يدى المرأة الجميلة التى اراد ان يحبها ، ولم تكن سوى مولى زوجة الكسندر !

ولا تنتهى القصة بانتصار او هزيمة ، فقد آثر الكاتب ان يعلق انفاسنا مع احتدام حركة المقاومة ، واوردن يردد **((لقد غزى شعبنا ولكنى لا اعتقد انه قهر))** بالرغم من ان قوات الغزو تنبهت اخيرا الى **((تحركات))** اوردين وبالرغم من انها قررت اعتقاله كرهينة لعلها تخفف من وطأة المقاومة . ولكن ونتر الطبيب — اليائس فيما مضى — هو الذى يعلق على الموقف كله قائلا **((انهم يظنون لمجرد ان لديهم زعيما واحدا ورأسا واحدا اننا كلنا كذلك . انهم يعلمون ان عشرة رؤوس تقطع خليقة بأن تحطمهم . ولكننا شعب حر . ان عندنا من الرؤوس بقدر ما عندنا من الناس ، وفى وقت الحاجة ، ينبع الزعماء بيننا كما ينبع نبات القطر))** .. واوردن يعلم — ونحن معه — ان المصير الوحيد الذى ينتظر الرهائن هو الاعدام ، ولكنه يمضى فى طريقه — حزينا حقا وآسفا على دنو الاجل بهذه السرعة — يمضى قائلا ان رئيس البلدية

((**فكرة**)) فى خاطر الرجال الاحرار ، وليس فى ميسور احد ان يلقى القبض عليها ((**انا رجل صغير ، وهذه بلدة صغيرة ، ولكن يجب انتكون ثمة شرارة فى الرجال الصغار يمكن ان تنفجر الى لهب**)) ، ((**الرجال الاحرار لا يستطيعون ان يبدأوا حربا ، ولكن ما ان تشن الحرب حتى تتم لهم القدرة على القتال فى غمرة الهزيمة**)) .
وتلك هى القيمة الكبرى ، والرئيسية التى يجند لها شتاينبك رموزه الثلاثة .. وهى القيمة التى تتجاوز بشمولها معركة احدى بلاد النرويج ، كما تتجاوز المعركة ضد النازى ، ذلك انها تستمر فى خيال البشرية وتاريخها رمزا ابديا لبطولة الانسان فى مقاومة القهر .. وهو ليس رمزا مجردا ، بل هو الرمز الشامل للرموز الثلاثة التى استخلصتها رواية ((**افول القمر**)) من ارض البشر وواقعهم . وهو ليس رمزا لاحد الابعاد التى نسجها شتاينبك بدقة واتقان ، وانما هو رمز الابعاد الثلاثة : الانسانى والقومى والاجتماعى ، وان بلغتعملية النسيج درجة من المهارة لا تمنح بعدا واحدا فرصة الانفراد بالضوء المركز . والقصة — لهذه الاسباب — قد تكون روائيا هى قصة ((**المواكبة**)) لمقاومة احد الشعوب ، لا تمهد او تتنبأ ، كما انها لا تسجل او تؤرخ .. ومع ذلك فان قيمتها الكبيرة الباقية ، انها استطاعت بعد اداء دورها السابق الذى حكم على مؤلفها بالاعدام فى حينها من اجله ، ان تتجاوز الزمان والمكان وتمتلك القدرة على القيام بالادوار الثلاثة فى وقت واحد : فهى ما تزال تمهد الطريق للثوار ضد الظلم بما تحمله فى طياتها من خبرات نضالية ، وهى تواكب مقاومة الشعوب ضد القهر الحديث ، كما واكبت مقاومة القهر القديم ، وهى تؤرخ لاحدى المراحل الدامية فى تاريخ الانسان .

● ● ●

على غير هذا النحو يعالج اندريه مالرو هذه القضية فى روايته الملحمية ((الوضع الانسانى)) ، فهو اذا كان يشترك مع شتاينبك فى اصطناع تلك المسافة الموضوعية التى تفصل الكاتب عن خامة التجربة — حيث تدور احداث ((الوضع الانسانى)) فى الصين ، كما دارت من قبل احداث ((افول القمر)) فى النرويج — فان مالرو يعود فيختلف مع شتاينبك فى اشياء كثيرة . هو حقا يوزع اضواءه بالتساوى على الابعاد الثلاثة الكبرى : الانسانية والقومية والاجتماعية ، وهو حقا لا يصوغ على طول الروايةبطلافردا يعيشوسط الاحداثكمحور وحيد . ومع هذا فهو يتناول البعد الانسانى بمنظار جديد ، لا يبحث من خلاله على ماهو مجرد وعام ومشترك بين البشر جميعا ، يتجاوز به الانسان حدود الزمان واسوار المكان ، بل هو يبحث عن ((**انسانية الانسان**)) من خلال تجربة الفرد الموغلة فى الذاتية والتخصيص . من هنا لا يميل مالرو الى تحريك الجماعات بكاميرا سينمائية ، وانما يميل الى التوقف عند فرد من الافراد — لا يأتى بطولات خارقة عن العادى والمألوف — ويحاول جاهدا ان يستكشف اعماق هذا الفرد بأن يضعه فى ((**موقف**)) وبمعنى ادق فى ((**تجربة**)) .. هكذا نراه يضع ((**تشن**)) فى تجربة مع الموت ، ويضع ((**كيو**)) فى تجربة مع الحرية الشخصية ، ويضع جيسور فى تجربة مع الالم .. بل اننى اذهب الى بعيد واقول ان مالرو لم يكتب ((**الوضع الانسانى**)) عن المقاومة الصينية ، ولم يكتبها « للمقاومة » ، وانما كتبها (**فى**) المقاومة .. اى ان المقاومة عنده كانت ((**التجربة الشخصية**)) للافراد ، ولم تكن قط المادة الخام . كانت المقاومة هى ((**المرآة**)) التى وقفت عندها كل شخصية من شخصيات الرواية، طويلا او قليلا ، مباشرة او بصورة غير مباشرة ، على مسافة بعيدة او قصيرة ، من زاوية تظهر صفحة الوجه الجانبية او من مواجهة امامية تظهر الوجه كاملا .. الى غير ذلك من الاوضاع التى اتخذها كل منهم تجاه المرآة وفق ظروف عديدة اسهمت فى تكوينه وفى وقفته امام المرآة . ولكنها مرآة من نوع خاص ، هذه التجربة التى يدعونها المقاومة ، فهى لا تصور السطح الخارجى ، وانما تلتقط ادق الشعيرات الدموية الصانعة للكائن ، والخالقة لمساره فى هذا الوجود ، وسرعان ما يتبين لنا ان هؤلاء الذين بدوا لنا فى سلوكهم اليومى افرادا عاديين لا يأتون شيئا غريبا غير مألوف ، يتبين لنا جوهر بطولتهم ((**الانسانية**)) ومعدنهم النادر غير المألوف ، ومالرو يقول لنا فى هذا الصدد ، ان البطولة ليست امتيازا لطائفة من الناس دون غيرها من البشر ، ويردف ان البطولة فى ذاتها ليست هدفا يسعى الناس وراءه .. وانما البطولة هى التى تسعى وراء البشر ، تلاحقهم فى حياتهم وموتهم ، فى مختلف الوان المتعة والالم .. ولكن هذه الملاحقة لا تثمر فى كل فرد ، وفى كل لحظة ، وفى كل تجربة ، بطولة من البطولات . وانما يتعين ان تكون هناك مجموعة من الشروط الموضوعية التى تخلق البطولة ، مهما تناقضت النتائج مع الاسباب ، ومهما ادى هذا التناقض الى خلق ابطال رغم انوفهم ، او حرمان آخرين من بطولة يستحقونها . ومهما ادى هذا التناقض ايضا فى احيان كثيرة الى تمزيق البطل والانتهاء بقصته الى نوع من البطولات التراجيدية .

و ((الوضع الانسانى)) هى ملحمة النهاية التراجيدية الحادة للنضال الشيوعى فى الصين ابان المرحلة التى انحرف فيها الحزب انحرافا يساريا مدمرا ، وهى المرحلة التى يؤرخ لها بعام

١٩٢٧ . وكان مصدر هذا الانحراف هو الاصرار على تحقيق الثورة الاشتراكية فى ظل مناخ سياسى واقتصادى واجتماعى ، لم يتهيأ بعد الا للثورة الوطنية .. وهى الثورة التى شارك فيها الشيوعيون ، ولكنهم لم يكونوا وحدهم ، وانما شاركهم حزب تشانج كاى تشيك المعبر عن البرجوازية الصينية التى تناقضت مصالحها حينذاك مع مصالح الاستعمار . وحين احس الحزب البرجوازى بان الشيوعيين يهدفون الى تصفية البرجوازية اثناء تصفية الاستعمار ، فقد باغتهم تشانج كاى تشيك بمذبحة اسطورية فى « شنغهاى » قضت عليهم جميعا . ومالرو لاتعنيه تفاصيل هذه المذبحة فى كثير او قليل ، وانما يعنيه هذا التشابك المعقدالذى ادى اليها ، وانعكاسات هذا التعقيد على وجدان الافراد الذين وهبوا حياتهم من اجل «الصين» المستقلة ، والاشتراكية فى آن واحد .

وعلى النقيض من « **أفول القمر** » ، حيث يميل كاتبها الى نوع من التبسيط ، يلجأ مالرو فى « **الوضع الانسانى** » الى نوع من التركيب .. وبصورة عامة يمكن ان يقال ان احداث المقاومة البطولية فى هذه الرواية تدور بين فريقين : الاول هو الكتل البشرية الرابضة خلف مصانع النسيج « **اولئك الذين يعملون منذ طفولتهم ست عشرة ساعة يوميا .. شعب من القروح والعاهات والبطون الجائعة** » .. ومع ذلك تألفت منها معظم قوات الثورة التى تنبض بانتفاضة شعب متربص .. والفريق الثانى يتكون من الاحياء الغنية التى تحولت على يدى رجال المال الفرنسيين واليابانيين « **اخطارا تهدد ، وحواجز وجدران سجن ممتدة لا نوافذ فيها** » .. ومالرو لا يضع الفريقين فى مقابل بعضهما البعض منذ البداية ، بل هو لا يجعل المعركة الرئيسية فى الرواية تدور بينهما .. ذلك انه يعالج المسألة القومية فى مواجهة المسألة الاجتماعية ، كما يعالج كليهما فى اطار الجوهر الانسانى العميق للافراد والجماعات التى تشكلت منها انسجة البناء الدرامى فى « **الوضع الانسانى** » .. بل ان عنوان الرواية قد اختير بتمهل عظيم وامعان للفكر ، لانه يكاد ان يوجز العمل الفنى فى كلمتين فاصلتين .. فالوضع الانسانى للشخصيات الرئيسية فى جانب المقاومة ، هو الذى يحدد المسار التفصيلى للمأساة التى وقعت عام ١٩٢٧ .. ان تشن وكيو وكاتوف يصوغ كل منهم مأساته الخاصة ، التى لم تتناقض لحظة واحدة مع المأساة الشاملة . ولا يتوقف مالرو عند شخصية بعينها توقفا يريبك فى انها « **قد تكون البطل** » .. كيو مثلا ، هو المناضل الشيوعى الذى تعرف اللجنة المركزية تفاصيل خططه كلها ، ولكن بالارقام ، اما هو فقد كان يحيا هذه التفاصيل ، وكانت المدينة — شنغهاى — تسرى مسرى الدماء فى عروقه « **وكان مواطن ضعفها هى جروحه الخاصة** » . وتشن فقد ايمانه الذى فصله طويلا عن الصين وعزله عن العالم ، ثم فهم ان كل شىء يمكنه ان يمضى على نحو يجعل هذه الفترة من حياته « **مدخلا الى معنى البطولة** » فالعمل السياسى كان يبث فى عزلته معنى ، و « **احساسه البطولى كان بالنسبة اليه بمثابة نظام يفرضه على نفسه لا تبريرا للحياة** » .

وكاتوف شارك فى احداث ١٩٠٥ فى روسيا ثم افلت باعجوبة من المقصلة ، ولم ير فى وجوده أية دلالة اذا لم يستأنف نشاطه الثورى فى بلد كالصين . ولم يضع الكاتب فى مقابل هذه الشخصيات المناضلة جيشا غازيا يمكنك ان تتخذ منه موقفا صارما محددا منذ البداية ، وانما هو يؤثر ان يضع فى طريقك وطريق هذه الشخصيات نموذجا للراسمالى التقليدى هو « **فيرال** » السمسار الفرنسى لبنوك واتحادات المال . وهو الرجل الذى لاتعنيه الصين الا فى كونها «**الحاضر**» الذى يؤهله فى « **المستقبل** » لكرسى الوزارة فى باريس .

ويبدأ تشن حياته الروائية عند مالرو باغتيال احد السماسرة فى فندق ، ليأخذ من جيبه تفويضا بالحصول على اسلحة من سفينة راسية على الشاطىء ومحملة بالذخيرة ، وذلك لاستخدامها فى المقاومة المشتركة مع الكومنتانج ، من اجل الحرب الوطنية . وينجح تشن فى اول جريمة قتل ارتكبها فى حياته .. وتسرى فى اوصال الرواية كلها قشعريرة الشعور بالموت كلما تجسدت تفاصيل هذا « النجاح » القاتل .. وامست العلاقة بين تشن والموت ، اشبه ماتكون العلاقة بين كائن وكائن حتى انه تعمد ان « يصادف » الموت اكثر من مرة فاخفق « **كانت شرايين الدماء تصب كالقنوات فى العاصمة حيث يتقرر مصير الصين** » .. ومع هذا لم يمت . وحانت الفرصة كالمعجزة اذ تناقض الشيوعيون مع الكومنتانج ، واتخذ تشن قرارا شخصيا لا رجعة فيه ، ان يقتل تشانج كاى تشيك بالرغم من التقاليد الشيوعية المعادية للاغتيالات الفردية .. لقد احس فى لحظة ان القضية العامة تقاطعت مع قضيته الشخصية فى نقطة حادة لا يبلغها المرء الا مرة واحدة فى حياته . لذلك اختار ان يلقى بنفسه تحت العربة التى تقل تشانج كاى تشيك ، ويموت .. ولكن دون ان يكون الجنرال فى العربة .. هذه المرة بالذات . وتلك هى المفارقة القاسية التى خطط لها مالرو — فى رسم هذه الشخصية — المفارقة التى تحقق له النجاح فى القتل حين لم يكن فى حاجة اليه ، ثم تحقق له الفشل فى المرة الوحيدة التى كادت ان تعطى لحياته معنى . وهكذا تشيع فى طول الرواية

وعرضها رائحة ((عدمية)) تنسجم مع النهاية الفاجعة للثورة الصينية آنذاك .. فقدانتهت حياة كيو انتحارا فى معسكر الاعتقال ، كما انتهت حياة كاتوف رميا بالرصاص فى معسكر الاعدام ((.. **ولم يكن من شك فى انهم هالكون جميعا ، غير ان الشىء الجوهرى هو الا يكون هلاكهم عبثا**)) .. وهذا هو المضمون الحقيقى للرواية ، اذ ان خاتمتها ليست فى تبدد احدى الموجات الثورية وهلاك بعض الاشخاص ، وانما تكمن هذه الخاتمة فى بقاء الصين شامخة فوق كل النكسات حتى ان مالرو يتنبأ عبر السنين بما ستكون عليه فى المستقبل — الذى اصبحت عليه بالفعل — فيعقد مشهدا للرأسماليين الفرنسيين فى باريس بقيادة الوزير وفيرال ، حيث يرجحون نهاية تشانج كاى تشيك وانتصار الاشتراكية ، وبالتالى نهايتهم ايضا — ويؤكد الكاتب هذا المعنى ثانية حين يدفع هملريش الى القول ((**فى الماضى بدأت احيا حين خرجت من المصنع ، اما الانفقدبدأت أحياحين دخلته.وهذه هى المرةالاولى فى حياتى التى أعمل فيها ، وانا اعرف لماذا أعمل ، لا منتظرا فى صبر أن أموت**)) كما كانت حالته فى الماضى ((**ولقد مرت الثورة الان بمرض رهيب ، ولكنها لم تمت**)) .. كان مرض الطفولة اليسارى الذى ندعوه بلغة السياسة ((**انحرافا**))

ويراه مالرو تجسيدا موضوعيا امينا ((**للوضع الانسانى**)) الذى كانت عليه الصين حتى ان احدهم كان يبرر ما قام به تشن قائلا ((**أن اغتيال الديكتاتور هو واجب الفرد نحو نفسه ، وينبغى فصله عن العمل السياسى الذى تحدده القوى الجماعية**)) .. فاذا كان الحزب يساريا ، فقد كان تشن على يسار الحزب ، ومعنى ذلك ان شيئا ما اكبر من الانحراف الايديولوجى — وهو عنوان هذه الرواية ورمز البطولة فيها — كان يؤدى دوره بمهارة بالغة حتى لتبدو للبعض وكأنها ((**القدر**)) وللبعض الاخر وكأنها الحتمية ، ولكن مالرو يراها ((**المصير**)) البشرى الذى يتجذر فى الفرد منذ مولده ونشأته وتطوره ، الى أن يموت . لهذا لم تكن البطولة فى ((**الوضع الانسانى**)) بطولة الافراد ، ولم تكن قط بطولة الجماهير — فقد انتكست الثورة — وانما كانت بطولة الصين كحضارة ، او بصياغة مختلفة ، كانت بطولة الروح الصينية . ولعل رمز هذه البطولة ، لم يكن واحدا من الذين ماتوا ، من الذين قاوموا ، وانما كان واحدا من الذين انزووا فى سموات عليا من التجريد والتصوف ، هوجيسور — والدكيو — الذى كان يقول لهؤلاء ((**الذين اختاروا فعلا**)) : ((**ان الماركسية ليست مذهبا ، ولكنها ارادة .. ولا ينبغى ان تكونوا ماركسيين لكى تكونوا على حق .. وانما لكى تنتصروا دون خيانة لانفسكم**)) .. ان رمز البطولة فى قصة المقاومة الصينية هو ايقنتنا ما تعبر عنه امراة احبت زوجها حتى الموت — هى زوجة كيو — فى كلماتها الى جيسور : ((**.. وحتى الان ، بعد ان هزمنا سياسيا ، واوصدت مستشفياتنا ، تتكون جماعات سرية فى الاقاليم جميعا .. ولن ينسى رجالنا قط انهم يقاسون من اجل قضية بشر آخرين ، لا بسبب حياتهم السابقة . وقد كنت اقول : لقد استيقظوا واثبين من نوم ران عليهم ثلاثين قرنا ، ولن يعودوا للنوم مرة اخرى . وكنت أقول ايضا ان اولئك الذين منحوا وعيهم بالثورة الى ثلاثمائة مليون بائس ، لم يكونوا ظلالا كالبشر العابرين .. ولو اصابتهم الهزيمة ، او التعذيب .. ولو اصبحوا امواتا ..**)) . اجل .. ان الناس لايساوون الا ما أمكنهم أن يغيروه ، على حد تعبير مالرو . وننتهى رواية ((**الوضع الانسانى**)) بمشهدين كاملين، اولهما للرأسماليين الفرنسيين ، وثانيهما لجيسور والدكيو وماى زوجته . وهما المشهدان اللذان يضعان الكلمة الاخيرة لمالرو . وهى الكلمة التى تقول ان التناقض الحقيقى فى الصين حينذاك ، هو التناقض بين الشعب فى مجموعه ، والاستعمار الاجنبى . وانه اذا كان الشيوعيون قد اخطأوا برفع شعارات يسارية اثناء حرب وطنية ، فان تشانج كاى تشيك قد سلم بلاده للمستعمر حين سفك دماء الشيوعيين دون أن يتمكن من اغتيال الشيوعية . ويلمح مالرو الى تسرب الدولار الامريكى فى اشارة واعية بما سيكون عليه الغد .

على ان رمز البطولة فى ((**الوضع الانسانى**)) لا يقتصر على ((**شكل**)) المقاومة فى خطوطها اليسارية والوطنية ، وانما يتجاوزه الى المسألة الاكثر شمولا ، وهى اللقاء الحميم بين القضية الشخصية والقضية العامة .. مهما ادى هذا اللقاء — فى المدى الطويل وخلال منحنيات الثورة ومنعطفاتها — الى نهاية تراجيدية حادة هى انعكاس للمأساة الكبرى .. ليس انعكاسا تلقائيا ، وانما نتيجة التفاعل المعقد بين التجربة الشخصية فى حياة تشن او كيو او كاتوف ، وبين التجربة الثورية فى حياة الصين . ولعل نفاذ البصيرة لدى مالرو ومقدرته الكبيرة على فهم الصين ومشاركته العملية فى المقاومة الصينية هى التى رفعت روايته الى مستوى النبوءة ، فقد ولدت الصين الاشتراكية ، وانطوى تشانج كاى تشيك نهائيا تحت جناح الاستعمار . كما أنها ارتفعت الى مستوى التاريخ لانها تعد اخطر الوثائق الفنية عن تلك المرحلة الدامية فى تاريخ الصين الحديث . وهى اذا كانت قد ركزت الاضواء على البعد القومى فى المأساة ، فانها قد تناولت البعد الاجتماعى فى صراعه البطولى بين

انسانية الافراد ، وصينية الصين ، او بين جوهر الانسان الفرد ، وبين روح الصين وحضارتها .

● ● ●

تتشابه ((**أفول القمر**)) مع ((**الوضع الانساني**)) في تلك المسافة الموضوعية التي يصطنعها الكاتب حين يستمد خامته الفنية من بيئة غير بيئته الاصلية ، فقد سجلت الاولى كفاح الشعب النرويجي ضد النازي ، وسجلت الاخرى كفاح الشعب الصيني ضد الاستعمار وكارثة الانقسام التي شرخت صفوف المقاومة .. ويختلف هذا اللون من القصص عن الاعمال التي تتخذ من ((**الفرد**)) خامة لها ، وبخاصة اذا كان هذا الفرد ينتمي الى نفس البيئة التي ينتمي اليها الكاتب . فالقصة التي تتناول موضوع المقاومة من خلال الجماهير ، كما هو الحال عند تشاينبك ومالرو ، تختلف عن القصة التي تتناول هذا الموضوع من خلال فرد من الافراد . وقد عمدت الى اختيار قصتين من ادبين مختلفين ، لتوضيح هذا الخلاف من ناحية ، ولاستكشاف رمز البطولة في هذا النوع من القصص من ناحية اخرى . والقصة الاولى للكاتب السوفيتي المعاصر ميخائيل شولوخوف صاحب ((**نهر الدون ينساب في هدوء**)) و ((**الارض العذراء**)) . وقصته هذه التي نتناولها بالتحليل تندرج في باب الرواية القصيرة ، وهي قصة ((**مصير انسان**)) . يقدم لها شولوخوف بهذه الكلمات ((**تهمني اقدار الناس العاديين في الحرب الماضية . وجندينا قد اثبت في ايام الحرب الوطنية انه بطل . ان العالم كله يعرف الجندي الروسي وبسالته وصفاته النضالية ولكن هذه الحرب اظهرت جندينا في ضوء آخر تماما ..**)) . والقصة التي تكاد في بعض مقاطعها ان تتحول الى قصيدة ، هي هذا ((**الضوء الاخر**)) الذي ابرز الانسان السوفيتي — لا الجندي وحده — في صورة جديدة تماما . كان اندريه سوكولوف مجرد سائق بسيط احب فتاة وتزوجها وانجب منها فتى وبنتين حتى اقبلت نيران الفاشية فطلب للتجنيد ، وظل يقاتل في الجبهة حتى مايو من عام ١٩٤٢ ، حيث تم اسره في لحظة لم يتوقع فيها ان يؤسر ، فقد نفذت الذخيرة فجأة من بطارية المدفعية التي يتبعها فطلب منه قائد السرية ان يسرع به حتى يصل الى مقر مجاور للفرقة .. وصنع اندريه المستحيل ، ولكنه اسر بدلا من ان يصل . وسيق مع الالاف المؤلفة من الروس الى معسكرات العمل والتعذيب في المانيا . وفي المعتقل بدر منه احتجاج على الحيز الذي يقوم بحفره الفرد الواحد كمقبرة لزميله حين يموت . ونادى عليه الضابط الالماني ((**اندريه سوكولوف الاسير رقم ٣٣١ انتهت آلامك**)) وعقد العزم على انه سيموت . ومرت به نفس اللحظات التي عاشها حين اسر فقد ظن نفسه حينذاك من الهالكين . تذكر زوجته التي دفع بها لحظة الوداع فقصد تشبثت بأهدابه وراحت تولول صارخة انها لن تراه ثانية . وتذكر الاطفال الصغار وهم واجمون لا يفهمون شيئا مما يجري من حولهم . وتذكر الجيران . وتوقفت ذكرياته فجأة عندما تنبه الى ان الضابط الالماني يساومه على شرفه العسكري ويطلب منه ان يشرب معه نخب انتصار النازي . وتصلبت نظرات اندريه على الضابط العدو في كلمة واحدة ترادف الموت ، هي : كلا . رفض سوكولوف ان يركع ، ان يساوم ، ان يحيا بلا كرامة ، لان كرامته توحدت بالدم مع كرامة وطنه . ومن قبيل السخرية ((**كافأه**)) الضابط الالماني بالخبز والخمر فأخذه ووزعه على زملائه من الاسرى . واستدعى ذات يوم ليعمل سائقا بين برلين وبوتسدام يحمل في عربته احد الضباط الالمان ((**ونصل الى مدينة بولتسك فأسمع مع الفجر مدفعيتنا ، هذه اول مرة منذ عامين اسمع فيها موسيقاها .. هل تعلم يا اخي أن قلبي خفق لها : ايام كنت اعزب ، حينما كنت أذهب لاغازل أيرينا ، لم يكن قلبي يخفق في مثل هذه القوة**)) .. لقد واتته فرصة الهرب اذن ، ولكن هل يهرب وحده ؟ واستطاع بعد جهد وتخطيط محكم أن يصل الى حدود الجبهة الروسية ومعه هذه ((**الهدية**)) الثمينة : الضابط الالماني الذي كان يعمل معه، مقيدا في حالة اغماء وقد جرده من سلاحه . وحصل أندريه على وعد من الكولونيل بوسام تكريما له على بطولته . ولكن القصة لم تنته بعد . لقد كان الوسام الاكبر ان يعود بعد غيبة سنوات طويلة الى زوجته واولاده، فلم تكن قد فارقت عيناه بعد صورتهم لحظة الوداع . غير ان الحرب اذا كانت قد منحته وسام البطولة فانها قد ضنت عليه بالوسام الاخر . ذلك أن ((**الالمان قد قصفوا في يونيو من عام ١٩٤٢ مصنع الطائرات ، وأن قنبلة كبيرة سقطت على منزلي وكانت ايرينا والبنتان فيه .. وانفجرت في موضع المنزل هوة ضخمة**)) أما ابنه اناطولي فقد كان في المدينة اثناء الغارة الجوية ، وعاد في المساء فنظر في الهوة ورحل على الفور .. ((**وقبل أن ينصرف قال للجار انه سيذهب للتطوع في الجبهة**)) وهكذا — يقول أندريه سوكولوف — ((**كان لي أسرة وبيت وانفقت السنوات الطويلة حتى جمعتها واذا هما يتلاشيان في ثانية واصبح وحيدا**)) ذلك انه في المعتقل كان يتوجه كل مساء الى ايرينا والاولاد في حديث طويل يقول لهم فيه انه سيعود لانه صلب العود وقادر على التحمل ((**اذن فقد كنت اتكلم طوال هذين العامين مع اموات**)) !

ولا يختتم شولوخوف — عند هذا الحد — قصته، بل قصيدته ، وانما يجسد لعيوننا مشهدين : احدهما للمكان الذي عاشت فيه اسرة سوكولوف ، حفرة هائلة يملؤها ماء صدىء تحف بها حشائش سيئة ويرين عليها صمت كصمت المقابر ((**لم استطع البقاء هناك ساعة واحدة واخذت القطار في اليوم ذاته**

مائدا الى فرقتي » اى انه كان صورة ثانية للابن الذى نظر الى الحفرة واسرع الى الجبهة . اما المشهد الثانى فلم يكن مشهدا بشريا ، وانما كانت الغيوم لا تزال تتابع طوافها واشرعتها البيضاء ، « **ومع ذلك ففى تلك اللحظات من الصمت الحزين بدت لى بغير الصورة التي كانت تبدو لي فيها من قبل، تلك الدنيا الشاسعة الارجاء المتهيئة لانجازات الربيع العظيمة، لانتصار الحياة الابدى على الموت** » هذان المشهدان يلخصان « **مصير الانسان** » من وجهة نظر شولوخوف ، من وجهة نظر « **تضاد الحياة** » وصراعاتها اللانهائية لهذا السبب تكاد تنتهي القصة حين وصلت اندريه رسالة من الجبهة ، من ابنه « **الرائد اناطولي** » ، ولكن اللقاء لا يتم ، والقصة أيضا لا تنتهى، فقد لقى الضابط الشاب مصرعه ذلك الصباح فى مركز بطاريته « **كانت آخر فرحة لى وآخر أمل** » ..

تلك هى صيحة الاب سوكولوف قبيل الخاتمة بقليل ، ذلك أن الفرصة لم تضع ، والامل لم يذهب .. الامل هو ذلك الطفل الذى التقى به عند باب أحد المطاعم، مرة واثنتين وثلاثا ، واخيرا جرؤ على أن يحمل الطفل من فوق الرصيف ويأخذه الى البيت، الى الصحبة التى اختارها من بين الناس جميعا : جاره وزوجته التى لم تنجب «**كان الولد كثير الحركة ولكنه فى بعض الاحيان يهدأ فجاة ويغرق فى التفكير ثم ينظر الى من خلال أهدابه الطويلة المنثنية الى أعلى ، ويتنهد . أمثل هذا العصفور الصغير يعرف التنهد ! اهذه اشياء لمثل سنه ؟ واسأله : أين أبوك يا فانيا ؟ فيهمس : قتل فى الحرب ! وامك ؟ قتلتها قنبلة فى القطار ونحن فيه !** » نفس القصة التى كان يمكن لاناطولى ان يحكيها لو انه عاش ، وابوه هو الذى مات .. ولكن شولوخوف اراد أن ينسج قصة مغايرة ، اراد ان يجسد رمزا جديدا للبطولة فى قصة المقاومة الروسية .. الرمز القائل بأن « **مصير انسان** » ما لا تحدده المقدمات المعروفة سلفا ، فلم يمت أندريه رغم وجوده فى خط النار وماتت أسرته وهى فى بيتها آمنة . . ومات اناطولى والقوات الروسية تدق مع ابواب برلين اجراس النصر والتقى أندريه سوكولوف بالطفل الصغير، والغيوم السوداء تظلل عينيه بلون الحفرة الجهنمية التى تسكن فى قاعها ايرينا والبنتان .. التقى برمز البطولة فى المقاومة السوفيتية ، وهو «**الاستمرار**» الذى يتولد من الحياة والموت معا ، من اصطراع ما هو سلبى ، وما هو ايجابى فى حلبة واحدة هى الوجود . . هذا الرمز أيضا هو الاجابة على كلمات شولوخوف الاخيرة «**يتيمان ، حبتان من رمل قذفتهما زوبعة الحرب بقوة لا مثيل لها الى الغربة .. ماذا يخبىء لهما الغد** » .. وهكذا لم تنته قصة — بل قصيدة — «**مصير انسان**» بحياة أو موت ، لا بماض أو بمستقبل ، وانما «**بالاستمرار**» .. كانت هناك بغير شك نهايات عديدة مغرية للكاتب أن يختتم بها عمله الفنى ، أن ينتهى مثلا بعودة أندريه بطلا من الاسر النازى « **فنصفق للبطولة** » ، أو أن ينتهى بمقتل زوجته وطفلتيه « **فنتطهر بالمأساة** » أو أن ينتهى بذهاب ابنه الى الجبهة « **فنصفق للجيل الجديد** » أو ان ينتهى بموت هذا الابن على أبواب النصر « **فننعى الفرد ونهتف للقضية العامة** » .. لم يرد شولوخوف أن ينتهى بالقصة باستقرار أحد طرفى الصراع « **الحياة أو الموت** » وانما شاء ان يجمع الشيخ بالطفل فى دوامة البحث عما يخبئه الغد ، او فى غمرة العلاقة الدينامية بين اطراف الوجود ، فى غمرة « **الاستمرار** » وهو السمة البارزة فى المقاومة السوفييتية، ورمز البطولة فيها .

●●●

اما القصة الثانية التى تلتقى مع قصة شولوخوف من حيث اعتمادها على « **الفرد** » كخامة فنية — دون ان ترمز الى بطولة فردية بعينها — فى حيز ضيق يدعوه النقاد بالرواية القصيرة ، فهى قصة « **صمت البحر** » التى يراها البعض اشبه ما تكون «**بقصة قصيرة**» طويلة منها الى «**رواية**» قصيرة . وهى القصة التى كتبها رسام فرنسي اتخذ لنفسه اسما مستعارا أثناء المقاومة الفرنسية هو «**فيركور**» وقد كتبها فى أكتوبر عام ١٩٤١ ولكنها نشرت فى «**مطبوعات منتصف الليل**» السرية بباريس فى العام الذى يليه . والقصة تناقش « **مصير الانسان** » الذى سبق ان ناقشه شولوخوف ، ولكن من وجهة نظر « **فرنسية** » . وقد تعمدت ان اقول من وجهة نظر فرنسية لا من وجهة نظر فيركور ، لانى اكاد اراها ظاهرة مشتركة بين كتاب وشعراء المقاومة الفرنسية ضد النازى فى الحرب العالمية الثانية ، وهى ظاهرة الدفاع عن « **الروح الفرنسية** » التى نلحظها فى وضوح كاف فى اشعار اراجون ، وربما هى التى دفعت كاتبا كمالرو ان يجعل من ملحمته الروائية دفاعا عن « **الروح** » الصينية . اى ان خط الدفاع الاول فى جبهة المقاومة عند الفرنسيين ، هو ما اصطلح على تسميته بالروح او الفكر او الوجدان ، وهو ايضا ما يميل بعض النقاد الى تسميته بجوهر الحضارة والانسان والتاريخ . الدفاع عن هذا الجوهر هو النغمة الرئيسية فى كتابات المقاومة عند الفرنسيين سواء كتبوا عن مقاومتهم هم كما فعل فيركور فى « **صمت البحر** » او كتبوا عن مقاومة الاخرين كما فعل مالرو فى « **الوضع الانسانى** » .

وفيركور على النقيض من شولوخوف لا يركز الاضواء على احدى شخصيات المقاومة كالجندى أندرية سوكولوف ، وانما يركز هذه الاضواء على احدى شخصيات العدو ، وهو ضابط من قوات النازى نزل ضيفا على اسرة فرنسية وفق النظام الذى فرضه الالمان على بعض الاماكن التى قاموا باحتلالها واشتدت فيها حاجتهم الى مساكن معقولة للضباط . ولا يختار فيركور شخصيته الرئيسية من صفوف الاعداء فحسب ، بل هو يختارها بشخصية

محبة جديرة بالتعاطف ، فالضابط شـاب وسيم ومهذب ومثقف ويهوى الموسيقى بل ويؤلف فيها، لا يثقل على الاسرة التي((استضافته))بما يشعرها انها في حالة ((غزو)) ، بل حاول جاهدا أن يبدو في ثياب الضيف العابر . وكانت الاسرة مكونة من شيخ قارب النهاية وابنة أخته الشابة التي لا تتوقف عن شغل الصوف . ظل **فرنر فون أبرناك** كل مساء يحكى لهما شطرا من قصة حياته دون ان تبدر منهما أية بادرة تشير الى انهما يسمعانه . كان يحب فرنسا منذ الصغر ، وكان يؤمن بأن الحرب بين البلدين ستنتهي الى أن تمنح المانيا فرنسا حريتها وأن تمنح فرنسا ألمانيا رقتها وعذوبتها وأن يتصادق الشعبان وتتدعم بينهما أواصر الثقة والتعاون المشترك . ولكن الشيخ والفتاة لم يعيراه ادنى التفات ، فكان يغادر الصالة التي يجلسان فيها الى جانب المدفئة بالعبارة التقليدية ((**اتمنى لكما ليلة سعيدة**)) ويتوجه الى غرفته في صمت و((**تطاول الصمت ، وتحول شيئا فشيئا الى صمت كثيف مثل ضباب الصباح ، صمت كثيف وراسخ ، فسكون ابنة أخي ، وسكوني انا ايضا بلا ريب ، كانا يثقلان هذا الصمت ، ويحولانه الى رصاص**))

كما يقول الشيخ في روايته للقصة . وبدات الدلائل تقول ان هذا الصمت يتبلور في موقف صارخ يشعر نحوه الضابط بالاحترام ، ولكنه لا يملك في نفس الوقت ان يترك نفسه يموت في صمت البحر الغاضب المخيف .. تلك هي الروح الفرنسية التي اكتشفها من قبل في عشرات الكتب واللوحات والانغام .. تلك هي الروح التي تعبر عن صمودها الشامخ بالصمت القاتل . واضطر لان يعترف لهما جهارا ((**لا يمكن لفرنسا أن تسقط بارادتها بين ذراعينا المفتوحتين دون أن تحس بأنها قد أضاعت كبرياءها الخاص**))ولم تذب كرات الصمت الجليدية .. واستأذن منهما في السفر الى باريس لمدة أسبوعين ، شعرا خلال هذه الفترة القصيرة — وبصورة مفاجئة — انهما يتحاشيان الاعتراف الشجاع بمودة عميقة تجاه هذا الرجل الغريب . ولكنه عاد،عاد أكثر غرابة مما كان عليه فيما مضى، عاد محزونا معصور الفؤاد . وبعد ان كان الشيخ والفتاة يخفضان بصرهما كلما شاهداه ، بدا هو منذ ان عاد ((**يخفض بصره الى الارض**)) . لقد اجتمع بزملائه في باريس ، ومن بينهم اخاه الذى كان يكتب الشعر فتحول على يدى النازية الى وحش (**مخلص ومقتنع**) وهذه هي المأساة في راى فرنر . لقد قالوا له في باريس : هل تتصور اننا سنترك فرنسا (**تنهض**) على حدودنا مرة اخرى ؟ كلا ((**نحن لسنا موسيقيين**)) . ((**ان السياسة ليست حلم شاعر ! لماذا ترانا أشعلنا الحرب في اعتقادك ؟ من أجل ماريشالهم العجوز ؟ وضحكوا أيضا : نحن لسنا مجانين ولا معتوهين،ان الفرصة أمامنا للقضاء على فرنسا ، وسنقضي عليها . لا على قوتها فحسب ، ولكن على روحها ايضا . وعلى روحها بنوع خاص . ففي روحها يكمن الخطر كل الخطر . وتلك هي مهمتنا في هذه اللحظة فلا تخدع نفسك عنها ياعزيزى ! سنغرر بها عن طريق الابتسامات والملاطفات . سوف نجعل منها كلبة زاحفة**)) .

وهذا هو الرمز العميق الدلالة في قصة فيركور، ان تتجسد الروح الفرنسية المنتصرة في قلب ضابط من قوات الغزو فتهز أعماقه هذه الروح وتنطق على لسانه ((**انهم سوف يخمدون الشعلة الى الابد**)) ذلك انهم يظنون أنهم يستطيعون أن يبيع الفرنسيون ارواحهم ((**في مقابل طبق من العدس**)) .. كلا ، ان هذه الروح العظيمة هي التي أغرقته في صمت البحر ، وهي نفسها التي انتشلته حين فاض قلبه بالصدق ، حين تلبسته روح فرنسا وكشفت له أنه في ركاب النازية ((**يغوص في ظلمات عفنة لغابة كئيبة**)) .. واذا كانت نقطة التقاطع في حياة تشن برواية مالرو لم تحدث الا مرة واحدة في حياته ، بعدها كان الموت .. فان هذه النقطة مرت الان في حياة فرنر،ايضا مرة واحدة،بعدها ((الى الجحيم)) نحو تلك السهول المترامية التي ستتغذى فيها الحنطة في المستقبل من الجثث . ذلك أنه حين استطاع ان يذيب جليد الصمت بينه وبين الاسرة المضيفة ، كان قد وصل في نفس الوقت الى تلك اليقظة المفاجئة على حقيقة وجوده في هذا المكان ، انه لم يجيء الى هنا((**لينقذ**))فرنسا ، بل ليدمرها . وحين كانت الغشاوة تحجب بصيرته كان الصمت بينه وبين الاخرين هو سيد الموقف ، وحين انجابت هذه الغشاوة عن عينيه رأى نفسه واقفا على حافة الهاوية ، فلم يشعر بجدوى ذوبان جليد الصمت بل أحس ان الشجاعة الحقيقية هي أن يلقى بنفسه في قاع الجحيم ، أن يعود الى الجبهة ويموت . لقد خدعه الاخرون ، وخدع هو الاخرين ، ولا شفاء من الخديعة المزدوجة الا بالانتحار . وهذا هو — مرة أخرى — الرمز العميق الدلالة ، رمز البطولة في مقاومة الشيخ والفتاة ان مست ((**روح فرنسا**)) بصمت البحر هذا الضمير الذى سيعيش طويلا في أتون العذاب ، حتى اذا مات ، تبقى قصته في ضمير الاجيال أنينا أبديا لا تعلو عليه موجات البحر الغاضب .

●●●

ثمة وشيجة أساسية تجمع بين ((أفول القمر)) و ((الوضع الانساني)) و ((مصير انسان)) و ((صمت البحر)) هي ما يمكن أن نطلق عليه ((**بطولة الانسان العادى**)) سواء تجسدت هذه البطولة في رموز المقاومة ((الشعبية)) او ((القومية)) او ((الانسانية)) العامة .. وسواء تجسدت المقاومة في الدفاع عن((الروح))الصينية أو الفرنسية كما هو الحال عند مالرو وفيركور ، او تجسدت في ((الحياة اليومية للبشر))كما هو الحال عند شتاينبك وشولوخوف ، على أن بطولات المقاومة الوطنية لا

تتوقف عند حدود النسيج البشرى للحياة ، فلربما اتخذ بعض الكتاب خاماتهم الفنية ورموزهم من نسيج مختلف ، كما فعل الكثيرون منهم حين اتخذوا « شارعا » أو « مدينة » أو « مبنى » اذا كانت المادة الروائية « مكانا » ما ، وقد اتخذوا احيانا « عصرا » من العصور ، حين كانت هذه المادة هي « الزمان » . ولعل الملحمة الروائية التى كتبها الروائي اليوغوسلافى ايفواندريتش تحت عنوان « **جسر على نهر درينا** » من هذه الاعمال القليلة في تاريخ الادب من حيث انها كانت نسيجا مركبا من الزمان والمكان . والحق أننى أصف هذه الرواية ، كما سبق لى أن وصفت رواية مالرو ، بأنها ملحمة روائية لا من قبيل المجاز اللفظى وانما من قبيل التشخيص الموضوعي للعمل الفني . وربما كانت «**جسر على نهر درينا**» اكثر وضوحا من « الوضع الانسانى» في اكتساب هذه التسمية «**اكثر وضوحا لا اكثر استحقاقا** » . ذلك لان اكتسابها لوحدتى الزمان والمكان جاء على نحو ملحمى صارخ من ناحية الاتساع الدرامى لكل منهما على حدة ، ومن ناحية الصراع « **المبسط تبسيطا شديدا** » بين خير وشر . ومن ناحية الانتصار الحتمى للخير بالرغم من كل الويلات والظلمات ، ومن ناحية قالب البطولة التى ما تزال رابضة في جوف الرواية تؤكد أصلها الملحمى ، والمقاومة كموضوع ، والبطولة كرمز لها ، من أكثر الخامات الفنية قدرة على التجسيد الملحمى .

قلت ان «المكان» و «الزمان» في الادب الروائي من الرموز الكبيرة التي ينسج منها بعض الروائيين بطولاتهم ، وليست « نهر الدون ينساب في هدوء » لشولوخوف ، أو « البحث عن الزمان الضائع » لمارسيل بروست — بالرغم من الاختلاف العميق بين الروايتين — الا دليلا حاسما على الامكانيات الهائلة لكل من الزمان والمكان على « **تجسيم** » الرمز الذى يقصد اليه الكاتب ، ويختلف بطبيعة الحال ، الروائى عن الاخر ، بتصوراته الفكرية والفنية من معنى الزمان ومعنى المكان . وفي رواية « جسر على نهر درينا » تصور ايفو اندريتش هذا المعنى المزدوج كرمز للصراع « الانسانى » مع الطبيعة والمجتمع من خلال «**بطولة قومية**» تناقلتها أخيلة الشعب جيلا بعد جيل ، أربعة قرون من الزمان والناس يتوارثون الاساطير والحكايات والحواديت والمعجزات التى صاغها «**الجسر**» من دماء البشر وحياتهم وصراعاتهم التى لا تنتهى . لقد توارت مع « **الجسر** » وبقيت من بعده عشرات البطولات والاحداث على مر الزمان ، مهما تفنن الخيال الشعبى في تحويرها ، فانها تستند بغير شك على ركيزة قوية من الواقع .. فهل يعد «**الجسر**» هو بطل رواية اندريتش ؟ . انه كذلك بمعنى المعانى ، اى بمقدار ما ترمز اليه بطولته من معان «**بشرية**» فهو لم ينفصل قط عن «**حياة البشر**» في ذلك المكان ، ولم ينعزل قط عن هذه الحياة عبر الزمان . بل ان الجسر في واقع الامر هو « **قصة البشر** » في ذلك المكان الذى شيد فوقه ومن حوله ، وتلك الازمان التى عاشها منذ تم بناؤه الى أن نسف .

وفي تقديرى ان قصة بنائه هى الدعامة الرئيسية لكل ما يرمز اليه ، أو هى الرمز الاكبر والجوهر الشامل للعمل الروائى ، فالرواية بعد ذلك هى تأكيد والحاح على المعنى الاول الذى يجبهك مع أحداث الصفحات الاولى من الكتاب ، ولكنه تأكيد والحاح بغير تكرار واملال ، وانما على نحو فريد للغاية يضيف جديدا يغنى الجوهر ولا يلغيه ، يدعم الرمز ولا ينفيه . فاذا كانت القصة قد بدأت في ظلال الامبراطورية العثمانية ليربط هذا الجسر بين البوسنة والصرب ابان القرن السادس عشر ، فان هذه القصة تستمر مع الاحتلال النمسوى المجرى الى نشوب الحرب من الصرب والنمسا والمجر ، وظهور الاجيال الثورية الجديدة ومقتل الارشيدوق فرانتس فرديناند عام ١٩١٤ . وتكاد أن تكون كوارث الطوفان واحداث العصيان والاوبئة والحركات الاجتماعية والحروب البلقانية وغيرها ، هى امتداد في خط رئيسى متعرج ينبع من نقطة انطلاق واحدة هى تلك « **القصة الاولى** » قصة « **خلق** » الجسر التى تترسب في أعماق ضمير الشعب ، يثيرها من مكمنها كل حدث جديد وان اتخذ هذا الحدث شكلا مغايرا .

والشكل الاول الذى اتخذته هذه القصة يبدو تفسيرا لاسطورة تناقلتها الاجيال عن مقبرة مجاورة للجسر على ضفته اليمنى تشعمنها في ليال مجهولة اضواء ساطعة كأن آلاف الشموع تنبثق فجأة من القبر فتغمر المكان بنور باهر سرعان مايزول ، والقبر لشهيد او قديس دعاه الاولون والاخرون « راديسلاف » وصفته الاسطورة الشعبية بأنه « رجل ضد الموت » قاوم بناء الجسر ليلا ونهارا دون ان يمسك به الوزير او الحراس ، ولو انهم امسكوا به لما استطاعوا ان يفعلوا به شيئا .. الى ان تمكنوا ذات ليلة من رشوة صديقه الوحيد الذى يخلو به فذبحه وهو نائم بعد ان اوثقه بحبال من حرير لان الحرير هو المادة الوحيدة التى لم يكن يستطيع ان يتخلص من شباكها . تلك هى الاسطورة

التي تبدو كقصة شمشون ، يكملها مع جانب آخر ماتناقله الرواة من انشبحا اسود يظهر في العمود المركزي الذي اقيمت عليه «كابيا» تتوسط الجسر ، ومن يرسم له سوء طالعه ان يرى الشبح يصرعه على الفور . ويحاول ايفو اندريتش ان يعيد صياغة الاسطورة على نحو لا يخدش العقل الحديث ، (كما صنع نجيب محفوظ في ادبنا العربي في قصة اولاد حارتنا) فهو يذكر لنا انه ذات صباح من عام ١٥١٦ وكان الاتراك يحصلون على **«ضريبة الدم»** من المسيحيين من اهل المنطقة ، سيق معهم طفل في العاشرة الى استانبول كتب له فيما بعد ان يكون قائدا كبيرا ووزيرا هو **« محمد باشا »** الذي أمر ببناء هذا الجسر ليربط بين البوسنة والصرب، وليخلص اهله وذويه من عذاب الابحار في مركب « ياماك » المتهالكة كلما ارادوا العبور من ضفةالى أخرى . وارسل الوزير فرقة للعمل يراسها رجل متوحش يدعى عابد اغا ويرافقها مهندس يقال له طوسون افندى . واستحالت المدينة — فيشجراد الواقعة عند ملتقى درينا ورزاف — الى جحيم ،الى حركة مجنونة : اعمال لاتفهم ، ودخان ، وغبار ، وصياح ، وجلبة **« وتمضى السنون ، والاعمال تتسع وترتفع ، ولكن المرء لا يرى لها نهاية ، ولا يفهم لها معنى . ان هذا كله يشبه كل شيء الا أن يكون جسرا »** . ولقد بدا الجسر خلال السنوات الاولى من بنائه مصدر بلاء لا يرحم اهل المنطقة ، خاصة وانه اقترن بالقهر التركي من ناحية ، واستبداد عابد اغا رسول الوزير من ناحيةاخرى . لذلك انت القلوب واعولت الالسن،همسا في بداية الامر، ثم غناء شعبيا حزينا انتقل منبيتالىبيت، ومن بين هذه البيوت ، ظهر فلاح ممن يعملون بالسخرة في بناء الجسر يدعى **«راديسلاف»** انسل في صفوف الفلاحين يهمس في آذانهم مرة ومرتين وعديد من المرات ، في العمل والسوق والبيوت ،في اليقظة وفي الاحلام **« ايها الاخوة .. كفى كفى .. يجب أن ندافع عن انفسنا . انكم لترون ان هذا البناء سيدفننا ، سيلتهمنا . اولادنا ايضا سيتعبون من العمل فيه سخرة ، اذا بقي بعضنا . إنما تهيأ لنا هذه الابادة،لا شيء آخر.ان الحفاة والمسيحيين ليسوا في حاجة الى جسر.الاتراك همالذين يريدون الجسر.نحن لا نسوق قطعانا من الماشية ولا نقوم بتجارة واسعة ، والمركب يكفينا بل يزيد على حاجتنا . لذلك اتفق نفر منا على ان نذهب في الليل تحت جنح الظلام نقلب ما بنى وشيد ونحطمه ما وسعنا التحطيم ، وعلى ان نروج بين الناس ان الجن هى التي تهدم البناء وانها لن تسمح باقامة جسر على نهر درينا »** .

وتوالت اعمال التخريب المتقن لكل ما يقوم به العمال اثناء النهار ، فهدد عابد اغا المأمور المكلف بالحراسة بقطع راسه اذا لم تقف اعمال التخريب ويقبض على الجناة ، وامهله ثلاثة ايام تمكن المأمور في آخرها من القبض على «راديسلاف» .. وصمم عابد اغا على اعدامه بالموت البطيء فوق الخازوق ليرفعه على قمة الجسر ويشاهده جميع افراد الشعب حتى لا يجول بمخيلة احدهم ان يقترف عملا مشابها للعمل الذى كان يقوم به راديسلاف وجماعته . ويستعير ايفو اندريتش بعض المشاهد منقصةصلبالمسيح ، فيصور راديسلاف فيموكب الاعدام، كماكان المسيح فيموكب الصلب، ثميصور عملية ثقبه من اسفل وادخال الخازوق ونفاذه من قمة كتفه قريبا من الاذن ، حتى يتفادى تمزيق الاحشاء والاعضاء الحيوية ليبقى عليه « حيا » اطول فترة ممكنة من العذاب .. تماما كعملية ثقب ارجل المسيح وتثبيتها مع يديه بالمسامير على خشبة الصليب ، وتضفير اكليل من الشوك ووضعه فوق راسه .. ثم تركه الجلاد فوق هذه القمة العالية ، كما رفع المسيح ايضا على الجلجثة الى غروب الشمس. **« وكان يسيل على الخازوق خيط نحيل من دم . اما الرجل فما يزال حيا ، ولم يغم عليه : جنباه يرتفعان ويهبطان ، وشراينه تخفق على رقبته ، وعيناه تستديران ببطء لكنهما لا تثبتان ، ومن بين اسنانه المزوزة تخرج دمدمة يميز سامعها في شيء من العناء كلمات متقطعة : أتراك .. أتراك .. أتراك على الجسر .. افطسوا كالكلاب .. موتوا كالكلاب »** . وكانت هذه آخر كلماته في الحياة فقد لفظ بعدها أنفاسه الاخيرة ، واشترى بعض رفاقه الجثة من الحارس ودفنوها في مكان غير ظاهر حتى لا يتعرض أحد منهم لعقاب عابد اغا الذى أمر بترك الجثة للكلاب .

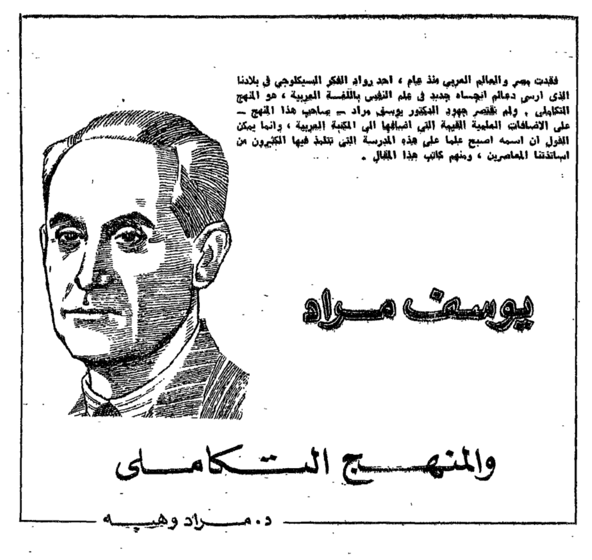
حين قلت أن ايفو اندريتش استعار بعض المشاهد من قصة صلب المسيح ، لم أكن أعنى فحسب المشاهدفيتركيبتها الماديةالصرفة، وانماكنت اقصد ذلك الخيال الاسطورى الذى تفننت الاجيال في نسجه ، وراح الكاتب يحاول تفسيره حقا ، ولكنه خضع — من الناحية الفنية البحتة — لسيطرة هذا الخيال الشعبي .. حتى انه يصف

من شاهدوا الجثة المعلقة فوق اعلى الجسر على خازوق أخذوا يشبهونها **«تمثالا فوق ذروة، باقيا لا يفنى ، سيظل هناك الى الابد»ويتهامس بعضهم « أنهم يدركون الان مدى ما ارتفع اليه من امتياز وعظمة » وهى عبارات تكاد ترادف حرفيا بعض آيات الانجيل عن صلب المسيح . « وفى تلك الليلة التى هبط ظلامها فجأة ، حدث فى صفوف العمال هيجان واضطراب غريبان لا يفهمان حتى ان اولئك الذين كانوا قبل ذلك لايحبون ان يسمعوا شيئا فى التخريب والمقاومة أصبحوا الان على استعداد لتقديم اكبر التضحيات »** . وكان استشهاد راديسلاف هو بداية **«الدعوة الجديدة»** للمقاومة، هو رمزها ، وبطلها الميت الحى على الدوام . هذا **« الخيال الشعبى »** السائد على قصة بناء الجسر لم يتخفف الكاتب من جموحه الا فى الاجزاء الاخيرة، التى يمتزج فيها الواقع بالتاريخ بالخيال . على أن هذا الخيال الشعبى هو الدعامة الرئيسية فى بناء « جسر على نهر درينا » ، ولذلك تم تشييد البناء فى صورة الحواديت التى لا يربط بينهـا سوى الجسر ، وهى الحواديت التى لا تختلف من حيث الجوهر عن الحدوتة الاولى .. فجاءت القصة اشبه ما تكون بملحمة روائية أقرب منهـا الى الرواية النثرية المألوفة ..

ولعل طغيان الخيال الشعبى على خيال الكاتب، هو الذى دفعه لان يستسلم لرمز البطولة الكامن فى الصراع بين الشعب والجسر .. ولكنها تتخذ شكل البطولة الفردية التقليدية فى الملاحم الشعبية : هذا هو البطل الخارق لكل ما هو عادى ومألوف ، البطل الساحر بكلماته وافعاله ، بحياته وموته .. وهو البطل الذى لا يموت بموته ، وانما تستمر « دعوته » أو « مقاومته » فى ضمير العصور والاجيال ، تنتقل من نصر الى نصر ومن فداء الى فداء فى حركة ملحمية لا نهاية لها . هـذا المعنى للبطولة لا نجده الا فى التراث الفولكلورى لمختلف الشعوب ، ولقد تأثر به الكاتب اليوغوسلافى تأثرا كبيرا .. فالمأمور الذى قبض على راديسلاف اصابه الجنون ، وعابد أغا عزل من وظيفته بتهمة اختلاس الاموال ، ومحمد باشا الوزير نفسه مات صريعا بطعنة دامية على باب المسجد . وكان راديسلاف فى قبره يملك أن يطيح بأعناق قاتليه ، الواحد بعد الاخر .. هذه القدرة الخارقة لميت ليست الا صفة من صفات البطل الفولكلورى .

وهكذا نعثر على أوجه التشابه التى تزداد فى طريقنا كلما تصفحنا « جسر على نهر درينا » و « اولاد حارتنا » لنجيب محفوظ .. كلاهما صياغة حديثة للتاريخ ، وكلاهما يسيطر عليه الخيال الشعبى المعجز ، وكلاهما يصور الصراع الابدى بين الانسان والوجود . الا انه بينما تغرق « أولاد حارتنا » فى بحار التجريد للدرجة التى تبهت معهـا معالم الصراع التاريخى وتصبح كل مرحلة تاريخية صورة مكررة تدعو للاملال ، ينتشل ايفو اندريتش روايته من هذا المزلق الفنى الخطير بأن يبنى جسره « على نهر درينا » لا فى أى مكان آخر ، ومنذ بداية القرن السادس عشر الى بداية القرن العشرين ، لافى أى زمان آخر مجرد . هذا الحيز من المكان ، وذاك الحيز من الزمان فى « جسر على نهر درينا » اتاح تفاعلهما الخصب الخلاق أن يثمر رمزا غير قابل للفناء ، رمزا شاملا للبعد الانسانى والقومى والاجتماعى ، ولكنه — عند آخر سطر من الرواية — هو رمز البطولة الانسانية فى مقاومة الزمان والمكان .





فقدت مصر والعالم العربي منذ عام ، احد رواد الفكر السيكلوجي في بلادنا الذى ارسى دعائم اتجاه جديد فى علم النفس باللغة العربية ، هو المنهج التكاملى ، ولم تقتصر جهود الدكتور يوسف مراد — صاحب هذا المنهج — على الاضافات العلمية القيمة التي اضافها الى المكتبة العربية ، وانما يمكن القول ان اسمه اصبح علما على هذه المدرسة التى تتلمذ فيها الكثيرون من اساتذتنا المعاصرين ، ومنهم كاتب هذا المقال .

يوسف مراد والمنهج التكاملى

د . مراد وهبه

قولى لهم .. انني احبهم جميعا .

آخر كلمات قالها يوسف مراد لابنه قبل موته بدقائق معدودات فجر الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٦ .

والسامع لهذه الكلمات لابد له من سؤال : لماذا هذه الكلمات ؟ هل تعني ان الحب ، عند يوسف مراد ، فى حاجة الى اثبات .

جواب السؤال هو ان جوهر الوجود المتزمن بالزمان ، فى رأى فيلسوفنا ، صراع وتوفيق فى آن واحد ، بمعنى ان كل وجود لا يتم الا بفضل عامل من العوامل وعلى الرغم منه :

حياة بفضل الموت وعلى الرغم منه ، جديد بفضل القديم وعلى الرغم منه ، حرية بفضل العبودية وعلى الرغم منها ، حب بفضل الكراهية وعلى الرغم منها .

والحركة المعبرة من كل هذا ماذا تكون ؟ هل هي حركة تسير الى الامام وفى خط مستقيم كالحركة الميكانيكية ؟

لا يمكن أن تكون كذلك .

لماذا ؟

لان الحركة الميكانيكية حركة آلية تخلو من المتناقضات ، والخلو من المتناقضات يمنع الوجود ن الحركة والتطور .

اذن هل هى حركة دائرية ؟

ليست هى كذلك ايضا .

لماذا ؟

لان الحركة الدائرية تعود بالمتحرك الى نقطة البدء فتؤدى فى النهاية الى الجمود والثبات بينما الوجود تجديد وتطور .

لابد اذن ان تكون الحركة دائرية لولبية .

لماذا ؟

لان المقصود من هذه التسمية ، عند يوسف مراد ، ان التطور لا يسير طبقا لخط مستقيم مطرد ، كما ان الارتقاء ليس تقدما الى الامام ثم نكوص الى الوراء بحيث يعود الامر الى نقطة البدء . بل ان فى كل نمو نكوصا وتراجعا الى حد ما .

ولماذا هذا الحد الما ؟

لان النكوص الكامل يعود بنا الى نقطة البدء . اما النكوص الناقص فهو يعنى الرجوع قليلا الى الوراء استعدادا للوثبة القادمة وهي وثبة تحمل الكائن النامى الى ابعد مما وصل اليه فى المرحلة السابقة . وهكذا تتعاقب الوثبات او الطفرات من اجل تحقيق الغاية التى يريدها الكائن الحى .

ونسأل : ما الغاية التى يريدها الكائن الحى ؟

تحقيق التكامل ليس الا . هذا هو جواب يوسف مراد .

يبقى ان المنهج المفروض اتباعه فى دراسة الكائنات الحية هو منهج تكاملى بالضرورة .

وقد استخلص يوسف مراد معالم هذا المنهج اثناء دراسته فى باريس للحصول على اجازة دكتوراه الدولة . وقد حصل عليها فى يناير ١٩٤٠ برسالتين احداهما رئيسية والاخرى تكميلية .

عنوان الرسالة الرئيسية « بزوغ الذكاء — دراسة فى علم النفس التكوينى والمقارن » .

وعنوان الرسالة التكميلية « علم الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازى » .

وقد اشرف على الرسالة الرئيسية العالم الفرنسى الكبير بول جييوم الذى قال عنها « ان من بين مميزاتها انها تقدم لعلماء النفس الفرنسيين حقائق ونتائج تجريبية هم للاسف يجهلونها » .

ولهذا نسأل : ما الجديد فى هذه الرسالة ؟

الجديد هو المنهج فقد لاحظ يوسف مراد ان ثمة منهجين يعتمد عليهما علماء النفس لتفسير السلوك الانسانى .

منهج يعتمد على التفسير التكوينى ، وذلك بأن يربط بين الماضى والحاضر ، اى بين السلوك كما هو مشاهد الان ، وبين ما اكتسبه الفرد فى تجاربه السابقة .

ويرى يوسف مراد ان العيب فى هذا المنهج هو التفسير بربط المعلولات بالعلل . وهذا الربط يجرد الحياة النفسية من كل حرية ، ويخرج من دائرة علم النفس عاملا اساسيا من عوامل تكوين الخلق وهو الارادة .

ومنهج آخر يستند الى التفسير الشبكى ، بمعنى انه يتناول مظاهر السلوك الانسانى كما يبدو فى اللحظة الراهنة .

وخطأ هذا المنهج ، فى رأى فيلسوفنا ، هو انه يعزل الانسان عن ماضيه ، فى حين ان مضمون الشعور كما هو الان ليس الا جزءا من الحياة النفسية كلها .

وكان لابد ليوسف مراد من التنقيب عن منهج جديد يخلو من هذه العيوب . وكان هو المنهج التكاملى .

غير ان هذا المنهج الجديد ليس مجرد ضم وتجميع للمنهج التكوينى والمنهج الشبكى . ذلك ان هذين المنهجين لا يعطيان اهمية الا للماضى والحاضر ، فى حين ان المستقبل له اهمية كذلك .

واين تكمن اهمية المستقبل ؟

تكمن فى ان لكل كائن حى غاية يريد ان يحققها ، وهو لن يحققها الا فى المستقبل .

وهل فى الامكان تحديد هذه الغاية ؟

نعم ، بدراسة العوامل ، كل عامل فى مرتبته الخاصة وبالقياس الى سائر العوامل التى تتجه نحو التكامل .

ثم نزيد الامر وضوحا فنضرب مثالا لذلك بشخصية الانسان فنلاحظ ان ثمة مجالات ثلاثة تدخل فى تشكيل شخصيته ، هى المجالات البيولوجية والنفسية والاجتماعية التى تسهم فى توليد مراحل التكوين والنشوء بعضها من بعض ، واظهار الوظائف الجديدة وتنميتها وتفاعلها .

ولكن هل ثمة تكامل لكل مجال من هذه المجالات الثلاثة ام لكل فيما بينها ؟

التكامل مكفول لكل مجال على حدة ، ولجميع المجالات الثلاثة فيما بينها .

ونسأل : ما هو اذن عامل التكامل البيولوجى ؟

ويجيب يوسف مراد بأن لهذا التكامل عوامل ثلاثة :

العامل الاول : داخلى هو الجهاز الدورى المتشعب فى جميع انحاء الجسم .

والعامل الثانى : هو الجهاز العصبى ويحقق تكيف الكائن الحى مع الخارج .

والعامل الثالث : هو الجهاز السمبتاوى ويصل بين الجهاز الدورى والجهاز العصبى .

وهذه العوامل الثلاثة عندما تعمل بانسجام يقال عن الكائن الحى انه فى حالة تكامل .

وما هو عامل التكامل السيكولوجى ؟

انه الذاكرة .

ولماذا الذاكرة بالذات ؟

لان الذاكرة هى القدرة على تركيز خبرات الشخص فى الذات الشاعرة ، وربط هذه الخبرات فى الزمان . ذلك ان الانسان لا يعيش فى اللحظة الحاضرة ، بل كل خبرة راهنة هى بمثابة امتداد للماضى وتمهيد للمستقبل .

يبقى عامل التكامل الاجتماعى فما هو ؟

انه اللغة .

لماذا ؟

لان عامل التكامل يشترط فيه الثبات . وعامل الثبات الذى يحقق التكامل الاجتماعى هو ، من غير شك ، اللغة ، اللغة ذات المعانى الثابتة الى حد بعيد والتى تقوم بين المتكلمين بها بالدور عينه الذى تقوم به العملة فى المعاملات التجارية .

وهل الشخصية المتكاملة بهذا المعنى يمكن تحقيقها ؟

يقرر فيلسوفنا ان الشخصية المتكاملة امر مثالى ، وان ما نشاهده هو السعى نحو تحقيق التكامل ، اى السعى نحو تحقيق هذا التوازن غير الثابت ، والذى لا يثبت إلا بقدر ما يقاوم كل ما يهدده من عوامل الانحراف والتفكك .

ومن ثم فان التكامل ينطوى بالضرورة على التفكك . غير ان التفكك ينبغى ان يقف عند حد معين لا يتجاوزه والا تحول الانسان الى شخصية مرضية .

فما هو اذن هذا الحد ؟

هذا الحد انما يتحدد بفضل التفرقة التى نصطنعها بين الشخص المتكامل والشخص غير المتكامل .

الشخص المتكامل هو الذى يكشف غرضا مشتركا خلال الاختلافات القائمة بينه وبين الاخرين . ومعنى ذلك ان ما يقوم بين الشخص المتكامل وبين الاخرين من اختلاف ينبغى ان يؤدى به الى التعاون مع الاخرين . وهذا مايشير اليه المنهج التكاملى : تعاون بفضل الاختلاف وعلى الرغم منه .

اما الشخص غير المتكامل فهو الذى يقاوم الاختلافات بينه وبين الاخرين ، ويرفض البحث عن غرض مشترك خلال هذه الاختلافات ، بل يزيد الصراع عنفا والتوتر شدة بينه وبين معارضيه . فهو يلجأ الى الامر والنهى تارة او الى التهديد تارة اخرى ليصل الى اغراضه التى لا تقبل فى نظره اى تعديل او تغيير . وفى كلمة واحدة يقول يوسف مراد ان الشخص غير المتكامل هو شخص مسيطر .

والسيطرة ماذا تخفى وراءها ؟

انها تخفى الخوف . فالخوف يسود المسيطر مما يهدده من تغيير مفاجىء .

ولهذا فان السلوك المسيطر قريب الشبه من السلوك العصابى مثل حالات المخاوف المرضية والافكار المتسلطة ، لان سلوك العصابى لا يمكن ان يخلو من عنصر الخوف .

ويرجع الفضل فى الكشف عن العلاقة بين الخوف وبين العصاب Neurosis وهو مرض نفسى الى مدرسة التحليل النفسى . ومن هنا يمكن القول بأن يوسف مراد قد تأثر بهذه المدرسة فى الكشف عن عوامل التكامل وعوامل التفكك .

بيد ان هذا التأثير انما هو الى حد . فنفس الانسان ، فى نظر فرويد مؤسس التحليل النفسى ، تنطوى على صراع بين قوتين او مجموعتين متضادتين من الدوافع هما غريزة الموت وغريزة الجنس . ويرى فرويد ان الغلبة فى نهاية الامر لغريزة الموت ، اى للسيطرة والاعتداء وهلاك المجتمع . وقد نشر فرويد هذا الرأى فى كتابين احدهما بعنوان « مستقبل خداع » The Future Of An Illusion والثانى بعنوان « المدنية وما تنطوى عليه من عدم الرضى » Civilization And Its Discontents . فى حين ان يوسف مراد يقرر ، على الضد من فرويد ، ان الغلبة للحب ، اى ان الغلبة لعوامل التكامل ، وليس لعوامل التفكك .

ودليله على ذلك نمو الطفل ذاته وتكامل شخصيته . فالطفل لا تكتمل شخصيته الا بالحب الذى تمنحه اياه امه . وحرمان الطفل من هذا الحب هو الذى يؤدى الى تفكك شخصيته . اذن التفكك هو نتيجة لغياب الحب ، هو رد فعل وليس فعلا اصيلا .

ودليله كذلك تقرير نشرته المنظمة الدولية للصحة بالاتفاق مع لجنة الامم المتحدة للشئون الاجتماعية بعنوان « عناية الام وصلتها بالصحة النفسية » . يقول التقرير ان الاطفال الذين حرموا من عناية الام ونشأوا فى مؤسسات قد احدث هذا الحرمان نقصا بليغا فى تكوين شخصيتهم فتكونت فيهم اتجاهات عدوانية نحو المجتمع .

ومن ثم يخلص يوسف مراد الى نتيجة هامة وهى ان العوامل النفسية تلعب دورا فعالا فى تحديد الاتجاهات الاجتماعية . الامر الذى دفعه الى الاهتمام بتحديد العلاقة بين العوامل النفسية والعوامل الاقتصادية فى النشاط الاجتماعى . وقد انتقى مجال العمل فى المؤسسات العمالية وهو المجال الذى تتضح فيه معالم هذه العلاقة .

ثم اثار السؤال التالى : ما الدافع الذى يأتى فى المرتبة الاولى عند العامل ؟

قد يقال ان الاجر يأتى فى المرتبة الاولى . هذا القول ، فى اعتقاد يوسف مراد ، هو قول صائب غير انه قول مقتضب وناقص . ذلك اننا اذا سألنا العامل : هل ترضى بالاجر الذى تكسبه مهما تكن ظروف العمل ؟ فانه اما ان يتردد فى الاجابة او يجيب صراحة بالنفى . ومعنى هذا ان الحصول على الاجر فى صورة مبلغ من المال ليس هو الباعث الاهم .

ودليله على ذلك ان ثمة تجارب اجريت على ترتيب دوافع العمل فوجد ان الاجر المرتفع ترتيبه السادس او السابع ، وان الرغبة في الترقي تأتي في المرتبة الاولى بما تنطوي عليه من تقرير مهني واجتماعي .

والنتيجة المحتومة بعد ذلك غلبة المعنويات على الماديات . وهذه النتيجة متسقة مع نظرية يوسف مراد في الانسان . فان ما يميز الإنسان من الحيوان ، في رايه ، هو قدرته على التجريد والتعميم ، في حين ان قدرة الحيوان مقصورة على النشاط الحركي والحسي . ومن طبيعة الحواس ان تكون آلات انفعال لا آلات فعل . اما التفكير فهو آلة فعل . والعلم يستند على التفكير اكثر من استناده على الحواس . ذلك ان العلم مجموعة منظمة من الحقائق الكلية .

ويترتب على هذه التفرقة بين الحسي والعقل وجود نوعين من الفهم : الفهم الحسي والفهم العقلي .

الفهم الحسي سطحي لانه عبارة عن اقامة المقارنة بين امرين جزئيين بدون محاولة ربطهما بحقيقة كلية نظرية . اما الفهم العقلي فهو عميق لانه يقوم على المعنى الكلي ، المعنى المجرد . والمعنى المجرد هو القانون الذي يصلح تطبيقه على عدد لا نهاية له من الحالات الجزئية .

وبفضل التفرقة بين هذين النوعين من الفهم يدعو يوسف مراد الى تغيير نظرتنا الى شئون التربية والتعليم خاصة وان رجال التعليم في الاوساط الجامعية يشكون من انحطاط مستوى التعليم . فهذا الانحطاط مردود ، عنده ، الى الطريقة التي نقدم بها الاغذية العقلية ، انها تجسيم المعلومات في اشكال حسية ، اي في امثلة بصرية او عملية . بيد ان يوسف مراد لا يعترض على استخدام التجسيم في المراحل الاولى من التعليم ، ولكنه يدعو الى الاقلال من استخدامها في المراحل التعليمية التالية حتى يمكن اتاحة الفرصة للعقل لممارسة وظيفته الطبيعية وهي التجريد والتعميم .

ومن شأن هذه الوظيفة تنشيط عملية التعليل . والتعليل لا يقف عند حد معرفة العلل القريبة بل يتجاوزه الى معرفة العلل البعيدة والعلل القريبة موضوع العلم ، والعلل البعيدة موضوع الفلسفة . ومن ثم فان الفلسفة متممة للعلم بالضرورة .

ويوسف مراد نفسه لم يكن مجرد عالم من علماء النفس ، بل فيلسوف كذلك (١) . وفلسفته مندمجة مع مؤلفاته ومقالاته السيكلوجية . وقد حاول ان يبلورها في كتاب بعنوان «افهم نفسك» .. بيد ان الكتاب ظل مجرد مشروع ، ولم يظهر منه الا اربع مقالات نشرها في « المجلة » عام ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ وهي على التوالي : معرفة الاخر — اللغز الاكبر — الواجب الاكبر — عقبات في الطريق .

وواضح من عنوان المقالة الاولى «معرفة الاخر» ان نقطة البداية هي المعرفة . وهو يرى ان تاريخ الفلسفة ليس الا تاريخ المعرفة . ومن هذه الزاوية ينقسم تاريخ الفلسفة الى ثلاث مراحل :

- معرفة الطبيعة عند الفلاسفة الطبيعيين ، اي فيما قبل سقراط .
- معرفة النفس ابتداء من سقراط حتى بداية القرن العشرين .
- معرفة الاخر ابتداء من الفينومنولوجيا والفلسفة الوجودية .

تفصيل ذلك : ظل فلاسفة اليونان الاوائل يتأملون الطبيعة ومظاهرها المتعددة المتغيرة ، ثم يكشفون عن العناصر الاولية والاصول الاساسية التي ترد اليها هذه المظاهر .

ثم جاء سقراط والح على ضرورة دراسة الانسان لنفسه قبل مواصلة البحث في الكشف عن اسرار الطبيعة ، اذ ان معرفة الانسان للعالم الخارجي مرهونة بمعرفته لنفسه .

وقد يقال — ردا على يوسف مراد — ان شعار سقراط « اعرف نفسك بنفسك » يفيد ان معرفة الانسان لنفسه تتم بمعزل عن العالم الخارجي فكيف يمكن القول بأن معرفة الانسان لنفسه وسيلة الى معرفة العالم الخارجي .

غير ان يوسف مراد يرى ان ثمة خطأ شائعا في تأويل هذا الشعار السقراطي . فسقراط لم يقل «اعرف نفسك بنفسك» ، بل قال « اعرف نفسك انت » Connais toi, toi meme الخطأ اذن خطأ في الترجمة العربية ادى الى خطأ

---

(١) جاء في المذكرة المرفوعة الى مجلس الكلية من عميد الكلية ، في فبراير ١٩٤٠ ، بشأن ترشيح يوسف مراد مدرسا لعلم النفس بقسم الفلسفة مايلي :

« والدكتور يوسف مراد فيلسوف متخصص في علم النفس وبالاخص ما هو متعلق منه بالاطفال والحيوانات . ونعتقد الكلية انه سيواصل في مصر عمله العلمي وابحاثه لانه يحب مولده حقا . وقد كانت نتيجة عمله في البعثة مشرفة له ولبلده وللجامعة التي تخرج فيها »

فى فهم سقراط . ودليله على ذلك ان سقراط لا يعتقد ان فى امكان الانسان ان يعرف نفسه بنفسه دون الاستعانة بتوجيه ممن هم ادرى منه بشئون النفس . وطريقة سقراط فى طرح السؤال تلو السؤال على مستمعه دليل على ان الانسان فى حاجة الى غيره لكى يكشف اسرار نفسه .

وفى نهاية القرن التاسع عشر وجهت الفينومنولوجيا والوجودية التفكير الى اهمية الاخر .

ثم يعرض فيلسوفنا رايه فى الاخر فيرى انه رمز على المجتمع . فاللغة التى يستعملها الفرد وسائر الحركات التعبيرية والايماءات ليست سوى ادوات للاتصال بالاخرين او لمنع الاتصال بهم او لتشويه هذا الاتصال . ومعنى ذلك ان استجابة الفرد للمجتمع حتمية ، غير انها ليست دائما مطابقة لنداء المجتمع . فثمة امكانيات انسانية لا تظهر بفضل المجتمع فحسب ، بل على الرغم منه . ومن هنا مولد الشعور بالذاتية .

ولكن هل يعنى ذلك ان الشعور بالذاتية مناقض للمجتمع ؟

ابدا .. ذلك ان هذا الشعور لا يفيد التناقض مع المجتمع وانما يفيد العلو عليه . فمهما يكن الفرد مدينا للمجتمع فهو يعلو عليه . وهذا العلو هو الذى يتيح لابطال الانسانية ان يطوروا المجتمع .

والنتيجة المحتومة لهذا العلو ان يوسف مراد يقف على الضد من المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى تقرر ان الفرد صورة مكررة من المجتمع ، وان العقل الجمعى هو الاول وهو الاخير .

غير انه يقف على الضد كذلك من المدرسة التى تمجد الفرد وتحقر من شأن المجتمع . فحقيقة الامر ان الانسان يترجح خلال نموه النفسى والاجتماعى بين قطبين متطرفين متضادين كلاهما شر : احدهما هو الانعزال عن المجتمع والانطواء على النفس ، والاخر هو التطابق الاعمى مع المجموعة الصماء وسيطرة روح التطبيع . القطب الاول يؤدى الى تضخم الانانية والى عبادة الذات . والبرج العاجى لا يختلف كثيرا عن حجرة المجنون . اما القطب الاخر فهو يؤدى الى تلاشى الشخصية الحية والاستعاضة عنها بشخصية مزيفة مصطنعة مستعارة والى افناء الفرد داخل الجماعة بل الى عبادة الجماعة .

وليس من مخرج لهذا الترنح غير ظاهرة العلو .

واين نعثر على هذه الظاهرة ؟

نعثر عليها عند البطل على الاطلاق ، وعند الفنان على التخصيص .

ولماذا الفنان على التخصيص ؟

لان مجال الفن هو المجال الذى انجذب اليه يوسف مراد قبل موته بعشر سنوات . فمارس فن التصوير ، وقرأ للفنانين وعن الفنانين وكان السؤال الذى يدور فى رأسه :

ما هو دور الفنان فى المجتمع ؟

وقد القى فيلسوفنا بحثا فى المؤتمر الدولى السابع عشر لعلم الاجتماع الذى انعقد فى بيروت فى الفترة ما بين ٢٣ ــ ٢٩ سبتمبر عام ١٩٥٧ ، بعنوان « الى اى حد يعتبر الفن عاملا من عوامل التكامل الاجتماعى ؟ »

وواضح من العنوان ان يوسف مراد يعارض نظرية الفن للفن . وهو يرى ان هذه الدعوى لا تصدر الا فى عهد الانحلال الاجتماعى .

ثم هو يعارض كذلك القول بأن الفن نوع من اللعب . وهو فى هذه المعارضة يناقض نفسه .

فله مقال بعنوان « المنهج التكاملى وتصنيف الوقائع النفسية » ظهر فى مجلة « علم النفس » (٢) فى فبراير ١٩٤٦ ، جاء فيه ان الفن قد يكون لونا من الوان اللعب ، من حيث ان اللعب ضرب من ضروب الاستجابات الاستبدالية الحركية . غير انه مما يخفف من هذا التناقض استخدام لفظة « قد » . فمن شأن هذه اللفظة ان تفيد بأن الفن قد لا يكون لونا من الوان اللعب .

ماذا يكون اذن فى رأى يوسف مراد ؟

انه لغة ، واللغة عامل التكامل الاجتماعى .

اذن الفن عامل التكامل الاجتماعى .

وما هى الوظيفة التكاملية للفن ؟

---

(٢) فى عام ١٩٤٥ اسس يوسف مراد جماعة علم النفس التكاملى واصدر مجلة « علم النفس » فى نفس العلم بالاشتراك مع الدكتور مصطفى زيور . وكانت تصدر ثلاث مرات فى العام . وصدر آخر عدد منها فى مايو ١٩٥٣ . وفى الصفحة الاولى منه هذا العنوان « صوت يسكت » جاء فيه «بعد هذا العدد وهو العدد الثالث والاخير من السنة الثامنة تتوقف مجلة علم النفس عن الصدور . وسيأسف على احتجابها اصدقاؤها وخصومها . اما الاصدقاء فلتهدم احد المنابر القليلة التى كانت قائمة فى مصر لتسمع من لم تصم آذانهم ثرثرة الثرثارين صوت الثقافة الحقة العميقة . واما الخصوم فسيأسفون على ضياع هذه الفرحة التى كانت تتاح لهم للنيل من حين الى آخر من كرامة صاحب هذه المجلة »

أن الشعور بالاحساس الفنى عامل أساسى فى تكامل الشخصية . وقد اثبتت الابحاث الاكلينيكية ان حالات عديدة من عدم التكيف الاجتماعى سببها نقص فى تنمية الاحساس بالجمال فى مرحلة الطفولة . ثم ان النشاط الفنى لازم فى اوقات الفراغ ، فمن المعروف ان الفراغ يسبب القلق والملل . والعلاج هو النشاط الفنى لانه ينطوى على الابداع ، والابداع كفيل بالقضاء على القلق والملل .

يبقى اذن سؤال عن الابداع الفنى ومدى امكانياته . وفى رأى يوسف مراد أن العمل الفنى ليس مجرد تقليد للواقع . انه يستند على الواقع ، ولكنه يقوم بتشكيل المعطيات التى يقدمها له الواقع ، وهذا التشكيل هو الذى يعبر عن ذاتية الفنان » .

هذا هو يوسف مراد .. فيلسوف وعالم وفنان . وهذه افكاره فى ايجاز . احدثت تأثيرا فى طلابه من اهل العلم والمعرفة . وثمة بصمات تشير الى هذا التأثير فى مؤلفات الدكاترة سامى الدروبى وصبرى جرجس ومصطفى سويف ومحمود امين العالم وبديع الكسم وصاحب هذا المقال .

الأعمال العلمية ليوسف مراد

أولا : الكتب المؤلفة

١ - بزوغ الذكاء - دراسة فى علم النفس التكوينى والمكان، باريس ١٩٣٩

L' Eveil de L' intelligence ; Etude de Psychologie gènètique et comparèe, paris 1939

٢ - علم الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي ، باريس ١٩٣٩

La Physiognomonie Arabe Et Le Kitab Al, Firasa de Fakhr Al Din Al - Razi, Paris, 1939

٣ - شفاء النفس ، دار المعارف ، ١٩٤٣

٤ - مبادىء علم النفس العام ، دار المعارف ، ١٩٤٨

٥ - سيكلوجية الجنس ، دار المعارف ، ١٩٥٤

٦ - دراسات فى التكامل النفسي، مؤسسة الخانجى، ١٩٥٨

٧ - علم النفس فى الفن والحياة ، دار الهلال ، ١٩٦٦

ثانيا : الكتب المترجمة والتى راجع ترجمتها وكتب مقدمتها

أ - الكتب المترجمة

١ - مدخل الى دراسة الطب التجريبى تأليف كلود برنار ، بالاشتراك مع عبد الله سلطان، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٤٤

ب - الكتب التى راجع ترجمتها وكتب مقدمتها

١ - ميادين علم النفس ، جزءان ، دار المعارف ، ١٩٥٥

٢ - مناهج البحث فى علم النفس ، جزءان ، دار المعارف، ١٩٥٩ - ١٩٦١

اشترك فى تأليف وترجمة هذين الكتابين عدد من علماء النفس الامريكيين والعرب ، اشرف على تأليف الاول جيلفورد وعلى تأليف الثانى اندروز ، واشرف على الترجمة وكتابة المقدمة ، وقام بعمل الفهارس واثبت التحليل للمواد وثبت الاعلام وقاموس المصطلحات يوسف مراد ، واستغرق نشر هذين الكتابين اربع سنوات ، وهذان الكتابان من المراجع الاساسية فى علم النفس .

٣ - مبادىء علم الجمال، تأليف لالو وترجمة دكتور مصطفى ماهر ، الناشر عيسى البابى الحلبى ، ١٩٥٩

٤ - اصالة الثقافات ، نشر باشراف اليونسكو عام ١٩٥٤ ترجمة دكتور حافظ الجمالى .

٥ - سيكلوجية الصيغة ، تأليف بول جيوم وترجمة دكتور صلاح مخيمر والاستاذ عبده رزق ، دار المعارف

ثالثا : كتب غير منشورة

١ - سيكلوجية الجهد من عهد الفلسفة اليونانية حتى الدراسات التجريبية فى القرن العشرين - رسالة قدمها يوسف مراد لجامعة السوربون للحصول على دبلوم الدراسات العليا

٢ - العبقرية والجنون .

رابعا : المقالات المترجمة من الانجليزية الى الفرنسية

ونشرت فى مجلة علم النفس الفرنسية عام ١٩٣٧

١ - وليم ميكدوجل : تجربة لامريكية ذات نتائج ايجابية

٢ - ك . ف . سبنس : استجابات امهات الشمبانزي لصغارها بعد فصلها عنها

مقالة مترجمة من الفرنسية الى العربية

هنري فالون : اثر الاخر في تكوين الشعور بالذات ، مجلة علم النفس ، اكتوبر ١٩٤٦.

خامسا : المقالات

أولا ـ باللغة الفرنسية

١ ـ عرض كتاب في « لغة الطفل » في مجلة علم النفس الفرنسية ، ١٩٣٨

٢ ـ تلخيص لاعمال المؤتمر الدولى الحادى عشر لعلم النفس في المجلة الطبية الفرنسية ، ١٩٣٨

٣ ـ « البناء الاساسى للكائن الحى » في مجلة كلية الاداب مجلد (٧) ، ١٩٤٤ .

٤ ـ « سلوك الجهد عند بير جانيه » في مجلة علم النفس مجلد (٥) ، فبراير ١٩٥٠ .

ثانيا : باللغة العربية

أ ـ في مجلة « الكتاب »

١ ـ تذوق الجمال ، نوفمبر ١٩٤٦

٢ ـ اثر الجمال في انفعال النفس ، يناير ١٩٤٨

٣ ـ الام وطفلها الرضيع ، ديسمبر ١٩٥٢

٤ ـ عالم النفس : سيجموند فرويد ، يناير ١٩٥٣

ب ـ في مجلة « علم النفس »

١ ـ نواة لقاموس علم النفس ـ مصطلحات علم النفس ، يونيو ١٩٤٥

٢ ـ تمهيد لدراسة نفسية المراهق في مصر والاقطار العربية، مع ملخص بالفرنسية ، اكتوبر ١٩٤٥

٣ ـ مصطلحات علم النفس ، اكتوبر ١٩٤٥

٤ ـ المنهج التكاملي وتصنيف الوقائع النفسية ، مع ملخص بالفرنسية ، فبراير ١٩٤٦

٥ ـ مصطلحات علم النفس ، فبراير ١٩٤٦

٦ ـ نمو الطفل العقلي وتكوين شخصيته ، يونيو ١٩٤٦

٧ ـ مصطلحات علم النفس ، اكتوبر ١٩٤٦

٨ ـ الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي ، مع ملخص بالفرنسية ، فبراير ١٩٤٧

٩ ـ علم النفس الصناعي وضرورة تطبيقه في مصر ، فبراير ١٩٤٨

١٠ ـ مصطلحات علم النفس ، فبراير ١٩٤٨

١١ ـ بعض نواحي علم النفس الجنسيانى من الوجهة التكاملية ، اكتوبر ١٩٤٨

١٢ ـ التمويه في ضوء علم الحياة وعلم النفس ، يوليو ١٩٤٩

١٣ ـ من الاستبطان الى التحليل النفسي ، فبراير ١٩٥٢

١٤ ـ منهج التحليل النفسي وطبيعته التكاملية ، يوليو ١٩٥٢

١٥ ـ علم النفس في خدمة الانتاج القومي ، اكتوبر ١٩٥٢

١٦ ـ حول مشكلة الوراثة والبيئة ، اكتوبر ١٩٥٢ .

١٧ ـ صوت آخر يسكت ، فبراير ١٩٥٣

هذا خلاف مساهمته في تحرير باب « الكتب الجديدة » وباب اخبار علم النفس في مصر والخارج .

جـ ـ في « الكتاب السنوى لعلم النفس » ، ١٩٥٤

١ ـ الجنسية من الوجهة البيولوجية في ضوء المنهج التكاملي

٢ ـ زيادة القدرة الانتاجية لدى العمال

٣ ـ دراسات حديثة في علم النفس الاجتماعي في الاوساط المدنية والعسكرية

٤ ـ دراسات حديثة في علم النفس الصناعي

٥ ـ تصنيف النماذج الجسمية والمزاجية حسب شلدن

٦ ـ تجارب « ايمس » في الادراك

هذا بالاضافة الى عرض مختصر لثلاثة كتب جديدة

د ـ في مجلة « حياتك »

١ ـ التعبير التلقائي ، اكتوبر ١٩٥٧

٢ ـ الصمت المبدع ، ابريل ١٩٥٨

٣ ـ سيكلوجية النشاط الفني ، اكتوبر ١٩٥٩

٤ ـ الاتجاهات الراهنة في الفن المعاصر ، نوفمبر ١٩٥٩.

٥ ـ تطور الاسلوب الفني ، ديسمبر ١٩٥٩

٦ ـ مشكلة الابداع الفني ، يناير ١٩٦٠

٧ ـ طبيعة الفن ، فبراير ١٩٦٠ ـ قرين برسوم بريشة يوسف براد

٨ ـ حول مشكلة الالهام ، يناير ١٩٦١

٩ ـ التحليل النفسي والابداع الفني ، فبراير ١٩٦١

١٠ ـ التحليل النفسي والنقد الادبي .

هـ ـ في مجلة « العربي »

١ ـ العلاج النفسي عند القدماء والمحدثين ، مايو ١٩٦٠

٢ ـ امراض النفس ، كيف تطور علاجها ، نوفمبر ١٩٦٠

٣ ـ عقدة اوديب ، اغسطس ١٩٦٢

و ـ في مجلة « الصحة النفسية »

الاتجاهات الحديثة في مجال الامراض النفسية،سبتمبر ١٩٥٨.

ز ـ في مجلة « المجلة »

١ ـ علم النفس الوجودى ، اكتوبر ١٩٦١

٢ ـ فرويد والقرن العشرون ، ديسمبر ١٩٦١

٣ ـ قصة مايكل انجلو ، يونيو ١٩٦٢.

٤ ـ معرفة الاخر ، نوفمبر ١٩٦٢.

٥ ـ بشر فارس ، ابريل ١٩٦٣

٦ ـ اللغز الاكبر ، مايو ١٩٦٣

٧ ـ الواجب الاكبر ، يونيو ١٩٦٣

٨ ـ عقبات في الطريق ، يوليو ١٩٦٣

٩ ـ اوجين دي لاكروا .. والحركة الرومانتيكية .

ح ـ في جريدة « وطنى » خلال عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦٠.

١ ـ مشكلة القلق

٢ ـ الفلسفة ضرورة حيوية

٣ ـ الطفولة ينبوع الالهام

٤ ـ محنة النقد الادبي

٥ ـ هل من جديد في فن القصة ؟

٦ ـ السريالية في الفنون التشكيلية

٧ ـ مرور خمسين عاما على كتاب «الروحية في الفن»للفنان المصور كندنسكى

سادسا : ابحاث في مؤتمرات

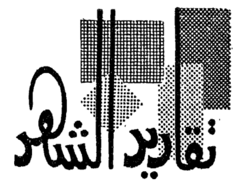
١ ـ « كلية الاداب في خدمة الصناعة » بحث قدم في اسبوع شباب الجامعات عام ١٩٥٤

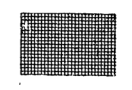
٢ ـ « الى اى حد يعتبر الفن عاملا من عوامل التكامل الاجتماعى ؟ »

بحث بالفرنسية القي في المؤتمر الدولي السابع عشر لعلم الاجتماع المنعقد في بيروت في سبتمبر ١٩٥٧

٣ ـ « الدراسات السيكلوجية في مصر المعاصرة »

بحث ارسل الى مؤتمر الدراسات العربية المنعقد في بيروت في ديسمبر ٩ ـ ١٢ عام ١٩٦٣





● الولايات المتحدة تواصل سياسة الضغط والابتزاز فى الامم المتحدة
● بعثة راسل تتقصى حقائق جرائم الحرب الاسرائيلية
● شعب كوريا مستعد لتلقين أمريكا درسا جديدا

■ الجمهورية العربية المتحدة

احتفالات عيد الفلاحين

فى جو من المرح شهد اكثر من ثلاثة آلاف فلاح فى قرية سندبيس بالقليوبية حتى الصباح احتفالا بعيد الفلاحين .. عيد ٩ سبتمبر .

وقد شهد الاحتفال الساهر الى جانب وزير الثقافة **ثروت عكاشة** وسفير فيتنام الديمقراطية عدد من المثقفين والصحفيين المصريين والاجانب .

وقامت فرق فنية من القليوبية وكفر الشيخ والبحيرة ، والفرقة القومية للفنون الشعبية وعدد من فنانى الشعب بتقديم الوان من الفنون والطرب .

والقى ثروت عكاشة وزير الثقافة كلمة سياسية جاء بها : « ان هدف قانون الاصلاح الزراعى لم يكن توزيع الارض على الفلاح فحسب . بل كان هدفه أيضا تحرير الفلاح من العبودية . وان وزارة الثقافة هى وزارة الفنون والاداب والموسيقى للقاهرة والريف . وأن حلم الثورة ان نقيم فى كل قرية سينما ومسرح .. »

وبين تصفيق وهتاف الفلاحين القى سفير فيتنام الديمقراطية كلمة قصيرة جاء بها : « ان الفيتناميين والعرب يواجهون عدوا واحدا وسينتصرون . وان الاستعمار الامريكى سينهزم على ارض فيتنام وارض العرب . وان الازهار تنمو بالقرب من الخنادق . وتعلو الأغانى والمواويل والاناشيد على صوت القنابل . وعلى الشفاه ترتسم بسمة الواثق من النصر ... »

ولقد كان هذا الاحتفال من تنظيم ادارة الثقافة الجماهيرية .

وفى حدود برنامج محدد سلفا من الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى وامانة الفلاحين اقيمت احتفالات بعيد الفلاحين ظهر يوم ٩ سبتمبر ٦٧ .

وشارك فى احتفالات بعض القرى والمحافظات عدد من اعضاء الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى وامانة الفلاحين والوزراء والمحافظين وكبار المسئولين فى القطاع السام .

وضمت هذه الاحتفالات اعضاء الجمعيات التعاونية واللجان النقابية لعمال الزراعة ومقررى الجماعات القيادية واعضاء المكاتب التنفيذية .

وفى هذه الاحتفالات :

● افتتح **سيد مرعى** وزير الزراعة عددا من المشروعات الزراعية بمحافظة الغربية . والقى كلمة فى المؤتمر التعاونى بقرية « نواج » ، وهى اول قرية مصرية يطبق فيها مشروع التجميع الزراعى للملكيات المفتتة . وقد بدأت هذه التجربة سنة ١٩٥٥ .

● وسلم **عبد الحميد السراج** رئيس مؤسسة التأمين بوليصة تأمين على الحياة مسددة لمدة سنتين هدية من المؤسسة العامة للتأمين لاحد الفلاحين المثاليين .

● ووزع على السيد امين العمال اربعة آلاف عقد تسجيل التمليك النهائى على المنتفعين بقوانين الاصلاح الزراعى الذين سددوا قيمة الارض التى ملكت لهم .

● واهدى **كمال الحناوى** امين الوجه البحرى

جوائز نقدية وعينية الى ابطال الانتاج من الفلاحين .

● كما ان عددا من الماشية وزع على المنتفعين بمشروع ناصر لتربية الماشية .

وقبيل بدء احتفالات عيد الفلاحين اذاع **عبد المحسن ابو النور وسيد مرعى وعبد الحميد غازى** احاديث على الفلاحين .

وخلال بعض الاحتفالات التى عبد الحميد السراج وسيد مرعى وكمال الحناوى ورمزى ستينو وعبد الحميد غازى كلمات سياسية . وقد تناولت الاحاديث التى اذيعت والخطب التى القيت عددا من النقاط منها :

● ان الثورة وجهت اولى ضرباتها للاقطاع والرجعية فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

● ان قانون الاصلاح الزراعى عبر عن ارادة التغيير الشامل ، وكان سبيلا مرحليا للوصول الى مزيد من العدل الاجتماعى .

● ان الثورة كفلت للفلاحين ضمانات بالتأمين عليهم ضد العجز والشيخوخة . والتأمين على المحاصيل والمواشى .

● ان المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ليس هدفها احتلال الارض فقط ، انما القضاء على ثورة ٢٣ يوليو بكل مكاسبها وفى طليعتها قانون الاصلاح الزراعى .

● ان طبيعة المرحلة الحالية تتطلب المزيد من الجهد والعرق وزيادة الانتاج لتدعيم الثورة وحماية البلاد ومواجهة العدوان وتصفية آثاره .

● ان الفلاح المصرى خاض معركة مقاومة دودة القطن اثناء فترة النضال العسكرى ، وقام بتوريد كميات القمح المطلوبة الى جانب التدريب على السلاح .

● ان الفلاح الذى صمد امام جميع الضغوط والمؤامرات وحقق مكاسبه وحريته وتقدمه ، لا يمكن ان يفرط فيها .

والى جانب الاحتفالات ، تناولت المقالات والتعليقات والتحقيقات الصحفية التى نشرت بمناسبة عيد الفلاحين النجاحات التى تحققت فى ميدان تحديد الملكية ، والتسويق التعاونى ، والتجميع الزراعى ، واستصلاح الاراضى ، والخدمات الطبية والثقافية فى الريف .

ولكن البعض تناول زوايا اخرى منها :

● ان كثيرا من ملاك الارض يتهربون من تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى من ناحية حد الملكية ، والايجارات .

● ان اجر العامل الزراعى ما زال يخضع لقانون العرض والطلب ، بحيث يقل فى اماكن معينة عن الـ ١٨ قرشا الذى حدد بعد ٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

● ان قرارات مؤتمرات العمال الزراعيين — التى انعقدت تحت اشراف النقابة العامة للعمال الزراعيين — بالغاء مقاولى الانفار فى الريف لم تنفذ بعد .

● ان الامية ما زالت متفشية بين الفلاحين المصريين ، ومن المعروف ان بلادنا احتفلت بيوم ٨ سبتمبر اليوم العالمى لمكافحة الامية .

● ان الحركة الثقافية والفنية والمسرحية ضعيفة فى الريف . وقد صرح بذلك المسئولون عن ادارة الثقافة الجماهيرية .

● وعزا بعض الكتاب والمعلقين هذه العيوب وغيرها الى انعدام وضعف التنظيم السياسى فى الريف .

فى يوم ٩ سبتمبر ٦٧ احتفل الفلاحون بمرور خمسة عشر سنة على صدور قانون الاصلاح الزراعى الاول — قانون ٩ سبتمبر ١٩٥٢ — الذى حدد الحد الاقصى للملكية الزراعية بمائتى فدان ، والايجارات الزراعية بسبعة امثال الضريبة ، واجر العامل الزراعى بـ ١٨ قرشا ، وسمح بحق التنظيم النقابى فى الريف للعمال الزراعيين .

ويصادف عيد الفلاحين فى ٩ سبتمبر ذكرى عظيمة فى تاريخ الشعب المصرى . ففى مثل هذا اليوم عام ١٨٨١ تحرك الزعيم الثائر عرابى وتقدم بمطالب الفلاحين والشعب للخديو قائلا قولته المأثورة « لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا » .

●

رحلة رياض الى نيويورك بعد عودته من موسكو وبلجراد

قام السيد **محمود رياض** وزير خارجية الجمهورية العربية باتصالات واسعة مع العديد من وزراء الخارجية العرب والغربيين وعلى راسهم وزير الخارجية البريطانى والامريكى وذلك لمناقشة مشكلة العدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط .

ويراس السيد محمود رياض الوفد العربى فى اجتماعات الامم المتحدة التى تناقش ازمة الشرق الاوسط .

وفى باريس توقف وزير الخارجية العربى ، ليجتمع مع الجنرال ديجول وليسلمه رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر .

وقد ادلى رياض فور وصوله الى باريس بالتصريح التالى : « اننا نعتقد ان فرنسا بقيادة

الجنرال **ديجول** تحتل مركزا ممتازا يسمح لها بالاسهام اسهاما فعالا في المجال السياسي للوصول الى حل لازالة آثار العدوان الاسرائيلي. ولتحقيق سيادة السلام القائم على العدل في الشرق الاوسط » .

ووضع رياض الدول الاوربية امام مسئوليتها فقال « ان ازالة آثار العدوان في رأينا يعتبر تحديا يجب ان تشترك فيه جميع الدول . ونحن نرى أن الدول الاوربية بصفة خاصة تستطيع ان تدرك تماما اهداف العدوان الاسرائيلي » .

وقد رد رياض على التصريحات الغربية التي تحاول الفصل بين « القناة » و « العدوان الاسرائيلي » ، فقال « ان العدوان الاسرائيلي كان السبب في اغلاق قناة السويس . مما ادى الى الحاق ضرر كبير بتجارة اوربا » .

وقبيل سفر رياض الى نيويورك ، اجتمع الرئيس عبد الناصر به ، وناقش معه خطة عمل الوفد العربي في اجتماعات الامم المتحدة اثناء مناقشة العدوان الاسرائيلي على المنطقة العربية.

وفي الاسبوع الاول من شهر سبتمبر ١٩٦٧ ، طار رياض الى موسكو وبلجراد . وعاد للقاهرة في ١٢ سبتمبر وصرح بعد عودته « انه يحمل رسائل للرئيس عبد الناصر من قادة الاتحاد السوفيتي والمارشال تيتو ردا على رسائل الرئيس اليهم . وأن زيارته للاتحاد السوفيتي كانت بغرض التشاور . وانه دارت محادثات مثمرة ومفيدة في جو من الصداقة والود القائم بين البلدين . كما كانت زيارته ليوجوسلافيا بغرض مواصلة الاتصالات مع قادتها » .

وفي موسكو عقد محمود رياض اجتماعا مع وزير الخارجية السوفيتية **جروميكو** ، ثم اجتمع يوم ١١ / ٩ بالیکسی کوسیجين رئيس الوزارة السوفيتية ، وليونيد بريجينيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي ، وحضر هذه السلسلة من الاجتماعات بعض المسئولين السوفيت والعرب . وقد تناولت هذه الاجتماعات ازمة الشرق الاوسط والموضوعات المتصلة بتصفية آثار العدوان ودورة الامم المتحدة على ضوء نتائج مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الخرطوم والتطورات الاخيرة في الازمة .

وفي نهاية سلسلة الاجتماعات وقبل ان يغادر موسكو ، صرح محمود رياض لمراسل «الازفستيا» ، « ان المحادثات مع كبار المسئولين السوفيت اوضحت مرة اخرى مدى قوة العلاقات العربية السوفيتية » ، ووصف محادثاته « بأنها كانت بناءة وتمت في جو من الود » .

وقد تخللت محادثات موسكو ، زيارة رياض الى يوجوسلافيا ، التي امتدت ثلاثة ايام ، وقد قابل وزير الخارجية العربي خلالها الرئيس « تيتو » في مدينة زغرب ، وحضر المقابلة عدد من المسئولين اليوجوسلاف والعرب ، كما قابل وزير خارجية يوجوسلافيا ، وخلال هذه المقابلات والاجتماعات عرض وزير الخارجية العربي نتائج مؤتمر القمة العربي على القادة اليوجوسلاف ، وعرضوا عليه بدورهم نتائج الاتصالات التي قام بها القادة اليوجوسلاف مع رؤساء الدول وزعماء العالم .

ووصف محمود رياض مباحثاته في يوجوسلافيا « بأنها كانت بناءة وايجابية ، وانه قد تم الاتفاق على مواصلة المحادثات في المستقبل » .

واثناء زيارة وزير الخارجية العربي موسكو ويوجوسلافيا نشرت الصحافة الغربية والدوائر السياسية في الغرب ، بأن هناك نوعا من الاتفاق بين امريكا والسوفيت حول الشرق الاوسط نتيجة توافق المصالح بينهما .

وقد ردت جريدة « البرافدا » لسان حال الحزب الشيوعي السوفيتي على هذه الحملة ووصفتها بحملة الافتراءات والكذب . واكدت الجريدة ان موقف الاتحاد السوفيتي هو — كما كان — عدم تمكين المعتدى من جنى ثمار عدوانه والاصرار على انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة .

ان كل نتائج اتصالات ومباحثات محمود رياض في موسكو ويوجوسلافيا وصفها وزير الخارجية العربي امام اجتماع مجلس الوزراء في ١٧/٩/١٩٦٧ .

●

الولايات المتحدة تواصل سياسة الضغط والابتزاز

وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة اخيرا على بحث الموقف في الشرق الاوسط في الجلسات العامة . كذلك حددت موعد بدء هذه المناقشات في الاسبوع الثاني من الشهر الحالي . وبذا يتيح ذلك لوفود الدول العربية فرصة اخرى أوسع لاجراء اتصالات مع الوفود الاخرى ، ويعطى للدبلوماسيين العرب صورة اوضح عن موقف الحكومات المختلفة من مشكلة النزاع الحالي في الشرق الاوسط ، تمكنهم من التحرك المثمر على اساسها .

هذا وقد حظت كلمتي الوفدين الامريكي

والسوفيتى فى الجمعية العامة على الاهتمام الاكبر منجانب كافه الوفود الدولية والمراقبين السياسيين عامة ، وقد اثار بيان **ارثر جولدبرج** المندوب الامريكى ، استياء الدول العربية من موقف الولايات المتحدة ازاء ازمة الشرق الاوسط ، ذلك ان ما اتضح من بيان جولدبرج ، هو ان الولايات المتحدة لاتزال تصر على فرض الصلح بين العرب واسرائيل ، وتأكيد حق اسرائيل فى المرور فى الممرات الدولية،كذلك هى لاتزال تؤيد من الناحية العملية احتلال القوات الاسرائيلية للاراضى العربية ، وان كانت تغلف ذلك فى اطار ما تسميه بـ « سحب القوات فى اطار من السلام » .

والامر الذى اصبح مؤكدا لدى الدوائر السياسية العربية ، هو ان الولايات المتحدة انما تحاول عامدة الابقاء على الوضع الراهن الذى تحتل فيه اسرائيل اجزاء عديدة من البلاد العربية، وذلك كى تستغل هى ايضا هذا الوضع لابتزاز العرب وتحقيق اطماعها الاستعمارية فى الشرق الاوسط .

كذلك تهدف الولايات المتحدة بموقفها الاخير الذى تبدى منبيان **جورجبيرج** ،الى زياده الضغوط الموجهة ضد النظم التقدمية فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا وذلك ابتغاء زعزعه هذه النظم والتمكن من توجيه ضربات قاصمة لها فى الفترة المقبلة،هذا وتعتبر الوفود العربيةفى الامم المتحدة ان النقاط الثمانى التى عرضها جولدبرج تمثل موقفا اشد مناصره لاسرائيل عن الموقف الذى حدده **جونسون** فى النقط الخمس التى تضمنها بيانه فى يونيو الماضى ، كذلك كان من الطبيعى ان يقابل خطاب جولدبرج بارتياح تام من جانب المصادر الاسرائيلية الرسمية .

هذا وقد اكد **اندريه جروميكو** وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، الموقف السوفيتى السابق بشأن ازمة الشرق الاوسط ، وحدد بوضوح ان اول شرط لتحقيق السلام ، هو انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية ، وتعويض الدول العربية عما لحق بها من اضرار . وطالب المندوب السوفيتى بوجوب اذعان اسرائيل لقرار الامم المتحدة الخاص بالقدس ، «والا فانه يتعين على مجلس الامن ان يتخذ قرارات بفرض عقوبات ضد اسرائيل » ، كذلك اعلن استعداد الاتحاد السوفيتى للاشتراك فى تنفيذ هذه العقوبات ، وقد حمل جروميكو الولايات المتحدة مسئولية كبرى بسبب تشجيعها للعدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط .

الا ان المندوب السوفيتى اعلن ايضا « انه يجب ضمان السلام والامن لجميع الدول فى الشرق الاوسط » .كما عبر عن اهتمام الاتحاد السوفيتى بسيادة السلام فى جميع الدول الواقعة فى جنوبه.

وترى الدوائر السياسية العربية عامة ان الاتحاد السوفيتى قد قدم بالنسبة لمشكلة انسحاب القوات الاسرائيلية صيغة عادلة يمكن قبولها ، ويمكن ان تساهم فيما لو نفذت ، فى تحقيق السلام فعلا فى الشرق الاوسط .

وقد عقد وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى اجتماعا مع يوثانت يوم ٢٧ سبتمبر لبحث ازمة الشرق الاوسط ، ونوقشت فيه النقاط التىاثارها سكرتير الامم المتحدة فى تقريره الى الجمعية العامة لتسوية الازمة الذى تضمن ٦ نقط اساسية هى «ضرورة احترام وحدة الاراضى الاقليمية لكل دولة — لايمكن التساهل فى ان تحتل القوات العسكرية لدولة أراضى دولة اخرى — احترام حق كل دولة فى الوجود — لكل دولة الحق فى أن تكون آمنة داخل حدودها — للاجئين الفلسطينيين العرب حق طبيعى فى ان يقيموا على ارض وطنهم — حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية » .

وقد تطرق الحديث فى هذه المناقشات الى اقتراح يوثانت بعقد جلسات مغلقة لمجلس الامن على مستوى وزراء الخارجية .

وتلقى مقترحات الرئيس تيتو اجماعا منبعض الوفود . وهى المقترحات التى تتضمن انسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل ٥ يونيو — ضمانا دوليا لجميع حدود دول المنطقة — احالة موضوع الملاحة فىخليج العقبة الى محكمة العدل الدولية — بقاء الوضع بالنسبة لقناة السويس على ما كان عليه قبل الحرب — يبدا مجلس الامن بعد ذلك فى ايجاد حلول عادلة للقضاياالرئيسية فى الازمة وفى مقدمتها قضية اللاجئين العرب .

ويرى بعض المراقبين ان عزلة امريكا تزداد يوما بعد يوم خاصة بعد تصريحات براون وزير خارجية بريطانيا التى تمثل تراجعا عن موقفها يعزى الى تيارات تطالب بسياسة استقلالية لبريطانيا فى الشرق الاوسط وتحت ضغط الاثار الاقتصادية لاغلاق قناة السويس .

●

بعثة راسل ..
وتقصى حقائق جرائم الحرب الاسرائيلية

ليس هناك من لم يسمع عن **«المؤسسة برتراند راسل للسلام»** او يلمس نشاطها فى العالم كله أيا كانموقفه منها ومن مبادئها .

والحقيقة ان مؤسسة برتراند راسل ذات النشاط المتشعب فى القارات الخمس لم تكن قبل اربعة اعوام سوى الفيلسوف والعالم البريطانى

الشهير لورد برتراند راسل . فاعتمادا على هيبة راسل الشخصية والعلمية والاجتماعية أعلن الرجل رايه بكل الوسائل الممكنة ضد المظالم والحروب الاستعمارية فى بلدان العالم الثالث . ومن اجل ابعاد شبح الحرب النووية بين امريكا والاتحاد السوفيتى لانقاذ البشرية من الدمار الشامل .

وقد كان لراسل صوت مسموع دائما فى كافة الازمات الخطيره التى أوقفت العالم كله على شفا الهاوية ، حتى تبعه الكثيرون داخل وخارج بريطانيا ، وهاجمه الكثيرون داخل وخارج بريطانيا أيضا .

وعندما اتسع نشاط راسل فى معارضة الامبريالية والحروب العدوانية ومساعدة المضطهدين جماعات وافرادا ، لم يعد من الممكن ان تفى ثروته أو جهوده الشخصية بمتطلبات النشاط العالمى والانسانى المتزايد . ومن هنا بدأ مع انصاره منذ أربعة اعوام فى وضع شكل تنظيمى يستوعب هذا النشاط وينظمه ويدفعه الى غاياته . وكان هذا الشكل هو « مؤسسة برتراند راسل للسلام » .

والى جانب رئاسة راسل للمؤسسة فهناك مجموعة أو مجلس للادارة يشرف على نشاطها ويسيرها ، نصفه من الانجليز والباقى من الامريكيين . ومنذ شهور بدأت المنظمة تستكمل شكلها الطبيعى وهو نظام العضوية بدلا من الاكتفاء بالتأييد الجماهيرى المرن . واصبح العضو فى مؤسسة راسل ملتزما بدفع اشتراك سنوى يوازى ٢/١ ٤ دولار فى مقابل تسلمه لمجلة شهرية ونشرات غير دورية تصدرها المؤسسة ، الى جانب اشتراكه فى الاجتماعات وغيرها من اوجه النشاط التنظيمى والجماهيرى

وعلى حداثة عهد المنظمة بالعمل فقد اصبحت تضم أعضاء منتظمين فى كثير من بلدان الشرق والغرب ، من بينها الى جانب بريطانيا : الولايات المتحدة الامريكية ، الفلبين ، اليابان ، استراليا ، نيوزيلندا ، والهند ... الخ .

واهم أعمال المنظمة كما يلخصها **كريستوفر فارلى** مدير المنظمة هى : معارضة الامبريالية فى العالم الثالث ومعارضتها أيضا فى الغرب ، ثم تقديم المعونة لرفع الاضطهاد عن الجماعات والافراد المضطهدين فى كل مكان . ومنظمة راسل تعتقد أن العالم الثالث عامة والدول النامية بشكل خاص تكاد تكون مجهولة لدى الرأى العام الغربى ومن هنا فهى ترى أن من مهامها تعريف الرأى العام الغربى بهذه البلاد حتى لاينساق وراء الدعايات الاستعمارية والعنصرية المضللة فينعزل عن كفاح العالم الثالث ضد الامبريالية والاستعمار .

محكمة راسل ومجرمو حرب فيتنام

ولعل ثمة مايعرفه العالم اليوم عن نشاط منظمة راسل الانسانى والسياسي هو تاليف اللجنة التى حققت فى جرائم الحرب الامريكية ضد الشعب الفيتنامى .

وقد ادت تحقيقات اللجنة كما هو معروف الى تاليف محكمة راسل التى قدمت جونسون ومعاونيه كمجرمى حرب مما اثار قطاعات هامة من الراى العام العالمى ضد فظائع الولايات المتحدة ، كما دفع بالمزيد من الانصار الى صف قضية الشعب الفيتنامى الباسل .

وجدير بالذكر أن رئيس لجنة راسل للتحقيق فى جرائم الحرب الصهيونية ضد العرب هو كريستوفر فارلى الذى سبق أن ساهم فى تحقيقات لجنة راسل فى فيتنام . وكريستوفر فارلى شاب بريطانى يعطى كل قوته للعمل السياسى والانسانى بطريقة تبلغ حد «الترهب» السياسى . وعندما كان فى التاسعة عشرة من عمره رفض أن يجند فى الجيش البريطانى ويرسل الى كينيا لمعاقبة الوطنيين الافريقيين وفضل حياة السجن عن الاسهام فى العدوان على حركات التحرر الوطنى . وعندما اكمل دراسته الجامعية فى لندن كان أبوه وهو احد الراسماليين الانجليز قد اعد له وظيفة محترمة فى مؤسساته يبلغ اجرها ١٠ آلاف جنيه استرلينى فى العام . «ولكننى لم استطع ان اكمل فى الوظيفة اكثر من ثلاثة اسابيع ... بعدها تركت كل شيء وعملت بيدى فى مزرعة يملكها احد المزارعين الانجليز . وبعد ستة شهور استدعانى برتراند راسل للعمل معه ، ومن يومها قلما تعثر زوجتى واطفالى عن اثر لى » !

اما العضو الاخر فهو دكتور ماتسونى الجراح الايطالى والمحاضر بجامعة روما . وهو رجل ذو موقف سياسى معاد للاستعمار ومحدد بشكل قاطع . والعضو الاخر (مترجم البعثة فى نفس الوقت) هو فارس جلوب (ابن جلوب باشا قائد الفيلق الاردنى المعروف) . وفارس جلوب يعرف فى بريطانيا وفى العالم العربى بنشاطه العربى المعادى للاستعمار ، وهو مسئول عن لجنة الجزيرة العربية الحرة فى لندن ويستعد حاليا لمغادرة بريطانيا نهائيا . والمعيشة فى الاردن التى ولد فيها عندما كان ابوه يعمل هناك . ومع البعثة اثنين من المصورين احدهم ريد ساندوز البريطانى والاخر سانيللى الايطالى . وكلا الاثنين متطوع للعمل السياسى رغم رقة حاله اجتماعيا . وريد ساندوز شاب لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ولكنه على درجة غير مالوفة من الوعى

السياسي والنضالي ضد الاستعمار البريطاني والامريكي والعالمي .

من الشرق الاقصى الى الشرق الاوسط

وقد بدات قصةبعثه راسل الى الشرق الاوسط برسالة من الجامعة العربيه الى مؤسسة راسل تتحدث فيها عن فظائع العدوان الاسرائيلي الامبريالي . وما أن وصلت الرسالة حتى كانت مؤسسة راسل قد اتخذتقرارها بايفاد لجنة للتحقيق . وكان رد الفعل الطبيعي من جانب اسرائيل هو رفض منح البعثة اى تسهيلات ضرورية للقيام بعملها داخل اسرائيل او داخل الاراضي المحتلة حديثا.وقد اثبت الموقف العصبي للسلطات الاسرائيلية ازاء البعثة طبيعة الموقف الاسرائيلي كله، واهمية نشاط البعثة ونتائجه بالنسبة للراى العام العالمي.وقد كانت التسهيلات العربية التي قدمت للبعثةفي الاردن وسوريا ولبنان ومصرمثار اعجاب واحترام لجنةومؤسسة راسل، وتعبيرا عن الفهم السليم لدور الراى العام العالمي والمنظمات الدولية الديمقراطية في خدمة قضايانا الحيوية عندما نجيد عرض الحقائق والوقائع بذكاء وتفتح وصدق .

والذين اتيح لهم مرافقة البعثة في مدن القناة ومستشفياتها ومؤسساتهاوفي القاهره وفيمديرية التحرير حيث يعيش ضحايا العدوان الصهيوني الامبريالي من اللاجئين،يلحظون مدى دقة البعثة في التحقيق النزيه المجرد من الغرض ايا كان موقف أعضائها السياسي.انهم لايقومون بتحقيق شكلي — رغم اتضاح الجرائم الاسرائيلية — ولكنهم يدققون ويراجعون اقوال الشهود المختلفين هنا وهناك ، ويتابعون المناقشات الفنية والتقارير الطبية بدأب وصبر لاينفد . ومن هنا ينبع احترام الراى العام العالمي لنتائج مايقومون به،ومن هنا أيضاكان رفض السلطاتالاسرائيلية لمنحهم اى تسهيلات داخل الاراضي المحتلة هو اعتراف ضمني عنجرائملم يعدمن السهل انكارها او حجبها عن الراى العام العالمي .

وتناولت التحقيقات التي اجريت نوع الاسلحة المستخدمة في الحرب والخسائر التي حدثت في الارواح وبخاصة بين المدنيين في الاحياء الاهلة بالسكان والاضرار التي لحقت بالمستشفيات والوحدات الصحيةودور العيادة وأحوال اللاجئين الذين اجبروا على الهرب من الاراضي التي احتلتها اسرائيل ، وحوادث الاعتداءات التي وقعت بعد قرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النيران وكل مايعتبر خرقا لاتفاقية جنيف ومبادىء السلام العالمي .

امضت بعثة راسل لتقصى الحقائق في عدوان اسرائيل الاستعماري على الاراضي العربية ، عشرة ايام في بلادنا .

وزارت البعثة مدن منطقة القناة ومقر اللاجئين بمديريه التحرير والمستشفى العسكري بالمعادى وجمعية الاطباء المصريين ومستشفى الهلال الاحمر وكافة الاماكن التي ابدت الرغبة في زيارتها .

والتقى اعضاء البعثة بابناء شعبنا من ضحايا العدوان خلال جولاتهم ، وعاينوا اماكن العدوان الاسرائيليه الاخيره ، في المستشفيات والشوارع بين انقاض المنازل والمساجد والكنائس المصابة او المدمره . واستمعوا الى شهاده وكيل وزارة الخارجيه والمحافظين واعضاء الاتحاد الاشتراكي لمدن السويس والاسماعيلية وبورسعيد، ورئيس مدينة القنطره غرب ، كما استمعوا الى عشرات من الاطباء العسكريين والمدنيين الذين استقبلوا وعالجوا الجنود والمدنيين العائدين من سيناء ، وكذلك ضحايا الاعتداءات المتكرره طوال شهرى يوليو وسبتمبر .

واكب اعضاء اللجنة خلال هذه الفترة على جمع وتقصى الحقائق والادلة حول :

اولا : تعطيل السلطات الاسرائيلية لاعمال **هيئة الصليب الاحمر الدولي في اسعاف الجنود** وانقاذ المدنيين بسيناء لاكثر من سبعة ايام بعد قرار وقف اطلاق النار (بعد يوم ١٦ يونيو) على الرغم من كافة التسهيلات والمعونات التي قدمتها الحكومة المصرية ، وترتب على هذا الموقف الشائن هلاك المئات وموتهم .. ذلك انه من المعروف ان الطاقة البشرية في مواجهة العطش لاتزيد بحال عن خمسة ايام ، وتصل الى اقل من ذلك في ظروف الصحراء ، ومن ثم فالاسبوع يعد « فترة قاتلة » .

ثانيا . الاسلحة التي استخدمتها اسرائيل في العدوان ، خاصة الانواع المتفق دوليا على عدم استخدامها . وتقصت اللجنة عن نوعين من الاسلحة :

ا — قنابل النابالم ، من خلال مشاهدتها لضحايا النابالم من المدنيين والعسكريين في الاردن، والعسكريين في مصر ، ومن مشاهدتها للافلام والصور التي عرضت عليها ، تاكد لدى اللجنة بما لايدع مجالا للشك ، ان اسرائيل استخدمت النابالم في عدوانها ، والمرجح ان اهتمام البعثة الشديد بهذه النقطة يرجع الى محاولتها ايجاد سمات وصفات عامة ومشتركة بين ضحايا النابالم ، في الشرق الاوسط وفيتنام ، بسواء في اسس التشخيص او طرق العلاج ونسبة الوفيات من الحالات المصابة .

ب ـ القنابل والرصاص شـديد التفتت مثل رصاص دم دم ، وبالنسبة لاستخدام اسرائيل لهذه الانواع من الاسلحة فقد استهدفت اللجنة الى التحقق المادى من عملية الاستخدام . ولذا سعت من اجل الادلة لا القرائن ، وشاءت الظروف ان الدكتور ايلى يطانى مدير مستشفى هيئة قنـاة السويس ببورتوفيق وهو على بعد مائتى متر من الضفة الشرقية المحتلة قد عثر على نوع غريب من الرصاص المزدوج الاوجه وكان قد استخدم فى عدوان ٤ سبتمبر الماضى ، وهو رصاص من النوع الشديد التفتت والمتفق على عدم استخدامه دوليا ، وقد قدم هذه الرصـاصة الى اعضـاء البعثة ، كذلك عرض الدكتور محمد أبو العصاء الجراح بالمستشفى الاميرى بالسويس والدكتور فوزى مصطفى بمستشفى المعادى ، صور اشعة لحالات مصابة من العسكريين تؤكد اسـتخدام انواع من الرصاص الشديد التفتت

ثالثـا : ضرب المـدارس والمسـتشفيات والوحدات الطبية المتنقلة والمنـاطق الدينية . وقدمت السلطات الاسرائيليـة بنفسهـا الادلة الدامغة التى كانت اللجنة تسعى اليهـا ، وذلك بقصفها المستمر للمناطق الدينية وقتل واصابة الاطفال والنساء ، وقد توقفت اللجنة طويلا امام مدرسة « تل القلزم » بالسويس تعاين وتحصر وتصور الاصـابات الاثنى عشر المبـاشرة التى اصابت تلك المدرسـة الابتدائيـة عصر يوم ٤ سبتمبر والتى اعدت لاستقبال عدد من اللاجئين من الاطفال والنساء ضحايا العدوان فى يوليـو الماضى ، وهم الذين امكن نقلهم بسلام صباح يوم العدوى ، فوسط المنازل المتهدمة فى الحوارى المتفرعة من شارع ابو كاشف اخذ فارس جلوب عضو اللجنة الذى يجيد التحدث باللغة العربية، يستمع ويدون بأسى كبيراقوال الامهات والزوجات اللائى فقدن اطفالهن وازواجهن اثر اعتداء ٤ سبتمبر .. فمثلا فقدت ام ثلاثة من بنـاتها هن افتتان ونعيمة ومنى محمد عطية ، وكذلك عاينت اللجنة وصورت المساجد والكنائس والمستشفيات التى ضربت فى كـل من مـدينتى السـويس والاسماعيلية ، وفى القنطرة غرب ، وبعد ساعات من توقف ضرب المدينة يوم ١٢ سبتمبر الماضى توجهت اللجنة اليها وشاهدت الاثار السـاخنة للعدوان ورأت بعينها رئيس مجلس المدينة وهو ينقل بسيارته الجرحى والمصابين بعد ان ضربت عربة الاسعاف الوحيدة بالمدينة ، ثم راح بعد لحظات يساهم وبقية اهل المدينة فى اطفاء الحريق الذى شب فى جانب من قطن الفلاحين بفناء الجمعية التعاونية ، وازالة الانقاض المتراكمة من حـول مسجد المدينة ومنازلها .

واهتمت اللجنة بصفة خاصة بتتبع حـالات ضرب المستشفيات والوحدات الطبية المتنقلة (سيارات الاسعاف) وتمكنت من جمـع كميات كبيرة من الوثائق التى تدين اسرائيـل فى هذا المجال ، فقد ضربت جميع المؤسسات الطبية عن عمد وكانت هدفا مباشرا للطائرات الاسرائيلية ، وقد تسبب عن ذلك تدمير عدد كبير من المستشفيات وسيارات الاسعاف وقتل المصابين الذين لجاوا اليها واستشهاد الاطباء والممرضات ، كما اسرت السلطات الاسرائيلية بعض الاطباء ونقلتهم الى معسكرات الاعتقال .

وقدمت الهيئات الطبية وهيئة الهلال الاحمر قائمة باسماء الاطباء القتلى والجرحى والاسرى.

والتقت اللجنة فى الاسماعيلية بقائد الباخـرة البولندية « جاكارتا » للاستماع الى تجربته مع القوات الاسرائيلية ، اذ قام هو ومجموعة من طاقم باخرته بالنزول الى ارض سيناء حيث انقذوا بعض المصابين والجرحى والمفقودين فى الصحراء وذلك خلال عملهم الانسانى لمـدة يوم واحد، اذ بادرت السلطات الاسرائيلية بعد ذلك بمنعهم من مباشرة هذه المهمة الانسانية وهددتهم باستخدام القوة ، مما ترتب عليه فقد مزيد من الارواح كان يمكن انقـاذها .

.. واللاجئون

وزارت بعثة راسل اللاجئين من المناطق المحتلة فى غزة وسينا ، والقاطنين حاليا بمديرية التحرير، والذين يبلغ عددهم نحـو ٢٠ الفا ، ثلثـا العدد مصريين من سكان سينا ويقيم هؤلاء اللاجئين فى عشرة قرى من تلك التى انشئت لاستصلاح الاراضى الجديدة بمديرية التحرير ، وهذه القرى مزدحمة بالوافدين عليها اذ لا تتسع القرية الواحدة لعشر عدد المقيمين بها حاليا .

وتقيم ثلاث عائلات واكثر فى الحجرة الواحدة ، صممت فى الاصـل لعائلة واحدة .. وتحتـوى الحجرات فى معظم الاحوال النساء والاطفال ، بينما يقيم الرجال بالعراء .. ورغم ان وزارة الشئون الاجتماعية تدفع للفرد الواحد من اللاجئين عشرة قروش كل يوم ، واعدت بالقرى «كانتين» للاكل ، ولشراء الاطعمة ، الا ان التكدس الراهن للاجئين يشكل مشكلة من شأنها ان تتفاقم مع اقتراب الشتاء ..

وقد توافرت للبعثة فرصة التجول فى اكثر من قرية ، والتعرف على طريقة معيشة اللاجئين ، وتفقد احوالهم .. كما اجرت مناقشات مع عدد كبير منهم عن معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب فى المناطق المحتلة ، وعن المشاكل التى واجهتهم فى رحيلهم من بيوتهم الاصـلية الى سكنـاها الحالية .

وقص احد الموظفين المصريين بالعريش كيف احتلت القوات الاسرائيلية المدينة ، وكيف دكتها بالمدافع قبل دخولها ، واشاعت الارهاب في كافة ارجائها بعد احتلالها في ٦ يونيو .. وتحدث عن حرص هذه القوات بوجه خاص على دك المستشفى العسكرى بالنابالم ، فضلا عن مقر المحافظة ، وغيره من المباني الحكومية .. وفرضت السلطات الاسرائيلية حالة الطوارئ ، ومنع التجول طوال النهار والليل ، باستثناء بعض الساعات المحدودة كل يوم .. وفي اكثر من مناسبة ، استدعت جميع الشبان والرجال بالمدينة ، وجمعتهم في الميدان العام ، وانتقت الشبان ، ورحلتهم الى جهات مجهولة .. وكان الموتى متناثرين في مختلف ارجاء البلد ، وغير مسموح لاحد بدفنها .. واستمرت عمليات النقاط المارة وضربهم بالرصاص ... وبلا مبرر ، وبعد أيام ، صرحت السلطات الاسرائيلية لسكان البلد باجراء عمليات الدفن ، تحت اشراف جنود اسرائيليين .

وقال الموظف ان السلطات الاسرائيلية ترفض دفع مرتبات الموظفين ، وتترك عائلاتهم تتضور جوعا ، زاعمة انها قوات احتلال وليست مسئولة عن حياة احد ..

واضطر الموظف ان يهرب من العريش ، مفضلا المخاطرة بالموت عن طريق الهروب من الموت المؤكد في حالة البقاء .. وفي اثناء رحيله ، وهو يسير على اقدامه مع عدد من الموظفين الاخرين ، شهد بنفسه ، وهو مختبئ في بعض الاعشاب ، طائرة هليكوبتر اسرائيلية ، وقد هبطت على جمع من البدو يبلغ عددهم اربعين .. فانتقت من بينهم ست من الشبان ، واعدمتهم في الحال ، وامرت الاخرين بمغادرة المكان فورا ، والا لقوا نفس المصير .. وكان ذلك بعد وقف اطلاق النار في منتصف شهر يوليو ..

وقصت أمراة وهي تبكي قصص التعذيب التي عانتها .. وكيف اغتصبها الجنود الاسرائيليين ، وكيف اضطرت ان تهرب وهي تحمل اطفالها وهم لايجدون شيئا يشربونه سوى البول .

تلك هي بعض الصور التي اتيحت لبعثة راسل التحقق منها بنفسها .. وقال رئيس البعثة « ان بعض هذه القصص بلغت من البشاعة بدرجة انها لا تحتمل ان تحكى امام احد .. » وسجلت البعثة صورا كثيرة في حالة اللاجئين ، واسلوب معيشتهم ، والمساكن التي يقيمون بها ، وما عانوه على ايدى القوات الاسرائيلية .

الجانب السياسي لقضية فلسطين

ولم تقصر لجنة راسل نشاطها على تقصي حقائق الجرائم التي ارتكبت اثناء العدوان الأخير وفي الفترة ما بعد وقف اطلاق النار حتى سفر البعثة ، بل تطرقت الى الجوانب السياسية للمشكلة بتتبع تاريخ الصهيونية ودورها في خدمة الاستعمار ، والتواطؤ بين الامبريالية واسرائيل في جميع مراحل الاعمال العدوانية وعلاقة هذا التواطؤ بتطور حركة التحرر الوطني والبناء الاشتراكي ، بالاضافة الى دراسة أوجه التآمر الإمريكي البريطاني الاسرائيلي في عدوانها الاخير ، وقد قدمت وزارة الخارجية واسرة الطليعة عدة وثائق ودراسات حول قضية الصراع العربي الاسرائيلي ومشكلة فلسطين مساهمة منها في كشف الحقائق وفضح الجرائم القذرة التي ارتكبتها قاعدة الاستعمار العدوانية في المنطقة .

وقد عقدت البعثة مؤتمرا صحفيا قال فيه كريستوف فارل : أن حكومات الدول العربية قدمت لها كل التسهيلات ووفرت لها الحرية التي حققت لها اداء مهمتها على أكمل وجه ، بينما فشلت محاولاتها في زيارة اسرائيل التي رفضت الاستجابة الى مطلب اللجنة بتوفير حرية العمل والانتقال .

ومضى فقال ان البعثة ستقدم تقريرها النهائي الى الامم المتحدة الذي يعلن في الايام الاولى من اكتوبر مدعما بالصور والتسجيلات الصوتية والافلام ومحاضر التحقيقات ، وان البعثة ستواصل عملها في تتبع أحدث المنطقة وتقصي الحقائق فيها ودعوة الشعوب الى الوقوف في وجه العدوان .

●

■ جنوب اليمن المحتل

الجبهتان على طريق الاتفاق

تم الاتفاق بين جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل والجبهة القومية على انهاء القتال بينهما تمهيدا لاجتماع قيادتي الجبهتين في القاهرة ، كما اتفقا على بحث تشكيل حكومة انتقالية مركزية تتسلم السلطة من بريطانيا ، واعداد برنامج ودستور مؤقت للفترة الانتقالية . وكان الرأى العام في البلاد العربية من قبل ، يتابع المساعى التي تبذلها الجامعة العربية ، لدعوة ممثلي **جبهة تحرير الجنوب المحتل والجبهة القومية** لحضور مؤتمر القوى الوطنية ، الذى دعا مجلس الجامعة الى عقده في دور انعقاده الاخير ، من اجل توحيد القوى الوطنية في الجنوب ، ووضع حد للخلافات فيما بينها ، « وبحث مسألة تكوين حكومة انتقالية تقود الجنوب الى الاستقلال » . وحتى تتمكن القوى الوطنية من افشال المخطط الاستعمارى البريطاني في المنطقة ، والذى يهدف الى خلق كونجو اخرى في الجنوب العربي ،

تمزقه الخلافات والمنازعات والحرب الاهلية ، وهى نفس السياسة البريطانية التقليدية ((فرق تسد)) التى تلجأ اليها دائما قبل رحيلها من مستعمراتها للابقاء على نفوذها ومصالحها هناك ، وهو ما اوشك ان يتحقق فى الجنوب العربى خلال الايام الماضية ، عندما نجحت السياسة البريطانية فى الوقيعة بين القوتين الثوريتين اللتين تخوضان الكفاح المسلح وهما جبهة تحرير الجنوب المحتل والجبهة القومية ، حتى تطور الخلاف بينهما الى درجة الصدام الدامى ، وكاد ان يتحول الى حرب اهلية تعصف بالثورة التحررية فى الجنوب وتدمر حصيلة النضال والصمود البطولى طوال السنوات الاربع الماضية ، الامر الذى جعل الرأى العام واصدقاء الثورة يعيشون على اعصابهم خوفا على مصير الثورة هناك ، وهو ما جعل معظم القوى الثورية والهيئات الشعبية والدينية فى الجنوب يتطلعون الى القوى الثورية فى البلاد العربية والى الرئيس جمال عبد الناصر والجامعة العربية ، يناشدونهم جميعا التدخل للحيلولة دون اهدار مزيد من الدماء بين القوى الوطنية ، وبذل المساعى لوقف القتال وتصفية النزاع بينهما الذى لن يستفيد منه سوى الاستعمار البريطانى وعملائه فى الجنوب .

وقد تمكن الجيش والعناصر الوطنية فى الجنوب من التدخل لوقف الاشتباكات بين انصار الجبهتين المتقاتلتين ، وتم تشكيل لجنة تضم ممثلين عن جيش الاتحاد وعن الجبهتين لفض النزاع ومنع حدوث اى اشتباك .

وكانت بريطانيا قد اعلنت بعد تفكك حكومة الاتحاد المزيفة وهرب اعضائها الى جنيف ولندن والسعودية ، انها اصبحت لا تمانع فى نقل السلطة فى الجنوب الى حكومة « تمثل كل الاطراف المعنية » . وانها مستعدة للتفاوض مع جبهة التحرير وبقية العناصر الاخرى لانشاء حكومة انتقالية تمهد لاستقلال الجنوب ـ وذلك بهدف اشراك السلاطين وحكام الولايات الاخرى وممثلى الاحزاب العميلة فى حكومة ائتلافية هزيلة ، حتى تضمن بريطانيا وجودها وتمثيلها فى السلطة عن طريقهم .

وفى سبيل ذلك دفعت بريطانيا بعدد من السلاطين وممثلى حزب رابطة الجنوب العربى ، الى مقابلة اللجنة الدولية الخاصة ببحث مشكلة الجنوب ، فى جنيف وبيروت للتفاوض معها باعتبار انها من « الاطراف المعنية » . الامر الذى تعارضه بشدة كل من جبهة التحرير والجبهة القومية على السواء .

ولقد حددت جبهة التحرير رأيها وموقفها فى اجتماعات اللجنة الدولية الاخيرة بالقاهرة ، بالنسبة للحل الصحيح لمشكلة الجنوب : وحتها فى تشكيل الحكومة الانتقالية واستعدادها للتعاون مع العناصر الوطنية واشراكها فى الحكم ، ورفضهاالتعاون مع السلاطين والمستوزرين وحزب رابطة الجنوب وبقية الاحزاب الاخرى العميلة فى المنطقة ، وكفالة وحدة اراضى الجنوب والجزر التابعة لها ، وتحقيق جلاء القوات البريطانية بدون قيد او شرط

وهناك ما يشبه الاجماع بين المراقبين الى ان انسحاب بريطانيا من الجنوب وتحقيق الجلاء السريع قبل الميعاد المحدد فى ٩ يناير وتسليم السلطة الى جيش اتحاد الجنوب، انما يهدف الى تعميق الخلافات وتشعبها بين القوى الوطنية وزيادة فى تعقيد الموقف ، خاصة وان الخلاف بين جبهة التحرير والجبهة القومية ما زال قائما ، بالرغم من توقف الاشتباكات المسلحة بينهما فى منتصف الشهر الماضى . ومما يقوى هذا الاعتقاد فى راى المراقبين ، هو الانذار الذى كانت وجهته قيادة جيش الاتحاد الى جبهة التحرير لوقف القتال بينهما ومفاوضة بريطانيا لتشكيل الحكومة الجديدة ، وحددتنهاية له فى ٢٠ سبتمبر الماضى، والا فانها سوف تتدخل لتسترد المناطق المحررة التى يسيطرون عليها ـ وكانت قيادة جيش الجنوب قد دابت على اصدار بيانات الى الشعب فى الجنوب ، على اثر تطور الخلاف بين جبهة التحرير والجبهة القومية ، وقد حذرت قيادة جبهة التجرير من المؤامرة الاستعمارية ، التى تهدف الى استخدامه فى تحقيق الاهداف الاستعمارية البريطانية ، وضرب الثورة واثارة حرب اهلية فى الجنوب .

●

■ **نيجيريا**

دائرة الصراع تتسع ..

مازالت تطورات الاحداث فى نيجيريا ، تحظى باهتمام ومتابعةالرأىالعام الافريقى والعالمى ، خاصة بعد ان تضت الحكومة الاتحاديةفىلاجوس على محاولة الانفصال التى اعلنها حاكم اقليم **الغرب الاوسط** تحت اسم جمهورية بنين . فقد بلغت الحرب الاهليةفىنيجيريا مرحلة صعب معها على المراقبين التنبؤ مقدما بنتائجها .

والذى يستطيع ان يلاحظه كل متتبع لاحداث نيجيريا منذ شهور عديدة ، ان الاتجاهات الانفصالية قد اتسعت واصبحت تنذر بكوارث محققة لاكبر دولة افريقية (٥٥ مليون نسمه) ،



• جوون •

ويعتقد المراقبون ان نجاح الاتجاهات الانفصالية فى تحقيق اهدافها لن يضر بنيجيريا فحسب ، وانما سيكون اشارة بدء هامة لتكرار تجارب مماثلة فى غيرها من الدول الافريقية ، لتكون فى نهاية الامر ملامح مرحلة ثانية فى هجوم الاستعمار على دول القارة والزج بها فى براثن حروب اهلية لا نهاية لها على غرار مايحدث فى امريكا اللاتينية . ومن هنا تعتقد الدوائر الافريقية بوطنية الاتجاه الداعى الى الضرب بشدة على ايدى الاتجاهات الانفصالية على ان تضع فى الاعتبار الاسباب الموضوعية التى استغلت للانفصال وان تجد حلولا ايجابية تتخطى بها الحزازات القبلية والتركة المثقلة لحكم الادارة الاستعمارية السابقة ».

ومن الملاحظ ، ان انفصال اقليم الغرب الاوسط ، قد تم على اثر سقوطه فى ايدى قوات الاقليم الشرقى (اعلن **اوجووكو** حاكمه العسكرى انفصاله فى آخر مايو الماضى تحت اسم جمهورية **بيافرا**) ، وتعيين **اوكونكو** حاكما عسكريا له . وكان اوكونكو قد اعلن انه سيتعاون مع اوجووكو « فى تحدى الحكومة الاتحادية » .

وكانت الحرب بين قوات الاقليم الشرقى ، وقوات الحكومة الاتحادية ، قد بلغت حدا من العنف ، استخدمت فيها الطائرات . وامام تدفق الاسلحة الامريكية والبريطانية على قوات الاقليم الشرقى (بتمويل بنك روتشيلد وشركة شل للبترول) ومنها طائرات ب ٢٦ الامريكية ، وتهديد قوات الاقليم لمطارات الاقليم الشمالى (اكبر اقليم نيجيريا) وتدمير واحد منها ، بل وزحفها نحو هذا الاقليم — امام هذا كله ، لجأت حكومة الجنرال **يعقوب جوون** الى شراء اسلحة وطائرات من كل من الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا لمواجهة القوة المتزايدة للاقليم المنفصل . وقد ذهبت كل من الحكومة الامريكية والحكومة البريطانية تبدى «عدم ارتياحها» و «قلقها البالغ» ازاء صفقة الاسلحة هذه بعد ان نجحت قوات الحكومة الاتحادية فى ايقاف تقدم وزحف قوات الاقليم الشرقى الذى حاول الآن يبدو فى مظهر الساعى الى الصلح ، فتقدم الى رؤساء دول افريقيا فى مؤتمر كينشاسا الاخير ، يطلب من منظمة الوحدة الافريقية التدخل من اجل ايجاد حل لمشكلة نيجيريا . وبرغم تحفظ حكومه لاجوس الاتحادية فى مناقشه الرؤساء الافريقيين للمشكله .. منذ قبل انعقاد المؤتمر ، الا ان الجنرال جوون ابدى استعداده لاستقبال لجنة للوساطة من رؤساء ٦ دول افريقية . لكن هذه اللجنة رأت تأجيل رحلتها الى نيجيريا بعد تفاقم الحرب الاهلية .. ومعروف ان الحرب الاهلية قد سببت كثيرا من المشاكل الاقتصادية للحكومة الاتحادية حيث نقص رصيد البلاد من النقد الاجنبى من ٩٨ مليون جنيه استرلينى فى اغسطس ١٩٦٦ الى ٥٤ مليون فى يوليو ١٩٦٧ . وجدير بالذكر ان ٨٠٪ من صادرات نيجيريا تتم عن طريق الاقليم الشرقى ، كما ان معدل التنمية قد انخفض — كما تقول تقارير الامم المتحدة — من ٥١/٢٪ عام ١٩٦٥ الى ٣١/٢٪ .

ويؤمن بعض المراقبين الافريقيين ، بأن نجاح مواجهة المخطط الانفصالى فى نيجيريا ، وخروج الحكومة الاتحادية منتصرة من حرب الاقليم الشرقى سوف لا ينعكس على وحدة نيجيريا فحسب ، وانما سيكون له آثاره على الدول الافريقية ككل فى كفاح شعوبها ضد آثار الهجمات الضارية التى شنتها ضدها قوى الاستعمار العالمى منذ عام ١٩٦٥ ، وحتى اليوم كما يعتقد هؤلاء المراقبون ان مدى نجاح او فشل منظمة الوحدة الافريقية فى ايجاد حل لمشكلة نيجيريا ، سيكون له اثره الواضح على مستقبل المنظمة ونظرة شعوب القارة اليها .

●

■ فيتنام

الخلاف بين المرشحين وبين « الصقور » ومكنمارا

مع اقتراب موعد انتخابات الرئاسة الامريكية ، يزداد تركيز الضوء على الحلول المقدمة للمشكلة الفيتنامية ، سواء من حكومة **جونسون** او من المرشحين المرتقبين ضده فى انتخابات الرئاسة الامريكية . وقد ظهر بالطبع

تفاوت ما فى وجهات النظر بالنسبة لحل هذه المشكلة . كما ظهر هناك ايضا خلاف فى الراى بين وزير الدفاع **روبرت ماكنمارا** وبين عدد من كبار العسكريين الامريكيين ، حول قيمة زيادة الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية .

فبالنسبة للمرشحين المرتقبين لانتخابات الرئاسة وهم حتى الان ، **ريتشارد نيكسون** نائب الرئيس السابق ، **وجورج رومنى** حاكم ولاية ميتشيجان وهما من الحزب الجمهورى ، **وليندون جونسون** وحده من الحزب الديمقراطى ، نجد ان **نيكسون** يتبنى خطأ لا يختلف فى كثير عن خط حكومة جونسون ، فهو معتبر من حزب «الصقور» والعسكريين ويناصر التصعيد المستمر للحرب فى شمال فيتنام حتى « تخضع من شدة ضربها بالقنابل » ، اما رومنى فيرى ان ضرب فيتنام الشمالية بالقنابل ، لن يفعل سوى ان يعقد الموقف ويجعله يتفاقم دون ان تخضع فيتنام الشمالية ، ويرى ايضا ان الخطأ الكبير انما يأتى من «امركة» الحرب فى فيتنام ، لانه يجب ان يقوم بها اهل فيتنام الجنوبية . وبرنامج رومنى يثير الاهتمام ، لانه حسبما ترى جريدة «كومبا» الفرنسية «يعنى بصراحة انه اذا انتخب رومنى للرئاسة ، فسيسعى للتصالح مع هانوى ، ربما بالبدء بوقف ضرب فيتنام الشمالية بالقنابل ، وبخفض مساهمة القوات الامريكية فى الحرب فى فيتنام الجنوبية تدريجيا ، والقيام بسياسة داخلية ، وصفتها هذه الصحيفة ــ بأنها لصالح سايجون عن طريق مساندة الولايات المتحدة لها ماديا وماليا ، وقالت الصحيفة أنه على الرغم من عدم معرفة ما يمكن أن ينتج عن فشل تلك السياسة فى بلد ارهقته الحرب ، الا انها ستسمح للامريكيين بالانسحاب من الحرب دون ان يفقدوا ماء وجههم .

أما فيما يتعلق بموقف حكومة **جونسون** ، فالواضح منه حتى الان أن عدد القوات الامريكية فى فيتنام الجنوبية سيزيد ٢٥٫٠٠٠ جندى جديد ليصبح قبل آخر هذا العام ٥٢٥٫٠٠٠ جندى . والخلاف داخل حكومة جونسون نفسها ، انما يقوم حول الاستمرار فى قصف فيتنام الشمالية بالمعدل الحالى أم زيادة ذلك القصف بشكل عنيف وتميل الدوائر المطلعة فى واشنطون الى الاعتقاد بأن جونسون قد قرر ثانية ، اتباع طريقة الصقور ، أى السعى الى توسيع نطاق الحرب حتى تسنح له فرصة احراز نصر عسكرى !

وبهذا الصدد اشارت «الايمانيتيه» الفرنسية الى انه «ليس لدى الفيتناميين الرغبة فى تذوق مرارة الهزيمة ، والمعروف انهم هم الذين يسومون الولايات المتحدة عذاب الفشل» وان السياسيين والعلماء والصحفيين وعددا لا بأس به من عامة الشعب فى الولايات المتحدة يعتقدون بعكس جونسون ــ ان الحرب قد دخلت مرحلة حرجة بالنسبة للولايات المتحدة . وقد اوضحت الاحصائيات ان ٤٠٪ فقط من افراد الشعب الامريكى هم الذين يقرون سياسة جونسون .

اما الخلاف بين بعض كبار العسكريين وبين ماكنمارا وزير الدفاع فيرجع الى اعتقاد الاولين بان «الحرب لا يمكن كسبها ، طالما انه يوجد فى فيتنام الشمالية أماكن «مقدسة» لا يمكن الهجوم عليها ! ولذا فقد طالبوا بضرب ٥٠ هدفا جديدا من الاهداف العسكرية ، وقد قدمت لجنة الاستعدادات الخاصة التابعة لمجلس الشيوخ الامريكى اخيرا ، تقريرا انتقدت فيه بشدة روبرت ماكنمارا على اساس «انه يقف فى سبيل زيادة الغارات الامريكية الجوية فوق فيتنام الشمالية ، وانه يحبذ انتهاج سياسة التصعيد التدريجى للحرب ، مما مكن الفيتناميين الشماليين من بناء اعظم واقوى دفاع جوى فى العالم»ويطالب «الصقور» وهم عدد ملحوظ من كبار العسكريين الامريكيين ، ــ حسبما اشارت مجلة التايمز الامريكية ــ يطالبون «بدك فيتنام الشمالية الى الارض ومسحها من على وجه البسيطة واغلاق موانيها بالغارات او بالالغام فى وجه الروس والصينيين» .

وقد ناقش مكنمارا وجهات نظرهم وهو يرى ان دك فيتنام الشمالية ومسحها لا يمكن ان يمنع التسرب نهائيا» وبالنسبة لضرب الموانىء واغلاقها يرى «ان نسبة المؤن والذخائر الحربية التى ترد الى هانوى عن طريق هايفونج قليلة اذا قيست بما يرد اليها بالسكة الجديد والسيارات» كما يرى :

- ان اغلاق ميناء هايفونج لن يكفى لعزلة القوات الفيتنامية وقوات الفيت كونج .
- وان تشديد وزيادة الغارات تطلب التحرر من وقوع حوادث مع الصين وتوسيع نطاق الحرب
- وأن الحرب يجب ان يتم كسبها فى الجنوب .
- وان الهجوم الجوى الاكثر اتساعا سوف يكون فقط بمثابة عامل يؤكد ويزيد الخسائر بين المدنيين اساسا .

وبالرغم من ان ماكنمارا قد ختم تصريحاته موضحا انه «مهما كانت قيمة الغارات من الناحية الحربية ، الا انها لن تقصر اجل الحرب ولن تكون حاسمة ، لانها لن تجر هانوى الى مائدة المفاوضات الا اذا حدثت بشكل يؤدى الى فناء المدنيين ، مع العلم بأن الغارات ليست الا مكملة للحرب التى تدور فى فيتنام الجنوبية» بالرغم من هذا التصريح الا انه أعلن «ان الوقت قد حان لكى تتحمل الولايات المتحدة ، جميع المخاطر الضرورية ، اذا كان يتعين على جنودنا ان يقاتلوا بكل ما لديهم من امكانيات» مما يوضح الخط العملى الذى

سوف يتبع في الفترة القادمة . خاصة وانه لم يبدو بعد حتى الان مايدل اى دلالة على اتجاه جونسون للانسحاب من فيتنام وتسوية المشكلة التى طال تفاقمها .

●

■ كوريا

شعب كوريا مستعد لتلقين أمريكا درسا جديدا

قدم وزراء خارجية الاتحاد السوفيتى وسبع دول اشتراكية مذكرة الى اوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يطالبون فيها بادراج مسألة انسحاب القوات الامريكية وجميع القوات الاجنبية الاخرى من كوريا الجنوبية — فى جدول اعمال الدورة الحالية للجمعية العامة .

وقالت المذكرة ان انسحاب القوات الامريكية هو شرط رئيسى لاعادة توحيد كوريا سلميا — كما قالت المذكرة — ان تصعيد الحرب فى فيتنام — والعدوان الاسرائيلى على البلدان العربية بتأييد من الدول الاستعمارية — وزيادة توتر الموقف فى كوريا — ما هى الا اجزاء من هجوم استعمارى عام فى آسيا وافريقيا ضد الشعوب التى تكافح من اجل استقلالها وحريتها .

ويعلق المراقبون اهمية خاصة على طلب ادراج مناقشة موضوع انسحاب القوات الامريكية والقوات الاجنبية الاخرى من كوريا الجنوبية



● كيم ايل سونج ●

بسبب ماتوافر لدى المراقبين والصحافة العالمية فى الاونة الاخيرة من صور الاستفزازات المدبرة التى تبذلها الولايات المتحدة الامريكية لتصعيد التوتر ، والاستعداد المكشوف لشن حرب ثانية ضد كوريا الشمالية .

لقد تحولت كوريا الجنوبية كلها الى قاعدة للاعمال الاستفزازية العدوانية — وبالرغم من ان اتفاقية الهدنة تنص على عدم ادخال اسلحة للمنطقة المنزوعة السلاح سوى المسدسات والبنادق الخفيفة — والا تدخلها قوات سوى تلك التابعة لهيئة الرقابة — بالرغم من هذا ادخل الامريكيون للمنطقة المنزوعة السلاح — الاسلحة الاوتوماتيكية والمدافع والمورتار ثم الدبابات — واكدت **الاسوشيتدبرس** فى برقية لها «أن الولايات المتحدة بدأت فى اقامة حائط موت آخر فى كوريا الجنوبية يمتد مسافة ١٥١ ميلا على طول خط الهدنة مع كوريا الشمالية » .

وقد سجل المراقبون ان حوادث الاستفزاز — ومحاولات تصعيد التوتر فى كوريا — وكذلك الاستعدادات المحمومة لشن حرب جديدة قد زادت بشكل ملحوظ منذ زيارة الرئيس الامريكى **جونسون** لسيول عاصمة كوريا الجنوبية فى اكتوبر من العام الماضى .

ولقد اكد نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية كوريا الشمالية فى تعليقه على الاستفزازات الامريكية واحتمال العدوان انه «ليس امام شعبنا سوى طريق واحد وهو محاربة المعتدين » . — لقد خسرت أمريكا فى عدوانها السابق على كوريا (٥٠ — ٥٣) ثلث جيوشها وخمس قواتها الجوية واسطول المحيط الهادى كله بالاضافة الى الاسطول السادس الذى نقل وقتها على عجل من البحر الابيض — بالاضافة الى مليون جندى حشدتهم امريكا من خمسة عشر دولة دارت فى فلكها وشاركت فى عدوانها تحت علم الامم المتحدة — ولقد قتل الكوريون من قوى العدوان ١٫٠٩٣٫٨٣٩ جنديا من بينهم ٢٩٧٫٥٤٣ أمريكيا وصرفت امريكا ٢٠ الف مليون دولار واستخدمت ٧٣ مليون طن من الذخيرة وانتهى العدوان بالهزيمة

لقد شنت امريكا عدوانها الاول على كوريا الشمالية عندما انزل بها الشعب الكورى هزيمة سياسية كبرى — ففى مواجهة الانتخابات المزيفة التى اجراها الامريكيون بهدف فرض عميلهم **سنجمان رى** ، وتثبيت الوضع الانفصالى الناجم عن احتلالهم للاراضى الكورية جنوب خط عرض ٣٨ — فى مواجهتها — وتحت سمع وبصر قوات الاحتلال اجريت انتخابات عامة فى كل كوريا شمالها وجنوبها لانتخاب « مجلس

الشعب الاعلى » واشترك من الناخبين فى كوريا الشمالية ٩٩٫٩٧٪ ومن كوريا الجنوبية ٧٧٫٥٢٪ واجتمع أول مجلس نيابى يمثل كل الشعب الكورى فى الشمال والجنوب يوم ٩ سبتمبر ١٩٤٩ ليعلن بالاجماع الدستور وقيام الجمهورية الشعبية الديمقراطية وانتخاب «كيم ايل سونج» رئيسا لها.

وكان أول عمل للحكومة الجديدة فى كوريا الشمالية هو مصادرة الاراضى الزراعية التى كانت مملوكة للاقطاعيين واليابانيين بدون تعويض وتوزيعها بدون مقابل ، وتطبيقا لمبدأ الارض لمن يفلحها حظر تأجير الاراضى الزراعية وانشئت اللجان الريفية لتنفيذ الاصلاح الزراعى وصدر قانون تأميم الصناعات فاصبحت الصناعات الكورية والسكك الحديدوسائر وسائل المواصلات والبنوك فى أيدى الشعب — وصدر قانون العمل ليحدد ساعات العمل بثمانى ساعات ، وبدأ تنفيذ لوائح حماية العمال والتأمينات الاجتماعية

ولم تترك الحرب العدوانية الاولى للشعب الكورى غير رماد الحرائق وجثث القتلى والخراب — ولكن بفضل الحركة الجماهيرية الواسعة والمنظمة (الشوليما) التى قادها كيم أيل سونج — أمكن للشعب الكورى أن يعود من جديد يبنى بلاده ، وبنفس الروح التى كسب بها الحرب أمكن له انجاز مشروع السنوات الثلاث (٥٤ — ٥٧) ثم نجح فى انجاز مشروع الخمس سنوات (٥٧ — ٦١) فى أربع سنوات فقط ، ثم بدأ مشروع السنوات السبع الذى ينتهى هذا العام . وعاش الكوريون سنوات أعادة البناء وهم يربطون الاحزمة على البطون فى ظل أقتصاد متقشف جدا . لقد أدى الاحتلال الامريكى لكوريا الجنوبية الى عرقلة تناسق التقدم والنمو بين شطرى كوريا ، وكان الاحتلال الامريكى هو العامل الرئيسى فى تأجيل توحيد كوريا . فالوحدة الكورية كما يراها الشعب الكورى مسألة تتحقق بواسطة الشعب الكورى نفسه متحررا من أى تدخل أجنبى وبوسائل سلمية وعلى أسس ديمقراطية بعد أخراج الاستعمار الامريكى من كوريا الجنوبية بحيث يمكن تكوين حكومة مركزية موحدة تمثل جميع تطلعات الشعب ..

لقد أثبت الشعب الكورى وحكومته فهما عميقا لوحدة النضال المشترك ضد الاستعمار الامريكى — وخلال العدوان الذى تعرضت له بلادنا أصدرت حكومة كوريا الشمالية فى ٦ يونيو ٦٧ بيانا اعلنت فيه « أن الغزو المسلح الشامل الذى شنه التوسعيون الاسرائيليون ضد الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى بتحريض الامبريالية الامريكية . يعد عملا من اعمال النهب والسلب وقطع الطريق — وهو عدوان فاجر ضد أستقلال وأمن شعوب هذه البلاد — كما انه تهديد خطير للسلام فى الشرق الاوسط والعالم كله.

وأكدت الحكومة الكورية الصديقة باسمها واسم الشعب الكورى « تأييدها الكامل وتضامنها العسكرى مع الشعوب العربية فى الحرب العادلة للمقاومة ضد الامبريالية الامريكية والمعتدين الاسرائيليين ودفاعا عن أستقلالهم القومى وشرف أوطانهم وشرفهم » ■

●●●



"المجتمع العظيم" يتحول إلى "مجتمع مريض"

ان أغنى مجتمعات العالم ، وجد نفسه فجأة ، وكل شىء فيه ينطلق فى الطريق الخطأ ، فالمظاهرات والاضطرابات تعم كل الشوارع ، والشباب الذين فى عمر الورود يدخنون المخدرات، والخلافات تمزق القيادات حول الحرب الفيتنامية . ان كل هذه المشاكل ، ومشاكل اخرى غيرها تطحن المجتمع الامريكى ، الذى كان من المفروض ان تكون حركته الان فى اتجاه الطريق الى « المجتمع العظيم » ■

هكذا كتبت مجلة الـ يو . اس . نيوز اند ورلد ريبورت الامريكية فى تقريرها بعنوان « المجتمع العظيم ، يتحول الى مجتمع مريض » ، وقد أستطردت تقول : «أن طعم الحياة فى المجتمع الامريكى له الان مذاق مر ، كل شىء يتسم بالغرابة والاضطراب ، وهناك اعتقاد يزداد سوءا يوما بعد يوم ، بأن هناك مسألة خطيرة وأسئلة عديدة يعانى منها المجتمع الامريكى » .

ان عناوين الصحف الرئيسية ومقدمات النشرات الاخبارية تتناول كلها الاضطرابات التى تعم كل الارجاء ، فالمظاهرات الصاخبة فى كل المدن الكبرى ، والجريمة ترتفع نسبتها بصورة مخيفة وتغزو كل ركن من اركان المجتمع، واصبحت المخدرات والمارجوانا مادة اساسية يتعاطاها معظم الشباب الامريكى .

وقد قال السناتور الامريكى وليم فولبرايت فى خطبة اخيرة له : « ان الحرب الفيتنامية تسمم حياتنا الديمقراطية ، وتشيع فى جنباتها روح الشر والجريمة » . وان الشعور بعدم المسئولية وباللامبالاة ينتشر فى كل مكان . كذلك فان الاضطرابات العنصرية خلال السنوات الماضية ، جعلت الناس يرفضون اطاعة القوانين التى لا يحبونها ، وكانت النتيجة ان اصبحت الاوضاع فى بعض المدن اقرب ماتكون الى الحرب الاهلية .

ان الارقام لها كل دلالتها بهذا الصدد ، ففى عام ١٩٦٤ وقعت ١٤ حادثة من حوادث الاضطرابات ثم نقص هذا العدد الى ست حوادث فى العام التالى . ولكن عندما نشبت حوادث « واتس » فى لوس انجلوس لقى ٣٤ شخصا مصرعهم . وفى عام ١٩٦٦ انتشرت الاضطرابات العنصرية فى ٣٨ مدينة ، وفى هذا العام عمت الاضطرابات ١١٥ مدينة من بينها ديترويت التى شهدت أعنف اضطرابات عنصرية فى التاريخ الامريكى .

وقد نشر مركز التحقيقات الفيدرالى تقريرا جاء به انه خلال السنوات من ١٩٦٠ الى ١٩٦٦ عندما كان السكان فى الولايات المتحدة يزيدون بنسبة ١٠ ٪ ، ازدادت الجريمة فى نفس الفترة بنسبة ٦٢ ٪ ، وازدادت جرائم الاغتيال بنسبة ٢١ ٪ ، وازدادت عملية انتهاك الاعراض بالقوة بنسبة ٥٠ ٪ ، وارتفعت نسبة التعدى على الاشخاص بنسبة ٥٢ ٪ .

وقد ذكر رجال الدين وعلماء النفس ودوائر البوليس ، ان مبدأ العنف اصبح شيئا عاديا فى حياة الفرد الامريكى ، ويقول الدكتور فريدرك ورثام : « ان هناك شواهد تؤكد ان المجتمع الامريكى يتجه الى التحلل . ولعل ابرز دليل على هذا ، هو ظاهرة العنف التى اصبحت طابعا مميزا للحياة الامريكية » وتقول اليو . اس . نيوز أند ورلد ريبورت ، « ان الشعب الامريكى يؤمن تماما بمبدأ العنف ، فالاطفال يلعبون بدمية عبارة عن قنبلة ذرية صغيرة ، والافلام السينمائية تراق فيها الدماء انهارا ، وتستطيع اذا فتحت اجهزة التليفزيون ان تشاهد احداث الحرب الفيتنامية كما لو كنت تشاهد مباراة رياضية » .

وقد تحدثت احدى المجلات الدينية عن الفضائح الجنسية فقالت ان الدعارة اصبحت داءا مستشريا فى الولايات المتحدة ، كما اوضحت ان الشباب الامريكى هو الذى يدفع الثمن غاليا ، ذلك ان جرائم الشباب فى ازدياد خطير ، فبينما زادت نسبة عدد الشباب الذين يتراوح سنهم بين ١٠ و ١٧ عاما بمقدار ١٩ ٪ ، فان الجرائم التى يرتكبها هؤلاء الشباب ، زادت فى نفس الفترة حتى وصلت الى نسبة ٥٤ ٪ .

ويقول هارولد سميث رئيس نقابة المحاسبين فى شيكاجو « ان الناس لا يربون اطفالهم كما يحبون والاطفال لا يدرسون ، وليس هناك شىء يفعلونه بعد عودتهم من المدارس الا التسكع فى الشوارع » .

ويقول أيضا « ان ثورة الشباب تجاوزت كل التوقعات وتعدت الجريمة نفسها » . أن الشباب الان يكره العمل والنضال ويلوذ بالراحة وممارسة الحب . ويفسر استاذ جامعى هذه الظاهرة فيقول « ان المأساة هى ان هؤلاء الشباب عناصر طيبة تبحث عن بعض القيم فلا تجدها وعندما يتطلعون الى مجتمعهم يجدون انه مجتمع مريض ، وحينئذ لا يكون رد الفعل لديهم سوى اليأس والتواكل والمرض » .

« والان نرى عشرات الالوف من الشباب تتجمع فى «الفرز» لتعاطى المخدرات والمارجوانا، وتقول بعض التقديرات ، ان هناك مليون شاب يتعاطون المخدرات واضعاف هؤلاء يتعاطون المارجوانا رغم تحذيرات الاطباء من خطرها » .

وتتزايد فى الولايات المتحدة نسبة الانجاب غير الشرعى ، ففى عام ١٩٤٠ ، كانت نسبة الانجاب غير الشرعى تبلغ ٣,٨ ٪ من مجموع الانجاب كله . وفى عام ١٩٦٥ اصبحت النسبة ٧,٧ ٪ .

والحقيقة ان عددا كبيرا من الكتاب قد تعرض لمسألة اخرى ، هى تأثير الحرب فى فيتنام على المجتمع الامريكى نفسه . منهم الكاتب ج . ج سيتج فى مجلة البانوراما الهندية ، ولمقال هذا الكاتب بعنوان « اثام امريكا تهز ضمير العالم » اهمية كبرى نظرا لان المعروف عن كاتبه انه صديق كبير لامريكا ومعجب بطريقة الحياة الامريكية ومما قاله ج . ج سيتج : « وثمة شىء آخر قام به الامريكيون فى فيتنام يعرض مستقبل العالم للاخطار ، ذلك انهم بأعمالهم وتصرفاتهم فى

فيتنام ، قد اطلقوا القتال لروح من العنف واللاأخلاقيات فى كافة ربوع العالم . فهل نجح الامريكيون فعلا ، فى كسب عطف واحترام الفيتناميين الجنوبيين الذين من المفروض انهم يقومون بحمايتهم من شرور الحكم الشيوعى ؟ والاجابة على هذا انه لم يحدث شىء من هذا القبيل ، بل ان ما حدث هو ابعد من ذلك بكثير .. وقد لا يكون لدى المتواطئين مع الامريكيين الشجاعة لكى يقولوا لهم هذا ، ولكن كيف يكن الفيتناميون الجنوبيون الاحترام للامريكيين ، فى الوقت الذى اصبحت فيه « سايجون مجرد ماخور امريكى كبير » ..

«من وجهة نظرى أن جموح نزعة العنف بسبب اعمال القتال الوحشية للرجال والنساء والاطفال فى فيتنام ، قد استشرى فى كل مكان .. وفى اعتقادى أن التطرف والمغالاة التى تبدو بوضوح فى حوادث الشغب العنصرية التى تنشب فى امريكا . ترجع الى ما يحدث فى فيتنام » ..

وتعرض الكاتب ايضا لازمة الديمقراطية فى المجتمع الامريكى ، وبالنسبة للطابع العدوانى للسياسة الامريكية ومما قاله « ان المأساة التى تتكمن فى فيتنام ، هى ان كافة مستويات الديمقراطيين فى طول العالم وعرضه ، قد تلقت صدمة مؤلمة .. فاستعراض القوة الامريكية المهولة بطريقة سافرة قد بدا فى خلق الشكوك حول ما اذا كان ادعاء امريكا بممارسة الديمقراطية ، يتسم بعدم الاخلاص ، وما اذا كان الامريكيون قد تحولوا الى ذئاب فى ثياب حمل وديع ام لا ، وقد جعلت اعمال امريكا فى فيتنام ، الناس ، يتساءلون : ما اذا كانت تبنى هناك امبراطورية جديدة .. وهم يعتقدون بأن ايادى مختلفة فى امريكا اليوم ، تقبض على زمام القوة ، وبأن الامريكيين المحبين للسلام ، قد وقعوا فريسة خدعة وسائل الاعلام المؤثرة ، والتى تبث الاعتقاد بأن الصراع فى فيتنام موجه ضد الشيوعية العالمية ومن اجل حماية « سبل عيشهم » . ومع هذا تؤمن الغالبية العظمى من شعوب العالم بأن الفيتناميين الذين يحاربون الامريكيين ، مقاتلون احرار يضعون رقابهم فوق اكفهم من اجل بلادهم ، كما فعل الامريكيون انفسهم عام ١٧٧٦ » ..

« فهل تسعى امريكا الى دحر العالم باسم الديمقراطية ؟ واذا كانت هذه هى الحقيقة ، فدع امريكا تأخذ حذرها لانها ـــ كأى متطلع آخر الى هزيمة العالم ـــ ستأكل التراب بأسرع ما يمكن .. »

ان المشكلة العنصرية ، مشكلة الزنوج تنخر ايضا فى عظام المجتمع الامريكى .. ولقد تكلم عديد من الكتاب الامريكيين والمجلات عن صيف هذا العام باعتباره « الصيف الحزين الذى مر على الولايات المتحدة » ، وحسبما نشرت مجلة **النيوزويك** الامريكية وصف احد اعوان جونسون المناخ النفسى الذى مرت وتمر به الولايات المتحدة منذ حوادث الاضطراب قائلا : « ان الحزن يخيم على الولايات المتحدة ، لان الامور تسير فى مجرى خاطىء ، ولا يمكن ان ينقشع الحزن الا اذا حدثت اشياء طيبة » ، وقال آخر « ان الدولة قد بلغت ادنى درجات العجز فى معالجة مشكلتى الحرب والاحياء السوداء الحقيرة » ..

وحسبما كتبت النيوزويك الامريكية « فان الثورة السوداء قد هزت امريكا هزا وبلغت ذروتها فى **نيو آرك وديترويت** ، وعلى الرغم من خمود النيران ، فلا تزال هناك مسيرات للسود ، بل من الناس من يظن ان الاضطرابات السوداء قد تحدث فى الشتاء لاول مرة فى تاريخها . وبذا اتضح ان المشكلة العنصرية اعمق وابعد مما يتصوره الامريكيون » . وقد اشارت المجلة ايضا الى ان **جونسون** رغم مشاغله فى الحرب الفيتنامية وعجز ميزانيته بنحو ٣٫٠ مليون دولار يعمل لحل المشكلة . فأمر بتكوين لجان لاجراء بحوث اكاديمية يمكن ان تتمخض عن حلول لمشاكل الاسكان والبطالة وجرائم الاحداث والفقر المدقع ، الا ان المجلة اشارت الى « انه من المنتظر فى الوقت الحاضر وفى هذه السنة بالذات ، ان توضع التقارير والبحوث على الرف لان البيت الابيض مشغول بالحرب وبالميزانية والضريبة الاضافية » ..

والحقيقة ان ثورة السود الامريكيين ليست مجرد ثورة عنصرية ، وانما تحمل ايضا بذور ثورة اجتماعية ، وقد اشارت **«الموند»** الفرنسية الى انه مما لا شك فيه ان جماهير السود الفقراء ، تكون بروليتاريا من الدرجة الثانية ، يصيبها الهوان والذل بسبب البؤس الذى تعانى منه ، وبسبب انها تعتبر اقلية لا تشترك فى الرخاء العام ، وتعانى فى الوقت نفسه من الفقر وسط هذا الغنى الفاحش .. ولقد اثبتت انتفاضتهم الاخيرة ، قدرتهم على الحاق خسائر فادحة «بالحضارة البيضاء» فى الولايات المتحدة ، ووجود وسائل هامة للضغط لديهم ايضا .. واشارت الموند الى ان موجة الحقوق المدنية التى احدثت تقدما منذ عشر سنوات ، قد ساعدت على ان يلاحظ السود ، ان المساواة القانونية ستظل ضربا من الوهم الشكلى طالما لا تكون هناك مساواة اقتصادية ، ومع هذا فان المساواة الاقتصادية تصطدم بنفس العقبة التى تواجهها المساواة القانونية ، وهى الراسمالية ..

ولما كان حل مشكلة السود وتحقيق السيطرة

السوداء بالشكل الذي يراه الزنوج صعبا ، لهذا كتب الكاتب الفرنسي « موريس دوفرجيه » يقول : انه بسبب هذا « يمكننا ان نخشى ان يقتصر الزنوج على العنف الذى لا حول له ولا قوة ، والذى يقابله من الجهة الاخرى ، عدم فهم البيض لمشكلاتهم ، أو عدم وجود نية صادقة لديهم فى حل مشاكل بروليتاريا القرن التاسع عشر ، وبذا نرى ان الطرق البدائية للاستياء « الثورى » تؤذن بالانتشار فى اكبر دولة عصرية فى العالم » .

« وربما تدفع المطالبة بالسلطة السوداء ، السلطة البيضاء فى المستقبل القريب ، الى اتباع اساليب فاشستية جديدة » .

على ان مشاكل الاضطراب فى المجتمع الامريكى لم تقتصر على الزنوج ، بل امتد الاضطراب واستشرى حتى وصل الى طبقيات العمال الذين قام بعضهم فعلا بالاضراب ، كعمال شركة فورد الذين اضربوا فى ٩٣ مصنعا فى ٢٥ ولاية امريكية ، مطالبين بزيادة الاجور ، واضراب عمال النحاس الذى شل العمل فى ٤ من اكبر الشركات المنتجة للنحاس ، بالاضافة الى اضراب المدرسين المتذمرين فى ديترويت ونيويورك وبلتيمور ، واعمال الفلاحين الذين يتظاهرون ويحتجون بسبب هبوط اسعار محاصيلهم . وقد قدم **جاردنر آكلى** كبير المستشارين الاقتصاديين للرئيس الامريكى جونسون ، تقريرا الى مجلس الوزراء الامريكى عن اضراب عمال فورد ، قال فيه انه ما دام الاضراب مقصورا على شركة فورد وحدها فان تأثيره « سوف يؤدى فقط الى القضاء على حالة الانتعاش فى الاقتصاد الامريكى » .

وحسبما كتبت « **الفيناننشيال تايمز** » البريطانية « يتوقع الاقتصاديون الامريكيون ان يصاب الاقتصاد الامريكى بأضرار بالغة حتى لو اقتصر الاضراب على عمال فورد وحدهم ، واذا استمر الاضراب لمدة ٣٠ يوما فقط ، وقد ينتشر فى شركات أخرى ، وهذا متوقع الى حد كبير ، فان الاضرار التى ستلحق بالاقتصاد الأمريكى ستفوق الاضرار التى لحقت بالولايات المتحدة عام ١٩٦٤ » .

ويزيد مشكلات المجتمع الامريكى الحالية تفاقما ، زيادة دور العسكريين ونفوذهم ، لدرجة ان تساءلت الهيرالد تريبيون الدولية فى مقال افتتاحى لها عما اذا كانت السيطرة فى امريكا للعسكريين ام للمدنيين . وقد اوضحت هذه الجريدة : « ان القادة العسكريين الذين نصحوا جونسون بالنسبة لفيتنام وفشلوا فى ان يسفر نصحهم (بزيادة التصاعد) عن اى تحسن فى الموقف العسكرى ، اصبحوا الان على رأس المعارضين لاى توقف مؤقت فى عمليات القصف الجوى على فيتنام الشمالية كمقدمة لمحاولة الدخول فى مفاوضات مع هانوى ، سعيا وراء الوصول الى حل سلمى » .

●●●



غابت الشمس التى أذابت الثلوج

فى اول سبتمبر ١٩٦٧ ، توفى الكاتب السوفيتى الاشهر اليا اهرنبورج عن ٧٦ عاما ، بعد حياة طويلة غنية بالانتاج المتنوع ، حافلة بالمعارك النضالية والفكرية التى لم تتوقف حتى آخر الحياة .

والعالم يعرف عن اهرنبورج ويقرأ له اكثر مما يعرف ويقرأ لاى كاتب سوفييتى آخر ، على الرغم من ان اهرنبورج نفسه لم يحتل ابدا المركز الاول فى تنظيمات الكتاب السوفييت واتحاداتهم فقد كان اهرنبورج من ذلك النوع الذى لايمكن ان ينطبق عليه وصف « كاتب الدولة الرسمى » ــ فى اى زمان او مكان .

ولد ايليا اهرنبورج عام ١٨٩١ فى مدينة سان

بطرسبرج (لينينجراد) ، في اسرة متيسرة الحال ، وشهدفي صباه احداث الثورة الروسية الاولى عام ١٩٠٥ ، وفي عام ١٩٠٨ انتقل الى الحياة في باريس، وعلى الرغم من انه اصبح فرنسيا اكثر من الفرنسيين — على حد تعبير البعض — الا انه ظل شديد الارتباط بوطنه والتعلق به ، وعندما قامت الحرب العالمية الاولى ، اشتغل مراسلا لاحدى صحف سان بطرسبورج في الجبهة ، ثم هرع الى داخل روسيا بعد ان قامت الثورة عام ١٩١٧ ، ولم يكن لاهرنبورج دور يذكر في الثورة ، ولكنه شهد عن قرب كثيرا من معاركها ، وبخاصة بين جيوش الثورة وعصابات الثورة المضادة في بعض انحائها ، وبخاصة في جورجيا والقرم .

وبعد ان انتهت الحرب الاهلية او كادت ، عاد اهرنبورج للحياة في موسكو عام ١٩٢٠ ، ليعيش هناك معظم سنوات العشرينات ، وهي فترة كانت — في تقديره — غنية بالصراع بين مختلف الاتجاهات والتجارب الفنية والادبية (المستقلة — الرمزية — الواقعية الاشتراكية . . الخ)

وفي اوائل ١٩٢٢، صدرت اولى رواياته : « جوليوجورنيتو » ، التي دفعت به الى الصف الاول من كتاب روسيا السوفيتية .

ثم عاد اهرنبورج مرة اخرى للحياة في باريس معظم سنوات الثلاثينات ، حيث كان يشتغل مراسلا لجريدة برافدا ، وظل هناك الى ان اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، حيث شهد عن كثب الصراعات الاجتماعية والسياسية التي كانت تعتمل في قلب المجتمع الباريسي ، والتي انتهت الى انهيار فرنسا امام الضربات الخاطفة لجحافل النازية ، وسجل ذلك في واحدة من اعظم رواياته ، هي « سقوط باريس » .

وواضح ان ابتعاد اهرنبورج عن روسيا في فترة الثلاثينات كان مصحوبا باحساسه بالنفور والجزع من مظاهر العسف والاضطهاد التي شابت الحياة السياسية والفكرية في بلاده بسبب اخطاء الفترة الستالينية ، وهو احساس لم يعبر عنه الا مؤخرا ، بعد موت ستالين .

غير ان الهجوم الغادر الذي تعرضت له بلاده في يونيو ١٩٤١ من جانب المانيا الهتلرية أطلق العنان لوطنيته الاصيلة وكراهيته التي لا تحد للغزاة النازيين ، ودفعه الى مقدمة الكتاب الذين الهبوا حماس الشعوب السوفيتية في « الحرب الوطنية الكبرى » . وقد وصف ستالين نفسه افتتاحيات اهرنبورج التي كان يكتبها لجريدة برافدا من الجبهة بأنها تعدل « كتائب كاملة من المحاربين » ، والرواية التي تعبر عن هذه الفترة المريرة الحافلة من حياة اهرنبورج واعماله هي رواية « العاصفة » .

وعاد اهرنبورج مرة اخرى الى نوع من الانكماش مرة اخرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حيث ساد الاسلوب الستاليني بحكم قبضته على مقدرات الحياة والفكر والفن والادب في داخل الاتحاد السوفييتي ، ومرة اخرى عاد اهرنبورج ينشط خارج الحدود، فقد قام في ١٩٤٦ بزيارة للولايات المتحدة استمرت عدة شهور ، اصدر بعدها عددا من المقالات تفضح خرافة الديموقراطية الامريكية ، وتسخر من اسلوب الحياة الامريكي ، وتنبه الى خطورة العنصرية والدعوة للحرب التي رأى انها تهدد مستقبل السلام والحرية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، غير ان دور اهرنبورج برز بصفة خاصة ابتداء من عام ١٩٤٨ في حركة السلام ، حيث تصدر حركة المثقفين السوفييت الذين اسهموا مع غيرهم من المثقفين التقدميين في العالم كله لتأسيس مجلس السلام العالمي ، وتولى في هذه الحركة ، التي ليس لها طابع رسمي او حكومي، اعلى المراكز ، سواء على النطاق السوفييتي او العالمي .

والرواية التي تعبر عن بحث المثقفين التقدميين، على اختلاف جنسياتهم ، عن عالم واحد يسوده السلام والتفاهم والتقارب الفكري والحضاري والروحي . . . هي رواية « الموجة التاسعة » ، وهي كبرى رواياته .

ولعل اهم اعمال اهرنبورج واكثرها اثارة للفكر والجدل جاءت بعد ذلك ، وبخاصة رواية « ذوبان الثلوج » ، وهي رواية صغيرة صدرت بعد حوالي عام واحد من وفاة ستالين ، وفي هذه الرواية طرح اهرنبورج ابرز المشكلات التي كان يعاني منها المجتمع السوفييتي اثناء فترة حكم ستالين ، وركز الضوء بصفة خاصة على سيطرة



● اهرنبرج ●

البيروقراطية ومخاطرها على التطور الاقتصادى والازدهار الفكرى والروحى للمجتمع الاشتراكي الناشيء ، وناقش بحسريه ، لاول مره فى تاريخ الادب السوفييتي ، اشكالا من القهر السياسي والمصادرة الفكرية ، وانتقد مظاهر متعددة من عدم التناسق فى النمو بين مختلف الانشطة البشرية فى فترات الثورة والتحولات الاجتماعية الكبرى، وعرض اشكالا من الصراع بين الجيل الثورى القديم الذى صنع الثورة البلشفية الكبرى ، وصد عن البلاد جيوش التدخل الاجنبية وفلول القوات القيصرية ، بكل ماكان يتصف به ذلك الجيل من تفان ومثالية وتجرد عن الذات — وبين الجيل التالى ، الذى كان اول نتاج خالص لمجتمعنا بعد الثورة ، وما اصابه من امراض النفعية والذاتية والانطواء والتهيب من تحمل مسئولياته الاجتماعية، والرواية دعوة موجهة لهذا الجيل لكي يطرح عن نفسه عوامل الجمود والتهيب التي يعزوها الكاتب الى سيطرة البيروقراطية وما تفرضه من اساليب القمع والمصادرة ، بل انها دعوة موجهة الى المجتمع السوفييتي كله ان يذيب الثلوج التي تراكمت اثناء الفترة الستالينية .

وكانت « ذوبان الثلوج » اول عمل من نوعه يصدر فى الاتحاد السوفييتى ، وهي فى مغزاها السياسي والاجتماعي كانت سباقة على اعمال المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي الذي انعقد بعد أن كتبت الرواية بحوالي عامين ، وبعد صدور قرارات المؤتمر ، وما أعقبهامن رجة عنيفةفى صفوف مثقفى الغرب الذين كانوا يعطفون على التجربة السوفيتية ، كتب اهرنبورج اشهر مقالاته الادبية السياسية بعنوان « تفسير لابد منه » ، يخاطب فيه هؤلاء المثقفين ، ويدعوهم الى موقف اكثر عقلانية من المجتمع السوفييتى .

ولم تكن ذوبان الثلوج وثيقة سياسية واجتماعية بالغة الاهمية فحسب ، ولكنها كانت ايضا عملا فنيا قيما ، احيا فيه اهرنبورج التقاليد العريقة للادب الروسى العظيم الذى يتعمق النفس البشرية بكل ما يدور فيها من حوار داخلي ، وصراعات عاطفية ، وموازنات اجتماعية .

وآخر ما صدر عن الكاتب الكبير — وكأنه كان يشعر بدنو الاجل — كانت هى « المذكرات » ، نشرت منها حتى يوم وفاته خمسة اجزاء ، واثارت جدالا ومعارك ظلت محتدمة حتى آخر ايام حياته، « والمذكرات » ، علاوة على قيمتها كعمل ادبى كبير ، هى بمثابة حكم — باثر رجعى — على احداث نصف قرن من الحياة السياسية والادبية والفنية فى الاتحاد السوفييتى .

وأخيرا ، فلعله ياتى يوم نعطى فيه الادب السوفييتى ما يستحقه من الدراسة والاهتمام فى بلادنا، ونعطى فيه لادباء ذلك البلد الصديق الكبير — وفى مقدمتهم اهرنبورج — ما يستحقونه من عناية وفهم .

●●●

■ **سينما**

نصف قرن من عمر الثورة على الشاشة السوفيتية

يحتفل العالم التقدمى هذا الشهر بالعيد الخمسينى للثورة الاشتراكية الاولى ، ثورة اكتوبر ، فى الاتحاد السوفييتى . وهو أيضا عيد السينما السوفييتية التي قطعت شوطا طويلا فى التعبير عن المجتمع الجديد الذى ابرزته الثورة الى الوجود ، منذ كان الفيلم السينمائي مجرد صورة متحركة ولكنها صامتة ، الى ان اصبح تجسيدا لاحدث منجزات التكنيك العلمى ، ولعل فى كلمات المخرج فسفولد بودوفكين « تاريخ السينما هو تاريخنا نحن ، تاريخ تطور كل منا » مايؤكد هذه الحقيقة الهامة وهي ان السينما كفن جماهيرى قد سجل مختلف مراحل تطور الحياة السوفييتية .

وحين قال لينين « ان الفن يخص الشعب » كان يذكر فى اللحظة نفسها شرارة الميلاد الاولى لفن جديد يغاير شكلا ومضمونا الفن البرجوازى السائد ، ذلك ان القوى الاجتماعية الوليدة كانت لها اهتماماتها وهمومها المغايرة اصلا لاهتمامات وهموم الطبقة البرجوازية ، اى ان « الموضوع السينمائي » الذى تعبر عنه القصة والسيناريو والحوار ،كان العنصر الاول فى مهام التغيير الثورى الذى طرأ على الفيلم الروسى . وفى معهد السينما

الصامتة تفتحت مواهب كبيرة فى تاريخ الشاشة السوفييتية مثل المخرج العظيم أيزنشتاين وبودوفكين ودفجنكو .. وهم الذين عبدوا الطريق لاجيال عديدة لاحقة لمرحلتهم التى يؤرخ لها النقاد بالفترة الواقعة بين عامى ١٩١٧ و ١٩٣٠ . وكان اول فيلم اخرجه ايزنشتاين هو « الاضراب » عام ١٩٢٤ بمثابة تمرد وعصيان على التقاليد البالية فى الفن « فان سيل الحياة الثورية للجماهير الشعبية التى كرست قواها لاسقاط النظام الملكى هو الذى اصبح اساس التأليف الدرامى . فلا ثلاثى العشاق ، ولا العقدة البوليسية ، ولا دسائس الصالونات بل النزاع الطبقى هو المحور والاساس » كما قال جريجورى الكسندروف فى ذكرياته .

وكانت « المدرعة بوتمكين » هى الفيلم الثانى فى حياة أيزنشتاين ، ونقطة التحول الحقيقية فى الفيلم السوفيتى فى عهده الصامت . اذ انها كانت بمثابة التجميع التركيبى لعدة عناصر الى جانب الاخراج السينمائى كشفت عن الامكانيات الهائلة التى **يلعبها هذا ((التجميع)) فى السينما كفن . وكثيرون من مؤرخى السينما — كجورج سادول — يعد هذا الفيلم فتحا فى تاريخ السينما العالمية ، اما بودوفكين فقد اخرج النسخة الاولى من فيلم « الام » عن قصة موركى العظيمة ..**

وبالرغم من ان الفيلم فى نسخته الاولى ، وفى نسخته الجديدة لايرتفع الى مستوى الرواية الاصلية ، الا انه كان نقلة لا شك فيها مهدت السبيل نحو استلهام روائع الادب السوفيتى سينمائيا .

اى أن السينمائيين السوفيت وجدوا فى بداية الامر ان « الحل الناجز » لمشكلة الموضوع السينمائى هو الاتجاه مباشرة الى حياة الجماهير الصانعة للثورة ، ثم الاتجاه بعد ذلك الى الاعمال الادبية المعبرة روائيا ومسرحيا عن تطور هذه الجماهير .

ولكن السينما السوفييتية لم تتجه ابان مولدها الى تصنيع الفيلم الكامل الجماهيرى وانما اتجهت الى الفيلم التسجيلى الوثائقى فأنتجت فى العشرينات «سقوط سلالة رومانوف» و«روسيا نيقولاى الثانى » و « الطريق الطويل » . وفى هذا الصدد يقول احد رواد السينما السوفيتية « لقد سرنا فى سبيل غير مطروق . وفى سياق الاكتشاف والتجربة كتبنا باللقطات السينمائية تارة الافتتاحيات وطورا المقالات الاخبارية وحينا التحقيقات السينمائية وحينا آخر القصائد السينمائية » .

ولقد تطور الفيلم السوفيتى بعد ذلك تطورات هائلة ، يوجزها فرتوف فى قوله ((الاساس والاهم: الاحساس السينمائى بالعالم . اما نقطة الانطلاق فهى استخدام الكاميرا السينمائية كعين سينمائية ارقى من عين الانسان ، لاجل دراسة فوضى الظواهر المرئية التى تملأ المكان)) . وأصبح الانسان العادى هو ((**البطل**)) الذى يملأ وجود المتفرج ويكيف حياته وفق المتطلبات الجديدة التى يمليها التاريخ والاشتراكية . واضحت ((**مواجهة الواقع**)) هى الاسلوب العلمى السليم لفهم كل ما هو جديد وامست السينما سلاحا حيا فعالا فى يد الثورة واحد منجزاتها الكبرى . وكان فيلم ((**الارض**)) الذى انتجه دوفجنكو من بواكير الاعمال التى ابدعت المعنى السوفيتى للسينما .

وكان فيلم ((**الطلقة ٤١**)) من أهم الامتدادات الحية التى أخرجها جريجورى تشوخراى ، وعنها يقول « .. هذا التعقد الخارق فى الاحداث التى كانت تقع آنذاك فى كل لحظة هو الذى استهوانى فى قصة الطلقة ٤١ ، وكذلك جو الحياة المضطربة والامال العاصفة التى لم يكن ليضن المرء بشىء فى سبيل تحقيقها . ثم الاحساس بالعالم الجديد حيث سيكون كل شىء عادلا ، متناسقا ، جميلا ، شريفا . ان الناس لم يخطئوا فى دغدغة هذه الامال . انما أخطأوا حين ظنوا ان العالم الجديد سيطل على النور . فقد تبين أنه ينبغى بناؤه ، وأنه لا يمكنه أن يظهر الا بنتيجة جهود بطولية كبرى يصبح الناس فى مجراها مثقفين واعين اغنياء الروح . ويسعدنى اننى بدأت عملى فى السينما بموضوع الثورة على وجه الدقة لان جميع مشكلات مجتمعنا الحالى قد بدأت آنذاك . ويخيل الى انه لم يكن بوسعى مطلقا ان اصبح فنانا لو لم يتردد فى اعماق روحى نغم الثورة الجليل ، الفاجع ، الجميل » .

ولعله من مآثر السينما السوفيتية على تاريخ الفيلم فى العالم ، انها اتجهت الى انتاج التراث الانسانى الكلاسيكى ، سواء كان تراثا روسيا لدستويفسكى أو تولستوى او تراثا اجنبيا وصلت به الى الذروة فى الاعداد والاخراج والتصوير والموسيقى ، كما يلاحظ نقاد العالم فى الانتاج السوفيتى لانتاج شكسبير وبخاصة ((هاملت)) وفيلم ((دون كيشوت)) لسرفانتس .

لقد دخلت السينما السوفييتية بهذه الاعمال مرحلة « الانتاج العالمى » بحق حيث تخرج من عزلة المشاكل المحلية من ناحية والعاجلة والمرحلية من ناحية اخرى ، الى اعمق المشكلات التى يعانيها الانسان فى عالمنا المعاصر .




■ شخصيــــة مصر ــ دراســــــــة في عبقــرية المــكان للدكتور جمــــال حمــدان ــ كتاب الهـــلال يوليو ١٩٦٧.

■ من المجـــلات الفـــكرية العـــالمية مجــلة الكوميونيســت الســـوفيتية الاحتكارات البترولية وعدوان اسرائيل.

شـــخصية مصر

دراسة في عبقرية المـكان

للدكتور جمـــال حمدان
كتاب الهلال يوليو ١٩٦٧.

يقول د.جمال حمدان في مقدمته وهو يتحدث عن الشخصية الاقليمية :

« اذا كانت الجغرافيــا في الاتجاه الســائد بين المـدارس المعاصرة هي « التباين الارضي » أي التعرف على الاختلافات الرئيسـية بين اجـزاء الارض على مختلف المستويات ، فمن الطبيعي ان تكون قمة الجغرافيـــا هي التعـرف على « شخصـيـات الاقاليم » ، والشخصية الاقليمية شيء اكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصـائص وتوزيعات الاقليم ، انها تتساءل اساسا عما يعطي منطقة تفردها وتميزها بين سائر المناطق ، وتريد ان تنفذ الى « روح المكان » لتستشف « عبقـريته الذاتيـة » التي تحدد شخصـيته الـكامنة genius loci . ومن الواضح ان مثل هذه النظرة ليست تحليلية وانما هي تركيبية في الصف الاول ، نظـرة واسـعة عالمية Weltanschauung كما يقول الالمان .

وبديهي كذلك انها لا تقتصر على الحاضر وانما هي تترامى بعيدا عبر الماضي وخلال التاريخ ، لانه بالدور التاريخي وحده يمكن ان نتعرف على الفاعلية الايجابية للاقليم وعلى التعبيـر الحـر للشخصية الاقليمية .

اردت بهذا النص الطويل ان احدد للقارىء حدود المكان الذي يقف عليه د.جمال حمدان .. هذا الجغرافي الملتزم . والكتاب يقـع في ٢٥٦ صفحة من القطع الصغير .. وهو عبـارة عن مقدمة ــ وهي من اروع اجزاء الكتاب ــ ومن تسعة فصول تتحدث على الترتيب عن التجانس والوحدة ، من الطغيــان الاقطاعي الى الثورة الاشتراكية ، مركزية رغم الامتداد، من امبراطورية الى مستعمرة ، من السبق الحضاري الى التخلف، البناء الحضاري والاساسي الطبيعي، تعدد الابعاد والجوانب ، الاستمرار والانقطاع ، وينتهي الكتيب بالفصل التاسع ويحمل هذا العنوان الذي يوضح ويؤكد مسئولية الجغرافي الملتزم الذي يضع علمه

فى خدمة مجتمعه . وعنوان هذا الفصل الاخير هو : « بين الوطنية المصرية والقومية العربية »

نلمس فى هذا الكتيب ملامح واضحة جلية بارزة لعالم جغرافى مصرى بكل ما تحمله هذه الكلمات من تبعات ومسئوليات ، وبكل ماتحتمله من رؤية صادقة وامينة للواقع الجغرافى المصرى ، وهذا الكتيب محاولة مركزة غاية التركيز اراد صاحبها فى جهد واجتهاد مخلصين تقديم صورة لشخصية مصر عن طريق دراسة عبقرية المكان ، وهى دراسة علمية موضوعية ذكية لعبقرية المكان ولا اقول لعبقرية السكان،اذ تحدث المؤلف الموسوعى النشط فى جدة وفى طرافة وفى مهارة عن الموضع وعن الموقع وعن التفاعل الخصب الدياكتيكى بينهما « ونحن نستطيع ان نرى التناسق الدقيق بين اثر الموقع والموضع فى مصر قد زاوج فيها بين العزلة والاحتكاك فى زواج سعيد ... ان هذا التناسق الدقيق هو مفتاح جوهرى لشخصية مصر التاريخية، وبه نستطيع ان نحلل كيانها الحضارى ما كان منه وما سيكون » وتحدث المؤلف الفنان عن المكان والمكانة والامكانات ... وعن المنزل والمنزلة ... فى اسلوب علمى ادبى ساحر يشد القارىء من البداية حتى النهاية ، وفى شىء من الحماسة التى تشير الى هذه الحيوية الشبابية التى يمتلىء بها قلب العالم وعقل الجغرافى،والمؤلف يملك مفردات علمية خاصة به كان يلعب بها فى كتيبه برشاقة ودقة ومهارة . وكم كنت اود ان يكتفى المؤلف بالحديث عن عبقرية المكان وعن الموقع والموضع وعن المكانة والامكانيات ... الخ ، ذلك لانى احسست ان عالمنا الشاب المتحمس بدا الكتابة وهو يملك فكرة مسبقة وانا اخشى على هؤلاء العلماء — مهما بلغ اخلاصهم — ان تدفعهم افكارهم المسبقة الى لون من التحيز — الطيب والبرىء — والى نوع من التعصب — الطيب والبرىء — مما يفسد جمال البحث العلمى ، كان حديثه — مثلا — عن فترات التاريخ المصرى حديثا منكسرا .. اذ كان كثير الهبوط والصعود وكان يمر مرا سريعا بفترة من الفترات ويبطىء عند فترة اخرى بطئا شديدا مما ارهق الشكل الفنى لهذا العمل العلمى الجليل ، واحب ان اقرر ابتداء ان المؤلف قد حقق لى حلما من اروع احلامى .. ان ارى كتابا يتحدث عن شخصية مصر ، ولقد حقق لى حسين فوزى بعض هذا الحلم فى « سندباد مصرى » ، هذا العالم الذى كتب كتابه بقلم شاعر وبقلب فنان .

ويبدو لى ان مؤلف شخصية مصر كان يسير فى موضوعية علمية فى ثلثى حديثه عن موضوع من موضوعات مؤلفه ، وفى الثلث الاخير كان يخرج — دون قصد — عن حدود هذه الموضوعية العلمية وينتهى الى مايشبه الخطابية الدعائية .. الشىء الذى كان يفسد على متعتى بالثلثين الاولين ، ولعله لو اختصر هذا الكتيب الى الثلثين لقدم لنا ادق بحث عن شخصية مصر،يمكن ان يصبح دليل عمل لفريق من العلماء يتوفرون لكتابة جغرافية وتاريخ مصر . فانت تحس فى حديثه عن الشعب المصرى بشىء من التناقض فهو يقول مرة « ان مصر ليست «ارض الطغيان» كما يتوهم البعض، لا وليست « ارض النفاق » هى ، وليست وداعة الفلاح وصبره ضعة واستكانة ، كما ان نظامه وطاعته ليست خوفا وطمعا ، وانما هى جميعا خامة الحضارة والتقدم نشأها النيل » ولكنه يقرر فى مكان آخر « لا يعرف تاريخ مصر من ينكر ان الطغيان والبطش من جانب والاستكانة والزلفى من الجانب الاخر هى من اعمق واسوأ خطوط الحياة المصرية عبر العصور ، فهى فى الحقيقة النغمة الحزينة الدالة Leitmotiv فى دراما التاريخ المصرى »

ولعل اروع اجزاء هذا الكتيب هو المقدمة التى تحدث فيها المؤلف عن الشخصية الاقليمية والتى دافع فى نهايتها دفاعا مجيدا عن هدفه ، وفيها رد ردا حاسما على كل من يحاول ان يجد تعارضا بين الوحدة العربية وهو الحلم العظيم الذى نكافح جميعا لتحقيقه — وبين التفرد الذى تتميز به كل شخصية اقليمية عربية على حدة .. وانا ارى فى هذه المقدمة — ولقد سجلت افتتاحيتها فى مقدمة كلمتى — مقالا عن المنهج يشبه مقال ديكارت ومقدمة ابن خلدون .

وانا لا اتفق مع المؤلف فى وقفته الظالة من الاهرام الذى اعتبره اروع وادق الاعمال الهندسية والرياضية والفلكية والسياسية والاجتماعية والروحية التى بناها العمال والمهندسون المصريون والتى سجلوا فيها بالحجر كل فلسفتهم وكل علمهم وكل فنهم وكل دينهم ... وليس الطغيان هو الذى بنى الاهرام .. لا ولا الاستبداد او السخرة او الاستغلال .. انه عمل من اعمال المحبة والايمان والصبر والصراع والبناء .. انه صلاة علمية كلماتها من حجر ، والاهرام تؤكد مايقرره المؤلف وهو يتحدث عن «النيل والمصرى» اذ يقول :

« ان دراما التاريخ الحضارى المصرى برمتها وعلى طولها يمكن ان تختزل اساسا فى صيغة صراع ملحمى بين المصرى والنيل ، تؤلف ادواره وفصوله «اساجا» ايكولوجية حقيقية،تبدا بالعنصر الطبيعى سيد الموقف بل الها يعبد ، وتنتهى اخيرا باليد العليا للعنصر البشرى »

والشعب المصرى يجمع الى وداعته وطيبته وصبره الايجابى الخلاق كل ما يتميز به الروح العظيم من كفاحية ومقاومة وصمود وذكاء .. والا فكيف نفسر كيف عاش هذه الالاف من السنين وكيف احدث هذا الاثر الباقى فى حضارة الانسان

فى كل مكان ... ولو ان المؤلف دخل الى شخصية مصر عن طريق اسطورة ايزيس وأوزيريس بكل ما يملكه من وسائل وطرائق علمية لتمكن ان يضع يده على الملامح والسمات والقسمات الحقيقية لشخصية مصر .. ولكنه اكتفى بأن قدم لنا دراسة فى عبقرية المكان كمقدمة الى توضيح وتقديم شخصية مصر ».

ولا ادرى لماذا تذكرت الآن عالما آخر ... هو المؤرخ العظيم — كما — عبد الرحمن فهمى الذى اندفع تحت تأثير فكرة مسبقة الى اخطاء وخطايا تاريخية وهو يحدثنا عن شخصية الفلاح المصرى الثائر والبطل المكافح النبيل احمد عرابى ، واحسست ان شيئا فى منهج المؤرخ والجغرافى خطأ ... لعله شىء من الشطح والاندفاع والخضوع لفكرة مسبقة ، ولعل الشىء الذى دفع بالخطأ الى اجزاء من هذا العمل الرائد المجيد هو ان المؤلف اراد ان يقدم عملا دعائيا .. وهناك فرق كبير ودقيق بين العلم الملتزم الذى ارادة المؤلف وحدده فى مقدمته وبين العمل الدعائى .. واحب ان اقرر مخلصا انى اتفق مع المؤلف كل الاتفاق فى كل الاهداف التى استخدم علمه فى سبيل الدعاية لها .. ولكنى ارفض ان يوظف العلم لأى عمل دعائى .. ان العلم الموضوعى النزيه الامين هو خير واجل دعاية لكل اهدافنا النبيلة .

وفى هذا الكتيب رسم المؤلف خريطة صادقة وواضحة لعبقرية المكان الذى نشأت عليه وفيه مصر .. وكل من يقرأ هذا الكتيب يخرج وهو اشد تحمسا لقضايا بلده واقوى ايمانا بوطنه واشد التصاقا بارضه وبالجماهير التى تعيش على هذه الارض ... يخرج وهو اعمق اخلاصا للوطن العربى الكبير .. كما يخرج بمجموعة طيبة من المفردات العلمية التى اضافها العالم الجغرافى المصرى الى القاموس العلمى العربى .. وهذا الكتيب الرائد يعتبر اول كتاب علمى يتحدث عن شخصية مصر بهذه الجدة والجدية .. وبهذه الطرافة وبهذا الوضوح والجلاء والدقة وبهذا الشمول والموسوعية ».

قرأت هذا الكتيب مرتين وسوف اقرأه مرات اخرى كثيرة ... وكم اود ان يتوفر فريق من العلماء المصريين لكتابة تاريخ مصر من النواحى الجغرافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والفنية والادبية والفولكلورية ، وأن تقوم الدولة حتى يتم مثل هذا العمل الجبار بانشاء مركز للبحوث التاريخية ».

ان هذا الكتيب هو اشارة البدء ودعوة للعلماء للنظر فى بلادهم والى ارضهم .. فى داخل انفسهم وفى خارجها ».

اليس من المؤلم ان يبقى « وصف مصر » وهو العمل الكبير الذى قدمته البعثة العلمية الفرنسية فى بداية القرن التاسع عشر .. ان يبقى بدون ترجمة .. وهناك كتب اخرى عن مصر يجب ان تتنبه وزارة الثقافة الى ان تكلف من يقوم بترجمتها ».

واخيرا اختم هذه الكلمة السريعة عن هذا العمل القيم بهذا النص « ان الاستمرارية المصرية لاتعنى التكرار Repetitive بقدر ماتعنى التراكمية Cumulative ولعل فولنيو برى P.E. New berry ادنى الى التعبير عن هذه الحقيقة (مصر وثيقة من جلد الرق ، الانجيل فيها مكتوب فوق هيرودوت، وفوق ذلك القرآن ، وخلف الجميع لاتزال الكتابة القديمة مقروءة جلية) ».



الاحتكارات البترولية وعدوان اسرائيل

مجلة الكومونيست السوفيتية

عملت الصحافة السوفيتية فى الفترة الاخيرة على كشف الصلة الوثيقة بين العدوان الاسرائيلى الاخير على البلاد العربية واهداف الاستعمار الامريكى والبريطانى وبالتحديد احتكارات البترول الامريكية والبريطانية ذات المصالح الاستغلالية فى البلاد العربية .

ونعرض على سبيل المثال ملخصا لمقالة فى مجلة «كومونيست» الشهرية ، وهى المجلة النظرية والسياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى .

نشرت المجلة فى عدد أغسطس الماضى مقالا

بعنوان «الاحتكارات البترولية وعدوان اسرائيل» بقلم ب. راتشكوف. يقول المقال ان تحليل الحوادث الناتجة عن العدوان الاسرائيلي ضد البلاد العربية، يبين ان لاحتكارات البترول الغربية دورا هاما في التحضير للعدوان وتنفيذه. «فبفضل عمليات النهب المستمرة التي تمارسها احتكارات البترول تضخمت ثرواتها، بحيث اصبحت تمارس ضغطا هائلا في توجيه سياسة الدول الرأسمالية».

ويضم الكارتل الدولي للبترول ٦ من بين ١١ من الاحتكارات البترولية التي يصل متوسط ما يحصل عليه كل منها على ٣٠٠ مليون دولار من الارباح الصافية».

وتشير الاحصائية الرسمية كما في الجدول الآتي (وهي بملايين الدولارات)، الى مدى أهمية المصالح البترولية الامريكية في الشرق الاوسط:

وقد حصلت استثمارات الصناعة البريطانية في الخارج في عشر سنوات من ١٩٥٥ الى ١٩٦٤ على ٢ر٦ مليار جنيه استرليني ارباحا صافية كان نصيب الشركات البترولية وحدها من هذه الارباح ٤ر١ مليار جنيه استرليني».

لذلك فقد ارتبطت حركة البلاد العربية من اجل الاستقلال الاقتصادي بالكفاح ضد الاحتكارات البترولية الغربية. ولعبت المؤتمرات البترولية العربية دورا كبيرا في تعبئة القوى الوطنية في ذلك الكفاح، فقد اثير في تلك المؤتمرات ضرورة العمل على تعديل الشروط المجحفة بالعرب التي اشتملت عليها العقود البترولية مع الاحتكارات الغربية».

ووقفت الاحتكارات البترولية ضد محاولات الدول المصدرة للبترول للتكتل وتوحيد قواها.

واثناء العدوان الاسرائيلي الاخير وقفت «شركة البترول العراقية» (البريطانية) الى جانب العدوان على آمل ان تستطيع بعد ذلك ان تملي شروطها من مراكز القوة».

واجتمع ممثلو الدوائر المالية والصناعية والتجارية العالمية في القدس لمدة يومين، لبحث الوسائل لمساعدة اسرائيل. وحضر الاجتماع حوالي ٦٠ من اصحاب الاعمال من ١٤ بلدا، من بينهم اصحاب ملايين يستثمرون رءوس اموالهم في صناعة استخراج البترول. واتخذ مؤتمر أصحاب الملايين — كما اطلقت عليه الصحافة الاجنبية — قرارا بالمساندة السياسية لاسرائيل، وتقديم المعونة المالية والمعلومات الفنية لها».

وتفزع الاحتكارات البترولية الامريكية والبريطانية من فكرة تأميم الصناعات البترولية في البلاد العربية. وهي تعبيء ضد ذلك الهدف كل ما لديها من وسائل اقتصاديةوسياسية وفكرية. وتسعى لخلق ظروف اقتصادية في سوق البترول الرأسمالي تسمح له بتنظيم مقاطعة البترول المؤمم وبالتالي خنق البلد الذي يلجأ للتأميم بأن تمنع عنه دخله من البترول.

وعمد الكارتل الدولي للبترول الى ايجاد احتياطي من البترول يستفيد منه في حالة التأميم، بالامتناع عن استيراد البترول المؤمم. ورغم ان ذلك الاحتياطي لا يكفي للاستغناء عن بترول البلاد العربية، الا انه كاف للاستغناء عن استيراده من بلد او بلدين عربيين. اما في حالة تأميم كل البترول العربي، فلن يستطيع الكارتل ان يفعل شيئا. ولذا يبذل كل جهوده لمنع تحقيق وحدة البلاد العربية الغنية بالبترول».

وتتصرف، في العادة، حكومتا امريكا وانجلترا وفقا لمصالح الاحتكارات البترولية، وتتحول الى اداة لتحقيق رغباتها. ووسائل الاحتكارات لتحقيق ذلك كثيرة: منها شراء «الاشخاص اللازمين»، ومنها وضع رجالها ومحاميها في مراكز المسئولية. ونجد امثلة واضحة لذلك في الولايات المتحدة الامريكية، حيث ان عشرات من اعضاء الكونجرس يعتبرون الدفاع عن اصحاب الصناعات البترولية واجبهم الاساسي».

	الاستثمارات الامريكية في الخارج		الربح الصافي من الاستثمارات الامريكية في الخارج	
	المجموع	في الشرق الاوسط	المجموع	في الشرق الاوسط
جميع فروع الصناعة	٤٩٢١٧	١٥٩٠	٣٩٦١	٨٢٢
نصيب البترول منها	١٥٣٢٠	١٤٩١	١٧٩٨	٨١٣

وفي الولايات المتحدة الامريكية توجد صلة وثيقة ودائمة بين رجال البترول والحكومة . من ذلك مثلا ان ما يسمى بالمجلس القومي للبترول ، الذي يضم مديري اضخم الشركات البترولية يعتبر جهازا استشاريا للبيت الابيض . ولكثير من الوزراء في امريكا علاقات وثيقة بالصناعة البترولية . فجون فوستر دالاس مثلا كان مديرا لمؤسسة روكفلر . ثم احتل ذلك المركز بعد ذلك دين راسك .. وتستظل احتكارات البترول بحماية المخابرات المركزية والبنتاجون .

وتستفيد احتكارات البترول ايضا من خدمات جنرالات حلف الاطلنطي . وتعتبر اللجنة الاقتصادية البرلمانية لبلاد الحلف حلقة اتصال بين الحلف والاحتكارات البترولية ».

ويعمل الكارتل الدولي للبترول على اشعال الخلافات بين الدول العربية آملا ان تستنفد قواها ومواردها في حروب يقتل فيها العربي اخيه العربي . ويعمل ايضا على تشجيع البقايا الاقطاعية والمتخلفة هناك آملا في تحويلها الى « طابور خامس » له ».

« ولان الامبرياليين لميثقوا ابدا في انهم سينجحوا لمدة طويلة في تحويل دولة عربية ضد اخرى ، فانهم لم يكلوا في السنوات الاخيرة عن محاولاتهم لاعداد اسرائيل لدور « حصان طروادة » في تلك المنطقة . واستغلوا في ذلك موقع اسرائيل الهام على حدود الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من البلاد التي تقف على رأس الحركة المعادية للامبريالية ، ووجدوا فيها اداة صالحة لاستخدامها ضد حركات التحرر الوطني في تلك المنطقة . ولولا مساعدة الامبرياليين الغربيين ما كان في استطاعة العصبة الحاكمة في اسرائيل ان تنشيء جيشا ضخما مسلحا تسليحا جيدا ، وان تقدم ذلك النموذج من الدناءة الامبريالية والمغامرة ».

ويعتبر الموقف الرسمي لواشنطن ولندن تجاه العدوان الاسرائيلي نموذجا واضحا للنفاق . فهم بالقول يبدون وكأنهم يهدفون الى الحل السلمي للنزاع العربي الاسرائيلي ، اما بالفعل فانهم يدفعون اسرائيل الى الحرب ».

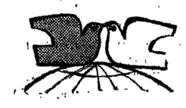
ومن الشواهد على ذلك مثلا ان السناتور الأمريكي جافيتس ادلى يوم ٢٩ مايو ، بعيد مباحثاته مع دين راسك حول الوضع في الشرق الاوسط بتصريح للصحف يعتبر دعوة لاسرائيل للقيام بعدوانها . فقد هدد الجمهورية العربية المتحدة « باجراءات عسكريه » . وقال ان الولايات المتحدة تستطيع ان تقوم بالعمليات العسكرية « جنبا الى جنب » مع اسرائيل ضد البلاد العربية . وانه اذا لم تنجح الولايات المتحدة الامريكية في اقناع الدول البحرية الاخرى بضرورة اتخاذ اجراءات رادعة ضد الجمهورية العربية المتحدة فان لدى الولايات المتحدة ما يكفي من الوسائل للقيام بالعمليات العسكرية في فيتنام والشرق الادنى في نفس الوقت ».

وهذا السناتور منتخب عن ولاية نيويورك ، وهو مدافع اصيل عن مصالح الاحتكارات البترولية ، ويعمل في تعاون وثيق مع **نلسون روكفلر** حاكم الولاية ».

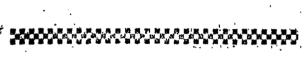
وبعد الحرب حرص هذا السناتور واعوانه في اسرائيل صراحة على عدم اعادة الاراضي التي احتلتها وطالبوا حكومة الولايات المتحدة ان تدافع عن كل مطالب اسرائيل ».

ويستطرد كاتب المقال فيقول ان الاحتكارات البترولية تعمل على اثارة التناقضات بين الدول العربية المنتجة للبترول وغيرها من الدول العربية ولكن الذي حدث هو ان العدوان قد ادي الى زيادة تلاحم جميع البلاد العربية . ومثال على ذلك قرارها جميعا بعد العدوان بوقف ضخ البترول لامريكا وبريطانيا ».

ويختتم الكاتب مقاله قائلا انه عندما دفع الكارتل الدولي للبترول اسرائيل الى الحرب فانه لم يتوقع النتيجة العكسية لتلك المغامرة ، الا وهي زيادة وحدة البلاد العربية ، وتدعيم مركز البلاد التي تقف بحزم ضد الاحتكارات الامبريالية ، وزيادة عدد انصار تأميم الصناعات البترولية في الشرق العربي ، وهو الامر الذي يخشاه الكارتل اكثر من اي شيء آخر ».







رأى فى تكوين حـزب طليعى قائد

كتب المواطن رشاد يوسف ، المدرب السياسى بأمانة العمـال .. الزقازيق ، يعرض لرأيه فى الدعوة الى تكوين حزب طليعى للاتحاد الاشتراكى يقول :

كثر الجدل وطال حـول حتمية بنـاء الحزب الاشتراكى الطليعى الذى يقود بالجماهير الكادحة نضال أمتنا تحقيقا لاهدافها النضالية فى الحرية والاشتراكية والوحدة ..

ولاجدال فى أن ميثاقنا الوطنى وخطب ومناقشات المناضل جمال عبد الناصر قد أكدت أن الاشتراكية كحل حتمى فرضها الواقع والتاريخ والظروف المتغيرة وهى الاساس العقائدى الذى يلتزم به كل مناضل ثورى سواء كان يعمل من داخل قوى الشعب العاملة أومن خلال حزب اشتراكى قائد ..

ولقد طالب الميثاق بأن ينص الدستور الجديد على ضرورة خلق جهاز سياسى جديد داخل أطار الاتحاد الاشـتراكى العربى ، يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويطور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعدها على أيجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات ..

بذلك يكون الميثاق قد أجاب مسبقا على حاجة الجماهير وما يطالب به طليعة الكتاب اليوم من خلال كتاباتهم فى الصحف والكتب والمجلات .. فلابد أن نضع حدا للخلاف على المسميات وهل يظل اسمه جهازا أم يغير باسم حزب اشتراكى مادام الهدف واضح ومحدد .. ومايجب أن يكون عليه الجدل اليوم سواء بين الجماهير الواعية أو الكتاب هو كيفية أختيار أعضاء هذا الجهاز أو الحزب ..

وحتى نفتح باب الجدل الى كيفية أختيار هذه الكوادر أسوق الآراء التالية :

● تشكيل لجنة من الامانة العامة أو لجنة يراسها عضو أمانة لاستقصاء الاراء وبحثها وبلورتها فى النهاية لعرضها على أعلى مستوى قيادى فى الاتحاد الاشتراكى لمناقشتها واقرارها.

● يتم أختيار الكوادر من بين الفئات الثورية المثقفة سواء كانت من بين الفلاحين والعمال والجنود وقيادات منظمة الشباب والمثقفين الاشتراكيين علاوة على القيادات الثورية التى برزت من الشعب خلال المعركة .

● مراعاة أن يكون سن هذه الكوادر من ٣٠ الى ٤٥ سنة فقط ..

● يعاد تصفية هذه الكوادر من خلال برنامج للتدريب السياسى بحيث لا يدخل هـذا التنظيم الا من درس هذه البرامج واستوعبها بنجاح .

● مراعاة تنفيذ برنامج التدريب السياسى لامانة العمال . بعد تطويره بحيث يكون ثلاث مراحل : أبتدائية ــ تقدمية ــ وأعداد القادة ، أسوة بما هو متبع بدورات أعداد المدربين السياسيين ، وعلى أن يقيم كل عضو من خلال كل مرحلة ولا يصعد العضو الى المرحلة الاعلى الا بعد حصوله على تقدير جيد على الاقل . ولدينا حوالى ٤٠٠ مدرب سياسى عقائدى وملتزم ــ يصلحون للقيام بهذه المهمة فورا ومارسوا العمل فى التدريب السياسى بنجاح فائق وهم بلا عمل الان .

● ضرورة اتباع مركزيــة الاشراف والادارة على هذه الدورات بحيث تتبع الامانة العــامة مباشرة . وتتحدد مسئولية الترشيح والاختيــار والمتابعة وضمان جدية العمل وسريته المطلقة .

● يتم تدريب أعضاء التنظيم عسكريا ليكونوا الطليعة السياسية والعسكرية والشعبية للتنظيم .

● عدم جمع الكادر لعمل فى أكثر من موقع أو موقعين ، اذ يلاحظ أن عضو المكتب التنفيذى يعمل فى أكثر من خمس مواقع الان مما أدى الى تجميد العمل أو انتقاله الى أيد غير جديرة به وأمينة عليه .

● حتميــة تعمــيم هذه البرامج فى الجيش بالنسبة للضباط والصف ــ لامكان تخريج قيادات عسكرية عقائدية مسلية تلتحم بالتنظيم وتلتزم باهدافه .

● انبثاق كافة قيادات التنظيمات الجماهيرية ــ النقابات والاتحادات والتعاونيات من داخل التنظيم ضمانا لربطهم أيدولوجيا وقيادتهم لتحقيق أهداف التنظيم الام .

● يقوم التنظيم بواسطة كوادره بعمل كتائب للخدمة الوطنية عن طريق تجنيد الشباب وأفراد الشعب فى الخدمة الميدانية سواء فى القرى أو المدن بالحل الذاتى لخدمة الجماهير الكادحة ولامكان تجنيد وتصعيد القيادات الجديدة .

● سرعة أستبدال أعضاء المكاتب التنفيذية بهذه الكوادر حتى لا يحدث الصراع الذى يعطل العمل الوطنى بسبب التصــادم بين القــديم والجــديد .

● أن يكلف كل كادر بتصعيد عدة قيادات يكون مسئولا عنها ، على أن يكون التصعيد بعد تقييمهم جديا ومن خلال عمل ملموس ماديا وعلى أن يمر بالتدريب السياسى بعدها .

● أطــلاق حرية التنظيم فى العمل بتوســيع سلطاته مع محاسبته الكادر بعنف وقسوة اذا أخطأ من خلال متابعته وتقييمه ميدانيا .

بذلك يمكن أن نستخلص الكوادر المؤمنة من قوى الشعب العاملة وتجنيدها لخدمة الشعب بعد صقلها فكريا وسياسيا لتخرج الى الميدان بايديولوجية موحدة وأسلوب عمل علمى وثورى وتدمر أعداء الشعب وتقود الجماهير بالكفاح المسلح والنضال السياسى والاقتصادى لتصفية العدوان الامبريالى الصهيونى والتصدى له باستمرار مهما أختلف لونه حتى يتم اقتلاعه ويسود للشعب حريته وكرامته ويعيد صنع الحياة على أرضه بالكفاية والعدل ... بالمحبة والسلام .

●

المواطنون .. والمسئولية

كتب المواطن محمد عيلى دياب من قوات السواحل والحدود بالاسكندرية يقول فى رسالة له بعث بها للطليعة :

أن الاحداث الخطيرة التى جرت على الارض العربية يوم ٥ يونيو الماضى وماتبعها من نكسة خطيرة أصابت الامة العربية ؟ وما أستتبع ذلك من حوار ومناقشات دارت على جميع المستويات بين الجماهير العربية عن أسباب النكسة وعن الطرق والوســائل الكفيلة بازالة آثارها . كل هذا يؤدى بنا الى اعادة النظر فى كثير من أمور حياتنا وان يتحمل كل فرد من جماهيرنا بمسئولياته وواجباته حتى نكون فى مستوى الموقف الذى يواجهنــا ....

أن المعركة لم تنته بعد .... وشعارنا الان أن المعركة مستمرة . فان العدوان الاسرائيلى الغاشم الذى وجه ضربته الينا يوم ٥ يونيو مؤيدا ومدفوعا بقوى الاستعمار والرأسمالية العالمية للقضاء على قاعدة الثورة والاشتراكية فى المنطقة العربية وهى الجمهورية العربية لم يحقق أهدافه فى أسقاط نظامنا الثورى الذى هبت الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو الماضى تعلن تأييدها له وأستعدادها للدفاع عنه . لقد كان هذا العدوان حلقة من

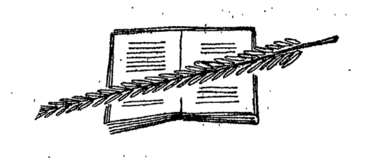
متسلسلة معارك مريرة وضارية بيننا وبين قوى الاستعمار والصهيونية .. معركة تعكس الصراع الدائر بين قـوى الثورة العـالمية وبين قوى الاستعمار والامبريالية ..

المعركة مستمرة اذن .. ويد تبنى ويد تحمل المدفع .. هذا صحيح .. والحياة لابد ان تستمر هذا امر طبيعى ، لكن ليس معنى ذلك ان يكون هناك عدو غاشم يحتل جزءا من ارضنا وقابع على بعد خطوات منا متربصا لكى يغدر بنا ويعتدى كل يوم تقريبا على اخوة لنا فى مدن القنال فيقتل ويدمر ، بينما قطاعات عريضة منا وكأن لايعنيها شىء مما يدور حولها ...

لقد قدر لجماهيرنا فى مدن القنال ان تواجـه غدر العدو حتى الان وهى تقف فى بسالة وشجاعة صامدة فى ميدان المعركة متحملة كل التضحيات التى يمليها عليها الموقف ولكن ميدان المعركة ليس محدودا بمنطقة معينة ، وعلى كل فرد منا ان يتحمل نصيبه من هذه المعركة المصرية ، ولكن من يزور مدن القنال ثم يرى مظاهر الحياة العادية فى القاهرة او الاسكندرية مثلا يتعجب للفرق الشاسع بين جو الحرب هناك ، وجو اللهو والحياة العـادية هنـا ...

ان الطاقات الكبيرة مثلا لدى شبابنا وخاصـة شباب الجامعات والمدارس الثانوية لم تستغل حتى الان الاستغلال الواجب سواء عسكريا او سياسيا ، ومن يرى جموع الشباب على الشواطىء وفى الميادين العامة وعلى نواصى الشوارع يتعجب لهذه الطاقات الكبيرة التى تهدر دون الاستفادة منها فى هذا الوقت العصيب ..

كما ان هيئة معونة الشتاء التى تستطيع ان تقوم بدور فعال فى مساعدة اللاجئين الذين تأثروا بالعدوان ، وبالعائلات التى هاجرت من مدن القنال الى المحافظات الاخرى . لم تتحرك لكى تكون فى مستوى الموقف . لقد كانت تسـتطيع جمع الكثير من تبرعات المواطنين .. كما كان يمكنها ان تخصص عربات مثلا او متطوعين لجمع هذه التبرعات بدلا من اكتفائها بأسلوبها الروتينى .. اسـلوب اللافتات والملصـقات التى تدعو للتبرع وكفى الله المؤمنين شر القتال ..



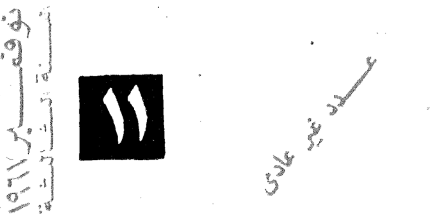


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام





الحزب .. الاتحاد الاشتراكى والثورة

ملف خاص : ثورة اكتوبر

كراس الطليعة : تحليل للوضع الداخلى

وثيقة سياسية : البرنامج الجديد لجبهة تحرير فيتنام

جيفارا : الإنسان .. المفكر .. المناضل .. الأسطورة



طـريق المنـاضلين الى
الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

الفهـــرس

العدد الحادى عشر ـ السنة الثالثة ـ نوفمبر ١٩٦٧

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .

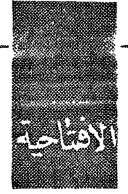
عنوان المراسلات :

« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٢٦٤ ـ ٤٤١٤٤

الاشتراكات

لسنة بالبريد العادى . ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .



١ فى مواجهة ثلاثة مواقف
٢ "جيفارا".. وأبو غزالة

١ ــ فى مواجهة ثلاثة مواقف • (*)

يرصد المراقب لحركة الاحداث فى الشرق الاوسط منذ حرب ٥ يونيو ٣ ثلاثة وقائع رئيسية ، أخذت فى التبلور والنضـــوج فى الاونة الأخيرة ، ونستطيع ان نحـدد هذه الوقائع الثلاث على النحو التالى :

● تطور المقاومة السلمية ــ بالاساليب السلبية ــ من جانب العرب فى الاراضى التى تحتلها اسرائيل الى مقاومة مسلحة ، تتصاعد باستمرار وتتسع نطاقها حتى غدت تتفجر داخل حدود الكيان الاسرائيلى نفسه ، وتجسد ذلك فى عمليات متوالية ومتعددة من اعمال الفدائيين العرب داخل الاراضى المحتلة والفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل نفسها .

وقد بلغت المقاومة المسلحة من الحدة والعنف بحيث اصبحت تمتد الى المواقع الاستراتيجية الاسرائيلية ، مثل بعض « الكيوبتزات » ، ومخازن السلاح والذخيرة . الامر الذى واجهته القوى الاسرائيلية بمزيد من الارهاب الدموى والعنف المركز ، حيث قامت بنسف العديد من البيوت العربية وملء السجون بمئات من الرهائن العرب على نحو ما كان يفعل النازيون خلال الحرب العالمية الثانية فى فرنسا وغيرها من البلاد التى احتلتها .

ولكن وطبقا « لقانون المقاومة والارهاب المعروف » فان الارهاب الاسرائيلى يعمق ويوسع من كم ونوع المقاومة العربية باستمرار . وهكذا وقع الاحتلال الاسرائيلى ــ ككل احتلال ــ فى الدوامة القاتلة للفعل ورد الفعل « للمقاومة والارهاب » .

ولعل الدليل على ذلك هو اقدام السلطات الاسرائيلية اخيرا على اصدار قانون ارهابى جديد لمواجهة ازدياد حركة المقاومة يقضى بسجن كل عربى تعتبره اسرائيل متسللا

مدة ١٥ عاما تزيد الى ٢٥ عاما اذا كان مسلحا وذلك علاوة على غرامة مالية تبلغ عشرة الاف جنيه .

● عدم فاعلية الاعتداءات الاسرائيلية المحدودة — سياسيا وعسكريا — التى دأبت اسرائيل على ارتكابها ضد العرب وخاصة فى منطقة قناة السويس وذلك بعد وقف إطلاق النار فى ٩ يونيو الماضى .

بل اصبحت هذه الاعتداءات المحدودة تكلف اسرائيل ثمنا غير يسير من الخسائر البشرية والمادية . وذلك باعتراف المراقبين المحايدين والاسرائيليين انفسهم . وحسب التقديرات الغربية التى وقفت عليها خلال رحلتى الاخيرة الى بعض العواصم الغربية فان خسائر القوات الاسرائيلية نتيجة عدوانها فى اواخر شهر سبتمبر الماضى على طول خط الجبهة فى قناة السويس قد بلغت وحدها حوالى ثلث خسائرها البشرية والمادية اثناء حرب الايام الستة كلها .

وكانت اسرائيل — ومازالت تستهدف — من هذه الاعتداءات المحدودة جس نبض مدى ما وصل اليه اعادة بناء القوى العربية المسلحة بعد النكسة من طاقة وقدرة من ناحية ، واحداث تدمير فى الروح المعنوية والجبهة الداخلية العربية من ناحية اخرى .

وقد ثبت الان — من خلال التجربة — ان القوى العربية المسلحة قد استعادت الجزء الاكبر من قدراتها وطاقاتها ، كما ونوعا وتنظيما . كما ان الاعتداءات ليست سلاح تدمير داخلى بقدر ما هى تساعد على لحم شروخ النكسة وتعميق الوحدة الداخلية ، شعبا وقيادة .

● بدء الانحسار النسبى لموجة الدعاية والدبلوماسية الاسرائيلية التى استطاعت ان تسود خلال الفترة السابقة على العدوان وبعدها ، الراى العام العالمى وتلون المواقف والاحداث بلونها الخاص ولصالح مخططاتها ضد الحقوق العربية .

وهذا الانحسار وان كان بطيئا فى حركته الا انه اصبح ملموسا ، وخاصة فى اوربا الغربية ، فى تغير لهجة العداء للعرب فى الصحف وفى التنديد باعمال العسف والارهاب الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة وضد العرب الفلسطينيين . وكذلك فى اضطرار الاوساط الصهيونية — لاول مرة منذ الحرب — فى اتخاذ موقف الدفاع والتبرير امام الراى العام العالمى لتصرفات اسرائيل العنصرية والارهابية .

وفى المجال الدبلوماسى نجحت الدبلوماسية العربية خلال عملية الانحسار الجارية — فى العمل على جذب بريطانيا من موقف الانحياز الكامل لاسرائيل الى موقف قريب من الموقف الحيادى . وربط ذلك بمصالحها المهددة فى الشرق الاوسط وباستمرار غلق قناة السويس طالما بقيت قوات الاحتلال الاسرائيلى فى الاراضى العربية . وهو امر يسبب خسائر فادحة للاقتصاد البريطانى الذى يعانى من ازمات كثيرة . حتى ان الوزير العمالى المعروف « **كروسمان** » صرح اخيرا بأن اغلاق قناة السويس قد سلب الاصلاحات الاقتصادية البريطانية الاخيرة جانبا هاما من قدراتها ومميزاتها .
ومن هنا لم تعد بريطانيا اليوم تقف موقف امريكا من ربط طلب الانسحاب من الاراضى المحتلة بشروط اسرائيل وانما اقتربت من موقف طلب الانسحاب دون شروط مسبقة فى البداية .

وهذه الوقائع الثلاث الاخذة فى التبلور تحدث اليوم اثرها فى علاقات القوى فى الشرق الاوسط التى نتجت اثر حرب ٥ يونيو مباشرة . وكانت محصلتها تعمل فى اتجاه المصالح الاسرائيلية — محليا ودوليا — بشكل عام ويكاد يكون مطلقا . بمعنى ان هذه الوقائع الثلاث قد بدات تغير بالفعل من موازين القوى وتنهى حالة العمومية والاطلاق فى الحركة لصالح اسرائيل . وذلك بما احدثته محليا ودوليا — من حركة مضادة لصالح العرب ، بعد صدمة الهزيمة العسكرية المروعة .

غير اننا لا يجب ان نعطى هذا التغيير اكثر من وزنه الواقعى وحجمه الطبيعى

والا أخطأنا من جديد فى الحسابات . ان التغيير قد بدا مسيرته ، ولكنه ما برح فى خطواته الاولى فحسب . وبتعبير آخر فانه يمكن القول ان القوى العربية ، سياسيا وعسكريا — محليا ودوليا — قد زاد وزنها وفاعليتها عن عشية الحرب ولكن ما برحت القوى المضادة فى مركز افضل واقوى نسبيا ، وان كان قد تسللت عوامل الضعف الى وزنها وفاعليتها ، وذلك بالقياس الى وضعها يوم وقف اطلاق النار فى التاسع من يونيو .

والنتيجة المتوقعة لذلك ، وبعد صمود الانظمة العربية التقدمية ، هى ان القوى الاسرائيلية والامبريالية ، قد فقدت اليوم القدرة على فرض شروطها وحلولها بالقوة اللازمة . وهى ما كانت تأمل وتعمل من اجل تحقيقه :

وبالتالى فليس هناك ازاء هذا الوضع الا اتخاذ واحد من ثلاثة مواقف موضوعية :
● **اما** ان تقبل اسرائيل والقوى الامبريالية بشروطنا فى ازالة آثار العدوان وهذا امر مستبعد ، والا فلماذا كانت الحرب العدوانية .

● **واما** ان تدخل فى عمليات مساومة تهدر من خلالها اقصى ما تستطيع من الحقوق العربية سواء بالنسبة للشعب الفلسطينى او الاراضى المحتلة وهذا امر مرفوض تماما من ناحيتنا ، فهو يتخطى « الحد الادنى » من الخط المشترك الذى اتفقت عليه جميع الدول العربية فى مؤتمر القمة فى الخرطوم .

● **واما** ان تعمد الى ارتكاب عدوان مسلح جديد بهدف الامل فى استعادة قدرتها على فرض شروطها وحلولها بالقوة . **وهذا هو أقرب المواقف احتمالا** . فهو من ناحية يتفق والطبيعة العدوانية للكيان الاسرائيلى العنصرى الذى تسيطر عليه مجموعة العسكريين الفاشيين المغامرين ، وهو من ناحية اخرى يحل لقضايا الصراع على السلطة بين مجموعات «رافى» و «الماباى» وهو من ناحية ثالثة البديل الوحيد لحالة « محلك سر » الباهظة التكاليف — ماديا ومعنويا — التى تعانيها اسرائيل منذ حرب ٥ يونيو دون ان تحل شيئا ذى قيمة من مشكلاتها الجوهرية ، وفى مقدمتها قبول العرب لها .

ومن هنا يصبح واجبا اساسيا على القوى العربية اليوم تركيز الجهود لمواجهة المغامرة الاسرائيلية الاستعمارية القادمة ، مواجهة حاسمة وبقدرة اكثر كفاءة وتنظيما . وفى نفس الوقت مواصلة العمل على زيادة بلورة وفاعليه وقائع التغيير الثلاثة ، وذلك بمضاعفة المقاومة التحريرية للارض المحتلة، وبرد الضربة ضربتان لاية اعتداءات اقليمية محدودة ، وبممارسة ذكية ونشطة ومرنة لحركة الدعاية والدبلوماسية العسربية ، مستفيده باخطاء وجرائم العنصرية الصهيونية المحمومة ، بحيث تزيد من ضخامة وفاعلية موجة الانحسار للدعاية والدبلوماسية الاسرائيلية فى الراى العام العالمى . وتعارض المصالح الاسرائيلية العنصرية مع المصالح الواقعية لعدد كبير من دول اوربا فى منطقة الشرق الاوسط .

— ٢ — جيفارا . . وأبو غزالة

على الرغم من الاعلان الحزين « لفيدل كاسترو » ، اقرب الرفاق الى «تشى جيفارا» بان المفكر والمناضل الاشتراكى الشاب قد قتل على ايدى قوات من الجيش البوليفى فى ٨ اكتوبر الماضى، فان الجماهير فى وطننا وفى كل انحاء العالم ما زالت ترفض ان تصدق، وتقاوم باصرار واقعة ان « جيفارا الانسان لم يعد حيا » .

وقد بلغ الامر ببعض منا هنا فى القاهرة ان راح يفسر بيان كاسترو القاطع بانه « مجرد تكتيك لحماية جيفارا الذى ما برح حيا يشارك بفكره ونضاله فى حركة الثورة بأمريكا اللاتينية ضد الامبريالية الامريكية » .

لماذا يرفض الناس — رغم كل الادلة والشواهد — تصديق مصرع جيفارا ؟ »

ولماذا من ناحية اخرى ــ تعمد الدكتاتورية العسكرية البوليفية الى عقد المؤتمرات الصحفية ، حيث تعرض الجثة المثقوبة بتسع رصاصات ، وتقطع اليد لمضاهاة بصمات الاصابع مع بصمات جيفارا المحفوظة بسجلات وطنه الاول الارجنتين .. وتفعل فى جنون مسعور كل ما من شأنه ان يؤكد موت جيفارا ؟ .

هل يرجع ذلك الى منطق الاسطورة الشعبية التى تخلقت من حول « ثورية جيفارا النقية » .. والاسطورة لا تموت ابدا ولو بقنبلة ذرية ؟ ! .

ام هل لان الناس اعتادت من قبل على سماع تأكيدات تلو التأكيدات بأن جيفارا قد مات حينا ، ووقع فى قبضة اعداء الثورة حينا آخر .. وفى كل مرة تذهب هذه التأكيدات مع الريح ، ويتنفس الناس من كل ارض ولون ــ الصعداء وترتاح نفوسهم الى ان « جيفارهم » حى ، يتنفس ويكتب ويحاور ويعلم ويلهب . ويمارس مسئولياته الثورية التى الزم نفسه بها فى مكان ما من ارض البشرية المطحونة « يحتاج الى خدماته المتواضعة » ؟ ! . . .

ام ترى ان الجماهير التى تتطلع من خلال نضالها المسلح او السلمى الى الحرية والاشتراكية والاخاء الانسانى ، قد تجسدت فى اعماقها من خلال موجة باهرة من الرومانتيكية ، أمنية عزيزة فى ان رجلا كجيفارا لا يمكن للموت ان ينال منه ، لا لشىء الا لانه يستحق الحياة . فحياة جيفارا لم تعد قضية فردية بل أصبحت رغبة انسانية شاملة .

والواقع ان جيفارا الذى لا يملك من الدنيا غير سنوات عمره التسع والثلاثين ، هو احد الشخصيات النادرة فى تاريخنا المعاصر التى سكنت قلب الانسان ، وبالذات انسان القارات الثلاث : امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا . وحاز باستمرار على الاحترام والتقدير حتى مع من يختلف معه فى بعض الافكار من الثوريين . ذلك ان جيفارا لم يكن مجرد ثائر لبلد واحد وشعب واحد ، وانما لكل البلاد ولكل الشعوب . ولم يكن ثائرا من ذلك النوع المكتبى البيروقراطى ، الذى عرفت التجارب الثورية فى السنوات الاخيرة نماذج منه ، يهدر كثيرا بالكلام ولا يعمل الا قليلا . بل كان ثوريا يلزم نفسه اول ما يلزم بالممارسة العملية لكل ما ينادى به من آراء وافكار وشعارات . وربط بين الفكر والعمل والتضحية ومصيره الذاتى فى نسيج واحد محكم .

فمنذ بدأ وعيه يتفتح على قيود الاستعمار والاستغلال التى تكبل بنى وطنه فى الارجنتين .. ووصل به التفكير الى « وحدة القضية » فى كل امريكا اللاتينية ، شرع منذ عام ١٩٥٤ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره يجول القارة مختبرا فكرته مع الواقع ، حتى اذا ما تأكد من « صدقها الموضوعى » راح يبحث عن أضعف الحلقات فى سلسلة القبضة الامبريالية واكثرها نضجا للحركة فيلقى بنفسه بين مناضليها مشاركا فى تفجير الثورة . فعل ذلك فى جواتيمالا وقاوم مع الرئيس التقدمى « اربينز » امبراطورية شركة الفواكه المتحدة عدة شهور قبل أن تسحق المقاومة وتفشل الثورة .

وكان يمكن ان تطويه هذه التجربة المريرة فى اليأس ويعود الى كنف طبقته البرجوازية وأسرة والده المهندس الثرى . وينعم كطبيب بدخل موفور نتيجة تعاطيه الطب فى بلد تمتص الامراض عافيته . ولكنه لم ييأس لان درجة تفاعله مع الجماهير قد بلغت حد الالتحام . وواجه الاختيار الحاسم فى حياته . فاختار الانفصال عن طبقته ومركز اسرته ومهنته ، ووهب فكره ونفسه للثورة التحريرية المسلحة .

وعلى الطريق ــ فى مكسيكو ــ التقى بشاب ثائر من كوبا هو كاسترو انفصل ايضا من طبقته البرجوازية واسرته ومهنته كمحام صمم على تحرير وطنه بقوة الجماهير المسلحة من دكتاتورية باتستا ، والتبعية القاتلة لامريكا الشمالية . وانعقدت بينهما أواصر زمالة كفاحية من أعمق الزمالات فى تاريخ النضال الثورى .

وتحررت كوبا وانهمك جيفارا مع كاسترو وكل رفاقهما فى اعادة بناء الوطن وحمايته

من موجات الغزو الاستعماري . واتخذ الشعب الكوبي — في فخر واعتزاز — شي جيفارا ابنا له . وكون أسرة جديدة من زوجة وثلاثة اطفال وقاد عملية التطوير الاقتصادي الاشتراكي لكوبا كوزير للصناعة .

وكان يمكن له عند ذلك الحد ان يستقر . فقد انتصرت ثورة شارك فيها بدور قيادي ، واستمر له نفس الدور خلال عملية البناء . وذاق طعم الحياة العائلية السعيدة واكتسب محبة الشعب الكوبي . وصارت له شهرة عالمية كثوري : فكرا وعملا . ولكنه لم يفعل . بل تنازل راضيا عن هذا كله ومضى تنفيذا لما الزم به نفسه من ممارسة قضية التحرير المسلحة في كل أمريكا اللاتينية « وتفجير اكثر من فيتنام » في جبهة العدو الامبريالي ، يحمل فكره واشعاعاته ومدفعه الرشاش في خدمة الثورة في بوليفيا الى ان استشهد .

وخلال هذا كله كان قد اتصل قولا وفعلا بكل الحركات الثورية في العالم وطاف في جولة دراسية بمعظم التجارب الثورية .. وزارنا هنا في القاهرة ، كما زار الجزائر . وباختصار اتخذته الانسانية وشعوب قارات التحرر الوطني التقدمي بالذات ابنا لها . وسرت كلمته الاخيرة التي وجهها في آخر رسالة له للعالم الثالث من موقعه في احراش بوليفيا الى اعماق الشعوب حينما قال : **« ان كل عملنا هو صيحة حرب ضد الامبريالية ، ونداء مدو لوحدة الشعوب ضد عدو الجنس البشري الاكبر .. امبريالية الولايات المتحدة الامريكية »** .

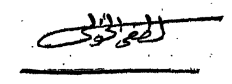
وقد اكدت الاحداث في فيتنام وفي الشرق الاوسط صدق كلمته .

وهنا بالدقة مصدر قوة جيفارا كثائر ومفكر اشتراكي لم يفصل يوما بين ما يعتنقه من آراء وما يمارسه من عمل .. ولو كان ثمنه هو الحياة نفسها . ولهذا قد تفلح القوى المعادية للثورة في أن تسلب الحياة من جسد جيفارا الفرد ، ولكن الشعوب تظل تمنح الحياة بلا توقف لابنها وتقاوم موته الجسدي فيصبح معدوم الاثر تماما . ويحيا جيفارا على الدوام ، حركة وفكرا ، على الرغم من الرصاصات التسع التي ثقبت جسده ، واخترقت اثنتان منها قلبه .

وتنبت ارض الانسانية الثورية اليوم وغدا عددا لا يحصى من المناضلين من النوع « الجيفاري » .

قبل يومين فقط من اعلان مصرع جيفارا .. تحرك على ارض فلسطين المحتلة في منطقة طوباس شاب فلسطيني مناضل هو « **مازن جودت أبو غزالة** » المسئول السياسي لمنظمة الفتح التحررية في المنطقة يقود مجموعة من المناضلين ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي الاستعماري في معركة استمرت ثلاثة ايام . وفي سبيل تغطية انسحاب المناضلين قام « ابو غزالة » كمناضل من « النوع الجيفاري » بتفجير قنبلتين في نفسه وفي القوات الاسرائيلية التي ظنت انه يستسلم له فاستشهد وقضى على عدد من القوات المحتلة وسهل انسحاب زملائه آمنين . وقع ذلك في نفس الوقت الذي كان اعداء الثورة في بوليفيا يحدقون الحصار على جيفارا .

« جيفارا » في بوليفيا .. و « ابو غزالة » في فلسطين .. من ابناء الانسانية الذين لا يموتون ، لان لهم اشقاء عديدون ينبتون بلا انقطاع في أحضان الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين في كل الشعوب .





تنشر « الطليعة » اليوم « القسم الداخلي » من كراسها الذي يعرض افكار اسرة تحريرها عن الوضع الراهن بهدف ادارة الحوار والمناقشة الموضوعيين حولها .

وكانت « الطليعة » قد نشرت في عددها الماضي كلا من« القسم العالمي» و « القسم العربي » من هذا الكراس التحليلي .

١ ـ بينما كانت قوى الثورة وقيادتها تؤكد على ضرورة نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعها بلا استثناء ، فلقد ظلت قيادات الدولة والجيش والقطاع العام تنتسب في غالبيتها الى المثقفين والطبقات الوسطى والصغيرة ، بحيث كاد الاتحاد الاشتراكي نفسه ، وهو مجرد تجمع أو تحالف على المستوى الوطني ، ان يتحول الى حزب لتلك الطبقات . وفي الوقت ذاته ، لم تصل الجهود التي بذلت لتكوين حزب اشتراكي طليعي يوحد في صفوفه كل القوى الاشتراكية الى نتيجة حاسمة بعد .

ان السلطة قد ظلت بأيدي بعض الطبقات الثورية لا بأيدى كل الطبقات الثورية . وتلك الطبقات التى

كان آباؤها يمسكون بزمام السلطة لم تكن مقتنعة بالتحول الاشتراكى ولا متحمسة للدفاع عنه ولا معنية بانجازه .

٢ — وعندما انفجرت هذه التناقضات الطبقية فى صورة ازمة النكسة حاولت الامبريالية والصهيونية اتخاذ هذه الازمة ذريعة لتصفية الثورة ذاتها . غير أن مبادرة الرئيس عبدالناصر والهبة التلقائية للجماهير العادية الحريصة على ثورتها فى حركة يومى ٩ ، ١٠ يونية ، قد وجهتا ضربة شديدة لمرامى قوى الثورة المضادة فى الخارج والداخل ، واعلنتا عن حتمية استمرار الثورة بقيادة عبد الناصر .

وكانت تلك نقطة بدء جديدة فى تاريخ ثورة ٢٣ يولية ، لقد بقيت الثورة التى ارادوا تصفيتها . لكن صارت القضية الحالة هى قضية استمرار الثورة لا مجرد بقائها . وكان استمرار الثورة يعنى فى الحقيقة حسم قضية السلطة ، او بعبارة أخرى ، اعادة البناء السياسى والعسكرى .

٣ — فالمرحلة الانتقالية الراهنة هى مرحلة سلمية ، لكنها تشهد اعنف صراع طبقى جرى على أرض بلادنا . ولسنا نعنى فقط صراع قوى الثورة ضد قوى الثورة المضادة . فهذا صراع عدائى يهدف الى التصفية . ولكنا نعنى ايضا الصراع داخل صفوف قوى الثورة ذاتها . فهو صراع غير عدائى ، لا يهدف للتصفية .

ان نقطة البدء فى الصراع الطبقى داخل صفوف قوى الثورة هى ضرورة التسليم بان هذه القوى، قوى اجتماعية متعددة وليست قوة واحدة، يمكن ان تنفرد بالثوره . والنقطة التالية هى ضرورة التسليم بأن التحالف الذى يجمع قوى الثورة ينطوى بالضرورة على تناقضات ، يجب أن تتم معالجتها على ارضية الاشتراكية ، أى على أساس تذويب الفوارق بين الطبقات . والنقطة الثالثة هى ضرورة التسليم بان حل هذه التناقضات يجب أن يتم بطريقة سلمية ، أى على أساس الديمقراطية .

٤ — ان المرحلة الانتقالية تفترض تنازلات متبادلة من كافة الطبقات الثورية من اجل السير فى طريق الاشتراكية ، فى اتجاه خلق وتطوير علاقات انتاج اشتراكية . وبالتالى :

ا — فلا يمكن ان ترفض طبقة تقديم التضحيات الضرورية والانفراد بالامتيازات الاجتماعية .

ب — ولا يمكن ان تكون تضحيات طبقة فرصة نادرة لاثراء طبقة أخرى والتسلق على السلم الطبقى .

ج — ولا يمكن ان تحتفظ الطبقة بمكانها فى التحالف الثورى سياسيا اذا تخلت عن دورها الثورى اجتماعيا .

د — ولهذا يمكن ان تفقد الطبقة مكانها فى تحالف قوى الشعب اذا فقدت وظيفتها الثورية . ولقد ادى استمرار الثورة وتحولها الى ثورة اجتماعية الى انعزال طبقات وفئات مطردة عن مجرى الثورة ، وبالذات الى ضمور قاعدتها الاجتماعية المستغلة من اقطاعية ورأسمالية والى تفتح قاعدتها الاجتماعية من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ثوريين ورأسمالية وطنية منتجة .

٦ — وفى السنوات الاخيرة ، ركزت قوى الثورة المضادة على الرأسمالية الوطنية وسعت لاجتذابها الى مواقع الثورة المضادة ، بالاستفادة من مراكزها فى قيادة الدولة والانتاج وتضخيم وتعميق نواقص تجربة التحول الى الاشتراكية .

وبينما كانت احداث كمشيش تعبيرا عن عمق الصراع الطبقى الدائر فى بلادنا ، وعلى الرغم من توجيهات المناضل عبدالناصر بأن تتولى لجنة تصفية الاقطاع القضاء على كل (استغلال) فى الريف ، تحولت الهبة الجماهيرية الى عملية ادارية تسد الطريق من اعلا فى وجه (الاقطاع) .وظلت تحذيرات عبد الناصر عندئذ « لن نقبل النصب علينا والكلام عن ان الثورة بيضاء ليعطوا لانفسهم الفرص للاستيلاء عليها ثم يقلبوها هم الى ثورة حمراء» — ظلت موضع التعويق الادارى والبيروقراطى اجتماعيا وسياسيا — حتى وقع العدوان .

٧ — ومن المعروف ان الحرب هى امتداد للسياسة . لكن هذه الحقيقة لا تقتصر على وضعنا الخارجى ، بل تمتد ايضا الى وضعنا الداخلى . لقد فجرت الحرب قضايا الصراع الطبقى وبخاصة فى صفوف قوى الثورة . وتلك حقيقة موضوعية، فرضت نفسها على جميع الطبقات ، بغض النظر عن رضانا عنها او سخطنا عليها . هذه الحقيقة لم تكن من صنع احد ، ولا يستطيع احد أن يصطنعها .

ولقد كان هذا هو فهم جميع الطبقات الاجتماعية للعدوان وللهزيمة العسكرية . لقد طرحت قضية مصير النظام القائم باسره للبحث ، وبينما أدركت الجماهير الثورية أنه يجب الحفاظ على النظام بكل ماحققه من مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية ،كانت القوى المضادة للثورة تستقطب

وتجاهر بعداوتها للنظام ومنجزاته . وعلى ضوء هذا الموقف كانت جميع الطبقات تحدد موقفها الوطني من قضية ازالة آثار العدوان .

٨ ـ تعادي الطبقة العاملة الاستعمار عداء اصيلا بحكم عداوتها للاستغلال بكافة صوره ، ومن هنا وطنيتها الاصيلة التي عبرت منها تقليديا منذ ثورة ١٩١٩ . ويضاعف من وطنيتها هذه حرصها على المكاسب الثورية والرغبة في توسيع قاعدتها . كما يعززها الدور البارز المتزايد الاهمية الذي تلعبه الطبقة العاملة على النطاق العربي .

لكن هناك عوامل تعقد من الموقف ، وتضعف من قوة الطبقة العاملة ، هناك ضعف التنظيم النقابي وشكليته وتخلفه الواضح في ٩ يونية . وهناك عدم وجود النشاط السياسي الجزيري والقوي الذي يربط جهد العمال اليومي بفكرة المقاومة بطريقة عملية وليس بمجرد الخطب ، وهناك الاحجام عن التوسع في التدريب على المقاومة الشعبية بين العمال ، وهناك أخيرا خطر استغلال الرجعية للمصاعب والتضحيات الاقتصادية ولمظاهر عدم الاتساق وعدم الوضوح في سياسة اجهزة الدولة لاشاعة البلبلة ، والتردد بين العمال .

٩ ـ لاشك أن فكرة المقاومة تستند لدى جماهير الفلاحين الفقراء الى الشعور الوطني الاصيل ، والى الشعور الديني الذي يلعب دورا ايجابيا في معاداة الاستعمار والصهيونية . لكن الفلاحين الفقراء يتمسكون بعبد الناصر ، ويحرصون على الثورة ، تعبيرا عن تمسكهم بالارض واقعا واملا . فالقضية الوطنية عند الفلاحين هي في الاساس قضية الارض . غير أنه لم يتم أي مجهود واع للربط بين المقاومة ضد المعتدين وبين خطر عودة الاقطاع .

اما تعبئة الفلاحين للمقاومة ، فيمكن القول بصعوبتها وانحصارها في مدن الريف ، بل انعدامها عمليا وذلك على الرغم من سهولة تدريب الفلاحين باسلحتهم ذاتها .

١٠ ـ لا يمكن انكار الشعور الوطني والشعور الديني الذي يحمل أغنياء الريف تلقائيا على الوقوف بوجه العدوان . ولكن هناك أيضا خوفا من جماهير الفلاحين الفقراء ومن التضحيات التي يمكن أن يفرضها تطور المعركة . ومن ثم يوجد لديهم استعداد لتقبل فكر البورجوازية «المتعلمة» عن « حل سلمي بالتفاهم مع الغرب » .

١١ ـ البورجوازية الصغيرة طبقة ثورية ، معادية للاستعمار والصهيونية ، حريصة على استمرار الثورة ، متعلقة بالمثل الاعلى الاشتراكي ،

ولكن السمة المميزة لها اليوم هي الحيرة أمام التعقيد الزائد للموقف ، ومن ثم فقدان الاتجاه وبين صفوفها تبرز وتتصارع اتجاهات متعددة ومتناقضة ومتطرفة من أقصى اليسار الى اقصى اليمين .

١٢ ـ الفئات الوسطى تضم فئات الرأسمالية الوطنية المتوسطة والصغرى ، وهي قوة من قوى تحالف الشعب العامل . غير أن ابرز هذه الفئات هي ما يسمى الطبقة الجديدة ، وهي تسمية سياسية أكثر منها حقيقة علمية . هذه الطبقة الجديدة هي المسئول الاول عن نواحي الضعف التي أدت الى الهزيمة . بيد أن مشكلة هذه الطبقة مازالت هي كيف تعيش وكيف تحافظ على موقعها الممتاز على الرغم من الهزيمة .

١٣ ـ لكن الامور ليست بهذه البساطة ، فقد أدت الهزيمة الى شرخ في النظام ، بمعنى تحلل الطبقة الجديدة ، لقد انقسمت الى جناح يريد قلب النظام عسكريا ، مختفيا وراء الدعوة للديمقراطية البورجوازية وتعدد الاحزاب ، وهو يريد الانتكاس اجتماعيا بالثورة ، وتلمس حل المشكلة بالتفاهم في نهاية الامر مع الغرب .

والجناح الثاني شعاره الاساسي هو الدولة الحديثة القائمة على العلم والتكنولوجيا والتي يحكمها بالطبع التكنوقراطيون والتي تقضي على التخلف الحضاري الصارخ بحيث تعيش الجماهير الشعبية داخليا في مستوى لائق دون تطلع الى مواقع القيادة ، وهذه الدولة الحديثة لابد أن يكون نظامها الاقتصادي هو رأسمالية الدولة البيروقراطية . ولذلك فليس المطلوب الغاء التأميمات جملة وتفصيلا ، وانما الغاء بعضها فقط . والاحتياطي المباشر لهذا الجناح هو البورجوازية الوطنية الليبرالية وبصفة خاصة في المهن الحرة .

أما موقف هذا الجناح من العدوان فانه اكثر تعقيدا . فهو يبدأ باتجاه يساري مغامر يريد استئناف القتال في أقرب وقت ، دون أن يستعد البلد والجيش استعدادا جديا . ولكنهم في الواقع غير راغبين اطلاقا في جولة عسكرية جديدة يمكن أن تهدد مواقعهم . ثم يبادرون بالقاء مسئولية استحالة استئناف القتال على الاتحاد السوفيتي بحيث يتسنى لهم ان يعلنوا انه لا مفر بالتالي من التفاهم مع الغرب في اطار انقاذ حقوق مصر الاساسية ، ومن الطبيعي أن يكون هذا الاتجاه من أقل الاتجاهات ايمانا بالقومية العربية ، بل تشتد بداخله النزعة الانعزالية .

والجناح الثالث هو الجناح الذي يتضح

شعاره الرسمي المحافظة على الثورة .وموقفه العملي هو العداء للطبقة العاملة ومعاداة الشيوعية ومهاجمة الاتحاد السوفيتي ، لا يفعل شيئا من أجل تعبئة القوى الشعبية الكفيلة بزجر المغامرين والانقلابيين .

١٤ — تتمثل الرجعية في الطبقات المخلوعة من سلطة الارض ورأس المال ، ومن سلطة الدولة وهي لا تبدي رأيا في المرحلة الحالية كقطب مستقل ، ولا تتحدى المشاعر الوطنية للجماهير . لكنها تعمل على تصفية النظام بتعميق التناقضات بين القوى الثورية المختلفة ، وبالضغط لشل حركته ومنع التحامه بالجماهير ، وموقفها هو تصفية الثورة بالتفاهم مع امريكا .

١٥ — اتخذت الطبقات داخل تحالف قوى الشعب العاملة مواقف متفاوتة تعبيرا عن رأيها في كيفية ازالة اثار العدوان ، ان الجميع متفقون طبعا على ضرورة ازالة اثار العدوان ، لكنهم يختلفون من حيث الكيفية التي يجب ان تجرى بها . ومن هنا ظهرت قضية التغيير او عدم التغيير . فلقد اظهرت احداث العدوان وما تلاها وبخاصة هبة ٩ ، ١٠ يونية ان القضية الرئيسية هي قضية الجبهة الداخلية ، ومن ثم جرى الحوار حول هذه القضية على النحو التالي : هل تستدعي ازالة آثار العدوان تغييرات جذرية في الجبهة الداخلية ؟ وحول هذه القضية انقسمت الاراء والمواقف الى اتجاه تقدمي واتجاه محافظ واتجاه رجعي .ومن المفهوم أن هذه الاتجاهات لم تكن دائما بمثل هذا الوضوح الحاد ، ولكنها اتخذت في النهاية قواما اقرب ما يكون الى هذا التحديد .

١٦ — عبرت هبة ٩ ، ١٠ يونية عن الاتجاه التقدمي ، حين اعلنت أن القضية الرئيسية هي قضية استمرار الثورة ، ومن ثم فهي قضية الجبهة الداخلية تدعيمها وحمايتها من أجل مزيد من التغيير الثوري ،وذلك بتمكين العمال والفلاحين من المشاركة بكيفية متزايدة في عملية اعادة البناء السياسي والعسكري ، اي في كل مستويات السلطة . ومن الواضح ان جماهير العمال والفلاحين كانت تعبر بطريقة أو بأخرى عن هذا الاتجاه . غير أن التعبير الفكري عنه كان من نصيب قوى عديدة من المثقفين الثوريين . ولقد تعزز هذا الاتجاه التقدمي بخطاب المناضل عبد الناصر في عيد الثورة ، حين أوجز مضمون هذا الاتجاه بقوله : «الشعب يطالب ببداية جادة وحازمة تتفق مع جدية الظروف التي نواجهها وحزمها وانا مع الشعب في هذا » .

وبالتحديد فقد كان برنامج هذا الاتجاه يتمثل في النقاط التالية : استمرار المقاومة ، التأكيد على المقاومة الشعبية والدفاع المدني ، اعادة بناء القوات المسلحة ، تطوير جهاز الدولة تحت قيادة القوى الاشتراكية ،بناء اقتصاد حرب يقوم على المساواة بين الطبقات في التضحيات ، الحرص على اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي كجبهة وطنية ، بناء حزب اشتراكي طليعي ، اقامة ديمقراطية اشتراكية . بهذا كله تتدعم الجبهة الداخلية التي تصفي العدوان .

١٧ — وفي مواجهة هذا الاتجاه ، تحددت معالم اتجاه رجعي ، بالفكر والمواقف ، اخذ يستقطب قوى عديدة داخل تحالف قوى الشعب العاملة .لكن اهم ما يميز هذا الاتجاه هو مجاهرته بالرأي في اوساط الدولة والقطاع العام والصحافة والجامعة ، مستغلا فرصة تفكك جهاز الدولة ومستبقيا تأهب الجماهير للحركة .

هذا الاتجاه ، مستندا الى بعض الفئات الرجعية التقليدية ، يريد الاستفادة من اضطراب الوضع الداخلي ليعيد الوضع الذي باد وانتهى وهو بالتحديد وضع الرأسمالية ، رأسمالية الدولة البيروقراطية . انه يطالب طبعا بالتغيير ، لكن الى الوراء .

وابتداء من واقع الهزيمة العسكرية ، يلخص موقفه كما يلي : عدم جدوى المقاومة ، والادانة الكاملة للاتحاد الاشتراكي ،الدعوة للوحدة الوطنية من ارضية الامتياز الطبقي .

١٨ — اذا كان يمكن تسمية الاتجاه التقدمي اتجاها يساريا ، والاتجاه الرجعي اتجاها يمينيا ، فان الاتجاه الثالث هو اتجاه محافظ او اتجاه وسط ، فهو تعبير دقيق عن الطبقات او الفئات التي ترى في الوضع القائم حاليا تحقيقا لمصالحها كل مصالحها . ومن ثم فهي ضد التغيير . وتلك هي الطبقة الجديدة في اغلبها . فالاتجاهان التقدمي والرجعي يبغيان التغيير ، احدهما للامام والاخر للوراء ، لكن الاتجاه المحافظ يبغي المحافظة على النظام كما هو وبلا تغيير . فأي تغيير يضر بمصالحه ومع ذلك فهو ذاتيا — أكثر عداوة لاتجاه التغيير الى الامام ، وان يكن — موضوعيا — اقرب اليه .

وهذا الاتجاه يتشبث بالاجهزة والتنظيمات القائمة على مستوى الدولة او الجماهير كما هي . واذا كان شعار الاتجاه التقدمي هو استمرار الثورة ، وشعار الاتجاه الرجعي هو تصفية الثورة ، فان شعار الاتجاه المحافظ هو حماية الثورة بمعنى حماية النظم القائمة كما كانت . فهي قادرة على مواجهة عملية ازالة آثار العدوان .

ومن الواضح أن الخلاف بين الاتجاهات الثلاثة انما يدور حول قضية السلطة : هل تتغير الطبقات أو الفئات الموجودة في السلطة أم لا تتغير .

وفي هذا الاطار عولجت قضايا عديدة ، مثل تشكيل الوزارة الجديدة ، وتعديل الميزانيـة ، وتغيير الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، وبحث تشكيل اللجنة المركزية ، ومعالجة اسلوب الحل السياسي لتصفية آثار العدوان . وهي جميعا انما تكشف عن حقيقة انه لم تتخذ بعد أية خطوة جذرية نحو اشراك جماهير العمال والفلاحين في السلطة .

١٩ ـ لذلك يجب ان يفهم الخلاف حول الحل العسكري والحل السياسي ، فهو خلاف صوري . ان المشكلة الحقيقية انما هي طبيعة أي حل نقدم عليه ، سواء كان عسكريا أو سياسيا : هل هو ثوري ، هل هو نضالي ، هل ينبـع من خط المقاومة للامبريالية والصهيونية أم ينبع من خط الاستسلام والتسليم لهما ؟

ان الحل عسكريا كان في النهاية أو سياسيا ، يجب ان ينبع من موقف ثوري نضالي ، موقف رفض التسليم بالامر الواقع ، والاصرار على تغييره بقوة الجماهير الشعبية المنظمة الواعية . وهذا يطرح قضية تعبئة الشعب وتوحيـده عضويا مع الجيش .

٢٠ ـ ان الديمقراطية قضية طبقية ، محددة ، يجب أن تطرح دائما في اطارها الطبقي ، والا كانت كلاما لا معنى له . وفي تاريخنا الحديث اتخذت الديمقراطية دائما معنى محددا ، معنى طبقيـا محددا . فالديمقراطية في الثورة العرابيـة هي الغاء استبداد الفرد (الاقطاع) والديمقراطيـة في ثورة ١٩١٩ هي مشاركة البورجوازية للاستعمار والاقطاع ، ولكن عندما كانت جماهير الشعب تطالب بالديمقراطية ، بانتخابات حرة ، فمن أجل تشكيل حكومة من حزب الاغلبية تستطيع مفاوضة الانجليز من أجل استكمال الاستقلال .

بعبارة اخرى ، فان قضية الديمقراطية كانت تطرح دائما مربوطة بهذا السؤال : ديمقراطية من أجل ماذا ؟ وعندئذ كانت قضية الديمقراطية تكشف فورا عن جوهرها ، فمن أجل تحـديد أهداف الديمقراطية كان يجب الجـواب على السؤال التالي الاهم وهـو : ديمقراطيـة لمن وضد من ؟

٢١ ـ ولاشك ان تجربتنا الديمقراطية تشق لنفسها طريقا خاصا ، لا هو طريق الديمقراطية البروليتارية ولا هو طريق الديمقراطية البورجوازية . ولكنه طريق يراعي واقع ثورتنا التي بدأت أولا بالنضال ضد الاستعمار من خـلال تحـالف وطني واسع ، ثم تحولت الى ثورة اجتماعية ، واعترفت بالمكانة الخاصة للعمال والفلاحين .

ومن ثم اتخذت تجربتنـا الديمقراطيـة طريق ديمقراطية قوى الشعب العاملة ، أي الديمقراطية لتحالف قوى الشعب العاملة ضد تحالف قـوى الرجعية المسـتغلة . وفي كل هـذا ، فهي ديمقراطية ذات مضمون طبقي محدد ، لانها في الحقيقة انما تحدد الطبقات التي يجب أن تكون في السلطة والطبقات التي يجب ان تخلع منها .

٢٢ ـ وبهذا المضمون الطبقي ، لا تصبح قضية الديمقراطية قضية اقرار دستور او قانون أو مبدأ ، بقدر ما هي قضية طبقية ، اجتماعية ، تتحـدد انتصارا وانحدارا بمقدار اقتراب او ابتعـاد الطبقات العاملة عن السلطة . انها قضية نضالية ، طويلة شاقة ، لا ترسم بالمعـايير البورجوازية الشكلية .

فكل تقدم اجتماعي يرفع مستوى الشعب ، ويزيل الاضطهاد والاستغلال عن كاهله هو عمل ديمقراطي : الاصلاح الزراعي ، التأميمات ، طرد المستعمرين والغزاة . انها جميعا أعمـال ديمقراطية ، تطلق الحرية للانسان ، الفلاح أو العامل وتجعله يتجه اكثر فاكثر لكي يحكم نفسه بنفسه ، واكثر فاكثر ليتمتع بثمرة عمله .

٢٣ ـ ان قضية الديمقراطية في بلادنا انما يجب أن تطرح اذن طبقا للصيغة التالية : توفير الظروف التي تكفل نصيبا في ادارة أمور الدولة لجميـع طبقات الشعب العاملة وبخاصة لتلك الطبقات المعنية جديا بالغاء الاستغلال ، من العمال والفلاحين وصغار المنتجين والحرفيين وصغار التجار وصغار الملاك والمثقفين والجنود الثوريين .

وبهذا المفهوم ، نتبين مهمة الديمقراطيـة في مرحلة الانتقال :

ا ـ فهي ضمان معالجة الصراع الطبقي داخل صفوف الشعب العامل بطريقة سلمية .

ب ـ وهي وسيلة انتزاع الشعب العـامل للسلطة بطريقة سلمية .

ج ـ وهي اداة انجاز الانتقال السلمي الى الاشتراكية بطريقة سلمية .

ان مهمة الديمقراطية هي نقل البـلاد اكثر فاكثر الى الاشتراكية . ومعنى ذلك الحد مـن تطور الرأسمالية باطراد لا تنميتها . ان مهمـة الديمقراطية هي انهاء المرحلة الانتقالية بانجازها لا بالعدول عنها .

وعندئذ فان هذه الديمقراطية لا تكون مجرد بناء علوى للمجتمع ، وانما تصبح تغييرا جوهريا فى حياة المجتمع . مثل هذا التغيير يمكن ان نضع له بعض المعالم مثل : تطوير الجهاز البيروقراطى الموروث من عهود الاستعمار والاقطاع ، تربيه وتطوير قادة جدد فى ميادين الاقتصاد ، تنشيط النقابات العمالية والزراعية ، تطوير نشاط التنظيمات الفلاحية على ان تتولى ادارة الاصلاح الزراعى ، اجتذاب الجماهير الكادحة الى ادارة ورقابة عمليات الانتاج والتوزيع وخدمات الصحة والثقافة والتعليم ، اقرار مبدأ الانتخاب من القاعدة الى القمة لكافة الاجهزة الادارية والجماهيرية .

٢٤ — لا شك ان الحوار حول مسألة المشروعية كان مفتعلا الى حد كبير . فأولا لا مجال للتساؤل عن مدى اعتراف الثورة بالمشروعية وحكم القانون . فان لكل نظام مشروعيته ، أى الحماية القانونية لمجموعة القيم والمصالح التى يعبر ويدافع عنها . حتى النظم النازية والفاشية والعنصرية ، فان لها مشروعيتها . ومن ثم فليست هـذه هى المشكلة التى يدور حولها الحوار الحاد . وثانيا ، فانه لا معنى للتورط فى الهجوم بأى شكل على المشروعية ، بمعنى حكم وسيادة القانون . فان الشعب انما يحمى مصالحه بالقانون ، والرجعية وحدها هى التى تضيق ذرعا بالقانون ، حتى لو كان من صنعها . وليست المشروعية نقيضا لحكم وسيادة القانون . لكنها المشروعية عن طريق قوانينها . والمشروعية الثورية فى المرحلة الحالية انما تحمى عن طريق قوانينها الثورية .

اما المطالبة بتدعيم موقف الفرد ازاء السلطة فهى تثير السؤال التالى : اى فرد وازاء اى سلطة ؟ فالديمقراطية تعنى السلطة لطبقات ضد طبقات . والمشروعية هنا متوفرة ، حتى فى الحد من حرية الطبقات المضادة ، وعندئذ يجب أن يتم الحد من حريتها طبقا لمشروعيتها ، طبقا لقوانينها . ان المشروعية تفترض الديكتاتورية ضد الطبقات المعادية . ولكن هذه الدكتاتورية يجب أن تكون منظمة ، فما الدكتاتورية سوى العنف المنظم . واخيرا فان المشروعية وحدها هى التى تكفل حرية الطبقات الثورية ازاء احتمال انحراف اجهزة السلطة التى نبعت منها والتى تمثلها هى نفسها . ولكل هذا يحرص الشعب على المشروعية .

٢٥ — وضعت بعض الاتجـاهات فى بلادنا القضية الوطنية فى تعارض مع القضية الاجتماعية . وكان هذا اخلالا بحقيقة المعركة الثورية فى بلادنا . فالقضية الوطنية لم تطرح من جديد بالعدوان الاسرائيلى الامبريالى ، لان القضية الوطنية لم تنته ابدا . بل ان التنمية الاقتصادية والتحول الاجتماعى لم يكونا الا المحتوى الجديد للثورة الوطنية . ان ثورتنا مازالت ثورة وطنية ، كل ما هناك من جديد نتيجة للتحول الاجتماعى هو تعميق المحتوى الاجتماعى لهذه الثورة الوطنية . واليوم عندما يقع العدوان على بلادنا ، فان القضية الوطنية تزداد بروزا ، وتنجذب عناصر عديدة من الطبقات غير الثورية الى المعركة الوطنية . وهنا تأتى محاولة الاستفادة من التعارض المفتعل بين القضية الوطنية والقضية الاجتماعية ، لاتهام القوى التقدمية بمحاولة تعميق الصراع الطبقى . والمحاولة غير مجدية . فالقضية الوطنية دائما ، وحتى فى صيغتها القومية ذات مضمون اجتماعى معين ، مرتبطة بمصالح طبقات اجتماعية بعينها . فهناك القومية البورجوازية ، وهناك أيضا القومية الاشتراكية ، وليس صحيحا ان الاشتراكية تنفى القومية .

لكن المشكلة ليست هنا . انها فى الخوف من تعميق الصراع الطبقى . والواقع ان تعميق الصراع الطبقى حقيقة موضوعية . والآن فان تعميق الصراع الطبقى فى اعقاب العدوان انما فرضه العدو الاسرائيلى الامبريالى نفسه . أليست الحرب التى شنها هى صورة للصراع الطبقى ضدنا ، بل هى اعنف صورة له ؟ أليست هذه الحرب هى التى فجرت كل تناقضات الوضع الداخلى ؟

٢٦ — ان الوحدة الوطنية ضرورة جوهرية لمواجهة العدوان . لكن هذه الوحدة الوطنية يجب ان تفهم بلا خلط ، فأولا ، هناك وحدة وطنية قائمة من قبل ، بين جميع طبقات الشعب العاملة ، وصورتها التنظيمية هى الاتحاد الاشتراكى . وما زالت هذه الصيغة التنظيمية صالحة لاداء الغرض منها ، فما معنى وما جدوى الحديث عن الوحدة الوطنية بعيدا عن الاتحاد الاشتراكى ؟ وحتى اذا كان الغرض هو استيعاب عناصر من طبقات اخرى ، فما زالت صيغة الاتحاد الاشتراكى قادرة على استيعابها . **وثانيا** ، ان اية وحدة وطنية انما تستمد صلابتها من صلابة النواة التى تتشكل حولها . ومن المفهوم ان النواة الصلبة لوحدتنا الوطنية هى الوحدة التى تجمع بين العمال والفلاحين . وهذا ايضا ما يعترف به الميثاق الوطنى ويضع له صيغة تنظيمية هى الجهاز السياسى الذى عبر عنه المناضل عبد الناصر احيانا تحت اسم « الحزب الاشتراكى » . **وثالثا** : ان الوطنية ليست سلعة تباع وتشترى ، ومن ثم يجب ان يقابلها كسب مادى لصاحبها ، فان الوحدة الوطنية لا تعنى نفعا للطبقات المخلوعة بحيث يتم المساس بالمكاسب الاجتماعية . وفى الوقت ذاته فانه فى الظروف الحالية لا يوجد ما يدعو للمساس

بالملكية الخاصة للمالكين اللهم الا اذا استخدموها للاضرار بالمجهود الحربي او الاقتصاد الوطني .

٢٧ — اذا كانت قضية الديمقراطية هي في الجوهر قضية السلطة ، فان الحزب هو اداة بممارسة هذه السلطة . ويفترض الميثاق الوطني، الى جانب التنظيم الجماهيري وهو الاتحاد الاشتراكي ، أن يقوم تنظيم طليعي هو الجهاز السياسي ، ينبثق من التنظيم الام ، ويكون بمثابة حزب اشتراكي . مثل هذا التنظيم الطليعي يضع في اعتباره حقيقة اساسية هي ان الثورة الاجتماعية تتجاوز اليوم اطار حركة الطبقة العاملة وان فئات اجتماعية مديدة واجنحة كاملة من الحركة الوطنية تسعى من أجل الاشتراكية .

وكان ذلك يفترض السعي الجدي لتكوين الجهاز السياسي للاتحاد الاشتراكي، وهو ما نعنيه بالحزب الطليعي . كما كان يفترض رفع العزل السياسي عن العناصر الاشتراكية ، غير ان الجهود لم تنجح في تكوين هذا الحزب الطليعي ، وظلت القوى الاشتراكية مفككة بإزاء نشاطات الحزب الرجعي في البلاد .

واليوم ، يطرح موضوع الحزب من جديد لا بوصفه عملاً تكميليا لبنيان الاتحاد الاشتراكي ، ولا بوصفه عملا سياسيا لمواجهة الحزب الرجعي، ولكنه بوصفه ضرورة موضوعية تتخذ سمات الحتمية التاريخية . لقد غدا الحزب ضرورة موضوعية من أجل استمرار الثورة ، من أجل مواصلة السير نحو الاشتراكية .

ا — لم يعد في الامكان بعد اليوم وبخاصة بعد احداث ٩ ، ١٠ يونية الدفاع عن الثورة ولا حمايتها ولا مواصلتها من غير الاعتماد على الحركة الواعية والمنظمة لقوى الشعب الكادحة .

ب — في بلد الغي النظام شبه الاقطاعي وحكم البورجوازية الكبيرة ، وفي مجتمع يتقدم نحو مستقبل اشتراكي ، فمن الضروري أن يتحقق دور الطبقة العاملة ، تلك الطبقة التي تصقل الصناعة الحديثة وعيها ، والتي لا تتعرض لان تفقد شيئا من (الامتيازات) في النضال من أجل الاشتراكية اللهم الا (امتيازا قيودها) .

ج — لا يمكن جر الناس الى الاشتراكية ، لا يمكن سوق الناس الى الجنة بالعصا ولا بالحيلة . ولقد دلت تجربة غيرنا من البلدان ، على أن كسب ولاء الفئات الوسطى للاشتراكية لا يمكن أن يتم من غير تنظيم اشتراكي طليعي ، يعيد صياغة افرادها بالوعي والتنظيم . ان الحزب هو المدرسة الوحيدة لتذويب الفكريات الرأسمالية والرأسمالية الصغيرة ، وتخريج قادة اشتراكيين مثقفين سياسيا ومحازون اجتماعيا يعيدون الصلابة والتماسك الى اجهزة الدولة ومؤسساتها التي تفككت من اثر العدوان .

٢٨ — ان الحزب الذي تتطلع اليه الجماهير الشعبية يعتنق الاشتراكية ، بوصفها ارقى محاولة انسانية للسيطرة على تلقائية التطور الاجتماعي . وهي اشتراكية واحدة وان اختلفت تطبيقاتها وطرقها من بلد الى بلد وذلك نتيجة اختلاف الظروف والاوضاع والتقاليد والتراث في كل منها . ومن ثم يمكن للحزب أن يقيم بين صفوفه ما يسمى بالوحدة الفكرية . ومثل هذه الوحدة الفكرية هي التي تكفل ما يسمى بوحدة الارادة او وحدة العمل .

٢٩ — ان وحدة الفكر تضمن صلابة وتماسك التنظيم . لكنها لا تعني انعدام المناقشة الديمقراطية ولا تنفي احتمال الاختلاف في الرأي بداخله — كل ما هنالك أنها تفترض وجود مركز واحد للتنظيم، يتوفر له الاحترام لقراراته . ان حرية المناقشة وحرية الاختلاف في الرأي ، وخضوع الاقلية للاغلبية ، وخضوع المستوى الادنى للمستوى الاعلى ، مع الحرص على ان يكون اختيار جميع القيادات عن طريق الانتخابات ، ذلك هو ما يميز الحياة الداخلية للحزب الطليعي . وعندئذ نضمن بهذه التقاليد أن يكون اعضاء الحزب ، قبل قيادته ، قادة لهم شخصيتهم ، قادرين على التصرف الذاتي في حدود الخط العام ، محترمين، قادرين بدورهم على تربية قادة جماهيريين .

٣٠ — مثل هذا الحزب يجب أن يكون تركيبه الطبقي بحيث يعبر عن القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في الاشتراكية . وبالتالي فان عضويته تكون تضحية واعباء ، وليست امتيازات طبقية ولا مناصب تنفيذية . انه لن يضم عندئذ في صفوفه سوى المناضلين الاشداء . وبذلك يتحول الى حزب القدوة الحسنة ، حزب للكوادر الثمينة . ويصبح روحا للنظام كله، وقوة دافعة لاعادة البناء، يوجد في الدولة والجيش والقطاع العام يحمي الثورة ويدفعها للامام .

٣١ — وليس معنى ذلك ان يقتصر الحزب على العمال والفلاحين . بل يجب ان يكون حزبا قوميا ، لابناء جميع الطبقات، ماداموا لا يمارسون استغلالا طبقيا . مثل هذا الحزب يتسع للمثقفين الثوريين . فالوعي الاشتراكي لا يمكن أن ينمو الا على أساس المعرفة العلمية العميقة . والعلم قد تربى في صفوف المثقفين البورجوازيين وليس بين صفوف الطبقة العاملة . ولذلك يفتح الحزب جناحيه للمثقفين الثوريين الذين يتبنون قضية الاشتراكية ويناضلون من اجلها .

٣٢ — في هذا الحزب الطليعي يجب ان تزول الفروق بين جميع الاشتراكيين ، بحيث يعود الماركسيون مواطنين كسائر المواطنين ، وبحيث ينتهي العداء للماركسية فكرا وعملا وسلوكا .

٣٣ — هذا الحزب الطليعي يوجد حيثما توجد الجماهير . والعمل الجماهيري هو وحده مصدر التجنيد للحزب . بل يحسن ان يأخذ الحزب بمبدأ الترشيح الجماهيري لاعضائه ، في المصانع والحقول والمكاتب والجامعات والمدارس . ولذلك توجد وحدات الحزب في مجالات العمل اساسا ، حيث تجرى عملية الانتاج اليومى للحياة .

٣٤ — وتنتظم الجماهير بحكم مصالحها اليومية في تنظيمات اقتصادية وديمقراطية من نقابات وجمعيات واتحادات ومنظمات ثقافية وانسانية . وهي تختلف عن التنظيم الحزبى الذى هو تنظيم سياسي بالكامل . ولذلك يمكن ان توجد التنظيمات الجماهيرية الاقتصادية والديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكي بوصفه منظمة جماهيرية عريضة هو جبهة وطنية . كما يمكن تنمية وتطوير العمل السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى دائما بوصفه جبهة وطنية تجمع الطبقات المختلفة، وقد يتيح لها بعض الوجود المتميز . غير ان الاتحاد الاشتراكى يظل جبهة ، عضويتها مفتوحة للجميع، لا تكلف اعضاءها بمهام حزبية ، ولا تفترض وحدة الفكر والعمل بينهم الا في حدها الادنى الذى يتضمنه الميثاق . وبهذا التحديد ، فان هذه الجبهة انما تلتف حول نواتها وهى الحزب الذى يعتبر القيادة السياسية للجبهة وطليعتها الابعد نظرا .

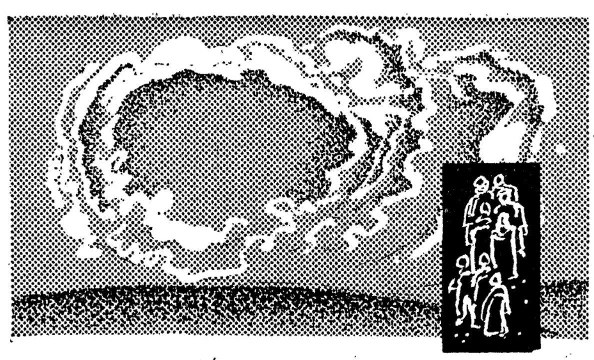
٣٥ — وهكذا يتحدد الفرق الجوهري بين طبيعة الاتحاد الاشتراكى وطبيعة الحزب الطليعى . فالاتحاد الاشتراكى هو جهاز حماية الثورة ، والحزب الطليعي هو جهاز استمرار الثورة . ولذلك فان شرط عضوية الحزب هو الثورية ، الاستعداد للتغيير الثورى المتصل .

٣٦ — ان الحزب الذى يضع لنفسه مهمة استمرار الثورة قدما ، يمكن ان يحدد لنفسه المهام النضاليه التاليه على سبيل المثال : تدعيم القيادة الثورية لجمال عبد الناصر ، ازالة اثار العدوان الاسرائيلى الامبريالى ، اعادة بناء اجهزة الدولة ومؤسساتها ، الدفاع عن المنجزات الثورية الوطنية والاجتماعية ، الغاء الامتيازات الخاصة المقررة لبعض الفئات، اعادة بناء جيش قوى وطني اشتراكى ، فتح ابواب الترقى الى الوظائف العليا امام العناصر النابعة من اصول شعبية ، تدعيم وتطوير سياسة الحياد الايجابى والدفاع عن السلام، تأكيد سياسة الصداقة مع جميع الشعوب الاشتراكية ، النضال من اجل الوحدة العربية عن طريق العمل الموحد بين التنظيمات الجماهيرية العربية .

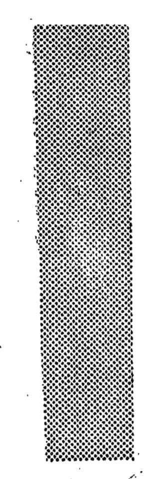
يمثل هذا البرنامج تستعيد جماهير الشعب ثقتها بنفسها وتؤكد حرصها على مستقبل ثورتها .

٣٧ — ان الخطر ماثل وكبير ، بيد ان فرصة العمل الثورى لم تفلت بعد ، ومازال باستطاعة جميع الثوريين الحريصين على استقلالنا الوطني وأملنا في الاشتراكية ان يستعيدوا زمام المبادرة .





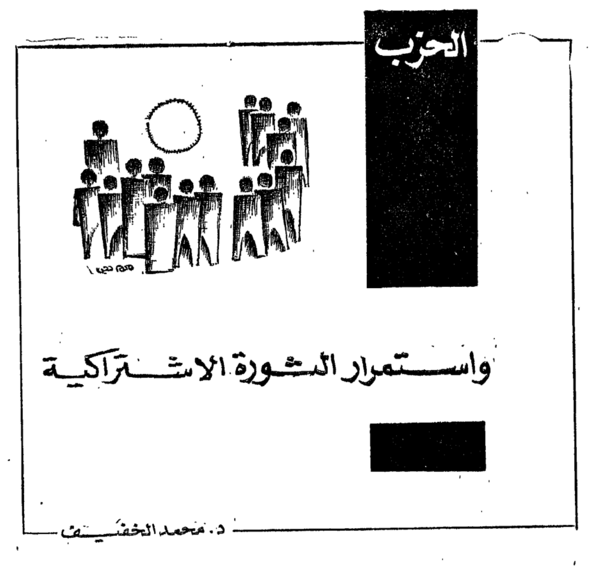
الحزب .. الاتحاد الاشتراكى والثورة



أشار الميثاق الى الحاجة الماسة الى تكوين جهاز سياسى داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ، يكون بمثابة النواة القيادية له . وحسم المناضل عبدالناصر التردد حول طبيعة هذا التنظيم بتحديد قاطع .. أنه « الحزب الاشتراكى الطليعى » .

والحزب هو أحد مؤسسات السلطة ، بل وهو قمة السلطة ، ومن هنا تبرز الاهمية الخاصة لبناء هذا التشكيل الاشتراكى الواعى بأهداف الثورة والذى يمثل وحدة الفكر ويضمن وحدة العمل ، وهو الجهاز الذى يقوم بتنسيق جهود ونشاط المؤسسات والاجهزة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بتوجيهها نحو تحقيق الاهداف الاستراتيجية وانجاز الخطة القومية . وقد وضحت خطورة الافتقار الى هذا الجهاز ، من خلال الازمة الاخيرة ، وتكشف للشعب مدى الحاجة الى التعجيل به وبنائه على أسس سليمة .

والطليعة اذ ترى أن من واجبها أن تضع فى مقدمة اهتماماتها مناقشة القضايا الرئيسية والمصيرية للثورة ، تقدم دراستها عن الحزب .. الاتحاد الاشتراكى والثورة .



الحزب واستمرار الثورة الاشتراكية

د. محمد الخفيف

الثورة

واستمرارها ، والحزب وضرورته ، هما المسألتان الاساسيتان اللتان تشدان اهتمام الجميع منذ العدوان الاخير .. وايا كانت النواحي التى يتعرض لها الحوار الدائر على صفحات الصحف والمجلات ، وفى الندوات واجتماعات الاتحاد الاشتراكى ، ومهما تعددت الآراء وتنوعت الزوايا التى تنطلق منها ، أو تحتمى بها ، فانها جميعا وبدون استثناء تعكس ، بشكل أو آخر ، سافر أو غير سافر ، موقفا من هاتين المسألتين المحوريتين .. الثورة واستمرارها .. والحزب وضرورته ..

وفى المسائل المحورية لايمكن أن يكون هناك أكثر من موقفين ، موقف مع .. وموقف ضد .. والثورة واستمرارها والحزب وضرورته مسألتان فوق أنهما محوريتان ، مرتبطة كل منها بالاخرى ارتباطا عضويا أصيلا فلا يمكن أن أكون مع الثورة واستمرارها ، واكون فى نفس الوقت ضد تكوين الحزب .. حزب الثورة طبعا . ولايمكن أيضا أن أكون غير مقتنع باستمرار الثورة وأكون فى نفس الوقت مع تكوين الحزب الا اذا كان حزبا يقصد تجميد الثورة وعرقلة طريقها .

وهذا الكلام لا يعنى بأى حال من الاحوال أن لا تتعدد الآراء وتختلف ، بل لابد وأن تتعدد وتختلف حول تفاصيل الطريق الذى تستمر فيه الثورة وحول تحديد أولوية المهام التى تواجهها وطرق معالجتها ، وحول تفاصيل عملية تكوين الحزب . ولكن تظل هذه الآراء جميعا رغم تعددها واختلافها يجمعها موقف واحد ثابت هو الايمان بالثورة واستمرارها وبالحزب وضرورته .. غير أن هذا التعدد والاختلاف ، وهما أمران طبيعيان ومفيدان ، يفتحان فى نفس الوقت أكثر من ثغرة تنفذ من خلالها آراء الموقف المضاد للثورة واستمرارها والذى لا يستطيع أن يفصح علنا عن نفسه ، فينفذ الى خضم التفاصيل ، منتهزا ما يتيحه من فرص الاختلاف ، لا ليدعم الاصل ولكن ليهدمه .. فكيف نأمن هذا الشر ؟

ما هي الثورة ؟

لعل من المفيد قبل الاجابة على هذا السؤال أن نناقش أولا لماذا كانت مسألة الثورة واستمرارها مرتبطة ذلك الارتباط العضوى الاصيل بمسألة الحزب وضرورة تكوينه .. ونبدأ بسؤال لا أظن الاجابة عليه أصبحت اليوم تخفى على أحد ، وانما يضطرنا الى طرحه سياق المناقشة .. والسؤال هو : ما هى الثورة ؟

الثورة هى عملية استيلاء على السلطة ، ممثلة فى الدولة ، من أجل هدم العلاقات الاجتماعية القائمة وانشاء علاقات اجتماعية جديدة ... لماذا ؟ لان ثمة قوى اجتماعية ترى فى العلاقات القائمة عائقا لنموها وحائلا دون تحقيق مصالحها ولا حل أمامها الا هدمها وابدال علاقات جديدة بها .. ولا سبيل الى ذلك الا بالاستيلاء على الدولة ، ومن هنا كانت الدولة هى المسألة الاساسية فى كل ثورة ..

والثورة دائما عمل تقدمى .. لماذا ؟ لان ظهور قوى اجتماعية جديدة مرتبط دائما بالتقدم ، تقدم فى أسلوب الانتاج ، فى الفكر ، وفى المستوى الحضارى . فخلال عملية التطور المستمرة تبرز قوى جديدة معبرة عن هذا التطور بما يحمله من تقدم . والتطور تصادفه على الدوام عقبات ، والعقبة الاساسية هى وجود القوى القديمة فى السلطة ، وهى قوى ترفض التطور لانه يهدد مصالحها . ومن هنا كانت كل ثورة بالضرورة عملا تقدميا لانها تستهدف هدم القوى القديمة ودولتها والعلاقات الاجتماعية التى تخدمها من أجل اقامة دولة وعلاقات جديدة تخدم قضية التطور ..

ولان الثورة عمل تقدمى فهى أيضا عمل شعبى بسبب أن كل تقدم وكل تطور يخدم بشكل أو بآخر مصالح القوى الشعبية ، وبقدر ما تكون قيادة الثورة ، أى قيادة عملية الاستيلاء على الدولة وتغيير العلاقات الاجتماعية ، ممثلة لمصالح القوى الشعبية بقدر ما تكون الثورة عملا شعبيا . ومن هنا تكون القيادة هى الفيصل . أهى قيادة تمثل الطبقات الشعبية أم قيادة تمثل فى الاساس طبقة معينة تجمع حولها الطبقات الشعبية لفترة حتى تتمكن بها من الوصول الى السلطة ؟

اذا كان هذا هو تعريف الثورة بوجه عام فماذا تكون ، بالتحديد ، الثورة الاشتراكية ؟ هى أيضا عملية استيلاء على الدولة من أجل تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة ، ولكن تتميز وتختلف عن باقى الثورات بالنواحى الاساسية التالية :

● انها تستهدف القضاء على جميع أشكال الاستغلال وأساليبه قضاء نهائيا ، فهى لا تستهدف ابدال شكل من أشكال الاستغلال بآخر ، وانما تستهدف اقامة علاقات اجتماعية جديدة ينمحى فيها تماما استغلال الانسان للانسان وتنطلق قواه الابداعية ، وبالتالى فهى حقا عمل تقدمى ، وهى لهذا السبب تبدأ فور وصولها الى السلطة فى وضع أسس هذه العلاقات الجديدة .

● أنها بحكم كونها ثورة على جميع أشكال الاستغلال تستبعد من صفوفها ، كأعداء ، كل الطبقات التى لا يمكن أن تقوم الا على الاستغلال ، وتجذب الى صفوفها كل الطبقات الواقعة تحت نير الاستغلال .. وبالتالى فهى حقا عمل شعبى

● أنها بحكم كونها عمل تقدمى وشعبى حقا لابد وبالضرورة أن تكون نابعة من صفوف الجماهير الشعبية ، ولابد وبالضرورة ان تكون قيادتها ممثلة حقا لهذه الجماهير .

لماذا الاستمرار ؟

يتساءل البعض فى خبث ، والبعض الآخر — وهو غير قليل — بحسن نية ، يريد ان يستوضح الامر ، عن المقصود باستمرار الثورة . فاذا كانت الثورة الاشتراكية هى عملية استيلاء قيادة الجماهير الشعبية على السلطة واقامة علاقات اجتماعية جديدة فماذا يعنى الاستمرار ؟ أليس هذا هو ما حدث فى بلادنا ، أليست قيادة عبد الناصر فى السلطة ؟ أليس هو قائد الجماهير الشعبية ؟ فماذا يعنى الاستمرار ؟ هل يمكن الاستيلاء على السلطة أكثر من مرة ؟ هل يمكن اقامة علاقات اجتماعية اشتراكية أكثر من مرة ؟ أسئلة وجيهة لولا خبث بعض مثيريها ! ...

نعم ان قيادة عبد الناصر على قمة السلطة .. نعم ان عبد الناصر بحق وعن جدارة وتجربة وعبر كثير من التحديات هو قائد الجماهير الشعبية ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى أجمع ، ضد الاستعمار وضد الاستغلال ومن أجل تحرير الارض والانسان . ولكن .. ليست العملية بهذه البساطة ، فهناك شوط طويل بين الاستيلاء على قمة السلطة ، ممثلة فى الدولة ، وبين اقامة دولة الثورة الاشتراكية ، وشوط طويل بين البدء فى

وضع أسس العلاقات الاجتماعية الاشتراكية وبين اقامة هذه العلاقات ، فالاستيلاء على قمة الدولة لا يعنى على الاطلاق تحويلها على الفور من دولة ضدالجماهير الشعبية الى دولةالجماهير الشعبية ، والبدء في وضع اسس العلاقات الاشتراكية لا يعنى أن المجتمع اصبح على الفور اشتراكيا ـ والامران مرتبطان ويؤثركل منهما فى الاخر ، فبقدر ما نقطع فى تحويل الدولة الى دولة الجماهير الشعبية بقدر ما نقطع فى عملية بناء المجتمع الاشتراكى ، فالدولة هى اداة الجماهير فى البناء ، وبقدر ما تنمو العلاقات الاشتراكية وتدعم بقدر ما تساعد على تحويل الدولة الى دولة اشتراكية .

ولست اظن احدا يستطيع الزعم باننا اقمنا فعلا دولتنا الاشتراكية بالكامل بمختلف اجهزتها ومنظماتها ، او اننا اتممنا بناء مجتمع اشتراكى انمحت منه كل الوان استغلال الانسان للانسان اننا لم نبدا فى وضع الاسس الحقيقية للعلاقات الاجتماعية الاشتراكية الا فى ١٩٦١، وكل مافعلناه قبل هذا رغم ضخامته وضرورته ورغم التغلب على العديد من العقبات لم يكن سوى تحرير الارض وتمهيدها وتطهيرها من العوائق الاساسية حتى تصبح تربة صالحة لبذر البذور الاولى للعلاقات الاشتراكية . ولقد بذرنا هذه البذور فى عام ١٩٦١ فهل يتصور عاقل ان ينمو نبات الاشتراكية ويكتمل نموه فى ٦ سنوات ؟ اننا لا نزال نمر بمرحلة انتقال الى الاشتراكية . ولقد كان الرئيس حريصا على ان يذكرنا دائما بهذه الحقيقة لما لهامن اهمية واثرعلى نضالنا . وحتى لا تستغل الطبقات المعادية للاشتراكية ما يحتمل فى مرحلة الانتقال من نواحى نقص فتنسبها زورا الى الاشتراكية ، بينما هى فى واقع الامر من مخلفات المجتمع القديم التى يجب ان يوجه نضال الجماهير الى القضاء عليها .

ولم يحدث فى التاريخ ان انتقل مجتمع من علاقات استغلالية الى علاقات اشتراكية فىقفزة واحدة ، فمرحلة الانتقال مرحلة حتمية لابد ان تمر بها كل الشعوب فى تطورها الى الاشتراكية أيا كان مستوى تقدمها الاقتصادى ، فليست القضية فحسب هى ان من المستحيل اقامةمجتمع اشتراكى باقتصاد متخلف ، بل القضية ايضاقضية الصراع ضد القوى المخلوعة من السلطة وقضية اشتراك الجماهير الشعبية الواسعة اشتراكا حقيقيا فى السلطة . ان الاشتراكية كفاية وعدل والكفاية لا تتحقق بين يوم وليلة والعدل لا يقام باشارة .

وما من شك فى ان خصائص مرحلة الانتقال الى الاشتراكية والمهام التى تواجهها وطرق معالجتها تختلف من بلد الى بلد باختلاف ظروف واقعه ، وعلاقات القوى الاجتماعية فيه ودرجة النمو الاقتصادى التى بلغها ، ولكن المهمة الاساسية رغم اختلاف الظروف والتفاصيل واحدة ، وهى استيلاء الجماهير الشعبية استيلاء كاملا على الدولة بجميع اجهزتها . فالدولة هى ، كما سبق ان ذكرنا ، هى المسألة الاساسية فى كل ثورة ... لماذا ؟

الدولة هى أداة الثورة فى تصفية القوى المعادية

لان استيلاء قيادة الثورة على قمة السلطة لا ينهى على الفور وجود القوى المعادية، بل على العكس يزيدها ضراوة ، فهى لا يمكن ان تتنازل طواعية من مصالحها ومجتمعها ، « مجتمع النصف فى المائة » ، والواقع هو ان مرحلة الانتقال تتميز ، بين ما تتميز به من سمات ، بأن الصراع بين قوى الشعب وبين القوى المعادية للثورة لا ينتهى بمجرد استيلاء الثورة على قمة السلطة بل يزداد ، لان القوى المعادية تعلم تمام العلم ان كل خطوة الى الامام تخطوها قوى الثورة تفقدها هى ارضا كانت تتمتع وحدها باحتلالها ، وان كل نجاح تحرزه قوى الثورة وتدعم به نظامها الجديد يفقدها جانبا من املها الذى لا يفارقها فى العودة بالمجتمع الى ماكان عليه .

والقوى المعادية فى صراعها ضد قوى الثورة ، ذلك الصراع الذى تفرضه عليها فرضا ، تسلك كل الطرق وفقا لما تمكنها منه الظروف ، ووفقا لمدى ما تملكه قوى الثورة من يقظةووعى ، ومدى ما تتمتع به من تنظيم وتماسك . وهى فى الغالب تلجأ الى الاساليب الملتوية غير المباشرة ولكنها لا تتردد فى الالتجاء الى الحركة المباشرة اذا تصورت ان الظروف مواتية لذلك . والقوى المعادية ليست وحدها بل هى جزء من القوى العالمية المعادية للثورة العالمية ضد الإستعمار والاستغلال ، ومن الطبيعى ان يزداد نشاط الجزء اذا ازداد الكل نشاطا .

ان الميثاق ينبهنا الى هذه الحقيقة التاريخية التى اثبتتها تجربتنا كما اثبتتها تجارب كل

الشـــعوب التي مرت بمرحلـة الانتقـال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، فيقول :

ولقد اثبتت التجربة التي صاحبت بدء العمل الثوري المنظم أنه من المحتم ان تأخذ الثورة على عاتقها تصـفية الرجعية وتجريدها من جميـع أسـلحتها ومنعها من أي محاولة للعـودة الى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصـالحها .

ان ضراوة الصراع الطبقي ودمويته والاخطار الهائلة التي يمكن أن تحدث نتيجة لذلك هي في الواقع من صنع الرجعية التي لا تريد التنـازل عن احتكاراتها وعن مراكزها الممتازة التي تواصل منها استغلال الجمـاهير . ان الرجعية تملك وسـائل المقاومة ، تملك سـلطة الدولة ، فاذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال ، فاذا انتزع منها لجأت الى حليفها الطبيعي وهو الاستعمار .

والدولة هي حجر الزاوية في هذه القضـية الحيوية لنجاح الثورة ، قضية تجريد الرجعية من جميع اسلحتها ، ذلك لانها تظل لفترة غير قصيرة من فترات مرحلة الانتقال ، سلاحا هاما في ايادي القوى المعـادية بحكم أن اجهزتها جميعا تربت ونمت واكتسبت قوتها في احضـان هذه القوى خادمة لمصالحها محققة لرغباتها ، بل واكثر من هذا وأهم ، مخضعة قوى الشعب للاستغلال من جانبها بكل الطرق ، بالعنف والقهر أو بالتحايل والخديعة ، أو بمزيج من الاسلوبين ، وبحكم أن عددا غير قليل من أفراد المستويات القيادية لهذه الاجهزة مرتبط بشكل او بآخر بالقوى المعادية ، ان لم يكن طبقيا ، فبحكم القرابة او النسب ، وان لم يكن بحكم القرابة والنسب فبحكم التبعيـة الفكرية ، فان لم يكن بحكم هذا كله فبحكم الاغراء او الرشـوة .

فاذا أضفنا الى هذا أن العاملين بهذه الاجهزة حتى من كان منهم منتميا طبقيا الى قوى الثورة قد تربوا على انهم اسياد الشعب لا خدامه ، وان الغالبية العظمى من الاجـراءات واللوائح التي يمارسون من خلالها مسئولياتهم تساعد على ذلك ، اتضح لنا كيف أن مجرد استيلاء قيادة الثـورة على قمة الدولة وطرد قيادة القوى المعادية منها لا يحل المشكلة ، وان الدولة تظل ، مالم تسيطر عليها قوى الثورة سيطرة كاملة ، سـلاحا هاما في أيادي القوى المعادية .

والدولة لابد من انتزاعهـا انتزاعا من ايادي القوى المعادية ليس فقط لانهـا بدون ذلك تظل سلاحا في أياديها ولكن لانها ايضا السلاح الرئيسي الذي بدونه لا تستطيع قوى الثورة أن تنتزع باقي أسـلحة القوى المعـادية منها ، فبدون الدولة لا تســتطيع قوى الثـورة أن تنتزع الاسـلحة الاقتصادية من القوى المخلوعة ، ولا تستطيع أن تقتلع جذورهـا من مراكز الفكر والتـربية ثم لا تستطيع أيضا ، وهذه مهمة من أهم مهام الدولة أن تضربه في حسم وبسرعة أي تحـرك تآمري تقوم به القوى المعـادية لضرب الثورة او اي عدوان تشنه القوى المعادية الخارجية .

الدولة اذن هي أداة قوى الثورة ، الطبقـات الشعبية ، صاحبة المصلحة في التحول الاشتراكي ضد القوى المعادية التي خلعت من السلطة والتي لا تكف عن محاولة اسـتعادتها معتمدة على أن مرحلة الانتقال الى الاشتراكية هي مرحلة انتقال ، أو الى حد ما ازدواج بين نظامين اجتمـاعيين متناقضين ، فلا جذور النظـام الراسمالي قد تم اقتلاعها تماما ، ولابذور النظام الاشتراكي قد اكتمل نموها ، وهي لهذا السبب مرحلة مليئة بالتناقضـات التي وان اختلفت من حيث الشدة وتعددت من حيث الشـكل الا انها جميعا نتيجة للتنـاقض الرئيسي الناشيء من وجود مجموعتين مختلفتين من القوانين الموضوعية في مجتمع واحد ، تنتمي الاولى الى المجتمع القديم القائم على العـلاقات الاستغلالية ، وتنتمي الثانية الى المجتمع الذي لا يزال في طور التكوين .. ومن المفيـد في هذا الصدد أن نعيد الى الاذهـان بعض فقرات من أقوال الرئيس :

في نوفمبر ١٩٦٤ في افتتاح دورة مجلس الامة يقـول :

« اننا لم نصبح دولة اشتراكية ولا نستطيع ان نقول اليوم اننا دولة اشتراكية .. نحن في مرحلة انتقال من الراسـمالية الى الاشـتراكية ، لان الاشتراكية ليس معناها ان نؤمم بعض المصانع فقط » .

وفي مايو ١٩٦٥ تحدث الى الهيئة البرلمانيـة للاتحاد الاشتراكي فقال :

« مجتمعنا اليوم يمر بمرحلة دقيقة في تاريخه هي مرحلة التحول من الرجعية ، من الراسمالية والاقطاع الى الاشتراكية ، في هذه المرحلة تغيير العلاقات الاجتماعية يقابلـه مشـاكل كثيرة ، لان رواسب او بقايا العلاقات الاجتماعية التي تكونت في زمن النظام الرجعي الاقطاعي الراسـمالي لا زالت باقية وما انتهتش ، ولا يمكن اننا نتحول الى الاشتراكية تحـول اوتوماتيكي في سـنة أو سنتين او عشرة » .

ويعود في خطابه في عيد العمال في اول مايو ١٩٦٦ فيقول :

« هل ازلنا ايها الاخوة ــ او هل اذبنا الفوارق بين الطبقات النهاردة ؟ هل قضينا على الاستغلال قضاء كاملا ؟ لا .. احنا لسه بنعمل على أن نحقق اهدافنا الكبيرة ، الاشتراكية ، العدالة الاجتماعية ، تكافؤ الفرص بين الناس » .

الدولة هي أداة قوى الثورة في اقامة المجتمع الجديد

والدولة ليست فقط اداة قوى الثورة في تصفية القوى المعادية بالداخل وصد عدوان القوى المعادية بالخارج ، ولكنها ايضا اداتها الفعالة في اقامة العلاقات الاجتماعية الجديدة التي قامت الثورة من اجل تحقيقها عن طريق تنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع وارساء اسس الاقتصاد الاشتراكي .. ونحن اذا استعرضنا التاريخ نجد حقيقة هامة هي ان كل نظام اجتماعي جديد نشأ في احضان النظام الذي سبقه ، فالعلاقات الاقطاعية بدأت في احضان النظام العبودي وجنبا الى جنب مع العلاقات العبودية ، والعلاقات الراسمالية بدأت في ظل المجتمع الاقطاعي وجنبا الى جنب مع علاقاته .. صحيح ان العلاقات الجديدة لم تسد الا بعد القضاء على العلاقات التي سبقتها ولكنها نشأت في احضانها . هذا القول صحيح بالنسبة الى كل العلاقات الانتاجية فيما عدا العلاقات الاشتراكية ، فمن المستحيل ان تنشأ علاقات انتاجية اشتراكية في ظل النظام الراسمالي ، بالرغم من أن تطور هذا النظام نفسه هو الذي ينشيء الظروف الموضوعية التي تحتم القضاء عليه . لماذا ؟ لان العلاقات الانتاجية السابقة على الاشتراكية كان اساسها جميعا الملكية الفردية لوسائل الانتاج وما ينشأ عنها من علاقات استغلالية ، وان اختلفت صور الاستغلال والقوى المتصارعة من مجتمع الى اخر ، ولكن العلاقات الاشتراكية تقوم على اساس ملكية مناقضة تمام التناقض للملكية الفردية وهي الملكية العامة وهو الامر الذي لا يمكن حدوثه في ظل المجتمع القديم القائم على الملكية الفردية .

والعلاقات الانتاجية الاشتراكية تقوم على الكفاية والعدل ، كفاية ما ينتجه المجتمع ، وعدالة توزيع العائد من الانتاج ، وهما اساسان لا يمكن تصور ارسائهما بدون استخدام اجهزة الدولة الانتاجية والمالية والتشريعية ، تخطيطية كانت او تنفيذية ، من الذي يحضر الموارد ؟ .. من الذي يراكم راس المال المطلوب للاستثمار ؟ .. من الذي ينشيء المشروعات ؟ .. من الذي يعقد الاتفاقيات مع دول العالم ؟ من الذي يصدر التشريعات الموزعة للدخل ؟ وغير ذلك من عشرات المسائل .. اجهزة الدولة . ولكي تسير كل هذه الاجراءات بحيث تنشيء العلاقات الاشتراكية وتدعمها لابد وان تكون اجهزة الدولة جميعا تحت السيطرة الكاملة لقوى الثورة .

ليس هذا فحسب فالدولة عن طريق اجهزتها التعليمية والتدريبية تلعب دورا حاسما في تكوين الشباب وتكوين جيل الخبراء والفنيين الذين تحتاج اليهم عملية التنمية الاقتصادية ، وعلى كفاءة هذه الاجهزة ونوع الفلسفة التي تسيرها والبرامج التي تعدها يتوقف نوع الجيل الجديد الذي تنشئه ، ولا يمكن لاجهزة ان تنشيء جيلا جديدا مؤمنا بالعلاقات الاشتراكية وبقضايا الجماهير الشعبية الا اذا كانت اجهزة خاضعة تمام الخضوع لقوى الثورة متخلصة من كل نفوذ لفلسفة القوى المعادية ، وكذلك الامر فيما يتصل بالاجهزة الاعلامية .

هذه القضية الجوهرية ، قضية ضرورة استمرار الثورة ما استمرت مرحلة الانتقال ، اى الى ان تسيطر قوى الثورة سيطرة كاملة على جميع اجهزة الدولة ومنظماتها ، والى ان تتم عملية ارساء العلاقات الاشتراكية ، هذه القضية يجب ان لا تغيب عن اذهاننا اطلاقا ونحن نناقش اى قضية سياسية اخرى .. قضية الشرعية مثلا . اى شرعية ؟ شرعية النظام الراسمالي ؟ قطعا لا .. شرعية النظام الاشتراكي ؟ ايضا لا ، وانما شرعية مرحلة الانتقال ، فكل اجراء يساعد على ارساء العلاقات الاشتراكية ويسرع منها هو اجراء شرعي ، وعلى العكس من ذلك اى اجراء يساعد على النقيض فهو اجراء غير شرعي .

ومن الذي يميز هذا الاجراء من ذاك ؟ قوى الثورة .. الجماهير ، كيف ؟ بابداء الراى واقتراح الاجراء والاشتراك في تنفيذه والرقابة على التنفيذ . ولكن اين تبدى الجماهير اراءها ولمن تبديها ، وكيف تراقب ، ومن يضمن لها حرية ابداء الراى والرقابة ، وكيف يمكن ان تشترك كلها ، على ضخامة عددها ، في هذه العملية ؟ هي اذن قضية الديموقراطية (ومرة اخرى حتى لا ننسى ، الديموقراطية في مرحلة الانتقال) .. قضية دور كل من المنظمات المختلفة الحكومية والشعبية ، والعلاقات المتبادلة بين بعضها البعض ، وايها الاصل والباقي فروع . ولكن ، لنطرح اولا هذا السؤال ؟

كيف تتم سيطرة قوى الثورة على الدولة ؟

اولا وقبل كل شيء بوحدتها فلا يمكن لقوى مبعثرة غير موحدة ان تسيطر على شيء ، فمابالك لو كانت الدولة هي هذا الشيء . ولكي تتوحد هذه القوى لابد اولا من تحديدها . وهذه نقطة هامة تطرح نفسها بشدة والحاح وربما بنفاد صبر وخاصة في هذه الايام ، فمن الملاحظ ان العمل الثوري في تجربتنا ترك هذه النقطة دون حسم محدد ، وذلك بسبب ان تجربتنا الثورية كانت اول تجربة تتعرض لظاهرة الثورات في النصف الثاني من القرن العشرين ، واعني بهما تلاحم الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية ، واول تجربة تتعرض ايضا لظاهرة البدء بالتنمية الاقتصادية بالاسلوب الراسمالي ثم القفز الى الاسلوب الاشتراكي ، ولقد نتج عن هذه الظروف وجود اكثر من خيط في نسيج الثورة ، فاحيانا كان يظهر الخيط الوطني واحياناكان يظهر الخيط الاجتماعي الذي كان يبدو في اوقات بلون راسمالي وفي اوقات اخرى بلون اشتراكي . وكان يحلو للبعض ان لا يرى الا الخيط الذي على هواه مغفلا عن عمد ، او عن ادراك ، باقي الخطوط التي كانت جزءا لا يتجزأ من واقع الظروف المحلية والعالمية التي احاطت بطريق الثورة .

ولم يكن هذا بالامر البالغ الضرر قبل ١٩٦١ اذ كانت المرحلة أساسا مرحلة التحرر الوطني ، مرحلة تحرير الارض ودعم الاستقلال السياسي، ومن طبيعة الثورة الوطنية ان الطابع التحريري فيها يغلب الطابع الاجتماعي،وانه نتيجة لهذا فانها تضم كقوى ثورية جميع القوى صاحبة المصلحة في الاستقلال ، وبهذا لا تطرد من صفوفها الا قلة ترتبط مصالحها اقتصاديا ارتباطا مباشرا ببقاء الاستعمار ، وهي قلة مفضوح امرها امام الجماهير منذ البداية ولا خوف من ان تقع تحت نفوذها .

غير ان الوضع تغير تغيرا جذريا بعد يوليو ١٩٦١،وعلى الاصح بعد الميثاق،ذلك لان الثورة دخلت مرحلتها الاجتماعية الاشتراكية ولم تعد المسألة مجرد تحرير الارض،وانما اصبحت تحرير الانسان . وحول هذه القضية كان لابد وان تنقسم القوى الاجتماعية قسمين : قسم وهو الاقلية لا يمكن الا وان يعادي الثورة الاشتراكية وقسم وهو الاغلبية لابد وان يكون معها ،ولم يعد السؤال هو : من الذي في صالحه تحرير الارض وطرد الاستعمار وتحقيق الاستقلال السياسي ؟. بل اصبح من الذي في صالحه تحرير الانسان من اشكال الاستغلال او بشكل ادق من الذي لا يمكن ان تتحقق مصالحه الا اذا تحرر من اشكال الاستغلال . وهنا يصبح ضروريا أن تعيد الثورة تحديد قواها والقوى المعادية لها ، ويصبح من الخطأ الجسيم تصور ان كل من كان قبل الميثاق ضد الاستعمار ومع تحرير الارض يظل بالضرورة من قوى الثورة بعد ان دخلت مرحلتها الاشتراكية فقد اصبحت القضية قضية اعادة بناء للمجتمع بما يحقق مصالح الغالبية ، مصالح الجماهير الشعبية وليست قضية تحرير المجتمع من المستغل الاجنبي لينفرد باستغلاله المستغل المحلي ، اصبحت القضية قضية تنمية من اجل كفاية توزع بالعدل على الجميع وفق العمل الذي يبذله كل فرد نوعا وكما ، ولم تعد قضية تنمية من اجل ان تزداد القلة تخمة ايا كان نوع ما تقوم به من عمل وايا كانت كميته وان تزداد الكثرة جوعا رغم انهم الذين يبذلون حياتهم عملا .

وجدير بالذكر هنا قول الرئيس في تقييم له للاتحاد القومي :

« ان الفكر الثوري في تلك الفترة ، وهو يتطلع الى الوحدة الوطنية ، ويدرك ضرورتها الحيوية داخل الوطن وفي مواجهة الظروف المحيطة به وقع في الخطأ حين توهم ان الطبقة المحتكرة التي كان لابد ان تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية ، يمكنها ان تقبل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحبة المصلحة في الثورة . وقد كان من اثر ذلك ان محاولات التنظيم الشعبي التي جرت في ضباب هذا الوهم ، حدث في داخلها من عوامل الصدام بين القوى الثورية الطبيعية والقوى المضادة للثورة بالطبيعة ما اصابها بالشلل واقعدها عن الحركة بل وكاد ينحرف بها في بعض الاحيان عن الاتجاه الثوري الاصيل » .

ولهذا فان الميثاق حين يتحدث عن الوحدة الوطنية فانما يتحدث عن الوحدة الوطنية لقوى الثورة بعد ١٩٦١ ولا يمكن بحال من الاحوال ان يعني وحدة كل من كان مع الثورة قبل ١٩٦١ دون استثناء . انها الوحدة الوطنية لمن لا تتحقق مصالحه الا ببناء الاشتراكية ، وبناء الاشتراكية لابد وان يسلب القوى الاستغلالية — والتي كانت غالبيتها من قوى الثورة في المرحلة الوطنية قبل ١٩٦١ — امتيازاتها التي لا تتحقق الا باستغلال الجماهير الشعبية الذين هم قوى الثورة الاشتراكية كما كانوا في مقدمة قوى الثورة الوطنية. ان السؤال ليس ماذا كان موقفك قبل ٦١ (وهو في الغالب على العين والراس !) ولكن اين تقف اليوم ؟

ولكن ، هل تحديد قوى الثورة يؤدي تلقائيا الى وحدتها ؟ .. كلا فليس يكفي ان تتحدد ، وليس يكفي ان تكون جميعا صاحبة مصلحة

حقيقية في بناء الاشتراكية ، وانما يجب ان يجمعها حد معقول من الوحدة الفكرية ، وفي تجربتنا بوجه خاص ، ربما اكثر من اي تجربة اخرى ادت عوامل وظروف عديدة فيما قبل ثورة ٥٢ وفيما بعدها الى تعدد المنابع الفكرية لقوى الثورة الاشتراكية والى ان يقف كل منها حذرا متوجسا من الباقي متصورا انه يريد ان يحتوى الثورة لصالحه . وكذلك لم تتح لهذه القوى فرص الحوار المفتوح الامين ، ولم تتح لها فرص حقيقية للعمل المشترك ، ولم تتح لها فرص تقييم الماضي وادراك كل منها لما وقع فيه من اخطاء . وبالرغم من اتفاقها جميعا على قيادة عبد الناصر الا ان هذا الاتفاق لم يكن وحده كافيا لان يحسم كل نقط الخلاف والتشكك بين بعضها البعض ، خاصة وان الجماهير العريضة هي في الاساس التي فرضت قيادة عبد الناصر من خلال تجاربها التي اثبتت ان عبد الناصر هو قائد نضالها والمعبر بحق عن مصالحها . ولقد ادى هذا الوضع الى ان تظل الى يومنا هذا قوة من قوى الثورة بمعزل عن الاشتراك في العمل السياسي .

والوحدة الفكرية لا يمكن ان تبدا الا اذا توافر عاملان : الالتقاء حول خط سياسي واحد وبرنامج عمل واحد ، ثم الاشتراك في تنفيذهما . ولكي يتوافر الشرطان ويزدادا نموا وعمقا لابد وان يتوفر شرط ثالث هو الوحدة التنظيمية التي تربط الجميع ، جميع قوى الثورة ، برباط واحد من الفكر والعمل ، ولكي تسير العملية ، رغم ما يظهر من تعقيدها لكي تسير في يسر وبنجاح لابد من قيادة تقودها .

فاذا عدنا الى موضوع السيطرة على اجهزة الدولة وجدنا انها من الناحية العملية لا يمكن ان تتحقق الا بأن يشرف عليها ، عن طريق شغل المناصب الهامة فيها ، عناصر واعية وقادرة من قوى الثورة . فليس يكفي ان تكون هذه العناصر من قوى الثورة بل يجب ايضا ان تكون واعية وقادرة .. واعية بمصالح الجماهير العريضة لقوى الثورة وبرغباتها وبالعقبات التي تعترض سبيلها ، وقادرة على ان تحقق هذه المصالح وتتخطى هذه العقبات . لابد اذن وان تكون واعية سياسيا وقادرة فنيا ، ولا يكفي ان تكون هذه العناصر ممثلة للجماهير ، بل يجب ان تكون ايضا خادمة للجماهير . وهنا يبرز سؤال ، كاد أن يصبح سؤالا تقليديا في حياتنا وكأنما ليس له جواب ، هو : من الذي يكتشف هذه العناصر ومن الذي يدربها ويلقنها الوعي ويزودها بالقدرة ؟ ثم .. من الذي يحدد قوى الثورة ، ومن الذي يوحدها ، ومن الذي يربطها تنظيميا ، وباختصار من الذي يقودها في تلك العملية الضخمة عملية الاستيلاء الكامل على اجهزة الدولة من اجل بناء المجتمع الاشتراكي الذي قامت الثورة من اجله ؟

الجواب هو الحزب . ولست ادري لماذا يخاف البعض من هذه الكلمة وكأنما هي رجس من عمل الشيطان ! وانا اعني البعض المخلص الذي هو من قوى الثورة ويريد لها الاستمرار . ان قضية السيطرة الكاملة على اجهزة الدولة وبناء العلاقات الاشتراكية اخطر قضية يمكن أن تواجه الانسان انها عملية تواجه اعداء في الداخل والخارج ، وتواجه عقبات اقتصادية واجتماعية خلفتها السنين الطويلة التخلف الذي اوقف عجلة حياتنا ، بينما عجلة الزمان تجري بسرعة هائلة بحياة غيرنا من الشعوب ، بل وتواجه ايضا عقبات من جانب قوى الثورة نفسها ، منها تعجل الجماهير من طول ما لاقت من حرمان ، ومنها مايسود بينها من قيم قديمة لا تخدم مصالحها بل تخدم مصالح القوى المعادية لها ، ثم هي فوق ذلك كله تتم في فترة بلغت فيها الاوضاع العالمية من التعقيد والصراعات الظاهرة والمستترة ما لم تبلغه من قبل ، بل اخطر من هذا كله انها تواجه احتلالا لجزء من الارض . فكيف يمكن لعملية كهذه ان تستمر دون قيادة ؟ وليس الحزب سوى هذه القيادة .

اما اذا كان الخوف هو من ان يكون الحزب سبيلا الى السيطرة ، او الى احتكار البعض للعمل السياسي وبالتالي للسلطة ، او الى تكميم الافواه وكبت الحريات ، فهذا خوف لا يعني عدم ضرورة الحزب وانما يعني ان يبنى بحيث لا يسمح بناؤه بهذه الاخطار ، وان يكون اسلوب عمله ، سواء في ذلك عمله بين الجماهير او عمله الداخلي ، بحيث يضمن عدم الوقوع في مثل هذه الانحرافات .

افان شرب احد ماء فوجده آسنا امتنع الباقون عن شرب الماء ؟



٣ ملاحظات عن التنظيم السياسي

أبو سيف يوسف

لا يشكل هذا المقال محاولة لاقناع القوى الثورية والاشتراكية بضرورة قيام تنظيم ثورى يقود الكفاح الوطنى والاجتماعى فى البلاد ، لان هذه القوى فى غنى عن محاولة من هذا القبيل .

كما ان المقال لا يشكل بالمثل محاولة لوضع نظرية للتنظيم الثورى لان « ميثاق العمل الوطنى » اشار الى هذا التنظيم وعدد بعض مواصفاته عندما نص على ان :

« الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة ، وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ، ويتحسس احتياجاتها ، ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

ففى هذه العبارات الموجزة حدد الميثاق ان هناك حاجة الى ان يقوم جهاز او تنظيم يتكون من عناصر طليعية ، وان هذا الجهاز يمثل بالنسبة لهذه العناصر الوعاء الذى تصب فيه اعمالها الكفاحية ، وانه اداة تنظيم للحركة الثورية فى صفوف الجماهير ، وانه ـ لهذا كله ـ يستطيع بفضل دوره القيادى ان يصل الى حلول لمشكلات الجماهير .

ولقد صدر ميثاق العمل الوطنى عام ١٩٦٢ ، بعد صدور قرارات يوليو بشهور . وجاء صدور الميثاق كدليل للعمل ايذانا بانتهاء مرحلة من العمل الوطنى تغلب فيها منهج التجربة والخطأ . ذلك أن الميثاق انما يتضمن الاسس العامة والنظرية المستخلصة من تجربة الثورة .

من هنا تبدو فكرة الجهاز او التنظيم السياسى كما نص عليها الميثاق منطقية ومتسقة تماما مع المرحلة الجديدة التى بدات بصدور قوانين يوليو : لان هذا التنظيم مدعو الى ان يكون اداة تجنيد الاشتراكيين، والعقل الذى يختزن التجارب الثورية وينظم الجماهير فى حركتها من اجل البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى للبلاد .

— ١ —

ولعلنا لانعدو الصواب هنا اذا قلنا أن فكرة اقامة جهاز سياسى داخل الاتحاد الاشتراكى لم تكن فقط نتيجة فتح النوافذ على التجارب الثورية فى بلاد غير بلادنا . بل الاصح ان يقال أن الفكرة ولدت كمحصلة للصراع الطبقى الذى خاضته القيادة السياسية بهدف عزل الطبقات الاجتماعية التى لا تريد مواصلة الثورة ، عن السلطة . يكفى للتدليل على صحة هذا الراى ان نتتبع تطور فكرة التنظيم السياسى كما هى منعكسة فى خطب واحاديث المناضل عبد الناصر خصوصا فى الفترة من ١٩٦٤ الى ١٩٦٧ .

ذلك انه اذا كانت قوانين يوليو قد تولت عزل بقايا الاقطاع والرأسمالية الكبيرة عن السلطة ، فان النضال من اجل الاشتراكية — مع ذلك — لم ينته بصدور هذه القوانين ولكنه كان قد بدأ . وتنبهت القيادة السياسية الى ان المجتمع المصرى لم يرث مخلفات الماضى فحسب بل لقد اصبح يموج بتناقضات جديدة حادة . فقد ظهرت فئات طبقية جديدة فى المدينة والريف تحاول ان ترث امتيازات الطبقة المخلوعة . وهكذا نجد ان خطاب المناضل عبد الناصر فى مجلس الامة (مارس ١٩٦٤) يحدد الموقف التالى من ظهور « الطبقة الجديدة » :

« انه ينبغى لنا مهما كان الثمن الا نسمح بظهور طبقة جديدة تظن أن الامتيازات ارثا لها بعد الطبقة القديمة . وعلينا ان نقاوم مثل هذا الانحراف ونقومه ونثور عليه اذا اقتضى الامر ونجرده من أى سلاح يكون قد حصل عليه » .

وفى حديث الرئيس عبدالناصر الى مجلس الامة (نوفمبر ١٩٦٤) حذر من الخطر الاجتماعى الذى تشكله البيروقراطية على اعتبار ان :

« البيروقراطية فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ستعمل بكل الوسائل على ان تحصل على اكبر قدر من السلطة حتى تستطيع ان تقوم بدور حاسم فى الانتاج وفى العلاقات الاجتماعية وتحتكر هذا الدور ، وبفضل هذا الاحتكار تأخذ مكان الرأسمالية » .

واذا كان البيروقراطيون يمثلون ذلك الصنف من المثقفين الذين يجذبهم مثل الحكام السابقين الا انهم — مع ذلك — لم يكونوا الفئة الاجتماعية الوحيدة التى نهضت لترث امتيازات الطبقات المخلوعة . بل كان هناك ايضا الى جانبها :

● فئة هؤلاء الاثرياء فى الريف الذين حاولوا ان يحصنوا قوانين الاصلاح الزراعى ليرثوا نفوذ كبار الملاك ومكانتهم .

● الرأسمالية الطفيلية التى اثرت لا من العمل فى الانتاج ولكن من وراء أعمال الوساطة والسمسرة فى قطاعات التجارة والمقاولات .. الخ

واقع الامر — اذن — انه من يوليو ٦١ اخذت القوى الاجتماعية تصطف فى تشكيل جديد ، وقد بدا فى الظهور استقطاب جديد يحدد الطبقات التى لها مصلحة فى الاشتراكية والطبقات التى تعارض طريق التطور الاشتراكى . وخلف هذه الطبقات الجديدة استترت أقسام من الرجعية التقليدية ، لتستفيد من التناقضات الاجتماعية ولتفشل خط القيادة السياسية ، خط حل قضايا الصراع الطبقى بطرق سلمية . وبالفعل فقد وصل الامر بقوى الرجعية الى الحد الذى حاولت فيه ان تفرض حلولها بالعنف سواء عن طريق الفصائل المسلحة او عن طريق اشاعة الارهاب فى الريف .

ومن الخطأ هنا ان نتصور ان قوى الرجعية والرأسمالية الجديدة كانت تتحرك حركة عفوية ، أو ان حركتها كانت مجرد ردود فعل ضد الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التى توالت خلال خمس سنوات منذ يوليو ٦١ . فالواقع ان هذه القوى رأت ان امتيازاتها مهددة من ناحيتين :

الاولى : ان ثورة يوليو بعزل بقايا الاقطاع والرأسمالية الكبيرة فتحت الطريق فعلا لحدوث تغييرات فى الميزان التقليدى بين الطبقات الاجتماعية . وبدأت الطبقات الشعبية وفى مقدمتها الفلاحون والعمال يستجيبون للشعارات السياسية والاجتماعية التى رفعتها القيادة السياسية ، وبدأوا يتحركون دفاعا عن مكتسباتهم الاقتصادية والاجتماعية .

والثانية : تصميم جاد من جانب القيادة السياسية التى يمثلها جمال عبد الناصر على اختيار الحل الاشتراكى . هذا التصميم لا تمثله فقط اجراءات يوليو وما بعدها ، بل انعكس ايضا فى طائفة من القضايا الحيوية التى ما فتئت القيادة السياسية تطرحها وتناقشها فى المناسبات الهامة ، وفى مقدمتها قضية تطوير الديموقراطية الاشتراكية وتمكين الشعب من ممارستها ليحدث التغييرات التى يريدها فى جهاز السلطة .

من هنا كان من الطبيعي ان تنهض الطبقات التي انسلخت عن مجرى الثورة تبدى مقاومة عنيدة ومستمرة على جميع الجبهات السياسية والاقتصادية والثقافية ، وبكل الوسائل التي تملكها ، وبكل الاساليب التي تتراوح بين المواجهة وبين التسلل والتخفي .

اما القيادة السياسية فلم يفتها في اكثر من مناسبة ان توضح طبيعة المشاكل التي تواجه البلاد في فترة الانتقال وان تفضح النشاط الهدام للقوى التي تهاجم الاشتراكية . ودعت الى توسيع نطاق العمل السياسي ، ونشر الوعي الاشتراكي ، وتطوير العمل في الاتحاد الاشتراكي ، وممارسة النقد والنقد الذاتي .

لكن من بين جميع هذه الوسائل اكدت القيادة على قضية التنظيم السياسي باعتبارها الاداة الفعالة والرئيسية التي تمكن الشعب لا من التصدي لقوى الرجعية فحسب بل ومن اجل الارتفاع الى مستوى المسئوليات الشاقة والتضحيات الجسيمة التي تفرضها تناقضات فترة الانتقال من الراسمالية الى اشتراكية .

وبالفعل طرح المناضل عبد الناصر قضية التنظيم السياسي في عبارات واضحة :

● ففي مواجهة قوى الرجعية الداخلية دعا **« كل القوى الاشتراكية » الى ان « تتجمع وتعارض وتنظم لتتصدى بكل قوى لمحاولات الرجعية التي تنتهز كل فرصة لمهاجمة الاشتراكية »** (١) .

● وعندما عالج قضية تنظيم القوى الاشتراكية حدد انه من اجل ان تكون المواجهة حاسمة بين القوى المعادية وبين الاشتراكيين فان البلاد تحتاج الى تنظيم او « **حزب اشتراكي** » يقف ويناضل في مواجهة « الحزب الرجعي » هذا الحزب الاخير الذي وصفه عبد الناصر بانه معلن بطريقة غير رسمية (٢) .

● وعندما تعرض لعلاقة هذا التنظيم او الحزب الاشتراكي بالاتحاد الاشتراكي العربي حدد انه سيكون ــ للاتحاد الاشتراكي ــ بمثابة الجهاز العصبي من بقية اعضاء الجسم ، وذلك من حيث ان الجهاز السياسي او الحزب الاشتراكي يضم الطلائع المناضلة والواعية التي لا تفسدها التطلعات ولا تغريها المرتبات .

مما تقدم نخلص الى ما يلي وهو :

انه في غمرة الصراع الاجتماعي من اجل التقدم ، ودفاعا عن الاستقلال الوطني وضعت القيادة السياسية يدها على حقيقة اساسية من حقائق العمل الثوري في جانبيه النظري والتطبيقي . هذه الحقيقة هي انه لا تبنى الاشتراكية بدون تنظيم اشتراكي .

وهذه الحقيقة لم تغيرها وقائع العدوان الصهيوني الامبريالي . بل اكدتها اكثر فاكثر ، وجعلت من قيام واعلان التنظيم الثوري في الاتحاد الاشتراكي ضرورة بل ومهمة عاجلة ايضا .

— ٢ —

هنا قد يطرح نوعان من الاسئلة :

الاول : خاص بالمناسبة التي يكتب فيها الناس عن التنظيم الثوري .

والثاني : عن بعض المشكلات التي تصاحب ــ وتعرقل ــ تكوينه واعلانه .

فيما يتعلق بالنوع الاول من الاسئلة فقد يثار سؤال عما اذا كان الكلام عن التنظيم الثوري في هذه الايام يتعارض مع الجهود التي تبذل لتوحيد الصف الوطني في مواجهة العدوان الواقع على البلاد .

والرد على هذا التساؤل :

هو ان اية دراسة واعية لتطور ثورة يوليو يبين ان قيادتها اختارت الحل الاشتراكي منطلقة في الاساس من الصمود على الموقف الوطني ، دفاعا عن الاستقلال واستكمالا له . وهكذا فان القضية التي اصبحت ملحة بعد جلاء الانجليز كانت قضية تحرير الاقتصاد القومي من قبضة الاحتكارات العالمية . باختصار اصبحت قضية

(١) حديث الرئيس جمال عبد الناصر في مجلس الامة ــ نوفمبر ١٩٦٤ ، وخطاب يوليو ١٩٦٥ .
(٢) حديث الرئيس عبد الناصر في الاجتماع مع اللجنة التنفيذية العليا والامانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي ــ راجع مجلة « الطليعة » عدد مارس ١٩٦٥ .

الاقتصاد الوطني المستقل — وبالذات في ظروف بلادنا — اساسا لاي تطوير اشتراكي .

هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى اذا كان الاتحاد الاشتراكي العربي مدعوا — وفقا للميثاق — لأ ن يكون الاطار الواسع لتحالف الطبقات الشعبية والوطنية فان التنظيم الثوري مدعو ايضا — وفي المحل الاول — لان يكون — وفقا للميثاق — القيادة والقوة المحركة للوحدة بين هذه الطبقات . وربما استوجبت ظروف العدوان الراهنة توسيع نطاق الحلف ليشمل كل القوى المعادية للامبريالية والصهيونية وذلك ايا كانت اصولها الطبقية . وهذا صحيح . لكن هذا ايضا يلقي على التنظيم الثوري اعباءا جديدة لانه هو وحده الذي يستطيع ان يحل ويوفق بين متطلبات العمل الوطني المعادي للامبريالية وبين متطلبات التمسك بالاهداف الاشتراكية .

ومن هنا فان دواعي كسب المعركة ضد العدوان الاجنبي تتطلب ان يقوم هذا التنظيم الثوري الطليعي وان يتحمل مسئولياته كاملة .

اما عن الاسئلة المتعلقة **بالمشكلات التي تصاحب تكوين هذا التنظيم** والتي يمكن ان تكون كلها — او بعضها — قد ساهم في تأخير قيامه واعلانه فان المجال هنا لايسمح بسرد تاريخي يغطي كل التطورات السياسية التي وقعت — خصوصا منذ صدور الميثاق في ١٩٦٢ .

على انه مهما يكن من امر فان الصعوبات لا تحول ولا يمكن ان تحول بين القوى الاشتراكية وبين ان تكتشف وسائل تذليلها ، والبشرية كما يقولون انما تطرح من المشكلات فقط ذلك النوع الذي تستطيع ان تقدم له الحلول .

ومن هنا فالاهم في اعتقادنا هو ان نركز على القضية الجوهرية في موضوع قيام واعلان التنظيم الثوري .

— ٣ —

وقبل ان نعرض لهذه القضية ثمة نقطتان يجب توضيحهما :

النقطة الاولى : تتعلق بالصيغة المقترحة لتشكيل هذا التنظيم الثوري . ان هذه الصيغة يمكن ان تستمد من الواقع الذي عرفته بلادنا وهو ان الطبقة العاملة لم تكن الطبقة الوحيدة التي جذبها المثل الاعلى الاشتراكي . وانما انحاز الى الاشتراكية في غمرة الحركة الوطنية ذات المحتوى الجديد كتلة الفلاحين والملايين من صغار الحرفيين والمثقفين والموظفين . **فالتنظيم الثوري الذي نتحدث عنه لا يأخذ صيغة الحزب البروليتاري الذي عرفته بعض البلدان الاشتراكية** . لكن هذا لا ينفي أنه تنظيم يناضل من أجل التقدم الاجتماعي ومن ثم يجب أن يضم اليه بالضرورة كل الطلائع المؤمنة بالاشتراكية وذلك ايا كانت أصولها الطبقية او مدارسها الفكرية .

والنقطة الثانية : تتعلق باهم القضايا الفكرية التي يجب ان يستند اليها التنظيم الثوري عند قيامه واعلانه .

وفي اعتقادنا ان الاشتراكيين الجادين سوف يعرضون عن المجادلات العقيمة ويبداون من نقاط اساسية ، واضحة ومحددة يمكن ان توجز فيما يلي :

- ان يوضع برنامج التنظيم الثوري انطلاقا من الاسس السياسية والاقتصادية للاشتراكية العلمية .
- ان يحرص التنظيم على ان تكون عضويته في غالبيتها من الطبقات الاجتماعية التي لها مصلحة في الاشتراكية ، وان يكون كل اعضائه من الذين دللوا بمواقفهم الفكرية والعملية على الاخلاص لقضية الاشتراكية .
- ان يلتف الاشتراكيون حول قيادة جمال عبد الناصر باعتبارها لا قيادة طبقة بعينها من الطبقات بل باعتبارها قيادة زعيم ثوري اختار الاشتراكية .

انطلاقا من هاتين النقطتين ننتقل الى معالجة القضية الجوهرية في قيام واعلان التنظيم الثوري **وهذه القضية هي قضية التحامه بحركة الجماهير والارتباط العضوي الحميم بها** . وهذه هي القضية التي ينبغي ان تستحوذ على انتباه جميع الثوريين — وخصوصا على اهتمام القيادة السياسية . وذلك لان عامل التوقيت — توقيت اعلان وتقديم هذا الحزب — يرجع في النهاية (في هذا الظرف الراهن) الى تقديراتها وحساباتها في اختيار اللحظة المناسبة .

وعندما نتحدث عن التحام هذا التنظيم الثوري بالحركة الجماهيرية الواسعة فانما نعني ان نعلن

هذا التنظيم ويتقدم الى الشعب بحيث يلتقي اعلانه مع حركة مد صاعدة من قبل الجماهير الشعبية . وان تجارب كثير من الاحزاب الثورية التي قادت النضال الوطني والاجتماعي في بلادها تؤكد على انها انتقلت من وضع التنظيم الضيق الى حالة الحزب او التنظيم الجماهيري عندما استطاعت في اللحظة المناسبة ان تحتضن وتلتقي بمد الحركة الجماهيرية ، - بالتحديد - عندما يبدأ تدفق الجماهير الى المعارك الكبرى الوطنية والاجتماعية .

ان هذه الحقيقة يظهرها ايضا التاريخ السياسي لبلادنا فاذا نظرنا مثلا الى الملابسات التي صاحبت مولد نشأة حزب الوفد المصرى وجعلت منه في ثورة ١٩١٩ حزبا للاغلبية ، لرأينا ان اعلان تكوينه جاء متساوقا مع صعود الحركة الوطنية التي كانت قد بدأت تعبر عن نفسها في مختلف التحركات والمظاهرات الوطنية المعادية للاستعمار .

الا انه لا ينبغي ان يفهم من هذا الكلام ان يجلس الناس ساكتين في انتظار ظهور المناسبة السياسية التي يتحقق من خلالها تفاعل والتحام حقيقي بين التنظيم الشعبي وبين مد الحركة الثورية . فالواقع أن ظروف العدوان الصهيوني رغم كل ما صاحبها من سلبيات قد رفعت من يقظة الجماهير ، وارهفت حاستها السياسية ، ونبهت وعيها الاجتماعي وفتحت - بالتالي - اوسع الطرق لتعبئتها وتنظيمها . وان مثل الهبة الثورية التي انطلقت في ٩ و ١٠ يونيو انما تدلل على أن الجماهير استطاعت - وان تم ذلك بحركة تلقائية - أن تأخذ زمام المبادرة وتحبط مخططات الاعداء . وتخطت اشكال التنظيم القائمة او تجاوزتها لترتبط ارتباطا جديدا ومباشرا بقيادة عبد الناصر . ومكنت القيادة السياسية بذلك - وفيما تلا من الايام من أن تتحرك لتعيد البناء العسكري ثم لتحبط خطط كل القوى والعناصر التي ارادت أن تضع نهاية للنظام الثوري .

ومن الحق أن نقول أن أنفاس ٩ يونيو لاتزال تملأ جو البلاد بكيفية أو باخرى . لكن من الحق ايضا ان نقول أن هذا النفس يجب ان يتجسد في شكل رابطة تربط بين القيادة وبين الجماهير التي تدفقت في ذلك اليوم . ولن تكون هذه الرابطة الا هذه الحلقة أو الهيئة من القادة والمنظمين الذين يحولون المد الشعبي التلقائي الى حركة منظمة واعية وجبارة .

على الثوريين اذن ان يتحركوا لملاقاة ٩ يونيو على الطريق وذلك اذا ارادوا ان يكسبوا المعارك القادمة وكم هي كثيرة ومتنوعة : ان معركة تطهير ارض الوطن من المحتلين ، ومعارك الانتاج والبناء الاقتصادى والسياسي كلها تطرح نفسها بقوة لم يسبق لها مثيل . وكلها تحتاج الى ان تكون حركة الجماهير في يد تنظيم ثورى يتعهدها ويلهمها ويجنبها مساوىء التلقائية والعفوية .

وهذا العمل الذى يتجه الى ربط اعلان التنظيم بحركة ثورية وصاعدة من قبل الجماهير لا يحقق للتنظيم الثورى صفة الجماهيرية فحسب (وهذا امر حيوى) بل انه يمكنه على المدى من ان يحل بنجاح طائفة من المشكلات التى القت كثيرا من الغموض على تكوين التنظيم السياسى . وعلى سبيل المثال ظل الثوريون يسألون عن المحك في اختيار الكوادر الاشتراكية الصالحة لهذا التنظيم

على اننا نعتقد انه في ظروف المعركة التى تواجهها البلاد ومن خلال العمل المسلح والجماهيرى الذى يوجه الى ازالة اثار العدوان تولد في كل يوم وفى كل مكان القيادات التى صهرتها وطهرتها نيران المعارك . من هنا يمكن ان نصل الى تحديد المعايير الخاصة باختيار كوادر التنظيم الثورى واختبارها . وهذه بالطبع - كما قلنا - مشكلة هامة من المشاكل التى تقابل بناء تنظيم او حزب ثورى في بلادنا . لكن علينا ان نذكر قبل كل شيء ان اهم ما يستحق منا الالتفات هو ان بلادنا تعيش حاليا - رغم كل الصعوبات والالام - هذه اللحظة المواتية لمولد التنظيم الثورى الذى اصبح مهمة عاجلة قد لا تحتمل التاخير .



التحالف .. والحزب



د . جمال العطيفى

تثير التفرقة بين الاتحاد الاشتراكى كتحالف جماهيرى واسع وبين الجهاز السياسى الذى نص الميثاق على انشائه داخل اطار الاتحاد الاشتراكى كطليعة له — عدة اسئلة هامة ، لايمكن الاجابة عنها الا فى ضوء التعرف على طبيعة كل منهما . ومن هذا الاصل يمكن ان نمضى فى الاستدلال المنطقى الى موضوع الحزب وتحديد العلاقة التى يمكن ان تقوم بينه وبين التحالف الذى يضمه الاتحاد الاشتراكى .

الالتزام بالميثاق والالتزام بقرارات التنظيم

ومن أهم ما تثيره التفرقة بين طبيعة الاتحاد الاشتراكى كتحالف ، وبين الحزب كتنظيم طليعى ، التساؤل حول مهمة اعضاء مجلس الامة وهم أعضاء فى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى وكانوا يعقدون مرة اجتماعات مغلقة يتفقون فيها على راى معين فى موضوع مطروح على المجلس ثم يعودون الى الاجتماع مرة اخرى فى جلسات علنية كمجلس امة — فماذا عسى أن يكون دورهم فى الرقابة الجدية المثمرة ؟

والواقع أن ما يثار بشأن التزام عضو مجلس الامة باعتباره عضوا فى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى — بقرارات التنظيم — انما يرجع فى جانب منه الى الخلط بين مفهوم الحزب ومفهوم الاتحاد الاشتراكى اى الخلط بين التنظيم الطليعى وبين التنظيم الجماهيرى الواسع .

لقد أسلفنا ان الاتحاد الاشتراكى تنظيم جماهيرى واسع يضم تحالف قوى الشعب العاملة .

فهو يتميز **اولا** : بأنه تنظيم واسع يكاد يضم جميع المواطنين الذين لهم حق الانتخاب . فقد أغفل الاتحاد الاشتراكى فى التجربة العملية التفرقة التى اوجدها قانونه الاساسى بين الاعضاء العاملين والاعضاء المنتسبين . وقد كانت هذه التفرقة صيغة ملائمة لكى لا ينفتح باب العضوية العاملة

على مصراعيه ، ومع اتاحة الفرصة للمواطن الذى لا يقبل عضوا عاملا فى ان يجتاز فترة انتساب يمتحن فيها ايمانه وصلاحيته . ثانيا : انه يضم قوى الشعب العاملة المتحالفة مع ما قد يكون بينها من فروق طبقية ومن متناقضات يعمل الميثاق على حلها سلميا . وهو بذلك يتميز عن الحزب الذى يضم طليعة ثورية محدودة العدد ، وتتحقق فيه الوحدة الفكرية بين اعضاء يتجانس تركيبهم الطبقى . ولذلك فان هذا التنظيم الطليعى يخضع لمبادىء اساسية منها الالتزام : التزام الاقلية برأى الاغلبية ، والتزام المستويات الادنى بقرارات المستويات الاعلى . وهذه المبادىء وهى التى تعرف فى الفكر الاشتراكى بالمركزية الديموقراطية يجب ان تطبق بصرامة حتى يضمن الحزب فاعليته .

ولكن من الخطأ أن نطبق على تحالف جماهيرى واسع هذه المبادىء فى التنظيم الحزبى بحذافيرها. فهذا التحالف يضم قوى جماعيه متباينةوهو تنظيم واسع يكاد يستوعب كما اسلفنا جميع المواطنين الذين يملكون حق الانتخاب . فلو اخذنا فيه بما يجاوز الالتزام بمبادىء الميثاق ، الى التزام القاعدة الجماهيرية الواسعة بقرارات القيادات التنظيمية ــ فاننا نصل بذلك اما الى اعدام حرية الرأى والمناقشة على النطاق الجماهيرى ، واما الى تكرار لدور الاجهزة السياسية واجهزةالدولة.

والواقع ان موضوع العلاقة بين المجلس النيابى الشعبى وبين التنظيم السياسى قد اثير حتى فى الدول الاشتراكية التى كان التنظيم السياسى فيها تنظيما حزبيا لا جماهيريا . فبينما ذهب البعض الى ان مهمة المجلس النيابى تنحصر فى تسجيل التعبير القانونى لسياسة الحزب ، ذهب آخرون من بينهم على سبيل المثال لبروفسير **بيسكيوبسكى** البولندى ، الى ان هذه الفكرة تؤدى الى محو دور المجلس النيابى ، وتحيله الى مكتب ادارى يصوغ قرارات الحزب دون ان يملك تحديد مضمونها . وتساءل عما اذا كان يمكن للنواب أعضاء الحزب ان يصوتوا بالرأى ضد قانون اعد تنفيذا لقرارات اتخذها الحزب ، واذا كان يمكنهم ذلك .. فهل يتفق هذا الموقف مع النظام الذى يجب أن يسود الحزب ؟ ولذلك فقد انتهى الرأى عند بعض السياسيين فى الدول الاشتراكية الى أن الحزب من حقه ان يطلب من اعضائه ان يدافعوا فى المجلس النيابى عن سياسته العامة دون أن يحرمهم ذلك من الحق فى ابداء آراء خاصة فى تطبيقات هذه السياسة العامة . بينما ذهب آخرون الى أن عضو المجلس الشعبى يتمتع بحرية فى الرأى والمناقشة داخل اجتماعات الحزب.

ولكنه يلتزم باتباع خط الحزب فى اجتماعات المجلس الشعبى . واذا احس بأنه لا يستطيع ذلك فان عليه أن يستقيل من الحزب .

على أن هذا الرأى الاخير قد يتفق مع طبيعة علاقة يمكن ان تقوم بين عضو مجلس الامة والحزب الذى ينتمى اليه . ولكنه لا يتفق مع طبيعة علاقة تقوم بين عضو مجلس الامة وبين تحالف جماهيرى واسع .

ففى نظام الحزب ، اذا خرج العضو عن الالتزام بخطه السياسى ، فان الجزاء على ذلك قد يكون حرمانه من عضوية الحزب . ولكن هذا الحرمان لا يترتب عليه المساس بحقوقه السياسية ومنها الترشيح للانتخابات العامة كمرشح غير حزبى . فالذى قد لا يدركه الكثيرون بوضوح ، أن الاعضاء غير الحزبيين فى المجالس النيابية يقومون بدور هام فى كثير من الدول الاشتراكية . وانهم يلتزمون بالخط العام للاشتراكية ويسهمون فى بنائها دون ان يكونوا اعضاء فى الحزب . وعلى سبيل المثال ، فاننا اذا رجعنا الى خطاب **كادار** زعيم حزب العمال الاشتراكى فى المجر فى مؤتمر الحزب الاخير الذى انعقد فى الفترة من ٢٨ نوفمبر الى ٣ ديسمبر ١٩٦٦ لوجدناه يعنى عناية بالغة بالتأكيد على ان الباب مفتوح امام غير المنتمين الى الحزب . وقد طرح فى خطابه هذا السؤال :

ما هو وضع العلاقات بين اعضاء الحزب وغير الحزبيين ؟ ثم قال ان هذا السؤال يمكن الاجابة عليه ببساطة .« بأن مجرد ان المواطن لا ينتمى الى الحزب يجب الا يكون محسوبا عليه . وفى نفس الوقت بطبيعة الحال ، فان مجرد انتماء المواطن الى الحزب لايجب ان يصبح ميزة له . وكما ان عضوية الحزب يجب الا تتحول الى ميزة، الا انها ليست مضرة » .

اما فى تطبيقنا للاشتراكية ــ الذى لم يعرف حتى الان كتنظيم سياسى سوى الاتحاد الاشتراكى بوصفه تحالفا لقوى الشعب العاملة ــ فان الامر جد مختلف . فهذا التحالف بحكم طبيعته تنظيم جماهيرى واسع . فرغم ما اشار اليه قانون الاتحاد الاشتراكى فى ديباجته من أن الاتحاد الاشتراكى هو الطليعة الاشتراكية ــ فى وقت لم تكن فيه ملامح تجربتنا قد اتضحت تماما ــ فان الاتحاد الاشتراكى الذى فتح باب عضويته لحوالى ستة ملايين مواطن من قوى متباينة وهو عدد يمثل تقريبا عدد المواطنين الذين لهم حق الانتخاب، ليس حزبا طليعيا بل انه تنظيم جماهيرى .وتفريعا على ذلك اشترط قانون مجلس الامة للترشيح لعضوية المجلس ان يكون المرشح عضوا عاملا فى

الاتحاد الاشتراكي . وما ذلك الا لان هـذا الشرط لا يعدو ان يكون فى الواقع العلمي مرادفا لشرط الا يكون المواطن محروما من حقـوقه السياسية .ومع ذلك فيلاحظ ان بعض مشروعات النقابات المهنية الجديدة ومنها قانون نقابة المهن الزراعية الذى صدر فعلا ،تذهبالى حد اشتراط العضوية العاملة فىالاتحاد الاشتراكي لا لممارسة حق الترشيح بل لممارسة حق الانتخاب . بل ان بعض هذه المشروعات يذهب الى حد اشتراط هذه العضوية لمجرد الانضمام الى النقابة . وهو شرط يصادر حق المواطن فى العمل ، فى الحالات التى يشترط فيها القانون القيد فى النقابة لمزاولة المهنة . بينما أن حق العمل يجب الا يرتبط بالحق فى مباشرة الحقوق السياسية ويجب أن يكون مكفولا لجميع المواطنين) .

الحـزب يرشـح للانتخـابات

والاتحاد الاشتراكى لا يرشح

وتفريعا على ما تقدم ايضا ، فانه لا يتصور أن يكون للاتحـاد الاشتراكي مرشـحون يدخلون الانتخابات وينافسون اعضاء آخرين منتمين اليه ــ فان هذا يتنافى مع طبيعته كتحالف واسع . لقد اتجه الراى فى انتخابات مجلس الامة عـام ١٩٦٤ الى أن يمارس الاتحاد الاشتراكى حقـه فى تنسيق عملية الانتخاب ، وذلكباختيار مجموعة من المتقدمين لخوض المعركة وادخار البـاقين ليكونوا ذخيرة لنشاط وطنى يحتاجه الوطن فى مجالات أخرى . ولكن حسـبما جاء فى الكتاب السنوى الاول الذى اصدره الاتحاد الاشتراكى فانه « أمام حماس المتقدمين لطلب العضـوية وما ابدوه من رغبة ملحة فى المشاركة فى المعركة الانتخابية وتطبيقا لفكرة جعل هذه التجـربة الديموقراطية الجديدة مفتوحة للجميعبصورة يمكن أن تفيد منها القوى الشعبية خبرةووعيا مهما تكن مشقة التجربة ، تقرر العدول عن فكرة تحـديد عدد المرشحين كما تقرر اتاحة الفرصة امـام الجميع لخوض معركة الانتخابات » .

بل لقد ذكر الرئيس عبد الناصر مرة بصراحة تعليقا على نتائج الانتخابات فى اجتماع له مـع الامانة العامة نشرت مجلة الطليعة محضره فى مارس ١٩٦٥ « اننا اذا جعلنا عملية الانتخـابات على اساس قائمة فان معنى ذلك اننا جعلنا العمل السياسى احتكارا لمجموعة من الناس،وانا اعتبر ان الناحية الديموقراطية اساسية بالنسبة لنـا كدولة فى ممارستنا للاشتراكية » .

اما اذا تم انشاء الجهاز السياسى الطليعى وهو الحزب ، فانه يمكن ان يكون له مرشحوه الذين يدفع بهم الى الانتخابات مع الابقاء على حـق كل مواطن غير محروم من حقوقه السياسية ، ــ ممن ينتظمهم الاتحاد الاشتراكى اى التحالف الجماهيرى ــ فى الترشيح ، دون ان يكون ممن يضمهم التنظيم السياسى الطليعى اى الحزب ، اذ ان الحزب لا يمكن ان يضم جميع المواطنين حتى الذين تتجانس مصالحهم الطبقيـة ومـع افتراض صلاحيتهم ، بل ان المفروض فيه الا يضم الا اكثرهم وعيا وصلابة وقدرة على الالتحـام بالجماهير ــ دون أن يعنى ذلك ان من لا يضمـه التنظيم السياسى الطليعى الى صفوفه يفتقـد حقوقه السياسية كمواطن يشارك فى اختيـار ممثليه او الترشيح للتنظيمات الشعبية المختلفة.

وبذلك يمكن للتنظيم السياسى أن يختبر قدرته شعبيا وسياسيا على الدفع باعضائه الى مجلس الامة أو الى التنظيمات الشعبية الاخرى . ويتاح فى نفس الوقت الاستماع فى مجلس الامـة الى آراء لا تلتزم بما يتخذه التنظيم السياسى الطليعى من قرارات يلتزم بها اعضاؤه وحدهم ، طالما أن هذه الاراء تبدى فى اطار المبادىء العامة للميثاق.

وعلى سبيل المثال اذا فرضنا ان موضـوع مستقبل الاراضى الجديدة قد طرح على التنظيم السياسى الطليعى وناقشه ، ثم انتهت اللجنـة المركزية الى قرار فيه ، بأن أمثل حل هو توزيع هذه الاراضى الجديدة على الفلاحين مع تجميعهم لاستغلالها تعاونيا ــ فان هذا القرار يلتزم به اعضاء مجلس الامة المنتمين الى الحزب حينمـا يطرح عليهم باعتبارهم سلطة دولة . ولكنـه لا يحول بين غيرهم من الاعضاء الذين لاينتمون الى الحزب وبين انيطرحوا رايا مخالفا هو وجوب خلق قطاع عام لاستغلال هذه الاراضى الجديدة، دون أن يخلق ذلك من اصحاب الراى المخـالف معارضة بالمفهوم الغربى .

على اننا اذا كنا قد انتهينا الى ان الاكثر اتساقا مع طبيعة الاتحاد الاشتراكى كتحالف واسـع لقوى الشعب العاملة الا يكون له مرشحوه ــ الا ان التجربة العملية قد دلت خاصـة فى بعض انتخابات التنظيمات النقابية التى تمت اخيرا على ان الاتحاد الاشتراكى قد ادى دور الحزب فى تزكيته لمرشحين معينين ، كما انه فى تنظيماته الهرمية وفى التزام الاقلية فيـه برأى الاغلبيـة والتزام

المستويات الادنى بقرارات المستويات الاعلى، وفى اعتبار اعضاء مجلس الامة هيئة برلمانية للاتحاد الاشتراكي — قد استعار بعض ملامح الحزب الاساسية . ولعل هذه الملامح هى التى دعت البعض الى تصور أن الجهاز السياسى الذى اشار الميثاق الى تكوينه داخل اطار الاتحاد الاشتراكي لا يعدو أن يكون مرادفا لتشكيلات المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى التى جرت على النمط الحزبى.

وبذلك أصبح الاتحاد الاشتراكى يدور بين الفكرتين: التنظيم الجماهيرى الواسع والحزب الطليعى . واقتصر فهم طبيعة تركيب الجهاز السياسى الطليعى على أنه تجنيد لاكثر العناصر حركة واخلاصا بين قوى التحالف — بينما ان المعيار الاساسى فى خلق هذا الجهاز السياسى الطليعى يجب أن يكون التجانس الطبقى أى أن يكون تعبيرا عما اكده الميثاق من دور طليعى للعمال والفلاحين، جعله ينص على ضمان نصف مقاعد التنظيمات الشعبية لهذه الفئات صاحبة المصلحة الحقيقية فى التحول الى الاشتراكية .

ومن هذه النقطة يمكن ان نناقش موضوع الحزب ..

وهذا الموضوع يثير فى الواقع عدة اسئلة :

هل هناك حاجة الى ايجاد حزب ؟ وهل يعنى ذلك أن يتحول الاتحاد الاشتراكى الى حزب؟ وهل تتفق الدعوة الى الحزب مع مبادىء الميثاق؟ وهل تسمح الظروف الحالية بمناقشة موضوع الحزب ؟

الدعوة للحزب مرتبطة بهدف تذويب الفوارق بين الطبقات

والاجابة على السؤال الاول وهو مدى الحاجة الى ايجاد الحزب مرتبطة تماما بتحديد اهداف التحول الى الاشتراكية . فاذا كان تطبيقنا للاشتراكية يمكن ان يتجمد فى حدوده الحالية — فانه لا تكون هناك حاجة بنا الى انشاء الحزب وهو يرمى أساسا الى دفع عجلة التحول الى الاشتراكية .. أى الوصول الى مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات، ويصبح فيه العمل وحده أساسا لقيمة الفرد فى المجتمع وأساسا لتحديد مدى اشتراكه بثمرات المجتمع — وواضح أن الوصول الى المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، يجب أن يعتمد أساسا على قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين — وهؤلاء هم الذين يمكن أن يضم الحزب طليعتهم المناضلة.

والواقع انه طالما اننا نضع امامنا تذويب الفوارق بين الطبقات ، كهدف نريد للمجتمع أن يصل اليه — فان تحقيق هذا الهدف يحتاج الى طليعة متجانسة فى تركيبها الطبقى وفى فكريتها. ونحن نحتاج الى هذه الطليعة أيضا لتهيئة جماهير المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى للنظر فى الميثاق حينما يعاد طرحه عليه عام ١٩٧٠ .

وهذا الرأى يتفق مع ما ذكره الرئيس عبد الناصر فى حديثه مع اعضاء اللجنة التنفيذية والامانة العامة حول خطة العمل الجديدة للتنظيم السياسى (الطليعة مارس ١٩٦٥) من وجوب أن يكون لدينا كادر أو حزب اشتراكى « وانه بدونه لن نستطيع أن نقود الجماهير او التصدى للقوى المضادة » وما ذكره بعد ذلك فى الاجتماع الموسع للهيئة البرلمانية فى ١٦ مايو ١٩٦٥ من اننا « اذا أردنا استمرار الثورة فلابد أن يكون هناك تنظيم سياسى قوى قادر على الاستمرار فى المبادىء والامال التى قررناها ، وأن يكون قادرا على النظر فى الميثاق » .

العلاقة بين الحزب والاتحاد الاشتراكى

وبانشاء الحزب نتبين بوضوح حدود الالتزام بقرارات التنظيم السياسى .. ويصبح من الواضح أن هذا الالتزام مبدأ أساسى فى التنظيم الحزبى لا فى التحالف الذى يمثله الاتحاد الاشتراكى . كما يصبح من الجائز تزكية مرشحين للحزب ، دون حرمان المرشحين الاخرين المنتمين للاتحاد الاشتراكى من حق الترشيح فى التنظيمات السياسية والشعبية .

ولكن ايجاد هذا الحزب يجب أن يتم ضمن اطار الاتحاد الاشتراكى . فهو لا يمكن أن يحل محل الاتحاد الاشتراكى ، ولكنه يعد طليعة قيادية له . فالحزب لا يقود سياسيا اتحادا على اعضائه وحدهم ، بل انه لا يستطيع ان يتعرف على اتجاهات

المواطنين ورغباتهم ومشكلاتهم الا اتحادا على التنظيمات الجماهيرية وفي مقدمتها الاتحاد الاشتراكي وهو التنظيم الذي تتجمع فيه قوى الشعب . ثم ان التحالف بين قوى الشعب العاملة ، الذي يقيم الاتحاد الاشتراكي يجب أن يبقى حتى يتم نهائيا تذويب الفوارق بين الطبقات . وانشاء الحزب المعتمد على طليعة الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين ، لا يلغي الدور الهام الذي يمكن ان تقوم به فئات التحالف الاخرى في بناء الاشتراكية . ان هذه الفئات ، ومنها الراسمالية الوطنية تقوم بدور هام في الانتاج ، وتؤدي خدمة هامة للمجتمع . ولكن الذي نرفضه أن تسود أيديولوجية الطبقة المتوسطة وأن يصبح لها قيادة التحالف ، وأن تصبح بذلك عقبة في تطوير علاقات الانتاج في المجتمع الى علاقات اشتراكية .

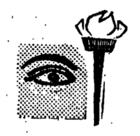
وفي نفس الوقت ، فان انشاء الحزب الاشتراكي لا يعني ان تتحول تشكيلات الاتحاد الاشتراكي الحالية فتصبح هي الحزب ، لان هذه التشكيلات لا تتوافر فيها المعايير الموضوعة التي ذكرناها في تشكيل الحزب وهي التجانس الطبقي والفكر الموحد .

انشاء الحزب تنفيذ للميثاق

اما القول بان الدعوة الى انشاء الحزب الطليعي لا تتفق مع مبادىء الميثاق ، فانه مردود عليه – بأن الميثاق ذاته قد اشار الى الحاجة الماسة الى خلق جهاز سياسي جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي ، وأن الميثاق ذاته يسلم بالدور القائد للعمال والفلاحين في تحالف قوى الشعب العاملة ، بل ويدعم هذا الدور بضمان نصف مقاعد التنظيمات السياسية والشعبية للعمال والفلاحين . وأن الهدف الأساسي وهو تذويب الفوارق بين الطبقات يعتمد بطبيعته في تحقيقه على القوى صاحبة المصلحة الأولى في الوصول الى مجتمع تذوب فيه هذه الفوارق .

وحتى يظل الحزب مرتبطا بالتحالف فانه يجب أن يكون منبثقا عنه . فلا قيمة لخلق الحزب من مواقع السلطة .. أو بقرار بيروقراطي . بل أن الجماهير يجب أن تتاكد لها أهمية قيام الحزب الطليعي . وهذا يتطلب طرح هذا الموضوع على أوسع مدى من المناقشة ، حتى تتحقق للتنظيم الحزبي الضمانات التي تكفل أن يكون قائدا للتحالف لا سيدا له ، مرتبطا بالجماهير لا مستعليا عليها ، والا يصبح سلطة دولة وان كان يوجه سلطة الدولة من خلال التحالف ، والا يتحول الى ميزة لنفر قليل او احتكار للعمل السياسي .

ومع ذلك فان تساؤلا يثور عن مدى ملاءمة الظروف الحالية لمناقشة هذا الموضوع . فمن ناحية قد يقال ان هذه الظروف بما تفرضه من تماسك الجبهة الداخلية يتنافى معها الدعوة الى حزب يضم عددا محدودا من طليعة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين . وأن ذلك من شأنه أن يعزل فئات المجتمع الاخرى في وقت نحتاج فيه الى تجميع كل هذه الفئات . ولكن الحقيقة اننا نحتاج الى هذه المناقشة اليوم اكثر مما نحتاجها في أي وقت مضى . ذلك أن العدوان كان موجها أساسا لضرب الثورة الاشتراكية ، فالحزب الطليعي هو الذي يمكنه أن يحمي الثورة ويضمن استمرارها لتحقيق اهدافها . ولان تعبئة الجماهير للنضال ضد الاستعمار العدواني ، يحتاج الى طليعة ثورية تضطلع به . ثم ان الدعوة الى انشاء الحزب لا تعني عزل الفئات الاخرى او التشكيك في وطنية افرادها . فليس من حق أي انسان ان ينكر على أي مواطن دوره في الكفاح الوطني ، لمجرد انتماء هذا المواطن الى فئات اجتماعية اخرى – ولكن الحزب الذي يعد طليعة الجماهير قوى الشعب العاملة المنظمة في الاتحاد الاشتراكي ، هو الاقدر بحكم تكوينه وتجانسه وثوريته على أن يكون قائدا للنضال الوطني والثورة الاجتماعية . فأول درس يجب أن نتعلمه من النكسة وما تلاها من أحداث ، هو أن الضمان الحقيقي لتجربتنا الاشتراكية ليس في مواقع السلطة ، ولكن في قواعد الجماهير .





تطور علاقة الحزب بالدولة في التجربة اليوجوسلافية

عادل غنيم

من القضايا الجوهرية في الفكر والتطبيق الاشتراكي المعاصر قضية علاقة الحزب بالدولة والتطور الجدلي لهذه العلاقة خلال مراحل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، كما ان تحديد دور كل من الحزب والدولة في حياة المجتمع الاشتراكي الاقتصادية والسياسية والثقافية هو احد المشاكل الكبرى التي تواجه بناء الديموقراطية وتطويرها في العالم الاشتراكي ، ومن هنا كانت اهمية المناقشات الواسعة (١) الدائرة اليوم في يوجوسلافيا حول تطوير « رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف » تطويرا جذريا يشمل وظيفتها الاجتماعية وبنيتها التنظيمية واسلوبها في العمل وعلاقاتها بالطبقة العاملة وبالدولة وبمؤسسات الادارة الذاتية الاجتماعية .

الاصلاح الاقتصادي مرحلة جديدة

تتميز المرحلة الراهنة من تطور المجتمع اليوجوسلافي بنمو وتعميق علاقات الانتاج الاشتراكية ، فلقد خطت الادارة الذاتية والتوزيع

(١) طرحت رابطة الشيوعيين للمنافسة الحزبية والجماهيرية مسودة مشروع لاعادة تنظيمها وتطويرها في مارس ١٩٦٧ كما نظمت كلية العلوم السياسية في زغرب ندوة حول دور رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف في ظروف الادارة الذاتية وقدم الى الندوة اربعون ورقة تناولت الجوانب المختلفة للموضوع .

المباشر للدخل حسب العمل المبذول خطوات واسعة الى الامام ، وتأكد دور الانسان العامل فى تحديد شروط عمله وتدعم حقه فى التصرف فى ثماره . ولقد نتج الاصلاح الاقتصادى Economic Reform (٢) الذى بدأ تطبيقه فى عام ١٩٦٥ آفاقا رحبة لنمو تلك العلاقات وازدهارها . فقد خفضت الضريبة على الدخل فى الاقتصاد والتى كانت تصل الى ١٥ ٪ من الدخل الاجمالى . كما انقص سعر الفائدة الذى يتحمله راس المال العامل ومن ناحية اخرى خفضت الضرائب على الدخل الشخصى للعمال . ونتيجة لهذه الاجراءات ارتفع نصيب المنظمات الاقتصادية فى توزيع الناتج الاجتماعى الصافى من ٥١ ٪ الى ٧١ ٪ ، بينما انخفض نصيب الدولة والمؤسسات السياسية — الاقليمية من ٤٩ ٪ الى ٢٩٪ من اجمالى الناتج الاجتماعى الصافى . وهكذا احدث الاصلاح الاقتصادى تغيرات هيكلية عميقة فى وظيفة الدولة وفى علاقاتها بالاقتصاد . وتقلصت الى حد كبير القاعدة الاقتصادية لتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ، وفى عملية تكرار الانتاج الاجتماعى والتوزيع . ومن ناحية اخرى اتسعت القاعدة الاقتصادية للديموقراطية المباشرة القائمة على الادارة الذاتية الاجتماعية . ولهذا يعد الإصلاح الاقتصادى — فى نظر اليوجوسلاف — خطوة جديدة وثورية فى طريق تلاشى جهاز الدولة .

ولقد فرضت هذه التغيرات الاجتماعية العميقة ضرورة تطوير علاقة الحزب بالدولة واعادة النظر فى دور الحزب وعلاقاته الداخلية واسلوبه فى العمل لحل التناقض بين القاعدة الاقتصادية بعلاقاتها الجديدة من ناحية والبناء السياسى الحزبى والادارى من ناحية اخرى .

ولابد لنا من التعرض للفكر الاشتراكى اليوجوسلافى وتحليله لتطور المجتمع الاشتراكى ليتضح الاطار النظرى الذى تطرح فيه علاقة الحزب بالدولة .

مرحلتان لتطور المجتمع الاشتراكى

يحلل الفكر الاشتراكى اليوجوسلافى تطور المجتمع الاشتراكى الى مرحلتين متميزتين :

مرحلة اشتراكية الدولة (State Socialism)

او مرحلة الدولة الثورية والاجراءات الادارية الثورية . (Revolutionary Statlim)

ومرحلة الاشتراكية القائمة على الادارة الذاتية الاجتماعية (Self Management Socialism) :

وهما مرحلتان مترابطتان ترابطا جدليا وان كانت لكل منهما ملامحه وتناقضاته الخاصة ، سواء فيما يتعلق بقاعدة المجتمع الاقتصادية (علاقات الانتاج والتوزيع الاساسية) .

وما يتعلق بالبناء العلوى السياسى والادارى (الحزب : وظيفته الاجتماعية علاقاته الداخلية علاقته بجهاز الدولة — الدولة : دورها وبنيتها الاجتماعية وعلاقاتها بالحزب وبالاقتصاد والثقافة) وانعكاس ذلك كله على الفكر الاشتراكى النظرى فى كل مرحلة .

اولا : مرحلة الدولة الثورية والاجراءات الادارية الثورية (Revolutionary Statism) ١٩٤٥ — ١٩٥٠ :

بعد انتصار الثورة وجه الحزب الشيوعى اليوجوسلافى جهوده لبناء اقتصاد اشتراكى وعلاقات اجتماعية جديدة اشتراكية . وكان عليه ان يحل ثلاث مهام رئيسية : تصفية علاقات الملكية الاستغلاليه وخلق علاقات اشتراكية . وتعمير البلاد التى خربتها الحرب ، وبناء جهاز جديد للدولة الثورية على انقاض جهاز الدولة القديم الرجعى الذى دمر خلال المعارك الثورية المسلحة .

وخلال تلك الفترة (١٩٤٥ — ١٩٥٠) كان جهاز الدولة — باعتباره تنظيما لسلطة الطبقة العاملة اداة التغيير الثورى للعلاقات الاجتماعية . اذ تصدت الدولة الجديدة لتصفية مراكز الاستغلال والسيطرة الطبقية . وتولت الادارة المباشرة للانتاج والتوزيع . واخذت على عاتقها مهمة اعادة بناء البلاد ، وقهر التخلف الاقتصادى والثقافى ، وطورت بسرعة قوى المجتمع الانتاجية .

ومن الطبيعى فى تلك الظروف ان تتركز السلطة السياسية والاقتصادية فى اجهزة الحكومة الثورية . وكان هذا التركيز يتفق مع مصالح الشعب العامل .

(٢) صدرت قوانين الاصلاح الاقتصادى فى يوليو ١٩٦٥ .

ويطلق الشيوعيون اليوجوسلاف على تلك المرحلة اسم اشتراكية الدولة او مرحلة الدولة الثورية والاجراءات الادارية الثورية ». وفى تلك المرحلة حيث جهاز الدولة هو الاداة الرئيسية لتغيير العلاقات الاجتماعية ، وسلطة اتخاذ القرارات مركزة فى قمة الحكومة ، كان الحزب الشيوعى اليوجوسلافى يمارس دوره القيادى السياسى والاجتماعى بتركيزا قواه وجهوده فى ادارة شئون الحكومة مستندا الى التأييد التلقائى والمنظم للجماهير العريضة ومساهمتها فى تنفيذ سياسته .

والواقع ان الانجازات الثورية البارزة التى حققتها الدولة عن طريق الاجراءات الادارية الثورية فى مرحلة اشتراكية الدولة انما تثبت ضرورة هذه المرحلة التاريخية ». وهى مرحلة تقدمية وضرورية بمقدار نجاحها فى تهيئة الظروف الاقتصادية والسياسية اللازمة لتجاوزها ، وذلك باجراء تحولات عميقة فى علاقات الانتاج الاساسية لتحرير المنتجين المباشرين من جميع اشكال الخضوع والتبعية ، من علاقات العمل ـ المأجور Wage-Labour Relations وما لم يتم انجاز هذا التحول تصبح الطبقة العاملة مهددة بخطر البيروقراطية ، ويتحول جهاز الدولة والحزب الى قوة مستقلة عنها ويتشوه الحزب نتيجة لاندماجه تدريجيا فى جهاز الدولة ».

وتتميز اشتراكية الدولة بعدة سمات رئيسية ابرزها :

● يأخذ تشريك (Socialisation) وسائل الانتاج صورة ملكية الدولة وهيمنتها الشاملة وهو ما يطلق عليه اليوجوسلاف (Statisation)

● انتهاج اسلوب التخطيط الادارى المركزى المباشر .

● وتسود علاقات سيطرة الدولة لا فى ميدان الانتاج الاجتماعى فحسب وانما تمتد ايضا فى جميع العلاقات الاجتماعية السياسية والثقافية والايديولوجية وتتغلغل فى نسيجها .

● تنشأ وتتشكل تدريجيا من خلال عملية احتكار ادارة الملكية الاجتماعية فئة بيروقراطية تخرج من المجتمع وتحاول ان تفرض نفسها عليه وتسيطر على عملية الانتاج وتتصرف على النحو الذى تراه فيما ينتجه من قيم .

● وتتمتع بيروقراطية الدولة كذلك بمركز احتكارى فى ميادين السياسة والثقافة والفكر .

● وفى ظل اشتراكية الدولة تبقى ظاهرة الاستلاب الاقتصادى والسياسى والايديولوجى للمنتجين المباشرين .

ثانيا : مرحلة الاشتراكية القائمة على الادارة الذاتية الاجتماعية

وتبرز هذه السمات السلبية ويتزايد خطرها بعد ان يكون جهاز الدولة قد استنفد دوره فى التغيير الاجتماعى . ولقد تنبه الحزب الشيوعى اليوجوسلافى الى سلبيات مرحلة اشتراكية الدولة وحلل تناقضاتها قبل ان يتفاقم خطرها ، واتجه الحزب الى الطبقة العاملة يعبئ صفوفها من أجل تجاوز تلك المرحلة الى مرحلة ثورية جديدة هى مرحلة الادارة الذاتية الاجتماعية .

فكان المؤتمر السادس للحزب الشيوعى اليوجوسلافى (عام ١٩٥٢) الذى يعد بحق نقطة تحول حاسمة فى تاريخ الحزب وفى تطور البلاد السياسى . وناقش المؤتمر قضية دور الحزب فى ظل نظام الادارة الذاتية . وانتهى المؤتمر الى انه لم يعد ممكنا ان يستمر الحزب فى تولى الادارة المباشرة لحياة المجتمع كلها،فينبغى ان يتمشى دور الحزب الطليعى والقيادى مع حق الشعب العامل فى الاسهام فى صنع المواقف والقرارات السياسية ولهذا قرر المؤتمر ان يكون النضال السياسى والايديولوجى وليس العمل من خلال سلطة الدولة هو اسلوب الحزب فى المرحلة الجديدة الذى يعتمد العمل السياسى والايديولوجى فيهما على الاقناع والحوار الديموقراطى . وتمشيا مع هذا الاتجاه قرر المؤتمر تغيير اسم الحزب ليصبح رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف .

وفى ضوء قرارات المؤتمر السادس للحزب الشيوعى اليوجوسلافى عقدت الجبهة الشعبية فى عام ١٩٥٣ مؤتمرها الرابع الذى عدل المبادىء التى كانت تقوم عليها تلك المنظمة السياسية الجماهيرية العريضة (التى تضم مليون عضوا لتتلاءم مع الادارة الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية الجديدة . وشهد هذا المؤتمر تحويل الجبهة الشعبية الى التحالف الاشتراكى للشعب العامل الذى يشكل القاعدة السياسية العريضة للادارة الذاتية الديموقراطية المباشرة) ، ويضم التحالف الاشتراكى جميع الطبقات العاملة .

كما حدثت تطورات مماثلة فى سائر المنظمات الجماهيرية كالنقابات العمالية ومنظمات الشباب والنساء لتتمشى مع الاوضاع الجديدة .

وفى اوائل الخمسينات بدات التجربة الجديدة تجربة بناء الادارة الذاتية الاجتماعية ».

● إن الاشتراكية القائمة على الادارة الذاتية الاجتماعية الكاملة لم تتحقق بعد فى الواقع اليوجوسلافى . ومع ذلك يمكننا ان نحدد فيما يلى بعض الملامح الاساسية للمرحلة الراهنة :

● اصبحت وسائل الانتاج مملوكة ملكية اجتماعية مشتركة لم تعد مملوكة للدولة .

● نمو علاقات الحكم الذاتى
Self Government Relations
لافى ميدان الانتاج الاجتماعى فحسب وانما ايضا فى مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية السياسية والثقافية .

● العدول عن اسلوب التخطيط المركزى الادارى المباشر والتوسع فى تطبيق اللامركزية فى التخطيط، واستخدام قوانين السوق ، واطلاق حرية المبادرة الاقتصادية والحركة للوحدات الاقتصادية فى حدود الاهداف العامة للخطة الاقتصادية القومية التى تقتصر على تحديد النسب الاساسية للتطور الاقتصادى .

● يصفى تدريجيا اتجاه القوى البيروقراطية، الى احتكار التحكم فى عملية الانتاج والتوزيع ويتدعم اكثر فأكثر دور الادارة الذاتية (التسيير الذاتى) بواسطة المنتجين المباشرين :

● وخلال عملية تطور الاشتراكية القائمة على الادارة الذاتية الاجتماعية تختفى البيروقراطية كفئة اجتماعية ، ويصبح التخصص المهنى اساس التمايز بين مختلف الفئات الاجتماعية .

● تهىء علاقات الادارة الذاتية الاجتماعية الاساس المادى لانهاء استلاب الانسان واغترابه وتحقق المشاركة الفعلية بدلا من المشاركة الشكلية للمنتجين المباشرين .

● ان اشتراكية الادارة الذاتية ، او مايسميه اليوجوسلاف الحكم الذاتى الاجتماعى، هى مرحلة ثورية جديدة فى تطور المجتمع الاشتراكى .

● الطبقة العاملة هى القوة الاجتماعية الرئيسية فى علاقات الادارة الذاتية وفى تطورها بحكم وضعها الموضوعى فى المجتمع والذى يجعل منها قوة مناضلة من اجل تصفية جميع مخلفات المجتمع الطبقى . ومن هنا كان كفاح الطبقة العاملة الذى لا يلين ضد النظام البيروقراطى وعلاقات العمل ــ المأجور التى تنشأ معه (٣) .

التناقضات الاجتماعية فى المرحلة الراهنة

غير ان انشاء شبكة واسعة من مؤسسات الادارة الذاتية تغطى مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية لا يعنى ان علاقات الادارة الذاتية قد اصبحت فى التطبيق والواقع الشكل السائد للعلاقات الاجتماعية . ففى داخل وحدات الادارة الذاتية تناقضات اجتماعية عديدة . ويتوقف الطابع الديموقراطى للادارة الذاتية على معالجة تلك التناقضات وحلها .

فلا زالت العلاقات الاقتصادية ــ الاجتماعية تحمل حتى الان بعض عناصر النظام البيروقراطى الذى كان سائدا حتى عهد قريب، وتناضل العلاقات القديمة من اجل البقاء والعودة من جديد فى اشكال جديدة كمحاولة المحافظة على احتكار الادارة فى بعض قطاعات الملكية الاجتماعية والتصرف فى فائض الانتاج فى اغراض لم يقرها المنتجون المباشرون ، فضلا عن محاولة الابقاء على استقطاب المجتمع وانقسامه الى مديرين وساسة محترفين فى جانب وكتلة من الجماهير المنفذة فى جانب آخر ، وكاستغلال تطبيق مبدأ توزيع الدخل حسب العمل المبذول للحصول على امتيازات فى الدخل وفى المجتمع .

وتتجمع كل هذه العناصر لتصنع تيارا تحتيا ثابتا فى حياة البلاد الاجتماعية والسياسية تعبر عنه الفكريات البيروقراطية والبرجوازية الصغيرة الليبرالية المزيفة التى تزعم ان الادارة الذاتية قد طبقت قبل الاوان ، وتشكك فى قدرة العمال على اتخاذ القرارات الخاصة بمشروعاتهم وفى اهتمامهم بالتقدم التكنولوجى وبخطط الاستثمار ، وتزعم ان الادارة الذاتية لا تتفق مع التوجيه المخطط للاقتصاد . والمجتمع فى نظر البيروقراطية مهدد بالتفكك ما لم يستند الى مركزية بيروقراطية قوية .

ولكن البيروقراطية لاترى نقائصها وتناقضاتها ولا تدرك عدم معقوليتها . فهى لا ترى مثلا قراراتها الاستثمارية المتهورة ، وطاقات العمل والانتاج المعطلة ، وهبوط الحافز الشخصى على العمل، وتدهور نوعية الانتاج. وتخلق البيروقراطية جوا فكريا تصور فيه للناس أن تفكك النظام

(٣) تتحول علاقة العمل المأجور فى مرحلة اشتراكية الدولة البيروقراطية من علاقة بين صاحب العمل الراسمالى والعامل الى علاقة بين بيروقراطية الدولة والعامل

البيروقراطى على انه تفكك للحزب والحكومة والمجتمع ذاته . ومن ثم تسعى الى فرض «النظام» لاعادة التسلط الادارى البيروقراطى من جديد .

وتعمل الاتجاهات البيروقراطية بالاكل للتاثير فى طليعة الطبقة العاملة (رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف) والتغلغل فى نسيجها واستخدامها فى تحويل مؤسسات الادارة الذاتية الى مجرد شبكة اتصال لنقل الاوامر والقرارات ، فضلا عن محاولة الابقاء على البنية الهرمية الصارمة للعلاقات داخل التنظيم الطليعى (المركزية البيروقراطية) . ويكمن خطر تلك الاتجاهات فى انها تهدد المضمون الطبقى الثورى لرابطة الشيوعيين بالتحلل ، كما يتعرض التنظيم الطليعى لخطر الانفصال عن الطبقة العاملة التى تشكل قاعدته الاجتماعية وتحول التنظيم الى حلبة للصراع بين الشلل والتكتلات .

ومن خلال مقاومة القوى والاتجاهات البيروقراطية تولد وتنمو فى قلب المجتمع قوى محركة جديدة هى المصلحة الشخصية والاجتماعية للمنتجين المباشرين . ويتبلور نظام جديد للقيم ويصبح شيئا فشيئا جزءا من نسيج الاشتراكية ذاتها . وتتغلغل القيم الجديدة فى وجدان الجماهير ووعيها فتتحول الى قوة مادية وثورية حقيقية . والطبقة العاملة هى القوة الاجتماعية الاساسية فى العلاقات الجديدة . وهى تناضل لتأكيد مصالحها المباشرة والتاريخية . وينبع دور الطبقة العاملة من وضعها الموضوعى فى المجتمع وهو وضع يجعل منها طليعة النضال من أجل تصفية المجتمع الطبقى واقامة العلاقات الجديدة . ومن هنا كان نضالها ضد بيروقراطية الدولة وما تولده من علاقات العمل — المأجور ومن أجل تصفيتها النهائية .

وتنطوى علاقات الادارة الذاتية — فى ظل الانتاج السلعى — على نوع اخر من التناقضات التى تنشأ عن التفاوت فى مستويات التطور الاقتصادى والتكنولوجى . وبالتالى تفاوت انتاجية ودخل جماعات العاملين فيها مما يولد الانانية والنزعات الاقليمية الضيقة، وتطلع بعض قطاعات الطبقة العاملة الى استغلال مركزها الممتاز ، وجنى ثمار تفوقها التكنيكى على حساب باقى القطاعات . وتنشأ مع هذه التطلعات اتجاهات ترمى الى تحويل الادارة الذاتية الى ملكية مجموعات .

ومن ناحية اخرى تولد علاقات الملكية الخاصة المنتشرة على نطاق واسع فى الزراعة الايديولوجية الفردية والنزعات الانانية والرغبة فى التملك التى لا تستند الى العمل الشخصى .

غير ان تناقضات المرحلة الراهنة من تطور الادارة الذاتية ليست تناقضات طبقية عدائية . ولهذا يمكن حلها ديموقراطيا داخل ميكانزم الادارة الذاتية . وهنا تنشأ موضوعيا الحاجة الى طليعة سياسية وايديولوجية قادرة على تحليل التناقضات الاجتماعية فى كل مرحلة من مراحل التطور وتعبئة الجماهير العاملة من أجل حلها وتجاوزها .

ولم يعد ممكنا فى ظروف الادارة الذاتية ، فى ظروف تقلص وتلاشى جهاز الدولة ، لم يعد ممكنا ان يستمر اسلوب التنظيم الطليعى فى العمل السياسى عن « **طريق القرارات** » **التى تصدر** « **لصالح الطبقة العاملة** » فمنطق هذه الظروف ذاتها يحتم اجراء تغييرات جوهرية فى وظيفة الحزب وعلاقته بالدولة .

علاقة الحزب بالدولة
فى ظل الديمقراطية المباشرة

تناضل رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف كتنظيم طليعى للطبقة العاملة داخل مؤسسات الادارة الذاتية من أجل تدعيم وتطوير الميكانزم الديموقراطى لاتخاذ القرارات فى مختلف مستويات السلطة السياسية ابتداء من الكوميونات حتى الاتحاد الفيدرالى .

ولا يقف التنظيم الطليعى من صراع الافكار والمصالح الاجتماعية موقف الحكم أو القوة السياسية التى تفرض نفسها عليه من الخارج . وانما يعمل كقوة داخلية ديناميكية نقدية وخلاقة أى باعتباره جزءا لا يتجزأ من نظام الديموقراطية المباشرة والادارة الذاتية .

ويرى الاشتراكيون اليوغوسلاف أن التغيرات العميقة التى طرأت على وظيفة الدولة كمؤسسة اجتماعية نتيجة لتطبيق نظام الادارة الذاتية والاصلاح الاقتصادى لم تلغ الدولة ولم تصف دورها الاجتماعى . فالدولة لازالت تمارس وظائف هامة فى حياة المجتمع ، فهى مسئولة عن حماية النظام الاشتراكى وأمنه الداخلى والخارجى . وهى مسئولة ايضا عن ضمان توفير الشروط اللازمة لنمو علاقات الانتاج الاشتراكية . كما ان تصدى الدولة للتنظيم القانونى للعلاقات الاجتماعية هو عنصر لا غنى عنه لحل التناقضات الاجتماعية وتوفير اسباب الاستقرار للحياة والعمل فى المجتمع الاشتراكى .

كما ان تلك التطورات الهيكلية لم تغير — فى رأى اليوجوسلاف — من طبيعة الدولة ومحتواها الطبقى وهو ذكتاتورية البروليتاريا التى تضمن للطبقة العاملة تحقيق مصالحها التاريخية فى التحول الاشتراكى .

لقد كان الحزب الشيوعى اليوجوسلافى يمارس دوره القيادى فى مرحلة الاجراءات الادارية الثورية (اشتراكية الدولة) بالدرجة الاولى من خلال جهاز الدولة الادارى ، أى من خلال ادارة الدولة . وذلك فيما يتعلق بنظام اتخاذ القرارات السياسية (System of Political Decision Making) فكان من الطبيعى فى تلك المرحلة ان تندمج المستويات العليا فى الحزب والدولة . وهكذا بدأت عملية التحول البيروقراطى للسلطة السياسية وانفصالها عن المجتمع .

وكان لهذا الاندماج انعكاس واضح على تطور التركيب الاجتماعى للحزب طوال الفترة الماضية كلها . فكان العمال الذهنيون (الكوادر الفنية والادارية) يكونون الفئة الاجتماعية المسيطرة داخل الحزب وارتفعت عضويتهم فى التنظيم من ٢٤٣ر٦١٦ عضوا يكونون ٣ر٣٢ ٪ من مجموع العضوية سنة ١٩٥٧ الى ٢٧٦ر٣٩٥ عضوا يكونون ٤ر٣٨ ٪ من العضوية سنة ١٩٦٤ . وتسيطر تلك الفئة على معظم المراكز الرئيسية فى التنظيم . اما العمال اليدويون فهم فى مركز ادنى فى التنظيم بالرغم من تزايد عضويتهم نتيجة لنمو الطبقة العاملة من الناحية العددية ، فقد ارتفعت عضويتهم من ٨١٩ر٢٤٣ عضوا يكونون ٣ر٣٢ ٪ من مجموع العضوية سنة ١٩٥٧ الى ٣٧١ر٣٧٢ اى ٢ر٣٢ ٪ من العضوية سنة ١٩٦٤ .

وكان لتلك العمليات الاجتماعية انعكاسها على حياة التنظيم الطليعى وعلاقاته الداخلية . فتحول مبدأ المركزية الديموقراطية فى التطبيق الى مركزية بيروقراطية صارمة . وتحولت العلاقات بين مستويات التنظيم المختلفة الى علاقات هرمية جامدة . وفى كلمة اصبح الحزب مهددا بأن يتحول الى مجرد جهاز .

ومن هنا كان تنبيه الفكر اليوجوسلافى الى ضرورة تغيير علاقة الحزب بالسلطة ، وقد بدأ التغيير فعلا . فمن ناحية تغيرت بنية جهاز الدولة واسلوبها فى العمل من ناحية تدريجيا ، وبصورة متزايدة فى ميكانزم الادارة الذاتية الاجتماعية ، واخذ يفقد طابع السلطة السياسية المستقلة . ومن ناحية اخرى يجرى فصل رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف كتنظيم طليعى عن الممارسة المباشرة لسلطة الدولة .

ويقول اليوجوسلاف ان هذا لا يعنى انهم اصبحوا يعتنقون الافكار البورجوازية الليبرالية ، والنظريات التى تنادى بالحياد الطبقى للسلطة ، او انهم تخلوا عن الاستمرار فى تحمل المسئولية من سياسة الدولة . وانما تمارس رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف كطليعة للطبقة العاملة — تأثيرها على الحياة السياسية وعلى عمل سلطات الدولة عن طريق :

- وضع الخط السياسى العام للتطور الاجتماعى وتحديد الاهداف الاجتماعية الاستراتيجية لكل مرحلة من مراحله وتأكيد هذا الخط ديموقراطيا .
- النضال السياسى الذى لا يعرف الكلل من اجل تحويل مبادىء الدستور الى واقع ملموس سواء فيما يتعلق بالجمعيات (Assemblies) ومسئوليتها عن اتخاذ القرارات السياسية ، وممارسة السلطة ، او فيما يتعلق بعلنية عمل الدولة ، ومسئولية القائمين بالوظائف السياسية التنفيذية والادارية امام الهيئات النيابية وامام الجمهور .
- النشاط الكثيف والمنظم للشيوعيين فى انتخاب الهيئات النيابية لضمان افضل تكوين ممكن للجمعيات التى يجرى انتخابها على اساس برنامج اشتراكى محدد وواضح المعالم .
- التقييم النقدى والمناقشة العلنية المستمرة لعمل الجمعيات ولنشاط اجهزتها وذلك بصورة مباشرة او عن طريق عقد اجتماعات بين النواب والناخبين او من خلال تشكيلات التحالف الاشتراكى والصحافة وغيرها من وسائل الاعلام الجماهيرية .
- تكوين رأى عام ديموقراطى يساهم ايجابيا فى صنع القرارات السياسية .
- النشاط المستقل والمسئول للشيوعيين فى الهيئات النيابية وغيرها من مؤسسات الدولة وفى المنظمات الاجتماعية والجماهيرية وذلك فى ضوء الخط السياسى والمواقف الايديولوجية لرابطة الشيوعيين اليوجوسلاف .

وبهذا يؤمن المجتمع الاشتراكى نفسه ضد خطر بيروقراطية الدولة وضد اخطار الثورة المضادة والتدخل الاجنبى .

دور التنظيم الطليعي في تطوير الادارة الذاتية

وتمارس رابطة الشيوعيين اليوجوسلاف دورها الطليعي في تطوير الادارة الذاتية وذلك :

● بتقديم صياغة واضحة وواقعية لاهداف النضال من أجل الاشتراكية في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي معتمدة على معرفتها بالقوانين الاقتصادية والاجتماعية وللامكانيات الموضوعية ولاتجاهات التطور في الحركة الاجتماعية .

● وبأخذ زمام المبادأة في تحسين وتطوير النظام الاقتصادي والسياسي . وذلك بتدعيم دور المنتجين المباشرين في الادارة الذاتية وخاصة فيما يتعلق بمسئوليتهم عن الاستثمار الرأسمالي .

● العلانية في كل ما يتخذ من مواقف سياسية تمس المصالح الحيوية للشعب العامل .

● تعميق النشاط الاجتماعي الذي تقوم به رابطة الشيوعيين من اجل ضمان طابع اجتماعي لقرارات الادارة الذاتية ومن أجل تبنى حلول تقدمية تتفق ومبادىء الرابطة وسياستها .

● النضال الصريح والعنيد ضد البيروقراطية في كل نواحي الحياة الاجتماعية وضد أي افتيات على حقوق الانسان العامل ومصالحه الحيوية والوقوف بحزم ضد الاتجاهات الفوضوية والقوى التي تسعى الى تحويل الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الى ملكية مجموعات Group Property واحباطاي محاولة لتفكيك وحدة الطبقة العاملة

● النضال ضد ايديولوجية البورجوازية الصغيرة وانانيتها وضد انعدام روح المسئولية الاجتماعية .

وهذا الاسلوب في العمل السياسي يتيح التفاعل بين الطبقة العاملة وطليعتها المنظمة ويفتح بينهما ابواب الحوار على مصراعيها في المجتمع اليوجوسلافي .

هذه هي الخطوط العريضة لتطور علاقة الحزب بالدولة في التجربة اليوجوسلافية .





الجنوب العربى على طريق الاستقلال

حلمى ياسين

بفضل النضال الباسل لثوار جنوب اليمن المحتل ــ قد يشهد الوطن العربى خلال الاسابيع القادمة ــ تصفية واحد من أهم جيوب الاستعمار القديم فى الوطن العربى .

ان أحداث ثورة الجنوب العربى التى تتابعت منذ العدوان الاستعمارى الصهيونى على البلدان العربية فى ٥ يونيو الماضى ــ قد اثبتت حيوية الثورة العربية وقدرتها على الحركة وتوجيه الضربات لاعدائها فى اقسى الظروف .

لقد توهمت بريطانيا انها قادرة على الاستفادة من نتائج عدوان الخامس من يونيو ــ لكى تصفى ثورة الجنوب وأن تنال منها فى ظروف انشغال القوى الثورية العربية بمواجهة آثار النكسة ــ وكشفت الحكومة البريطانية عن الوجه الحقيقى لسياستها واهدافها فى الجنوب العربى ــ فأعلنت على لسان وزير خارجيتها ما يتناقض تماما مع كل ما سبق واعلنته بريطانيا من تأكيدات عن عزمها على الجلاء عن الجنوب دون شروط أو استبقاء قواعد عسكرية ــ فقد اعلن وزير خارجية بريطانيا عن عزم انجلترا على وضع قوة بحرية ضخمة ــ تعززها قوة كبيرة من قاذفات القنابل فى مياه الجنوب لمدة ستة أشهر بعد الاستقلال ــ والى ما بعد هذه الفترة طبقا لما تراه الحكومة البريطانية ودعت لوضع جزيرة « بريم » العربية التى تتحكم فى مضيق باب المندب ــ المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ــ تحت وصاية دولية .

ان تحقيق ذلك يعنى احتفاظ بريطانيا بهذه القاعدة المعدة على اساس ان تنطلق منها القوات الضاربة الى أى مكان فى الشرقين الادنى والاقصى

يكون جسرها لاية عمليات عسكرية تشترك فيها بريطانيا مباشرة او بطريق غير مباشر والتي سوف تتولى حماية المصالح البترولية للدول الاستعمارية في الجنوب العربي ومنطقة الخليج .

وتستكمل بريطانيا خطتها بمحاولة تكوين كيان خاص بالسلطنات الشرقية الثلاث — الهدف من ورائه محاولة فصل حضرموت عن الجنوب لتكون حاجزا دون تلاحم ثورة الجنوب بثورة الخليج العربي ،ولتكون حضرموت مرتكزا للرجعية لضرب منجزات ثورة الجنوب والشمال . وتواصل بريطانيا مساعيها لان تترك الجنوب في ايدى صنائعها وشركائها في المصالح — وتعمل لتحقيق ذلك بكل الوسائل — بالقوة او التحايل والخداع — وبالدعم المادى والمعنوى الواسع — وتعمل كل ما من شأنه ان يحول دون وصول قوى الثورة الحقيقية الممثلة للشعب الى السلطة .

ولكن خطط بريطانيا تصطدم دائما بمقاومة الثورة — وتفشل مشروعاتها واحدا بعد الاخر أمام صمود الثورة — لقد اتسعت هجمات الثوار على قوات الاحتلال ومنشآته والمتعاونين معه بعدد النكسة حتى بلغت ٩١ هجوما في ٢٤ ساعة .

ونسف الثوار خط الانابيب التابع لشركة « بريتش بتروليم » الذى يغذى السفن بالوقود ، وواصلت نقابة عمال الميناء رفض خدمة السفن الانجليزية والامريكية الراسية بالميناء — وكذلك عدم افراغ شحنات الناقلات التابعة للدولتين في معمل تكرير الشركة البريطانية احتجاجا على التواطؤ الانجلوامريكى .

واعلنت قوات الجيش والبوليس في اتحاد الجنوب العربي الثورة على الاوامر البريطانية وضد حكومة الاتحاد الفيدرالى المتعاونة معه وهجرت معسكراتها لتنضم الى الثورة — وبذلك انهارت مؤسستان من المؤسسات الدستورية الثلاثة التى اقامتها بريطانيا في الجنوب العربي .

وفي الوقت الذى سعت فيه بريطانيا الى ما اسمته بتوسيع قاعدة الحكومة تمهيدا لنقل السلطة اليها — وتكليف حسين على بيومى بتشكيل حكومة انتقالية واسعة التمثيل — تمكنت ثورة الجنوب ليس فقط من احباط المناورة الجديدة ودفع الاغلبية الساحقة ممن دعوا للاشتراك في الحكومة الجديدة الى الرفض الفردى والجماعى ، بل وتحت ضغط قوى الثورة تمزقت حكومة السلاطين ذاتها وانهارت تماما — وغادر معظم اعضائها ارض الجنوب الى خارج البلاد — الامر الذى ارغم المندوب السامى البريطانى السير هنرى تريفليان لان يعلن « ان وضعا جديدا قد طرأ بعد ان توقفت حكومة الاتحاد عن العمل ولم تعد تمارس السلطة — وقال اننى اعترف بالقوى الوطنية ممثلة للشعب فضلا عن اننى على استعداد للدخول في المباحثات معها »

واتسعت الثورة في الولايات — وتقدم الثوار لاحتلال المراكز التى اخلاها البريطانيون خلال عملية تجميع قواتهم في محمية عدن وسيطر الثوار على معظم الولايات عدا محمية عدن ولم تنجح محاولة الزج بالجيش لتولى السلطة . وامكن للقوى الثورية ان تخطو فوق محاولة بريطانيا استغلال الخلاف بين القوى الوطنية في محاولة للايقاع بينهما ، وتوسيع شقة الخلاف،وما لجأت اليه من افتعال الحوادث بقصد تشويه ثورة الجنوب وتفتيت وحدتها الوطنية — وقيام العصابات السرية التى شكلتها بريطانيا نفسها باغتيال عناصر وطنية ومحاولة ايهام كل جبهة بان الجهة الاخرى وراء هذه الاغتيالات ونجح الطرفان في وقف الصدام المسلح بين انصارهما وهو ما زال في بدايته .

المحتوى الاجتماعى للثورة

لقد جاءت انتصارات ثورة الجنوب السياسية والعسكرية لتثبت كذب الدعاوى الاستعمارية للتشكيك في اصالة الثورة وشعبيتها ولتثبت أنها ثورة شعبية شاملة نابعة من صفوف شعب الجنوب ومعبرة عن مصالحه .

ان الكفاح المسلح الذى بدأ في جبال ردفان في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ كان نقطة تحول هامة في نضال شعب الجنوب العربي . هذا النضال الذى خاضه شعب الجنوب ضد المستعمرين خلال عشرات من الهبات والانتفاضات الثورية التى شاركت فيها كل قطاعات الشعب — ليس فقط معارضة منها للوجود الاستعمارى فحسب ، وانما طرحت مطالب اجتماعية عادلة ومعبرة جميعها عن الارادة في التحرر — لقد طالبت مظاهرة المزارعين في لحج عام ١٩٤٩ بأن تكون الارض لمن يفلحها ، وهب العمال عام ١٩٥٥ ضد استغلال شركات الاحتكار واضرب الطلبة عام ٦٢ اكثر من شهر احتجاجا على المناهج الدراسية الاستعمارية وتوالت ثورات القبائل التى قاومت بالسلاح التدخل الاستعمارى والسلطة الرجعية العميلة — الا أن هذه الهبات الثورية لم يتحقق لها النجاح — لعدم توفر الظروف الموضوعية من ناحية — ومن ناحية اخرى عدم توفر القيادة الثورية الاصيلة التى تستطيع قيادة النضال الشعبى الثورى وتنظيمه حتى يبلغ اهدافه الاساسية .

ولا شك ان رياح التغيير الثورى التى هبت على المنطقة بانتصار ثورة اليمن في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ — ووصول القوات العربية لحماية الثورة

والحفاظ على مكاسبها — كل ذلك قلب الاوضـــاع السائدة في المنطقة ووفر لها في الوقت نفســـه الشروط الاساسية لاندلاع الثورة .

لقد توافرت للكفاح من أجل التحرير قيـــادات قادرة على ان تحشد حولها قوى الشعب وان تخوض بها المعارك العسكرية والسياسية في الجبال بالقتال المسلح وفي المدن بسلاح الاضراب الذي استخدم بكفاءة كبيـرة لدحـر كل المزاعم البـريطانية عن ان ما يحـــدث في الجنــوب ليس سوى عمليات ارهابية تفرض نفسها على جماهير الشعب ولتؤكد في مختلف المناسبات وفي كل المواقف الصلبة التي تتخـذها القيــادة إزاء المشروعات البريطانية — لتؤكد مدى نفوذ قيادة الثورة المسلحة ومدى التفاف جماهير الشـــعب حولها وإستجابة لقيادتها .

لقد حققت الثورة المسلحة في الجبال ومن خلال الاحتكاك اليومي بين المقاتلين والفلاحين — حققت تلك الثقة التي فتحت أمامها سبيلا لا حد له من العمل والحماية . ووفرت للجماهير تنظيماتهــا السياسية والعسكرية المسلحة بقيادات قادرة على أن تعطيها التوجيهات في اللحظات الحرجة وتقف بصلابة وعناد ضد كل المحاولات التي بذلتهـا بريطانيا والمتعاونين معها من سلاطين وحــكام للالتفاف حول الثورة وافشلت المشروع بعد الاخر من المشروعات التي والت بريطانيا تقديمها لحل قضية الجنوب لحساب مصالحها .

الوحـــدة الوطنيـــة في مواجهة التآمر الاستعماري

ان قضية الجنوب العربي تواجه اليوم منعطفا حاسما في تطورها — والوضع فيها يقترب من ذروة الخطر ، فبريطانيا قد لا تنفذ وعدها بالجلاء تحت اى زعم وقد تنجح بريطانيا في تسليم السلطة بعد الاستقلال للقوى الرجعيـــة من ســـلاطين ومشايخ وجماعة رابطة الجنوب العربي ومن تستطيع جذبه من عناصر الوسط (المعتدلين !)

وهذا الاختبار الحاسم الذى تتعرض له ثورة الجنوب انما يدفع بقضية الوحدة الوطنية الى المقدمة بوصفهـــا الواجب الاول على المتصـــدين لمسئولية العمل الثورى .

ان الشعب العربي يتطلع الى تحقيق وحـــدة قوية وعميقة بين القائمين على الكفاح المسلح — حول استراتيجية واحدة للنضال المسلح والعمل السياسي ولاهداف الثورة الاجتماعية بحيث تؤدى الى ارتفاع حقيقي في مستوى النضال المسلح وفي مستوى العمل السياسي الجماهيري في المدن وفي الريف — ويمكن القوى الوطنية من أن تخـــوض معركتها في ظل خطط سياسية وعسكرية واحدة وبقيادة موحدة تستطيع تحقيق تعبئة شـــاملة لقوى الشعب في الجنوب العربي في اطار واحد — والعزل التام للقوى العميلة والمترددة .

ان القوى الثورية التي تقود الحركة السياسية والعسكرية في الجنوب العربي والتي تلتقي اليوم من اجل تحقيق وحدتها — تحظى بالتفاف الشعب حول قيادتها ولها جذور عميقـــة في التنظيمــات النقابية والاجتماعية والسياسية وخاصة في المدن الكبرى وفي الامارات الشرقية وبعض الولايات الاخرى وهي مستندة الى رصيدها من الثقـــة وما حققته من نجاحات .

ان الطريق لتحقيق وحدة القوى الثورية في جنوب اليمن المحتل سوف تكون شاقة ومعقدة — فان جميع القوى الوطنية في الجنوب من عمـــال وفلاحين ومثقفين ثوريين وبرجوازيين وطنيـــين تتفق كلها في موضوع التحرر . ولكن الصعوبة تكمن في الخلاف حول شكل وطريقة تحقيق التحرر من جهة — وحول الخط الذى ينتهج بعد الحصول على الإستقلال — عندما يتعين الاختيار بين التبعية الاقتصادية وبين طريق النمو غير الرأسمالي — بين طريق الصراع الحزبي البرلماني التقليـــدي الذى يفرق صفوف الامة ، وبين التنظيم الثـــورى القائد للمجتمع المسلح بفكر وبرنامج يمكنانه من توحيد كافة الهيئات والمنظمات الوطنية حوله في النضال من اجل بناء المستقبل .

إن النضال الوطني ضد الاستعمار يجذب للثورة عناصر تحركهم في ذلك مختلف الاسباب والدوافع — وقد يكون من بين حكام الولايات الحاليين ، من يصلح للمشاركة في المرحلة القادمة للعمل الوطني — ولكن هذه العناصر والقوى سرعان ما تنفصل عن موكب الثورة عندما تراها تتخطى اهدافها الوطنية وتنطلق نحو الافاق الاجتماعية للتحرر — وخلال الصراع تتم باستمرار عمليات استقطاب وتفرز الثورة عناصر لم تعد راغبة في الســـير في موكب الثورة .

واذا كانت هذه الظاهرة قد وضحت في ظل الكفاح المسلح سواء بالمعارضة الشـــديدة من البعض ، أو بانفصال امثـــال السلطـــان **الفضلي والعوذلي** عن جبهة تحرير جنوب اليمن المحتـــل وكانا في قيادة الجبهة) وانضمامهما لمعســـكر الاستعمار فانها سوف تزداد عنـــدما تقف الثورة على مشارف التغيير الاجتماعي .

وقضية الوحدة الوطنية بين ثوار الجنوب لاتبدأ

من فراغ ولكن لديها رصيد ضخم من الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه خلال سنوات الكفاح الطويلة — ولدى حركة التحرير في الجنوب العربي تجربة نضالية عميقة الابعاد — عما حققته قوى الثورة خلال مسيرتها الظافرة من قدرة على توحيد جهودها على مختلف المستويات لمواجهة المستعمرين — وكانت الوحدة في بادىء الامر تأخذ شكل تكتيل القوى الشعبية على شكل تجمع او جبهة لمواجهة التحدى الاستعمارى في ظرف معين بموقف موجد — ولكن هذه التكتلات سرعان ما كانت تنتهى وتتلاشى بمرور تلك الظروف .

الا ان ارتقاء النضال الثورى لمرحلة الكفاح المسلح فرض على الجماعات المختلفة من الثوار التي كانت تتحمل مسئوليته ان توحد جهودها — وان تتحد في « الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل » .

ولقد تجسد في الميثاق الوطني لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل الذي اقره مؤتمرها في يونيو عام٦٥ — الابعاد الحقيقيةلثورة الجنوبواهدافها

فعلى اساس التحليل العلمي للقوى السياسية والاجتماعية في الجنوب وبالاستفادة من دروس حركة التحرر الوطني في العالم وفي الجمهورية العربية المتحدة والجزائر — حددت الجبهة اهداف الثورة بانها تهدف الى تغيير الواقع الاجتماعي المستغل بواقع اجتماعي تقدمي مغاير تماما يتجه في طريق الالتزام بالاسس الاشتراكية الثورية .

وهدف الثورة هو تحرير الاقتصاد الوطني من سيطرة الرأسمال الاستعمارى المستغل وتحطيم العلاقة القائمة بين الرأسمال الوطني وبين الرأسمال الاستعمارى — واعادة بناء الاقتصاد الوطني على اسس واساليب جديدة تتمشى مع مبادىء العدالة الاجتماعية وتحقق من خلالها سيطرة الشعب على وسائل الانتاج والثورة لاتدفع افراد الشعب للانتاج بالاجر وانما تجعلهم في الحقيقة ملاكا لانتاجهم كما أكد الميثاق ان الثورة في الجنوب جزء من حركة التحرر العربي وانها تهدف الى اعادة وحدة الشعب العربي في اقليمي اليمن شماله وجنوبه سيرا نحو وحدة عربية متحررة بوصفها مطلب شعبي وضرورة تفرضها متطلبات الثورة ويجب ان تتم على اسس شعبية وسلمية .

وفي المجال الدولى التزم الميثاق بأن تنهج البلاد سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز وتصفية القواعد وجلاء القوات البريطانيةعن ارض الجنوب بما فيها الجزر التابعة لها دون قيد او شرط .

وبالرغم من أن ميثاق الجبهة القومية قد تضمن الطبيعة الوطنية والاجتماعية لثورة الجنوب — وان الثورة قد اختارت طريق « الاشتراكية » لبناء الدولة الجديدة بعد الاستقلال . فانظروف النضال ضد الاستعمار جعلت الموقف من الكفاح المسلح هو المحك للحكم على جدية اي تنظيم او فرد من العاملين في الحقل السياسي — واصبحت قضية الكفاح المسلح موضوع صراع طويل بين القوى الوطنية .

وبينما كانت الجماعات والمنظمات المؤيدة للكفاح المسلح تضغط من اجل مزيد من تلاحم العمل السياسي بالنضال المسلح كان هناك جناح يميني في الحركة السياسية والثقافية يرى أن الصراع السلمي مع الاستعمار لم يستنفد بعد كل محاولاته وان النضال المسلح ليس خطوة اليوم وكانوا يبدون عدم ثقتهم بالقائمين على قيادة الكفاح المسلح .

ولقد ذهب هذا الجناح في معارضته للكفاح المسلح الى حد التحالف مع القوى المتخلفة المتداخلة مصالحها مع الاستعمار التي كانت سياستها منذ البداية هو اتخاذ العمل السياسي السلمي وسيلة ضغط مباشرة املا منها لان يعطيها الاستعمار بعضالتنازلاتويسلمها السلطة والحكم مقابل ان تقبل استمرار بعض مصالحه — وتوقف مسيرة الثورة الهادفة للقضاء على كيانهما معا .

وتعرضت القوى المعارضة للكفاح المسلح لضغط شديد من جانب الجماهير الشعبية التي اخذت تواجهها بالمظاهرات العدائية والرفض لندائاتها — وادى انتشار الوعى في صفوف جماهير الحركة العمالية وتفهمها لطبيعة المشاكل التي تواجهها الى تغيير مواقفها التي فرضتها عليها العناصر القيادية منذ نشأة الحركة العمالية وان تبرز من صفوف الحركة العمالية عناصر ثورية اخذت تتقدم وتحتل اماكنها القيادية الطليعية ودفع الجماهير العمالية لان تضغط على قيادتها التقليدية — الذى كان نفوذها يتقلص — لتغيير مواقعها — ودفعتها للانتقال لمعسكر الكفاح المسلح .

وهكذا انتقل لصفوف الكفاح المسلح حزب الشعب الاشتراكي الذى يسيطر على جزء من القاعدة العمالية — ويتزعمه **الاصنج**، وكذلك مجموعة قوية من المستقلين يتزعمهم **عبد القوى مكاوى** رئيس الوزراء السابق — الذى اتخذت بريطانيا من تحديه لقراراتها وعطفه العلني على اعمال الثوار ضد رجال الاحتلال — عذرا لالغاء الدستور واقالة الوزارة .

وتشكلت جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل في مستهل عام ١٩٦٦ وضمت بين صفوفها جماعة المستقلين الذين يتزعمهم مكاوى ، وحزب الشعب الاشتراكي وبعض القوميين العرب والجبهة القومية ــ وبعض السلاطين السابقين امثال الفضلي والعوذلي . وتقلصت القوى المعادية للكفاح المسلح واصبحت قاصرة على جماعات السلاطين والمشايخ وجماعة رابطة الجنوب العربي التي تمثل المزارعين والتجار المتعاملين مع البنوك الاستعمارية .

واعلنت الجبهة برنامجا سياسيا يرتكز اساسا على شرط الموافقة على اعلان الكفاح المسلح والمشاركة الفعلية في اعمال الجبهة ــ ورفض المقترحات الدستورية البريطانية وعدم الاشتراك في اي جهاز حكم في الوقت الحاضر الي ان - ل مشكلة المنطقة حلا ترضى عنه الجبهة .. واكدت الجبهة تمسكها بقرارات الامم المتحده الصادرة عام ١٩٦٥ بوصفها الحل الوحيد المقبول .

ولم تعلن الجبهة ميثاقا يتضمن التزاماتها الاجتماعيه . وكان المفروض طبقا لما اعلنته الجبهة ان يعقد المؤتمر في شهر يونيو ١٩٦٦ لاقرار ميثاق العمل الوطني وانتخاب المجلس الوطني لقيادة الثوره .. الا ان بعض الجماعات المسلحة والفدائيين والجبهة القومية والتقدميين والماركسيين (والدين استبعد بعضهم من المجلس الوطني الاول الذي تشكل عقب اعلان الجبهه) عارضوا في اجراء انتخابات المجلس الوطني حيث تكن الاستعدادات كافيه ومعبرة بامانة عن القوى الحقيقية للثورة ومنع الاجتماع بقوه جيش التحرير في تعز .

وفي نهاية عام ٦٦ انسحبت الجبهة القومية من اطار جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ، واعلنت من ممارستها لمسئوليتها الثورية خارج الجبهة ــ من اجل ما اسمته « قطع الطريق امام سياسة التسوية السياسية والحلول الوسطية والعمل على تصعيد المعركة » .

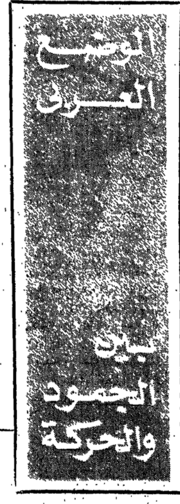
ان اللقاء الذي بدأ في القاهرة منذ منتصف شهر اكتوبر بين قيادتي جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن ــ قد جاء ليس فقط استجابة للضغط الشعبي العام من اجل الوحدة بل جاء ايضا تعبيرا عن شعور الإطراف المختلفة بان وحدة القوى التي تتحمل مسئولية قيادة العمل الثوري في جنوب اليمن المحتل هي بشرط لازم واساسي لمواجهة المرحلة القادمة من العمل الوطني .

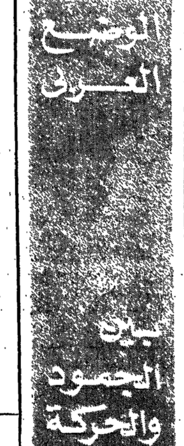
فهذه الوحدة سوف تغلق في وجه المستعمرين ثغرة الخلافات التي قد ينفذون منها وسوف توفر للشعب تنظيم واحد تتجمع فيه كل القوى ذات الثقل السياسي والاجتماعي في جنوب اليمن وهذا التنظيم وحده هو القادر على استخدام وتعبئة كل مصادر قوى الشعب من اجل اجبار بريطانيا على التسليم الكامل بقرارات الامم المتحدة ــ وهذا التنظيم هو القادر على تولي السلطة والقضاء نهائيا على المؤسسات والانظمة الاستعمارية والرجعية بكل انواعها اجتماعية واقتصادية وسياسية

ومن الطبيعي ان هناك قضايا اساسية كان على الاطراف المختلفة مواجهتها وتحديد معالمها كمدخل للنقاط المطروحة في جدول الاعمال . فهناك اولا ضرورة تحديد طبيعة المرحلة الثورية التي تواجهها ثورة الجنوب ــ وهناك ايضا ضرورة تحديد اهداف الثورة الوطنية والاجتماعية ــ وعلى اساس هذا يمكن تحديد معالم معسكر قوى الثورة ومعسكر قوى الثورة المضادة ــ معسكر الاستعمار والقوى الرجعية ــ .

ان مهمة توحيد القوى الثورية المتفاوتة في القوة وفي النظرة الاجتماعية لقضايا الثورة مهمة شاقة وصعبة وتزداد صعوبة عندما تنتقل الى اجراءات توحيد نشاطات الجماعات المختلفة وحل التناقضات بين قواعدها ــ الا ان قوى الثورة مسلحة بالتجربة الثورية وبحماس الجماهير لقضية الوحدة ــ وفي خضم النضال المتصاعد ضد الاستعمار والرجعية . هذه القوى قادرة على تحقيق امل الجماهير في تنظيمها الثوري الواحد وقيادتها الموحدة .







الوضع العربي بين الجمود والحركة

مصطفى طيبة

لعل أبرز ما أحدثته النكسة فى وطننا العربى ، هو أنها هزت بعنف الكثير من المفاهيم والاساليب والشعارات القديمة ، وفرضت على جميع القوى الوطنية مراجعة شاملة لكل أسباب النكسة ،بهدف الوصول الي نصر حقيقى كامل على العدو . فقد تعلمت الشعوب العربية، وخاصة طلائعها ومفكريها من حرب ٥ يونيو خبرات كان يستحيل تحصيلها فى عشرات السنين .

ومن جهة أخرى أطلقت هذه النكسة كل مكونات وجودنا العربى المعاصر ، بشتى تناقضاته ، وبكل ما يحمله هذا الوجود من عناصر قوة وضعف ، وحدة وتفكك ، نصر وهزيمة . وقد لا أكون مبالغا اذا قلت ، ان تاريخنا العربى باكمله لم يشهد فترة حافلة بكل مظاهر النصر والهزيمة مثل هذه المرحلة . فبينما ترتفع أعلام العدو فوق جزء من أرضنا العربية ، نتيجة للعدوان والغدر ، أحرز الوطنيون فى الجنوب المحتل أعظم إنتصاراتهم وتمكنوا من الاجهاز على الحكومة العميلة هناك ، وفوق أنقاض وحطام الاعلام الاستعمارية القديمة ، رفعوا عاليا رايتهم المنتصرة .

والى جانب هذا تبرز فوق سطح الاحداث ، رغم إرادة العدو كل امكانيات واشكال وحدة النضال العربى ، بسائر مستوياتها القومية والثورية رغم ارادة كل قوى العدوان فى تأكيد التفكك وتعميق الخلاف . هذا هو واقع امتنا العربية اليوم ، بكل ما يحمله هذا الواقع من تناقضات . فالنصر والهزيمة ، الوحدة والتفكك، الصمود والاستسلام ، كل هذه العوامل تتقابل وتلتحم فى لحظة واحدة .

ولكن ما هى محصلة كل هذه التناقضات ،

وكيف نستفيد من لحظات بروزها الكامل فوق سطح الاحداث ؟

ان الاجابة على هذا السؤال ، هى التى تشكل الصورة الكاملة لوجه وطننا العربى اليوم ، وهى ايضا الكفيلة باستخلاص اهم اسباب ضباب هذه الصورة ، والى معرفة السبل المؤدية الى تغييرها فى اتجاه الانتصار .

اين نقف اليوم ؟ وفى اى اتجاه نتحرك ؟ وما هو المضمون الحقيقى لمعركة تصفية آثار العدوان ؟ حول هذه الاسئلة ، ومن محاولات الاجابة عليها ، تتشكل معالم واقعنا العربى ، واتجاه حركته .

ونبدأ بالسؤال الاول : اين نقف اليوم ؟

قد يبدو لاول وهلة ، ان سحب النكسة لازالت ، ورغم مرور خمسة شهور ، تشكل الصورة العامة لافق الوجود العربى باسره . فالعدو الاسرائيلى ، لا يزال محتفظا بثمار نصره الغادر ، والقوى الاستعمارية التى يستند اليها ، تواصل ضغطها — فى شتى الميادين — من اجل تحويل النكسة العسكرية الى نكسة سياسية شاملة ، تنهى من الوجود العربى قاعده النضال الوطنى والثورة العربية ، الجمهورية العربية المتحدة . تلك هى الصورة الظاهرة على سطح الاحداث اليوم . بيد ان هذه الصورة القائمة لا تعبر عن كل ابعاد وجودنا العربى اليوم .

فوراء هذه المظاهر كلها ، جرت ، وتجرى ، الكثير من التطورات الهامة ، من المحتم ان يؤدى تتابعها ونضوجها الى محو كل آثار العدوان . بل وتحويل جذور النكسة المؤقتة ، الى مد ثورى يسحق كل خطط الاستعمار ، واحلامه .

فما هى ابرز هذه الاحداث والتطورات ؟

● فى مقدمه هذه التطورات الايجابيه ، المواجهة الشجاعة من جانب القيادة الثورية فى مصر ، للاسباب الداخلية للنكسة العسكرية ، والحركة السريعة لسد كل الثغرات والشروخ الناتجة عن اوضاع النكسة . ان العمل الجاد من اجل اعادة بناء قواتنا العسكرية . على اسس علمية صلبة ، والمواجهه الحاسمة لامتدادات العدو فى منطقة القناة ، الى جانب السعى نحو استكمال خطط دفاعنا المدنى ، وتنظيمنا السياسى ، هذه الخطوات تشكل فى مجموعها حلقات هامة فى طريق تجاوز النكسة ، والحاق الهزيمة لخطط الاستعمار ، المباشره ، والمستترة ، وبعباره اخرى تؤدى الى محو آثار العدوان من الاراضى العربية ، وخروج النظم الثورية منتصرة .

● ثم ياتى انتصار ثوار الجنوب ، والاستعداد لتكوين دولة ثورية جديدة فى وطننا العربى ، ليشكل بدوره خطا بارزا فى حلقات الاحداث الايجابية بعد النكسة . والواقع ان تحقيق هذا النصر ، رغم كل ظلام وسحب الهزيمة المؤقتة ، يعبر بعمق عن كل مافى شعوبنا العربية من طاقات لا تقهر .

● ولاشك ان اجماع مؤتمر القمة الذى عقد فى الخرطوم ، على رفض الشروط الاستعمارية الاسرائيلية ، والتى تطالب بصلح مهين ينتهى بتصفية قضية فلسطين ، انما يعبر كذلك عن خطوة ايجابيه . ان عقد هذا المؤتمر ، والقرارات التى انتهى اليها ، لا يمكن تقييمها بشكل موضوعى ، الا فى اطار الظروف المحددة التى يجتازها وطننا العربى اليوم . والمبدا الاساسى الذى يجب ان يحكم نظرتنا الى هذا المؤتمر ، هو الاستفادة من كل طاقات الوجود العربى ، الرسمى والشعبى ، فى مواجهه اشرس هجوم استعمارى يهدد كل اجزاء هذا الوجود . من هنا يصبح الاجماع العربى ضربة للعدو ، فضلا عن قطعه الطريق امام ثغرات تضر قضية النضال العربى .

● وفى الجبهة العالمية . استطاع النضال العربى ، احراز بعض الخطوات الهامة . فالمؤامرة الاستعمارية الرجعية لعزل الشعوب العربية عن القوى الثورية العالمية ، وبصفة خاصة الصداقة الوطيدة مع المعسكر الاشتراكى ، لم تنجح . واثبتت الاحداث وبصورة قاطعة ، ان توطيد الروابط بين الشعوب العربية ، وكافة القوى المناصرة لقضاياها ، انما هو احد الشروط الرئيسية لهزيمة قوى العدوان .

وفى نطاق الجبهة العالمية ، كذلك انحسرت موجة التضليل الهائلة ضد القضية العربية ، ولصلحة الصهيونية واسرائيل ، وشيئا فشيئا ، بدا الراى العام الاوربى ، يرى انياب الذئب خلف جلد الحمل الذى كانت تلبسه اسرائيل .

واذا كان الضغط الامريكى فى الامم المتحدة ، قد اعجز هذه المنظمة عن فرض ارادتها على المعتدين ، فان عزلة اسرائيل تشتد — نسبيا — رغم كل اساليب سادتها . ومثل هذا التطور فى الراى العام العالمى ، يمثل سندا هاما للقوى العربية فى نضالها المصيرى .

تلك بعض التطورات الهامة التى جرت خلال الاشهر الماضية . ومن خلالها نستطيع تبيان الخط الصاعد لحركة النضال العربى ، رغم كل مظاهر الجمود التى تشكل المظهر الخارجى للاحداث .

وعلى ضوء هذه الحقيقة نصل الى القضية الثانية، وهى اتجاهات الحركة المقبلة للوصول الى النصر.

الميادين الاساسية للمعركة

اذا كان الهدف الرئيسى اليوم ، هو تصفية آثار العدوان ، والحفاظ على النظم الثورية فى الوطن العربى وتدعيمها ،فان الجبهة الداخلية، والجبهة العربية ، والجبهة العالمية ، هى الميادين الرئيسية لتحقيق النصر فى هذه المعركة . واذا كانت الاشهر الماضية ، قد سجلت العديد من الخطوات الهامة فوق هذه الميادين ، فان مواصلة وتطوير هذه الخطوات أمر جوهرى لتحقيق النصر.

● ففى **الجبهة الداخلية** ، تبرز بعض المهام العاجلة ، تحتاج الى عمل جاد وحاسم . ان اعادة بناء قواتنا العسكرية وتمكينها من رد الضربة الغادرة ، هو بلاشك أولى هذه المهام . ولكن الاستعداد العسكرى يجب أن يواكبه عمل مماثل فى النطاق السياسى ، والشعبى ، والادارى . فبلادنا تخوض أخطر معارك وجودها . وهى تواجه عدوا همجيا تتطلب مواجهته اعلى درجة من الحشد لقواتنا العسكرية والشعبية . ولاشك أن اعداد الجماهير سياسيا ، وتدريبها عسكريا، هو السند الاساسى لمعركتنا . ان العدو لا يستخدم ضدنا أسلحته الحربية فحسب ، ولكن يستخدم أيضا أسلحته السياسية والنفسية . فهو يريد اشاعة روح الهزيمة بين الجماهير ، ومساعدة بعض الفئات المعادية والسلبية التى ترى فى الوضع الراهن فرصتها لنشر سمومها . من هنا يتحتم سرعة انجاز عدد من الاهداف العاجلة .

● ان الاسراع فى استكمال بناء تنظيمنا السياسى ، وبصفة خاصة تكوين جهازه الطليعى، القادر على تحويل سائر تنظيماتنا السياسية والجماهيرية الى قوة هائلة ، أمر يقف فى مقدمة أهدافنا العاجلة .

● ويرتبط بهذا، ضرورة اطلاق نشاط تنظيماتنا النقابية بصورة فعالة . والحق أن هذه التنظيمات لم تقم بواجبها كما ينبغى ، وخاصة فى ظروف ما بعد النكسة . ان المشاكل الجزئية لازالت تستنفد طاقات فئات عريضة من جماهيرنا ، بينما تتطلب ظروف المعركة التضحية بكل ما هو جزئى ، لمصلحة القضية الكبرى .

● وفى هذه الظروف ، يتعين السعى لاعطاء الجماهير المزيد من الثقة . فهى أصلب حصن فى وطننا ونظامنا الثورى فى لحظات المحن الكبرى .

والتجسيد الاساسى لهذه الثقة ، هو فى دمقرطة الاجهزة الادارية والتعاونية والنقابية ، بحيث تشعر هذه الجماهير بحق ، ان هذه الاجهزة أداة لخدمتها ، وليست قوة ضغط فوقها .

● ومع الخطوات الهامة التى اتخذت لتنشيط اجهزة الدفاع المدنى ، فان تنظيمات المقاومة الشعبية ينبغى أطلاق نشاطها بصورة أكبر . فمن المستحيل أعداد كل طاقاتنا فى هذه المعركة ، اذا لم يتطور التدريب على المقاومة الشعبية ، ويتخذ صورة فعالة شاملة .

ان تدعيم جبهتنا الداخلية ، فى هذه الظروف، وبكل ما فى طاقتنا من امكانيات ، هو الاساس الاول لتحقيق النصر العربى الشامل . وهذه حقيقة عرفتها الثورة العربية منذ انطلقت ثورة ٢٣ يوليو .

الجبهة العربية

واذا انتقلنا بعد ذلك الى الجبهة العربية ، نرى ان العمل فيها قد حقق بدوره بعض النجاح، لكن النضال العربى لازال فى حاجة الى جهد اكبر واشمل .

وفى اعتقادى ان العمل فى الجبهة العربية ، يجب ان يستهدف تحقيق هذه المبادىء الاساسية :

● الاعتراف بصراحة ، بأننا فى الماضى تكلمنا كثيرا ، بل وأكثر مما ينبغى .. فى الوقت الذى كان فيه العدو يستعد ويعمل باكثر مما يتكلم .. ولقد آن الاوان لاعطاء الاولوية للفعل الجاد الصامت ، وبصورة تستند الى احدث ما وصل اليه العلم الحديث من امكانيات .

● تحديد أهداف النضال العربى فى كل مرحلة فى اطار ما هو ممكن ، وما يمكن تحقيقه فى اطار ما لدينا من امكانيات ، وما يحيط بهذه المرحلة من ظروف محلية وعالمية محددة ، وبحيث ترتبط هذه الاهداف ، بظروف اعلانها ، وبوسائل تنفيذها .

● ان السعى الى توحيد كل القوى العربية فى أوسع جبهة ممكنة ، هو الوسيلة الاساسية لحشد كل امكانيات الامة العربية . بيد أن هذه الوحدة ، وخاصة فى مستواها الحكومى ، يجب ان تستند الى أرضية واقعية ، قوامها عدم انكار

التناقضات القائمة ، والاعتراف الصريح بتفاوت مراحل التطور بين النظم المختلفة ، بكل مايترتب على ذلك من آثار ».

● ان وحدة الصف العربى يجب أن تكون أداة لخدمة الثورة العربية ، وقوة دفع لحركتها . وهذا يقتضى النضال التوحيدى فى كل مستوياته ». فمؤتمرات القمة الرسمية ، يجب أن لاتلغى او تعطل الجهد العربى من أجل وحدة القوى الثورية». بل أن الدعوة الى مؤتمر للقوى الثورية بعد نجاح مؤتمر الجزائر أمر على جانب كبير من الاهمية . فوحدة القوى الثورية هى الركيزة التى يجب أن يرتكز عليها النضال العربى التوحيدى وعلى كل مستوياته . أن كل أشكال الوحدة فى هذه الظروف، يجب أن يكون لها ركيزة أساسية ، تعتمد على القوى الثورية العربية ، وعلى نظمها القائمة . وهنا ينبغى تأكيد أهمية السعى لتحقيق كل خطوة تخدم هذا الهدف ، سواء فى شكل وحدة سياسية، أو عسكرية ، أو اقتصادية ».

● أن نظرتنا الى اسرائيل يجب أن تستند الى تحليل علمى لطبيعتها ، ودورها ، وكل مايشكل كيانها من سمات . ان التحليل العربى الثورى السابق لاسرائيل ، باعتبارها قاعدة استعمارية، هو تحليل صحيح تماما. لكن يجب أن لا يقف النضال العربى عند هذا الحد من التحليل . فاسرائيل قاعدة لها مصالحها الخاصة ، وهى أيضا قاعدة تحمل فى أحشائها كل معالم الوجود الاستعمارى، وكل ملامح المصالح الخاصة ».

● ان تحديد المضمون الحقيقى لمعركة تصفية آثار العدوان هو وحده الذى يؤمن حركة النضال العربى . فمعركة تصفية آثار العدوان لا تعنى مجرد انسحاب القوات المعتدية من الارض العربية التى اغتصبتها ، فهذا الاحتلال لايمثل سوى الوجه البشع السافر لهذه الاثار . حقا أن طرد القوات المعتدية ، يمثل الهدف الرئيسى فى المعركة تصفية آثار العدوان، بيد أن الازالة الكاملة لهذه الاثار تتطلب أمرين هامين :

أولهما : انها تتطلب بلوغ القوة العربية العسكرية مستوى عاليا من القدرة والردع ، بحيث تكتسب تفوقا حاسما على العدو فى المنطقة. فمن المستحيل قبول أى اختلال فى توازن القوى العربية لصالح اسرائيل ، فمثل هذا التفوق ، سيحيل العسكرية الاسرائيلية الفاشية الى قوة بطش وارهاب فى وطننا العربى ، يستحيل معه ضمان الامن العربى ».

وثانيهما : انها تتطلب استعادة زمام المبادرة فى أيدى القوى الثورية العربية بصورة تستأصل بها كل مظاهر الهزيمة فى الميدان الفكرى ، وسحق كل نظريات التراجع من فوق الارض العربية ».

الجبهة العالمية

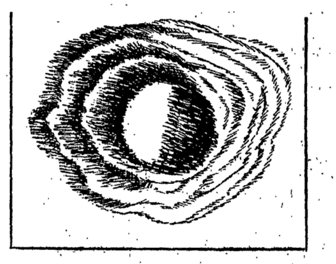
ولقد أحرز النضال العربى خطوات كبيرة فى الجبهة العالمية »، وهى خطوات يلزم تأكيدها وتطويرها . فالعلاقة التى تأكدت بين الشعوب العربية والدول الاشتراكية خلال الازمة على وجه الخصوص يجب تدعيمها وتطويرها ». والدعاية العربية عن قضايانا العربية يجب أن تستفيد من التقدم الذى أحرزته فى الرأى العام العالمى والاوربى على وجه الخصوص. فتوطيد الروابط بين الشعوب العربية وكل القوى المناصرة لقضاياها ، هو أحد الشروط الرئيسية لهزيمة العدوان ».

واذا ماتحرك العمل العربى فى هذه الميادين الثلاثة متابعا التطورات الهامة التى تجرى بها، عاملا على انضاجها ، فانه يكون قادرا على تحويل جذور النكسة المؤقتة الى مد ثورى يسحق أعداء الثورة العربية الظافرة ».

بقى أن نقول كلمة أخيرة.. أن العمل فى الجبهة العالمية يتوخى هدفين : **أولهما** : كشف خطط العدو وعزله وتجريده عن التأييد العالمى . **وثانيهما** : تحويل هذه الجبهة الى سند أساسى لمعركة المصير».

واذا كان أحد أوجه النضال فى الجبهة العالمية هو محاولة استكشاف امكانيات الوصول الى حل سياسى ثورى ، فان العمل فى الجبهة الداخلية وفى الجبهة العربية يستهدف الاعداد للمعركة العسكرية ، فالنضال السياسى والاستعداد العسكرى ، كلاهما وجهان لمعركة واحدة ولايمكن فصل أحدهما عن الاخر ».

حصاد الحركة فى الداخل والخارج
من ١٠ يونيو إلى أول نوفمبر



خيرى عزيز

أن تقييم حصاد الحركة فى مجتمعنا ، حصاد سياستنا الخارجية والداخلية ، من ١٠ يونيو الى اول نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، لا يمكن الا ان يكون عملية نسبية وغير شاملة . انه يتوقف الى حد كبير على اعتبارات ذاتية معينة مثل نظرة القائم بالتقييم ، ومدى احساسه بالواقع الموضوعى القائم فعلا من ناحية ، ومدى ادراكه للمتطلبات الجوهرية الضرورية لاستمرار الكفاح ونجاحه من ناحية اخرى . ولذا يحاول هذا المقال ، وفى مثل هذا الاطار النسبى ، اعطاء وجهة نظر فى حصاد حركتنا ، سواء على المستوى الخارجى او الداخلى ، من ١٠ يونيو حتى اول نوفمبر سنة ١٩٦٧ .

حصاد الحركة الخارجية

والامر الذى لا شك فيه ، بادىء ذى بدء ، اننا قد استطعنا تحقيق نجاح واضح فى السياسة الخارجية ، وفى الدائرة العربية على نحو محدد ، بقرارات مؤتمر الخرطوم ، وبخاصة فى تضيتى الاتفاق الخاص باليمن والدعم المالى بـ ٩٥ مليون جنيه من الدول العربية المنتجة للبترول . فالاتفاق مع السعودية على الانسحاب من اليمن قد جاء فى وقته تماما . وربما يكون هو افضل ضربة وجهتها السياسة المصرية العربية ضد المتآمرين لحصار الثورة المصرية وضربها فى عقر دارها فى الظرف الصعب الراهن . ان قرار الانسحاب من اليمن ، بالضمانات التى اتفق عليها مع السعودية ، وفى مناخ المراقبة الشعبية العربية الشاملة ونمو الثورة اليمنية ، قد جاء فى وقت مناسب تماما ليدعم القاعدة الثورية الاساسية فى مصر . وليتيح لها تقصير خطوط كفاحها العسكرى من ناحية . وتقصير خطوط انفاقها الاقتصادى من ناحية أخرى ، فى وقت هى — اصلا — احوج ما تكون فيه الى كل دعم عسكرى ، والى كل عون اقتصادى .

كما ان الاتفاق على الانسحاب من اليمن ينتزع سلاحا هاما من اسلحة الثورة المضادة وعناصرها

التى كانت لا تفتأ تلعب به بخبث وسط جماهيرنا الشعبية البسيطة ، التى ادخلوا فى روعها — كذبا — ان معظم مواردنا تنفق أساسا على اليمن ، لا على المشروعات الضخمة للخطة التعميرية الانشائية . وعلى هذا النحو تكون قيادتنا السياسية قد قطعت على اعدائها الطريق ، ونزعت من ايديهم ذلك السلاح الذى كان من المكن ان يستغلوه ضدها . وسدت احدى الثغرات التى كان ينفذ منها التعثر الدعائى المعادى بين الجماهير .

ولقد نظر شعبنا بارتياح وتقدير لذلك القرار على انه مكسب حققته قيادته السياسية فى الظرف السياسى والاقتصادى الصعب الراهن .

والمكسب الثانى الذى تحقق من حقل العمل القومى العربى العام ، هو دعم الدول العربية المنتجة للبترول ، لجمهوريتنا بـ ٩٥ مليون جنيه سنويا بسبب تأثر مواردنا نتيجة لاغلاق قناة السويس وانخفاض الدخل القومى بسبب نقص الاقبال على السياحة ،وخسائر البترول فى سيناء. ومما لا شك فيه أن ذلك المبلغ سيعوض الجانب الاكبر من دخلنا الماضى عن طريق قناة السويس، وبذا يحقق دعما اقتصاديا ملموسا وضروريا لقاعدتنا الثورية الاساسية .

اما فيما يتعلق بالمجال الخارجى عامة ، فلا نعتقد ان تغيرا كيفيا قد طرأ طوال هذه الفترة على اسلوب الدعاية العربية لقضيتنا وتوضيحها وتنوير الرأى العام العالمى بابعادها الحقيقية . وانما ترجع بعض التطورات التى لو حظت فى ادراك اقسام من الرأى العام العالمى ، الى الاثر التلقائى المباشر الذى احدثته النتائج التى انتهت اليها حرب الشرق الاوسط ، وما اسفرت عنه من كشف لمدى القوة الهجومية العدوانية التى يتزود بها « الحمل (!) » الاسرائيلى ازاء الدول العربية فى الشرق الاوسط .

واذا كان قد حدث اخيرا بعض التغير فى موقف بريطانيا ازاء اصرار اسرائيل على الاحتفاظ بالاراضى العربيةالمحتلة كنتيجةلعدوانها العسكرى فان ذلك يرجع فى الحقيقة فى جانب منه، الىقرارنا العربى باغلاق قناة السويس واثره على الاقتصاد البريطانى ، خاصة فى الوقت الذى تعانى فيه بريطانيا منمتاعب اقتصادية متعددة ،كذلك يرجع من الجانب الاخر الى عدم رغبةبريطانيا فىالمقامرة التامة بمصالحها فى البلاد العربية ، مقابلمواصلة تأييدها لمشروعات اسرائيل التوسعية . وربما يكون هذا التغير الاخير فى موقف بريطانيا من مشكلة الشرق الاوسط ، بداية جنينية لاتجاه بريطانى « لا اطلنطى » فى سياسة بريطانيا الخارجية .

حصاد الحركة فى الداخل

اما فى المجال الداخلى والمدنى بالذات ، فان حصاد حركتنا يختلف عما تحقق فى الدائرة العربية الخارجية ، وهناك احساس جماهيرى عام باننا لم نتحرك على المستوى الداخلى المدنى ، بنفس القدرة والسرعةوالفعالية الواضحةالملموسة التى تحركنا بها على المستوى الخارجى .

ضرورة التحرك فى المجالين

المدنى والعسكرى معا

الا انه يدخل فى حسابنا على كل حال ، ونحن نقيم الحركة العامة فى الداخل ، ان هناك حركة لها اولوية عاجلة فى ظروف العدوان العسكرى الذى تتعرض له بلادنا اليوم ، وهى الحركة الخاصة باعادة البناء العسكرى لقوى وطننا ، والتى تتم فيما نعتقد الآن . ولا شك انها تشكل رصيدا ايجابيا هاما للحركة المتقدمة فى الداخل ، ولكنها تتم على اية حال فى اطار البناء العسكرى فحسب ، اما الامر الواجب والملح فهو ضرورة التحرك على المستوى المدنى ايضا فىنفس الوقت الذى يجرى فيه التحرك على المستوى العسكرى ، ذلك ان اهمية الجبهة الداخلية التى ستغذى بحبها وتضامنها ومساندتها ، القوات المسلحة ، لمتعد تحتاج الىكثير بيان فىمثل ظروف وطننا بالذات .

ان مسألة تحقيق التطابق بين الشعارات المرفوعة وبينالتطبيقات الفعلية الملموسة ،تشغل بال شعبنا بشكلعميق للغاية ،وهو حساس جدا لها هذه الايام . ولم تعد المشكلة اليوم هى مجرد ان نتحرك اى حركة للامام ، وباى معدل سرعة، فالامر المؤكد انه لو استخلصنا الحقيقة العامة فيما يتعلق بعملنا الخارجى والداخلى ، لوجدنا ان هناك حركة ما تتم فيهما بالفعل ،ولكن المشكلة الاساسية امامنا اليوم ، هو ان تكون حركتنا بالسرعة المطلوبة ، الواجبة والمستلزمة لمواجهة التحديات المسرعة التى تجابهنا دون امهال او انتظار .

مجابهة احتمالات التآمر

من مواقع اعادة البناء

هذا، ولا يغيب عن نظرنا ، ونحن نرصد حركة الداخل ، خلال تلك الفترة الزمنية المحددة ، ان

المجابهة الضرورية والحتمية للمؤامرة الاخـيرة للاستيلاء على قيادة القوات المسلحة ،كانت عاملا معوقا لطاقة العمل المثمرة في الداخل ، وانها استلزمت جهدا كبيرا كان من الممكن توجيهه للعمل الايجابي البناء . الا انه يقوم الاعتقاد لدى الكثيرين، انه كان يمكن مجابهة تلك المؤامرة ونحن نعمل في مواقع اعادة البناء الشعبي سياسيا واقتصاديا . وفي الحقيقة ، فانه ينبغي بالضرورة ، تخصيص جزء من طاقتنا لعملية اعادة البناء ، وتوطين النفس على مجابهة اي احتمالات مفاجئة ونحن نعمل في مواقعنا لاعادة البناء ، وعدم تأجيل تلك العملية تحت دعوى ضرورة توافر الظروف المناسبة المواتية لها والتي لن تتوافر قط بالشكل النموذجي المناسب الذي نرجوه . وعلى اية حال، فان النجاح في مواجهة ذلك العمل التآمري وتصفيته هو خطوة تكسب قواتنا المتحركة مواقع عمل داخلية انقى واكثر وضوحا . ويكتسب ذلك النجاح اهميته الكبرى بالنسبة للداخل ، من ناحية تصفيته لكمن ومركز بالغ الخطورة على وحدة قواتنا المسلحة ، ووحدة جبهتنا الداخلية في ظرف تاريخي بالغ الدقة .

المقاومة الشعبية وحالة التجمد

نحب ان نشير هنا الى مسالة هامة بشكل خاص . وهي حالة التجمد التي اصابت بجان المقاومة الشعبية بالرغم من استمرار احتلال القوات الاسرائيلية لجزء من بلادنا ، وبرغم مواصلة تلك القوات لاعمالها العدوانية ضد شعبنا ، وبرغم ان الوطن العربي لا يزال حتى الان وسط المؤامرة الاستعمارية الضارية ضد انظمته الثورية ، واحتمال اصطدامه المسلح بالعدو هو الاحتمال الاغلب ، لذلك كان ينبغي علينا ان نستفيد من الوقت المتاح لنا ، ونقوم بتنفيذ خطة محددة بفترة زمنية معينة ، يعمل خلالها في اعداد الملايين من ابناء شعبنا ، بحيث يكونوا مؤهلين لاستخدام الاسلحة الخفيفة والمتوسطة ، على ان ندرب آلافا منهم على اعمال مقاومة الدبابات والمدرعات وغيرها من التدريبات المثمرة الجادة الخ ، ونشكل منهم احتياطيا ذا كفاءة يمكن ان يعاون جيشنا النظامي في ظروف معينة .

الا انه لا ينبغي باي شكل من الاشكال ان ترتبط الدعوة لاعداد مئات الالاف من الشباب عسكريا، بالرغبة في الدخول في مغامرات عسكرية فذلك مرفوض كل الرفض ، وانما ينبغي ان ينظر لتلك الدعوة باعتبارها تجهيزا وقائيا وطنيا وضروريا في مواجهة الاحتمالات الخطرة للمستقبل الخبيء الذي لا تدرك ابعاده تماما ، وكذلك تقوية لمركزنا العام فيما يتعلق بعلاقات القوى بيننا وبين اعدائنا، حتى في حالة الصراع على المستوى الدبلوماسي فحسب . ان المشكلة التي ما تزال تواجه نشاط شعبنا في العديد من المجالات ، هي اننا لا نعد انفسنا بشكل كاف لاحتمالات المستقبل الخبيء واخطاره ، بل نضيع كثيرا من الوقت ونترك التزاماتنا الحيوية للمقادير فتفاجئنا الاحداث في الكثير ، بما لم نكن له من قبل معدين .

ونحب في هذا الصدد ان نوضح حقيقة هامة وهي ان الفكرة القائلة بان الحرب النظامية هي الشكل الرئيسي لقتال الشرق الاوسط ، وبخاصة في الجبهة المصرية ، فكرة سليمة تماما وتنبع من ادراك واقعي سليم لحقيقة الصراع القائم حتى الان في تلك الجبهة ، ولكن ذلك لا ينبغي بحال ان يدفعنا الي صرف النظر تماما عن اعداد شعبنا وتوعيته وتدريبه على اشكال المقاومة الشعبية والحرب الشعبية التي قد يحتاج ويضطر اليها مستقبلا، بل والتي تعتبر الشكل الانسب لكفاحه في منطقة كالضفة الغربية مثلا .

واذا كان عدد من المواطنين يعتبرون الاهتمام بدراسة اساليب الحرب الشعبية ونظمها واشكالها نوعا من الاهتمام والنقل الحرفي الاعمى ، لاوضاع لا تلائمنا وليست لنا بها حاجة ، واذا كانت نظم هذه الحرب واشكالها ومسوحها ، لا تنطوي على اية قيمة او اهمية بالنسبة لمعارك الشرق الاوسط، فانا نود في الحقيقة ان نتساءل عن السر في ان يجشم وزير الدفاع الاسرائيلي موشي ديان نفسه عناء الذهاب بشخصه الى ميدان عمليات الحرب الشعبية في فيتنام ؟ ان شيئا اكثر من مجرد «الهواية» العسكرية الفردية هو الذي دفعه في الحقيقة الى ذلك . وان ضرورات بالغة الاهمية والخطر بالنسبة للدفاع عن ارضنا وبلادنا هي التي تدعونا لان نتعلم اكثر ونعي حقائق جديدة اكثر ، ونعمل على دعم المقاومة الشعبية وتنشيطها وتحويلها الى حركة واسعة للتوعية والتدريب العسكري الجماهيري ، خاصة بعد تصريحات ديان الاستفزازية العدوانية الاخيرة بنقل ميدان المعركة الى العواصم العربية نفسها ، والتي لا ينبغي ان تهمل تماما من جانبنا وراء ستار من اطمئنان فاشل خادع يضع حدودا جغرافية غير مؤكدة لاستراتيجية عدو محموم بانتصاراته وثمل .

ان المطلوب منا بغض النظر عن اي شيء نعو الا نكيف انفسنا مع ذلك الوضع الذي انتهت اليه — في هدوء — المقاومة الشعبية ، باعتباره

امرا يتفق وطبائع الاشياء نفسها ؟ ذلك ان هذا الوضع يعبر في حقيقته عن قصور واضح في ناحية هامة من نواحي عملنا الداخلي . ان الثقة بالشعب المصري وحدها ، هي التي تجدونا لان ننظم الى جانب قواتنا المسلحة النظامية ، قوة معاونة ضخمة اخرى من المتطوعين الوطنيين في لجان المقاومة الشعبية . وان الموقف الحالي من المقاومة الشعبية ، انما يفضي ذلك المجال النضالي الهام ، ويسد الطريق على تلك الامكانية الهامة التي تفتحت امام شعبنا وثورتنا ، والتي كانت انسب واصلح مجال لاكتشاف والتعرف على خيرة شبابنا ، واخلصهم لقضية الوطن والثورة ، تمهيدا لدعم الهيكل العام للاتحاد الاشتراكي بهم ، بعد تثقيفهم وتوجيههم سياسيا ونضاليا .

مواجهة الامتيازات

اما بالنسبة لقضية مواجهة الامتيازات ، فقد مست الاجراءات الاقتصادية التي اتخذت عقب خطاب المناضل **جمال عبد الناصر** في ٢٣ يوليو ، بعض الامتيازات الهامة ، الا ان الغالبية العظمى من ابناء شعبنا ، لاتزال ترى ان هناك مجالا واسعا لتحرك الثورة بحزم في اتجاه تصفية الامتيازات الطبقية الملموسة ، في خارج نطاق فئة العاملين في الدولة ايضا ، وقد ثارت في اوساط الطبقة العاملة بالذات ، منذ مؤتمرات الادخار في الحقيقة وليس بعد النكسة فحسب . وكذلك بين العناصر الكادحة عموما ، وصغار موظفي الدولة وبعض المثقفين الثوريين ، مسألة ضرورة تخفيض الحد الاعلى للدخل في البلاد ، الا ان تلك الدعوة برزت بشكل لم يسبق له مثيل في الحقيقة بعد النكسة ، على اساس ان يطبق ذلك التخفيض على كافة مصادر الدخل في البلاد ، وهو امر تشتد ضرورته في الحقيقة لتصفية الاحقاد والصراعات والمقارنات الطبقية التي زادت بشكل لم يسبق له مثيل بعد النكسة ، ولاحداث التقارب الاجتماعي البالغ الضرورة في بلد تتطلب ظروفه الاقتصادية العامة الصعبة ، من مواطنيه جميعا ، نوعا من التضامن والتكافل الانساني ازاء المصير الاقتصادي المشترك الذي تواجهه البلاد .

والحقيقة ان مثل ذلك الاجراء انما يحظى باهميته الخاصة ليس فحسب من ناحية آثاره الاقتصادية العامة ، وانما ايضا من ناحية الاثر الذي سوف يتركه على المناخ السياسي والاجتماعي العام في بلادنا والذي يتطلب الا يعلو المستوى المعيشي للعناصر الموجهة للمجتمع علوا فائقا ، بالمقارنة مع الاوضاع التي تحيا فيها الاغلبية الجماهيرية الساحقة والكادحة من شعبنا .

هذا وقد جاءت اقتراحات وتوصيات اللجنة الوزارية التشريعية لتجدد الثقة لدى شعبنا في قدرة ورغبة قيادته السياسية في مواجهة اوضاع الامتيازات والاستثناءات التي يلحق وجودها اكبر الضرر بالمثل الاشتراكية لمجتمعنا ، كذلك جاء الاقتراح بتخفيض الحد الاقصى للمرتبات الى ٣٠٠ جنيه ، متفقا الى حد كبير مع المطالب الشعبية السابقة بهذا الصدد ، وان كان العديد من العناصر الوطنية والتقدمية تطالب بضرورة مواجهة كافة اشكال الملكية المستغلة التي يشكل الاستحواذ عليها عاملا اساسيا لدعم اتجاه الامتياز الطبقي خارج نطاق فئة العاملين في الدولة .

الاتحاد الاشتراكي في الظل

اما بالنسبة للاتحاد الاشتراكي ، فمنذ ١٠ يونيو حتى الان ، لم نلحظ له دورا فعليا محسوسا ، يتفق وطبيعة الالتزامات الضخمة المناطة به في مثل الظرف البالغ الخطر على بلادنا اليوم ، صحيح انه قد جرت في الاتحاد الاشتراكي عملية تطعيم المكاتب التنفيذية بعناصر جديدة ، الا ان كل تلك العملية انما تظل في نطاق العمليات التشكيلية العلوية التي تتم مثيلاتها بين فترة واخرى في صفوف الاتحاد الاشتراكي . ولقد كان من الضروري في الحقيقة ، في عملية التطعيم هذه ، مراعاة النسبة التي نص عليها الميثاق للعمال والفلاحين ، ومراعاة ما نص عليه الميثاق من ضرورة ان « تمثل التنظيمات الشعبية السياسية التي تقوم بالانتخاب الحر المباشر ، بحق وبعدل ، القوى المكونة للاغلبية ، وهي القوى التي طال استغلالها » والتي هي « بالطبيعة الوعاء الذي يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » (١) ، وكيلا تقتصر غالبية عضوية المكاتب التنفيذية على العناصر التي تنتمي في اغلبها الى الطبقة المتوسطة ، كذلك اصبح من الضروري خلال مدى معين ايضا ، اعادة النظر في تعريف العامل والفلاح بحيث يتفق مع الحقيقة الطبقية لهذه الفئات ، وكي يكون مدلول تعريفاتنا منطبقا على الحقائق العلمية الموضوعية التي لايمكن بغيرها ، الوصول الى نتائج سياسية سليمة .

---

(١) الميثاق — عن الديمقراطية السليمة (الباب الخامس) .

وعلى اية حال ، فلم ينعكس حتى الان اى تأثير ايجابى ملموس من جانب الاتحاد فى تعبئة الجماهير وتوعيتها وتوجيهها ، ولا تزال تقوم بتلك العملية ، المراكز الفكرية الفردية التقليدية فى العاصمة اساسا ، وهى لن تفى قط بالحاجة الملحة اليوم الى بلورة فكر سياسي واجتماعي قومي موجه ومحدد سواء ازاء قضية العدوان الاسرائيلي من ناحية او قضايا الثورة الاجتماعية الداخلية من ناحية اخرى .

ان ما ينبغى علينا اكثر من اى وقت مضى هو ان نواجه التزاماتنا فى اعادة البناء الشعبى بسرعة وحزم ، لاننا من ١٠ يونيو الى اول نوفمبر ، لم نخطو بعد الخطوة الاولى فى اعادة البناء الشعبى السياسى الا وهى تكوين اللجنة المركزية للاتحاد . يجب ان نضع نصب اعيننا ولا ننسى ، خبرة الماضى الثمينة ونواحى القصور الظاهرة فى عملنا الماضى . ولنتذكر على سبيل المثال ان **محمد حسنين هيكل** — وعشرات غيره من الكتاب الوطنيين — قد كتب فى ابريل ١٩٦٤ (٢) ، منذ ثلاثة اعوام موضحا : « انه ما من هدف فى هذه المرحلة ينبغى له ان يسبق هدف استكمال بناء التنظيم السياسي والشعبى » ، و « ان استكمال بناء الاتحاد الاشتراكى هو الوسيلة الوحيدة لتأكيد وحماية كل ما حققته الثورة » . ومع ذلك فمن سنة ١٩٦٤ حتى سنة ١٩٦٧ لم تتحقق تلك المهمة قط ، حتى فاجأنا العدوان الاسرائيلى الاستعمارى الاخير . ينبغى ان نناضل ضد هذا ، وعلى القيادة الثورية ان تتخذ كافة الاجراءات الضرورية لشل القوى المانعة العازلة التى تعرقل عملنا فى ذلك الاتجاه ، والتى ليس من صالحها تكوين تنظيم ديموقراطى شعبى فى بلادنا ، يوجه ويناقش ويبادر .

وثمة نقطة اخرى تتعلق ببناء الاتحاد الاشتراكى ، وبتوحيد كافة القوى الاشتراكية المخلصة فى بلادنا لم تحل حتى الان وهى انه اذا كانت قوى اليسار الماركسى العربى احزابا او افرادا — وكما أوضح رئيس تحرير الاهرام صادقا — اذا كانت تلك القوى «تقوم بدورها فى الجبهة القومية المعادية للاستعمار » ، الا انها لا تزال فى بلادنا مجمدة ورهينة العزل السياسى . ولا نقصد بذلك مجموعة الكتاب والصحفيين وبعض العاملين فى حقول الاعلام المختلفة ، وانما جماع افراد هذا اليسار من عمال وموظفين ومثقفين وتجار وحرفيين وفلاحين من الذين يخلصون كل الاخلاص للثورة الاشتراكية ويعملون ويودون ان يبذلوا كل جهد لحمايتها وتعميقها ودفع تقدمها الى الامام . والامر الذى لا شك فيه ان تجميع كل القوى الاشتراكية وتوحيدها ، سوف يغنى تجربتنا الثورية ويقوى من فعالية عملنا السياسى التطبيقى لصالح تقدم الثورة وازدهارها .

وعلى اية حال ، فان مسألة السير بشكل حازم وسريع ومحدد ، تجاه اعادة البناء الشعبى واستكمال مقومات تنظيمنا السياسى الذى يتعين عليه ان يقود من مواقع العمل الجماهيرى فعلا لا قولا ، هذه المسألة اصبحت لها اهميتها القصوى اليوم اكثر من اى وقت مضى بالنسبة للحفاظ على الثورة والسير بها تقدما للامام ، «فما لم تكن الحكومة وليدة تنظيم سياسى ديموقراطى يسلحها بالتأييد الشعبى وبعقيدة العمل الملزمة، فان هذه الحكومة لا تستطيع ان تحكم من فوق الاجهزة الخبيرة والمتخصصة ، بل ان هذه الاجهزة تستولى فى واقع الامر على الحكومة وتحكمها (٣)» ، وبذا تقع الحكومة الثورية رهينة وضع خطير يجرها تدريجيا بعيدا عن دورها الاجتماعى الثورى ، وبذا تقع رهينة لمصالح التكنوقراط واتجاه التكنوقراط ومطامع التكنوقراط المنفصلين عن الاغلبية الشعبية الكادحة .

الحركة فى الفكر

منذ ١٠ يونيو الماضى حتى نوفمبر ، تقدمت ولا تزال تقدم من عديد من الكتاب المصريين على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم ونزعاتهم افكار عديدة للبحث والمناقشة دار حولها جدل متبادل . الا أن من الافكار التى لفتت النظر فى الفترة الاخيرة، وتتسم باهميتها الخاصة ، بالذات من ناحية اثرها التوجيهى العام ، تلك الفكرة القائلة بأهمية دور « الوطنية المرتبطة بالارض » عن دور « النظام » الاجتماعى نفسه بالنسبة لقضية مواجهة العدوان الخارجى .

الوطن أم « النظام »

أم العاملين معا ؟

والحقيقة انه مع التسليم بان لواء « الوطن» يجمع تحت صفوفه اكثر مما يجمع لواء «النظام»،

(٢) فى عدد الاهرام الاسبوعى بتاريخ ١٠ أبريل ١٩٦٤ « استكمال بناء الاتحاد الاشتراكى هو المهمة الكبرى الان» .
(٣) مقال « استكمال بناء الاتحاد الاشتراكى هو المهمة الكبرى الان » الاهرام — بصراحة عدد ١٠ ابريل ١٩٦٤

الا ان «النظام» وطبيعته ومدى صلابته وتماسكه وصموده ، يبقى هو حجر الزاوية الاساسى فى المقاومة وفى احراز النصر النهائى . ان نجاح المقاومة يتوقف فى الاساس على قدرة او عدم قدرة «النظم» على اثارة وتنظيم حوافز «الوطنية المرتبطة بالارض» وتوجيهها ضد العدو . ولذا فخطورة تسليط الاضواء اكثر ، على فكرة «الوطنية المرتبطة بالارض» تنبع من كونها تركيزا على جانب مهم حقيقة ، لكنه ليس الجانب الحاسم فى تحقيق النصر ، ترجع الى كونها تجعل من مجال العمل «المساعد» ، مجالا لعملنا «الرئيسى» .

ان «الوطنية المرتبطة بالارض» لم تفعل شيئا على سبيل المثال للفرنسيين او الهولنديين او البلجيكيين ، عندما اجتاحت الجيوش النازية بلادهم واحتلتها خلال ايام معدودة ، برغم ماعرف عنهم ، وبخاصة الفرنسيين من وطنية متطرفة مرتبطة بالارض ، ذلك ان الذى اضر بهم وسبب هزيمتهم فى الحقيقة ، وبخاصة الفرنسيين ، كان هو تحلل «نظامهم» الاجتماعى البورجوازى وتفسخه ، وعجزه عن المقاومة . ان الجنرالات الالمان انفسهم يعترفون بهذه الحقائق عندما يقارنون بين المقاومة فى الجبهات الغربية والمقاومة فى الجبهة السوفيتية حيث قاد «الحزب» السوفيتى مقاومة الشعب ووجهها ونظمها والهمها ضد الغزاة . يقول الجنرال الالمانى «تيبلسكيرس» فى كتابه «الحرب العالمية الثانية» : «ان الشلل النفسى الذى اعقب الهجمات الالمانية الخاطفة فى الغرب ، لم يكن ملاحظا بنفس الدرجة فى الشرق» ، ويقول آخر : «ان مقاومة العدو العنيدة هناك ، تبعث على الدهشة ، انه عدو له ارادة من حديد ، فبدلا من ان يفقد قدرته على الحركة ، كان يحاول بعناد ، الالتفاف حول فكى الكماشة الالمانية» «ان الجندى الالمانى التقى هناك بجندى يتشبث مستميتا بعقيدته السياسية ويقاوم الهجمات الالمانية مقاومة فريدة لا نظير لها» .

ان تحرك الجماهير فى ۹ ، ۱۰ يونيو ، متمسكة بقيادة عبد الناصر للثورة ، ومتمسكة «بنظامها» الاشتراكى ومكتسباتها ، كان هو العامل الحاسم الذى مكننا فيما بعد من التحرك على جبهة «الوطن» العربى عامة لتوفير ظروف «مساعدة» لنجاح النضال واكتماله . ولذا ينبغى ان تدفعنا معرفة تلك الحقيقة الى الحرص بشكل اكبر على ذلك العامل الحاسم والبالغ الاهمية فى المعركة ، الا وهو دعم شعبية وجماهيرية «النظام» ، عن طريق دعم الثورة الاجتماعية وتعميقها وتطويرها لصالح الجماهير الواسعة ، القاعدة الحقيقية للثورة .

على ان هذه الفكرة الاولى ، تواجه من الناحية المقابلة بفكرة خاطئة ، تقوم على التركيز فحسب على «الحركة داخل النظام» وتنكر اثر وقيمة اى تحرك خارجه على النطاق القومى والدولى ، حتى ولو كان يؤدى بشكل مباشر الى دعم هذا النظام نفسه وشد ازره . وانصار هذه النظرة على سبيل المثال ، لا يعيرون نتائج مؤتمر الخرطوم الاقتصادية والسياسية والعسكرية اى اهتمام ، ولا يستبينون لها قيمة او منفعة ، بما انها «غير داخلية» وهو موقف يدل بوضوح على النظرة الاحادية الجانب التى تفتقر الى الروح السياسية العملية .

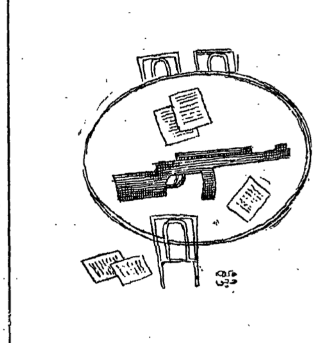
ان المشكلة التى تواجهنا فى الحقيقة ، فيما يتعلق بهذه النقطة ، ليست هى اثبات صحة او خطأ وجهة النظر هذه او تلك ، بقدر ما هى التنبيه الى الضرورة القصوى لايجاد البوتقة الكفيلة بانضاج واتمام وحسم كافة صراعاتنا الفكرية لصالح تقدم الثورة وتطورها ، وهو امر لن يتحقق سوى فى عمل التنظيم السياسى ، وعلى وجه اكثر تحديدا فى عمل جهازه السياسى الطليعى الذى يتقدم الجماهير الواسعة للاتحاد الاشتراكى العربى .

وبعد ...

فان حصاد عملنا الخارجى والداخلى منذ يونيو حتى نوفمبر ، لايزال يتطلب منا بشكل عام ان ننفض عن كاهلنا بقوة ، كثيرا من الافكار والممارسات واساليب العمل الخاطئة التى تنتمى الى الماضى ، الى ما قبل ٥ يونيو ، ضرورة ان نضع نصب اعيننا اهدافنا الرئيسية فى اعادة البناء الشعبى والعسكرى لقوى الوطن ، والعمل لتنفيذ المهام الضخمة المتعلقة بمواجهة العدوان الخارجى وازالة آثاره ، وتلك المهام الاستراتيجية الضرورية ، المتعلقة فى الحقيقة ، وفى جوهر الامر ، بتجديد شباب ثورة كبرى ، ودفعها الى الامام ، وتعميق جذورها ، وربطها ربطا اصيلا عميقا بشعبها ، شأنها شأن كل ثورة عظيمة مظفرة .

المبادئ التي تحكم موقفنا من الحل السياسي

أزمة الشرق الأوسط وقضية الأمن الأوروبي



سعد زهران

الحديث عن الحل السياسي ، وتلمس امكانياته ، لا يستبعد الالتجاء الى السلاح اذا دعت الضرورة اليه ، سواء لجأ المعتدون الصهيونيون الى تصعيد العدوان القائم أو الابقاء على الامن الواقع بقوة الاحتلال الغاشم ، وأساليب القمع والاضطهاد الفاشية في المناطق التي تشتد فيها أعمال المقاومة العربية .بل ان الاخذ بأساليب القوة العسكرية ، في عالم لم يعد يفهم الا منطق القوة، هو من أهم العناصر التي قد تدفع المعتدين الصهيونيين الى التخلي عن خططهم المجنونة لجني ثمار عدوانهم ، كما أن القوة العسكرية العربية هي وحدها الكفيلة بتحويل أى قرار قد يصل اليه المجتمع الدولى ، ممثلا في هيئاته الدولية ، الى واقع عملي وليس الى مجرد حبر على اوراق الامم المتحدة . هذا ما تدركه القيادة العربية وتسير كل يوم اشواطا في سبيل تحقيقه . وهو مايدركه ايضا حلفاؤنا الطبيعيون في الميدان الدولى ،وعلى رأسهم الاتحاد السوفييتى الذى يواصل امدادنا بالسلاح لتعويض ما خسرناه .»

قضية لا تتجزأ

و « ازالة آثار العدوان » **قضية متكاملة وواحدة ، لا تقبل التجزئة ولا تحتملها** . ان الكلام عن التوصل الى حل مع احد البلاد العربية الثلاثة التي وقع عليها العدوان دون آخر ، أو الكلام عن اجلاء جزئى مشروط عن بعض الاراضى تحقيقا

لاغراض معينة (مثل ما يقال عن اقتراح لتراجع قوات اسرائيل ٢٥ ميلا شرقى القناة تمهيدا لاعادة فتحها) ... ان كل هذا الكلام وأشباهه كلام مرفوض . وهو مرفوض ليس من ناحية المبدأ فحسب،ولكن فى الواقع العملى الذى توصلت اليه البلاد العربية مجتمعة فى مؤتمر القمة بالخرطوم . ولم تكن المعونة التى تضامنت فى تقديمها البلاد العربية المنتجة للبترول الى البلاد العربية التى تعرضت للعدوان الا تعبيرا عمليا، وعلى أعلى مستوى ، عن رفض فكرة تجزئة القضية على اى نحو .

قضيتان متميزتان

قضية ازالة آثار العدوان شىء ، وقضية حقوق شعب فلسطين العربية شىء آخر .

ان قضية ازالة آثار العدوان قضية عاجلة وتكتيكية ان صح التعبير ، قضية مترتبة على عدوان غادر وقع على البلاد العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وترتب عليه احتلال ما بقى من ارض فلسطين واجزاء من أراضى ثلاثة بلاد عربية متاخمة لاسرائيل . ولا يمكن ان تقبل هذه البلاد العربية الثلاث ، ولا تملك ، ان تساوم على حل هذه القضية الاولى على حساب القضية الثانية ، اى على حساب الحقوق المشروعة لعرب فلسطين فى أرضهم ووطنهم .

ترتيبا على ذلك ، فان أى قبول للاعتراف باسرائيل او التفاوض معها مرفوض ، لان هذا يتضمن اقرارا نهائيا من جانب الدول العربية بضياع حقوق عرب فلسطين ، وهو ما لا تملكه اى بلد عربى او أية حكومة عربية . وتلك حقيقة يدركها الاعداء جميعا ، وعلى رأسهم الولايات المتحدة . وليس التمسك بفكرة التفاوض مع اسرائيل أو الاعتراف بها الا من قبيل الضغط المكشوف الذى يهدف الى تحقيق الاهداف الاصيلة للعدوان ، الا وهى الاطاحة بنظم وطنية تقدمية لا يرضى المستعمرون وعملاؤهم عنها .

وغنى عن الذكر أن عدم المساومة على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين مبدأ لا تتخلى عنه البلاد العربية بالاجماع ، باختلاف نظمها ومواقفها .

لا مساومة على مصير الثورة

ولا تراجع أمام دعاة الهزيمة

واذا كان التمسك بحقوق شعب فلسطين يعد من المبادىء التى لا تقبل المساومة ، فمن باب اولى حقوق كل شعب عربى فى اختيار قيادته ونظامه الاجتماعى . لقد قامت قيامة الشعوب العربية الى آخر انسان فيها فى تلك اللحظات الحاسمة الخالدة من مساء ٩ يونيو تأكيدا لهذا المبدأ الذى يعلو على أى مبدأ . وفى قلب المعمعة كان الشعب المصرى يعبر ، بأقصى ما يملك شعب من طاقة، عن ارادة التحول الاشتراكى ، وعن تمسكه بقيادة عبد الناصر تجسيدا لهذه الارادة .

واذا كانت اذاعات الاعداء وأبواقهم وأوكارهم المتربصة تردد دون اعياء امكان حل كل القضايا بشرط التخلى عن الطريق الاشتراكى وازاحة القيادة التى تعبر عن ارادة التحول الاشتراكى، فليس هذا الا من قبيل الخديعة الكاذبة وحرب الاعصاب الخسيسة . وعلى أية حال ، فهى اكاذيب لا تستهدف الشعب العربى ، فالشعوب دائما أقوى وأكثر وعيا من أن تلقى بالا لدعايات تستهدف القضاء على مقومات وجودها ، وانما هى دعوة يطلقها العدو وعملاؤه المباشرون للنيل من معنويات بعض فئات الطبقات المتوسطة التى يمكن أن تكون نهبا لعوامل التردد وأفكار الهزيمة، بوحى من مصالحها الاجتماعية والاقتصادية الانانية وآفاقها الفكرية والسياسية المحدودة .

الدول الكبرى ودورنا الخاص

ان ما اصطلح على تسميته « بمشكلة الشرق الاوسط » هو فى الحقيقة جزء من الصراع العالمى بين قوى الحرية والتقدم والاشتراكية من جانب، وقوى الاستعمار والامبريالية والعنصرية من جانب آخر ، انه فى حقيقته جزء من الصراع الذى تخوضه الامة العربية لاستكمال استقلالها السياسى وتحقيق تقدمها الاقتصادى والاجتماعى ضد قوى الاستعمار الجديد والصهيونية التى تحاول نهب ثروات الوطن العربى وسرقة ميزات موقعه الممتاز على ملتقى الطرق المائية والجوية والبرية التى تربط الشرق بالغرب ، وان المعركة تتركز — فى أعلى واعنف اشكالها — حول قضية فلسطين .

والدول الكبرى ما يزال لها دور كبير فى تقرير مصائر الصراع الدائر فى الشرق الاوسط . وعلى سبيل المثال ، ما كانت اسرائيل لتتمكن من الوجود أصلا ، ومن متابعة اعمال العدوان الى ذلك الحد البشع الذى وصلت اليه فى يونيو الماضى ، لولا دعم الدول الاستعمارية الكبرى — وعلى رأسها الولايات المتحدة . كما ان الحركة التحريرية العربية ما كان لها أن تصمد للتحديات المستمرة، سياسية واقتصادية وعسكرية ، لولا الدعم المستمر الهائل الذى يقدمه الاتحاد السوفييتى .

ويكون هذا الدعم ما كان الخط العام للحركة التحريرية العربية ليستمر في انتصار وصعود لاكثر من عشرة أعوام ، على الرغم من كل الهزائم والتعثرات والانتكاسات المؤقتة او الجزئية . وقد ضربت قيادة الثورة العربية ، متجسدة في شخص جمال عبد الناصر ، مثالا تاريخيا لدرجة نادرة من فهم حقائق الصراع الدولي والاستفادة منــــه لصالح حركة التحرر العربية".

ولكن ، على الرغم من الدور الكبير والبـــالغ الخطورة الذي تلعبه الدول الكبرى في تقـــرير مصائر الصراع في هذا الجزء او ذاك من عـــالم اليوم ، الا انه ما يزال ثمة دور لا يقل أهميـــة وخطورة تلعبه الاطراف المعنية من بين الدول والشعوب الصغيرة في تقرير مصائرها ذاتهـــا ، وبخاصة في وقت تنتهج فيه قيادة الدولة الامريكية سياسة عدوانية دموية ضد حركات التحرر الوطني والبلاد حديثة الاستقلال واتجاهها نحو الثـــورة الاشتراكيــــة .. وليس ادل على ذلك من الدور الاسطوري الذي يلعبه كل من شعبي فيتنام وكوبا. والمعيار هنا هو قدرة القيادة السياسية لهــــذا البلد او ذاك على تعبئة قواه الشعبية لمواجهـــة التحديات . واذا كانت الحركة الصهيونية (شأنها في ذلك شأن الحركة النازية والفاشية من قبل) قد تمكنت من تحريك احط الاتجاهات العنصرية والغوغائية عند قطاع هام من اليهــــود لدفعهم في حركة جماهيرية اجرامية على أرض فلســـطين لا ترضى دون تدمير الحضارة العربية بديلا (على حد تعبير بن جوريون) — نقول اذا كانت الصهيونية قد نجحت في ذلك حتى الان ، فقـــد آن الاوان للقيادة الثورية العربية ان تخلق حركة المقاومة التحريرية ذات الاهــداف الانسانيـــة والتنظيم الجماهيري التي تتمكن من ايقاف خطر الطاعون الصهيوني الامبريالي ، تماما كما تمكنت حركات المقاومة في اوروبا من مواجهة الطاعون النازي الفاشي ، وكما تمكنت جبهة تحـــرير فيتنام من مواجهة العدوان الامريكي . وتلك هي الطريقة الوحيدة للوصول الى الضمير الحر المتقـــدم في الغرب الراسمالي ، بل والى التغلغل الى اعماق الشرق الاشتراكي في أوروبا .

اسرائيل قاعدة استعمارية .. ولكن ..

واسرائيل ، كقاعدة امبريالية عدوانية اقيمت في قلب الوطن العربي ، مرتبطة بالامبريالية العالمية استراتيجيا ، ولكن هذا لا يمنع من ان اسرائيـــل قد تنفصـــل — تكتيكيا — عن بعـــض الدول والسياسات الامبريالية . وواجب السياســـة والدبلوماسية العربية ان تدرك هذا الفارق ، وأن تحسن الاستفادة منه .

والحق أن هذا قد حدث حتى الان بالفعل . ففي ١٩٥٦ ، حين اقدمت بريطانيا وفرنســـا واسرائيل على عدوانهم الثلاثي دون اذن ومشاركة من الولايات المتحدة ، تحقق هذا الانفصــــال التكتيكي بين العدوان العسكري الذي اشتركت فيه اسرائيل وبين الولايات المتحدة . حقيقـــة ان ذلك الخلاف كان جزئيـــا ، يتعلق بالوسيلة لا بالهدف ، وبغضبة دالاس لانكار دوره القيادي للعالم الاستعماري بالاقدام على الحملة العسكرية دون موافقته ، وباحلام تبددت فيما بعد عن امكان احلال النفوذ الامريكي في مصر بعد خلع جذور النفوذ الانجلو فرنسي — كل هذا صحيح ، ولكن هذا لم يمنع من ان السياسة والدبلوماســــية المصرية ، بالتضامن مع الاتحـــاد السوفييتي ، استفادت من ذلك الخلاف التكتيكي في المســـاعدة على ازالة آثار عدوان ١٩٥٦ .

اما في عدوان ١٩٦٧ ، فان الولايات المتحـــدة هي القوة الامبريالية التي ســـاندت العـــدوان الصهيوني من البداية الى النهاية ، بل انها هي التي اسهمت بنصيب كبير في الاعداد له ومساعدته على تحقيق نصر عسكري سهل . ولا شك أن وزن الولايات المتحـــدة في عالم ١٩٦٧ ، يفـــوق اضعافا عديدة وزن بريطانيا وفرنسا مجتمعتين في عالم ١٩٥٦ . وهذا ما يجعل الموقف في عدوان ١٩٦٧ أكثر صعوبة من نظيره في العدوان السابق. غير أن هذا لا يمنع من وقوع تناقضات ذات طبيعة تكتيكية بدأت تدب بين المعتدين الصهيونيين وبين بريطانيا ، وذلك على الرغم من أن بريطانيـــا شجعت العدوان وساعدته في مرحلة معينـــة . والعنصر الحاسم في بدء التغير في موقف بريطانيا هو فشل العدوان في تحقيق اهدافه (وهي اسقاط النظامين الوطنيين التقـــدميين في كل من مصر وسوريا) ، وما ترتب على العدوان من اغلاق قناة السويس والاضرار بالاقتصاد البريطاني ، الى الحد الذي يقدر فيه العجز في الميزان التجاري البريطاني في بحر سنة من بدء العدوان ، بحوالي ٢٠٠ مليون جنيه استرليني . وبريطانيا ليست وحدها في ذلك ، بل ان بعض الدول البحـــرية في أوروبا الغربيـــة ، مثـــل النرويج ، أضيرت مصالحها الاقتصادية نتيجة للعدوان بأكثر ممـــا اضير الاقتصاد البريطاني . وعلى الرغم مـــن الضغوط الامريكية وقوة الدعاية الصهيونية ، فان عددا من هذه الدول يغير موقفه اليوم عما كان غداة العدوان .

العلاقات العربية البريطانية

وهناك عناصر اخرى تساعد على دفع العلاقات العربية البريطانية فى طريق اكثر ايجابية ، نذكر منهـا :

● ان القوات البريطانية بسبيلها الى انجاز جلائها الكامل عن عدن والجنوب العربى ، وان القوى التحررية ، التى طالما حظيت بالتأييد الادبى والمادى من القاهرة هى القوى المنتصرة التى بسبيلها الى تسلم مقاليد الحكم فى هذا الجزء من الوطن العربى . وعلى ذلك ، فان بؤرة من بؤر الصدام المباشر بين قوى التحرر العربى وبين بريطانيا بسبيلها للتصفية . ومن مصلحة بريطانيا ، فى هذه المرحلة من تطور حركة التحرر فى الجنوب العربى ، ان تنهج سياسة اكثر حكمة تضمن الا تنتهى العلاقات مع حكومة الجنوب المستقل الى قطيعة او ما يشبه القطيعة . وقد ضرب **الجنرال ديجول مثلا** (بسياسته التى ينتهجها ازاء الجزائر) لما يمكن ان تنتهجه قوة استعمارية سابقة فى بلد حاز على استقلاله بقوة السلاح .

● ما بدا فى السياسة البريطانية اخيرا من ميل اكثر للتخلى عن خط التبعية الكاملة للولايات المتحدة فى ميدان السياسة الدولية . وتجلى هذا بصفة خاصة فى القرار الذى اتخذه المؤتمر الاخير لحزب العمال الحاكم بضرورة تخلى حكومة ويلسون عن سياسة التأييد للعدوان الامريكى على شعب فيتنام ، والمطالبة بوقف الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية والاحتكام الى اتفاقات جنيف للوصول الى تسوية للازمة الفيتنامية . وقد عبر **براون** ، وزير خارجية بريطانيا ، عن مثل هذه الاتجاهات ، وان يكن بشكل شديد التواضع ، فى خطابه امام هيئة الامم المتحدة ، وفى كثير من تصريحاته الصحفية الاخيرة . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان براون يتزعم ذلك الاتجاه فى السياسة الرسمية البريطانية لتغيير موقف حكومته ازاء مشكلة الشرق الاوسط والمشكلة الفيتنامية وغيرهما من مشكلات السياسة الخارجية . وهذا هو سر هجوم اجهزة الدعاية الامريكية والصهيونية (وامتداداتها فى بريطانيا) عليه فى الاونة الاخيرة ، مستغلة بعض الهنات والتصرفات الشخصية ، خداعا وتمويها .

● كذلك ، فان تجدد سعى بريطانيا للانضمام للسوق الاوروبية المشتركة فى هذه الايام ، وما يفرضه هذا المسعى من ضرورة اثبات درجة اعلى من الاستقلالية عن السياسة الامريكية ارضاء لفرنسا الديجولية ، يدفع السياسة البريطانية الرسمية وغير الرسمية ، خطوات محسوسة فى هذا الاتجاه .

مشكلة الشرق الاوسط

ومشكلات الامن الاوروبى

ودور فرنسا فى الازمة يمكن النظر اليه من زوايا متعددة . أولها الموقف الاخلاقى والمبدئى الذى اتخذه الجنرال ديجول حين اعلن ، قبل بدء العمليات العسكرية ، انه سيقف ضد البادىء بالعدوان . وقد بر الرجل بكلمته ، وهو يلقى بثقل حكومته دفاعا عن فكرة منع المعتدى من جنى ثمار عدوانه ، وجلاء غير مشروط للقوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية التى احتلتها بعد ٥ يونيو .

غير ان ثمة جانبا آخر من موقف فرنسا لم يحدث ان تدبره أحد من قبل . وذلك هو النظر الى هذا الموقف من زاوية « الامن الاوروبى » . وفى هذا يدخل طرف آخر ، هو الاتحاد السوفييتى ، من باب آخر غير باب تضامنه مع حركة التحرر العربى ودعمه الكبير لها . ذلك ان التعاون السوفييتى الفرنسى كان عاملا هاما من عوامل خفض درجة حرارة الحرب الباردة فى أوروبا الى درجة تقرب من الصفر . ان هذا التعاون ادى فى الحقيقة الى هزيمة شبه كاملة للمخطط الامريكى للقارة الاوروبية كما رسمه حلف الاطلنطى ، وهو يوشك أن يؤدى بالحلف كله الى المتحف . ان اتجاه مسار أوروبا اليوم ، ونتيجة لعوامل اقتصادية وحضارية وايديولوجية وسيكولوجية شديدة التعقيد ، اقرب الى الصورة التى تخيلها ديجول وبشر بها منذ تولى السلطة (أوروبا من الاطلنطى الى الاورال) ، منها الى الصورة التى تخيلها دالاس عند تأسيس حلف الاطلنطى وبشر بها .

واذا نظرنا الى العالم العربى والشرق الاوسط من الزاوية الاوروبية نجد الاتى :

ـ ثلاث دول ، هى تونس والجزائر ومراكش ، منتسبة للسوق الاوروبية المشتركة .

ـ ما يقرب من ثلثى واردات أوروبا الغربية من البترول الخام يأتى من بلاد المشرق العربى والجزيرة العربية والشمال الافريقى العربى .

ـ فى الوسط تقع الجمهورية العربية المتحدة بما تمثله من ثقل سياسى وحضارى فى العالم العربى ، وتمسك زمام أهم شريان ملاحى يصل أوروبا بمصادر البترول فى الشرق الاوسط ، وبطرق تجارتها مع آسيا والشرق الاقصى ، وهو قناة السويس .

فهل يمكن ، بعد أن اقتربت مشكلات الامن الاوروبى من كثير من مفاتيح حل طويل الامد ، أن تقف أوروبا موقفا سلبيا من مشكلات الشرق الاوسط والعالم العربى ؟ وهل يمكن ، بعد ان رفضت أوروبا — موضوعيا — أن تترك مصائر أمنها بأيدى اهواء وشنطن ونزوات بون ، أن تدع مشكلات الامن الدولى فى منطقــة الشرق الاوسط والشمال الافريقى العربى نهبا مستباحا لاهواء وشنطن ونزوات تل ابيب ؟

لا أظن .

ولو ادركت السياسة والدبلوماسية العربيـة هذه الحقيقة واحسنت الإستفادة منها لتفتحت أمامها فرص عديدة للحركة والمناورة المثمرة .

وفى ناد يضم الدول الكبرى المنضمة للهيئسات الدولية (الاتحاد السوفييتى وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة) اذا طرحت مشكلات الشرق الاوسط والشمال العربى الافريقى ، فما اصعب — من زاوية فكرة الامن الاوروبى وحدها — أن تلتقى الاتجاهات ضد المصالح العربية ارضــاء للطفل المدلل ، اسرائيل ، بل ما اسهل أن تنتصر وجهة النظر التى تدعو الى مراعاة الامال والمصالح المشروعة للامة العربية ، وعدم دفع الاوضاع فى العالم العربى الى الدرجة التى تهــدد بنسف كل مصالح الغرب وكل صلاته بالمنطقة .

تقسيم للعمل بين البلاد العربية

لقد أثار مؤتمر القمة بالخرطوم نوعا جديدا ، وايجابيا ، للتقسيم بين البلاد العربية ، وذلك هو نوع من تقسيم العمل فيما بينها . فالبلاد الثلاثة التى تقف فى خط النار ، مصر وسوريا والاردن ، تتحمل عبء المواجهة العسكرية مع العــدوان الصهيونى الامبريالى . وكبرى البلاد المنتجــة للبترول ، السعودية والكويت وليبيا ، تتحمــل عبء المعونة الاقتصادية للبلاد التى اضيرت من العدوان وماتزال تتحمل اعباء مواجهته عسكريا . والجيوش العربية فى البلاد التى لم تتعرض للعدوان المباشر ، وفى مقدمتها الجيش الجــزائرى الذى صهرته حرب التحرير ، تتقدم لدعم المواقـــع الدفاعية فى خط النار . ويبرز دور رجال الدولة فى كل من السودان والعراق لتصفية بعض الخلافات التى كانت تعيق العمل العربى الموحد . **وان هذا الشكل من تقسيم العمل الذى خرج الى النور فى ظلمات المحنة يمكن ان يمتد الى ميادين اخرى بل ويمكن أن يمتد الى ما بعد مرحلة ازالة آثار العدوان . واخص بالذكر هنا مجالين تدعو اليهما الحاجة الملحة :**

— **المجال الاقتصادى** ، حيث قد آن الاوان لكى يخرج مشروع الصندوق العربى للانماء الاقتصادى الى حيز التنفيذ ، فتلك هى الخطــوة الاولى فى سبيل استعادة الارصدة العربية من البنـــوك الاوروبية والامريكية . آن الاوان ان تذوب — فى لهيب المحنة — كثير من عقد تراكمت فى السنوات الاخيرة . ولا يجب ان تحول الخــلافات فى نظم الحكم بين الاستفادة القصوى من امكانيـــات التعاون فى هذا السبيل . فقط علينا ان نتعلم كيف ندير المشروعات الاقتصادية العربيـــة المشتركة على أسس اقتصادية سليمة ، والا نخلط — حيث لا يجب الخلط — بين الممارســة الاقتصــادية والشعارات السياسية .

— **المجال السياسى** ، حيث يجب الربط بـين التحركات التكتيكية والاهداف الاستراتيجيــة البعيدة لحركة التحرر العربى . وفى هذا المجال لا يجب أن يفسر اى تحرى تكتيكى على انه تخل عن الاهداف الاستراتيجية البعيدة ، كما لا يجب أن يفسر اى تأكيد للاهــداف الاستراتيجية على انه عمل يتصد به المزايدة فى موقف لا يحتمل المزايدات .

ولنضرب مثلا يجعل الامر اكثر وضوحا : لا يجب ان يندفع البعض الى تفسير اية اتصالات ، فى داخل هيئة الامم او خارجها ، بين الدبلوماسية العربية والدبلوماسية الامريكية او البريطانيــة على أنها تخل عن سياسة النضال ضد الامبريالية . كذلك لا يجب اعتبار كل تذكير بأساسيات القضية الفلسطينية والحقوق المشروعة لعرب فلسطين فى وطنهم افسادا للمحاولات اليومية المباشرة التى تبذل فى اطار تصفية آثار عدوان ٥ يونيو .

وبشكل محدد ، فان بلدا كالجزائر مثلا ، يمكن فى الظروف الراهنة ، ان يكرس جهدا اكبر فى المجالات السياسية والفكرية للقضايا الاستراتيجية العامة للثورة التحريرية والاجتماعية العربية ، كما ان بلدا كمصر ، على صلة أوثق بالتطـــورات اليومية لمشكلات تصفية آثار العدوان ، ان يكرس جهدا اكبر فى مجالات السياسة والدبلوماسية للجوانب التكتيكية . كل ذلك فى اطار من التعاون وتوزيع العمل والتنسيق .

***

واخيرا ، وفى حدود الملابسات الدولية الحالية ، تعد هيئة الامم المتحدة هى افضل مكان (ان صح هذا التعبير) تجرى فى اطاره اية محـــاولات للوصول الى حل سياسى . وعلينا ان نرحب باى جهد يبذل لاحياء قراراتها التى طالما انتهكتها الصهيونية العدوانية ، ولاحياء لجان الهدنة ، وان نرحب بأى اقتراح يهدف الى تعيين ممثل شخصى للسكرتير العام فى المنطقة . واذا قدر لما يسمى بالحل السلمى ان ينجح فلابد أن يمر بهـــذا الطريق .



العالم الثالث بين صياغة عدم الانحياز .. ومتطلبات الواقع الجديد

حسين شعلان

طرح عدوان ٥ يونيو ، كثيرا من قضايا سياستنا الداخلية والخارجية ، للمناقشة على ضوء تطورات احداثه ونتائجه . ومنها ، قضية علاقتنا ـ كمجتمع متحرر اختار طريق الاشتراكية ـ بالعالم الثالث واطار حركته ككل فى المجال الدولى .

لقد فرض السؤالان التاليان نفسيهما على الواقع هل ما زالت صياغة عدم الانحياز ، تستجيب لمتطلبات الواقع الجديد بعد ٥ يونيو ؟ وهل نقيم علاقتنا بدول العالم الثالث على اساس موقف كل منها من اسرائيل ؟

ومن المهم ان نتفق ـ مقدما ـ على تعريف للدول العالم الثالث . فالتعريف حديث فى لغة السياسة الدولية وتختلف فيه الاراء . وفى رايى انه مجموع **تلك الدول التى نالت استقلالها الوطنى ـ او تناضل من اجله ـ ولم ترتبط عضويا بأى من الاحلاف السياسية او العسكرية لأى من المعسكرين العالميين الاشتراكى او الراسمالى . سواء كانت حكومات هذه الدول وقياداتها ، قد اختارت طريق الاشتراكية ولكنها لم تقم سلطتها ودولتها بعد ، او كانت مجرد نظم وطنية .**

نظرة تاريخية هامة

ونستطيع ان نقول ان علاقتنا بدول العالم الثالث ، كانت دائما انعكاس لنظام مجتمعنا ـ فى تطوره ـ وسياسه السلطه الحاكمة فيه . وقد مرت هذه العلاقة بمراحل اساسية ثلاث هى :

اولا : مرحلة ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، حيث سادت فيها نظره غربية كانت تسيطر على السلطة وتقيم علاقاتها بالعالم كلـه ـ بما فيه الدول المستقلة حديثا ـ من خلال **التبعية** لدول الغرب والحركة فى فلكه . ومن ثم كانت هذه السلطة تقترب او تبتعد من الدول المستقلة بقدر ما يرى الغرب فى ذلك تحقيقا لمصالحه . وفى السنوات التى قامت فيها حكومات وطنية ، كانت تقيم علاقاتها بالدول المستقلة فى اطار وطنى غير مكتمل النضج .. يؤمن فى نهاية الامر بأن الغرب الليبرالى

ـ وحدته ـ هو نافذته على العالم ونموذجه المثالى بشرط ان نستقل سياسيا . وقد غلب على هذا الفكر الوطنى طابع الفزع ـ فى الغالب الاعم ـ من «تطرف» بعض الحركات الوطنية فى دول مستقلة تدعو الى ضرورة التغيير الاجتماعى . ومن هنا ـ وفى اطار هاتين النظرتين ـ جاءت عزلتنا عن الدول حديثة الاستقلال حتى ثورة ١٩٥٢ . وكان لهذه العزلة ـ بالضرورة ـ خسائرها وثمنها الغالى .

ثانيا : مرحلة ما بعد يوليو ١٩٥٢ وحتى اواخر عام ١٩٥٨ أو ما يمكن تسميتها بمرحلة الصدام الاولى بالغرب والاستعمار العالمى . واذا جاز لنا ان نقول ان صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى فى اوائل ١٩٥٥ ، كانت بمثابة « التعبير العسكرى ـ الاقتصادى » ، عن حاجتنا الى نوع جديد من العلاقات الدولية مع عالم أخر غير العالم الراسمالى الاستعمارى ، فاننا نقول ايضا ، لقد كان موقفنا من الاحلاف عامة وحلف بغداد بصفة خاصة تم **مؤتمر باندونج** ، هو « التعبير السياسى » عن انفتاحة جديدة ـ هامة واساسية ـ على عالم الدول المستقلة حديثا .. كانت سياسة « **الحياد الايجابى** » صياغة لها . ولقد كان مؤتمر باندونج ، بداية جادة لعلاقات مع عالم يموج بالثورة الوطنية ومتطلبات التغيير الاجتماعى ، نأخذ منه ونعطيه . وقد حكم هذه المرحلة ـ فى اطارها العام ـ فكر وطنى معاد للاستعمار ، بدا يعى ان المعركة ضد الاستعمار العالمى ، واحدة لا تتجزأ ، ويضع موضع التطبيق افكار « مبادىء الثورة » عن دائرة العلاقات الافريقية الاسيوية ولقاء شعوب القارتين المناضلتين من اجل تحررهما السياسى .

ثالثا : مرحلة مابعد حل جوهر القضية الوطنية سواء فى مصر عام ١٩٥٦ ، أو فى غيرها من الدول المستقلة . وقد فرضت الظروف لكل من هذه المجتمعات حديثة الاستقلال ، مهام البناء الداخلى والاسس التى يقوم عليها هذا البناء . وفى هذه المرحلة بالتحديد التى كان عام ١٩٦١ ـ حيث انعقد مؤتمر بلجراد لعدم الانحياز ـ تعبيرا سياسيا عنها ، نقول : فى هذه المرحلة نشأت سياسة عدم الانحياز كصياغة جديدة لحدود واطار حركتنا الدولية ضمن اطار علاقاتنا بدول العالم الثالث .

وتحديد الاطار العام للظروف المحيطة بنشأة صياغة عدم الانحياز وتجمعه ، يلقى كثيرا من الضوء على تطور هذه السياسة ومستقبلها ..

فقد ساد مواقع العالم الثالث الاساسية ، فى الفترة السابقة على نشأة تجمع عدم الانحياز ومؤتمره الاول ـ مناخ سياسى عام بفعل فكرية كانت تؤمن بامكانية بقاء السلطة السياسية فوق الطبقات وصراعاتها المختلفة ، دون الانحياز الى واحدة منها .. بل وامكانية التعاون فيما بينها لتحقيق **برنامج اجتماعى اصلاحى عام** ، تتفاعل بأن تقوم كل طبقة ـ ايا كانت طبيعتها وفيما عدا الاقطاع ـ بالمساهمة فى تحقيق هذا البرنامج . وذلك عن طريق ان تلعب السلطة دور الوسيط بين هذه الطبقات تخفيفا من حدة صراعها . وكان امتداد هذه الفكرية الى المستوى الدولى ـ حيث يتصارع النظامين العالميين : الاشتراكى والراسمالى ـ هو الوقوف بعيدا عن أى من المعسكرين وفوق صراعاتهما ، بل وامكانية خلق مركز ضاغط يلعب دورا فى التخفيف من حدة الصراع الدولى والحرب الباردة .

وفى نفس هذا الوقت ، دخلت بعض المواقع القيادية لعدم الانحياز ، معارك جانبية مع جناح من اجنحة الفكر الاشتراكى العلمى ، كان لها اثرها فى وحدة كل القوى الاشتراكية ـ محليا ـ من جهة ، وفى وحدة مواجهتها مع قوى الاشتراكية ـ عالميا ـ ضد العدو المشترك : الاستعمار العالمى .. من جهة اخرى . وصاحب هذه الفترة ايضا ، توترا واضحا فى علاقات يوجوسلافيا مع المعسكر الاشتراكى . وقد اغرى ذلك كله بعض المواقع التى تسترت بعلم عدم الانحياز لتخفى انحيازها الى الغرب ، بأن تسعى الى جذب عالم عدم الانحياز لان ينحاز مثلها . وقد بددت حركة الصراع هذه ، بعضا من الطاقات كان العالم الثالث فى حاجة اليها فى معركته ضد الاستعمار العالمى وضد التخلف .

وقد ارتبطت هذه المرحلة باتجاه قيادات عالم عدم الانحياز ، بالبحث عن طريق لحل مشاكل بلادهم الاقتصادية والاجتماعية . وبرزت فى ذلك الوقت ملامح فكرية تدعو الى نوع من الاشتراكية .. قومية الطراز .. أو طريق ثالث سواء فى العمل الداخلى أو العمل الدولى .

لقد سعت مواقع عدم الانحياز القيادية الاربعة ـ مصر ويوجوسلافيا واندونيسيا والهند ـ الى البحث عن صياغة جديدة لعلاقاتهم ـ مع الدول المستقلة ـ بالمعسكرين العالميين ، فى مرحلة اتسعت فيه رقعة الدول المستقلة وزادت فيه ـ باشكال مختلفة ـ حدة الصراع والتنافس بين المعسكر الاشتراكى والمعسكر الراسمالى . كذلك فى مرحلة كانت فيها كل من مصر واندونيسيا والهند ، تعانى من عوامل الحذر والشك فى علاقاتها الجديدة المباشرة مع الدول الاشتراكية .. فضلا عن الاثار التى تركها الفكر الغربى على ثقافاتها

القومية والتى صوت المعسكر الاشتراكي في صورة « الدب » الزاحف لالتهام الفريسة التي نجحت لتوها في النجاة من مخالب الاستعمار . اما يوجوسلافيا ، فقد كانت ما تزال مشخنة بمرارة والام تلك الفترة التى صاغ فيها ستالين علاقة « الحزب الام » و « الكومنفورم » .

لقد كانت صياغة عدم الانحياز ، هى الاطار العام التى وضعتها القيادات الاربعة لتجمع العالم الثالث وحركته الدولية ، وذلك في نضالهم من اجل تدعيم حرية بلادهم والعداء للاستعمار وتعزيز السلام الدولى ، وقد غلب على دوافع هذه الصياغة التى تخطت صياغة « الحياد الايجابى » ـ بمرونة واضحة ـ طابع الكم .. بالبحث عن اكبر عدد ممكن لتجمع الدول المستقلة حديثا وبغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية او حتى اتجاهاتها في سياستها الخارجية .. المختلفة ، بل والمتناقضة في معظم الاحوال .

هجوم واسع على العالم الثالث

خرج في اوائل الستينات ، تعبير « العالم الثالث » الى الوجود ، بعد ان اتسعت في هذه الفترة ـ بشكل ملحوظ ـ رقعة الدول المستقلة حيث نالت فيها اكثر من ٤٠ دولة استقلالها السياسي والوطنى في امريكا اللاتينية وافريقيا واسيا .

وفى نفس الوقت الذى سعت فيه كثير من مواقع هذه القوى الجديدة الى التجمع والتعاون فيما بينها، كان الاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، يسعى بدوره الى الانقضاض على هذه الدول الجديدة ليرث فيها نفوذ الاستعمار القديم ومصالحه الاقتصادية ، بشكل يراعي فيه بعض المظاهر القومية الشكلية . وبمجرد ان حاولت حكومة الكونجو برئاسة باتريس لومومبا تدعيم استقلالها السياسى ، سارع الاستعمار الجديد لتاديبها واغتيال لومومبا ، ارهابا لغيرها من الحكومات الوطنية الجديدة ، وخوفا من ان تضيع منه فرصة استغلال ونهب ثروة معدنية هائلة فضلا عن موقع سياسى استراتيجى هام في قلب القارة الافريقية .

ولكن القائلين بمسئولية نجاح الثورة المضادة في الكونجو في تحقيق اهدافها ، على ضراوة الهجوم الاستعمارى ووحدة قواه فقط ، ليس الا جزءا اساسيا من الحقيقة . فالواقع ان الثقة غير الواقعية للدول الوطنية الجديدة ـ وحكومة لومومبا نفسها ـ في الامم المتحدة ، بالاضافة الى ترددها في الاعتماد على المساعدة المباشرة للدول الاشتراكية ، نقول : لقد كان ذلك النهج ، تطبيقا غير واقعيا للرغبة الجادة والمخلصة في ابعاد الحرب الباردة عن افريقيا . ولقد كلف هذا النهج ، شعب الكونجو والعالم الثالث كله ، الكثير .. وما زال يكلفه حتى اليوم ثمنا غاليا .

ومثلما كان نجاح الثورة المضادة في الكونجو عام ١٩٦١ ، اول تطبيق عملى كامل لسياسة الاستعمار الجديد في الهجوم على العالم الثالث ، فلقد كانت احداث الكونجو ايضا في عام ١٩٦٥ ، اشارة بدء هامة لهجوم واسع شامل على دول العالم الثالث كله . وكان اسقاط حكومة مسز باندرانيكه عن طريق التدخل في انتخابات ١٩٦٥، واحدة من صوره « البرلمانية » ان جاز التعبير . وكانت سلسلة الانقلابات التى شهدتها آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ـ بعضا من صوره « العسكرية » . ثم كان أخيرا ، عدوان ٥ يونيو اكثر صوره العسكرية ضراوة .

ومن هنا نقول ، انه منذ بداية اتجاه دول العالم الثالث ، الى التجمع في مواجهة محاولات الاستعمار الجديد للانقضاض عليها ، كان طابع العداء للاستعمار هو القانون الاساسى الذى حكم طبيعة هذا الصراع وحركته . ومن هنا ، كان اتجاه هذا التجمع والجهود التى بذلت من اجله، اتجاه تقدمى يلقى مساندة وتأييد كل القوى التقدمية في العالم .

ولكن تجمع الدول المستقلة ـ في اطار صياغة عدم الانحياز ـ لم تحل دون نجاح هجمات الثورة المضادة في كثير من مواقعها .. وبرغم تقدمية حركة هذا التجمع . وذلك للاعتبارات التالية :

اولا : ضراوة الهجوم الاستعمارى واستخدامه لكل امكانيات تفوقه المادى والعلمى ، وكل اساليب العمل في التخريب والتآمر وتفتيت الجبهات الداخلية والخارجية لهذه الدول على حد سواء .

ثانيا : الخلافات داخل المعسكر الاشتراكى واثارها على اضعاف جبهته في مواجهة الاستعمار العالمي من جهة ، والخلافات بين دول العالم الثالث ـ انعكاسا لاختلاف نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ واثارها على اضعاف جبهة تجمعه .

ثالثا : سقوط معاقل هامة للعالم الثالث ، بفعل الانقلابات العسكرية المضادة ، أو شلل

فعالية وتأثير بعضها بفعل التمزق الداخلي والأزمة الاقتصادية .»

رابعا : عدم توفر الاساس الاقتصادي القوى لدول العالم الثالث ــ ككل ــ الكفيل بدعم ومساندة حركة تجمع واسعة في المجال الدولي ، بمثل ماتوفر لكل من المعسكرين العالميين وبغض النظر عن اختلاف جوهر هذه الاسس . ومن هنا ، نستطيع أن نقدر ونفهم اتجاه وأبعاد مؤتمر دلهي الذي عقد بين رؤساء الجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا والهند في اكتوبر ١٩٦٦ للبحث عن موقف اقتصادي موحد بين الدول النامية في مواجهة ضغوط الاحتكارات الاستعمارية وتحكمها في أسعار المواد الخام .»

خامسا : سيادة فكرية المساواة بين المعسكرين وعدم الاخذ ــ عمليا ــ باعتبارات ونتائج ضرورة التفرقة بين طبيعة كل منهما وأهدافه . وقد كان لهذه الفكرية بعض الخسائر غير الهينة السياسية والاقتصادية والثقافية بل وفي مجال الامن القومي . ان الاعتقاد بامكانية ان يساهم المعسكر الراسمالي في عمليات التنمية والبناء الاقتصادي .. جنبا الى جنب مساهمة المعسكر الاشتراكي اعتقادا يعوزه الدقة وقد دحضه الواقع بما فيه الكفاية . بل لقد أوضح الواقع ان مثل مساهمة المعسكر الراسمالي انما تقدم ــ ان تمت ــ بهدف «الاحتواء» أن لم يكن بهدف «التخريب» . ولعل موقف أمريكا وبريطانيا من بناء السد العالي ، وموقف المانيا الغربية من بناء صناعة الحديد والصلب ، دليل كاف على صحة ذلك . اما على المستوى الثقافي ، فانها تخلق مناخا ثقافيا عاما يفرخ تيارات تقول « بالحياد الثقافي والايديولوجي» الذي يشكل ــ موضوعيا ــ احتياطيا خصبا للفكر الرجعي ذي التراث التاريخي الضخم والقادر بالتالي على التأثير في الجماهير التي خرجت لتوها تستنشق تيارات الثقافة الوطنية . كما يستفيد من هذا المناخ ، الفكر المعادي للشعب فيقيم له مراكز وجيوب تبقى غالبا كواجهات لاعمال تتصل بتخريب الثقافة الوطنية والتجسس ضد أمن الدولة .»

عدوان ٥ يونيو .. ليس الاخير

واجه الاستعمار العالمي وضعا جديدا منذ أوائل الستينات ، تزايدت فيه أخطار تقويض مصالحه حيث أصبح محاصرا . وزاد ذلك من العراقيل أمام محاولاته لتحقيق هدفه الثابت بضرب النظام الاشتراكي العالمي .. الخطر الاكبر والرئيسي عليه ، وخاصة بعد أن نجحت الدول الاشتراكية في تفتيت الحصار الذي كان قد فرض من حولها (٥٢) وأقامت علاقات صداقة قوية مع دول العالم الثالث .»

وبعد فشل محاولة الثورة المضادة في المجر عام ١٩٥٦ التي كان يقف في مساندتها الاستعمار العالمي ، اعادت قوى الاستعمار النظر في تاكتيكاتها لتحقيق هدفها الثابت . وزاد من خطورة ثقل الدول المستقلة في المجال الدولي على حركة الاستعمار ، منذ بدا واضحا في اوائل الستينات أن قضية التغيير الاجتماعي قد طرحت للتطبيق في بعض الدول المستقلة . وهنا كانت نظريات «حافة الهاوية» و «الحروب المحدودة» ، هي الصياغة الاستعمارية لتاكتيك المواجهة ضد عالمي الاشتراكية والتحرر الوطني بادئا بالاخير . وفي هذا الاطار ، نستطيع ان نفهم الغزو الاستعماري للكونجو في أعوام ١٩٦٠ ــ ٦١ ــ ٦٤ ، والغزو الامريكي للدومينيكان ١٩٦٥ ، واسقاط حكومة مسز باندرانيكة في سيلان وحكومة جولارت في البرازيل . يضاف الى هذه المعالم الرئيسية للهجوم الاستعماري ، محاولات التآمر ضد الثورة في الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها ، والتآمر ضد الحكم الوطني في سوريا وفي لاوس وكامبوديا والكونجو برازافيل وتانزانيا وغينيا .

ونستطيع ان نقول بعد الربط بين هذه الحقائق أن الاستعمار العالمي قد حول دول العالم الثالث الى ميدان أساسي للصراع في هجومه المضاد لتحقيق هدفه الثابت . وخاصة بعد ان خففت سياسة التعايش السلمي ــ في تطبيقاتها حتى الان من حدة صراع المعسكرين .

والمقطوع به ــ كما تدل شواهد الامور ــ ان الاستعمار العالمي مصر على ضرب مواقع التحرر الوطني وتصفية حسابه مع هذه المواقع التي تمردت عليه وخرجت من دائرة نفوذه وباتت تشكل نماذج ملهمة للشعوب التي لم تسلك نفس مسارها بعد .

عدم انحياز .. بين من ومن ؟

وامام هذه الوضعية الجديدة ، يجوز لنا أن نقول أن مفهوم عدم الانحياز في حاجة الان الى اعادة نظر ودراسة ، على ضوء الواقع الموضوعي الجديد . والسؤال الذي يطرح نفسه تلقائيا هنا هو : عدم انحياز بين من ومن ؟ بين دول اشتراكية صديقة تقف الى جانب دول التحرر الوطني وتساندها .. ودول استعمارية معادية تشحذ أسلحتها للانقضاض على دول التحرر الوطني بشكل مباشر !

أن بلادنا — كواحدة من القلاع الطليعية للعالم الثالث — تحدد سياستها الخارجية فى اطار ما حدده الميثاق حيث يقول :

« الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ، بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع اقنعته ، ومحاربته فى كل أوكاره » .

« والعمل من أجل السلام ، لان جو السلام واحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى » .

« ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء . فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما انه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره » .

وتعنى هذه الخطوط جميعها ، العداء الكامل للاستعمار العالمى،والصدام بمخططاته سواء اذا حاول تنفيذها فى بلادنا أو فى أى مكان آخر . و من ثم فنحن ضد سياسته وتحركاته على طول الخط وهو — بالتالى — ضدسياستنا علىطول الخط.

نحن منحازون .. ضد الاستعمار والاستغلال

ولكن .. الى جانب من ننحاز ؟

اننا منحازون بالضرورة ، مادمنا مصرين على عدائنا للاستعمار ، والمساهمة فى جهود تصفيته كنظام الى جانب مساهمات الشعوب المناضلة الاخرى ، ومادمنا كذلك مصرين على المضى فى طريق البناء الاشتراكى لاستكماله .

اننا منحازون الى جانب الشعوب المكافحة من أجل استقلالها .. الى حدود حملها السلاح فى وجه المستعمرين .

اننا منحازون الى جانب حق كل شعب فى تقرير مصيره وأسلوب بناء حياته .. بنفسه وبدون تدخل خارجى .

اننا منحازون الى جانب الشعوب ضد العدوان الاستعمارى عليها .

اننا منحازون الى جانب مطالبة الشعوب وكفاحها ضد القواعد العسكرية الاجنبية .

اننا منحازون الى جانب الشعوب فى كفاحها ضد التفرقة العنصرية .

اننا منحازون الى جانب الشعوب ضد استغلالها،ومع حقها الكامل فى ثرواتها الطبيعية .

اننا منحازون الى جانب الشعوب وهى تبنى تقدمها الاجتماعى .

لقد تغير الوضع فى اندونيسيا ، مما كان له اثره على ثقل حركتها فى السياسة الدولية . واصبحت الهند — بتأثير مشاكلها الداخلية المعقدة — أقل قوة وتأثيرا مما كانت عليه فى عهد نهرو .

أما يوغوسلافيا فقدحسمت وضعيتها بدون تردد لحظة استشعار الخطر وعندما كاد الموقف فى الشرق الاوسط يتسع الى حدود دولية ، فوقفت كواحدة من الاسرة الاشتراكية العالمية .

وبقى أن تجد بلادنا «صياغة جديدة» تنسجم فيها خطوط سياستها الداخلية مع سياستها الخارجية كما حددها الميثاق . وبالتحديد تنسجم مع ذلك التطور الفكرى الكبير فى حياتنا منذ عام ١٩٦٢ — حيث صدر الميثاق — وحتى اليوم .

جبهة عالمية .. معادية للاستعمار

ويجوز لنا ان نتساءل هنا: هل هناك ضروريات أساسيه تتطلب منا ان نخلق تجمعا لدول العالم الثالث ؟ ولست ممن يعتقدون بان هناك مثل هذه الضروريات . ان حركتنا فى اطار منظمة الوحدة الافريقية على المستوى الافريقى الرسمى ، وفى اطار منظمة تضامن شعوب القارات الثلاث الشعبى ، فضلا عن الامم المتحدة .. هى كلها جسور لعلاقتنا بالعالم الثالث .

وفوق ذلك كله ، ماأحوج قضية شعبنا ، وقضايا شعوب العالم الثالث كله ، الى خلق **جبهة عالمية معادية للاستعمار** ، تنسق داخلها كل الدول ذات النظم والاهداف المعادية للاستعمار ومصالحه — سياستها وحركتها الدولية .

أن الواقع الدولى الراهن ، فى اشد الحاجة الى تكوين مثل هذه الجبهة العالمية التى تضم دول المعسكر الاشتراكى جميعها الى جانب المواقع الثورية والوطنية لدول العالم الثالث والتى يتم فيها تعاونها الوثيق على أساس من الاحترام الكامل المتبادل ، ومعاملات الند للند السياسى والاقتصادى بل والعسكرى فى مواجهة مخططات الاستعمار العالمى وتنسيق مواقعه . ولسنا فى حاجة الى التأكيد على أن مثل هذا التنسيق ، لا يقوم على أساس من التبعية او حتى العمل

بالمثل القائل «انصر اخاك ظالما أو مظلوما » .. فشعبنامع قضايا الحرية والتقدم والسلام والمدافع .. بدون تردد وفى كل مكان ، وبقدرتلاحم حركة هذه الجبهة العالمية — سياسيا واقتصاديا وحتى عسكريا — بقدر ما تتحطم مخططات الاستعمار على صخرتها ، لتبقى كل قلاعها صامدة وقادرة على استكمال بناء حياتها بالكيفية التى تختارها شعوبها .

وهنا نصل الى السؤال الذى طرحناه فى أول هذه السطور: هل نقيم علاقتنا بدول العالم الثالث على أساس موقف كل منها من اسرائيل ؟

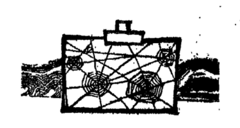
واقول على الفور ، أن هذا المقياس غير ثابت فكم من دولة غيرت من موقفها المؤيد لاسرائيل فى البداية الى موقف الانحياز الكامل الى حقوق العرب العادلة وحريتهم . والتطور الذى طرأ على موقف مالى وغينيا وتانزانيا .. مثلا واضحا لذلك .

على اى اسس اذن نقيم هذه العلاقة ؟

● **تجربتنا هى الاساس :** تحاول اسرائيل أن تقدم نفسها لدول العالم الثالث على انها الزعم بانها تجربة اجتماعية متقدمة تملك من الامكانيات والخبرات الفنية ، ما يمكن أن تمد بها هذه الدول وتلك قضية تحد يتوقف تفوقنا فيها على مدى نجاحنا فى تطبيق الاشتراكية على اسس علمية سليمة . فبقدر ما ننجز من تقدم اقتصادى واجتماعى ، وبقدر مواقفنا من تأييد ومساندة قضايا العالم الثالث ونضال شعوبه ومساهمتنا فى حل مشاكله، بقدر ما نكسب من تأييد ومساندة هذه الشعوب. وعلينا أن نقدم تجربتنا الاجتماعية — بعيدا عن مواجهة الفكر العنصرى الاسرائيلى بفكر عنصرى عربى — كنموذج طيب يمكن أن يحتذى .

● **نوعية النظام :** ان تقوم علاقتنا بنظم العالم الثالث ، على اساس مدى تقدمية وثورية نظام كل دولة منه . نوطد علاقتنا بالنظم التقدمية فيه، وننسق معها سياساتنا — بشتى مجالاتها — فى العالم الخارجى . ويمكن أن نخلق مع هذه النظم الثورية ، أشكالا من الاسواق المشتركة أو الاتحادات الاقتصادية .

● **مع الحركات الوطنية والثورية :** اما مع تلك النظم الرجعية التى تحكم بعض بلاد العالم الثالث ، فاننا ندعو الى اقامة جسور قوية من العلاقات بين تنظيمنا السياسى ، والاحزاب الوطنية والثورية فيها .. سعيا وراء تدعيم علاقات شعبنا بجماهير شعوب هذه الدول .





تطور "الفولكلور" العربي في مصر



أحمد رشدي صالح

في السنوات الأخيرة من حياتنا ، دخلت اللغة العربية كلمات جديدة في الفن والادب والثقافة والعلوم الانسانية والطبيعية . ومن هذه الكلمات الجديدة ، مصطلحات «فولكلور» و « المأثورات الشعبية » و «الاداب الشعبية» و « الفنون الشعبية » .. الخ . والحقيقة اننا نؤرخ لميلاد حركة الفنون الشعبية بمعناها العلمي الحديث بالفترة التي تبدأ بتفجير ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في التاريخ المصري ، والعربي ، على اتساعه .

ويدعونا الى هذا ما يلي :

اولا : ان النتائج التاريخية العظمى التي احدثتها ثورة ٢٣ يوليو ، قد اوجدت الظروف الموضوعية الصالحة لميلاد حركة ثقافية ، ذات اتجاه علمي عصري ، ومضمون قومي .

ثانيا : ان الدولة ، دخلت – لاول مرة في تاريخنا – ميدان الفنون والعلوم ، بوصفها راعية ، وقائدة ، ومسئولة عن تخطيط اوجه نشاطها ، والانفاق عليها . ولولا هذا التحول العظيم ، لما كان من الممكن ان تنشط حركة الفنون الشعبية على مستواها العلمي او الفني ، او الفكري .

والحقيقة كذلك .. ان ميلاد حركة الفنون الشعبية عندنا ، قد ارتبط بيقظة الروح القومية العربية . ويذكرنا هذا بما حدث في اوروبا اثناء القرن التاسع عشر ، وما حدث في البلاد الاسيوية والافريقية والامريكية اللاتينية عندما استعادت سيادتها ، واستقلالها ، واصبحت مسئولة بارادتها عن ممارسة وجودها القومي .

نظرة تاريخية

وقد يكون واجبا ان نلقي نظرة عامة على نشوء هذا الاتجاه الثقافي الجديد الذي يتلخص

فى العناية بالمأثورات والفنون الشعبية ، فمع ظهور الثورة الصناعية فى اوروبا ، وظهور الحركة الرومانسية (اللابتداعية) بدأ نفر من المثقفين ، يبذلون جهودهم فى الكشف عن التراث الشعبى — وكانوا يسمونه فى اول الامر — بالاثريات الشعبية .

وكان السبب الذى دعاهم الى بذل هذه الجهود ، مزيجا من الحنين الى الماضى ، ومن الخوف من ان تقضى الثورة الصناعية على الموروثات الاصيلة . غير ان أهم الاعمال الرائدة حينذاك قام بها عالمان المانيان هما يعقوب وويلهلم جريم ، اللذان انفقا خمسين سنة يعملان معا ، يجمعان مفردات اللغة الالمانية الدارجة ، والحكايات الشعبية ، والاساطير الجرمانية .

وقد اعتبرت جهود الاخوين جريم ، بداية علم جديد — هو علم الفولكلور — او علم المأثورات الشعبية .

ولا نحتاج الى ان ننقب كثيرا عن الاسباب التى دعت هذين العالمين الى بذل هذا الجهد الطائل فى جمع مواد الاداب الشعبية والالمانية ودراستها ، والتأليف فى اجزومية اللغة الالمانية ولهجاتها ، او المعتقدات الاسطورية ، والحكايات الخرافية ، وما اليها . والواضح ان هذه الجهود كانت ترتبط بعاملين اساسيين : الاول هو فلسفة العصر ، القائلة بانه ينبغى ان يكتشف الرجل المثقف الانسان العادى البسيط ، والثانى — والاهم — هو يقظة الروح القومية فى المانيا ، ذلك ان هذه الجهود وغيرها من جهود العلماء الالمان ، كانت ترمى الى ابراز ثقافة الامة الالمانية وردها الى اصولها الجرمانية العريقة وقد صرح يعقوب جريم بان الذى دفعه الى الاهتمام بالمأثورات الشعبية انما هو حب الوطن .

وعندما ننظر الى انتشار حركة الفولكلور فى اوروبا خلال تلك الفترة ، سنرى أن هذا الدافع الوطنى ، قد حرك العلماء هنا وهناك ، لكى يؤكدوا ملامح الشخصية القومية لشعوبهم .

ومثال ذلك ما حدث فى فنلندة ، هذا البلد الصغير الذى كان يتعرض للغزو الخارجى من السويد ومن روسيا القيصرية ، والذى اتخذت الحركة الوطنية فيه ، طابع الدفاع عن التراث الثقافى الفنلندى ، فقام **الياس لونروت** وغيره ، بنشاطهم المعروف فى انشاء ودعم جمعية الاداب الفنلندية .

وفى نفس الوقت ، نشطت عمليات جمع القصص الشعرى البطولى . وتم الربط بين حلقاتها فى ملحمة كبرى بعنوان « **الكاليفالا** » — أى ارض الابطال .

وكان انشاء هذا العمل الملحمى ، ثم الدراسات العلمية التى تناولته ، جزءا لا ينفصل من حركة الاحياء القومية الثقافية .

كما ان الجهود العلمية المبذولة فى فنلندة ، قد انشأت منهجا عظيم الاثر فى دراسة الفلكلور — ذلك هو منهج المدرسة الفنلندية — او المنهج الجغرافى التاريخى .

وبالطبع يدين علم الفولكلور باسمه المعروف الى عالم آثار انجليزى هو جون ويليام تومز الذى صاغ هذه الكلمة لتحل محل تعبير « الاثريات الشعبية » . وكان ذلك فى الخمسينات من القرن الماضى .

وما لبثت هذه الكلمة ان عبرت البحر الى القارة الاوروبية وذاعت فيها ، اما بنصها الاصلى او فى شكل ترجمة الى اللغات الاوروبية الاخرى .

وما لبثت العلوم الانسانية والاجتماعية والنفسية ، والفلسفات السياسية ايضا ، ان تركت تأثيرها الكبير على حركة الفلكلور ، بحيث اصبحنا نميز بين مختلف المدارس العلمية التى تناولت هذا التراث الشعبى ، ونعرف الفرق بين المدرسة الانثروبولوجية والانثوجرافية والتاريخية والادبية والفنلندية وغيرها .

ومع تقدم القرن التاسع عشر ، حدثت تحولات فى ميادين العلوم الحديثة ومنها الفولكلور .. ولم يعد الهدف الذى يرمى اليه العلماء هو فقط التعرف على الحياة الشعبية فى بلادهم ، بل امتد هذا الهدف الى الكشف عن طبائع الشعوب الاخرى ، ومسالكها ، وعاداتها وتقاليدها . وخاصة فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية واستراليا .

ومع نمو الحركة الامبريالية ، لعب بعض هؤلاء العلماء والرحالة الاجانب ، القادمين من البلاد الاوروبية والامريكية ذات المطامع التوسعية — لعبوا ادوارا معروفة فى خدمة التوسع الامبريالى . ولعلنا نذكر ان أغلب الكتابات الفرنسية التى سبقت الحملة الفرنسية على مصر ، كانت من هذا القبيل ، وان بعض العلماء الانجليز الذين كتبوا عن عاداتنا وطبائعنا ، كانوا موفدين من هيئات استعمارية .

غير ان هذا التحول ، لا يعنى ان هذا العلم قد القى زمامه فى قبضة الذين كانوا يريدون أن يسخروه لاغراض التوسع بل حدث — وفى نفس الوقت ان اشتد استخدام هذا العلم لمصلحة الشعوب ذاتها ، وخدمة تراثها وشخصيتها ، وفى

اثراء الحركة الثقافية الوطنية . وهذا الأمر ، هو الذى ظهر — منذ ثلاثينات هذا القرن ، ثم اشتد كثيرا ،مع اهتمام الدول الاسيوية والافريقية المستقلة حديثا ،بالتنقيب عن ماثوراتها الشعبية. واصبح الفولكلور الان من اهم العلوم التى تعنى بها المجتمعات الوطنية والاشتراكية .

حركة الفنون الشعبية العربية

والذى لاشك فيه ان حركة الفنون الشعبية، تمثل وجها بارزا فى مسيرة هذا العلم على المستوى القومى والعالمى معا .

ومن الممكن ان نميز بين مرحلتين اساسيتين فى تاريخ هذه الحركة :

المرحلة الاولى فنسميها مرحلة الريادة قديما وحديثا . واما المرحلة الثانية فنسميها مرحلة الاتجاه العلمى الى الفنون الشعبية — وهذه المرحلة تبدأ بثورة ٢٣ يوليو وما احدثته من تحولات عظمى فى مصر ، وفى العالم العربى كله .

مرحلة الريادة القديمة

وعندما ندرس كتب الادب والتاريخ والموسوعات العربية ، نكتشف اشارات هنا وهناك الى ما نسميه بالعوائد والطبائع واللهجات الشعبية لكن المؤلفين لم يكونوا يقصدون هذه المادة لذاتها .

ومع ظهور حركة التوليد فى الادب والشعر العربى . وظهور فنون المواليا ، والازجال والموشحات ، ومع ترجمة الف ليلة الى اللغة العربية ، بدأت الكتابات العربية فى العصور الوسطى ، تقدم فصولا كاملة من هذه الانواع الادبية . كما ان المخطوطات المكتوبة ، والتى تعود بجذورها الى فترة تدوين الاعمال الشعبية الكبرى — القرن الثانى عشر وما بعده — كل ذلك قد حفظ لنا ذخائر من الحكايات وبابات خيال الظل والازجال والامثال والاغانى الخ .

ولعل ابن خلدون ان يكون اهم مفكر غربى انتبه الى قيمة هذا التراث وابدى فيه ملاحظات ثاقبة ، وذلك فى كتابه العظيم « المقدمة » .

الريادة الحديثة

ومع مطلع القرن التاسع عشر اخذت بوادر مختلفة تبدو على التوالى ، فنحن نعرف مثلا ان **رفاعة الطهطاوى** ترجم كتابا فى العوائد ، ونعرف ان الشيخ **محمد عياد الطنطاوى** الذى اشتغل مدرسا فى جامعة بطرسبورج ، قد نشر بحثا فى كلام العامة ، ونعرف ان بعض ادباء الفصحى ، قد قدموا لمؤتمرات المستشرقين بعد ذلك ابحاثا فى العامية ، ثم نعرف ان احمد تيمور قام بجهد عظيم ، فى جمع مجموعات من الامثال ، والكنايات ، كما وضع قاموسا فى مفردات اللغة العامية .

لكن هذا كله ، كان يدور فى دائرة « تنقية اللغة الفصحى » من اللحن .

وفى فترة ما بين الحربين ، ظهرت مقالات فى الهلال والرسالة والثقافة تشير الى التراث الشعبى . اما فى فترة الحرب الثانية وما بعدها الى ١٩٥٢ ، فقد خطت الدراسات فى هذا الميدان خطوات اكثر تقدما ، واغزر فائدة . ومن ذلك المقالات التى نشرتها الثقافة عن الحكايات والاشعار الشعبية وازجال بيرم التونسى ، ومنها هذه الجهود الجامعية الرائدة التى تتمثل فى رسائل الماجستير والدكتوراه ، **للدكتورة سهير القلماوى والدكتور عبد العزيز الاهوانى والدكتور عبد الحميد يونس** . وكان محور هذه الرسائل ، هو البحث الادبى ، فى فنون الحكاية ، والزجل ، والسيرة . وكان المنهاج المسيطر عليها هو منهاج التفسير الادبى البحت . غير ان اعداد هذه الرسائل ، ونشرها يحمل مدلول الريادة فى هذا الميدان الجديد الذى كان يوشك ان يتفتح ، ويرتبط — ليس بدراسة الادب وحده — بل بدراسة علم الفلكلور ، والعلوم الانسانية والاجتماعية . بل كان يوشك ان يرتبط كذلك بالتحول الاجتماعى والفكرى فى بلادنا .

المرحلة العلمية الحديثة

وهكذا ، نطرق ابواب المرحلة المعاصرة ، التى تبدأ كما قلنا بثورة ٢٣ يوليو .

وتمتاز هذه المرحلة بنشوء تيار متصل — علمى وفنى — يتجه نحو التكامل ، ويرتبط بالتحولات التاريخية والاجتماعية التى تحدث فى مصر وفى العالم العربى كله . ذلك ان الاهتمام بالفولكلور اصبح ضرورة تمليها ظروف حياتنا ، واصبح كذلك تعبيرا اصيلا عن مساندة الشعب لممارسة حياته الجديدة .

وعندما نذكر ان ثورة ٢٣ يوليو ، هى التى اوجدت هذه المرحلة ، ورسمت حدودها . وميزتها

على المرحلة السابقة ، فاننا نعنى انها خلقت ظروفا موضوعية تاريخية للتطور الفكرى والاجتماعى الذى فرض ويفرض الاتجاه الى حياة الشعب ، وميراثه ، وفنونه . بهدف دعم شخصيته وتأصيل الطابع القومى فى الانتاج الفنى والثقافى ، وربط الحاضر بالماضى والمستقبل . واثراء حياتنا ، بهذا التراث الذى ابدعته اجيال متوالية من الاباء والاجداد .

وبالطبع ، لم تكن هناك ، خطة مسبقة ، لانشاء هذا الاتجاه . بل الاحرى ان التغييرات العظمى التى فجرتها ثورة ٢٣ يوليو ، هى التى اوجدت هذا الاتجاه المتصل المتزايد . او قل ان التحولات التاريخية هى التى افرزت هذه الظروف والاهتمامات . ومن خلال العمل نفسه ، وتطور التجربة فى مجال الدراسة العلمية ، والفن ، تكاملت صورة ما يحدث الان فى البلاد العربية ، فى هذا المجال .

الفنون الشعبية فى مصر

وعندما صدرت بعض الدراسات فى الادب الشعبى المصرى عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، قوبلت باستعداد موضوعى كبير ، لتنمية هذا النوع من الدراسات ، وتوسيع ميادين الاهتمام بالميراث الشعبى — من مجال الادب وحده الى مجالات الفنون واللهجات — بل الى مجالات الثقافة ، والخدمة الثقافية والفنية التى تقدمها الاجهزة الحكومية لجمهور المواطنين . وبدأت مصلحة الفنون من ناحية والمجلس الاعلى للاداب والفنون من ناحية ثانية ، خطوات ذات اثر . ففى المسرح قدمت مصلحة الفنون بوزارة الارشاد اوبريت « **ليل ياعين** » الذى سيذكر كثيرا فى تاريخ فرق المسرح للفنون الشعبية الغنائية الراقصة .

وانشأ المجلس الاعلى منذ بداية تكوينه لجنة خاصة بالفنون الشعبية ضمت ١٦ عضوا من المعروفين بجهودهم المرموقة فى هذا الميدان وهم الدكاترة سهير القلماوى وعبد العزيز الاهوانى وعبد الحميد يونس ومحمود الحفنى ، والاساتذة نفيسة الغمراوى واحمد رامى وبيرم التونسى ورميسيس ويصا وسعد الخادم وعلى كامل الديب وكاتب هذا المقال .

ومن تشكيل هذه اللجنة ، يبدو واضحا ان مجال عملها هو الفنون الشعبية بمعناها الواسع الذى يشتمل على فنون القول (الادب) والموسيقى والرقص والفنون التشكيلية . ووظيفة هذه اللجنة ان تتقدم بالمقترحات لتنمية نشاط الفنون الشعبية ، والعناية به .

ومن اهم ما اقترحته اللجنة :

- انشاء مركز للفنون الشعبية .
- ادخال دراسة الفنون الشعبية فى الجامعة والمعاهد العالية .
- تخصيص جوائز ضمن خطة مجلس الاداب لتشجيع الفنون — لجمع مواد الفنون الشعبية .
- حصر المراجع والدراسات ومجموعات النماذج الشعبية .

مركز الفنون الشعبية

انشىء هذا المركز وباشر عمله اواخر عام ١٩٥٧ وقد حدد القرار الوزارى الصادر بانشائه الاهداف التى ينبغى له ان يحققها واهمها :

- جمع وتسجيل مواد الفنون الشعبية من بيئاتها الاصلية ، وطبقا لطرائق الجمع العلمية المأخوذ بها فى الهيئات الدولية النظيرة للمركز .
- اتاحة هذه المواد ، للفنانين والباحثين ، لكى يستفيدوا منها فى دراساتهم .
- اعداد جيل من الباحثين والدارسين للفنون الشعبية .
- توثيق الصلة بالهيئات العربية والدولية العاملة فى هذه الميادين .

وعلى الرغم من وجود صعوبات مختلفة ناتجة من حداثة هذا العمل . فقد استطاع المركز أن ينجز ما يلى :

- سجل باجهزة التسجيل الصوتى ما يصل الى الـ ٥ آلاف نموذج من الاغانى والاشعار والامثال والاقوال والحكايات .

وقد سار المركز فى عمليات التسجيل على اساس « اختيار عينات » من فنون القرى والصحراء والسواحل والنوبة . وبمعنى آخر ، فانه لم يطبق طريقة التسجيل الشامل ، لان هذه الطريقة لم تكن مناسبة لبداية العمل ، ثم لم تكن مطلوبة .

- انشأ اول مكتبة متخصصة فى الفولكلور تضم الان اكثر من ثلاثة الاف مرجع اهمها مصادر اساسية انجليزية وفرنسية والمانية واسبانية — ودوريات الفولكلور خاصة مجموعة

مجلة الفولكلور التى اصدرتها جمعية الفولكلور الانجليزية على مدى ٨٢ عاما .

● أصدر عددين من اول دورية عن الفولكلور المصرى .

● اوفد ثلاث بعثات لدراسة الفولكلور فى جامعات اوروبا وامريكا .

● اقتنى مجموعة من الاسطوانات العربية تصل الى اكثر من الالف اسطوانة .

● انشأ مجموعة متحفية ، كنواة لمتحف كامل يتم بعد ذلك .

● اتم عددا من الافلام السينمائية التسجيلية عن رقصات البدو فى الصحراء الشرقية وغزة .

لكن انشاء المركز ، كان وما يزال بداية لمرحلة طويلة وشاقة . تلك هى مرحلة جمع النماذج الشعبية وتصنيفها ودراستها والاعلام عنها وتدريب أجيال من الباحثين والدارسين .

معهد الفنون الشعبية

ولست اتصور او افهم ، أن يقف هذا الجهد عند حد انشاء مركز وثائقى ، لانه ليس المفروض ان يكون مصير « الفنون والعادات والحياة الشعبية » ان توضع فى المتاحف أو تطوى فى الدفاتر ، او تبقى مقيدة على الاشرطة . والمفروض ان تصبح « مادة » حية ، نستخدمها فى الدراسة ، وفى انشاء الفنون والاداب ، وفى التعبير الفنى عن انفسنا . ولذلك كان لابد من انشاء معهد للفنون الشعبية ، ثم كان لابد من ان ننقل هذه الفنون الى اطار الخدمات الفنية والثقافية التى تقدمها أجهزة الثقافة والاعلام ، للمواطنين .

واما المعهد فقد كان لى شرف التقدم باقتراح انشائه . وكان اول نداء ظهر داعيا لاقامته ، ضمن مقال نشرته لى مجلة التعبئة التابعة للقوات المسلحة وكان ذلك عام ١٩٥٤ .

وبعد ذلك عكفت على دراسة انظمة معاهد الفولكلور فى اوروبا وامريكا . واستخلصت منها ومن طبيعة التجربة المصرية ، خطوطا عامة لهذا المشروع .

وفى سنة ١٩٦٢ ، تقريبا ، احتضنت وزارة الثقافة هذه الفكرة ، وكونت لجنة لوضع مشروع كامل ، وكانت اللجنة تتالف من المهندس حسن فتحى وعبد الغنى ابو العينين مدير مركز الفنون الشعبية وقتذاك ومن كاتب هذا المقال .

وقد اتمت هذه اللجنة وضع مشروعين **أولهما:** يشتمل على خطة المعهد وبرامجه ولائحته ونظمه الاساسية . والثانى : يشتمل على الانشاءات المعمارية اللازمة .

واشترت وزارة الثقافة حوالى ٢٠ فدانا فى مدينة الفنون لاقامة المعهد عليها ، واتم المهندس حسن فتحى وضع التصميمات اللازمة ، بل لقد سار حسن فتحى وعبد الغنى ابو العينين فى التخطيط لانشاء متحف مكشوف للفولكلور على غرار متحف سكانسن . وكان المفروض أن يتم المعهد لتصبح مدينة الفنون ، مدينة مستكملة ، ولتكتسب الحركة العلمية والفنية ، جانبا مهما جدا ، هو جانب الاستناد الى الموروثات القومية والحياة الشعبية .

لكن ظروفا مختلفة طرأت على الحياة الثقافية فادت الى اهمال هذا المشروع الجليل ، الذى اعتقد أن حياتنا الثقافية ستظل ناقصة ما دام هذا المعهد لم يفتح ابوابه للطلبة والباحثين .

فرقة المسرح للفنون الشعبية

ومن أهم الخطوات التى تمت فى مجال الفن الشعبى انشاء فرق المسرح للفنون الشعبية ، سواء منها الفرق الكبيرة وهى فرقة رضا للفنون الشعبية والفرقة القومية للفنون الشعبية ، أو فرق المحافظات والهواة واهمها فرقة الاسكندرية ، وفرقة البحيرة ، وفرقة بورسعيد ، وفرقة المنصورة وغيرها .

ونحن نلاحظ ما يلى :

● ان هذه الفرق سرعان ما جذبت اليها جمهورا واسعا . يصل حجمه الى ثلث حجم جمهور المسرح عموما . ان لم يزد على ذلك .

● انها استطاعت ان تقدم برامج تجمع بين التسلية والتوجيه ، وبين المتعة الفنية والفكر ، وقد لعبت — وتلعب — دورا هاما ، فى تقريب الفن المسرحى الى مادة الفن الشعبى .

● انها استطاعت كذلك ان تترك اثرا ممتازا فى الرأى العام العالمى ، عن طريق الرحلات الخارجية التى قامت بها فرقة رضا والفرقة القومية للفنون الشعبية .

وقد اتيح لى ان اتولى الاشراف على الفرقة القومية للفنون الشعبية ، اثناء اشتراكها فى مهرجانات اسبانيا الدولية عام ١٩٦٤ ، وان ارى بنفسى كم كان امتيازها ضخما ، وتأثيرها قويا جدا ، الامر الذى جعل التليفزيون الاسبانى يلتقط افلاما لرقصاتها ، يذيعها على شبكة التليفزيون الاوروبى والشمال الافريقى ، ويعرضها لمدة اسبوعين كاملين فى جميع دور السينما الاسبانية، ثم ان استقبال الصحافة للفرقة ، وتأكيدها لامتيازها ، قد ظهر فى سلسلة المقالات والتحقيقات الصحفية التى بلغت اكثر من ٤٠ مقالا وتحقيقا .

وقدمت نفس الفرقة بنجاح كبير برامجها فى مهرجان داكار (بالسنغال) عام ١٩٦٥ .

واحرزت فرقة رضا ، نجاحا وامتيازا ، مساويا ، وواسع المدى ، لانها قامت برحلات واسعة فى آسيا واوروبا وامريكا وبعض البلاد الافريقية والعربية .

ومستقبل هذه الفرق جميعا ، يبشر بان يكون مستقبلا غنيا ، وان كان يفرض علينا ، ضرورة انشاء المعهد القومى للفنون الشعبية .

المهرجان العربى الدولى الاول للفنون الشعبية

وفى سنة ١٩٦٥ ، نظمت القاهرة اول مهرجان عربى دولى للفنون الشعبية المسرحية واشتركت فيه اسبانيا واليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا والبانيا والمجر واليابان والجمهورية العربية المتحدة . وقد اكد انعقاد هذا المهرجان، ان امام الفنون الشعبية العربية مجالات ضخمة، تستطيع انجازها بنجاح كبير .

الدراسات ..

وشهدت السنوات الـ ١٥ الاخيرة ، صدور عدد من الدراسات العلمية الهامة ، فقد اضيف الى دراسة الدكتورة سهير القلماوى عن الف ليلة ، ودراسة الدكتور عبد العزيز الاهوانى عن الازجال الاندلسية ، ودراسات الدكتور عبد الحميد يونس عن الهلالية ، ودراسات فى الادب الشعبى والفنون الشعبية وضعها كاتب المقال ، وترجمات ودراسات ، فى علم الفلكلور والادب الشعبى للاستاذ فوزى العنتيل وفاروق خورشيد ، كما ان المطابع توشك ان تصدر ترجمة كتاب علم الفولكلور **لالكزاندر كراب** ، وترجمة كاتب هذه السطور . وفى الفنون التشكيلية والتعبيرية ، صدرت مؤلفات الاستاذ **سعد الخادم** عن الازياء والصناعات الشعبية ، والسيدة **نفيسة الغمراوى** عن الحركات التعبيرية .

واخذت المجلات ، تنشر بين الحين والحين ، مقالات علمية فى الاداب والموسيقى والفنون والطبائع والعادات الشعبية .

وينبغى ان نذكر هذا الجهد الممتاز الذى يتمثل فى اعداد مجلة الفنون الشعبية التى يراس تحريرها الدكتور عبدالحميد يونس — فهذه المجلة سدت فراغا كبيرا ، بعد ان توقفت مجلة مركز الفنون الشعبية التى كانت تحمل عنوان «الفنون الشعبية » والتى صدر منها عددان حوليان كما قلنا . كما ينبغى ان ننوه بجهود بعض شباب الدارسين ومنهم الاستاذ صفوت كمال الذى نشر عددا من الفصول ذات القيمة ، وينشر الان كتابا عن الفولكلور الكويتى حيث يعمل خبيرا للفنون الشعبية هناك .

برامج التليفزيون والاذاعة

وافردت وسائل الاعلام الهامة — التليفزيون والاذاعة — مساحات ظاهرة من برامجها للفنون الشعبية ، التى قدمتها فى شكل دراسات او برامج متنوعات ، او برامج ثقافية — ونخص بالاشارة برنامج « الفن الشعبى » الذى بدأ مع بداية التليفزيون واستمر حتى الان ، وقد اظهر مواهب مخرج شاب هو **شوقى جمعة** ، كما اعان على نجاحه تقديم سميرة الكيلانى له . ونذكر ايضا برامج اذاعة مع الشعب وغيرها فى هذا السبيل . ونتوقع ان يزيد حجم وعمق هذه البرامج بعد ان تولى فاروق خورشيد — احد كبار المعنيين بالسير والملاحم الشعبية — شئون هذه الاذاعة .

الدراسات الجامعية والتعليمية

ومن أبرز ملامح التأثير الذى مارسته الفنون الشعبية فى بعثها الحالى ، انشاء كرسى للادب الشعبى القومى فى كلية آداب القاهرة ، وتولى الدكتور عبد الحميد يونس هذا المنصب العلمى الرائد ، وما انتجه اهتمام قسم اللغة العربية بآداب القاهرة — وفيه سهير القلماوى والاهوانى ويونس — من ظهور عدد من رسائل الماجستير

والدكتوراة التى تعرضت بالبحث العلمى لجوانب من الادب الشعبى ، والاغانى ، وادب العاميات.

كما ان وزارة التعليم العالى كانت قد درست ادخال مادة الفنون الشعبية فى برامجها التعليمية .

ويبذل المعهد العالى للتربية الرياضية الذى تتولى عمادته نفيسة الغمراوى جهودا متصلة خصبة فى جمع مادة التعبير الحركى الشعبى وتحليلها والاستفادة منها فى العمل الفنى .

تأثير حركة الفنون الشعبية على الفنون الاخرى

والواقع ان حركة الفنون الشعبية ، قد مارست تأثيرا متزايدا على الفنون الاخرى المثقفة ، وكان فن الرسم والنحت والزخرفة ، اسرع الفنون الى التأثر بهذا التيار الجديد ، وانعكس ذلك احيانا ، ليس فقط فى عمليات الخلق ، بل فى اهتمام الفنانين التشكيليين بدراسة نماذج الفن التشكيلى الشعبى كنماذج العرائس وخيال الظل والدمى .

وظهرت محاولات — مبتدئة — فى تطوير الالحان الشعبية . لكن مشكلة الموسيقى فى نظرى ، هى اولا مشكلة استخدام الالات التى تعطى اللحن الشعبى . والى ان يتم دراسة الالات الشعبية الوترية والايقاعية وآلات النفخ ، والى ان يتم دراسة امكانياتها وتطويرها ، واستعمالها استعمالا حديثا ، فستظل عملية تطوير الاغانى الشعبية ، عاجزة عن ان تكتسب تلك الحيوية والاعماق التى تكتب لها البقاء والتقدم ، او التى يمكن ان تضعها على قدم المساواة مع الاعمال المشابهة التى حدثت فى اوروبا وخاصة فى المجر على يد زلتان كوداى وبيلا بارتوك وغيرهما .

العلاقات بين الفن الشعبى فى مصر والبلاد العربية

ولا نستطيع ان ننسى فى هذه العجالة ، العلاقات ذات التأثير التى تتم تلقائيا بين حركة الفنون الشعبية فى القاهرة ، وغيرها من البلاد العربية . فتحت تأثير الظروف العامة ليقظة الروح القومية العربية من ناحية ، والخطوات الريادية التى انجزتها مصر فى هذا الميدان ، توالت فى البلاد العربية ، اعمال مشابهة وبعضها امتاز على نظائره المصرية .

لقد اصبح للبلاد العربية مراكز للفنون الشعبية فى الكويت ودمشق والقاهرة . واصبح فيها فرق للفنون الشعبية المسرحية فى مصر والجزائر وسوريا ، وانضم الى المكتبة العربية دراسات علمية ممتازة حقا عن الاداب والفنون الشعبية فى نجد والجنوب العربى والعراق والكويت وسوريا ، والمغرب والجزائر وتونس .

واستطاعت بغداد ان تصدر سلسلة من مجلة « التراث الشعبى » اكثر عددا واغزر مادة مما صدر من امثالها فى البلاد العربية الاخرى . كما ان بعض الدارسين العرب ، فى جامعات مصر او فى الجامعات العربية الاخرى ، قد توفروا على دراسة هذه المأثورات الشعبية .

ملامح الوضع عامة

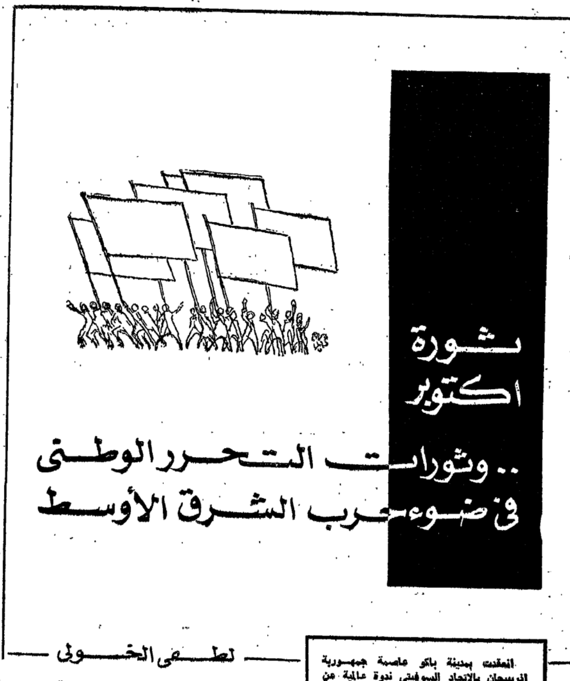
وهكذا يبدو ان الوضع بالنسبة للفنون الشعبية فى مصر وفى البلاد العربية ، هو « وضع التفتح » لميلاد تيار ثقافى وفنى قوى وجديد . وهو ايضا ذلك الوضع الذى يظهر بجلاء الارتباط الوثيق بين يقظة الروح القومية ونشاط الفنون الشعبية على المستوى العلمى والمستوى الفنى والفكرى .

وبرغم كل العقبات التى يولدها نشوء هذا التيار الجديد ، فانى وثيق الامل ، بان مستقبل الحركة الفنية والعلمية فى بلادنا العربية جميعا ، سيزيد من حالة ((التفتح)) . فمن غير المعقول ان يكون للامة العربية حضارتها المتصلة الاف السنين ، ومأثوراتها الشعبية الرائعة ، وذخائرها الصادقة التى توارثتها اجيال الشعب ، جيلا عن جيل ، ثم تستطيع ان تنساها او تهمل فيها .

ان هذا امر مستحيل تماما . بل العكس هو الممكن والمتوقع .

وكما قادت ثورة ٢٣ يوليو حياة الامة العربية نحو التقدم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الحقيقى ، فانها تقودها ايضا على طريق التقدم الثقافى والفنى .

وسيحتل الفن الشعبى دائما ، مكانه الواسع الاساسى ، لانه يلتصق باوسع قاعدة ممكنة وتلك هى حياة المائة مليون عربى فى وطنهم العظيم .



ثورة اكتوبر .. وثورات التحرر الوطنى فى ضوء حرب الشرق الأوسط

لطفى الخولى

انعقدت بمدينة باكو عاصمة جمهورية اذربيجان بالاتحاد السوفيتي ندوة عالمية عن علاقة ثورة اكتوبر بثورات التحرر الوطني. وقد شارك فيها عدد كبير من المناضلين ورجال الفكر والسياسة فى قارات آسيا وافريقيا وامريكااللاتينية بالاضافة الى ممثلين من البلاد الإشتراكية .

وقد مثل الجمهورية العربية المتحدة فى هذه الندوة التي استمرت من ١٩ — ٢٢ سبتمبر الماضى كل من خالد محيى الدين ويوسف السباعي ولطفى الخولى .

وننشر فيما يلى نص التقرير الذى قدمه الى الندوة لطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة .

١

هناك اكثر من حقيقة موضوعية تطرحها حركة التاريخ الانسانى فى القرن العشرين ، تكشف عن طبيعة العلاقة بين ثورة اكتوبر وثورات التحرر الوطنى ، وتحدد بالتالي ابعادها الراهنة وآفاق المستقبل .

ولعل **أول** هذه الحقائق تتجسد فى أن ثورة اكتوبر ، هى اول ثورة اشتراكية فى تاريخ البشرية تمكنت بنضال وتضحيات حزبها الماركسي اللينينى وجموع الطبقة العاملة بالتحالف مع الفلاحين والمثقفين الثوريين، ان تقيم وتثبت وتطور اول دولة اشتراكية فى العالم . وذلك فوق رقعة جغرافية ضخمة تمثل سدس مساحة العالم ،

وتصل خلال نصف قرن فحسب — برغم كل المصاعب والتحديات — الى مركز الصدارة العالمية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا وتكنولوجيا . وتقف اليوم موقف الند مع اقوى واغنى دولة في العالم تاريخيا حتى الان وهي الولايات المتحدة الامريكية . متخطية بوزنها دول الاستعمار التقليدية من امثال بريطانيا وفرنسا والمانيا .

وبذلك استطاعت ثورة اكتوبر — بتفجرها في روسيا القيصرية بالذات حيث الطاقة الشعبية الهائلة والمساحة الجغرافيه الهامه حجما واستراتيجيا والامكانيات والموارد الكبيرة — ان تبنى قاعدة مادية ومعنوية قوية وقادرة على دفع ومساندة حركة التقدم الانساني عامة ، وحركات التحرر الوطني خاصة خلال صراعها مع القوى الامبريالية .

وثاني هذه الحقائق هي ان ثورة اكتوبر لم تهدم النظام القيصري الاستعماري الشبه راسمالي الشبه اقطاعي فحسب ، بل عمدت جذريا في نفس الوقت على رفع نير الاضطهاد بمختلف صوره واشكاله ، والذى كانت تعانيه القوميات المتعددة ، وخاصة القوميات الشرقية في روسيا القيصرية .

وقدمت بذلك نموذجا رائدا لحل مشكلة القوميات حلا اشتراكيا يحقق لها التقدم والنمو في اطار من الحرية وحق تقرير المصير . ونسجت على ارض الاتحاد السوفيتي علاقات الاخاء والمساواة بين قوميات متعددة لاول مرة في التاريخ .

وتفاعلا صادقا مع هذه الخطوات كان في مقدمة ما اقدمت عليه ثورة اكتوبر فور انتصارها هو اعلان تنازل الدولة الثورية الجديده عن كل ما كانت روسيا القيصرية — كجزء من النظام الاستعماري العالمي — تملكه وتستغله من امتيازات ضد شعوب المستعمرات . وفتحت بالتالي امام هذه الشعوب المقيدة في الظلام نوافذ للضوء ، تتيح لها فرصا جديدة للرؤية والوعي والثقة في قدرتها وفي المستقبل معا . فان ثمة حليف حقيقي لها لاول مرة ، قد بدا يولد وينمو ويشرع في تحطيم السيطرة الامبريالية على العالم التي عاشت نهبا واستغلالا واستعبادا حوالي قرن من الزمان .

والحقيقة **الثالثة** تتحدد في ان ثورة اكتوبر قد انفجرت بقيادة لينين في اضعف حلقة من حلقات النظام الاستعماري . حيث كانت روسيا القيصرية في واقع الامر بلدا متخلفا اقتصاديا وتكنولوجيا الى حد بعيد . ولكن وطن الثورة الاشتراكية الاولى استطاع بفضل قيادة الحزب وعرق وجهد المناضلين وتعبئة كل الطاقات الشعبية — ومن خلال التخطيط الاشتراكي — ان ينمي ، بجهد منفرد ، الاقتصاد القومي والثروة التكنولوجية بمعدلات سرعة قياسية لم يسبق لها مثيل لصالح الشعب العامل كله . ويغدو خلال نصف قرن فحسب البلد الثاني في العالم من ناحية القوة الاقتصادية ، واول بلد في تاريخ البشرية يغزو الفضاء . واقام الاتحاد السوفيتي بذلك امام شعوب وبلدان التحرر الوطني ، نموذجا رائدا وواقعيا على مدى ماتملكه الشعوب ، مهما كانت درجة تخلفها ، من طاقات وامكانيات للتطور والتقدم اقتصاديا وتكنولوجيا . وذلك اذا ما تحررت من التبعية الاستعمارية . وانطلقت حركتها لبناء مجتمعاتها الجديدة لصالح الجماهير الشعبية العاملة لا لصالح طبقة متميزة ومستغلة .

وثورة اكتوبر لا تقدم لحركات التحرر الوطني اليوم مجرد النموذج المشع الحي فقط . بل هي تقدم ايضا حصيلة خبرتها النظرية والعملية في مواجهة التخلف والانتصار عليه ، مزودة بالمساعدات المادية والمعنوية الغير مشروطة . الامر الذى يسهم في تحقيق معدلات قياسية جديدة للنمو والتطور تتفاعل مع طبيعة سرعة العصر وتحدياته .

اما الحقيقة **الرابعة** فتتبلور في ان ثورة اكتوبر قدمت درعا فولاذيا للبشرية كلفها حياة ٢٠ مليونا من ابنائها واكثر من ٧٠,٠ الف مدينة وقرية وحوالي ٣٠٪ من ثروتها الوطنية ، ضد الزحف النازى العنصرى على العالم عامة وشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية خاصة ، خلال الحرب العالمية الثانية . واسهمت ، بمساندتها الاخوية ، في نجاح ثورات الشعوب الاشتراكية في اوربا الشرقية والصين وعدد من دول آسيا . وتحقق بذلك تحول الاشتراكية الى ظاهرة عالمية ونظام دولي . فلم تعد الاشتراكية جزيرة وحيدة محاصرة من القوى الامبريالية . وانما غدت نظما ذات كيان دولي في اوربا وآسيا . وقوى منتشرة ونامية في كل انحاء العالم بما في ذلك الدول الاستعمارية نفسها . بل اكثر من ذلك لم تصبح الاشتراكية العلمية هي نظرية البروليتاريا وحدها . وانما اصبحت موضع جذب شديد ومستمر لقوى شعبية اعرض واوسع وخاصة في البلاد التي تخوض معارك التحرر الوطني .

ومن هنا فقدت القوى الامبريالية قدرتها المحكمة السابقة على محاصرة القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني . واخذ الوضع ينقلب الى نوع جديد من المحاصرة تقوم به القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني ضد القوى الامبريالية . وتغيرت بالتالي ، نتيجة لهذا ، موازين القوى في العالم — لاول مرة — لصالح قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني بصفة عامة .

وتوالت حركات التحرر تهدر — بدرجات متفاوتة — في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . واجبرت القوى الامبريالية على قبول سياسة التعايش السلمي ، كبديل تاريخي للحرب النووية الشاملة . حيث لم تعد قادرة على التحكم فيها بمفردها وتوجيهها واشعالها بعيدا عن ارضها ومصالحها كما كانت الحال من قبل بالنسبة للحروب العالمية التقليدية .

٢

في ضوء هذه الحقائق الاربع ، يمكننا ان نقيم ونحلل تاريخ العلاقات بين ثورة اكتوبر وثورات التحرر الوطني خلال المراحل المختلفة للفترة الممتدة من عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٦٧ ، وان نضع اليد والعين والعقل على عوامل القوة وعوامل الضعف .. الايجابيات والسلبيات معا ، وذلك كله بهدف اساسي هو استخلاص دروس الخبرة المتعددة الجوانب من اجل التعميق الصحي والخلاق لهذه العلاقات وتجنيدها باستمرار في خدمة الثورة التقدمية للانسانية كلها .

ونستطيع — بادىء ذي بدء — ان نلاحظ ان حركة تحرر وطني ذات اهمية ، لم تتوفر الظروف الموضوعية لقيامها ، او على الاقل لنجاحها — بمفهوم النصف الاول من القرن العشرين — قبل انتصار ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ .

ويمكن في هذا الصدد ان نؤكد على امرين اساسيين :

اولهما : انه حتى عام ١٩١٧ كانت الغالبية الساحقة من شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ترسف في قيود التبعية الاستعمارية الكاملة ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا .

وثانيهما : ان حركات التحرر الوطني المعدودة التي انتفضت هنا وهناك على أرض هذه القارات الثلاث قبل عام ١٩١٧ ، قد اصابها الفشل وقمعت على الفور من جانب القوى الاستعمارية بسرعة وحسم ، بل انه حتى بدايات القرن العشرين كانت موجات الغزو والاحتلال العسكريين ما برحت تواصل تقدمها . ونستطيع ان نلمس ذلك في الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، وفشل حركة التحرر الوطني المصرية بقيادة احمد عرابي ضد هذا الاحتلال ، وكذلك في اخفاقات حركة التحرر الوطني الصينية بقيادة صن يات صن ، فضلا عن حركات اخرى في ليبيا والجزائر ضد الاستعمارين الايطالي والفرنسي ، واخرى في امريكا اللاتينية ضد الاستعمار الاسباني .

ويرجع هذا الاخفاق الى عدة عوامل في مقدمتها عدم تعمق الوعي القومي داخل هذه البلاد نتيجة تخلفها الاقتصادي والاجتماعي ، وسيطرة القبضة الاستعمارية بقوة محكمة على مقدرات العالم وحركته العامة دون منازع وقتذاك .

٣

وبعد اندلاع ثورة اكتوبر وبناء دولة الاشتراكية الاولى على انقاض روسيا القيصرية عام ١٩١٧ ، وبالتالي انسلاخها عن النظام الاستعماري العالمي ، تكونت بؤرة اشعاع لكل شعوب العالم ، وذلك بالرغم من حصار العزل الشديد الذي فرض على الجمهورية السوفيتية ، وقد دفع هذا الاشعاع شعوب العالم الى التحرك ضد مستعمريها ومستغليها ، وراح الاشعاع يتسع مداه بعد فشل الثورة المضادة لجماعات الحرس الابيض والهجوم المسلح الذي شنته من الخارج جيوش القوى الامبريالية الالمانية وبريطانيا وفرنسا وامريكا وعدة دول اخرى .

وكانت الحرب العالمية الاولى بين الدول الاستعمارية من ناحية ، قد انتهت بتقسيم جديد لخريطة العالم بين الدول المنتصرة المتحالفة ، ضاربة عرض الحائط بوعودها خلال الحرب عن حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، ومن ناحية اخرى كانت ظروف الحرب قد استلزمت قدرا معينا من تطوير نسبي محدود للاقتصاديات القومية لبعض البلاد المستعمرة ، الامر الذي انضج فيها نواة لبرجوازية محلية راحت تسعى لمشاركة الاستعمار واحتكاراته في السلطة والاستغلال .

واتاح تفاعل كل هذه العوامل الفرصة لقيام حركات تحرر وطنية بقيادة الطبقة البرجوازية الوليدة ، تستهدف في الاساس تحقيق الاستقلال السياسي . مثال ذلك ثورة التحرر الوطني في مصر عام ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول ، وثورة الهند بقيادة غاندي ونهرو ، وثورة تركيا بقيادة مصطفى كمال اتاتورك ، وانتهت معظم هذه الثورات بنوع من المساومة بين الاستعمار وبين الطبقات البرجوازية القائدة في هذه البلاد ، بمنح الاستقلال الشكلي ومشاركة البرجوازية للاستعمار في حكم واستغلال الشعوب .

واعتبر هذا الاستقلال ، خطوة تقدمية بمفهوم ذلك العصر ، رغم انه كان مجرد واجهة وطنية فارغة ، فقد بقيت هذه الدول المستقلة تابعة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا للدول الاستعمارية ، بل وظلت تقبع على ارض الدول المستقلة قوات احتلال تحت غطاء معاهدات للدفاع المشترك ، كما كان الحال في مصر بعد ثورة ١٩١٩ .

وفى هذا الاطار ، سارعت دولة ثورة اكتوبر الوليدة ، وقتذاك ، الى اعلان تأييدها السياسى والمعنوى لجميع هذه الحركات التحررية ، بل وقدمت مساعدات فعلية لبعضها مثل ثورة الصين بزعامة صن يات صن ، وثورة تركيا بزعامة اتاتورك .

٤

بعد الحرب العالمية الثانية خرج الاتحاد السوفيتى منتصرا — من خلال دوره الحاسم فى دحر النازية — بوزن عالمى ضخم ، وتكون النظام الاشتراكى العالمى اثر انتصار الاشتراكية فى دول اوربا الشرقية والصين مع عدد من دول آسيا، وانقسم العالم بالتالى — لاول مرة — الى معسكرين محددين متصارعين ايدلوجيا: المعسكر الاشتراكى والمعسكر الرأسمالى ، وهو الامر الذى خلق مناخا دوليا ساعد على انضاج العوامل القومية داخل البلاد المستعمرة للتحرك والثورة على جبهة واسعة عالميا ، بحيث يمكن القول ان ظاهرتى «عالمية الاشتراكية» و «عالمية ثورة التحرر الوطنى» قد تلازمتا فى النشوء والتطور تاريخيا .

وهنا يحسن ان نميز بين مرحلتين : مرحلة الحرب الباردة ، ومرحلة التعايش السلمى ، ومن الصعب تحديد اين انتهت المرحلة الاولى واين بدأت المرحلة الثانية ، وذلك بسبب التداخل الموضوعى والزمنى للمرحلتين معا ، الا انه يمكن مع ذلك التمييز على اساس الطابع الغالب لكل مرحلة .

ونستطيع ان نقول ان المرحلة التى بدأت عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وامتدت حتى عام ١٩٥٩ ، حيث تمت اول زيارة من مسئول قيادى من الاتحاد السوفيتى للولايات المتحدة الامريكية، ونجاح الاتحاد السوفيتى فى اطلاق اول صاروخ للقمر فى تاريخ البشرية ، كان الطابع الغالب عليها هو طابع الحرب الباردة باستمرار ، رغم تفاوت الحدة بين آن وآخر ، وان كان البعض يمد مرحلة الحرب الباردة حتى عام ١٩٦٢ ، حيث امكن السيطرة على المواجهة المباشرة الحادة التى قامت بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية بسبب ازمة البحر الكاريبى ، وذلك بمنع الصدام الذى اوشك ان يلقى بالعالم فى أتون الحرب النووية ، مع ضمان حماية كوبا من الغزو الاستعمارى .

وفى اطار هذه المرحلة بدأت موجات من حركات التحرير الوطنية تتعاقب،وتميزت خلالها، ثمة ثورات من نوع جديد اكثر تقدما من ثورات التحرر الوطنى التقليدية ، فلم يعد هذا النوع الجديد من الثورات يقف عند حدود الاستقلال السياسى ، بل استهدف فى نفس الوقت تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، وفجرت هذه الثورات الجديدة قطاعات من البرجوازية الصغيرة اساسا وقادتها فئات من العسكريين والمثقفين الوطنيين، كما لوحظ ايضا تزايد الدور الذى تلعبه كل من الطبقة العاملة والفلاحين فى هذه الثورات الجديدة .

وتأتى ثورات مصر ١٩٥٢ والجزائر ١٩٥٤، والعراق ١٩٥٨ وغينيا وغانا ومالى ١٩٥٨ — ١٩٥٩ وكوبا ١٩٥٩ كأمثلة واضحة لهذه الثورات الجديدة .

وفى اطار هذه المرحلة ايضا وقعت عدة تغييرات كمية اساسية لصالح قوى التحرر والاشتراكية مثل امتلاك الاتحاد السوفيتى للاسلحة النووية وتحطيم احتكار الولايات المتحدة الامريكية فى هذا المجال ، وانتصار الثورة الاشتراكية فى الصين ، وسحق الثورات المضادة فى المجر ، وانتصار المقاومة المسلحة فى كل من فيتنام الديموقراطية ضد الاستعمار الفرنسى وكوريا الديمقراطية ، وانعقاد مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ لدول افريقيا وآسيا المستقلة ، وهزيمة العدوان الثلاثى الاستعمارى العنصرى على مصر عام ١٩٥٦ اثر تأميمها لشركة قناة السويس .

وقد اسفرت هذه التغييرات الكمية الرئيسية عن تغيير كيفى فى العلاقات الدولية لصالح قوى التحرر والاشتراكية ،فانعقدت على نطاق اخذ يتسع باستمرار الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية بين بلاد حركة التحرر الوطنى المستقلة وبين بلاد المعسكر الاشتراكى وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، (تسليح الجيوش الوطنية بالاسلحة السوفيتية — صفقة الاسلحة المعروفة باسم صفقة الاسلحة التشيكوسلوفاكية لمصر عام ١٩٥٥ — ، المساهمة السوفيتية الفنية فى مشروعات التنمية فى البلاد المستقلة كالسد العالى فى مصر ومصانع الحديد والصلب فى الهند... الخ) ، وتكون فى ١٩٥٨ مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى لتعزيز اواصر الاخوة والنضال بين جميع شعوب هاتين القارتين ، وتوفير المساعدات المادية والعسكرية لجميع حركات التحرير التى مازالت تناضل من اجل الاستقلال .

وشقت سياسة التعايش السلمى — خلال هذا التغيير الكيفى — طريقها فى العالم ، ولم تجد الدول الامبريالية مفرا من قبول هذه السياسة مرغمة ، وذلك كبديل تاريخى للحرب النووية التى لم تعد قادرة على التحكم فى اشعالها وتوجيهها وتحديد مصيرها ، واصبحت الانسانية بذلك على ابواب مرحلة جديدة تماما .

٥

وكان طبيعيا ان يوفر مناخ سياسة التعايش السلمى جوا أكثر مواتاة لاتساع نطاق حركة التحرر الوطنى ، وفى اطار مرحلة التعايش السلمى التى نعيشها اليوم تضاعفت مرات ومرات قوة الحركة بحيث بلغ عدد البلاد التى استقلت منذ الحرب العالمية الثانية حتى الان اكثر من ٧٠ دولة ، وفى افريقيا وحدها بلغت حركة التحرر الوطنى اوجها منذ بداية الستينات حتى لقد اصطلح دوليا على تسمية عام ١٩٦٠ «بعام افريقيا» ففى نهاية هذا العام تحرر من قيود الاستعمار ٧٥٪ من شعوب افريقيا وذلك خلال ٢٧ دولة مستقلة ، ارتفعت خلال عام ١٩٦٧ الحالى الى ٣٩ دولة ، وذلك بغض النظر عن درجات هذا الاستقلال ونوعيته .

وتميزت مرحلة التعايش السلمى بتعمق الروابط بين العالم الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى وبين البلاد المستقلة حديثا والتى جرى العرف على تسميتها « بالعالم الثالث » وخاصة الدول التقدمية منها .

وامكن لهذه الدول المتحررة التقدمية ان تكشف خلال بنائها لاستقلالها الاقتصادى أن الطريق لذلك هو التأميم للمصالح الاستعمارية جنبا الى جنب مع التنمية الاقتصادية ، وان التنمية الاقتصادية لا سبيل الى تحقيقها جذريا وبكفاءة فنية وعدالة اجتماعية ومعدل سريع الا على اساس اشتراكى علمى ، ومن هنا بدأت هذه الدول المتحررة التقدمية تكشف طريق التحول نحو الاشتراكية كحل حتمى لقضية التنمية ، فاتخذت بالفعل اجراءات الاصلاح الزراعى وتأميم البنوك والائتمان والتجارة الخارجية وادوات الانتاج الرئيسية ، وتكوين قطاع عام قوى ليوجه ويقود عمليات التنمية وخاصة الصناعية منها ، واعتمدت فى ذلك اعتمادا رئيسيا على المعونة المخلصة وغير المشروطة من البلاد الاشتراكية عامة والاتحاد السوفيتى خاصة .

ونستطيع ان نلمس هذا الاتجاه الثورى الجديد لحركة التحرر الوطنى ، حيث تلتحم فيه اهداف الثورة الوطنية باهداف الثورات الاجتماعية ذات الاهداف الاشتراكية فى مصر والجزائر وسوريا وغينيا ومالى وتانزانيا وبورما وغانا واندونيسيا (وذلك قبل الانقلاب العسكرى فى كل منهما) .

ومن هنا فان هذه الحركة التحررية الوطنية ذات الاهداف الاشتراكية لم تعد فى واقع الامر مجرد حليف واحتياطى للقوى الاشتراكية ، بل اصبحت تقترب يوما بعد يوم لتغدو جزءا — ذى طبيعة خاصة — من القوى الاشتراكية نفسها ، بمعنى انها ليست عضوا فى المعسكر الاشتراكى ولكنها تعادى المعسكر الامبريالى جذريا ، وتتجه نحو التحول الاشتراكى وتنهج دوليا سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى .

وقد تبلور هنا جوهر الخطر الجديد بالنسبة للقوى الامبريالية ، اذ لم يعد الاتحاد السوفيتى قلعة منيعة للاشتراكية وقوة رادعة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وتكنولوجيا فحسب . ولم يعد الامر كذلك يقف عند بناء نظام اشتراكى عالمى فى اوربا وآسيا ، وايضا لم تعد الاشتراكية هى نظرية البروليتاريا وحدها ، بل ان الاشتراكية كنظرية ، وكمنهاج عملى للتطور قد جذبت القيادات الجديدة للثورة التحررية التقدمية وفئات اوسع من الجماهير الشعبيه والطبقات الدنيا والنظم الاجتماعية التى تبنيها هذه الفئات ، وبالذات فى مناطق الشرق الاوسط وافريقيا وامريكا اللاتينية .. وهى المناطق التى تتركز فيها اليوم المصالح الاستراتيجية للامبريالية .

ووجدت الامبريالية نفسها غير قادرة ، من **ناحية أولى** ، على الصمود الشامل فى وجه حركات التحرر الوطنية المتسعة الجبهات ، وغير قادرة ، من **ناحية ثانية** ، على الهجوم المباشر على الدول الاشتراكية ، وذلك بعد تعاظم قوة الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية وانتصار المقاومة المسلحة فى كوريا الديموقراطية ، وسحق الثورة المضادة فى المجر ، وفشل محاولات غزو كوبا وعدم القدرة على احراز اى نصر عسكرى فى فيتنام .

ولكنها — اى القوى الامبريالية — عمدت فى نفس الوقت الى الاستفادة من النزاع الصينى السوفيتى وآثاره السلبية على وحدة عمل القوى الاشتراكية عامة ، وكذلك من نقاط الضعف فى بلاد العالم الثالث ككل والبلاد التقدمية منها بصفة خاصة ، وذلك نتيجة عدم تبلور قوى الثورة الموحدة من حول سلطة العمال والفلاحين والمثقفين والجنود الثوريين اساسا ، كما حاولت الاستفادة من القواعد العسكرية والاقتصادية التى ما برحت قائمة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وسارعت القوى الامبريالية وخاصة الامريكية منها — ازاء هذا الموقف ، وعلى الرغم مما اصابها من ضربات واصاب معسكرها من تفكك — الى انتهاج استراتيجية وتكتيك جديدين ، وذلك كنوع من انواع الدفاع ضد استمرار تقدم القوى الاشتراكية والتحررية التقدمية على جميع الجبهات .

٦

وتقوم الاستراتيجية والتكتيك الجديدين للقوى الامبريالية اليوم ، على هضم التدخل الاستعمارى العنيف فى صيغة جديدة هى « الاستعمار الجديد » ، بحيث لم يعد هذا الاستعمار الجديد يقف فى وجه اية حركة تحرر وطنى طالما امكن حصرها فى حدود الاستقلال

السياسي الشكلي ، وربط الدولة وليدة هذا الاستقلال الى عجلة التبعية الاقتصادية والسياسية والفكرية والعسكرية للامبريالية : ولكنه ــ الاستعمار الجديد ــ ينشط الى ضرب وتصفية كل ثورة وطنية تقدمية تصر على تحقيق استقلالها الاقتصادي ، وتشق طريقها الى التطور بالتحول نحو الاشتراكية ، وتعقد اواصر التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الاشتراكية ، وذلك باعتبار ان هذا يمثل بابا جديدا قد فتحته تطورات الحياة الجديدة امام شعوب حركات التحرر الوطني نحو العالم الاشتراكي .

واتبعت القوى الامبريالية في ذلك وسائل متعددة ابتداء من الضغط والحصار الاقتصاديين، الى تصدير الثورات المضادة ، وتفريخ الانقلابات الداخلية .

وهذا هو ما حاولته القوى الامبرياليه مع مصر مثلا في فترات متفرقة بعد هزيمة العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ حتى يومنا هذا ، ولكنها لم تتمكن من احراز النجاح الذي حققته بالفعل في غانا واندونيسيا .

وفي نفس الوقت شرعت الامبريالية ايضا تركز «وسائلها المسلحة العنيفة» في تكتيك خاص أصبح معروفا باسم **«الحروب الاقليمية المحدودة»** حيث توجه ضربات عسكرية سريعة ومكثفة بالاسلحة التقليدية في منطقة معينة من مناطق الصراع الملتهبة ، وذلك بقصد القضاء على قوى الثورة التقدمية واشعاعها في هذه المنطقة ، هذا مع الحرص دائما على عدم توسيع نطاق الحرب او التورط في الصدام المباشر مع الاتحاد السوفيتي تجنبا للوقوع في حرب عالمية .

غير ان قيام الجيوش الامبريالية بشن الحروب الاقليمية المحدودة بسفور تحت اعلامها الصريحة قد اثبت ــ كما تدل على ذلك اليوم حرب فيتنام ــ انه يفجر موجات عالمية مضادة تجاه البلد الامبريالي الكبير « المعتدي » ، في نفس الوقت الذي تحتضن فيه الانسانية جمعاء ــ بما في ذلك شعوب الدول الامبريالية نفسها ــ البلد الصغير «المعتدى عليه» ، فضلا عن تدفق المساعدات عليه من البلاد الاشتراكية عامة والاتحاد السوفيتي خاصة، وتولد رأي عام ثوري قوي ضاغط على الصين لانهاء نزاعها مع الاتحاد السوفيتي واعادة بناء وحدة عمل القوى الاشتراكية ، الامر الذي قد يضطر العدوان الامبريالي الصريح الى الانحسار والتراجع فاقدا سمعته التقليدية في **«التخويف المغير»** عالميا ، وخاسرا مصالحه في منطقة الهدف حيث غالبا ما يلتهمها التأميم الوطني لصالح الشعب كما حدث بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ومن الوعي بهذه الحقيقة الجديدة ، شرعت القوى الامبريالية وبالذات الامريكية في تطوير «تكتيكها» في العدوان ، وذلك بتجنيد جهاز حربها العدواني في خدمة جهاز حرب لدولة صغيرة تابعة وعميلة ، بحيث تبدو العملية « في الظاهر » حربا اقليمية محدودة بين دولتين صغيرتين او اكثر ، في حين تحرص دولة او دول العدوان الكبرى على اعلان « حيادها البريء » امعانا في التضليل والتعمية .

وهذا التكتيك هو ما بدات الولايات المتحدة الامريكيه تجربته لاول مرة بشكل منظم في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ التي شنتها تحت علم إسرائيل (وهي قاعدة عسكرية عنصرية في شكل دولة) ضد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا وبقية الشعوب المناضلة من اجل استكمال تحررها السياسي والاقتصادي ، والسيطرة على مواردها المحتكرة وخاصة البترول ، وشق طريقها نحو التحول الاشتراكي .

٧

ويعتمد هذا التكتيك العدواني الامبريالي الجديد في رأينا على العوامل الخمسة الرئيسية التالية :

اولا ــ تعمق العلاقات بين الامبريالية الامريكية ودولها العميلة بدرجة تفوق بمراحل نوعية وحدود العلاقات القائمة بين الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية وبين الدول الوطنيه التقدميه الصديقة، الامر الذي يتيح للعلاقات الاولى وحده اوثق في العمل بالقياس الى العلاقات الثانية ، وذلك على الرغم من المساعدات الاشتراكية القوية للبلاد الوطنية .

ثانيا ــ استحالة تطور الحروب الاقليمية المحدودة في المرحلة الراهنة من عصرنا الى حرب نووية عالمية ، وذلك بسبب حرص جميع الاطراف النووية في العالم على تجنب هذه الكارثة بأي ثمن من ناحية، ومن ناحية اخرى بسبب القدرة النووية الضاربة والدفاعية الكبيرة التي اصبح الاتحاد السوفيتي يملكها ، وتشكل رادعا حاسما لاية مغامرات عدوانية نووية من القوى الامبريالية النووية ، ولهذا فقد التهديد بالحرب النووية ــ موضوعيا ــ جدواه وفاعليته ، وذلك لعدم امكان تنفيذه ، والواقع انه رغم ما في ذلك من ايجابية بالنسبة للسلام العالمي ، الا انه ــ وهذا ما يوجب الاهتمام العميق اليوم ــ قد فتح في نفس الوقت مجال الحركة للدبلوماسية العدوانية، حيث تذهب الى حد الحرب الاقليمية المحدودة ضد بلاد العالم الثالث التقدمية . وذلك دون ان تتوافر بعد امكانيات مواجهتها باساليب قادرة على قمعها قبل تفجرها .

ثالثا ــ تمتع الدول الامبريالية ونظمها التابعة والعميلة ، وخاصة من نوع فيتنام الجنوبية واسرائيل ، بمزايا استراتيجية عسكرية واقتصادية

جوهرية ، لا يوجد مقابل لها لدى كل من الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية والدول الوطنية التقدمية . وفى مقدمتها القواعد العسكرية الجوية والبرية وقواعد الاساطيل البحرية ، واسلحة الضغط الاقتصادى الامبريالى على الدول الوطنية التقدمية . (ظاهرة الاحتكار الدولى للراسمالية الحديثة التى كيفت نفسها مع سياسة التعايش السلمى منذ اجبرت على قبولهـا والصراع بين النظامين العالميين) .

رابعا — توسع القوى الامبريالية فى السنوات الاخيرة ، فى صناعة الاسلحة التقليدية وتطويرها. سواء فى اوطانها الاصلية او فى البلدان التابعة لها . (ظاهرة عسكرة الاقتصاد الراسمالى) . وذلك بدرجة تزيد على ما هو قائم فى البلدان الاشتراكية ، حيث الاقتصاد اقتصـاد سـلامى دفاعى ، وبلاد التحرر الوطنى التقدمية حيث تنصب كل الجهود فى التنمية الاقتصـادية ومحـاربة التخلف . ويجب هنا ان نلاحظ ان هذه البلاد الوطنية التقدمية تعتمد فى تسليحها الحـديث اساسا على الاستيراد من الاتحاد السوفيتى . وتتزايد يوما بعد يوم طلبات التسليح من الاتحاد السوفيتى نتيجة لاتساع جبهة الدول الوطنية التقدمية واتساع حركة العدوان الامبريالى ايضا.

خامسا — وجود ثمة طبقات وفئات اجتماعية معادية للديموقراطية والاشتراكية ، متغلغلة فى مجتمعات واجهزة الدول الوطنية التقدمية ، ذات قدرات وامكانيات لم تصف بعد . وتتجه بمصالحها وولائها الى الامبريالية . ويمكن بالتالى ربطها بسهولة بمخططات الاستعمار الجديد وتجنيدها للعمل فى خدمته كطابور خامس فى الداخل . ولعلى لا اذيع سرا ان هذا هو موضع تحقيق سياسى واجتماعى وجنائى اليوم فى الجمهورية العربية المتحدة بعد عدوان ٥ يونيو الذى شنته الامبريالية واسرائيل على الشعوب العربية ونظمها التقدمية بالذات .

ونستطيع ان نلمس بصمات هذه العوامل الخمسة الاساسية بوضوح فى تجربة العدوان الامبريالى الصهيونى تحت علم اسرائيل على البلاد العربية اخيرا . فهناك التداخل الامريكى الاسرائيلى ، حربيا واقتصاديا وسياسيا . وهذا ما اكده « مايرفلنر » سكرتير الحزب الشيوعى الاسرائيلى. وهناك الضغط الاقتصادى والاساطيل والقواعد العسكرية ، واسرائيل نفسها فى واقع الامر قاعدة عسكرية استطاعت ان تجند ٥٠٠ الف جندى خلال الحرب ، وهو رقم يفوق كل مالدى العرب من قوات .. وذلك رغم التفاوت الشاسع فى عدد السكان ، حيث يبلغ فى اسرائيل ٢ ١/٣ مليون نسمة (باستثناء العـرب الذين لا يجندون) . فى حين يبلغ فى مصر وحدها ثلاثين مليون نسمة . ويصل الى حوالى مائة مليـون نسمة فى كل الوطن العربى . وهناك الكم الهائل والنوع المتطور من الاسلحة التقليدية المستخدمة ابتداء من الطائرات حتى قنابل النابالم الامريكية المستخدمة ضد الشعب الفيتنامى البطل . وقـد كشفت الاحداث بعد عدوان ٥ يونيو عن مـدى التسليح السرى والعلنى لاسرائيل وخاصة من المانيا الغربية وامريكا التى اتخـذت من بنـك الاستيراد والتصدير غطاء لذلك . كمـا كشفت الاحداث عن عمليات تصنيع واسعة محلية فى اسرائيل لاسلحة فرنسية والمانية غربية وامريكية. وقد اعلن اخيرا عن قيـام شركة « روكويل — ستاندرد » الامريكية ببيع مصنعها الخاص بصنع الطائرات النفاثة فى « اوكلاهوما » الى اسرائيل.

ويدل اتجاه الاحداث عن رضاء الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية بالخصوص ، عن تجربة ٥ يونيو ١٩٦٧ . وبالتالى تصورها لامكانيـات نجاح تكنيكها الجديد فى العدوان المتخفى تحت اعلام الدول الصغيرة التابعة لها . الامر الذى يشـير الى اننا على ابواب مرحلة جديدة سـوف يشيع خلالها استخدام هذا « التكنيك الجديد » على نطاق واسع فى افريقيا والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية على الاقل . وسـوف لا تعـدم القوى الامبريالية الوسائل المتعددة لخلق وافتعال اسباب الصراعات فى هذه المناطق بين الدول والقـوى التابعة لها والمنفذة لخططها ، وبين الدول والقوى التقدمية . مثل الصراع العربى الاسرائيلى حـول الحقوق القومية لشعب فلسطين ، والتوسـع الاقليمى الصهيونى على حساب البلاد العربية ، ومثل منازعات الحدود بين البلاد الجديدة وخاصة فى افريقيا .. الخ ..

ومن هنا يصبح واجبا ملحا على كل القـوى الاشتراكية والقوى الوطنية التقدمية ان تسرع الى مواجهة هذا التكنيك العدوانى الجديد ، بتكنيك ثورى مضاد وفعال . والا كان البديل لذلك هو ضرب وتصفية القوى الوطنية التقدمية ، وتمهيد ارضية ملائمة داخلها لانتشار حـركة الطابور الخامس الرجعى من ناحية والاتجاهات اليسارية المغامرة من ناحية اخرى . الامر الذى يشـكل خطرا على استمرار سـياسة التعايش السلمى الاصيلة والتى فرضت بقوة النـظام الاشتراكى العالمى على النظام الراسمالى ويدفع العالم الى كارثة الحرب النووية .

وفى رأينا ان مواجهة هذا التكنيك الجديد يجب ان تنطلق اليوم من الوعى بأن حقـائق الوضـع الراهن للعالم وقواه المتصارعة وحركة التـاريخ الانسانى الجديد الذى بدأته ثورة اكتوبر، قد قربت — وما تزال — المسافات . ووحدت — موضوعيا — بين المصالح المشتركة للقوى الاشتراكية والقوى الوطنية التقدمية ذات الافاق الاشتراكية . بحيث غدت فى واقع الامر — سياسيا وعمليا — قـوة واحدة ذات مصير مشترك فى صراعها التاريخى والحتمى مع القوى الامبريالية .

ويستلزم هذا بالضرورة — وازاء الشراسة العدوانية الحالية للاستعمار — بناء علاقات جديدة تبلور وحدة فى العمل ضد العدوان المشترك . ويعنى هذا ضرورة تجاوز الحساسيات فى العلاقات ومواجهة الموقف على اساس المصالح المشتركة . وتخطى الدبلوماسية الى المناقشة الصريحة بين الثوريين لتحديد الشروط الداخلية والخارجية للنصر .

٨

وفى اتجاه العمل على بناء هذه الوحدة فى العمل لمواجهة التكنيك الامبريالى الجديد ، فانى أسمح لنفسى بأن اقترح ثلاث نقاط رئيسية :

أولا — قيام الدول الوطنية المتحررة بانهاء سياسة المعاداة للشيوعية ، وتصفية الطابور الخامس فيها المكون من الطبقات والفئات الاجتماعية ذات المصالح والفكريات المتفاعلة مع القوى الامبريالية . وبناء وحدة القوى الوطنية التقدمية وسلطتها على أساس تحالف العمال والفلاحين والمثقفين والجنود الثوريين مع فئات البرجوازية الوطنية التى تقبل التحول السلمى نحو الاشتراكية .

ثانيا — بناء علاقات أوثق وارحب واعمق بين البلاد الوطنية التقدمية وبين البلاد الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، تبلور امكانيات التعاون الدولى فيما بينها ، كقوة موحدة الوزن فى السوق العالمى . وخاصة فى مجالات المواد الخام والثروات المعدنية والبترولية المتوافر لديها جميعا، الامر الذى يسهم فى شل اسلحة الضغط الاقتصادى الامبريالى .

ثالثا : بناء مراكز دفاع ثورية مشتركة اختيارية فى المواقع الاستراتيجية من البلدان الوطنية التقدمية تعمل فيها قوات مشتركة من البلدان الاشتراكية والوطنية التقدمية . وذلك لمواجهة القواعد العسكرية الاستعمارية المنتشرة فى كل مكان من العالم ، حيث تسيطر الامبريالية الامريكية وحدها على ٣٧ قاعدة منها . ان مثل هذه المراكز — التى تختلف جذريا عن القواعد العسكرية بسبب العامل الاختيارى فى تكوينها ، والمشاركة على أساس المساواة فى بنائها ، وسيادة الدولة القائمة فيها عليها ، والحرية فى انهائها .. من شأنها ان تكون درعا قويا ومسلحا بتكنولوجية حديثة لا تستطيع دولة وطنية تقدمية صغيرة فى حدود زمنى قصير نسبيا ان تحصل عليها بمفردها .

٩

أيها الاصدقاء ...

أردت بهذا التقرير أن أقدم افكارا للبحث والمناقشة من أجل مزيد من وحدة العمل الثورى ضد الامبريالية والعدوان والحرب . خاصة ونحن نجتمع فى جو الاحتفال بالعيد الخمسين لثورة اكتوبر .. هذه الثورة الرائدة لانسانية جديدة يصبح فيها الانسان ، أيا كان منبته ولونه ، سيد نفسه ومصيره وعالمه .

ونحن نلمس هنا فى « باكو » كما لمسنا فى « موسكو » كيف أن أبناء ثورة اكتوبر العظيمة — على مدى الاجيال ، ومن خلال قيادة حزبهم — قد شيدوا بنضالهم البطولى الجماعى الخلاق ، وتواضعهم الثورى ، وطن الاشتراكية الاول .. قويا منيعا وسعيدا ، ناميا ومتقدما على الدوام . وليس من قبيل الصدفة أن الانسان السوفيتى هو الانسان الاول فى التاريخ الذى كاد يلمس بأصابعه سطح القمر .

ولقد سجل التاريخ خلال النصف قرن الاخير ، أن ثورة اكتوبر لم تبن الاتحاد السوفيتى لابنائها فقط وانما لكل الانسانية . ويكفى لتأكيد ذلك أن نتصور مثلا كيف كان يمكن سحق النازية لولا بسالة وتضحيات جيش وأبناء ثورة اكتوبر ؟ وكيف كان يمكن للثورات الاشتراكية فى آسيا واوربا أن تصمد وتمضى قدما فى طريقها دون المعونة الاخوية لابناء ثورة اكتوبر ؟ وكيف كان يمكن لثورات التحرر الوطنية أن تتفجر فى كل مكان من عالمنا وتشرع فى بناء دولها المستقلة الجديدة فى مواجهة كل التحديات دون المساندة الفعالة القوية غير المشروطة من ابناء ثورة اكتوبر ؟ باختصار علينا أن نتصور ولو للحظة واحدة ماذا تكون عليه عالمنا اليوم لو لم تشرق وتنتصر ثورة اكتوبر ذات يوم فى عام ١٩١٧ ! فى روسيا القيصرية بقيادة فلاديمير اليتش لينين .

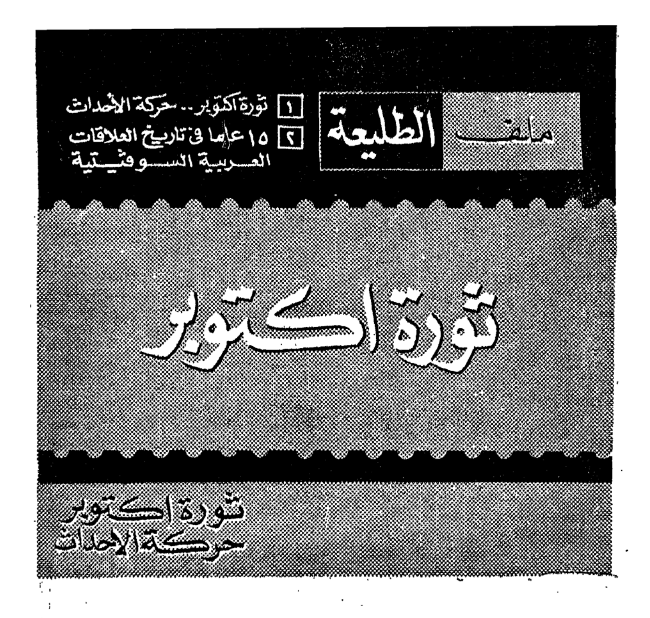
أيها الاصدقاء ...

انا قادم اليكم من بلاد يكن شعبها لثورة اكتوبر ، شعوبا وحزبا ودولة ، كل تقدير واعزاز وعرفان أخوى صادق بالجميل ...

وشعب بلادى اليوم يعيش مع اخوته بقية الشعوب العربية حالة من الالم الثورى العظيم . وأنتم هنا فى الاتحاد السوفيتى تعرفون وتقدرون تماما قيمة ومدى عمق الالم الثورى فى مواجهة احتلال استعمارى شوفينى لاجزاء من أرض الوطن بعد عدوان غادر . وشعب بلادى فى تصميمه اليوم على الاستمرار ، بقيادته الثورية ، فى مقاومة العدوان الامبريالى الصهيونى حتى النهاية ومهما كانت التضحيات وفى بناء مجتمعه الجديد على طريق التحول الاشتراكى — يثق ... — دون حدود — فى أن أبناء ثورة اكتوبر يقفون معه بكل قوتهم . وفى أن الصداقة العربية السوفيتية هى فى مقدمة أسلحة النصر وأقواها .

تحية أخوية من أبناء البحر الابيض المتوسط الى أبناء بحر قزوين .. ومن حماة النيل الى حماة الفولجا ...

وتهنئة قلبية لكل الثوريين فى عالمنا ، المناضلين من أجل الحرية والسلام والاشتراكية .. واخوة الانسان للانسان .. فعيد ثورة اكتوبر هو عيدهم جميعا ...



ان ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا تشكل ولاشك ،حدثا من اخطر احداث عصرنا . منذ نصف قرن ، اهتز العالم لنبا استيلاء العمال والفلاحين على مقاليد السلطة السياسية في روسيا . تحت قيادة حزب البلاشفة ، وزعيمه « فلاديمير لينين » .. وأذنت طلقات مدافع الطرادة الثورية « أورورا » في ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر بتقويم روسيا وقتنذاك) ، وهي تدك قصر الشتاء القيصري .. اذنت بميلاد عهد جديد في تاريخ الانسانية ، عهد انهيار الامبريالية ،وبزوغ أول مجتمع اشتراكي في العالم ..

لقد هبت ثورة اكتوبر وانتصرت كحركة عارمة اطلقتها جماهير الشعب العامل ، ضد الحرب الامبريالية التي جرت روسيا الى حافة الهاوية ،وضد حكم الطبقات المستغلة من راسماليين وكبار ملاك الارض ، وضد القهر القومي بكافة الوانه . وقامت الطبقة العاملة الروسية ، ومعها الجنود والبحارة والفلاحون الكادحون ضد سلطة راس المال ، واستبداد سادة الارض والاقطاعيات الشاسعة .. ودخل الشعب في معركة حاسمة ، من اجل اقامة نظام يزيل استغلال الانسان لاخيه الانسان ..

ودوت مراسيم الثورة الاولى في العالم وقتذاك : مرسوم « السلام » ، وهو نداء حار يدعو للنضال ضد الحرب الامبريالية ، ومن اجل الاخاء بين جميع الشعوب ، والمرسوم الخاص « بالارض » ، وقرار مؤتمر السوفييتيات على نطاق روسيا كلها ، بتشكيل اول حكومة للعمال والفلاحين .

لقد تتابعت ثورات عديدة عبر التاريخ ، واضاء لهيبها كل لحظات التحول الكبرى في التاريخ ، ولكن ثورات الماضي كانت تقتصر على الانتقال بالسلطة من يد طبقة مستغلة الى طبقة اخرى مستغلة ، وقد تغير من اشكال الاستغلال .. اما الاستغلال ذاته ، فيبقى . وكانت الطبقات المستغلة الحاكمة تقمع في وحشية محاولات الشعب العامل كي يحرر نفسه من نير القهر الاجتماعي ، وكانت تغرق المدن والقرى بدماء العمال والفلاحين . ان « كوميونة باريس » التي رفعت راية حكم

العمال لاول مرة فى التاريخ ، والتى استمرت ٧٢ يوما ، قضى عليها بالحديد والنار فى فرنسا . كما اغرقت الثورة الروسية الاولى فى ١٩٠٥ فى دماء العمال والفلاحين . الا ان ثورة اكتوبر كانت ابعد هذه الثورات مدى ، واعمقها اهدافا واغراضا ، ولم تكتف بصياغة اعز امنيات الشعوب فى القضاء على كل الوان القهر الاجتماعى والقومى ، بل وطبقت فى الحياة افكار الاشتراكية ، ومثلها التى تنهض على السلام والمساواة والصداقة بين الشعوب .

ولعب حزب البلاشفة بقيادة لينين دورا حاسما فى انتصار الثورة ، بنضاله على راس الطبقة العاملة الروسية ضد كافة الوان الانتهازية والمراجعة ، التى تمثلت فى الجناح المنشق من « الحزب الاشتراكى الديموقراطى العمالى الروسى » ـ حزب المناشفة .. وضد التيارات الممثلة لاتجاهات البرجوازية الصغيرة ، وبخاصة فى الريف وعلى راسها حزب الاشتراكيين الثوريين ، وغيرها من الاتجاهات القومية البرجوازية ، التى كانت تخفى انقيادها وراء البرجوازية الامبريالية ، تحت كلمات براقة عن الديموقراطية والحرية .

وقد هبت كل قوى العالم القديم ، قوى الداخل والخارج على السواء ، كبار الملاك والراسماليين ، جنرالات روسيا القيصرية ، حكومات الدول الاستعمارية ، ضد الجمهورية الاشتراكية الوليدة ، بمجرد بروزها الى الوجود . وشنت معا « حربا صليبية » ، لا مثيل لها فى التاريخ ، مستخدمين كافة الوسائل لوأدها فى المهد : التدخل المسلح السافر الذى اشتركت فيه ١٤ دولة .. محاولات خنق الثورة عن طريق التجويع ، والحصار والتهديد .. التنبؤات بالانهيار الحتمى للثورة ، وكافة الوان الاشاعات والافتراءات واجتمع معا حلفاء واعداء الامس القريب فى الحرب العالمية الاولى ـ الالمان والامريكان والبريطانيون والفرنسيون واليابانيون ، ليحاولوا معا فى ضربة واحدة القضاء على الدولة السوفييتية الوليدة ، ولم يصلب عودها بعد . وفى وجه هذا « التجمع المقدس » من كافة قوى الرجعية فى العالم ، لاقت الجمهورية السوفييتية اعظم حركة تضامن وعطف شهدها التاريخ من جانب العمال والفلاحين والمثقفين التقدميين فى كافة ارجاء الارض . وانتهت محاولات التدخل الامبريالى بالهزيمة والانهيار . واثبتت الاحداث ان الشعوب التى تنفض عن كاهلها نير الاستغلال لايمكن قهرها ، واصبح الاتحاد السوفييتى اول بلد فى العالم شق امام جميع الدول الطريق الى الاشتراكية .

ان ثورة اكتوبر الاشتراكية قضت قضاء تاما على الخرافة الرجعية التى تزعم ان جماهير الشعب عاجزة عن تسيير دفة الدولة . واثبتت ان الجماهير الكادحة ليست قادرة على تحطيم النظم الاجتماعية البالية فحسب ، بل هى قادرة ايضا على بناء نظام اشتراكى جديد للدولة وللمجتمع ، وقادرة على التغلب فى فترة تاريخية وجيزة على التخلف التكنولوجى والاقتصادى ، وخلق اقتصاد قومى يبلغ درجة عالية من التطور ، وتحقيق نموذج متقدم من الديموقراطية ، واقامة علاقات اخاء وصداقة مع كل الشعوب .

قال لينين : « لنا الحق ان نفخر ، ونحن نفخر فعلا ، بانه كان من حسن طالعنا ان نكون البادئين باقامة الدولة السوفييتية ، وان نفتتح بذلك عهدا جديدا فى تاريخ العالم ، عهد حكم طبقة جديدة ، طبقة مضطهدة فى كافة البلاد الراسمالية ، ولكنها تسير الى الامام فى كل مكان ، نحو حياة جديدة ، نحو النصر على البرجوازية ، نحو تحرير البشرية من نير راس المال ، ومن الحروب الامبريالية » ..

وجاءت ثورة اكتوبر نتيجة منطقية لتطور النظام الراسمالى العالمى ، وللزيادة البالغة فى حدة كل ما فيه من تناقضات .. فتطور التكنولوجيا ، ونمو الانتاج الكبير ، كان من شأنهما زيادة هائلة فى انتاجية العمل الانسانى ، وفى تراكم القيم المادية ، وكان ينبغى ان يترتب على ذلك ارتفاعا عظيما فى مستوى معيشة جميع الشعوب ، ولكن التقدم التكنولوجى فى ظل سيطرة الاحتكارات الاستعمارية لا تجلب سوى الارباح الطائلة للراسماليين بينما يزداد حرمان الجماهير تفاقما يوما بعد يوم .. وتفشت ظواهر البطالة ، والام وويلات الازمات الدورية والحروب ، بينما يهيىء النمو الهائل للانتاج الكبير المستلزمات المادية اللازمة لاستبدال الراسمالية بنظام اجتماعى اكثر تمثيلا وتطابقا لاحتياجاته .. الاشتراكية .

ونظرا للتطور الاقتصادى والسياسى غير المتكافىء للبلاد الراسمالية المختلفة ، كان من شأن الثورة فى عصر الامبريالية ان تنضج بدرجة متباينة فى كل بلد على حدة . وهذا القانون هو الاساس الذى استخلص منه « لينين » استنتاجه الخطير فى ١٩١٥ : امكان انتصار الثورة الاشتراكية اول الامر فى عدد قليل من البلاد ، بل وفى بلد واحد واستحالة انتصارها فى كل البلاد معا ، وفى نفس الوقت .

وفى السنوات الاولى من القرن العشرين ، كانت روسيا نقطة تجمع لكل متناقضات الامبريالية ، واضعف حلقة فيها . لقد جمعت نماذج من كل اشكال الاضطهاد .. اضطهاد الراسماليين وكبار الملاك .. واضطهاد القوميات .. ثم الاستبداد البوليسى للاوتوقراطية القيصرية .. مما جعل الجماهير تعيش فى ظروف لا قبل لها باحتمالها ، الامر الذى عمق من التناقضات الاجتماعية والطبقية . فما ان جاء القرن العشرين ، حتى غدت روسيا مركزا للحركة الثورية العالمية

وكانت ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، قد قضت على التطور « السلمى » نسبيا للراسمالية فى اوربا واسيا ، واذنت ببداية فترة عواصف ثورية كبرى ، كانت تمهيدا لمعارك حاسمة بلغت ذروتها فى ثورة ١٩١٧ .

ان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، التى راح ضحيتها قرابة ١٠ ملايين قتيل ، واكثر من ٢٠ مليون مشوه وجريح ، والتى جلبت خرابا لم يسبق له مثيل ، زادت من سرعة الانفجار الثورى . وكتب « لينين » يقول : « لقد سببت الحرب ازمة بلغت من العنف ، واجهدت من القوى المادية والمعنوية للبشر اجهادا ، ووجهت ضربات للتنظيم الاجتماعى الحديث بأسره الى الدرجة التى تجد الانسانية نفسها ازاء احد امرين : اما ان تهلك ، واما ان تسلم مصيرها الى اشد الطبقات ثورية ، من اجل التحول ، باسرع واعمق تحول ، الى اسلوب ارقى من الانتاج » .

ولم يلبث ان مرت على روسيا ثلاث سنوات من هذه الحرب المهلكة ، التى وقف البلاشفة دون غيرهم من احزاب « اليسار » يدينونها بلا هوادة ، ويطالبون بتحويلها الى نضال ثورى من اجل التخلص من سيطرة راس المال ، حتى انفجرت العملية الثورية ، واتخذت فى بدايتها (فبراير) شكل الثورة الديموقراطية البرجوازية . ولكن افضت حركة الاحداث الى تحويلها بسرعة الى ثورة اشتراكية (اكتوبر)

كانت الاحداث تحمل فى طياتها امكانيات هذا التحول أصلا ، ولكن قيادة « لينين » الواعية للعملية الثورية ، كانت لها دورا فاصلا فى الوصول بحركة الثورة الى نهاية المطاف .

ونقدم الطليعة فى هذا « الملف » تسجيلا لهذا التحول الثورى ، بأبرز لحظاته وأحداثه تحية لثورة اكتوبر فى عيدها الخمسين ، ومساهمة منها فى ابراز ما تنطوى عليه من دروس فحركة الثورات قد تختلف فى معالمها واتجاهاتها ، ولكنها تثرى دائما بالخبرة الشاملة لاعظم ثورات التاريخ .

■ ■ ■

ثورة فبراير

● **بدأ عام ١٩١٧** واجتاحت روسيا موجة لم يسبق لها مثيل من الاضرابات .. بلغ العمال المضربين فى شهرى يناير وفبراير فقط ٦٧٠ الف عامل . وبلغت الروح الثورية فى الجيش ابعادا خطيرة . وكانت شعارات البلاشفة المعادية للحرب والحكومة ، تجد آذانا صاغية فى كل مكان . كانت الثورة على وشك الانفجار .

● **فى ١٨ فبراير ١٩١٧ ،** اضرب عمال مصانع بوتيلوف ، اعظم مصنع بمدينة بتروجراد (لينينجراد حاليا) ، وربما كان اكبر مصنع فى العالم وقتذاك .. وتضامن مععمال مصنع بوتيلوف عمال أحياء نارفاو فيبرج . وفى ليلة ٢٤ فبراير ، تغلب المضربون على مقاومة الجنود والكوزاك والبوليس ، واكتسحوا طريق نفسكى فى قلب مدينة بتروجراد .

● **فى ٢٥ فبراير ،** اصدرت لجنة بتروجراد للحزب البلشفى منشورا ، دعت فيه الى الخروج فورا الى الشوارع والاستعداد للمعركة . **وتحول الاضراب السياسى فى ٢٥ فبراير ضد الاتوقراطية القيصرية ، الى اضراب عام ، وبلغ فى ٢٦ فبراير ابعاد الانتفاضة المسلحة ،**

وتصدى البوليس للمتظاهرين ، واخذ يطلق عليهم الرصاص . واعتبرت السلطات القيصرية هذا التصدى انتصارا على الثورة ، ولكن الاحداث اثبتت عكس ذلك تماما . فأخذت الموجة الثوريةتنتشر بين الجنود . وفى ٢٧ فبراير ، انتقل عدد من فرق الجيش الى صفوف الثوار ، واحتلت الثورة مناطق مختلفة من المدينة ، والسكك الحديدية ، ونقط البوليس .. واخذ المخبرون المتفشون فى كل مكان يعدمون الاوراق التى تثبت انتسابهم الى البوليس ، ويتزوون قبل ان يلحق بهم غضب الجماهير . **كانت الاتوقراطية القيصرية قد فقدت مقومات وجودها ، ولكن تآمر قادة « الدوما » (البرلمان) البرجوازيون ، كى يحتفظوا بالسلطة ، وبمكونات النظام الملكى القائم .**

● **فى صبيحة يوم ٢٧ فبراير ،** صدر أمر عال من القيصر بايقاف جلسات الدوما . ولكن اعضاء الدوما تجمعوا سرا لمناقشة الوسائل الكفيلةبمواجهة الثورة ، واعادة « النظام » الى ربوع روسيا . **وفى ليلة ٢٨ فبراير ، تشكلت «لجنة مؤقتة للدوما » ، واعلنت انها تتولى السلطة ،** بعد ان تبين قادتها ، وفى طليعتهم رئيسها « رودزيانكو » ، انه لم تكن هناك وسيلة اخرى لمجابهة تعاظم حركة الثورة ، ولم يعد هناك سبيل لسحقها فى المهد قبل استفحالها .

● **الا انفى ليلة ٢٧ فبراير** — أى بعد صدور هذا القرار بساعات — تشكلت هيئةاخرى ، انبثقت منأعماق الحركةالثورية ، هى **سوفييت مندوبى العمال ببتروجراد .** وكانت هذه الهيئة فى نظر الجماهير الثورية هى السلطة الوحيدة الشرعية ، المعبرة وحدها عن آمالها وتطلعاتها .

ولكن الاغلبية داخل السوفييت كانتفىايدى المناشفة والاشتراكيين الثوريين . وانتخب رئيسا للسوفييت المنشفى «تشيدزى» ، وانتخب **كيرنسكى** الاشتراكىالثورى ، وسكوبوليف ، المنشفى ، وكيلين له .. وكان هذان الحزبان ، حزبالمناشفة ، وحزب الاشتراكيين الثوريين ، ينتهجان سياسة ظاهرها تبنى حركة الجماهير الثورية ، وحقيقتها موقف التنازل والتبعية حيال سلطة البرجوازية ، الممثلة فى اللجنة المؤقتة للدوما . كان حزب **المناشفة** يعمل اساسا بين جماهير العمال الذين لم يدركوا بعد حقيقة موقف هذا الحزب ، التوفيقى ، ولم يلتفوا بعد حول قطب الحركة الثورية ، الممثل فى حزب البلاشفة . وكان حزب **الاشتراكيين الثوريين** ممثلا فى الاساس لحركة جماهير الفلاحين ، ومعبرا عن فكريتها .

● **وفى ٢ مارس :** تشكلت حكومة مؤقتة برجوازية ، منبثقة من لجنة الدوما المؤقتة ، رأسها « الامير لفوف » الذى احتفظ كذلك بمنصب وزير الداخلية ، وضمت « **ميليوكوف**» للخارجية ، و«**جوشكوف**» للجيش والبحرية ، و «**كيرنسكى**» للعدل . وكان حزب « **الكادت** » البرجوازى ، هو الحزب الذى يحتل الاغلبية الساحقة من المقاعد فى الحكومة الجديدة .

● **فى نفس الليلة :** تحت ضغط حركة الثورة ، وفى قطار تحرك من مقر هيئة اركان حرب الجيش فى موجيليف الى بتروجراد ، **وقع القيصر وثيقة تنازله عن الحكم لصالح اخيه الامير مايكل ،**

في حضور مندوبين من الدوما . وطلب جوشكوف وزير الحـرب من القيصر قبل توقيع وثيقـة التنازل ، تثبيت تعيين « الامير لفوف » رئيسا للوزارة..وحاول جوشكوف عند وصول القطـار الى بتروجراد ان يهتف بحيـاة القيصر الجديد «مايكل» ..ولكن هتافه قوبل بموجة عارمة مـن الاستنكار . ولم يجد « مايكل» مفرا من التنازل بدوره عن السلطة في اليوم التالي .

● **كانت ثورة فبراير قد تم انجازها . وانتقلت السلطة في روسيا من القيصر الى البرجوازية الروسيـة . كانت الفكرية البرجوازية الصغيرة السـائدة بين الجماهير الواسعة ، هي التي حالت دون انتقال السلطة مباشرة الى اكثر فئات المجتمع ثورية . ونشأ في وقت واحد ، سلطتـان معـا .. سلطة « البرجـوازية » ، ممثلة في الحكومة المؤقتـة ، وسلطـة ديمقراطية تمثل جماهير «العمال والفـلاحين » ، وممثلة في السوفييتات .**

وخرج **الحزب البلاشفي** مـن السرية ، وأخذ يعمل لاول مرة منذ ثورة ١٩٠٥ في وضح النهار، ويناضل من أجل السير بالثورة الى نهاية المطاف ، والانتقال بها الى الاشتراكية .وكان لابد لهذه العملية من عدة شهور ، شهدت أخطر صراع عرفته روسيا في تاريخها كله ، استمر حتى تمكن السوفييت من السلطة في ثورة اكتوبر .

عـودة لينـين و«كتابات أبريل»

● **وفي ليلة ٣ ابريل ١٩١٧،** وصل لنين الى محطة «فنلندا» في بتروجراد ، غائدا من منفاه في سويسرا . استقبله في المحطة آلاف من العمال والجنود والبحارة . قال في خطبة قصيرة : « لقـد اطاح العمال والجنود بكل بسالة وبطولة ، بنظام الاوتوقراطيـة القيصرية ،وحولوا روسيا في ايام معدودة ،من بلد متخلف سياسيا، الى اكثر الدول الديموقراطيـة حرية .. الان ، ينبغي الاطاحة بقيصر آخر ، هو رأس المال .. ان المصانع والمطاحن لا يجب ان تـكون ملك الرأسـماليين ، بل ملككم أنتم .. والارض يجب ان يملكها الفلاحون ، لا اصحاب الإقطاعيات » . واختتم خطابه بالهتـاف : « عاشت الثـورة الاشتراكية » .

● **وفي ٤ ابريل ،** القى لنين محاضرة في مقر كتلة البلاشفة داخل سوفييت بتروجراد بفندق طوريدا ، عن «**مهام البروليتاريا في الثورة الراهنة** » . وهـذه المحاضرة نشرت فيما بعد تحت عنوان «**كتابات ابريل**» الشهيـرة . وقد طرح لنين في هـذا البحث الطريق الذي يجب انتهاجه ، لتحـويل الثـورة البرجـوازية الديمـوقـراطيـة الى ثورة اشتراكية .

كان لنين من قبل قد طور فكرة ان الثورة الاشتراكية تستطيع ان تنتصر في ظل ظروف الامبريالية في دولة واحدة ، ولايجب الاقلاع عنها بسبب عدم توافر الظروف لانجازها على نطـاق البلدان الرأسمالية جميعها . وبعد ثورة فبراير .قال «لنين» ان قيـام نظام السوفييتات قد دفع بمحتوى الثورة الى ما هو ابعد من نطاقها البرجوازي الديموقراطي المحض. وأن أفضل طرق انجاز دكتاتورية البروليتاريا، ليس «الديموقراطية البرلمانية » ، بل « الجمهـورية السوفيتية » .

وركز « لنين » بوجـه خاص على ضرورة كشف السياسـة التوفيقية للمناشفة والاشتراكيين الثوريين ، وانحيازهم الى جانب الحكومة المؤقتة ضـد حـركة العمال ، وأفقر فئات الفلاحين. وطالب الجماهير بعدم تأييـد الحكومة المؤقتة التي كشفت عن تصميمها على مواصلة الحـرب الاستعمارية ، تحت شـعار « الدفاع الثوري عن الوطن » . وابرز ان الشـعار الرئيسي في تلك المرحلة ينبغي ان تكون:«كل السلطة للسوفييت » .

● ومن الملاحظـات الجديرة بالذكر ، والتي شوهت كثيرا من جانب القوى المعادية ، هي ان « كتابات ابريل » طرحت للانتقال بالثورة الى الاشتراكية **طريقـا سلميا** ، ولم تناد قط باللجوء الى العنف لتحقيق هذا التحول .قال « لنين » في هذا البحث : «على البلاشفة ان يكسبوا الاغلبيـة داخل السوفييتات بالنضـال السلمي ،ومن خلال هذا النضال، عليهم أن يحدثوا تغييرات في تركيب وسياسة الحكومة ، وان ينجزوا اصلاحات اجتماعيـة جـذرية » . واثار « لنين » المطالب الاقتصادية التي تحقق هذه الاصلاحات ،وبخاصة اقامة اشراف السوفييتات على مختلف مرافق الانتاج ،والتوزيع ،ودمج البنوك في بنك مركزي واحد تحت اشراف السوفييتات ، ومصادرة أراضي الاقطاعيات وتأميم الارض ونقلها الى سوفييتات الفلاحين والعمـال الزراعيين ، واختتم « لنين » بحثه بتناول المهام التي تواجه الحزب في تلك المرحلة . وطالب بتغيير اسم « **الحـزب الاشتراكي الديموقراطي العمالي الروسي** » الى اسم « **الحـزب الشيوعي** » . كما طالب بانشاء « **دولية جـديدة** » للاحـزاب العمالية الثورية ، اطلق عليهـا اسم « **الدولية الثالثة** » وعرفت « **بالكومنترن** » ، وذلك بعـد ثبوت تخلي معظم قادة الاشتراكية الديموقراطيـة في أوربا أثنـاء الحـرب عـن الموقف الثـوري المبدئي ، وانتهـاجهم طريق الانتهازية والشوفينية والتعصب القـومي ، المعـادي للاممية ، ووقـوفهم بجـانب البرجوازية

الامبريالية في كل بلد على حدة ، ضد تضامن حركة العمال على نطاق العالم باسره .

● وقد حازت **«كتابات ابريل»** تأييد الغالبية العظمى من أعضاء الحـــزب البلشفى ، واصبحت أساس برنامج الحزب من اجل التحول الثورى الى الاشتراكية . ولم يعارضها سوى اقلية مـن العناصر المنشقة ، وفى طليعتها كامينيف وريكوف وبياتاكوف . وفى ٢٤ ابريل ، افتتح فى بتروجراد **« الكونفرانس (المؤتمر) السابع للبلاشفة »** وانعقد الكونفرانس بصورة علنية لاول مرة فى تاريخ الحـــزب البلشفى . واستمرت اجتماعاته لمدة ٦ أيام . وكانت ذات أهمية قصوى ، واعتبر هذا الكونفرانس مماثلا فى خطورته لاهم مؤتمرات الحزب . واقــر الكونفرانس « كتابات ابريل » ، وجعلها أساس قراراته فى تحويل الثورة الديموقراطية البرجوازية ، وتطويرها الى ثورة اشتراكية .

واعترض قادة المناشفة على هذه القرارات بشـــكل قاطع وصريح . قالوا : « زرع لنين شجرة الحـــزب الاهلية فى قلب الثورة الديموقراطية » . ووصف « بليخانوف » برنامج لنين بانه « عبث » ! ولكن المجرى اللاحق للاحداث أثبت عكس ذلك تماما .

● انفجرت اول ازمة تعرضت لها **الحكومة المؤقتة** حول مشاكل **« السياسة الخارجية »** .. انتهجت الحكومة سياسة خارجية كان من شأنها القضاء على الاســـتغلال السياسى تماما والتبعية الشاملة للاستعمار الفرنسى البريطـــانى الامريكى .

● فى **١٨ ابريل ١٩١٧** ، ابلغ « ميليوكوف » ، وزير الخارجية ، سرا ، حلفاء روسيا فى الحرب بان الحكومـــة تـــررت مواصلة الحرب « حتى نهايتها الظافرة » . وقد تسرب الخبر الى بعـــض الصحف . وابتداء من **٢٠ ابريل** ، بدأت المظاهرات التلقائيـــة تعم بتروجراد ، وهى تحمل لافتات تقول : « انهوا الحرب ! » ، « نريد الســـلام ! » « يســـقط ميليوكوف ! » . وقام البلاشفة بدور كبير فى توعية الجمـــاهير بخطورة مـــوقف الحكومـــة ، وبضرورة نقـــل كل السلطة للسوفييت . وامتدت المظاهرات الى موسكو ، والى غيرها مـــن المدن الروسية الكبرى .

واخذ المناشفة والاشتراكيون الثوريون ينحـــازون الى جانب الحكومة المؤقتة ضد البلاشفة .. وصاروا يخاطبون الجمـــاهير ، ويحاولون اقناعها بسلامة موقف الحكومة . وبدأت مفاوضـــات سرية بين أعضاء الوزراء ، وكبار ملاك الارض ، بغية اعادة تشكيل الوزارة بما يكفل تدعيم سلطتها فى مواجهة الجماهير العارمة .

● وفى **٥ مايو** ، اعلن تشكيل **اول حكومة ائتلافية** . ابعدت ميليوكوف ، وزير الخارجيـــة ، استجابة لغضب الجمـــاهير ، وضمت فضـــلا عن عشرة من الرأسماليين المعروفين ، وبينهم صاحب مصانع السكر فى روسيا ، المليونير تيريشنكو ، عـــددا من ادعياء « الاشتراكيين » ، أمثال **كيرنسكى** الذى اصبـــح وزيرا للحربية ، والمنشفيك تسيرتيلى ، والاشتراكى الثورى **شرنوف** .. واحتفظ **الامـــير لفوف** برياســـة الوزارة .

اثبتت الاحداث ان الحكومة المؤقتة الاولى التى تشكلت من رأسماليين فقط ، لم تستطع أن تبقى فى الحكم اكثر من شهرين .. كان لابد مـــن تطعيم الوزارة بعناصر من المناشفة والاشتراكيين الثوريين لتضليل الجمـــاهير . والواقع أن هـــذه التعـــديلات الصورية لم تغير من الموقف فى شئ .. لقد استمرت الحرب .. وزادت تبعية روسيا للدول الغربية . وفى مايو ، وصلت بعثة امريكية برياسة « روت » لتقديم معونة للحكومة المؤقتة ، حتى تستطيع شراء مزيد مـــن الاسلحـــة .. وتفـــاقمت كافة المشاكل المعلقة .


تفـــاقم النضال الثورى

● وشهد صيف عام **١٩١٧** بالفعل تفاقما (ملحوظا) للصراع الطبقى .. تمثل بوجه خاص فى تعاظم مطالب العمال الذين قاموا بدور قيادى فى احـــداث فبراير ١٩١٧ . أنشأت الوزارة الائتلافية لاول مرة **«وزارة عمل»** برياسة عضو حزب المنشفيك تسيرتيلى .

الســـوفييتات

« سوفييت » كلمة روسية تعنى « هيئة » او « مجلس سياسى » .. وبرزت السوفييتات كهيئات سياسية ثورية ، تضم ممثلين لعمال الطباعة والليثوغراف بموسكو وســـان بيترسبورج ، لاول مرة اثناء ثورة ١٩٠٥ .. ولكن قضت عليها الحكومة القيصرية بعد فشل الثورة فى نهاية ١٩٠٥ .. ولم تظهر من جديد الا فى ثورة ١٩١٧ . وبعد ثورة فبراير ؛ اندمجت سوفيتات مندوبى العمـــال وسوفييتات منـــدوبى الجنود ، وانضمت اليها سوفييتات الفلاحين فى اعقاب ثورة اكتوبر .. كانت اللجنة التنفيذية لسوفييتات كل روســـيا تعقد جلساتها بمدينة بتروجراد طوال مرحلة الفترة الانتقالية من فبراير حتى ثورة اكتوبر .

وبدلا من حماية مطالب العمال المشروعة ، انطلق الوزير الجديد فى حملة شاملة ضد مستوى معيشة الكادحين .. وتضاعفت ارباح الرأسماليين ، وزادت عمليات الفصل والتشريد من المصانع .. وتفاقمت البطالة.

وأجابت الطبقة العاملة على هذه الاجراءات التعسفية باضرابات ، انتشرت من موسكو الى الدنباس ، الى باكو ، الى افانو فوسنيسنك ،وبلغت منطقة الاورال . وفرض العمال بصورة تلقائية يوم العمل من ثمانية ساعات . وزادت حركة الطبقة العاملة تنظيما . وبلغ عدد العمال المنتظمين فى نقابات مليونين . كما برز دور **لجان المصانع** فى حماية مصالح العمال، وتنظيم اشرافهم على عمليات الانتاج ، ومناهضة جشع الرأسماليين ، وتأمين مصالحهم ضد البطالة » واعتداءات رأس المال ».

● وكان لبسالة نضال العمال أصداؤه البعيدة فى **الريف** . وقام بدور فعال فى توعية جماهير الفلاحين بمصالحها . ولمواجهة هذا الخطر الجديد ، عين الاشتراكى الثورى « شرنوف» **وزيرا للزراعة** .. وصور الوزير الجديد بوصفه « الوزير الفلاح» .. وذلك لمواجهة حركة الفلاحين، وما كانت تنطوى عليه من اخطار تهدد مصالح الفئات المستغلة.

● **وفى مايو،** انعقد فى بتروجراد المؤتمر الاول للفلاحين . وكان المؤتمر تحت هيمنة «الاشتراكيين الثوريين » .. وطالب المتحدثون باسم هذا الحزب اغفال شعار البلاشفة بالاستيلاء فورا على الاقطاعيات ، وارجاء الاصلاح الزراعي حتى تنعقد الجمعية الوطنية . ولكن الاقلية البلشفية داخل المؤتمر ، تحت قيادة « فرنزى » ، ناضلت بقوة من أجل افساد مخطط الاشتراكيين الثوريين . وفى ٢٢ مايو ، وجه لنين خطابا الى المؤتمر طالب فيه بالمصادرة الفورية لاراضي كبار الملاك . ولكن رغم ذلك ، نجح الاشتراكيون الثوريون ،فى فرض خططهم على المؤتمر .

الا ان حركات الفلاحين اخذت تنتشر فى الفولجا ، واوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، وغيرها من المناطق التى تميزت بنقص ملحوظ فى الاراضي الزراعية . **وفى الفترة مابين يونيو واغسطس ١٩١٧** ، استولى الفلاحون على ٢٣٩٠ مزرعة ، اى بمعدل يفوق ٥ مرات حركات الاستيلاء فى الفترة السابقة ، بعد فبراير . وأرسلت الحكومة المؤقتة فرقا خاصة لمعاقبة الفلاحين المتمردين .. ولكن هذا الاجراء أدى الى زيادة حركات الاستيلاء اتساعا.

كوميونة باريس

اول ثورة بروليتارية فى العالم ، اطلقها عمال باريس فى ١٨ مارس ١٨٧١ واغرقتها البرجوازية فى الدم بحركة انقلابية رهيبة فى ٢٧ مايو التالى .

جاءت الثورة بعد هزيمة فرنسا فى الحرب الفرنسية الالمانية التي اطاحت بحكم نابليون الثالث فى ١٨٧٠ .وكانت الحكومة الفرنسية برياسة « تيير » بعد حصار باريس على يد الالمان قد لجأت الى فرساى ، وبدأت تطالب اهل باريس بتسليم اسلحتها .. وتضامنت حامية باريس مع العمال ،ورفضوا تسليم المدافع ، واعدمت الحامية رسول الحكومة الجنرال لوكونت . طالب « تيير » باجلاء العاصمة ورفضت باريس وبدأت تنظم صفوفها ، وتشكلت لجنة مركزية للحرس القومي فى ١٥ فبراير ١٨٧١ ، ساندها الاتحاد الدولى للعمال واتحاد النقابات وفى ٢٦ مارس ، انتخبت الهيئة القيادية لكوميونة باريس .

وكانت الاتجاهات الثورية المشتركة فى الثورة اربعة :انصار « بلانكى » المطالبين بعمل ثورى مباشر . و« اليعاقبة» الذين ارادوا ان يشكلوا من كوميونة باريس حكومة مركزية لفرنسا ، بعض الساسة الطموحين ، وممثلي الدولية العمالية .

واخذت الكوميونة تنظم صفوفها سياسيا وعسكريا ،ولكنها رفضت ان تستولي على بنك فرنسا ، واجبار البرجوازية المعادية على الرضوخ لسيطرتها الاقتصادية .

وجعلت الكوميونة الراية الحمراء رايتها . وانشأت لجنتين للامن القومى وللسلامة العامة وفصلت الدولة عن الكنيسة ـ واوقفت العمل الليلى ، وطبقت يوم العمل الذي لا يتجاوز عشر ساعات وأعلنت مبدأ « الارض للفلاح ، والالة للعامل ، والعمل للجميع » .

واخذت المواجهة تحتدم مع حكومة فرساى ، وعبأت هذه الاخيرة ١٣٠ الف جندى لسحق الكوميونة ، تحت قيادة الجنرال ماكماهون بمجرد أن افرج عنه الالمان .واعلن الجنرال جاليفيه « حربا شعواء لا هوادة فيها ولا شفقة ضد هؤلاء الخونة » ، وردت الكوميونة باعدام رهائن فرساى . واخذ ماكماهون يدك باريس بمدافعه ، تحت أعين الالمان ودون ان يحركوا ساكنا . وفى ٢١ مايو ، دخل جنرالات فرساى باريس وبدأوا يعدمون قادة الثورة بالجملة ،واقيمت المتاريس فى شوارع باريس ، ودافعت الاحياء الشعبية عن حكومة الثورة ببسالة منقطعة النظير . واعدمت الحكومة ٢٠ الفا ، واعتقلت ٢٨ الفا آخرين ، واستمرت المطاردات فى كافة احياء باريس ونفي ٧٥٠٠ الى كاليدونيا الجديدة ، وصفي الحزب الثورى فى فرنسا لمدة ٢٠ عاما ..

وقد اكتسبت كوميونة باريس اهمية تاريخية كبرى بالدروس التى استخلصها كارل ماركس من تجربتها المجيدة ، والخبرات التى استمدت منها فى ثورة اكتوبر ، وغيرها من الثورات العمالية فى العالم .

● وكما تعاظم صراع العمال والفلاحين ، اخذ الشعور الثورى يجتاح **الجنود** كذلك . تشكلت « **لجان للجنود** » فى الوحدات العسكرية الواقفة فى الصفوف الامامية ، وكذلك فى المؤخرة . وتركزت مطالبهم بوجه خاص فى ضرورة انهاء الحرب الاستعمارية العالمية ، واعادة السلم . وشهد وقتذاك احد الجنرالات هو الجنرال دراجوميروف بانه « لا يساوره الشك فى أن الشعور السائد داخل الجيش ، هو الرغبة فى السلام . وكل من ينادى بسلم بدون الحاق ، ويكفل حق تقرير المصير ، يكتسب شعبية ضخمة بين الجنود . وقد عمت الرغبة فى السلم بدرجة أن المجندين الجدد ، يرفضون الانضواء تحت السلاح ، ويقولون انهم على غير استعداد للقتال ، أيا كانت الاحوال » .

● وفى صيف ١٩١٧ ، تفقد « كيرنسكى » الصفوف الامامية ، محاولا اقناع الجنود بضرورة مواصلة الحرب . وبسبب هذه الجهود ، اطلق عليه — تهكما — اسم « زعيم الدعاة للحرب » . ولكن تحريضاته قبلت بصمت ونفور .

● وكانت حركة **الاقليات القومية** ضد سياسة القيصر فى القمع الاستعمارى ، احتياطيا آخر له اهميته العظمى فى حركة الثورة البروليتارية فى روسيا . لقد كان القيصر ينتهج اضطهادا قوميا سافرا ضد كافة الاقليات غير الروسية داخل امبراطوريته . ولم تدخل الحكومة المؤقتة ، تعديلا جوهريا على هذا الوضع . واذا صح انها لم تعد تستطيع أن تكبت حركة الاقليات القومية بالقوة ، فلجأت الى بعض التنازلات الصورية او الجزئية ، ولكن بدون المساس بجوهر الاضطهاد القومى . ورفضت أن تعترف بحق تقرير المصير ، أو بحقوق الاجهزة النيابية المحلية فى مقاطعات فنلندا أو اوكرانيا ، أو فى آسيا الوسطى أو فى القوقاز . وفى مقابل هذا الموقف من جانب الحكومة المؤقتة ، نشأت حركات قومية فى هذه المناطق ، تحت قيادات برجوازية ، كانت تبدى استعدادها للوصول الى حلول وسط على حساب حقوق الاقليات الاساسية . كان هؤلاء القادة يعلنون تصميمهم على الغاء الاضطهاد القومى ، ولكن تركز اهتمامهم الأول على خنق الثورة ، خوفا من انتشارها الى صفوف المستغلين داخل مقاطعاتهم .

ومن كل هذه الظواهر ، يتضح أن حركة الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية كان يناصرها ، ويتداخل معها حركة الفلاحين من اجل الارض ، وحركة الجنود من أجل السلام ، وحركة الاقليات القومية من أجل تقرير المصير . وهذا التمازج والتداخل لحركات ثورية ذات محتوى متباين فى تيار ثورى واحد ، هو الذى انشأ انسب الظروف للانتقال بالثورة من مرحلتها الديموقراطية البرجوازية الى مرحلتها الاشتراكية ، وأسهم فى تدعيم مركز « الحزب الشيوعى » بوصفه التنظيم السياسى الوحيد الذى تبنى هذه الحركات جميعها ، ودفع بحركتها الى أقصى ابعادها .

● ومن أبرز خصائص تلك المرحلة ، تعاظم نفوذ وهيبة الحزب الشيوعى ، وقيادة لنين فى روسيا كلها . وفى أشهر معدودة ، تضاعفت قوات الحزب ٣ أضعاف . وتحولت السوفييتات فى مناطق عديدة ، الى سوفييتات اكتسبت بالتدريج قيادة بلشفية ، وبخاصة فى المناطق العمالية . كما تعاظم دور الحزب داخل النقابات ، وبوجه خاص فى مدينتى بتروجراد وموسكو . وكذلك فى لجان المصانع .

● وفى ٣٠ مايو حتى ٣ يونيو ١٩١٧ ، انعقد كونفرانس (مؤتمر) لجان المصانع بمدينة بتروجراد ، وكانت أعمال الكونفرانس تحت قيادة البلاشفة . وطالبوا بتحقيق هذه اللجان فى الاشراف على العمل داخل المؤسسات الانتاجية ، ورفع العمال مطالب مماثلة ، بفضل نشاط البلاشفة ، فى موسكو وايفانو فوسنيسنك وخاركوف والدونباس والاورال .

وقام البلاشفة بعمل واسع النطاق داخل المناطق الريفية . وطالبوا الفلاحين بالاستيلاء على أراضى كبار الملاك ، وانجاز الاصلاح الزراعى بكيفية ثورية . وكان البلاشفة يجدون استجابة ملحوظة بين الجنود العائدين الى الريف ، وافقر فئات الفلاحين المجردين من كل ملكية .

وأنشأ البلاشفة وحدات ثورية داخل القوات المسلحة فى موسكو وخاركوف وكييف وسراتوف ، كما انشأوا مجلة خاصة للجيش تحت اسم « سولداتسكايا برافدا » لتوزيعها على قوات الجبهة .

وانتشر نشاط البلاشفة كذلك داخل الاسطول ، وبخاصة أسطول البلطيق ، تحت قيادة البحار البلشفى **ديبنكو** .

وترتب على هذه الاحداث تفاقم الصراع الاجتماعى . وعلى الرغم من ان المناشفة ، والاشتراكيين الثوريين كانوا مازالوا يحتفظون بنفوذ واسع على جماهير عريضة ، الا أن الجماهير كانت تتجه اكثر واكثر نحو البلاشفة .

● **وفى ٣ يونيو** ، افتتح المؤتمر الاول لسوفيتات العمال والجنود ببتروجراد ، حضره اكثر من الف مندوب عن ٣٥٠ سوفييتا . وكان فى مقدور المؤتمر نظرا لتأييد الجماهير له على أوسع نطاق **ان يستولى سلميا على السلطة** . ولكن المناشفة والاشتراكيين الثوريين كانوا مازالوا يشكلون الاغلبية داخل السوفييتات ، ولم يكن البلاشفة ممثلين الا بـ ١٠٥ مندوبا . وتحدث « الموفقين » من المناشفة والاشتراكيين الثوريين عن ضرورة تأييد الحكومة المؤقتة وضرورة الحرص

على « وحدة جميع القوى التى تناصر الثورة » . ولكن الصراع داخل المؤتمر كان قد بلغ أوجه. ونهض **تسيرتيللى** (من المنشفيك) يقول : « لا يوجد حزب واحد يستطيع أن ينفرد بالسلطة فى روسيا » .

ولكن لينين أجاب قائلا : « هذا غير صحيح . بل يوجد هذا الحزب » .

وصعد الى المنصة قائلا : « ان حزبنا على استعداد كى يتولى مسئوليات السلطة فى الحال » .

الثورة المضادة تنتقل للهجوم

● وأكد لينين وقتذاك : « ان السوفييتات وحدها هى التى تستطيع ان تضع البرنامج الكفيل بتوفير الغذاء للشعب ، والأرض للفلاحين ، وكسب السلام ، وانقاذ البلد من الخراب » .

ولكن الغالبية داخل المؤتمر انتهجت سبيل التهدئة ازاء الرأسماليين ، وتبنت قرارات خططها الاشتراكيون الثوريون والمناشفة ، ولكن حدثا وقع اثناء المؤتمر عبر عن رفض الجماهير لهذه السياسة ، وكانت له عواقب خطيرة .

● فى يوم **١٨ يونيو** ، نظم المؤتمر مظاهرة تستهدف تعبئة الجماهير فى اتجاه تأييد الحكومة المؤقتة ، وتأكيد تصميمها على استمرار الحرب الاستعمارية حتى « نهايتها الظافرة » . وقد قرر البلاشفة الاشتراك فى هذه المظاهرة ، ولكن بهدف رفع شعاراتهم التى تكشف هذه السياسة ، وتدينها ادانة تامة. وفى **صبيحة ذلك اليوم** ، بدأ المتظاهرون يتحركون نحو ميدان « مارس » حيث أقيم ضريحا ضخما لشهداء الثورة . وشيئا فشيئا ، تحولت المظاهرة الى مظاهرة عمالية ، وأخذت ترتفع شعارات البلاشفة ، مطالبة بانتقال «كل السلطة للسوفييت» ، وتنادى « بسقوط الوزراء الرأسماليين » و « لا اتفاقات سرية مع الرأسماليين الفرنسيين والانجليز » .

● **وفى يوم ٢٥ يونيو** ، قامت مظاهرات مماثلة فى موسكو ، وفى مدن كثيرة اخرى تحت قيادة البلاشفة . وكانت كلها تعبر عن تعاظم نفوذ الحزب البلشفى ، وكسبه تأييدا متعاظما بين أعرض الجماهير .

● ولمواجهة هذا التحول الخطير فى الرأى العام ، شنت الحكومة المؤقتة هجوما عسكريا شاملا فى مختلف الجبهات ، أملا فى أن انتصارا عسكريا كفيل بافساد السياسة التى تطالب بوضع حد للحرب . ولكن المحاولة فشلت . وبعد عشرة أيام ، تمخضت المعارك العسكرية عن ١٥٠ الف ضحية ، بين قتيل وجريح ..

وانتشر خبر الكارثة العسكرية بسرعة البرق ، وزاد شعور التذمر والغضب بين الجماهير . وخرجت قوى الثورة المضادة تحمل البلاشفة مسئولية الهزيمة، وتتهمهم « بالخيانة العظمى » .. وبلغ التوتر فى بتروجراد حد الغليان .

● **وفى ٢ يوليو** ، استقال الوزراء من حزب « **الكادت** » ، بدعوى انهم يعارضون سياسة الحكومة من المشكلة الاوكرانية. وكان هدف الوزراء البرجوازيين من هذه المناورة ، اجبار الاشتراكيين الثوريين والمناشفة على قبول سياسة موغلة أكثر فى الرجعية . ولكن المناورة لم تأت بالهدف المنشود .

● **وفى صبيحة يوم ٣ يوليو،** قررت فرقة المشاة الاولى فى حامية بتروجراد التمرد ، وادارت بنادقها ضد الحكومة المؤقتة . وأرسل الجنود المتمردون مندوبين عنهم للفرق الاخرى بالجيش وللمصانع . وقامت مظاهرات مفاجئة تعم الشوارع ، وتنادى « بكل السلطة للسوفييت » .. وأخذت الجماهير تعبر بقوة عن تصميمها على التخلص من الحكومة المؤقتة .

ولكن الهبة التلقائية انفجرت فى وقت ، لم تكن الظروف قد تضجت بعد لانتهاج طريق التمرد السافر . وكانت قطاعات عريضة من الكادحين مازالت

حزب الكاديت

الاسم الذى اطلق على الحزب الدستورى الديموقراطى KD فى روسيا القيصرية ، فى ظل حكم اخر قياصرتها ، نقولا الثانى . كان هذا الحزب « الكاديت » يمثل البرجوازية الليبرالية فى الطبقة الحاكمة ، وقام بدور المعارضة البرجوازية داخل دورات الدوما المتتالية ، وكان ميليوكوف ابرز ممثلى هذا الحزب . وشكل حزب الكاديت الاغلبية فى اول حكومة مؤقتة بعد ثورة فبراير (مارس — ابريل ١٩١٧) . واصبح الحزب ابرز ممثل للبرجوازية الروسية فى الفترة الانتقالية ما بين ثورة فبراير وثورة اكتوبر ، واختفى تماما من مسرح الاحداث السياسية بعد ثورة اكتوبر .

تؤمن بامكانية الوصول الى تسوية مع الراسماليين . واستخدمت القوى المضادة للثورة هذا التمرد ، لشن هجومها الشامل على قوى الثورة .

● وفى ليلة ٤ يوليو ، كانت الحركة قد بلغت ابعادا بات من الصعب التحكم فى مجرياتها . وأصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى قرارا عاجلا بتولى قيادة الجماهير ، وطبع مظاهراتها بالطابع السلمى تحت شعار « كل السلطة للسوفييت » .. وكانت مهمة اقناع جماهير الجنود والعمال بضرورة التمسك بالنضال السلمى ، وعدم اللجوء الى العنف ، مهمة شاقة للغاية ، نظرا للاستفزاز الذى تعرضت له ..

وقد شهدت مدينة بتروجراد فى يوم ٤ يوليو مظاهرات شملت أكثر من نصف مليون شخص . وانضمت جماهير العمال الى الجنود ، وبحارة أسطول البلطيق . وصار المتظاهرون فى تشكيلات عسكرية .. وهم يتجهون الى مقر اللجنة التنفيذية لسوفيتات العمال والجنود ، لمطالبتها بتولى زمام الحكم .

وكانت المظاهرة سلمية ، ولكن الحكومة اتخذتها ذريعة لشن حملتها ضد القوى الثورية . ووقف المناشفة والاشتراكيين الثوريين بجانب الحكومة ضد حركة الجماهير . وصوب جنود مرتزقة بنادقهم ضد الشعب ، وأخذوا يطلقون الرصاص من رشاشاتهم . وسقط ٤٠٠ ضحية بين جريح وقتيل .

وكانت هذه المجزرة ايذانا ببدء حملة على أوسع نطاق . أطلقت القوى الموالية للحكومة ، ووحدات الكوزاك ، ضد العمال والجنود والبحارة الثوريين . ووجهت الضربة الرئيسية ضد الجزب البلشفى فى كل مكان ، وحرصت الحكومة على بث دعايات تدمغ الحزب بالخيانة ، والاستسلام لالمانيا . وصودرت جريدة « البرافدا » وجريدة « سلواتسكايا برافدا » المنتشرة بين جنود الجبهة . وقبض على عدد من قادة الحزب ، وعلى رأسهم ديبنكو ، وفلاديمير نفسكى ، والكساندرا كولونتاى .

● وفى يوم ٧ يوليو ، صدر قرار بالقبض على « لنين » ، بعد اتهامه «بالخيانة العظمى» . واضطر لنين ان يلجأ — للمرة الاخيرة — الى السرية . اختفى فى أول الامر بمكان مجهول فى بتروجراد ، ثم انتقل الى زادليت فى خليج فنلندا .. وتلك هى الفترة التى الف فيها كتابه المعروف «(الدولة والثورة)» فضلا عن بعض المقالات السياسية الهامة لصحافة الحزب السرية . وفى شهر اغسطس ، انتقل لنين الى فنلندا .

واجتاحت المظاهرات مناطق مختلفة من روسيا ، تستنكر حملات الحكومة المعادية لحركة الجماهير الثورية . ولكن الحكومة واصلت حملتها بعنف منقطع النظير فى كل مكان .

● وفى يوم ٨ يوليو ، عين « كرنسكى » رئيسا للوزراء ، وفى ٩ يوليو ، أعلنت الاغلبية المشكلة من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة داخل اللجنة التنفيذية لسوفيتات العمال والجنود ان « الحكومة المؤقتة انقذت الثورة » ونقلت كل السلطات اليها .

واعلن فى يوم ٢٤ يوليو ، تشكيل الحكومة الائتلافية الثانية . واصبح نصف الوزراء من المناشفة ، والاشتراكيين الثوريين .

وكان تاليف حكومة كرنسكى ايذانا بانتهاء فترة « السلطة المزدوجة » . اصبحت البرجوازية ، فى تحالف مع ملاك الارض ، اصحاب السلطة الحقيقية وحدهم . واستطاع هذا التحالف الرجعى من اخضاع سلطة السوفييت لسيطرته ، عن طريق هيمنة المناشفة والاشتراكيين الثوريين على معظم اجهزتها ولجانها .

قال لنين : « ان توازن القوى الطبقية قد اختل نهائيا بتاليف الحكومة الجديدة وانتهاء مرحلة السلطة المزدوجة . لم يعد من الممكن تطوير الثورة بالطرق السلمية . بعد لجوء البرجوازية الى العنف للاحتفاظ بالسلطة ، لم يعد أمام الجماهير الثورية ، سوى النضال المسلح ضد الحكومة المؤقتة للسير بالثورة الى نهاية المطاف » .

الثورة المضادة تتاهب لتصفية الثورة بالدكتاتورية العسكرية

● فى ٦ يوليو ، اجتمعت اللجنة المركزية للحزب البلشفى برياسة لنين ، وتصدت بالتحليل

الكرملين

مقر القياصرة بموسكو ، ثم اصبح مقر الحكومة السوفيتية . بناه مهندسون معماريون ايطاليون فى عصر ايفان الثالث (١٤٦٢ — ١٥٠٥) وادخل عليه تعديلات وتوسيعات عديدة بعد ذلك ، وبه برج ايفان العظيم بدأ العمل به فى القرن السادس عشر وانتهى فى عصر بوريس جودونوف .. وتنعقد به الان دورات السوفييت الاعلى للاتحاد السوفيتى ، وكذلك للجمهورية الروسية ، وفتح للجمهور منذ ١٩٥٥ .

لاحداث ٣ ، ٤ ، ٥ يوليو . حدد لينين في هذا الاجتماع خطا تكتيكيا جديدا للعمل الثوري ، اصبحت تتطلبه الظروف الجديدة . ونشر لنين عدة مقالات يبين فيها هذا الخطالجديد («عن الشعارات»، «عن الموقف السياسي» ، دروس من الثورة » ..

● **وابتداء من ٢٦ يوليو حتى ٣ أغسطس** ، انعقد المؤتمر السادس للحزب البلشفي في ظروف شبه سرية ، حضره ١٦٢ مندوبا عن تنظيمات الحزب المختلفة ، ولم يحضره لنين شخصيا ، بسبب صدور امر بالقبض عليه . وقام المؤتمر بتحليل مستفيضللموقف الداخلي والدولي ، وحدد احتمالات العمل الثوري واتجاهاته .

وبناء على توصية من لينين ، سحب المؤتمر شعار **« كل السلطة للسوفييت »** مؤقتا نتيجة لسيطرة القوى المعادية للثورة على تنظيماتها عن طريق هيمنة المناشفة والاشتراكيين الثوريين عليها . ومن ثم أصبح هذا الشعار لايتضمن أي محتوى ثوري في تلك المرحلة على وجه التحديد ، وكان من شأنه ، على العكس ، تضليل الجماهير، ليس الا .

ولذلك قرر المؤتمر توجيه البروليتاريا الى القيام بانتفاضة مسلحة من اجل الاطاحة بحكم البرجوازية وملاك الارض ، وانتصار الثورة الاشتراكية، قال المؤتمر ان الظروف اصبحت تستدعي مواجهةالعنف بالعنف. ووضع حد نهائي « لدكتاتورية البرجوازية المناهضة للثورة » وانتخب المؤتمر لجنة مركزية للحزب تضم لنين ، وجوجنسكي، والكساندراكولونتايوسفرولوف وستالين ، وآخرين ..

وقد اكدت احداث الايام التالية صحة تحليل المؤتمر السادس . اخذتالقوة المعاديةللثورة تتأهب لفرض دكتاتورية عسكرية سافرة ، بعد نجاحها في تحطيم هبة الجماهير الثورية في يوليو . وكان الرأسماليون يؤمنون أن الدكتاتورية العسكرية وحدها ، هي القادرة على تحطيم الثورة ، وتصفيتها نهائيا .

واخذ «الحلفاء» — فرنسا وانجلترا وامريكا — يتشاورون سرا مع قادة الجيش الروسي ، استعدادا لفرض هذه الدكتاتورية العسكرية .. واشتركفيالمؤامرةجميع الاحزاب البرجوازية في روسيا ، وعلى رأسها حزب **« الكادت »** واختير الجنرال **كورنيلوف** كي يكون المرشحلقيادة العملية الانقلابية. وعقدت الحكومةالائتلافية مؤتمرا بهدف اضفاء طابع الشرعية على الانقلاب العسكري .

● **وافتتح المؤتمر بمسرح بولشوي بموسكو في ١٢ اغسطس** . حضره ممثلون لاوساط الصناعة والتجارة ، وملاك الارض ، وقيادة الجيش، والكنيسة ، واعضاء الدوما السابقين ، وقادة حزب الكادت والمناشفةوالاشتراكيين الثوريين **وفي ١٣ اغسطس** ، وصل كورنيلوف الى موسكو من مقر هيئة اركان حرب الجيش في موجيليف .. واستقبل استقبال الابطال .وارتمتامرأة مليونيرة، تدعى « موروزوفا » تحت اقدامه ، وقبلت يديه ، وهي تصرخ : «اتوسل اليكياجنرال.. انقذ روسيا المقدسة من الغوغاء » ..

وتقرر عقد هذا المؤتمر في موسكو ، وليس في بترو جراد، لان القوى المعادية للثورة كانت تعتقد ان موسكو اقل تعرضا للموجة الثورية من بتروجراد ، ويمكن فرض الانقلاب الرجعي باضرار اقل . ولكن ثبت أن هذه التقديرات لم تكن صحيحة .. فقد فضحت اللجنة المركزية للحزب البلشفي طبيعة المؤامرة التي تحاك في الظلام ، ووقف بجانبها اتحاد النقابات،وتنظيمات الحزب في موسكو ، واضرب اكثر من ٤٠٠ الف عامل في مدينة موسكو في يوم افتتاح المؤتمر ، واتسعت عمليات الاستنكار الى كافة مدن روسيا الكبرى ، وعلى رأسها بتروجراد وكييف وخركوف وسمارا .

وازاء حركةالجماهير العارمة، وجدت قوى الرجعية انالحكمة تستدعي ارجاء المؤامرة مؤقتا ، وتأجيل فرض **دكتاتورية كورنيلوف** .

ولكن التدبيراتلانجاز العملية استمرت في الخفاء . وصدرت تعليمات سرية من قيادة الجيش في موجيليف ، بقمع التحركات الثورية في بتروجراد ، و «اعادة النظام » الى المدينة . وارسلت فرقة بقيادة الجنرال **كريموف** الى بتروجراد ، لوضع هذه التعليمات موضع التنفيذ . كما صدرتالاوامر الىالتشكيلات

الكوزاك

اهالي روسيا الجنوبية وبخاصة منطقة الدنيبر والدون اغلبهم من الرحل ، استقروا في هذه المناطق منذ القرن الخامس عشر . وكانوا اخلص المدافعين عن القيصر والقيصريةفي ايامها الاخيرة ولكن وقفوا من القيصر نيقولا الثاني في ١٩١٧ موقفا اقرب الى الحياد ، بدلا من ان يهبوا لحماية عرشه كما كان يتوقع . وكان ذلك سببا رئيسيا في تنازله عن العرش في فبراير — مارس ١٩١٧ .. وانضم جزء من الكوزاك الىالجيشالاحمر بعد استقرار سلطةالسوفييت، ولكن ظل اغلبهم مناهضا للسلطة الجديدة لفترة طويلة .. ولم تعد الحكومة السوفيتية تشكيل وحدات السواريالكوزاك الا اثناء الحرب العالمية الثانية .

المعادية للثورة في كافة ارجاء روسيا لتنشيط عملها ، وتدبير الاغتيالات ضد البلاشفة ، وبث الرعب واشاعة الارهاب في صفوف الشعب .

كانت القوى المعادية للثورة تمهد بكل قوة لحرب اهلية ، بهدف اغراق الثورة في الدم ، توطئة لفرض دكتاتوريتها العسكرية السافرة .

ولم يكن كرنسكي ، رئيس الوزراء ، يجهل هذه العمليات التي تجري في الخفاء . وكانت الفرق تبعث لقمع الحركات الثورية في جهات مختلفة من روسيا بعلمه وبموافقته . ولكن بمجرد انفجار غضب الجماهير ضد العمليات التي كانت تدبرها قيادة الجيش في موجيليف وبروز هذه العمليات بوصفها تمرداً على السلطة الشرعية من اجل احداث انقلاب عسكري .. وبعد ان اصبحت الموجة العارمة تهدد بالاطاحة بمركزه ، فضلاً عن تصفية كورنيلوف ومعاونيه ، غير كرنسكي موقفه فجأة .. واعلن ادانته للتمرد في الجيش ، وتصميمه على قمعه بلا تردد .

حركة الثورة تزداد عمقاً

● ان اخبار التمرد المعادي للثورة اخذت تنتشر في مختلف ارجاء روسيا . واصبحت الجماهير تعبر عن غضبها واستيائها علناً . واصبح الحزب البلشفي يجسد في نظر الجماهير طليعة القوى المناهضة لمؤامرة كورنيلوف ، واخذت الجماهير الواسعة تلتف حوله بقوة . لقد انضم ٢٥ الف عامل الى الحرس الاحمر في بتروجراد ، وعشرات الالاف من الجنود والبحارة اعلنوا تصميمهم على حماية المدينة من غزو المتمردين . وفي موسكو ومينسك وايفانو فوسنيسنسك وكازان ونجني نوفجورود وغيرها من مدن روسيا ، انطلقت الجماهير الغاضبة مؤكدة تصميمها على تصفية انصار كورنيلوف . وانضمت القوات المسلحة في الجبهة الى قوى الثورة المناهضة للتمرد .

● وفي ٣٠ اغسطس ، اصبح من الواضح ان المؤامرة وئدت في مهدها . فانتحر كريموف ، ونحى كورنيلوف من مركزه كقائد عام للقوات المسلحة . وبذلك انتهت تلك المؤامرة الخطيرة لخنق الثورة .

وكان للنضال ضد تمرد كورنيلوف دلالاته البعيدة على التطورات اللاحقة للحركة الثورية . لقد كشف للجماهير حقيقة موقف الحكومة المؤقتة ، وكذلك دور المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، فقد كانت هذه الاحزاب تدعي وقوفها في صف الثورة ، ولكنها في واقع الامر كانت تخدم مؤامرة أكثر القوى رجعية ، ومناهضة للعملية الثورية في كافة ابعادها .

واخذت جماهير اوسع تتجه الى الطبقة العاملة والحزب البلشفي ، وعرفت هذه المرحلة بالبلشفة السريعة للسوفييتات .

● وفي ٣١ اغسطس ، اي في اليوم التالي مباشرة لفشل مؤامرة كورنيلوف ، اتخذ سوفييت بتروجراد اول قرار مؤيد لموقف البلاشفة . ذهل شييدزي ، الرئيس المنشفي للسوفييت ، بدرجة انه طلب اعادة التصويت ٣ مرات متتالية . ولما تأكد أن ١٠٧ من المندوبين ـــ وهم يشكلون اغلبية ــ صوتوا في اتجاه سحب الثقة من قيادة السوفييت المشكلة من المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، انسحب من المنصة دون ان يلتفت اليه احد والجماهير تهتف بقوة وحماس . ومنذ ذلك التاريخ ، تولى البلاشفة قيادة سوفييت بتروجراد .

● وفي ٥ سبتمبر ، صدر اول قرار مؤيد للبلاشفة من سوفييت موسكو ، وخلال شهر سبتمبر كسب البلاشفة الاغلبية في عدد كبير من السوفييتات ، وخاصة سوفييتات المدن الكبرى والمراكز الصناعية . ومرة اخرى قرر الحزب اعادة شعار « كل السلطة للسوفييت » المقدسة ، وتحويله الى شعار تنفيذي للنضال المسلح ، ومن اجل الاطاحة العنيفة بدكتاتورية قوى الثورة المضادة .

● واتسم خريف عام ١٩١٧ بتعاظم الشعور الثوري على اتساع روسيا باسرها وبلوغ هذا الشعور حد الغليان . وكانت روسيا في ذلك الوقت مهددة بكارثة اقتصادية شاملة . كان حكم راس المال قد عمق ازمة الصناعة والمواصلات . وهبط الانتاج الصناعي هبوطاً مزعجاً بالمقارنة الى مستواه في العام السابق . وكانت السكك الحديدية شبه مشلولة . وكان الراسماليون يعقدون آمالهم على اجبار العمال على الطاعة والرضوخ عن طريق سياسة واعية تستهدف تجويعهم .. قال المليونير « ريابوشنسكي » في اغسطس انه « ينبغي خنق الثورة باستخدام سلاح الجوع » وبالفعل اغلقت في اشهر معدودة الف مؤسسة صناعية ، وشرد

الطرادة « أورورا »

طرادة من الاسطول الروسي ببحر البلطيق استولى بحسارة الطرادة عليها ، ولعبوا دوراً فاصلاً في ثورة اكتوبر ، بدك قصر الشتاء حولت الطرادة فيما بعد الى متحف .

الاتوقراطية القيصرية

الاتوقراطية نظام سياسي يستمد فيه الحاكم سلطاته من شخصه وحده ، ولا يقبل لها قيود او حدود . واستقر هذا النظام فى روسيا القيصرية ابتداء من القرن السابع عشر حتى ثورة فبراير ١٩١٧ . وكان القيصر هو القانون ،ويعبر عن ارادته عن طريق فرمانات يصدرها ، ويطلق عليها اسم « الاوكاز » .

تنا يقترب من ٣٦٠ الف عامل وعائلاتهم . واخذ المضاربون والمتعاملون فى السوق السوداء يرفعون الاسعار بشكل جنوني . وانخفض انتاج الحبوب الى نصف مستواه فى سنوات ما قبل الحرب

● **وفى سبتمبر ١٩١٧** ، كتب لينين مؤلفه المعروف « **الكارثة المحدقة وكيف نتجنبها** » وابرز فى هذا الكتيب ان الثورة الاشتراكية وحدها ، هى الكفيلة بالتغلب على الازمة الاقتصادية الخانقة .. قال « من المستحيل فى روسيا القرن العشرين التى انشأت جمهورية وديموقراطية بصورة ثورية ،أن تخطو خطوات الى الامام، دون ان تتقدم فى طريق الاشتراكية ، وان تتخذ اجراءات فعالة نحو هذا الهدف » .

ومع تعاظم الازمة على النطاق القومي وتفاقم جوانبها الاقتصادية اخذت حركة الثورة بين الجماهير تزداد عمقا واتساعا . وانتشر الحماس الثورى فى كافة ارجاء البلاد الروسية . واخذت حركة الطبقة العاملة تتجسد فى موجات متتالية من الاضرابات . وبدات الاضرابات لا تقتصر على طابعها الاقتصادي فحسب. بل اكتسبت دلالة سياسية ، ورفعت مطالب سياسية . وفى مناطق عديدة ، مثل بتروجراد وموسكو واوكرانيا والاورال . بدا العمال يديرون بانفسهم المصانع والمطاحن . كانت الطبقة العاملة تستعد لتوليها مهام السلطة .

● **ومن سبتمبر الى اكتوبر** ، تعاظمت حركة **الفلاحين**. تكررت احداث الاستيلاء على قصور الاقطاعيين ، وكادت الحركة تتحول الى حرب اهلية بين الفلاحين واصحاب الارض . وركز الحزب البلشفي جهوده على توحيد الروابط بين الطبقة العاملة ، وافقر فئات الفلاحين. وثبت ان هذا التحالف شكل الدعامة الاولى والاساسية فى انتصار الثورة الاشتراكية .

وتفاقم التذمر فى صفوف **الجيش** . واخذ الجنود يقتنعون بأن لا المناشفة ولا الاشتراكيين الثوريين ، قادرون على اعادة السلام ، وان البلاشفة وحدهم راغبون حقيقة فى تحقيق هذا الهدف . واخذت وحدات بأسرها تنضم الى صفوف البلاشفة ، وتناصر دعاية الحزب فى المناطق الريفية .

كانت روسيا كلها مقبلة على احداث جسام

واخذت الازمات تتكرر بنتائجها ومضاعفاتها داخل صفوف الاحزاب المؤتلفة فى الحكومة المؤقتة . كان الوزراء فى حكومة « كيرنسكى » يعقدون الجلسات تلو الجلسات لمحاولة ايجاد مخرج من المازق ،ولكن كل هذه المحاولات لم تكن تجدى فى شيء .

وحاولت هذه الاحزاب ان تساير متطلبات الموقف بتقمص ثياب البرلمانية البرجوازية .

● **وفى اول سبتمبر** ، اعلنت **الجمهورية فى روسيا** .. وقرر « مؤتمر ديموقراطى » يضم ممثلين للاحزاب المشتركة فى السلطة ، والمنظمات البرجوازية والقومية ، والمجالس البلدية وبعض السوفييتات ، انشاء « هيئة مؤقتة للجمهورية » ، تعتبر هيئة استشارية للحكومة المؤقتة ، وتمهد لعقد البرلمان . وفى سبتمبر ، اعيد تشكيل الوزارة مرة اخرى .. وكانت هذه المرة هى المرة الاخيرة

ان الهدف من كل هذه العمليات كان تغيير الطلاء الظاهرى للاحتفاظ بجوهر مكونات النظام، والصمود لحركة الجماهير ، ومحاولة صرف انظارها وتضليلها وبينما كانت تجرى هذه التغييرات فى الشكل ، كانت المؤامرات تحاك فى الخفاء لخنق الثورة بكل وسيلة ، بما فى ذلك الخيانة السافرة مع المانيا .. لقد دبر فى السر مخطط لانقلاب ثان على نمط انقلاب كورنيلوف ، يستهدف تسليم العاصمة بتروجراد للقوات الالمانية .

● **ولكن فى ٢٩ سبتمبر** ، نشر لنين مقالا تحت عنوان : « **ان الازمة قد نضجت** » .. وجاء فى هذا المقال : « ان نهاية سبتمبر تمثل بلاريب تحولا خطيرا للغاية فى تاريخ الثورة الروسية ،وربما فى تاريخ الثورة العالمية كذلك

ثورة اكتوبر الاشتراكية

● **وفى يوم ١٠ اكتوبر** ، عقد اجتماع للجنة المركزية للحزب البلشفي تحت رئاسة يعقوب سفردلوف، حضره لينين وبوبنوف وجرجنسكى وستالين وكولونتاى، ولوموف واوبوكوف وسوكولنيكوف

وزينوفييت وكاميتيف وتروتسكى.

وكان تروتسكى قداعيد الى الحزب في المؤتمر السادس ، وانتخب عضوا باللجنة المركزية . وكان هذا الاجتماع اول اجتماع للجنة المركزية يحضره لنين منذ احداث يوليو ».

وكان لنين قد نشر مقالات في الفترة السابقة على انعقاد الاجتماع ، احدها بعنوان «يجب على البلاشفة ان يستولوا على الحكم» وآخر بعنوان «الماركسية والاستيلاء على السلطة » ردد فيهما قوله : « ان اغلبية الشعب معنا .. انتصارنا مضمون .. لان الجماهير كادت تيأس ،ونحن نقدم لكل الناس مخرجا من المأزق ..

في هذا الاجتماع ، اتخذت اللجنة المركزية قرارها التاريخى بالاعداد فورا للاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة . ولم يعارض القرار سوى عضوين من أعضاء اللجنة، هما زينوفييف وكامينيف ، وقد فندت الاغلبية اعتراضاتها . واصبح القرار قرارا ملزما للجميع.وكان المؤتمر السادس للحزب قد اكد ان قلب الحكومة المؤقتة بالقوة اصبح شرطا حتميا للانطلاق بالثورة الى الاشتراكية ، ولكن الجديد الذى اضافه اجتماع اللجنة المركزية هو تحويل هذا التقييم للموقف من **تحليل للاتجاه العام** ، الى عمل ينبغى الاعداد له في الحال .

● وكان في طليعة الاجهزة التى عليها ان تقوم بدور اساسي في عملية الاستيلاء على السلطة « اللجنة الثورية العسكرية » التى انشاها سوفييت بتروجراد في **١٢ اكتوبر** بمبادرة من البلاشفة .

● **وفي ١٦ اكتوبر** ، عقدت اللجنة المركزية اجتماعا موسعا برياسة لنين،حضره ممثلون للجنة بتروجراد للحزب واللجنة العسكرية، وسوفييت بتروجراد، والنقابات ولجان المصانع ، وممثلون عن عمال السكك الحديدية .. وتقرر في هذا الاجتماع **اعداد التفاصيل الفعلية** لعملية الاستيلاء المسلح على السلطة ، كما تقرر

حزب البلاشفة وحزب المناشفة

« البلشفية » تعنى باللغة الروسية « الاغلبية » ..وحزب البلاشفة تشكل في الاصل نتيجة لانشقاق حدث في « الحزب الاشتراكى الديموقراطى العمالى الروسى » بعد مؤتمره الثانى الذى انعقد بلندن في ١٩٠٣ . وكان « البلاشفة » يشكلون « الاغلبية » التى تبعت تعاليم لينين في المؤتمر .

والحزب الاشتراكى الديموقراطى العمالى الروسى انشاه بليخانوف واكسيلرود في ١٨٨٣ ، انطلاقا من نشاط مجموعة من المثقفين اليساريين ، اطلقوا على انفسهم اسم « مجموعةتحرير العمل » . وحارب الحزب في بدايته تأثير «النارودنيك» اى « الشعبيين » الذين كانوا يحاربون القيصرية باستخدامسلاح الارهاب الفردى وهبات الفلاحين . ولكن مع انتهاج روسيا طريق الراسمالية ، وبدء انتشار التصنيع ، اخذالحزب يزدهر ويعمل بين العمال ، وينظم صفوفه ابتداء من كونفرانس مينسك (١٨٩٨) .

وكان لنين منذ ١٩٠٠ قد انشأ المجلة السرية «اسكرا»(الشرارة) للحزب . وانفجر خلاف بين الاغلبية التى كانت تتبعه ، و « اقلية » سميت « بالمناشفة » ، تحت قيادةاكسيلرود ومارتوف ، حول مشاكل التنظيم . كانت خطة لنين تقوم على ضرورة بناء حزب ثورى ، يستند الى «قلب» من« الثوريين المحترفين » ،ويتبع قواعد «المركزية الديموقراطية» من اجل اقامة دكتاتورية البروليتاريا . وكانت الاقلية تدعوالى بناء حزب يقبل انتساب العناصر المتذبذبة فىالبرجوازية بهدف اقامة « الديموقراطية السياسية » .

وبعد انشقاق عام ١٩٠٣ ، تعمقت الهوة بين الجناحين اثناء ثورة ١٩٠٥ .. وفسر كل جناح سببهزيمةالثورة نفسيره الخاص . حمل المناشفة جناح البلاشفة مسئولية الهزيمةبسبب اهدافهم الطموحة ، التى لم تكن تشكل في نظارهم سوى ديماجوجية سياسية . وقال البلاشفة ان الهزيمة ناتجة عن انقياد بعض اجنحة قيادة الثورة - ومنها المناشفة - للبرجوازية ،وامتناعها عن ممارسة الاساليب الثورية الكفيلةبتوصيل الثورة الى غايتها .

واخذ يتعمق الخلاف بين الجناحين داخل الحزب في السنوات التالية للثورة . وتمثل الخلاف في الموقف من الاشتراك في البرلمان (الدوما) .. وهل حقا يرجى منه تحولات جذرية داخل اطار النظام القيصرى (اتجاه المناشفة). او يجب استخدامه بهدف كشفه امام الجماهير بوصفهجهازا لا يخدم سوى مكونات النظام القيصرى ،ولا يملك احداث تغييرات جذرية . (اتجاه البلاشفة) .

وبعد فشل محاولة للتوفيق بين الجناحين (باريس ١٩١٠)،انفصل كل جناح فيحزب مستقل (مؤتمر براغ في ١٩١٢) ،وخلق البلاشفة حزبا ماركسيا مستقلا .

في ١٩١٤ ، اعلن حزب البلاشفة عداءه للحرب الاستعمارية،ونادى العمال - تطبيقا لقرارات مؤتمرات الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الاوربية السابقة - بتحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية ضد البرجوازيات المحلية ، ومن اجل الثورة الاشتراكية .وانقاد المناشفة وراء غالبية الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الاوربية التى تغاضت عن قراراتها السابقة ، ودافع كل حزب عن وطنه (وبرجوازيته المحلية) ضد الدول الاستعمارية الاخرى ، وطبقاتها العاملة .

وفي ١٩١٨ ، تحول الحزب الاشتراكى الديموقراطى العمالى الروسى (البلشفى) الى الحزب الشيوعى (البلشفى) .

تشكيل « مركز ثورى عسكرى » يضم سفردلوف وستالين وجرجنسكى وبوبنوف واورنسكى ليكونوا نواة الحزب داخل « اللجنة العسكرية الثورية » .

● **ولكن فى يوم ١٨ اكتوبر حدث أمر غريب** .. نشر زينوفييف وكايانيف فى الجريدة شبه المنشفية « نوفاياجزن » ، مقالا كشفا فيه موقف الحزب البلشفى ، واعداده لثورة مسلحة على السلطة ، وابديا فيه اعتراضهما على هذا القرار . واعتبرت قيادة الحزب هذا الموقف خيانة لم يسبق لها مثيل ، وطالب لنين بفصلهما من الحزب فى الحال ولكن تدخل ستالين وطلب تسوية الموقف ، والعدول عن قرار الفصل .

وقد ترتب على نشر هذا المقال اضرار جسيمة لعمليات الاعداد ، وبخاصة انه لم يعد من الممكن ارجاء القرار بسبب تحرك عجلة الاعداد بالفعل على كافة جبهات الثورة .

ففى بتروجراد اصبح ٢٣ الفا من الحرس الاحمر على اهبة الاستعداد . ونشطت الاثارة داخل صفوف الجنود وفى اسطول البلطيق . وارسلت « اللجنة العسكرية الثورية » فرقا من القومساريين الى المصانع وجنود الجبهة ، وثشلاقات الجيش ، ووحدات البحرية ، والسفن الحربية ، وكان « لينين » يقود بنفسه عمليات الاعداد من مخبئه فى بتروجراد . وامتدت خطط الاستعداد للمعركة الى مؤتمرات السوفييتات المحلية فى الدنباس ، والاورال ، والفولجا وسيبريا .

وكان لتحذير زينوفييف وكامينيف بالاستعداد للاستيلاء على السلطة اثاره البعيدة . اخذت الحكومة **المؤقتة تنقل قوات موالية لها** بسرعة الى ثكنات بتروجراد ، وتعزز القوات المحيطة بقصر الشتاء ، وغيره من مقار النشاط الحكومى . ولم تكن قوى الثورة المضادة تستعد للدفاع فحسب ، بل كانت تتأهب كذلك لاستغلال حركة الجماهير ، بهدف الانقضاض على الثورة وسحقها ، واغراقها فى الدم .

كانت لحظة المواجهة الحاسمة تقترب ..

● ولكن توازن القوى كان فى صالح الثورة . **فى يومى ٢٢ و ٢٣ أكتوبر** ، فرغت « اللجنة الثورة العسكرية » من اعداد الخطة التنفيذية للاستيلاء على السلطة . قال « لينين » ان الخطة بنيت على اساس احتلال المواقع الحيوية فى بتروجراد ، كلها فى وقت واحد ، باكبر سرعة وفعالية ممكنة ، على اساس انجاز هذه العملية من الخارج والداخل على السواء . ووضعت الخطة للتحرك من الاحياء العمالية داخل المدينة ، وكذلك من فنلندا ورافل والكرونستاد . وكانت الخطة تقوم على تحركات موازية للعمال والوحدات العسكرية والاسطول **وفى يوم ٢٤ اكتوبر** ، دخلت المعركة مرحلتها الحاسمة .

● **فى الساعة السادسة صباحا** ، تحركت وحدة عسكرية تتبع حزب « الكادت » المعادى للثورة الى مكاتب الجريدة البلشفية « رابوشى بوت » ، وابرزت امرا حكوميا باغلاق الجريدة . كما امرت الحكومة المؤقتة برفع الكبارى ، وتعزيز القوات المرابطة حول قصر الشتاء ، وتطعيمها بقوات جديدة مضمونة الولاء . وفى نفس الوقت اعدت الحكومة خطة لتركيز ضربتها الرئيسية على مداهمة « سمولنى » مقر هيئة اركان حرب البلاشفة .

رد البلاشفة على هذه الاجراءات باجراءات مقابلة فى الحال . فتحركت قوات من العمال والجنود لافساد عملية الاستيلاء على جريدة « رابوشى بوت » ، ولضمان استمرار صدور الجريدة ، رغم أمر الاغلاق . وظهرت الجريدة فى ذلك اليوم ، وهى تنشر بصدر صفحتها الاولى مقالا افتتاحيا تحت عنوان ، **يجب أن تنتقل السلطة فى الحال الى أيدى سوفييتات العمال والجنود والفلاحين .. يجب تشكيل حكومة جديدة منتخبة ومسئولة امام السوفييتات »** .

وبدأ الحرس الاحمر يحتل المواقع الحيوية فى مدينة بتروجراد واخذ ممثلو المصانع والمطاحن والوحدات العسكرية ، يتوافدون تباعا على « سمولنى » لتلقى التعليمات ، والتحرك على كل الجبهات وبالتدريج ، اخذت قوات الثورة تسيطر على المدينة . وفقدت الحكومة المؤقتة المبادرة ، وثبت ان آمالها فى تلقى معونات من خارج بتروجراد ، لم تكن تستند الى تقييم دقيق للموقف . واستخدم الثوار اذاعة الطرادة « أوورا » لمطالبة قوى الثورة بوقف توافد القوات الموالية للحكومة ومنعها من الوصول الى العاصمة . كذلك تحركت بعض قطع الاسطول التى سيطر عليها البحارة الثوريون من الكرونستاد الى بتروجراد ، لحماية الثورة وصون منجزاتها .

● **وكتب لنين الى اللجنة المركزية فى ٢٤ اكتوبر** ، وهو ما زال مختبئا : « ان الحكومة تترنح .. آن الاوان لتوجيه الضربة القاضية اليها بدون ادنى تردد » .

واخذت قوات الثورة تحتل كافة الكبارى على نهر النيفا ، ومكاتب التلغراف والتليفون . واخذت قوات « الكادت » تسلم للثورة فى موقع بعد آخر . وامتنع كثير من الكوزاك عن مغادرة الثكنات ، وضرب الشعب الثائر

● **وفى منتصف الليل** ، وصل « لينين » الى سمولنى ، وتولى بنفسه قيادة التحركات الثورية . وانتشر خبر وصول لينين كالبرق بين الجماهير ، وكان وصوله عنصرا قويا فى الهاب الحماس العام .

واستمرت عمليات الهجوم طوال الليل .

● وفى صباح يوم ٢٥ اكتوبر كانت كل مواقع المدينة الحيوية ، محطات السكك الحديدية ، محطات توليدالكهرباء ،التليفونات والبنك المركزى ، فى ايدى الثورة .. لم تعد الحكومة تحتل سوى بعض الاحياء فى وسط المدينة ، وبها بعض المواقع المحددة : قصر الشتاء ، ومقر هيئة اركان حرب الجيش ، وبعض الفنادق الكبيرة

وارسل كيرنسكى تعليمات الى كافة الوحدات العسكرية المرابطة فى مناطق مجاورة للعاصمة ، كى تبعث قوات تعزز بها مركز الحكومة ضد الثورة . ولكن الجنرالات الذين تلقوا هذه الرسائل وقفوا عاجزين امام تمرد قواتهم ، وانضمامها لحركة الثورة .. وفى صبيحة يوم ٢٥ ، فر كيرنسكى من بتروجراد فى سيارة تابعة للسفارة الامريكية ، وترفع العلم الامريكى ، بأمل مواصلة نشاطه المعادى للثورة من خارج العاصمة .

ودخلت ثورة اكتوبر لحظاتها التاريخية .

● فى الساعة العاشرة صباحا اعلنت « اللجنة العسكرية الثورية » رسالة لينين الشهيرة الى « كل مواطنى روسيا » :.. « ان القضية التى ناضلتم من اجلها ، قضية التوصل الى سلم ديموقراطى ، وقضية الغاء ملكية الارض ، واشراف العمال على الانتاج ، واقامة سلطة السوفييت .. انهذه القضية قد تم انجازها بنجاح .. »

وانتشر خبر قلب الحكومة المؤقتة فى كافة ارجاء روسيا . وكانت العملية قد تمت بسرعة مذهلة ، وبأقل التضحيات ، وتقريبا بدون اراقة الدماء .

وبقيت الخطوة الحاسمة التى لم تنجز بعد هى الاستيلاء على قصر الشتاء ..

● وفى مساء يوم ٢٥ اكتوبر ، حوصر القصر من كافة الجوانب ..وكان القصر محاطا بالمتاريس وتحميها قوات موالية (للحكومة) بالمدافع والرشاشات . وكان أمل اعضاء الوزارة هو الصمود حتى تصل تعزيزات من خارج العاصمة . كما عقدوا آمالهم على المناشفة والاشتراكيين الثوريين وانتمائهم فى الحقيقة الى القوى التى تعادى ثورة البلاشفة ..

ولكن الحصار أخذ يضيق على قصر الشتاء .. وشكلت لجنة برياسة بودفويسكى ، رئيس اللجنة العسكرية ، لقيادة عملية الاستيلاء على مقر الحكومة . ورفضت الحكومة انذار ابالتسليم . فاخذت الطرادة « أورورا » ، يساندها فى ذلك وحدات اخرى من البحرية ، تحركت من الكرونستاد ، وايضا قلاع « بطرس » و « بولس » المحيطة بالمدينة اخذت كل هذه القوى تقصف بمدافعها القصر ، وتدكه بقوة ، واستسلمت الحكومة فى الساعة الثانية صباحا ، وتم القبض على جميع الوزراء .

واصبح يوم ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر حسب التقويم الاوربى) اليوم التاريخى الذى انجزت فيه وانتصرت أول ثورة اشتراكية فى التاريخ .

مراسيم تاريخية

● فى الساعة الحادية عشر صباحا من يوم ٢٥ اكتوبر ، افتتح المؤتمر الثامن لسوفييتات العمال والجنود بقصر سمولنى ، بحضور عدد منمندوبى الفلاحين ــ مثل المؤتمر ٤٠٠ سوفييت من مختلف ارجاء روسيا ، ومن مجموع عدد المندوبين الذى بلغ ٦٥٠ ، كان عدد البلاشفة ٤٠٠ .. وكان اول موضوع طرح على المؤتمر هو قضية السلطة . وحاول ممثلو المناشفة والاشتراكيين الثوريين كل ما فى جعبتهم من مناورات للاحتفاظ بسلطة الحكومة المؤقتة . ولكن فشلت كل هذه المحاولات اليائسة ، واتخذ المؤتمر قرارا حاسما بتوصية من لينين ، ساندته الغالبية العظمى من أعضاء المؤتمر ، بانتقال السلطة الى المؤتمر ذاته .

● وفى اليوم التالى اصدر المؤتمر المراسيم التاريخية للسلطة الجديدة بشأن « السلام » ، و « الارض » وتشكيل « حكومة السوفييت » . وانهى المؤتمر اعماله بخطاب من لينين : « والان ننتقل لبناء النظام الاشتراكى » .. واستقبلت هذه العبارات بموجة عارمة من الحماس .

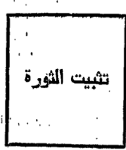
● ونص مرسوم السلام على انجاز سلم ديموقراطى بدون الحاق ولا تعويضات . وطالب عمال بريطانيا وفرنسا والمانيا ان يناضلوا بحسم من اجل تحقيق هذا الهدف ، وكذلك من اجل تحرير الطبقات الكادحة والمستغلة من كل اشكال العبودية والاستغلال .

● ونص مرسوم الارض الذى نبع فى الاصل من ٢٤٢ توصية ، تقدم بها الفلاحون انفسهم ، بالغاء كافة الملكيات بدون تعويض وعلى راسها تلك التى كانت تملكها عائلة القيصر والكنيسة والاديرة وتسليمها لسوفييتات العمال والفلاحين . وبذلك تسلم الفلاحون ٣٨٠ مليون فدان . وقد الغيت الملكية الفردية للارض واعلن ان الارض اصبحت ملكية الشعب بأسره .

● وتشكلت لجنة تنفيذية جديدة لسوفييتات العمال والجنود بأغلبية من البلاشفة .. وانتخب كامينيف اول رئيس لها ، ثم تبعه

في هذا المنصب سفردلوف .
وشكلت هذه اللجنة التنفيذية الجديدة « **مجلس قوميساري الشعب** » (هيئة الوزارة الجديدة) راسه لينين ، وضم لوناتشرسكي وميليوتين ونوجين وستيبانوف وستالين وتيودوروفتش .

وقد اسهمت هذه القرارات في تدعيم السلطة الجديدة لدى اوسع جماهير العمال والفلاحين والجنود ، وكان لها الفضل في انتصار قوى الثورة على كافة المحاولات للانتكاس بها الى الوراء ، في اللحظات الحرجة التي اعقبت تولي السلطة مباشرة .



● **في وجه انتقال السلطة الى ايدي قوى الثورة ، انتقلت الثورة المضادة ، بالاستناد الى المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، تمهد لحرب اهلية شاملة .**

● اخذ **كيرنسكي** بعد هروبه من بتروجراد ، يجمع وينظم قوى الثورة المضادة ، وتحركت هذه القوى تحت قيادة الجنرال **كراسنوف** ، لاحتلال العاصمة .

● **وفي ٢٨ اكتوبر** ، وصل كراسنوف الى جاتشينا ، وتسارسكوي سيلو في ضواحي المدينة .

● **وفي ٢٩ اكتوبر** ، حرك المناشفة والاشتراكيين الثوريين عملية تمرد داخل العاصمة ، واصبح الموقف حرجا للغاية . ولكن مساندة العمال والجنود للسلطة الثورية افسدت المحاولة .. وحطمت عملية التمرد .

● **وفي ٣٠ اكتوبر** ، هزمت قوات الثورة جيوش كراسنوف عند مرتفعات بولكوفو ... وبعد ايام معدودة ، قبض على كراسنوف ، ولجا كيرنسكي الى الهروب مرة اخرى .

● **وفي مرحله مابين اكتوبر ١٩١٧ وفبراير ١٩١٨ ، اتسعت** الثورة الاشتراكية الى كافة ارجاء روسيا ، مكتسحة مقاومة الطبقات المستغلة المخلوعة .

وكان انتصار الثورة في **موسكو** حدثا له اهميته الخاصة . كانت موسكو تعتبر عاصمة روسيا الثانية وقتذاك ، ولكن استمرت لحظات المعركة الحاسمة داخل موسكو فترة اطول من بتروجراد .

● **وفي صبيحه يوم ٢٥ اكتوبر** ، بلغت موسكو اخبار انتصار الثوره في بتروجراد . وتحركت تنظيمات الحزب البلشفي في موسكو لاقامة سلطة السوفييتات . واحتل الحرس الاحمر والجنود الثوريون ، مناطق مختلفه من المدينه ، وتشكلت « لجنة عسكرية ثورية » ، على غرار اللجنة المشكلة في بتروجراد ، ولكن اللجنة ضمت في موسكو عناصر عديدة من المناشفة . وعمل هؤلاء على اضعاف دورها ، فضلا عن الموقف المتردد الذي اتسم به بعض اعضاء التنظيم البلشفي .

● **وفي صبيحه يوم ٢٦** ، كانت قوات الثورة قد تمكنت من معظم احياء المدينة . ولكن قوى الثورة المضادة استجمعت قواها ، والتفت حول لجنة انشاتها باسم « لجنة السلامة القومية » ، وبدات هذه اللجنة تجري مفاوضات مع « اللجنة العسكرية الثورية » . ووافقت هذه الاخيرة على سحب الجنود الثوريين من الكرملين ، والحرس الاحمر من مكاتب البريد والتلغراف . وثبت ان هذه الخطوة كانت تنطوي على خطا جسيم .

● **وفي ليلة ٢٧ اكتوبر انتقلت الثورة المضادة الى الهجوم ، واحتل انصار** « الكادت » الكرملين في **يوم ٢٨** ، وسحقت الحامية الثورية المكلفة بالدفاع عنه .

واصدر الحزب البلشفي تعليمات بتحريك الجماهير فورا لحماية مكاسب الثورة . وتوافدت وحدات من الحرس الاحمر من المناطق المجاورة ، كما بعث « لينين » على وجه السرعة بعدة وحدات من القوات المسلحة الثورية ، وصدر قرار بفصل المناشفة من سوفييت موسكو .

● **واستمرت المعارك حتى يوم ٢ نوفمبر** . ووصلت قوات الثورة الى الميدان الاحمر ، واحتلت الكرملين في **ليلة ٣ نوفمبر** ، وحلت « لجنة السلامة القومية » ، وتدعمت سلطة السوفييتات بالمدينة .

وقد انضم معظم الجنود الى قوات الثورة . وتركزت قوى الثورة المضادة داخل الجيش بين فئات الضباط المنضمين الى المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، وكذلك بين بعض كبار ضباط الجيش الرجعيين . وبعد فشل تدبيرات الثورة المضادة في الجبهة الغربية ، تحركت للاستيلاء على الجبهة الشمالية . واصبح مقر هيئة اركان حرب الجيش في موجيليف ، مركزا لمؤامرة جديدة ضد السوفييت ، حاولت قيادة

الجيش ان تقيم سلطة فى مواجهة سلطة السوفييت ، ركزتها فى أيدى احد زعماء الاشتراكيين الثوريين ، يدعى ((تسيرنوف)) الذى عرف بنزعاته اليمينية ، ولكن المحاولة فشلت ، رغم ما كانت تمثله من خطر .

وقد عمت سلطة السوفييت بدون اراقة دماء فى مناطق عديدة ، وبالذات فى المناطق المجاورة لموسكو ، وفى ايفانوفو فوسنيسنسك ، وفلاديمير ، وياروسلافل ، وتولا ، ونجنى نوفجورود . وانتشرت سلطة السوفييت ، حتى بلغت منطقة الفولجا ، والاورال ، وسيبيريا ومناطق الشرق الاقصى . ولكن معارك عنيفة دارت فى مناطق الكوزاك ، ثم فى بعض مناطق ((السنتيب)) ، ولكن سياسة ((لينين)) القائمة على حق تقرير المصير للقوميات المضطهدة هيئات الظروف لانضمام جماهير غفيرة من هذه القوميات الى صفوف الثورة .

وقد تجسدت هذه السياسة فى مرسوم الحكومة السوفيتية الصادر فى ٢ نوفمبر بشأن كافة شعوب روسيا .

وقد وضع هذا المرسوم حدا لامتيازات القومية الروسية والغت القيود المفروضة على الاقليات القومية ، وانشأت اسس الدولة الاشتراكية القائمة على تعدد القوميات وبذلك امكن تصفية النزعات القومية والمتعصبة السوفيتية من بعض القادة البرجوازيين فى روسيا البيضاء واوكرانيا والقوقاز وغيرها من المناطق وبعد معارك بلغت حدا بعيدا من الضراوة فى بعض المناطق ، امكن ضمان التفاف الجماهير الكادحة حول سلطة السوفييت .. وصفيت جيوب المقاومة فى معظم المناطق ..

● وفى مناطق آسيا الوسطى ، اصدرت حكومة السوفييت بيانا الى ((المسلمين بروسسيا وبلدان الشرق)) ، نشر فى ٢٠ نوفمبر ، ومنح لاهالى تلك المناطق حق اختيار اسلوب الحياة الذى يرتضونه . واصبحت مدينة طشقند مركزا للنشاط الثورى بآسيا الوسطى ، وفى منتصف نوفمبر ، استقرت سلطة السوفييت فى كافة مناطق تركستان .

... وبعد :

● هكذا استطاعت الدولة السوفيتية الجديدة أن تبسط سلطتها الفعلية بالتدريج الى مختلف ارجاء الارض الروسية .. وانجزت عملية التحول التاريخى الذى افضى الى انشاء أول دولة اشتراكية فى العالم .

وانجاز الثورة بالصورة التى تم بها انما كان ينطوى على اكثر من درس ، وحمل اكثر من دلالة ، فقد كشف عن نموذج لحركة القوى الاجتماعية فى لحظات المواجهة الحاسمة . ورغم ان الثورات لا تتكرر ابدا بصورة آلية فى اى مكان من العالم ، الا انها أبرزت العوامل الجوهرية ، الضرورية لتحويل احتمالات التحول الثورى ، الى منجزات ثورية فى التطبيق ..

وقد احدثت ثورة اكتوبر تغييرا جوهريا فى خريطة القوى الاجتماعية فى العالم .. وقضت لاول مرة على سيطرة الاستعمار المطلقة على كافة ارجاء الارض ، واستبدلت هذه السيطرة بانقسام العالم الى نظامين متعارضين .. النظام الراسمالى من جانب ، والنظام الاشتراكى من الجانب الآخر ..

وافضت ثورة اكتوبر الى انتصار الحركة الثورية فى أوربا ، وانفجار ثورات معادية للراسمالية هزت المانيا وامبراطورية النمسا ، واحالت النظم القائمة الى جمهوريات برجوازية ، بعد فترة طويلة من النضال الثورى الحاد ..

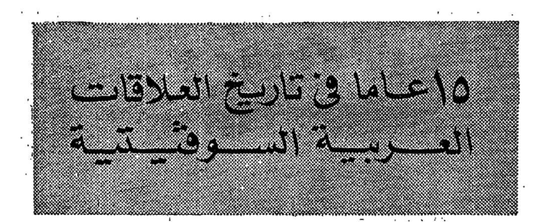
وساندت ثورة اكتوبر حركة تحرير شعوب الشرق ، وكشفت لهذه الشعوب امكانية تحدى سيطرة الاستعمار ، واحراز النصر فى النضال ضده .

● وقال لينين فى ١٩٢٠ : ((لقد توافرت لنا خبرة دولية عظيمة ، تدل فعلا على أن بعض السمات الرئيسية لثورتنا ، لها اهمية ، ليست بالمحلية ، وليست بالقومية ، وليست بالروسية فحسب ، بل لها اهمية دولية)) .

وكانت ثورة اكتوبر نقطة الانطلاق ، لتشكل قطب عالمى معاد جذريا للراسمالية والامبريالية والاستعمار ، يصارع حكم راس المال ، واخذ يقوى ويتدعم على مر الايام ، بانتهاج شعوب

— البقية —

عديدة في مختلف أرجاء الأرض ، طريق الاشتراكية ، على اختلاف مسالكها ، ومع تنوع ملابسات النضال ، ولكنها تلتقي ، مهما اختلفت في تقديراتها الراهنة لحركة الثورة العالمية ، في النظر الى ثورة اكتوبر بعد نصف قرن من الزمن ، باعتبارها حدثا فريدا في خطورته ، وبداية الطريق ، لتسلم الشعوب مصائرها بايديها ، والانطلاق نحو الافاق الرحبة لعالم ازال كافة الوان الاستغلال .



يشارك الشعب العربي وجميع الانسانية التقدمية هذه الايام الشعوب السوفييتية الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاما على انتصار ثورة اكتوبر .

ومع ميلاد النظام السوفييتي ، ولدت في نفس الوقت سياسة جديدة في ميدان العلاقات الدولية تقوم على اساس من المساواة التامة واحترام حرية وسيادة واستقلال الامم والشعوب ، وعدم التدخل في شئونها الداخلية ، وعلى اساس من مبدأ التعايش السلمي والتعاون الاخوي بين الشعوب على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية ، متصارعة بذلك مع سياسة القهر والاستعباد التي سادت ميدان العلاقات الدولية في عهد الاستعمار والفتح والعدوان ، واغتصاب الامم الصغيرة الضعيفة في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، من قبل مجموعة الدول الكبيرة .

ولقد قامت الدولة السوفييتية الجديدة منذ اليوم الاول لوجودها ، بوضع سياستها موضع التطبيق العملي . فسعت الى الخروج من الحرب الاستعمارية ، التي كانت تشترك فيها حكومة القيصر بجانب بريطانيا والحلفاء ، تلك الحرب التي قال عنها لينين « .. وبواسطة الحرب ، تسعى القيصرية جهدها لتزيد عدد الامم التي تضطهدها روسيا ولتوطيد هذا الاضطهاد ولتقوض بالتالي نضال الروس انفسهم من اجل الحرية .. ان امكانية اضطهاد الشعوب الاخرى ونهبها تقوى الركود الاقتصادي لانه يستعاض عن تطوير القوى المنتجة باستثمار القوميات الاخرى شبه الاقطاعي في كثير من الاحيان ، بهذا الاستثمار الذي يشكل مصدر الدخل .. وهكذا تمتاز الحرب ، من جانب روسيا ، برجعية جامحة وبطابع العداء لقضية التحرر » . وقامت بتصفية الامبراطورية الاستعمارية الروسية القديمة ، وتحرير شعوب القوميات المضطهدة والمقهورة تحت حكم القيصرية ، وكشفت المعاهدات والاتفاقيات السرية الموجودة في خزائن وزارة الخارجية للحكومة القيصرية ، والمعقودة بين حكومة القيصر والحكومة المؤقتة وبين الحكومات الاستعمارية الاخرى لتقسيم الدول الى مناطق نفوذ فيما بينهم ، كما الغت كافة الامتيازات التي كانت تعطي لروسيا حقوقا غير شرعية داخل البلدان الاخرى مثل الصين وايران .

لقد كانت المراسيم والنداءات التي اعلنتها الحكومة الثورية منذ اليوم الاول ، مثل « مرسوم السلام » و « اعلان حقوق شعوب روسيا » ونداء « الى المسلمين الكادحين في روسيا وفي الشرق » تاثير على المثقفين الوطنيين للشعوب العربية التي

كانت تناضل ضد السيطرة والاستغلال الاستعماري ، ووجدت في سياسة الدولة الاشتراكية تفهما وادراكا تاما ، لحقيقة مشاكل واماني الشعوب المضطهدة في الشرق . ولقد ربطت الشعب العربي بشعوب روسيا في الماضي علاقات طيبة في التجارة والعلم ،ولكن حالت دون استمرار ونمو هذه العلاقة ، وقوع الدول العربية تحت سيطرة الحكم العثماني ، حتى جاءت ثورة اكتوبر التي عملت على تقوية وازدهار هذه العلاقات التاريخية من جديد .

وفي عام ١٩١٦ وقبل ان تتحقق الثورة في روسيا ، كتب « لينين » يقول « اننا سنعمل كل جهدنا حتى نزداد تفاهما وتقاربا مع المنغوليين والايرانيين والهنود والمصريين ، فنحن نعتقد انه من واجبنا ومن مصلحتنا ان نفعل ذلك . واننا سنحاول ان نقدم لهذه الشعوب التي تعاني تخلفا واضطهادا اشد مما نعاني عونا ثقافيا لا انانية فيه ، واننا سنساعد تلك الشعوب على التقدم واستعمال الالات ، وتخفيف ظروف العمل ومن اجل الديمقراطية والاشتراكية » .

وكان من بين تلك الوثائق السرية التي كشفت عنها الحكومة السوفييتية ، ((**معاهدة سايكس - بيكو السرية**)) ، المعقودة في عام ١٩١٦ ، بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم الدول العربية فيما بينهما ،وضمان حقوق وامتيازات لحكومة القيصر في الشرق العربي ، والتي اوضحت للعرب حقيقة المؤامرة المدبرة ضدهم ممن وضعوا ثقتهم في وعودهم وشرفهم (*) ، كما خدع ايضا اشقائهم في مصر وخاب ظنهم في اولئك الذين كانوا يعتبرونهم بناة العالم الجديد .. عالم ما بعد الحرب . ويعلقون آمالهم في المساعدة والخلاص ، وذلك بما كانوا ينادون به حول المبادىء الاربعة عشرة . تلك المبادىء التي كان يبشر بها « ولسون » رئيس الولايات المتحدة ، والتي طوح بها عند ابواب مؤتمر فرساي للصلح في باريس في مستهل عام ١٩١٩ ، وذلك بمجرد حصول الولايات المتحدة على نصيبها من غنائم الحرب عند تقسيم تركة الامبراطورية العثمانية ، وتأييدها ومباركتها لهذا التقسيم الاستعماري الجديد تحت اسم « الانتداب » .

ولم تعترف الحكومة السوفييتية بنظام الانتداب ، الذي تستتر وراءه الدول الاستعمارية لتقسيم المستعمرات الالمانية في افريقيا ، والعثمانية في الشرق العربي ، ووضع فلسطين وشرق الاردن والعراق تحت الانتداب البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي .

وكتب « لينين » في عام ١٩١٩ يقول « انهم عندما يتحدثون عن توزيع الانتدابات على المستعمرات ، فانما يعنون توزيع الانتدابات للسلب والنهب ، واعطاء اقلية ضئيلة من سكان الارض من استثمار الاغلبية من سكان الكرة الارضية . هذه الاغلبية التي ظلت حتى اليوم صورة تامة خارج اطار التقدم التاريخي لانه لم يكن بوسعها ان تمثل قوة ثورية مستقلة » .

ولم يمض وقت طويل حتى اجتاحت ثورات التحرر الوطني البلاد العربية ، في مصر عام ١٩١٩ ، وفي سوريا ولبنان في اعوام ١٩ ، ١٩٢٠ وفي العراق ١٩٢٠ ، وفي مراكش عام ١٩٢١ ، وان تمتد بعد ذلك الى فلسطين والسودان وتونس .

وعندما قامت الثورة الوطنية في مصر عام ١٩١٩ ضد الاستعمار البريطاني ، بعث لينين رئيس الحكومة السوفييتيه الى سعد زغلول بتأييد الحكومة السوفييتية لثورة وكفاح الشعب المصري ، كما عرض عليه تقديم المساعده .. ولكن التركيب الاجتماعي الغير متجانس لقيادة الثورة في مصر وتذبذبها ، لعب دوره في رفض المساعدة من جانب حكومة الثورة السوفييتية . وكانت ان انتهت تلك القيادة نهايتها الطبيعية ، بالتهادن مع الاستعمار وتصفية الثورة ، بعد ان خشيت من تعاظم الثورة الشعبية ضد الاستعمار والاستغلال الداخلي التي شملت كافة انحاء الريف والمدن المصرية . ولم تتخل الحكومة السوفييتية عن تأييدها ومساندتها الادبية لكفاح الشعب المصري ، واحتجاجها على اعمال القمع الوحشية والارهاب البريطاني ضد الشعب المصري في عام ١٩٢٤ .

وفي عام ١٩٢٤ قامت اول صلات مباشرة بين البلدان العربية والاتحاد السوفييتي ، عندما بدا الممثلون التجاريون للدولة السوفييتية يفدون على مصر وسوريا وفلسطين لاقامة العلاقات التجارية ، كما سعت الحكومة السوفييتية ايضا الى توثيق الروابط واقامة العلاقات الدبلوماسية مع البلدان العربية المستقلة .

وكان الاتحاد السوفييتي اول من اعترف باستقلال المملكة العربية السعودية في عام ١٩٢٦ واقامة علاقات دبلوماسية معها . وفي عام ١٩٢٨ تم توقيع معاهدة صداقة وتجارة بين اليمن والاتحاد السوفييتي . ولكن حالت ظروف الحرب العالمية الثانية بين توثيق وتعزيز العلاقات بين العرب والاتحاد السوفييتي ، وان كان ذلك لم يحل دون متابعة العرب لاخبار الاتحاد السوفييتي ، وأن يتابعوا باهتمام وتقدير انتصارات الشعب السوفييتي ضد جحافل قوات الغزو الفاشية الالمانية ، وتحطيمها داخل بلادهم ، ومطاردتهم لفلولهم حتى داخل برلين نفسها التي كانوا أول من دخلها من قوات الحلفاء .

وكانت مصر حتى ذلك الوقت ، من بين الدول القليلة في العالم التي لم تعترف بالاتحاد السوفييتي ، بالرغم من مرور حوالي ٢٥ عاما على وجود الحكم السوفييتي ،وذلك بسبب السيطرة البريطانية على مصر ، التي حالت دون تحقيق هذا الاعتراف من جانب المملكة المصرية . هذا بالرغم من اعتراف بريطانيا بالاتحاد السوفييتي منذ زمن طويل .. حتى شاءت ظروف الحرب العالمية الثانية ،التي فرضت التحالف الديمقراطي ضد الفاشسية ، وكانت ان قررت بريطانيا ان تعترف الحكومة المصرية بالاتحاد السوفييتي ، وتم اقامة اول علاقات دبلوماسية بين البلدين ، بدرجة مفوضية في ٢٧ اغسطس عام ١٩٤٣ . وما كان من الاتحاد السوفييتي الا ان يؤكد للحكومة المصرية بهذه المناسبة استنكاره للعلاقات غير المتساوية والمتكافئة بين الدول ، وان يعلن استنكاره للمعاهدات والامتيازات وجميع الحقوق التي كان يفرضها الانجليز والاجانب على مصر .

ولم تمنع ظروف الحرب العالمية الثانية وانشغال الاتحاد السوفييتي بالمعارك في اسيا واوربا ، عن التخلي والوقوف بجانب حركة التحرر الوطني للبلدان العربية في سوريا ولبنان من اجل الحرية والاستقلال والغاء الانتداب الفرنسي ، فقد اعترف الاتحاد السوفييتي باستقلال سوريا ولبنان وتبادل معهما العلاقات السياسية في عام ١٩٤٤ . كما طلب في عام ١٩٤٥، من الدول الاستعمارية وقف العمليات العسكرية في سوريا ولبنان وحل الخلافات بينهم بالطرق السلمية .

وفي عام ١٩٤٦ ، ايد الاتحاد السوفييتي طلب سوريا ولبنان في مجلس الامن ودافع عن مطلبهما العادل بانسحاب القوات الاجنبية من اراضيهما، وان يطلب من مجلس الامن في نفس الوقت بانهاء الوجود الاستعماري في مصر والاردن والجنوب العربي والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش .

وفي عام ١٩٤٧ ، ايد الاتحاد السوفييتي في مجلس الامن طلب مصر بجلاء القوات البريطانية عن اراضيها ، ولكن حال دون الوصول الى قرار موقف الولايات المتحدة والدول الدائرة في فلكها.

وفي عام ١٩٥١ وقف الاتحاد السوفييتي بجانب الدول العربية ،التي قاومت الضغوط الاستعمارية ومحاولة ربطها بمشاريعها العسكرية العدوانية داخل ما يسمى (بمشروع الدفاع عن الشرق الاوسط) ، وبعثت الحكومة السوفييتية بمذكرة احتجاج الى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا تستنكر فيها المحاولات الاستعمارية التي تهدف من ورائها الى احتلال القوات العسكرية الاجنبية للبلدان العربية في الشرق الاوسط ، والتدخل في شئونها الداخلية وفرض سيطرتها عليها تحت شعار الدفاع عن المنطقة ، مما يؤدي الى تجريد الدول العربية من حريتها واستقلالها الوطني .

ولقد ظل الاتحاد السوفييتي منذ قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ،ثابتا على مبادئه وسياسته التي اعلنها منذ اليوم الاول ، وبالنسبة لسياسته مع الشعوب والدول العربية ، على اساس من احترام سيادتها ومصالحها الوطنية ، وعدم التدخل في شئونها الداخلية ، وتحقيقا لمبدا التعايش السلمي بين الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة

ومع انتصار ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، التي فتحت افاق التطور امام الشعب العربي في مصر نحو الحرية والاشتراكية والوحدة ، دخلت العلاقات المصرية ـ السوفييتية مرحلة جديدة من النمو والازدهار ، حتى اصبحت العلاقات والصداقة بين البلدين نموذجا حيا امام دول وشعوب العالم ، لما يجب ان تكون عليه الصداقة والتعاون الاخوي بين الامم الكبيرة والصغيرة ، على اساس من مبادىء العدل والمساواة ، والاحترام والنفع المتبادل ، والعمل المثمر لما فيه خير الشعبين، على الرغم من اختلاف النظم فيما بينهما .

ونقدم فيما يلي رصدا تاريخيا للعلاقات العربية ـ السوفييتية منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر .

١٩٥٣

● **اغسطس** ـ توقيع اول اتفاقية دفع بين الجمهورية المصرية والاتحاد السوفييتي . وتسمح الاتفاقية بأن تدفع مصر ثمن ما تحتاجه من الاتحاد السوفييتي ، من الصادرات المصرية دون ان تضطر الى دفع الثمن بالنقد الاجنبي الحر .

١٩٥٤

● **مارس** ـ توقيع اول اتفاقية تجارية بين البلدين ، وتحديد الاسس التي تقوم عليها التجارة بين البلدين .

● **يوليو** ـ اعلن رسميا رفع التمثيل الدبلوماسي بين الجمهورية المصرية والاتحاد السوفييتي من درجة مفوضية الى درجة سفارة .

١٩٥٥

● ابريل - الاتحاد السوفييتي يصدر بيانا عن الامن في الشرقين الادنى والاوسط يدعو فيه الدول الاستعمارية الى احترام مبادىء التعايش السلمي ، وتسوية الخلافات بالطرق السلمية ، ويحذرها من استمرار سياسة الضغط والتهديد لدول المنطقة ، وبانه سوف يتخذ التدابير اللازمة للدفاع عن سلامة واستقلال دول هذه المنطقة .

سبتمبر - الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا يستجيبان لطلب مصر ، بشراء ما تحتاجه من السلاح للدفاع عن سيادتها واستقلالها الوطني .

١٩٥٦

● فبراير - توقيع اتفاق مع الاتحاد السوفييتي لاقامة معمل ذرى في مصر ، للابحاث الذرية واستخدام الذرة في الاغراض السلمية ، وان يتولى الخبراء السوفييت مساعدة وتدريب الاخصائيين المصريين .

● مارس - سفر بعثات للضباط المصريين للتدريب في بولندا تحت اشراف الخبراء العسكريين السوفييت .

● يوليو - تعاقدت مصر مع الاتحاد السوفييتي على شراء مدمرات حربية لتدعيم اسطولها البحرى .
- الحكومة السوفييتية تعلن تأييدها لموقف مصر وحقها في تأميم قناة السويس .

● اغسطس - الحكومة السوفييتية تصدر بيانا حول مشكلة قناة السويس تعلن فيه « ان مصر قد اتخذت اجراء قانونيا مشروعا بعد ان التزمت بضمان السير الطبيعي في القناة التي تمر في الاراضي المصرية والتي شقها المصريون بأيديهم ، اما الاستناد الى ان قناة السويس لم تكن في ايدى المصريين خلال عشرات من السنين ، كانت خلالها في ايدى شركة يطغى عليها الراسمال البريطاني والفرنسي وتستغل هذه القناة في جنى الثروات والتدخل في شئون مصر الداخلية ، فلا يمكن ان يكون مبررا لاستمرار هذا الوضع الشاذ في المستقبل

ولا يستطيع المرء ان يغفل ان العلاقات التي نشأت في الماضي بحكم الغزو والاحتلال لم تعد ملائمة او متمشية مع مبادىء التعاون بين الامم المتساوية ذات السيادة اومع مبادىء واهداف الامم المتحدة » .

- وزير الخارجية السوفيتي يقول في خطابه في مؤتمر لندن الخاص بمشكلة قناة السويس « ونستطيع ان نفهم في وضوح انه ، تعبيرا عن ارادة الشعب ، رسمت الحكومة المصرية النهاية المحتومة لهذا المال فأممت شركة قناة السويس ، واعلنت وهي تفعل ذلك ان حملة اسهم الشركة سوف يتقاضون التعويض المناسب ، وان مصر ستكفل الحرية الكاملة للملاحة في القناة ، وتقوم بصيانتها وابلاغها مستوى ملاحيا عاليا وفقا لاحدث التطورات الفنية .. ونحن نرى ان الحكومة المصرية في تأميمها لشركة قناة السويس قد تصرفت في حدود احكام القانون الدولى ، وان العمل الذى قامت به هو من صميم حقوق مصر الشرعية في السيادة ، وان هذا العمل لا يمكن ان يناقش في هذا المؤتمر ، أو اى مؤتمر دولى آخر » .

● سبتمبر - بيان الحكومة السوفييتية حول ضرورة حل مشكلة القناة حلا سلميا وتعلن فيه « ان الحكومة السوفييتية ترى من اللازم ان تقرر ان الاستعدادات العسكرية التي تقوم بها بريطانيا وفرنسا - والتي تؤيدها الولايات المتحدة بقصد الضغط على مصر تتنافى تنافيا صارخا ومبادىء الامم المتحدة » .

واكد البيان « ان الاتحاد السوفييتي باعتباره احدى الدول الكبرى لا يستطيع ان يقف مكتوف اليدين ازاء مشكلة قناة السويس ، ولا يستطيع ان يهدا باله وهو يرى الموقف الذى نشأ الان نتيجة للاعمال التي تقوم بها الدول الغربية » .

● اكتوبر - الحكومة السوفييتية تطالب بوقف الاعمال العسكرية ضد مصر ، وتحذر من انزال القوات البريطانية والفرنسية الى الاراضي المصرية ، وتدين الاعمال العدوانية التي تقوم بها حكومات بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، وتعلن تأييد الاتحاد السوفييتي للنضال العادل الذى يخوضه شعب مصر من أجل الدفاع عن استقلاله الوطني ، وتطالب مجلس الامن باتخاذ الاجراءات العاجلة لانهاء الاعمال العدوانية وانسحاب المتدخلين من الاراضي المصرية .

● نوفمبر - الحكومة السوفييتية تنذر الحكومة البريطانية والفرنسية ، بارسال قوات عسكرية الى شواطىء بريطانيا وفرنسا واستخدام الاسلحة

الصاروخية ما لم يتوقف العدوان ، وتؤكد تصميم الاتحاد السوفييتي على سحق المعتدين واعادة السلام الى الشرق الاوسط وتبعث بانذار اخر الى اسرائيل .

— وكالة تاس السوفييتية الرسمية تعلن « اذا لم تسحب بريطانيا وفرنسا واسرائيل قواتهـا من الاراضي المصرية تنفيذا لقرارات الامم المتحدة ، فان الاتحاد السوفييتي لن يمنع سفر المتطوعين السوفييت الذين ابدو رغبتهم في الاشتراك في معركة الشعب المصري من اجل الاستقلال ، وان من بينهم عدد كبير من ضباط وجنود الاحتياط التابعين لسلاح الطيران ومن رجال المدفعية والدبابات والضباط الذين اشتركوا في الحرب الوطنية الكبرى » .

— وزير خارجية الاتحاد السوفييتي يطالب في الامم المتحدة بانسحاب القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية من الاراضي المصرية ، ويؤيد طلب مصر بالتحقيق في الاعمال الوحشية التي ارتكبتها قوات العدوان ، وكذلك اعمال التخريب والتدمير والتي قامت بها القوات البريطانية في بورسعيد ، والتي قامت بها القوات الاسرائيلية في غزة ورفح والعريش ، وانزال العقاب بالمعتدين .

١٩٥٧

● **ابريل** — مذكرة الحكومة السوفييتية الى الولايات المتحدة وبقية الدول الاستعمارية ، تقترح فيها توقيع بيان مشترك بعدم استخدام القوة لحل مشاكل الشرق الاوسط والادنى . الولايات المتحدة وبقية الدول الاستعمارية ترفض الاقتراح السوفييتي حتى تكون لها حرية العمل بدون التزامات او قيود على اعمالهـا وتصرفاتها العدوانية .

● **يونيو** — الرئيس عبد الناصر يدلي بحديث هام الى مندوب مجلة (لوك) الامريكية ، يتحدث فيه عن دور الاتحاد السوفيتي في تحطيم سياسة الضغط الاقتصادي الاستعماري الامريكي على مصر ، ويقول « لقد كان هناك نقص في البترول وكنا في حاجة الى بيع اقطاننا فتوجهنا اليكم ولكنكم للاسف خيبتم رجاءنا ، فاتجهنا الى الروس الذين باعونا البترول واشتروا القطن وساعدونا على ان نتخلى عن السيطرة الغربية » .

— تعاقدت مصر مع الاتحاد السوفييتي على شراء غواصات لتدعيم اسطولها البحري .

— الرئيس عبد الناصر يتحدث في اعياد الثورة بالاسكندرية ، عن الانذار الروسي ، ويواصل كشف اهداف المخطط الاستعماري الامريكي الجديد ، ودور الاصدقاء السوفييت في مساعدة مصر على كسب معركة التجويع الاستعمارية قائلا « .. وفي ٥ نوفمبر وجه الانذار الروسي الى انجلترا وفرنسا ، وقد تضمن كتاب اسرار الحملة على مصر ان الذين هاجمونا في شجاعة وصمموا على العدوان على مصر ، اصابهم الذعر والفزع ، وادرك الذين في لندن وباريس ان الحرب الذرية اصبحت على الابواب ، وان الامر لم يعد مجرد عدوان على مصر ، بل اصبح يعني العالم بأجمعه » .

« .. بعد الانسحاب كان عندنا في مصر احتياطي من القمح يكفي مدة محدودة ، وكنا نشتري القمح الاحتياطي من امريكا بالنقد المصري وكان المفروض ان يبيعوا لنا القمح المتفق عليه ، ولكن بعد الانسحاب رفضت امريكا ان تبيعنا القمح وكان الهدف من ذلك ان تحدث مجاعة وتتحكم فينا وبهذا تتحقق بالوسائل السلمية الاهداف التي كانت تسعى اليها بريطانيا وفرنسا بالحرب . ولجأنا الى اصدقائنا ، لجأنا الى الدول الاخرى ، نطلب المعونة لنحصل على القمح ، واستطعنا ان نكسب معركة التجويع وان نحصل على احتياطي القمح والبترول ، وهكذا انتصرنا في معركة الضغط الاقتصادي وعلى معركة تحقيق الاغراض الاستعمارية بالطرق السلمية » .

● **اكتوبر** — توقيع اتفاق التبادل الثقافي بين مصر والاتحاد السوفييتي .

١٩٥٨

● **يناير** — توقيع اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني الاولى بين البلدين ، الاتحاد السوفييتي يقدم قرضا طويل الاجل قيمته ٧٤ مليون جنيه (بالاضافة الى ١٩ مليون جنيه قدمها في عام ١٩٦٣) ٪ وذلك للمساهمة في المشروعات الصناعية ، الخاصة بخطة التنمية الاولى في الجمهورية العربية المتحدة .

● **ابريل** — تاسيس الجمعية السوفييتية للصداقة والعلاقات الثقافية مع البلاد العربية في موسكو .

ـ الرئيس جمال عبد الناصر يقوم بزيارة للاتحاد السوفييتى لأول مرة .

ـ الرئيس السوفييتى خروشوف يقول فى حفل الغداء الذى اقيم للرئيس عبد الناصر « انه ليسرنا ان العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة لم تشبها اية شائبة، ونحن لا نرغب سوى شىء واحد هو تعزيز الاوضاع التى اكتسبتها الشعوب العربية والجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص ، انكم فى هذا تحظون بتأييد الاتحاد السوفييتى وجميع قوى البشرية التقدمية ، ان شعوب الدول الاشتراكية تحييكم وانتم تناضلون من اجل استقلالكم ومن اجل تدعيم اقتصادكم القومى ومن اجل رفع مستوى شعبكم .»

ـ الرئيس عبد الناصر يقول فى حفل الغداء الذى اقامه الرئيس السوفييتى « ان هذه الزيارة لها اهمية كبرى فى العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة، فلاول مرة نتقابل مع قادة الاتحاد السوفييتى ونتكلم فى جميع الامور بصراحة ووضوح ... ولقد اثبت التعاون الذى تم فى السنين القليلة الماضية بين الاتحاد السوفييتى وجمهوريتنا العربية انه يمكن ان يتبع سياسة مبنية على التعاون والصداقة .

ولم تكن مساعدتكم متوقفة على شرط او على التزام من الالتزامات ، فقد ظللتم دائما تحترمون سياستنا المستقلة فلم يحدث اى تدخل بأى حال من الاحوال، وقد كنتم تحترمون سياسة الحياد الايجابى التى اعلناها ، وقد اثبتت المحادثات التى تمت بيننا على ان التعاون بين البلدين مبنى على الصداقة والاخلاص ، كما عبر عن ذلك ايضا خطاب الرئيس الذى سيقابل من جميع ابناء الجمهورية العربية المتحدة بالتقدير الكامل .

فقد كانت الدعاية المعادية والدعاية الاستعمارية تحاول ان تثير الشكوك بين ابناء الامة العربية والاتحاد السوفييتى ، وقد قلت فى تصريحاتى العديدة للصحف البريطانية والامريكية عن تجربتنا فى التعاون مع الاتحاد السوفييتى ان هذا التعاون انما هو تعاون عن اخلاص لمساعدتنا فى التحرر والتخلص من مناطق النفوذ ومن اجل مساعدتنا فى التطور الاقتصادى ومن اجل تصنيع بلادنا ، وان من يريد ان يخضع بلدا لا يمكن ان يعاونه فى ان يصل الى مراكز القوى سواء من ناحية القوة العسكرية او من ناحية البناء الصناعى، وقد جاربنا لكى لا نكون ضمن مناطق نفوذ الدول الاستعمارية ، وقررنا ان تكون سياستنا مستقلة تنبع من ضمير بلدنا ولم تكن ايها الاصدقاء فى تعاوننا فى الاربع السنوات الماضية الا متبعى سياسة التحرر التى رسمناها وزادتنا هذه السنين ثباتا على اتباعها ، وكان هذا التعاون نجاحا للمبادىء التى اعلنها مؤتمر باندونج وهى مبادىء التعايش السلمى والتعاون بين الامم مهما اختلفت نظمها الاجتماعية . وقد اشتركنا فى هذا المؤتمر وكنا نعبر عن شعور الشعوب العربية التى قامت من سيطرة الاستعمار والتى تريد التحرر السياسى والاقتصادى، كما تريد ان تبنى اقتصادها بناء قويا سليما » .

ـ البيان المشترك عن محادثات الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى، وقد جاء فيه « تعلن الحكومتان ارتياحهما الكبير للعلاقات الوطيدة الاخذة فى الازدياد بين البلدين وستعملان على تنمية هذه العلاقات وتعزيزها مسترشدة بالمبادىء الاتية :

● الاحترام المتبادل لسيادة جميع الدول وسلامة اراضيها .

● الامتناع عن اى تدخل فى الشئون الخاصة الداخلية لدول اخرى بأى صورة من الصور .

● حل المشاكل العالمية بالطرق السلمية فقط وعدم استعمال القوة والعنف او التهديد بهما ضد السيادة او الاستقلال لاى دولة من الدول .

● عدم جواز استعمال الضغط السياسى او الاقتصادى .

● المساواة التامة فى العلاقات بين الدول والشعوب .

● تسترشد الحكومتان بمبادىء التعايش السلمى بين الدول رغم تباين انظمتها السياسية وتعتبران هذا المبدأ حجز الزاوية فى تنمية العلاقات الودية بينهما مما يتجاوبان مع السلام بين الشعوب .

● ويرى الجانبان وقف الحرب الباردة التى تلحق ضررا جسيما بالعلاقات بين الدول يتمشى والمصالح الاساسية لجميع الشعوب كما انه يساعد على تنمية علاقات حسن الجوار وتعزيز الثقة المتبادلة بين الدول .

● وقد عاودت الحكومتان النظر فى مسألة حقوق عرب فلسطين الذين شردوا من اراضيهم وما صاحب ذلك من تضحية

بحقوق الانسان وتهديد السلام والامن فى المنطقة، وتؤكد الحكومتان تأييدهما الكامل للحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

● وتؤيد الحكومتان الرأى القائل بأن احدى وسائل تخفيف التوتر الدولى هى عقد معاهدات بشأن عدم الاعتداء بين الدول ، وتعتبران ان عقد مثل هذه المعاهدات يتفق والاغراض السلمية وميثاق هيئة الامم المتحدة، وتعتقد الحكومتان اعتقادا جازما ان تطوير العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدول يجب ان يدعم كوسيلة لاقرار التفاهم المتبادل بين الشعوب من اجل تخفيف التوتر ، وكوسيلة تتفق واغراض صيانة السلام ، وهذه علاقات لا يجب ان ترافقها اى شروط او دوافع تستهدف اقامة سيطرة بلد ما على بلد آخر .

● وتعلن الحكومتان ان الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية المعقودة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة تتفق مع هذه الشروط وتبنى على اساس المبادىء الصحيحة » .

ـ المحرر السياسى لجريدة الاهرام يقول : ان نتائج محادثات الرئيس عبد الناصر مع قادة الاتحاد السوفييتى قد حققت فوائد عملية للجمهورية العربية المتحدة، وانه قد تم الاتفاق فى موسكو على ما يلى :

١ ـ تخفيض اقساط التسليح المستحقة على الاقليم المصرى والاقليم السورى بنسبة كبيرة .

٢ ـ تخفيض اثمان جميع المصانع التى ستحصل عليها الجمهورية العربية المتحدة فى الاقليمين بمقتضى اتفاقيات التعاون بين الاتحاد السوفييتى والاقليمى الجمهورية العربية المتحدة، وقد كان التخفيض بنسبة ١٥ ٪ من اثمان المصانع .

ـ اعلن ان حكومة الاتحاد السوفييتى قد اهدت الى الجمهورية العربية المتحدة معملا كاملا لابحاث القطن بجميع المعدات اللازمة له ، كما اهدت الرئيس جمال عبد الناصر طائرة من طراز (اليوشن ١٤) .

ـ اتفاق بشأن تزويد الاتحاد السوفييتى للاقليم المصرى بـ ١٥٠ الف طن من القمح . كما تم الاتفاق على انشاء مراكز للتدريب الفنى الصناعى .

● **يوليو** ـ الرئيس عبد الناصر يصل الى الاتحاد السوفييتى فجأة ، اثناء عودته من زيارة ليوجوسلافيا ، وذلك على اثر التهديد الامريكى البريطانى بغزو العراق فى اعقاب ثورة ١٤ تموز ، ونزول القوات البريطانية والامريكية فى الاردن ولبنان .

● **ديسمبر** ـ توقيع اتفاقية بناء المرحلة الاولى للسد العالى مع الاتحاد السوفييتى ، وذلك بموجب قرض مقداره ٤٠٠ مليون روبل ، بفائدة ٢,٥ ٪ ، وان يتم السداد فى مدة ١٢ عاما ، ابتداء من عام ١٩٦٤ ، اى بعد الانتهاء من بناء المرحلة الاولى ، وان يكون السداد من السلع والمنتجات المصرية .

١٩٥٩

● **يناير** ـ الاتحاد السوفييتى يتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة على انشاء ٥ مطارات فى اماكن لم يعلن عنها .

● **فبراير** ـ الرئيس عبد الناصر يتعرض فى خطابه فى العيد الاول للوحدة عن الازمة الطارئة التى نشأت بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى ، على اثر اعتقال عدد من الشيوعيين فى الجمهورية العربية المتحدة ، ويقطع الطريق على القوى الرجعية والاستعمارية التى حاولت استغلال الموقف لاحداث الوقيعة وتخريب العلاقات الوطيدة بين البلدين ، الرئيس يقول فى خطابه « ان العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفييتى كانت دائما علاقات صداقة وكانت علاقات مبنية على الاحترام المتبادل ، وكانت علاقات مبنية على ان كل دولة ان تختار لنفسها النظام السياسى والاجتماعى الذى ترضاه وان كل دولة تتعاون مع عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى .

ولكن طبعا بدأت الدوائر الاستعمارية تنتهز الفرص بعد هذا للوقيعة ، وفى مؤتمر الحزب الشيوعى السوفييتى الواحد والعشرين تكلم الرئيس خروشوف وعبر عن رأيه باعتباره شيوعى طبعا نتج عن هذا ايضا ان بدأت الدوائر الاستعمارية تحاول الوقيعة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة .

اننا فى علاقتنا مع الاتحاد السوفييتى كنا نشعر بالتقدير للتأييد اللى اعطاهلنا الاتحاد السوفييتى فى جميع معاركنا ضد الاستعمار ، ونشعر ايضا بالتقدير للاتحاد السوفييتى ولشعب الاتحاد السوفييتى فى معاونتنا فى بناء اقتصادنا ولبناء تصنيعنا ، نشعر ايضا بالتقدير للاتحاد السوفييتى لانه وقف معنا ونحن نجابه الحصار الاقتصادى والحرب

الاقتصادية ، وطبعا ده موضوع كان موضوع مهم جدا .

هناك خلافات عقائدية بيننا وبين الاتحاد السوفييتي ..

ولهذا فانا تكلمت فى الموضوع بصراحة وبعثت برسالة شخصية الى الرئيس خروشوف كانت هذه الرسالة تعبيرا عن الصداقة اوشرحا للصداقة التى توطدت بين شعبنا والشعب السوفييتي ،وانها كانت على اساس المساواة وان لكل بلد ولكل شعب الحق فى اختيار النظام السياسي والاجتماعي،وان هذه الصداقة كانت دائما تلاقي التقدير والاقبال والاعزاز من شعبنا . وان شعب الجمهورية العربية المتحدة يكن لشعب الاتحاد السوفييتي وللاتحاد السوفييتي الشعور بالود والصداقة ، ويعز على شعب الجمهورية العربية المتحدة ان يصيب هذه الصداقة اى فتور او اى تصدع لاننا نحمل للشعب السوفييتي التقدير لمساندته لنا فى ايامنا العصيبة .

وتساءلت فى هذه الرسالة من موقف الاتحاد السوفييتي بعد خطاب خروشوف من بلدنا وعن مستقبل العلاقات بيننا وعن اى تطور فى سياسة الاتحاد السوفييتي نحو تأييد القضايا العربية للتحرر والاستقلال .

وانا وجدت ايها الأخوة ان من واجبي ان اتكلم فى هذا الموضوع بصراحة ولهذا ارسلت هذه الرسالة الي مستر خروشوف لابين له انه رغم الخلافات العقائدية بيننا ولكننا طبعا بنشعر بالتقدير للشعب السوفييتي للمعونة اللى اخذناها واللى اداها واذا كان الشعب السوفييتي طبعا بحافظ على هذه الصداقة فاحنا نرحب بها، وان احنا لا نريد ان ينتاب هذه الصداقة اي فتور او اي تصدع .

وامبارح وصلني رد من المستر خروشوف واستلمت هذا الرد امبارح يمكن فى نص الليل .

مستر خروشوف ايضا رد على هذه الرسالة بصراحة ووضوح ورد برسالة قوية من عشر ورقات .

حاقول لكم بعض العبارات اللى جت فى هذه الرسالة :

قال مستر خروشوف فى جوابه ان العلاقات الطيبة التي قامت بين بلدينا لعبت دورا عظيما فى الدفاع عن السلام والامن فى الشرق الاوسط ، ولقد قام هذا التعاون المثمر بالرغم مما بيننا كما هو معروف للجميع من اختلاف فى وجهات النظر العقائدية .

ولقد حاولنا دائما ان نقوي الروابط التي تجمع بين كفاحنا للسلام ضد القوي الاستعمارية ، كما حاولنا ايضا ان تبقى خلافاتنا العقائدية بعيدا ، ولقد كان كل منا فى هذا يلتزم رأيه الخاص ، ولقد وجدت الخلافات العقائدية بيننا من قبل ومع ذلك فان بلدينا تمكنا من التعاون بنجاح .

وقال ان الاتحاد السوفييتى والحكومة السوفييتية ناصرت باخلاص وستناصر باخلاص كفاحكم العادل ضد الاستعمار ومن اجل الاستقلال وتحقيق الأماني المشروعة لشعب الجمهورية العربية المتحدة .. وقال ان موقفنا منكم ومن البلد الذي تقودونه لايمكن آن يتغير مهما كانت هناك اي ظروف سياسية .

وقال : ولقد لعب كفاح شعب الجمهورية العربية المتحدة والشعوب العربية من اجل الاستقلال الوطنى والتحرير دورا عظيما فى دعم حركات الحرية الوطنية لدي شعوب افريقيا وآسيا،هذا الكفاح العظيم قد حظي بتقدير الشعب السوفييتى والشعوب الاخرى المحبة للسلام وبكل اخلاص ناصرناكم وبكل اخلاص سوف نستمر فى مناصرة كفاحكم .

وقال المستر خروشوف ايضا فى كلامه اما فيما يتعلق بموقفنا من الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة فان الاتحاد السوفييتي لا يرغب فى التدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة .

وانا حبيت افصل الامر بوضوح فنخط بسياستنا علنا زي ما بنخطها دائما علنا ، بنعرف اهدافنا علنا وبنحدد معالم طريقنا علنا ، وبنفهم ايه الالاعيب والمؤامرات اللي بتوضع لوضع هذه المنطقة مرة اخرى ضمن مناطق النفوذ » .

١٩٦٠

● السطس — توقيع الاتفاقية الثانية مع الاتحاد السوفييتي ، الخاصة بتمويل المرحلة الثانية من مشروع السد العالى ، واقامة الشبكة الكهربائية الضخمة لنقل الطاقة الكهربائية من محطات التوليد عند السد العالي الي جميع انحاء الجمهورية العربية المتحدة .

١٩٦٢

● **يونيو** — توقيع اتفاق طويل الاجل للتجارة والمدفوعات بين البلدين ، يبدأ العمل به فى اول يناير ١٩٦٣ ، ويعمل به لمدة ثلاث سنوات ، وينص على زيادة حجم المبادلات بين البلدين الى حوالى ٦٠ مليون جنيه مصرى سنويا .

١٩٦٣

● **يناير** — الرئيس عبد الناصر يخطب فى الاحتفال بالعيد الثالث لبدء العمل فى بناء السد العالى بأسوان ، ويشيد فى هذه المناسبة بالمعونة السوفييتية الصادقة ، قائلا : « هذا العمل زى ماقلت الصبح نشعر له بكل التقدير لان الاتحاد السوفييتى فى هذا العمل اثبت انه بدون شروط سياسية يعاون الشعوب التى تصمم على الحياة والتى تعمل على تحرير نفسها » .

١٩٦٤

● **مايو** — وصول الرئيس خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى فى زيارة رسمية لاول مرة ، الى الجمهورية العربية المتحدة ، بناء على دعوة من الرئيس جمال عبد الناصر .

— الرئيس السوفييتى يزور مجلس الامة فى صحبة الرئيس عبد الناصر ، السيد انور السادات رئيس مجلس الامة يقول فى كلمة الترحيب بالرئيس السوفييتى « وانه لما يملأ القلوب املا وتفاؤلا فى المستقبل ان تلتقى الشعوب وان يلتقى القادة على طريق السلام وتقدم البشرية ، واذا كنا نلتقى اليوم بسعادة الرئيس نيكيتا خروشوف ، فليس هذا لقاؤنا الاول ، فلقد التقينا به من قبل مرات ومرات .. التقينا به وبالشعب السوفييتى العظيم فى مراحل صراعنا التحررى ضد الاستعمار والسيطرة الاجنبية ، والتقينا به وبالشعب السوفييتى العظيم فى مراحل نضالنا فى معركة البناء والتطوير .. التقينا به يوم توهم الاستعمار ان فى استطاعته ان يستمر فى فرض وصايته علينا عن طريق احتكار السلاح ، فناصرنا فى كسر احتكار السلاح ، وفى تحرير الارادة الوطنية من كل وصاية او تبعية .. » .

الرئيس عبد الناصر يقدم الرئيس السوفييتى الى السادة اعضاء مجلس الامه قائلا : « ان الضيف القادم اليكم معى الان هنا من قواد ثوره عظمى ، احدثت تحولات هائله وغير محدوده فى قارات العالم بلا استثناء وبالذات فى اوربا وآسيا ، ولقد حررت مئات الملايين من البشر من رق الاقطاع والاستغلال ومن سيطرة الاستعمار لتشق الطريق بهم الى عصور الذرة وعصور الفضاء وابعادهما اللا متناهية خدمة للانسان وتكريما له .

وانتم هنا طلائع ثورة اخرى عظيمة حركت امة بأسرها — لكى تقف على قدميها على المنطقة الشاسعة ما بين المحيط والخليج تقاتل وتناضل وتصنع بنفسها قدرها ، وتختار طريقها الى الغد الذى تمنته لنفسها وارادته باختيارها الحر لكى يقف الانسان العربى فى هذا العصر ، مع الانسان المتحضر فى كل مكان يبنى الرخاء ويبنى السلام .

ان ثورتكم تلتقى مع الثورة السوفييتية بل ان الثورات الاصيلة كلها تلتقى مهما كان الخلاف بينها فى التفاصيل » .

الرئيس السوفييتى يقول فى خطابه امام اعضاء مجلس الامة « اننا نحن ابناء الشعوب السوفييتية يروقنا ونسعد ونحن نتتبع نجاح البلاد الاخرى فى طريق تطورها الاجتماعى وتدعيم اقتصادها ويعجبنا ايها السادة نجاحكم هذا فى جميع المجالات ، فشعبنا الذى حقق ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى اقبل بحزم واصرار على تحقيق غاياته الاقتصادية والثقافية والعمل على رفاهية الشعب .

اننا قمنا بتسوية هذه القضايا فى ظروف اخرى تختلف عن ظروفكم وباشكال اخرى ، لقد كنا اول من رفع راية الاشتراكية ، راية النضال ضد المستغلين والمستبدين .

لقد اقمنا المصانع والمنشآت كما امنا الارض ايضا ، فتحولت بلادنا من بلاد متخلفه ومتأخرة اقتصاديا الى دولة صناعية جباره ذات شهرة عالية .

وقد احرزنا هذا النجاح لاننا سرنا فى طريق الاشتراكية التى ارشدنا اليها لينين العظيم ، لقد سرنا فى هذا الطريق الصحيح جيدا وسنواصل السير فيه دائما .

انكم هنا تحققون تطورا اجتماعيا فى جميع نواحى بلادكم ، ولكن فى ظروف اخرى تختلف عنا وبأساليب متنوعة ، ونحن نقبل وبارتياح تصميمكم على تعزيز بناء البلاد واقامة

الحياة الافضل للشعب في الجمهورية العربية المتحدة عن طريق اقامة الدعامات الاشتراكية للمجتمع لتعيدوا بناء هذا المجتمع من جديد ولتسيروا الى قمة النجاح في هذا التطور » .

« والاتحاد السوفييتي الى جانب ذلك يعتبر من اول واجباته ان يعتنى بانهاض اقتصادياته وتقديم المساعدات المتعددة في النواحي المختلفة الى جميع الدول على حد سواء ، تلك التي تحررت من العبودية الاستعمارية .

ولقد نالت الشعوب المناضلة من اجل حريتها تأييدا من الحركة العالمية الشيوعية ومن الحركة العمالية . وفي الظروف الراهنة تتجمع الاشتراكية والحركة الوطنية التحررية والحركة الشيوعية في سبيل واحد يقوض اسس الاستعمار العالمي » .

« لذلك فالشعب السوفييتي يشارككم السعادة بعد اعلان الجمهورية العربية المتحدة انها دولة اشتراكية قامت على اسس من التنظيم الذي يضمه اتحاد القوى العاملة للشعب في الاتحاد الاشتراكي الوطني » .

« .. فهنا في المرحلة التالية من توطيد استقلال الدول ايها السادة يهمني ان اقول ان تدعيم الاستقلال الاقتصادي هو اهم دعامة تقوم عليها حرية البلاد ، ففي هذه المرحلة يتقدم الشعب من اجل القضاء النهائي على الاستعمار بصوره المختلفة ، والاستعمار الجديد بالايكون هناك مستعمرون ومستغلون ، فان شعوب الدول المستقلة حديثا اذا ما قدمت دائما اهدافها الاصلاحية ، واذا ما قدمت الاشتراكية كأساس لها فانها تستطيع بكل قوة ان تقضي على كل صور الاستعمار » .

« **ويقولون كيف يمكن للاتحاد السوفييتي ان يناضل لاجل تسوية المسائل العالمية عن طريق المفاوضات من جهة ، ثم يقدم السلاح لعدد من بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية من جهة اخرى . لكن لا يوجد ايها السادة اى تناقض هنا ، وعبثا يبحثون عنه .**

صحيح اننا نعطى السلاح لكل من يتوجه الينا بطلب المساعدة في النضال العادل من اجل احراز الاستقلال الوطني .

اننا نعطى المساعدة للقضايا المقدسة لتحرير الشعوب من اجل نضالها وانتصارها على الاستعمار اننا نقدم السلاح لحماية المكاسب التي استطاعت الحرية ان تغتصبها من الاستعمار والاستبداد — لا نقدمها للعدوان على بلدان اخرى .

اننا لا نتراجع ابدا بالنسبة لمبادىء التعايش السلمي ونعتز في نفس الوقت ان اسلحتنا كانت وسوف تكون مفيدة بالنسبة للمناضلين المكافحين من اجل الاستقلال والحرية .

واذن فاني اهيب بكم ايها السادة الا تنخدعوا بهذا التضليل الاستعماري ان الاتحاد السوفييتي هو جزء لا يتجزأ من المجموعة الاخوية العظيمة للدول الاشتراكية ، لذلك كان ولا يزال وسيظل دائما يدرك بعمق فكرة الوحدة العربية التي تنبني على مبادىء الدفاع المشترك عن حقوق الامة العربية المشروعة .

وكذلك تأييد السلام في الشرق العربي ورفع مستوى معيشة لجميع الدول العربية .

لا شك ان توفير التعاون بين الدول العربية على الاسس التي تقوم لمناهضة الاستعمار والاستغلال ، امر يساعد على حل المشاكل القائمة امامها . بل انه يمنع الدول الاستعمارية من التلاعب بالدول العربية وبانقسامها » .

— البيان المشترك عن محادثات الرئيس عبد الناصر والرئيس خروشوف . وقد جاء فيه « وجاءت هذه الزيارة الودية مقترنة بفترة تاريخية من التطور الاقتصادي في الجمهورية العربية المتحدة ، وهي اتمام بناء المرحلة الاولى من سد أسوان العالي . . هذا المشروع الهام ، الذي يتم بناؤه بمساعدة الاتحاد السوفييتي .

ومما لا شك فيه أن سد أسوان العالي هو أضخم السدود في القارة الافريقية وسيبقى دائما هذا المشروع الفريد من نوعه في العالم كله ، مثلا حيا لسياسة التعايش السلمي والتعاون الخلاق بين شعبي الاتحاد السوفييتي والجمهورية العربية المتحدة ، وهو ايضا صرح رائع للامكانيات الواسعة ، التي تتجلى في الصداقة النزيهة بين الامم ، والعمل المثمر المشترك فيما بينها » .

« ولا شك ان معركة السويس ، لم تكن نقطة تحول في طريق النضال الثوري لشعب مصر وحده بل انها فتحت الطريق امام الشعوب المظلومة ودلت على امكانية احراز النصر مهما كانت قوة جيوش المعتدين والاستعمار .

ولقد أثبت رد العدوان أن مطامع المعتدين في الحرية والحقوق الشرعية

للشعوب ، تتحطم أمام ارادة هذه الشعوب، وأظهر عدوان السويس أن النضال في سبيل التحرر السياسي جزء لا يتجزأ من النضال في سبيل التحرر الاجتماعي ، وان الحرية الاقتصادية هي الدعامة الاساسية للحرية السياسية » .

« ويعرب الاتحاد السوفييتي عن تاييده التام لنضال الدول العربية ، ضد الدسائس الاستعمارية التي تسعى الى استغلال قضية فلسطين لزيادة حدة التوتر في الشرق الادنى ، ولتحول دون ايجاد حل لهذه المشكلة وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة وحقوق عرب فلسطين التي لاتتجزأ

واعرب الجانب السوفييتي عن تاييده لموقف البلدان العربية بشأن استغلال مياه نهر الاردن»

« وينوه الجانبان بضرورة زيادة الجهود المشتركة ، لمؤازرة الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والسيطرة الاجنبية حتى يكلل النضال التحررى الوطني بالنجاح، وذلك عن طريق توحيد جميع القوى المؤمنة بضرورة القضاء على الاستعمار في كل مظاهره واشكاله ، من أجل تحقيق اماني الشعوب واقرار السلام في جميع انحاء العالم » .

« ويشير الجانب السوفييتي الى ان الجمهورية العربية المتحدة ، احرزت تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر نجاحا كبيرا في تدعيم استقلالها السياسي والاقتصادى ، فلقد تحققت في السنوات الاخيرة الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الواسعة النطاق » .

« كما تم تنفيذ برامج التصنيع والتأميم وتطوير القطاع العام على نطاق واسع ، وتحققت ملكية الشعب لادوات الانتاج ، كما أدخلت الجمهورية العربية المتحدة التخطيط العلمي في برامج تنميتها الاقتصادية ، وتم القضاء على الاقطاع وتنفيذ الاصلاح الزراعى » . . . .

« وقد أبدى الجانب السوفييتي تفهما عميقا لجهود الجمهورية العربية المتحدة في مجال اطراد تنمية اقتصادها الوطني ووافقت حكومة الاتحاد السوفييتي مبدئيا على تقديم المساعدات ، تلبية لرغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك لبناء المؤسسات الصناعية التي يتضمنها برنامج مشروع السنوات الخمس الثاني ، لتنمية الصناعة في البلاد في الفترة ما بين ١٩٦٥ — ١٩٧٠ » .

— « وتم الاتفاق أثناء المحادثات على أن يقدم الاتحاد السوفييتي للجمهورية العربية المتحدة قرضا اضافيا طويل الاجل بمبلغ ٢٥٢ مليون روبل ، وستحدد الاتفاقيات الخاصة حجم المساعدة الفنية لكل مؤسسة ، وذلك بعد دراسات تمهيدية فنية واقتصادية لكل مؤسسة من المؤسسات الكبرى » .

— « وابلغ الرئيس خروشوف رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة أن حكومة الاتحاد السوفييتي قررت تقديم هدية للجمهورية العربية المتحدة تشمل آلات زراعية ومعدات زراعية تكفي لاستصلاح قطعة أرض كبرى تجرى فيها أعمال الزراعة بالوسائل الميكانيكية ، وتبلغ مساحتها ٤ آلاف هكتار (حوالى ١٠ آلاف فدان) من الاراضي المروية ستخصص لزراعة القطن وغيره من المزروعات » .

— « وتزود حكومة الاتحاد السوفييتي الجمهورية العربية المتحدة بـ ٥٠ جرارا للحرث و ١٣٠ جرارا لتقليب الارض و ٥٠ من الجرارات الاخرى، الى جانب ٥٠ محراثا آليا و ٦ آلات للتسوية و ١٢ شوكة ميكانيكية مزودة بآلات للسماد و ١٠٠ من آلات وضع البذور و ٣٠ من الفئوس الميكانيكية ، وكذلك ٧٥ آلة للتسميد و ١٠٠ آلة لحصاد القطن و ١٥٠ آلة للنقل و ٤٠ سيارة لورى .. كما تقدم معدات للرى منها ٥ حفارات و ١٥ بلدوزر و ٢٠ سكريبر و ١٥٠ سيارة شحن .

— « ويوفد الجانب السوفييتي الى الجمهورية العربية المتحدة الخبراء السوفييت لتدريب العمال والفنيين من الجمهورية العربية المتحدة ، حتى يتسنى لهم استخدام آلات الزراعة المذكورة » .

وستصبح هذه المزرعة التي ستدار بالطرق والاجهزة الميكانيكية الكبرى مثلا جديدا لتوضيح السبل الحديثة في استصلاح الاراضي . ويتم تطبيق احدث ما وصل اليه العلم الحديث في هذه المزرعة » .

«واشار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بارتياح الى الموقف الايجابي ، الذى وقفته حكومة الاتحاد السوفييتي ، من تقديم المعدات العسكرية وتدريب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة التي تقوم على حراسة العمل السلمي الخلاق للشعب ، وكذلك تقوى لحماية استقلال

وسيادة الجمهورية العربية المتحدة » .

● **سبتمبر** – توقيع اتفاقية التعاون الفني والاقتصادي بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وتقضي بأن يساهم الاتحاد السوفييتي بما قيمته ١٢٥ مليون جنيه في مشروعات الصناعة في الخطة الثانية – كما يساهم الاتحاد السوفييتي أيضا في استصلاح ٢٠٠ الف فدان في الجمهورية العربية المتحدة .

● **اكتوبر** – الرئيس عبدالناصر يتلقى رسالة من قادة الاتحاد السوفييتي ردا على رسالته التي كان قد بعث بها الى الرئيس كوسيجين رئيس الاتحاد السوفييتي الجديد بعد اعفاء الرئيس السابق خروشوف من منصبه ، يؤكدون فيها انه لن يحدث اى تغيير في سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه الجمهورية العربية المتحدة في المستقبل ، ويؤكدون ايضا رغبتهم في تطوير علاقات الصداقة بين الشعبين ، ويعربون عن تقدير الاتحاد السوفييتي للدور الطليعي الذي تقوم به الجمهورية العربية المتحدة في حركة التحرر الوطني .

● **ديسمبر** – حضور وفد مجلس السوفييت الاعلى برياسة شيبيلين نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في زيارة ودية للجمهورية العربية المتحدة ، واجراء محادثات مع الرئيس عبد الناصر ، ومشاركة شعب الجمهورية العربية المتحدة في اعياد النصر ، ويزور مجلس الامة بدعوة من السيد انور السادات رئيس المجلس .

– الرئيس عبد الناصر يحيي الوفد السوفييتي في خطابه في عيد النصر قائلا :

« نحن لن ننسى ابدا السد العالي على مر الايام وعلى مر العصور رمزا للصداقة العربية السوفييتية ، الصداقة المنزهة عن الغرض ، والصداقة المنزهة عن الهوى ، الصداقة من اجل المثل العليا .. والصداقة من اجل المبادىء وقد راينا كيف استطاع العمال السوفييت في اسوان في درجة الحرارة العالية انهم يتحملوا الحر الشديد من اجل ان يقوموا بهذا العمل الكبير .. العمل الضخم الذي تعهد الاتحاد السوفييتي بأن يتعاون معنا في انشائه ، لن ننسى ابدا هذه الصداقة . وباسمكم وباسم شعب الجمهورية العربية المتحدة احيى الاتحاد السوفييتي واحيى حكومة الاتحاد السوفييتي واحيى وفد مجلس السوفييت الاعلى الموجود معنا في هذا المكان .. يسعدنا ان يشاركونا في اعياد النصر . وفي احتفالنا بأعياد النصر » .

– « السيد الكسندر شيبيلين يقول في خطابه امام مجلس الامة : « أن سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه الجمهورية العربية المتحدة كانت ولا تزال وستستمر ابدا ودية لا تتغير فان السياسة لا يرسمها اشخاص ، انما ترسمها القيادة الجماعية » .

١٩٦٥

● **يونيو** – الاتحاد السوفيتي يستجيب لطلب من الجمهورية العربية المتحدة بارسال ٣٠٠,٠٠٠ الف طن من القمح ، لتوفير احتياجات الاستهلاك المحلي ، وفي مواجهة الضغط الذي تتعرض له الجمهورية العربية المتحدة من جانب الكونجرس الامريكي ، وذلك بدون انتظار لاجراء مفاوضات اوتجديد شروط للاتفاق بين البلدين ، وقد طلب رئيس الوزراء السوفييتي من وزارة التجارة الخارجية تحويل البواخر التي تحمل القمح الذي اشتراه الاتحاد السوفييتي من كندا الى الاسكندرية ، وصدور الاوامر الى البواخر وهي في عرض البحر بالتوجه في الحال الى ميناء الاسكندرية

● **اغسطس** – الرئيس عبد الناصر يقوم بزيارة رسمية للاتحاد السوفييتي ، بناء على دعوة من رياسة مجلس السوفييت الاعلى ورياسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي .

– السيد ليونيد بريجنيف سكرتير الحزب يقول في حفل تكريم الرئيس عبد الناصر « ومنذحصلت مصر على الاستقلال الحقيقي نتيجة لقيام ثورة ٢٣ يونيو عام ١٩٥٢ ، اخذت هذه العلاقات تنمو باستمرار وتعاظمت يوما بعد يوم ، وشملت مجالات مختلفة . وبالطبع فان هذا النمو لم يحدث بمحض الصدفة ، كما انه ليس نتيجة للرغبات الشخصية لشخص ما ، وانما هي عملية تاريخية طبيعية وعميقة » .

– الرئيس عبد الناصر يقول في خطابه في حفل مجلس السوفييت الاعلى « ان الطريق امامنا اطول فان مشاكل العالم لمتنته والاخطار التي تهدد الشعوب لم تتوقف احتمالاتها ، واذا جاز لي التحديد هنافاني اشير الى القسور الى نذر سوف تستفحل ما لم يستطع عملنا

المشترك ، وعمل غيرنا من الشعوب الحرة في كل مكان أن يضع لها حدا .

أولا — خطر العودة الى استعمال سياسات القوة ومثاله الان ما تتعرض له فيتنام الشمالية من عدوان يتكرر كل يوم .. »

ثانيا — الشلل الذي أصيبت به الامم المتحدة ، وحيث كنا نريد ويريد غيرنا من المؤمنين بالسلام القائم على العدل بعلاج شامل لامراض هذه المنظمة يتناسب مع الامال المعلقة عليها .. »

ثالثا — المصاعب التى تواجهها الدول النامية من جانب الاحتكارات الاقتصادية حيث الرغبة دائما في ابقاء هذه الدول مصدرا للمواد الخام بأرخص الاسعار وسوقا للمصنوعات الجاهزة بأغلى الاسعار الامر الذي يحدث تناقضا اقتصاديا واجتماعيا خطيرا خصوصا اذا ما أضيف امتياز التقدم العلمي في خدمة الاحتكارات بذلك يصبح الفقراء اكثر فقرا والاغنياء اكثر غنى .

رابعا — اخطار المؤامرات ضد الشعوب والمساندة والمساعدة الى حد التحريض للمتآمرين على نحو ما نرى فيما يتعرض له العالم العربي الان من الذين يقفون وراء اسرائيل ويشجعونها على سرقة المياه العربية من نهر الاردن .. » أيها الاصدقاء الاعزاء : مهما يكن من أمر ذلك كله فانه لا يخالجنا الشك بحتمية انتصار السلام والتقدم على دعامات العدل والحرية . »

● سبتمبر — البيان المشترك عن المحادثات بين الاتحاد السوفييتي والجمهورية العربية المتحدة ، وقد جاء فيه «وتدين حكومتا الاتحاد السوفييتي والجمهورية العربية المتحدة السياسة الاستعمارية في الشرق الاوسط ويعرب الاتحاد السوفييتي عن تأييده التام لنضال الشعوب العربية ضد هذه السياسة كما يؤيد تأييدا كاملا الحقوق المشروعة التي لا تتجزأ لعرب فلسطين ، ويستنكر الطرفان ذلك الدور الذى تلعبه حكومة المانيا الاتحادية بتزويد اسرائيل بالاسلحة لاستخدامها في الاغراض العدوانية ضد الدول العربية ويطالب الطرفان بتصفية القواعد العسكرية الاجنبية التي تستخدم في تهديد الشعوب وحركات التحرر المناضلة ضد الاستعمار ولما تشكله هذه القواعد من تهديد للسلم والامن الدولى » .

● نوفمبر — تأسيس جمعية الصداقة العربية السوفييتية في القاهرة .

● ديسمبر — توقيع اتفاق جديد للتجارة والمدفوعات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتي للسنوات الخمس القادمة (١٩٦٦ — ١٩٧٠) وينص على زيادة حجم التبادل التجارى بين البلدين الى ١٠٠ مليون جنيه سنويا .

١٩٦٦

● مايو — وصول الرئيس كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في زيارة للجمهورية العربية المتحدة بناء على دعوة من الرئيس عبد الناصر .

— الرئيس عبد الناصر يقول في الجلسة الخاصة التي عقدها مجلس الامة للاحتفال بالرئيس كوسيجين والوفد السوفييتي «ولست أظننى أيها الاخوة بحاجة الى الحديث عن الصداقة العربية السوفييتية فان التاريخ المشرف لهذه العلاقات خلال الاثنتى عشرة سنة الماضية يتحدث عن نفسه وهو ماثل أمامنا الان كنموذج حي لعلاقات دولية جديدة . لقد جمعتنا مواقف دولية في معركة الانسانية المقدسة ضد الاستعمار والاستغلال وربطت بيننا مصالح متبادلة وبالعمل المستمر والاتصال المباشر فلقد قامت صداقة قوية ومخلصة » .

— الرئيس كوسيجين يقول في خطابه امام أعضاء مجلس الامة « ان تاريخ الانسانية يمكن اعتباره سلسلة مستمرة من الصراع بين الجديد والقديم ، بين قوى التقدم وكل ما يعرقل السير الى الامام ولذلك فان تحالف الذين تتفق مصالحهم في النضال من أجل التقدم تحالفا وثيقا كان ولايزال أهم عامل لانجاح الحركات التقدمية» «ولقد وضعت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا بداية لنشوء النظام الاشتراكي الذى أزال عدم المساواة الاجتماعية — والظلم الطبقي والقومى وانها جاءت ليس بالتحرر الاجتماعي لبلدنا ولكنها جاءت في نفس الوقت بالحرية الوطنية لكثير من الشعوب التي تسكن فيها . انها لاتزال الى جانب جميع الدول تناضل ضد الاستعمار . وان ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ في مصر كانت من أبرز المراحل لهذا النضال وكانت لها أهمية

كبيرة لشعوب الشرق كله بقدر ما حلت الجمهورية العربية المتحدة مسائل البناء الوطني على طرق التقدم كلما تطورت وتعززت العلاقات الودية بين بلدينا . وقد قرب اعلان الجمهورية العربية المتحدة بناء الاشتراكية هدفا وطنيا لها ، بلدينا الى حد اقرب .

اننا نقدر تقديرا عاليا أهمية ميثاق العمل الوطني باعتباره وثيقة منهاجية هامة وضعت تحت قيادة رئيسكم ورئيس الاتحاد الاشتراكي العربي جمال عبد الناصر .

« وسيضمن اشتراك جماهير اوسع فاوسع من العمال والفلاحين والمثقفين وكل الشبيبة الذين يهتمون كل الاهتمام ببناء الاشتراكية وبناء حياة جديدة سيضمن نجاح التغييرات التقدمية الصناعية في بلادكم نجاحا تاما » . « ان الامبرياليين بالتحالف مع الرجعية يعلقون آمالهم على تفرقة القوى التقدمية والديمقراطية ويلجأون الى العدوان المسلح ويحاولون القيام بانقلابات تعادى الثورة والى التوسع الاقتصادى والنشاط الفكرى الهدام كما تتخذ محاولات تنشيط الكتل من مختلف الانواع وحتى تشكيل كتل جديدة وتدعيم القواعد الحربية التى هى ركائز العدوان ضد الشعوب الحرة » .

« اريد ان اقول تعبيرا عن مشاعر الشعب السوفييتى أن لشعبكم أصدقاء أمناء مخلصين يتبعون نضالكم منذ عصر عميق . وأننا نتفهم تماما ما تبذله حكومة الجمهورية العربية المتحدة من الجهود لضمان أمن بلادها وتعزيز قدرتها على الدفاع . وأنكم تعرفون أن التعاون الضرورى يجرى بين بلدينا فى هذا المجال وهو يستمر فى التوثق والتطور .

ان التعاون الاقتصادى بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة لايزال يتوسع ويجتاز اكثر فاكثر حدود العلاقات العادية الشكلية بين الدول فان عمل العمال والخبراء السوفييت والعمل المشترك فى بناء سد اسوان مثلا انما هو فى الواقع ليس مجرد تحقيق اتفاقيات اقتصادية وحسب بل انه مظهر من مظاهر التضامن بين شعبينا فى وجه القوى الاستعمارية التى تحاول عرقلة تقوية الاقتصاد الوطنى فى الدول الفتية . وهذا شىء طبيعى ومنطقى وموضوع فى عين الاعتبار » .

« يانواب مجلس الامة المحترمين ، لقد تحدثنا عن دور الجمهورية العربية المتحدة ، وعن اهمية الصداقة السوفيتية العربية فى تطور الحالة فى الشرق الادنى وفى خارجه فى اتجاه يلائم قوى السلام والتقدم . وهنا شرط هام آخر يؤثر فى الوضع فى هذه المنطقة يؤكد ضرورة تلاحم جميع قوى الحركة التحررية الوطنية المعادية للاستعمار . ان الامبريالية لم تكف عن محاولة تفرقة الحركات التقدمية ومعالجة بعضها كما انها تسعى الى انتهاز أية فرصة مهما كانت تافهة للقيام بنشاطها الهدام ولايزال على الشعوب التى انتزعت استقلالها أن تخوض نضالا عنيفا . ولذلك يلزمها قبل كل شىء تضامن جميع القوى المعادية للحرب وللامبريالية ويجب أن تحتفظ بالتضامن وتعززه الى حد كبير لتحطيم جميع المساعى المؤدية الى اعادة نظام يمكن ان يكون الاستغلال الاستعمارى فى ظله سواء كان ذلك بشكل قديم أو جديد » .

— البيان المشترك عن محادثات الرئيس عبد الناصر والرئيس كوسيجين وقد جاء فيه « وعبر الطرفان عن قلقهما للتدهور الذى شاب الموقف الدولى فى الاونة الاخيرة وخطر الحرب المتزايد الناتج عن الاعمال العدوانية التى تلجأ اليها القوى الاستعمارية التى تتدخل فى الشئون الداخلية للدول والشعوب الاخرى » .

ولاحظ الطرفان أن التوتر المتزايد فى الموقف الدولى هو نتيجة مباشرة للاصرار على أستخدام اساليب القوة فى العلاقات الدولية »

« كما استعرض الجانبان باستفاضة الموقف فى الشرق الاوسط ويستنكران السياسة الاستعمارية التى تمثل مصدرا دائما للتوتر فى المنطقة ويعرب الاتحاد السوفييتى عن تأييده التام لنضال الشعوب العربية ضد سياسة القوى الامبريالية التى تسعى لاحياء التكتلات العسكرية الاستعمارية فى الدول العربية وتمزيق وحدة القوى المعادية للاستعمار والاستعمار الجديد ويؤيد الجانب السوفييتى تأييدا تاما الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى كاملة لا تتجزأ . كما يعضد كفاح الدول العربية والجهود التى تبذلها ضد القوى الامبريالية ومؤامراتها العدوانية التى تحاول أستغلال القضية

الفلسطينية لزيادة التوتر في الشرق الاوسط » .

— الاتحاد السوفييتي يوافق على تخفيض ثمن تربينات ومعدات محطة توليد كهرباء السد العالي، من ٦٠ مليون جنيه الى ٤٥ مليون جنيه .

● يونيو — الرئيس كوسيجين يلقي خطابا سياسيا هاما في موسكو ، يقول فيه « أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر في هذا الموقف الدولي المعقد قلعة هامة للتحرر الوطني . والتطور والتقدم في هذه المنطقة الشاسعة في الشرق الادنى وافريقيا ، ولهذا فان تأييد الجمهورية العربية المتحدة يعد في الوقت نفسه تأييدا لشعوب أخرى عديدة في هذه المنطقة وتناضل في سبيل حريتها واستقلالها»

— الاتحاد السوفييتي يوافق على تقديم مبلغ ١٥٠ مليون روبل ، في شكل تسهيلات ائتمانية جديدة للجمهورية العربية المتحدة (أي حوالي ١٥٠ مليون دولار بسعر الروبل الجديد) وسوف يوجه هذا المبلغ الى مشروعات خطة التنمية .

● ديسمبر — الاتحاد السوفييتي يقدم ٣٠٠ منحة علمية للجمهورية العربية المتحدة خلال عامي ٦٧ — ١٩٦٨، وتشمل ٤٠ منحة علمية لمرحلة مابعد الدكتوراه ، و ٢٦٠ منحة للدراسات العليا . كما تقرر دعوة ٣٣ من العلماء والخبراء السوفييت للعمل في المجلس الاعلى للبحث العلمي ، والعمل في جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

١٩٦٧

● يناير — تعاقدت الجمهورية العربية المتحدة مع الاتحاد السوفييتي على شراء وتسلم ٦٥٠ طن من القمح للموسم الجديد، وستسدد ثمنه من السلع والمنتجات العربية .

● ٢٦ مايو — بيان وزارة الخارجية السوفيتية حول الازمة في الشرق الاوسط، ويطالب الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الغربية الاخرى بكبح جماح أسرائيل ووقف عملياتها الاستفزازية ضد الدول العربية، ويؤكد البيان تأييد الاتحاد السوفييتي الكامل للجمهورية العربية المتحدة والدول العربية في موقفها من الازمة — والمتحدث الرسمي لوزارة الخارجية السوفيتية يعلن تهنئة الاتحاد السوفييتي للجمهورية العربية المتحدة على قرارها بانهاء وجود قوة الطوارىء الدولية .

● ٢٩ مايو — الرئيس عبد الناصر يشرح لاعضاء مجلس الامة آخر تطورات الموقف ، ويقول « انني باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أشكر لشعوب الاتحاد السوفييتي موقفها العظيم موقف الصداقة الحقة . هذا هو الموقف الذى نتمناه ، وأنا قلت بالامس اننا لم نطلب من الاتحاد السوفييتي ولا من اى دولة أن تتدخل ، لاننا فعلا لا نريد مواجهة تؤدى الى حرب عالمية ، لاننا نعمل من أجل السلام وننادى من أجل السلام وحينما نادينا بسياسة عدم الانحياز انما كان السبب الرئيسي هو السلام العالمي، اننا أيها الاخوة، سنعمل من أجل السلام العالمي بكل قوانا وسنتشبث بحقوقنا بكل قوانا » .

● ٦ يونيو — الحكومة السوفيتية تعلن تأييدها الكامل لشعب الجمهورية العربية المتحدة والشعوب العربية الاخرى ، وان الاتحاد السوفييتي يحتفظ لنفسه بحق أتخاذ كافة الخطوات التى يستدعيها الموقف .

● قادة الاتحاد السوفييتي يعقدون اجتماعا طارئا في الكرملين لبحث الموقف في الشرق الاوسط ، ويلغون جميع مواعيدهم الاخرى ، فيما عدا موعدين الرئيس كوسيجين والدكتور مراد غالب سفير الجمهورية العربية المتحدة .

● ٧ يونيو — مجلس الامن يوافق بالاجماع على مشروع القرار السوفييتي بوقف اطلاق النار ووقف العمليات العسكرية .

● ٨ يونيو — الاتحاد السوفييتي يقدم مشروع قرار جديد لمجلس الامن يدعو الى أدانة أسرائيل لاستمرارها في القتال ، ويطالب بانسحاب الجانبين المتحاربين الى خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ .

● ٩ يونيو — مؤتمر الدول الاشتراكية السبع في موسكو . يدين العدوان الاسرائيلي وبانه نتيجة لتواطؤ الدول الاستعمارية والامبريالية وينذر أسرائيل بانها ستعمل كل ما هو ضروري لمساعدة شعوب الدول العربية على توجيه ضربة حاسمة اليها اذا لم توقف فورا أعمالها العسكرية ضد الدول العربية المجاورة ، وأن تسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة .

- **١٠ يونيو** — الاتحاد السوفييتي يقطع علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل .

— كتب المحرر السياسى لجريدة الاهرام ان الرئيس عبد الناصر قد تلقى رسالة من رؤساء الاتحاد السوفييتى بريجينيف وكوسيجين وبودجورنى ، يناشدونه فيها من أجل دور الامة العربية كلها فى العالم، ومن أجل حركة الثورة الوطنية والسلام العالمى، العدول عن قراره الخاص بالتنحي .

- **١٣ يونيو** — الاتحاد السوفييتى يطلب عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لتصفية آثار العدوان

— مجلس الامن يعقد جلسة عاجلة بناء على طلب الإتحاد السوفييتى ، لمناقشة مشروع قرار سوفييتى بادانة أسرائيل ، ويطالب بسحب قواتها فورا وبدون شروط الى ماوراء خطوط الهدنة — والولايات المتحدة ترفض المشروع السوفييتي وتصفه (بأنه خطوة كبيرة الى الوراء) .

- **١٥ يونيو** — الحكومة السوفيتية تتهم أسرائيل بالقيام بعمليات أبادة ضد العرب وأعدام النساء والاطفال وقتل الاسرى والمزارعين وطرد السكان العرب من ديارهم .

- **١٦ يونيو** — الهيئات والمنظمات الشعبية فى الاتحاد السوفييتي تتبرع بـ ٢ مليون روبل لضحايا العدوان الاسرائيلى على العرب .

- **١٩ يونيو** — الرئيس كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي يعلن فى الجمعية العامة للأمم المتحدة « وفى ولاء لمبدأ تقديم المعونة لضحية العدوان وتأييد الشعوب التى تناضل من أجل أستقلالها وحريتها ، يقف الاتحاد السوفييتى بحزم ، دفاعا عن الدول العربية . وقد انذرنا حكومة أسرائيل قبل العدوان واثناء الحرب ، بانها اذا كانت قد قررت أن تأخذ على عاتقها مسئولية اشعال صدام عسكرى ، فسيكون على هذه الحكومة أن تدفع بالكامل ثمن الاثار المترتبة على هذه الخطوة . ونحن نتمسك بهذا الموقف بحزم»

وبينما يدافع الإتحاد السوفييتي عن حقوق الشعوب فى تقرير المصير، يدين بشدة محاولة أية دولة لاتباع سياسة عدوانية تجاه البلدان الاخرى ، وسياسة الإستيلاء على الاراضى الاجنبية واستعباد الشعوب التي تعيش هناك .

لكن ما هي فى الحقيقة سياسة دولة أسرائيل ؟.

لسوء الحظ ، على مدى تاريخ أسرائيل فى معظمه، اتبعت الدوائر الحاكمة فى أسرائيل سياسة الغزو والتوسع الاقليمى ، واستقطاع أجزاء من اراضى الدول العربية المجاورة ، وطرد بل وابادة السكان الاصليين فى هذه المناطق خلال هذه العملية .

حدث ذلك فى عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . عندما استولت اسرائيل بالقوة على جزء كبير من اراضى الدول العربية التى نص عليها ميثاق الامم المتحدة، ووجد حوالى مليون شخص انفسهم وقد طردوا من وطنهم، وحكم عليهم بالجوع والمعاناة والفقر ، وعلى مدى السنوات جميعا ، بقى هؤلاء الناس بعد أن حرموا من بلدهم ومن وسائل المعيشة فى وضع المنفيين . وبقيت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الحادة التى خلقتها اسرائيل بغير حل حتي يومنا هذا ، وهي تزيد باستمرار التوتر فى المنطقة .

حدث ذلك فى عام ١٩٥٦ أيضا ، عندما أصبحت اسرائيل طرفا فى العدوان على مصر ، وغزت قواتها الاراضى المصرية على نفس الطريقة ، وفى ذلك الوقت حاولت اسرائيل ايضا ان تحتفظ بالارض التى استولت عليها ، لكنها اضطرت الى التراجع وراء خط الهدنة تحت الضغط الجبار من جانب الامم المتحدة والاغلبية العظمى من اعضائها . ويعرف اعضاء الامم المتحدة تماما انه على مدى السنوات التى تلت ذلك ارتكبت اسرائيل اعمالا عدوانية اما ضد الجمهورية العربية المتحدة أو ضد سوريا والاردن ، ولم يحدث أن انعقد مجلس الامن بهذه الكثرة فى هذه السنوات مثلما انعقد لدراسة القضايا المتعلقة بالاصطدامات بين اسرائيل والدول العربية .

«ولن نكون عادلين مؤكدين فى تقدير سياسة اسرائيل ، مالم نعلن بكل تأكيد ان اسرائيل تتمتع فى اعماقها بتأييد خارجي من جانب الدوائر الامبريالية . اكثر من ذلك فان هذه الدوائر القوية أعلنت بيانات وقامت باعمال فعلية ، لم يكن من المحتمل أن يفسرها المتطرفون الاسرائيليون الا على انها تشجيع مباشر على ارتكاب أعمال عدوانية » . «على هؤلاء الذين اشعلوا حربا ضد الدول العربية الا تساورهم الامال حول أنه باستطاعتهم أن يستخلصوا بعض

الامتيازات من ذلك. والامم المتحدة التى ينتظر منهـا أن تخدم قضية الحفاظ على السلام والامن الدولى يجب أن تستخدم نفوذها كله ومكانتها كلها فى سبيل وضع نهاية للعدوان » .

« وهناك وجهة نظر هامة اخـرى للعـدوان الذى ارتكبته اسرائيل .

والنقطة هى أن هـذا العـدوان هدف الى قلب الحكومات القـائمة فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والبلدان العربية الاخرى ، التى تثير بنضالها المصمم من أجل دعـم الاستقلال الوطنى وتقـدم الشعوب كراهية الامبرياليين

ومن ناحية اخرى ، يقابل ذلك بتضامن وتأييد مـن جانب الشعوب التى بدأت طريق التنمية المستقلة ، وعلى ذلك فان السمـاح بأن تمر اعمال اسرائيل ضد الدول العربية بدون عقاب ، معناه معارضة قضية التحرر الوطنى للشعوب ، ومصالح عديد من دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ان الاتحاد السوفييتى لا يعترف باستيلاء اسرائيل على الاراضى . وفى اخلاص للمثل العليا للسلام والحرية والاستقلال للشعـوب . سيتخذ الاتحاد السوفييتى جميع التدابير التى فى طاقته ، فى كل مـن داخل الامـم المتحدة ، وخارج هـذه المنظمة ، من أجل الوصول الى القضـاء على آثـار العدوان وتعزيز قيام سلام دائم فى المنطقـة . ذلك نهجنا الراسخ القائم على المبادىء ، وذلك نهجنـا المشـترك مـع بلـدان اشتراكية أخرى .

— وتدتضمن بيان الرئيس السوفييتى مشروع قرار مقدم منه الى الجمعيـة العامة يتكون من أربع نقاط وهى :

١ — أن تدين بشـكل حاسـم اعمال اسرائيل العدوانية ، واسـتمرار احتلالها لاجزاء من اراضى الجمهورية العربية المتحدة

٢ — مطالبة اسرائيـل بأن تسحب قـواتها على الفور وبدون شرط ، جميع قـواتها من اراضى هـذه الدول الى ما وراء خطوط الهدنة ، كما نصت عليها اتفاقيات الهـدنة العامة لعام ١٩٤٩ .

٣ — ان تقوم اسرائيل بدفع التعويضات الكاملة عن كـل الاضرار التى الحقتها من جراء عدوانها الى الدول العربية .

٤ — ان يتخذ مجلس الامن من جانبه التدابـير الفعالة والسريعة من اجل القضـاء على كافة آثار العدوان .

● **٢١ يوليو** — وصول نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السـوفييت الاعلى على راس وفد كبير من الخبراء السـياسيين والعسكريين الى الجمهـورية العربية المتحدة ، لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد النـاصر تتعلق بشـأن الموقف فى الشرق الاوسط .

— اللجنة المركـزية للحـزب الشـيوعى السـوفييتى ، تقـرر فى اجتماعها الموسع ، الموافقة على الخط السـياسى والنشـاط العملى للمكتب السياسى فيما يتعلق بردع عدوان اسرائيل فى الشرق الاوسط .

البيان يعلن « ان الاتحاد السوفييتى سيعمل كل ماهو ضرورى لمساعدة شعوب البلدان العربية على ردع المعتدى ردعا حاسما ، وان الحـرب التى تشـنها الولايات المتحدة فى فيتنام ، وعدوان اسرائيل ، همـا حلقتان فى سلسلة واحدة للسياسة الامبريالية » .

وان عدوان اسرائيل هو نتيجة تواطـؤ بـين اكثر القـوى الرجعية المتطرفة للامبرياليـة العالميـة والولايات المتحدة فى المحل الاول ، ضد كتيبة من كتائب حركة التحرر الوطنى وضد الجبهة الطليعية التى تضم الدول العربية التى اتخذت طريق التغيرات الاقتصادية والاجتمـاعية التقدمية فى صـالح الشعب العامل ، والتى تنهج سياسة معادية للامبريالية » .

« وان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى تدين بكل قوة عدوان اسرائيل ، وتعلن تضـامنها مـع شـعوب الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والجزائر والبلدان العربية الاخرى » .

وتشير اللجنة المركزية أن المهمة الاسـاسـية فى الوقت الحـالى هى منع المعتدى من ان يستفيد من نتـائج عدوانه الغادر ، وتحقيق انسـحاب سريع وبـدون اى شروط من الاراضى التى يحتلها الى ما وراء خطوط الهدنة ، ودفع تعويضات للجمهورية العربية المتحدة وسـوريا والاردن عن الاضرار التى الحقها بها المعتدى » .

كما تؤكد اللجنة المركزية انه من الضرورى زيـادة تدعيم الصداقة والتـلاحم بين الاتحاد السـوفييتى والدول العربية ، وصـد مـؤامرات الامبرياليـة ، وفضح جوهرهـا المعادى للشعوب .

وان اللجنة المركـزية تؤمن بان الاحـداث فى الشرق الاوسط تؤكد بقوة متزايدة الحاجة الى وحدة العمـل بين الاحـزاب الشيوعية والعمالية وحركة

الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وكافة القوى التقدمية المحبة للسلام » .

● ٢٤ **يونيو** — بيان صحفى من محادثات الرئيس عبد الناصر والرئيس بودجورنى ، وقد جاء فيه « وفى اثناء المباحثات بحث الجانبان بعض المسائل المتصلة بالموقف فى الشرق الاوسط والمتصلة بالعدوان ضد الجمهورية العربية المتحدة ودول عربية اخرى وكذلك الاجراءات اللازمة لازالة آثار العدوان .

كما نوقشت المسائل المتصلة بزيادة دعم العلاقات الودية والتعاون الاخوى بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة ، وقد تبادل الجانبان وجهات النظر حول عدد من المشاكل الدولية ذات الاهمية المشتركة .

وقد لوحظ بارتياح تام ان زيارة نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس رئاسة السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتى للجمهورية العربية المتحدة سوف تسهم فى زيادة تدعيم وتطوير علاقات الصداقة والتعاون الشامل بين الدولتين فى صالح شعبى الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة وفى صالح السلام والامن لكل شعوب العالم » .

— الرئيس بودجورنى يغادر القاهرة عائدا الى موسكو ، بينما المارشال زخاروف رئيس هيئة اركان حرب الجيش السوفييتى والوفد العسكرى المرافق له سيبقى اياما اخرى حتى ينتهى من مهمته فى القاهرة .

● ٢٦ **يونيو** — جمعية النساء فى الاتحاد السوفييتى تجمع ما قيمته مليونان و ٢٠٠ الف دولار لصالح ضحايا العدوان الاسرائيلى .

● ٥ **يوليو** — ليونيد بريجينيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ، يلقى خطابا فى حفل تكريم خريجى الكليات العسكرية العليا، يقول فيه « ان الدعاية الامبريالية تهدف الى تصوير العدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط ، على انه نتيجة للنزاع بين الدول العربية واسرائيل ، وذلك لاخفاء الاسباب الحقيقية وراء العدوان ، وان جوهر الازمة فى الشرق الاوسط يكمن فى الصراع بين القوى الامبريالية وبين قوى الاستقلال والتحرر الوطنى والديمقراطية والتقدم الاجتماعى » .

واكد بريجينيف واجب الاتحاد السوفييتى فى افشال خطط الامبريالية فى الشرق الاوسط، ومساعدة البلدان العربية فى صيانة حريتها واستقلالها الوطنى، ويقول : انه على ثقة من ان القوى الثورية والتقدمية فى العالم العربى سوف تستخلص الدروس المفيدة من الاحداث التى وقعت فى المنطقة، وتعمل على تدعيم وحدتها وتضامنها فى الكفاح ضد قوى العدوان » .

— الاتحاد السوفييتى يقترع ضد مشروع دول امريكا اللاتينية الذى تقف من ورائه امريكا والدول الغربية ، فى الامم المتحدة ويؤيد مشروع قرار دول عدم الانحياز .

● ١٠ **يوليو** — زيارة وحدات من الاسطول السوفييتى لميناء الاسكندرية وبور سعيد ، قائد الاسطول السوفييتى يعلن استنكاره للعدوان الاستعمارى الانجلو — امريكى ضد الجمهورية العربية المتحدة والدول الغربية الاخرى ، ومساندة شعوب الاتحاد السوفييتى لكل الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها .

● ١٢ **يوليو** — مؤتمر زعماء الاحزاب الشيوعية والحكومات فى الدول الاشتراكية المنعقد فى بودابست ، والتى سبق ان اشتركت فى مؤتمر موسكو فى ٩ يونيو، يصدر بيانا ، جاء فيه « انه قد تم بحث التدابير التى تستهدف دعم القوى والوسائل الدفاعية للدول العربية طبقا لاحتياجات النضال ضد عدوان اسرائيل واعادة السلام الى الشرق الاوسط ،وانه قد بحث كذلك التدابير الخاصة بقيام تعاون اقتصادى طويل الاجل بين الدول الاشتراكية والدول العربية،وتقديم المساعدات اللازمة لضحايا العدوان الاسرائيلى .

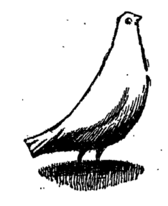
● ٢٢ **يوليو** — بيان الحكومة السوفييتية بمناسبة توقف اجتماعات الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة تعلن فيه : « ان الاتحاد السوفييتى سيواصل مع الدول الاشتراكية الاخرى تاييده للبلدان العربية فى نضالها العادل من اجل حقوقها المشروعة » كما يؤكد البيان « ان الاتحاد السوفييتى سيواصل تقديم المساعدات للدول

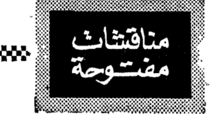
العربية لتنمية اقتصادها وتقوية وسائلها الدفاعية».

● ٢٣ **يوليو** — الرئيس عبد الناصر يقول فى خطابه فى عيد الثورة « ان الاتحاد السوفييتى وقف معانا ، أيدنا سياسيا وساعدنا اقتصاديا وعمل على تقوية قواتنا المسلحة .. رئيس الاتحاد السوفييتى الرئيس بودجورنى جلنا هنا فى مصر واتكلم معانا وقال لنا بوضوح ان الاتحاد السوفييتى يقف بجانبنا.. وانا قلت له بوضوح احنا مش عايزين الجيش الاحمر يجى يحارب بالنيابة عننا .. احنا نقدر نحارب واحنا اذا خسرنا معركة فانا بفكرك بروسيا لما هجم عليكم هتلر خسرتوا كذا معركة ولكن اوعى تفتكر ابدا ان الشعب المصرى او الشعب العربى عايز الجيش السوفييتى ييجى يحارب بالنيابة عننا، احنا عندنا رجالة تعرف تموت ورجالة تعرف تستبسل ، عندنا فى تاريخنا رجالة ماتوا وعندنا رجالة مستعدين يموتوا .

طبعا انا قلت هذا الكلام لان الغرب كان عمل حملة على روسيا وقال ان العرب زعلانين لان الاتحاد السوفييتى مبعتش لهم قوات سوفيتية، ما اظنش ان احنا فكرنا ان تيجى قوات سوفيتية تحارب بالنيابة عننا » .

● ٦ **سبتمبر** — المؤتمر الاقتصادى للدول الاشتراكية السبع المنعقد فى بلجراد ، والمنبثق عن مؤتمر موسكو وبودابست يقرر تقديم مساعدات من الدول الاشتراكية لتنمية اقتصاديات الدول العربية التى اضيرت نتيجة العدوان الامبريالى الاسرائيلى الاخير ، ويقدر احتياجات الدول العربية من المساعدات بمبلغ ٣٦٠ مليون جنيه استرلينى ، وذلك حتى تتغلب على المصاعب التى تواجهها وتدعيم استقلالها .



طرح واقع ما بعد ٥ يونيو — بكل آثاره — عددا من القضايا الهامة : السياسة والاقتصادية والاجتماعية بل والعسكرية . وهذا شيء طبيعي وصحي مهما تعددت واختلفت الاراء فى زوايا وأساليب معالجة سلبيات هذا الواقع وتثبيت ما هو ايجابى فيه . المهم ان تنطلق هذه الاراء جميعها ، من ارضية واحدة .. ثابتة ومبدئية : ارضية الثورة الوطنية الاشتراكية فى بلادنا .. واقعها وآفاق مستقبلها فى اطار تحقيق هدفين ثابتين وفى وقت واحد .

ازالة آثار العدوان ، واستمرار البناء الاشتراكى .. والطليعة — اذ قدمت وتقدم بعض الاراء فى معالجة مشاكل هذا الواقع — تدعو كل المناضلين للمساهمة فى بلورة وانضاج هذه المناقشة الجادة ، ولسوف توالى الطليعة نشر كل ما يصلها من آراء فى هذا الصدد ، والتى تعبر عن راى اصحابها بغض النظر عن مدى اتفاق او اختلاف هذه الاراء مع راى الطليعة .

من أجل وحدة وطنية خلاقة

يقول المواطن **فاروق على ناصف** ، مقرر وحدة منظمة الشباب بشركة اتوبيس الزقازيق ، فى رسالة له بعث بها للطليعة :

اذا كانت حركة الثورة فى نضالها ضد الاستعمار بشكليه : القديم والجديد ومن اجل التطور الاجتماعى نحو الاشتراكية تتطلب وحدة كافة القوى الوطنية والتقدمية فان من الزم الامور لرسوخ هذه الوحدة وصلابتها هو بذل الجهود المخلصة من جانب كافة القوى من جهة والتمثيل الصادق للقوى ذات المصالح الاساسية فى انتصار الثورة واستمرارها من جهة اخرى . واذا كان هذا الواجب ضروريا واساسيا فى فترات التطور والبناء السلمى فانه يصبح اشد الحاجا عندما يتخذ النضال الوطنى الشكل المسلح .

من هذا المنطلق نجد انه من الضرورى توثيق العلاقات الانشائية المخلصة بين القوى الوطنية حتى تتوطد وحدتها ضد القوى الاستعمارية وعملائها . فاتحاد القوى المعادية للاستعمار والرجعية المحلية انما يخدم مصالح كافة الطبقات والفئات التى عانت من الاستغلال الامبريالى والاقطاعى والتخلف الاقتصادى والتى ما تزال تعانى من آثار الاستغلال البشع فى الماضى ومن محاولات الاستعماريين وعلى رأسهم الاستعمار الامريكى لايقاف وتقييد مسيرتها من أجل التطور المستقل .

ان الموقف الثورى المعادى للاستعمار والصهيونية والموقف المعادى للبيروقراطية المستغلة والمعوقة لانطلاق حركة الجماهير ومبادراتها هما الشرطان اللازمان اليوم لاقامة وحدة وطنية كاملة وحدة كل القوى الثورية داخل اطار التحالف الوطنى .

ان درسا هاما بين دروس النكسة التي اعقبت عدوان اسرائيل في ٥ يونية ، ذلك هو الدور الخطير والمعوق الذي تسببه البيروقراطية في مصر . ان الوحدة الوطنية التي تكونت في اطار الاتحاد الاشتراكي العربي في الفترة الماضية لم تكن وحدة نضالية ونشطة وقد كشفت بعض القيادات التي وصلت الى قيادة العمل في الكثير من مجالاته عن عدم جدارتها ومسئوليتها او عدم وضوح الرؤيا امامها ، هذا ان لم نقل عداء بعضها للجماهير . ويرجع ذلك الى انفصالها عن القاعدة الشعبية صاحبة المصلحة الاصلية في تطور الثورة من جانب كما يرجع الى عدم تدريبها واستكمالها للمقومات الفكرية والسياسية للقيادة الثورية من جانب آخر .

ان التحليل العلمي لمواقف الطبقات والفئات والافراد بحسب انتماءاتهم الاجتماعية والفكرية وللوضع العالمي المعاصر يكشف عن حقيقة رئيسية لابد وان تصبح القاعدة الاساسية للجهود السياسية والفكرية والتنظيمية ، ذلك ان انجاز المهام الوطنية للثورة انجازا تاما واستكمال مقومات الانتقال للاشتراكية يجب ان يتم في اطار من الوحدة الوطنية تحت القيادة السياسية المعبرة عن العمال وفقراء الفلاحين . وحدة وطنية عريضة الى اقصى حد تضم العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين والبرجوازية الوطنية بكل اقسامها وبلا اي استثناءات اخرى من شخصيات تنتمي لطبقات اخرى ولكنها اختارت الوقوف بحسم الى جانب الشعب في نضاله ضد العدوان الاستعماري الاسرائيلي . أوسع وحدة ممكنة في اطار الاتحاد الاشتراكي العربي ولكن **بشكل يسمح ويساعد على نمو دور جماهير الشعب : جماهير العمال والفلاحين ويدفع بالمواقع القيادية الى اكثر الطبقات والفئات والعناصر ثباتا وتصميما على النضال** . هذا الثبات الذي ينبع من واقع حياتها ومطامحها التي لا تتعارض بل ترتبط وتدفع الى استمرار الثورة واستكمالها لاهدافها . انها القيادة التي لا يلزمها تطور ظروف النضال الوطني وميادينه التي تستدعي النهوض الكامل للجماهير واعتماد تام على طاقاتها المبدعة .

ان شعبنا يملك الطاقات الكافية لنضال مظفر بما فيه النضال المسلح من أجل طرد العدو ومواصلة الثورة الاجتماعية، ان التعبئة الصحيحة والكاملة لهذه الطاقات هي أساس انتصارنا . ولقد كان يوم ٩ يونيو اكبر دليل على قوة الارادة الثورية لدى الشعب المصري عندما خرجت الجماهير متمسكة ببقاء عبد الناصر رمزا لاستمرار الثورة والمعركة وتأكيدا لعزيمتها على الصمود .

وان نظرة الى التركيب الطبقي لجماهير ٩ يونيو تبين ان الاغلبية الساحقة فيها تكونت من جماهير العمال والفلاحين . ان جماهير العمال التي عانت أسوأ استغلال على أيدي سلطات الاحتلال البريطاني والرأسماليين الاجانب وكذا الرأسماليين المحليين المستغلين . والفلاحون الذين عانوا أبشع استغلال استعماري واقطاعي . ان هذه الجماهير التي ما زالت تناضل من أجل تصفية بقايا العلاقات الاقطاعية وتقاوم الاستغلال الطبقي والتي ارتبط نضالها من اجل تحسين ظروف معيشتها بالنضال المباشر ضد سلطات الحكم الاستعماري ونفوذ رأس المال الاجنبي ، أي ارتبط نضالها الاقتصادي والطبقي بالنضال الوطني والديمقراطي المستمر ، والتي كانت السند القوي لثورة ٢٣ يوليو في كافة المعارك الثورية ، اقول - ان هذه الجماهير هي اكثر الفئات الوطنية مصلحة في النضال الذي لا يعرف التهاون مع الاستعماريين وعملائهم .

لقد نشأت الحركة العمالية في مصر مع مستهل القرن العشرين عندما اتخذ النضال العمالي من أجل الاجور وساعات العمل وتحسين شروطه شكل الاضراب بين عمال السجاير وعمال الترام والسكك الحديدية وعمال الموانى وكان هذا النضال موجها ضد سلطة الرأسمال الاجنبي في الاساس . وخاض العمال المصريون في المعارك الاولى للنضال قبل اندلاع ثورة ١٩١٩ وقاوم العمال ببسالة الاضطهاد الاستعماري والرأسمالي الاجنبي والمحلي المستغل اثناء الازمة الاقتصادية وحكم جلاد الشعب اسماعيل صدقي في الثلاثينات حيث برز الدور القيادي للطبقة العاملة في النضال الوطني ضد الاحتلال والرجعية سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ . وعندما الغيت معاهدة ١٩٣٦ في عام ١٩٥١ ترك عمال قاعدة القنال والمعسكرات الانجليزية اعمالهم مضحين بلقمة العيش . وكانت جماهير العمال سندا قويا للثورة في كافة معاركها الوطنية منذ سنة ١٩٥٢ .

وعلى الرغم من ضعف حركة الفلاحين في نضالهم من أجل الارض والحرية والاستقلال الا ان هذا النضال لم يتوقف ضد سلطات الاحتلال وكبار ملاك الارض الذين كانوا السند الاساسي للاستعمار . ودورهم في ثورة ١٩١٩ وضد حكم صدقي باشا والانفجارات بهوت وكفور نجم ١٩٥٠، ونضالهم المتواصل طوال سني الثورة والدماء الذكية التي سفكت في كمشيش وبني سويف وغيرها شاهد على عظمة الامال التي ما زالوا يعلقونها على استمرار النضال الثوري .

ان انطلاق حركة الشعب العامل : حركة العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين الوطنيين ، ووحدتهم هو الواجب الرئيسي اليوم للقيادات السياسية . فوحدة القوى المعادية للاستعمار

على اختلاف أصولها الطبقية والفكرية وصمودها ازاء العدوان الاستعماري الصهيوني هو قوتنا وضمان انتصارنا،ولكي ما تتوطد هذه الوحدة يلزم توفير الشروط اللازمة لشل تردد العناصر والفئات التي يتميز موقفها بعدم الثبات. **وأهم هذه الشروط** هو بعث حركة ثورية جماهيرية واسعة . فتحقيق النصر الحاسم على المستعمرين واذنابهم وشق طريق التحول الاشتراكي بنجاح انما يتحقق ببروز قيادات تعبر عن الطبقة العاملة والفلاحين وتلعب الدور القيادي في حياة بلادنا السياسية ».

ان اطلاق حركة جماهير الشعب خاصة جماهير العمال والفلاحين وتعبير التنظيم السياسي عن مشاكل واحاسيس ومطامع هذه الجماهير وتبني خطة عمل ملموسة لحشد طاقات الشعب في المعركة وتبني شكل الحرب الشعبية استعدادا لكافة الاحتمالات وبذل كل ما هو ممكن لحل المشاكل الملحة للجماهير الكادحة وخاصة ما يتعلق منها باعباء الحرب وعدالة توزيعها ومواجهة المشاكل التي قد تترتب عن خسائرها ، وتنامي دور الطبقة العاملة وفقراء الريف داخل اطار وحدة وطنية واسعة، واتباع سياسة عملية فعالة لبناء وحدة وطنية راسخة ، ان كل ذلك هي اسلحتنا التي لا تفل والقادرة على دحر اعتى الاعداء الاستعماريين ».

●

ندوة الاتحادات الطلابية العربية

جاءنا من ندوة الاتحادات الوطنية العربية التي انعقدت في بيروت من ١٥ الى ١٩ سبتمبر الماضي البيان الختامي لاعمال الندوة ، فيما يلي أهم ما جاء فيه :

اننا نعلن الى جماهير الامة العربية انه برغم كل ما أصاب الحركة الطلابية العربية خلال الفترة السابقة من عمر الامة العربية فقد اجتمع في هذه الندوة ولاول مرة **معظم** الاتحادات الطلابية العربية ولذا فاننا نعتبر ان هذا اللقاء خطوة هامة على طريق توحيد المنظمات الجماهيرية لعله يعكس الاصرار على أهمية وحدة القوى الثورية والتقدمية في الوطن العربي كي تضع استراتيجية متكاملة تخوض جماهيرنا العربية كفاحها العادل والمشروع من أجل قضاياها المختلفة وفي مقدمتها قضية فلسطين .

أساليب الكفاح ودور المنظمات الطلابية العربية

بغض النظر عن العدوان الواقع على جزء من الأراضي العربية نتيجة لعدوان ٥ يونيو ، ومهما وضعت له الاساليب لازالة اثاره . فان واجبنا يدفعنا الى ايجاد تصور واحد لاساليب الكفاح المتعددة حسب الظروف ، هذا مع ايماننا الشديد بضرورة تصفية اثار هذا العدوان في اطار يضمن حقوقنا العادلة والمشروعة وخاصة في فلسطين. وعليه فاننا نرى لزاما علينا تحديد أساليب كفاحنا **العسكري والسياسي والاقتصادي** . وما هي الامكانيات التي تقدمها حركتنا الطلابية العربية في خدمة هذه الاساليب .

قبل الخوض في تصوير اشكال الكفاح فاننا نجد ان وطننا العربي غني بموارده الاقتصادية والبشرية والاستراتيجية ،وقدلعب الاستعمار القديم والجديد على تفتيت هذه الموارد وذلك بفرض واقع التجزئة السياسية والاقتصادية وجعلها نهبا لتلك القوى المعادية للجماهير العربية ، وعليه فان الاستعمار والصهيونية لن يتنازلا عن أطماعهما في هذه البقعة من العالم وعليه أيضا فان الكفاح بكافة أشكاله هو الطريق الوحيد لدحر هذه القوى المعاديه لحركة التحرر العربي .

أولا : ان للكفاح المسلح اشكالا مختلفة منها : حرب التحرير الشعبية والانتفاضة الجماهيرية المسلحة والكفاح الجماهيري المسلح ، والحرب النظامية هي احد الاساليب التي تستطيع بها جماهيرنا العربية التفوق على العدو الاستعماري والصهيوني على المدى البعيد .

ثانيا : الكفاح السياسي ــ ان الكفاح السياسي لابد أن يتضمن تجنيد كافة الامكانيات في مجال الفكر والاعلام والتوعية والتربية القومية وذلك وفق دراسات علمية .

ثالثا : الكفاح الاقتصادي ــ ان اقامة قاعدة للصناعة العربية مطلب جماهيري ولا يمكن تحقيقه الا بتصفية الامتيازات والاحتكارات الرأسمالية في الاقطار العربية المختلفة .

ان موارد الامة العربية الاقتصادية وفي مقدمتها النفط ومشتقاته سلاح يجب الافادة منه الى اقصى حد ».

معركة تحرير فلسطين

ان دراستنا لاساليب العدو في هذا المجال قد كشفت لنا نقاط القوة والضعف في هذا الاسلوب وعلينا أن نعمل على ازالة حواجز التضليل التي أقامتها الامبريالية والصهيونية وذلك بعقد الندوات العربية والدولية بصفة دائمة ومستمرة وفق برنامج

زمنى محدد حتى نستطيع أن تنتقل المعركة الى داخل معاقلها فى العالم الغربى ، كما أن من واجب المنظمات الجماهيرية العربية بالاضافة الى الاجهزة الاعلامية الرسمية ان تعمل وبشكل متواصل على الاتصال والتفاعل مع كافة المنظمات الجماهيرية فى بلدان العالم المختلفة وفق الاهداف التى جاءت فى معرض حديثنا عن حركة التحرر العربى .

وهنا لابد من التأكيد على ضرورة وجود تنسيق كامل بين المنظمات الجماهيرية الشعبية العربية على الصعيدين العربى والدولى بحيث تؤدى كل منها مهمتها فى مجال اختصاصها .

ان المعارك التحررية التى تخوضها الامة العربية ضد الرجعية والاستعمار هى الاسلوب السليم . فالكفاح المسلح الذى خاضه الشعب الجزائرى البطل والكفاح المسلح الذى خاضه ولايزال شعب الجنوب اليمنى المحتل هى الاساليب التى اربكت مخططات الاستعمار والرجعية .

●

قرار حول اتحاد الطلاب العالمى

ان ندوة الاتحادات الوطنية العربية المنعقدة فى بيروت من ١٥ الى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ . آخذة بعين الاعتبار :

ـ الدور الهام الذى يلعبه اتحاد الطلاب العالمى فى الحركة الطلابية العالمية بصفته اكبر تجمع طلابى جماعى تقدمى يمثل طموح اوسع الجماهير الطلابية فى العالم .

ـ المساندة والتدعيم الفعاليين اللذين تلقاهما الحركة الطلابية العربية من اتحاد الطلاب العالمى والتى برزت فى أروع صورها قبل وابان وبعد العدوان الاستعمارى الاسرائيلى الاخير .

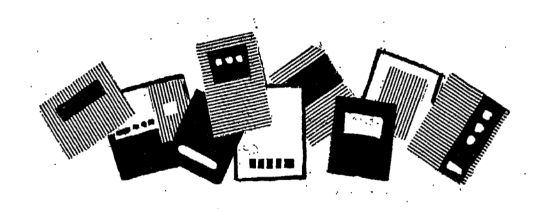
ـ التأييد والمساعدة اللتين قدمهما اتحاد الطلاب العالمى للاتحاد العام لطلبة فلسطين لاقامة هذه الندوة كخطوة نحو تحقيق وحدة الحركة الطلابية العربية .

فان الندوة :

ـ تعلن عن تأييدها التام لاتحاد الطلاب العالمى ولنشاطاته الهامة فى الحقلين السياسى والطلابى

ـ وتدعو لزيادة التنسيق والتعاون بين كافة المنظمات الطلابية العربية و ا.ط.ع فى الكفاح ضد العدو المشترك فى سبيل تحقيق الاهداف المشتركة .

١ ـ الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة . ٢ ـ الاتحاد العام للطلبة فى الجمهورية العراقية . ٣ ـ الاتحاد الوطنى لطلبة سوريا . ٤ ـ الاتحاد الوطنى للطلبة الجزائريين . ٥ ـ الاتحاد الوطنى لطلبة المغرب . ٦ ـ الاتحاد العام لطلبة تونس . ٧ ـ الاتحاد الوطنى لطلبة ليبيا . ٨ ـ اتحاد طلاب جامعة الخرطوم . ٩ ـ اتحاد الطلاب الاردنيين . ١٠ الاتحاد الوطنى لطلبة الكويت . ١١ ـ الاتحاد العام لطلبة فلسطين .





مشروع برنامج الحزب الاشتراكى السودانى

أصدر الحزب الاشتراكى بالسودان — كتابا عن مشروع برنامجه ونظامه الداخلى — وعالج مشروع البرنامج فى الفصول الخمسة الاولى الاهداف العامة للثورة السودانية ونظام الحكم والادارة والخدمات الثقافية والطبية والتعليم العام والعالى والاسكان والسياسة الاقتصادية والزراعية والسياسة الخارجية ، وفى الفصل السادس قدم مشروع النظام الداخلى للحزب .

ويناقش الكتاب فى الفصل الاول طريق الثورة السودانية — والذى حدده بانه : « **طريق التطور غير الرأسمالى (أى طريق الاشتراكية العلمية) دون التقيد بقوالب ثابتة أو جامدة** » .

ويرى مشروع البرنامج ان عملية التطور هذه لا بد لتحقيقها من وجود اشتراطات اساسية — وهذه الاشتراطات هى سمات جمعت بينهما كل التجارب الاشتراكية رغم اختلاف مناخ تطبيقاتها . ويحدد البرنامج هذه الاشتراطات كما يلى : « **اولا :** لا بد من توجيه الضربة الرئيسية والاولى ضد الرأسمال الاجنبى ومصالحه الاقتصادية الثابتة وبالتالى تحرير الاقتصاد الوطنى من سيطرته . **ثانيا :** بسط اشراف الدولة على الانتاج بتأميم قممه العليا المتمثلة فى البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية والصناعات الاساسية ومرافق المواصلات وما شابه ذلك . **ثالثا :** اجراء اصلاح زراعى يستهدف ازاحة كافة العوائق امام تطور الزراعة بحيث تسهم بأكبر قدر فى الفائض الاقتصادى الممكن تخطيطه . **رابعا :** توسيع حجم الفائض الاقتصادى عن طريق الارتفاع بانتاجية المشاريع المنتجة بتحريرها من كافة القيود التى تقعد بانتاجيتها ، وبمحاربة العطالة والعمل غير المثمر ، واستخدام احدث ما وصل اليه العلم فى الصناعة،والعمل على توجيه اكبر قدر من الفائض الاقتصادى للاستثمار . **خامسا :** سيادة مبدأ عدالة توزيع عائدات العمل الاجتماعى . **سادسا :** لا تتم هذه التحولات الا بوضع جهاز الحكم فى أيدى العاملين الذين لهم المصلحة الاولى فى احداث هذا التغيير — والا اذا توفرت ديمقراطية حقيقية تمكن العاملين من الرقابة والاشراف المباشر على جهازى الدولة والانتاج » .

ولتحقيق هذه الاهداف يرى مشروع البرنامج ضرورة وجود حزب اشتراكى — باعتبار ذلك امرا حيويا بل وضرورة موضوعية : « **حزب اشتراكى ثورى يكون الاداة الفعالة فى أيدى الجماهير السودانية لمساعدتها على حسم قضية السلطة السياسية فى مصلحتها كخطوة أولى لا بد منها لاحداث التغييرات الشاملة فى الحياة السودانية وتبديلها بحياة حديثة تعطى استقلالنا السياسى محتواه الحقيقى وتترجمه الى حقائق يعيشها الانسان السودانى . حزب ثورى يفجر ويستوعب الطاقات الثورية الكامنة فى ضمير شعبنا** » ■

ان هذا الحزب يجب وان يستند الى كل ما هو طيب ونبيل وأصيل فى الشعب السودانى ، وان يكون حزبا مقاتلا وشجاعا وصادقا صدقوشجاعة وقتال هذا الشعب عبر تاريخه . وان تكون جذوره منغرسة فى التربةالسودانية وفى نفس الوقت يكون متفتحا على التجربة البشرية كلها ومنبثقا منها . وان يضع فى اعتباره ان الشعب السودانى جزء من الامة العربية اصلا وحضارة وتاريخا وجزء من القارة الافريقية ارضا والما واملا .

وهذا الحزب يجب وان يعبر عن « القوى الاجتماعية الجديثة » ، وهى قوى العمال والمثقفين الوطنيين والمزارعين والجماهير المستنيرة فى المدن .. هذه القوى التى شكلت المحتوى الثورى للثورة السودانية : « فمع فجر الحركة الوطنية الحديثة أسس العمال نقاباتهم ثم اتحادهم العام وأسس الزراع والطلاب وجميع الفئات المتنورة اتحاداتهم ونقاباتهم تحت رايات مستقلة ، ومنذ ذلك العهد ربطوا بوعى وفهم بين النضال ضد الاستعمار والنضال من أجل الحقوق الاقتصادية والحقوق الديمقراطية فكان فهمهم للاستقلال الوطنى ثوريا صحيحا » .

ويؤكد البرنامج ان حكام السودان التقليديين — مدنيين وعسكريين — قد أثبتوا عجزا تاما عن تفهم المعنى الحقيقى للاستقلال الوطنى لكونهم يسيرون تحت تأثير فلسفة تفرغ الاستقلال الوطنى من محتواه الاقتصادى والاجتماعى وتفصل بينه وبين تطلعات وآمال الناس السودانيين . وفشلت هذه القوى التقليدية كذلك فى أحداث أي تغيير فى الميدان الذى ادعت أنها فارسته — « فلقد ظلت الاحزاب التقليدية تملأ الدنيا صياحا بأنهاحارس الديمقراطية الامين والمدافع المخلص عنها. ورغم ذلك شهدناها تغتال تلك الديمقراطية عندما تبين لها ان القوى الاجتماعية الحديثة قادرة على الارتكاز الى ذلك النظام لتوسيع نضالها والتقدم خطوة اثر اخرى نحو أهدافها فى تحقيق حياة جديدة ...» ومن هنا عبرت ثورة الشعب السودانى فى اكتوبر ١٩٦٤ عن الابعاد الحقيقية وعمق حركة الشعب ضد الاوضاع والمفاهيم التقليدية مدنية وعسكرية على السواء، واستهدفت قطع كل صلاتها بتلك الاوضاع والمفاهيم . فالجماهير قد ادركت ان التركيبات الديمقراطية الخالية من اى جوهر اجتماعى واقتصادى ستظل تضع السلطة فى أيدى القوى التقليدية لتتلاعب بالحقوق السياسية والاقتصادية للجماهير ، بل وتتلاعب بالنظام الديمقراطى نفسه وفق ماتمليه مصالحها ، ولقد عبرت الجماهير عن تجربتها تلك بوضوح فى أيام ثورة اكتوبر برفضها للاحزاب التقليدية وتطلعها لنموذج جديد للديمقراطية « يضع مركز الثقل فى جانب القوى الشعبية الحديثة علما منها بأن هذا وحده هو الطريق الذى ينتهى بالبلاد الى التوصل الى تركيب سياسى يربط ربطا وثيقا بين حقوق الشعب السياسية وحقوقه الاقتصادية والاجتماعية .

ويؤكد مشروع البرنامج فى الفصل الاول حتمية الحل الاشتراكى فى السودان . . فالشعب السودانى : « لن يصل الى الاشتراكية نقلا ولا تقليدا ، النقل والتقليد يناقضان الفهم العلمى والاصالة العلمية التى تستند اليها الاشتراكية . واذا كان لكل شعب خصائصه ولكل بلد مميزاته المحلية التى لايستقيم التطبيق الاشتراكى ولا يتم الا وفقها، فان لبلادنا أيضا مثل هذه الخصائص» . ومن هذه الخصائص التركيب الخاص للسودان والذى يكسب عملية التطبيق الاشتراكى طابعا خاصا ، وكذلك وجود تجمعات ذات الطابع القبلى كما هو الحال فى شرق السودان وغربه ، ومن هنا تكون قوة القبيلة كمؤسسة اجتماعية فى معظم ارجاء السودان والدور الذى تلعبه هذه المؤسسة فى حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والروحية. الامر الذى يجعل عملية تذويب هذه المؤسسة والاسلوب الذى يتم به امرا ذا اهمية عظمى ، وربما يتوقف عليها نجاح التطبيق الاشتراكى فى مناطق بأسرها . ومن هذه الخصائص كذلك أن مراكز الاقتصاد السودانى لايسيطر عليها راسمال سودانى خاص انما تقع تحت سيطرة رأس المال الاجنبى الكاملة كالتجارة الخارجية والبنوك وشركات التأمين .. الخ . ومن هذه الخصائص أيضا انعدام الاقطاع بمعناه التقليدى فى الاقتصاد الزراعى واتساع رقعة الارض الزراعية البكر القابلة للزراعة الآلية الحديثة ، مما يفتح الطريق امام تنظيم الزراعة على اساس تعاونى واشتراكى وتطبيق العلم الحديث فيها دون اللجوء الى اجراءات الاصلاح الزراعى التقليدى .

نظام الحكم والادارة

وفى الفصل الثانى يناقش مشروع البرنامج نظام الحكم والادارة — فيعلن : « ان الحزب الاشتراكى يعمل على أن تؤسس فى البلاد دولة موحدة حديثة وطنية ديمقراطية حقا ، دولة تضمن وتعبر عن سلطة الجماهير الشعبية وسيادتها التى تمارسها فى جميع مستويات أجهزة الحكم وعن طريق المجالس المنتخبة فى القرية أو المدينة فى المجلس الريفى أو البلدى فى مجلس المديرية او فى البرلمان المركزى » .

وتأسيس جمهورية سودانية اشتراكية موحدة وديمقراطية، يوجب تقديم حل علمي لمسألة الجنوب — وهنا يجب الاعتراف بالميزات الخاصة للمواطنين فى جنوب السودان من الناحية العنصرية والثقافية والحضارية ، ورفض أى حل للمسألة الجنوبية يعرض البلاد للتسلل الاستعمارى وتطبيق نظام

الحكم الذاتي الاقليمي في جنوب السودان وفي نطاق الدولة السودانية الموحدة على الوجه التالي :

أ ــ يشرف على شئون الجنوب مجلس تشريعي اقليمي يجيء عن طريق الانتخاب العام المباشر .
ب ــ يمثل الجنوب بنسبة عادلة في المجلس النيابي المركزي وفي الحكومة المركزية ورئاسة الدولة .
ج ــ وضع ضمانات دستورية لحرية العقيدة والعبادة والمساواة في فرص العمل على قاعدة الاجر المتساوي للعمل المتساوي » .

ثم يناقش البرنامج مسألة ضرورة احداث اصلاح جذري في مؤسسات القانون والقضاء .. والعمل على تحرير اجهزة الدولة من قيود الروتين والبيروقراطية والتقاليد الادارية العتيقة واستخدام أحدث النظم وأنسبها من أساليب الانتاج والادارة ــ وذلك باشراك العاملين في مجالس ادارات المؤسسات الانتاجية وتحديد دور النقابات العمالية والمهنية ووضع برامج ومقاييس انتاجية لكل مؤسسة وكل قسم وكل فرد على أساس حقيقي وخلق حوافز مادية وأدبية للعاملين ووضع مقاييس ثابتة للانتاجية من حيث الكم والكيف » .

عدالة وكفاءة .. في الخدمات

وفي الفصل الثالث ناقش مشروع البرنامج مسألة الخدمات المختلفة ، ففي مجال العمل الثقافي فان الحزب الاشتراكي يجب وأن « يعمل جادا في كل ميادين الثقافة من علمية وأدبية وفنية باعتبار أن الثقافة هي حصيلة معرفة الانسان وتراثه الفكري والفني في نضاله لبلوغ مستوى أرفع ومستقبل أفضل وتحقيق وجود يليق بالبشر » . والثقافة لا تنفصل عن المعركة الاساسية لتصفية كل أشكال وبقايا الاستعمار ، وانها شيء ضروري لتحسين مستوى الانتاج الاقتصادي كما انها شيء ضروري واساسي لبناء الديمقراطية والاشتراكية . لذلك فان القوى التقدمية الاشتراكية يجب وان « تتخذ من الثقافة سلاحا ضد قوى التخلف والرجعية وتبنى عملها الثقافي على اسس قومية وانسانية وتفتح كل الابواب وتطرق كل السبل لاقامة الصرح الثقافي وتنميته وازدهاره مستفيدين من التجربة الانسانية البناءة » .

وفي مجال الخدمات الصحية . فان السودان في حاجة الى جهد كبير ليواجه الوضع الصحي البالغ السوء في السودان ــ فلا يوجد في السودان غير ٦٩ مستشفى على اساس سرير واحد لكل ١٢٥٠ مواطن ويوجد طبيب واحد فقط لكل ٢٥ الف نسمة وهذه احصائية عامة . ففي الاقاليم يوجد طبيب واحد لكل ٤٠ الفا أو ٦٠ الفا حيث يتركز اغلب الاطباء في العاصمة . ان خطة علمية يجب وان توضع لتقديم الخدمات الطبية المطلوبة للشعب بطريقة سليمة تتحقق فيها العدالة والكفاءة .. فالسودان في حاجة الى اطباء ــ الفين طبيب حتى ١٩٧٦ ليصبح هناك طبيب لكل ١٠ آلاف نسمة وفي حاجة الى شبكة كبيرة من المستشفيات والمراكز الصحية والى تنظيم مهنة الطب الحر وفق نظام يستهدف تحقيق احسن الخدمات دون استغلال .

وفي مجال التعليم العام ــ فان جهدا جادا يجب وان يبذل لتغيير التركة التي خلفها الاستعمار في البلاد ، فما زال في السودان اكثر من ٣ ملايين بنت وولد في سن التعليم العام (٧ــ١٨ سنة) لا يجدون فرصا للتعليم وعدد المقبولين في المرحلة الثانوية يقل عن ٥٪ من عدد الذين يدخلون المرحلة الاولية ، كما ان المناهج التعليمية ما زالت تسير على غرار ما وضعه المستعمر من القضاء على تراث البلاد وثقافتها العربية الافريقية الاسلامية وما فرض عليها من قشور ثقافية اجنبية وحجب عنها الجوانب الانسانية والديمقراطية .

ومن هنا فان اهداف التعليم في برنامج الحزب الاشتراكي تعنى الاهتمام بالجانب القومي وتضمينه في المناهج التعليمية وتأكيد ارتباطه بالذات العربي وبسيادة اللغة العربية ، وبالذات الافريقي وابرازا دور السودان الحضاري فيه كعامل هام في الاستقرار النفسي والطمأنينة في الشباب وتعميق روح التضامن والتعاون بينهم في المجالين المحلي والعالمي والعناية بالعلوم الحديثة كأساس للتطور العلمي في كافة مجالات الحياة وان تعمل الخطة التعليمية والتربوية لاكتشاف كل ما في ابناء السودان من استعدادات وملكات والعمل لتفجيرها الى ابعد مدى لخير الافراد وخير المجموعة . كل هذا مع الاخذ بمبدأ ان التعليم اليوم حق اساسي لكل ولد وبنت .

ويختتم الفصل الثالث بمناقشة قضية الاسكان فيقدم خطة تفصيلية لتوفير السكن المناسب لكل عائلة سودانية في المدن والقرى والمناطق الريفية ولاعادة تخطيط المدن والمناطق القديمة ذات الكثافة السكانية العالية والتي تنعدم فيها الخدمات المختلفة .

طريق التنمية ومعركة الانتاج

وفي الفصل الرابع يناقش مشروع البرنامج السياسة الاقتصادية والزراعية للحزب الاشتراكي ــ ويرى مشروع البرنامج انه لا مجال للتقدم الا في اطار نظام اقتصادي يحرر العاملين في المدن والريف ويدفعهم بحافز من مصلحتهم الاساسية للعمل من اجل الانماء والتطور : « ان اقتصادنا متخلف بالرغم مما تزخر به بلادنا من موارد طبيعية ، زراعية ومعدنية تنتظر من يجد في استغلالها ، وبالرغم من القوى الانسانية الجبارة التي ان وجدت الظروف الثقافية والاجتماعية الملائمة لاشتركت بجد في

معركة التقدم وسجلت فيها اروع الانتصارات فما زالت بلادنا ترزح تحت نير التخلف والظلام ، فدخل الفرد ما زال منخفضا للغاية لا يزيد عن ثلاثين جنيها فى العام،ولا زال الدخل القومى يعتمد فى تركيبه على الاقتصاد الطبيعى البدائى ، اذ يساهم بما يعادل ٥٠٪ منه ، وما زال الانتاج الزراعى والحيوانى يشكل نصيبا عاليا ويعمل فى هذين الميدانين ٨٥٪ من مجموع القوى العاملة بينما لم تتعد النسبة التى تعمل فى الصناعة ٩٧ر٤٪ وتركيب الصادرات والواردات ما زال كما هو منذ فجر الاستقلال اذ تشكل السلع الاستهلاكية ٦٠٪ من جملة الواردات والقطن وبذرته يشكلان ٦٠٪ من مجموع الصادرات ، وما زال الاعتماد الاول فى موارد الدولة على الضرائب غير المباشرة اذ بلغت ٥٤٪ من ايرادات الميزانية العامة فى عام ٦٦/٦٧ ولا زالت الشركات الاجنبية من بنوك وشركات تجلس على قمة الاقتصاد ، والقروض ما فتئت تشكل المصدر الاول للتنمية ، ومع ذلك فهى لا تستخدم فى مشروعات انتاجية مدروسة ذات عائد سريع » .

ان تحقيق هدف التنمية الاقتصادية يتطلب ضرورة ، تخطيط للتطور بحساب دقيق لا مجال فيه للعفوية ، والسعى الى رفع الانتاجية الى الدرجة القصوى الممكنة ، وضمان توزيع عادل للثروة وعائدها على الشعب العامل ، وضمان عدم الاستغلال فى الميادين التى تترك للنشاط الفردى. وتتحقق هذه الاهداف بسيطرة الدولة على الاقتصاد وبتخطيطها له علميا واشراكها الشعب العامل فى وضعه وتنفيذه واشرافها على النشاط الفردى وتطويعه للخطة العامة . وان سيطرة الدولة على الاقتصاد وتخطيطه علميا يعنى ان تسلك السودان طريق الاشتراكية كالمخرج الاوحد انتشالا لها من وحدة التخلف وانطلاقا من فشل التجزئة الراسمالية عبر سنوات ما بعد الاستقلال .

واعتمادا على دراسة للواقع الاقتصادى يرسم المشروع صورة لهيكل التنظيم الاقتصادى — بقطاعاته المتنوعة — العام والتعاونى والخاص فى مجالات الصناعة والتجارة والمال. ولانجاز الخطة فى هذه المجالات يوجب البرنامج ضرورة توفر القيادة السياسية الجادة ذات المصلحة فى الثورة الاقتصادية والاجتماعية ، قيادة لها من الوعى والاخلاص والثقة فى احداث هذه الثورة ما يؤهلها لالهاب الشعور الوطنى لمحو عار التخلف وتجنيد طاقات الشعب وثورته الكامنة .

ثم يستعرض مشروع البرنامج سياسة الحزب الزراعية — على اساس ان مهمة الزراعة الاساسية هى توفير الغذاء للمواطنين ، وايجاد الفائض الاقتصادى لتمويل الصناعة وادخال أساليب الزراعة الحديثة بما يستلزم : « **اولا :** ايجاد علاقات الانتاج التى تلائم تطوير الزراعة . **ثانيا :** تطبيق آخر ما وصلت اليه العلوم والتكنولوجيا الحديثة بهدف الارتفاع بانتاجية الارض والعاملين فيها » . ويرى مشروع البرنامج انه اذ تتسم ملكية الارض بالجماعية وحق الاستثمار الفردى الخاضع لسلطان الدولة — باستثناء المديرية الشمالية — فان الثورة الاولى فى علاقات الانتاج ليست عسيرة ولا تجابه نزاعا طبقيا حادا ، مما يفسح الطريق امام تنظيم الزراعة بأسس علمية وتحقيق قفزات عظيمة فى اقتصادنا الوطنى بأسره . ان الثورة الزراعية تعنى امكانية استثمار ١٢٠ مليون فدان من الارض الصالحة للزراعة و ٨٠ مليون فدان صالحة للرعى ومساحات شاسعة من الغابات الطبيعية فى الجنوب . ويقدم المشروع برنامجا تفصيليا مدعما بدراسة مفصلة لخطة العمل فى الزراعة فى كافة انحاء السودان .

واخيرا يعالج الفصل الخامس « **السياسة الخارجية** » — مخددا محاور اساسية لسياسته الخارجية — فالشعب السودانى قد حدد بارادته معالم هذه السياسة الخارجية ، هذه الارادة التى فرضت مناهضة كل اشكال الاستعمار الجديدة المخاتلة ، ومقاومة احلافه العدوانية بأى اسم تسمت وبأى قناع تقنعت. وهناك ضرورة الوقوف جنبا الى جنب مع جميع القوى المناهضة للاستعمار فى ارجاء الكون ومع معسكر الاشتراكية الظافرة. ثم ضرورة التفاعل المباشر مع الاحداث فى المنطقتين العربية والافريقية. ثم يحدد الحزب موقفا خاصا من الثورة فى شمال الوادى : « الا ان حزبنا فى التفاتته تلك تنجذب انظاره بوجه خاص الى شمال الوادى الى الجمهورية العربية المتحدة قائدة النضال العربى التحررى ، ومنطلق اهداف الثورة العربية الاشتراكية الكبرى ، الى شعب مصر التوام، رفيق الكفاح والهدف ، وزميل المسير والمصير ، وقد آل امره الى ايدى بنيه يمضون به نحو مستقبله الوضاء تحت ظل الاشتراكية الوارفة ، فمنذ فجر الحركة الوطنية فى بلادنا رفع شعبنا راية الكفاح المشترك مع الشعب المصرى . ونحو مصر امتد فؤاد بلادنا لنوازع اصيلة وعميقة تشد مصر والسودان معا ، وترسم لبلادنا ذاتيتها العامة وتعمق لها عروبتها ، لا بالمعنى العنصرى ولكن بالمدلول الحضارى والتطلع المستقبلى المشترك ، وعلى ضوء كل ذلك فان المصالح الابدية المشتركة للشعبين تفرض تنسيقا مشتركا وتضامنا وثيقا ، بل وترابطا كاملا نحو هدف واحد ومصير واحد » .

ان كتاب مشروع برنامج الحزب الاشتراكى السودانى يعتبر بحق من وثائق الفكر الاشتراكى السياسى المعاصر — والذى يجب وان يضاف الى دراساتنا الاشتراكية كمنهاج لتجربة ثورية جديدة يسعى الحزب الاشتراكى السودانى الى خوضها والنضال من اجلها .



● تاميم تجارة الجملة لمصلحة تجار التجزئة والمستهلكين
● الامم المتحدة . . واحتمالات الحل السياسى
● ٢٠٠ ألف أمريكى يحاصرون البنتاجون فى واشنطون
● جيفارا . . البطل والمفكر السياسى والقدوة الثورية

■ الجمهورية العربية المتحدة

هجرة ٣٥٠ ألف نسمة من مدن الاسماعيلية والعريش

بانتهاء عملية تهجير منطقة القناة فى الاسبوع قبل الاخير من الشهر الماضى يصبح مجموع الذين غادروا مدينتى الاسماعيلية والسويس ٣٥٠ الف نسمة على وجه التقريب . غير ان الذين لم يهاجروا ما زالوا يشكلون الان ربع السكان . ومعظمهم من الذين تتطلب اعمالهم البقاء. مثل عمال المواصلات والسكك الحديدية والبترول وورش تصنيع السفن وعمال الشحن والتفريغ والبناء والتشييد وعمال بعض المصانع التى ما زالت تعمل بطاقتها الانتاجية الكاملة فى المنطقة .

وغير هؤلاء هناك قدر آخر من العاملين فى قطاعات الخدمات يتناسب مع حاجة العدد المحدود من السكان الباقين بينما وزع الفائض من العاملين فى هذا القطاع على مناطق الايواء ومحافظات التهجير ومعظم الباقين فى المدينتين من الرجال والشباب وثمة نسبة لا تصل الى ٤ فى المائة تقريبا من السيدات معظمهن من اللاتى تتطلب دواعى عملهن البقاء فى المنطقة كهيئات التمريض والعاملات فى ميدان الخدمة الاجتماعية .

ولربما تكون الفئة الوحيدة التى تقرر استثناؤها من التهجير الاجبارى فى منطقة السويس والاسماعيلية هى فئة الفلاحين اصحاب الاراضى فى المنطقة ، معظمهم يزرع فى هذا النتوء الاخضر الصغير الممتد ما بين المدينتين والذى يصل فى بعض المناطق الى مشارف البحيرات المرة والقناة .

والحقيقة انه عندما فتح باب الهجرة الاجبارية فى المنطقة فان أيا من الفلاحين لم يقدم طلبا بذلك على الرغم من أن الخطة كانت تضع فى حسبانها تهجيرهم . وكانت قد خصصت لهم فى منطقة الاصلاح الزراعى فى سمالوط ٨ قرى جديدة . كما خصصت لهم جزءا من أراضى قطاع التحرير الموجود فى جنوب مديرية التحرير ، وكانت وجهة نظر الفلاحين الذين يشكلون الجيل الثالث من رحلة قديمة جاءت من منطقة الغرب الكبير الموجودة

ما بين قنا وقوص لتعمل في حفر ترعة الاسماعيلية ثم استقرت هناك تزرع على ضفاف الترعة وتمد رزقها عاما وراء عام فوق رمال الصحراء ، حتى لمتد نتوؤهم الاخضر الى حافة القناة.كانت وجهة نظرهم انه من المستحيــل ترك اراضيهم فالارض لا زالت جديدة لم يصــل عمر استصــلاح بعض مناطقها الى ١٠ سنوات وهي في حاجة الى رعاية لا تنقطع والا افسدت ملوحة البحيرات جهدهم الذي استمر منذ ان وطئت اقدام التارة ـ جيلهم الاول ـ ارض هذه المنطقة ـ والتارة هي احــدى فئات العمال الزراعيين الذين قدموا من منطقة الغرب الكبير في اقصى الصعيــد ليعملوا في حفــر ترعة الاسماعيلية بالمتر المكعب ثم اقاموا على ضفاف الترعة واستوطنوا ارض المنطقة التي عرفت فيما بعد بأرض الجناين والتي تشكل الخضر وزراعات الفاكهة محصولها الاساسي .

وكانوا يرون ايضا انه ليس هناك ما يبرر الخوف على وجودهم في المنطقة فعندما كانت معسكرات الاحتلال الانجليزي تمــد اسوارها الشائكة على ضفاف اراضيهم البكر كانت قرى التارة تستضيف جماعات الفدائيين وتستضيف أيضا عصابات الجبل التي قدمت من صعيد مصر واقامت في هذه القرى واستطاعت أن تشد الى خارج هذه الاسوار احشاء المعسكرات ، حتى الدبابة أخذوها ليلا وعندما طلع الصباح كانوا قد اقاموا حولها بيتا من طين اخفاها عن اعين حملات التفتيش .

ما سرى على فلاحي المنطقة ما بين الاسماعيلية والسويس تقرر ان يسري ايضا على فلاحي باقي محافظة الاسماعيلية . في قرى **نفيشة والتل الكبير والقصاصين** . غير ان باب الهجرة قد فتح لطائفة العمال الزراعيين في منطقة السويس ذلك أن معظم اراضيها كانت تزرع بالخضر التي يتم تسويق كل محصولها داخل نطاق المحافظة . وبهجرة معظم سكان المدينة فلقد وجد الملاك ان الضرورة تفرض عليهم تغيير زراعاتهم الى الزراعات الحقلية التقليدية وهي في الاغلب لا تتطلب نفس العمالة التي تتطلبها زراعة الحــدائق والخضر . اذ ان فدان الزراعة التقليدية لا يحتاج الى اكثر من طاقة نصف رجل على مدار العام،بينما تتطلب زراعة الخضر ٣ عمال لكل فدانين مع استمرارهم طول السنة وكنتيجة لتغيير محصول الارض فان دخول الملاك وهم جميعا مزارعين من المحاصيل الحقلية لاتستطيع ان تتحمل اجور عمالة فائضة يمكن ان تكون منتجة في مناطق اخرى تشكو نقص العامل الزراعي . لذلك تقرر هجرة فائض العمالة الزراعية الناتج عن تغييــر محصول الارض .

والحقيقة انه قبل ١٥ يوليو الماضي لم يكن هناك النية الواضحة لتهجيــر اي فرد في منطقة القناة وكانت سلطات الادارة المحلية في بعض المحافظات تعلن معارضتها لهذا الاتجاه بوضوح وتفرض القيود على هجرة اي فرد فيها . غير أن الموقف قد تغير بعد ١٥ يوليو .. وكانت دواعي تغيره الاعتــداء الذي وقع على مدينة الاسماعيلية بوحشية بالغة استخدم فيها العدو مدافع الميدان الثقيلة من عيار ١٥٠ ، ثم الاعتداء الثاني الذي وقع في ٥ سبتمبر والذي كشف اهــدافه ومخططه بوضوح شــديد خصوصا بعد مؤتمر الخرطوم .

لقد كان الهدف واضحا منذ عدوان ١٥ يوليو الاول على مدينة الاسمــاعيلية ـ حي العرب ـ عريشية مصر النصف الاخير من شارع السلطان حسين ـ الثلاثيني ـ الاحياء الشعبية ذات الكثافة السكانية العالية حيث يعيش عمــال الترســانة وهيئة القناة والسكك الحديد وجنود البوليس .. وبالطبع كانت هنــاك بعض الاهــداف الاخــرى التي تخدم حياة هؤلاء ـ السنترال ـ محطة السكك الحديدية ـ المستشفى . وفي العدوان الثاني كان الهدف هو نفسه لم يتغير وكان خط ضرب العدو يكاد يكون مطابقا تماما لخط ضربه في المرة الاولى ـ كانت القذائف تمرق في سماء المدينة عابرة منطقة الحدائق وهي الافرنج القــديم الى الجنوب حيث تتلاصق الدور وتضيق الشوارع وتقوم البيوت في الاغلب على اعمدة الخشب كطابع الاحياء الشعبية في كل مدن القناة ، ولم يكن في جنوب المدينة ملجأ يمكن ان يصل اليه كل فرد على عكس ذلك في شمالها، حيث تقوم سلسلة البيوت والفيلات ذات اسطح القرميد الاحمر التي بنتها منذ زمن بعيد شركة القناة الفرنسية فقد اقام الفرنسيون تحت كل من هــذه البيوت مخبأ يشاع تسميته في المنطقة باسم الجربين ولقد حدث نفس الشيء في العــدوان الاخير على مدينة السويس كان العدو يهدف بمدافع الميــدان الثقيلة ذات عيار ١٥٠ ومدى يصل الى ٢٠ كيلومترا حي الاربعين في الجنوب حيث تزيد كثافة السكان، ويمكن أن تعظم الخسائر .. ولقد كان واضحا ان العدو قد لجأ الى ضرب المدنيين في منطقة السويس والاسماعيلية بعد أن أفسدت توقعاته نتائج مؤتمر الخرطوم . لقد كان بين اهدافه على أســاس ان وجوده على حافة القناة سوف يؤدي بالضرورة الى استمرار وقف الملاحة فيها الامر الذي يترتب عليه أن ينقطع عن الدخل القومي ما يقرب من ٩٠ مليون جنيه في العام الواحد بالعملة الصعبة ، وان ذلك سوف يزيد من تفاقم المشكلة الاقتصادية في مصر ، ولا يعود هنــاك ما يمنع من تردي الاوضــاع في الداخل ، غير ان قرارات مؤتمر الخرطوم قد فوتت هذه الفرصة لذلك بدل اهدافه سريعا .

كان الواضح ان يفقد الروح المعنوية لســكان

منطقة القناة ، وعلى حد تعبير السيد علي صبري الوزير المقيم في مؤتمره الصحفي الذي عقده في مدينة الاسماعيلية .. لقد كان من الضروري أن لا يبقى في المنطقة بعد ذلك الا من له عمل أساسي وهام يرتبط بها وبظروفها الجديدة ارتباطا لا يمكن الاستغناء عنه أما الذين يستطيعون ممارسة اعمالهم أو أعمال مماثلة في مناطق أخرى فلا بد من تهجيرهم ولقد كان من الضروري ايضا تأمين المواطنين الذين تستدعي دواعي عملهم البقاء في خط النار - وبذلك نستطيع أن نفوت على العدوان الاسرائيلي أهدافه.

وبانتهاء عملية التهجير تكون مرحلة أولى من مهمة السيد علي صبري في المنطقة قد أوشكت على الانتهاء . وبينما تستمر جهود ١٢ شركة للمقاولات من أجل تحصين المدن لتأمين حياة الباقين فيها ويتجاوز مجموع عمليات التحصين في مدن القناة الثلاث ..٣٠ عملية يقدر العاملون في قطاع المقاولات تكاليفها بحوالي مليون جنيه . ومثلما أعلن السيد علي صبري فان مهمة تحصين هذه المدن لن تتوقف حتى بانتهاء هذه العمليات وانما سوف تستمر وتستمر حتى تنتهي أخيرا لمدن القناة الثلاث فرص الحماية الكافية ».

والحقيقة أن هناك هدفا آخرا للهجرة - لقد كان من غير المقبول أن تظل القوى الانتاجية الموجودة في المنطقة عاطلة عن الانتاج لوجود قوات العدوان على الضفة الاخرى من القناة لذلك كان من الضروري نقل المعدات والعمالة التي يمكن نقلها والاستفادة بها في مناطق أخرى وفي سبيل ذلك .. فلقد تم نقل مصانع الترانزستور في الاسماعيلية كما نقلت ورش ترسانة التمساح ومصنع البوتاجاز في السويس. ومعمل أبحاث هيئة القناة وجزء من ترسانة بورفؤاد ».

وفي مواجهة هذه الظروف الطارئة تتبدل الحياة في مدينتي الاسماعيلية والسويس كل يوم تبدلا محسوسا لتكيف نفسها مع أوضاعها الجديدة ولو أن الامر يبدو مختلفا في مدينة بورسعيد التي لم يغادرها حتى الآن سوى نسبة لا تذكر من مجموع سكانها الذين يصل عددهم الى ٢٦٤ الف نسمة. ذلك ان الباب المفتوح للهجرة من المدينة هو الهجرة الاختيارية فقط لمن لا ترتبط أعمالهم ووظائفهم بالحياة فيها .

ولقد كان طبيعيا أن يساور القلق سكان بورسعيد ذلك أن الاسباب التي من أجلها استثنيت من الهجرة الاجبارية كانت تبدو في أذهانهم غير واضحة - بل انه على العكس من ذلك - كانوا يرون ان ظروف مدينتهم الجغرافية تتطلب هجرة الاسر من حيث أن الطريق الذي يربط بورسعيد بالوادي هو طريق الجنوب الى الاسماعيلية عبر القنطرة وهو الطريق الذي كانت تدور عليه وبالقرب منه الاشتباكات التي تتصاعد على الجبهة بين وقت وآخر .

والحقيقة كما يلمسها القريبون من ظروف المنطقة ان السبب الاول الذي يرجع اليه عدم التفكير في هجرة المدينة هو ان بورسعيد ليست معرضة حتى الان لمثل الاعتداءات التي تكررت على مدينتي السويس والاسماعيلية . ولقد كان ذلك واضحا حتى من مجموع أعمال العدو التي وجهت اليها والتي تجمل في محاولتين - محاولة غير ناجحة لقصف بعض الاهداف على الساحل لم ينتج عنها سوى اصابة شاردة في انشاءات الفندق العالمي الجديد والتي كانت قد قاربت الاكتمال ثم محاولة التقدم عبر رأس العش الى منطقة بورفؤاد والتي تكررت مرتين وضح للعدو منهما أنها محاولة محفوفة بالخطر البالغ على قواته ذلك ان فصيلة من ٢٣ فردا هي التي تمكنت من صد هذه المحاولات التي كابد فيها العدو خسائر جعلته يضع تباديل أخرى لاهدافه غير التقدم الى بورفؤاد وكانت أول هذه التباديل هي ضرب الاسماعيلية في ١٥ يوليو الماضي .

ولربما يكون من المفيد ان نقول أيضا ان الظروف الجغرافية للمدينة ذاتها ، وأن تجعل منها أشبه بجزيرة لايصلها بالوادي سوى أنبوب واحد هو طريق الاسماعيلية . هذه الظروف الجغرافية نفسها تتيح للمدينة فرصة نظام دفاعي يصعب اختراقه دون تضحيات منهكة وهائلة فمداخل العدو الى المنطقة لا تمكنه من قدرة المناورة والعمل السريع المفاجيء لانها في النهاية شريط محدود وعلى العكس يسهل من هذه المداخل رصد وسائطه العسكرية وتجمعاته وتدميرها وذلك ما اسفرت عنه اشتباكات رأس العش .

وثمة سبب آخر لعدم هجرة المدينة حتى الآن غير المفاضلة بين المدن الاكثر تعرضا والاقل تعرضا وهو ان عملية الهجرة في حد ذاتها ليست عملية سهلة اذ ان مشاكل كثيرة كمشاكل التعليم والاقامة وتيسير الخدمات وتوفير فرصة العمل المماثل . هذه المشاكل تنتج دائما وبتعقيد شديد عن تهجير مدينة باكملها ذات مستويات اجتماعية متنوعة وظروف بالغة الاختلاف وذلك ما يتطلب ان يسبق قرار هجرة المدينة استعدادات كبيرة خصوصا وأن التوجهات التي تسير وفقا لها عملية التهجير ترى أنه لا بد لكل اسرة يتم تهجيرها اجباريا من مكان مناسب لاقامتها، ولقد رفضت منذ البداية رفضا باتا فكرة اقامة تجمعات للاسر المهاجرة . ومع ذلك فلقد اكد المسئولون أكثر من مرة ان هناك خطة تهجير سوف يتم تنفيذها

اذا ما تطلب ذلك دواعى الموقف وحتى الآن فليس فى الموقف ما يدعو الى هجرة بورسعيد .

وعلى كل فلقد كان من الدروس المستفادة للموقف فى بورسعيد ــ العمل بأسرع ما يمكن على الافلات بها من ظروفها الجغرافية الصعبة والتى تجعل منها اشبه بجزيرة لا يربطها بالوادى سوى طريق الجنوب الذى يمر عبر القنطرة وفى هذا الصدد كانت توصيات **على صبرى** بأن يتم بأسرع ما يمكن توسيع قناة بحيرة المنزلة حتى تصل الى عرض ١٦ مترا وعمق مترين وحتى يمكن تهذيب مجراها الذى يتلوى لــ ٣٠ كيلومترا عبر المناطق الضحلة والجزر الصغيرة التى تملأ البحيرة ــ وبالطبع فان أهمية القناة الملاحية لا تقتصر على كونها مجرد طريق ثان يربط بين بورسعيد والدلتا غير طريق القنطرة بل ان اهميتها الباقية مع الزمن كمشروع اقتصادى يمكن بواسطته استثمار طاقة ميناء بورسعيد حتى قدرته الاخيرة على الشحن والتفريغ . والمعروف أن ميناء بورسعيد يعمل بكفاءة لا تصل الى ٣٠ فى المائة من قدرته التى تصل الى امكان شحن وتفريغ ٦ مليون طن سنويا. وذلك بسبب مشكلة مواصلات الميناء مع الدلتا ومع باقى الوادى وبانتهاء المشروع المقدر له شهرا ونصف شهر يمكن ان يكون ميناء بورسعيد فى ظروف السلم ــ ميناء تصدير أرز وسط وشمال الدلتا وبذلك ترتفع طاقة الميناء التى لا تتجاوز الان ٣١٧ ألف طن (حمولة) ٦٤٦ الف طن بضائع (مفرغة) .

والحقيقة انه يمكن أن يقال ان ازمة المدينة الاقتصادية التى اعقبت عدوان ١٩٥٦ كانت اثقل على كاهلها من ازمة عام ١٩٦٧ . والسبب فى ذلك أنه فى عام ١٩٥٦ كانت أعمال القطاع الخاص تشكل ٨٠ فى المائة من مجموع إعمال الميناء ولم يكن ذلك يتيح بالطبع فرصة التعويض للعاملين ابان الازمة أما فى عام ١٩٦٧ فان مجموع اعمال القطاع العام تصل الان الى ٩٠ فى المائة من مجموع أعمال الميناء وذلك ما هيأ للعاملين قدرا نسبيا من الاستقرار يختلف تماما عن ظروف ١٩٥٦ .

وعلى كل فانه عندما طلب **على صبرى** الوزير المقيم حصر كل الفئات التى أضيرت فى المدينة حتى يمكن التصرف على ضوء هذا الحصر وفقا لحالة كل فئة سواء بالنقل الى اعمال مماثلة أو عن طريق التعويضات واعانة البطالة واعانة الشئون الاجتماعية فان كشوف الحصر الذى تمت وقدمت كانت تضم كل الفئات سواء الذين كان تأثرهم تأثرا مباشرا أو غير مباشر او حتى هؤلاء الذين كانت أعمالهم فى أوسع الدوائر بعدا عن مركز المشكلة التى هى الميناء والقناة حتى يمكن أن يقال ان كشوف الحصر كانت مطابقة لكل أنواع النشاط فى المدينة وبالتالى كل أفرادها ولم يكن معقولا أن تكون درجة تأثر عمال الشحن والتفريغ مثلا تماثل درجة تأثر ٣٠٠ حلاق و ٥٠٠ من اصحاب المقاهى او حواة المدينة الاربعة أو الابونيه الذى يعمل فى نقل الرسائل ما بين بورسعيد والقاهرة . ومن هنا كانت ضرورة اعادة الحصر بحيث تضم كشوفه الذين تأثروا تأثرا مباشرا .

وعلى كل فان الجانب الاكثر اهمية والذى يجرى العمل فيه بنشاط بالغ فى بورسعيد هو تحصين المدينة وتأمين حياة الناس فيها . وفى هذا الصدد فلقد تقرر رسم خطة كاملة تهيىء لكل شارع مخبأ على أن يتم تنفيذ هذه الخطة خلال مدة زمنية لا تتجاوز الاسبوعين .

ولا تقتصر اجراءات تأمين حياة الافراد الذين تتطلب دواعى عملهم البقاء على خط النار سواء فى السويس او الاسماعيلية او بورسعيد على الاجراءات المادية وحدها وانما يشمل ذلك فى الحقيقة نشاط سياسى واسع يقوم به أعضاء المكاتب التنفيذية والجماعات القيادية ومنظمات الشباب وشباب المقاومة بهدف توجيه الافراد الى المخابىء والملاجىء فور حدوث أى صدام مسلح حتى يمكن تقليل خسائر المدينة الى أبعد حد ممكن . وتهدف خطة العمل السياسى الى توسيع القيادات فى المدن الثلاث حتى مستوى الشارع لا مستوى المربع السكنى فقط ، وبذلك يكون قائد كل شارع مسئولا مسئولية مباشرة عن حصر الافراد الموجودين فى منطقته ومعرفة فصائل دمهم والمخابىء التى يتوجهون اليها والمهمات التى يكلفون بها . والحق أن القيادات الجديدة قد اثبتت قدرتها على الحركة فى مواجهة هذه الظروف وثمة تجارب تجرى الان فى كل حى وفى كل مدرسة ينصرف خلالها كل فرد فى المدينة على مكانه ساعة الخطر .

ثمة شيء هام يمكن ان يقال حول دواعى الهجرة وهو أن وجود المدنيين بهذه الكثافة السكانية وبغير وسائل كافية لحمايتهم كان يشل فى الحقيقة كثيرا من قدرة القوات المسلحة على مواجهة اعتداءات العدو ولسوف يتيح اخلاء المدن القوات المسلحة فرصة أكبر للتعامل معه ولو بأستراتيجية محددة الهدف بانهاك قواه بوخزات الابر المستمرة ومثلما يقول ليدل هارت ان وخزات الابر المستمرة المتعاقبة تضعف العدو ربما اكثر من الصدمات الكبيرة ذات النتائج غير الحاسمة بشرط ان يكون انهاك العدو اكبر من انهاك قواتنا وذلك ما وضح فى اشتباكات ٢٧ سبتمبر الاخيرة .

تأميم تجـــــارة الجملـــــة لمصلحة تجار التجزئة والمســـتهلكين

قرر مجلس الوزراء فى اجتماعه فى ١٥ اكتوبر الماضى ، برياسة جمال عبد الناصر تاميم تجارة الجملة ، على ان يتم نقلها الى القطاع العام فى مدة اقصاها ١٨ شهرا ، وذلك وفقا لخطة زمنية بالنسبة للسلع المختلفة وحسب طبيعة كل سلعة.

وكان الرئيس عبد الناصر قد اعلن فى خطابه بمدينة دمنهور فى يونيو عام ١٩٦٦ ، عن تاميم تجـــارة الجملة ونقلها الى القطاع العام خلال ثلاثسنوات وذلك بعد أن ارتفعت أصوات الجماهير والصحافة مطالبة بضرورة تنظيم التجارة الداخلية وتأميم تجارة الجملة باعتبارها مصدر استغلال واثراء لفئة قليلة على حساب المجموع ، وبعد ان ثبت ان تجار الجملة كانوا وراء كل الازمات التموينيــــة فى البلاد ، واختفاء السلع الاساسية الحيوية ، والتحكم فى الاسعار وخلق السوق السوداء ، واحداث الاضطراب وعـــدم التـــوازن فى السوق الداخلى بين العرض والطلب ، واندفاع الجماهير نحو تخزين السلع قبل اختفائها من السوق نهائيا، واستغلال تجار الجملة هذه الازمات المفتعلةلرفع الاسعار وجنى الارباح الطائلة غير المشروعة . هذا فضلا عما تسببه هذهالحالة منارتباك لاجهزة الانتاج والاستيراد بدرجة لا تستطيع معها ان تحدد احتياجات السوق الحقيقية .»

ولقد ذكر وزير التموين كيف أن هناك ٢١٩ هم مجموع تجار الجملة فىانحاء الجمهوريةيربحون سنويا حوالى ٢٤ مليون جنيه بدون اى مجهود واضح ، أى بدون تقديم خدمة لزيادة الانتـــاج تساهم فى عملية البناء والتقـــدم على الطـــريق الاشتراكى ، كما خرجت هذه الفئة من الراسمالية عن الطريق الذى أعلنه الميثـــاق « ان التجـــارة الداخلية خدمة وتوزيع مقابل ربح معقول لا يصل الى الاستغلال تحت اى ظرف من الظروف » واصبح كل هدفهم تحقيق الارباح والاســـتغلال على حساب القوت اليومى للشعب،كما كانت هذه الفئة السبب ايضا فى الفساد الذى لحق بتجارة التجزئة ، عن طريق السيطرة والتحكم فى ذلــك العدد الضخم من تجار التجزئة وان تحدد لهم الاسعار ، مما كان يضطر معه تاجر التجـــزئة الصغير الى مخالفة التسعيرة الرسمية والوقوع تحت طائلة القانون . او الامتناع عن بيع بعض اصناف السلع الاساسية فكان مثار شـــكوى عشرات الالاف من صغار التجار .

ويقوم التنظيم الجـــديد للتجارة الداخليـــة كما أوضحه السيد وزير التموين على الاسس التالية :

● ترك تجارة الجملة للحوم والخضر والفاكهة للقطاع الخاص، مع احكام الرقابة عليها ،وتشجيع قيام تعاونيات المنتجين فى هذه القطاعات الثلاث ، لتسويق انتاجهم مباشرة بعيدا عن الوســـطاء وتجار الجملة .

● تولى اجهزة القطاع العام تجارة الجملة عن طريق المراكز الحالية ، والفروع الجديدة التى ستنشأ فى جميع الجهات .

● تقوم المؤسسات بتوزيع انتاج الشركات التابعة لها على تجـــار التجـــزئة ، فى المـــراكز والمستودعات للجملة التابعة لها .

● تقديم تسهيلات مالية كبيرة لتجار التجزئة. عن طريق الائتمان من البنوك التجـــارية ، او الائتمان الذى تمنحه اجهزة التوزيع لتاجر التجزئة بطريقة تحفظ اموال الدولة من التبديد . او بتسلم التاجر حصته من البضائع على دفعـــات حسب امكانياته المالية .

وصرح وزير التموين ان الغرض من تأميم تجارة الجملة بالكامل وتحويلها الى القطاع العام ، هو تحقيق خدمة المستهلك اساسا ، وتاجر التجزئة ايضا ، والدولة بشكل عام .»

والتنظيم الجديد يتيح للمستهلك الحصول على حاجاته من السوق طول العام وبالسعر المناسب، كما ستستخدم ارباح القطاع العام فى تجارةالجملة لصالح المستهلك ، عن طريق أستثمارها من جديد لصالح الشعب ، وفى انشـــاء صنـــدوق موازنة الاسعار ، وتغطية الفرق فى زيادة سعر الخامات المستوردة والتكاليف .

وبالنسبة لتاجر التجزئة ، فانه لن يخضـــع لسيطرة وتحكم تاجر الجملة ،وضمان حصوله على كافة اصناف السلع والــكميات التى يستطيـــع تصريفها ، وحصوله على ارباح مجزية ، كما انه سيستفيد من وجود مراكز التوزيع المنتشرة فى جميع الجهات فى تقليل نفقات النقل — ويقدر عدد تجار التجزئة فى انحاء الجمهورية بحوالى نصف مليون تاجر تجزئة ،سوف يستفيدون هم وعائلاتهم نتيجة تأميم تجارة الجملة ، امـــا الفـــائدة التى ستجنيها الدولة ، فهى تحقيق استقرار السوق الداخلى ، ووضع نهاية للازمات المفتعلة ،والقضاء على السوق الســوداء ، كمـــا ستستطيع اجهزة الانتاج والاستيراد لاول مرة من وضع تقديرات سليمة لاحتياجات السوق الداخلى .»

■ الامم المتحدة

الامم المتحدة واحتمالات الحل السياسى

اتخذ مجلس الامن فى جلسته الاستثنائية اخيرا قرارا يقضى بادانة «مخالفات وقف اطلاق النار» فى منطقة الشرق الاوسط، ويعلن فيه «اسفه للخسائر فى الارواح والممتلكات الناتجة عن هذه المخالفات».

وقد اتخذ هذا القرار فى الجلسة التى عقدت خصيصا لمناقشة العدوان الاسرائيلى الاخير على المنشآت المدنية فى منطقة السويس وقد طالب هذا القرار الدول الاعضاء التى يعنيها الامر ان توقف على الفور كل نشاط عسكرى ممنوع فى المنطقة وتتعاون تماما مع جهاز الرقابة التابع للامم المتحدة.

هـذا وقد استقبل الرأى العـام العربى قرار مجلس الامن بنوع من خيبة الامل، لعدم استطاعة المجلس ادانة اسرائيل ادانة واضحة نتيجة عدوانها المقصود المتعمد.

واعلنت الدوائر السياسية فى الامم المتحدة ان المباحثات والمناقشات الدائرة بين **محمود رياض** وزير الخارجية العربى **وارثر جولدبيرج** مندوب امريكا فى الامم المتحدة حول ازمة الشرق الاوسط قد تستمر اسبوعا كاملا بعد ان بدأت فى ١٠/١٦.

وكان اجتماع رياض مع جولدبيرج ـ بعد تأجيل مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة لازمة الشرق الاوسط ـ جزءا واستمرارا للسلسلة الواسعة والنشطة من اتصالات ومباحثات رياض مع وزراء خارجية ورؤساء وفود الدول العربية والغربية والاشتراكية والدول الاسيوية والافريقية واللاتينية فى الامم المتحدة.

وفى المباحثات المصرية الامريكية شرح رياض وجهة نظر مصر فى ازمة الشرق الاوسط وابلغ جولدبيرج ان مصر لن تغير موقفها.

ومن المعروف ان البيان السنيناسى الشامل الذى القاه رياض فى اجتماع الامم المتحدة يحدد موقف مصر، فقد اعلن:

● ضرورة الانسحاب الغير مشروط والعاجل للقوات الاسرائيلية من الاراضى العربية الى مواقعها قبل ٥ يونيو

● ان قناة السويس لن تفتح الا بعد ازالة اثار العدوان

● ان اسرائيل يجب ان تدفع تعويضات للدول العربية عن الجرائم والاضرار التى سببها العدوان

● ان العرب يرفضون التفاوض مع اسرائيل

● ان الولايات المتحدة تتحمل مسئولية خاصة فى تثبيت العدوان بسبب مساعداتها السياسية والعسكرية والاقتصادية لاسرائيل.

● ان شعب مصر يسلح نفسه لمواجهة العدوان الاسرائيلى الذى صمم على ازالة اثاره.

وقال رياض فى بيانه «انه من الامور المصطنعة الزعم بأن اصل المشكلة فى الشرق الاوسط يكمن فى رفض الدول العربية الاعتراف بحق اسرائيل فى ضمان وجودها» واضاف «ان التوتر فى الشرق الاوسط يعود الى انتهاك اسرائيل وانكارها المستمر لحقوق شعب فلسطين والسياسة التوسعية العدوانية ضد الدول العربية».

وقد اعلنت وكالات الانباء ـ والمحادثات جارية بين رياض وجولدبيرج ـ ان اسرائيل ابدت ارتياحها لتمسك امريكا بموقفها من ازمة الشرق الاوسط.

ان ما تتناقله وكالات الانباء من مشاريع امريكية ـ تقدم لوفود الامم المتحدة، او ترسل للقاهرة، وما اذاعه **دين راسك** فى مؤتمره الصحفى يوم ١٠/١٢، وما اعلنه المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكى، وقبل ذلك بيان «جولدبيرج» ذى الثمانى نقاط فى الامم المتحدة، لا يخرج فى مضمونه عن النقاط الخمسة التى اعلنها جونسون فى بيانه فى يونيو ١٩٦٧ والتى تتناقض على طول الخط مع وجهة النظر العربية حول الازمة.

ويمكن تلخيص وجهة النظر الامريكية فى النقاط التالية:

● رفض انسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل بدء العدوان فى ٥ يونيو، والهدف من هذا الرفض، كما تؤكد الدوائر السياسية بالامم المتحدة هو الاحتفاظ بالقدس فى يد اسرائيل، واحتفاظ اسرائيل كذلك ببعض المناطق العربية ذات «الاهمية الاستراتيجية».

● تعليق الانسحاب على شروط معينة، منها: بدء المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل، والاعتراف بحق اسرائيل فى المرور بالممرات المائية الدولية «قناة السويس»، وفرض الصلح بين العرب واسرائيل.

● وجود قوات دولية فى المناطق المتاخمة لاسرائيل، وان تتعهد الدول الكبرى بحماية «الحدود الجديدة» لاسرائيل.

● رفض فكرة اجبار اسرائيل على دفع تعويضات للعرب ، عن جرائم واضرار العدوان .

● ان تشترك دول العالم في تحميل نفقات تطهير القناة .

وقد عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي اجتماعا يوم ١٠/١٧ لمناقشة « الطريقة التي تواجه بها الضغوط التي تمارسها بعض الدول ضد اسرائيل لاجبارها على الانسحاب » ، والاستماع الى تقرير ابا ايبان وزير خارجيتها الذي عاد اليها قبيل عقد اجتماع الوزارة .

وقد القى ابا ايبان في اجتماع الامم المتحدة خطابا سياسيا ــ لا يختلف في جوهره عن بيان جولدبيرج ذي الثماني نقاط ــ أعلن ابا ايبان:

● رفضه مبدأ الانسحاب « المسبق وغير المشروط » للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية

● ان اتفاقيات الهدنة التي وقعت بين الدول العربية واسرائيل ليست قائمة . وقد استنكر هذا يوثانت ، كما استنكرته بريطانيا ، مقررين ان اتفاقيات الهدنة ما زالت قائمة .

● رفضه تسوية ازمة الشرق الاوسط عن طريق هيئة الامم المتحدة ، لان الحل المقبول في نظر اسرائيل هو الذي يأتي عن طريق التفاوض المباشر بين اسرائيل والعرب

● استعداده لاجراء مفاوضات بين اسرائيل والعرب تستهدف عقد الصلح ، واقرار السلام ، « وتخطيط الحدود الدائمة » ، وعقد اتفاق امن اقليمي .

● تمسكه بضرورة الاعتراف بحق اسرائيل في الملاحة « قناة السويس »

● ان حل مشكلة اللاجئين لا يمكن ــ من وجهة نظره ــ الا في ظل « السلام وانشاء تعاون ثقافي واقتصادي » .

واثناء اجتماعات الامم المتحدة وقبل خطاب ابا ايبان وبعده قامت اسرائيل بسلسلة من الاعتداءات على الاراضي العربية ، كما بدأت في اقامة مستعمرات مسلحة على الاراضي العربية التي تحتلها ، واذاعت زعماؤها السياسيون وقادتها العسكريون نيتهم في القيام بعدوان جديد .

وقد تناقلت الدوائر السياسية في الامم المتحدة، وكذلك الصحافة العالمية ان تشبث اسرائيل بموقفها في عدم حل ازمة الشرق الاوسط واستهتارها بالامم المتحدة وقراراتها ، وتصرفاتها العسكرية ، قد زاد من عزلتها عن الراى العام العالمى .

موقف الوفود العربية

ومع وصول الملك حسين الى القاهرة في طريقه الى الجزائر ، وما اذيع من ان هناك اتصالات هامة تدور على اعلى المستويات بين الجمهورية العربية والعراق والجزائر والاردن لمواجهة الوضع العربي الراهن . اعلنت الدوائر السياسية في الامم المتحدة ان الدول العربية تسعى للوصول الى حل سياسي لازمة الشرق الاوسط ، واذا لم يتم الوصول الى مثل هذا الحل فقد تضطر الى الحرب .

وقد سبق اجتماع رياض وجولدبيرج في ١٠/١٦ اجتماع طويل لوزراء خارجية ورؤساء الوفود العربية . ومع بدء اجتماعات الامم المتحدة في سبتمبر قامت الوفود العربية بسلسلة من الاتصالات والاجتماعات فيما بينها ، وكونت فيما بينها لجنة خاصة تقوم باتصالات بالوفود الاخرى في الامم المتحدة .

واتسمت كلمات الوفود العربية في اجتماعات الامم المتحدة باتساق كامل مع البيان السياسي الذي القاه رياض .

وقد اضافت كلمات عدد من الوفود العربية بعض التفاصيل الى الصورة العامة التي عرضها رياض فمثلا :

● قال وزير خارجية لبنان ان اسرائيل تهدد بالعدوان مرة اخرى ، وترفض عودة اللاجئين الى ديارهم ، وفضح اعتداءات اسرائيل على الدول العربية في بحر عشرين عاما .

● وقال مندوب السودان ان استمرار الاحتلال الاسرائيلي سوف يشعل المقاومة العربية في المناطق المحتلة .

● وربط مندوب الجزائريين الموقف العدواني لاسرائيل في الشرق الاوسط ، والموقف العدواني لامريكا في فيتنام .

● وفضح مندوب العراق مازعمه ابا ايبان من ان خطوة اسرائيل العسكرية كانت مجرد دفاع عن النفس ، كما فضح محاولات اسرائيل لتجميد الامم المتحدة .

● وتساءل مندوب سوريا قائلا : هل تختلف سياسة اسرائيل التوسعية ، عن سياسة النازى في اوروبا ؟ وحذر شعوب العالم من ان معركة الشعب العربي ضد الاستعمار الجديد هي معركة العالم الثالث بحيث اذا سقطت جبهة العرب المناضلة فسوف تكون هناك ضربة قوية القوى التقدمية في العالم الثالث . وان قانون الغاب سوف يحكم العالم اذا فشلت الامم المتحدة في حل ازمة الشرق الاوسط .

● وشرح الوزير الاردني جرائم اسرائيل وحدد ان نصف الاردن تقريبا بما في ذلك القدس العربية تقع تحت الاحتلال العسكرى ، وان نصف الشعب الاردنى يعانى الذل والتعذيب تحت نير الحكم الاجنبى ، وان اسرائيل ارغمت ٢٠ في المائة من سكان الضفة الغربية على ترك منازلهم ، وتحاول ارغام بقية السكان على الخضوع ، وان عدد اللاجئين العرب يبلغ الان نحو مليوني شخص ، وان اسرائيل سمحت فقط بعودة ١٣ الف لاجيء رغم قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن . وطالب في نهاية خطابه بتطبيق عقوبات على اسرائيل لارغامها على الاذعان لقرارات الامم المتحدة .

● واعتبرت تونس ان انسحاب القوات الاسرائيلية هو الشرط الاساسي لتسوية المشاكل الاخرى في الشرق الاوسط .

والمتتبع لخطب وبيانات الوفود العربية يلاحظ فيها ظاهرتين هما :

● ان صبر الشعوب والدول العربية على الاحتلال الاسرائيلي له حدود تنفجر بعدها المقاومة العربية العسكرية لازالة اثار العدوان .

● ان الدول العربية ملتزمة بقرارات مؤتمر القمة العربي في الخرطوم من انه « لا تفاوض ولا صلح ولا اعتراف باسرائيل » .

وقد اشاعت الدول الاستعمارية عن طريق مندوبيها في الامم المتحدة ان هناك مفاوضات للصلح بين اسرائيل والاردن ولبنان . وقد نفى الدكتور **اديب العامري** مندوب الاردن وكذلك مندوب لبنان هذه الاشاعة الاستعمارية

انقسام في المعسكر الغربي

تؤكد الدوائر السياسية ان لندن اصبحت قاعدة هامة للاتصالات والمحادثات السياسية حول ازمة الشرق الاوسط ؛ **فماركو نيكيزتش** وزير خارجية يوجوسلافيا يزور لندن – لمدة ستة ايام – اعتبارا من ١٠/١٦ لاجراء مباحثات حول ازمة الشرق الاوسط مع **جورج براون** **وويلسون** .

وقام بزيارة القاهرة في الفترة الاخيرة السياسيان البريطانيان ونجل فورت وبيلى . وشملت محادثاتهما بها ازمة الشرق الاوسط .

ويقوم **اللورد كارادون** بنشاط واسع في الامم المتحدة لعقد اجتماع لمجلس الامن حالما يتم الاتفاق على مشروع قرار .

وقد اعلنت المصادر السياسية في لندن ان شقة الخلاف تتسع بين بريطانيا وامريكا واسرائيل حول ازمة الشرق الاوسط .

فالنقاط البريطانية لحل ازمة الشرق الاوسط ، كما تتناقلها الصحف ، وكما جاء بخطاب براون في اجتماع الامم المتحدة تتلخص في الخطوط العريضة الاتية :

● انسحاب القوات الاسرائيلية الى حدودها السابقة في ٥ يونيو مع حق اسرائيل في البقاء والوجود داخل حدودها

● رفض موقف اسرائيل لتوسيع حدودها نتيجة عدوانها في ٥ يونيو

● اعادة الوضع السابق للقدس ، والحيلولة دون اقدام اسرائيل على اية خطوة تؤثر على مستقبل القدس

● تأييد اقتراح يوثانت بايفاد مندوب للشرق الاوسط .

● اعادة فتح القناة – دون ابطاء – باعتبار ان غلق القناة يسبب اضرارا للاقتصاد البريطاني والعالمي على اساس حرية الملاحة في جميع الممرات المائية الدولية .

● تسوية مشكلة اللاجئين عن طريق عودة المزيد منهم الى ديارهم وتوطين الباقي عن طريق مشروع تنمية تموله الامم المتحدة .

وقد هاجمت الدوائر السياسية الاسرائيلية وصحافة اسرائيل بريطانيا لموقفها من ازمة الشرق الاوسط ، وهي تنظر بقلق الى موقف بريطانيا ، وتؤكد انها بموقفها – تساعد على تدهور العلاقات بينها وبين اسرائيل ، وتصر على التفاوض المباشر مع العرب ، والاحتفاظ بالاراضى التى احتلتها .

اما خطاب **كوف دي مورفيل** وزير خارجية فرنسا في الامم المتحدة يوم ٩/٢٨ فقد تضمن :

● الاصرار على انسحاب القوات الاسرائيلية ، اذ ان عدم الانسحاب – كما قال وزير خارجية فرنسا – يؤجل التسوية اللازمة ، او يبعدها نهائيا .

● ادانة موقف اسرائيل من المفاوضات المباشرة مع العرب ، ووصف هذا الموقف بأنه نوع من الاصرار على تحقيق المعجزات .

● العمل لاجراء اتصالات لخلق تسوية سلمية تقبلها الاطراف المختلفة وتوافق عليها المنظمة الدولية .

● صعوبة الوصول الى تسوية للمشكلة دون اتفاق بين الدول الكبرى .

● حل مشاكل اللاجئين ومشاكل الجوار بتوتعديل فى الحدود الاقليمية ووضع السكان فيهامع حق كل دولة ان تعيش فى أمان .

وقد ارجعت الدوائر السياسية ، الفضل فيما جاء بخاب كوف دى مورفيل عن « الانسحاب بدون شروط » و « عدم جدوى المفاوضات بين اسرائيل والعرب » الى المحادثات التى اجراها رياض مع الرئيس ديجول وهو فى طريقه الى نيويورك .

وقد ابدت الدوائر السياسية خيبة املها من خطاب وزير الخارجية الفرنسى فى الامم المتحدة .

موقف الدول الاشتراكية

ووصل **كوزينشوف** النائب الاول لوزير الخارجية السوفيتية الى نيويورك فى ١٠/١٦ ليكون على مقربة من المباحثات الدائرة عن ازمة الشرق الاوسط ، وقد اجتمع بعد وصوله الى نيويورك بالسيد رياض وزير الخارجية العربى .

وقد نشرت الصحيفة الاسرائيلية **(ها ارتس)** ان الجيش المصرى تسلم اعدادا كبيرة من الصواريخ من طراز (لونا ـــ ١) وفى نفس الوقت اذاعت الدوائر السياسية ان الاتحاد السوفييتى رفضت اقتراحا امريكيا بوقف ارسال الاسلحة الى المنطقة .

وفى وشنطن جرت محادثات بين السفير السوفيتى **اناتولى دوبرينين** وآرثر جولدبيرج مندوب امريكا فى الامم المتحدة ، وقد اكدت هذه المحادثات وجود خلافات بين الاتحاد السوفيتى وامريكا حول ازمة الشرق الاوسط .

والبيان المكتوب الذى تركه جروميكو وهو عائد الى موسكو بعد حضور اجتماع الامم المتحدة حمل « الدول التى تعرقل الوصول الى حل فى ازمة الشرق الاوسط مسئولية النتائج الخطيرة التى ستواجه المنطقة مستقبلا » .

وبيان جروميكو فى الامم المتحدة ابرز عددا من النقاط : هى :

● ان اول شرط لتحقيق السلام هو انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية .

● ان تعوض الدول العربية عما لحقها من اضرار العدوان .

● ان ترغم اسرائيل على الاذعان لقرار الامم المتحدة الخاص بالقدس ، او تفرض عقوبات على اسرائيل .

● يجب ضمان السلام والامن لجميع الدول فى الشرق الاوسط .

وفى ٢٣ سبتمبر اقام جروميكو حفل استقبال لوزراء خارجية الدول العربية والاشتراكية ، تبادل الجميع فيه وجهات النظر حول الازمة .

وطالب وزير الخارجية اليوغسلافية فى خطابه امام الامم المتحدة بأن يسبق انسحاب القوات الاسرائيلية اى تسوية لازمة الشرق الاوسط ، التى تتطلب وقتا طويلا ، وان الاذعان لشرط التفاوض مع اسرائيل لايعنى غير اتاحة الفرصة للعدوان ، وان يترك امر الملاحة فى قناة السويس لوقت آخر باعتباره جزءا من المشكلة العامة للشرق الاوسط ، وان تحل مشكلة اللاجئين « بنظرة العدل » الى جانب « النظرة الانسانية » .

واثناء اجتماعات الامم المتحدة ، استقبل **تيتو** السيدة **انديرا غاندى** رئيسة وزراء الهند فى بلغراد ، وفى حفل الاستقبال الذى اقامه لها صرح تيتو بأن :

● اسرائيل تتشدد فى موقفها وترفض كل حل للازمة .

● ان بعض الدول الكبرى تشجع اسرائيل على عدم قبول اية تسوية ، وعلى التمسك بمكاسب اقليمية نتيجة العدوان .

● ان الدول العربية قد تفكر فى حلول اخرى للمشكلة ، اذا لم تصل الامم المتحدة الى حل لها ، واردف قائلا بأن الوقت فى صالح العرب .

ولم تتقدم يوغسلافيا ـــ رسميا حتى الان ـــ للامم المتحدة بالمشروع اليوغسلافى لحل ازمة الشرق الاوسط وهو المعروف بمقترحات تيتو ، وهى تتضمن :

● انسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل ٥ يونيو .

● ضمان دولى لجميع حدود دول المنطقة .

● احالة موضوع الملاحة فى خليج العقبة الى محكمة العدل الدولية .

● بقاء الوضع بالنسبة لقناة السويس على ما كان عليه قبل الحرب .

● تولى مجلس الامن ـــ بعد ذلك ـــ ايجاد حلول عادلة للقضايا الرئيسية فى الازمة وفى مقدمتها قضية اللاجئين العرب .

وحملت كلمات الوفود الاشتراكية فى مجملها تأييدا ومساندة للشعوب والدول العربية فى الكفاح ضد العدوان الاسرائيلى .

وقد ربط مندوب **المجر** بين العدوان فى فيتنام ، والعدوان فى الشرق الاوسط ، وهاجم المانيا الغربية التى تحلم بآثار هجوم خاطف كالذى قام به هتلر .

وقال مندوب **بولندا** ان اسرائيل التى خلقتها الامم المتحدة تعارض قرارات الامم المتحدة ، وتحاول اقصاءها عن حل المشكلة بطلب التفاوض المباشر مع العرب .

وقد ايد مندوب **تشيكوسلوفاكيا** مشروع تيتو ، واثار هو ومندوب **رومانيا** قضية « الوجود المستقل لدول المنطقة » و « احترام حقوق كل الدول فى الاستقلال والتنمية والامن » .

موقف يوثانت

وخلال اجتماعات الامم المتحدة ، قام اوثانت السكرتير العام للامم المتحده بمجموعة من الاتصالات السياسية مع وفود الدول للامم المتحدة، وكان على صلة بمراقبى الامم المتحدة فى منطقة الشرق الاوسط يتلقى منهم ومن الوفود العربية ووفد اسرائيل انباء الاشتباكات بين القوات الاسرائيلية والعربية بعد وقف اطلاق النار .

وقد اجتمع اوثانت يوم ٢٧ سبتمبر ٦٧ بوزراء خارجية الدول الكبرى ورؤساء وفودها لبحث ازمة الشرق الاوسط، ودور الامم المتحدة ومجلس الامن فى حلها .

وقد عرض اوثانت فى تقريره للامم المتحدة عدة نقاط جوهرية خاصة بالشرق الاوسط منها :

- ضرورة احترام وحدة الاراضى الاقليمية لكل دولة ما اراضى دولة اخرى .
- احترام حق كل دولة فى الوجود .
- حق كل دولة فى ان تكون آمنة داخل حدودها .

تعليق

حتى يصبح الحق العربى فى فلسطين قادرا على الصمود والتحدى

ان الظروف الراهنة لا ينبغى ان تطغى وحدها فى تحديد طرق مقاومة العدوان وازالة آثاره ، بل يجب ان نرتبط بتخطيط لحل المشكلة بصورة جذرية ، حتى اذا لم تتوافر كل عناصر هذا الحل الجذرى فى الحاضر المباشر . وتنهض ضرورة هذا الموقف من ان اهمال جانب الخط الاستراتيجى ، تحت وطأة ظروف النكسة المؤقتة ، يجعل علاج الموقف اقرب الى « رد الفعل » منه الى « الفعل » محكوما « بمواقف القوة » قبل ان تحكمه « موقف المبدأ » (١) .

ولاشك ان مواجهة « اسرائيل » ككيان غريب ، غرس فى قلب الوطن العربى ، يرتبط اوثق الارتباط «بفلسطين» ككيان عربى مقابل ، يحتل مكانا خاصا بين الدول العربية ، فى الصف الامامى ضد الجسم الدخيل .

ومواجهة عدوان اسرائيل ، فى كيانها العنصرى اولا ، ثم فى مراميها التوسعية على الدوام ، لا تفترض مجرد العمل الايجابى الجاد من اجل تحويل «عوامل القوة » التى اتسمت بها حتى الان الى « عوامل ضعف » ، ولكن تفترض فى الوقت ذاته ،تحويل «عوامل الضعف» عند العرب ، الى « عوامل قوة » فى المستقبل .

وربما كان ابرز « عامل ضعف » على اتساع العالم العربى كله فى مواجهة عدوان اسرائيل ، يكمن فى انزواء الوجود الفلسطينى العربى ، كقوة ايجابية فعالة ، قادرة على مناهضة العدوان، ورد التحدى .

ولهذا السبب ،اؤيد بقوة اقتراح احمد بهاء الدين باعادة « دولة فلسطين » ، كما جاء فى مقاله «بالمصور» فى ١٣/١٠/ ١٩٦٧ ، وارى ان الفكرة التى يطرحها جديرة بالتوسيع والتعميق من زوايا متعددة .

غاية ما فى الامر ، هو انه ينبغى التنبه الى ان هذا الاقتراح يقف « فى وجه » اقتراح اسرائيل بانشاء دولة فلسطينية مزعومة ، تتبع من حيث الواقع سيطرة اسرائيل ، وتجسد جهودها من اجل التوسع ، وليس فى اية صورة ترديدا لمشروع يماثله .. بل هو بناء مقومات « نقيض » المشروع الاسرائيلى على طول الخط ..

واذا تحفظ البعض من حيث ملاءمة « التوقيت » فى اثارته ، الا انه يجب الا ننسى انه يشكل دعامة من دعامات الخط الاستراتيجى العام ..

وكما جاء بمقال احمد بهاء الدين ،ان « ازالة آثار العدوان » لا تعنى اعادة الامور الى ما كانت عليه قبل ٥ يونيو ، بل ترتبط بادراك العوامل التى احدثت العدوان وآثاره اصلا ، وتغيير هذه العوامل بكيفية تحقق ازالة هذه الاثار .

و « التغيير » المنشود ، لا يقتصر فى عناصره وابعاده، على الاهداف التكتيكية المباشرة فحسب ، وعلى الذى ينبغى عمله « لازالة آثار العدوان » فى اقرب وقت مستطاع فقط ، بل يطرح ـ شئنا او لم نشأ ـ القضية فى مجملها وفى اهدافها البعيدة كذلك ، والخط الاستراتيجى الذى علينا ان نتوخاه .

وربما كان اهم « تغيير » فى ادراكنا لقضية العدوان الاسرائيلى على امتداد ابعاده الاستراتيجية ، وهو تغيير فى « الادراك » وليس فى « واقع الامر »، هو ان ازالة اسرائيل كقاعدة العدوان ليست مرهونة بارادة العرب وحدهم، ولكن ترتبط كذلك باصرار الاستعمار على استمرار وجود هذه القاعدة ..واسرائيل، من هذه الزاوية ، تندرج تحت المشاكل الدولية المعلقة ، التى يتعذر ايجاد حل فى القريب العاجل لها ، يحكمه الحق والعدل .. بل تحكمه موازين دولية دقيقة والحل العادل يرتبط بتغيير جذرى فى هذه الموازين ، لصالح قوى التقدم والحرية. وهو تغيير ليس متوقعا فى المستقبل القريب .

وعلينا ان نوطد العزم فى نظرتنا الى اسرائيل على ان لا تحكمه الامال والاوهام ، قبل ان تبنى تقديراتنا على واقع الحال ، واحتمالاته المنظورة . وآن الاوان ان نضع حدا للتباين الصارخ بين الرفض اللفظى لوجود اسرائيل، والتصرف الفعلى المفضى عملا الى تثبيت هذا الوجود .

- فان ادراك ان اسرائيل قائمة على الارض العربية المغتصبة يطرح القضية على ان ازالتها كقاعدة العدوان ،لايمكن ان تتحقق بمجرد الرفض اللفظى .. لان الرفض اللفظى وحده تشجيع لعدوانيتها ،وتثبيت لهذا الوجود .
- وادراك حقيقة الوضع الاسرائيلى الخاص ، يطرح الحق العربى كقضية « نضال » ، تمتد ابعاده فى المستقبل،

(١) راجع مقال محمد سيد احمد (اسرائيل كيف نواجهها بعد حرب ٥ يونيو) ـ الطليعة (٧ اكتوبر ١٩٦٧)

● حق اللاجئين الفلسطينيين العرب في ان يقيموا على ارض وطنهم .

● حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية .

موقف الدول الاخرى

ان هناك ١٢ دولة لم تلق وفودها خطبا سياسية في اجتماع الامم المتحدة ، ومن الدول التي القت بيانات سياسية ووقفت الى جانب العرب وضد اسرائيل عدد كبير من الدول في آسيا وافريقيا ، واتسم موقف بعض الدول بالغموض كالنرويج وهولندا والبرازيل وايرلندا وفنلندا ، ووقف الى جانب امريكا واسرائيل صراحة دول اثيوبيا وتايلاند وكمبوديا وايسلنده وايطاليا وكندا .

وقد قررت الجمعية العامة ان تبحث بنفسها موضوع تعريف « العدوان » بدلا من اللجنة التشريعية ـــ في ضوء الوضع الدولي الراهن ـــ وقد ايد هذا القرار ٩٤ دولة منها (الدول الاشتراكية والعربية وفرنسا والارجنتين) وعارضته ٣٧ دولة منها (امريكا وبريطانيا ودول اوربا الغربية وامريكا اللاتينية) وامتنعت عن التصويت ٢٤ دولة .

لا في مجرد اطار « الحق » ، المستند الى حيثيات تمت الى الماضي .

وهذه الحقائق ليست بنت اليوم فقط . ولكنها اصبحت تنطق بشكل صارخ في وجهنا ، بعد احداث ٥ يونيو الاليمة . ولم يعد من المحتمل اغفالها ، او غض النظر عنها .

و « الحق العربي » الذي عليه ان يعبر عن نفسه تعبيرا « ايجابيا » ، يتمثل اولا في « الوجود الايجابي الفعال والنضالي بـ لفلسطين العربية » ، قبل ان يتمثل في حركة عربية « من اجل » وجود فلسطين العربية ، وهي مجردة من مكونات الوجود الفعلي .

والى اليوم ، كانت « فلسطين العربية » لا تجد تعبيرا عن « وجودها » ، الا في « عناصره السلبية » ، في مواجهة مخطط صهيوني محكم ، جعل من « اسرائيل » تكثيفا لاكثر عناصر الوجود .. « ايجابية » !

● وتمثل « وجود فلسطين » اولا وقبل اي شيء آخر ، في مجتمع خيام اللاجئين ، الذين ظلوا ١٩ عاما ، وهم يعقدون الامال الكبيرة على ان ساعة العودة قد اقتربت ، مجتمع يجد مبرره الوحيد في ان الحل وشيك ، بل وحال .. ويعلق مصير شعب فلسطين ـــ في كتلته البشرية الاساسية ـــ على « حق مسلوب » يستجدي ضمير العالم كي يتحرك لرفع هذا الغبن ، ويعيش على تبرعاته ورعاية المنظمات الدولية .

وربما كان هذا « المنهج » في مواجهة المخطط الاسرائيلي الصهيوني ، اكثر مظاهر الموقف العربي قصورا وتخلفا وعقما وضعفا .

فاستعادة حق ، عملية لا تنهض ابدا على مجرد « اثبات وقوع الجريمة » اصلا وسلبا فحسب ، بل تتطلب دائما ان يقترن الحق بنضال ايجابي فعال من اجل فرضه .

وعملية استعادة حق شعب باسره ، وعلى امتداد سنوات ، عملية متشعبة ، متعددة الجوانب ، لا يجوز ان تقتصر فقط على التهيؤ لجانب واحد من جوانبها ، مثل الجانب العسكري وحده ، وتهيئة النفوس والمشاعر لهذا الجانب دون تزويدها بما يتطلبه من خطط جادة ، واسلحة مناسبة .

و « الفدائية » مهما بلغت من بطولة ، وعبرت عن اسمى معاني التضحية ، فهي اذا تركت مجردة ، قد تعكس الياس ما لم تدخل كحلقة لها مكانها المدروس في مخطط شامل ، متكامل الجوانب والاهداف ، وما لم تتوافر لها واقعيا ـــ وثوريا ـــ امكانيات التقدم والنجاح .

وبينما « تجمدت » القضية واعتملتها عوامل التفكك الناجمة عن طول الانتظار .. « تحركت » اسرائيل ، لتتزود بكل ما كان ينقصها من مقومات المجتمع القادر على الصمود والتحدي .

ان قضية فلسطين لا يمكن ان تحل الا من خلال الفلسطينيين انفسهم اولا . وسيكون دور الوطن العربي الكبير دائما ، دور المكمل والمساند لنضال شعب فلسطين ذاته ، من اجل استعادة حقه المغتصب . ولن تستقيم القضية ابدا ، بان تعكس الاية ، وتصبح مسئولية النضال مسئولية الدول العربية اولا ، ولا يبرز شعب فلسطين في الصورة ، الا بوضعه كعنصر مكمل .

ان المنطقة العربية المجاورة لاسرائيل ، والمحيطة بها من كل ناحية ، وهي ارض فلسطين اولا ، ينبغي ان تكون « اقوى حلقة » في الحائط المنيع الذي يقيمه العرب ضد الجسم الدخيل ، ولا ينبغي ابدا ان تكون « اضعف حلقة » ، واكثرها تعرضا لعوامل الجمود والتفكك والتدهور ..

واذا سلمنا بان المعركة ستطول ، حتى تجد حلها الجذري ، القائم على الحق والعدل ، فعلينا ان نخلق بهذه المنطقة « المناعة » الكفيلة بمناهضة التوسع الاسرائيلي ، لا في صورته العسكرية فحسب ، بل في كافة النواحي معا ، وابرزها هو التحدي الاقتصادي ، والاجتماعي ، والعلمي ، والتكنولوجي ، والحضاري ، وما تنطوي عليه هذه الجوانب من تاثيرات واصداء بعيدة المدى ، شديدة المفعول .

وحتى تصبح فلسطين العربية « اقوى حلقة » ، فينبغي ان تتزود هي الاخرى بمقومات المجتمع القادر على الصمود والتحدي . وواجب جميع الدول العربية ، هو النهوض بكل ما لها من طاقة من اجل تزويدها في هذه المعركة المصيرية بما يلزمها من طاقات وقدرات ، وتؤهلها النهوض السريع والحاسم .

وتمتد مقومات النهوض الى كل نواحي الحياة ، جانبها الانتاجي وجانبها العسكري والنضالي على السواء ، جانبها الحضاري وجانبها الاقتصادي والاجتماعي ..

ولا يمكن ان يستقيم احد هذه الجوانب اذا افتقر الى الجوانب الاخرى ، بل العملية هي عملية متصلة متكاملة ، يدفع كل جانب بالجوانب الاخرى ، وتعبر في جوهرها عن اجتياز مرحلة تلقي الضربات والسلبية والجمود ، الى مرحلة الانطلاق الحضاري والاجتماعي فعلا من اجل الحق العربي والحرية العربية .

محمد سيد أحمد

■ الاراضى المحتلة

« أمن » الفرد فى اسرائيل أصبح موضع شك

تتجدد بين يوم وآخر ، انباء المقاومة العربية التى انتشرت داخل اسرائيل وفى الاراضى التى احتلتها بعد ٥ يونيو ، فأصبحت تمثل ظاهرة عامة اضطرت امامها السلطات الاسرائيلية الى عقد اجتماع مشترك للجنة الامن والشئون الخارجية التابعة للبرلمان وكبار العسكريين من امثال موشى ديان واسحق رابين . وذلك «لبحث الاجراءات التى تتخذ لمواجهة اعمال الفدائيين العرب » على تعبير وكالة الانباء الفرنسية .

وبرغم اجراءات الاعتقال وحظر التجول واحكام السجن التى تتخذها اسرائيل ، الا ان ذلك لم يحل ــ كما تقول آخر الانباء ــ دون ان يقوم الفدائيون العرب بنسف بيت **اسحق رابين** رئيس اركان حرب القوات الاسرائيلية .. الذى نجا بأعجوبة وينظر المراقبون الى هذه الحادثة بالذات التى وقعت بعد ايام من عقد الاجتماع ــ على انه تأكيد لاصرار الفدائيين العرب على المضى فى اعمال المقاومة ، وتحدى لكل الاجراءات الارهابية الاسرائيلية وسلطاتها .

وكان الوطنيون العرب قد قاموا بسلسلة من اعمال المقاومة فى الشهر الماضى تنوعت ما بين توزيع المنشورات الى نسف بعض محطات المياه والكهرباء ومحاولة نسف بيت **ليفى اشكول** رئيس الوزراء ، وكذلك محاولة نسف السفارة الامريكية فى تل ابيب . هذا وقد نشرت الصحف اللبنانية تصريحات لاحد قادة المقاومة داخل اسرائيل ، فقال « ان عمليات المقاومة هذه ليست الا مقدمة لثورة عامة » .

ويقول **فابيان لاتومب** مراسل وكالة الانباء الفرنسية انه « قد تشكل اخيرا فى كل مدينة من مدن منطقة الضفة الغربية ، ائتلاف من جميع الاتجاهات السياسية يضم العناصر اليمينية واليسارية المتطرفة واصحاب المذاهب المستقلة على السواء ، لتأكيد معارضة العرب الفلسطينيين لدعوة اسرائيل الى قيام دولة فلسطينية تتمتع بالحكم الذاتى فى اطار الحكم الاسرائيلى وبايحاء من اسرائيل » . ويصف اعضاء حركات المقاومة الوطنية المسلحة هذه بانهم « ينتمون الى الحزب القومى العربى وحزب البعث والحزب الشيوعى وجماعة تحرير فلسطين التى تكونت حديثا . وبعضهم لا ينتمى الى احزاب . وقد استبعد الائتلاف من بين صفوفه ، الاخوان المسلمين وجماعة الهنبهانيين ويعد انشاؤهما من صنع امريكا » .

وتنظر الدوائر التقدمية فى العالم ، الى نشاط الفدائيين العرب ، باعتباره عمل مشروع ودفاع طبيعى عادل عن وطنهم واراضيهم المحتلة . ويرون ان اعمال المقاومة ، قد وضعت القضية الفلسطينية فى اطارها الحقيقى كقضية تحرير وطنية . ويعد المراقبون هذا النشاط ، على انه مرحلة جديدة لا ينبغى النظر فيها الى طابعها العسكرى فحسب ، وانما يجب ان ينظر فى المقام الاول لمغزاها السياسى .

ويفسر المراقبون تصريحات المسئولين الاسرائيليين بالانتقام وتهديد « الذين يشجعون ويحرضون » الفدائيين العرب ، على انها تجسيد يوضح ابعاد المشكلة من وجهة النظر الاسرائيلية فلاول مرة تقريبا وعلى نطاق واسع يصبح « امن » الفرد فى اسرائيل مسألة موضع شك . ومن ثم فان تهديد امن الفرد فى اسرائيل ، سوف ينعكس على قضية الهجرة الى اسرائيل التى تروج فيها السلطات الاسرائيلية لنغمة اساسية تقول بأن امن الفرد فى اسرائيل لا يمكن ان يمس

ويعتقد المراقبون ان تنسيق اعمال المقاومة الوطنية المسلحة بين الفدائيين العرب فى الاراضى المحتلة بعد عدوان ٥ يونيو او فى داخل اسرائيل نفسها ، يمكن ان تحرز انتصارات اكبر . وترى الدوائر التقدمية العربية ، انه كلما زادت اعمال المقاومة المسلحة هذه واتسع نطاقها واحرزت انتصارات اكبر ، كلما اصبحت احتمالات المغامرة من جديد لدى دوائر اسرائيل العسكرية اكثر ترجيحا . ومن هنا فان اوساط الراى العام العالمى المحب للحرية والتقدم ، تعتقد بأهمية تشديد يقظة القوات المسلحة للدول العربية وبخاصة تلك التى تعرضت لعدوان ٥ يونيو وتتاخم حدود الاراضى المحتلة . وترى فى نفس الوقت اهمية مساندة وتدعيم حركات المقاومة الوطنية المسلحة ، ومدها بكل الامكانيات الممكنة ، وربط هذه الاعمال المسلحة المحدودة ، بالعمل السياسى على مستوى دولى ، وبين اوساط الراى العام فى الدول الصديقة والمتحررة التى يمكن ان تساهم بدورها فى عمليات الدعم والمساندة .

■ الجزائر

« الاغنياء » « والفقراء » أو مؤتمر الجزائر

في فبراير القادم ينعقد المؤتمر الثانى للتنميـة والتجـارة الدوليـة فى نيودلهى . وقبل هذا الموعد بثلاثة شهور انعقد فى الجزائر ابتداء من ١٠ اكتوبر الماضى مؤتمر الدول النامية الذى ضم ٨٥ دولة من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بالاضافة الى دولة اوربية واحدة هى : يوغوسلافيا.

وقد كانت المشكلتان الرئيسيتان التى جرت حولهما المناقشات هما وضع ميثاق لحقوق ومطالب البلاد النامية لمناقشته مع الدول الصناعية الكبرى فى مؤتمر نيودلهى القادم ، ثم الاتفاق حول بعض الإجراءات التى تنظم العلاقة بين الدول النامية بشكل اقليمى ، وبين الدول النـامية والـدول الصناعية المتقدمة .

وقد كان من المهم للدول النامية ان تجتمع معا قبل اقتراب الدورة الثانية للمؤتمر الدولى خاصة بعد ان ثبت ان توصيات مؤتمر جنيف الاول لعام ١٩٦٤ لم يتحقق منها شيء ، بل ان الامر على العكس تماما فقد بينت الارقام ان المساعدات التى تتلقاها الدول النامية من الدول الصناعية المتقدمة قد تناقصت بنسبة ٢٥٪ ، وهبط نصيب الدول النامية من التجارة العالمية الى ١٩٪ بعد ان كان حوالى ٣٠٪ عام ١٩٥٠ .

اما بقية التوصيات التى كان مؤتمر جنيف قد اتخذها كتخفيض القيود الجمركية وغير الجمركية على منتجات الدول النـامية ، وزيادة نسـبة المساعدات لتصل الى ١٪ من دخل الدول المتقدمة، وتيسير سداد ديون الدول النامية فقد اعلن مؤتمر الجزائر ان شيئا منها لم يتحقق ايضا ، وتبين الارقام المعلنة ان كل الدلائل تشير الى هبـوط نسبة الواحد فى المائة المذكورة الى حوالى ٦٣و٠٪ لعام ١٩٦٦ ، والى ان الدول النامية قد اضطرت لدفع نصف ما تلقته من مساعدات كاقساط للديون عام ١٩٦٥ .

ومع استمرار القيود والعقبات التى تفرضها الدول الرأسمالية الكبرى المتحكمة فى السـوق العالمى فان احتمالات المسـتقبل تزداد سـوءا بالنسبة لاقتصاد الدول النامية ، او سـيزداد الفقراء فقرا والاغنياء غنى !

والحقيقة ان اصرار الدول الصناعية الرأسمالية على تثبيت الاوضاع المجحفة فى السوق العالمى ، وبالنسبة لاقتصاديات الدول النـامية يهدف فى الاساس الى افراغ الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الاخيرة من مضمونه الحقيقى ، ورغم ان الجميع مدركـون لهذه الحقيقـة الا ان طبيعة الاوضاع العالمية والاوضاع المحلية داخل الدول حديثة الاستقلال تلعب الدور الاساسى فى عرقلة اى جهد بناء لتغيير الميزان لصالح الدول المستقلة حديثا او النامية ، ومن بين المشاكل التى تواجه الدول النامية فى هذا السبيل سيطرة الاحتكارات الرأسمالية الاجنبية على موارد المـواد الخام الاساسية فى اغلب البلاد النامية ، والتماثل فى اقتصاديات هذه الدول مما يدفعها الى التنافس اكثر مما يدفعها الى التعاون .

ومع ذلك فان كل المحاولات التى تبذل فى هذا السبيل مهما كانت قاصرة تشكل قدرا لا بأس به من التفاهم والتناسق بين الدول النامية او الفقيرة ضد الدول المتقدمـة او الغنيـة ، والمعروف ان الاحساس المتزايد بخطورة اتسـاع الهوة بين الفريقين اصبح موضع اهتمام وقلق دفع **اوثانت** السكرتير العام للامم المتحدة الى ان يحذر اكثر من مرة من اهمال هذه المشكلة ، كما ان الاتحاد السوفييتى وهـو من بين الدول المتقدمة صناعيا (الثانية بعد الولايات المتحـدة الامريكية) هو الذى اقترح من قبل عقد مـؤتمر جنيف للتنمية والتجارة الدولية عام ١٩٦٤ .

■

■ نيجيريا

انتهى الانفصال ، وبقى سؤال هام

تفيد آخر تطورات الحـرب الاهليـة فى نيجيريا (بدأت فى يونيو الماضى بعد اعلان استقلال الاقليم الشرقى تحت اسم جمهورية **بيافرا**) ، ان الموقف قد حسم بشكل واضح لصالح الحكومة الاتحادية التى يرأسها فى **لاجوس** الجنرال **يعقوب جـوون** ، وذلك بعد ان دخلت قوات الحـكومة الاتحادية الى **اينوجو** عاصمة الاقليـم الشرقى واحتلت معظم مدنه واراضيه .

ومن الملاحظ ، ان ايا من تقارير وكالات الانباء والصحف ، او حتى بيانات راديو لاجوس ، لم تفـد بمكان **اوجووكو** الحاكم العسكرى السـابق للاقليم الشرقى والذى تزعم عملية الانفصال . كما انها لم تشر من قريب او بعيد بأنه قد وقع فى قبضة الحكومة المركزية او انه قتل،وفى تحقيق صحفى كتبه كونور كرويز اوبرين ـ اسـتاذ جامعة سويسرى عمل فى الامم المتحـدة ـ فى صحيفة **الاوبزرفر** البريطانية ، يقول ان النداء الذى كان راديو بيافرا يردده باسـتمرار هو

« انقذوا بيافرا من اجل العالم الحر » ثم يقول في موضع آخر من التحقيق « كان يعتقد حكام بيافرا بأنه على **الولايات المتحدة** ان تفعل شيئا ما من اجل انقاذ الجمهورية (اى بيافرا) » . كما كانوا يأملون فى ان تمد المانيا الغربية او فرنسا او البرتغال يد العون لهم .

ومن المعروف ان ٧ شركات امريكية للبترول (تعمل فى الاقليم الشرقى الذى ينتج ٦٠٪ من انتاج نيجيريا للبترول، وهذه الشركاتهى : شركة امريكا فيما وراء البحار — شركة اسو لغرب افريقيا — شركة درلنج الدولية — شركة موبيل اويل — شركة الخليج — شركة تنيسى ، وشركة تكساس لافريقيا ، هذا بالاضافة الى شركة فرنسية .

وترى الدوائر الوطنية فى افريقيا ان نجاح حكومة جوون فى القضاء على انفصال الاقليم الشرقى — بعد القضاء على محاولة انفصال اقليم الغرب الاوسط — انما يعنى فشل مخطط الزج بنيجيريا فىحرب اهلية تبدد طاقاتها وتعكس آثارها على الدول الافريقية المجاورة .

ويميل بعض المعلقين للشئون الافريقية الى تشبيه وضعية الاقليم الشرقى بوصفية اقليم **كاتنجا فى الكونجو كينشاسا** .

وبرغم النجاح الذى حققته حكومة جوون فى القضاء على الحكم الانفصالي وانهاء حالة التمرد، الا ان كثيرا من المراقبين يعتقدون بأن ذلك لايعنى القضاء على اسباب هذا التمرد ، صحيح انبعض دول الغرب سارعت الى تغذية اسباب الانفصال والدعوة له ، وتدعيمه عسكريا ، ولكنه فى نهاية الامر كان تعبيرا عن واقع قائم يتطلب الحل السليم لمعالجة الحزازات القبلية السائدة والتى تتضاءل الى جانبها اى انتماء آخر قومى او طبقى ، وتقوم القوى الاستعمارية باستغلالها لمصلحتها. اذتسيطر قبائل **الهوسا** فىالشمال على مقدرات نيجيريا الاقتصادية وبخاصة فى ملكيات الارض وانتاجيتها ، (تملك ٧٤٪ من اراضى البلاد وتمثل ٥٤٪ من مجموع سكانها : ٥٦مليون نسمة) ، ومن ثم تشعر قبائل **الايبو** (فى الشرق) واليوروبا (فى الغرب) بوضع الاقلية المحرومة من بعض الحقوق ، ويرى المراقبون انه مالم يتخط دستور البلاد وقوانينها ونظمها الاقتصادية والسياسية ، الاوضاع القبلية بحزازاتها وتخلفها .. الىحدود قومية عامة تلعبفيها الاستقطابات الوطنية والطبقية دورا يغلب على الاستقطابات القبلية — ، فلسوف يقع من جديد ، اليوم او غدا او فى المستقبل ، وسوف يكون هناك اكثر من اوجووكو .

■ الولايات المتحدة الامريكية

٢٠٠ ألف يحاصرون البنتاجون

لا تزال مسألة وضع حد للحرب الفيتنامية فى وقت قريب أمر مشكوك فيه بسبب اصرار الولايات المتحدة على مواصلة موقفها العدوانى هناك .. فالولايات المتحدة الامريكية تواصل « تصعيد » عملها العدوانى فى فيتنام . وقد اشارت صحيفة « **الواشنطن بوست** » علىلسان السناتور الجمهورى **ترستون مورتن** الى ان الاستعدادات تجرى الان لقيام القوات الامريكية بغزو برى لفيتنام الشمالية . . وادلى السناتور الامريكى **هارتكى** بتصريح اتهم فيه الحكومة الامريكية بانها تتعرض لضغط العسكريين فى وزارة الدفاع لغزو فيتنام الشمالية ، وهى على اى حال خطوة بالغة الخطورة بالنسبة لمستقبل السلام فى جنوب شرقى آسيا وفى العالم لانه قد يترتب عليها دفع الصين الشعبية وربما الاتحاد السوفيتى الى الدخول مباشرة فى الحرب ضد عدوان الولايات المتحدة .

والحقيقة ان الانباء والتصريحات الواردة من العاصمة الامريكية لا تتناقض قط ، بقدر ما تتسق مع اتجاه دعم العدوان .وقد اتهم السناتور **مورتن** أخيرا الرئيس الامريكى بأن «شبكة رجال الصناعة والعسكريين قد « غسلت مخ » جونسون وجعلته يتطلع الى احراز نصر عسكرى » . وفى اليوم التالى مباشرة ، اعرب جونسون من جديد عن اصراره على موقفه .. وأوضح ان الاصوات التى تقدم له النصح ليست هى أصوات حمامات السلام او صقور الحرب ، وانما اصوات النعام ، وانه طوال الوقت الذى سيقود فيه الولايات المتحدة لن يأخذ بهذه النصائح.وانه ملتزم بالدفاع عن فيتنام والاحتفاظ بها بغض النظر عنالالتزامات والتضحيات والخسائر فى الارواح والاموال ، وان هذه السياسة ضرورية « للدفاع عن جنوب شرقى آسيا بل عن أمن الولايات المتحدة نفسها »

ولذا، وكرد فعل لسياسة «التصاعد» الامريكية هذه ، وقع **اليكسى كوسيجين** رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى أخيرا اتفاقا معنائب رئيس وزراء فيتنام الشمالية يقضىبارسال المزيدمنالطائرات والمدافع العادية والمدافع المضادة للطائرات ، والصواريخ والفنيين اليها ، وقد اشارت الى ذلك مجلة « **الاكسبريس** » الفرنسية التى أوضحت « ان أثر ذلك متعدد الدرجات ، فان المليشيا فى فيتنام الشمالية تلقت بنادق سريعة الطلقات ومدافع صغيرة بعد أن كان سلاحها الوحيد حتى الان بنادق عادية ، والمدافع المضادة للطائرات ستصبح

اكثر رهبة ، والفنيون سيزيدون من فعالية استخدام طائرات « ميج ٢١ » وخاصة طائرات « ٢١ د » التي وصلت لتوها الى هانوى » .

وفى الحقيقة ، فان الضغط السياسى قد اشتد فى الخارج والداخل على الحكومة الامريكية لوقف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية ، وممن طالبوا بوقف هذه الغارات اخيرا **جينو اوتوكراج** رئيس وزراء الدانيمرك ، و**بول مارتن** وزير خارجية كندا اللذين يعتبران من اصدقاء الولايات المتحدة . فقد اوضح كراج امام نادى الصحافة القومى فى واشنطون أن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية وقف الغارات الجوية ، اذا لم يحاول الطرف الاخر ايضا التقليل من عملياته الحربية » . واشار بول مارتن امام الجمعية العامة للامم المتحدة ان عملية وقف القاء القنابل تعتبر خطوة اولى لارساء السلام على اساس اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٤ » وفى داخل بريطانيا اقر مؤتمر اتحاد النقابات البريطانى مشروع قرار يدعو الحكومة البريطانية الى فصل سياستها من سياسة الولايات المتحدة ازاء فيتنام وقد تمت موافقة المؤتمر على مشروع القرار ، كذلك اقر مؤتمر حزب الاحرار البريطانى اخيرا ، مشروع قرار يدعو الى وقف عمليات القصف الجوى التى تقوم بها الولايات المتحدة ضد فيتنام الشمالية، كما يدعو الحكومة البريطانية الى سحب تأييدها للموقف الامريكى فى الحرب .

وقد اشارت مجلة « الباتريوت » الهندية الى ان هناك انباء كثيرة تنشر فى الصحف والاذاعة فى بريطانيا وفى عديد من الدول الاوربية ، تشير كلها الى تزايد حركة الفرار من القوات الامريكية فى أوربا الغربية ، بسبب رفض الشباب من الجنود الامريكيين الاشتراك فى الحرب غير الانسانية فى فيتنام . كما ان المنشورات توزع علنا على القوات الامريكية فى جميع البلاد تدعوهم الى الفرار من الخدمة ،وقد اصبحت حركة الفرار هذه من الاتساع الى حد انه صدر قانون فى المانيا الغربية يحرم توزيع مثل هذه المنشورات ، وذكرت صحيفة « التايمز » البريطانية : ان هناك حركة سرية واسعة النطاق لمساعدة الجنود الامريكيين الهاربين من الخدمة ، وان الجماعات التى تساعد الجنود الامريكيين على الفرار تستخدم اساليب المقاومة السرية اثناء الحرب العالمية الثانية .

هذا وقد اوضحت **الهيرالد تريبيون** الامريكية اخيرا ان آخر الاستفتاءات فى الولايات المتحدة نفسها قد كشفت من أن ٦١٪ من الامريكيين يعارضون ارسال المزيد من القوات الامريكية الى فيتنام ، والذين يؤيدون استمرار الحرب حتى فرض الصلح بالقوة انخفض عددهم من ٥١٪ الى ٣٧٪ ، كذلك انخفضت نسبة الموافقين على سياسة جونسون فى ادارة دفة الحرب من ٤٧٪ الى ٣٣٪ . والملاحظ ايضا انه كلما هبطت شعبية جونسون كلما أمعن السناتور **روبرت كيندى** فى توجيه النقد اليه بخصوص موقفه من الحرب الفيتنامية ، خاصة وهناك اقتناع بين اصدقاء جونسون ان كيندى يجهز نفسه لتحدى جونسون فى انتخابات سنة ١٩٦٨ اذا ما وجد الفرصة سانحة لذلك . كذلك صرح الرئيس الامريكى السابق **ايزنهاور** بأنه انضم الى منظمة تعمل على تحقيق سياسة معقولة بالنسبة لحرب فيتنام اعضائها الجنرال **عمر برادلى** ويرأسها السناتور السابق **بول دوجلاس** ، كذلك دعا **ارثر شليزنجر** المساعد السابق للرئيس الامريكى الراحل كيندى ، الى التصويت ضد جونسون فى الانتخابات القادمة الا اذا تخلى عن توسيع نطاق هذه الحرب

ومن الجدير بالذكر ايضا ، ان الثوار الزنوج من انصار « السلطة السوداء » اصبحوا يربطون بشكل متزايد بين نضالهم ضد التفرقة العنصرية فى الداخل ، والنضال التحررى ضد عدوان الامبريالية الامريكية فى الخارج ، اذ اخذوا يرددون فى خطبهم ومقالاتهم الصحفية ما جاء فى منشورات يجرى توزيعها على نطاق واسع فى احياء ديترويت ولوس انجلوس وغيرها تقول بأنه «ينبغى مساعدة الاخوة ذوى البشرة الداكنة الذين يناضلون الامبريالية الامريكية ، وذلك بمهاجمتها فى عقر دارها بمزيد من الفاعلية ، وخطر اقل ، لاننا نحن القائمين بأمر المقاومة الداخلية لا نخشى الاسلحة الذرية او الغارات الجوية ، او المدفعية الثقيلة ، ان امريكا البيضاء لا تستطيع اعلان الحرب الشاملة على امريكا السوداء دون ان تحطم نفسها بنفسها» . هذا وقد انعكست المعارضة الجماهيرية المتزايدة للحرب الفيتنامية فى المظاهرة الضخمة التى اشترك فيها حوالى ٢٠٠،٠٠٠ امريكى فى واشنطن والتى اقتحم فيها الاف من المتظاهرين مبنى وزارة الدفاع حيث تصدت لهم قوات المظلات والبوليس مستخدمة اعنف الوسائل لدفعهم خارج مبنى البنتاجون الذى تلطخ مدخله بدماء الجرحى من المتظاهرين الامريكيين .

■

■ **المانيا الديمقراطية**

هل تخلت بون عن الانتقام والعدوان ؟

مسلم

ممثل جمهورية المانيا الديموقراطية فى القاهرة ، الى وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة ، النص الكامل للرسالة الاخيرة من رئيس وزراء المانيا الشرقية الى مستشار المانيا الغربية،

وهى جزء من الجهود التى تبذلها الجمهورية الالمانية الديموقراطية لاقامة علاقات طبيعية وسلامية مع جمهورية المانيا الفيدرالية تخفيفا للتوتر فى أوربا وتحقيقا لمزيد من الامن فى القارة .

وقد سبق الرسالة الاخيرة اتصالات سابقة تخدم مثل هذا الغرض ، اذ ارسل الهر **ويلى شتوف** رئيس الوزراء فى المانيا الديموقراطية فى ١٠ مايو ١٩٦٧ رسالة الى **كورت كيسنجر** مستشار المانيا الفيدرالية اقترح فيها الدخول فى مباحثات مباشرة هدفها الوصول الى اتفاق ينظم قيام علاقات عادية بين حكومتى المانيا ، واعلان رفض الدولتين لمبدأ استخدام القوة فى العلاقات المتبادلة وفى حل المشاكل الاخرى الهامة بينهما .

الا ان المستشار الالمانى الغربى لم يجب على هذا الاقتراح فى الخطاب الذى ارسله فى ١٣ يونيو الماضى ، بل وطالب بأن يقبل شعب وحكومة المانيا الديموقراطية رغبة حكومة المانيا الفيدرالية فى ان تكون المثل الوحيد لالمانيا ، وان يقبل هذا الشرط كأساس لقيام علاقات مشتركة بين الدولتين ، وهى شروط مرفوضة من جانب المانيا الديموقراطية كونها « غير قانونية » من ناحية ، كما « لا تتفق والرغبة فى تحقيق السلام » من ناحية اخرى ، وقد اوضح **شتوف** فى رسالته الاخيرة الى **كيسنجر** ان حكومة المانيا الغربية ليس لها حق السيادة او غيرها من الحقوق فيما يتعلق بحدود جمهورية المانيا الديموقراطية صاحبة السيادة على شعبها ونظامها .

وترى الدوائر الالمانية الديموقراطية ان رفض كيسنجر الاجابة على مقترحات ويلى شتوف ، انما هو تعبير عن الرغبة فى استمرار السياسة الانتقامية ، سياسة العداء لجمهورية المانيا الديموقراطية الاشتراكية ، ومحاولة تصفية نظامها الاشتراكى ووجودها ، الا ان رئيس الوزراء الالمانى الديموقراطى قد الحق بخطابه الاخير مشروع اتفاق يحمل موادا تنص على قيام علاقات عادية بين جمهورية المانيا الديموقراطية والمانيا الفيدرالية ، كما اقترح البدء فى مفاوضات مباشرة للوصول الى اتفاق ينظم هذه العلاقات ، على أساس الاعتراف بالحدود القائمة فعلا فى أوربا ، خصوصا الحدود القائمة بين دولتى المانيا ، واتفاق حكومتى المانيا الديموقراطية والاتحادية على قيام علاقات بين دولتى المانيا ، وكل دول أوربا ، ورفض حكومتى المانيا امتلاك او الاحتفاظ بأسلحة نووية مهما اختلفت طبيعتها، مع اشتراك الدولتين فى قيام منطقة منزوعة السلاح النووى فى اوربا الوسطى ، وتخفيض نفقات التسليح فى البلدين الى النصف .

كما نص مشروع الاتفاق على ضرورة احترام سيادة كل بلد، واقرار المساواة بينهما وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، واتخاذ الترتيبات الضرورية لاستقرار السلام فى الجانبين ، بتنظيم الاجراءات اللازمة المتعلقة باحتياجات التجارة المتبادلة ، والبريد، والاتصالات التليفونية والتلغرافية والنقل وغيرها .

ورغم ان المانيا الديموقراطية قد اعلنت اخيرا انها لاترفض اجراء حوار بينها وبين المانيا الغربية لاعادة العلاقات بين شطرى المانيا ، وذلك ردا على اقتراح **كيزنجر** باجراء مفاوضات على مستوى وزراء الدولة لهذا الغرض ، الا ان الشقة لاتزال بعيدة بين البلدين ، اذ اكد كيسنجر بعد صدور الاعلان الالمانى الديموقراطى بأنه لن يرسل مبعوثه الى اى اجتماع يشترط الالمان الشرقيون فيه بحث مسألة اعتراف بون بالمانيا الشرقية .

ويرى المراقبون السياسيون الاشتراكيون ان المانيا الفيدرالية انما تواصل بهذا العمل موقفها العدائى القائم على عدم الاعتراف بالامر الواقع فى اوربا وعلى تجاهل وجود جمهورية المانيا الديموقراطية الاشتراكية ، كذلك ترى الدوائر الاشتراكية الاوروبية والدوائر السياسية الالمانية الديموقراطية ، ان الدعوة الى توحيد جمهورية المانيا الديموقراطية الاشتراكية، مع المانيا الغربية الاستعمارية الرأسمالية مطلب غير واقعى فى الظروف الراهنة ، اذ يستحيل ان تنتكس المانيا الديموقراطية لتخضع من جديد للرأسمالية والاستعباد والاستغلال الرأسمالى ، كما يرون ان خلق المانيا موحدة تحت السيطرة الامبريالية لا يهدد الالمان وحدهم ، بل يطيح بأمن اوربا بأجمعها بسبب النوايا الانتقامية العدوانية للالمان الغربيين . ولذا فالاعتراف بالمانيا الديموقراطية وتدعيم كيانها الدولى يتمشى مع مصلحة استتباب الامن الاوربى وحركات التحرر الوطنى فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

هذا فى حين تهدد المانيا الفيدرالية بسياستها الحالية الامن والسلام فى اوربا والعالم بسبب مطامعها الاقليمية فى تشيكوسلوفاكيا وبولنده ، ورفضها الاعتراف بحدود **الاودرنيس** القائمة ، ومطامعها التوسعية فى بلدان العالم الثالث ، والضغوط التى تمارسها من اجل اعادة توزيع الاسواق ، ولذا لايبدو فى الافق القريب امكان الوصول الى اتفاق بين الدولتين الالمانيتين حول المشاكل الرئيسية المعلقة بينهما .

جيفارا .. البطل والمفكر السياسي والقدوة الثورية



حسم الزعيم الثوري الكوبي **فيدل كاسترو** رئيس حكومة كوبا ، حالة القلق على مصير الزعيم الثوري الامريكي ــ اللاتيني **ارنستو شي جيفارا** الذي ترددت الانباء اخيرا عن مصرعه فى بوليفيا . اذ اوضح كاسترو فى خطاب هام القاه بهذه المناسبة : « ان الانباء المحزنة الاليمة عن مقتل الزعيم الثورى ارنستو جيفارا صحيحة » و « ان الاخبار الواردة من بوليفيا اشارت الى ان شخصا هرب من مجموعة حرب العصابات التى يقودها جيفارا ، وأبلغ سلطات بوليفيا عن مكان هذه المجموعة . وقد تحركت قوات ضخمة من جيش بوليفيا بعد فرار هذا الشخص بأيام قليلة الى المنطقة التى يوجد فيها جيفارا ، حيث سقط فى يدها » .

واتهم كاسترو حكومة بوليفيا باغتيال جيفارا بعد ان القت القبض عليه حيا . وقال ان خوف الجيش البوليفى منه هو الدافع الى قتله بعد أسره . وان جيفارا حتى وهو ميت ، مصدر خوف اكبر لهم ، ولذلك فقد اخفوا رماده . كما تقرر اعلان الحداد العام فى كوبا ثلاثة ايام ، وتنكيس الاعلام ٣٠ يوما فى جميع انحاء البلاد ، واعتبار يوم ٨ اكتوبر الذى قتل فيه جيفارا « **يوم الفدائى البطل** » .

ولقد قام ارنستو جيفارا بدور مشهود فى الثورة الكوبية . اذ كان احد اربعة رجال وقع على عاتقهم قيادة حركة تحرير كوبا ، وتحقيق أهداف الثورة . وهم **فيدل كاسترو** قائد الطابور الاول ومعه **راؤول كاسترو** . **وارستو شي جيفارا** قائد الطابور الثانى ، **وكاميللو سيينفويجوس** قائد الطابور الثالث ، يعززهم نضال **جوان الميدا** الذى اتجه الى شرق كوبا لمحاصرة سانتياجو دى كوبا .

أهمية النصر فى سانتا كلارا

والحقيقة ان النصر الذى حققه جيفارا فى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٥٨ ، باستيلائه على مدينة **سانتا كلارا** ، وعلى قطار مشحون بالاسلحة ، كان حدثا هاما فى تاريخ الثورة الكوبية ، اذ لم يكد يمضى يومان على هذا الحادث حتى هرب **باتيستا** (الدكتاتور الخادم للولايات المتحدة) من البلاد ،

وفي صباح ٣ يناير عام ١٩٥٩ كان جيفارا وسيينفويجوس قد استوليا على هافانا . واصدر كاسترو مرسوما يمنح جيفارا الجنسية الكوبية . ذلك أن جيفارا ارجنتيني الاصل ، تمتزج في عروقه الدماء الاسبانية (من ابيه) ، والايرلندية (من أمه) ، والامريكية (من جدته لامه في كاليفورنيا) . وقد ظهرت اهتماماته العامة منذ الطفولة وفي وقت مبكر ، حينما كان يشتبك في مناوشات مع اقرانه الصغار الذين يؤيدون جوان بيرون ديكتاتور الارجنتين الاسبق ، وعندما ينمو بسنه ووعيه تتحول هذه المناوشات الى معارك ضدهم وقد اتجه جيفارا في موطنه لدراسة الطب والجراحة ، وفي نفس هذا الوقت ، كان يشترك في الحركة الثورية الارجنتينية , وعندما يطلب اليه الالتحاق بجيش بيرون ، يرفض ويدعو الى التمرد فتضيق عليه السلطات الخناق فيرحل الى جواتيمالا . وكان بها حكومة وطنية يسارية ايام الرئيس جوزمان الذي كان محط آمال الثوريين وموضع سخط العناصر الرجعية وقوى الامبريالية . وشغل هناك منصبا صغيرا في الاصلاح الزراعي حتى نجحت المؤامرة الامريكية لاسقاط الحكم الوطني ، فغادر جيفارا جواتيمالا ليقوم بجولة واسعة في القارة الامريكية ، في بوليفيا . واكوادور . وبيرو ، وبنما ، وكوستاريكا ليشارك في جميع الحركات الثورية في هذه الدول . وينتهي به المطاف في المكسيك . وهناك يلتقي بفيدل كاسترو الذي يدعوه للانضمام الى حركته من اجل تحرير كوبا .

وفي ٢٦ نوفمبر عام ١٩٥٦ غادر كاسترو المكسيك وفي صحبته جيفارا على ظهر اليخت « جرانما » ليبدأ حملته للاطاحة بالدكتاتور باتيستا ، وهي الحملة التي انتهت بانتصار الثورة ودخول هافانا في ٣ يناير ١٩٥٩ . وغداة سقوط باتيستا عين فيدل كاسترو ، جيفارا قائدا للمقاطعة التي كان جيشها الثوري تابعا لحزب « التوجيه الثوري » (الديركتوار) ، لان كاسترو كان يرى انه لايمكن ان يوجد في كوبا سوى جيش واحد . ثم عين جيفارا بعد ذلك وزيرا للصناعة ، بالاضافة الى عضويته في الهيئات القيادية العليا « لحزب الثوره الاشتراكية الموحد » (الحزب الشيوعي الكوبي) . وقام جيفارا منذ توليه وزاره الصناعة برحلات عديدة الى خارج بلاده ، وفي ديسمبر ١٩٦٤ رأس وفد بلاده في الجمعية العامة للامم المتحدة ، وقد جاء الى القاهرة ست مرات آخرها قبل اختفائه بقليل وكانت اهم زياره له واخطرها ، جاء فيها ليتعرف على حقائق الوضع الثوري في بلادنا وفي افريقيا عامة ، اجتمع فيها بالعديد من المثقفين والمفكرين واجرت معه الطليعة حينذاك « ندوتها التي نشرت في العدد الرابع (ابريل ١٩٦٥) ، وطار بعدها الى الجزائر ليلقى بحثا هاما في المؤتمر الاقتصادي الاسيوي الافريقي الذي انعقد هناك ، ثم زار تانزانيا وغانا ، وغينيا ، والكونجو برازافيل ، وعاد الى القاهرة في طريقه الى هافانا . ثم اختفى بعدها . وثارت تساؤلات عديدة حول اختفائه حتى اعلن كاسترو في يوليو ١٩٦٥ رسالة جيفارا التي كشف فيها رحيله الى « ميادين جديدة للمعارك » « لان بلادا اخرى في العالم تحتاج الى خدماتي المتواضعة » . وظلت قصة اختفاء جيفارا تمثل موضوعا يوميا في أغلب وكالات الانباء والصحف العالمية حتى جاء اجتماع مؤتمر تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الذي انعقد في هافانا في ابريل الماضي والذي قرر انتخاب ارنستو جيفارا رئيسا للمؤتمر في غيابه ، مع منحه جنسية « مواطن امريكا اللاتينية » وهو المؤتمر الذي ارسل اليه جيفارا بوسائله السرية ، رسالته المشهورة التي تعرف باسم « دراسة للموقف الثوري في العالم » التي نشرتها الطليعة في عدد يونيو ١٩٦٧ .

التحليل الاخير للموقف العالمي

وتعد هذه الرسالة عن حق ، صرخة ثورية للمقاومة ازاء العنف الاستعماري المتزايد ، ودعوة للشجاعة الثورية الدولية في مواجهه ابتزاز الولايات المتحدة للشعوب عن طريق ابتزاز القوة ، كما تحوى خلاصة افكار جيفارا وتصوره للمعركة الثورية العالمية : ابعادها واحتياجاتها الراهنة .

ومن أهم ما يراه جيفارا في هذه الرسالة ، ان « بؤرة التناقضات مركزة الان في اراضي الهند الصينية وفي البلاد المجاورة لها » وان المواجهة في فيتنام اخذت صفات خاصة ، واتسمت بأقصى درجة من الحدة . وقد وجه جيفارا في رسالته نقدا ضمنيا للموقف العام للسوفييت والصينيين الاولين لانهم « ترددوا في الساعة الحاسمة من ان يجعلوا من ارض فيتنام الاشتراكية ، ارضا مصونة لا تمس » ، والاخرين لانهم « لا يزالوا يستمرون في حرب الشتائم » . الا ان تفحص ذلك الانتقاد على اي حال ، يمكن ان يلقى لنا الضوء على حقيقة فكر جيفارا وعلى حقيقة اتجاه ميوله في معركة الصراع العقائدي الصيني — السوفيتي الحالي ، لانه في حين ينتقد السوفييت على موقف سياسي وعسكري يرى ضرورة وجوب اتخاذه ، ينتقد الصينيين على اسلوب وحرب الشتائم في الصراع .

[illegible] هو المحور الذي ينبغي

علينا ان نؤديه نحن **المستغلين فى هذا العالم ؟ »** فأنه يوضح ان المثل الفيتنامى ملىء بالدروس بالنسبة لشعوب العالم الثالث ، « فليس من **رد سليم وصحيح** على ابتزاز الامريكيين بنشوب الحرب ، سوى **عدم الخوف منها** . على الشعوب

ان تقيم تكتيكها العام على اساس الهجوم فى شدة ودون هوادة فى كل موقع من مواقع المواجهة » . والملحوظ فى هذه الرسالة انه يركز على خطورة الوضع فى آسيا ، وعلى خطورة الموقف الامريكى من جمهورية الصين الشعبيةبالذات . اذ يرى «ان

خطــاب « جيفــارا »

الى « كاســــترو »

ارســل جيفارا خطابا الى فيــدل كاسترو قبل أن يغادر كوبا ليواصــل نضاله فى أماكن أخرى من العالم . وفيما يلى نص الخطاب :

فيدل ...

اننى اتذكر فى هذه اللحظة اشياء كثيرة ، عندما التقيت بك فى منزل ماريا انتونيا ، وعندما عرضت على المجىء الى كوبا ، والانشغال الشديد بالاستعدادات .

سئلنا ذات يوم ، عمن ينبغى ابلاغه بخبر وفاتنا ، فيما لو طوانا الموت ، واعترتنا الدهشة جميعا ، من امكان حدوث ذلك بيد انا عرفنا فيما بعد ، انه كان من الممكن فعلا ان يحدث ، وانه فى حالة الثورة (خاصة اذا كانت ثورة اصيلة) فاما ان ينتصر الانسان ، او يموت . وقد سقط كثير من الرفاق على طول الطريق الى النصر .

واليوم يكتسب كل شىء طابعا اقل درامية ، لاننا اصبحنا اكثر نضجا ، ولان الاشياء نفسها تتكرر . اننى اشعر بانى اديت ذلك الجزء من واجبى ، الــذى كان يربطنى بالثـورة الكوبية على ارضها ، واستاذنك ، الان فى الرحيل ، واستاذن الرفاق ، واستاذن شعبك الذى اصبح شعبى ، لاقول لكم جميعا : وداعا .

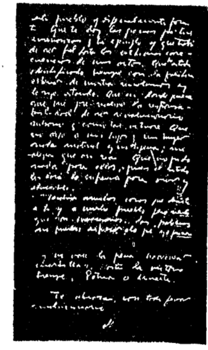
اننى اتخلى رسميا عن مهامى فى قيادة الحزب ، ومنصبى كوزير ، ورتبتى كميجور ، وجنسيتى الكوبية . لم تعد تربطنى بكوبا اية روابط رسمية ، سوى روابط من نوع آخر ، لايمكن للتحديدات الرسمية قط ، ان تفصمها .

عندما استعرض سنوات حياتى الماضية ، اعتقد اننىعملت بامانة واخلاص كافيين ، من اجل دعم انتصار الثورة . ان خطئى الوحيد الذى يتصف بالاهمية ، هو اننى لم استودعك ثقة اكبر منذ اللحظات الاولى فى سييرا مايسترا ، ولم اتبين بسرعة ميزاتك كقائد وثورى. لقد عشت اياما رائعة، وشعرت الى جوارك بالفخر ، لانتمائى الى شعبنا فى الايام العظيمة والحزينة معا لازمة الكاريبى .

انها لاحوال نادرة ، تلك التى استطاع فيها سياسى ان يتالق.تالقك العظيم السامق فى تلك الايام،وانىفخورايضا،باننى سرت فى طريقك دون تردد ، وبان اسلوبى فى التفكير ، ورؤية الاخطار ، وتقدير المبادىء ، طابق اسلوبك ورؤيتك وتقديرك.

ان بلادا اخرى فى العالم تحتاج الى جهودى المتواضعة ، وانا استطيع القيام ، بما لا تستطيع أنت ، بسبب مسئوليتك فى قيادة كوبا ، أن تقوم به . والآن حلت ساعة الفراق .

واريدك ان تعلم اننى راحل وانا اشعر بمزيج من المسرة والالم ، واننى اترك ورائى هنا أعظم آمالى فى التشييد والبناء ، واعز احبائى ، اترك شعبا اتخذنى ابنا له ، الامر الذى يمزق



صورة زنكوغرافية لجزء من خطاب جيفارا

نفسى من هذه الناحية . اننى ساحمل معى الى ميادين جديدة للمعارك ، ذلك الايمان الذى زرعته فى نفسى ، والروح الثورية لشعبى ، وتلك الرغبةفىتحقيق اكثر الواجبات قدسية : الكفاح ضد الامبريالية اينما وجدت ، ذلك يحمل لى الكثير من العزاء، ويخفف كثيرا ما بالنفس من تمزق .

واكرر مرة اخرى ، اننى اعفى كوبا من اية مسئولية . فيما خلا مسئولية التنكب عن طريقها الذى فيه تسير ، واذا دنت ساعتى تحت سماوات اخر ، فان هذا الشعب ، وانت بنوع خاص ، ستكونان موضع تفكيرى قبل ان الفظ النفس الاخير، اننى اشعر بالامتنان ازاء الدروس التى علمتنى اياها، وازاءك كقدوة لى ، وساحاول حتى آخر عمل انجزه ، ان اظل وفيا لهذه الدروس ولك . لقد وحدت فكرى وعملىدوما، مع السياسة الخارجية لثورتنا ، وانى اواصل فعل ذلك ، وحيثما وجدت ، سأتحسس دوما مسئولبتى كثورى كــوبى ، وسأتصرف دوما على هذا النحو . اننى لم اترك اى شىء يتعيش منه اطفالى وزوجتى . وهذا لا يثير فى نفسى ، الحزن، بل اننى حتى مسرور بذلك . اننى لا اطلب لهم اى شىء ، بما ان الدولة ستقدم لهم مايكفيهم ليعيشوا ويتعلموا . كنت اود ان اقول اشياء كثيرة لك ولشعبنا ، ولكنى اشعر ان ذلك ليس بالامر الضرورى ، والكلمات اعجز من ان تعبر عما يجول بخاطرى ، وعلى ذلك ، فليس هناك من داع للاسراف فى استعمال الورق .

فالى النصر دائما : الوطن او الموت

اعانقك بكل ما املك من حرارة ثورية »

هذا الوضع المزدوج الذى يتمثل فى تلك المصلحة الاستراتيجية الهامة للولايات المتحدة) الخاصـة باحاطة جمهورية الصين الشعبية عسكريا ، والذى يتمثل ايضا فى الطموح الذى تبديه الاموال الامريكية لاقتحام تلك الاسواق الواسعة (اسواق الصين) .

وهى ماتزال بعيدة عن سيطرتها ، هذا الوضع المزدوج يجعل من آسيا **اشد مواقع العالم الحالى انفجارا** ، على الرغم من هـذا الاستقرار المظهـرى خـارج المنطقـة الفيتنـاميـة »

كذلك يرى « أن الشرق الاوسـط ، له تناقضاته الخاصة به ، فالوضع فيه شديد الغليان ، بغـير ان يكون فى وسعنا التنبؤ بالابعاد التى سـوف تتخذها تلك الحرب الباردة بين اسرائيل يساندها الاستعمار وبين البلاد التقدمية فى المنطقة . ان الشرق الاوسط بركان آخر من البراكين التى تهدد العالم » .

أما **افريقيا** فيرى أنها «تشكل الاحتياطى الطويل المدى على مستوى المخـططات الاستراتيجيـة للامبريالية الامريكية » ، وان الوضع فى روديسيا قد يصبح « شديد الانفجار ، اذا تبلورت جهود الوطنيين السود على حمل السلاح ، واذا ساندت الامم الافريقية المجاورة تلك الحركة بصورة فعالة الا أن كافة تلك القضايا لا تزال تناقش حتى الان فى منظمة الامم المتحدة والكومنولث ومنظمةالوحدة الافريقية ، وهى منظمات مجردة من الفاعلية » وهو يرى « ان تطور افريقيا سياسيا واجتماعيا **لاينبىء عن تمخض حالة ثورية على صعيد القارة**». الا انه يوضح انه « سوف تبزغ فى افريقيا مرحلة جديدة ، عندما تبادر الجموع السوداء فى افريقيا الجنوبية ، وفى روديسيا بشن معركتها التحريرية الحقيقية، او عندما تبدأ الجماهير الغفيرة بالعمل على اقتلاع حقها فى الحياة الكريمة من الاقليات الحاكمة » .

أما **امريكا اللاتينية فيرى** « ان الغالبية الكبرى من بلادها ، قد نضجت للكفاح المسلح » وهو يضع على عاتق هذه القارة مهمة ضخمة : « دور بالغ الاهمية : **عليها ان توجد على البسيطة فيتنام ثانية او فيتنام ثالثة او فيتنام ثانية وثالثة** » .

ويطلب جيفارا ايضا ضرورة القيام بمواجهـة تحريرية عالمية ضد عدوان الامبريالية العالمية :

« علينا ان ندرك ان الامبريالية تشكل فى آخـر الامر **نظاما عالميا** يمثل آخر مرحلة للرأسمالية . ويستدعى القضاء عليه ان ندخل فى **مواجهة عالمية**. يجب ان يكون هدف تلك المعركة الاستراتيجى ، القضاء على الامبريالية . اما بالنسبة لنـا نحن الشعوب المستغلة والمتخلفة ،فعلينا ازالةالقواعد التى تتعيش الامبريالية منها : بلادنا المقهورة التى يستمدون منها بأبخس الاثمان ، الاموال والمواد الاولية والفنيين والعمال ، ويصدرون اليها أموالا أخرى ـ وسائل التسلط ـ والاسلحة والسـلع على اختلاف أنواعها ... لنكون التابعين لهم فى خضوع مطلق . اما العنصر الاساسى فى هـذا الهدف الاستراتيجى فهو تحرير الشعوب تحريرا حقيقيا يتم فى أغلب الحالات بالكفاح المسلح الذى سيتخذ حتما فى امريكا سمات الثورة الاشتراكية» .. وفى العالم الثالث عموما « ليس هناك اية تغييرات اخرى يمكن اجراؤها ، اذ ليس أمامنـا سوى الثورة الاشتراكية او **مسخ من الثورة** » .

« يجدر بنا ونحن نفكر فىالقضاء على الامبريالية ان نحدد رأسها : الولايات المتحدة الامريكية ... ويجب الا نقلل من قوة العدو . فالجندى الامريكى له من القدرات الفنية وتسانده الوسائل الضخمة التى تجعل أمره مخيفا . أما ما يفتقده اساسا هذا الجندى الامريكى ، فهى تلك الارضية الفكرية التى يتميز بها الى أعلى مستوى ، اعدائه الحاليين : الجنود الفيتناميين ، لن نستطيع التغلب على الجيش الامريكى الا بقدر ما ندك روحه المعنوية دكا بما ننزله به من هزائم وما نسقيه من الالام المتكررة » .

واذا كان العديد من المناضلين يتساءلون عن الموقف الذى يجب على شعوب العالم الثالث ان تتخذه فى الصراع الصينى ـ السوفيتى ، يجيب جيفارا : « لا نستطيع نحن المسلوبى الحقوق ان نتحيز لشكل وآخر من اشكال التعبير عن الخلافات لما يصطحب الدفاع عن كل رأى منها من شدة وعنت ، حتى وان اتفقنا مع بعض المواقف التى يتخذها فريق او آخر ، بل **وحتى ان كان اتفاقنـا مع فريق على قدر اكبر من الفريق الاخر** » والعبارة الاخيرة توضح ان جيفارا لا يتخذ موقف الحياد من الصراع الفكرى الموضوعى القائم .

وتقوم خطة جيفارا التحريرية على اساس : « القضاء على الامبريالية بازالة أقوى قلاعها ، اى القضاء على التسلط الامبريالى للولايات المتحـدة الامريكية ، ولتكن خطتنا التكتيكية تحرير الشعوب تدريجيا ، شعبا بعد شعب او مجموعة من الشعوب بأكملها ، فنحمل العدو على هذا النحو ، على خوض معركة وعرة بعيدا عن ارضه ، ولنصفى قواعد وجوده وهى الاراضى التابعة » ، « ان عملنا كله

يتركز فى صرخة الحرب ضد الامبريالية ، وفى نداء مدوى توجهه لوحدة الشعوب ضد الولايات المتحدة الامريكية عدو الجنس البشرى الاكبر » .

العمل الثوري الفوري

« لا انتظار » الظروف المناسبة

والحقيقة ان احد الافكار الرئيسية لجيفارا والكاستروين بعامة ، هو رفض الانتظار حتى تتحقق تلك العبارة التى تلوكها كثيرا احزاب اليسار فى امريكا اللاتينية عن « توافر الشروط الموضوعية اللازمة للثورة » اذ ينبغي فى نظرهم البدء فى الكفاح السياسى والمسلح الواعي على الفور ، فبذلك فقط تتوفر القدرة الثورية ، والظروف المهيأة لتحقيق ثورة ناجحة . ان كاسترو ورفاقه وحركته العامة هي التى اثبتت انه يمكن القيام فى امريكا اللاتينية بثورة ناجحة ؛ فى حين كانت الاحزاب الشيوعية التقليدية هناك تقبع منتظرة ما تسميه بضرورة توافر الظروف الموضوعية للثورة » . وفى حوار جيفار مع الطليعة يوضح أن التجربة الكوبية قد « اثبتت بالتجربة العملية امكانية تخلص البلاد المتخلفة من قبضة الاستعمار حتى اذا لم تتحقق جميع الشروط الموضوعية والذاتية للثورة » ، مع الاعتراف « بأن الاقدام على العملية الثورية يشكل فى حد ذاته عاملا موضوعيا وهذه مسألة حاسمة » . ومن الانتقادات التى وجهها جيفارا خلال هذا الحوار للحزب الاشتراكى الشعبى وهو الحزب الشيوعى القديم فى كوبا . ان « خطأه الاساسى هو عجزه عن التعمق فى ادراك مدى انتشار الحركة الثورية والامكانيات التى يتيحها النضال ، لذا فقد ظل متخلفا عن الحركة الكبيرة التى قامت بقيادة فيدل كاسترو ، ثم تبين هؤلاء الرفاق بعد ذلك شرعية وثورية قيادة كاسترو . وبدانا نعمل سويا وساهم اصدقاؤنا الاشتراكيون فى هذا العمل المشترك بايديولوجيتهم المحددة وهى حصيلة خبرة ونشاط امتد ٣٠ او ٤٠ سنة ونشاط كبير فى الكفاح ضد الامبريالية » .

تصفية التواطؤ الضمني

مع المستعمرين الغربيين

ويكشف جيفارا فى دراسته التى قدمها الى مؤتمر جنيف للتنمية والتجارة ، النقاب عن لعبة « السوق العالمية » التى ينشئها النظام الراسمالى العالمى ، ويمارس من خلالها استغلال الدول النامية بعلاقات تجارية غير متكافئة . ويشير فى هذه الدراسة بصراحة وموضوعية الى قضية العلاقات التجارية بين الدول الاشتراكية الصناعية المتقدمة ، والدول النامية . هذه العلاقات التى تخضع لنفس الشروط التي تفرضها « السوق العالمية » . . .

« عندما تتعامل البلدان النامية تجاريا مع البلدان الاشتراكية ، تستفيد هذه الاخيرة من الواقع الذي يتحكم فى السوق العالمية لانها — اى البلدان الاشتراكية — بوجه عام ، دول تصدر السلع المصنعة ، وتستورد المواد الاولية . ويجب ان نعترف بصدق وشجاعة بأن الامور تجرى على هذا الشكل ، وعلينا ان ننوه بنفس الصدق والشجاعة ، بأن البلدان الاشتراكية ليست هى المسئولة عن هذا الواقع (لان نصيب هذه البلدان من المواد الاولية التى تصدرها البلاد النامية لا يتجاوز الـ ١٠٪) . وانه لاعتبارات تاريخية ، وجدت هذه الدول الاشتراكية نفسها مرغمة على القبول ضمن اطار علاقاتها التجارية ، بالشروط التى كانت سائدة فى السوق العالمية والتى نتجت عن تحكم السيطرة الامبريالية على الاسواق الداخلية والخارجية للبلدان التابعة لها (المستعمرات) .. وليست هذه العلاقات هى الاساس الذى تبنى عليه البلدان الاشتراكية تجارتها طويلة المدى مع البلاد النامية ، وهناك ادلة عديدة تثبت ذلك وبوجه خاص مثال كوبا . اذ نجد ان الاتحاد السوفيتى قد التزم بموجب الاتفاق على الاسعار الذى عقده معها على « شراء كميات متزايدة من انتاجنا الاساسى بأسعار ثابتة وعادلة لفترة تمتد حتى عام ١٩٧٠ » . ولا يعتقد جيفارا عامة ، « ان صيغة التبادل التى تطبق حاليا فى العالم تحمل فى ثناياها العدالة » . « انه ليس معقولا ان تواجه البلاد النامية عبء ديونها المتزايدة ، فى وقت ترفض فيه طلباتها العادلة ، فى وقت تمنى فيه بالخسارة الفادحة نتيجة تدهور صيغ التبادل التى استنزفت اموالها ، والتى زادت من قيمة استثمارات القوي الراسمالية . وان البعثة الكوبية تقترح ان توقف **البلاد النامية دفع فوائد ديونها** ، ما دامت اسعار المواد التى تصدرها لم تصل الى مستوى كاف يعوض عليها الخسائر التى اصابتها خلال السنوات العشر الاخيرة » .

وقد تساءل جيفارا فى خطابه فى مؤتمر الشعوب الافروآسيوية المنعقد فى مدينة الجزائر عام ١٩٦٥ تساؤلا هاما يتعلق بذلك الوضع عامة : « كيف يمكن ان نسمي تبادلا « للصالح المشترك » بيع

منتجات خام تكلف الدول المتخلفة جهودا وآلاما لا حدود لها ، بأسعار السوق الدولية ، فى مقابل شراء آلات تنتجها مصانع ضخمة تعمل بالاوتوميشن؟

« لو اننا اقمنا علاقات من هـذا الطراز بين الدول الاشتراكية والدول النامية ، لتعين علينا ان نقول ان الدول الاشتراكية تتواطأ الى حد ما مع الاستغلال الاستعمارى » .

« يجب على الدول الاشتراكية ان تلتزم معنويا بتصفية هذا التواطؤ الضمنى مع الدول المستغلة فى الغرب » .

وفى كتابه « **الاشتراكية والانسان فى كوبا** » يرى « أن مجموع الاجراءات التى نقترحها على الدول النامية للنهضة باقتصادها ، لا يمكن ان تتخذ من جانب واحد . يجب ان يكون مفهوما انه يتعين على الدول الاشتراكية ان تشارك فى دفع تكاليف التنمية فى الدول المتخلفة . يجب ان تسـود بين مجموعتى الدول الاشتراكية والنامية ، علاقات مبنية على سياسة جديدة جادة تماما » .

بناء الاشتراكية بحوافز الرأسمالية

ولعل من اخطر آراء جيفارا ، ارائه عن قيمة واثر الحوافز المادية فى البناء الاقتصادى الاشتراكى وفى المجتمع الاشتراكى وفى تكوين الانسان الاشتراكى ، وآرائه فيما يتعلق بالنتائج المترتبة من اعطاء فرصة اكبر لعمل قانون القيمة فى البلاد الاشتراكية . وهو يرى انه بعد الحرب العالمية الثانية اقيم نظام سوفيتى فى جميع البلدان التى حررت فى اوروبا الشرقية . « وكانت هذه البلدان تتفاوت فى مقدار تطورها الرأسمالى ، وكان النظام الذى فرض عليها قد تمت صياغته فى قوانين عامة ، كان الاقتصاديون الاشتراكيون قد صاغوا قوانين التطور الاشتراكى . واخذ الطلبة الماركسيون يرددون ما تعلموه من كتب الماركسية ، وهو **ان القانون الاساسى فى ظل الاشتراكية هو الاستجابة المتصلة لاحتياجات المواطنين المتزايدة** ، ثم يرددون قوانين اخرى عن التخطيط والزيادة المتناسقة والمتعادلة .. ولكننى لا ارى ان هذه التحديدات تعكس حقيقة قوانين التطور الاقتصادى فى ظل الاشتراكية وهى لا تشكل القانون الإساسى ، بل أميل الى الاعتقاد : ان هذه التحديات اقرب الى تبرير الاوضاع او تبرير ما يراد من الاوضاع ، اكثر منها تعبيرا صادقا عن حركتها . ما السبب فى ذلك ؟ »

« تقديرى ان نقاط البداية فى تحليل الوضع ، كانت خاطئة . لا شك ان المجتمع السوفيتى قد انجز المعجزات فى تطوير الوضع الاجتماعى والتكنيكى وقد حقق توزيعا اكثر عدلا . وعبر عن حركة شعب فى حالة ثورة .... ولكن نحن نبدأ بفكرة اخرى هى ان كل مرحلة انتقال . هى مرحلة نضال ، وفى هذه المرحلة يجب ان يكون الاتجاه الغالب هو تصفية القوانين الاساسية للرأسمالية وفرض القوانين الجـديدة للاشـتراكية ، ولكن القانون الاساسى فيما اعتقد ، والذى سينطلق منه بقية القوانين فى النظام الاشتراكى وهو **قانون ايديولوجى** وليس فقط قانونا اقتصاديا ، ان هذا القانون الاساسى **لم يكتشف بعد** . »

« نحن لا نعترف بما يقال عنه انه القانون الاساسى للاشتراكية ... **فقد حاولوا بناء الاشتراكية بحوافز الرأسمالية** ، دون ان يجعلوا لهذه الحوافز قدرتها الكاملة على تحقيق اغراضها المتوفرة لها فعلا فى ظل النظام الراسمالى ، فيفضى الحافز المادى فى ظل النظام الاشتراكى الى زيادة أجر العامل . اما فى النظام الراسمالى فيفضى هذا الحافز الى الجرى وراء الربح واستغلال الاخرين . وبذلك يكون له تأثير اقوى واكثر تكاملا فى ظل الرأسمالية ، اما فى ظل الاشتراكية فتكون هـذه الحوافز غير كافية وغير متكاملة الفاعلية » .

« وما هى مثلا هذه الوسائل المستخدمة فى النظم الاشتراكية التقليدية ، والمأخوذة من النظام الرأسمالى ؟ هناك قانون القيمة ، والفوائد البنكية ، والنقود والحافز المـادى المباشر ، هـذه بعض الامثلة ، ولكن اكثر هذه القوانين اهمية ، هو قانون **القيمة** الذى يوجه الرأسمالية ويتحول فى ظل الرأسـمالية المتطـورة الى قـانون الربح الاقصى . » (١) .

(١) الطليعة ــ حوار مع ارنستو جيفارا ــ العدد الرابع (ابريل ١٩٦٥)

اطلاق حرية قانون القيمة ، اتجـاه نحـو الرأسمـالية

« ونحن نقرأ فى بعض مراجع اكاديمية العلوم الاقتصادية السوفيتية عـن ان هنـاك امكانيـة لاستخدام قانون القيمة استخداما « ذكيا » — وهذا فى رأيى لا يمثل الحقيقة .. لا ادعى انهم عندما يزعمون ذلك انهم سيئو النية ، وانما اقصد انهم اخطأوا التقدير .. والواقع ان قانون القيمة يمكن تشبيهه بجهاز تحديد الارتفاع فى الطائرة .. فهذا الجهاز ثابت مادام يسير فى نفس الارتفاع ، ويتذبذب مع تذبذبات الارتفاع .. وانما هذا الجهاز يعطينى فكرة عن صعود الطائرة قليلا او هبوطها ، بعد ان تكون قد ارتفعت الطائرة فعلا او انخفضت برهة قصيرة .. وهاتان السمتان ، التذبذب وتأخر الاشارة عما تعبر عنه .. تميزان جهاز تحديد الارتفاع فى الطائرة ، وحركة قانون القيمة » .

« وفى السوق يعبر سعر السلعة عن محصلة قوى متصارعة . ولا يعمل قانون القيمة بشكل سليم الا فى سوق حرة تماما . ما الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى ؟ وما الذى يحدث فى كوبا الان ؟ علينا ان نحدد سعر كثير من السلع ، ونستطيع ان نحدد الاستهلاك لكل فرد من السكان .. وبهذا الشكل يكون السوق مقيدا وليس حرا . ومن ثم تحدث ردود فعل كثيرة بسبب المستوى الذى حدد به سعر السلعة والذى قد يختلف عن سعرها الحقيقى حسب قانون القيمة . ولكن المسالة لاتقف عند هذا الحد . اذ اننا لم نبدأ فى النظام الاشتراكى التقليدى بتحديد السعر والاستهلاك فقط .. وانما ينبغى ايضا ان يكون المشروع مربحا . ولكن فى ظل صناعة متخلفة ، فان ذلك يفترض رفع سعر البيع جدا ، وربما ينبغى رفعه فوق المستوى العالمى . وتتكرر الظاهرة ، ففى الاتحاد السوفيتى لاعلاقة على الاطلاق بين السلم المتدرج للاسعار . وبين سلم الاسعار فى السوق العالمى .. ولكن سعر السوق العالمى ، هو انعكاس للتقدم الفنى الذى حدث فى العالم ، ولكميات السلع المنتجة عالميا . وبمعنى آخر ، تمكنت الاحتكارات فى جريها وراء اكبر ربح ممكن ، من ان **تطور تكنيك الانتاج تطويرا ضخما** .. ولكن النظام الاقتصادى السوفيتى وهو نظام مهجن ، ليست لديه الفرصة لفرض تطوير التكنيك بقوة القانون ، ولا لان يرفضه بمقتضى مفعول القوانين الاقتصادية نفسهـا . واليوم تواجه كل البلاد الاشتراكية هذه الصعوبة»

« فماذا حاولوا ان يفعلوا ؟ حاولوا اعطاء فرصة اكبر لتطبيق قانون القيمة . والسماح له باحداث كل فاعليته . بناء على ذلك ، ادخلوا المنافسة من الناحية الفعلية بين المشروعات .. وادخلوا الحافز المادى سواء فى صورته الشخصية او فى صورته الجماعية » .

« لكن تعريف الراسمالية ، هو اطلاق حرية العمل لقانون القيمة ، وكلما اطلقت حرية اكبر لحركة قانون القيمة اتجهنـا مرة اخـرى الى الراسمالية » .

دور القاعدة الاقتصادية فى تخـريب الوعى

والحقيقة ان هذا الموضـوع يحظى باهتمـام واضح من تفكير جيفارا ، ففى كتابه « **الاشتراكية والانسان فى كوبا** » ينبه الى ان : « هناك دائما خطر الدخول فى طريق مسدود بمحاولة تحقيق الاشتراكية باستخدام اسلحة عفنة ورثناها عن الراسمالية (السلعة بوصفها وحدة اقتصادية ، الربحية ، المصلحة المادية الفردية كحافز .. الخ) . والواقع اننا ننتهى الى هـذا المأزق بعـد ان نقطع مسافة طويلة تتشابك فيها الطرق الفرعية حتى اننا لا ندرى فى اى لحظة اخطأنا الطريق . وعندئذ تكون القاعدة الاقتصادية قد قامت بدورهـا فى تخريب عملية تطوير الوعى « **ان بناء الشيوعية يستدعى تغيير الفرد نفسـه مع تغيير القاعدة الاقتصادية** » .

« ومن هنا لابد من اختيار سليم لاداة تجنيد الجماهير . يجب ان تكون هذه الاداة فى جوهرها ، اداة معنوية دون تجاهل الاستخدام السليم للحافز المادى ذى الطابع الاجتماعى اساسا . لاشـك انه من السـهل اللجوء الى الحوافز المعنوية فى لحظات اشتداد الخطر ولكن الحفاظ على هذه الحوافز يستدعى تنمية قيم جديدة فى المجتمع ، يجب ان يتحول المجتمع فى مجموعه الى مدرسة كبيرة » . للقيم الجديدة .

القـانون الايديولوجى أسـاسى الاشتراكية ، لا القانون الاقتصادى

« وفى كلمة اخيرة — نحن نعتقد ولا نستطيع

ان تجزم ، ان القانون الاساسي للاشتراكية ، هو قانون التخطيط ، بمعنى ان الانسان قادر لاول مرة ، على فهم قانون التاريخ ، وان يغير الاوضاع القائمة بوعي لكي يخلق المجتمع الجديد .. ومن هنا نعتقد ان **تنمية الوعي هي الشرط الجوهري** . والنقطة الاخيرة **ان تنمية الوعي الاشتراكي متعارضة مع تنمية الحوافز والمصالح المادية المباشرة للافراد** » .

ويرى جيفارا في كتابه « الاشتراكية والانسان في كوبا » « ان تنمية البلدان التي حصلت على تحررها اليوم ، يقع على عاتق البلدان الاشتراكية وان الاشتراكية لن تقوم لها قائمة ، الا اذا حدث تحول في الضمائر يترتب عليه موقف اخوي جديد تجاه الانسانية ، سواء على المستوى الفردي في المجتمع الذي يبنى الاشتراكية او على المستوى الدولي تجاه الشعوب التي تعاني من الاضطهاد الاستعماري » .

.... « والمرحلة الانتقالية التي تجيء في اعقاب الثورة هي — عند جيفارا — مرحلة بناء الانسان الاشتراكي الجديد ، ويرى جيفارا انه **لا يمكن بناء القاعدة المادية للاشتراكية ، بدون تنمية الوعي الاشتراكي** . ومعنى ذلك **ان القانون الايديولوجي هو القانون الاساسي في البناء الاشتراكي وليس القانون الاقتصادي . فليست القاعدة المادية هي العنصر الحاسم في خلق الانسان الجديد ، وانما** الوعي ، ذلك ان الوعي الاشتراكي هو الاساس ، وهو الذي يشكل مسلك ونشاط الانسان الجديد .

ومهمة المرحلة الانتقالية عند جيفارا هي تنمية الوعي ومفهوم التضحية والبطولة والشجاعة على الدوام ، فلابد من مطالبة العمال مثلا بالتضحية في سبيل مصلحة المجموع . أي في سبيل الثورة العالمية ، وبدلا من توزيع المكافآت المالية على هؤلاء العمال الاشتراكيين ، فان عليهم ان يتذكروا مقتضيات الثورة الاشتراكية العالمية ، ويبذلوا التضحية في سبيل الكونجو وفيتنام . هنا يصبح الدافع وراء حركة وسلوك الانسان الجديد هو « **الوعي** » وليس المصلحة الاقتصادية او الجزاء المادي .

ويرى جيفارا في « الاشتراكية والانسان في كوبا » ، ان الاشتراكية تمر بمرحلة انتقالية ، فقد كان الرأي السائد من قبل ان الاشتراكية تمثل مرحلة تالية لنضج الظروف الاقتصادية في المجتمع الرأسمالي وبلوغها ارقى مستويات التقدم الفني ، ولكن الذي حدث هو ان الثورة قامت في دول متخلفة ، وفي نفس الوقت لاتزال هناك شعوب كثيرة ترزح تحت نير القهر الاجنبي والعبودية . فهل تسعى الثورة في البلد الذي انتصرت فيه الى التفرغ لمصالحها المادية المباشرة بمعزل عن الثورة الاشتراكية العالمية ؟ . **ان الاشتراكية** — عند جيفارا — **هي الثورة الاشتراكية العالمية** .

والاشتراكية ,لابد ان تمر بمرحلة انتقالية يكون الاتجاه الغالب فيها ، هو تصفية القوانين الاساسية للرأسمالية وفرض القوانين الجديدة للاشتراكية . والمهمة الرئيسية التي تواجه هذه المرحلة الانتقالية هي الاعداد للثورة الاشتراكية العالمية وبناء قاعدتها المادية ، وليست هذه المرحلة هي مرحلة البناء الاقتصادي للاشتراكية في دولة واحدة .

رأي في بيرون والحركة البيرونية

ويقيم جيفارا ، **جوان بيرون** دكتاتور الارجنتين السابق ، وحركة « **البيرونستا** » التي يقوم بها انصاره في الارجنتين . : « كنت شخصيا من المعادين للبيرونية في الماضي ، بيرون نتاج ظروف وصراعات معينة في اوضاع امريكا اللاتينية ، كان هناك صراع بين رؤوس الاموال الامريكية والانجليزية والالمانية . كانت انجلترا في حالة تراجع ، وقد آثار الالمان اثناء الحرب ، حركة سياسية — لم يكن بيرون يقودها — تعطف على المحور ، وكانت بعض عناصر هذه الحركة التي تعمل تحت شعار القومية على صلة بالنازي . والارجنتين وكوبا والولايات المتحدة من البلدان التي خرجت دائنة من الحرب العالمية الثانية ، كان لديهم القمح وكان لدينا السكر ، مما سمح لهم خلال هذه الفترة بتحقيق ارباح . وقد وصل بيرون الى الحكم في الارجنتين في هذه الفترة التي تميزت بتدفق الاستثمارات ، مما طور البلاد في اتجاه التصنيع . لم تكن هناك قوانين عمالية آنذاك .. لكنه من الطبيعي ان يوضع تشريع عمالي مع نمو البروليتاريا . وقد فرضت اتفاقات بالنا المحصار على الارجنتين بسبب علاقاتها بالمحور ، وكانت الارجنتين قد تمكنت في هذا الوقت من تحقيق تصنيع نسبي . وقد بلغ بيرون في هذا الوقت قمة شعبيته . وقد برز في وسط هذا النجاح وجه زوجته « ايفا » — وكانت تتعلق بمثل انسانية عامة . » (٢) .

(٢) الطليعة — حوار مع ارنستو جيفارا — العدد الرابع (ابريل ١٩٦٥)

« وهنا نشأ كفاح البروليتاريا الارجنتينية ضد الرأسماليين المحليين ، وحاول بيرون **أن يمسك بالميزان بين الرأسماليين والعمال** ، واصبحت القوى الرجعية تعارض بيرون اكثر فأكثر ، وبعنف متزايد اثناء حكومته الثانية ، متواطئة مع الجيش والبحرية والامريكيين الذين كانت رؤوس أموالهم تتدفق على البلاد . لقد ترتب على ذلك احتكاكات وتصادمات . وقد أوجدت الحركة البيرونية تنظيما عماليا ، فخلقت أسطورة — ومع ذلك فقد **اتسمت حركة البروليتاريا في هذا البلد الغنى ، بنوع من الشلل** ، كانت تنقصها الكفاحية ، والمنظمات النضالية اللازمة ، وقد وجد بيرون نفسه وحيدا ، **ولم يرتق الى مستوى مواجهة الموت** . بل هرب **وهو ليس بطلا بالتأكيد** ، لكنه كان رجلا ذكيا . **قد ينقصه الايمان السياسى ، لكنه يتمتع بكفاءة لا شك فيها في المناورة** . وقد نجح في **التأثير على الجماهير** وفي خلق اسطورة ، وعرف كيف يخلق اجواء مشهودة تأخذ بالالباب ... بيد ان مما لا شك فيه ان بيرون لم يكن الرجل القادر على اتخاذ القرارات الكبيرة ومواجهة الازمات مثل أزمة القتال او البحر الكاريبي، لكنه ترك آثاره على الجماهير ،ولم يثبت خلفاؤه،انهم على مستواه باستثناء رجل واحد يدعى **جون كوك** الذى أمضى في كوبا مدة من الزمن » .

رأى في التجربة اليوغوسلافية

وقد قدم جيفارا في حديثه مع الطليعة رأيه في التجربة اليوغوسلافية وهو رأى رد عليه الشيوعيون اليوجوسلاف مفندينه من وجهة نظرهم . وقد نشر الرد اليوغوسلافى على جيفارا على صفحات الطليعة ايضا .

يقول جيفارا « **نحن نعارض اليوغوسلاف تماما** ولا نحب أن نستخدم في هذا الموضوع الكلمات الطنانة ، فنحن لا نتكلم عن المراجعة ، لكننا لانحب ايضا ان نتكلم عن الجمود ، اننا لا نتهم قط اليوغوسلاف بانهم عملاء للامبريالية الخ .. لكننا نعارضهم **وبشكل جذرى** . نحن نعتقد أن هناك شيئين يجب ان نعزلهما عن بعض في التجربة اليوغوسلافية ، هناك **رد الفعل ضد الستالينية ، والاعتراض على فرض الاتحاد السوفيتى لنموذجه الاقتصادى وزعامته** . ومن جانب آخر ، فان فكرة ضرورة ايجاد حلول جديدة فكرة مفيدة بشكل خاص .. لكنهم يلجئون في تجاربهم هذه الى الحوافز المادية الفردية والجماعية ، وهم في ذلك يخلطون بين مسألتين متميزتين ونحن نعتقد انه يجب عزل كل منهما عن الاخرى

(١) مشكلة اشتراك العمال في ادارة وقيادة المؤسسات .

(٢) مشكلة اشتراك العمال في الارباح .

ماذا يحدث في يوغوسلافيا ؟ . السيادة هناك لقانون القيمة .. وحيث يسود قانون القيمة ، فانه يفضى بالاقتصاد الى الرأسمالية ، اى في يوغوسلافيا خطر الاتجاه نحو الرأسمالية ، ولابد أن تنعكس هذه الحقيقة الاقتصادية على موقفها السياسى .

عبرة التعاون الاسرائيلى الاستعمارى

ومن خلال تفحصه لطبيعة الوجود الاسرائيلي في الشرق الاوسط وللمساندة الاستعمارية الغربية التي تحصل عليها اسرائيل ، توصل جيفارا الى حقيقة ملموسة وهامة فيما يتعلق باتحاد وتعاون القوى الرجعية العالمية المعادية لحركة التحرر الوطنى والاشتراكية ، يقول جيفارا : « ان الدول الاستعمارية في تعاونها مع اسرائيل ، تؤكد حقيقة واقعة وهى أن الاستعمار اكثر تعاونا واتحادا فيما بينه ،وصلاته قوية ومتينة بحيث يتصرف ككتلة واحدة ، بينما الدول النامية التقدمية لم تستطع حتى الان ، تحقيق هذه الوحدة بسبب الخلافات والتعارض فيما بينها » .

والحقيقة انه كما يشير العالم النامى المتطلع للحرية والتقدم ،الى فيتنام اليوم باعتبارها مصدرا للامل في قدرة قوى التحرر في البلاد الفقيرة الصغيرة على مقاومة واذلال اعتى القوى الاستعمارية واكثرها عنفا وشراسة ، يشير جيفارا اثناء زيارته الاخيرة لمصر الى ثورة يوليو المصرية كمصدر للامل الهب من قبل نضال شعوب اخرى ودفعها على طريق التحرر : « ان ثورة ٢٣ يوليو وانتصاركم في حرب السويس ، قد امدكم بقوة ضخمة في القتال . فلاول مرة وقفت دولة صغيرة تتحدى دولتين من اغنى دول العالم واقواها ، وهما بريطانيا وفرنسا ولكن مصر انتصرت ، وكان هذا النصر هو املنا ونحن نحارب في الجبال » .

عن الفن والثقافة والمثقفين

لا شك ان وجهات النظر في قضايا الفن والثقافة التى أبداها جيفارا ، انها تكشف عن طبيعة المفكر

الجاد العميق في شخصية هذا المناضل الثوري الذي لا تقف حدود قدراته عند الممارسة الشجاعة المبدعة للكفاح المسلح وحرب العصابات ، وذلك بغض النظر عن اتفاقنا او عدم اتفاقنا الكامل مع بعض وجهات نظره هذه .

فهو يرى « ان الهيكل العلوي للمجتمع يفرض طرازاً من الفن يستلزم عملية تربية واسعة للفنان» ويوضح انه « عندما وصلت الثورة للحكم ، هاجر الذين استأنستهم البورجوازية، اما الثوار وغيرهم فقد تبينوا الطريق الجديد ، **ولكن مفهومات الهروب تخفت تحت شعار « الحرية »** ، وقد استمر هذا الموقف في احوال كثيرة عند الثوريين لانه انعكاس للمثالية البرجوازية في وعيهم . وقد اراد البعض ، في بلدان مرت بنفس ظروفنا ، ان يحاربوا هذه الاتجاهات بالعقائدية الجامدة ، فتحولت الثقافة العامة الى « تابو » مقدس ، واعلنوا ان قمة الطموح الثقافي تتمثل في المحاكاة الكاملة للطبيعة . وتحولت هذه المحاكاة فيما بعد الي تصور آلي للواقع الاجتماعي المطلوب ، اي تصور مجتمع مثالي خال تماما من التناقضات والصراعات »(٣) .

ولما كانت الاشتراكية لا تزال جديدة العهد ، فقد ارتكبت اخطاء . وكثيرا ما نفتقر نحن الثوريون الى المعارف والجسارة اللازمة للقيام بواجب تنمية الانسان الجديد باستخدام اساليب مختلفة عن الاساليب التقليدية الموسومة بطابع المجتمع الذى اوجدها . ولا يوجد لدينا فنانون كبار يتمتعون في نفس الوقت بنفوذ ثورى واسع . وعلى اعضاء الحزب ، الاضطلاع بهذه المهمة فيحاولوا بلوغ الهدف الاساسى الا وهو تربية الشعب » .

وهكذا نلجا الى التبسيط لكى نكون في مستوى يفهمه الجميع ، أي يفهمه العاملون ، فينعدم البحث الفني الحقيقي ، وتتحول قضية الثقافة العامة الي مجرد استيعاب للحاضر الاشتراكي وللماضي المنتهي (الذي لم يعد خطرا) . **وهكذا تنشا الواقعية الاشتراكية على اسس فن القرن الماضي .**

ولكن الفن الواقعي في القرن التاسع عشر هو ايضا فن طبقي رأسمالي خالص ، تماما كما هو الحال بالنسبة للفن الهابط للقرن العشرين الذي يفصح عن قلق الانسان المغترب . لقد بذلت الرأسمالية كل ما في طاقتها في المجال الفني ولم يعد لديها سوى جثة هامدة تزكم الانوف في شكل فن في طريقه الى الافول . ولكن لماذا نزعم ان الواقعية الاشتراكية بقوالبها الجامدة هى الصيغة الوحيدة الصالحة » ؟ .

يجيب جيفارا على ذلك موضحا انه « لا يمكننا ان نضع الحرية في مقابل الواقعية الاشتراكية، لان هذه « الحرية » لن تتواجد طالما لم يتحقق التطور الكامل للمجتمع الجديد ولا داعى لان ندين كل اشكال الفن السابقة للنصف الاول للقرن التاسع عشر من أعلى المنصة الكهنوتية للواقعية المسرفة ، لاننا بهذه الطريقة نضع التعبير الفنى للانسان الذي ينمو وينشأ اليوم في قميص الاكتاف » .

« اننا في حاجة الي تنمية ميكانيزم ايديولوجي ثقافي ، يفتح المجال للبحث وينزع الحشائش الضارة التي تتكاثر بسرعة في حقل المعونة الحكومية الخصب » .

« لم نقع في بلادنا في خطأ الواقعية الدارجة ، ولكننا وقعنا في الخطأ العكسى ، ذلك اننا لم ندرك ضرورة خلق انسان جديد غير انسان القرن التاسع عشر **او القرن الحالى الفاسد الهابط** . علينا ان نخلق انسان القرن الحادى والعشرين .

« ان الخطيئة الاولى للمثقفين عندنا ، هي أنهم ليسوا ثوريين حقيقيين من الممكن انيطعم الانسان شجرة الدردار لكى تعطى ثمار الكمثرى ، ولكن يجب أن نزرع في نفس الوقت اشجار كمثري . وستولد الاجيال الجديدة متخلصة من هذه الخطيئة الاولى ، وكلما اتسع مجال الثقافة وانتشرت امكانيات التعبير ، زادت فرص ظهور فنانين ممتازين . وتتمثل مهمتنا في الحيلولة دون فساد الجيل الحالى الذى تمزقه التناقضات حتي لاتفسد الاجيال القادمة .يجب الا نخلق مأجورين يخضعون للفكر الرسمى ، ولا اصحاب منح يعيشون في ظل المنحة التى حصلوا عليها ويمارسون « حرية » وهمية .وسيظهر الثوار الذين سيتغنون بالشعب بصوت الشعب الحقيقى ، انها مسألة وقت » .

(٣) «الاشتراكية والانسانية في كوبا» ارنستو تشي جيفارا .

القدوة الثورية والانسانية

ان احد مصادر العظمة والروعة في شخصية ارنستو شي جيفارا هي المطابقة الخاصة التامة بين حياته وكلماته . لقد قضى حياة نضالية كاملة كأعظم ما تكون الحياة العامرة بالكفاح والتضحية من أجل الانسانية والثورة .

في الفترة التي قضاها جيفارا في جواتيمالا بعد رحيله من موطنه الاصلى الارجنتين ، وقبل ان يلتقى بفيدل كاسترو بفترة طويلة ، يقع اختياره على فتاة من اهل بيرو فيتزوجها ، ولكن الانفصال يقع بينهما بعد ان تكون قد انجبت له طفلة ، ذلك انها وضعته ذات يوم ذلك الموضع : « اما ان تختارني او تختار طريق الثورة » فاختار جيفارا الثورة . ثم يتزوج جيفارا بعد ذلك ، بالمناضلة الكوبية **اليدا مارش** . ولكنه يترك وراءه ايضا هذه الزوجة واطفالها ، مع « اعز ذكرياته واخلص احبائه » في رعاية الدولة الكوبية ، ليذهب الى « ميادين جديدة للمعارك » .

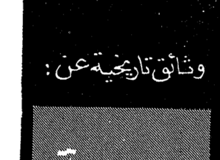
والمناضل الصلب القوى المصمم ، يتحدث مع ذلك وبكل اتساق ، عن مشاعر الحب التي تتملك الانسان الثورى ، فلا يمكن ان يكون الانسان ثوريا حقا — في رأيه — اذا تجرد من مشاعر الحب والاحاسيس العاطفية . الا انه برغم ذلك ، يترك اسرته ويتخلى عن مشاعره ، فكيف يتم هذا التناقض في سلوك هذا المناضل الثورى ؟ . يقول جيفارا : « ان مأساة كل ثورى تبدو واضحة في لحظات معينة عندما تفرض عليه الظروف ان يتخذ قرارات قاسية يمليها العقل المجرد من العاطفة ، قرارات تتعارض مع مشاعره الحارة واحاسيسه الرقيقة ، وعلى المناضل الثورى ، ان يتبع في هذه الحالة ، عقله المجرد من العاطفة ، ويتخذ القرار القاسى الذى يكون مؤلما بالنسبة لهؤلاء الذين يحبهم ، اى اطفاله وزوجته ، فتلك هي التضحية التي تتطلبها قضية الثورة وذلك القرار القاسى هو نصيب الزوجة والاطفال من التضحية حتى يتسنى للازواج والاباء الثوريين المساهمة في صنع التقدم البشرى » وقد اتخذ هو نفسه مثل هذا القرار القاسى مرتين . يقول جيفارا « اذا كان الطفل يبدأ النطق بكلمة بابا ، فأن لقادة الثورة اطفالا لم يتعلموا النطق بهذه الكلمة ، وزوجات القادة هن — في الحقيقة — جزء من تضحياتهم العامة بحياتهم ، من أجل الوصول بالثورة الى غايتها ؟ واصدقاء القادة هم فقط رفاق الثورة ، اذ لاحياة خارج الثورة » .

« لقد حرصنا دائما على الا يحصل اطفالنا الا على ما يحصل عليه الطفل العادى ، وان يحرموا مما يحرم منه الطفل العادى ، يجب ان تفهم أسرتنا ذلك وان تعمل من أجله ، فنحن كقادة ،نعلم اننا يجب أن ندفع ثمنا لحقنا في أن نقول اننا رؤساء لهذا الشعب » .

لقد تخلى جيفارا عن منصبه في قيادة الحزب الشيوعى الكوبى ، وعن رتبته كميجور ، ومنصبه كوزير ، لكى يعود مرة أخرى ، مقاتلا متواضعا في وحدات حرب العصابات الصغيرة ، قد يفجئه الموت في أى لحظة عبر عشرات ومئات المعارك التي يخوضها كل يوم ، وقد فاجأه الموت بالفعل في احداها . وان نموذجه في الحقيقة وعلى هذا المثال لهو من اكثر النماذج الفريدة التي عرفها التاريخ ولاء للثورة وللشجاعة والتكامل الشخصى ونكران الذات . « اذا كنا نحن الذين نقوم بهذا الواجب على تلك البقعة الصغيرة من العالم ، واضعين في خدمة المعركة ، هذا الشيء القليل الذى نستطيع تقديمه . حياتنا وتضحياتنا ، فليس ما يخيفنا أن نلفظ آخر نفس فينا على اى ارض ، وقد اصبحت ارضنا التي روتها دماؤنا . اعلموا اننا قدرنا مدى اعمالنا واننا لا نعتبر انفسنا سوى عناصر في جيش البروليتاريا العظيم » .

انه اكثر من مجرد مواطن لامريكا اللاتينية في الحقيقة، انه المواطن العالمى الجديد . انجيفارا الارجنتينى الاصل ، الكوبى الجنسية ، الشهيد على ارض بوليفيا ،قد جسد باستشهاده على ارض بوليفيا ، المدلول والمعنى الحقيقى لكلماته نفسها: « ان كل قطرة من الدم تسيل على ارض يحميها علم لم تولد في ظله ، هي تجربة يجنى ثمارها كل من يستمر على قيد الحياة ليطبقها بدوره على معركة التحرير في وطنه » . وان سلوكه الثورى والانسانى على نحو اخص، انما هو تعبير رائع عن الانفتاح العظيم للقلب البشرى المعاصر وهو يدخل مرحلة جديدة وارقى من الحضارة ، يتعدى فيها كل الحدود المرسومة المصطنعة خدمة للاخوة الانسانية العالمية الجديدة ، خدمة للنظرة الجديدة الشاملة للبشرية كوحدة انسانية واحدة أساسا، يفرقها فحسب كل ما هو غير انسانى ، كل ما هو شرير وعدوانى . والامر المؤكد ان استشهاد **ارنستو جيفارا** سيخلق دون شك — وعلى اتساع العالم المناضل كله — دفعة فتية من البطولة والفداء وروح التضحية وانكار الذات ، ستحوى الخير كل الخير ، لنضال الطلائع الثورية من أجل تحرير الفقراء والمضطهدين والمستغلين في العالم .

وثائق



وثائق تاريخية عن :

جبهة التحرير الوطنية لفيتنام الجنوبية

٨

البرنامج السياسى الجديد للجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية

تقدم الطليعة فى هذا العدد النص الكامل لوثيقة سياسية هامة هى « البرنامج السياسى الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية » . هذا وستعمل الطليعة باستمرار على امداد قرائها بالوثائق الخارجية التى يمكن أن تزيد من ادراكنا فى الوطن العربى لآفاق وخطوط الحركة التى يسير عليها نضال التحرر الوطنى عالميا فى الفترة الدقيقة الراهنة . والطليعة اذ تقدم هذه الوثيقة الهامة عن فيتنام انما تستهدف توسيع آفاق نظرتنا لهذه التجربة الهامة التى تحظى بالتقدير وبأشد الاهتمام من شعبنا برغم اختلاف الظروف المحلية والعامة التى تحيط بالتجربتين .





انشئت الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية عام ١٩٦٠ على أساس برنامج من عشر نقط ، يهدف الى توحيد الشعب كله فى الكفاح ضد الامبرياليين الامريكيين وصنائعهم .

وقامت الجبهة منذ انشائها بعملية توحيد واسعة لمختلف الفئات الشعبية والاحزاب السياسية والمنظمات والقوميات والطوائف الدينية والشخصيات الوطنية ، من اجل أن نخوض نضالا ضد المعتدين الامريكيين بهدف تحرير الوطن . واستطاعت الجبهة أن تعمق جذورها بين الجماهير الشعبية العريضة . واستطاعت فى نفس الوقت أن تحقق وحدة عمل مع قوى كثيرة سياسية ودينية ، وأن تضم عددا كبيرا من الصناعيين والتجار والموظفين واعضاء فى الحكومة العميلة ، وكذلك الضباط والجنود من بين أولئك الذين يعملون فى جيش الدولة العميلة .

واستفادت الجبهة باستمرار من التشجيع والمساعدة ، اللذان تدعمهما باخلاص مواطنونا فى الشمال ، وكذلك المواطنون المقيمون فى الخارج ، كما تمتعت بمساندة وتأييد يتزايدان قوة على مر الأيام من قبل شعبى البلدين المجاورين كامبوديا ولاوس ، وكذلك من قبل شعوب البلاد الاشتراكية والوطنية وغيرها ــ بما فى ذلك الاشخاص التقدميين فى الولايات المتحدة .

وتحت قيادة الجبهة ، مضى شعب الجنوب من نصر إلى نصر . ولم تكف مكانة الجبهة من الارتفاع سواء فى داخل فيتنام الجنوبية او فى خارجها . ورسخت الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية كممثلة شرعية وحيدة للشعب الباسل فى فيتنام الجنوبية .

واثبتت هذه المنجزات الضخمة صحة خط وسياسة الجبهة ، كما اثبتت أن وحدة شعبنا فى النضال قوة لا تقهر .

وعلى الرغم من الهزائم المنكرة التى تنزل فى الوقت الحالى بالامبرياليين الامريكيين ، لم يعدل هؤلاء الامبرياليون عن اهدافهم العدوانية . فهم يعززون الحرب التى يشنونها ، ويدنسون باقدامهم ارض الجنوب ، ويضاعفون غاراتهم الجوية على الشمال . وليس لهذه الجرائم البشعة التى يرتكبونها من نتيجة الا اشعال نار الحقد فى قلوب أبناء امتنا ، والا دعم ارادة الكفاح الذى لا يهن فى نفوسهم . ولقد تبينت اليوم بوضوح جميع فئات الشعب فى فيتنام الجنوبية ، ومن بينهم من يعملون فى جيش وحكومة الدولة العميلة نفسها ، الطبيعة الحقيقية للامبرياليين الامريكيين ولصنائعهم ، وهم يريدون جميعا ، وقد غلى مرجل الغضب والكراهية فى نفوسهم ، أن يسهم كل واحد منهم بنصيبه فى الكفاح ضد العدوان الامريكى ، ومن اجل تحرير الوطن .

ولم يحدث فى تاريخ وطننا ان شعر شعبنا بمثل هذا الحافز القوى يدفعه الى توحيد صفوفه من أجل سحق العدو وتحرير الوطن . ويحرز شعبنا الانتصارات المتوالية ويحتفظ بزمام المبادرة فى العمليات التى تجرى على أرضنا ، ويقوم بالهجوم . وبما ان الامبرياليين الامريكيين قد فقدوا زمام المبادرة نهائيا واصبحوا فى موقف حرج خطير ، فانهم يعانون اليوم الهزائم المتلاحقة ويتورطون يوما بعد يوم فى مأزق لايستطيعون الخروج منه

وفى مثل هذه الظروف ، وبدافع من رغبتها فى تنمية برنامجها القديم ، تصدر الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية البرنامج السياسى الحالى بهدف توسيع الوحدة الوطنية الضخمة وتعبئة الشعب كله وتحفيزه على المضى قدما فى تصميمه على مقاتلة المعتدين الامريكيين والحاق الهزيمة بهم وبناء فيتنام الجنوبية المستقلة الديموقراطية السلمية المحايدة «المزدهرة»

توحيد الشعب كله ومكافحة العدوان الامريكى من أجل الخلاص الوطنى

١ ــ خلال تاريخه الطويل ، الذى يبلغ عمره اربعة آلاف عام ، عرف شعب فيتنام اكثر من مرة كيف يوحد صفوفه ضد الغزو الاجنبى ، وكيف يحتفظ باستقلاله وحريته .

ومنذ غزو الاستعماريين الفرنسيين لوطننا ، لم يكف شعبنا عن مقاتلتهم كي يحرر نفسه من براثنهم . وفى عام ١٩٤٥ قام شعبنا من الشمال الى الجنوب بثورة اغسطس المظفرة ، وانتزع السلطة من ايدى العسكريين اليابانيين وصنائعهم ، وأسس جمهورية فيتنام الديمقراطية .

وعندما عاد الاستعماريون الفرنسيون لغزو بلدنا مرة أخرى ، خاض شعبنا كفاحا باسلا استمر قرابة تسعة اعوام ، واستمر فى مقاومته الوطنية المقدسة التى ادت الى تحقيق النصر العظيم فى دين بيان فو ، والى تحطيم اهداف عدوان الاستعماريين الفرنسيين وسياسة التدخل من جانب الامبرياليين الامريكيين

وفى مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ، تم الاعتراف رسميا باستقلال فيتنام وسيادتها ووحدتها وسلامة اراضيها ، وكان منتظرا منذ توقيع تلك الاتفاقيات أن يتمتع الشعب فى فيتنام الجنوبية بالسلام يبسط ظلاله على المواطنين فى جميع أرجاء فيتنام ، وأن يبنى حياة حرة سعيدة . ولكن الامبرياليين الامريكيين خرقوا اتفاقيات جنيف ، ونحوا الاستعماريين الفرنسيين جانبا ، واقاموا فى فيتنام الجنوبية نظام حكم من اقسى الانظمة واشدها وحشية ، بهدف تحويل هذه المنطقة الى مستعمرة جديدة وقاعدة عسكرية امريكية ، والابقاء على تجزئة وطننا الى الابد ، والى غزو فيتنام كلها فيما بعد ، والى بسط سيطرتهم على الهند الصينية كلها وعلى جنوب شرقى آسيا .

ولم يتورع الامبرياليون الامريكيون من ارتكاب أية مؤامرة مهما كانت بشاعتها لتحقيق اهدافهم الخسيسة . وعندما هزموا فى « حربهم الخاصة » انتقلوا الى « الحرب المحلية » مستخدمين لاغراض العدوان فى الجنوب اكثر من نصف مليون من جنود القوات الامريكية وجنود الدول الدائرة فى فلك الولايات المتحدة الامريكية وكذلك أكثر من نصف مليون جندى فى جيش الحكومة العميلة ، وفى نفس الوقت شنوا على الشمال حرب ابادة شاملة . هذا الى انهم قد عززوا «الحرب الخاصة» فى لاوس ، وانغمروا فى اثارة كامبوديا باستفزازات متعاقبة بهدف زعزعة استقلالها وحيادها .

وفى كل يوم ينزل الامبرياليون الامريكيون بشعبنا آلاما واحزانا لا حصر لها . وهم يستخدمون لابادة شعبنا جميع أساليب الحرب والاسلحة الحديثة بمختلف انواعها ، بما فى ذلك الطائرات الاستراتيجية وقنابل النابالم والغازات والمواد الكيماوية السامة . وتتوالى العمليات العسكرية التى يقومون بها ويكررون هجماتهم على مناطق كثيرة كى يمحو جميع عناصر الحياة فيها ، ويمارسون سياسة « اقتل كل شىء ، واحرق كل شىء ، ودمر كل شىء » ، بهدف محو قرانا وكفورنا محوا من على ظهر الوجود . وهم يكدسون السكان فى مناطق تجميع خاصة وينهبون الاراضى ، وينشئون مناطق يطلقون عليها

اشم « ازاقى لا أحلا تيها » ؟ ويقيمون معسكرات اعتقال من طراز فاشى يسمونها « الكفور الاستراتيجية » و « مناطق الرخاء » و « مناطق التوطين » ، الخ .. ويقومون بغارات جوية على الشمال تلقى فيها القنابل دون تمييز على المدن والقرى والمناطق الصناعية والاقاليم الاهلة بالسكان ، ويدمرون السدود والقناطر والمدارس والمستشفيات والكنائس والمعابد .

ومما لا جدال فيه أن الامبرياليين الامريكيين هم أشد المعتدين وحشية فى تاريخ العالم ، وهم الذين ينتهكون اتفاقيات جنيف ١٩٥٤ ، ويهددون السلام والامن بالنسبة لشعوب الهند الصينية وجنوب شرقى آسيا والعالم ، وهم العدو رقم ١ لشعبنا ولشعوب البشرية بأسرها

وهم يتابعون فى الاعوام الاخيرة وبشكل مستمر عملية التصعيد الحربى ، بيد انهم لايكفون عن ترديد عبارات مرائية بشأن « مفاوضات السلام » من أجل تضليل الشعب الامريكى وشعوب العالم .

ولقد باعت حكومة سايجون العميلة فيتنام الجنوبية بثمن بخس للامبرياليين الامريكيين . وفى قسوة لا حدود لها تضطهد هذه الحكومة شعب فيتنام الجنوبية وتستنزف دماءه . وهى ترغم الشبان فى فيتنام الجنوبية على أن يصبحوا جنودا مرتزقة للامريكيين يسفكون دماء مواطنيهم . ولمجرد التضليل اقدمت هذه الحكومة على مهزلة اسمتها « وضع الدستور » واجراء « الانتخابات » وما هذه الحكومة سوى مجموعة وضيعة من الخونة وأداة فى ايدى الامبرياليين الامريكيين مهمتها استعباد شعب فيتنام الجنوبية ، والابقاء على تجزئة وطننا الى الابد ، وخدمة حرب العدوان الامريكية .

٢ — ويخيل للمعتدين الامريكيين وعملائهم انهم قادرون عن طريق القوة على بعث الخوف فى نفوس شعبنا ، وعلى تضليله بواسطة المناورات التهريجية ، بيد انهم واهمون الى اقصى حد . ولن يستسلم شعبنا ابدا امام القوة ، ولن تنطلى عليه مطلقا مناورات التضليل والخداع .

لقد هب واحد وثلاثون مليونا من الفيتناميين فى الشمال والجنوب هبة قوية صلبة متحدين اتحادا وثيقا كأنهم رجل واحد يقاومون العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى ، اخلاصا منهم لتقاليدهم النضالية العريقة التى لاتعرف الاستسلام والخنوع .

وعلى الخطوط الاولى فى جبهة القتال ، وخلال ثلاثة عشر عاما ، قدم شعب فيتنام الجنوبية الادلة على بسالته الفائقة . وبتصميم واتحاد ، قاتلت جميع فئات الشعب والقوميات دون تمييز بين السن او الجنس او الاتجاهات السياسية او المعتقدات الدينية ، او بين مناطق السهول او مناطق المرتفعات ، وذلك من اجل تحرير الجنوب والدفاع عن الشمال ، **وتمد أجل المضى فى طريق اعادة توحيد الوطن .**

ومنذ ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ، هب مواطنونا فى الريف الفيتنامى الجنوبى تباعا يشنون « انتفاضات حدثت فى نفس الوقت » ، وحطموا عددا من معسكرات الاعتقال و « مناطق الرخاء » التى اقامها الامبرياليون الامريكيون والحكومة العميلة ، وحرروا مناطق ريفية شاسعة . ودمرت قواتنا العسكرية وشعبنا الاف « الكفور الاستراتيجية » ، واطلقوا سراح الملايين من مواطنينا ، وهزموا « الحرب الخاصة » التى شنتها الولايات المتحدة .

وعلى الرغم من انخراط مئات الالوف من الاشخاص فى صفوف الحملة العسكرية الامريكية فقد احرزت قواتنا المسلحة وشعبنا منذ عام ١٩٦٥ انتصارات ضخمة متوالية ، وسحقوا على التوالى هجومين مضادين استراتيجيين فى فصل الجفاف ، وهزموا اكثر من مليون من جنود الاعداء ، سواء من القوات الامريكية ام من قوات الحكومة العميلة ام من قوات الدول الدائرة فى فلك الولايات المتحدة الامريكية . وتمتد اليوم الاقاليم المحررة ، التى لاتكف عن الاتساع ، فوق اربعة اخماس اراضى فيتنام الجنوبية التى تضم ثلثى السكان . وهناك ادارة وطنية ديموقراطية فى طريقها للتكوين ، بينما تتكون فى نفس الوقت حياة جديدة . والى جانب الانتصارات العسكرية الضخمة ، سجلنا ايضا نجاحا هاما فى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والديبلوماسية .

وفى الشمال الحبيب ، يواصل ١٧ مليون مواطن انتصاراتهم فى معارك باسلة ضد حرب الابادة الشاملة التى شنها عليهم الامبرياليون الامريكيون . ولقد ضاعفوا الانتاج ، وساندوا وساعدوا من كل قلوبهم كفاح التحرر فى الجنوب ، ونهضوا بواجباتهم كمؤخرة صلبة بالنسبة للجبهة الواسعة .

وفى الشمال الحبيب ، يواصل ١٧ مليون مواطن انتصاراتهم فى معارك باسلة ضد حرب الابادة الشاملة التى شنها عليهم الامبرياليون الامريكيون . ولقد ضاعفوا الانتاج وساندوا وساعدوا من كل قلوبهم كفاح التحرر فى الجنوب ، ونهضوا بواجباتهم كمؤخرة صلبة بالنسبة للجبهة الواسعة .

ويدين بشدة العالم وشعوب البلاد الاشتراكية والوطنية وغيرها ، بما فى ذلك الشخصيات التقدمية فى الولايات المتحدة ، حرب العدوان التى يشنها الامبرياليون الامريكيون ، وهم يؤيدون ويساندون ويساعدون نضال شعبنا ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى .

ولقد اثبتت الوقائع انه بقدر ما يزداد اصرار الامبرياليين الامريكيين على تعزيز حربهم العدوانية ضد وطننا وتوسيع رقعة هذه الحرب بقدر ما تتضاعف هزائمهم المنكرة ويزدادون تورطا فى عزلتهم ، وبقدر ما تتوالى الانتصارات الضخمة التى **يحرزها شعبنا ويزداد عدد أصدقائه فى العالم .**

٣ — ان اخطر اعداء شعبنا فى الوقت الحالى هم المعتدون الامريكيون والحكومة العميلة التى تأتمر بأمرهم ويعيش على حسابهم .

ومهمة واهداف النضال من اجل الخلاص الوطنى بالنسبة لشعب فيتنام الجنوبية فى الوقت الحالى هى توحيد الشعب كله ، والكفاح بصلابة من اجل الحاق الهزيمة بحرب العدوان الامريكية ، وقلب الحكومة العميلة المأجورة للولايات المتحدة ، واقامة حكومة وحدة وطنية وديموقراطية واسعة ، وتحقيق فيتنام الجنوبية المستقلة الديموقراطية السلمية المحايدة المزدهرة ، والمضى فى طريق اعادة توحيد الوطن .

والقوة التى تضمن القيام بهذه المهمة النضالية ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى هو الوحدة الوطنية العريضة . ولقد دعت الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية باستمرار الى توحيد جميع فئات الشعب وطبقاته وقومياته واحزابه ومنظماته ودياناته وكل الشخصيات الوطنية ، وجميع الاشخاص والقوى الوطنية والتقدمية دون تمييز بين الاتجاهات السياسية من اجل ان يخوض الشعب كله كفاحا ضد الامبرياليين الامريكيين وعملائهم من اجل استعادة الحقوق الوطنية المقدسة واقامة البناء الوطنى .

والجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية على استعداد لدعوة كل القوى والاشخاص الذين يتصدون للمعتدين الامريكيين الى الانضمام الى صفوفها من اجل انجاز المهام المشتركة وهى تقترح على جميع القوى التى لا تستطيع الانضمام الى الجبهة لسبب او لاخر ، ان تعمل معها فى نشاط مشترك ضد الاعداء المشتركين : المعتدون الامريكيون وصنائعهم ..

وتتعهد الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية بأن تقف الى جانب جبهة الوطنى الفيتنامى من اجل ان تنجز انجازا مجيدا المهمة المشتركة ، وهى : الكفاح ضد العدوان الامريكى من اجل تحرير الجنوب ، والدفاع عن الشمال ، والمضى فى طريق اعادة توحيد الوطن .

وينهض الشعب فى فيتنام الجنوبية ، اذ يكافح من اجل حقوقه الوطنية المقدسة ، بأداء التزاماته الدولية بشكل ايجابى . وحرب المقاومة التى يخوضها ضد العدوان الامريكى جزء لايتجزا من الكفاح الثورى لشعوب العالم اجمع

وتتعهد الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية بأن تنضم الى الكتلة الموحدة لشعوب الهند الصينية من اجل الكفاح ضد الامبرياليين الامريكيين وصنائعهم ، بهدف المحافظة على استقلال وسيادة ووحدة وسلامة اراضى فيتنام وكامبوديا ولاوس .

كما تتعهد الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية بأن تشترك ايجابيا في الكفاح المشترك لشعوب العالم ضد الامبرياليين دعاة الحرب والعدوان وعلى راسهم الامبريالية الامريكية ، ومن اجل السلام والاستقلال الوطني والديموقراطية والتقدم الاجتماعي .

٤ - ان المعتدين الامريكيين القساة يدنسون اليوم باقدامهم اراضي وطننا . وعلى شعب فيتنام الجنوبية ان ينهض ويثور ويخوض الحرب الشعبية كي يقضي عليهم ، ويطردهم خارج حدودنا ، ويستعيد الاستقلال الوطني والسيادة القومية .

وبما ان مواطنينا في الجنوب قد عرفوا وطأة الحرب خلال اكثر من عشرين عاما ، فانهم يرنون بشوق الى العيش في سلام والى اعادة بناء وطننا الذي لحق به التخريب من كل جانب . بيد ان الامبرياليين الامريكيين قد داسوا باقدامهم هذه الامنية الشرعية . ولذلك يتعين على شعبنا ان يقاتلهم حتى يظفر بالسلام في ظل الاستقلال . ولا يوجد هناك شيء اثمن من الاستقلال والحرية . ولا يمكن ان يكفل السلام الحقيقي الا في ظل الاستقلال الحقيقي .

ان اعداء امتنا وحشيون عنيدون . ولكن شعبنا يصمم كله على مقاتلة المعتدين الامريكيين وهزيمتهم هم وصنائعهم وطالما لم يرضخ الامبرياليون الامريكيون لايقاف حربهم العدوانية ، وسحب جميع القوات الامريكية وقوات الدول الدائرة في فلك الولايات المتحدة من وطننا ، وترك شعب فيتنام الجنوبية يسوي الشئون الداخلية بنفسه دون تدخل اجنبي ، سيظل شعبنا يقاتلهم في اصرار حتى احراز النصر النهائي . والواقع ان حرب تحرير شعب فيتنام الجنوبية ستطول وستتضاعف اهوالها ، ولكن لا مراء في ان انتصار هذا الشعب حتمي .

ويعتمد شعبنا بصفة اساسية على قواه الذاتية ، ويعمل في نفس الوقت على كسب تأييد ومساندة ومساعدة شعوب العالم .

ولا يضن شعبنا ببذل اية تضحية في سبيل هزيمة المعتدين الامريكيين وعملائهم . وهو يقدم بحماسة مساهمته البشرية والمادية والثقافية في حرب التحرر الوطني طبقا لشعار « كل شيء للجبهة ... كل شيء من اجل النصر » .

وتدعو الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية الى تنمية قوى التحرير المسلحة التي تضم وحدات القوات الاساسية ، والقوات الاقليمية والميليشيا ورجال حرب العصابات ، لتشد قوى الحرب الشعبية ، ومزج حرب العصابات بالحرب النظامية ، والى القضاء بقدر الامكان على القوى الاساسية للعدو ، والى سحق اصرار العدو على مواصلة العدوان والى احراز النصر النهائي .

وتدعو الجبهة الى بناء القوى السياسية الجماهيرية الشعبية والى تنميتها ، والى تنمية الكفاح السياسي ، ودمج الكفاح المسلح بالكفاح السياسي وتنشيط الاثارة في صفوف العدو ، على اعتبار انها ثلاث نقط متكاملة لهزيمة العدو .

وتدعو الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية الى تعبئة جميع فئات الشعب في المدن والقرى التي لا تزال تحت السيطرة المؤقتة للعدو ، من اجل خوض كفاح موحد بجميع الصور ، وبذلك تتحطم قبضة المعتدين الامريكيين وصنائعهم ، ويقضى على « الفونج » (نظام الطوائف) و « الكفور الاستراتيجية » ، وبذلك يمكن استعادة الحريات الديموقراطية والسيادة الوطنية وتحقيق حياة افضل ، ومعارضة عملية ارغام الجنود والعمال ارغاما على الانخراط في صفوف الجيش العميل وعلى متابعة عملية التثقيف الانحلالية المزرية بالكرامة الانسانية ، ومن ثم يمكن للشعب في مجموعه ان يمضي قدما صوب قلب النظام الذي يسيطر على مقدراتهم ، والوصول الى السلطة .

وفي نفس الوقت ، تدعو الجبهة جميع فئات الشعب في المناطق المحررة الى الاتحاد اتحادا وثيقا ، واقامة نظام حكم شعبي ، والى انه تحقق بشكل تدريجي ادارة وطنية ديموقراطية على المستوى المحلي ، والى ان تقيم القواعد وتواصل الانتاج ، والى ان تقابل بجميع قواها العدوان الامريكي من اجل الخلاص الوطني ، والى ان تتابع العمل من اجل الوصول الى حل سليم للمسالة الزراعية ، والى بناء الاقتصاد والثقافة الجديدة في الاقاليم المحررة ، والى دعم قوى الشعب كي يستطيع امداد الجبهة بما تحتاج اليه ، وكي يستطيع المقاومة حتى احراز النصر الشامل .

بنـاء فيتنام الجنوبية التي تنعم بالاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد والرفاهية

لقد مهد شعب فيتنام الجنوبية العزم على هزيمة المعتدين الامريكيين وعملائهم وتكريس طاقتهم الرئيسية لاقامة نظام سياسي يضمن استقلال وسيادة الامة ، وحرية وسعادة الشعب ، ولتضميد جراح الحرب ، وتصفية الشرور الاجتماعية التي خلفها نظام الحكم العميل للولايات المتحدة ، واعادة الحياة الطبيعية الى البلاد ، وتشييد فيتنام الجنوبية التي تنعم بالاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد والرفاهية . ولتحقيق هذه الاهداف وضعت الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية السياسة المجددة التالية :

(١) اقامة نظام تقدمي ديمقراطي واسع النطاق

● القضاء على النظام الاستعماري المتخفي الذي اقامه الاستعماريون الامريكيون في فيتنام الجنوبية ، والاطاحة بالحكومة العميلة ، صنيعة الولايات المتحدة ، وعدم الاعتراف « بالجمعية الوطنية » العميلة التي اقامها الاستعماريون الامريكيون وعملاؤهم ، والغاء « الدستور » وجميع القوانين غير الديمقراطية ، المناهضة للامة ، التي وضعها الاستعماريون الامريكيون والحكومة العميلة .

● اجراء انتخابات عامة وحرة لانتخاب اعضاء الجمعية الوطنية ، بطريقة ديمقراطية حقيقية ، طبقا لمبدا حق الانتخاب العام المباشر الذي يكفل المساواة وحق الاقتراع السري . وتكون هذه الجمعية الوطنية بمثابة الهيئة الرئيسية التي تتمتع بأعلى سلطات في الدولة ، وتضع دستورا ديمقراطيا يتضمن ، تضامنا كاملا ، اكثر الاماني الرئيسية التي ترنو لتحقيقها الفئات الاجتماعية في فيتنام الجنوبية ، وتضمن تشييد دولة تقدمية ديمقراطية واسعة النطاق ، وضمان الحصانة التي يتمتع بها نواب الجمعية الوطنية .

● اقامة حكومة اتحاد وطني ديمقراطي تضم الممثلين الحقيقيين للطوائف الاجتماعية المختلفة ، والقوميات ، والطوائف الدينية ، والاحزاب الوطنية والديمقراطية والشخصيات الوطنية ، والقوى التي اسهمت في قضية التحرر الوطني .

● اعلان وفرض الحريات الديمقراطية الواسعة النطاق : كحرية الكلمة ، وحرية الصحافة ، والنشر ، وحرية الاجتماع ، والحرية النقابية ، وحرية تكوين الجمعيات وحرية تكوين الاحزاب السياسية ، وحرية العقيدة ، وحرية القيام بالمظاهرات .

● كفالة حصانة حريات المواطنين الشخصية كحرية السكن والاقامة وسرية المراسلات ، وحرية الحركة ، وحرية العمل والراحة ، وحق الدراسة .

● فرض المساواة بين الرجل والمرأة ، والمساواة بين القوميات المختلفة .

● اطلاق سراح جميع الاشخاص الذين اعتقلهم الاستعماريون الامريكيون والحكومة العميلة نظرا لنشاطاتهم البطولية .

● ازالة معسكرات الاعتقال — بجميع انواعها — التي اقامها الاستعماريون الامريكيون وعملاؤهم.

● كل من اضطر لطلب اللجوء السياسي في الخارج بسبب وجود الحكومة العميلة للولايات المتحدة في فيتنام ، يملك الحق في العودة الى الوطن ليكون في خدمة بلاده .

● انزال العقاب الشديد بعملاء الاستعماريين الامريكيين غلاظ القلوب

(٢) تشييد اقتصاد مستقل يعتمد على ذاته حتى يمكن النهوض بظروف معيشة الشعب

● القضاء على سياسة العبودية الاقتصادية والاحتكار من جانب الاستعماريين الامريكيين .

● مصادرة ممتلكات الاستعماريين الامريكيين وعملائهم القساة وتحويلها لصالح الدولة .

● تشييد اقتصاد مستقل يعتمد على ذاته والاسراع بتضميد جروح الحرب ، وتنمية الاقتصاد والنهوض به ليتمتع الشعب بالثروة ، وتصبح بلاده قوية .

● حماية حق ملكية وسائل الانتاج وغيرها من ممتلكات المواطنين في ظل قوانين الدولة .

● تنمية الانتاج الزراعي والنهوض بالزراعة ، وتربية الماشية والاسماك وزراعة الغابات . وسوف تشجع الدولة الفلاحين على الاتحاد ومساعدة بعضهم للنهوض بالانتاج ، كما ستمنحهم القروض بربح منخفض لشراء الجاموس والثيران والادوات والالات الزراعية ، والحبوب ، والاسمدة ، وغير ذلك ، كما ستساعدهم الدولة في تطوير اعمال الري وتطبيق فنون الزراعة الجديدة .

● ضمان تسويق المنتجات الزراعية .

● النهوض بالصناعة وتطويرها وكذلك النهوض بالصناعات الصغيرة والحرف اليدوية .

● كفالة حق العمال والمستخدمين في الاشتراك في ادارة المؤسسات . وتشجع الدولة الرأسماليين في قطاعي الصناعة والتجارة على المساعدة في تطوير الصناعة ، والصناعات الصغيرة والحرف اليدوية .

● اصلاح وتنمية وسائل الاتصال والنقل .

● تشجيع وتوسيع نطاق التبادل التجاري بين المدن الصغيرة والعاصمة وبين مناطق السهول والجبال .

● بذل الاهتمام الكافي بمصالح التجار الصغار واصحاب الحوانيت الصغيرة .

● تشييد بنك الدولة .

● العمل على ايجاد عملة مستقلة .

● تطبيق سياسة ضرائبية عادلة وقومية .

وستأخذ الدولة بسياسة منح القروض بارباح ضئيلة لتشجيع الانتاج كما ستجرم الربا .

● تنمية العلاقات الاقتصادية مع الشمال . كما يساعد كلا الاقليمين بعضهما البعض حتى يزدهر اقتصاد فيتنام بطريقة سريعة .

● وطبقا لسياسة الحياد التي تتبعها الجبهة وعلى اساس من مبدا المساواة والنفع المتبادل واحترام استقلال وسيادة الامة الفيتنامية ، سيتم توسيع نطاق التجارة مع جميع البلاد كما ستقبل المساعدات الاقتصادية والفنية من البلاد الاجنبية بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية .

(٣) تشريع سياسة الاراضي الزراعية في ظل شعار : الارض لمن يفلحها

● مصادرة اراضي الاستعماريين الامريكيين واعوانها الملاك القساة ومنح هذه الاراضي للمعدمين او لصغار الفلاحين .

● تأكيد وحماية الاراضي التي منحتها الثورة للفلاحين .

● تفاوض الدولة على شراء الاراضي من الملاك الذين يملكون اراضي تزيد على الحد المحدود ويختلف هذا بالنسبة لظروف كل منطقة وتمنح الدولة هذه الاراضي للمعدمين او لصغار الفلاحين .. وسوف يتسلمون هذه الاراضي مجانا ولن تفرض عليهم اية شروط كانت. اما في المناطق التي لا تتوفر فيها الظروف الموائية لتطبيق الاصلاح الزراعي فتخفض قيمة ايجارات الاراضي الزراعية .

● يعهد بالاراضي التي يتغيب اصحابها ، الى الفلاحين ليزرعونها ويتمتعوا بانتاجها . وسوف تتخذ الخطوات المناسبة في هذا الشأن في مرحلة متأخرة بعد الاخذ في الاعتبار بالموقف السياسي لكل صاحب ارض

● السماح لملاك الاراضي بالتنازل عن اراضيهم لرابطة تحرير الفلاحين او للدولة اللتان تقومان بدورهما بتوزيعها على المعدمين او على صغار الفلاحين .

● تشجيع زارع المحاصيل الصناعية وبساتين الفاكهة على المحافظة عليها .

● احترام الحق الشرعي في ملكية الاراضي التابعة للكنائس والمعابد البوذية ، وطائفة « السكاودين » الطوائف الدينية الاخرى .

● يعاد توزيع الاراضي الجماعية بطريقة عادلة .

● كفالة حق الملكية الشرعي بالنسبة للملاك الذين قاموا باستصلاح اراض .

● يملك جميع المواطنين الذين وضعوا قسرا في القرى الاستراتيجية ومعسكرات الاعتقال ، حق العودة الى قراهم السابقة .

● يعترف لجميع المواطنين الذين فرض عليهم الانتقال من اراضيهم او تغيير مكان الاقامة ، والذين يرغبون في البقاء في اماكنهم الجديدة، بملكيتهم للاراضي والعقارات التي حصلوا عليها بفضل كدهم ، كما تساعدهم الدولة في الحفاظ على الاماكن التي اختاروا العيش فيها اما هؤلاء الذين يرغبون في العودة الى قراهم السابقة فسيحصلون على المساعدة الكفيلة لتحقيق غرضهم .

(٤) اقامة ثقافة ونظام تعليم قومي ديمقراطي ، وتطوير العلم والتكنولوجيا ، والنهوض بالصحة العامة

● الكفاح ضد تعليم وثقافة الخنوع والحرمان ذات الطابع الامريكي ، لما لذلك حاليا من تأثير مضاد على تقاليدنا الثقافية الرفيعة العريقة .

● اقامة ثقافة ونظام تعليم قومي ديمقراطي وتطوير العلم والتكنولوجيا في خدمة البناء والدفاع الوطني .

● تعليم افراد الامة الفيتنامية تقاليد النضال ضد الغزو الاجنبي وتلقينهم تاريخهم البطولي .والحفاظ على ثقافة امتنا العريقة وتقاليدها وعاداتها الطيبة ، وتطويرها .

● الارتفاع بالمستويات الثقافية للشعب ، والقضاء على الامية والنهوض بالتعليم العالي ، وافتتاح مدارس جديدة للتعليم العام ، ومعاهد عالية ، ومدارس مهنية . بذل جهود شاملة لتدريب فرق العمال العلميين والفنيين والعمال ذوى المهارة .

● استخدام اللغة الفيتنامية كوسيلة تعليم في معاهد التعليم العالي ، وتخفيض نفقات التعليم للتلاميذ والطلبة .

● اعفاء التلاميذ والطلبة الفقراء من نفقات التعليم ، او منحهم منحا دراسية .

● اصلاح نظام الامتحانات .

● تقدم الدولة كل مساعدة ممكنة للشباب والاطفال الذين قاموا بخدمات في الكفاح ضد العدوان الامريكي ومن اجل الخلاص الوطني وكذلك لاطفال العائلات التي عملت في

لخدمة الثورة ، و[illegible] البارز لمساعدتهم على تلقى العلم وتنمية قدراتهم .

● يملك كل مواطن حرية القيام بابحاث علمية وفنية ، وممارسة عمليات الخلق الادبى والفنى ، والاشتراك فى النشاطات الثقافية الاخرى ، وتشجيع المثقفين والكتاب والفنانين والعلماء ، وتوفير الظروف الضرورية لهم للقيام بابحاثهم وممارسة عمليات الابداع والاختراع ، فى خدمة الوطن والشعب .

● اتاحة الفرص امام العاملين فى ميدان الثقافة ، وامام الكتاب والفنانين الذين كانوا هدفا للارهاب من جانب الاستعماريين الامريكيين وعملائهم ، بسبب نشاطاتهم الوطنية .

● تنمية الخدمات الصحية والحركة الصحية الوقائية ، والعناية بالصحة العامة ، ومكافحة الاوبئة والامراض الخطيرة التى خلفها النظام العميل للولايات المتحدة .

● تنمية حركة التدريب الصحى ، والرياضة .

● تنمية العلاقات الثقافية مع الشمال ، وسوف يتعاون الاقليمان مع بعضهما البعض المستوى التعليمى للشعب ولاظهار الافراد ذوى الكفاءات .

● النهوض بالعلاقات الثقافية مع البلاد الاجنبية على اساس من المساواة والمنفعة المتبادلة .

(٥) كفالة حقوق العيش للعمال والكادحين والموظفين المدنيين

● اصدار تشريع العمل ، وتنفيذ قانون العمل لفترة ثماني ساعات يوميا وايجاد نظام للراحة وتجديد النشاط ، ووضع نظام معقول للاجور والارباح من اجل زيادة الانتاج .

● تحسين ظروف المعيشة والعمل بالنسبة للعمال والكادحين والموظفين المدنيين .

● تطبيق سياسة اعطاء مكافآت مناسبة لمن يعملون تحت التدريب .

● توفير الوظائف للعاملين والفقراء فى المدن الصغيرة ، وبذل كل الجهود للقضاء على البطالة .

● تطبيق سياسة التأمين الاجتماعى ، والعناية بالعاملين ومساعدتهم ، وكذلك الحال بالنسبه للكادحين والموظفين المدنيين ، فى حالة المرض ، او عدم القدرة على العمل ، او الشيخوخة ، او الاعتزال .

● تحسين ظروف المعيشة فى الاحياء الشعبية المكتظة بالسكان .

● تسوية الخلافات بين اصحاب الاعمال والعاملين بالقيام بالتفاوض مع الجانبين والتوسط بينهما من جانب الادارة الوطنية الديمقراطية .

● يمنع ضرب العمال والكادحين منعا صارما ويمنع الخصم من اجور العاملين ، وتحريم فصل العمال بطريقة غير عادلة .

(٦) بناء قوات تحرير مسلحة قوية لفيتنام الجنوبية ، بهدف تحرير الشعب والدفاع عن الوطن

● تتكون قوات التحرير المسلحة لفيتنام الجنوبيه (والتى تضم وحدات القوة الرئيسية والقوات الاقليمية ووحدات الميليشيا ورجال حرب العصابات) من ابناء الشعب . وتخلص هذه القوات بطريقة غير محدودة لمصالح الوطن والشعب ، ويحتم عليها واجبها الكفاح كتفا الى كتف مع الشعب باجمعه ، لتحرير الجنوب ، والدفاع عن الوطن ، والاسهام بفاعلية فى الدفاع عن سلام اسيا والعالم اجمع .

● بذل الاهتمام الكافى ببناء قوات التحرير المسلحة وبذل كل الجهود لرفع مستوى كفاءتها العسكرية لتوسيع نطاق الحرب الشعبية ، وهزيمة القوات الامريكية وقوات العملاء والصنائع فى الداخل ، وزيادة حدة الكفاح ضد المعتدين الامريكيين من اجل الخلاص الوطنى والانتصار الكامل .

● تقوية العمل السياسى بهدف مضاعفة العمل البطولى والتصميم على الكفاح والنصر من جانب قوات التحرير المسلحة ، وتقوية روح التمسك بالنظام ، والاستمرار فى توثيق العلاقة بين الجيش والشعب لتصبح كعلاقة السمكة بالماء .

● يملك ضباط ورجال قوات التحرير حق التصويت ويتمتعون بشروط اللياقة الانتخابية ، كما يملكون حق تملك الاراضى وباقى الحقوق الاخرى التى يتمتع بها المواطنون

(٧) اظهار الامتنان للشهداء ، والانفاق على المحاربين العاجزين ومكافأة المحاربين والمواطنين الذين يتمتعون بسجل بارز فى القتال ضد المعتدين الامريكيين ومن اجل الخلاص الوطنى

يشعر الشعب باجمعه بالامتنان لشهدائه ويحمل دائما فى ذاكرته ذكرى هؤلاء الشهداء الذين كانوا ينتمون لقوات التحرير المسلحة او لمختلف الهيئات والمنظمات الثورية ، كذلك لجميع من كرس حياته فى خدمة النضال السياسى . وتتولى الدولة ومعها الشعب الانفاق على عائلات الشهداء ومساعدتها .

● رعاية ومساعدة رجال الجيش والمواطنين الذين اصبحوا عاجزين من خلال النضال المسلح او النضال السياسى .

● منح المكافآت الجديرة بالمحاربين والمواطنين الذين يتمتعون بسجل بارز فى النضال ضد المعتدين الامريكيين من اجل الخلاص الوطنى .

ويشعر الشعب باجمعه بالامتنان للعائلات التى قدمت خدمات للثورة ، ويقوم بتقديم المساعدات لها .

(٨) تنظيم اعمال الاغاثة الاجتماعية

● توفير الاغاثة للمواطنين من ضحايا حرب العدوان التى يشنها الاستعماريون الامريكيون والنظام العميل .

● رعاية الايتام والشيوخ والمرضى وتنظيم الاغاثة بالنسبة للمناطق التى تاثرت بالكوارث الطبيعية او المحاصيل الضعيفة .

● الاخذ فى الاعتبار بحالة رجال الجيش العميل ، من العاجزين وكذلك رعاية العائلات الفقيرة لرجال الجيش العميل الذين قتلوا اثناء المعارك .

● مساعدة المحتاجين الذين كانوا ضحية للاستعماريين الامريكيين وعملائهم ، فى بناء حياتهم ، وفى خدمة الوطن والشعب .

(٩) تطبيق المساواة بين الرجل والمراة لحماية الامهات والاطفال

● بذل اشد الاهتمام برفع المستويات السياسية والثقافية والمهنية للسيدات بطريقة تناسب جهدهن فى النضال ضد العدوان الامريكى ومن اجل التحرير الوطنى . وتنمية تقاليد المراة الفيتنامية فى البطولة والصمود والاخلاص والقدرة على تحمل كل مسئولية

● المراة مساوية للرجل سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا .

● المراة التى تقوم بنفس العمل تنال نفس الاجر والعلاوة وتتمتع بكل الحقوق الاخرى اسوة بالرجل .

● المراة العاملة او الموظفة لها الحق فى شهرين اجازة وضع باجر كامل قبل وبعد الولادة .

● تطبيق سياسة مساعدة وتحسين الكادرات النسائية تطبيقا بناء .

● نشر الزواج التقدمي واللوائح العائلية .

● حماية حقوق الامهات والاطفال . وتنمية شبكات دور الولادة والحضانة وفصول الاطفال .

● القضاء على كل الشرور الاجتماعية التى جلبها الامبرياليون الامريكيون وعملاؤهم والضارة بصحة وكرامة المراة .

(١٠) دعم الوحدة وممارسة المساواة والمساعدة المتبادلة بين الوطنيين

● الغاء كل النظم والسياسات التى يطبقها الامبرياليون وعملاؤهم بهدف تقسيم وكبت واستغلال

مختلف القوميات . ومعارضة التفرقة والاندماج الجبرى بين القوميات .

● تنمية تقاليد الوحدة العميقة والمساعدة المتبادلة بين القوميات الصديقة المختلفة بهدف حماية وبناء البلد . واعتبار كل القوميات متساوية فى الحقوق والالتزامات .

● تنفيذ السياسة الزراعية لصالح صغار الفلاحين . العمل على تشجيعهم ومساعدتهم على الاستقرار فى مناطق اقامة ثابتة لتحسين ارضهم . وتنمية الاقتصاد والثقافة لرفع مستوى معيشتهم ليتمشى مع المستوى العام .

● وللقوميات الاقلية الحق فى استخدام لغاتها المنطوقة والمكتوبة لتنمية ثقافتها وفنونها وللمحافظة على او تغيير عاداتها وتقاليدها .

● العمل على تدريب كادرات الاقلية حتى يمكن سرعة اقامة ظروف تتيح ايجاد ادارة جيدة للامور المحلية بواسطة الاقلية المختصة نفسها .

● وفى المناطق التى تسكنها جماعات ضخمة كأقلية محددة وحيث توجد الظروف المطلوبة ستنشأ مناطق ذات سيادة فى داخل فيتنام المستقلة والحرة .

(١١) احترام حرية العقيدة ، وتحقيق الوحدة والمساواة بين مختلف الجماعات الدينية

● مكافحة كل مناورات وحيل الامبرياليين وعملائهم الذين يستخدمون اشخاصا يتسترون تحت ستار الدين ولمعارضة نضال شعبنا ضد العدوان الامريكى ومن اجل التحرير الوطنى ، ولبذر بذور الفرقة بين المؤمنين وغير المؤمنين وبين الجماعات الدينية المختلفة والاضرار بالبلد ، والشعب والمتدينين .

● احترام حرية العقيدة والعبادة والمحافظة على المعابد البوذية والكنائس والاماكن المقدسة والمعابد .

● كل الديانات متساوية ولايجوز التحيز ضد احداها

● تحقيق الوحدة بين معتنقى مختلف الديانات والمؤمنين وكل الامة من اجل الكفاح ضد العدوان الامريكى وعملائه لحماية الوطن وبنائه .

(١٢) الترحيب بعودة الضباط والجنود والمسئولين العملاء الى صفوف القضية العادلة ، واظهار اللين تجاه رجال الجيش المجندين وأسرى الحرب ومعاملتهم معاملة انسانية

● معارضة محاولة الامبرياليين الامريكيين وعملائهم الضغط على عصابات المرتزقة للالتحاق بقوات المعتدين الامريكيين ضد الوطن وذبح الشعب .

● معاقبة الاوغاد الغلاظ القلوب الذين يعملون كعملاء اكفاء للامبرياليين الامريكيين .

● تهيئة الظروف للضباط والمسئولين العملاء للعودة الى صفوف القضية العادلة والانضمام الى الكفاح الشعبى ضد العدوان الامريكى لانقاذ وبناء الوطن .

● كل الاشخاص والجماعات او وحدات الجيش العميل والحكومة العميلة الذين يقدمون خدمات للقضية النضال ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى سوف يكافأون ويعهد اليهم بوظائف مسئولة . والذين يؤيدون ويعطفون على النضال ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى ، او هؤلاء الذين يرفضون تنفيذ اوامر الولايات المتحدة وعملائها للاضرار بالشعب سوف يسجل لهم فضلهم .

● الافراد والجماعات والوحدات الذين يفرون من الجيش العميل ويتقدمون طواعية للالتحاق بقوات جيش التحرير من أجل القتال ضد الولايات المتحدة لانقاذ البلد سيرحب بهم ويتمتعون بمعاملة متساوية .

أما بالنسبة لهؤلاء الافراد والجماعات الذين فروا من الجيش والحكومة العميلة والذين ثاروا ضد عدوان الولايات المتحدة لينقذوا البلاد فان الجبهة على أستعداد لان تشترك معهم فى القتال ضد المعتدين الامريكيين على أسس من المساواة والاحترام والتعاون المتبادل حتى يستطيعوا معا ان يحموا الشعب ويحرروا الوطن الأم .

● الموظفون الذين يعملون فى الحكومة العميلة والذين سيتقدمون للعمل لخدمة البلاد والشعب فى جهاز الدولة بعد تحرير فيتنام الجنوبية سيتمتعون بمعاملة متساوية .

● الذين يعملون فى الجيش والحكومة العميلة على جميع المستويات ، والذين ارتكبوا جرائم ضد الشعب ولكنهم تابوا توبة صادقة سيتم العفو عنهم . أما الذين سيمحون جرائمهم باعمال تستحق التقدير فسيتم كافأتهم كل حسب عمله . اما الاسرى من الضباط والجنود الذين كانوا يعملون فى الجيش العميل فسيتمتعون بمعاملة انسانية ورحمة .

● أما الذين يعملون فى جيش الولايات المتحدة والجيوش المتعاونة معها الذين سينضمون الى جانب الشعب فسيعاملون معاملة طيبة وسيقدم لهم العون للعودة الى ذويهم متى سمحت الظروف .

● قوات الولايات المتحدة والقوات المتعاونة معها التى اسرت ستعامل كالقوات العميلة الاسيرة .

(١٣) حماية حقوق ومصالح الفيتناميين عبر البحار

● الاشادة بوطنية الفيتناميين عبر البحار وتقدير كل ما تدموه لمقاومة العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى للشعب .

● معاونة الفيتناميين عبر البحار الذين يرغبون فى العودة للمعاونة فى بناء الوطن .

(١٤) حماية الحقوق والمصالح الشرعية للاجانب المقيمين فى فيتنام الجنوبية

● الاشادة بالاجانب المقيمين الذين قدموا معونات للشعب الفيتنامى فى مقاومتهم للعدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى .

● على كل الاجانب المقيمين فى فيتنام الجنوبية احترام استقلال وسيادة شعب فيتنام واحترام قانون الحكومة الوطنية الديمقراطية .

● حماية الحقوق الشرعية لكل الاجانب المقيمين الذين لايتعاونون مع المستعمرين الامريكيين واتباعهم فى معارضة الشعب الفيتنامى والذين لايضرون باستقلال وسيادة فيتنام . تقديم التقدير المناسب لحقوق ومصالح الاجانب المقيمين الذين يؤيدون مباشرة او بطريق غير مباشر مقاومة شعب فيتنام للعدوان الامريكى من اجل الوطن .

● الغاء ومعارضة سياسة الاستعمار الامريكى واتباعه بشدة التى تهدف الى بث بذور الفرقة بين الشعب الفيتنامى والصينيين المقيمين فى فيتنام الجنوبية ، واستغلالهم والضغط عليهم للحصول على الجنسية الفيتنامية .

● معاقبة العملاء وعملاء الاستعمار والحكومة العميلة لفيتنام الجنوبية الشريرين غلاظ القلوب .

إعادة العلاقات الطبيعية بين فيتنام الشمالية والجنوبية والعمل على اعادة التوحيد السلمى بين الوطن الام

ان فيتنام بلد واحد وشعب فيتنام شعب واحد ، ولاتوجد قوة تستطيع ان تفرق الوطن الام .. ان اعادة توحيد البلاد هو الامل المقدس لكل الشعب ولابد من اعادة توحيد فيتنام ...

ان سياسة الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية تتضمن ما يلى :

١ — ان اعادة توحيد فيتنام ستتحقق خطوة بخطوة ومن خلال الطرق السلمية ومن طريق المفاوضات بين كلا الاقليمين بدون ان يضغط احدهما على الاخر وبدون اى تدخل اجنبى .

٢ — الى حين يتم اعادة توحيد البلاد سيتعاون شعب كلا الاقليمين على بذل الجهد المشترك لمقاومة التدخل الاجنبى وللدفاع عن الوطن الام وفى نفس الوقت لمحاولة توسيع التبادل الاقتصادى والثقافى بينهما . ولشعب كلا الاقليمين حرية تبادل الرسائل والانتقال بين الاقليمين واختيار مكان اقامتهم .

تطبيق سياسة خارجية تعتمد على السلام وعدم الانحياز

تطبق الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية سياسة خارجية تعتمد على السلام وعدم الانحياز سياسة خارجية تكفل الاستقلال والسيادة والوحدة وسلامة الاراضى للبلاد وتعاون فى الحفاظ على السلام العالمى .

وتتمثل هذه السياسة فى النقاط المحددة التالية :

١ — اقامة علاقات دبلوماسية مع كل البلاد بصرف النظر عن نظامها الاقتصادى والسياسى على اسس من الاحترام المتبادل لاستقلال وسيادة وسلامة اراضى كل منهما ، وبدون التصدى على اراضى بعضهما ، والتدخل فى رياسة كل منهما الداخلية وعلى اساس من المساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمى .

— انهاء كل العلاقات غير المتكافئة التى عقدتها الحكومة العميلة مع الولايات المتحدة او اى بلد آخر .

— احترام المصالح الثقافية والاقتصادية لهذه البلاد التى تتعاطف مع او تؤيد او تعاون الكفاح ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى للشعب الفيتنامى .

— قبول المساعدات الفنية والاقتصادية غير المشروطة من اى بلد .

— عدم الاشتراك فى اى تحالف عسكرى ، وعدم قبول اقامة قاعدة عسكرية او قبول عسكريين من بلد اجنبى فى اراضى فيتنام الجنوبية .

٢ — تقويه العلاقات الطيبه مع كل البلاد التى تتعاطف مع او تؤيد او تعاون الكفاح ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى لشعب فيتنام .

— تقوية علاقات الجوار مع كمبوديا ولاوس . استمرار تقوية التضامن والتعاون المتبادل بين شعوب بلدان الهند الصينية بحماية استقلالها وسيادتها واستقلال اراضيها ضد سياسة العدوان والتهديد بالحرب التى يمارسها المستعمرون الامريكيون واتباعهم .

٣ — التاييد الفعال لحركة التحرر الوطنى لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ضد الاستعمار الجديد والقديم .

— التاييد الفعال لكفاح الشعب الامريكى ضد الحرب العدوانية التى يشنها الاستعماريون الامريكيون فى فيتنام .

— التاييد الفعال لكفاح السود العادل فى الولايات المتحدة للحصول على حقوقهم الوطنية والاساسية .

— التاييد الفعال للكفاح من اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعى فى كل بلاد العالم .

٤ — الكفاح الفعال للمشاركه فى الحفاظ على السلام العالمى ومقاومة المستعمرين الامريكيين المحبين للحرب . المطالبة بتصفية الكتل العدوانية العسكرية والقواعد الاستعمارية الاجنبية العسكرية .

— تقوية وتنمية العلاقات مع المنظمات الديمقراطية العالمية وشعوب كل البلاد ومن ضمنها الشعب الامريكى باستمرار .

— التعاون الفعال من اجل تقوية وتنمية الجبهة الشعبية العالمية من اجل تاييد شعب فيتنام ضد العدوان الاستعمارى الامريكى من اجل الاستقلال الوطنى والسلام .

***

ان الكفاح ضد العدوان الامريكى من اجل الخلاص الوطنى لشعبنا قضية شديدة الصعوبة ولكنها قضية مجيدة . وهذه القضية لاتتعلق فقط بمصير شعبنا فى هذه الفترة وايضا فى المستقبل ولكنها تتعلق كذلك بمصالح شعوب العالم التى تكافح من اجل السلام والاستقلال الوطنى والديمقراطية والتقدم الاجتماعى . ومن اجل نجاح هذه القضية المجيدة فان على شعبنا ان يتحد ، اكثر من الان ، بقوة وعلى نطاق اوسع .

ان الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية ترحب بحرارة بكل الاحزاب السياسية والمنظمات الشعبية والشخصيات الوطنية والتقدمية التى تتجمع على نطاق واسع داخل وخارج الجبهة حتى تستطيع ان تهزم المستعمرين الامريكيين واتباعهم .

ان الكفاح ضد العدوان الامريكى لخلاص شعبنا الوطنى يمثل قضية عادلة ان شعبنا فى جميع انحاء البلاد يؤمن بفكرة واحدة وهى محاربة وهزيمة المستعمرين الامريكيين واتباعهم . ان تعاطف وتاييد وتعاون شعوب الدول الاشتراكية والاسيوية والافريقية والامريكية اللاتينية والشعوب المحبة السلام والعدل فى جميع انحاء العالم متضمنة التقدميين فى الولايات المتحدة بتزايد عمقها وقوتها يوما بعد يوم . اننا نحرز النصر وسيكون الفوز الكامل حليفنا .

وبالرغم من حماقة وقسوة وخبث الاستعماريين الامريكيين فانهم سيواجهون هزيمة قاسية لا محالة فى مشاريعهم الاجرامية . ومن اجل المصلحة العليا للوطن الام فليقوى شعبنا فى فيتنام الجنوبية من تضامنه ولتصبح الملايين كشخص واحد ، وليقف جنبا الى جنب فى قوة محركة لانتصاراتنا لتتم هزيمة المعتدين الامريكيين وحكومتهم العميلة ولنتعاون مع اخواننا فى الشمال على انجاح القضية المجيدة لتحرير الجنوب والدفاع عن الشمال للوصول الى اعادة الوحدة السلمية للوطن الام .

ان الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية تتعهد ان تكون جديرة بثقة اخواننا واصدقائنا فى القارات الخمس .

ان الشعب الفيتنامى سينتصر لامحالة

ان المعتدين الامريكيين واتباعهم سينهزمون لا محالة

ان برنامج الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية سيتحقق لا محالة .

ايها المحاربون والثوار فى جميع انحاء فيتنام الجنوبية تحت القيادة المجيدة للجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية .. الى الامام بشجاعة ...

قامت الطليعة من قبل بنشر غالبية النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية . وكانت الطليعة قد توقفت فى عددها السادس (يونيو ١٩٦٧) — بسبب ضغط حجم المجلة لمجابهة ظروف العدوان — عن نشر هذه النصوص . وكان آخر مانشر منها هو النص الكامل لمحضر التحقيق مع اليوزباشى احمد عبد السلام « المتهم » بقيادة اورطته الى عابدين مع الايات الجيش الاخرى .


سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

١٢

ديسمبر ١٩٦٧
السنة الثالثة

أساليب النضال المصرى

من حرب التحرير ضد الغزو الفرنسى
الى المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى

ملف خاص : أمريكا من الداخل

وثيقة سياسية : بيان جيش التحرير الوطنى فى بوليفيا

حسابات ستة أشهر عن العدوان والمقاومة

"حرب الغراب والفيل فى الشرق الأوسط"

قيمة الاشتراك
فى مجلة الطليعة

	شهر		سنة			
	بريد عادى	بريد جوى	بريد عادى		بريد جوى	
	مليم	مليم	مليم	جنيه	مليم	جنيه
اتحاد البريد العربى (غانا ، غينيا ، مالى) ماعدا عدن						
قيمة الاشتراك	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	١	٢٠٠	١
مصروفات البريد		١٤٥	...	.	٧٠٠	١
الاجمالى	١٠٠	٢٤٥	٢٠٠	١	٩٠٠	٢
لبنان ، سوريا والاردن						
قيمة الاشتراك	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	١	٢٠٠	١
مصروفات البريد	...	.٣٥	...	.	٣٨٠	.
الاجمالى	١٠٠	١٣٥	٢٠٠	١	٥٨٠	١
دول بريد أوروبا						
قيمة الاشتراك	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	١	٢٠٠	١
مصروفات البريد	.٦٠	٢٠٠	٧٥٠	.	٣٦٠	٢
الاجمالى	١٦٠	٣٠٠	٩٥٠	١	٥٦٠	٣
دول بريد أمريكا الشمالية						
قيمة الاشتراك	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	١	٢٠٠	١
مصروفات البريد	.٦٠	٥٤٠	٧٥٠	.	٥٠٠	٦
الاجمالى	١٦٠	٦٤٠	٩٥٠	١	٧٠٠	٧
دول بريد أمريكا الجنوبية						
قيمة الاشتراك	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	١	٢٠٠	١
مصروفات البريد	.٦٠	٦٦٠	٧٥٠	.	٩٥٠	٧
الاجمالى	١٦٠	٧٦٠	٩٥٠	١	١٥٠	٩

يرجاء لمن يرغب فى الاشتراك بمجلة « الطليعة » الاتصال بالعنوان الآتى :
القاهرة — مؤسسة الاهرام ١٢ شارع مظلوم — قسم الاشتراكات



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفي
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد الثانى عشر ــ السنة الثالثة ــ ديسمبر ١٩٦٧

عنوان المراسلات :

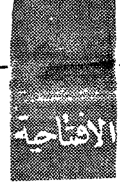
« الطليعة »
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٤٤١٤٤

الاشتراكات

لسنة بالبريد العادى . ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



٣ إجراءات .. وصفحة حسابات جديدة

من حقنا وواجبنا ان نرحب ــ كديمقراطيين اشتراكيين ــ فى مجتمعنا الذى يشق طريقه نحو الاشتراكية ويقاوم عدوانا استعماريا عنصريا غازيا بكل اجراء من شــأنه ان يعمق ويوســـع من قاعدة الوحدة الوطنية التقدمية .

ومن حقنا وواجبنا ان نبذل كل الجهد من اجل ان تحقق مثل هذه الاجراءات، عمليا، الهدف منها وهو اثراء الطاقة الوطنية التقدمية بمزيد من القوة والفاعلية وممارستها المسئوله للديمقراطية .

وفى اطار هذا الفهم نرحب باجراءات رئيسية ثلاثة اتخذتها القيادة الثورية خــلال هذا الشهر :

- الافراج عن المعتقلين من الاخوان المسلمين .
- رفع العزل السياسى عن اعداد جديدة من المواطنــين الذين سبق عزلهم عن العمل السياسى .
- التطبيق الحاسم لقانون من اين لك هذا على جميع من شـــاركوا فى ممارســة السلطه بجميع مواقعها ، منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى اليوم . وذلك ابتداء من رئيس الجمهورية ونوابه والوزراء ومن فى حكمهم حتى اعضــاء مجالس ادارات القطــاع العام .

ونحن نفهم **الاجراء الاول** من زاويتين :

الاولى : هي أعمال القانون وصيانة حرية المواطن بحيث لا يجرى تقييدها دون اتهام محدد ومحاكمة قانونية ذات ضمانات قضائية .

والثانية : هي حق من كان منتميا الى الاخوان المسلمين المنحلة فى ظروف سابقة وتحت اوضاع مغيبة تخطاها العصر والتطور الاجتماعي والفكرى والسياسى لمجتمعنا فى ان يفتح أمامه من جديد باب الالتحام بتحالف قوى الشعب العامل على اساس الالتزام بالميثاق الوطنى الذى اقره الشعب دليلا لحركته وتنظيمه السياسى الواحد ، وذلك مثله فى ذلك مثل من كان منتميا للاحزاب والحركات السياسية الاخرى .

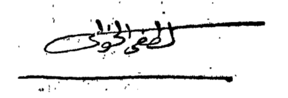
وهذا الفهم « للاجراء » لا ينفى استمرار الرفض الثورى القاطع للحركة الارهابية الاخوانية المعادية للتقدم الاجتماعى على الطريق الاشتراكي ، واستغلالها الدين واتهام كل من يعارضونها بالالحاد ، ستارا للتحرك المضاد للثورة .

ونحن نفهم **الاجراء الثاني** على ان التجربة العملية قد اثبتت ان هؤلاء الذين رفع عنهم العزل ، قد التزموا فى اخلاص بخط الثورة ، ميثاقا وتنظيما وقيادة . وكان طبيعيا ان تزال بالتالى « الأسوار السياسية » التى كانت تحول بينهم وبين المشاركة الفعلية فى العمل السياسى وتنظيماته ، فى وقت الوطن فيه بحاجة لكل جهود مناضليه الثوريين .

ونحن نفهم **الاجراء الثالث** على انه احدى الوسائل الهامة لتنفيذ الشعار العظيم الذى تبناه المناضل جمال عبد الناصر مع جماهير ٩ و ١٠ يونيو عن « الطهارة الثورية » لكل من يمارس عملا قياديا او خدمة عامة .

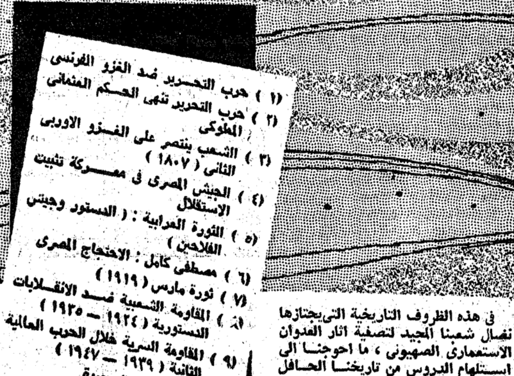
وهذا الاجراء من شأنه عمليا ان يحسم جذريا مناخ الشكوك ـ بالحق او بالباطل ـ التى شاع حول العديد من القيادات فى اعقاب النكسة وما كشفته من انحرافات مختلفة . بحيث يتحول الى مناخ صحى تسوده الثقة المتبادلة بين القيادات والجماهير فى جميع المواقع .

والحق ان هذه الاجراءات الجوهرية الثلاثة تمنح العمل الوطنى الثورى فى هذه الظروف المصيرية التى نجتازها ارضية ديمقراطية جديدة تتفق والمسئوليات التى نواجهها . وتفتح فى نفس الوقت ـ وهذا امر طبيعى يؤكد حيوية الثورة واستمرارها ـ صفحة حساب جديدة لصالح الوطن والاشتراكية اولا واخيرا .



أساليب النضال المصرى

« من حرب التحرير ضد الغزو الفرنسى ١٧٩٨ الى المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ »



(١) حرب التحرير ضد الغزو الفرنسى
(٢) حرب التحرير تنهى الحكم العثمانى المملوكى
(٣) الشعب ينتصر على الغزو الاوربى الثانى (١٨٠٧)
(٤) الجيش المصرى فى معركة تثبيت الاستقلال
(٥) الثورة العرابية : (الدستور وجيش الفلاحين)
(٦) مصطفى كامل : الاحتجاج المصرى
(٧) ثورة مارس (١٩١٩)
(٨) المقاومة الشعبية ضد الانقلابات الدستورية (١٩٢٤ — ١٩٣٥)
(٩) المقاومة السرية خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٧)
(١٠) قيادات شعبية جديدة
(١١) الكفاح المسلح فى القنال (٨ اكتوبر ١٩٥١ — ٢٦ يناير ١٩٥٢)
(١٢) الكفاح المسلح فى القنال (المرحلة الثانية ١٩٥٢ — ١٩٥٤)
(١٣) المقاومة الشعبية فى بورسعيد (نوفمبر ١٩٥٦ — ديسمبر ١٩٥٦)

فى هذه الظروف التاريخية التى يجتازها نضال شعبنا المجيد لتصفية آثار العدوان الاستعمارى الصهيونى ، ما احوجنا الى استلهام الدروس من تاريخنا الحافل المجيد . وفى الصفحات التالية تقدم « الطليعة » صفحات مضيئة من تاريخ مقاومة الشعب المصرى لكل الغزاة والمحتلين والعملاء ، ممن تكالبوا على هذا الوطن فى تاريخه الحديث ، من اتراك وفرنسيين وانجليز وامريكيين وصهيونيين، وتحطمت هجماتهم على صخرة المقاومة الشعبية المجيدة .



عندما نتحدث عن الكفاح الشعبى ، فنحن نهتم بالنضال الوطنى فى ارقى صوره ، واكثرها عمومية . وامام هذا لابد من ان نلاحظ بعض الحقائق الإساسية :

● اولها ان « الكفاح الشعبى » هو حركة عفوية او منظمة يعبر بها الشعب عن موقفه المضاد لقوى اجتماعية محلية او اجنبية تتحكم او تسعى للتحكم فى مصالحه الحيوية ، وبهذا المعنى فهو جوهر حركة الصراع الاجتماعى فى مسارها العام . ولما كان رصد هذه الحركة بشكل دقيق جديد لا يمكن توفره الا بتوفر الظروف الملائمة لانجاز مهمة اعادة كتابة التاريخ المصرى بالمنهج العلمى . فاننا نركز اهتمامنا فى هذا العرض العام على الكفاح الشعبى كحركة فى لحظة الاحتدام او النفجر . ومن البديهى ان هذه اللحظة هى قمة النضالات اليومية للشعب فى مرحلة تاريخية معينة . ولن نزعم ان هذه المحاولة قد خلت مما يعيب اى عرض عام ، وهو اغفالها لبعض الظواهر التاريخية النوعية او المؤقتة ، فتلك صعوبة يتعذر التغلب عليها ، على إنها كافية فى تصورنا لاستيعاب الخط العام لاساليب النضال المصرى .

● ومن الطبيعى ونحن نحاول ان نسجل صورا متتابعة للكفاح الشعبى المصرى فى العصر الحديث ، (١٧٩٨ — ١٩٥٦) انتعى الخط العام لحركة النضال المصرى خلال هذا العصر . وهو مقاومة الغزو الاوربى وتحقيق الاستقلال الوطنى وتثبيته . وقد اغتنى مضمون هذا الخط العام بتطور حركة المجتمع المصرى وتبلور طبقاته فى تكوينات محددة . ومن هنا فقد استمرت حركة النضال المصرى وتغيرت اساليبها فى موجات متتابعة تتناسب مع تطور الطبقات المصرية وتغير مواقفها ، وتناقض مصالحها فى الظروف العالمية المعينة ، ويتناسب مع وعيها بهذه المصالح وقدرتها على تنظيم نفسها وحشد قواها ، وانتزاع مكاسب جزئية او مرحلية من اعدائها . واذا كان التناقض الرئيسى ظل طوال هذه المرحلة هو التناقض بين قوى الشعب المصرى وبين الاستعمار العالمى ، فان القوى المتصارعة قد اصابتها تغيرات متعددة ، سواء فى ذلك القوى الوطنية او قوى الاستعمار العالمى . فبينما كان تعبير « قوى الشعب المصرى» فى حرب التحرير ضد الغزو الفرنسى يشتمل اساسا على قوى الفلاحين والصناع بقيادة التجار والمثقفين ، فان هذه القيادة اثناء «الثورة العرابية » تتمركز فى البرجوازية المصريه الزراعية . بينما بنمو جناح صناعى ضئيل فى قيادة ثورة ١٩١٩ ، وتلعب الطبقة العاملة والفلاحين دورا متزايدا فيها . وبينما كانت فرنسا هى الوجه البارز والممثل لقوى الاستعمار الغربى فى عام ١٧٩٨ ، فان الاحتكارات البريطانية هى التى فازت بالسيطرة السياسية والاقتصادية على مصر فى العقود الاخيرة من القرن الماضى حتى انتقل الخطر الاستعمارى الذى تتعرض له مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى الولايات المتحدة الامريكية .

على ان هذا التغير فى اطراف التناقض الرئيسى لا ينفى حقيقة اساسية ، وهى ان استمرار النضال المصرى كان نتيجة لموقف جماهير الفلاحين والعمال — بعد نشوء الطبقة العاملة — وان القوى الاجتماعية الاخرى التى قادت مراحل معينة من النضال المصرى ثم نفذت طاقتها الثورية بعد ذلك تماما ، لم تتمكن من ايقاف حركة التطور الاجتماعى .. هذه الحركة التى كانت تطرح تلقائيا فئات اجتماعية اخرى تتولى قيادة الطبقات الشعبية فى نضالها ضد الاستعمار .

● ومن اهم القضايا التى تهمنا عند استعراض الكفاح الشعبى المصرى ، هى قضايا « الوعى » و «التنظيم» كما تتبلور فيما اصطلح على تسميته «بالاساليب النضالية » . ويكاد من المحتم علينا — فى الظروف الراهنة بالذات — ان نهتم بهذه المسائل ، فالملاحظة العابرة تؤكد ان النضال الشعبى المصرى شديد الثراء والغنى ، لا تنقصه روح التضحية ، بل لعلها متوفرة فيه بشكل لا يحتاج الى تاكيد . لكن المكاسب التى حققها الشعب المصرى فى مقابل هذه التضحيات لا تقاس بما بذل فى سبيلها ، ولعل ضآلة هذه المكاسب هو ما يشكك البعض فى قدرة الشعب النضالية ،

فيقيسون ما كسبه بما بذله ، وهو قياس غير صحيح . وقد اخترنا في هذا العرض ان نركز على «اساليب النضال المصرى» وان نوضح الفرق بين تناول كل واحدة من القوى الاجتماعية لهذه الاساليب والدور الذى لعبته الطبقات القائدة لحركة النضال لتطويع نضال العمال والفلاحين فى داخل اطاراتها وافقاد الجماهير الشعبية قياداتها الخاصة والمستقلة .

● وينبغى ان نحدد هنا موقع « القوات المسلحة النظامية » من خريطة الكفاح الشعبى . ان مساهمة هذه القوات بشكل عام فى التجارب العالمية فى صد الغزاة الاجانب يضعها فى موقع هام من حركة الكفاح الشعبى ، ولكن وضعيتها كجزء من جهاز الدولة الطبقي — فى المجتمع الاقطاعى الرأسمالى — يجعلها تلعب دورا مضادا لحركة الجماهير الشعبية . وهى تلعب هذا الدور فى اتجاهين : الاول قمعها للجماهير الشعبية المتحركة ضد غزو خارجى جاء بتواطؤ بين الطبقات المستغلة فى الداخل والقوى الغازية ، والثانى قمعها للجماهير المتحركة ضد عمليات الاستبداد والاستنزاف الطبقى داخل المجتمع نفسه ، ولذلك قاعدة لها استثناءاتها بالطبع . فالاتجاه الاول — عند التطبيق على بلادنا — يتأكد بموقف الجيش المملوكى الذى جاءت حملة فريزر (١٨٠٧) بتواطؤ معه ، واستعد بالفعل القتال فى صفوفها ثم رضى بالوقوف على الحياد مقابل تنازلات معينة قدمها له محمد على . بينما نلاحظ كاستثناء له موقف قسم من الجيش التركى بقيادة « كاظم قره بكير » الذى توجه لمحاربة ثورة الاناضول بقيادة مصطفى كمال فانضم اليها . ويتأكد الاتجاه الثانى بموقف الجيش المصرى فى ظل القيادات الانجليزية التى استخدمته لقمع حركة الجماهير الشعبية ، بينما تمثل حركة « الضباط الاحرار » التى قادت ثورة ٢٣ يوليو ضد الاقطاع والرأسمالية الاجنبية ، استثناء لهذا الاتجاه .

ان استعراضنا لاساليب النضال المصرى طوال هذه المرحلة ليس استعراضا للتاريخ المصرى ، وانما هو تركيز على جانب محدد من جوانبه ، والهدف الذى يهمنا من تقديمه ليس مجرد استعادة ثقتنا فى امكانيات شعبنا النضالية ، وانما بدرجة اهم الاستفادة من خبرات النضال المصرى فى تحديد خطواتنا التى ينبغى ان تتجه نحو تعميق خبرة الشعب النضالية بكل الاضافات التى قدمتها حركة التحرير الشعبية فى العالم . ومن البديهى ان عدم الاستفادة من امكانيات الشعب وخبرته ستجعل كل خطواتنا تطيش فى غير اتجاهها . والاهمية المتعاظمة لنضال الشعب المصرى تكمن فى ان حركته جزء من حركة النضال العالمى ضد الاستعمار ، وانه لا يستفيد فحسب تحقيق استقلاله الوطنى ولكنه يساهم فى هزيمة الاستعمار كنظام عالمى فيحمى هذا الاستقلال ويدعمه ، ويسمح بافضل الظروف لبناء نموذجه الاجتماعى المعبر عن مصالحه وتطلعاته .

لقد مارس شعبنا كل اساليب النضال فى اسوأ الظروف العالمية ، فمارس حرب التحرير العفوية والمقاومة المسلحة ، والاغتيال الفردى ، والتظاهر السلمى .. وخلال قرن ونصف ، حارب شعبنا بضراوة كل الغزاة والطغاة ، وبدأ نضاله فى العصر الحديث بأرقى اشكال النضال : حرب التحرير الشعبية .

■ ■

١
حرب التحرير ضد الغزو الفرنسى

تعتبر حرب التحرير الشعبية التى خاضها الشعب المصرى ضد الاستعمار الفرنسى ، من أغنى خبرات النضال المصرى . ويزيد من اهتمامنا بهذه الحرب انها تقدم دليلا على حيوية الشعب المصرى وقدرته على احتمال التضحيات مهما بلغت قسوتها فى سبيل استمرار حرب التحرير . كما انها تضع امامنا بعض الدلالات الهامة لطبيعة حرب التحرير على الارض المصرية ، وموقف الفئات الاجتماعية المختلفة من هذه الحرب ، وامام هذه الحرب ينبغى ان نؤكد الحقائق التالية :

● ان شراسة المستعمرين الفرنسيين قد فاقت كل صور ممكن ، حتى ليصف « **الجبرتى** » السنة التى وصلت فيها الحملة الفرنسية بانها « **أولى سنى الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الامور وتوالى المحن واختلال الزمن**

وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع ، وتتابع الاهوال واختلاف الاحوال ، وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الاسباب» ، وليس هذا الوصف مجرد كلمات مسجوعة ، اذ فى تاريخ « **الجبرتى** » نفسه مئات الوقائع التى تؤكد كل كلمة من هذه الكلمات ، ان احراق عشرات القرى ، وقتل الالوف من النساء والاطفال ، واغراق الاراضى ، واغتيال قيادات الثورة ، واعتقالهم .. كل هذه حقائق اعترف بها مؤرخو الحملة الفرنسية — واغلبهم من قوادها والمسئولين عنها — بصورة اكثر دقة من « **الجبرتى** » .

● وعلى الرغم من ان فرنسا كانت آنذاك اقوى دولة فى العالم ، وكانت قد حققت انتصارات مذهلة فى القارة الاوروبية ، فان الشعب المصرى لم يتوقف خلال السنوات الثلاث التى قضتها الحملة على الارض المصرية عن قتالها . يقول « **الجنرال ريبو** » — احد قواد الحملة — ان الجنود الفرنسيين كانوا يعملون على اخماد الثورة باطلاق الرصاص وفرض الغرامات على البلاد « **لكن الثورة كانت كحية ذات مائة رأس كلما اخمدها السيف والنار فى ناحية ظهرت فى ناحية أخرى أقوى وأشد مما كانت ، فكأنها كانت تعظم ويتسع مداها كلما ارتحلت من بلد الى آخر** » .

● على ان اختلاف اساليب القتال تلفت النظر حقا ، فقد اشتركت الجماهير فى صد الغزو فى ميادين ثلاثة :

الميدان الاول مساهمتها فى الحرب النظامية التى دارت بين الجيش المملوكى والجيش الفرنسى . **والميدان الثانى** انفرادها بتنظيم المقاومة الشعبية المسلحة داخل الوادى وبالذات فى دلتا النيل ؛ **اما الميدان الثالث** فكان الحرب الضارية التى تحملت الجماهير عبئها الاكبر فى الصعيد . ويلاحظ ان حركة المقاومة المسلحة قد شملت الارض المصرية كلها ، ولكن بينما حققت حرب الصحراء نجاحا أفضل ، تطلبت المقاومة داخل دلتا النيل تضحيات كبيرة تحملها الشعب .

وقد بلور « **القومندان دى لاجونكيير** » هذه الحقيقة فى حديثه عن حرب « **الجنرال ديزيه** » فى الوجه القبلى فقال : « **ان المقاومة التى لقيتها الجنود الفرنسية فى الوجه البحرى كانت فى الغالب ذات صبغة محلية ولكن فرقة الجنرال ديزيه هى التى اضطرت أن تواجه حركات حربية حقيقية** » .

● وينبغى أن نلاحظ ايضا موقف مختلف الطبقات الاجتماعية من حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسى ، فقد كان المماليك يمثلون طبقة منعزلة اجتماعيا فى قمة السلطة ، يقتصر الانتماء عليها على من يستجلب من اصقاع آسيا ، ولا تشترك فى العملية الانتاج ، وتحول بين الشعب وبين الانخراط فى السلك العسكرى وتجعله مقصورا على اتباعها . ورغم عدم اشتراك المماليك فى العملية الانتاجية عموما فانها كانت تستولى على كل فائضها . وقد ادرك الفرنسيون هذه الحقيقة وان كانوا قد اخطأوا فيما استنتجوه منها . قال « **تاليران** » وزير خارجيتهم فى تقريره الى حكومة الديركتوار عن مشروع الحملة « **ان اهالى مصر قاطبة يكرهون حكامهم المماليك الذين يسومونهم الظلم والاضطهاد وهم عزل لا سلاح معهم ، واذا اعطاهم المماليك سلاحا بحجة الدفاع عن البلاد من الغارة الاجنبية فانهم لاشك سيحاربون به طائفة المماليك أنفسهم فليس ثمة خوف من مقاومة او وثبة من الاهالى** » .

موقف المماليك

وعلى الرغم من ان الفرنسيين كانوا يعتمدون على تصور ان التناقض بين الشعب والمماليك يدفع الشعب الى موقف المتفرج من الغزو ، فانهم لم يضعوا فى اعتبارهم بدقة موقف المماليك الانهزامى ، وطبيعة موقفهم كطبقة من المرتزقة الغريبة عن مصر ، التى لا تهمها فى شىء الا بقدر ما تستنزف من ثروتها .

ويمكن متابعة موقف المماليك على النحو التالى :

● اهمالهم خطر الغزو الفرنسى واستهانتهم به ، فقد تدهورت وسائل الدفاع عن مصر ، بحيث تهدمت تحت سلطانهم القلاع التى انشأها السلاطين . فسرى الخراب الى قلاع الاسكندرية وابو قير ورشيد ودمياط والبرلس والقرين ، والقاهرة . ولم يكن فى هذه القلاع اى نوع من انواع الاسلحة . ولم يكن فيها حتى حاميات مستعدة للدفاع بسبب خوف المماليك من ان يثب احدهم على السلطة فى غياب جنوده عن القاهرة . وقد لعب الجفاء التقليدى بين «**مراد بك**» و «**ابراهيم بك**» دوره فى عدم تعاونهما فى رسم خطة عسكرية موحدة لمواجهة غزو القاهرة ، حتى ان كلا منهما بقى بجيشه بعيدا عن الاخر « فمراد بك » بالشاطىء الغربى للنيل (**امبابه**) و «ابراهيم بك» بشاطئه الشرقى (**بولاق**) . وكان المماليك الى جانب هذا شديدى الاعتداد بقوتهم حتى ان مراد بك كلف « المسيو روبستى » قنصل النمسا بان يطلب من الفرنسيين ان يعودوا كما جاءوا ، واذا كانوا يريدون بعض الريالات فلا مانع — وزعموا — كما يقول الجبرتى « **انه اذا جاءت جميع الافرنج**

لا يقفون فى مقابلهم وانهم يدوسونهم بخيولهم ».

ومن خططهم العسكرية التى ابتشارت سخرية الجبرتى — وهو غير الخبير بالشئون العسكرية — « انهم فكروا فى صنع سلسلة سميكة طولها مائة وثلاثون ذراعا ينصبونها فى بوغاز رشيد لتمنع السفن الفرنسية من العبور » . ويبدى الجبرتى انتقاده لان الامراء لم يفكروا فى ارسال جاسوس او طليعة تناوش الغزاة بالقتال ، بل تحصنوا فى القاهرة فى انتظار استيلاء الفرنسيين على الوجه البحرى والوصول اليهم . ومن الطبيعى ان يكون اهتمام تلك الطبقة الطفيلية الفاقدة لاى روح وطنية مركزا فقط فى ثرواتها ومجوهراتها وما نزحته من الشعب ، والسعى لتأمينه . يقول « الجبرتى » انه بمجرد سقوط الاسكندرية شرع الامراء « فى نقل امتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة للبيوت الصغار التى لا يعرفها احد ، وصاروا طول الليل فى نقل الامتعة وتوزيعها عند معارفهم وثقاتهم وارسال البعض منها لبلاد الارياف ، واخذوا ايضا فى تسهيل الاحمال والاستحضار لدواب الشيل وادوات السفر وماذلك الا للتعويل على الهزيمة » . وليس هناك وصف عام لموقف المماليك ادق من قول « الجبرتى » انهم كانوا « متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختيالون فى ريشهم مغترون بجمعهم ، محتقرين شأن عدوهم مرتبكون فى رؤيتهم مغترون فى غفلتهم وهذا كله من اسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم » (١) .

● وبعد هزيمة « مراد بك » فى معركة الاهرام (٢١ يوليو ١٧٩٨) ، انسحب الى الجيزة ومنها الى الوجه القبلى حيث استقر هناك فترة . اما « ابراهيم بك » الذى كان مرابطا بالبر الشرقى (بولاق) فانه بمجرد هزيمة زميله لم يفكر فى الاستمرار فى مكانه ملتزما خط الدفاع الذى كان يرابط به . بل سارع الى الفرار هو وجيشه ، فاتجه الى بلبيس ثم الى سوريا حاملا امتاعه وامواله وتحفه التى امتصها من دماء الشعب ، تاركا شعبا غير مسلح وجها لوجه امام الغزو الفرنسى . وقد ظل « ابراهيم بك » فى سوريا ولم يعد الا بعد انسحاب الجيش الفرنسى ، اما مراد بك الذى استقر فى الوجه القبلى ، فقد حرص على الهروب من الحرب العنيفة التى شنها الفلاحون هناك ، رغم اشتراكه فيها اشتراكا متقطعا . ورفض فى البداية ان يقبل حكم الوجه القبلى كممثل للسلطة الفرنسية ، ثم بدأ يدرك أن محاولة تركيا للاستيلاء على مصر عسكريا من يد الفرنسيين سوف تؤدى الى القضاء على نفوذه. فبدأ من اكتوبر ١٧٩٩ يسعى للتفاهم مع الفرنسيين ووقع معهم صلحا فى ابريل ١٨٠٠ ، اثناء ثورة القاهرة الثانية ، اعترف فيه الفرنسيون بمراد بك اميرا وحاكما للوجه القبلى وخولوه السلطة على البلاد ، من جرجا الى اسوان ، مقابل دفعه الخراج . واتفقا (الفرنسيون ومراد بك) على انه « لا يجوز لكل منهما قبول الفلاحين الذين يمتنعون عن دفع الضرائب ويفرون الى منطقة الطرف الآخر » . وضمن له « كليبر » تمتعه بايراد المنطقة التى يحكمها وتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته ، وتعهد مراد بانه اذا حصل هجوم على المنطقة التى يحتلها الجيش الفرنسى فانه سوف يرسل قوة من جنوده توازى على الاكثر نصف قواته .

الشعب فى المعركة

على الرغم من هذا فان الشعب قد استمر فى حربه التحريرية ، متحالفا جزئيا مع المماليك احيانا ومع العثمانيين احيانا اخرى ، ومستمرا فى المعركة فى حالة تهادن هؤلاء او اولئك . واتخذ الشعب مواقفه مستقلا عن كلا الاثنين فى أغلب الاحيان .

● فعلى الرغم من أن حصون الاسكندرية كانت محطمة تماما ، ولم يكن بها اية استعدادات عسكرية ، فان محافظ المدينة « السيد محمد كريم » قد رفض السماح « للاميرال نلسن » قائد الاسطول الانجليزى — الذى كان يتجول بحثا عن الاسطول الفرنسى — بدخول الاسكندرية ليتزود منها بالماء والطعام والوقود ، وجاوبهم « بكلام خشن » على حد تعبير الجبرتى ، وعلى الرغم من ثلاثة عشر رسولا ارسلهم المحافظ الى المماليك طالبا النجدة التى لم تصل ، فان الاجراءات الشعبية للدفاع عن المدينة قد اتخذت بسرعة . وثار الاهالى وكادوا يقتلون القنصل الفرنسى ، وسمح له بمقابلة الاسطول مع مرافقين من البحارة المصريين كلفوا بأن يعودوا به ثانية ، وعند وصول الجنود الفرنسيين الى الجزء المسكون من المدينة ، بدأوا ينتقمون من المقاومة التى لقيتهم ، فدخلوا البيوت التى تحولت على الفور الى مراكز لاطلاق النار ، مما عرض « نابليون » نفسه لرصاصة كادت تقتله ، واصيب نتيجة لذلك

---

(١) فى النصوص الواردة من الجبرتى — يراجع الجزء الثالث من « عجائب الاثار فى التراجم والاخبار » وهو الجزء الخاص بالحملة الفرنسية — ويراجع ايضا « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » وهناك اختلافات قليلة بينهما ولكنها هامة .

« **كليبر** » بعيار نارى فى جبهته كما اصيب « **الجنرال مينو** » بضربة حجر اسقطته من اعلى سور ، وقدرت المصادر الفرنسية قتلى الاهالى بسبعمائة قتيل الى ثمانمائة قتيل ، وكان سكان الاسكندرية اذ ذاك ثمانية آلاف .

● ولم يكتف الشعب بتحمل عبء الدفاع وحيدا فى المعركة — كما حدث فى الاسكندرية — وانما شارك فى المعارك المسلحة التى جرت بين الجيش المملوكى وبين الفرنسيين ، ففى « **معركة شبراخيت** » (**١٣ يوليو ١٧٩٨**) التى جرت بين مراد بك والجيش الفرنسى ، وهى المعركة الوحيدة التى حارب فيها الجيش المملوكى بين الاسكندرية والقاهرة ، شارك الفلاحون المصريون بنصيب وافر فى المعركة . فبينما كان عدد الجيش المملوكى **١٢ الف** مقاتل ، لم يكن بينهم سوى **ثلاثة آلاف** فقط من فرسان المماليك ، اما الباقون فهم من اتباع المماليك ومن الفلاحين الذين كانوا مسلحين — كما يقول تقرير عسكرى فرنسى — بالبنادق والشماريخ . وقد هددت جموع الفلاحين على شاطىء النيل الاسطول الفرنسى بالخطر الشديد ، اذ هاجمته من الجانبين مما ادى الى غرق خمس سفن فى النيل ، واستولى الفلاحون على سفينتين حربيتين مسلحتين ، مما جعل « **الجنرال الفرنسى اندريوسى** » يتنبه لهذا الخطر فيأمر بانزال الجنود الى البر لمقاومة الاهالى الذين كانوا يطلقون النار على السفن باعتبار ان تلك هى الوسيلة الوحيدة لحماية الاسطول الفرنسى .

وفى القاهرة ابدت جماهير الشعب استعداداها الكامل لتحمل كل اعباء القتال ، وخاصة هؤلاء الذين يسميهم الجبرتى « **الحرافيش والجعيدية واوباش الناس** » . فقبل « **معركة الاهرام** » باربعة أيام ، وعلى الرغم من هزيمة الجيش المملوكى فى « **شبراخيت** » لم يتردد الناس فى الخروج للمتاريس ، « **فاغلق الناس الدكاكين والاسواق وخرج الجميع لبر بولاق ، فكانت كل طائفة من طوائف اهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون خيما او يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون اليه من الدراهم التى جمعوها من بعضهم . وبعض الناس يتطوع بالانفاق على البعض الاخر . ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والاكل وغير ذلك بحيث ان جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم ببذل اموالهم ، فلم يشح فى ذلك الوقت احد بشىء يملكه ولكن لم يساعدهم الدهر . وصعد نقيب الاشراف السيد عمر افندى (عمر مكرم) فانزل منها بيرقا كبيرا اسمته العامة البيرق النبوى فنشره من القلعة الى ان وصل به الى بولاق وهو راكب ومعه الوف من العامة بالنبابيت والعصى** » . لقد رحل القاهريون جميعا الى ارض المعركة فى بولاق اما القاهرة فقد خلت تقريبا ، » **وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفا والرصاص بتسعين ، وغلا السلاح وقل وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى** » . وعلى الرغم من هذا الاستعداد العظيم فان الجيش المرادى (نسبة الى مراد بك) المعسكر بالضفة الغربية للنيل قد هزم لسوء الخطة الحربية التى كان قد رسمها ، ولعدم قدرته على تعويق الفرنسيين فى الطريق من الاسكندرية الى القاهرة . بينما لم يحارب جيش ابراهيم بك ، وانسحب بمجرد هزيمة زميله الى « بلبيس » ومنها الى « سوريا » بعد **معركة الصالحية** . تاركا الالوف المتطوعة فى الصفوف الخلفية لمواجهة العدو الفرنسى . وقد أدى الغباء العسكرى لمراد بك الى فرق آلاف من الفلاحين والعربان الذين كانوا يشتركون فى الدفاع عن القاهرة .

الهجمات المفاجئة

كان « **نابليون** » يظن انه — وقد هزم المماليك فى موقعتى الاهرام (مراد بك) والصالحية (ابراهيم بك) ، وبهروب اولهما الى الصعيد وثانيهما الى الشام — قد قضى على القوات المسلحة القادرة على الدفاع عن مصر . ولكنه لم يحسب حسابا للمقاومة الشعبية التى استمرت طوال فترة الحملة .

معركة الصالحية

(١١ أغسطس ١٧٩٨)

فر ابراهيم بك عقب معركة الاهرام الى بلبيس واقام بها هو وجيشه ، ورأى نابليون ان بقاء القوة العسكرية التى معه سليمة يهدده بالخطر ، فجرد حملة بقيادته لاخضاع مناطق شرق الدلتا ، فتعرضت لمقاومة عنيفة من الفلاحين فى مديريتى القليوبية والشرقية ، وعندما وصل الى بلبيس (عاصمة الشرقية وقتذاك) كان ابراهيم بك قد اخلاها متجها الى الصالحية فى طريقه الى الشام ، فاراد نابليون ان يدمر قوته العسكرية حتى لايبقى منه خطر ، فداهمه فى الصالحية ، حيث اشتبكا فى معركة ضارية كادت تنتهى بهزيمة الجيش الفرنسى فى مرحلتها الاولى ، لان القتال كان يدور بالسلاح الابيض وهو ما يتفوق فيه المماليك ، ولكن المدد الذى وصل الى الجيش الفرنسى مكنه من هزم جيش ابراهيم بك . وفر الى سوريا مع ما بقى من جيشه .

وقد اتخذت هذه المقاومة عدة أساليب :

● فقد كانت هناك مناوشات خفيفة هدفها عرقلة تقدم الجيش الفرنسي ، واجباره على الاحتفاظ بقوات كبيرة في المدن والقرى لحماية وجوده بالبلاد . وتتمثل تلك المناوشات في قطع مواصلات الجيش — سواء عن طريق قتل حملة البريد بين فرق الجيش المختلفة او بينها وبين القيادة العامة في القاهرة ، او عن طريق الامتناع عن تقديم الاحتياجات الاساسية للجيش اللازمة لتقدمه او استقراره . ذلك ان « نابليون » لم يحضر معه سوى ٦٨٠ جوادا في حين ان عدد فرسانه اربعة آلاف ، فضلا عن حاجته للدواب لنقل الامتعة والمؤن وخاصة في المناطق الصحراوية . هذا بخلاف الاحتياجات العسكرية الاخرى مثل الغذاء للجنود والخيول والدواب والماء لهم جميعا في المناطق الصحراوية او البعيدة عن النيل . وقد عانى نابليون من امتناع الاهالي عن تقديم اى من هذه المعونات لجيشه ، فالجيش الذى تركه في الاسكندرية وكلف قائده الجنرال كليبر احدى فرقه بالتوجه الى البحيرة للتجول وضمان مواصلات الجيش الرئيسى الذى كان متوجها الى القاهرة ، لم يستطع توفير الجمال لهذه الفرقة . وبلغ الحال انه في يوم تحرك الفرقة اختفت الجمال من الاسكندرية ثم عادت الى الظهور غداة سيرها . كما دأب اهالي رشيد على قطع ترعة الاسكندرية (المحمودية الآن) ليمنعوا وصول المياه الى الثغر . وقد قاسى « **الجنرال ديزيريه** » — وكان في طليعة الجيش الفرنسى المتجه الى القاهرة — من شدة الحر وقلة الماء وصعوبة السير في الرمال . فقد ردم العربان الابار والقوا فيها النطرون المالح حتى صار ماؤها مرا وحامضا . وفي حملة الصعيد جعل الثوار هدفهم ضرب مراكز تجمع الغلال التى كان الجيش الفرنسى يجمعها . وقد اتبع الاهالي ، وخاصة في الوجه البحرى ، اسلوبا آخر هدفه منع الجيش الفرنسي من الاستيلاء على اى قرية وبها ما يمكن أن يستفيد منه . فكانوا يخلون القرى تماما من البشر والمواشى والاغذية والمتاع ، ويحرقون المزروعات ، ثم يتجمعون على شاطىء النيل لمهاجمة الجنود واجبارهم على الابتعاد عنه .

● وكان هناك ايضا اسلوب المقاومة المسلحة للمحاولات التى يبذلها الجيش للاستيلاء على القرى والمدن ، فعندما اراد « **الجنرال مينو** » ان يجوب شمال الدلتا بكتيبة من جنوده فوجئت في « **شباس عمير** » بمقاومة مسلحة اشترك فيها فلاحو القرية والقرى المجاورة الذين تحصنوا بسور القرية وأجبروا الكتيبة الفرنسية على التراجع الى رشيد مرة ثانية . وقد تعرضت قوات « **الجنرال ديموى** » التى توجهت لنفس الغرض الى تدهور لذات الموقف مما جعلها ترتد الى الاسكندرية . وبعد استقرار « نابليون » في القاهرة ارسل بعض فرق الجيش الفرنسي لمطاردة ابراهيم بك في الشرقية ، واحتلت تلك الفرق « **الخانكة** » لتتخذها قاعدة للزحف على الوجه البحرى وانشأوا بها مخابز لتموين الجيش . وعندما حاول الفرنسيون الاستيلاء على « **ابو زعبل** » صدهم عنها الفلاحون والعرب وكانوا مسلحين بالبنادق والحصى ، فعادت الكتيبة ادراجها الى الخانكة واخذ الاهالي من العرب والفلاحين يتعقبونها الى مستقرها ، ثم هاجموا المخافر الامامية لمعسكر الخانكة ، مستترين بغابة ابى زعبل وبالمزروعات وظلوا يهاجمون المعسكر حتى اجبروا الجيش الفرنسى على الانسحاب من الخانكة . وقد ادى الى تفاقم الموقف ثورة اهالي الخانكة انفسهم مما جعل الجيش الفرنسى في موقف المحاصر بين الثورة والهجوم . ولم يستطع الفرنسيون استرداد الخانكة الا بعد وصول المدد اليهم . وعندما حاول « **الجنرال فوجيير** » اخضاع مديريتى المنوفية والغربية فوجىء بمقاومة عنيفة من اهالي المديريتين . ففي قريتى تتا وغمرين ، اغلق الاهالي ابواب القريتين في وجه الجنود ، بحيث لم يستطع الجيش الفرنسى فتحهما الا بعد وصول المدد اليه . ورغم هذا فقد اشتبك الاهالي والجنود في طرقات القريتين .

ويقول ضابط فرنسى من الذين اشتركوا في المعركة ان « **الجيش الفرنسى قد فتح القريتين بعد قتال عنيف وقتل من الاهالي حوالى ٤٠٠ او ٥٠٠ بينهم عدد من النساء كن يهاجمن جنودنا بكل بسالة واقدام** » .

كما اضطرت السلطات العسكرية الفرنسية الى تجريد حملة خاصة لاحتلال « **كفر عشما** » التى كان زعيمها « **ابو شعير** » قد حصنها ووضع مخافر مسلحة حولها . واشترك اهالي القرية في مقاومة عنيفة . وقد ابتهج الفرنسيون بقتلهم « **ابو شعير** » ، الذى كان اعدوا عنيفا ، اذ كان لديه اسلحة متقدمة منها ثلاثة مدافع وعدد كبير من البنادق . وقد تعرض الجيش الفرنسى لهذه المقاومة في كل مكان حاول اخضاعه .

● وكانت هناك الانتفاضات المسلحة التى قامت في القرى والمدن التى تم فتحها بالفعل . وعلى رأس هذه الانتفاضات **ثورتا القاهرة الاولى والثانية ، وثورة المهدى ، وثورة حسن طوبار** . ونكتفى بهذه الامثلة من الثورات الشعبية .

ثورة القاهرة الاولى

ويلاحظ ان **ثورة القاهرة الاولى** كانت انطلاقا عفويا احتجاجا على الضرائب التى فرضها المحتلون على الشعب . وكان الفرنسيون قد شعروا بانتشار المقاومة المسلحة ، فبدأوا يحاولون تقليم أظافر الشعب . وذلك بجمع السلاح الذى معه ــ وكان قليلا ــ بالاكراه ، وفرض اقصى العقوبات على من يضبط لديه اى سلاح . واستولوا على ورش اعداد البارود ومحلات بيع الاسلحة . كما اتجهوا الى تهديم ابواب الحارات والشوارع والعطفات لأنها كانت تشكل فى رأيهم متاريس طبيعية يمكن استخدامها فى حالة الثورة . وعلى اثر فرض الضرائب تجمع ((**الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم ، واصبحوا يوم الاحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين . وابرزوا ماكانوا اخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح**)) وذهبوا الى بيت القاضى التركى وأجبروه على أن يصحبهم فى طريقهم الى مقر ((**نابليون**)) بالازبكية ليطالبوه بالغاء الضرائب الجديدة ، فاضطر الى موافقتهم . ولكنه ادرك فى الطريق خطر الموقف فتقهقر عائدا الى داره فرجموه بالطوب والحجارة . وكانت تلك شرارة الثورة . فاحتشدت الجموع فى الازهر وامتلأت الطرقات بالشعب مسلحا بالبنادق والرماح والسيوف والعصى ، ووجهتهم احياء الفرنسيين لمهاجمتها . واسرع ((**ديبوى**)) قومندان القاهرة وبعض جنوده الى منطقة بدء الثورة ، فقتلتهم الجماهير ، مما كان له اثره فى تشجيع الثوار الذين استولوا على المواقع المحيطة بمعظم أحياء القاهرة واتخذوا من مساطب الحوانيت متاريس اقاموها فى الشوارع والحارات وأخذوا يطلقون النار من خلالها . وزادت جموع الثوار بمن انضم اليهم من الضواحي وطفقت الجموع تتجمع بالازهر حتى اجتمع به وحده ١٥٠٠٠ رجل من أشد الثوار حماسة . وعاد ((**نابليون**)) مسرعا الى القاهرة ــ وكان خارجها ــ ونصب الاستعدادات العسكرية ، وخاصة المدافع ، على ربا المقطم لتعاون مدافع القلعة فى اطلاق القنابل على الازهر مركز المقاومة . واستمر الضرب فى اليوم الثانى ، واخذت القنابل تتساقط على حى الازهر وما حوله ، فى الوقت الذى شرع فيه الثوار فى الهجوم على موقع الازبكية مواجهين نيرانا حامية من المدافع الفرنسية مما ادى الى تسلقهم المنازل والاسطح المشرفة على الموقع . واحتلوا جامعا صغيرا هناك واصلوا الازبكية نارا حامية قتلت الكثير من رجال الحامية الفرنسية . وقد رفض الثوار وساطة اعضاء الديوان الذين طلبوا اليهم الكف عن القتال ومنعوهم من دخول الجامع الازهر . واستمروا يقاتلون حتى فقدوا اكثر من الفى قتيل .

ثورة المهـــدى

قامت ثورة المهدى فى ((**مديرية البحيرة**)) اثناء غياب نابليون فى الحملة الشامية . وقد قادها **شخص مجهول** ، ادعى المهدوية ، نزح من واحة سيوه فضم اليه عدد من الحجاج ، حتى وصل الى البحيرة فاستولى على **دمنهور** بغتة ، وقبض على من فيها من الجنود الفرنسيين وفتك بهم قتلا وذبحا . واستولى على الاسلحة والمدافع التى كانت بحوزتهم . فلما انتشر خبر انتصاره فى مديرية البحيرة هرع اليه الناس من كل مكان ، وانضم اليه اربعة آلاف فلاح بينهم خمسمائة مسلح . وكان فى **الرحمانية** فرقة من الجيش الفرنسى توجهت للقضاء على المهدى فاشتبك معهم فى معركة مسلحة بين دمنهور والرحمانية . وتمكن جيش المهدى من هزيمة الجيش الفرنسي وتكبيده خسائر فادحة اضطرته الى الانسحاب الى الرحمانية . وبعد ان حشد الفرنسيون قوات هائلة تحول جيش المهدى الى عصابات منتشرة فى الوجه البحرى تتولى استثارة الثورة ، وتهاجم حاميات الجيش الفرنسى .

وقد هاجمت احدى هذه العصابات فى **ادكو** حملة فرنسية كان يقودها ((**الجنرال دومارتين**)) الذى اخضع ثورة القاهرة . وقد أفنت قوة العصابات هذه الحملة عن آخرها . وهذه الثورة مجهولة التاريخ . ولكن من المؤكد ان عصابات المهدى قد اشتركت فى جميع الثورات غير المحدودة التى نشبت فى الوجه البحرى طوال فترة الحملة .

ثورة القاهرة الثانية

عقب توقيع اتفاقية العريش التى اتفق فيها الجيش الفرنسى مع العثمانيين على الانسحاب ، وبعد وقوع معركة عين شمس (٢٠ مارس ١٨٠٠) التى هزم فيها الجيش العثمانى امام الجيش الفرنسى ، بسبب نقض الانجليز لاتفاقية العريش ... بدأت الثورة من بولاق بزعامة ((**الحاج مصطفى البشتيلى**)) ، وهو من أعيان الشعب . وكان الفرنسيون قد اعتقلوه من قبل لوجود بارود مخزون فى وكالته ، ثم اطلقوا سراحه بعد توقيع اتفاقية العريش . وانضم اليه بعد ذلك كل من ((**السيد عمر مكرم**)) و ((**السيد احمد المحروقى**)) كبير تجار القاهرة . وقد بدأ الاهالى بمهاجمة مواقع الفرنسيين . ولما ردتهم المدافع عنها احتلوا البيوت المشرفة عليها مستخدمين المدافع المطمورة وثلاثة مدافع جاء بها الاتراك . واستطاعوا حصر الفرنسيين فى معسكرهم فى

الازبكية ، غير ان القلاع ظلت تقصف المدينة بقذائفها ، وما ان مر على اندلاع الثورة ثلاثة ايام حتى كانت قد عمت القاهرة . وكان الاهالى قد انشأوا فى اربع وعشرين ساعة مصنعا للبارود . وآخر لاصلاح الاسلحة والمدافع وثالثا لصنع القنابل والقذائف وجمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت . وتطوع الصناع للعمل فيه وقدموا ما لديهم من الحديد والالات والموازين . بل اخذوا يجمعون بقايا القنابل المتساقطة من المدافع الفرنسية ويستعملونها فى صنع قذائف جديدة . وتطوع الاهالى لامداد الثوار بكل ما يلزمهم من مؤن ، وباشر « **المحروقى** » وباقى التجار النفقات ومصاريف المأكل والمشرب للثوار . كما عاونهم فى ذلك كل سكان القاهرة واهل الارياف القريبة . واقام الثوار فى «**بولاق**» و « **مصر القديمة** » حصونا . واضحت جميع الوكالات والمخازن والبيوت على النيل قلاعا يخندقون فيها حتى سيطروا على الملاحة فى النيل . وراى « **كليبر** » أن احسن الطرق لقمع الثورة هو اخضاع الوجه البحرى والبلاد المجاورة للقاهرة ــ وكانت الثورة قد انتشرت فيها ــ بقصد تطويقها . ومن ناحية ثانية فقد راى ان يطعن الثورة باستمالة بعض الحلفاء الذين كانوا يشتركون فيها وهم الاتراك الذين دخلوا القاهرة بعد توقيع اتفاقية العريش وبصحبتهم بعض المماليك . ففاوض الاتراك على ان يخرجوا منها بسلاحهم ، كما ارسل الى المماليك من يطلب اليهم الكف عن القتال خاصة بعد توقيع الصلح بين « مراد بك » و « كليبر » . وما كاد ينجح فى هذين الهدفين حتى دك القاهرة بالمدافع من كل جانب . واستمر القتال على اشده فى كل حى وفى كل شارع ولم تنته الثورة الا بعد ان تكبد الفرنسيون خسائر لا حصر لها . واستمرت اكثر من شهر .

ثورة الصيادين

وقادها «**الشيخ حسن طوبار**» شيخ «**المنزلة**» ، واتسع نطاقها بسرعة ، بدأها برحلة راح يجوب فيها القرى الواقعة على « **بحر اشموم** » يحرض الاهالى على الثورة . وكان يرسل الى بعض القرى الاخرى رسله واتباعه لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين . وقد حشد كل ما امكنه من السفن فى « **بحيرة المنزلة** » مكونا قوة بحرية تهدف الى مهاجمة « **دمياط** » . وكان يعلن عصيانه بطريقة معروفة هى رفضه دفع الضرائب او الغرامات التى كان يفرضها الجيش الفرنسى وتشجيعه القرى الاخرى على ذلك مما دفع نابليون الى تجريد حملة على **البحر الصغير والمنصورة والمنزلة** . فهوجمت الحملة عند « **الجمالية** » من الفلاحين باطلاق النار وقذف الحجارة بحيث اضطرت الى الانسحاب مرة ثانية . وفى «**دمياط**» ثار الاهالى على الحامية الفرنسية عندما بدأ « **حسن طوبار** » هجومه فى منتصف سبتمبر ١٧٩٨ . واستمر الهجوم قويا حتى اضطر الثوار الى التحصن فى خط دفاعى جديد « **بقرية الشعراء** » . واستمرت المناوشات بينهم وبين الفرنسيين ثم عادوا الى قاعدتهم فى بحيرة المنزلة . وارسل نابليون حملة ثانية برية ونيلية تهدف للقضاء على « **حسن طوبار** » ونفوذه . وبينما استطاعت الحملة البرية احتلال مدينة المنزلة ، تعرضت الحملة النيلية لمقاومة باسلة من الصيادين ، فقد خرجت السفن المصرية التى كانت محتمية خلف بعض الجزر امام المطرية ، لتفاجىء الاسطول الفرنسى وتشتبك معه فى قتال وتضطره الى العودة الى قاعدته فى دمياط . وتبعته بالهجوم المستمر قاصدة احتلال دمياط نفسها وظلت تحاصرها عدة ايام .

الحرب فى الوجه القبلى

تميزت الحرب الشعبية بالوجه القبلى بضراوة شديدة اعترف بها الفرنسيون انفسهم ، وكانوا يظنون ان هزيمة مراد بك فى واقعة «**سدمنت**» (٧ اكتوبر ١٧٩٨) ستخضع الوجه القبلى لنفوذهم . ولكنهم لم يقدروا الطبيعة الجغرافية للصعيد ، التى ساعدت الاهالى على شن مئات الهجمات المفاجئة على قوات الجيش الفرنسى . فالمنطقة الصحراوية المحيطة بالصعيد ، واغراق الاراضى بمياه الفيضان كانا عاملين مساعدين على نجاح هذه الغارات فى تحقيق اهدافها . كما ساعدهم على ذلك ايضا العربان والبدو الذين توفرت لديهم خبرة بالهجمات المفاجئة ، كما كانوا على دراية كاملة بدروب الصحراء ومسالكها وهو ما لا يتوافر للجيش الفرنسى . ويقول «**الجنرال ريبو**» ان المناوشات والهجمات المفاجئة جعلت الفرنسيين « **لا يهدأ لهم بال ولا يستقر لهم قرار خلال الحملة على الصعيد ، بل كانوا هدفا للمفاجآت والمعارك غير المنتظرة ، وكان هذا النوع من الحرب اشد خطرا عليهم من المعارك المنظمة لانهم فقدوا الراحة والطمانينة ، واضطرتهم هذه المقاومة الى مداومة الحملات والرحلات المنهكة للقوى دون ان يتمكنوا من التغلب على خصم لا ينال** » .

وقد اتبع الفلاحون وحلفاؤهم من العربان والمماليك الاساليب التالية فى حربهم مع الفرنسيين :

● اتخاذ الصحراء مركزا لشن الهجمات على الجيش الفرنسى ، اعتمادا على عدم معرفته

بمسالكها ، وحماية للقرى من نشوب المعارك داخلها مما يدفع بالمحتل الى تخريبها او احتلالها وقتل النساء والشيوخ ، وهو ما كان يحدث فى الوجه البحرى . وقد ضمن اتخاذ الصحراء مقرا لقوات المقاومة ، انحصار الجيش الفرنسى فى موقف الدفاع وعرقلة هجومه ، مع ما يؤدى اليه الحصار من فقد الاتصال ببقية الفرق وامكان منع الزاد والماء عنه . فضلا عن ان الطبيعة المصرية القاسية بالنسبة للفرنسيين — خاصة فى الصعيد — ساعدت المقاتلين وذلك نظرا لانتشار امراض العيون بين الجنود الفرنسيين .

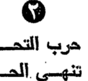
● العمل على تطويل خطوط مواصلات الجيش الفرنسى ، بالتقهقر امامه بشكل منتظم ، ثم معاودة الهجوم عليه وقطع الصلة بين وحداته المتقدمة ومراكز قيادتها سواء اكانت هذه المراكز فى الصعيد نفسه او المركز الرئيسى للحملة فى القاهرة . وكان هذا الاسلوب يؤدى الى حصر وحدات الجيش الغازى فى مراكز تجمع صغيرة مما كان يسهل معه استخدام الهجمات المفاجئة لتكبيدها خسائر فى الارواح والعتاد .

● تنظيم هجمات مفاجئة على مراكز تجمع الجيش ، بحيث تعاون جماهير الفلاحين فى القرى المحتلة القوات المهاجمة فى تطويق الجيش الفرنسى . وقد حدث هجوم من هذا النوع فى « **الفيوم** » اذ قاتل فيه الفلاحون والعربان والمماليك الحامية الفرنسية التى كانت تحتلها . كما حدثت هجمات متعددة فى « **اسيوط** » و « **سوهاج** » و « **طهطا** » .

● قيام ثورات محلية فى القرى والمدن المحتلة ينقض الفلاحون خلالها على الحاميات الفرنسية . وغالبا ما كانت هذه الثورات تسيطر على القرى فترات طويلة نتيجة لتبعثر الجيش الفرنسى وعدم تركز قواته ، وحتى تجيئه الامدادات اللازمة التى تمكنه من قمع هذه الثورات ، كان يضطر الى الانسحاب من القرى الثائرة ، ثم يعاود الهجوم مرة اخرى .

● الامتناع عن امداد الجيش بالاغذية اللازمة له ، والاضراب عن دفع الضرائب ، وكانت حملة الصعيد للجيش الفرنسى تعتبر وقف هذا الامتناع هدفا رئيسيا لها بجانب احكام السيطرة على مصر بأكملها . ولكن الفلاحين كانوا يحجمون عن دفع الضرائب او تقديم الغلال الى الجيش ، مما اضطره الى الدخول فى معارك لا يمكن حصرها لاجبارهم على دفعها ، ومصادرة الغلال التى لديهم . كذلك اتبعت عصابات التحرير المصرية التى كانت تقوم بالهجمات المفاجئة اسلوبا آخر فى استرداد الغلال التى كان الجيش الفرنسى ينجح فى جمعها ، ويشحنها فى النيل الى القاهرة ، وذلك بمهاجمة السفن الفرنسية بعد شحنها وبالتالى الاستيلاء على الغلال مرة اخرى وبكمياتها المجمعة .

ان حرب التحرير فى الصعيد قد حققت نجاحا جزئيا هاما ، اذ اضطر « **الجنرال كليبر** » الى اعطاء الصعيد نوعا من الاستقلال الذاتى لكى يوقف الحرب هناك ، باتفاقيته التى وقعها مع مراد بك . واعترف فيها كلاهما بان يكون الصعيد تحت الحكم المملوكى مقابل جزء من الضرائب وتحالف عسكرى . ورغم ان موقف مراد بك يعد فى جوهره موقفا استسلاميا يؤدى الى تصفية حرب التحرير فى الشمال والجنوب ، فان عجز الفرنسيين عن اخماد الثورة واضطرارهم الى التنازل عن مخططهم فى حكم مصر حكما مباشرا ، وانسحاب جيشهم من الصعيد ، موقف له دلالته .



٢
حرب التحرير تنهى الحكم المملوكى العثمانى

لم يكن انسحاب الجيش الفرنسى من مصر نتيجة لموقف القوى الدولية واضطراب الاحوال فى فرنسا ، فتلك كانت عوامل ثانوية . ولكن العامل الرئيسى الذى ادى اليها هو حرب التحرير التى خاضها الشعب المصرى ضد الغزو الفرنسى ، اذ اصبح الغزاة محصورين انحصارا تاما بين « **البحر** » — حيث وقف الاسطول الانجليزى وحلفائه من العثمانيين — و « **البر** » حيث قام الشعب المصرى بالحرب التى كان من اضعف نتائجها انها قللت من كفاءة الجيش الفرنسى فى مواجهة اعدائه .

والواقع ان حرب التحرير المصرية لم تكن مطالبة بان تحقق انتصارا عسكريا شاملا فى مواجهة مباشرة مع فرنسا . فذلك مطلب لم يكن فى ظروف مصر اذ ذاك ما يسمح بتحقيقه . كما ان حرب التحرير كانت انطلاقا عفويا ، غير منظم ، لذلك لم تضطرد الحركة خلاله بشكل يخلق تنظيماتها القوية ، واصابها فى بعض الاحيان فتور نسبى . كما ان القيادة السياسية والعسكرية

التي تصدت لها ؟ وهي قيادة التجار والمشايخ والمماليك ، كانت من انصار الحلول الوسط ، وكانت تستخدم نفوذها التقليدي ، في عرقلة نمو الحرب ، خاصة مع لجوء الفرنسيين الى توقيع عقوبات صارمة على بعض عناصرها — كما حدث مع المشايخ والتجار في ثورتي القاهرة وانتفاضات الوجه البحري . او لجوئهم الى اجتذاب هذه القيادات الى صفوفهم باتفاقات فيها تنازل جزئي كما حدث في الاتفاق مع « مراد بك » . ومن هنا كان افتقاد الجماهير الى الحركة المنظمة والقيادات النابعة منها ، عاملا رئيسيا في الموقف.

وعلى الرغم من هذا ، فان حرب التحرير ضد الغزو الفرنسي قد حققت اهدافا جوهرية، واحدثت انقلابا فعليا في شكل السلطة السياسية في مصر، وبدت آثارها الفعلية عقب انسحاب الحملة الفرنسية :

● كان اهم الاهداف التي حققتها هذه الحرب، هو تغير المفاهيم السياسية للجماهير من خلال المعارك . فقد دخلت الجماهير الحرب بشعارات اهمها انسحاب الغزاة وعودة الحكم المملوكي التركي . وعلى الرغم من ان الجماهير كانت تعاني في ظل هذا الحكم مظالم تفوق التصور ، الا ان هذا الحكم في مظهره كان معاديا للاستعمار الفرنسي، خاصة مع نشاط الذين كانوا يرون في هذا الحكم خضوعا للسلطة الدينية المتمثلة في الخلافة العثمانية . لكن موقف المماليك والعثمانيين خلال المعركة ضد الغزو كشفهم تماما امام الشعب . فهزيمة مراد بك في المعركتين اللتين خاضهما ، ثم موقفه في حرب الصعيد حيث لم يبذل جنوده اى مجهود ولم يصابوا بخسائر في الارواح ، بل صدروا جماهير الفلاحين في الصفوف الامامية لتحميهم من رصاص الفرنسيين ، ثم مساومته مع الفرنسيين في اتفاقه مع كليبر ، وهزيمة ابراهيم بك في الصالحية وهربه الى الشام ، وموقف القيادات التركية من ثورات الشعب ، مثل تقهقر القاضي التركي في ثورة القاهرة الثانية، وموقف تركيا المتهاون من الغزو ، وتحركها بتحريض الانجليز ثم هزيمتها في معركة عين شمس امام الفرنسيين ، ومساومتها على ثورة القاهرة الثانية ، وانسحاب جنودها من الثورة مما جعلها فريسة محاصرة في ايدي الفرنسيين .. هذا فضلا عن الفظائع التي ارتكبها « جنود العثمانيين » بمجرد عودتهم الى القاهرة . ادت كل هذه المواقف الى حالة « **وعي جديد** » لدى الجماهير جعلتها تسقط القيادة التركية المملوكية .

● وقد تبلور هذا الوعي بعد انتهاء الغزو، وعندما اخذت الصراعات بين القوى المختلفة تأخذ طابع الحدة بمعيار ذلك العصر . ففي الوقت الذي كان الشعب فيه يرفض اشكال السيطرة القديمة، كانت تركيا تريد ان تعود الى السيطرة على مصر وحكمها حكما مباشرا . وانتهزت فرصة نفور الجماهير من المماليك — وكانوا يحكمون حكما شبه مستقل — لكي تسترد سيطرتها الكاملة على مصر . وكأي طبقة طفيلية غريبة لم يجد المماليك امامهم طريقا سوى التحالف مع الانجليز او الفرنسيين لكي يعيدوا سيطرتهم . بينما كانت الجماهير ترقب الصراع في رفض كامل لهؤلاء واولئك . وبعد فترة الترقب هذه حدد الشعب موقفه بسرعة ، خاصة بعد ان انسحب الجيش الانجليزي ، وتفتت المعسكر التركي المملوكي بصراعات بين المماليك والاتراك وصراعات داخل جبهة المماليك التي كانت مفتتة بطبيعتها . وقد تحركت الجماهير بقيادة العلماء والتجار في ثورتي « **مارس ١٨٠٤** » و « **مايو ١٨٠٥** » اللتين اسقطتا الحكم المملوكي والحكم التركي على التوالي .

فقد انتهت الصراعات داخل المعسكر المملوكي الى تولي « **عثمان البرديسي** » سلطة الحكم ، وفرار « **محمد الالفي** » الى الصعيد . ومع حكمه عادت الحالة الى ما كانت عليه قبل حرب التحرير، من اعتداء الجنود المرتزقة على الاهالي بالسلب والنهب الى زيادة الضرائب والمكوس . لكن السيطرة المملوكية فوجئت باضراب التجار عن دفع الضرائب ، ودخول الجماهير في معارك ضد الجنود الذين كلفوا بجمعها . وكانت تلك ظاهرة جديدة على المماليك وجنودهم . ثم ما لبث الامر ان تطور فتحركت الجماهير الى بيوت العلماء والتجار ورؤساء الطوائف — وكانوا قد وافقوا على هذه الضرائب من قبل — ليطالبوهم بالتدخل لرفعها ، ثم استولوا على احياء المدينة .

ورأى الجنود أنه لا قبل لهم بمواجهة هذه الهبة الثورية فاعلنوا اعتذارهم للجماهير ، والقوا المسئولية على المماليك ورفضوا التدخل لحماية « عثمان البرديسي » . وكانت النتيجة هروب «**البرديسي**» وشريكه «**ابراهيم بك**» ،ومماليكهم من القاهرة . وفي نفس الوقت ثارت الجماهير في « **رشيد** » و « **دمياط** » وسائر المدن على الحكام المماليك واغتالتهم واجبرتهم على الفرار الى الصعيد .

وبعد فرار المماليك ، استدعى الوالي التركي للاسكندرية « **خورشيد باشا** » لكي يتولى مقاليد الامور . ولكنه لم يستطع ان يدرك الحالة الجديدة للشعب فارتكب نفس الخطيئة التي ارتكبها البرديسي ، واعاد السيطرة للجنود المرتزقة واتبع سياسة ضرائبية استنزافية من الناحية الاخرى.

وكان لابد ان تتحرك الجماهير مرة اخرى لتفرض ارادتها خاصة وان الوالى التركى قد استورد جيشا تركيا من الجنود المرتزقة لكى يثبت به سلطته . وانتشرت الثورة فى المدينة فى مواجهة الفظائع التى ارتكبها الجنود ، وحددت طلباتها بجلاء الجنود المرتزقة عن المدينة ، والا يسمح للجنود بحمل السلاح فى داخلها والا تفرض ضرائب الا اذا اقرها العلماء وكبار الاعيان . ولما رفض الوالى هذه الطلبات اجتمع قواد الثورة — العلماء ونقباء الصناعات وكبار التجار بقيادة عمر مكرم — واصدروا قرارهم بعزل الوالى التركى ، وتعيين « **محمد على** » واليا على مصر بدلا منه . ورفض الوالى التركى تنفيذ القرار بدعوى انه « **مولى من طرف السلطان فلا اعزل بأمر من الفلاحين، ولا انزل من القلعة الا بأمر من السلطنة** » . وفى مواجهة هذا الرفض دخلت الجماهير معركة مسلحة ضد الوالى . فاستعدت المدينة للقتال وتسلحت واقامت المتاريس والاستحكامات التى احتشد خلفها اربعون الفا من الثوار حاملين الاسلحة والعصى . حتى ان الفقراء — كما يذكر الجبرتى — « **كانوا يبيعون ملابسهم او يستدينون ويشترون الاسلحة** » .

ورفضت قيادة الثورة استسلام الوالى بغير محاسبته على ما جباه من ضرائب » ونشبت المعركة بين الثوار والوالى ، وحاصر الثوار القلعة — وكان خورشيد باشا يتحصن بها — واستمر القتال من ٢٤ مايو ١٨٠٥ حتى ٩ يوليو من نفس السنة ، اذ استسلم الوالى وورد فرمان من الاستانة باسقاطه وتثبيت محمد على مكانه « **حيث رضي بذلك العلماء والرعية** » . وكان هذا اول فرمان تركى — منذ الاحتلال العثمانى — تصدره الرعية ويكتفى السلطان بتوقيعه . وظلت المتاريس قائمة والقوات فى مكانها ، حتى سلم الوالى القلعة فى ٥ اغسطس ١٨٠٥ » .

● كان تولى محمد على حكم مصر بارادة الشعب هو اول مظهر من مظاهر سيطرة الجماهير على مقدراتها . وهو ما استطاعت الجماهير ان تستكشفه وتعتنقه خلال الحرب العنيفة التى خاضتها ضد الغزو الفرنسي . وكان محمد على قد ادرك بذكائه طبيعة الوضع فى مصر ، واكتشف القوة الرئيسية التى اصبحت تتحكم فى مسار الامور فلم ينضم الى المماليك او العثمانيين ، كما انه لم ينضم الى الانجليز — كما فعل الالفى وقسم من المماليك — وانما فضل ان يتقدم بذكائه لاحتواء الحركة الجماهيرية الواسعة النطاق . وكان فى محاولته يدرك خطر الاعتماد الكلى عليها ويحاول ان يقلل من تطرفها . وفى نفس الوقت كان يحاول الا يجعل نفسه هدفا لغضبها . فقد كانت الثورة ضد « البرديسى » تشمله هو وجنوده ، الذين كانت رواتبهم المتأخرة احد اسباب الضريبة ، ولما تحركت الجماهير غاضبة منه ومن جنوده زعم انه لا شأن له بالامر ، وانه طلب رواتبه من الخزانة ولم يطلب فرض الضريبة ، اوحى الى جنوده ان لا يقاوموا الثورة وان يقفوا على الحياد بين الجماهير وبين « البرديسى » » .

وعندما قامت الثورة ضد الوالى التركى ، حاول ان يفرض على قيادتها بعض الحلول الوسط ، ودعا الى التحالف مع الوالى التركى على اساس ان المماليك كانوا قد تحركوا بهدف الاستيلاء على القاهرة ، ولكن قيادة الثورة رفضت اى تحالف بينها وبين عدويها الرئيسيين : المماليك والاتراك . ومن الواضح ان (**محمد على**) كان يصدر فى فكرته تلك عن خشية من تطرف الجماهير وان تؤدى حركتها الى تدعيم قيادات الثورة بحيث يحترق هو الاخر مع من يحترقون وتستولى الجماهير على السلطة تماما » .

ولعل هذا الخوف هو الذى قاد خطواته بعد ذلك خاصة بعد ان انتهى تحالفه مع الشعب بتحقيق اهدافه فى قهر المماليك والانجليز ، فانتهز الفرصة الملائمة لكى يدمر قيادة الثورة ونجح فى ذلك » .

٣
الشعب ينتصر على الغزو الاوربى الثانى (١٨٠٧)

كانت آخر الادوار التى لعبتها القيادة الشعبية فى هذه المرحلة ، قبل انسحابها من مسرح الحوادث تماما — هو نجاحها فى هزيمة الغزو الاوربى الثانى الذى تمثل فى حملة (**الجنرال فريزر**) وكان محمد على بعد نجاحه فى احتواء الثورة التى قامت بها الجماهير ضد الوالى التركى ، قد استجاب لضغط الجماهير التى كانت تطالب بتصفية الوجود المملوكى كلية . فقد حاول المماليك ان يهاجموا الثورة ضد الوالى اثناء اشتعالها ، وزحفوا من مكانهم فى الصعيد ليستقروا بالجيزة ، ولكن نجاح الثورة وهزيمة الوالى اعادتهم الى مراكزهم فى الوجه القبلى . واثناء انشغال

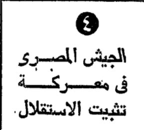
«محمد على» بالحرب مهمجات الحملة الانجليزية تواطؤ سابق بين «محمد الالفى» الزعيم المملوكى وبين وزارة الخارجية البريطانية».

وبالطبع فان بريطانيا كانت قد اعدت الحملة على اساس ان لها اعوانا فى مصر هم المماليك ، فلم تزد عن ستة آلاف جندى جاءوا عن طريق الاسكندرية حيث رست طلائعهم وارسلت تخطر المماليك بذلك . وكان المماليك قد انتظروها فترة بالبحيرة ــ لكى يكونوا بالقرب منها ــ ولكن وفاة «البرديسى» ثم «الالفى» اضطرتهم الى الانسحاب الى الصعيد . واستسلم محافظ الاسكندرية ــ وكانت منفصلة عن مصر وواليها عثمانى ــ للحملة وسلمهم مفاتيح المدينة . وتقدمت القوات الغازية نحو « رشيد » متبعة نفس خط السير الذى اتبعته الحملة الفرنسية من قبل . وفى رشيد كانت الكارثة التى ادت الى اخفاق الحملة ومهدت للقضاء عليها . فقد استقر رأى الشعب على خطة سهلة ، اذ فتحوا ابواب المدينة ثم اختفوا فى بيوتهم ، وظن الجيش البريطانى أن الحامية قد انسحبت منها واخلتها ، فدخلتها احدى فرقه . وبمجرد ان استقر فيها انهال عليه الرصاص من كل جانب . فابيدت الفرقة الانجليزية باكملها ».

وفى القاهرة استعدت الجماهير للحرب، وتولى « عمر مكرم » جمع الرجال والسلاح ، واقيمت المتاريس وحفرت الخنادق ، واجتمع زعماء الشعب مع نائب الوالى لرسم الخطط العسكرية اللازمة للدفاع عن العاصمة . والزموا الجنود المرتزقة الذين كانوا بالقاهرة ان يكفوا عن اعمالهم التخريبية . وانتهت مشاوراتهم الى حفر خندق من باب الحديد الى النيل وبدأوا بالفعل فى حفره. وكان « محمد على » مازال فى الصعيد . فلما حضر اقر ما اتخذ من اجراءات وطلب معونة مالية قام التجار بدفعها على الفور . ورأى ان يعقد تحالفا مؤقتا مع المماليك ليضمن عدم مساعدتهم للانجليز واقره العلماء على ذلك . وكان المماليك بعد وفاة زعمائهم وما اصابهم من ضربات متتالية ممزقين ، فوافقوا على الوقوف على الحياد، فى انتظار نتيجة المعركة ، خاصة بعد ان علموا بهزيمة رشيد . فاذا فاز الجيش الانجليزى انضموا اليه ، والا فيكفيهم ما تنازل لهم عنه « محمد على » من اقاليم الصعيد .

وظلت « رشيد » تقاوم الحملة وحدها حتى سار اليها المدد . فقد تقدمت بقية الجيش الانجليزى واحتلت بلدة « الحماد » (جنوب رشيد بين النيل وبحيرة ادكو) واتخذتها مركزا لتطويق رشيد وظل يحاصرها حوالى اسبوعين ، وسلط عليها مدفعيته فى محاولة لارهاب الاهالى واجبارهم على تسليم المدينة . ولكن الاهالى استمروا يدافعون عن مدينتهم بمعونة من فلاحى القرى المجاورة الذين هربوا اليها الرجال والسلاح والغذاء فساعدوها على تحمل اعباء الحصار ». حتى وصلت قوات الجيش التى اشتركت مع الجيش الانجليزى فى معركة الحماد (٢١ ابريل ١٨٠٧) وهى المعركة التى ادت الى هزيمته ثم انسحابه الى « ابوقير » « فالاسكندرية » حيث جلا عن مصر مكتفيا باسترداد أسراه ».

لقد كانت هزيمة الجيش البريطانى ، هى احدى نتائج تصاعد الوعى القومى الذى حققته الجماهير خلال حرب التحرير . ومبادرة الجماهير فى صد الغزو الاستعمارى البريطانى هى التى شجعت « محمد على » على الاستمرار فى المعركة. وربما ــ لولا هذه المبادرة ــ كان قد لجأ الى تركيا يطلب منها ان تنصره وهو ما كان الولاة يفعلونه عادة ».



يختلف المؤرخون عادة فى تصنيفهم لاتجاهات محمد على السياسية ، فبينما يرى بعضهم أنه قومى مصرى استهدف تحقيق فكرة القومية المصرية باعادة مجد مصر القديمة ، يرى آخرون انه قومى عربى أستهدف اقامة دولة عربية مستقلة عن الامبراطورية العثمانية . وللاستاذ **صبحى وحيدة** رأى نعتقد بصحته يذهب فيه (٢) الى ان محمد على كان عثمانى النزعة ، تربى فى ظلال الامبراطورية العثمانية كدولة كبيرة وكقداسة دينية ، ورأى ان تدهور حالتها امام الغزو الاوربى وفساد الحكم الداخلى ، يحتاج الى رجل قوى، واعتقد انه هو هذا الرجل الذى يستطيع ان يعيد للامبراطورية مجدها القديم ويواجه بقوتها

(٢) راجع : صبحى وحيدة فى : اصول المسألة المصرية من ص ١٣٤ ــ ١٥٧ ــ مطبعة مصر ــ ١٩٥٠ »

الأطماع الأوربية . وعلى هذا فان تحرك محمد علي كان في اطار هذه الفكرة . وتدعيمه للقوة المصرية ، كان يستهدف اتخاذها مركزا للوثوب على الاستانة . وتلويحه بفكرة الامبراطورية العربية — ونقل الخلافة الى العرب بدلا من الاتراك — هو تهديد يهدف بهان يستدعي للاستانة لكي ينفذ مخططه لاعادة مجد الامبراطورية ».

وبالطبع فان نزعة محمد علي — رغم انها عامل له اهميته — لم تستطع ان تشكل التاريخ المصري والعربي حسب مشيئتها ، ولكنها تفسر بعض الوقائع الهامة في عصره :

● فهي تفسر لنا اتجاهه الى تدعيم جهاز حكمه المركزي بعناصر عثمانية واوربية ، وخاصة في المناصب القيادية . صحيح ان العناصر المصرية لم تكن ذات خبرة في هذا المجال ، ولكن خبرتها على الاقل كانت تتساوى بالخبرة العثمانية . كما ان استعانته بالعناصر الاوربية وخاصة الفرنسية — حيث كانت فرنسا هي الدولة الاوربية الصديقة للباب العالي — جعلته يشركها في مركز الصدارة ، هذا في الوقت الذي وضعت فيه العناصر المصرية ، التي حصلت على خبرتها من دول اوربا ، في المراكز الثانية والثالثة . وهو يتضح اكثر في معارضته لاستلام المصريين لقيادات الجيش الذي بدأ في انشائه ، ومعارضته اصلا في ان يكونوا بين جنوده ، ومحاولته تدريب الجنوب غير النظاميين — وكانوا من اخلاط السلطنة العثمانية — والمماليك ليكون منهم الجيش النظامي الذي يريده .

● ولتحقيق نزعته تلك لجأ الى تدعيم ولايته — مصر — فبدأ بالقضاء على الخوارج من المماليك والجنود المرتزقة الذين كانوا سببا في اضعاف الامبراطورية . كما لجأ الى القضاء على القيادة الشعبية المصرية لاتجاهاتها القومية الواضحة . ثم بدأ ينشىء جيشا نظاميا ، كلفه جهدا كبيرا ، ودخل به حروبا متعددة لحساب الامبراطورية . فالحروب الثلاثة الاولى التي خاضها محمد على قامت اساسا لكي تقضي على ثورات مضادة للحكم العثماني او لتزيد من تدعيم مصر كمركز لاعادة بناء مجد الامبراطورية . **فالحرب الوهابية** (١٨١١ — ١٨١٩) قامت لاخماد الثورة الدينية التي قادها الوهابيون والتي يرى بعض المؤرخين انها كانت تستهدف استعادة الخلافة العربية والانفصال عن الامبراطورية العثمانية . كذلك فان **الحرب اليونانية** (١٨٢١ — ١٨٢٨) ، تحركت لاخماد الثورة القومية اليونانية ضد الحكم التركي . وربما كان محمد على يرى في بقاء اليونان في حوزة الامبراطورية بقاء لموقع تقدم في القارة الأوربية ».

اما الحرب السودانية (١٨٢٠ — ١٨٢٢) فقد كانت تعبيرا عن احلام محمد علي الامبراطورية في الحصول على امكانيات اقتصادية وافرة ، وامكانيات بشرية مقاتلة ، فضلا عن حاجز طبيعي يمنع التسلل الاوربي — وكانت انظاره تتجه الى افريقيا اذ ذاك — من ان ينفذ من الجنوب .

● على ان احلام محمد على تلك ، وان كانت لم تتحقق ، فقد حققت الاستقلال المصري وثبتته ، فالجيش المصري الذي كونه محمد على من الفلاحين ، لم يشترك بتوسع في هذه الحروب ، ولكنه اشترك في اهم حروب محمد على واكثرها اهمية وهي الحرب في سوريا والاناضول .

لقد ادى اشتراك الجيش الجزئي في الحروب الثلاثة الاولى ثم قيامه بتبعة حرب تثبيت الاستقلال في سوريا والاناضول الى « **عودة المصريين الى صنعة السلاح بعد ان هجروها منذ ان اتصلت مصر بالامبراطورية اليونانية والرومانية والعربية . وادى قيام الجيش الى اجتماع المصريين في كتلة واحدة منتظمة والتقائهم في ميدان القتال بالشعوب الاخرى فيشعرون بشخصيتهم ووحدتهم واختلافهم عن غيرهم . وقد استتبع تكوين الجيش قيام المرافق والمدارس والإدارات اللازمة لتغذيته . وكانت تستخدم هي ايضا اهل البلاد وتدربهم وتوجههم الوجهة التي تقتضيها الحياة الجديدة اي تبعث نواة هذه الدولة الفتية بجوهرها**

الحاج مصطفى البشتيلي

من قرية بشتيل بجوار امبابة . كان من كبار تجار الزيت ببولاق ، ومن طلائع قادة ثورة القاهرة الثانية ، جعل وكالته التجارية مخزنا للبارود يحفظه في قدور الزيت حتى لا يصادر عند التفتيش ، إعتقله الفرنسيون اثر وشاية ، ثم افرجوا عنه بعد توقيع معاهدة العريش . فشارك في التحريض على ثورة القاهرة الثانية ، وكان يتمنطق بحزام وينتقل من مكان لآخر محرضا على القتال وداعيا له ومشاركا فيه ، ولما اشتد الحصار على الثوار قاد هجوما على مخازن الغلال التى خزنها الفرنسيون ففتحها وفرق ما فيها على المقاتلين وحرض على قتل الرسول الذى بعث به الفرنسيون للصلح . وقاد الثوار الذين فتكوا بالحامية الفرنسية في بولاق . وكان في مقدمة القادة الذين رفضوا عرض كليبر بالصلح ، واصر على استمرار الثورة .

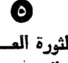
اعتقله الفرنسيون عقب فشل الثورة ، وجمعوا ما بقي من رجاله واجبروهم على قتله بالنبابيت مهددين اياهم بالقتل . وطافوا برأسه في شوارع القاهرة . استشهد في عام ١٨٠٠ .

المصرى وأوضاعها الاهلية ومواردها الخاصة» (٣)

كانت الحرب فى سوريا والاناضول هى قمة التناقض بين محمد على والامبراطورية العثمانية. وقد وصل النزاع بينهما الى الحد الذى راى فيه «محمد على» ان يشطر الامبراطورية الى قسمين، وان يحمى المحور الذى يمثله بالوصول الى جبال طوروس . وقد حقق الجيش المصرى انتصاراته الاولى باحتلاله « غزة » و « يافا » و « حيفا » ثم «عكا» و « الزراعه » ، حتى سقوط «دمشق» فى يونيو ١٨٣٢ . واستمر الزحف ليستولى الجيش المصرى على «حمص» و «حلب» و «حماه» . وبدأ يتخطى حدود تركيا نفسها بحيث اصبحت الحرب تدور فى « الاناضول » . وظل يتقدم فاستولى على « بيلان » و « قونيه ». واصبح على مسيرة ستة ايام من «البوسفور» . وبعد خمس سنوات من الحرب السورية الاولى ، تجددت الحرب مرة ثانية لان تركيا نقضت اتفاقية « كوتاهيه » التى اعترفت فيها بسيطرة مصر على سوريا وبلاد العرب وجزيرة كريت وجعلت الحدود بينهما هى ولاية «أدنه» التركية . ولم يجد الجيش المصرى مفرا من أن يتقدم ويهزمها فى موقعة « نصيبين » (يونيو ١٨٣٩) ثم يعاود زحفه داخل الحدود التركية .

ان الحرب فى سوريا والاناضول كانت ذات طابع مصرى محض ، فالجيش المحارب جيش مصرى — رغم قياداته غير المصرية — والتناقض بين محمد على وتركيا وصل الى حد احتلال تركيا نفسها . ثم اعلن محمد على خلال الحرب السورية الثانية استقلال مصر عن تركيا . وقد أدت هذه الحرب بعد ذلك الى الاعتراف التركى باستقلال مصر . فعندما تدخلت الدول الاوروبية بعد معركة نصيبين لكى تفرض على محمد على شروطها خوفا من تدخل روسيا وتأييدها للسلطان مما يعرض الامن الاوروبى للخطر، ورأى محمد على ان الجبهة المضادة قوية فضلا عن أن مقاتلتها يمكن أن تؤدى الى سقوط الامبراطورية العثمانية فى يد الغرب الاوروبى ، اذ ذاك فضل أن يحتفظ بالاستقلال المصرى آملا ان يقوم من بين خلفائه من يعاود المحاولة لتجديد شباب الامبراطورية .

ان الظاهرة الهامة التى ينبغى ان نلتفت اليها هنا ان محمد على كان قد انتهى الى الاعتماد على الجندى المصرى لكى يقوم بهذا الدور الذى يطمح اليه ، فقد انتهت تجاربه الى تقدير طاقة القتال لدى الشعب المصرى . فاختار مصر لكى تكون المنطلق الذى يعيد مجد الامبراطورية الدينية المقدسة . كما ان القائد العام للجيش المصرى « ابراهيم باشا » كان أكثر التصاقا بهذه الطاقة من ابيه ، فلم تكن الامبراطورية تهمه فى شىء، وكان اقرب ما يكون الى النزعة المصرية العربية ، وهو الذى اشار وأصر على اختيار جنود الجيش من الفلاحين المصريين .



٥ الثورة العرابية : (الدستور وجيش الفلاحين)

الثورة العرابية هى الرد المصرى المسلح الذى كان يهدف فى جوهره الى ايقاف عملية الغزو الاستعمارى الاوروبى لمصر . لقد بدأ هذا الغزو فعليا منذ اجبرت الرأسماليات الاوروبية محمد على الى الغاء نظام الاحتكار الذى اغلق به السوق المصرى فى وجه منتجاتها . وفرضت عليه وعلى خلفائه أن يترك هذا السوق مفتوحا امام فائض انتاجها السلعى. ولما كانت الرأسماليات الاوروبية فى ذلك الوقت — خمسينات القرن التاسع عشر — تمر فى مرحلة تصدير منتجاتها السلعية مع كمية محدودة من فائض رأس المال ، فقد اكتفت بفتح السوق المصرى دون أن تلحقه قسرا باحدى وحداتها . ومع التشكل الاحتكارى للرأسمالية الاوروبية — تصدير الفائض من رأس المال اساسا — بدأ التنافس السلمى بينها يتحول الى تناقضات حادة ، وهكذا بدأت اقوى وحداتها — الاحتكارات البريطانية — تحاول الاستئثار بالسوق المصرى .

وقد ادركت القوى الوطنية المصرية هذا التسلل بشكل غير متكامل ، ورأت أن ايقافه يمكن أن يتم عن طريقين :

● **ضرب السيطرة الاوتوقراطية** التى كان يمثلها الخديويين من اسرة محمد على ، الذين تساهلوا فى السماح لرأس المال الاوروبى بالتسلل الى مصر ، بدءا بعهد «سعيد» الذى منح امتياز قناة السويس ، ثم « اسماعيل » الذى فتح بقروضه الواسعة النطاق الباب امام هذا الرأسمال لكي يتحكم فى مصر ، باستثماراته فى مصر من ناحية ، وبالجالية الاجنبية الكبيرة التى وفدت وراء المال الاوروبى ،

(٣) صبحى وحيدة فى اصول المسألة المصرية — ص ١٥٢ .

وتسللت الى كافة ارجاء الحياة المصرية من ناحية اخرى . وفى نهاية عهد « **اسماعيل** » ومع كارثة الديون اضطرت مصر الى قبول الرقابة الثنائية (الانجليزية الفرنسية) على شئونها المالية ، ثم اضطرت الى تشكيل وزارة تضم وزيرين اوربيين، وتحولت ميزانيتها الى ميزانية تسديد ديون . ثمانية ملايين جنيه من تسعة — هى كل الميزانية — تذهب للديون. لقد كانت السيطرة الاوتوقراطية ترفض أية معارضة لاتجاهاتها الخاطئة، وتستخدم قوتها فى تدمير هذه المعارضة . وكان السماح لها بالاستمرار يعنى ترك الغزو الاوربى يحقق اهدافه بسهولة تامة .

● وفى نفس الوقت فان سياسة الخديويين كانت تؤدى الى اضعاف الجيش المصرى ، فدولة الرفاهية التى تستلب عرق الشعب لكى تحوله الى قصور وتدفعه رشاوى للباب العالى او تقيم به حفلات ماجنة ثم انتهت بان تدفعه فوائد للاحتكارات الاوربية ، هذه الدولة المسرفة كانت تبخل على الجيش فى كل شىء . فهى تسرح الجنود والضباط حتى ان عدد الجيش قد قل كثيرا عما هو محدد بالفرمانات الشاهانية ، وهى بطبيعتها تضع حدا اقصى لعدد الجيش حتى لا تكون له قوة ذاتية . وكان من بقى فى الجيش من جنود وضباط يعيشون فى اسوا ظروف ممكنة من حيث الملبس والمأكل ، وتتأخر مرتباتهم وتخفض ، ويحرمون من الترقية . واهم من هذا كله ان القيادات العليا فى الجيش كانت فى يد فئات غريبة عن الشعب المصرى ، وغير ملتصقة بالوطنية المصرية او متفاعلة معها ، ولا يهمها فى شىء ان تكون مصر بلدا مستقلة او لا تكون، طالما انها تحصل على امتيازاتها الضخمة. تلك هى قيادة « **الشراكسة** » او الارستقراطية العسكرية الاجنبية التى كانت تتحكم فى الجيش المصرى. لذلك لم يكن غريبا ان يكثر اجتماع هؤلاء الشراكسة صغارهم وكبارهم « **وهم يتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك فى كل ليلة بحضور عثمان رفقى باشا — وزير الحربية اذ ذاك — ويعلنون الحرب على العناصر المصرية فى الجيش ، ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا ، وانهم لا يغلبون من قلة — يقصدون الضباط المصريين — وانهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل اولئك المماليك** » (٤) .

وكان ترك مثل هذه الارستقراطية العسكرية تتحكم فى الجيش المصرى مصدر خطر كبير . فقد كانت جاهلة بفنون الحرب نفسها، مما ظهرت آثاره فى الحرب المصرية الحبشية (١٨٧٥ — ١٨٧٦) ، التى دفع الجيش ثمنها برأى العناصر التركية الشركسية ، وادت الى ابادة فرقة مصرية كاملة نتيجة للخيانة وسوء التنظيم والاهمال . فضلا عن انها كانت معزولة بالشعور والمصلحة عن الاحساس بالوطنية المصرية . مما يبشر بامكانية استسلامها الكامل للغزو الاوربى الذى بدت طلائعه .

ان بلورة هذين الطريقين لم يكن بهذه الطريقة السهلة التى نستخلصهما بها اليوم، ذلك ان الحركة الثورية لم تكن محكمة التنظيم واضحة الرؤيا بما يسمح لها ان تستكشف اهدافها ووسائلها بمثل هذا التحديد . على ان هذه الحركة فى معاركها المتواصلة طوال عامى الثورة، استطاعت ان تبلور طريقها وتنحته فى صخور الواقع المصرى والدولى فى عصر شديد التعقيد .

وكان ابرز مظهر من مظاهر التعقيد التى اثرت فى مسار الثورة ، هو ارتباك الخريطة الطبقية لها. فقد ضمت تلك الخريطة « **كبار ملاك الاراضى** » الذين كانوا قد بداوا يتبلورون كطبقة محددة الملامح وموحدة المصالح . لقد حدث هذا عبر اجراءات متعددة بدات فى اواخر عهد « محمد على » حتى اواسط عهد « اسماعيل » وانتهت بظهور الملكية البرجوازية للارض ، التى كانت تقوم اساسا على تحول الارض — كوسيلة انتاج — الى سلعة، بحيث تقر الملكية الفردية (**حق التصرف والاستغلال**) ويتحول العمل فيها الى سلعة (**بالغاء السخرة**) ، وتتجه الى الانتاج للسوق (**التوسع فى زراعة القطن**) ويعتمد الانتاج فيها على التمويل المصرفى (**انتشار البنوك العقارية**) . ومن الطبيعى ان تكون «**البرجوازية التجارية**» حليفة صغيرة لهذا الجناح لضعفها ولسيطرة العناصر الاجنبية على مجال التجارة . وكحماية لمصالح هذه الطبقة الناشئة — بجناحيها التجارى والزراعى — كان لا بد من ان تتناقض مع « **السيطرة الاوتوقراطية** » التى كان يمثلها الخديوى . اذ كانت تهدف الى المشاركة فى السلطة السياسية ، وان تتناقض مصالحها ايضا مع التسلل الاوربى لسياسة الاستنزاف التى كان يفرضها للحصول على ديونه وفوائدها ، ولعملية النهب التى كانت الاحتكارات الاوربية تقوم بها من خلال بنوك الرهن والاقتراض الزراعى. وفى مركز الحليف المباشر لهذه الطبقة الوليدة ، كان المثقفون المصريون يقفون . فمنذ بدا « محمد على » ينفذ سياسته فى اقامة جهاز دولة قوى عسكرى ومدنى، معتمدا على الخبرة الاوربية ، تشكل المثقفون المصريون فى ظروف بالغة الصعوبة ، اذ كانت المسافة بينهم وبين نظام « محمد على » وخلفاؤه

---

(٤) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المعروفة بالثورة العرابية — الجزء الاول .

بعيدة .» فنظام الحكم الاوتوقراطى الذى وضعه ، كان مناقضا تماما مع المناخ الفكرى الذى تكونوا فى ظلاله . كما ان الواقع الاجتماعى المصرى لم يكن قد تشكل اجتماعيا بما يسمح بتفريخ افكارهم وانتشارها . ومن ناحية ثانية فانهم وقد اصبحوا جزءا من جهاز الدولة وجدوا انفسهم فى المرتبة الثانية امام سيطرة اوربية شركسية تركية فى قمة السلطة ومراكزها القيادية سواء كان هذا فى جهاز الدولة المدنى او العسكرى .»

وكان من الطبيعى ان يتولد التيار الفكرى الليبرالى فى مصر ببطء شديد ، وان يتسم الى هذا بسمة توفيقية واضحة تزاوج خلالها مع التيار الفكرى السائد . واذا كان هذا التزاوج قد ساهم فى بروز تيار دينى متحرر مثله «**محمد عبده ومدرسته**» ـ بتأثير من «**الافغانى**» ـ فانه ابعد التيار الليبرالى عن ان يكون فى صورته النقية التى لا يمكن ان يصل اليها الا من خلال التطور الاجتماعى نفسه (٥) .

ومن الواضح ان مثل هذه الخريطة مليئة بتناقضاتها الداخلية ، اذ كان من الصعب الوصول الى جبهة وطنية متحدة فى مواجهة العدو الرئيسى وهو السراى والتسلل الاوربى ، وذلك لاختلاف اهداف التكوينات الاجتماعية والضعف التنظيمى والسياسى لقيادة الثورة ، ولشراسة العدو وسرعته الفائقة فى الحركة مما جعله ينجح فى تفتيت الجبهة واجتذاب العناصر المعتدلة اليه بسرعة .

ويمكن متابعة حركة الثورة فى مسارها ، حتى نهايتها المؤسفة ، على النحو التالى :

● فقد اتخذت الحركة فى البداية اشكالا تنظيمية سرية ، فتشكل حزبين سياسيين سريين ، اولهما «**الحزب الوطنى**» الذى ضم بشكل رئيسى كبار ملاك الاراضى وبعض ممثلى البرجوازية التجارية ، وكانت شعاراته : انقاذ مصر من الاستغلال الاجنبى ، وقيام نظام دستورى يشاركون بمقتضاه فى السلطة ويعملون على نشر التعليم . اما الحزب الثانى فكان «**جمعية مصر الفتاة**» وكانت تضم عناصر من المثقفين المصريين المدنيين والعسكريين . ولم يكن لهذين الحزبين حركة جماهيرية واسعة ، واكتفيا بأشكال من النضال لا تخرج من الاتصال ببعض الصحفيين الاوربيين ، وعدد من معتمدى الدول . على ان «**الجمعية مصر الفتاة**» قد قفزت قفزة واسعة عندما استطاعت بعض العناصر العسكرية فيها ان

السيد أحمد المحروقى

(توفى عام ١٨٠٤)

كبير تجار القاهرة . شارك فى شبابه فى تجارة الصادرات والواردات مع (شاه بندر التجار) احمد بن عبد السلام ، ثم خلفه بعد وفاته فى مركز كبير التجار . زاد نفوذه باتساع تجارته مع مختلف الاقطار الشرقية والاوربية ، واصبحت له مكانة كبيرة عند مراد بك وابراهيم بك . كان غائبا فى الحجاز عند بدء الغزو ، ونهب العربان قافلته اثناء عودته وقابله نابليون وكان اذ ذاك يطارد ابراهيم بك فى الشرقية ، وانتخب ضمن اعضاء الديوانين العمومى والخصوصى اللذين انشئا فى ديسمبر ١٧٩٨ . كان احد زعماء ثورة القاهرة الثانية وشارك فى تنظيمها وتمويلها . ولما اخفقت الثورة هاجر الى سوريا ، وصادر الفرنسيون امواله ، ولم يعد الى مصر الا بعد انسحابهم .

وتوفى فى عام ١٨٠٤ .

تنظم احتجاجا اعتدت فيه على رئيس الوزراء والوزير البريطانى ـ بسبب احالة ٢٥٠٠ من الضباط المصريين الى المعاش بحجة تقليل المصروفات ـ مما جعل لها راى عام فى الجيش . وفرضت هذه التطورات عملية توحيد الحزبين ، وقد تمت باتصالات بين عرابى ـ وكان عضوا بمصر الفتاة ، وبين العناصر التى تصدت لقيادة الحزب الوطنى .»

● وبتوحيد الحزبين انتقل العمل الى مستوى علنى ، اذ تدعمت حركتهما بالنصر الذى حققه التمرد العسكرى الاول ، والذى اعيد على اثره الضباط المحالون الى المعاش للخدمة العاملة . فعقدت قيادات الحزبين عدة اجتماعات موسعة ضمت عددا من اعضاء مجلس شورى النواب ، والرؤساء الدينيين ، وممثلين للضباط وكبار الملاك والتجار . وصبت هذه الاجتماعات فى مؤتمر بلور المطالب الوطنية فى وثيقة رفعت الى « الخديوى اسماعيل » تتضمن **مطلبا اقتصاديا** هو : الابقاء على قانون المقابلة(٦) ، **ومطلبا سياسيا** هو : منح مجلس النواب سلطة تشريعية كاملة وخاصة حقه فى التشريع الاقتصادى وتعديل قانون الانتخاب ، وتأليف وزارة مصرية صرفة . وسارع « الخديو اسماعيل » الى محاولة احتواء هذه الحركة قبل ان تتضخم ولكى يستخدمها فى الضغط على الدول

---

(٥) راجع سعد زهران : التعاليم الليبرالية فى الثورة العرابية . المجلة مايو ١٩٦٥ ، ومحمود الشرقاوى : على مبارك والثورة العرابية ـ المجلة ١٩٦٢ .

(٦) كان قانون المقابلة الذى اصدره اسماعيل ١٨٧١ يجيز امتلاك الارض ملكية تامة اذا دفع حائزها مرة واحدة ستة امثال الضريبة السنوية مع اعفائه بعد ذلك من نصف الضريبة المربوطة .

الاوربية التى كانت تناوئه اذ ذاك . ولكن محاولته جعلت الدول الاوربية تسارع وتعزله .

● وبعزل « اسماعيل » وتولى « توفيق » بدلا منه ، بدأت الحركة تأخذ مسارا آخر . فقد عمل « توفيق » على تمييع الموقف ، خاصة بعد التدخل الاوربى ، وخوفا من نجاح ابيه فى محاولاته للعودة الى العرش . وهدات الحركة شيئا ما . ثم بدات العناصر العسكرية تتحرك نتيجة لسلوك الارستقراطية التركية الشركسية المسيطرة على الجيش التى اسرعت فى محاولة للتمكين لسيطرتها باستصدار تشريع يحرم الترقية من تحت السلاح . وكان معنى هذا ان باب الصعود الى المراكز القيادية فى الجيش قد اغلق تماما امام الضباط الوطنيين . وفى سبيل تصفية بعض المراكز التى كان عدد من هؤلاء الضباط يشغلونها بالفعل ، استصدرت حركة تنقلات وتعيينات احل محلهم فيها ضباط من الشراكسة . وكانت نتيجة هذه الحركة ان قامت مظاهرة اول فبراير ١٨٨١ التى رفعت شعار تمصير القيادة العليا للجيش بطرد الوزير الشركسى ((**عثمان رفقى**)) من وزارة الحربية ، وقد نجحت المظاهرة المسلحة فى تحقيق اهدافها . ثم عقدت قيادة الحزب العسكرى (**عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى**) عدة اجتماعات مع القيادات الوطنية فى الجيش وقدمت مطالب تفصيلية تتضمن تحسين المستوى المادى والمعيشى للضباط والجنود ، فضلا عن مطالبها الخاصة بايقاف حركة الترقيات وحركات التقاعد حتى يصدر قانون منظم لها . وكانت هذه المطالب بالذات تستهدف ايقاف محاولة تدعيم السيطرة التركية الشركسية على الجيش . وقد ادت اجابة هذه المطالب الى احداث استقطاب داخل الجيش تكتلت فيه العناصر الوطنية خلف قيادة عرابى وتبنت مطالبه . ومن هنا بدات قيادة الثورة تقدم مطالبها شيئا فشيئا ، وكلما نجحت فى اكتساب موقع ، تحركت تجاه آخر . على ان اهم المواقع التى اكتسبتها الحركة هى نجاحها فى عزل اعداد كبيرة من القيادات الشركسية والتركية فى الجيش ، التى بدات تتآمر على حياة قيادات الثورة لكى تعود الى مواقعها . ثم بدات هذه القيادة الوطنية الجديدة تمهد الارض لها داخل المجتمع فارسلت منشورات الى الاعيان والتجار والكبراء فى جميع انحاء القطر تشرح فيه اهدافها واتجاهاتها .

● وكان من الطبيعى ان تتحرك القوى المناوئة وخاصة الخديوى الذى سارع بمحاولة لتشتيت قوى الثورة وتفتيت تجمعها بنقل قياداتها والقوات التابعة لهم خارج العاصمة ، وفى اماكن متفرقة . وادى هذا الى انقضاض قوى الثورة على الخديوى فى **مظاهرة ٩ سبتمبر** المسلحة التى اسقطت وزارة ((**رياض باشا**)) وطالبت بتشكيل مجلس النواب على اساس الدستور الذى وضع عقب مظاهرة فبراير ١٨٨١ . كما طالبت ايضا بزيادة عدد الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية . وهكذا استطاعت الثورة ان تفرض اهدافها على الخديوى وتدخلت قيادتها فى اختيار الوزارة . وحددت اهدافها فى برنامج ((**الحزب الوطنى**)) ويتضمن :

— الاعتراف بالعلاقات الودية بين مصر وتركيا فى اطار التبعية الدينية للخليفة ، وحق تركيا فى الجزية التى تحصل عليها وحقها فى المساعدة العسكرية . وخروجا عن هذا الاطار فان الحزب ((**يقاوم من يحاول اخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية**)) .

— الاعتراف بسلطة الخديوى الشرعية ، على ان تكون مشروطة ((**بعدم عودة الاستبداد والاحكام الظالمة التى اورثت مصر الذل ، واطلاق عنان الحرية للمصريين**)) .

— الحزب الوطنى مع اعترافه بالديون الاوربية فهو يعلن عزمه ((**على استخلاص المالية المصرية من الايدى الاوربية**)) ، والى ان يحين ذلك فان الحزب يرى ان تعتمد المراقبة الثنائية على موظفين من المصريين لان الموظفين الاوربيين يأخذون مرتبات جسيمة مما لا يتناسب مع حالة التقشف ، كما يطالب الحزب بخضوع الأجانب للضرائب وللتشريع المصرى عموما .

— الحزب حزب قومى ، ينضم اليه جميع المصريين من جميع الاديان . وهو لا يدعو الى كراهية القوميات الأخرى الموجودة فى مصر بشرط خضوع اتباعها للقوانين المصرية ودفعهم الضرائب .

— يرى الحزب ان السلطة التشريعية — مجلس النواب — هى السلطة المعبرة عن الامة والتى لها جميع الحقوق . وحماية لهذه السلطة يضع الجيش نفسه فى حماية مجلس النواب من المؤامرات التى قد تدبر ضده ، فأمراء الجهادية ((**هم حراس الامة التى لا سلاح لها ، ولهذا يطلبون زيادة الجيش الى ١٨٠٠٠ عسكرى**)) .

على ان البرنامج وان كان قد حدد اهدافا واضحة ، فانه اغفل المسائل التنظيمية تماما ، كما انه افتقد الطابع الحزبى الذى يقوم على طليعة سياسية تتولى قيادة وتنظيم الجماهير ، فقد اعتبر ان ((**كل من يحرث ارض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه**)) . وعلى الرغم من ان الجيش كان منظما ، الا انه لم يكن قد تطهر تماما من العناصر الشركسية وعملائها . كما ان الكتلة الكبرى من جنوده لم تكن واعية سياسيا بشكل كاف .

● كان تطور الحركة الثورية بعد ذلك سريعاً ، اذ اجتمع مجلس النواب ، الذى تشكل اساسا من كبار ملاك الاراضى . وبدأ مهامه وكان فى مقدمتها وضع دستور جديد . وحول هذا الدستور حدث الخلاف بين النواب والوزارة التى رات ان تحتفظ لنفسها بحق وضع الميزانية ورفضت اى محاولة لمشاركة النواب فى ذلك،بدعوى ان الدول الاوربية ترفض ذلك . وكانت مسألة الميزانية مسألة جوهرية . فرقابة النواب عليها تعنى رقابتهم على الايرادات(الضرائب)والمصروفات التى كانت تتسم بتبذير شديد . ومن هنا تمسك النواب بحقهم فى ذلك . واسقطوا وزارة **((شريف))** واتوا **((بمحمود سامى البارودى))** فى وزارة كان عرابى وزيرا بها، فاصدرت **دستور١٨٨٢** .واجتمع المجلس وانفضت دورته . وبمجرد بدء اجازة المجلس بدات الفتن والمؤامرات تطل براسها،فقد حاولت الارستقراطية الشركسية ان تعاود سيطرتها على الجيش،فكانت مؤامراتها وبالا عليها ، اذ ادت الى تصفية عدد كبير من عملائها وتقديمهم الى المحاكمة . ورفض الخديوى التصديق على الاحكام فى محاولة لحماية عملائه حتى لا يفقد رصيده من الخونة ، وازداد الخلاف . واسرعت **((بريطانيا وفرنسا))** ــ وقد اقلقهما الوضع برمته ــ الى التدخل . لقد كان تدخلهما الاول اثناء نظر الدستور فى مجلس النواب قائما على محاولة التقليل من سلطة المجلس ، ومصادرة حقه فى مناقشته الميزانية ، ولكن هذا التدخل فشل.ومن هنا كان تدخلهما هذه المرة هادفا الى تدمير قيادة الثورة نفسها المتمركزة فى الحزب العسكرى.ويبدو ان قوى الاستعمار الاوربى رات ان هناك امكانية للتفاهم مع بعض عناصر الارستقراطية الزراعية فى مجلس النواب وان راس المقاومة هو الحزب العسكرى ، لذلك قدمت طلبات بابعاد عرابى خارج القطر ، وزملائه خارج القاهرة ، واسقاط وزارة « البارودى » . ودعمت طلباتها بتحرك عسكرى بحرى حول الاسكندرية.

● نجحت عملية الاستقطاب عقب جلسة عاصفة لمجلس النواب عقدت فى دار رئيسه **((محمد سلطان باشا))** ، وعرفت بعد ذلك « بليلة الدار »، وعرض فيها عرابى خلع الخديو وتعيين آخر مكانه، فرفضت عناصر الارستقراطية الزراعية ، كما رفضت الموافقة على ابقاء وزارة البارودى . ومنذ تلك الليلة انشق معسكر الثورة الى معسكرين متناقضين ، انضم احدهما الى قوى الثورة المضادة وكان هذا الجناح يتمثل فى الارستقراطية الزراعية التى عبر عنها سلطان باشا رئيس مجلس النواب تعبيرا كاملا . فقد انضم هذا الجناح الى قوى الثورة طامحا الى مشاركة الخديوى سلطته .

وواقعا احيانا مطالب متخلفة .وكان من بين الاسباب التى ادت الى تناقضه مع التدخل الاوربى ، ان تقرير لجنة التحقيق الدولية كان قد اوصى بفرض ضرائب على الاراضى العشورية وهى الاراضى التى كان محمد على قد منحها فى نهاية حكمه لكبار اعوانه وموظفيه،وكان ملاكها يشكلون اكبر جناح فى طبقة كبار ملاك الاراضى ، وكانت تلك الاراضى معفاة من الضرائب . كذلك فان الغاء السخرة قد حرم هؤلاء الملاك من استغلال قوة عمل جماهير الفلاحين اجباريا وبالمجان.وبالطبع فان مثل هذه الاجراءات كانت مفيدة للملاك المتوسطين والصغار ، اذ خفف فرض الضرائب على الاطيان العشورية من الضغط الاستنزافى الذى كانت الضرائب الحكومية تستعمله ضدهم ، كما ان تحرير قوة العمل ولو انه قد افاد جماهير الفلاحين فائدة شكلية ضئيلة ، فقد كان مفيدا اكثر للبرجوازية الزراعية التى كان من شأن احتكار قوة العمل ان يحرمها الاستفادة منها بالشكل الذى تريده . ومن هنا كان انضمام الارستقراطية الزراعية للثورة فى المرحلة الاولى. ويذكر **((الشيخ محمد عبده))** فى مذكراته عن الثورة العرابية ان هدفهم كان الغاء الضرائب على الاراضى العشورية واعادة السخرة (٧) . وقد تمثل الانقسام عقب ليلة الدار فى انضمام ٣٥ من اعضاء مجلس النواب برئاسة محمد سلطان باشا الى الخديوى بينما بقى اربعون مع عرابى .

● وفى الفترة من مذبحة الاسكندرية التى دبرها الخديوى بالتعاون مع بعض عربان البحيرة (١١ يونيو ١٨٨٢) للتعجيل بالتدخل الاوربى ، وبين ضرب الاسكندرية فى ١٢ يوليو،حدثت هدنة مؤقتة، واضطر الخديوى لاعادة عرابى وزيرا لحفظ الامن، وبعد احتلال الاسكندرية،طلب الخديوى من عرابى ايقاف المقاومة المسلحة بزعم ان الاسطول سينسحب بمجرد امتثال الجيش لامر الحاكم الشرعى. **ورفض عرابى** . وبذلك انتهت الهدنة وانتقل معسكر الخيانة الى الاسكندرية وضم الخديوى ووزراؤه وكتلة سلطان باشا وعناصر اخرى لكى يكونوا جميعا فى حماية اسطول الاحتلال.بينما كان معسكر الثورة فى القاهرة ينظم صفوفه،فاعتبر ان الوزارة مستقيلة ، وانشأ ما عرف **بالمجلس العرفى** مكونا من وكلاء النظارات برئاسة **((يعقوب سامى))** وزير الحربية . ودعى الى جمعية وطنية ضمت كل العناصر التى ترى ضرورة استمرار المعركة ضد الانجليز ، من النواب والمثقفين ورؤساء الطوائف الدينية **(شيخ الازهر والبطريرك والحاخام)** وكبار التجار ونقباء الصناعات والعمد وكبار موظفى الحكومة . وقد اعلنت هذه الجمعية خلع الخديوى وقررت استمرار الحرب وكلفت عرابى بالمقاومة .

---

(٧) مذكرات الامام محمد عبده ــ تقديم وتعليق : طاهر الطناحى ــ كتاب الهلال ،١٩٦١، ص ١٠٥ .

والشائع أن الجيش المصرى قد هزم فى معاركه مع الجيش البريطانى ، وهى المعارك التى جرت بين سقوط الاسكندرية فى «يوليو» وسقوط القاهرة فى اواخر «سبتمبر» ، وهو غير صحيح . اذ الواقع ان هذه المعارك قد جرت فى جو لا يمكن الحكم على النتيجة النهائية دون ادراكه .

كان عرابى وعدد من قواد الحزب العسكرى يشكلون اكثر العناصر تقدمية فى قيادة الثورة ، فقد كانت **فكرة اعلان الجمهورية** تراودهم بكثرة على نحو ما يروى ((**بلنت**)) فى كتابه ((**التاريخ السرى لاحتلال انجلترا لمصر**)) . وكانت فكرتهم ان تكون جمهورية حيادية كسويسرا تقف من الصراع الاوربى موقف الحفاظ على مصالحها . وكانوا متأثرين ببعض الافكار المتطرفة نتيجة لاحتكاكهم ببعض المثقفين الاوربيين سواء كانوا من العناصر الليبرالية كبلنت او اليسارية . وقد كتبت جريدة ((**الجوائب**)) عقب هزيمة الثورة تصف عرابى بأنه ((**نجس صفوف عساكره بالاشتراكيين الفرنساويين الذين احرقوا مدينة باريس فى سنة ١٨٧١ وطردوا منها ، فان هؤلاء الاشقياء بعد ان ضاقت الارض بهم لم يروا وسيلة لاجراء مآربهم الابليسية الا الحكومة العرابية**)) (٨) .

وذكرت ايضا نفس الصحيفة نقلا عن صحف الاسكندرية أنه قد قبض على ((جون نينيه من اهل سويسرة وغيره من الاورباويين الاشتراكيين الذين فروا من فرنسا ، واشتغلوا باضلال عرابى فى الحركات العسكرية والافكار السياسية)) (٩) .

وناقشت جريدة ((الوطن)) مسألة القبض على بعض الاوربيين وترحيلهم وقالت ان المدافعين عن هؤلاء «يقصدون أن يجعلوا مصر مركزا للنهليست» وأن مصر ترى ((ما فعلته حكومة فرنسا بالكومون بعد ان قهرتهم)) .

كما قالت ان مصر قد نفت ((اثنين من المفسدين الاجانب لمارات انهما متلبسين بمبادىء الاشتراكيين ، وعند أمثالهما الحرية هى التمشدق ببعض اوهام فاسدة او السعى لغايات سياسية شخصية))(١٠) . ويذكر ((الامام محمد عبده)) ان جمعية مصر الفتاة التى تشكلت فى الاسكندرية كانت تضم عددا من الاجانب الذين يدافعون عن مصر . ومن المعروف ان ((عبد الله النديم)) كان عضوا بهذه الجمعية .

وبالطبع فان عرابى لم يكن اشتراكيا ، ولكنه كان يتحرك على العموم فى مناخ فكرى يسارى بمفهوم ذلك العصر ، يسانده عدد من العناصر الاوربية المتحررة ، فضلا عن وضعه الطبقى كمالك صغير — اذ لم يكن يملك سوى ثمانية افدنة ونصف فدان صالحة للزراعة ورثها عن ابيه (١١) .

وهذا الجناح فى قيادة الثورة كان يستلهم احيانا افكارا ثورية متطرفة وان كانت غير متكاملة . ويروى ((**لطفى السيد**)) فى مقال له ان عرابى ومن معه من الضباط فى «ليلة الدار» عندما طالبوا بخلع الخديوى **قال لهم بعض الاعيان : انكم بخلعكم الخديوى تعرضون البلاد للاحتلال ، فقالوا ان الاحتلال موجود بالفعل وانهم سيقاومونه وان انجلترا لن تستلم مصر الا وهى خراب وانهم لا ناقة لهم ولا جمل فيها ، فقال لهم احد الاعيان : اذن اتركوا مصر لاصحاب النياق والجمال .**

ومن هنا فان عرابى الذى قاد حركة المقاومة ضد الاحتلال ، طرح فكرة الاعتماد على اوسع الجماهير وهى الفلاحين فى مقاومة الغزو . وبينما كان الجيش المصرى النظامى لا يزيد عدده عن ١٣ **الف** ، فان معسكرات الجيش كانت تضم عددا ضخما من المتطوعين يصل الى **مائة الف** فى بعض التقديرات . وقد لعب بعضهم بالفعل ادوارا رائعة فى الحرب . فشاركوا فى اقامة الاستحكامات ، كما شاركوا فى الدفاع عن الاسكندرية ، ويقول «**محمود فهمى** » احد زعماء الثورة **((ورأيت فى ذلك الوقت بعينى راسى ما حصل من غيرة الاهالى بجهة راس التين وام كبيبة وطوابى باب العرب ، وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونساؤهم واولادهم وبناتهم والبعض من الاهالى صار يعمر المدافع ويضربها على الاسطول))(١٢) . ويقول الامام محمد عبده ((ان الرجال والنساء من اهالى الاسكندرية كانوا هم الذين ينقلون الذخائر ويقدمونها الى الطوبجية الذين كانوا يضربونها ، وكان الاهالى يفنون بلعن الاميرال ومن ارسله))** (١٣) . كذلك جمعت كميات ضخمة من الذخائر والمؤن والتبرعات المالية للجيش والتفت أعرض الجماهير حول المعركة .

على ان هزيمة جيش عرابى فى النهاية جاءت لا لتفوق القوة العسكرية الانجليزية فحسب ، ولكن

---

(٨) الجوائب (جريدة عربية كان يصدرها فى الاستانة سليم فارس الشدياق) العدد ١١٠١ فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ .
(٩) الجوائب العدد ١١٠٣ فى ٣ اكتوبر ١٨٨٢ .
(١٠) الوطن (جريدة مصرية يصدرها ميخائيل عبد السيد) عدد ٣٠ اكتوبر ١٨٨٢ .
(١١) بقية املاك عرابى التى طالب بها بعد عودته من المنفى هى اراض بسور اشتراها بعد ترقيته الى لواء ، وازدياد مرتبه ، ولم تكن تزرع راجع بلنت .
(١٢) البحر الزاخر — جـ ١ — ص ٣٢١ .
(١٣) مذكرات الامام محمد عبده — ص ١٩٤ .

لتأمين الجبهة الشرقية على أساس ان هذا يعرض مصر لموقف دولى بالغ الصعوبة».

لقد اظهر الجيش المصرى بطولة فى المعارك التى خاضها فى جبهة كفر الدوار ، فلم يمكن الجيش البريطانى من التقدم من الاسكندرية ، رغم تفوقه فى التسليح والمعدات والرجال ، وضآلة امكانيات العسكرية المصرية . ومن المؤسف ان جماهير الفلاحين التى انضمت لجيش الثورة كانت بلا خبرة عسكرية على الاطلاق وكانت تحتاج الى فترة تدريب طويلة نسبيا للاستفادة من امكانياتها الدفاعية وهو ما لم يتح لسرعة تحرك الحوادث وقصر زمن المعركة العسكرية نسبيا».

حسن طوبار (توفى عام ١٨٠٠)

شيخ بلدة المنزلة ، احتكر الصيد فى بحيرة المنزلة لقاء جعل للحكومة . حشد حسن طوبار عددا كبيرا من المراكب فى المطرية لكى يقاوم الحملة الفرنسية على البحر الصغير . فاشتبك معهم فى معركة الجمالية (١٦ سبتمبر ١٧٩٨) . وبدا ينظم حركة المقاومة فى مختلف البلاد الواقعة بين دمياط والمنزلة والمنصورة . واشترك اسطوله فى صد الهجوم الفرنسى على دمياط (١٦ سبتمبر ١٧٩٨) . ثم عسكر فى قرية (الشعراء) واتخذها معسكرا وصدوا هجوما فرنسيا عليها . وفشلت الحملة الاولى على البحر الصغير ، فجرد نابليون حملة اخرى فتعرضت ايضا لمتاعب شتى ، بل ونظم حسن طوبار معركة بحرية معها .

هاجر حسن طوبار بعد احتلال المنزلة والمطرية الى غزة . وعاد بعد انتهاء الحملة الفرنسية على سوريا . وتوفى بعد ذلك بقليل (يوليو ١٨٠٠) بالسكتة القلبية وخلفه فى شياخة الاقليم أخوه شلبى طوبار .

العامل الرئيسى فيها كان خيانة الخديوى والسلطان التركى (الذى اعلن عصيان عرابى) فضلا عن خيانة الارستقراطية الزراعية وجناح من المثقفين».

وقد اتجه معسكر الخيانة الى الاستعانة بالعربان لضمان انضمامهم الى قوات الاحتلال فشكل الخديو فرقة من عربان (اولاد على) بالبحيرة قامت بالمشاركة فى مذبحة الاسكندرية . واوفد الجيش الانجليزى مبعوثا خاصا هو المستشرق الانجليزى « **بالمر** » الذى قام بتوزيع النقود على عربان الشرقية وزعيمهم « **سعود الطحاوى** » . وكان عرابى يعتمد عليهم لكى يقوموا باستطلاع تحركات الجيش البريطانى له فخدعوه ، واخفوا عنه التحركات الحقيقية لاعدائه ، وساهموا مع هؤلاء الاعداء فى توصيل خطة الدفاع التى وضعها الجيش المصرى الى يد « **الجنرال ولسلى** » . كذلك تمكنوا من اجتذاب عدد من قواد الجيش المصرى الى صفوفهم ، ومنهم « **على يوسف** » (**خنفس**) **الذى اخلى** مواقعه فى مقدمة الجيش المصرى وتخلى عن واجبه فأتاح للاعداء فرصة العمر ، وهى مفاجأة الجيش فى اثناء راحته . ويقول « عرابى » فى مذكراته ان « سلطان باشا » اخذ يجول فى انحاء مصر ويرشو بعض العناصر من الاعيان لكى تتخلى عن الثورة ، كما يذكر انه كان يقوم بمهمة الدليل للجيش البريطانى لكى يدله على بعض مواقع الجيش المصرى . ومن ناحية اخرى فقد تأخر الجيش المصرى فى تحصين منطقة القنال ، وركز جهوده فى الفترة الاولى على **جبهة كفر الدوار** ورفض عرابى **سد قناة السويس**

٦
مصطفى كامل : الاحتجاج المصرى

كانت حركة « **مصطفى كامل** » ، اولى حركات الايقاظ القومى فى مصر بعد الاحتلال البريطانى الذى اجهض الثورة العرابية عام ١٨٨٢».

وقد ادت دورها فى الظروف العالمية التى نشطت خلالها ، وفى ظروف انحسار المد الثورى الذى اعقب هزيمة الثورة ، وقد انطلق « مصطفى كامل » من تصور اساسى صحيح ، وهو ان المعركة الرئيسية هى ضد الاستعمار البريطانى ، ورأى بشكل جزئى ان التناقضات الثانوية داخل المعسكر الاستعمارى والتى كانت قد بدأت فى الظهور نتيجة لاتجاه الراسماليات الاوربية الى التطور الاحتكارى وتفاوتها فى النمو ، يمكن ان تساعد مصر فى معركتها ضد بريطانيا . فذهب الى انه « **لايمكن للدول الاوربية ان تأمن خطر استئثار الانكليز بقناة السويس الا اذا حررت مصر وسلمتها لابنائها وجعلت حياد قناة السويس وحرية المرور فيه لكل دولة وفى كل وقت تحت رعاية الحكومة المصرية** » ، (١٤) . ونظر مصطفى كامل الى التناقض الانجليزى الالمانى على اساس ان التجارة الالمانية فى الشرق الاقصى تحتم ان تشعر المانيا بخطر وقوع مصر تحت السيطرة البريطانية لما تمكن ان تتعرض له تجارتها من تهديد فضلا عن الخطر الذى يقع على مستعمراتها ←

(١٤) مصطفى كامل — المسألة الشرقية ١٨٩٨ ص ٢١٤ — ٢٨٠ .

فى افريقيا وآسيا ، وعلى المستوى الداخلى فان « مصطفى كامل » قد اعتمد على التناقض بين الخديوى وممثلى الاحتلال الذين افتقدوه كل سلطاته مما دفعه الى تشجيع العناصر الثورية ليحاول المشاركة فى السلطة ، وهو نفس الموقف الذى كانت تتخذه مجموعة كبار ملاك الاراضى من الاحتلال لعزلها عن المشاركة فى السلطة ، ولكن استفادتها من مشروعات الرى والطرق جعل مطالبها متواضعة جدا ، وكان « مصطفى كامل » ينطلق فى المرحلة الاولى من كفاحه من تصورات شديدة العاطفية ، ففى رسائله الى **(جولييت آدم)** تبدو مصر فى نظره ((**حبيبة مظلومة سجينة**)) فهى وطن ((**سيىء الحظ تعس الى آخر درجات التعاسة**)) ومن هنا فهو ينطلق ((**كصيحة احتجاج**)) على حد تعبيره ضد الاحتلال الانجليزى (١٥) ».

وقد نجح احتجاج « مصطفى كامل » بالفعل فى تجميع الجماهير المصرية حول شعار الجلاء ، والتغلب على آثار هزيمة الثورة ، وخاصة بعد ان اتضحت امامه الرؤية ، وكشفت تجربته السياسية عن ان الاعتماد على التناقضات بين دول المعسكر الاستعمارى لاينبغى ان يكون هو هدفه الوحيد ، وبعد ان خانه الخديوى **بسياسة الوفاق** بينه وبين المعتمد البريطانى . فبدأ يتجه نحو تنظيم الجماهير المصرية ، وكانت تسمية **الحزب الوطنى** تسمية قديمة — فهو حزب العرابيين — الا انها لم تكن تنسحب على كيان تنظيمى محدد ، وفى مقدمة كتاب مصطفى كامل ((**المسألة الشرقية**)) قال ان الخديوى هو رئيس الحزب الوطنى لانه رئيس الامة ، والحزب الوطنى هو الامة كلها ، الا انه فى عام ١٩٠٧ ، يعيد تنظيمه فى مواجهة ((**حزب الامة**)) الذى انشأه كبار الملاك الاراضى وحزب ((**الاصلاح**)) الذى انشأته السراى ، وضم الحزب الوطنى العناصر الاكثر وطنية من البرجوازية التجارية والبرجوازية الصغيرة وشباب المدن من الطلاب والصناع ، ووضعت له لائحة ، وألف بعض المنظمات الجماهيرية **كنادى طلبة المدارس العليا** .

وقد نضجت حركة الاحتجاج وتكاملت على يد الزعيم ((**محمد فريد**)) ، فباشر تنظيما اكثر دقة للجماهير ، وبدأ فى تنظيم نقابات للعمال والصناع واهتم بالجمعيات التعاونية ، وتحرك فى صفوف الطلاب بشكل افضل .

وعلى مشارف الحرب العالمية الاولى ، كان الحزب الوطنى يرفع شعار : الجلاء التام ويعتمد على جماهير المدينة دون أن يمد بصره الى الكتلة العريضة من الجماهير وهى العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين والملاك الصغار ، ويعتمد على التناقض بين الدول الاستعمارية ويتعاون مع الحركات الاشتراكية ، وكان حزب الامة يعتمد على كبار ملاك الاراضى ويرفض شعار الاستقلال التام ، ويطالب بمشاركة الاحتلال فى سلطته عن طريق توسيع سلطات الهيئات المحلية كمجالس المديريات ، وفى هذا الجو انفجرت الحرب العالمية الاولى ».



تعتبر ثورة ١٩١٩ ، نموذجا ممتازا لقدرة الشعب المصرى النضالية ، كما انها ايضا النموذج الذى يمكن فى الدراسة التشريحية له ان يدلنا على عديد من الظروف التى تحد من هذه القدرة ، وتمنعها فى الوقت المناسب من فرض ارادتها ، او المضى فى تحقيق مطامحها .

ومن الواضح لكل من يراجع تاريخ ثورة مارس ١٩١٩ ، ان الطابع العنيف للثورة هو من صنع الجماهير الشعبية ، فالقيادة السياسية التى قامت ببعض الاتصالات بسلطات الاحتلال عقب توقيع الهدنة ، طالبة السماح لها بالسفر الى لندن ، كانت تصدر عن فكرة التفاهم مع بريطانيا حول تحقيق نوع من انواع الحكم الذاتى ، وكان تكتلها اما من اعضاء **(حزب الامة)** القديم ، او من المتصلين به ((**كسعد زغلول**)) نفسه ، والاتجاهات السياسية التى كان حزب الامة يروج لها قبل الحرب ، كانت ادانة اسلوب ((**مصطفى كامل**)) ، ((**ومحمد فريد**)) واعتبارهما متطرفين ، والمطالبة بسياسية المسالمة مع المحتل وليس معاندته ، وتبدو اتجاهات القيادة السياسية واضحة فى محضر المقابلة التى تمت فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ بين ((**السير رنجالد ونجت**)) المندوب السامى البريطانى وبين ((**سعد زغلول**)) و ((على

(١٥) رسائل مصرية فرنسية — رسائل مصطفى كامل وجولييت آدم — ترجمة : على فهمى كامل ١٩٠٩ .

شعراوى » و « عبد العزيز فهمى » ، فقد نبه الزعماء الثلاثة الى ان « **طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطنى ربما كان فيها مايؤخذ علينا وذلك راجع الى طبيعة الشبان في كل جهة** » ، ثم اشاروا الى الطريقة الحكيمة التى كان يتبعها عقلاء البلاد فى « حزب الامة » وعلى صفحات « الجريدة » ، واعلنوا من ناحية ثانية تسليمهم بحق بريطانيا فى مركز خاص بمصر ، وطلبوا الغاء الحماية على اساس استبدالها بحق بريطانيا فى وضع قوات لها فى منطقة قناة السويس كضمان لطريق تجارتها مع الهند .

ولم يكن احد يتوقع ان تكون الجماهير الشعبية فى مثل هذه الصلابة التى ظهرت بعد اعتقال سعد زغلول ، فقد دخلت المعركة بكل ثقلها وبقدرة فائقة على الفعل الثورى ، وعلى الرغم من ان الجماهير قد بادرت فى حماس متزايد على توقيع التوكيلات التى طبعها الوفد ، على اثر سؤال ماكر من المندوب السامى البريطانى عن الصفة التى يتحدث بها معه الزعماء الثلاثة ، على الرغم من هذا فان الكثيرين ظنوا ان المسألة قد انتهت عند هذا الحد ، وانها مجرد مشاغبة بين بعض الزعماء وبين ممثلى الاحتلال ، وكان هذا الظن قائما على حقائق واضحة « **فالمعسكرات والقلاع والمطارات فى مصر كانت تعج بالجيوش وتزدحم بالمدافع والدبابات والطيارات، والمصريون مجردون من كل سلاح حتى الهراوات والمدى وبنادق الصيد ، والخطب ممنوعة والصحف مراقبة والذهاب والاياب بمرصد من الجواسيس والعيون** » ، (١٦) . وانطلاقا من ذلك فقد ذهب البعض الى ان الثورة « **اذا تعذرت على المصريين، ففير عجيب ان تتعذر ، وغير لزام ان تثور أمة فى هذه القيود ، وهى لاترجو بالثورة العزلاء ان تغلب الغالبين المزودين بكل سلاح** » ، (١٦) .

ثم جاءت حركة الجماهير العنيفة فى ٩ مارس ، خلافا لظن الكثيرين ممن كانوا يرون ان قدرة الشعب النضالية قد نضبت ، وانه استسلم تماما للاحتلال خاصة بعد النهاية المفجعة التى انتهت اليها الثوره العرابية المجيدة ، وماتبعها من تصفية الجيش المصرى وتسريحه ، ثم اعادة تشكيله بحيث يكون دمية فى يد الاحتلال ، يسيطر على كل كبيره وصغيرة فى شئونه اشتات من الضباط الانجليز .

وكان الواضح ان حركة الاتصالات السياسية والاحتجاجات الكلامية التى بدأت فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ حتى مارس ١٩١٩ ، تكاد تختنق، ومن هنا بدأ « سعد زغلول » يقول : « **لابد من قارعة** » ، وقد جاءت القارعة فعلا بعد اعتقال الزعماء الاربعة ، فبمجرد تسرب الخبر ، بدأت الجماهير تتحرك ، رغم ان الخبر وصل ببطء ناتج من عدم نشره فى الصحف التى كانت تحت الرقابة العسكرية، ويلاحظ عباس محمود العقاد « **ان هذه الثورة المفاجئة لم يقع فيها تنظيم ولم تكن فيها رئاسة مدبرة على الاطلاق** » ، ويدلل على هذا بأن « **مظاهرة الطلبة الاولى ــ وهى شرارة الثورة فى القاهرة ــ وقعت على غير علم سابق من الوفد ، بل على خلاف النصيحة التى سمعها الطلبة من بعض اعضائه الذين بقوا فى القاهرة بعد اعتقال سعد واصحابه** » ، ويقول بأن الطلبة الذين اصبحوا مضربين فى اليوم التالى لاعتقال سعد قد ارسلوا الى بيت الامة من يسأل عما اذا كان خروجهم متظاهرين يتفق مع خطة الوفد ام لا ؟ فثار بهم « عبد العزيز فهمى » وانتهرهم انتهارا شديدا وهو يقول لهم مامعناه « **ان المسألة ليست لعب اطفال .. دعونا نعمل فى هدوء ولاتزيدوا النار اشتعالا** » ، (١٧) .

ومن هذه البداية العفوية ، بدات ثورة ١٩١٩ ، وفى معالجة مثل هذه نركز فيها على الاساليب النضالية ، يمكننا ان نتتبع مسار الثورة فى مرحلتيها .

« **ذلك ان ثورة ١٩١٩ تنقسم فى الحقيقة الى مرحلتين : الثوره العنيفه التى حدثت فى مارس اثر نفى سعد زغلول وصحبه الثلاثه الى مالطه، وهى مرحلة قصيره المدى من الناحية الزمنية ، وهى الثوره التى قاومتها القوات العسكرية البريطانيه بكل عنف ، وهى المرحله التى اشترك فيها الفلاحون اشتراكا فعليا ، وفيها ظهرت الحكومات الوطنية المستقلة عن القاهره فى زفتى والمنيا ، والمجالس الوطنية المستقلة فى كثير من المراكز ، وهى اخيرا المرحله التى كان يمكن ان تتطور من ثوره سياسيه الى ثوره اجتماعيه غير واعية ، ثم تلتها المرحلة الثانيه للثوره التى بدات من ابريل وهى مرحله طويله المدى تتميز بخروج الفلاحين من العمل الثورى الايجابى وانحصار الثورة فى القاهره ومدن القطر ، ولعبت فيها عناصر المدن من طلبة وموظفين ومحامين وعمال الدور الاساسى، هذه هى مرحلة الكفاح السلمى** » ، (١٨) .

---

(١٦) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ــ مطبعة حجازى ١٩٣٦ ص ٢٢١ .

(١٧) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيره وتحية ص ٢٢٨ ، ولم نشر عبد العزيز فهمى فى مذكراته (قصة حياتى ــ دار الهلال ١٩٦٣) الى هوا، الثورة

(١٨) د. محمد انيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ــ الجزء الاول مكتبه الانجلو ١٩٦٣ ص ١٠ ــ ١١

المرحلة الاولى : الجماهير والعنف

بدأت هذه المرحلة بمظاهرات ٩ و ١٠ مارس التي شملت جميع انحاء البلاد دون تنظيم سابق ، وبحركة عفوية وبدون اي شكل من اشكال الاتصال او التنظيم، ولم يكن للوفد في ذلك الحين اي شكل من اشكال التنظيم الحزبي التي عرفت عنه بعد ذلك ، فلم تكن له لجان مركزية أو اقليمية او قروية ، ولم تكن له صحف ناطقة بأسمه ، كما انه لم تكن له صلة بأية منظمة نقابية او جماهيرية ، واول شكل من اشكال التنظيم بناه الوفد هو ((**اللجنة المركزية**)) التي شكلها اعضاؤه عند سفرهم للحاق ((بسعد زغلول)) ومصاحبته الى باريس ، وكان هذا في ١١ ابريل ١٩١٩ ، على ان تكون مهمتها جمع التبرعات لتغطية احتياجات الوفد في باريس وجمع المعلومات عن الموقف في مصر وارسالها الى الوفد في باريس ليستخدمها في الدعاية للقضية المصرية في دوائر المؤتمر والاوساط العالمية الصحفية والسياسية ، اما قبل هذا فقد كان الوفد المكون من ١٧ عضوا يتولى المسائل التنظيمية — وكانت بطبيعتها ضئيلة لانحصار الحركة في احتياجات تلغرافية اذ ذاك — بمعونة بعض المساعدين ، واذا كان الوفد قد اتصل ببعض المنظمات الجماهيرية ابان حركة توقيع التوكيلات فان هذا الاتصال كان في حدود ضئيلة لا تتعدى مجرد الحصول على توقيعات المنضمين الى هذه المنظمات على التوكيلات .

ومن هنا فان هذه المرحلة الاولى من ثورة ١٩١٩ اتسمت بالعفوية مما اعطاها طابعا عنيفا من ناحية ، وخلق بعض الاشكال التنظيمية الخاصة بها او الهادفة الى حصرها من ناحية اخرى ، ولكن اهميتها الشديدة تتركز في انها بعنفها استطاعت ان تحدث استقطابا في القيادة السياسية التي تصدرت للمطالبة بالحقوق القومية ، فقد كانت هذه القيادة مكونة — كما يقول ((اللورد ملنر)) في تقريره — ((**من اعضاء اكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين بل اصلهم من حزب الامة القديم الذي كان غرضه التقدم الدستوري تدريجيا**)) ، ولكن موقف الجماهير استقطب بعض العناصر من هذه القيادة ، على رأسها سعد زغلول الذي رفض مشروع ملنر رغم ان اغلبية الوفد كانت تؤيده ، وهكذا استطاعت الطاقة الثورية للجماهير ان تدفع بعض العناصر في القيادة الوفدية الى موقف ثوري يتجاوز طاقة هذه القيادة فعلا ، ويتجاوز ايضا الحجم الحقيقي لمواقعها الاقتصادية ، وطبيعي ان الحركة بعد ذلك اخذت مسارا آخر ، اذ ان الجناح المتطرف من القيادة الوفدية تمر خطواته بقوة التصور الذاتي ، ولكن المسافة بينه وبين الجناح المعتدل — الذي كان اغلبية عند تشكيل الوفد — ظلت قائمة .

ويمكن تتبع الطابع العنيف للثورة ، اذا تتبعنا اشكال النضال العنيف الذي حدث خلال تلك الفترة ، واهمها :

● التجمعات الجماهيرية الواسعة ، التي كانت في البداية تهدف الى التظاهر السلمي لاظهار احتجاجها على اعتقال الزعماء ، وترفع الشعارات السياسية للثورة واهمها ((**الاستقلال التام او الموت الزؤام**)) ثم تحولت الى العنف ، بعد ان جوبهت بمقاومة السلطة العسكرية البريطانية ، وكانت هذه التجمعات غير مسلحة ، ولكنها كانت تعتمد على كتلتها الكبيرة في تخريب الممتلكات الاجنبية ومهاجمة منشآت قوات الاحتلال ، ثم بدأت تصطدم مباشرة بالقوات المسلحة معتمدة على بعض الادوات البسيطة ، ولكنها — لعدم توفر الاسلحة لديها — كانت تصاب بخسائر جسيمة في الارواح ، على ان التجمعات الجماهيرية كانت ترفض اي محاولة محلية لمنعها ، فاذا كان التفوق في سلاح المحتل يمنعها من مواجهته مواجهة كاملة ، فان تدخل بعض رجال البوليس المحليين كان يستفز المتظاهرين جدا ، وخاصة في الاقاليم ، فقد حدثت عدة اصطدامات في البحيرة والغربية واسيوط بين المتظاهرين ومديري المديريات او مأموري المراكز لموقفهم من الثورة ، وقد قتلت الجماهير بعض هؤلاء بالفعل ، وكانت المظاهرات عامة وشاملة وضمت كل المواطنين تقريبا ، ومن الطبيعي الا يوقف تساقط اعداد ضخمة من الشهداء

الفرمانات الشاهانية

هي الاوامر والقرارات التي كان يصدرها الخليفة العثماني ، وتمثل الشكل القانوني لعلاقة مصر بتركيا . وكان المعتاد ان يصدر الفرمان متضمنا عزل الوالي وتعيين خلفا له . ومنذ تولي محمد علي حكم مصر ، واستطاع بالحروب المتوالية التي خاضها ان يحصل على عدة حقوق تضمنتها الفرمانات التي حصل عليها عقب معاهدة ١٨٤١ . وقد اقرت هذه الفرمانات ان تكون وراثة العرش في اسرته . وكان بعض الفرمانات يحدد عدد الجيش بحيث لا يزيد عن حد معين بينما تضمن بعضها حقوقا جديدة لمصر مثل الحق الذي حصل عليه اسماعيل باطلاق يده في زيادة عدد الجيش الى ما يشاء . وبان تكون وراثة العرش في اولاده . وبحقه في الاستدانة دون الرجوع للباب العالي . وباعلان الحماية على مصر عام ١٩١٤ انتهت كل علاقة لها بتركيا . ولم تعد الفرمانات الشاهانية ترد .

استمرار التظاهر ، بل ان تشييع جنازات الشهداء كان يتم في تجمعات جماهيرية ضخمة يتساقط فيها شهداء جدد وهكذا ، ومن الملفت للنظر **خروج المرأة المصرية** ، في مظاهرتين للطواف على دور المعتمدين السياسيين وابلاغهم احتجاج النســاء المصريات على موقف قوي الاحتــلال ، وكانت تلك أول بادرة لخروج المرأة المصرية من عزلتها .

● **كان الشكل الثــاني من اشكال النضــال** العنيف الذي مارسته الجماهير فيتلك الفتره ، هو اضرابات شاملة قامت بها مختلف الطوائف ،بدات باضراب عمــال الترام ، ثم انتشرت الاضرابات فاضرب المحامون والمحامون الشرعيون ، على ان الضربة الرئيسية جاءتمن **اضراب الموظفين** الذي يعد الاول من نوعه ، وكانتهذهالاضرابات خطيرة في مدلولها اذ ادت الى توقف مظاهر الحيــاة في مصر تماما . وبدا ان البلاد قد تفرغت تمــاما للقضــية الوطنية ، واتضــح عجــز الادارة البريطانيــة عن التصرف وهي التي كانت تزعم انها استأنست الشــعب المصري حتى اصــبح راضيا عنها ، فقد ادت تلك الاضرابات الى قطع المواصلات داخل المدن تماما ، وتوقف اعمــال القضــــاء الاهلي والشرعي ، ثم توقف الجهاز الحكومي كله بعد اضراب الموظفين ، فضلا عن توقف الدراسة بعد اضراب الطلبة منــذ بداية الثورة (١٩) .

● وكان اكثر اشــكال العنف ضراوة ، **هو ماقام به الفلاحون** ، وكانت بريطانيا تزعم انها تعمل لمصلحتهم وانها خلصتهم من تحكم الاتراك وطغيانهم ، وذهب « **اللورد كرومر** » الى وصف نفسه بأنه ــ « **الصــديق المخلص لاصــحاب الجلابيب الزرقاء** » ، وزعم ان هذه الصــداقة المخلصة متبادلة ، ولــكن العنف الذي مارســه الفلاحون كان موضع عجب البريطانيين ، وقد اشــار « اللورد ملنر » في تقــريره بالفعل الى ان حركة الفلاحينكانت غيرمتوقعة ، وان «**غضب الافندية**» مسالةمفهومة ، ولكن عنف الفلاحين غير مفهوم لديه ، وقد عمد الفلاحون منذ بداية الثورة الى وسيلة محددة ، تلك هي عزل القرى عن بعضها بتدمير خطوط السككالحديدية ،وتدمير اعمدة التلغراف والتليفون ، فضربوا بذلك سلطة الاحتلال فيالصميم اذ اصبحت عاجزة عن مواجهة شمول الثورة ، لان الاستعانة بالســلاحة النيلية كانت تحتاج وقتا طويلا ، كما ان الطرق البرية لم تكن معبدة بما فيه الكفاية ، وفضــلا عن قطع السكك الحديدية كان الفلاحون يهاجمون المحطات نفسها فيشعلون فيها النار او يدمرونها ، كما انهم كانوا يهاجمون القطارات التي كانت الســلطة العسكرية ترسلها لاصــلاح الخطوط المقطوعة بقطع الخط من امامه وخلفه لجعله محصورا ثم يهاجمونه ، ولم تسلم الطرق الزراعية نفسها من نشاط الفلاحين اذ كانوا يحفرون بها خنادق عميقة في مسافات متقاربة وذلك لتعطيل الســيارات الحربية البريطانية او تدميرها بوقوعها في تلك الحفر ، وقد حــدث هذا في بعض المــدن ، ومنها القاهرة نفسها التي حفر فيها اكثر من خنــدق وخاصــة في المنطقة المحيطة بالجامع الازهــر ، وعندما كادت السلطة العسكرية تنجح في اصلاح خطوط السكك الحديدية كان الفلاحون يهاجمون القطاراتنفسها بالبنادق ، وهكذا اجبروا السلطة العسكرية على **العدول عن تسيير القطارات** .

وقد اتسمت الحركة بعنف اشد منــدما بدا الفلاحون يهاجمون دور الحــكومة في عواصــم المديريات ، في محاولة للاســـتيلاء عليها بالقوة المسلحة ، وكانت اهدافهم تتجه غالبا الى مراكز البوليس ومقار المديريات والمحاكم ، وحدث هجوم من هذا القبيل في « **بني سويف** » حيث حــاول المتظاهرون احتلال مبنى المحكمة والقبض على القاضيالبريطاني ، كما احتلوا مبنى المديرية لفترة ، وفي « **الفيوم** » حدثت معركة بين قوات مسلحةمن الفلاحين والبدو وقوات الامن ، وفي « **اطسا** » حاصروا ديوان المركز وطلبوا الى رجال البوليس فيه ان يسلموا اسلحتهم وخيولهم فلما رفضوا حدثت معركة بينهم ، وقد ادى هذا الى لجــوء جميع قوات الامن الى الفيوم لكي يكونوا بمأمن من هجمات الفلاحين .

واتسعت الاشتباكات بين الفــلاحين وقوات الامن وبينهــم وبين قوات الاحتــلال ، فهاجــم الفلاحون قطارا حربيا بريطانيــا عنــد مروره « **بديروط** » ثم « **بدير مواس** » وقتلوا ثمانية من الضباط والجنود ، واشتبكوا في « **اسيوط** » مع الجنود البريطانيين الذين كانوا قد انسحبوا من المدينة وتحصنوا فيبعض مبانيها ، وعندما ارسلت السلطة العسكرية نجدات الى حامية اسيوط تعرضت هذه النجدات الى هجمات مفاجئةمتتالية بين « **ديروط** » ، « **واسيــوط** » حاول خــلالها الفلاحون الاستيلاء على الباخرة التي كانت تحمل هذه النجدات ، وقد بلورت هذه الحركات العنيفة نفسها في اشكال تنظيمية عندما استطاع الثوار فيبعض البنادر الصغيرة ان يستولوا على السلطة بالفعل ، كما حدث في « **زفتى** » و « **المنيا** » .

---

(١٩) يلاحظ ان الاضرابات كانت تكمل بعضها ، فقد لجات السلطة العسكرية الى تسيير بعض خطوط الترام بواسطة سائقين من الانجليز ، ولــكن الجماهير رفضت استخدامها وهاجمتها مما اوقفهاثانية

ففى ((زفتى)) استطاع الثوار ان يستولوا على السلطة فى المدينة وشكلوا لجنة وطنية لادارة شئونها واعلنوا استقلالها عن البلاد ، ونظموا وسائل الدفاع عنها بحفر بعض الخنادق حولها، واصدروا بعض المطبوعات والنشرات الثورية وجمعوا الاموال اللازمة لاستمرار الوضع الاستقلالى .

ويرى بعض الكتاب الاجانب ان هذه الحكومات المستقلة التى قامت خلال ثورة ١٩١٩ شبيهة بالسوفيتات فى ثورة اكتوبر بروسيا القيصرية عام ١٩١٧ .

ومن ناحية ثانية فقد اتخذ هجوم الفلاحين — وبعض متظاهرى المدن — شكل العنف على ممتلكات الاجانب عموما وهم الذين كانوا يستغلون الشعب المصرى ابشع انواع الاستغلال، كما اتجه هذا الهجوم الى ما صادرته السلطة العسكرية من عرق الفلاح اثناء الحرب ، فقد احرق المتظاهرون فى ((**اسيوط**)) كميات التبن الكبيرة التى كانت السلطة العسكرية تتولى جمعها وكبسها فى المدينة ، كما هجموا على ممتلكات ((**محمود باشا سليمان**)) احد كبار الاقطاعيين هناك . رغم انه كان رئيسا للجنة الوفد المركزية بالقاهرة ، وكان ابنه ((**محمد محمود باشا**)) احد اعضاء الوفد البارزين . ويقول ((**فكرى اباظة**)) — وكان مقيما اذ ذاك باسيوط — فى كتابه ((**الضاحك الباكى**)) ان الفلاحين قد حاولوا الاستيلاء على ممتلكات محمود باشا سليمان وان المثقفين قد صدوا الفلاحين من ذلك وقال لهم فكرى اباظه كيف تريدون حرق ممتلكات محمود باشا وابنه يسعى لاستقلال مصر فى باريس ، وكان رد الفلاحين ان الباشا المذكور لم يوزع عليهم ارغفة العيش ، ولعل هذا الخطر الذى احاق بالمالكين عموما — رغم انه كان يصدر من حالة فوضوية او اقرب اليها — هو الذى جعل استمرار الثورة العنيفة خطرا على جميع من يهمهم الدفاع من حق الملكية المقدس لديهم .

المرحلة الثانية : النضال السياسى

بدأت المرحلة الثانية من مراحل الثورة بالافراج عن الزعماء المنفيين والسماح لهم بالسفر الى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح . وكان تقرير هذه السياسة بمشورة ((**الجنرال اللنبى**)) المندوب السامى البريطانى الجديد ، الذى راى ان رفض التصريح للزعماء بالسفر كان خطأ سياسيا يمكن ان يؤدى الى تطرف هؤلاء الزعماء الذين كانوا فى جوهرهم ذوى مطالب معقولة لا يتعذر مساومتهم عليها . وكانت فكرة ((اللنبى)) — التى عبر عنها ملنر بعد ذلك فى تقريره — هى ان التفاهم مع الزعماء هو الوسيلة الوحيدة لايقاف عملية التفاعل بينهم وبين الجماهير، وان المطلوب الآن هو عزل الجماهير المتطرفة او ((الغوغاء)) عن التأثير فى سير الامور . ولكن تقرير هذه السياسة جاء متأخرا بعض الشىء اذ كان الاستقطاب فى القيادة الوفدية قد حدث بالفعل الى حد كبير . ورأى ((سعد زغلول)) ان مستقبله السياسى رهين باستمرار رضاء الجماهير عنه ؛ وهكذا نشأ موقف جديد سمح باستمرار الثورة ، التى كان من الممكن ان تنتهى بتسوية فى اطار الحماية لولا ان دخلتها الجماهير الشعبية بكل ثقلها . على ان استمرار الثورة فى هذه المرحلة قد تحكم فيه الى حد بعيد نشوء شكل تنظيمى يعبر محتواه السياسى عن مصلحة الاجنحة التى رات الالتزام باستمرار الثورة . ومع نشوء هذا الشكل التنظيمى انحسرت موجة العنف العفوية التى اتسمت بها المرحلة الاولى من الثورة ، ومن الطبيعى ان اى حركة عفوية تفتقد الى التنظيم والوعى هى حركة قصيرة العمر رغم ما قد تؤدى اليه من آثار .

وكانت الاشكال التنظيمية التى بدات تنشا فى بداية الحركة تعبر عن رؤيه البرجوازية المصرية للثورة وتحليها السياسى الخاص للواقع المصرى، وقد نشأت فى البواكير الاولى للثورة تلقائيا. فقد لجا الطلبة الى استنكار حوادث الاعتداء على الممتلكات التى حدثت فى بعض المظاهرات التى نظموها واتهموا ((الغوغاء)) باحداثها . ثم انشاوا ماعرف بعد ذلك ((**بالشرطة الوطنية**)) التى كانت مهمتها الحفاظ على النظام اثناء المظاهرات ومنع الاعتداء على ممتلكات الاجانب . وفى القرى وعواصم الاقاليم تصدر المحامون لانشاء لجان وطنية لنفس الغرض . وكانت هذه اللجان تعمل على ايقاف العنف الجماهيرى وتدافع عن ممتلكات الاجانب والمصريين ، وترفع شعار ((**النضال بالوسائل السلمية المشروعة**)) ، وتدعو الى الانصياع للقانون . وذلك على اساس ان توكيل الوفد يتضمن ان يكون اسلوبه سلميا ومشروعا. ومن هذه اللجان بدات اللجنة المركزية للوفد فى بنائها التنظيمى عقب انتهاء المرحلة الاولى من الثورة. فاعتمدت عليها فى تشكيل اللجان الاقليمية ولجان الوفد فى المراكز .

وبالطبع فان الاشكال التنظيمية الجديدة ، والمضمون النضالى الذى طرحته ، لايمكن ادانتهما بسهولة . فمن ناحية فان العنف غير الواعى وغير المنظم ينتهى الى حركة فوضوية، يؤدى الى كوارث

حقيقية . وقد كان الفلاحون كقوة اجتماعية غير منظمين ، بل لعلهم اقل الطبقات المصرية حظا من التنظيم، فأسلوب الانتاج الذى يعملون به لايتيح لهم فرص التجمع ، كما ان جو الظلمة الذى كان يشملهم ويبعدهم عن الحركة السياسية التى كانت رغم ضعفها دائما محصورة فى المدن . كل هذا لم يكن يبشر بحركة فلاحية ناضجة وقتذاك . ومن ناحية اخرى فان هذا الوضع هو دليل على عدم نضج الظروف الموضوعية للثورة الاجتماعية التقدمية . بل ان الظروف الموضوعية لنضج الثورة البرجوازية الوطنية لم تكن متوفرة باكملها اذ ذاك . ومن البديهى ان ظروف حركات التحرر الوطنى يومذاك مختلفة تماما من ظروف حركات التحرر الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية حيث نضجت امكانيات التحام الثورة الوطنية بالثورة الاشتراكية فى مسار واحد .

على ضوء هذا فان مرحلة النضال السياسى ، كانت مرحلة متلائمة مع الامكانيات الثورية للبرجوازية المصرية حينذاك ، مع محاولة لتجاوز هذه الامكانيات وليدة لحالة الاستقطاب التى سبق الاشارة اليها .

والواقع انه فى حركة سياسية منظمة تصبح الاساليب النضالية اكثر تحديدا ودقة وتلاؤما مما تكون عليه الحركة العفوية . **وقد كان شعار هذه المرحلة متبلورا فى :**

● الحفاظ على وحدة الجبهة الوطنية . وكانت ثورة ١٩١٩ قد قامت على انقاض مرحلة من الانقسامات شهدتها مصر قبيل الحرب ، نتيجة لسياسة الاحتلال ، كان أخطرها الانقسام الذى عمد الاحتلال الى زراعته بين الاقباط والمسلمين .

● ضمان بقاء الحركة الجماهيرية فى إطار الشعارات السياسية التى كان الوفد قد طرحها، وهذا يعنى فرملة الحركة الجماهيرية العفوية العنيفة ، وتطويعها فى أشكال التنظيم الوفدية .

● ضرب الاتجاهات الاكثر يمينية التى كانت تطل برأسها بين حين وآخر ، والتى كانت ترى التفاهم مع الاحتلال .

وفى ضوء هذه الشعارات تولت اللجنة المركزية للوفد، القيام بدورها، ويمكن اعتبار هذه المرحلة ممتدة زمنيا فى الفترة من ابريل ١٩١٩ — عند السماح للوفد بالسفر الى باريس — حتى صدور تصريح فبراير ١٩٢٢، حيث بدأت على أثر صدوره مرحلة النضال الدستورى . ويمكن الاعتماد على مجموعة الرسائل المتبادلة بين « سعد زغلول » و «عبد الرحمن فهمى» — سكرتير اللجنة المركزية للوفد — فى دراسة الاساليب التى كانت هذه اللجنة تحاول من خلالها تحقيق الشعارات المطروحة .

● كان الحفاظ على وحدة الجبهة الوطنية هو اهم الشعارات التى عملت اللجنة المركزية للوفد على تطبيقها . وقد سارت طبقا لهذا الغرض فى اتجاهين : ضمان عدم اجتذاب الجماهير الى المراكز اليمينية وكانت البرای تمثلها ، او المراكز التى تدفعها يساريتها الى موقف التحالف مع القوى اليمينية دون وعى منها . فضلا عن الاحتفاظ بالوحدة الوطنية بين عنصرى الامة . وقد حاول الانجليز بتكليفهم احد المسيحيين المصريين وهو « **يوسف وهبه باشا** » بتأليف وزارة فى الوقت الذى كان الوفد فيه قد دعا الى عدم تأليف الوزارات حتى لا تجد « لجنة ملنر » من يقابلها او يفاوض معها . حاول الانجليز بذلك ان يضربوا الوحدة الوطنية فى صميمها . ولكن اللجنة المركزية سارعت بتعيين احد المسيحيين من اعضائها وكيلا لها ورئيسا بالنيابة . ولما ابدى المسيحيون المصريون نفورهم من قبول يوسف وهبه للوزارة وخشيتهم من أن يسبب هذا سوء الفهم لدى مواطنيهم من المسلمين المصريين ، سارع « عبد الرحمن فهمى » وعدد من أعضاء اللجنة المركزية الى الكنيسة المرقسية وابدوا الهم من موقف يوسف وهبه ، واكدوا لهم أن هذا لا يمكن بحال من الاحوال ان يسبب نفورا بين عنصرى الامة . لانه اذا كان قد وجد بينهم خائن قبل رئاسة الوزارة فقد وجد من المسلمين سبعة خونة قبلوا عضويتها .

الجراكسة

هم بقايا دولتى المماليك اللتين حكمتا مصر ٢٦٧ سنة حتى انتهى حكمهما بالفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ . والجراكسه هم عماد دولتهم الثانية التى اعتمدت على المجلوبين من بلاد الشركس والقوقاز . وقد أقرهم السلطان سليم على حكم مديريات القطر المصرى . ثم انفردوا بعد ذلك بحكم مصر فى ظل سيادة شكلية للسلطان العثمانى يمثلها الوالى الذى كان يكتفى بجمع الثروة وارسال الجزية . وقد قضى محمد على على رؤسائهم فى مذبحة القلعة عام ١٨١١ . بينما بقى العدد الكبير من المماليك حيا . وقد اعتمد عليهم محمد على فى نواة جيشه الذى بدأ فى انشائه عام ١٨١٥ . ثم دعمهم بعدد من الالبان والارناءود والاكراد وغيرهم من اتباع السلطنة العثمانية . وقد تضخم عددهم لان محمد على لم يكن يثق فى المصريين ولذا عمل على عدم توليهم الوظائف الرئيسية فى الجيش او فى جهاز الحكم ، واحتفظ بهذه الوظائف للجراكسة والالبان والارناءود . وكانت هذه العناصر تعامل المصريين باحتقار طاغ وتطبق سياسة تفرقة عنصرية ضدهم .

وبهذه الطريقة أمكن اجهاض مؤامرة الاحتلال ضد الوحدة الوطنية . على أن أهم الاخطار التى كانت تهدد هذه الوحدة كانت تأتى من قوى اليمين ، وقد واجهت اللجنة بعض مؤامرات السراى ، وذلك بتنظيم مقاطعة للتشريفات السلطانية بمناسبة عيد جلوس السلطان فؤاد ، مما دفع الوزارة الى اجتلاب عدد من المساجين ومشايخ الخفر للقيام بهذه المهمة . كما وزعت وزارة الاوقاف خطبة ليلقيها الخطباء فى صلاة الجمعة كانت تناوىء الحركة الوطنية فأنزل المصلون الخطباء من فوق المنابر وقطعوا الصلاة وتجمعوا فى مظاهرات هتفت بسقوط السلطان.

كذلك واجهت اللجنة تجمعين ، أحدهما يمينى والآخر متطرف التقيا حول مقاومة الوفد . وكان الاول هو الحزب الحر المستقل الذى تشكل تحت اشراف سلطات الاحتلال وكانت مهمته أن يقابل « لجنة ملنر » ويتفاوض معها فى القضية الوطنية. واتبعت اللجنة فى تقويضه أسلوبا يقوم على تكليف الكثير من الشباب الوطنيين بالاندماج فيه وعملوا على تقويضه من الداخل . وقد حاول هذا الحزب ان يظهر من جديد فى شكل « **جمعية الاتحاد الوطنية** » ، مغيرا شعاراته فى محاولة للتسلل. ولكن أمكن بنفس الطريقة السابقة تقويض هذه الجمعية . وكان هناك جناح يسارى فى الحزب الوطنى يتزعمه « **مصطفى الشوربجى** » يرى ان قيادة الوفد غير أمينة على القضية الوطنية ويرتاب فيها . وقد أدى موقفه هذا الى ان استدرج للتعاون مع بعض الامراء ومحمد سعيد باشا ، ونظموا عدة حملات ضد الوفد وخاصة فى الاسكندرية التى كانت احدى معاقل الحزب الوطنى . وحاولوا تشكيل وفد آخر من أعضاء الحزب الوطنى يموله « **الامير عمر طوسون** » يسافر الى باريس . وقد نظمت اللجنة عدة مظاهرات ضد هذا الاتجاه ، وأرسلت عددا من « المهيجين الجماهيريين » الى الاسكندرية أمكنهم كشف هذا المخطط واجهاضه .

وفى نفس الوقت نظمت اللجنة عملية « فضح سياسى » للعناصر التى بدأت تنشق على الوفد فى باريس وفى مقدمتها « **اسماعيل صدقى** » و « **محمود ابو النصر** » اللذين اعترضا على استفزاز السلطات البريطانية بنشر فظائع تلك السلطات ضد الثورة على المستوى العالمى. وذلك على أساس ان اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية يجعل التفاهم مع الانجليز ضرورة ملحة. وأصدر الوفد قرارا بفصلهما لهذا السبب . ورغم ان الوفد رأى عدم نشر أسباب الفصل علانية ــ وقد حدث هذا غالبا بضغط من أصدقاء صدقى وابو النصر الذين انشقوا بعد ذلك لنفس الاتجاه تقريبا ــ فان اللجنة المركزية (٢٠) رأت أن تفضحهما سياسيا بأساليب متعددة ــ ليس بينها النشر بالصحافة وهو ما رفضه الوفد ــ لكى تقطع عليهما محاولات الدس والتفرقة . وقد أدى هذا الى عزلهما تماما . وقد اتبع هذا الاسلوب مع «**محمود أبو الفتح**» الذى كان مراسلا لجريدة وادى النيل ومصاحبا للوفد بباريس وكان سلوكه مريبا ، ولعله كان يعمل لحساب محمد سعيد وعمر طوسون . كذلك حرصت اللجنة على أن تنبه الوفد الى بعض الجواسيس الذين كانت ترسلهم الجهات المناوئة له للتجسس عليه .

على أن أهم ما نجحت فيه اللجنة كان نجاحها فى تنظيم مقاطعتها للجنة ملنر. وفى البداية وعندما كانت فكرة المقاطعة لم تدرس بعد، قامت بتشكيل عدة لجان لجمع المعلومات عن سوء الادارة الانجليزية فى مصر وفشلها مزودة بالمستندات الضرورية وانشغلت فى اعدادها فترة طويلة . وعندما نبتت فكرة مقاطعة اللجنة لم تتوقف هذه اللجان عن عملها ، ولكن الهدف منها لم يعد تقديم المعلومات التى جمعتها للجنة ملنر ، ولكنه اصبح تزويد الوفد بالمعلومات التى تلزمه فى حالة موافقة اللجنة على مفاوضته . وقد نظمت عملية المقاطعة بحيث تكون محكمة ، فتشكلت مجموعات مهمتها الاخطار عن كل من يقابلها ثم تحذيره من ذلك ، وعندما اتجهت اللجنة الى القرى لان أحدا لم يحاول مقابلتها شكلت لجان من الطلبة قامت بالمرور على القرى وتحذير الفلاحين من مقابلتها أو التحدث معها، فكان الفلاحون يطلبون من اللجنة «**الاتصال بسعد باشا**» . وفى الاسكندرية نظمت اللجنة المركزية للوفد اضرابا عاما وشاملا فى اليوم الذى وصلت فيه « **لجنة ملنر** » احتجاجا على وصولها. وعندما لجأ ملنر وزملاؤه الى الخديعة وتجولوا فى الريف بمعونة رجال الادارة دون ان يذكروا أنهم أعضاء فى اللجنة، صدرت التعليمات بعدم التحدث مع أى انجليزى او اجنبى مهما كانت الظروف .

● وكان الجانب الاخر الهام من مهمة اللجنة المركزية ، هو حرصها على الاحتفاظ بالجماهير فى حوزة الوفد ، وخاصة جناح سعد زغلول الذى بدأ يتبلور فى ذلك الوقت . وفى سبيل هذا كان لابد من ايقاف حركة العنف الجماهيرى وخاصة الحركة العمالية ، التى كانت امكانياتها التنظيمية أفضل كثيرا من امكانيات الفلاحين.. وقد حذر

(٢٠) يلاحظ ان اللجنة المركزية للوفد كانت تضم اتجاهات شتى ، وكان من بينها اتجاه محافظ ، ولكن الاتجاه الاكثر ثورية كان يمثله « عبد الرحمن فهمى » وعدد من معاونيه ، وكان يتلقى تعليماته من « سعد زغلول » مباشرة ، كما أن هذا الاتجاه دعم بعد ذلك بعدد من اعضاء الوفد الشبان الذين عادوا من باريس لمعاونة اللجنة .

سعد زغلول من «التداخل في مسائل الاعتصابات ولاغيرها من الامور التي حرمتها السلطة العسكرية بل يجب تجنبها حتى لايكون للخصوم حجة عليكم في أي شيء، واعلموا ان العيون مفتوحة علينا وعليكم وأى عمل مهما كان صغيرا ربما يجر الى خطر كبير. هذا رأيي ورأى جميع اخواني واني واثق بأنكم تتبعونه لانه أبعد عن الخطر وابقى لاستمرار العمل».

وقد اتجهت اللجنة المركزية من ذلك الوقت الى محاولة التسلل الى الطبقة العاملة ووضعها تحت وصايتها لضمان تحركها في اطار الحركة السياسية للوفد. وقد اشار عبد الرحمن فهمي في اكتوبر ١٩١٩ الى ان هناك مجهودات قد بذلت في سبيل تعميم النقابات بطول البلاد وعرضها، وأن هذه الجهود قد أثمرت، وتشكلت لكل حرفة نقابة ولم تبق في مصر حرفة او صنعة الا ولها نقابة. واشار الى ان هذه النقابات وان لم تعترف الحكومة بها فهي «**مفيدة جدا للحركة الوطنية وهي سلاح قوى لايستهان به في الملمات يجيب نداء الوطنية بأسرع ما يمكن من الوقت**»

وفي هذا الاتجاه بذلت اللجنة مجهودات مضنية لضمان الصحافة في صفوف الوفد، وخاصة الصحف المتطرفة التي كانت ترى ان الوفد بدأ يدخل في طور المساومة. اما الصحف اليمينية فان الجماهير كانت تقاطعها وتميتها بسهولة. وكانت تبذل مجهودا كبيرا في نشر نشاط الوفد بباريس والمبالغة فيه لمواجهة موقف هذه الصحف. ومن الجهود التي بذلتها اللجنة لفرملة العنف الجماهيري، موقفها من زيارة «**المسيو كليمنصو**» رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس مؤتمر الصلح لمصر، فقد رأى الوفد ان الجماهير ستقابل كليمنصو بالسخط لموقف فرنسا من مصر في المؤتمر، ورأى ان هذا العنف لا مبرر له لاحتمال احتياج مصر لمعونة فرنسا مستقبلا، وحاول سعد زغلول في مقابلة مع كليمنصو أن يثنيه عن الزيارة. ولما اصر عليها أرسل للجنة الوفد المركزية بالقاهرة يحذرها من قيام الجماهير باهانته أو الهتاف ضده. وبالفعل قامت اللجنة بمجهودات مضنية جعلت الزيارة تمر بسلام نسبي.

● على أن هذه المرحلة لم تخل من طابع عنيف له نوعيته. ذلك انه لم يقم على أساس تنظيم كتل عريضة من الجماهير للدخول بها في معركة مع قوات الاحتلال. ولكنه قام على اساس تأليف عدد من «الجماعات المسلحة» تقوم باغتيال الخونة من المصريين الذين يتعاونون مع الاحتلال، او باغتيال الضباط والجنود البريطانيين. وقد جرت في هذا المجال محاولتان لاغتيال كل من محمد سعيد باشا ويوسف وهبه باشا، لقبولهما رئاسة الوزارة في الفترة التي طالب الوفد فيها بعدم تشكيل وزارات حتى لاتجد لجنة ملنر من يفاوضها. ثم اتسعت الحركة بعد ذلك وقتل العديد من الضباط والموظفين الانجليز. وحتى الآن لم تكشف تماما كل الحقائق المتعلقة بهذه الحوادث، وأغلب الظن أن جماعات منظمة كانت تقوم بها، ولكن صلة هذه الجماعات بالوفد هي المسألة التي لم تتضح بعد.

ويلاحظ في رسائل «سعد زغلول» و«عبد الرحمن فهمي» بعض الاشارات الغامضة قد يمكن تفسيرها بأن الوفد كان له يد فيها، خاصة وقد امتدح «عبد الرحمن فهمي» في احدى رسائله «**عريان يوسف سعد**» الذي حاول اغتيال يوسف وهبه، والذي كان اختياره بحيث يكون مسيحيا — حتى لاتحدث فتنة كما حدث بعد ان اغتال الورداني بطرس غالي سنة ١٩١٠ — يدل على ان محاولات الاغتيال كانت منظمة (٢١).

على ان علاقة الوفد بمثل هذه الجماعات لاتعني أن الشكل الذي اختاره للنضال في هذه المرحلة قد تغير مضمونه. ذلك ان تحويل الحركة الجماهيرية العنيفة الى عدة تجمعات قليلة العدد تقوم بالاغتيال الفردي، هو ابتعاد عن مضمون حرب التحرير الشاملة التي تشنها جماهير منظمة،

حكومة الديركتوار (١٧٩٥ــ١٧٩٩)

أعدم لويس السادس عشر في يناير ١٧٩٣، وتولى اليعاقبة أكثر عناصر الثورة الفرنسية تطرفا السيطرة على فرنسا، فاعلنوا دستور ١٧٩٣ وحكموا عن طريق لجنة الامن العام ومحكمة الثورة. وقضوا على الثورات المضادة التي كانت تستهدف اعادة الملكية. وأوقفوا زحف الجيوش الاوربية المتحالفة التي كانت تهاجم فرنسا لاجهاض ثورتها. لكن الانقسام في صفوفهم، والاخطاء التي ارتكبوها في القضاء على التحركات اليمينية ومبادئ الحكم ارهابي دموي، مهدا للقضاء عليهم. فأصدر المؤتمر الوطني دستور ١٧٩٥ وبمقتضاه تألفت هيئة تشريعية من مجلسين، أولهما للشيوخ (٢٠٠ عضو) والاخر للنواب (٥٠٠ عضو). وهيئة تنفيذية من خمسة أعضاء ينتخبهم المجلسان ويراسون الادارة بالتناوب ويسقط احدهم سنويا بالاقتراع وقد عرفت هذه الحكومة بحكومة الاداره او الديركتوار.

---

(٢١) لم يشر محمد شكري الكرداوي الذي كان وراء محاولة اغتيال محمد سعيد باشا الى اية علاقة له بالوفد، وان كان قد اشار الى انه قد شكل جمعية في المنصورة اثناء الثورة سماها جمعية «اليد السوداء» راجع مذكراته «خمسة وخمسون شهرا في الاختفاء» ١٩٣٦.

بل هو تشويه لمضمون مثل هذه الحرب. ومن هنا فان علاقة الوفد بمثل هذه الجماعات ــ اذا ثبتت ــ تجعلها أسلوبا نضاليا مشابها للأساليب السابقة، يمثل ضغطا طفيفا على قوى الاحتلال لكى تعدل عن موقفها المتعنت، فى خدمة الاهداف السياسية للمرحلة بأكملها .

٨
المقاومة الشعبية ضد الانقلابات الدستورية (١٩٢٤-١٩٣٥)

كان دستور ١٩٢٣ ــ على الرغم من بعض العيوب التى تضمنها ــ مكسبا سياسيا هاما حققته الجماهير الشعبية بتضحياتها ونضالها المستمر الذى بلغ قمته بثورة ١٩١٩ .
وقد ادت ظروف هذه الثورة الى ان تصدر لقيادتها جناحان من ممثلى البرجوازية المصرية ، كان احدهما معتدلا ، والآخر ثوريا بمفهوم ذلك العصر نتيجة لارتباطه بالجماهير الشعبية . وقد حاولت السياسة الاستعمارية البريطانية ، ان تطبق الخطة اللنرية الرامية الى احتضان الجناح المعتدل والاتفاق معه ، ولكن انعكاس المقاومة الشعبية جعل هذا الجناح يجبن عن تحمل مسئولية التسوية . وفى نفس الوقت فان الجناح المتطرف لم يعد يستطيع مواجهة قواعده الشعبية ــ بعد ان تورط فى اعلان اهداف اكبر من طاقته ــ بمطالب اقل مما التزم به . ومن هنا بدأت المحاولات البريطانية الرامية الى تصفية آثار الثورة وما نتج عنها من شعور الجماهير بقوتها ، والقضاء على جذور المقاومة الشعبية .
وقد وضح ان «النظام الزغلولى» لا يمكن التفاهم معه ، كما ان بقاء النظام الدستورى ــ رغم شكليته ــ يؤدى الى اتاحة الفرصة للجماهير لاختيار الجناح المتطرف وتأييده مما يجعل التفاعل بين هذا النظام والجماهير متزايدا ويؤثر بالتالى فى تطرفه . وكنتيجة لهذا ظهر اسلوب « **الانقلابات الدستورية** » كوسيلة اساسية اتبعتها مجموعة الفئات الداعية الى التفاهم مع الاستعمار لتصفية بقية آثار الثورة لدى الجماهير (٢٢) .

ومن الملاحظ ان الوزارة الدستورية الاولى هى (وبرلمانها معها) لم تمارس الحكم سوى تسعة اشهر ، انتهت بمقتل السردار ، وبتشكيل وزارة « زيور باشا » « **لانقاذ ما يمكن انقاذه** » فعطلت الدستور ثم حلت البرلمان فى يوم انعقاده لانتخابه سعد زغلول رئيسا له . وبذلك ضرب الدستور فى صميمه اذ انه كان يمنع حل المجلس لنفس السبب اكثر من مرة . وظل الدستور معطلا حتى عاد مع البرلمان الائتلافى فى عام ١٩٢٦ واستمر حوالى العامين حتى عطل « **محمد محمود باشا** » الحياة النيابية عام ١٩٢٨ ، وعاد الدستور بعد ستة عشر شهرا ليستمر ثمانية شهور فقط ويقع انقلاب **اسماعيل صدقى باشا** الذى استمر حوالى خمس سنوات . فالدستور طوال الفترة بين صدوره وتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، لم يطبق سوى حوالى ثلاث سنوات . ومما ساهم فى بروز هذه الوسيلة النزعات الاستبدادية التى كانت تمثلها السراى . كما يلاحظ ان كلا من هذه الانقلابات كان يقع عقب فشل المفاوضات مع بريطانيا نتيجة لتشدد الجناح المتطرف ، بحيث كانت هذه الانقلابات تبدو كما لو كانت وسيلة مقصود بها الضغط على القوى الوطنية لكى توقع معاهدة تنطوى بمقتضاها تحت ابط الاستعمار .

وانطلاقا من هذا الفهم فان الجماهير الشعبية كانت تقاوم ببسالة الانقلابات الدستورية على اساس انها خيانة للقضية الوطنية ومحاولة لانهاء مقاومة الشعب ضد الاحتلال . فضلا عما كان يجرى خلالها من محاولة لاستذلال الجماهير وسلبها حقوقها الديمقراطية . ويلاحظ ان الانقلابات الدستورية قد تطورت من الانقلابات البسيطة الى العنيفة ، وتطورت اساليب فرضها مع بروز مقاومة الجماهير الشعبية لها . فقد اتسم الانقلاب الاول بأنه كان مجرد محاولة للتسويف فى اجراء الانتخاب . اما الانقلاب الثانى فقد عمد صانعوه الى ابطال العمل بالدستور . وفى الانقلاب الثالث الغى دستور ١٩٢٣ الغاء تاما واستبدل به دستورا آخر ، واحيط ذلك بجو من الارهاب العنيف وجه ضد الشعب . وقد تنبهت القوى المعادية للشعب الى خطأ هذا الاسلوب فلجأت بعد معاهدة ١٩٣٦ الى اسلوب آخر ، هو اسلوب تزييف الانتخابات ، معتمدة على بدء فقدان الوفد لرصيده الشعبى ودخول مجموعات كبيرة من كبار الملاك الى صفوفه . وقد بدأت القوى الرجعية فى استخدام هذا الاسلوب فى انتخابات ١٩٣٧ ، التى اتت بأول برلمان من برلمانات الاقليات (الدستوريين

(٢٢) راجع صلاح عيسى : حركة التاريخ المصرى فى اطار تحققات فبراير ١٩٢٢ « الطليعة » يوليو ١٩٦٦ .

والسعديين والمستقلين والحزب الوطني و ١٢ وفديا فقط) ليؤيد حكومات « محمد محمود » و « على ماهر » و « حسن صبرى » و « حسين سرى » ، حتى عاد الوفد للحكم عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ليعيش برلمانه سنتين ونصف سنة وتقال وزارته . ويتولى « احمد ماهر » الحكم فيزيف انتخابات اخرى تأتى ببرلمان من نفس الاقليات في بداية ١٩٤٥ ليؤيد وزارات « ماهر » و « النقراشي » و « صدقى » ثم « النقراشي » مرة اخرى « فابراهيم عبد الهادى » حتى عاد الوفد مرة اخرى في بداية ١٩٥٠ واستمر سنتين اعقبهما انقلاب ٢٦ يناير ١٩٥٢ (حريق القاهرة) الذى قضت عليه ثورة يوليو ١٩٥٢ » .

ويلاحظ ان الاسلوب الذى اتبعته الجماهير الشعبية في مقاومة هذه الانقلابات كان متشابها . وان نضالها من اجل عودة الدستور كان يكلل بالنجاح غالبا . اذ كانت السياسة البريطانية تكتشف عن طريقه انه لا توجد وسيلة للتفاهم مع الشعب المصرى الا بالتفاوض مع القوى السياسية الممثلة لاغلبيته ، وسرعان ما تتخلى عن عملائها فيسقطون .

واهم الاساليب التى اتبعتها الجماهير في مقاومة هذه الانقلابات هى :

● الاحتجاج السياسى الواسع النطاق على الانقلاب . وكان هذا الاحتجاج يصدر غالبا عن الاحزاب السياسية التى انضمت اليها اقسام كبيرة من الجماهير . اذ كانت قيادات هذه الاحزاب تجتمع وتصدر بيانات سياسية حادة اللهجة تثير الجماهير وتطلب منها الوقوف ضد الانقلاب . وتشير الى اهدافه الحقيقية . لقد وقع الانقلاب الاول عقب مقتل السردار ، ورفضت وزارة سعد زغلول اغلبية المطالب البريطانية التى وردت في انذار « اللورد اللنبى » واستقال سعد زغلول وحظى بتأييد مجلس النواب لموقفه من الانذار . وازاء هذا شكل «زيور باشا» الوزارة لتقبل المطالب البريطانية . وكان من المنطقى وسياسة وزارته التسليم على طول الخط ان يستصدر مرسوما بتاجيل البرلمان شهرا ، لكى لا تتقدم له ببرنامجها طالبة ثقته لعلمها ان سياستها الاستسلامية كانت سترفض . وفى خلال هذا الشهر اجرت اعتقالات واسعة النطاق ، وعينت « اسماعيل صدقى » وزيرا للداخلية . وقبل ان تنتهى فترة التاجيل صدر المرسوم بحل مجلس النواب » ولم تجسر حكومة الانقلاب على احداثه مرة واحدة ، فحدد المرسوم موعد اجراء الانتخابات وموعد انعقاد المجلس الجديد ، حسب ما ينص عليه الدستور » ولكنها رسمت خطتها بحيث تعدل قانون الانتخاب ، تجرى بمقتضاه على درجتين ، وهي وسيلة تسهل للحكومة مهمة الضغط على الناخبين لتأتى نتيجة الانتخاب وفق ما تشتهى » وفى نفس الوقت قامت بتشكيل حزب جديد هو « حزب الاتحاد » لكى يمثل المنضمون اليه اتجاهات السراى ويعملون على تمكينها من ممارسة طغيانها » . وكانت الخطة المرسومة قائمة على اساس الحصول على اغلبية من ممثلى حزب الاتحاد وممثلى الاحرار الدستوريين وبعض المستقلين لتنفيذ سياسة رامية الى ابعاد الجماهير الشعبية عن التأثير في الحكم (٢٣) » .

وعلى الرغم من ان المشتركين في الانقلاب كانوا يظنون ان الجماهير ستمتنع عن تأييد الوفد بدعوى ان سياسته هى التى ادت الى التدخل البرلمانى ، فقد جاءت نتيجة الانتخابات مخيبة لظنونهم ، وفاز الوفد بأغلبية كبيرة ظهرت في انتخاب سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب بأغلبية مماثلة مما دعا الوزارة الى الكشف عن نياتها مباشرة فأصدرت مرسوما بحل مجلس النواب للمرة الثانية . واطلقت يد الاجهزة البوليسية في اضطهاد معارضى سياستها ، واعطت ضباط البوليس حق تفتيش كل مار في الطريق لمجرد الاشتباه ، وصادرت حرية الاجتماع مصادرة تامة . واستصدرت مرسوما عدلت به قانون العقوبات في المواد الخاصة بجنح الصحافة والنشر بقصد التشديد عليها وافساح المجال لاغلاق الصحف . كما استصدرت مرسوما آخر بقانون « الجمعيات والهيئات السياسية » كان الهدف منه اعطاء الحكومة حق حل الاحزاب والجمعيات السياسية متى ارادت » .

وقد مارست الحكومة هذه الاجراءات بمعونة « الاحرار الدستوريين » الذين صرح زعيمهم **«عبد العزيز فهمى» بأن « الدستور ثوب فضفاض على شعبنا . وكنت اظن انه مناسب له »** ، على ان غياب الحريات الديمقراطية جعل السراى — التى كانت تحكم حكما مباشرا اذ ذاك — تتدخل في كل صغيرة وكبيرة . فطلبت فصل « **الاستاذ على عبد الرازق** » من وظيفته كقاض شرعى بسبب اصداره كتاب **«الاسلام واصول الحكم»** ،

---

(٢٣) اصطدمت وزارة سعد زغلول وبرلمانها بالسراى عدة مرات ، كان اهمها الخلاف حول الشيوخ المعينين ، وكان سعد مصرا على ان يتم تعيينهم بواسطة الوزارة على إساس ان الملك يملك ولا يحكم ويمارس مسئوليته بواسطة وزرائه كما اصر على حق الوزارة فى تعيين كبار موظفى السراى ، وقد انتزع سعد هذه الحقوق بتاييد الجماهير الشعبية .

صدع عارض تية تكرة عودة الخلافة ، لان الملك فؤاد كان يطمع وقتها في ان يكون خليفة ، وقد ادت هذه الازمة الى استقالة الاحرار الدستوريين من الوزارة ، وانضمامهم — تكتيكيا — الى القوى المناوئة للانقلاب الدستورى (٢٤) ».

وعندما حل موعد انعقاد البرلمان في الاسبوع الثالث من نوفمبر ١٩٢٥ ، دون ان يبدو في نية الوزارة أن تعدل عن اسلوبها في تعويق عودة الحياة الدستورية بحجة اعداد قانون جديد للانتخابات ، تبنت فكرة ان يجتمع البرلمان من تلقاء نفسه حسب نص الدستور . فاجتمع في ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ بفندق الكونتننتال ، لان الحكومة احاطت داره بالقوات المسلحة ومنعت الاعضاء من الاجتماع فيه بالقوة ، واصدر قرارات تضمنت الاحتجاج على تصرفات الوزارة واعلان عدم الثقة بها واعتبار دور الانعقاد قائما قانونا . وقد كانت هذه القرارات بداية النهاية للانقلاب الذي سقط بعد ذلك بقليل ».

وقد ووجه الانقلاب الثاني ايضا باحتجاجات سياسية واسعة النطاق . فقد تآمر الاحرار الدستوريون مع السراى ودار المندوب السامى البريطاني على اجهاض الائتلاف الوزاري الذي حدث بين الوفد والاحرار عقب سقوط الانقلاب الاول واستمر ما يقرب من سنتين ، فبدأوا يستقيلون بالجملة من الوزارة . ثم ما لبث الملك ان اقال وزارة « النحاس » بدعوى حدوث صدع شديد في الائتلاف الوزاري ، وكلف « محمد محمود » بتأليف الوزارة الجديدة . فبدأت اعمالها بتأجيل انعقاد البرلمان شهرا ، وقبيل انتهائه اصدرت قرارها بحل البرلمان وتعطيل الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ». ومن الواضح ان الانقلابيين قد اتخذوا هنا خطوة ابعد مدى من مجرد التسويف في عودة الحياة النيابية وهو ما كانت تلجأ اليه حكومة الانقلاب الاول ».

وعلي الفور اصدرت الاحزاب السياسية بياناتها باستنكار الانقلاب ». ورئي الاستفادة من فكرة انعقاد البرلمان بدون دعوة من الوزارة (٢٥) ، على ان تطبق هذه المرة على اساس المرسوم القاضي بتأجيل انعقاد المجلس شهرا ، باعتبار ان مراسيم حل المجلسين وتعطيل الدستور لمدة ثلاث سنوات ، مراسيم باطلة من الناحية الدستورية ». وعلى هذا الاساس دعي المجلس للاجتماع في دار « مراد الشريعي » وذلك بسبب احتلال قوات الحكومة لمقر المجلس ، وقرر عدم الثقة بالوزارة واعتبار كل تشريع تستصدره او اتفاقية تعقدها باطلة ، كما قرر اعتبار مجلسى البرلمان قائمين واجل جلساتهما الى دور نوفمبر — وكان الاجتماع قد عقد في يوليو أى في نهاية دور الانعقاد — ما لم يستدع الامر غير ذلك ».

ولتزايد المقاومة لجأ « محمد محمود » الى « سياسة اليد الحديدية » ، التى كانت تعنى مصادرة كل الحريات العامة لجماهير الشعب . فاستصدرت مراسيم باعادة العمل بقانون المطبوعات القديم الصادر سنة ١٨٨١ ، الذى يجيز تعطيل الصحف والغائها اداريا . وبهذه الوسيلة الغت رخص نحو مائة صحيفة وانذرت وعطلت عددا كبيرا من صحف المعارضة . وبدات تحاول تشويه سمعة الحياة النيابية باتهامات كاذبة وجهتها الى اعضاء البرلمان السابق . كما اصدرت مرسوما يقضى بمنع الموظفين والمستخدمين في الحكومة من حضور الاجتماعات السياسية او ابداء آراء سياسية او اعطاء انباء للصحف ، على ان يكون الفصل جزاء من يفعل ذلك . كما اصدرت قانون « حفظ النظام في معاهد التعليم » الذى يعاقب بمقتضاه كل طالب يقوم بمظاهرات سياسية او يدعو الى الاضراب عن الدروس او يشترك في جماعات سياسية ، بالفصل من جميع المدارس والجامعات . وكانت نهاية هذه التشريعات الارهابية تشريع لحماية نظام الانقلاب نفسه نص على الحبس والغرامة لكل من حرض على كراهية نظام الحكم القائم او على الازدراء به ».

وعلى الرغم من هذا فان الاحتجاج على الانقلاب لم يتوقف ، اذ قامت مظاهرات سياسية متعددة تعرضت لها الوزارة بعنف شديد . وفي نفس الوقت اجتمع البرلمان المنحل في الموعد الذى سبق له تحديده في اجتماعه السابق ، وانتخب هيئة مكتبه ، وقرر اعتبار قرارعدم الثقة بالوزارة قائما ، وطالب الحكومة بسحب القوات التى تحتل مبنى البرلمان .

وكانت الاحتجاجات السياسية علي الانقلاب الثالث ابعد اثرا . لقد استمر الانقلاب الصدقى مع آثاره حوالي خمس سنوات . وكان نضال الشعب المصرى ضد الانقلاب الصدقى ضاريا وتم في اسوأ الظروف العالمية ، وهى ظروف

(٢٤) احمد بهاء الدين — الاسلام واصول الحكم — فصل من كتابه « ايام لها تاريخ » — الناشر : روز اليوسف ١٩٥٤ .
(٢٥) كان دستور ١٩٢٣ ينص في المادة ٩٦ منه على ان « الملك يدعو البرلمان الى عقد جلساته العادية قبل يوم السبت الثالث من نوفمبر ، فاذا لم يدع الى ذلك يجتمع المجلس بحكم القانون في اليوم المذكور ».

الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ – ١٩٣٣) ؟ ؟ مما سمح لصدقي ان يستخدم الازمة لمحاولة لتنكيل بحركة المقاومة . وكان انقلاب « صدقي » امتدادا لانقلاب « محمد محمود » وان اتسم بضراوة اشد « **فقد كان صدقي يسيء الظن بالشعب ويحسب انه لا يزال طفلا ينبغي له ان يقاد لا ان يقود ، ولابد ان يعطى الدواء ولو كان مرا ، وقد ظن ان التوفيق قد خان صديقه محمد محمود لان اسلوبه كان اسلوب الرقة والنبل وخلق العائلات الكبيرة ، وظن انه وهو ليس على هذه الخلق قادر على تحقيق ما فشل فيه محمد محمود** (٢٦) .

على ان حركة المقاومة بدأت بالاحتجاج السياسي في مجلسي البرلمان ، وكان صدقي قد استصدر مرسوما بتأجيله شهرا كالعادة المتبعة عند بدء اى انقلاب . وقد اصر البرلمان على الاجتماع لتلاوة مرسوم التأجيل ، ورفض ما طلبه صدقي من قصر الاجتماع على تلاوة المرسومين دون اصدار اى قرارات اخرى . واخترق النواب الحصار الذى فرضه صدقى على مبنى المجلس ، وحطم « **ويصا واصف** » رئيسه السلاسل التي اغلق بها واجتمع النواب والشيوخ حيث اصدروا قرارات بالاحتجاج على محاصرة قوات الامن لمبنى البرلمان واستنكار المخالفات الدستورية التي ارتكبتها الوزارة . ثم اجتمع النواب المثلون للاغلبية واعضاء مجالس المديريات واصدروا قرارات مشابهة ونبهوا في قراراتهم الي مؤامرة تحاك خيوطها في الظلام ضد الدستور . ولجأت الحكومة الصدقية الى اصدار قرار بفض الدورة البرلمانية قبل انقضاء مدة تأجيل انعقاد المجلس . ولما كان القرار غير دستورى فقد اعتزم النواب الاجتماع في نهاية فترة التاجيل دون اعتبار لقرار فض الدورة البرلمانية ، وعندما علمت الحكومة بهذا احتلت قواتها المسلحة مبنى البرلمان ، فاجتمع بالنادي السعدى (مقر حزب الوفد) وقرر عدم الثقة بالوزارة .

وقد ظلت الاحتجاجات تتوالى خاصة بعد ان كشف صدقي عن مخططه فأصدر مراسيم بالغاء دستور ١٩٢٣ وقانون الانتخاب الملحق به ، واصدر دستورا آخر عرف بدستور ١٩٣٠ . ولما كان الدستور الصدقي وقانون الانتخاب الملحق به يهدف الى سلب الشعب المكاسب القليلة التى منحها له دستور ١٩٢٣ ويحتفظ للملك بسلطات واسعة تسمح له بمسخ النظام الدستورى فى اى وقت يريد ، فضلا عما تضمنه قانون الانتخاب من اجرائها علي درجتين ؟ فمن الطبيعي ان تتصاعد المقاومة الشعبية ضد صدقي بعد صدور الدستور .

ففى الفترة الاولي – قبل اصدار الدستور – بدات المظاهرات العنيفة ضد وزارته ، ولكن صدقي واجهها بعنف اذ كان يهدف الي القضاء على اية بادرة للمقاومة بقسوة حتي ينفذ مخططه كاملا في جو من الإرهاب الشامل للشعب . ولكن عنفه ادى الي ازدياد المقاومة ، فحدثت اصطدامات بين الشعب والبوليس في **بلبيس** (٣ قتلى) ، **والمنصورة** (٤ قتلى من الجماهير و ٣ من الجيش و ١٤٥ جريحا) ، **والزقازيق** (قتيل واحد وعديد غير معروف من الجرحي) **والاسماعيلية والسويس** (اعتقالات ضخمة) ، **وطنطا** (اعتقال ٧٤) **والقاهرة** (٤ قتلى و ٤٠ جريحا) ، اما في **الاسكندرية** فقد دخلت الجماهير في معركة واسعة ضد قوات البوليس والجيش نتج منها قتل ٢٠ واصابة ٥٠٠ من المتظاهرين . ويلاحظ ان احصاء المصابين هو من حالات الإصابة الشديدة التي كانت تنقل الي المستشفيات ، اما الاصابات العادية فقد كان اصحابها ينصرفون الي منازلهم ، ومن هنا فان هذه الارقام لا توضح عدد المصابين الفعلي .

● ومن الاساليب السياسية التى نجح الشعب في التعبير بواسطتها عن رفضه للانقلابات الدستورية ومقاومته لها ، مقاطعة الانتخابات التى كانت حكومات الانقلابات تجريها . فعندما اعلنت حكومة زيور فى الانقلاب الاول عن قانون الانتخاب الذى اصدرته وارسلت الدفاتر والاوراق الخاصة بتنفيذه الي المديريات والمحافظات لتحرير جداول الانتخاب الجديدة ، بدأت حركة مقاطعة الانتخاب . ومن هذه البداية اعلن العمد والمشايخ الاضراب عن العمل بمقتضي القانون الجديد فصدر قرار من وزارة الداخلية بفصلهم من العمودية او المشيخة ، ورغم هذا فان حركة المقاومة قد اتسعت حتي اضرب الكثير من العمد عن العمل فى كثير من المديريات . وقد بلغت الاضرابات مداها على عهد الانقلاب الصدقى ، ذلك ان وزارة زيور اصدرت القانون ولم تجر الانتخابات اذ استقالت قبل تنفيذ قانونها . اما صدقي فكان مصمما على اجراء انتخابات نيابية في ظل دستوره وقانون انتخابه ، كما انه كان اكثر ضراوة من زيور . وقد تزايدت حركة استقالة العمد والمشايخ كأسلوب هادف لتعطيل اجراء الانتخابات في ظل الانقلاب من

(٢٦) محمد زكي عبد القادر – محنة الدستور – كتاب روز اليوسف ١٩٥٤ – ص ٧٠

ناحية ولاظهار عدم رضاء الامة عنه من الناحية الاخرى . وانجهت الحكومة الى تقديم العمد والمشايخ المستقيلين الى لجان الشياخات لمحاكمتهم بتهمة الاخلال بواجبات وظائفهم ، فكانت تصدر احكاما قاسية بالغرامة والحبس ، بهدف ايقاف حركة الاحتجاج ولكنها لم تتوقف .

واحيط يوم الانتخاب بمظاهرات دامية كان هدف الجماهير منها تعطيل عملية الانتخاب نفسها ، فأضرب العمال فى عنابر بولاق والورش الاميرية ، واضرب المواطنون فى جميع انحاء البلاد ورفضوا التوجه الى صناديق الانتخاب للادلاء بأصواتهم ، وحدثت اشتباكات متعددة بين المتظاهرين وقوات الامن نجم عنها قتل اكثر من مائة قتيل فضلا عن مئات الجرحى .

ومن الاساليب السياسية التى اتبعت لاجهاض الانقلابات ،اسلوب الجبهة الديمقراطية ،فرغم ان الاحرار الدستوريين كانوا دائما خلف كل انقلاب من الانقلابات الدستورية ، ان لم يكونوا هم صانعوه ، فقد شاركوا فى انقلاب زيور وقاموا بانقلاب محمد محمود لحسابهم الخاص ، واشتركوا فى المرحلة الاولى من انقلاب صدقى ، على الرغم من هذا كله فان بعض الخلافات التى نشبت بينهم وبين الانقلابيين جعلتهم يعودون مرتدين مسوح التوبة وينضمون للقوى المطالبة بعودة الدستور . ولم تكن القوى الديمقراطية ترفض التحالف المؤقت معهم ، وقد تم هذا فى ائتلاف ١٩٢٥ و ١٩٣١ الذى قاوم الانقلابين الاول والثالث .

● ومن ناحية ثانية فانبعض العناصر الوطنية كانت تضيق بهذه الاساليب ، وترى ان لا حل سوى « الاغتيال السياسى » ، فجرت محاولة فى يوليو ١٩٣١ لاغتيال رئيس مجلس النواب الصدقى ، والقيت القنابل على وكيل المجلس ، وتعددت المحاولات لاغتيال صدقى نفسه ، مرتان بالقنابل وثالثة بالرصاص . وفى نفس الوقت جرت محاولات متعددة لالقاء القنابل على عدد من المنشآت الانجليزية منها دار المندوب السامى والقيادة العامة للجيش البريطانى وثكنات قصر النيل .

لقد حقق النضال الشعبى ضد الانقلابات الدستورية اهدافه كاملة ، اذ لم يفلح احد من المتصدرين لاحداث هذه الانقلابات فى الاستمرار فى الحكم ، وسقطت وزارات « زيور » و « محمد محمود » و « اسماعيل صدقى » . وكان ما حدث للنظام الصدقى بالذات دليل على قدرة الجماهير الشعبية بنضالها على تفسيخ اى نظام مهما بدا من ضراوته ، فقد اضطر صدقى الى الاستقالة فى عام ١٩٣٣ وخلفه « **عبد الفتاح يحيى** » على ان يتولى الاستمرار بالنظام ، ولكنه وجد نفسه يرث نظاما متفسخا متدهورا ، فلم يستطع الاستمرار اكثر من سنة ، تولى بعدها « **توفيق نسيم** » الحكم حيث اضطر تحت ضغط الجماهير الى الغاء دستور صدقى ثم ماطل فترة اعاد بعدها دستور ١٩٢٣ .

وعندما ادلى « **السير صموئيل هور** » بتصريحه المشهور فى نوفمبر ١٩٣٥ وقال فيه انه « **عندما استشيرت الحكومة البريطانية فى شأن الدستور المصرى نصحت بأن لا يعاد دستور ١٩٢٣ ولا دستور ١٩٣٠ ، اذ ظهر ان الاول غير صالح للعمل ، وان الاخر لا ينطبق على رغبات الامة** » ، واجهت الجماهير الشعبية هذا التصريح بثورة ضارية فى نوفمبر وديسمبر ١٩٣٥ .

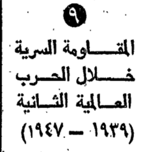
ويلاحظ ان الجماهير الشعبية قد بدأت فى هذه الفترة تمارس نضالها بشىء من الاستقلال عن القيادة الوفدية . كانت هذه القيادة تأخذ مواقفها المتطرفة فى كثير من الاحيان تحت ضغط شعبى جارف لا تستطيع معه ان تفرض رؤيتها الخاصة — بحكم المصالح التى كانت تمثلها — وذلك خوفا من انفضاض الجماهير عنها ، وهى الرصيد الوحيد الذى يمكنها من الوصول الى السلطة . ولكن العنف الصدقى كان قد فت فى عضدها الى حد كبير ، ومن هنا مارست نوعا من التهادن مع حكومة « توفيق نسيم » ،وصرح « النحاس » فى اكثر من مرة بأن « **الوفد مبسوط من هذه الوزارة** » ، على الرغم من ان الوزارة كانت تسوف فى اعادة دستور ١٩٢٣ . وعندما انفجر تصريح « صموئيل هور » واتضح ان الوزارة كانت تسوف بناء على ضغط من الانجليز واستجابة لمشورتهم ، اذ ذاك تحركت الجماهير دون انتظار لرأى القيادة الوفدية ، فى مظاهرات ضخمة سارعت على اثرها القيادة الوفدية الى انهاء تحالفها مع « توفيق نسيم » ، لكيلا تجد نفسها فى عزلة عن الجماهير .

وكانت مظاهرات الاحتجاج على « تصريح هور » تعبر عن وجهة نظر الجماهير التى رأت ان استشارة الانجليز فى امر الدستور هو اعطائهم سلطة كاملة للتدخل فى الشئون المصرية . ومن هنا اتسع مداها وشملت جميع انحاء البلاد ، ولم يوقفها الا القوات المسلحة من الجيش والبوليس (٢٧) التى حشدتها الحكومة

(٢٧) يلاحظ ان المناصب الكبرى فى الجيش المصرى والبوليس المصرى خلال هذه الفترة كانت كلها فى ايدى الضباط الانجليز .

لمواجهته. وقد ادت الاصطدامات بين المتظاهرين والجنود الى سقوط احد الشهداء فى ١٣ نوفمبر هو العامل **«اسماعيل محمد الخالع»** ، وفى اليوم التالى خرجت مظـــاهرة ضـــخمة من الجـــامعة اصطدمت بقوات البوليس وقتل فيها من الطلبة **« محمد عبد المجيد مرسى »** و **« محمد عبد الحكم الجراحى »** و **« على طه عفيفى »** ، كما قتل احد الطلبة فى مظاهرات طنطـــا . ورغم هـــذا فان المظـــاهرات لم تتوقف ، وزادها قتل الطلبـــة اشتعالا ، ودعى طلاب الجامعة الى اضراب عام حدادا على الشهداء توقفت فيه الحياة فى مصر تماما .

وقد حقق هذا الزحف الشعبى اهدافه ، اذ اضطرت السراى التى وجدت نفسها فى حـــالة مقـــاربة لثورة ١٩١٩ ، واضـــطرت ســـلطات الاحتلال فى مواجهة نفس الحالة الى احناء رأسها للعاصفة . وهكذا اعيد دستور ١٩٢٣ » .



٩ المقـــاومة السرية خـــلال الحـــرب العالمية الثـــانية (١٩٣٩ — ١٩٤٧)

تمثل هذه الفترة مرحلة ذات طابع خاص فى نضال الشعب المصرى ضـــد الاستعمار ، سواء فى الاســـلوب الذى فرض نفسه كضرورة ، أو فى الظروف العالمية المضـــطربة بطبيعة جو الحرب العالمية ، مع اضـــطراب واضح فى الاســـاليب وافتقاد لوحدة النضـــال وعدم تنظيمه فى حركة متناسقة .

● وكان الهدف من كل اشـــكال المقاومة هو تحويل حياة الجيش البريطانى فى مصر الى جحيم لايطاق . وكانت معاهدة ١٩٣٦ قد نصت على أن تنتقل القوات العسكرية البريطانية من الاماكن التى كانت تحتلها آنذاك الى منطقة تشتمل على مناطق تدريب الجنود أقاليم قناة السويس وشبه جزيرة سيناء كلها ، والجزء الجنوبى والشرقى من مديرية الشرقية وتصل الى حدود القاهرة والجيزة . كما أن المعاهدة لم تحدد حدا أقصى لعدد تلك القوات فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو قيام حالة دولية مفاجئة ، وان تظل مقيمة فى اماكنها حتى تبنى لها مصر معسكرات على حسابها فى المناطق الجديدة ، وان تظل فى الاسكندرية ثمانى سنوات » وكانت هذه الشروط تتيح للجيش البريطانى ميزة التواجد المباشر فى جميع انحاء البلاد ، زادتها وطأة نشوب الحـــرب التى جعلت جيش الاحتـــلال وجيوش حلفائه تملأ المدن الكبرى وحدود القرى ، مما احدث احتكاكات متواصلة بينها وبين الجماهير ، خاصة وأن قيام الحرب يعتبر « حالة دولية مفاجئة » لايدرى أحد متى يعتبرها المحتل قد انتهت بالفعل ، ومن هنا فقد استهدفت حركة المقـــاومة تعريض الجيش البريطانى لخسائر فى الارواح والمعدات بحيث تصبح اقامته فى الاماكن المأهولة ضررا لا يستطيع احتماله » . ومن ناحية ثانية فان المقاومة كانت تمثل ضغطا شديدا يمكن الاســـتفادة منه بالحصول على تسوية للمسالة المصرية لضـــمان استمرار التعاون بين مصر وبريطانيا فى الظروف التى تواجه فيها الاخيرة حربا ضد عدو قوى » .

● وقد تصدى للقيام بهذا الدور عناصر مـــن البرجوازية المصرية الصغيرة التى بدأت منـــذ منتصف الثلاثينيات تفقد ثقتها فى الوفد ، خاصـــة بعد مواقفه المترددة والمتهادنة من حـــكومة توفيق نسيم ، وتوقيعه معاهدة ١٩٣٦ وأعلانه نهـــاية المعركة ضد الاستعمار . وكانت هذه العنـــاصر قد اتجهت الى الحركات المتعصـــبة قوميا (مصر الفتاة) أو دينيا (الاخوان المسلمون) بينما اتجهت عناصر أخرى إلى العمل السرى المباشر ، خاصة فى سنوات الحرب ، متأثرين بأنباء المقاومة السرية الفرنسية ضد الاحتلال النازى » .

● وهكذا انتشرت تجمعات سرية مسلحة ، تتولى القيام بأعمال الاغتيالات الفردية والجماعية لجنود انجلترا اثناء سيرهم فى الطرق الخالية أو فى نواديهم وحفلاتهم . والتـــاريخ الكامل لهـــذه المجموعات غامض جدا ، وذلك لانه لم يســـجل بعد — الا فى وثائق قليلة (٢٨) — ورغم أهميتـــه الشـــديدة . وكل الدلائل تشـــير الى انها كانت مجموعات كثيرة ومتعددة ، ومنتشرة فى القـــاهرة

(٢٨) هى على سبيل الحصر ، مذكرات وسيم خالد : الكفاح السرى ضد الاحتلال الانجليزى فى مصر — مطابع الشعب ١٩٦٣ ومذكرات قائد الاسراب حســـن عزت : اسرار معركة الحرية — دار النداء ١٩٥٣ — ومذكرات انور السادات صفحات مجهولة — دار التحرير ١٩٥٤ — ومذكرات محمد صبيح : من العلمين الى سجن الاجانب — دار الثقافة العامة ١٩٦٣ • وقد اعتمدنا عليها فى الحقائق الواردة بهذا الجزء •

والاسكندرية بالذات ، وانها كانت معقودة في عدد اعضائها ، وأن اقصى اتساع لكل واحدة منها هو عشرين عضوا ، وانها كانت تضع نظاما خاصا لها للتسليح والتدريب والتمويل ورسم الخطط ، فضلا عن انها لم تكن جماعات منضبطة سياسيا او تنظيميا. ومن المجموعات التى ذكرت في الوثائق المتوفرة ، مجموعة كان يرأسها **عبد العزيز على** وكان احد اعضاء الحزب الوطنى المتطرفين ،وكان يسكن في شقة في ميدان الاوبرا كانت ناديا لابناء المغرب ومكتبة للاطلاع ، وكان يجتمع فيها بأفراد مجموعته لرسم خطط العمليات وطبع وتوزيع المنشورات الثورية التى تشعل حماس النـاس وتوضح الموقف السياسى (٢٩) ،وفي نفس الوقت كان الاخوان المسلمون ينظمون انفسهم بقيـادة « **حسـن البنا** » الذى كان في ذلك الوقت يجمع السلاح ويشـتريه ويخزنه (٣٠) ، والواقع أن علاقة الاخوان بالانجليز في ذلك الوقت المبـكر كانت غريبة جدا ، اذ اغمضوا اعينهم عنها خلال الحرب مقابل وعد بان تقصر نشاطها على الدعوة الدينية البحتة ،كما سمحوا لها بالتوسع لمواجهة دعاية المحور الدينية التى كانت قائمة على أساس أن هتلر سيساعد الدول الاسـلامية على بنـاء مجدها القديم .. على ان هذا لم يمنع الاخوان من تجميع السلاح وتخزينه .. أما (مصر الفتاة) فقد كانت تقوم أيضـا بتخزين السـلاح ويذكر **احمد حسين**(٣١) أن مصر الفتاة قد استأجرت شقة في حلوان لتكون احد المخابىء للحركة حيث يخزنون فيها الاسلحة والذخائر استعدادا لضربتهم المقبلة(٣٢).

ويقـول أيضـا انه عقب سقـوط هولنـدا وبلجيكا وسقوط خط ماجينو تحركت مصر الفتاة (وكان اسمها وقتذاك الحزب الوطنى الاسلامى) وفي اللحظة التى بدأ فيها هتلر هجومه على الجزر البريطانية،وأجرى اتصالا بالاخوان المسلمين وتم اجتماع بين «**حسن البنا**» مرشد الاخوان حضره وكيل الجمعية «**احمد حسـين**» و « **مصـطفى الوكيل**» عن مصر الفتاة، وقدم أحمد حسين خطة موقوتة ببدء الهجوم الالمانى على بريطانيا ، فتقوم مجموعات من فردين أو ثلاثة في عدد معين من القرى محدد على خريطـة في الـوقت المحدد بالاستيلاء على «سـلاحليك» القرى وما به من اسـلحة ثم يحشدون أهالى القرى عن طريق التطوع ويقودونهم للاستيلاء على المركز حيث تلتقى القوات المسلحة من القرى المختلفة في المراكز في الوقت الذى يكون فيه جماعة من المجاهدين في داخل المركز نفسـه قد قاموا بهجوم ممـاثل ، ويشرع المجاهدون في ممارسة السلطة باسم (قيادة الشعب الثورية).. وقد رفض « حسن البنا » الخطة على اساس انها متفائلة اكثر مما ينبغى ،وان بنادق الخفر لا تصلح أن تكون سلاحا ، وان الاخوان الذين كان لديهم في هذا الوقت بضع مئات من القنابل موزعة في انحاء البلاد يرون ان هذا أيضا لا يكفى لقهر انجلترا، التى قد تقاتل في مصر رغم هزيمتها في بلادها (٣٣) .

ولا يبدو ان هنـاك دليلا على ان مصر الفتاة قد اشتركت في أعمال المقاومة المسلحة رغم فكرها الانقلابى . فقد كتب «احمد حسين» تعليقا عليها **« انني أنكر الحركات السرية التى بدات تتألف وليس هناك ما يسعدنى عندما استعرض تاريخ كفاحنا الماضى اكثر من ان يدنا لم تلوث بأى دم » (٣٤).**

على ان تجمعـات البرجوازية الصـغيرة السياسية كانت ممزقة بشكل كاف وكان التزامها التنظيمى ضعيفا ،ولذلك فان كثيرا من أعضائها قد اشتركوا في عمليات المقاومة في مجموعات صغيرة دون أن تكون تلك حركة حزبية منظمة ، ولا نظن أن قيادة الحزب الوطنى مثلا كانت تعرف شيئا عن تنظيم عبد العزيز على .

● وكان هناك بالاضافة الى هذا مجموعات أخرى متفرقة أهمها عصابة «حسين توفيق» التى تشكلت أثناء الحرب وكانت تضم حوالى عشرين فردا ، وتحاول القيـام بحركة اغتيالات للجنود والضـباط البريطـانيين ، كمـا كانت هنـاك مجموعة اخرى في الاسكندرية ينظمها « **عبـد القادر عامر** » ، وقد اعترف « حسين توفيق » عقب اعتقاله على الحوادث التى ارتكبتها عصابته وبلغت وحدها ٤٢ حادث قتل وشروع فيه .

● على ان اهم صور المقاومة في تلك الفترة، كان الدور الذى لعبته «**حركة الضباط الاحرار**» ، وعلى الرغم من ان استكمال البنيان التنظيمى لهذه الحركة لم يبدأ بشكل واسع الا عقب الحرب، فقد كان « **جمال عبد الناصر** » قد كون قياداته الاولى

---

(٢٩) يذكر انور السادات في (صفحات مجهولة ص ١٣٠) ان الضباط الاحرار تعاونوا مع مجموعة عبد العزيز على ، ويصفه بانه كان لا يزال مسيطرا على الجهاز السرى للحزب الوطنى الذى شكله بنفسه عام ١٩١٩ . ويؤيد تعـاونه مع الضـباط الاحرار حسـن عزت (اسرار معركة الحرية ص ٢٥) ويقول ان عشرة من الضباط الاحرار اشتركوا معه .
(٣٠) انور السادات ــ صفحات مجهولة ص ٥١
(٣١) كتب احمد حسين رواية من جزئين هما : « ازهار » و « الدكتور خالد » وهذه الرواية هى مذكراته الشخصية ، ويمكن بسهولة معرفة اسماء الابطال الحقيقيين لها من تتبع التاريخ المعروف لحركة مصر الفتاة . وقد سألناه عن مدى مطابقة الحقيقة الروائية للحقيقة التاريخية فيها (مقابلة في يوليو ١٩٦٦) فأفاد بانهما متطابقتان .
(٣٢) الدكتور خالد ص ٢٠٨
(٣٣) نفس المرجع ص ١٥٠ ــ ١٦٨.
(٣٤) نفس المصدر ص ٤٦٩ .

خلال عام ١٩٣٨ و ١٩٣٩ اثناء وجوده في منقباد، ثم حالت كثرة تنقلاته من مرسى مطروح الى السودان دون استكمال العمل ، ثم بدأ خلال عام ١٩٤٢ يعاود تنظيم الحركة ولكنه لم يلق بثقله كله في العملية الا بعد عام ١٩٤٥ ، وقد ساعدت هذه السنوات على بلورة الخبرة النضالية لحركة الضباط الاحرار على ضوء العديد من المجموعات الصغيرة التي كانت تعمل بشكل منفصل نوعا ، ولكن على اتصال احيانا بالحركة سواء كان اتصالا مباشرا اولانها جميعا تجرى في حركة متناسقة تؤدى الى تحقيق هدف واحد .

● وفي المرحلة الاولى من نشاط الضباط الاحرار داخل الجيش جرت ((**اعمال واتصالات اساسها انفعالات فرديةاو شبه فرديةبالاحداث**)) وقدشملتفترةالحربكلها تقريبا.ثم بدأت ((**الاعمال التنظيمية التي تنتفي منها الروح الفردية ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم ، ونتائج المناقشات والابحاث بين العناصر التي اجتمعت وتآلفت وحددت اهدافها**)) ومن هنا تحرك ((**جمال عبد الناصر وبدأ يخرج من صمت المراقب الى حركة القائد الذي يعد العدة لاكبر معركة تنتظرها مصر**)) (٣٥) .

● وقد شملت المرحلة الاولى تأليف عدة تجمعات داخل الجيش ، بعضها في الطيرانوكانت تضم بعض الطيارين .

ومن أهم العمليات التي ساهمت فيها هذه المجموعة محاولة تهريب ((**عزيز المصرى**)) الى خطوط الالمان ، كما اجريت اتصالات لجس نبض الإخوان المسلمين ومدى قدرتهم على التحرك ولكن الاخوان اتخذوا موقفا مترددا وبدأوا يركزون نشاطهم لمحاولة تكوين تشكيل خاص بهم داخل الجيش (٣٦) ، وكانت هناك مجموعة أخرى تضم عددا من الضباط وضباط الصف . ((**كان كل يعمل في طريق .. وكانت أغلب الخواطر والافكار تتجه ناحيةالقتل والارهاب ، قتل الانجليز واعوانهم ، فلم يكن هناك متنفس حقيقي للثورة المكبوتة في الصدور .. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعو الى التريث والتفكير او تستطيع ان تحدد خطواتنا في اتزان**)) (٣٧) . وكان جمال عبد الناصر وحوله مجموعة اخرى ((**كسائر هذه الجماعاتالشابة الساخطةيحاولون ان يصنعوا شيئا ، ولكن الميزة التي امتاز بها جمال ، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير ، استطاعت ان تنأى به وبمجموعة اصدقائه عن كل عمل طائش او خطوة غير مأمونة**)) ، (٣٧) .

● وفي تلك الفترة اعلنتالهدنة والغيت الاحكام العرفية ، وبدأ التنظيم يعمل على اساس ان يقوم قسم الاتصالات بالاتصال بالهيئات المدنية التي تناضل ضد الاستعمار ، وكان ((**عزيز المصرى**)) قد اشار بضرورة ((**القيام بكفاح ايجابي منظم هدفه ضربالانجليز بالقنابل والمسدسات والمدافع وقتلهم في الشوارع ودور السينما وفي كل مكان حتى يشعروا باستحالة بقائهم في القاهرة والاسكندرية**)) ، (٣٨) . وقد رؤى ان تقوم عصابات مدنية بهذا النوع من الاعمال على ان يعززها تشكيل الضباط الاحرار بالاسلحة والمتفجرات اللازمة ، وذلك لخطورة ضبط ضباط من الجيش العامل في مثل هذه العمليات — في حالة اكتشافها — مما قد يؤدى الى قيام المحتل بأعمال عنيفة وضارة ، ولهذا كلف ((**انور السادات**)) — وكانمفصولا منالجيشاذ ذاك — بالاشراف على هذه العمليات ، باعتباره ضابط اتصال بين حركة الضباط الاحرار وبين قوات المقاومة ، وقد زودت هذه القوات بالاسلحة والمتفجراتاللازمة ، كما استكملتعملها بالحصول على خبرة قانونية تتيحفرص الاستفادة منثغرات القانون في حالة تعرضهم للتحقيقات القضائية قدمها ((**فتحي رضوان المحامي**)) ، وقامت حركة المقاومة السرية باغتيال عدد من كبار ضباط الجيش البريطاني كما هاجمت بالمدافع الرشاشة تجمعات الجنود ، والقت القنابل اليدوية على معسكرات الجيش البريطاني اثناء تجمعالقوات، كوقت الغذاء مثلا ، كما قامت بنسف مقر بعض الحفلات التي اقامها الجيش البريطاني احتفالا بالنصر نتج عنها قتل ٤٢ ضابطا واصابة ١٢٠ بعاهات مستديمة ، فضلا عن مئات من عمليات الاغتيال الفردى التيكانت تتم بشكل يوميتقريبا، والقيت قنابل شديدة الانفجار على مؤسسات الجيش البريطاني الاخرى ، مثل ادارة التغذية ، وادارة الاستعلامات .

● وفي نفس الوقت كان تنظيم الضباط الاحرار يستكمل بناءه كحركة سياسية سرية ، تعمل في بطء ، وتكون كوادرها فيهدوء ، وتعتمد على فكرة اساسية هي توعية الجيش سياسيا واختيار العناصر الصالحة للقيام بضربة مسلحة للاستيلاء على السلطة ، وكان الوضوح التنظيمي لدى

---

(٣٥) انور السادات ــ صفحات مجهولة ص ١١٤
(٣٦) حسن عزت ص ٢٣
(٣٧) صفحات مجهولة ص ١٤٤
(٣٨) حسن عزت : اسرار معركة الحرية ص ٧٨

الحركة قد اكتمل تماما ، فتخلت عن فكرة الاعتماد على اى قوة سياسية اخرى ، واحتفظت باستقلاليتها ، على اساس ان وقوع الجيش فى يد اى من القوى السياسية اذ ذاك يمكن ان يعرض البلاد لانقسامات مسلحة ولحرب اهلية ، ولم تمانع الحركة مع هذا فى التعاون مع اى قوى سياسية تكون على استعداد للعمل ، او يكون هناك اهداف مشتركة دائمة او مؤقتة ، ومن هنا بدأت حركة منظمة لجس النبض السياسى لضباط الجيش وجنوده ، تم على اساسها اختيار القيادات السياسية للحركة ، وبدأت تتسع وترسم خطتها لتحقيق اهدافها على اساس خطة طويلة المدى تعمل على **« خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش ، اشعار الضباط ان عليهم مسئولية كمواطنين لاتقل عن مسئولية الشعب الذين هم جزء منه ، والتدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى ان يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، او على الاقل يقف موقفا محايدا بين الشعب وسلطات الاحتلال والسراى بحيث لايشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم احد لحمل تبعة الانقاذ » (٣٩) .**



ومن اهم الاتجاهات التى برزت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، نمو قيادات شعبية جديدة ، تمثلت فى **« اللجنة الوطنية للطلبة والعمال »** التى تشكلت فى اوائل ١٩٤٦ ، وكانت انضج القيادات فى هذه المرحلة ، وتتمثل قيمتها الحقيقية اذا ادركنا موقعها من القيادات الاخرى للحركة الوطنية : (٤٠)

● فقد كانت القيادات التقليدية للحركة الوطنية قد فقدت كثيرا من رصيدها الشعبى والشورى نتيجة لتسلل مجموعات كبيرة من ملاك الارض الى قيادة الوفد ، مما اعجزه عن طرح شعارات جديدة للعمل الوطنى تتناسب مع تطور القوى العالمية وتعاظم الدور الذى تلعبه حركات التحرير فى العالم ، كذلك فانه لم يستطع أن يمد بصره الى القوى الاجتماعية الجديدة التى تزايد دورها فى حركة المجتمع المصرى والتى بدأت تطرح تصورا جديدا ومتقدما للقضية الوطنية .

● وكانت القيادات المعادية للثورة والمتمثلة فى احزاب الاقليات السياسية والسراى قد فضحت تماما خلال ممارستها للحكم خلال الحرب ، ولم تستطع ان تطلى واجهتها بأى طلاء يمنع رفض الجماهير لها وتشككه المستمر فى مواقفها وادانته لاسلوبها .

● كذلك فان تنظيمات البرجوازية المصرية الصغيرة التى بدأت فى الخروج عن قيادة الوفد منذ منتصف الثلاثينيات ، وتضخمت عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ التى اعتبرتها الجماهير مساومة خطيرة من جانب الوفد ، لم تستطع هذه التنظيمات ان تستوعب طموح الجماهير الثورية ، فمن ناحية فان فكرها الاجتماعى كان مشوشا بشكل واضح ، ومن ناحية فان مواقفها السياسية العملية كانت متهادنة مع قوى الثورة المضادة ، فتحالفت «مصر الفتاة» مع «على ماهر» و «محمد محمود» فى خلال ١٩٣٨ ضد الوفد ، واخذ «الاخوان» موقفا سلبيا من الانجليز خلال الحرب ، وسمح لهم بالتضخم مقابل استغلالهم لمواجهة دعاية المحور الدينية .

● ومن هنا كانت الظروف تطرح ضرورة ظهور قيادة سياسية جديدة ، تعتمد على فئات اجتماعية تنطلق من فهم جديد لحل المسالة الوطنية ، وكانت الطبقة العاملة المصرية قد تبلورت كطبقة محددة الملامح وموحدة المصالح ، بقيام نواة الجناح الصناعى فيها ، كما مارست خلال الفترة من ١٩١٩ حتى نهاية الحرب بعض اشكال النضال الاقتصادى والسياسى ، وتكتلت فى منظمات جماهيرية نشطة هى نقابات العمال ، واشتركت النقابات المصرية فى مؤتمر باريس ١٩٤٥ العالمى ، ففضحت موقف الاستعمار البريطانى من قضايا تقدم الصناعة الوطنية والمسألة الزراعية وموقفه من التنظيمات النقابية والسياسية لجماهير الشعب ، وفى نفس الوقت كانت بعض العناصر النشطة فى المنظمات الطلابية تتجه الى تحديد موقف جديد من القضية الوطنية على ضوء الظروف التى كشفت عنها الحرب العالمية ، ورغم ان بعض هذه العناصر كان ملتزما باطارات التنظيمات السياسية التقليدية الا انها تحركت حركة منفصلة وهو مايكشف عن

---

(٣٩) انور السادات — صفحات مجهولة ص ١٩٦
(٤٠) راجع عبد المنعم الغزالى — « موقع ٢١ فبراير من التاريخ » — الطليعة — فبراير ١٩٦٦ ، طارق البشرى « عام ١٩٤٦ فى التاريخ المصرى » — الطليعة — فبراير ١٩٦٥ .

مجز الاطارات التنظيمية التقليدية عن الاحتفاظ بالعناصر المنتمية اليها، وقصور شعاراتها السياسية ومواقفها العملية عن اشباع الطموح الثورى لتلك العناصر . وقد تشكلت في الجامعة لجنة تحضيرية ضمت ممثلي الطلبة من جميع الاحزاب والاتجاهات السياسية بهدف تكوين جبهة وطنية واسعة للكفاح ضد الاستعمار . ومع تدعم هذه اللجنة بممثلي نقابات العمال طرحت القيادة الجديدة شكلها وشعاراتها .

● لقد قدمت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال في بياناتها الاولى تاكيدا بان قوى الثورة الرئيسية في تلك المرحلة هي قوى « العمال والصناع والطلبة والتجار والموظفين » . وفي القضية الوطنية رأت ان الكفاح ضد الاستعمار ليس موجها ضد قوات محتلة فقط ولكن ايضا ضد السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية . ووضعت قضية القضاء على عملاء الاستعمار وشركائه من الاقطاعيين وكبار الماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية هدفا ثانيا لها . وفي القضية الاجتماعية ربطت القيادة الجديدة بين الثورة الوطنية والاجتماعية ، فهاجمت بياناتها الرأسمالية المحلية واكدت « **ان مجموع الامة عاقدة العزم على تغيير الاوضاع الاجتماعية** » وطالبت « **باعادة توزيع الارض ومنحها للفلاحين في شكل ملكيات صغيرة وانشاء نظام تعاوني** » . وربطت كل هذا بالعناصر التي تراها ضرورية لتسلم قيادة الثورة « **يجب على الطبقات الشعبية ان تقوم بالدور الرئيسي في الحركات الوطنية لان الطبقات الحاكمة الحالية تتعاون مع الاستعمار** » وكأسلوب للنضال رأت اللجنة « **ان الشرق يتحرر لا بالمهادنة والاستجداء ولكن بالعنف والثورة** » . ومن اهم الشعارات السياسية التي انطلقت من هذا التصور ، شعار « **وحدة نضال الشعبين المصري والسوداني** » .

وكان الفهم الجديد الذي قدمته اللجنة هو حرصها على النضال المشترك ضد الاستعمار . وهو ما يمكن ان يخلق الظروف الموضوعية لوحدة سياسية قائمة على الاختيار الحر بين الشعبين .

● وفي الاطار التنظيمي دعت اللجنة الى اقامة لجان وطنية من العمال والطلاب والصناع والتجار والموظفين ، كلجان سياسية ، تقوم بدورها في نشر شعارات اللجنة وتكتيل الجماهير حولها .

وقد نجحت هذه اللجنة كقيادة في احباط محاولة القيادات التقليدية والعميلة التي كانت تتجه لربط مصر بالاحلاف الاستعمارية او مشروعات الدفاع المشترك . فقد نظمت حركة مقاومة سياسية سلمية ، عن طريق حشد جماهيري ضخم ، للاحتجاج على محاولة الهيئة السياسية التي كانت مشكلة من احزاب الاقليات للدخول في مفاوضات مع بريطانيا في نطاق التبعية الاستعمارية . وقد نتج عن هذا اصطدام الجماهير بالحكومة التي ارتكبت « مذبحة كوبرى عباس » (٩ فبراير ١٩٤٦) ، الامر الذي ادى الى استقالتها على اثر احتجاج الجماهير العنيف على المذبحة ، وهو الاحتجاج الذي وصل الى حد سب الملك علنا لاول مرة على نطاق جماهيري واسع . وعندما حاولت السراي ان تفرض اسماعيل صدقي ، لكي يقوم بمناورة هدفها امتصاص حركة المقاومة ، وتوقيع اتفاقية دفاع مشترك ، تصدت له الجماهير من خلال قيادتها الجديدة ، الامر الذي ادى الى اسقاطه في النهاية وفشل كل محاولة للارتباط بالاستعمار . وقد نظمت اللجنة مظاهرة « **٢١ فبراير ١٩٤٦** » الشهيرة ، التي اصطدمت خلالها الجماهير بالجنود البريطانيين الذين حاولوا اختراقها بعربات مصفحة مما ادى الى قتل ٢٣ شهيدا ، وجرح ١٢٣ آخرين . واحرقت الجماهير العربات التي قامت بالمحاولة وهاجم المتظاهرون ثكنات الجيش البريطاني والقوا عليها ملابسهم

معركة الاهرام (٢١ يوليو ١٧٩٨)

هي ثاني المعارك التي خاضها الجيش المملوكي بقيادة مراد بك ضد الجيش الفرنسي، وكانت المعركة الاولى هي معركة شبراخيت (١٣ يوليو ١٨٩٨) ، اذ تقدم مراد بك بجيش من اثنى عشر الف مقاتل لكي يعوق تقدم الجيش الغازي الى القاهرة . مستخدما أسطولا نهريا ولكنه هزم فتقهقر الى القاهرة . وبديء في تحصينها لمقاومة الغزو ، واستقر بالبر الغربي للنيل (امبابه) ووزع قواته بين بشتيل وامبابه والاهرام. وتوزع الاسطول على ساحل امبابه. وفي مواجهته بالبر الشرقي (بولاق) وزع ابراهيم بك قواته واقام متاريس بين بولاق وشبرا . لاحظ الجيش الفرنسي ان امكانيات المماليك الحربية متخلفة فرسموا خطتهم الحربية بحيث يستفيدوا من هذا النقص . وقد بدات المعركة في الصباح الباكر من يوم السبت ٢١ يوليو ١٨٩٨ واستمرت حتى المساء حيث هزم الجيش المملوكي واستولى الجيش الفرنسي على امبابه وغنم ما بها من المدافع والاستحكامات والاسلحة والمؤن . وفر مراد بك بالباقين من جنوده الى جنوبي الجيزة ، واغرق اسطوله حتى لا يقع في ايدي الغزاة . ولما علم ابراهيم بك بهزيمة زميله سارع بالفرار وترك الاستحكامات التي كان قد اقامها. تعرف معركة الاهرام عادة بمعركة امبابة .

المشتعلة ». ودعت اللجنة الى ان يكون يوم « ٤ مارس ١٩٤٦ » يوما للحداد العام على شهداء « ٢١ فبراير » ، ونفذت قرارها رغم اعتراض الحكومة التى خضعت لتهديد بريطانى فأرادت منع تنفيذ القرار بالحداد العام . وفى الاسكندرية سارت مظاهرات فى يوم ٤ مارس ، فهاجمت المبنى الذى يقيم فيه رجال البحرية البريطانية ، وهاجمت منزلا يقيم فيه بعض جنود الاحتلال الذين حاولوا الاعتداء على المظاهرات ، وهاجمت ايضا احد اكشاك البوليس الحربى البريطانى ، وتصدى لهم الجنود الذين كانوا مزودين بمدافع سريعة الطلقات فقتلوا ٢٨ شهيدا وجرح ٣٤٢ من المتظاهرين . ورغم هذه الخسائر فقد أصر المتظاهرون على حرق الكشك بمن فيه ، وفعلوا .

لقد كانت قيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة تعبيرا عن ظهور فكر سياسى جديد يضع القضية الوطنية فى مكانها الصحيح باعتبارها فى جوهرها قضية صراع اجتماعى محليا وعالميا ، ويحدد بوعى سياسى طبيعة الاعداء والحلفاء فى الداخل والخارج . ولذلك فقد ذعرت منها القيادات التقليدية جميعها وعملت على تخريبها بافتعال الانقسامات ، وغيرها من الاساليب . ثم شن صدقى حملة اعتقالات فى ١١ يوليو ١٩٤٦ غيبت قيادات اللجنة فى السجون . ورغم هذا فان محاولة صدقى لجر مصر للارتباط بالتبعية الاستعمارية قد فشلت تماما ، اذ كان المفهوم الذى قدمته اللجنة واعتنقته اوسع الجماهير له بالمرصاد .

١١
الكفاح المسلح فى القنال
(٨ اكتوبر ١٩٥١ — ٢٦ يناير ١٩٥٢)

فى اكتوبر ١٩٥١ اضطرت الحكومة الوفدية الى الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان ، لاستعادة سمعتها الشعبية التى فقدتها نتيجة المفاوضات التى اجرتها مع الانجليز ، ونتيجة لسياستها الداخلية المتهادنة مع السراى ومع كبار الاقطاعيين ، ومع احساسها بخطر الاقالة الذى كان على الابواب قدمت مراسيم الغاء المعاهدة قبل عرضها على البرلمان بساعة واحدة ، وهدد النحاس بأن عدم امضاء المراسيم سيجعله يقدم استقالة مسببة لمجلس النواب ، فخضع الملك ووقع المراسيم فورا . ولم تكن لدى الحكومة اية خطة محددة لما يجب ان يفعل بعد الغاء المعاهدة واقتصر النحاس على التصريح بان « **الحكومة قد ادت واجبها بالكامل والكلمة الان للشعب** » . وقد تعرضت الحكومة الوفدية لضغط شديد من الجماهير الشعبية التى رأت ان الحل هو الكفاح المسلح ، وضغط اشد من السراى وكبار ملاك الاراضي — وكانوا يمثلون نسبة كبيرة من قيادات الوفد نفسه — ويهدفون الى تصفية المعركة وانهائها ».

● وفى مدن القنال — كما فى جميع انحاء مصر — شهد اليوم التالى لالغاء المعاهدة مظاهرات ضخمة معادية ، واجهتها قوات الاحتلال بفتح النيران فسقط ستةعشر قتيلا فى الاسماعيلية والسويس واكثر من خمسين جريحا . وكرد فعل لهذا هاجمت الجماهير بعض المراكز البريطانية كان اهمها « **مركز النافى** » بالاسماعيلية ، فقد استولت على ما كان به من مواد غذائية ثم اضرمت فيه النيران بعد ان فر من كان به من قوات الاحتلال . وفى الايام التالية جرت عدة مناوشات فردية غير منظمة ، اذ قام اهالى القنال باقتناص اعداد من الجنود البريطانيين ، واخذ الصبية الصغار يخطفون السلاح ، بينما شدد لصوص المعسكرات هجماتهم عليها ». وفى نفس الوقت دخلت الطبقة العاملة المعركة بكل ثقلها فامتنع عمال السكك الحديدية عن كل اشكال التعاون مع القوات المحتلة ، مما ادى الى احداث ارتباك شامل فى خطوط التموين وفى تحركات جيش الاحتلال ، كما اضرب عمال الشحن والتفريغ فى موانى القنال عن تفريغ اية باخرة بريطانية ، مما ادى الى عجز سبعة عشر سفينة بريطانية عن تفريغ حمولتها من الجنود والعتاد . ثم انسحب العمال المصريون الذين كانوا يعملون فى المعسكرات البريطانية ، ويبلغ عددهم اكثر من ستين الف عامل ، مما اضاف اعباء جديدة على القوات المحتلة التى اضطرت الى سحب بعض قواتها للعمل فى تلك المعسكرات ، وقد عانى العمال المصريون بعد ذلك متاعب شديدة لان الحكومة لم تكفل لهم فرص العمل مما ادى الى تعطلهم فترة طويلة ».

● وتحركت العناصر الوطنية والتقدمية لتدعو الى ضرورة تنظيم الكفاح المسلح وأن تقوم الحكومة بواجبها فى امداد المتطوعين بالسلاح ومختلف المساعدات ». وتشكلت لجنة عليا لتنظيم الكفاح

المسلح بقيادة « الفريق عزيز المصرى » وعضوية « قائد الجناح وجيه اباظه » (محافظ البحيرة الآن) كقائد عام للميدان (وكان عضوا بتنظيم الضباط الاحرار) و « قائد الاسراب حسن عزت » (وكان على صلة بهم) و « عبد الحميد صادق » و « عطية صابر » و « عبد الرحمن اباظه » وهم محامون ، ثم توفيق الملط (مدرس) وجمال عزام (عمدة) ومدحت عاصم (موسيقى) وبعض الصحفيين ، وقد وضعت هذه اللجنة خطة عامة تقوم على تكوين فرق من الفدائيين تنمو تدريجيا حتى تصبح جيشا بأكمله ، وتقوم هذه الفرق بهجمات يكون بعضها انتحاريا على القوات البريطانية فى جميع مراكزها بالقنال ، ويساعدها فى ذلك فرق احتياطية تقوم بفرض حصار حديدى حول معسكرات الاعداء لمنع وصول المواد التموينية اليهم ، مع تسليح جميع أفراد الشعب رجالا ونساء بالمدن والقرى الواقعة فى القنال وحوله ، وتنظيم مقاومة سلبية لمقاطعة البضائع الانجليزية ، وعدم التعامل التجارى مع بريطانيا وسحب جميع العمال المصريين من معسكرات العدو (٤١) وكانت خطة بريطانيا تقوم على احتلال منطقة القنال كله احتلالا تاما (وكان بعض مدنها محرما على القوات البريطانية) وعزلها عن بقية البلاد تحت حكم عسكرى بريطانى يخمد كل مقاومة ، واعتبارها نقطة وثوب لاعادة احتلال اجزاء أخرى من البلاد ، ثم اسقاط الحكومة الوفدية وضمان حكم ممالىء يقوم بتصفية المعركة والاشتراك فى الحلف الرباعى الذى اقترحته بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا فى ١٣ اكتوبر (٤٢)

● بدأت قيادة كتائب التحرير عملها بالدعوة الى التطوع والتبرع ، فجمعت فى ايام قليلة اكثر من ٣٢٠٠٠ جنيه فى القاهرة وحدها . وتكونت فروع للكتائب فى المحافظات على ان تمول تمويلا ذاتيا من محافظاتها . فتكونت لجنة **بالقليوبية** جمعت ١١٠٠٠ جنيه وأنشأت معسكرا للتدريب ، وأخرى **بالبحيرة** جمعت ١٧٠٠٠ جنيه وأنشأت معسكرا **فى دمنهور** ، واخرى فى **الشرقية** اكتتب الاهالى لها بمبلغ ٢٧٠٠٠ جنيه وافتتحت أكثر من معسكر للتدريب . وفى **القاهرة** شكلت بعض الاحزاب والتجمعات فرقا من الفدائيين خاصة بها . بينما حمل أهالى منطقة القنال السلاح وخاصة فى **السويس والاسماعيلية وبورسعيد** . كما استعد أيضا أهالى المناطق المجاورة فى محافظة **الشرقية** وخاصة **التل الكبير والقرين** ، وكانت هذه المناطق مليئة بالسلاح المسروق من المعسكرات البريطانية طوال فترة الحرب . واشترك ضباط الجيش وجنوده فى تدريب المتطوعين على السلاح وذلك رغم رفض الحكومة السماح لعشرات الضباط الذين طلبوا احالتهم على الاستيداع ليتفرغوا للنضال المسلح مع الشعب .

● وكان هدف العمليات الاولى للفدائيين هى « **اقلاق راحة الانجليز وتكبيدهم خسائر فى الذخيرة متوالية حيث اعتاد جنود المعسكرات البريطانية اطلاق ألف طلقة مقابل كل طلقة تصوب نحوهم** » (٤٢) . ثم تطورت على ضوء الخطط العسكرية التى كان يرسمها ضباط الجيش الى عمليات هجومية هدفها تكبيد قوات الاحتلال خسائر فى الارواح وخسائر اضخم فى الذخيرة ، وذلك بالتسلل داخل خطوطهم . وكانت مثل هذه الخطط تحتاج الى أسلحة متقدمة غير البنادق ، فزودت قياده المقاومة الفدائيين بقليل من القنابل والمتفجرات بهدف التسلل داخل المعسكرات ونسف مخازن الذخيرة . كما رسموا اكثر من خطة لنسف القطارات الحربية البريطانية المحملة بالذخائر والمؤن ، ونجحوا فى تكبيد القطارات خسائر ضخمة . وفى عيد الميلاد (**٢٥ ديسمبر ١٩٥١**) اذاع «**الجنرال ارسكين**» قائد القوات البريطانية فى القنال بيانا هدد فيه الفدائيين وطمأن جنوده بأن (« **العصابات المصرية لن تستطيع مهاجمتنا بعد اليوم فقد أعددنا لكل شىء عدته وسنسحق فرقهم تماما ونزيل من الوجود اية قرية تحدث منها غارات على جنودنا ، وانى أطمئن جنود وضباط الامبراطورية بأنهم سيقضون بمعسكراتهم عيد ميلاد سعيد** » . وقبل الفدائيون التحدى فحولوا **مثلث** التل الكبير . القصاصين . بورسعيد الى نار حامية واستمرت الهجمات المتوالية من الثامنة مساء ٢٥ ديسمبر الى السادسة صباح اليوم التالى دون انقطاع . فحدثت هجمات فى تلك الليلة على محطة مياه معسكر التل ، ونقطة تفتيش المحجر ، ومعسكر القصاصين وأبى صوير التى كانت نقطة مرور العديد من القوافل البريطانية ، مما جعلها مكانا سهلا لاقتناص اكبر عدد ممكن من الجنود . وفى **السويس** قام الفدائيون بأعنف الهجمات على المعسكرات البريطانية وجعلوا هدفهم نسف قطارات الذخيرة كما نجحوا فى التسلل الى داخل المعسكرات حيث نسفوا خزان المياه أكثر من مرة مما جعل المعسكرات البريطانية تظل فى كل مرة بلا مياه حوالى ثلاثة أيام ، الامر الذى دفع «**ارسكين**» الى ارسال تهديد الى محافظ المدينة بأنه « **اذا لم تكف عصابات الفدائيين عن نسف الخزان فسنضطر الى نسف الوابور وقطع المياه عن سكان المدينة** » . وفى نفس الوقت أغار الفدائيون على مركز تجمع تحويلات السكك الحديدية ، وكانت السلطات البريطانية قد احتلته وطردت منه العمال والموظفين المصريين لانه يتحكم فى خطوط السكك الحديدية

(٤١) راجع سعد زغلول فؤاد : معركة القنال ـ دار السلام للطبع والنشر ١٩٥٦ وكان المؤلف قائد لاحدى كتائب المقاومة ل ذلك الوقت .
(٤٢) سعد زهران : حركة التاريخ المصرى من الغاء المعاهدة الى حريق القاهرة ـ الطليعة ـ يوليو ١٩٦٥ .

الرئيسية (السويس ـ القاهرة ـ السويس ـ الاسماعيلية ـ السويس الادبية) ، لضمان استمرار تنقلات جنودها بين الاسماعيلية والسويس والمعسكرات القائمة بين هاتين المنطقتين . ونجح الفدائيون فى نسف هذا المركز مما أدى الى احداث ارتباك شديد فى مواصلات الجنود . وتصدى الفدائيون أيضا لمحاولة احتلال السويس بالاشتراك مع جنود بلوكات النظام وأهالى السويس ، فشتت جموعهم واستمر اطلاق النار **طوال يوم ٣ يناير حتى صباح اليوم التالى**، وتكبدت القوات البريطانية خسائر فى الارواح والعتاد . وهدد رئيس نقابة عمال شركات البترول القائد البريطانى بأن أية محاولة لاحتلال السويس سيكون من نتيجتها اشعال النار فى مصانع التكرير جميعها . وبالاضافة الى هذا فقد ضربت قوات المقاومة حصارا شديدا يحول دون وصول أية مواد تموينية الى المعسكرات البريطانية ، وخاصة طوال الاسبوع السابق لعيد الميلاد حتى لايجد الاعداء مايمكن أن يكون مادة لاحتفالهم . وفى سبيل ذلك اضطروا استثنائيا الى منع جميع عربات نقل الاغذية من دخول المنطقة وفتشوا جميع عربات النقل والسيارات الخاصة وأمتعة ركاب الاتوبيس ، وصادروا كل نواع من الاغذية ثبت أنه فى طريقه الى المعسكرات ووزعوها على المستشفيات . كما هاجموا فى منتصف يناير العربات التى كانت تنقل التموين من ميناء الادبية ـ بعد نسف مركز تجمع الخطوط الحديدية ـ واستولوا عليها وأسروا بعض الجنود .

محمد كريم (توفى عام ١٧٩٨)

كان محافظا للاسكندرية عندما بدت طلائع الغزو الفرنسى ، وقد بذل كل ما يستطيعه لايقاف الغزو ، فارسل يطلب المدد من مراد بك ، وحصن الاسوار وجمع ما هو متوفر من الذخيرة ، واعلن فتح الباب للتطوع العام ، ورسم خطة حربية لتعويق الغزو ، ولكن تاخر مراد بك فى ارسال المدد وتفوق الجيش الفرنسى ادى الى سقوط المدينة ، ورغم هذا فقد ظل محمد كريم يدافع معتصما بقلعة قايتباى حتى نفدت ذخيرته تماما . وقد ابدى نابليون اعجابه بروحه الحربية وامر ببقائه فى منصبه كمحافظ للاسكندرية .

على ان نابليون عاد فاصدر امرا باعتقاله بعد ثمانية عشر يوما من فتح الاسكندرية ، تولى التحقيق مع محمد كريم فى القاهرة حاكم القاهرة الفرنسى ، وصدر الامر باعدامه فى ٥ سبتمبر ١٧٩٨ ، ومصادرة املاكه وامواله ، وسمح له ان يفتدى نفسه بدفع غرامة قدرها ثلاثين الف ريال . ورفض محمد كريم دفع الغرامة قائلا « اذا كان مقدورا على ان أموت فلايعصمنى من الموت ان ادفع هذا المبلغ ، واذا كان مقدرا فى ميدان الرميلة (القلعة الان) يوم ٦ سبتمبر ١٧٩٨ .

● ورغم أن هذه العمليات تعد مجرد أمثلة للمعركة التى لم تستمر سوى ثلاثة شهور فقط ، فان الحيوية النضالية للشعب المصرى تظهر اذا ما تذكرنا الظروف التى كانت تحارب فيها قوات المقاومة . وأهم هذه الظروف ـ تعلقا بالقتال نفسه ـ نقص التدريب والتسليح . فقد اتجهت بعض العناصر الى تضييع الوقت فى عمليات تدريب شكلية لا تتناسب مع طبيعة المعركة ، فبدت بعض المعسكرات كما لو كانت معسكرات كشافة كل همها هو التدريب على السير على دقات الطبول. ولم تكن حرب التحرير غير النظامية تهتم بذلك ، بقدر ماكان مهما فيها التدريب على السلاح الفعلى، ثم استكمال الخبرة أثناء القتال . وحالت الحكومة دون ضباط الجيش الراغبين فى التطوع للمعركة وبين ذلك ، مما اضطرهم الى ممارسة التدريب ـ سرا ـ فى أوقات فراغهم . أما التسليح فكان غير كاف بشكل واضح ، واضطرت قيادة الكتائب إلى شراء الاسلحة من تجار السلاح وكان بعضها فاسدا مما عرض المقاتلين لكثير من الاخطار ، فضلا عن نقص كثير من الاسلحة الهامة والضرورية كالمتفجرات والمدافع السريعة الطلقات . وقد أدى هذا النقص الى عدم تحقيق بعض العمليات الهامة لاهدافها وخاصة عمليات نسف القطارات الحربية التى كانت تحتاج الى متفجرات تنفجر بمجرد مرور القطار عليها ، فلم تكن غالبا متوفرة. وكانت كثير من عمليات النسف تؤدى الى نسف القضبان وانقلاب القطارات فقط ، ونجح عدد قليل منها نتيجة لقيام ضباط الجيش المتطوعين سرا بسرقة عدد من هذه المتفجرات من مخازن الجيش وسلموها للفدائيين وأشرفوا على التنفيذ . ومن ناحية ثانية فان الفترة الاولى من القتال قد اتسمت بعدم التنظيم . ويعود ذلك الى قيام المعركة بشكل مفاجىء وانتهائها أيضا بشكل مفاجىء بعد حريق القاهرة . ومن المؤكد أن استمرار المعركة كان سيؤكد صلابتها ويخرج أشكالها التنظيمية الحقيقية ، وقد أضاع عدم التنظيم وقتا هاما . وتمثل هذا فى الارتجال فى اختيار المتطوعين بحيث تسلل بينهم عدد من المغامرين الذين لم يستمروا فيها وشكلوا صعوبات وعراقيل واضحة فى وجه المقاتلين الحقيقيين . كما أن عجز الحكومة وعدم رغبتها فى وضع « خدمة معلومات كاملة ». فى يد الفدائيين جعلهم يعتمدون على لصوص المعسكرات كمرشدين وأدلاء لخبرتهم بالتسلل الى المعسكرات، وكان عدد لا بأس به منهم فى مستوى المسئولية ، ولكن بعضهم قد أساء الى المعركة وأراد تحويلها الى أهداف صغيرة تخدم مصالحهم . فضلا عن نقص الوعى السياسى لدى كثير من المقاتلين .

● وقد القى الجو السياسى الذى دارت فيه المعركة بكل ثقله عليها ، فقد كان هناك المفهوم الحزبى الخاطىء الذى جعل مقاتلى بعض الاحزاب

يحرصون على تحقيق انتصارات سياسية زائفة لاحزابهم ولو على حساب العمل الوطنى المشترك. فضلا عن موقف الحكومة المتذبذب الذى نتج عن الضغوط التى كانت تتحرك فى اطارها . وقد ادى هذا الى تناقض مواقفها العلنية والسرية ، ففوجىء الفدائيون فى مديرية الشرقية بالمدير يزورهم فى ٢٤ اكتوبر ١٩٥١ ويامرهم بالرحيل الى القاهرة وتسليم السلاح مما جعلهم يرفعون السلاح فى وجهه . واصدرت الحكومة اوامرها بالقبض على الفدائيين وترحيلهم الى بلادهم بعد مصادرة أسلحتهم . وسجلت هذه الاوامر بدفاتر الاحوال بنقط البوليس على النحو التالى « مر اليوم سعادة مدير المديرية وأمرنا بالقبض على الفدائيين وترحيلهم الى بلادهم بعد مصادرة أسلحتهم » . وكان ضباط البوليس الوطنيون يرفضون تنفيذ هذه الاوامر ويتهربون منها بدعوى « انه بالبحث والتحرى عرفنا أن الفدائيين لا يقيمون بالمنطقه واغراب عنها ولايحضرون الا ليلا من القاهرة حيث يهاجمون القوات الانجليزيه ويعودون بعد ذلك من حيث اتوا . ويتعذر خلال المعارك القبض عليهم نظرا لشدة نيران الطرفين » . بل وصل التحدى ببعض ضباط البوليس الى الاشتراك بأنفسهم فى المعركة . وقد ظل موقف الحكومة المتذبذب يلقى بظله على المعركة حتى قبل انتهائها بقليل . فقد كانت الحكومة تعانى من ضغط الجماهير الشعبية التى كانت تمارس اذ ذاك أوسع حقوقها الديمقراطية — فى الاطار البرجوازى — ومن ضغط السراى التى كانت راغبة فى ايقاف المعركة ، ومن ضغط الجناح اليمينى القوى فى حزب الوفد ، الذى كان يرى فى تسليح الشعب خطرا شديدا على النظام الاجتماعى باكمله خاصة مع تزايد « اعتصابات » العمال وانتفاضات الفلاحين . وكان تعيين « حافظ عفيفى » رئيسا للديوان الملكى سببا فى محاولة الحكومة الوفدية أخذ موقف حاسم من المعركة ، اذ رأت فى تعيينه شبح الاقالة . فهو صاحب تصريح اكتوبر الشهير الذى قال فيه أن الغاء المعاهدة خطر وخطأ ، ودعا الى التحالف مع امريكا وبريطانيا لصد الخطر الشيوعى . فألقت بثقلها فى المعركة وبدات تمول حركة القتال فى القنال ، وتولت تسليحها ، وتركت شوارع القاهرة تموج بالمظاهرات التى كانت تهتف علنا بسقوط الملك . ولكن محاولة حكومة الوفد لحسم موقفها من معركة الكفاح المسلح — فضلا عن انها جاءت متأخرة — فانها اتسمت ايضا بمحاولة فرض سيطرتها الكاملة على المعركة وذلك بتعيين بعض ضباط البوليس السياسى لقيادة عمليات الفدائيين . والواقع أن الحكومة كانت تنظر بعين خائفة الى تدخل القيادات الوطنية والتقدمية الواعية فى المعركة . وكانت هذه القيادات ترى أن توحيد حركة الفدائيين ضرورة لعزل العناصر التخريبية وجواسيس السراى والمخابرات البريطانية الذين كانوا يتسللون الى صفوف حركة المقاومة ، « ثم كانت أكثر اعمال الفدائيين منعزلة عن الشعب منعزلة عن الفلاحين فى المنطقة » . ورأت هذه القيادات أن اقتصار المعركة على الفدائيين تضييق شديد للمعركة يعرضها للتصفية . ثم عقدت مؤتمرا أصدر قرارات هامة بتحويل المعركة من معركة قاصرة على الفدائيين الى معركة فلاحين أساسا والاعتماد فى الاسلحة على الفلاحين المسلحين بطبيعتهم ، وانشاء تنظيمات سياسية فى القرى المعرضة لضربات الانجليز بحيث تستطيع أن تستمر فى قيادة المقاومة حتى ولو فكر الانجليز فى احتلال الشرقية كلها . والسعى لخلق قيادة موحدة للمنطقة كلها واصدار مجلة سياسية عسكرية تربط مختلف أوجه النشاط . وكانت هذه القرارات ترسم استراتيجية جديدة للمعركة ضد الاحتلال ، حققت نجاحا فى معركة القرين التى اشتركت فيها جماهير الفلاحين مما أكد أن استمرار هذه الاستراتيجية سوف يخلق حالة جديدة تماما فى المنطقة وفى مصر بأكملها (٤٣) . ولعل هذا التطور الخطير هو ما جعل القوى المناوئة تسارع بتدبير انقلاب ٢٦ يناير ١٩٥٢ (حريق القاهرة) والذى صفيت المعركة من خلاله .

١٢ الكفاح المسلح فى القنال (المرحلة الثانية ١٩٥٢ — ١٩٥٤)

توقفت المرحلة الاولى من الكفاح المسلح فى منطقة القنال بانقلاب ٢٦ يناير الذى تآمرت فيه السراى مع الاستعمار ضد المقاومة المسلحة التى اعقبت الغاء المعاهدة ، وقامت حكومات الانقلاب المتعاقبة (على ماهر — الهلالى — حسين سرى) باستغلال الاحكام العرفية لاعتقال الفدائيين وجميع العناصر التى شاركت فى المرحلة الاولى من الكفاح المسلح . غير أن الانقلاب لم يستمر سوى ستة شهور انتهى بقيام ثورة ٢٣ يوليو . وبانتقال سلطة الحكم وقمة جهاز الدولة الى القوى

(٤٣) شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ص ١١٨

الثورية بدأت المرحلة الثانية للكفاح المسلح في منطقة القنال والتي انتهت بتوقيع اتفاقية اكتوبر ١٩٥٤ التي تم بمقتضاها جلاء قوات الاحتلال في ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

وتتميز هذه المرحلة بعدة خصائص اساسية :

● تناسق حركة الكفاح المسلح مع موقف المفاوض البريطاني من قضية الجلاء ، فهدف المقاومة هو الضغط على المفاوض البريطاني لاجباره على تقديم تنازلات . ومن هنا نلاحظ اشتداد حركة المقاومة في الفترات التي كان المفاوض البريطاني يصر فيها على شروط معينة أو يحاول التراجع عن بعض الشروط التي سبق له ان وافق عليها .

● وجود درجة اعلى من تنظيم المقاومة ،نتيجة لقيام حكومة وطنية تتولى تنظيمها وتضع فيخدمتها كل الامكانيات المطلوبة من حيث التدريبوالتسليح ورسم الخطط .واهم خدمة قدمتها الحكومةلحركة المقاومة المسلحة هي ((**خدمة معلومات كاملة**)) . فقد اعيد تنظيم المخابرات المصرية وقتذاك لكي تكون في خدمة اهداف الثورة ، وعلى راسها تحقيق الاستقلال ، فانشىء فرع جديد بقسم المعلومات سمى « فرع بريطانيا » وكانت اهداف هذا الفرع هي الحصول على معلومات عنالجيش البريطاني في منطقة القنال (تشكيله ــ عدده ــ تسليحه ــ تنظيمه ــ تحركاته ــ تقارير مخابراته ... الخ) ، ومراقبة نشاط المخابرات البريطانية وكشف اساليبها وعملائها والقيام باعمال مختلفة داخل المعسكراتبقصد ازعاج القواتالبريطانية. واخيرا شن حرب سيكلوجية على افراد القوات البريطانية عن طريق المنشورات والاذاعة من محطة خاصة (٤٤) .

● وقد استطاع هذا التنظيم ان يجرى تناسقا بين حركة الفدائيين ككل وبين المفاوضات المصرية البريطانية . ففى المرحلة الاولى من الحركة بدىء ((**بالحد من نشاط المخابرات البريطانيةوالحصول على كافة المعلومات عن قوات العدو وتوزيعها وتنظيمها والواجبات المكلف بها وما يحتمل انتقوم به من اجراءات لكي تكون هذه المعلوماتاساسا لاية عمليات مقبلة**)) . كما تم في هذه الفترة انشاء الحرس الوطني وقبول المتطوعين به للتدريب على السلاح تحت اشراف ضباط من القواتالمسلحة مما ادى الى كفاءة عالية في التدريب . وقد « اتسمت هذه الفترة التي استمرت حوالى سنة تقريبا بالهدوء واوصى فيها ان تطول المفاوضات مع الجانب البريطاني لاعطائنا الفرصة للتجهيز للمرحلة الثانية » . وبجانب هذا التناسق فقد توحدت عمليات المقاومة تحت قيادة واحدة فقد « سيطرت المخابرات المصرية على منطقة القنال بتنظيم حوادث الاعتداءات اذا شاءت ، وتوقف اى نشاط اذا ارادت ، تعمل كانها رجل واحد. ولقد طوت هذه السياسة تحت اجنحتها جميع الهيئات في المنطقة وتركزت فيها جميع الاعمال الوطنية ، فكانت المخابرات هي الاب الروحي لهم جميعا تحل مشاكلهم وتفصلبينهم وترسم الخطوط الصحيحة لسياستهم حسب الصالحالعام» (٤٥). ويبدو هذا التناسق لا في خطة العمليات فحسب، ولكن في التنبه لخطة العدو لمحاولة احباطها ، فعندما اخذت المصادر البريطانية تتحدث عن عدم قدرة السلطات المصرية على حفظ الامن في منطقة القنال وان البوليس المصري لا يتعاون مع السلطات البريطانية في القبض على « لصوص المعسكرات » كما كانوا يسمون الفدائيين ،وضح احتمال ان يكون هذا توطئة لاحتلال منطقة القنال ، «فتقرر ايقاف العمليات خارجالمعسكرات والبدء في عمليات من نوع آخر في جميع انحاء المنطقة » .

● شملت فترة الاستعداد ايضا ، تنظيف منطقة القنالمنعملاء الاستعمار والمتعاونينمعه، والذين لعبوا دورا مدمرا في المرحلة الاولى (١٩٥١ ــ ١٩٥٢) ، اذ كانوا يعاونون سلطات الاحتلال في الكشف عن الفدائيين ويسهلون لهم اعتقالهم وتعذيبهم .وفي بداية المرحلة الثانية بداوا يمدونهم بكل المعلومات عن الاستعدادات التيكان يجرى اعدادها . وعلى هذا رسمت عدة خطط سريعة لخطف هؤلاء العملاء ، وممن تم اختطافه بهذه الطريقة وقدموا لمحكمة الثورة ((**الميجور محمود صبرى كنج**)) ، **وحسن قدرى** ، **واحمد محمد عوض** ، وقد حكمت المحكمة عليهمبالاعدام. وعندما حاول العملاء اخفاء الادلة التي تدينهم قضائيا ، رؤى « القيام بسلسلة اغتيالات للخونة شملت اجزاء المنطقة مما حدا بكثير من هؤلاء الخونة الى ترك منطقة القنال الى غير رجعة ،بل ان بعضهم ترك القطر المصري نهائيا » (٤٦) .

● وكخلفية لكل عمليات المقاومة ، اعد جهاز خاص للقيام بشن حرب سيكلوجية ضد قوات العدو ، يستخدم فيها انباء حركة المقاومة وعملياتها ، والانباء التي كانت تحصل عليها من

---

(٤٤) تقرير بعنوان : المقاومة الفدائية في القنال بقلم قائد حركة الفدائيين نشر بكتاب « المقاومة الشعبية في الشرق » نشرته سلسلة ــ اخترنا لك في العدد رقم ٣٠ ــ دار المعارف بمصر ــ والتقرير يعتمد على معلومات المخابرات المصرية من تلك الحركة .
(٤٥) المصدر السابق
(٤٦) نفس المصدر.

داخل المعسكرات نفسها ، بهدف تحطيم الروح المعنوية للجنود والضباط وعائلاتهم وخلق روح التذمر داخلهم . فنظمت حملة من المنشورات كان يتم توزيعها داخل المعسكرات ، كما كان يتم ارسالها فى نفس الوقت الى اهاليهم فى انجلترا ، وذلك لخلق تذمر فى الرأى العام البريطانى ضد الاحتلال ،كما شنت قوات المقاومة حربا نفسية ضخمة وسط القوات البريطانية فى القنال وانشأت محطة اذاعة سرية تذيع على الجنود البريطانيين فى اوقات فراغهم .

● وفى هذا الاطار من التنظيم المحكم ، كانت عمليات المقاومة المسلحة تجرى ، وسارت فى اتجاهات متعددة ، اولها تكبيد العدو خسائر متوالية فى المعدات والسلاح واختطافها سليمة ومتكاملة لاستخدامها فى الحرب ضده . ولم تكن عمليات سرقة وخطف الاسلحة قاصرة على الاسلحة الخفيفة التى كانت تختطف علنا فى شوارع المدن ، مما ادى الى صدور تعليمات بان يربط كل جندى بريطانى سلاحه فى يده بسلسلة ، ولكنها تعدت ذلك الى سرقة السيارات المصفحة والتسلل الى داخل المعسكرات لسرقة بعض انواع السلاح غير المتوفرة لدى حركة المقاومة ، مثل القنابل الزمنية لاستخدامها فى نسف منشآت الجيش البريطانى .

وقد تم بهذه الطريقة سلب اكثر من مائة عربة من مختلف الانواع فى المدة من اوائل ١٩٥٣ حتى توقيع الاتفاقية . وفى نفس الوقت اتجهت العمليات الى تخريب المواصلات التليفونية لجيش الاحتلال ، فقطعت اسلاك التليفونات والكابلات فى مواضع مختلفة وفى مواعيد غير ثابتة الامر الذى ترتب عليه تعيين داوريات فى عربات جيب للمرور ليلا ونهارا على اسلاك التليفونات والكابلات الممتدة فى انحاء المنطقة . وشنت حملة من القتل والخطف للجنود البريطانيين الذين يخرجون من معسكراتهم لاجبارهم على ان يظلوا داخلها مما يزيد من تذمرهم ، مع تكبيدهم خسائر فى الارواح . وقد قامت هذه العمليات على اساس الضغط على القوات البريطانية ومنعها من القيام باى عمل عنيف ضد الاهالى . ووضع ثمن لكل مواطن يقتل او يصاب باغتيال عدد من الضباط والجنود البريطانيين . **« وكانت هناك قاعدة متبعة بصفة مستديمة وهى ان اى وحدة بريطانية جديدة تصل الى منطقة القنال من انجلترا او المانيا او كوريا ... الخ ، كان على الفدائيين ان يستقبلوها ويرحبوا بها بقتل جندى على الاقل قبل مرور اسبوع على وصولها وذلك بقصد التأثير على الروح المعنوية ومنع افرادها من ارتكاب اى اعمال عدوانية »** .

ومن اعمال الخطف الشهيرة التى احدثت ازمة بين مصر وبريطانيا والتى قدمت بريطانيا بسببها انذارا لمصر ، حادث خطف الجاويش الطيار **«انتونى ريجدن»** ، والازمة لم تقم بسببه كفرد ، ولكن كمحاولة لايقاف عمليات خطف وقتل الجنود البريطانيين . وقد قام بخطف « ريجدن » الفدائى المصرى **« سعد زغلول فؤاد »** بمعاونة عبدالفتاح ابو الفضل (عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى حاليا) احد قواد حركة المقاومة فى منطقة القنال (٤٧) .

● كانت اعنف الاعمال التى شملتها حركة المقاومة فى تلك الفترة هى الاعمال التى كانت تتم داخل المعسكرات نفسها ، ويلاحظ ان الفضل الكبير فى نجاح هذه الاعمال يرجع الى العمال المصريين الذين كانوا يعملون اذ ذاك فى داخل المعسكرات البريطانية . وكان بعضهم قد عاد للعمل — بعد انسحابهم فى اكتوبر ١٩٥١ — بسبب رفض الحكومة تشغيلهم ، وقد استتبع التنظيم الجديد لحركة المقاومة ابقاءهم فى اعمالهم على اساس الاستفادة منهم فى الحصول على معلومات عن الوضع فى داخل المعسكرات ، وتكليفهم بالقيام بعمليات المقاومة داخلها ، سواء بانفسهم او بتقديم مساعدات للفدائيين من الخارج . ووضعت خطة هذه العمليات بحيث تشمل **« عمليات نسف المنشآت وعمليات تخريب داخل المطارات وعمليات حرائق للمخازن المختلفة والقيام بهجمات ليلية بالفدائيين داخل المعسكرات . وروعى فى هذه العمليات الا تكون موجهة ضد الافراد المدنيين وخصوصا النساء والاطفال »** (٤٨) . ونظرا لاحتياج مثل هذه العمليات الى قنابل زمنية لم تكن متوفرة لدى حركة المقاومة فقد تم الاستيلاء على حوالى الف منها على شكل « اقلام » من مخازن الجيش البريطانى . واستخدمت هذه الاقلام فى تنفيذ الخطة ، فكانت تلقى على العربات اثناء دخولها المعسكرات وكذلك فى القطارات ، كما كان العمال يضعونها فى غذائهم ويتم تجميعها فى الداخل حيث توضع فى المكان المطلوب . وقد نسف بهذه الطريقة مخازن للذخيرة ، وبعض المدرعات ، ومدافع عيار ٤٠ م ، والمولدات الكهربائية ، كما نسفت بعض المعسكرات مما ادى الى اشعال الحرائق فيها ، ونسف ميس ضباط سلاح الطيران والقيت قنابل يدوية على عرباته .

---

(٤٧) كتب سعد زغلول فؤاد قصة اختطاف ريجدن فى مقال بمجلة « صباح الخير » ١٩٥٧
(٤٨) تقرير المخابرات المصرية السابق الاشارة اليه .

وكانت العمليات شاملة وسريعة الانتقال «فبمجرد اتخاذ اجراءات امن وقائية في منطقة ما ، ينتقل العمل الى منطقة اخرى ، وهكذا ».

وكان من الطبيعي ان يتراجع المفاوض البريطاني، وان يتنازل عن بعض صلفه ، خاصة وان وزير الحرب البريطاني كان يصرح ذاكرا ان الغارات المسلحة التي قامت بها قوات المقاومة المصرية قد بلغت ١٧٠٠ غارة خلال عام ١٩٥٣ ».

لقد نجحت المخابرات المصرية وقتذاك في تنظيم حركة المقاومة ، ويزيد من نجاحها انها قامت بالدور الذي كان مفروضا ان يقوم به التنظيم السياسي للثورة ، والذي كان تكوينه متعثرا اذ ذاك للظروف التي كانت تمر بها البلاد ».

١٣
المقاومة الشعبية في بور سعيد
(نوفمبر ١٩٥٦ ديسمبر ١٩٥٦)

عندما اتضحت ابعاد المؤامرة الثلاثية التي استهدفت تدمير الجيش المصري في سيناء ، واحتلال المنطقة المحيطة بقناة السويس لالغاء قرار التأميم واعادة قناة السويس الى الذين سبق واستلبوها من مصر ، اصدرت القيادة السياسية الاوامر « **بحماية قواتنا المسلحة والعمل على أن ينضم اكبر جزء منها للشعب لاحباط محاولات فرنسا وبريطانيا واسرائيل في عزل وتدمير قواتنا الرئيسية في صحراء سيناء** » (٤٩) . ومن هنا كانت الخطة المفترضة لمواجهة هذا العدوان هي « **القتال في حرب شاملة جنودها الشعب المصري جنبا الى جنب مع قواته المسلحة** » (٤٩) .

وقد كان من نصيب بورسعيد ان تكون المدينة المصرية التي تنفذ على ارضها هذه الخطة التي ضربت فيها الجيش والشعب أروع الامثلة على قدرة النضال المصري على الصمود في مواجهة العدوان ».

وتبدو قيمة القدرة المصرية في ضوء الظروف التالية :

● اشتراك دولتين من الدول الكبرى في العدوان هما بريطانيا وفرنسا بامكانيات عسكرية متفوقة جدا ، في وقت كانت عملية بناء الجيش المصري وتسليحه مازالت في بداياتها الجنينية الاولى . واشتراك القاعدة الاستعمارية في المنطقة — اسرائيل — بدور في خطة العدوان . وحقق هذا الدور — وخاصة في الفترة الاولى منه — فكرة ابعاد الجيش المصري الى سيناء لترك الوادي خاليا امام المعتدين الاصليين . ورغم ان العسكرية الوطنية المصرية قد نجحت في الافلات من هذا الشرك المنصوب ، فان اتمام عملية الانسحاب كان يتطلب وقتا حتى تعود القوات وتنتظم في مواقعها الدفاعية . ومن هنا وقع على عاتق جماهير الشعب وقوات الجيش المحدودة العدد التي كانت في مدن القنال — اذ كانت كتلة الجيش الرئيسية في سيناء — واجب تعويق قوات الغزو حتى تعود القوات الرئيسية وتستعيد مقدرتها الدفاعية لوقفه . وزاد من تفوق المعتدين ان احدى الدولتين الغازيتين — بريطانيا — كانت لها خبرة سابقة بالمنطقة ، تصل الى حد المعرفة الكاملة لكل ظروفها . ورغم كل هذا فقد حقق النضال المصري أهدافه ونجح فعلا في حصر الغزو في منطقة واحدة — هي مدينة بورسعيد — ثم قاومه بعد حصره مقاومة ضارية للغاية ».

● ومن ناحية اخرى فان الامكانيات العسكرية المتفوقة لدول العدوان قد ووجهت بامكانيات الراي العام العربي والعالمي الذي تحرك بسرعة فائقة لاستنكار العدوان وادانته والضغط في اتجاه ايقافه وردعه . وقد اتخذ الراى العام العالمي موقعين مؤثرين بالفعل : موقع ذو تأثير مباشر قامت به شعوب الدول العربية وخاصة الطبقة العاملة العربية التي تحركت بسرعة لايقاف المواد الاستراتيجية عن دول العدوان بنسف انابيب البترول . وتهديد عسكري مباشر قامت به مجموعة الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي الذي اعلن عزمه على مقاومة العدوان اذا لم يتوقف وتمح آثاره تماما . وكان الموقع الثاني للراى العام العالمي موقعا ذا تأثير غير مباشر

(٤٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في اول نوفمبر ١٩٥٦ — ويراجع بالنسبة لهذا الجزء كتاب الاستاذ ابو الحجاج حافظ : صفحات من التاريخ السري لمعركة بور سعيد — دار الشعب ١٩٦٢ . ويعتمد على تقارير المخابرات المصرية عن حركة المقاومة .

ولكنه تعالى ، ذلك هو موجة الاحتجاج الشامل الذى انفجر من الجماهير الشعبية ، حتى فى دول العدوان نفسها . ثم تبلور ذلك كله فى موقف المنظمات الدولية — الامم المتحدة — التى اصدرت قراراتها بايقاف العدوان ومحو آثاره . على ان كل هذا لم يمنع النضال المصرى — عسكريا وشعبيا — من تقرير موقفه بوضوح ، وكان هذا الموقف يتبلور فى ان الموجة الاساسية لرد العدوان ينبغى ان تصدر من شعبنا نفسه ، وان القتال المصرى على الارض المصرية هو الواجب الذى لا يمكن استبداله باى شىء آخر ، وان امكانيات الرأى العام العالمى امكانيات مساعدة وليست امكانيات بديلة ».

وفى ضوء هاتين الحقيقتين ادى النضال المصرى دوره واستمر فى ادائه رغم قرار وقف اطلاق النار ، وقرار انسحاب المعتدين ، ويمكن — مع الايجاز الشديد — ان نبلور اتجاهات ومواقف المقاومة المصرية فى الحقائق التالية :

● استفادت المقاومة المصرية من خبرات حرب المقاومة التى دارت فوق منطقة القنال فى عامى ١٩٥١ و ١٩٥٣ . ولم تكن الاستفادة قاصرة فقط على معرفة مواطن النقص والقصور التى يمكن تحاشيها ، ولكنها كانت اتجاها عاما ، اذ امكن الاستفادة من خبرة عدد كبير من الفدائيين الذين سبق لهم الاشتراك فى المقاومة ، سواء اكانوا من ابناء المنطقة نفسها ، او كانوا من مناطق اخرى فتم بشكل منظم تهريبهم اليها . وفى نفس الوقت فقد تمت الاستفادة من خبرات المنظمين الذين تولوا تنظيم المقاومة فى عام ١٩٥٦ ، فعهد اليهم بنفس الدور (٥٠) ». ومن ناحية اخرى فان اتصالا سياسيا على مستوى عال كان يتم بين قيادة المقاومة فى المنطقة والقيادة السياسية العليا بالقاهرة ، وقيادة قوات المقاومة الشعبية فى المناطق التى لم تسقط فى يد العدو . وكان التنسيق تاما ، اذ كانت توجيهات القيادة السياسية العليا وتحركها فى المجال الدولى تضع فى اعتبارها — كاحد الاعتبارات — موقف المقاومة المصرية . كما ان قوات المقاومة كانت تتحرك فى تنسيق متكامل مع الحركة السياسية العامة . وكانت توجيهات القيادة السياسية العليا تشير احيانا بالاكتفاء بعمليات فدائية سريعة ومباشرة ، او مجرد عمليات عصيان مدنى شامل ، خاصة بعد صدور قرار وقف اطلاق النار . كما انها كانت تشير احيانا بالقيام بعمليات شبه عسكرية منظمة عندما تلكأ المعتدون فى الانسحاب ».

السيد عمر مكرم (١٧٥٥ — ١٨٢٢)

ابرز الزعماء المصريين فى فترة الحملة الفرنسية وماسبقها وماتلاها بقليل . كان نقيبا للاشراف ، ولد باسيوط ودرس بالازهر ثم استقر بالقاهرة . كان لمنزلته الدينية فى طليعة الزعماء الذين تلتف حولهم الجماهير وتلجأ اليهم عندما يزداد ظلم المماليك وتتكاثر الضرائب التى يفرضونها فكان يتدخل لحمايتهم ويقلل الضرائب . ظهرت مواقفه القومية اثناء الغزو الفرنسى ، فكان فى طليعة الداعين الى التطوع العام لمقاومته ، وانزل من القلعة بيرقا كبيرا سمته الجماهير « بالبيرق النبوى » فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق داعيا الى التطوع للحرب فتجمع حوله الوف من جماهير الشعب . وبعد هزيمة الجيش هاجر الى سوريا ورفض عضوية الديوان الفرنسى واقام فى يافا حتى احتلها الفرنسيون فارسلوه الى القاهرة مطلق السراح ، ولكنه اعتزل الحياة العامة ، ورفض المشاركة فيها حتى قامت ثورة القاهرة الثانية فكان من ابرز زعمائها ، وهاجر بعد اخمادها . ولم يعد الا بعد جلاء الفرنسيين . وقد تعرضت امواله الى النهب والمصادرة خلال هجرته . وقد كانت له اليد الكبيرة فى تنظيم حركة المقاومة التى اسقطت الحكم التركى المملوكى وولت محمد على بارادة الشعب . وشارك فى الاستعداد لرد الغزو الانجليزى فى عام ١٨٠٧ ، غير ان محمد على عاد فنفاه الى دمياط فى سنة ١٨٠٩ فبقى بها اربع سنوات ، ثم نقل الى طنطا فبقى بها خمسة سنوات حتى سمح له بالعودة الى القاهرة فى عام ١٨١٨ ، وفى سنة ١٨٢٢ مات عمر مكرم فى طنطا بعد شهور من صدور قرار جديد بنفيه اليها .

على ان امكانيات المقاومة المصرية كانت متزايدة هذه المرة اكثر من اية مرة سابقة ، ذلك ان الفدائيين كانوا يضمون بين صفوفهم عددا كبيرا من ضباط وضباط صف وجنود القوات المسلحة المدربين تدريبا عسكريا عاليا ، او المدربين على الاعمال الانتحارية وخاصة قوات الصاعقة . كما ان كميات السلاح الكبيرة التى كانت تهرب الى بورسعيد كانت عاملا مساعدا له قيمته ، فضلا عن توزيع السلاح بكثرة على جميع القادرين على حمله من سكان المدينتين حولها الى ترسانة سلاح كبيرة ».

(٥٠) تولى قيادة المقاومة فى عام ١٩٥٣ كمال رفعت « وزير العمل الحالى » ثم فى عام ١٩٥٦ مع عبد الفتاح ابو الفضل (امين شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى) — وسعد عفرة « السفير بالخارجية » ومحمد فائق « وزير الارشاد القومى الحالى » وكمال الصياد وغيرهم .

● قام الهيكل العام للمقاومة المنظمة على اساس تقسيم القوات الى عشرة مجموعات من الفدائيين مهمتهم القيام بعمليات متكاملة ، تقوم كل مجموعة بجزء منها ، او منفصلة تقوم المجموعة بمهمة كاملة ، او القيام بهجوم شامل فى اماكن متفرقة . وفى نفس الوقت تكوين لجان وطنية لاعمال المقاومة المدنية والعصيان المدنى ، تتولى تنظيم هذا الشكل من اشكال المقاومة بحيث يكون متناسقا مع المقاومة المسلحة من ناحية ، وبحيث يقوم بتأدية الخدمات التى يمكن ان تطلب منه لحماية قوات المقاومة او تهريب السلاح او نقله . ومن اهم هذه اللجان لجنة ضمت عددا من التجار كانت مهمتها تنظيم مقاومة التجار عن طريق مقاطعتهم التامة لقوات الاحتلال وعدم التعامل معها باية صورة من الصور . وكانت منها لجان تولت تنظيم مقاومة العمال بحيث يقاطعون تماما اى مجهود يمكن ان يسهل اعمال المحتلين . كما قامت لجان اخرى بمهمة تسهيل حصول المواطنين على المواد التموينية ، ومساعدة رجال الشرطة على حفظ الامن والقيام باعمال الاسعاف فضلا عن لجان متعددة للاعمال المشابهة ».

وكان من اهم هذه اللجان ، لجنة ضمت متطوعين من المستوطنين اليونانيين المساندين للاستعمار ، وكانت قيادة المقاومة قد سبق لها تجنيدهم فى معركة ١٩٥٣ ، فاثبتوا روحهم العالية ، وكانوا يتطوعون للعمل فى مجموعات المقاومة المسلحة — فى مجموعة من المجموعات العشر كانت تسمى مجموعة اليونانيين — وفى نفس الوقت كانوا يعملون فى عمليات المقاومة المدنية ، وكانوا ينجحون فى عملهم نظرا لان قوات الاحتلال كانت تتصور انهم — كاجانب — سيكونون فى صفها ان لم يقفوا على الحياد ».

وعندما صدرت تعليمات من قوات المقاومة باغلاق جميع المقاهى ، ترك محل المواطن اليونانى التقدمى « ملاكسوس » مفتوحا لاتخاذه طعما لصيدهم فيه ، كما ان المقابلات بين فرق الاستطلاع وبين العاملين لحسابها من المالطيين والقبارصة (وكان اكثرهم من منظمة ايوكا الثورية) كانت تتم فيه (٥١) ».

● كانت العمليات التى يقوم بها الفدائيون متعددة ، اذ ان عشرات المعارك كانت تتم يوميا ، وكان التحرك الجماهيرى الشامل والمسلح الذى تولى ابادة اولى مجموعات الهابطين بالمظلات بمنطقة مطار الجميل ، هو بداية العمل ، وقد اشتركت فيه المجموعتان الاولى والثانية من الفدائيين . كما اشتركت فيه القوات المسلحة وجماهير غفيرة من الشعب . وقد ووجهت المجموعة الثانية من الهابطين وقد اسقطت فى الجبانات بنفس المقاومة التى استمرت حتى منتصف الليل ، وعندما ادركت القوات المعتدية عنف المقاومة التى كادت تفشل عملية الاسقاط عمدت الى الحيلة فاسقطت فى منطقة « كوبرى الرسوة » بعض الدمى والهياكل لاستنفاد طاقات المقاتلين وتجميعهم فى مكان بعيد ، بينما كانت عملية انزال مجموعات حقيقية من الجنود تتم فى نفس اللحظة ، مع تركيز شديد من مدفعية الاسطول وحماية جوية تتولى اسقاط القنابل على المدينة . وهكذا تمكن العدو من انزال كتيبة من قوات البحرية الانجليزية واورطة دبابات ».

ونظرا لان قوات المقاومة لم تكن تملك سوى الاسلحة الصغيرة ، التى لا تمكنها من مواجهة الدبابات ، فقد اتجهت الى تنظيم المقاومة لاحداث اكبر خسائر فى الارواح بين القوات الغازية ، لاجبارها على التوقف ، واستخدمت فى ذلك الاشجار حيث اختفى فوقها عدد من الفدائيين قاموا بنشر مظلة من الطلقات النارية فوق قوات العدو المترجلة وقتلوا اعدادا ضخمة منها ، وانسحبوا الى مواقع متقدمة لاصطياد من ينجو من جنود العدو . كما استخدموا القنابل اليدوية فى تدمير الدبابات بالقائها داخل الدبابات او على جنزيرها مما كان يتسبب عنه تعطيل الدبابة وقتل طاقمها احيانا ».

كما صدرت التعليمات فى اليوم التالى بالتصدى للدوريات التى كانت قوات الاحتلال تسيرها للتفتيش او للحراسة او لاضعاف الروح المعنوية ، وكلف عدد من الفدائيين بركوب الدرجات ومعهم قنابل يدوية ، وكانت الدراجات تقترب من الدوريات لتلقى عليها القنابل ثم تنحرف بسرعة فى اول شارع جانبى . وقد تم بهذه الطريقة تصفية عشرين دورية من جنود الاعداء فى ظرف عدد قليل من الساعات ، مما دفع « الجنرال ستوكويل » — قائد قوات

---

(٥١) كانت القوات المعتدية قد احضرت معها من قاعدة قبرص خمسمن البواخر الصغيرة التى كانت تنقل العتاد والمؤن لقواتها بحارة من منظمة ايوكا الثورية ، وقد تعرف عليهم المستوطن اليونانى الباملاكسوس وطلب — وكان عضوا فى المجموعة الثالثة من الفدائيين — وهى المجموعة اليونانية تفويضه بالاتصال بهم والاستعانة بامكانياتهم فى الحصول على معلومات عن العدو وخططه ، وكان هو ضابط الاتصال بهم .

الغزو ـ الى اصدار تهديد شديد بان اى راكب دراجة سوف يقبض عليه وتصادر دراجته ».

واستمرت عمليات المقاومة فى كل يوم ، فاستخدمت القنابل فى تدمير عدد كبير من سيارات العدو وخاصة المدرعة منها . وتكررت عمليات القاء القنابل على الدوريات البريطانية والفرنسية فى الشوارع . كما نظمت عمليات مهاجمة معسكرات المعتدين ، وكان بعضها داخل منشآت المدينة مثل المدارس ، وكان يستخدم فى ذلك القنابل والمدافع السريعة الطلقات ».

وعندما صدرت التعليمات الى قوات المقاومة بتشديد هجماتها لاجبار المعتدين على تنفيذ قرارات المنظمات الدولية بالانسحاب ، طلبت القاهرة ان تكون الهجمات عسكرية وشاملة ، فوضعت خطة اشتركت فيها قوات الصاعقة وقوات البوليس وقوات المقاومة الشعبية . وكانت الخطة تقوم على اساس القيام بهجوم شامل على دوريات العدو فى شوارع المدينة . وهجوم آخر مركز على معسكر الدبابات ، وقد نجح الهجوم الشامل على دوريات العدو واستخدم فيه بشكل رئيسى القنابل والمدافع السريعة الطلقات . وذلك فى عمليات تمت فى وقت واحد ضد جميع الدوريات مما سبب خسائر ضخمة فى ارواح العدو ومعداته . كذلك نجح الهجوم على معسكر الدبابات فى تدمير عدد من الدبابات وعدد من السيارات ».

وفى اليوم التالى تزايدت الهجمات على الدوريات بعد نجاح عمليات اليوم السابق . وكان من نتيجة نجاح هذا الهجوم واضطراده ان قرر المعتدون الانسحاب من شوارع المدينة الى شريط صغير فى منطقة توازى الميناء وفصلوا هذه المنطقة من المدينة بحاجز طويل قوى من الاسلاك الشائكة .

وعلى الرغم من ان المعتدين قد انسحبوا من المدينة ـ الى هذا الشريط الصغير ـ اعتبارا من ١٧ ديسمبر ١٩٥٦ ، تمهيدا لانسحابهم الكلى ، فان قوات المقاومة رأت ان السكان الوطنيين فى هذا الشريط الصغير فى وضع الرهينة بين يدى القوات المعتدية ، الامر الذى قد يعرضهم لانتقامها فى حالة حدوث ظروف جديدة تضطر قوات المقاومة الى استئناف القتال . لذلك نظمت عملية تسلل منظمة الى داخل المنطقة لعدد من الفدائيين كانت مهمتهم حماية المواطنين من اى اعتداء قد يتعرضون له ، وتسهيل مهمة قوات المقاومة فى حالة استئناف اعمالها ».

● كذلك فان قيادة قوات المقاومة عملت دائما على مواجهة الحرب النفسية التى شنتها قوات الاحتلال بهدف تدمير معنويات الشعب ، وافقاده الثقة فى المقاومة . وكانت قوات الغزو قد عمدت الى عزل المواطنين عن بقية الوطن بمختلف الطرق ، ومنها اقامة اجهزة تشويش على اذاعة القاهرة بحيث لا يتمكن المواطنون من سماعها . وسلطت قوات الغزو منشوراتها المليئة بالاكاذيب على السكان ».

وفى مواجهة هذه الحرب ، نظمت قوات المقاومة حملة لنشر الحقائق المتعلقة بالموقف فى سلسلة من المنشورات المتوالية ، كانت تنشر الاخبار الصحيحة ، وتتضمن توجيهات قوات المقاومة الى المواطنين ، كذلك نظمت قوات المقاومة عملية نشر الحقائق عن المقاومة بحيث تصل انباؤها الى خارج المدينة فسهلت للصحفيين المصريين الدخول الى المدينة والحصول على انباء المقاومة وصورها ووثائق عن الفظائع التى ارتكبتها قوات الاحتلال لنشرها على المواطنين وعلى الراى العام العالمى ». وقد بقى بعض الصحفيين المصريين فى المدينة حيث اصدروا صحيفة « **الانتصار** » التى كانت صوت حركة المقاومة .

لقد استطاعت المقاومة الشعبية فى بورسعيد ان تمنع الغزو الاستعمارى من ان يتوسع ، حتى حاصرته بالفعل فى شريط ضيق فى مدينة بورسعيد ، كما ان حركة الاستعداد الشاملة على المستوى الرسمى والشعبى فى مدن القنال جعلت العدو يتردد قبل ان يغامر باحتلالها ..

وليست هذه هى آخر المعارك ، فمنا زال الطريق طويلا (٥٢) ».

(٥٢) من المراجع العامة التى اعتمدنا عليها مؤلفات المؤرخ عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية فى جزءين ـ عصر محمد على ـ الثورة العرابية ـ ثورة ١٩١٩ ـ فى اعقاب الثورة ٣ اجزاء) ودراسة الدكتور محمد انيس ـ دراسة فى المجتمع المصرى من الاقطاع الى الاشتراكية ـ المعهد العالى للدراسات الاشتراكية .



لطفى الخولى

مضى حوالى ستة اشهر على وقوع العدوان الاسرائيلى الامبريالى على البلاد العربية. وماتزال اسرائيل بتأييد مادى ومعنوى من الامبريالية العالمية ــ وبالذات الامريكية ــ تحتل مساحات جديدة من الارض العربية فى مصر وسوريا والاردن . رافضة الانسحاب الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ، ومتعرضة بالتالى لمقاومة شعبية مسلحة تتزايد باستمرار ، ومصطدمة بموقف عربى حاسم نابع عن ارادة شعبية جماعية فى وجه محاولاتها لفرض شروطها بالقوة . وهى شروط تعنى فى النهاية تصفية نضال الشعب الفلسطينى من اجل حقوقه القومية المغتصبة ، واستسلام الوطن العربى لقيود الاستعمار الجديد والعنصرية الصهيونية .

ولم تفلح حتى الان كل الجهود التى بذلتها الاسرة الدولية ــ فى نطاق الامم المتحدة ــ من اجل حمل المعتدى على الانسحاب وتسوية الازمة الملتهبة التى فجرها العدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط ، تسوية سلمية عادلة .

بل على العكس ، نشطت كل من الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية العالمية فى استخدام نفوذهما الاخطبوطى المدمر فى الامم المتحدة لشل اجهزتها عن الحركة الصميمة فى اتجاه تنفيذ بديهيات القانون الدولى التى تدين العدوان وتحرم على المعتدى جنى ثمار من عدوانه .

واستغلت اسرائيل هذه الظروف بالاضافة الى احتلالها لمناطق استراتيجية فى البلاد العربية الثلاث (مصر وسوريا والاردن) للقيام بعمليات

عدوانية محدودة بين آن وآخر، وعلى الأخص في منطقة قناة السويس، ضاربة عرض الحائط باتفاقية وقف اطلاق النار. وذلك بهدف اعمال الضغط بالقوة من اجل رفع راية التسليم والمساومة في الجانب العربي او جزء منه على الاقل.

في حين ان القوى العربية قد استطاعت ان تتخطى هوة الهزيمة العسكرية، وتضمد للموقف المصيب وتزيد من قدراتها الدفاعية. واستعادت في نفس الوقت نسبة كبيرة من حريتها على الحركة والمبادرة: تكتيكيا واستراتيجيا.

وفي سبيل التقي الموضوعي لاتهامها بأنها تتلاعب بقضية السلام العالمي ـ وهو اتهام يجب ان نعترف بأن الصهيونية والإمبريالية نجحتا في اقناع قسم كبير من الرأي العام العالمي به ابان الحرب ـ عمدت القوى العربية الى هدم اغلاق الابواب امام جهود الأسرة الدولية ومنظمتها في محاولاتها لحل الإزمة بالطرق السلمية. ولكن على اساس التأكيد بأن السلام لا يمكن تحقيقه بدون العدل. وانه لا يمكن الفصل بينهما واقعيا.

١ خريطة السياسة الدولية للصراع: عزل محور واشنطون ـ تل أبيب عن أوروبا

ورغم ان هذه المحاولات ما برحت تتعثر في دهاليز الامم المتحدة التي اصبحت اشبه « ببيت جحا الثعباني السالك » المعروف في أساطيرنا الشعبية. فان ذلك قد حقق خمس نتائج ايجابية على الاقل .. لا شك فيها:

اولها: صدور قرارين من الجمعية العامة للامم المتحدة ضد اقدام اسرائيل على ضم القدس العربية اليها اداريا. والقى بذلك ضوءا مركزا وكاشفا لخطط اسرائيل العنصرية التوسعية في المنطقة التي كانت تخفيها بذكاء ومهارة عن الراي العام العالمي.

وثانيها: اقتناع القسم الاكبر من الدول والراي العام العالمي بعدم جدوى وواقعية طلب اسرائيل الاساسي باجراء مفاوضات مباشرة مع العرب. وهو **المطلب** الذي تعتبره اسرائيل الثمرة الحقيقية للعدوان من ناحية، « **والمطلب الدولي** » الذي تريد ان توقع فيه العرب والا تلصق بهما اتهام العداء للسلام امام العالم من ناحية اخرى. وقد شرعت تصريحات المسئولين في البلاد الغربية بالذات مثل « **كوف دي مورفيل** » وزير خارجية فرنسا ثم «**جورج براون**» وزير خارجية بريطانيا ثم وبالتحديد دين راسك وزير خارجية امريكا نفسها، تؤكد على عدم واقعية هذا المطلب الاسرائيلي، واخيرا توج ذلك بتصريح محدد من « **يوثانت** » سكرتير عام الامم المتحدة في ١٨ سبتمبر يؤكد فيه ان «**الدعوة الى اجراء مباحثات مباشرة بين اسرائيل والدول العربية هي دعوة غير عملية** »

وثالثها: اكتساب طلب الدول العربية، تساندها في ذلك الدول الاشتراكية والاسيوية الافريقية، بضرورة الانسحاب الفوري والكامل للقوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة تأييدا شبه اجماعي من الدول الاخرى والراي العام العالمي بحيث اصبح هذا الطلب هو « **المطلب** » الحقيقي المفتوح الثغرة الان دوليا ازاء اسرائيل والامبريالية الامريكية معا، وقد عبر عن ذلك بوضوح قاطع تقرير **يوثانت** السنوي ـ كسكرتير للمنظمة الدولية ـ الى الدورة العادية الثانية والعشرين للجمعية العامة (١٩ سبتمبر ١٩٦٧) بقوله:

« هناك شبه اجماع في الراي من حيث المبدا على انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها، لانه لا يمكن للعالم ان يقبل المكاسب الاقليمية التي حققتها اسرائيل عن طريق الغزو. اذ ان من شأن هذا ان يؤدي الى نتائج مدمرة اذا تخلت الامم المتحدة وساومت على هذا المبدا ».

ورابعها: عرت المعركة السياسية في الامم المتحدة وما صاحبها من مناورات، دور الولايات المتحدة الامريكية التخريبي لفاعلية المنظمة الدولية وقدراتها على تطبيق ميثاقها. وذلك بما استخدمته من اساليب الضغط المتعددة ـ حماية لاسرائيل ـ على كثير من الدول الواقعة في دائرة نفوذها، وخاصة دول امريكا اللاتينية. وقد بلغ الضغط درجة قاسية سبب اهانة دولية مكشوفة لعدد من الدول اللاتينية، الامر الذي سبب ردود فعل مضادة لدى بعض منها. وامام هذه التعرية الواضحة للولايات المتحدة الامريكية كاداة تخريب وميكروب شلل للمنظمة الدولية ودورها ومستقبلها بالنسبة لسلام العالم وامنه ككل، انبثقت اتجاهات دولية متصاعدة تطالب

بحماية الأمم المتحدة من سياسة امريكا العدوانية.
وقد بدأت هذه الاتجاهات تعبر عن نفسها بأكثر من صورة ، اذ طالب بعض ممثلى الدول الافريقية والاسيوية بضرورة نقل مقر الامم المتحدة من امريكا . وطرح البعض مثل « **جوزيب جيريجا** » الدبلوماسي اليوجوسلافى الشهير سكرتير لجنة العلاقات الدولية بالتحالف الاشتراكى اليوجوسلافى ، والسكرتير العام لمؤتمر دول عدم الانحياز الذى انعقد فى بلغراد عام ١٩٦٢ قضية التأثير المدمر للولايات المتحدة على كيان المنظمة الدولية ودورها للمناقشة الدولية على اوسع نطاق وبصورة ملحة وجادة ».

وخامسها : اليقظة الاوروبية الغربية ، التى بدأت فى فرنسا ، ثم اخذت تمتد اليوم الى دول أخرى فى مقدمتها بريطانيا نفسها ، تجاه العدوان الاسرائيلى الامبريالى يوم ٥ يونيو ، وأنه لم يكن مجرد مؤامرة ضد البلاد العربية وحريتها فحسب . بل كان فى نفس الوقت مؤامرة أسرائيلية - امريكية ضد اوربا الغربية ومحاولتها الاستقلال من التبعية الامريكية . وذلك « **بسجنها** » بعد احتلال اسرائيل لمنطقة سيناء واغلاق قناة السويس فى البحر الابيض المتوسط وقطع الطريق عليها نحو الشرق الاوسط والشرق الاقصى والبلدان الاسيوية الافريقية عموما .

ومعنى ذلك ان « **الجزيرة اليهودية المخلصة الصغيرة** » التى حلم باقامتها **السير رجينالد ستورز** حاكم القدس البريطانى فى كتابه « **توجيهات** » عام ١٩٣٧ لتكون قوة حليفة فى **بحر العروبة المعادى الذى يهدد باستعمال القوة** » لمصالح بريطانيا خاصة واوربا عامة ، قد حولت ولأنها تماما للاستعمار الاقوى المعاصر وهو امريكا ، فى تناقضه الحالى مع المصالح الاوربية . واصبحت اسرائيل بالتالى « جزيرة يهودية مخلصة لواشنجتن » ، تهدد تهديدا جادا اوربا الجديدة فى علاقاتها مع الشرق الاوسط خاصة والعالم الثالث عامة .

وقد حلل هذا الوضع الخطير بالنسبة لاوربا احد الكتاب الديجوليين المعروفين « **بيير دى ايستريا** » فى مقال هام نشر يوم ٦ اكتوبر بجريدة « **تريبون دى ناسيون** » الفرنسية جاء فيه :

« فى الواقع إنها ضربة معلم - يقصد العدوان الاسرائيلى - ، لانه لاول مرة فى التاريخ تقوم الولايات المتحدة بالاشتراك مع تل ابيب بسجن اوربا فى البحر الابيض المتوسط ، ومنع الطريق المؤدى الى الشرق الاقصى عنها ، وقطع مواصلاتها مع جزر الهند والمحيط الهندى . ان مستقبل اوربا مهدد فى السويس نقطة لقاء البحر المتوسط الاوربى والعالم الافرواسيوى . بل والنقطة الحيوية للكون، قلب الصناعة والحضارة الحديثة .

وقد ضربت استراتيجية البنتاجون ضربة حاسمة بسماحها للقوات الاسرائيلية ، احتلال القناة كهدف اول ، وبذلك اعلنت الحرب على اوربا وخاصة فرنسا . كما زادت من عزلة اندونيسيا وفيتنام . وقامت السلطات الاسرائيلية باحتقار جميع التعهدات ، بل انها جعلت نفسها شريكة « لاوربا الصغيرة » استعدادا منها لهذه اللعبة الشيطانية . وبسخرية غريبة قلب الزعماء الاسرائيليون الاوضاع وصاحوا بخيانة فرنسا وحكومتها ، بينما هجومهم المبيت لا يهدف الا الى تحويل البحر الابيض المتوسط الى « اطلنطى امريكى » ودفع الغرب الاوربى الى التبعية الامريكية وتصفية سياسة الجنرال ديجول .

حقا ان قناة السويس لا تعنى شيئا بالنسبة لامريكا . ولكنها شريان حيوى لاوربا .. انها احدى طرق تأمين سيادة البحر الابيض المتوسط فى تمويل البترول . ففى عام ١٩٦٢ كان ١٠ ٪ من ناقلات البترول تعبر الاطلنطى ، مقابل ٤٠ ٪ من الناقلات تعبر البحر المتوسط . اى ان ما يقرب من ٨٠ ٪ من البترول الذى تستورده اوربا قادم عن طريق البحر المتوسط »

ويمضى « **داستريا** » فى تحليله للعدوان الاسرائيلى واثره على « الصراع الامريكى الاوربى » فيقول :

« وهكذا تدعى امريكا انها ببدء عصر الناقلات العملاقة تقضى على سيادة وجدوى البحر الابيض المتوسط - يقصد هنا الدعوة الامريكية التى راحت تزعم بأن قناة السويس لم تعد ذات اهمية لان عصر ناقلات البترول الصغيرة ذات الحمولة المتوسطة قد قارب النهاية فاتحا الطريق لعصر الناقلات العملاقة ، وان قناة السويس فى الحقيقة ليس لها من فائدة اليوم الا تمويل الميزانية المصرية ، وانه باغلاق العدوان الاسرائيلى لهذا الممر المائى قد حكم بالاعدام على مصر الثورية التى تسبب الاضرار الفادحة للمصالح الغربية - . وكم من المراقبين او من الساسة الفرنسيين هللوا لهذا العمل . بيد ان هذا التهليل فى الحقيقة ينبع اما من دافع الادب واما من سوء الحكم او الجهل بالدورة الاقتصادية الفرنسية والاجنبية .

ولم يكن من قبيل الصدف البحتة ان تقرر فرنسا ، فى اللحظة التى وصلت فيها بسياستها الى ابعاد عالمية (فى الامبراطورية الفرنسية

الثانية) فتح قناة السويس . واظهرت بريطانيا حماسا شديدا في ذلك الوقت لدرجة انها اصبحت بالفعل عبدا للقناة . فالقناة عمل تاريخي فرنسي حدد المصائر الفرنسية وحدد معه المصائر المصرية .

واذا كان لا يوجد الا تجارة البترول فقط ، فان هناك حول السويس . بل وفي السويس نفسها لقاء ، يجعل القاهرة نقطة تلاقي فريدة لاوربا والعالم الثالث . لذلك فانه بضرب السويس ، امسكت واشنطون ورقة رابحة ليس لها مثيل في مفاوضاتها مع اوربا ، وفي حربها ضد فيتنام .

وفي الحقيقة ان بريطانيا تعاني الكثير الان . فقد اعلنت على لسان جورج براون ان وجودها يعتمد على قناة السويس حيث قال : « فاذا لم يعاد فتح قناة السويس سريعا فان تغييرات خطيرة سوف تحدث في التجارة العالمية » . فالجنيه الاسترليني في خطر ، وتزويد بريطانيا بالبترول قد اصبح عن طريق الاطلنطي وتحت التبعية السياسية والمالية للمورد الامريكي . ولندن نفسها قد اصبحت مهددة كعاصمة للتبادل وكسوق عالمية .

وتاثرت ايضا التجارة الفرنسية . فصلتها مع جيبوتي قد انقطعت ، والبحر الاحمر قد اصبح معزولا . وتعرض الدخل في موانينا الى خسائر ملموسة . ان هدفنا في الاستقلال البترولي بالاتفاقات المباشرة مع الدول العربية .. مع القاهرة ودمشق وبغداد ـ والسويس في وسطها ـ قد اصبح اكيدا في هذه اللحظة .

وروسيا تهدد . فلقد اصبحت قناة السويس ممرا مطروقا لسفنها التجارية والحربية . وان عاجلا أو آجلا ستجد نفسها مضطرة الى اثارة مشكلة الممرات المائية الدولية بما في ذلك قناة بنما . وامريكا لا تستطيع الان ان تمنح نفسها حق احتكار هذه الممرات » .

وينهي «داستريا» تحليله الى النتيجة الخطيرة التالية بالنسبة لاوربا والعالم ككل :

« ان التاريخ والجغرافيا ليشهدان على ان مصالح الشرق العربي واوربا الكبرى مرتبطة ارتباطا وثيقا . وامام هذا التحالف الكامل الذي يربط واشنطون بتل ابيب لهدم الاوضاع القائمة ، نتساءل الى اي مدى يمكن ان يقوم تحالف اخر بين العواصم الاوربية والعالم العربي من اجل انقاذ هذا الوضع نفسه ... ان جميع وزارات الخارجية مقتنعة بان المعركة الحقيقية لقناة السويس قد بدأت وانها قد تمتد الى جميع الممرات المائية . والفيتنام قلقة ، تنظر ، كما لم تفعل من قبل ناحية هذا « السويس » الممنوع على اصدقائها . نعم ان « التعايش السلمي يمكن ان يموت هو ايضا على شاطيء قناة السويس .. وسنرى حينئذ فيم تستخدم هذه القناة » .

لقد حرصت على ايراد معظم فقرات هذا التحليل الذي ينبع من الفكر الهادف الى قيام (**أوربا المتحررة عن التبعية الامريكية**) وهو الفكر الذي يشق طريقه بقوة متزايدة الان في اوربا الغربية . وذلك منذ توقيع معاهدة روما عام ١٩٥٦ بانشاء السوق الاوروبية المشتركة وتطوراتها الاخيرة التي اصطدمت فيها اصطداما عنيفا مع المصالح الاحتكارية الامريكية . وعودة ديجول الى الحكم عام ١٩٥٨ بسياسته الفرنسية المستقلة واوربا الكبرى الحرة حتى الاورال . واثبت هذا الفكر الاوربي الجديد وزنه وفاعليته امام حرب فيتنام التي تشنها الولايات المتحدة الامريكية . فقد فشلت كل الجهود التي بذلتها من اجل توريط اي من حلفائها الاوربيين للمساهمة المباشرة والرسمية في الحرب . ثم جاءت حرب الشرق الاوسط التي فجرتها اسرائيل بتحريض ومساعدة الولايات المتحدة في ٥ يونيو امتحانا حاسما لسلامة هذا الفكر الاوربي الاستقلالي عن امريكا . فقد تأكد ان محور واشنطون ـ تل ابيب استهدف فيما استهدفه بهذه الحرب العدوانية ضرب الجسور القائمة بين اوربا الغربية وبين الشرق الاوسط عامة والشرق العربي خاصة .

ولكي نلتزم الدقة في التحليل فان الامر يستوجب ان نستبعد « **المانيا الغربية** » من تيار الفكر الاوربي الاستقلالي الجديد ونضمها الى « محور واشنطون ـ تل ابيب » . ولعل ذلك يرجع اساسا الى قوة نفوذ الاحتكارات الامريكية في المانيا الغربية من ناحية والى العلاقة الخاصة المشبوهة بين المانيا الغربية واسرائيل وجنوب افريقيا ، حيث تركز العناصر الحاكمة في الدول الثلاث من ذوي الاتجاهات العنصرية والنازية جهودها المشتركة في اتخاذ اسرائيل ميدانا للتصنيع العسكري الذي يصل الى درجة الاسلحة النووية ، وذلك بعيدا عن اعين الراي العام في اوربا .

ولقد اتضح اخيرا سر خطير من اسرار حرب ٥ يونيو يكشف التواطؤ الاجرامي بين المغامرين من العسكريين والسياسيين ذوي الاتجاهات النازية في كل من المانيا الغربية واسرائيل . وكان احد زعماء الحركة اليسارية في بريطانيا قد اشار لي عنه تلميحا بقوله « استطيع ان اؤكد لك ان هناك دلائل تشير الى ان المانيا الغربية امدت اسرائيل بنوع من الغازات السامة الجديدة لاستخدامها في حربها ضد العرب . كما ان جنوب

افريقيا امدها باكثر من اربعة الاف من المظليين والطيارين وقادة الدبابات »

وفى اول سبتمبر ١٩٦٧ كشفت جريدة « لاتريبون دى ناسيون » الفرنسية فى مقال بتوقيع « I.O » الابعاد الكاملة لهذا السر الخطير

كتبت الجريدة تقول بالحرف الواحد :

« كانت الخطة الاستراتيجية التى وضعها موشى ديان والجنرال رابين تشتمل على مرحلتين: الاولى : تدمير القوات الجوية العربية تدميرا تاما لضمان السيادة المطلقة على الجو ، والتقدم السريع للوحدات الضاربة ناحية سيناء بهدف تصفية الجيش الناصرى فى نفس الوقت . اما الثانية : فهى الاستيلاء على اهم المواقع الاستراتيجية العربية واولها القاهرة ودمشق .

ومن المعروف ان المرحلة الاولى للخطة العامة قد نفذت ، اما المرحلة الثانية فقد كانت محل مناقشات بين قادة الجيش الاسرائيلى حتى قبيل بداية العمليات العسكرية لانها تتعلق بمدن كبرى آهلة بالسكان ، ذات شوارع ضيقة تسمح للزعماء العرب بتنظيم معارك طويلة الامد فى شوارع عواصمهم .

ورغم ان هذه المرحلة الثانية كانت ستؤدى الى نتائج سيئة للغاية بالنسبة لاسرائيل ... فقد كانت هناك خطة لتنفيذ المرحلة الثانية التى اوقفها قرار وقف اطلاق النار يوم ٩ يونيو . وهذه الخطة كانت تتضمن تطبيق وسائل جديدة للغازات السامة ، تنتمى الى نوع من التوكسين (سموم تنتج من الميكروبات) مستوردة من المانيا الغربية . وهذه السموم المعدة فى المعامل الالمانية تنتسب الى مجموعة سموم « باسيليه » ، ولها خاصية فى التسميم تتعدى قوة المواد الفسفورية العضوية التى تشل الاعصاب بدرجة توازى ثلاثة او اربعة اضعاف (اى من ١٠٠٠ الى ١٠ الاف مرة) .

وتمضى الجريدة الفرنسية فى كشف هذا المخطط النازى لبون وتل ابيب فتقول :

« وكان القائد الاسرائيلى الذى يرغب فى استخدام هذا السلاح الخطر يبنى نظريته على اساس استحالة التمييز بين نتائج هذا الغاز السام وبين عوارض مرض وبائى خطير . وتمتد فترة تأثير هذه المادة لمدة عدة ساعات تدخل خلالها الوحدات الضاربة للجيش الاسرائيلى المزودة بالاقنعة الخاصة المدن العربية بلا اى مقاومة .

والسرية المطلقة لهذا السلاح تم توزيع عشرين الف قناع خاص للوقاية من هذه الغازات على الوحدات الضاربة الاسرائيلية قبل عزمهم البدء فى هذه العمليات . وقد اعيد ارسال هذه الاقنعة الى المانيا الغربية عندما اصبح من الواضح ان الموقف لن يسمح باستخدامها . وطبقا لاتفاق موقع عليه مقدما ، ارسلت الاقنعة الى المانيا دون ان تنزع من اغلفتها » .

والواقع انه اذا استثنينا الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية وجنوب افريقيا والدوائر المحيطة بهذه الدول الثلاث من الحكومات والراى العام المحدود ، فان هذه النتائج الايجابية الخمسة قد كسبت للقضية العربية ارضا سياسية جديدة فى الغرب او على الاقل «حيدتها» بالنسبة لطرفى الصراع بعدما كانت رصيدا لصالح العدوان الاسرائيلى . فاذا حسبنا بجانب هذه الارض الجديدة ما تتمتع به القوى العربية باستمرار من تأييد الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وبقية البلاد الاشتراكية والمجموعة الاسيوية الافريقية ، امكن لنا القول بأن ثمة تغييرا ليس باليسير قد حدث فى الخريطة السياسية الدولية للصراع العربى الاسرائيلى اليوم ، وذلك فى صالح العرب . ويتجسد ذلك فى ان اسرائيل قد انتقلت فى الحقل السياسى الدولى — لاول مرة بعد ٥ يونيو — الى موقف الدفاع بعد ان كانت دائما فى وضع هجومى . فى حين انتقل العرب اخيرا الى مركز الهجوم بعد ان كانوا — حتى وقت قريب — فى وضع دفاعى بحت .

٢ الخريطة العسكرية للصراع : ضرب إيلات والمقاومة المسلحة واقع كل يوم

وإذا انتقلنا من رؤية «الخريطة السياسية الدولية » الى رؤية « الخريطة العسكرية للصراع » بعد حرب ٥ يونيو فسنجد ان ثمة تغييرا آخر قد حدث بالفعل .

ولعل الظاهرة التى تبلور حدوث هذا التغيير على مستوى « ميزان القوى العسكرية الكلاسيكية » هو اغراق البحرية المصرية للمدمرة الاسرائيلية « ايلات » بسبب اختراقها للمياه الاقليمية مساء السبت ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ .

ففى هذا اليوم تأكد موضوعيا ان القوى

العسكرية للجيش المصرى قد استعادت بالفعل قدرتها الدفاعية الضاربة بعد حرب الايام الستة من يونيو . وان المائة والثلاثة والثلاثين يوما التى توالت منذ العاشر من يونيو الى الواحد والعشرين من اكتوبر لم تكن اياما زمنية عادية تحسب كل منها بساعاتها الاربعة والعشرين المحدودة ، وانما كانت اياما تاريخية بالنسبة للجيش المصرى العربى ومستقبله كل دقيقة فيها تساوى فعليا عشرات الاضعاف من قيمتها الزمنية ، بناء وتدريبا . سواء على المستوى الفني او السياسي او الاجتماعي .

وقد جاء ذلك مفاجأة غير متوقعة للعدو الذى كانت حساباته ـ حسب تقديرات ديان ورابين ـ تؤكد بأن الجيش المصرى لن يستعيد قدرته بعد هزيمة ٥ يونيو ، قبل ثلاث سنوات على اقل تقدير . ومن هنا كانت موجة الهستيريا التى اصابت الحكام الاسرائيليين ، عسكريين ومدنيين كرد فعل لاغراق ايلات . وهى موجة راحت تنادى بشن حرب عدوانية جديدة على الفور . ولكن هذه الموجة سرعان ما انحسرت ، بعد جس النبض الانتقامى الذى قام به العدو ضد مدينة السويس والمنشآت البترولية فيها فى ٢٤ اكتوبر ، واصطدم بدفاع عنيف رادع . وخرج ديان فجأة ليعزف على نغمة السلام والتزام اسرائيل بوقف اطلاق النار واوامره الى جنوده بضبط النفس ، وراح على حد وصف مراسل الاذاعة البريطانية فى تل ابيب يهدل بتصريحات ناعمة كما يهدل الحمام .

وبالطبع فان ((**هديل ديان**)) لم يعد يخدع احدا . فالعرب اصبحوا اوعى من ان يلدغوا من ((**حمام النابالم الاسرائيلى**)) اكثر من مرة .

بيد ان هذا ((الموقف الاسرائيلى بعد ايلات)) يعنى ان القدرة الدفاعية الرادعة للجيش المصرى قد اصبحت حقيقة واقعة خلال ١٣٣ يوما فحسب ، غيرت بالتالى من درجة رجحان كفة الميزان العسكرى للصراع لصالح الجيش الاسرائيلى عند وقف اطلاق النار فى ٩ يونيو ١٩٦٧ .

ولعل الدليل على ذلك هو توقف العدو منذ ٢٤ اكتوبر حتى كتابة هذه السطور فى ٢٢ نوفمبر عن خرق وقف اطلاق النار والقيام بعمليات عدوانية محدودة فى منطقة قناة السويس . فلم يحدث منذ وقف اطلاق النار ان سكت العدو عن العدوان طيلة شهر كامل خلال الفترة من ٩ يونيو الى ٢٤ اكتوبر .

واستعادة الجيش المصرى لهذه القدرة خلال ١٣٣ يوما ليس بمعجزة تتحقق فى زمن لا يعرف المعجزات . وانما هى تجسيد حى لاعادة بناء الجيش ، فنيا وتنظيميا وبشريا وقيادة ، فى مناخ الحركة الثورية التى اطلقتها جماهير ٩ و ١٠ يونيو . وارادة الضباط والجنود الشبان من ابناء الفلاحين والعمال والطبقة الوسطى الوطنية والصغيرة ، الذين يكونون القوة الرئيسية للجيش بأسلحته المختلفة ، فى ان يثبتوا لشعبهم بأسرع وقت ممكن وبأعظم كفاية تنظيمية وتكنيكية ، ان الهزيمة ليست منهم ، وانما هى ابنة شرعية لفئة البيروقراطية العسكرية ، التى تكلست اجتماعيا بامتيازاتها على قمة الجهاز العسكرى ، قبل ان تصفيها القوى والقيادة الثورية .

وحساب التغيير فى ((**الخريطة العسكرية للصراع**)) يكون ناقصا اذا اقتصرنا على رصد التغيير فى ميزان القوى العسكرية الكلاسيكية ، ولم نحسب معه تفجر المقاومة الشعبية ، السلبية منها والمسلحة فى الاراضى العربية المحتلة وداخل الكيان الاسرائيلى معا .

وفى هذه النقطة تتزاحم الوقائع ويزداد عمقها ونطاقها على الدوام . ولا نريد هنا ان نستند الى المراجع العربية من امثال منشورات المقاومة فى الضفة الغربية والقدس ومرتفعات جولان وغزة ، ولا الى البيانات العسكرية عن عمليات منظمة العاصفة التابعة لحركة الفتح الفلسطينية . وانما نستند اساسا الى المراجع الاجنبية والغربية منها بالذات ، وكذلك الى المراجع الاسرائيلية نفسها .

● كتب ((**فيكتور مان**)) فى جريدة ((**لى بوبيولير دى بارى**)) فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ يقول :

((وعلى بعد عدة كيلو مترات من غزة ، ذهبنا لزيارة معسكر اللاجئين . لقد كان مليئا بالاطفال من جميع الاعمار ، بهيو الطلعة ولكنهم قذرين ويرتدون الاسمال . لقد رد علينا احد الاطفال عندما سألناه قائلا ((لم نفقد الحرب . سيعود المصريون وسيقتلون جميع اليهود)) . لقد قال ذلك دون خوف وبابتسامة دائمة الى الجندى الاسرائيلى)) .

● واصدر الجنرال ((ايجال الون)) وزير العمل تصريحا فى ٢٦ سبتمبر يقول فيه :

((ان عمليات حرب العصابات العربية ليست شيئا آخر غير الحرب نفسها)) .

وكتب ((**اندريه شماما**)) ، وهو صهيونى ،

يحتل مندوبا لجريدة « الموند » الفرنسية في تل ابيب يقول في ٢٨ سبتمبر :

« بعد أن أحرزت السلطات الإسرائيلية نجاحا ملحوظا في مقاومة الارهاب بالاراضي المحتلة ، وقعت حوادث جديدة . ففي ليلة الاربعاء الماضي جنح احد القطارات الاسرائيلية على اثر انفجار شحنة من الديناميت بمنطقة غزة . وكذلك انفجرت قنبلة في الحي العربي بمنطقة الرملة على بعد حوالي عشرين كيلو مترا من تل ابيب . ولقد وقعت السلطات الاسرائيلية عقوبات بالسجن على العرب الذين شاركوا في تلك الحوادث ودمرت المنازل التى اختبأ فيها الفدائيون .

وفي عملية المطاردة الكبيرة للمجموعات الارهابية العربية حول مدينة نابلس ، أضطرت السلطات الاسرائيلية الى اللجوء الى وحدات هامة من الجيش والبوليس .. ولقد بلغ عدد الذين زج بهم في السجن ما يقرب من مائة وخمسين على الاقل وقع معظمهم في الاسر والسلاح في ايديهم . واشارت اجهزة الامن في تصريحاتها الى أن هناك مجموعتين تقومان بالعمل الارهابى : منظمة الفتح ، ومنظمة تحرير فلسطين ..

ويؤكد المسئولون انه باستثناء مصطفى حامد رئيس المجموعة في منطقة حبرون ، والذى تم القبض عليه منذ عدة اسابيع ، فان جميع الارهابيين المأسورين لم يكونوا من سكان الضفة الغربية ولا من سكان غزة ..

وبحسب المعلومات الصادرة عن السلطات العسكرية الاسرائيلية يوجد بين العناصر التي تم القبض عليها شبان كانوا يواصلون دراساتهم في اوربا وتلقوا التدريب اللازم على عمليات التخريب في الجزائر .. وليس هناك ثمة من يعتقد أن ضرب العصابات الارهابية في المنطقة يمكن ان يضع حدا نهائيا للعمل الارهابى . فالعناصر المقبوض عليها سوف تحل محلها دون شك قوى جديدة » .

● وكتب « فيكتور سيجيلمان » في مجلة « نوفيل اوبزرفاتير » في ٤ أكتوبر يقول :

« ليس من شك في ان من يجتاز مدن وقرى الاردن المحتلة اليوم ، يشاهد فيها آثار الاصطدام بين الجيش الاسرائيلي ومنظمات المقاومة العربية . ان المقاومة العربية لم تعد قاصرة على اضراب المدارس او اغلاق الحوانيت التجارية او طلبات الاحتجاج . وفي الحقيقة ان هناك قضيتان كانتا تبدوان أمرا اكيدا بالنسبة للسلطات الاسرائيلية مدنية كانت ام عسكرية ، اصبحتا الان مشكوكا فيها . والقضية الاولى كانت تؤكد ان اسرائيل لا يجب ان تخشى من مقاومة عربية لان الفلسطينيين ليسوا كالجزائريين ولا الفيتناميين ، بمعنى انهم غير قادرين على تنظيم حركة مقاومة جادة . اما الثانية فهى انه مهما كانت مساوىء الاحتلال الطويل للاراضي العربية ، فان اسرائيل سوف تستفيد منه بشعورها بالامن والطمانينة ، لان هذه الحدود قد ابعدت المدن والقرى اليهودية عن الحدود وجعلت مهمة اعضاء منظمة الفتح صعبة ان لم تكن مستحيلة ، كما ان المدفعية السورية لم تعد في استطاعتها ضرب الكيبوتز ، والمدافع المصرية لم تعد قادرة على ضرب ناحال ، وقنابل المدفعية الاردنية لم تعد تتساقط على القدس .. لقد اصبح الامر اليوم على العكس تماما .

كان هذا صحيحا .. حتى جاءت ضربات منظمة الفتح الموجهة الى قلب اسرائيل نفسها ، والتي وصلت الي حد وضع ثلاث قنابل على سور منزل ليفى اشكول ، والوصول الى ساحل البحر الابيض المتوسط لخير دليل على زعزعة امن اسرائيل الناتج عن الحدود الجديدة ..

ان من يعتقدون ان الفلسطينيين غير قادرين بطبيعتهم على تنظيم حركة مقاومة يرتكبون خطا ، ليس فقط عن عنصرية ، بل ايضا عن عناء . فالمقاومة العربية تضع اسرائيل امام مشاكل خطيرة ، وقمع هذه المقاومة يسيء الى اسرائيل امام الرأي العام العالمي » .

● في احاديث صحفية قامت بها الصحف الاسرائيلية بعد العدوان مع عدد من العرب في الاراضي المحتلة ظهر بوضوح طابع المقاومة العربية الشامل للاحتلال الاسرائيلي .

سألت جريدة « معاريف » الاسرائيلية في ١٤ يوليو رئيس بلدية غزة :

— لماذا لا يفتح التجار في غزة حوانيتهم ؟

— لانه لا ثقة لهم . هناك الكثير من اعمال النهب والسرقة والعنف . ان الوضع غير مستقر وليس ثمة احد يعرف ما سيحدث .

وتصف « معاريف » رئيس بلدية غزة فتقول : « وجوهر الامر لديه هو الحذر . انه لا يقول كلمة واحدة تندد بالحكم المصرى ولا يفهم من اقواله انه مؤيد للحكم الاسرائيلي . ويقولون انه تغيب عن حضور حفل استقبال وزير الدفاع

موشى ديان . وقال اصدقاؤه انه كان اذ ذاك مريضا ولكنه فى اليوم التالى جاء الى مكتبه » .

وفى نفس اليوم (١٤ يوليو) نشر صحفى اسرائيلى يدعى « أمنون كابيلوك » فى جريدته « عل همشمار » مقالا من لقاء له مع بعض رجال نابلس فى الضفة الغربية يقول فيه : « واجهنى بعضهم بقولهم قد تستطيعون الانتصار علينا مرة ثانية وثالثة ، ولكن اذا انتصرنا نحن مرة واحدة فستتوقف دولتكم عن الوجود .. هذا ما قاله حتى زعماؤكم . وقال آخرون ان تأييد السوفيت لنا يزداد ولا مناص من توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتى اكثر فاكثر . لقد انتهى الغرب هنا . ونحن لا نخاف الشيوعية إذا ساعدنا الاتحاد السوفيتى على استعادة ما خسرناه . واردت ان اجادلهم ولكنهم بدأوا فى اظهار علائم الضجر واكثروا من التطلع الى ساعاتهم فالوقت مساء ونظام منع التجول على وشك أن يبدأ » .

● وكتبت جريدة « مرحاب » الإسرائيلية فى افتتاحية عددها الصادر يوم ٢٤ سبتمبر تقول : « منذ ان ظهرت بوادر التمرد الاول فى مدن الضفة الغربية ، وهى آخذة فى خط الصعود المستمر . واصبحت تتسم بطابع العنف . وهناك اسباب مختلفة للانتقال من التحريض الى العمل . والهدف ثلاثى : عدم استقرار الحياة فى المناطق المحتلة وداخل اسرائيل ، وتحريض السكان على عدم التسليم بالحكم الإسرائيلى كحقيقة واقعة ، واظهار استمرار النضال المسلح ضد اسرائيل امام عيون العالم . ان تزايد اعمال التخريب تضع امام القوات الاسرائيلية قضية الامن » .

● واخيرا فى اكتوبر ، بعد ان اتسعت عمليات المقاومة المسلحة وشملت « كل اسرائيل » على حد تعبير رئيس اركان حرب الجيش ، وبلغت حد الجراة فى الهجوم على ثكنات الجيش الاسرائيلى بالمدافع على غرار اسلوب ثوار جبهة تحرير فيتنام ، صرح ديان بأن « على الاسرائيليين ان يوطنوا انفسهم على مواجهة حرب عصابات عربية طويلة » . وذلك بعد ان كان قد اكد من قبل القضاء على « اوكار العصابات العربية » .

ماذا يعنى هذا كله ؟ انه يعنى ان المقاومة العربية المسلحة فى الارض المحتلة بعد ٥ يونيو وفى فلسطين العربية قد غدت « واقع كل يوم فى اسرائيل » باعتراف قادة اسرائيل . وان طلائع الشعب الفلسطينى قد مارست حقها الشرعى فى تحرير بلادها وفتحت بالفعل جبهة قتال داخل الارض التى يحتلها العدو .

ومن هنا فان احتساب عاملى المقاومة المسلحة الداخلية واستعادة القدرة الديناميكية الرادعة للجيش المصرى فى تقدير الموقف العسكرى بعد خمسة اشهر من العدوان ، قد غير الميزان العسكرى للصراع . فلم يعد « العدو » فى مركز الهجوم المطلق و « العرب » فى المقابل فى مركز الدفاع المطلق . وانما صار الوضع بالنسبة للجانبين هجوما ودفاعا فى نفس الوقت .

٣ إسرائيل من الداخل : "شعب من القتلة والمقتولين"

ولكن ابعاد الصراع وحركته واتجاهاته لا تتحدد فحسب بخطوط التغيير فى كل من الخريطة السياسية الدولية والخريطة العسكرية . بل ان هذه الخطوط فى النهاية ليست الا محصلة الاحداث والتطور فى كل من الجبهة الداخلية لاسرائيل من ناحية والوطن العربى من ناحية اخرى .

ماذا اذن عن الجبهة الاسرائيلية بعد ستة اشهر من العدوان ؟

ان هدف العدوان من الزاوية الاسرائيلية البحتة هو فرض القيود والاعتراف من جانب العرب « المهزومين عسكريا » باغتصاب الصهيونية العنصرية لفلسطين وبالتالى تصفية القضية الفلسطينية ، وفتح الطريق امام الحركة الصهيونية للتوسع وبناء « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات دون مقاومة . ذلك كى تكتسب اسرائيل ــ جغرافيا وبشريا وموارد ــ مقومات الدولة التى تفتقدها حتى اليوم . ويتوفر لها جو الامن والاستقرار الداخلى ، فيتيح لها نجاحا فى استئناف حركة الهجرة اليهودية الواسعة الى اسرائيل من جديد ، وموازنة اقتصادها الغير طبيعى بتوسيع لعمليات السوق والاستثمار .. الخ .

اى باختصار تحقيق ما تسميه اسرائيل منذ حرب ١٩٤٨ « بالسلام » . وتركزت التعبئة فى

اسرائيل والعالم الاستعمارى لعدوان ٥ يونيو ، بأنها « الحرب الخاطفة والحاسمة من اجل فرض السلام الاسرائيلى على العرب ، بمجرد ضرب القوة العسكرية العربية خلال اسبوعين او ثلاثة اسابيع على الاكثر » ، كما عبر عن ذلك احد قادة الحركة الصهيونية فى امريكا .

فهل امكن للعدوان بعد مرور حوالى ستة اشهر كاملة تحقيق هدفه ؟

يجيب على هذا السؤال « بن جوريون » زعيم حزب « رافى » الذى ينتمى اليه « الجنرال ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى ، وذلك فى اجتماع مركزى لحزبه : **((انه رغم ان حرب ١٩٦٧ كانت انتصارا كبيرا الا ان الحمقى وحدهم هم الذين يعتقدون ان هذه هى آخر حرب بين العرب واسرائيل))** .

واجاب « ليفي اشكول » رئيس الوزراء وزعيم حزب الماباى بقوله : **((رغم انتهاء الحرب فان اسرائيل لم تحل بعد اهم مشاكلها وهى السلام))** .

اما « الجنرال رابين » رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلى ، الذى وصف عدوان ٥ يونيو بانه حملة من اجل السلام فقد اجاب على السؤال فى اوائل اكتوبر بتصريح له فى جريدة **((معاريف))** الاسرائيلية : **((هناك احتمال بحدوث حرب جديدة فى السنوات القادمة ، ولذلك فانى اوصى موطنى بعدم الوقوف عند هذا الحد من الانتصار))** .

ويؤكد نفس الاجابة الجنرال ديان وزير الدفاع معلنا قلقه من **((التطورات السياسية بعد الحرب التى لا تزال قائمة))** .

ومن ناحية اخرى يجيب « ماير فلنر » سكرتير الحزب الشيوعى الاسرائيلى قبل الاعتداء عليه بطعنة من خنجر فى الظهر بقوله فى اجتماع لحزبه بمدينة حيفا خلال شهر سبتمبر **((ان الحرب لم تحل اية قضية سياسية او امنية ، بل عقدت المشاكل القائمة واوجدت مشاكل جديدة . وابعدت اكثر ، امكانيات السلام بين اسرائيل والدول العربية ، وخلقت مشكلة لاجئين اضافية ، وسودت سمعة اسرائيل فى اعين الشعوب العربية والاسيوية والافريقية وشعوب الدول الاشتراكية وحركة العمال العالمية))** .

ان هذه الاجابات النابعة من داخل اسرائيل تلتقى عند نتيجة واحدة موضوعيا ، على الرغم من صدورها عن اتجاهات متعددة متصارعة . وهذه النتيجة هى فشل العدوان فى فرض « السلام الاسرائيلى » بالقوة على الشعوب العربية ، التى زاد تصميمها على مواصلة المعركة ضد المخطط الاستعمارى ــ الاسرائيلى العنصرى فى المنطقة . واكتشف « الاسرائيليون داخل أسوار العنصرية » أنهم تعاطوا « الوهم » عندما صدقوا « اشكول ــ ديان ــ مناحم بيجين » انهم بحرب ٥ يونيو قد كسبوا « السلام على الطريقة الصهيونية العنصرية » . وحين بدأ هذا الوهم ينكشف داخل اسرائيل نفسها نشطت القوى الحاكمة المغامرة الى حملة دعاية مضادة تقول : « انتظروا مؤتمر القمة فى الخرطوم .. ان العرب مختلفين .. والاستسلام مؤكد » . ولكن جاء مؤتمر القمة يعلن على غير ما توقعوا فى ان « لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة مع المعتدى » .

وبالتالى تبخرت « الاحلام » التى نسجت حول « المعتدلين وغير المعتدلين من العرب بالنسبة للعدوان الاسرائيلى » . وقد يكون هناك خلاف داخل الاسرة العربية ازاء اسرائيل « ولكنه ينحصر فقط فى التكتيك لا الاستراتيجية . ومنبع ذلك ان الاستراتيجية قد ارستها الارادة الشعبية العربية التى لا تقبل اية مساومة على حقوق الشعب الفلسطينى من ناحية والعدوان الاسرائيلى التوسعى من ناحية اخرى » .

وغداة اعلان قرارات مؤتمر الخرطوم كتب بعض المعلقين الاسرائيليين **((ها قد تحطمت ايضا اسطورة المعتدلين العرب))** . ولاحظ المراقبون فى اسرائيل بالفعل : ان الدوائر المعادية للحرب العدوانية « وآثارها السحرية » قد بدأت تتسع وتنشط داخل اسرائيل . وكانوا من قبل يحصرون هذه الدائرة فى نطاق الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى يقوده كل من ماير فلنر وتوفيق طوبى ويشكلون قوة محدودة لها ثلاثة نواب بالكنيست (البرلمان الاسرائيلى) ، هم ماير فلنر وتوفيق طوبى واميل حبيبى ، تعتمد على نسبة ١ ٪ من اصوات السكان اليهود وحوالى ٣٠ ٪ من اصوات السكان العرب .

وراحت صدمة « عدم جدوى العدوان وآثاره السحرية » تدفع مزيدا من السكان اليهود ، وخاصة بعد تفجر عمليات المقاومة العربية وصمودها امام موجات الارهاب والقمع الوحشية الاسرائيلية ، الى بدء التفكير بصوت عال فى « الطريق الخطر والمدمر الذى يقود اليه العدوان » مطالبين بسرعة الانسحاب الفورى من الاراضي المحتلة قبل فوات الاوان . ولكن السلطات الحاكمة العدوانية تكبت صوتهم وتصادر كتاباتهم بحجة « الامن القومى » فيعمدون الى وسيلة الاعلانات التجارية فى الصحف . وفوجئت اسرائيل صباح ٢٢ سبتمبر بأول اعلان من ذلك النوع ينشر فى جريدة « هآرتس » موقع بأسماء

« شيمون تصابر ، حاييم هنغبي ، زاق زخرونى ، دافيد ارنفليد ، اورى ليفشتس ، آريه بوبر ، يهودا روزنشطرلوخ ، دان عومر ، دكتور موشيه محوبار ، سيؤورشيرمان ، رائف الياس ، ايلى امينوب » .

ويقول هؤلاء الافراد الاثني عشر فى اعـلانهم بالحرف الواحد :

« حقنا فى الدفاع عن النفس ضـد الابادة لا يعطينا الحق فى اضطهاد الاخرين .

الاحتلال يؤدى الى الحكم الاجنبى .

الحكم الاجنبى يؤدى الى المقاومة .

المقاومة تؤدى الى الاضطهاد .

الاضطهاد يؤدى الى الارهاب والارهاب المضاد .

ضحايا الارهاب هم بشكل عام اناس ابرياء .

مواصلة الاستيلاء على المناطق المحتلة ستحولنا الى شعب من القتلة والمقتولين .

فلنخرج حالا من المناطق المحتلة » .

واهمية هذه الظاهرة تأتى من انها تصدر عن افراد عاديين من سكان اسرائيل توصلوا بانفسهم الى « الحقيقة الموضوعية المحورية للعدوان الاسرائيلى » وهى على حد تعبيرهم تحويل الاسرائيليين « الى شعب من القتلة والمقتولين » . وهو امر تؤكده حياة كل يوم الان .

وليست هذه هى الظاهرة الوحيدة ، فهنـاك ظاهرة اخرى نتجت كانعكاس لحقيقة اخرى مروعة . وهى أن غالبية قتلى وجرحى الحرب العدوانية من الاسرائيليين ينتمون الى طائفة اليهود الشرقيين « **السفرديم** » . ولم يكن هذا مجرد صدفة . وانما يعنى أن القيادة العسكرية الاسرائيلية ، ويسيطر عليها اليهود الغربيون وبالذات من اصول المانية وبولندية مثل « ديان » وزير الدفاع و « رابين » رئيس الاركان قد عمدوا الى وضع الجنود والضباط من اليهود الشرقيين فى الصفوف الاولى واكثر المواقع خطورة دون الضباط والجنود من اليهود الغربيين (الاشكناز) . وذلك تمشيا مع التمييز العنصرى حتى بين اليهود « الاشكناز » المسيطرين واليهود السفرديم . وهو نفس التمييز الذى تتبعه امريكا فى حربها العدوانية عندما تدفع « بالزنوج الامريكيين » الى الصفوف الاولى ، وهو ماتبعته بريطانيا ايضا عندما كانت تعرض للصدمة الاولى فى الجارك الجنود والضباط الاسيويين والافريقيين من مستعمراتها بدلا من البريطانيين . وقد بدأت هذه « الحقيقة العنصرية الدامية » تحدث ردود فعل سلبية داخل البناء الاسرائيلى نفسه .

ولم تستطع الحرب العدوانية ان تمتص البطالة التى كانت تتسع ثغرتها بشكل متزايد فى اسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧ ، والتى بلغت نسبتها وقتذاك طبقا للاحصائيات الرسمية **« عاطل واحد بين كل اربعة عاملين »** . وكانت هذه البطالة والازمة الاقتصادية فى اسرائيل عموما ، احد اسباب العدوان الاسرائيلى التوسعى فى يونيو وذلك فى تقدير غالبية المراقبين .

وامتصت التعبئة الحربية للعدوان البطالة فعلا ، ولكن لمدة لا تزيد على شهر عاد بعدها كثير من الجنود وخاصة من طائفة « السفرديم » من جبهات القتال الى الحياة المدنية العاطلة مرة اخرى بلا شىء غير شهادة من وزارة الدفاع « بالبطولة » . وفشلت كل الجهود التى بذلت لايجاد عمل « للابطال العائدين » . وحسب الاحصائيات الرسمية المعلنة اخيرا فى اسرائيل بعد العدوان ارتفعت نسبة البطالة الى ١٠ ٪ من القوى البشرية القادرة على العمل . وان كان كثير من المراقبين يؤكدون ان النسبة الحقيقية لا تقل عن ١٨ ٪ .

ودفع هذا الجنود العائدين الى البطالة الى التظاهر امام مكاتب العمل صارخين : **« كفانا بطولة .. اعطونا فقط عملا وخبزا »** .

والواقع ان الاقتصاد الاسرائيلى بطبيعته يعانى باستمرار ازمات حادة لانه لا يستند الى قاعدة مستقرة ونامية ، ماديا وبشريا وموارد . وهو يوصف من رجال الاقتصاد العالميين بأنه « اقتصاد طفيلى » معرض للاختناق لو انقطعت عنه الهبات والمساعدات من الخارج وخاصة من الحركة الصهيونية العالمية والمانيا الغربية وكندا وامريكا . وقد بلغت قيمة المعونات الامريكية وحدها ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٤ مبلغ ١٠٧٣ مليون دولار ، وذلك طبقا لما نشرته جريدة **« هايوم »** الاسرائيلية . ومع ذلك فان ميزان المدفوعات الاسرائيلى قد سجل على الدوام عجزا متزايدا دون انقطاع بلغ مجموعه — طبقا لتقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٠ — مبلغ ٣ر٤١٤ر٥ مليون دولار ، وذلك فى السنوات الاحدى عشرة الممتدة من ١٩٥٠ — ١٩٦٠ . بدأت بمبلغ ٢١٨ر٨ مليون دولار عام ١٩٥٠ وانتهت بمبلغ ٣٤١ر٤ مليون دولار عام ١٩٦٠ . وما يزال ارتفاع العجز مستمرا . وهو الامر الذى يؤثر سلبيا بالتالى على مستوى المعيشة . ويؤدى الى ارتفاع الاسعار والتضخم بصفة دورية . وخلال العدوان وبسببه عمدت

القوى الحاكمة المغامرة فى اسرائيل الى اتخاذ عدة اجراءات مالية زادت من عمق الازمة للاقتصاد الاسرائيلى ومستوى المعيشة . فاتخذت فى يوم ٥ يونيو (يوم العدوان) ثلاثة خطوات رئيسية :

اولها : اصدار قانون خاص تحت اسم « قانون ضريبة الامن » رفعت بموجبه الضريبة المستحقة على دخول العمل بنسبة ١٠ ٪ وذلك لمدة عشرة اشهر . كما رفعت الضريبة على الشركات وارباح رءوس الاموال بنسبة تتراوح من ٢ ٪ الى ٥ ٪ .

وثانيها : اصدار قانون بقرض اجبارى جديد يضاف الى مئات القروض السابقة التى تنوء بها الخزينة الاسرائيلية باسم « قانون قرض الامن » قيمته ٢٥٠ جنيها اسرائيليا .

وثالثها : اصدار قانون بسندات جديدة للدولة الاسرائيلية — وهو المعروف باسم قرض الاستقلال — لطرحها فى خارج اسرائيل وبالذات فى امريكا وكندا والمانيا الغربية وبلجيكا بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار .

واعتمد الكنيست فى اجتماعه يوم ١٩ يونيو بناء على هذه القوانين ميزانية حربية خاصة لمواجهة نفقات العدوان ، وذلك بزيادة قدرها ٣٥٠ مليون جنيه اسرائيلى عن ميزانية الدولة لعام ٦٧ / ١٩٦٨ . ولم تستطع هذه الميزانية ان تغطى نفقات العدوان وآثاره ، وذلك لانه عندما لم يحقق اهدافه ويسجل نصرا عسكريا وسياسيا حاسما فى اسبوعين او ثلاثة كما كان متوقعا من العسكريين المغامرين ، اضطر الى استمرار التعبئة وحالة الحرب ذات النفقات المدمرة للاقتصاد الاسرائيلى . ومن هنا اضطرت الحكومة الاسرائيلية الى اصدار ميزانية اضافية جديدة بمبلغ ٥٢٢ مليون جنيه اسرائيلى فى ١١ سبتمبر الماضى . وهو الامر الذى زاد من اعباء الكيان الاسرائيلى الى درجة خطيرة ، ضاعف معها ارتفاع الاسعار وحجم التضخم . وجاء اخيرا خفض قيمة الجنيه الاسترلينى وانعكاساته على النقد الاسرائيلى الذى اضطر الى مجاراة التخفيض لقيمته للمرة الخامسة منذ عام ١٩٤٨ ، موجها ضربة اخرى الى الاقتصاد الاسرائيلى .

وكانت اسرائيل قد استغلت من ناحية انتهاء اتفاقيتى التعويض الالمانيتين فى عام ١٩٦٤ والتى بلغت قيمتها ١٦١١ر٣ مليون دولار بدأ دفعها الى اسرائيل سنويا على اقساط منذ عام ١٩٥٤ ومن ناحية اخرى حرب ٥ يونيو « التى شنتها — على حد تعبير هارتس — لصالح الغرب ، ومن ناحية ثالثة نقص متوسط حصة الفرد السنوية فى اسرائيل من المساعدات الامريكية من ١٥٠ دولارا الى ٦٠ دولارا .. استغلت اسرائيل هذه العوامل الثلاثة ودعت الى مؤتمر قمة يهودى احتكارى من رجال المال فى كل انحاء العالم لدراسة الاقتصاد الاسرائيلى ومحاولة انقاذه . وفى ٩ و ١٠ اغسطس ١٩٦٧ انعقد بالفعل فى تل ابيب « **مؤتمر المليونيرات** » حضره ٦٠ مليونيرا يهوديا صهيونيا . وقدم المؤتمر مساعدات قوية لاسرائيل ، ولكن رغم قوة هذه المساعدات فانها لا تعدو ان تكون بالنسبة « للاقتصاد الاسرائيلى الطفيلى » غير مسكنات للازمة المزمنة ريثما يتم « التوسع وانشاء اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات » . وحتى فان هذه المسكنات لا تستطيع ان تكون فعالة بدون اجراءات تقشف متزايدة وبالذات تجميد الاجور حتى ١٩٧٠ على الاقل وفقا لتعهد « بنحاس سابير » وزير مالية اسرائيل امام « مؤتمر المليونيرات » .

والجبهة الاسرائيلية الداخلية تعانى اليوم فوق ذلك كله من ازمة خطيرة ومصيرية ، هى ازمة الهجرة . فلقد شحبت الى « حد مفزع » بالنسبة للصهيونية عملية استيراد اليهود من الخارج الى اسرائيل . وعلى العكس نشطت حركة الهجرة من الداخل الى الخارج .

ولاول مرة فى تاريخ اسرائيل توازنت فى عام ١٩٦٦ حركة الهجرة الى الداخل مع حركة الهجرة الى الخارج ، وان كانت هناك اكثر من صحيفة اسرائيلية قد اكدت ان هذه الموازنة ليست الا « تلفيقا رسميا » وان الحقيقة هى ان حركة الهجرة من اسرائيل قد فاقت حركة الهجرة اليها .

ووفقا لبيانات مصلحة الهجرة الاسرائيلية التى اعلنتها فى اوائل عام ١٩٦٧ ، فان ١٦٥ الف يهودى قد هاجروا من اسرائيل فى الفترة من ١٩٤٨ الى نهاية عام ١٩٦٦ . وذلك من اجل مليون وربع المليون مهاجر يهودى الى اسرائيل فى نفس الفترة . وبتحليل نسب المهاجرين من اسرائيل اتضح ان ٥٠ ٪ منهم من يهودى الولايات المتحدة الامريكية ، ٢٠ ٪ من اوربا الغربية ، ٥ ٪ من بلاد اوربا الشرقية والباقى من مختلف البلاد الاخرى . وفى اواخر ١٩٦٦ حذر مدير الوكالة اليهودية من ظاهرة خطيرة وهى ان نسبة الذين غادروا اسرائيل من « مهاجرى الاقطار الغنية » قد ارتفعت الى ١٣ ٪ و ١٥ ٪ .

وفى ٥ يناير ١٩٦٧ حذرت جريدة « **هايوم** » الاسرائيلية من ظاهرة اخرى خطيرة وهى عدم عودة الفنيين وذوى المؤهلات العالية من

دراساتهم فى اوربا وامريكا الى اسرائيل مرة اخرى ، وان ٢٥٠٠ طالب اسرائيلى اتموا دراساتهم بالفعل فى الولايات المتحدة قد فضلوا عدم العودة والاستقرار نهائيا هناك ».

وهكذا فان اسرائيل لا تعانى فقط ازمة اقتصادية وانما ايضا ازمة فى العنصر البشرى الضرورى لحياتها وتوسعاتها العدوانية فى نفس الوقت . والازمتان متصلتان بعضهما ببعض وتهددان بالتالى مصير اسرائيل ومستقبلها . وليس من شك فى ان « ازمة العنصر البشرى » كانت من بين الاسباب القوية التى دفعت الى عدوان ٥ يونيو . فاسرائيل بحجمها فى اطار اتفاقيات هدنة ١٩٤٩ ، جغرافيا وماديا وبشريا ، لا تستطيع مواصلة الحياة . وهى محتاجة دائما الى مضاعفة وزنها البشرى وحسب خططها فانها تحتاج على الاقل الى زيادته من ٢،٥ مليون حاليا الى ٥ ملايين على الاقل فى اوائل السبعينيات من هذا القرن . وهذا غير ممكن بدون توسع اقليمى يضم اليها ارضا جديدة تتسع للاثنين ونصف مليون مهاجر جديد ».

والحرب العدوانية بتوسعاتها الاقليمية تفتح امامها هذا المجال بشرط واحد هو ان تفتح معها ابواب الاستقرار والامن واستسلام العرب للتوسع والاعتراف به او على حد تعبير ساسة تل ابيب تحقيق « السلام الاسرائيلى » . وهذا ما لم تصل اليه « حرب ٥ يونيو وآثارها السحرية » التى كانت متوقعة . وحسب الاحصائيات الاسرائيلية المعلنة بعد العدوان فان ٤٠ ٪ من المتطوعين الذين جاءوا الى اسرائيل فى جو الهستيريا العنصرية قبيل ٥ يونيو وبعده بهدف المشاركة فى الحرب والاستقرار نهائيا فى اسرائيل قد غادروها بالفعل الان ».

وهذا ما يفسر اهمية صيحة الاستغاثة التى وجهها « ليفى اشكول » الى مؤتمر المليونيرات فى اغسطس قائلا : « ان اسرائيل تريد منكم كل مساعدة ممكنة ولكنها تريد اولا وقبل كل شىء يهودا » .

وتتحدد الان المناطق التى يمكن ان تخرج منها **« هجرة ذات وزن »** الى اسرائيل فى ثلاث : الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربية والبلاد الاشتراكية .

وبالنسبة للمنطقة الاولى : هناك عاملان اساسيان يغلقان عليها باب الهجرة . **اولها** ان مستوى معيشة اليهود فى امريكا مرتفع الى درجة كبيرة لا تقارن بمستوى المعيشة فى اسرائيل ، وبالتالى فغالبية يهود امريكا ليسوا عمليا على استعداد للتضحية بهذا المستوى . **وثانيهما :** ان اسرائيل والحركة الصهيونية ليس من صالحهما تقليل وزن اليهود فى المجتمع الامريكى حتى لا يضعف التأثير الصهيونى على السياسة الامريكية ».

وبالنسبة للمنطقة الثانية : فان نفس العاملين يواجهان ايضا عملية الهجرة ولكن بدرجة اقل . ولهذا فاحتمالات الهجرة من هذه المنطقة قائمة بكميات محدودة ».

اما المنطقة الثالثة : فهى موضع التركيز كمورد رئيسى للهجرة . بيد انه يقف فى مواجهتها اندماج اليهود فى المجتمعات الاشتراكية كمواطنين مثل غيرهم من المواطنين من ناحية وعدم سماح البلاد الاشتراكية بالهجرة من ناحية اخرى . وان كانت « رومانيا » قد شذت عن هذا الوضع وسمحت بهجرة محدودة الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ .

وتعانى الجبهة الداخلية الاسرائيلية ايضا من ازمة اخرى بالنسبة لجهازها العسكرى العدوانى وهى « ازمة التسليح الفرنسى » ، فمن المعروف ان اسرائيل تعتمد اعتمادا اساسيا على **« الطيران الفرنسى العسكرى »** فى سلاحها الجوى (طائرات المستير والميراج) ، وترسم بالتالى استراتيجيتها وتكتيكاتها وتدريبات جنودها وضباطها على اساس « الطراز الجوى الفرنسى » . وهو طرازا يختلف **« نوعيا »** عن الطراز الامريكى او الطرازا البريطانى اللذين يمكن ان يحلا محل التسليح الفرنسى . وبالتالى يستلزم تغييرات جوهرية فى الاستراتيجية والتكتيك والتدريب يستغرق وقتا وجهدا ، ليس فى صالح الجهاز العسكرى الاسرائيلى تحملهما حاليا . ومن هنا بالدقة تنبع الازمة بسبب القرار الذى اتخذه الجنرال ديجول بعد عدوان ٥ يونيو بحظر شحن الاسلحة الفرنسية وقطع غيارها الى اسرائيل .

وقد حاولت اسرائيل تخطى هذه الازمة بكل الطرق ابتداء من المباحثات التى اوفدت اليها كل من شيمون بريز والجنرال سيمور مساعد ديان الى باريس فى اغسطس واكتوبر الى الضغط بحملات دعائية مركزة ضد ديجول ، ولكنها فشلت حتى الان .

وهى ايضا تحاول معالجة الازمة عن طريق اتباع ما اسماه « شيمون بريز » **« بالسياسة السويدية »** اى بتصنيع الاسلحة وبالذات طائرات الميراج فى اسرائيل بمعاونة « مصانع داسو للميراج فى فرنسا » ، وهى مصانع يسيطر عليها حاليا احد اليهود الصهيونيين الفرنسيين . ولكن يقف فى وجه هذه المحاولة القرار السياسى

الحكومة الفرنسية بحظر التعاون العسكرى مع اسرائيل فضلا عما يستلزمه ذلك التصنيع المحلى من وقت وخبرة ورأس مال غير متوافر بالقدر اللازم حاليا .

ولم يبق امام اسرائيل الا التحايل عن طريق استيراد الاسلحة الفرنسية بطريق غير مباشر من دولة اوربية اخرى تشتريها من فرنسا لحسابها. وتجرى الان مفاوضات لذلك الغرض مع (بلجيكا) ولكنها لم تسفر عن نتيجة بعد .

على هذا النحو المريض عنصريا واقتصاديا واجتماعيا تبدو الجبهة الاسرائيلية الداخلية اليوم . وذلك على الرغم من الانتصار العسكرى الذى حققته نتيجة تفوقها التكنيكى الحربى من ناحية ، وقصور القوى العسكرية الدفاعية العربية من ناحية اخرى .

ولكن مثل هذا الانتصار العسكرى — رغم اخطاره الحالية — لا يمكن بطبيعة الاوضاع وحركة التاريخ الا مؤقتا وعابرا ، لانه فى النهاية يستند الى جبهة داخلية ذات كيان طفيلى واقتصاد غير طبيعى وضمور فى القوة البشرية .

٤ الجبهة الداخلية العربية : حركة التثوير والميلاد الجديد

والجبهة العربية فى مفهومنا هى جماع القوى القومية لكل البلاد العربية والقوة المحلية الخاصة بكل بلد عربى معا وفى نفس الوقت .

فالعدوان الاسرائيلى الاستعمارى وان استهدف فى هجومه المباشر الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن ، الا انه فى الحقيقة يستهدف فى النهاية كل الامة العربية — مشرقا ومغربا — بحركة شعوبها نحو التحرر والاشتراكية والوحدة .

واذا كان العدوان قد ركز ضرباته الاولى على **الجمهورية العربية المتحدة ثم سوريا** ، فقد قصد بذلك اساسا تصفية القوة العسكرية والاقتصادية العربية الرئيسية ، وقاعدة الحركة التحررية التقدمية ذات الافاق الاشتراكية فى المشرق العربى .

ثم جاء ضرب **الاردن** ، بعد عقده لمعاهدة الدفاع المشترك مع الجمهورية العربية والعراق ، بهدف مزدوج هو : الحيلولة دون استفادة القوى العربية من الموقع الاستراتيجى للاردن وخاصة ضفته الغربية فى المعركة ، وفى نفس الوقت القيام بعملية توسع اقليمى جديد يلتهم فيه القدس العربية اساسا ، والضفة الغربية لنهر الاردن واخضاعها للسيطرة الاسرائيلية سواء كجزء من الكيان الاسرائيلى او منبت لمشروع الدولة الفلسطينية الزائفة تحت الحماية الاسرائيلية . وبذلك يخطو خطوة هامة نحو بناء **«اسرائيل الكبرى»** او « **امبراطورية صهيون** » .

بيد ان المعركة لم تقف عند الحدود التى رسمتها القوى الاستعمارية والصهيونية . وانما امتدت لتشمل العراق والكويت والسودان والجزائر ، حكومات وشعوبا . ولتشعل نار الثورة والتضامن بين كل الشعوب العربية فى جميع انحاء الوطن العربى بلا استثناء .

وغدت بالتالى جبهة النضال العربى فى مواجهة العدوان تمتد على طول وعرض المنطقة العربية من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى . ودفعت الشعوب العربية بحركتها كل القوى المحافظة والمترددة — وحتى المعارضة جذريا لحركة الثورة العربية التقدمية المعاصرة — ان تتخذ مواقف — تتفاوت درجاتها — ضد العدوان .

وثبت مرة اخرى فى يونيو ١٩٦٧ ، بعد تجربة ١٩٤٨ ، وتجربة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ان تحرير فلسطين والعدوان العنصرى الاستعمارى الصهيونى : هما وجهان متلازمان لقضية قومية واحدة فى الاساس . وانه على الرغم من كل الخلافات والتناقضات الاجتماعية والسياسية بين نظم الحكم فى البلاد العربية فانها عند تعرضها « **لعدوان صهيونى ساخن** » ، تلتحم — بقوة الحركة الشعبية القومية — فى كيان موحد .

وثمة مظاهر عديدة ، متفاوتة الوزن والفاعلية ، تؤكد هذه الحقيقة :

● تحرك الجماهير العربية فى شمول كامل بجميع انحاء الوطن العربى ، كما لو كانت قد مستها ، بالعدوان ، شرارة من الكهرباء فى وقت

واحد ». وتشكل هـذا التحرك في صـور عنيفة ودامية في البلاد التي شعرت فيها الجماهير بأن حكوماتها تلتزم مواقف محـافظة او مترددة من العدوان بسبب تناقضهـا مع النظـم العربيـة الثورية ».

● اشتراك الجـزائر بكل طاقاتها الشـعبية والسياسية والمادية والعسـكرية في المعركة ، متخطية بذلك كل اعتبارات أمنها الاقليمي الخاص والمسافة الجغرافية الشاسعة ».

● تعاون القوات المسـلحة ، على نحو او آخر ، لكل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق والاردن والجزائر والكويت والسودان».

● قيام الدول العربية المنتجـة للبتـرول ، الكويت وليبيا والسعودية بالالتزام قوميا امـام الشعوب العربية باسـتخدام حصـة من موارد البترول في دعم القوى العسكرية والاقتصـادية العربية في مواجهتها للعدوان والضغط الاقتصادى الاستعمارى والخسارة الناتجة عن اغلاق قناة السويس احد اسلحة المعركة العربية الرئيسية اقتصاديا . وهو امر بلغ في قوته ــ على حـد تعبير احد السياسيين الغربيين ــ درجة لم يصل اليها بعد الوضع بين دول السـوق الاوروبيـة المشتركة ».

● تعمق الاحساس الوجداني القومي والذاتي لكل الشـعوب العربيـة والمواطنين العرب بأن الهزيمـة العسـكرية تصـيبهم جميعا ، ماديا ومعنويا ، بلا اسـتثناء . وان التغلب عليهـا بالتـالي وازالة آثارها هـو واجب الجميـع ومسئولية الجيل العربي المعاصر كله ».

والواقع انه على الرغم من الهزيمة العسكرية، التي ترجع الى اصـول سـياسية واجتماعية واقتصادية في الاسـاس ، فان الجبهة العربية الداخلية تملك حاليا من القدرات والامكانيـات ما يمكنها من هضم الهزيمة وتخطيها ». بل ان احتمالات تطور ونمو هذه القدرات والامكانيات ، مع الزمن القصير والبعيـد المدى معا ، اعظم بدرجة لا تقارن مع احتمالات جبهة العدو . وذلك سواء على مستوى الـكم او النوع او معـدل السرعة في التطور ».

فالقوة البشرية الحـالية للعرب تقتـرب من المائة مليون نسمة في حـين ان القوة البشرية الاسرائيلية لا تزيد عن ٢٫٥ مليون نسـمة ». وهذا التفوق السـاحق في ميزان القوة البشرية سيظل سـائدا مهما بلغت نسـبة المواليـد في اسرائيل او زادت عملية الهجرة الى اسرائيل من بـين العشرة ملايين يهـودي الذين يعيشـون خارجها ».

والمسـاحة الجغرافية العربية ذات ابعـاد استراتيجية حيوية في آسـيا وافريقيا تستوعب حـوالي ١١٫٢ كيلو متر مربع ، اى ما يعـادل مساحة اوربا عدا الاتحاد السوفيتي ، في حين ان المساحة التي تحتلها اسرائيل تتحدد في آسـيا ببضعة آلاف من الكيلو مترات المربعة فحسب ».

اما الموارد الزراعية والصـناعية والتعدينية والبترولية للجبهةالعربية فهي متعددة ومتعاظمة». وتقدم بالتـالي مصـدرا عميق الثراء والحيوية لقوتها الاقتصـادية والسـياسية والعسـكرية وتطورها التكنولوجي ايضا ». وبالتالي فهي عكس الوضع في الجبهة الاسرائيلية ، توفر اقتصـادا قوميا طبيعيا ناميا باستمرار . ويكفي هنا مثلا ان نسـجل مدى الثروة البترولية الهـائلة التي تتمتع بها الجبهة العربية ». فحسب احصـائيات عام ١٩٦٦ بلغ انتـاج البترول العربي اكثر من ٤٨٠ مليون طن من البترول الخام ، اى ما يربو على ٢٥ ٪ من الانتاج العالمي ». هذا بالاضافة الى ٦٠ ٪ من احتيـاطات البترول العالميـة ». ويجب ان نضيف الى ذلك عمليـات التصـنيع الجارية واحتمالاتها في كل البلدان العربية وخاصة مصر والجزائر والعراق والسودان . ولقد بلغت التنمية الاقتصـادية درجـات هامة في عديد من مواقع الجبهة العربيـة ووصـلت الى حوالي ٧٫٥ ٪ في الجمهورية العربيـة ». وهو يبلغ في المتوسط العربي العام بين ٣ ٪ ، ٤ ٪ ».

ومن الامور الجوهرية في الجبهة العربية ان ثمة مواقع اسـتراتيجية هامة قـد تحررت من الاستعمار القديم والجديد مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا ، فضـلا عن تحطيم التوسعية الاسـتعمارية في عديد من المنـاطق العربية الاخرى مما وفر للجبهة العربية قواعد اساسية للحركة الثورية في اطار حرية اكثر نسبيا للحركة العربيـة العامة ، وذلك بالقيـاس الى الوضع عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ».

وتتميز الجبهة العربية المعـاصرة بوجود ثقل خاص للحركة التحررية الاجتماعية ذات الآفاق الاشتراكية من ناحية وبلورة سياسية واجتماعية لحركة فلسطينية شعبية من اجل اعادة فلسطين قادرة على تنظيم مقاومة متزايدة الفاعلية والاثر وهو امر كان مفتقدا خلال ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ».

وعلى الرغم من فداحة الهزيمـة العسـكرية وما جند لها من طاقات عسكرية ضخمة وضـغط سـياسي واقتصـادي بالغي القوة فان الجبهة

العربية الداخلية ككل بصفة عامة وفي مواقعها الثورية بصفة خاصة تماسكت وصمدت ولم تسقط . وجاء الصمود والتماسك نتيجة حتمية لوعي الجماهير العربية وحركتها السريعة والحاسمة للعمل ورفض الهزيمة والاستسلام والاصرار على المقاومة ، مصحوبا بتفتح سعى لنقد الذات ، وكشف للعيوب والنواقص الداخلية ، وبذل الجهد الجماعي للسيطرة عليها وعلاجها .

وقد لمس العديد من المراقبين الدوليين هذه الحقيقة .. ويحضرني في هذا المقام ما قاله في هذا الصدد المفكر اليساري ((أيزاك دويتشر)) ، احد كبار خبراء السياسة الدولية في الغرب — وهو على حد وصفه لنفسه من اصول يهودية — وذلك في آخر حديث له قبيل وفاته مع مجلة اليسار الجديد البريطانية (النيولفت ريفيو — عدد يوليو — اغسطس ١٩٦٧) ، عن الحرب بين العرب واسرائيل .

يقول ((دويتشر)) : ((ان العرب فقط هم **الذين يحيطون باسرائيل . ومحاولة استخدام اسرائيل الدول العربية ضد بعضها البعض لابد وان تفشل في النهاية . لقد كان العرب متنازعين فيما بينهم عام ١٩٤٨ عندما شنت اسرائيل حربها الاولى . وفي ١٩٥٦ خلال حرب اسرائيل الثانية ، كانوا اقل انقساما . وفي ١٩٦٧ كانوا يكونون جبهة مشتركة . وربما يبرهنون على ان وحدتهم اكثر ثباتا في اي مواجهة مقبلة مع اسرائيل)) .**

ويحلل ((دويتشر)) صمود الجبهة العربية بفعل قوة الجماهير ووعيها التي تجلت في احداث ٩ و ١٠ يونيو التاريخية فيقول : ((**لقد كانت هناك لحظة ، عند وقف اطلاق النار بدا فيها انه كما لو كانت الهزيمة قد ادت الى سقوط مصر وذهاب ناصر وفشل السياسة التي اقترنت باسمه . ولو كان ذلك قد حدث لكان الشرق الاوسط بأكمله قد رجع بالتأكيد الى حظيرة النفوذ الغربي ولكانت مصر قد اصبحت غانا او اندونيسيا اخرى . بيد أن ذلك لم يحدث . فالجماهير العربية التي خرجت للشوارع والميادين في القاهرة ودمشق وبيروت لتطلب من ناصر ان يبقى في مكانه قد منعت حدوث ذلك . ولقد كان ذلك احد التحركات الشعبية التاريخية النادرة التي تغير الميزان السياسي وتقلبه في دقائق معدودة . ففي هذه المرة وفي ساعة الهزيمة تجلت المبادرة من اسفل واتت بنتائج فورية** ..))

ولعل من اهم ما تقدمه الهزيمة العسكرية للعرب عام ١٩٦٧ من ايجابيات ، هو هذا التنوير الداخلي العظيم للعيوب والنواقص الخطيرة التي يعاني منها البنيان العربي المعاصر في تكوينه ، والتي تتحمل قسطا كبيرا وأساسيا من مسئولية الهزيمة .

ولعل حركة التنوير الداخلية هذه لم تكن لتصل هذه الدرجة من الشمول والعمق والصراحة لو لم يكن قد تكون ((**عمود فقرى للوطن العربي**)) من النظم الثورية ذات الاتجاه الاشتراكي والقيادة الثورية . تستطيع معه وبه الشعوب العربية ان تواجه الحقائق كما هي موضوعيا دون خفاء او تزييف فتسمى الهزيمة هزيمة ولا تلجأ الى اخفاء اسبابها الداخلية تحت ركام متضخمة دون وجه حق من الاسباب الخارجية . وذلك مثلما حدث عام ١٩٤٨ .

وليس من شك ان في مقدمة الاسباب الداخلية للهزيمة هو ما يشاب ((الكيان العربي)) ككل في مواجهة المصيرية مع اسرائيل والصهيونية كعدو استعماري عنصري خاص بالمنطقة من ضعف واضح في وحدة الفكر ووحدة العمل . ويدل على هذا فساد الاسلحة السياسية والدعائية العربية المستخدمة في الميدان الدولي قبيل ٥ يونيو ، بحيث غلب عليها طابع رد الفعل العنصري الضيق للاتجاهات العنصرية الاسرائيلية . وذلك بدلا من كشفها ومقاومتها وعزلها ، والانطلاق من موقف القومية العربية ذات المضمون التحرري التقدمي المعادية للاستعمار والعنصرية ، ويلتزم بقيمها التاريخية والحضارية التي تميزا بدقة ووعى بين اليهود وبين الصهيونية ، وبين المشكلة اليهودية وبين مشكلة الصراع العربي الاسرائيلي . وان العرب لا يعادون اى اضطهاد او ابادة لليهود سواء أكانوا في منطقتنا العربية او خارجها ، يعادون بنفس المنطق الصهيونية كحركة عنصرية تضطهد وتبيد العرب ، وتتخذ من ((اسرائيل)) رأس جسر لعمليات الابادة العنصرية والتوسع الاقليمي ولخطط الامبريالية ضد حرية ووحدة الشعوب العربية . ويدل على ذلك ايضا تفكك بل وتخاذل العمل الدبلوماسي العربي بحيث فقد التأثير الفعال دوليا . حتى ان وزير خارجية احدى الدول الغربية ذات المصالح البترولية مع البلاد العربية قال في معرض تبريره للتصويت لصالح اسرائيل في الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة بعد العدوان رغم هذه المصالح : ((لقد كنت مخولا في حسابه تعرضي لاى ضغط عربي يهدد مصالحنا البترولية ان امتنع عن التصويت . ولكن هذا الضغط العربي لم يقع قط والحمد لله !))

وقال دبلوماسي غربي آخر : ((ان العرب يتوقعون منا ان نعاملهم في هذه الازمة ككل واحد ، في حين ان تصرفاتهم معنا تؤكد انهم فرادى ومختلفون)) . ويدل على ذلك اخيرا وليس آخرا عدم فاعلية القيادة العربية المشتركة عمليا عند

وقوع الصدام وانها لم تكن اكثر من مناصب لامعة وخطط مثيرة على الورق لا تملك القـــوة على التجسيد الواقعى عند مواجهة الحرب والقتال .

كذلك كشفت النكسة ، وخاصة فى البلاد الثورية ، عن ضرورة اعادة بناء القوات المسلحة فنيا واجتماعيا على اساس يجعل من الجيش لا مجرد سلطة ذات وزن داخلى متميز فى علاقات القوى ، بل انعكاس نضالى امين وصادق ومتفاعل مع القوى الشعبية صاحبة المصلحة فى التحرر والاشتراكية والوحدة وذات تدريب عال وكفاية فنية مطعمة دائما بأحدث الوسائل التكنولوجية للحرب الحديثة .

وعرت النكسة فيما عرته من اسباب طفيلية ما اصطلحنا على تسميته سياسيا « بالطبقة الجديدة » التى تتكلس بامتيازاتها الغير طبيعية والغير مشروعة فى اجهزة السلطة والحكم والانتاج . فتسد الطريق على الحركة الشعبية وتنظيمها السياسى الطليعى ومبادراتها ، وتصادر كل ممارسة صحية للديمقراطية وتفاعلها المباشر الخلاق مع القيادة الثورية ، وتلتهم بشره ودون اى احساس بالمسئولية عرق وجهد العاملين من ناحية وتضحهم للاخطاء والسلبيات من ناحية اخرى . الامر الذى يؤدى الى تصفية الكوادر النضالية التى تنبت خلال العمل فى كل جهاز او مجال .

وهناك مرض آخر خطير فى الجبهة العربية كشفت عنه النكسة وشخصته تشخيصا دقيقا وهو مريض « الافتتان بالذات » من عوارضه المغالاة فى قدراتنا مع الانتقاص المستمر والغير واقعى من قدرات العدو ، وايضا تصور انه ليس فى الامكان ابدع مما كان من وضعنا واسلوب حياتنا ونظامنا ، وكذلك الاستخفاف الابله بالعلم ووسائل التكنولوجيا الحديثة والركون الى الاتكال على « سياسة الفهلوة .. والحداقة .. ونفهمها وهى طايرة » ، واخيرا خداع النفس بالانتصارات السهلة وبأننا كل شىء .. أوتينا كل شىء وماعدانا لا شىء . ولقد ادى هذا المرض قوميا الى نوع من « النرجسية » صبت فيه « القومية العربية » فى قالب غريب فلا ترى الا نفسها فقط فى هــذا العالم ولا تتعامل مع القوميات والحضارات الاخرى بصدق وحيوية وبطريقة الاخذ والعطاء الخصبة دون خوف من ان تفقد اصالتها واستقلالها فى الحركة . وفى نظمنا الثورية اضفى هذا المرض « طابعا مثاليا » على كل منجزاتنا واجهزتنا ، فهى دائما نقية بيضاء خالية من كل سوء وكأنها من صنع ملائكة لا بشرا يخطئون ويصيبون دائما وفى نفس الوقت . الامر الذى جرد حركة « النقد والنقد الذاتى » الضرورية لسلامة عملية البناء من مضمونها الحقيقى لتتحول — غالبا — الى مباراة شكلية فى « القدح بما يشبه الذم » .

ولست هنا فى مجال تعداد ما تعلمناه من الهزيمة : وطنا وبلادا ونظما واجهزة ومواطنين ، من سلبيات وامراض . ولكن ما أريد ان أؤكد عليه ان هــذا الكشف العظيم وما يصاحبه من مراجعة مسئولة شاملة تحت رقابة شعبية واعية ، وبحث جاد وعلمى عن العلاج هو بحق ميلاد جديد — شكلا وموضوعا — للأمة العربية ونظمها الثورية والجبهة الداخلية فى مواجهتها المصيرية للامبريالية والصهيونية العالمية ، بعد جولة ٥ يونيو الدامية .

٥ المستقبل : حرب "الغراب والفيل" بين الصهيونية والقومية العربية

ماذا عن المستقبل ؟
عندما شرعت فى كتابة هــذا البحث لم يكن مجلس الامن قد توصل الى «قرار» بعد منذ تقدمت الجمهورية العربية المتحدة بطلب عقده « لدراسة الوضع الخطير فى الشرق الاوسط الناجم عن عدم انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى تحتلها بعد ٥ يونيو » .

وفى هذا اليوم (٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) الذى اكتب فيه هذه السطور تبنى المجلس باجماع اصوات اعضائه الخمسة عشر فى هذه الدورة مشروع القرار الذى تقدم به الوفد البريطانى .

ويمكن ان نلاحظ على هــذا القرار النقاط التالية :

اولا : صياغته بعبارات مطاطة تحتمل عنـد التفسير العملى العديد من التاويلات والتخريجات المتعارضة .

ثانيا : ان كلا من الاتحاد السوفيتي وفرنسا والهند قد حرص في مجال التصويت على التأكيد بأنه يعطى تأييده للمشروع على أساس أن الانسحاب المطلوب من القوات الاسرائيلية هو — على حد تعبير مندوب الهند — الانسحاب الكامل من « جميع الاراضي التى جرى احتلالها خلال حرب يونيو ». وان هذه الاراضي تشمل بالتحديد كل سيناء وغزة وبلدة القدس القديمة والاراضي الاردنية غربي نهر الاردن والاراضي السورية » .

ثالثا : ان مندوب الجمهورية العربية قد أعلن خلال مناقشات مجلس الامن ان قضية الانسحاب الكامل والعاجل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة بعد ٥ يونيو هي قضية جوهرية ومبدئية لا تقبل بشأنها اى مناقشة أو مساومة ». كما حرص على أن يؤكد أن « المشروع البريطاني لا يمكن اعتباره حلا للازمة » وأورد في مجال المناقشة ثلاث اعتراضات أساسية حول عدم الدقة القاطعة في عبارات الشمول الخاصة بالانسحاب ، والفقرة الخاصة بحق كل دول المنطقة « في أن تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بهـا » لان تخطيط هذه الحدود يعني فيما يعنيه قيام مفاوضات مباشرة مع اسرائيل وهذا أمر مرفوض عربيا ، وأخيرا عدم تحديد واضح حول اختصاصات المبعوث الخاص للسكرتير العام المقترح ارساله الى الشرق الاوسط .

كما أعلن مندوب سوريا خلال المناقشات اعتراض بلاده على المشروع بسبب غموضه .

رابعا : انه ما من دولة عربية واحدة تتمتع في دورة مجلس الامن الحالية بعضويته . وبالتـالي فلم يقع منها — على أى وضع — تصويت مـا بالنسبة للقرار الذى صدر .

خامسا : ان الوصول الى قرار على هذا النحو غير المحدد ، لا يخرج الامم المتحـدة من الدائرة المفرغة من الشلل والعجز عن مواجهة مسئولياتها الدولية واتخاذ قرار قاطـع نابع من مبـادىء ميثاقها بادانة العدوان وردعه .

بيد انه رغم هذا كله فنحن حتى الان لم نخسر شيئا جديدا بعد العدوان ولكن كسبنا على التحديد في نقاط اربعة رئيسية وذلك من خلال المعركة الدبلوماسية في المجتمع الدولي عامة والامم المتحدة خاصة .

فليس من شك في اننا كسبنا « وقتا ثمينا » لاعادة بناء قواتنا المسلحة ، فنيـا واجتماعيـا وتنظيما . وهي — أساسا — الدرع الدفاعي والقوة الضاربة في معركة المصير مع العدوان وذلك في اطار الاستراتيجية السياسية الثورية .

هذه نقطة . أما **النقطة الثانية** فهى الوصول الى الحد الادنى من الاساس المشترك لوحـدة العمل العربي وموقفه من العدوان . وتم في هذا المجال الالتزام المحـدد بأن لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة مع اسرائيل ولا مساومة على الحقوق القومية لشعب فلسطين .

والنقطة الثالثة هي عودة «القضية الفلسطينية» الى مركز الصدارة في اهتمـام الاسرة الدوليـة واعتبار مفتاح السلم الحقيقي في الشرق الاوسط بعد أن كانت القوى الامبريالية والصهيونية قـد نجحت في تنويم الضمير الدولي بشأنها .

أما **النقطـة الرابعـة** فهى أن « مناقشـات ومباحثات وأحاديث » المجتمع الدولي وأجهزته قد أتاحت الفرصة للموقف العربي أن يرى بوضوح أكثر ويلقى الفهم بعمق أكثر » . وينفذ بالتـالي من خلال الضباب الكثيف الذى سكب عليه بمرارة الى الرأى العام العالمي ، سواء داخل الامم المتحدة أو خارجها . وليس من شك في أن الوزن الدبلوماسي للموقف العربي قد ازداد بدرجة ملحوظة عما كان عليه الوضع عند ٥ يونيو والاسابيع القليلة التى تلته .

وأما بالنسبة للرأى العام العالمي فقد شرعت الاتجاهات الموضوعية والشجاعة للكتاب والمفكرين والمراقبين والسياسيين لا تصدر فقط من الاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية وعدد من البلاد الاسيوية الافريقية وانما أيضا من العالم الغربي موطن النفوذ الصهيوني التقليدى ومن مصادر ذات أصول يهودية أيضا . وتتوفر اليوم عديد من الامثلة على ذلك .

كتب « عمـانوئيل ليفن » — فـرنسي يهودى الديانة — يقول في « الموند » مخاطبا الاسرائيليين : « **انشدوا السلام بأى ثمن مع العرب حتى ولو تخليتم عن الدولة . على أن يبقى لليهود المؤمنين حق الاقامة والحياة في فلسطين ويمارسوا حياتهم حسب التـوراة ... والتـاريخ يؤكد أن الدول اليهودية آلت دائما الى الحرب الاهلية والى دعوة الاجنبي الى التدخل حتى لايتحمل اليهودى اضطهاد اخيه اليهودى .. وكيهودى مؤمن وتلميذ مخلص للحـاخامية أعترض بشدة على دعوة اليهود لان يساندوا اسرائيل وحربها ، فهذه الدعوة تدفعنا الى الظن بأن الدين اليهودى في خدمة الدولة وقواها المسلحة** » .

واذا كان هذا رأى يهودى يميني فهناك أيضا رأى آخر يسارى لمفكر من أصـل يهودى هـو « **دويتشر** » ، كتب يقول في « النيولفت ريفيو » : « **في رأيي أن الحـرب « ومعجزة النصر » التى حققتها اسرائيل لم تقدما اى حل للمشاكل التى تواجه اسرائيل والبلدان العربية . بل على العكس**

من ذلك ادت الحرب الى تفاقم كل القضايا القديمة وخلقت الى الوجود قضايا جديدة اكثر خطورة . ان انتصار اسرائيل لم يحقق لها الامن . بل جعل سلامتها مهددة اكثر مما كانت عليه من قبل . وأنني لمقتنع بأن ذلك الانتصار الاخير الذي حققته الاسلحة الاسرائيلية بسهولة بالغة سيكون في يوم نكبة تلحق باسرائيل ذاتها في المقام الاول .. لن يكون هذا اليوم ببعيد جدا » .

وكتب السياسي والمفكر الماركسي البريطاني « بالم دات » في مجلة « ليبورما نثلي » يقول : « هناك وهم يتكرر من حين لآخر في المناقشات الدائرة حول الوضع الراهن ، وهو ان الاحتلال اليهودي لفلسطين — والذي باركه وعد بلفور — كان ردا ضروريا وعادلا على فظائع اباده ستة ملايين يهودي على يدي هتلر في معسكرات الاعتقال وافران الغاز . ولكنه ليس منطقيا على الاطلاق . ان الاوربيين يحاولون التكفير عن جريمه المعاداة للسامية التي ارتكبوها ، على حساب العرب الذين لم يرتكبوا هذه الجريمة قط . وفي الواقع فان اليهود والعرب عاشوا معا بسلام في فلسطين طيلة اجيال ، حتى جاء البريطانيون . واليهود حصلوا في مصر على حقوق المواطن الكامل خلال جميع السنوات وحتى هذه الحرب . ولم يكن مصير اليهود هناك قط مثل مصير العرب الذين اعتبروا مواطنين من الدرجة الثانية تحت الحكم العسكري طيلة ١٩ عاما في اسرائيل .

وفي الواقع فان « التواريخ » التي ترد في هذا الادعاء غير صحيحة . ذلك ان وعد بلفور اقر عام ١٩١٧ قبل أن يسمع احد عن هتلر بسنوات عديدة » .

والحصيلة التي يمكن ان نخرج منها أن كسب هذه النقاط الاربع في الجولة الدبلوماسية التي بدأت بعد ٥ يونيو حتى ٢٢ نوفمبر هي أن « المناخ الدولي العام » فقد اصبح اكثر تعاطفا مع موقفنا وحركتنا الشاملة ضد العدوان عما كان عليه الامر من قبل .

ولعل هذا هو السر الذي دفع اسرائيل في الاونة الاخيرة الى اتخاذ « تكتيك جديد » من شأنه اخراج قضية الشرق الاوسط من الامم المتحدة أو على الاقل تجميدها في دهاليزها كقضية عادية لا تستلزم اهتماما خاصا . وذلك لابعادها من دائرة الضوء المسلط عليها والذي يكشف مزيدا من ابعادها الحقيقية للرأي العام العالمي ويدفع به الى اتجاهات لا تتفق وخطط تل ابيب .

فقد طالب « أبا ايبان » الامم المتحدة أن يكون بحثها لقضايا الشرق الاوسط في اطار روتيني « فالموقف في المنطقة الان — على حد زعمه — ليس موقف معارك او طوارىء ولذلك من المستحسن ان يبحث الامر كأحد المشاكل الدولية العادية لا كمشكلة درامية تستلزم اهتماما خاصا » .

وتواجه اسرائيل الان — تحت ضوء الرأي العام العالمي في اتجاهه الجديد — قضيتان رئيسيتان هما الانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ، وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم .

فما هو موقفنا ؟

من المؤكد ان اسرائيل — بحكم طبيعتها العدوانية وخططها الاستعمارية التوسعية — سترفض الانسحاب الكامل الغير مشروط ، كما سترفض عودة اللاجئين واقرار حقهم القومي في وطنهم . والا فلماذا كان العدوان ومخاطره اذن ؟

ومن اجل ذلك تعمد الى مواجهة ذلك بطلب ، تعلم عن يقين انه مستحيل التنفيذ باعتراف سكرتير الامم المتحدة ووزراء خارجية الدول الغربية الثلاث الكبرى فرنسا وبريطانيا وامريكا . وهو « التفاوض المباشر مع البلاد العربية على أساس الاعتراف بها » .

وفي نفس الوقت اتخذت — ولا تزال — اسرائيل اجراءات عملية تعني بوضوح التوسع الاقليمي ورفض الانسحاب واستمرار مصادرة الحقوق القومية للشعب الفلسطيني . ويمكن هنا رصد اهم هذه الاجراءات فيما يلي :

● ضم القدس العربية اداريا الى القدس الاسرائيلية واعتبارها مدينة واحدة بهدف تحويلها الى عاصمة موحدة لاسرائيل . وذلك على الرغم من قرارين صادرين من الجمعية العامة باغلبية ٩٩ صوتا من ١٢١ صوتا بعدم شرعية هذا الضم .

● اقامة عدد من المستعمرات الزراعية الاسرائيلية المسلحة المعروفة باسم « الكيبوتز » في كل من الضفة الغربية والهضبة السورية التي تحمل اسم مرتفعات جولان . وذلك باشتراك كل من وزارة الدفاع ومنظمة الشباب العسكرية المعروفة باسم « الناحل » ودائرة الاستيطان بالوكالة اليهودية .

واعلن اشكول اخيرا من ان العمل جار لاقامة « كيبوتزات » جديدة في منطقة « غوش — متصيون » الواقعة بين القدس والخليل وفي « وادي عربة » عند مصب نهر الاردن في البحر

الميت . كما كشفت الصحف الاسرائيلية ايضا عن القيام بعمليات انشاء كيبوتزات اخرى فى منطقة منابع البانياس فى الهضبة السورية .

● اعلان كل من اشكول وابا ايبان وديان بأن حدود اسرائيل المعروفة حتى ٥ يونيو ١٩٧٠ لم يعد ممكنا قبولها لان اتفاقيات هدنة ١٩٤٩ قد ماتت بالفعل . وليس هناك اتفاق سارى المفعول الان غير « اتفاقات وقف اطلاق النار فى ٩ يونيو ١٩٦٧ » .

● تصريح كل من اشكول وديان ومناحم بيجين وبن جوريون على أنه لا يمكن لاسرائيل تحت أى وضع قبول عودة ولو لاجئ فلسطيني واحد من لاجئى ١٩٤٨ ، والا كان ذلك « بمثابة وضع قنبلة زمنية متفجرة داخل اسرائيل» . واكد ابا ايبان هذا الموقف فى خطابه أمام البرلمان الاوربى فى سبتمبر عند حديثه عما اسماه «مشروع اسرائيلى للسلام» بقوله : وفيما يتعلق باللاجئين فانه ينبغى التمييز تماما بين قضية اللاجئين الذين تركوا الضفة الغربية خلال الاحداث الاخيرة ، ويمكن التباحث بشأنها ، وبين قضية اللاجئين منذ عام ١٩٤٨ » .

والواقع ان الذى يتتبع مناقشات الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) يقف بوضوح على السعار العنصرى الاستعمارى الذى يشمل كل الاتجاهات والاحزاب ـ فيماعدا الحزب الشيوعى الاسرائيلى (فلنر ـ طوبى) ـ بشأن اقامة «اسرائيل الكبرى» وعدم الانسحاب .

واذا اخذنا مثلا جلسة الكنيست المنعقدة يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٧ فاننا نرى المشاهد التالية :

● يقف « **كان كهانا** » احد اعضاء الحزب الدينى فيحتج على ليفى اشكول رئيس الوزراء لانه لم يصدر بيانه بذكر « حامى معارك اسرائيل ، ادوناى ربه الجيوش » ويطالب « بتوطين الاسرائيليين فى القدس القديمة التى عادت لنا الى الابد » .

● ويتبعه « **ميكونس** » مدعى الماركسية وزعيم حزب يطلق عليه اسم « الحزب الشيوعى » فيعارض الانسحاب دون شروط تكفل حدودا آمنة جديدة لاسرائيل « لان انسحابا بدون شروط معناه العودة الى الظروف التى فرضت علينا الحرب »

● ويتلوه « **بنى اليعازر** » من حزب « جاحل » فيقول « **امس كان قلبى فى عيد لاننى سمعت حديثا (يقصد حديث اشكول) عن المناطق « المحررة » وليس عن المناطق « المحتلة »** .

وتقاطعه احدى نائبات حزب المبام قائلة : ان **رئيس الحكومة تحدث عن المناطق التى نسيطر عليها »** .

فيرد « **اليعازر** » غاضبا : « **لماذا تفسدين على العيد الذى كان لى أمس** » .

ويؤكد المراقبون الذين زاروا اسرائيل اخيرا ان الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة وخاصة « القدس وغزة ومرتفعات جولان السورية» يؤدى على الفور الى سقوط الحكومة وانهيار الحكام العسكريين والمغامرين السياسيين تماما فى اسرائيل وبداية « الانهيار من الداخل » الذى لا يمنعه حاليا سوى تلك الوعود « بالاستقرار فى اسرائيل الكبرى » فضلا عن ان الانسحاب لن يحطم فقط كل الامال المعقودة على هجرة كبيرة الى اسرائيل بل انه سيفتح الابواب على مصراعيها للهجرة الى الخارج .

وقد عبر عن ذلك نائب رئيس الكنيست«اريا بن اليعزر » بقوله : « **ما دامت حكومة الوحدة القومية قائمة فلن يكون هناك انسحاب من المناطق « المحررة » . واذا كان الانسحاب سيتم فلن تكون هناك حكومة وحدة قومية** » .

واذا كان الانسحاب وعودة جميع اللاجئين الى وطنهم يمثل خطرا من الزاوية الصهيونية على امن وحياة ومستقبل اسرائيل وخططها التوسعية ، فانها تتعرض لخطر مماثل فى حالة عدم الانسحاب ايضا .

وهذا الخطر لا ينبع فقط من أن العرب سوف يتحركون حتما الى تحرير اراضيهم المحتلة بالقوة . وتشتعل عندئذ الجولة الرابعة المصرية من الصدام المسلح فى ظروف ، سياسية وعسكرية ومعنوية ، افضل بكثير بالنسبة للعرب . وانما ينبع الخطر ايضا من الداخل .

كيف ؟ .

ان الاحتلال الاسرائيلى الان لا يضم ارضا بلا شعب « كما حدث عام ١٩٤٨ عندما طرد الفلسطينيين من الاراضى التى احتلها . ولكنه الان يصطدم فى القدس والضفة الغربية وغزة المحتلة بشعب حى مصمم على التمسك بارضه ولم تفلح كل عمليات الارهاب والطرد الا فى تهجير ربع مليون فقط من السكان . وهو امر اثار ثائرة الرأى العام العالمى واضطرت اسرائيل الى المداهنة والاعلان عن موافقتها على اعادة من يرغب العودة ولكنها لم تسمح بالفعل الا بعودة بضعة آلاف منهم فحسب . وهكذا اصبح هناك فى داخل مجموع الاراضى المحتلة اليوم اكثر من مليون ومائتى عربى بالاضافة الى ٣٠٠ الف عربى يعيشون داخل

فلسطين المحتلة فيصبح المجموع **مليون وخمسمائة الف عربي** مقابل ٢,٥ مليون اسرائيلي اى ان نسبة العرب قد ارتفعت من ١٢٪ الى ٤٠٪ من السكان وهذا وضع يخل بالتوازن البشري والمادي للكيان الاسرائيلي العنصري ، ويستطيع أن يقلبه تماما خلال فترة زمنية قصيرة . وذلك بسبب زيادة نسبة المواليد في الجانب العربي عنها في الجانب الاسرائيلي حتى إن عشرات من المدارس الابتدائية قد أغلقت خلال عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ الدراسي لاول مرة لعدم وجود تلاميذ جدد مما تسبب في وجود الف مدرس بلا عمل . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تعثرت عمليات الهجرة الى اسرائيل الى درجة التجمد تقريبا مع زيادة معدلات هجرة الفنيين والعلماء من اسرائيل الى أوربا وامريكا .

وبالطبع فان كتلة المليون والخمسمائة الف عربي تكون بالضرورة — منذ الان — قاعدة اجتماعية قادرة على تنظيم مقاومة فعالة في الداخل وهي قد بدأت بالفعل ويتعاظم وزنها يوما بعد يوم .

ومن هنا فان العدوانية الاسرائيلية محاصرة فعليا بخطر عدم الانسحاب من امام وبخطر الانسحاب من الخلف . وتحاول يائسة الان علاج هذا الموقف عن طريق العمل على انشاء ما يسمى **« بدوله عربيه فلسطينية تضم الضفة الغربيه وعزة عن طريق ممر » تتمتع على حد مشروع « ديان » بنظام حكم ذاتي يرتبط باسرائيل اقتصاديا وعسكريا . ويقوم بعد ذلك اتحاد فيدرالي بين اسرائيل ومنظمة الحكم الذاتي التابعة لها وبين الاردن » !** .

ويفضل « **بن جوريون** » مشروع « **ديان** » **فيقول « علينا ان نطلب من سكان الضفة الغربية ان يختاروا ممثلين تجرى معهم مفاوضات حول حكم ذاتي للضفة باستثناء القدس وضواحيها ، على ان يعسكر على ضفة نهر الاردن الغربية جيش يهودي ليدافع عن استقلال الضفة الغربية ذات الحكم الذاتي » !** .

وقامت الحكومة الاسرائيلية بالفعل في ايفاد عدد من مندوبيها في مقدمتهم « ديان » نفسه الى أهالي الضفة الغربية ليقوم « باقناعهم » ، وبسط الان الجنود الشاهرين السلاح ، بمشروعه ولكن سكان الضفة رفضوا بحزم وشجاعة المشروع .. ولم يجد الارهاب الذى مارسته العسكرية الاسرائيلية في تحطيم الصلابة العربية . ويشيع المشروع الان بالفعل الى قبره . لتبقى اسرائيل غارقة في الحصار دائما .

ويبدو الموقف الان كما لو كان هناك عود كبريت مشتعل بجانب صفيحة بنزين مفتوحة . ولا مفر بالتالي من اشتعال النار طالما ان عود الكبريت لم يطفأ او ان صفيحة البنزين لم تبعد . ومن هنا **حتمية الصدام** ، وهو حق مشروع وواجب قومي بالنسبة لنا ازاء العدوان والاحتلال . وهو من ناحية اسرائيل استمرار لمنطق حركة المغامرة العسكرية العدوانية المتأصلة في كيانها ككيان عنصري توسعي يزيده غرور الانتصار المؤقت الذى أعمى مغامرين من أمثال ديان ومناحم بيجين واشكول والون وبن جوريون ، على ظن بان مثل هذا الانتصار يمكن ان يتكرر او يدوم في كل صدام اعتقادا منهم أنهم يقومون بدور « **البروسيين** » في الشرق الاوسط وهو وهم يسيطر الان بجنون على قادة اسرائيل ، حتى ليصدق عليهم المثل الالماني القائل « **يمكنك أن تدفع بنفسك الى القبر وانت منتصر** » . وهذه هي الحقيقة الموضوعية التي اكدتها احداث التاريخ ابتداء من المغول حتى النازيين الهتلريين .

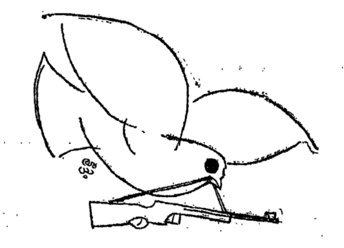
والواقع ان حرب الصهيونية ضد القومية العربية بحركتها التحررية التقدمية في الشرق الاوسط ، هي اشبه ما تكون بحرب بين « **الغراب والفيل** » . ان الغراب يستطيع مرة ومثنى وثلاث ان يصيب الفيل بخدوش بمنقاره الطائر . بيد أن هذه الخدوش لا يمكن ان تؤدى الى اخضاعه او اصابته اصابة قاتلة .

ولكن ضربة واحدة يسددها الفيل بخرطومه في احكام الى الغراب كافية لان تحوله الى جثة هامدة . ويسيطر الجنون القاتل على الغراب عندما يلتحم بالفيل معتقدا ان في قدرته ان يبتلعه .. ولكن عندما يحدث العكس — وهو أمر حتمي — فان الفيل يظل على حالته الطبيعية تماما . ولا يصيبه شيء حتى ولا عسر هضم .



تقرير عن الوضع في الشرق الأوسط

خالد محيي الدين



انعقد بلينينجراد مؤتمر للجنة الرئاسية لمجلس السلام العالمي في المدة من ٢٧ – ٢٩ اكتوبر ١٩٦٧ وذلك لمناقشة القضايا الخطيرة التي تهدد امن البشرية. وقد شارك في هذا الاجتماع خالد محيي الدين بصفته عضوا باللجنة الرئاسية وقدم تقريرا عن الوضع الراهن في الشرق الاوسط بعد العدوان الاسرائيلي الاستعماري .

واصدر المؤتمر بعد ذلك قرارا هاما عن الشرق الاوسط يدعو فيه قوى السلام في العالم لمساندة نضال الشعوب العربية ضد قوى العدوان الاسرائيلية والامبريالية .

وننشر هنا نص كل من التقرير والبيان :

أعلم ان القصة يطول شرحها ، ولكنني سأتوخى الايجاز اذ ان القضية واضحة والحقيقة ظاهرة .

وعلى كل فانا اود ان القى الضوء على بعض المسائل . لقد كان يحكم المجهودات الهائلة التي بذلها الامبرياليون لاقامة اسرائيل هدف واحد هو ايجاد كيان دخيل يمكن ان يقوم – بطبيعة تكوينه – بدور الامبرياليين ثم يصبح من الممكن ان يستخدموه للضغط على شعوب المنطقة وتعطيل تقدمها »

ولنستمع الى ما يقوله مؤسسو دولة اسرائيل انفسهم :

يقول تشرشل : « اذا قدر لنا ان نشهد – وهذا ما سيحدث – مولد دولة اسرائيلية في فلسطين، فسنشهد تحقيق خطوة تتفق تماما مع المصالح الحقيقية للامبراطورية »

وانطلاقا من هذا المخطط اتفق الصهيونيون والامبرياليون على خلق هذا الكيان الدخيل في

المنطقة وتحويلها الى اداة تخدم اغراضهم في الضغط والارهاب ، وكانت القوة هي الوسيلة الوحيدة التي تستخدمها اسرائيل لاثبات وجودها ولقد حققت اسرائيل فعلا — منذ مولدها — اهداف صانعيها ، فقد عملت على اشعال الاوضاع في الشرق الاوسط ، وقادت هذه المنطقة الفقيرة والنامية الى سباق مجنون في التسلح بقصد استنزاف ثرواتها ومنعها من تحقيق ما تصبو اليه شعوب هذه المنطقة من امال ، وعملت على ان تكون اداة في يد الاستعمار القديم ووارثه الاستعمار الامريكي الذي يستخدم اسرائيل في ضرب النظم التقدمية وجميع من يقفون في وجه النفوذ الاستعماري . ولهذا فستكون الحركة الديمقراطية في البلاد العربية ، وكذلك حركة التحرير الافريقية ، عرضة باستمرار للتهديد العسكري المستمر الذي تمثله هذه الترسانة العسكرية . ولقد قال « **جيمس فيرون** » مراسل النيويورك تايمس في القدس في السابع عشر من يونيه عام ١٩٦٧ وهو يشير الى دور اسرائيل ومثيلاتها : « **لقد وصلت الولايات المتحدة الى نتيجة وهي انه لم يعد في امكانها ان ترد على كل حدث تواجهه ، ولهذا فعليها ان تعتمد على القوة الرادعة التي تملكها دولة صديقة في المنطقة كخط امامي يمكن ان يجنب امريكا التدخل المباشر** » .

وهكذا اصبح على اسرائيل أن تقوم بدور السوط الذي يرهب به الامبرياليون الانظمة الثائرة في المنطقة . ولذا يمكن اعتبار الاعتداءات الاسرائيلية مقياسا لتقدم العرب ، فكلما شقت دولة في هذه المنطقة طريقها نحو التحرر اصبحت عرضة لتهديدات واعتداءات مركزة .

ولننتقل الى دراسة الارقام المتعلقة بالفترة بين عامي ٤٨ و ١٩٦٦ . لقد اصدر مجلس الوصاية والجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة **سبعة عشر قرارا** بادانة اعتداءات اسرائيل ، ومن هذه القرارات ثمانية تدين العدوان على الجمهورية العربية المتحدة وثمانية تدين العدوان على سوريا . كذلك اصدرت لجنة الهدنة التابعة للامم المتحدة سبعة عشر قرارا تدين عدوان اسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة وعشرة تدين عدوانها على سوريا . وعندما تولت حكومة النابلسي الوطنية الحكم في الاردن تركز الهجوم على الاردن وقد سجلت لجنة الهدنة ستة قرارات متوالية تدين اسرائيل لعدوانها على الاردن .

ولا تقف اسرائيل — وهي اداة في يد الاستعمار — موقفا عدائيا تجاه اماني الحركة الوطنية العربية فحسب ، ولكنها تنفذ سياسة خارجية تتضمن موقفا عدائيا ورجعيا ضد اماني الشعوب : فقد وقفت ضد استقلال الجزائر ، وساندت منظمة الجيش السرية الفرنسية بأن وضعت المطارات الاسرائيلية تحت تصرف قادة هذه المنظمة لتسهل لهم الهرب . وصوتت عام ١٩٥٢ في الامم المتحدة ضد استقلال تونس ومراكش ، وساندت تشومبي وحركته الانفصالية التي قام بها في الكونجو ضد لومومبا ، وصوتت عام ١٩٥٩ في الامم المتحدة ضد استقلال الكميرون ، وصوتت في نفس العام ضد مشروع قرار الدول الاسيوية الافريقية لحظر التجارب النووية في الصحراء الافريقية ، وهي تقف منذ عام ١٩٥٣ ضد اتخاذ اى قرار يدين الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا ، وهي تساند البرتغال ضد شعب انجولا وموزمبيق ، ويصل موقفها الى حد مد البرتغال بأنواع خاصة من البنادق الاوتوماتيكية .

اما بالنسبة لفيتنام فان اسرائيل تقف بصراحة الى جانب قوى الحرب والعدوان . لقد رسم **موشى ديان** خطة العدوان الاسرائيلي الاخير وكان لرحلته الى فيتنام قبل الهجوم الاسرائيلي مباشرة غرض مزدوج . اكتساب الخبرة في حرب العصابات والمساهمة بما لديه من معلومات في الحرب التي يشنها الامريكيون . فقد قال **كاوكي** في سايجون (٨ يونيه ١٩٦٧) «**انني اؤيد اسرائيل ان امام الجيش الاسرائيلي مهمة صعبة** »

ولقد قال **يواكيم برنز** — رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة — في بيان لجريدة « **دافار** » الاسرائيلية في السادس والعشرين من يولية ١٩٦٧ : « **لقد انقذ النصر الذي حققته اسرائيل سمعة الولايات المتحدة ، ولقد ثبت لواشنطن انها يجب ان تبدى الشكر لدولة اسرائيل ... فقد سهلت حرب الشرق الاوسط على الولايات المتحدة الاستمرار في حرب فيتنام** »

وعلى هذا فمن الخطأ ان نفهم اعتداءات اسرائيل على العرب كتعبير عن خصومات قديمة ، وانما الاصح انها تعبير عن التناقض بين التقدمية والرجعية — بين حركة الشعوب وبين الحركة المعادية للشعوب ، والا فكيف نفسر موقف اسرائيل من شعوب انجولا وموزمبيق والكميرون وفيتنام والكونجو ؟

لابد ان تستحوذ هذه القضية على اهتمام كل ديمقراطي وكل تقدمي وكل مدافع عن السلام العالمي . انها ليست خلافا على حدود بين دول وانما هي صدام بين الحركة التقدمية وبين قوى الرجعية العالمية وعلى وجه الخصوص احتكارات البترول العالمية .

ومن الضروري ان ندرس العدوان الاسرائيلي ضد الدول العربية في اطار الاجراءات العنيفة والوحشية التي استخدمت ضد حركة التحرير في فيتنام وقبل ذلك في الكونجو وامريكا اللاتينية فهذه الاعمال جزء من حركة الثورة المضادة ضد حركات التحرير الثورية والحكومات التقدمية

التي تؤدي تصفيتها الى تغيير ميزان القوى لصالح الاستعمار وتهديد السلام العالمي والتعايش السلمي .

كيف يمكن ان نفسر التعاون الوثيق والعلاقات التجارية التي تقوم بين اسرائيل وبين الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا ؟

واذا تركنا الجانب السياسي وانتقلنا الى الجانب الاقتصادي فسنجد ان اسرائيل خاضعة تماما للاحتكارات الامريكية وهو ما تظهره دراسة الارقام التالية : فخلال السنوات العشر الاولى من قيام اسرائيل اعطتها امريكا :

٢ر١ الف مليون دولار كمساعدات ،

٧٠٠ مليون دولار من هيئات الاعانة ،

٢٧٦ مليون دولار قيمة السندات المباعة في امريكا لحساب اسرائيل .

ومن ناحية اخرى حصلت الدول العربية مجتمعة في ثمانية اعوام على ١٦٤ مليون دولار فقط .

وعلينا ان نضع في الاعتبار ان التعويضات الالمانية المدفوعة لاسرائيل بلغت ٨٢١ مليون دولار

ولقد اعلنت جريدة هاعولام الاسرائيلية في عددها ١٤٢١ لعام ١٩٦٤ ان المعونة السنوية التي تمنحها امريكا لاسرائيل تبلغ ٦٠ دولارا سنويا بالنسبة للفرد بينما تتراوح هذه المعونة في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية بين دولارين وثلاثة دولارات سنويا .

ولا يقتصر الامر على المعونة ـ فالاحتكارات الامريكية تمتلك مشروعات عديدة . ويجد الرجعيون في اسرائيل ان من مصلحتهم زيادة ما تملكه امريكا من المشروعات الاقتصادية في اسرائيل فزيادة مصالح الاحتكارات تعني مزيدا من المساعدات والحماية والدعم لهذه المشروعات .

وهكذا باعت الحكومة الاسرائيلية للاحتكارات الامريكية في عام ١٩٥٨ بعض المشروعات الاستثمارية المملوكة للدولة . وفي هذا العام وحده تصرفت اسرائيل في اثني عشر مشروعا بهذه الطريقة من ضمنها نصيب الحكومة الاسرائيلية في شركة ويشوفن بلاكلودزيم . وباعت اسرائيل في عام ١٩٦٠ ثلاثة مصانع لقطع الماس الى الاحتكارات الامريكية

وفي عام ١٩٦١ منحت اسرائيل الاحتكار الامريكي الحق في استثمار الاملاح المعدنية في البحر الميت حتى عام ١٩٩٩ ، وفي نفس الوقت حصلت شركة الالومنيوم الامريكية على حق استثمار الفوسفات في صحراء النقب بينما اشترت مجموعة من الاحتكارات الامريكية اكبر المصانع الكيماوية في حيفا ، وهناك صناعة قطع الماس التي تكون جزءا هاما من الصناعة الاسرائيلية ويسيطر عليها تحالف بين الحكم العنصري في جنوب افريقيا والحكام العنصريين في اسرائيل

والحقيقة اننا اذا جردنا اسرائيل من هذه المساعدات والمشروعات . فسيكون من الصعب تصور قيام اسرائيل في حالتها الراهنة .

وهكذا يبدو واضحا ـ من الناحيتين السياسية والاقتصادية ـ ان اسرائيل احد معاقل الاستعمار من الناحيتين المادية والمعنوية . وهذا ما يفسر عدوانيتها ووحشيتها وكذلك الحماس الشديد الذي يبديه الاستعمار في الدفاع عنها .

ولو ان القضية كانت مجرد قضية مجموعة من اللاجئين اليهود الفارين من الاضطهاد الذي يلقونه في بعض الدول ويرغبون في المعيشة في فلسطين على قدم المساواة مع السكان العرب ، لهان الامر . ولكن القضية ان هناك مخططا شبيها بالمخطط الذي وضعه المستوطنون الاوربيون في جنوب افريقيا وغيرها من البلاد ، حيث يهدفون الى اغتصاب الارض من مالكيها واقامة حكم عنصري يؤكد ويحمي وضعهم المتميز ، واكثر من ذلك لا يكتفي هذا النظام باستغلال سكان هذه الارض الاصليين ـ وانما يقوم بطردهم وتشريدهم . ولهذا فطالما استمر وجود هذا النظام العنصري ، فسيوجد دائما الاستعداد للعدوان واستخدام القوة لفرض هذه الاوضاع غير الطبيعية وغير المقبولة .

ومن الملاحظ انه لكي تستوعب اسرائيل قوى المجتمع الاسرائيلي كلها بغض النظر عن اصلهم ، فان قادتها يقومون كل عشرة اعوام بشن حرب ضد جيرانها تسندها فيها قوى الامبريالية التي تعمل بدورها على اضعاف الحركة الوطنية في المنطقة بتحويل اسرائيل الى ترسانة حربية ضخمة

ولا اعتقد ان هذه النقطة تحتاج الى تفصيل ولكنني اود ان اوجه انظاركم الى مقال نشر في جريدة ها ارتز الاسرائيلية في العشرين من يوليو عام ١٩٦٢ تحت عنوان ذي مغزى : اسرائيل ، الولاية الواحدة والخمسون من الولايات الامريكية ويقول : « يعتقد قادة اسرائيل ، وكذلك غالبية سكانها ، ان الولايات المتحدة الامريكية مسئولة عن وجود اسرائيل الى الدرجة التي تجعلهم يعتقدون ان اسرائيل ولاية امريكية » .

ولكن الخطر الرئيسي يكمن في حقيقة ان حكام اسرائيل الرجعيين تحكمهم منذ البداية وحتى قبل مولد اسرائيل اطماع توسعية . ولم يخف قادة الحركة الصهيونية وحكام اسرائيل اهدافهم التوسعية في اي وقت .

ويمكن ان ندرس بايجاز بيانات وكتابات هؤلاء القادة :

يقول وايزمان في مذكراته الشخصية : « اعلم ان الله قد وعد بني اسرائيل بالمعيشة في فلسطين ولكنني لا اعلم الحدود التي وضعها لفلسطين ، واعتقد ان هذه الحدود اوسع امتدادا من الحدود المقترحة ويمكن ان تضم الاردن » (المذكرات الشخصية لوايزمان : ص ٤٧٤)

ويصف هرتزل مقابلته مع ممثل امبراطورية المانيا فيقول : « ولقد سألني كذلك عن الارض التي نحتاج اليها وما اذا كانت تمتد شمالا الى بيروت او الى ابعد من ذلك . واجبت بأننا سنطلب ما نحتاج اليه وبأن المساحة ستزيد بزيادة المهاجرين (مذكرات هرتزل الشخصية ص ٧٠١)

وهنا يكمن الخطر الاعظم والتهديد الحقيقي للسلام ولأمن الشعوب : هذا الجيب الامبريالي العنصري ، تلك الترسانة الحربية التي تهدد السلام والامن التي تتوسع باستمرار وتراودها الاحلام في استقبال المزيد من المهاجرين من جميع انحاء العالم .

ولكن ما مغزى استيراد المزيد من المهاجرين ؟ ان هذا يعني مزيدا من المهاجرين ومزيدا من الحملات الحربية واستمرارا التوتر . وباختصار انه يعني اشتداد القبضة التي تتحرك لتهدد شعوب تلك المنطقة ، وكذلك يعني زيادة التهديد والارهاب .

واليوم يتكلم قادة اسرائيل تلك اللغة ، فلقد نقلت اليونيتد برس في السابع والعشرين من يوليه ١٩٦٧ تصريحا للجنرال ايزر ويزمان قال فيه « لن تستطيع قوة في العالم ان تجبر اسرائيل على ترك مواقعها الحالية ».

ويقول سفير اسرائيل في واشنطن (في برقية لليونيتد برس في ١٧ يونية) : « لن تترك اسرائيل الاراضي التي كسبتها في الحرب » .

واذاع راديو لندن في التاسع من يولية ان ليفي اشكول اعلن ان اسرائيل ستحتفظ بقطاع غزة بالاضافة الى القدس القديمة ، واضاف الراديو قائلا : « اجاب اشكول على سؤال عن رد الفعل الذي سيقابل به اسرائيل اي قرار من الامم المتحدة لا تقبله بقوله : في هذه الحالة سنحارب»

اذن فاسرائيل مصممة على ضم الاراضي التي احتلتها من خلال العدوان الاخير لكي تقيم اسرائيل الكبرى . ففي التاسع عشر من سبتمبر اذاعت اليونيتد برس بيانا لوزير العمل الاسرائيلي ييجال الون يقول فيه « تحتاج اسرائيل الى ثلاثين الف مهاجر كل عام من العمال الاكفاء وانصاف الاكفاء»

وهكذا تبرز صورة « اسرائيل الكبرى » الى اذهان واحلام حكام اسرائيل وسادتهم الرجعيين وتحكم هذه الاحلام مخططات السيطرة الامبريالية على المنطقة وامال امبراطوريات البترول في استمرار نهب ثروات المنطقة من البترول . وهذا هو الهدف من عدوان ٥ يونية .

ولقد دبر عدوان ١٩٦٧ في الحقيقة بخبث ، وكان توقيته ذا مغزى عظيم . فالجمهورية العربية المتحدة ــ وقد تخلصت من جميع اشكال التبعية وسارت في طريق التحول الاشتراكي من خلال عدد من القوانين الاشتراكية التي تستهدف خلق مجتمع الرفاهية للجماهير ــ اصبحت نموذجا يهدد أهداف الامبرياليين والانظمة الرجعية ، ليس فقط في المنطقة العربية وانما في افريقيا ومنطقة الشرق الاوسط من ايران حتى امراء البترول الرجعيين ، فلقد تأثر كل هؤلاء بنفوذ الجمهورية العربية المتحدة وبمساعداتها الايجابية للثوريين فكان هذا النموذج الذي تمثله هو اكبر واخطر تهديد يواجهونه .

ولنتصور خريطة العالم العربي قبل العدوان: الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا واليمن ، والاتجاهات التحريرية في كثير من الاقطار ، والنجاح المرتقب للثورة في الجنوب العربي التي ستحدث تغييرا اساسيا في ميزان القوى في الجزيرة العربية كلها ، وبعد ذلك المعارك المتتالية ضد الحكومات الرجعية .

ولنتصور الجمهورية العربية المتحدة بعد عامين او ثلاثة اعوام عندما تظهر نتائج السد العالي في زيادة مساحة الاراضي القابلة للزراعة وانتاج الكهرباء ، حينما تؤتي ثمارها المصانع الجديدة ــ التي تصل الى المئات . والمشروعات التي يقوم بانشائها العمال المصريون بمساعدة الاصدقاء . اذا استطعنا فهم هاتين الصورتين فسنتأكد ان الهدف الحقيقي من عدوان يونيه كان هو :

١ ــ توجيه ضربة الى حركات التحرير العربية والافريقية .

٢ ــ توجيه ضربة الى النموذج الاشتراكي الذي يقيمه شعب الجمهورية العربية المتحدة ــ ذلك النموذج الذي كان على وشك ان يقدم نتائج باهرة ستضع شعوب العالم العربي ، بل شعوب الشرق الادنى والشرق الاوسط وجزء من القارة الافريقية بمحاولة اقامة نموذج مماثل .

٣ ــ تقوية دور اسرائيل في الدفاع عن المصالح البترولية في الشرق الاوسط .

وبالنسبة للدفاع عن المصالح البترولية في الشرق الاوسط اشير الى مقال جريدة ((الاصدقاء)) التي تصدر في باريس والذي قامت بطبعه مجلتنا « الاهداف » في عددها العاشر لعام ١٩٦٧ (صفحة ١٣) والذي يقول : «ان المصالح البترولية الدولية ــ التي تحتاج اعمالها الى ان تأخذ الحقائق الاساسية في الاعتبار طالما كانت هذه الحقائق عوامل اقتصادية ــ تبدي اهتماما متزايدا بالاثر الذي تتركه هزيمة اسرائيل على

استمرار الوقود الذى يصل الى أوربا أنهم يخشون ان يؤدى انتصار ناصر الى استيلائه على حقول البترول الاساسية فى الشرق الاوسط ويرسل ممثلو شركات البترول الكبرى الى مكاتبهم فى العواصم الغربية بتقارير تختلف اختلافا بيناتبعا للوظائف التى يشغلونها والمصالح التى يمثلونها ولكنها تميل جميعها الى التشاؤم ». ويمكن تلخيص مضمونها فيما يلى : يمكن تشبيه الشرق الاوسط بمنزل من ورق اللعب دعامته الحقيقية هى الدولة الاسرائيلية التى تقف ضدها الدول العربية المعادية لها . وبالرغم مما قد يبدو من المظاهر ، فان الهوة الاكثر عمقا فى دول الشرق الاوسط قائمة بين الدول الثورية الفقيرة والتى لا تمتلك اى مورد للبترول مثل سوريا أو مصر الى وقت قريب ، وبين الدول المحافظة والغنية التى يحكمها ملوك ». وهذه الدول الاخيرة هى التى تمثل الخطر الحقيقى الذى تشعر الدوائر البترولية حياله بأن الصدام مع اسرائيل ليس الا عملية تعمية ». ولكن الامر لم يعد هكذا فأصحاب المصالح البترولية يخشون من ان تؤدى هزيمة اسرائيل فى وقت قصير ، الى اسقاط نظم الحكم فى تلك البلاد الغنية الهيدروكربونات

ويتمثل الخطر الحقيقى فى ان الصهيونيين والامبرياليين حاولوا فى الفترة الماضية ان يضللوا قسما هاما من الراى العام العالمى خصوصا فى اوربا وان يقوموا بعدوانهم فى الشرق الاوسط بينما هؤلاء يؤيدونهم ويباركون خطواتهم . ولقد كانت حجج هؤلاء تتلخص فى ان اسرائيل كانت تدافع عن وجودها وان اغلاق خليج العقبة كان سيخنق اقتصاد اسرائيل ، هذا بالرغم من ان الاحصائيات تدل على انه خلال السنوات العشر الاخيرة لم تزد السفن التى عبرت خليج العقبة فعلا عن ٣ — ٤ ٪ من مجموع السفن التى تصل الى موانى اسرائيل ». ولقد ثبت كذلك ان الجيوش العربية لم يحدث على الاطلاق أنها اخترقت الحدود الاسرائيلية او بدات عدوانا ضد اسرائيل منذ انشائها ».

ولم تكن القضية — كما تشيع الدعاية الصهيونية — قضية ثمانين مليون عربى يهاجمون مليونين من الاسرائيليين . فالذى حدث هو ان اسرائيل — وهى الترسانة الحربية القت فى المعركة بنصف مليون جندى ، وهو عدد يفوق قوات الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن مجتمعة ». ولقد كانت اسرائيل هى البادئة بالعدوان تبعا لمخطط مرسوم يهدف الى اغتصاب مساحات جديدة من الارض وطرد سكانها واقامة مستعمرات جديدة للمهاجرين الجدد حتى تقوم « اسرائيل الكبرى ». ».
واننى لعلى يقين من ان لجنة السلام التى زارت المنطقة وشاهدت بنفسها آثار العدوان سوف تخبركم بأن كل ما حدث لم يكن اكثر من خطة مرسومة لارهاب السكان العرب وارغامهم على هجرة مساكنهم ».

ان هذا جزء من الخط السياسى العام لحكام اسرائيل ، ذلك الخط الذى بموجبه يتوقف وجودها فى المنطقة على استخدام القوة التى يستمدونها من الامبرياليين الامريكان وحلفائهم. ».

ان النضال لازالة آثار العدوان ولاقامة سلام فى المنطقة يعتمد على الجماهير العربية وبنائها لقوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية بمساعدة أصدقائهم فى البلدان الاشتراكية .

ولكننا نود ان تشاركوا فى معركتنا بشرح الحقيقة للراى العام العالمى وبادانة وكشف السياسة العدوانية التى تنتهجها اسرائيل ، فنحن نريد منكم أن تشرحوا للعالم ان العدوان الاسرائيلى وسياسة قادة اسرائيل هما جزء لا يتجزأ من الثورة المضادة العالمية ضد الحركات الشعبية فى فيتنام والشرق الاوسط وافريقيا ، وأن النظام العنصرى فى اسرائيل يكون المصدر الدائم للخطر فى تلك المنطقة ، وان القضية ليست قضية معاداة للسامية أو اليهودية كما يدعون وليست هى قضية حماية حقوق اليهود المضطهدين فى الوجود .

واسمحوا لى ايها الاصدقاء أن أنقل فقرة من كلام سكرتير الحزب الشيوعى الاسرائيلى « هناك أصدقاء مخلصون للشعب اليهودى الذين تدفعهم ذكرياتهم عن ذبح اليهود على أيدى السفاحين النازيين فى الحرب العالمية الثانية الى ان يتخذوا موقف العطف تجاه كل ما هو يهودى دون تفرقة بين ما هو عادل وما هو جائر ، بين ما هو تقدمى وما هو رجعى وشوفينى وما يخدم المصالح القومية الحقيقية ». وهم باتخاذهم هذه المواقف يضرون بمصالح شعب اسرائيل ضررا بالغا، لانهم يقوون موقف القادة الصهيونيين المتطرفين بالاضافة الى موقف القوى الامبريالية التى تتضامن مع هذه القيادة ». وبهذه الطريقة لا يساعدون دولة اسرائيل — بأى شكل — فى اقامة السلام والامن » ».

اننى لا أطلب منكم ادانة العدوان فهذا واجبكم الذى يمليه عليكم كونكم المدافعين عن السلام وكونكم أعداء الامبريالية المؤمنين بحق الشعوب فى تقرير مصيرها ». كل ما أريده أن تتصوروا مدى الخطر الذى يتعرض له السلام العالمى والامن وحقوق وحرية شعوب المنطقة فى حالة نجاح المطامع الصهيونية والامبريالية فى تحقيق غاياتها الشريرة ». أريدكم أن تتصوروا التوتر وقد تضاعف، والخطر وقد تضاعف ، والشر وقد تضاعف ، عشر مرات ».

ولهذا نضم صوتنا الى المؤتمر العالمى لتأييد الشعوب العربية فى نيودلهى الذى سيعقد فى الحادى عشرة الى الرابع عشرة من نوفمبر عام

١٩٦٧ .» ونحن نعتبر هذا المؤتمر حدثا هاما وخطوة واسعة الى الامام ضمن الحملة العالمية لتصفية اثار العدوان الاسرائيلى ، ونحن واثقون من أن كثيرا من المنظمات القومية والعالمية التى تعمل من اجل السلام ستؤيد هذا المؤتمر . ونحن نقدر تقديرا عاليا التأييد الذى يمنحه مجلس السلام العالمى لهذه المبادرة .»

اننا نريد السلام ونعمل من اجله . ولكن السلام الذى نقبله هو السلام القائم على العدل والذى يمنح العرب حقوقهم فى فلسطين ، كما جاءت فى قرارات الامم المتحدة ، والذى يتضمن سحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية . ونحن نرفض رفضاباتا الامر الواقع الذى تفرضه القوة . اننا نرغب فى حل سياسى شريف وعادل ولن نستسلم لسياسة القوة .

وفى ضوء كل هذا أترك لضميركم مهمة تقرير الخطوات التالية .

رئاسة مجلس السلام العالمى (بيان عن الشرق الاوسط)

ان اللجنة القيادية لمجلس السلام العالمى ، وهى تكرر ادانتها العدوان الاسرائيلى ، تعلن انه لضمان السلام والامن فى الشرق الاوسط وفى باقى انحاء العالم ، ومن اجل الحفاظ على الاستقلال القومى للشعب ، فمن الضرورى ان تنسحب القوات الاسرائيلية فورا من الاجزاء التى احتلتها من الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا فى شهر يونية عام ١٩٦٧ . ان هذا هو اول خطوة نحو ايجاد تسوية سلمية تضمن سلاما عادلا فى تلك المنطقة من العالم ، واذا لم يتحقق ذلك على وجه السرعة فهناك خطر تجدد الصدام المسلح .

ولقد كانت الشعوب العربيه فى الشرق الاوسط تواجه المؤامرات الاستعمارية كلما تزايد اتجاهها نحو الاستقلال والتقدم الاجتماعى . وفى التاريخ القريب حدث مرتين ان قامت الجيوش الاسرائيلية بغزو البلاد العربية وانت دور اولئك الذين كانوا يعملون على استعادة سيطرتهم ونفوذهم على تلك المنطقة . ويغلب على الظن ان العدوان الاسرائيلى فى الخامس من يونية — وهو العدوان الذى اوعزت به وشجعته الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية — كان يخدم مخططات حلف الاطلنطى من حيث انه نموذج يمكن استخدامه فى أوربا ، وهو يجىء كجزء من الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة التى يشكل عدوانها ضد شعب فيتنام فى الاونة الحاضرة مثلا صارخا لسياسة الولايات المتحدة .

ولقد اعلنت الحكومة الاسرائيلية عزمها على ضم جميع الاجزاء التى استولت عليها وبوجه خاص القدس وغزة والضفة الغربية للأردن ، وهذا الموقف لا يمكن السكوت عليه ، خصوصا وان اسرائيل — تحت ستار الدفاع عن حدودها — قامت بالفعل قبل الخامس من يونية وبقوة السلاح ، بضم اجزاء وسعت بها من رقعتها الاصلية .

وتثبت الاجراءات التى اتخذتها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة فى المناطق المحتلة — وهى محاولة ارهاب وارغام اهالى هذه المناطق على الخضوع للقوانين والنظم الاسرائيلية ، واقامة مستعمرات جديدة فى تلك المناطق ، ودعوة المستوطنين الأجانب الى تملك اراضى العرب ، واستغلال ثروات تلك المناطق بمساعدة الاحتكارات العالمية — أثبتت ان هناك سياسة مبيتة للاضطهاد والاستغلال موجهة الى المناطق المحتلة ، بجانب سياسة التمييز الدائم الذى تمارسه تلك الدوائر ضد العرب والكبت الشوفينى الذى تواجه به القوى الديمقراطية فى داخل اسرائيل نفسها .

ويقابل أهالى المناطق المحتلة جميع الاجراءات التى تتخذها اسرائيل بمقاومة مشروعة تتزايد باستمرار . ولقد أثار اشمئزاز العالم ما قامت به قوات الاحتلال الاسرائيلية فى عديد من المرات من طرد السكان وما ارتكبته من جرائم . ولقد احيطت اللجنة القيادية لمجلس السلام العالمى علما بهذه الاحداث عن طريق وفد المجلس الذى زار الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن ، وهى تشجب هذه الاعمال غير المشروعة واللاانسانية .

أننا نهيب بجميع المنظمات والهيئات التى تدعو الى السلام ان تبعث بمندوبيها الى البلاد العربية ليقفوا بانفسهم على ما تواجهه تلك الاقطار من مشاكل كنتيجة للعدوان الاسرائيلى .

اننا — اذ يحدونا الاخلاص لمبادىء مجلس السلام العالمى — نعارض وسوف نقاوم دائما كل تمييز قائم على اساس الجنس والدين ، بما فى ذلك الاراء المعادية لليهودية .

ان العدوان الاسرائيلى واحتلال المناطق التى تم غزوها بالقوة المسلحة ، يشكلان انتهاكا صارخا للقانون الدولى ولميثاق الامم المتحدة ، ان قادة اسرائيل يتحدون الراى العام العالمى برفضهم السافر لقرارات منظمة الامم المتحدة وعدم قبولهم راى الغالبية العظمى لشعوبها .

ان اللجنة القيادية لمجلس السلام العالمى تكرر تأكيد حق جميع الشعوب فى الاستقلال والسيادة .. وهى تقف مع الكفاح الباسل الذى تقوم به الشعوب العربية من أجل الاستقلال والتقدم والسلام ، وضد جميع اشكال الاستعمار الجديد ، وهى تقف بجانب تلك الشعوب فى مجهوداتها التى تهدف الى وضع نهاية للعدوان الاسرائيلى وازالة آثاره .

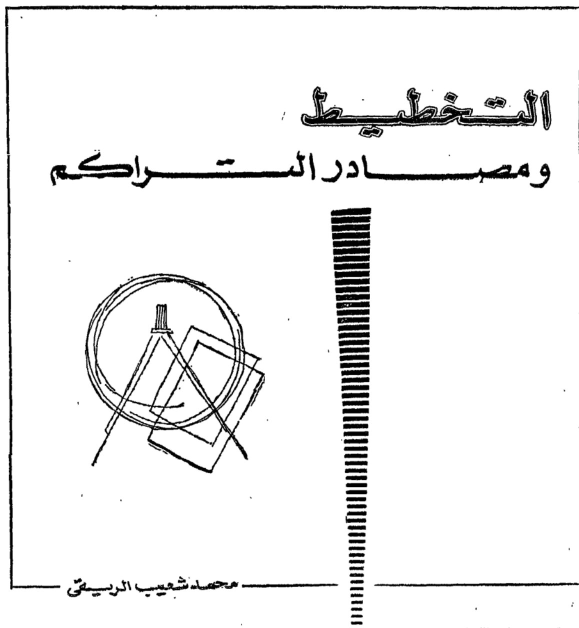
وتعبر اللجنة القيادية لمجلس السلام العالمي عن تضامنها مع جميع ضحايا العدوان الاسرائيلى ، وتضع أمام انظار العالم الاحوال المبشعة التى خلقها العدوان الاسرائيلى بالنسبه لاولئك الذين ارغموا على ترك اوطانهم . وكلما طال امد هذه الحال ، ازدادت الالام والصعاب التى يعانى منها آلاف الاشخاص الذين حرموا من ارضهم وبيوتهم ، وهى تطالب بدفع تعويضات عن الضرر وان تعاد المساكن والاراضى الى اصحابها من اللاجئين فورا . وهى تدعو — بتفصيل اكثر — الى تنفيذ قرارات الامم المتحدة بالنسبة لحقوق شعب فلسطين العربى وعودتهم الى وطنهم . فهذه الشروط ضرورية لاقامة سلام دائم فى الشرق الاوسط وهى تتفق مع مصالح جميع الشعوب والدول فى تلك المنطقة .

ان اللجنة القيادية لمجلس السلام العالمى تحيى اولئك الذين هاجموا من داخل اسرائيل العدوان الاسرائيلى وسياسة الضم التى تنتهجها حكومة اسرائيل .

ولقد رفض قادة إسرائيل رفضا باتا كل محاولة لايجاد حل سلمى لازالة آثار العدوان الذى عرض السلام للخطر .

ولا يمكن ان يوجد سلام كنتيجة لحرب عدوانية او لحالة يسمح فيها للمعتدى بالاحتفاظ بما استولى عليه او بتشجيعه باى طريقة .

واللجنة القيادية لمجلس السلام العالمى تدعو جميع القوى المحبة للسلام الى شن حملة عالمية لسحب القوات الاسرائيلية فورا من الاراضى التى احتلتها وتنفيذ قرارات الامم المتحدة . ان هذا ضرورى لتثبيت دعائم سلام دائم قائم على العدل ومستند الى اقرار الحقوق المشروعة لشعوب هذه المنطقة .



يكتب هذا المقال شعيب محمد الريفي .. وهو من المفكرين والكتاب التقدميين في المغرب .

اننا بتحليل الخبرة التي مرت بها المغرب خلال السنوات الاخيرة ، فيما يتعلق بالتخطيط ، وتراكم رؤوس الاموال ، والنمو الاقتصادي ،نتمكن ،على خير وجه ،من استخلاص عدة اراء عامة تعزز التقدير الذي ينتهي الى ان الاسلوب الراسمالي في التنمية لا يمكن ان يحل مشاكلنا ».

ولكن ينبغي علينا الان ان نتجاوز هذه المرحلة، وان نقوم باكبر قدر من الدقة ومن الصرامة العلمية اللازمة ،بتحديد العناصر الايجابية لنظرية التنمية غير الرأسمالية في البلاد الافريقية ، « وذلك في خارج نطاق الاراء العامة» ، و «السبل المطروقة» حيث تعتمد هذه النظرية على تحليل الوقائع المحددة وتستخدم اخر ما انتهى اليه علم الاقتصاد وعلم الاجتماع ».

ان النهوض بمثل هذا المشروع الشاق المعقد يتطلب بذل جهود كبيرة ،والقيام بابحاث دقيقة ،

وبموأجهات متكررة بين حركات التحرير التي تعمل في افريقيا في ظروف سياسية واقتصادية تختلف بعضها عن البعض الاخر بالرغم من وجود عدة عوامل مشتركة بينها . ولكن ضرورة النهوض بمثل هذا المشروع تبدو لنا ملحة ، وتزداد الحاحا يوما بعد يوم ، اذ انه جزء لا يتجزأ من كفاحنا السياسي والايديولوجي ،واذ نحس اليوم بحاجة الى ارهاف ادواتنا في هذا الكفاح ، والارتفاع بمستواها ، وزيادة فاعليتها فهي تلقي امامنا ضوءا اكبر على طريق المستقبل .

أسباب الفشل في التخطيط

فبعد ان حصلت البلاد الافريقية على استقلالها السياسي ، اعلنت معظم الحكومات الافريقية ان التخطيط منهج رئيسي للتنمية . فما هي حقيقة الامر ؟ اذا استثنينا بعض البلاد التي قامت بعملية التخطيط الحقة ، مع الالتزام بكل مقتضياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفي مقدمة هذه البلاد الجمهورية العربية المتحدة فاننا نجد ان الامر في الجانب الاعظم من هذه الحالات ، لا يتعلق بتخطيط حقيقي لتنمية اقتصادية وذلك :

١ ـ لانه لم تتحقق التغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية والتغيرات المتعلقة بمؤسسات الدولة القديمة ، وهي التغيرات التي ينبغي ان تكون سابقة على التخطيط . اى انه لم تكن هناك تغيرات حاسمة للعلاقات الاجتماعية في الزراعة ، هذا الى ان الاحتكارات الاجنبية ظلت تحتفظ بالسيطرة ـ بدرجات متفاوتة ـ على القطاعات الحيوية للاقتصاد ، الخ ..

٢ ـ لان تدخل الدولة ، الذي يعد في اغلب الاحيان تكملة لعمل القطاع الخاص تنقصه الحيوية اللازمة ، الامر الذي لم يؤد الى خلق قطاع عام نام نموا كافيا كما وكيفا ، حتى يمكنه ان يلعب دور الموجه بالنسبة للتنمية الاقتصادية.

٣ ـ لان نمو بورجوازية بيروقراطية تجارية اثرت بفضل استخدامها المباشر وغير المباشر لجهاز الدولة عن طريق مختلف الوسائل «استغلال النفوذ والفساد ، الخ .. » ،خلق فرملة اجتماعية قوية ، اعاقت تطبيق التخطيط الحقيقي الذي هو مضاد طبعا لمصالح هذه الفئة الاجتماعية .

والمثال الذي يقدمه المغرب يدل على انه لا يكفي وضع برامج للتنمية بل ولا اقامة عدد من الادوات الجديدة للاستثمار والتدخل الاقتصادي، اذا لم تكن الهياكل الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية القديمة قد تم تعديلها اولا .

وكان يمكن ان يكون مشروع السنوات الخمس « ١٩٦٠ـ١٩٦٤ » تمهيدا ـ مهما كان هذا التمهيد ضئيلا ـ لانطلاق الاقتصاد المغربي بعد الاستقلال، لو ان الاصلاحات الهيكلية « ولاسيما الاصلاح الزراعي » والتي هي في نظر مشروع السنوات الخمس ضرورية ، كانت قد طبقت ،ولو ان الدولة تكفلت بالقيام بعملية الاستثمار في القطاع الصناعي ، او على الاقل بالجانب الاكبر من هذه الاستثمارات . ويعزى الجانب الاكبر من الفشل الذي صادفته هذه المحاولة الاولى للتنمية الاقتصادية الوطنية ، الى عدم تطبيق اصلاحات في الهيكل قبل مشروع السنوات الخمس ، والى عدم توفر الحيوية اللازمة لتدخل الدولة ، كما انه يعزى بصفة اساسية الى الاوهام التي كانت تراود القوى الاجتماعية الحاكمة بشأن امكانية ان تجد بعد الاستقلال سيلا متدفقا من الاستثمارات الاجنبية الضخمة ، شبيه بالسيل الذي تدفق في اعوام « ١٩٤٦ ـ ١٩٥٣ » اثناء الحماية الفرنسية . وفي هذه الظروف ، فان قدرة الادوات الفنية والمالية الجديدة التي اقيمت لتسهيل التنمية لا يمكن الا ان تكون محدودة جدا ، ومحاولة تعبئة قوى العمل على اساس البطالة المستترة « النهوض الوطني » لا يمكن ان تكون فعالة بالمعنى الحقيقي . وبمقارنة مشروع السنوات الثلاث المزعوم الذي يغطي الفترة «١٩٦٥ـ١٩٦٧» بمشروع السنوات الخمس « ١٩٦٠ـ١٩٦٤» ، فانه يمثل تراجعا صريحا ، سواء في مفهومه العام ام في الشروط المتوقعة لتطبيقه .

محتوى تخطيط حقيقي

ان ابراز الطابع « ذا الدلالة » للتخطيط في المغرب ، يوضح الفشل الكبير الذي اصاب محاولات التنمية . وتناقص الانتاج بالنسبة لكل فرد من السكان منذ اعوام كثيرة يثبت ذلك بأجلى بيان .

واذا حاولنا ان نحدد موضوعيا شروط تخطيط فعال لنمو المغرب الاقتصادي « مفترضين طبعا ان **الظروف الاجتماعية والسياسية** مهيأة لهذا النمو ». فاننا نستطيع ان نقول :

١ ـ يجب **اولا** ان تقوم بالتغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية ـ والتغيرات المتعلقة بمؤسسات الدولة ، والتي يجب ان تسبق عملية التخطيط : **اصلاح زراعي جذري** ، وتأميم قطاعات الاقتصاد الحيوية ، وتركيز الجانب الاكبر من « الفائض الاقتصادي الخ » ... في يد الدولة .

٢ ـ ان الامتداد الضروري للقطاع العام الى « القمم المسيطرة على الاقتصاد » « بما فى ذلك الصناعة الثقيلة » تهيىء للدولة الوسائل الكفيلة بتخطيط الهياكل الاقتصادية الاساسية « نسبة الاستهلاك الاجمالى ، والاستثمار الاجمالى ، وتوزيعه بين القطاعات المختلفة ، الخ » وبتحديد الاهداف التى يتعين بلوغها تحديدا ملزما بالنسبة لعدد معين من المنتجات الرئيسية ، وكذلك بتحديد الاستثمارات الضرورية التى تتيح بلوغ هذه الاهداف وتمويلها .

٣ ـ خلال مرحلة انتقالية بطولها سوف يبقى الى جانب القطاع العام المسيطر قطاع خاص معين . وبالنسبة لهذا القطاع الاخير ، لابد لمشروع التخطيط ان يكون ذا دلالة . وعلى الدولة ان توجه حركة القطاع الخاص الى التطابق مع اهداف مشروع التخطيط . وذلك عن طريق استخدام وسائل مناسبة مثل الضرائب ومنح العملات الصعبة وتنظيم الاسعار ، واسهام راسمال الدولة فى شركات مختلفة ، واقامة علاقات تعاقدية بين الدولة ومشروعات خاصة ، وكذلك بين الدولة والتشكيلات الجماعية « تعاونيات الخدمات وتعاونيات الانتاج ، الخ »

٤ ـ يمكن ان يترك جانب من الموارد العامة للاستثمار تحت تصرف المؤسسات الاقليمية المزودة باختصاصات اقتصادية ، يمكنها ان تستخدمها ، فى ظروف خاصة دون ان تتقيد بالاهداف الملزمة للمشروع المركزى ، من اجل الوصول الى عملية توافق تدريجى للتنمية الاقتصادية على ارض الوطن فى مجموعها ، ومن اجل تشجيع المبادرات على الصعيد الاقليمى والمحلى .

٥ ـ يجب ان يصبح مشروع التخطيط اداة لتعبئة جميع الطاقات الخلاقة للسكان ، ويجب ان تترجم اهدافه الى اصطلاحات فى متناول الجميع ، وان يصبح تحقيق هذه الاهداف الشغل الشاغل للجميع . وذلك يقتضى اجراءات معينة لوضع مشروع التخطيط واهدافه امام الشعب لاستفتائه ، على ان تتيح هذه الاجراءات للشعب ، لا ان يأخذ على نفسه التعهدات فحسب ، وانما ليشارك فى وضع مشروع التخطيط ايضا عن طريق انتقاداته ومقترحاته وهذا هام كل الاهمية بالنسبة لنجاح عملية تعبئة قوى العمل ذات البطالة المستترة فى قطاع الريف ، التى يستطيع المشروع التخطيطى المركزى ان يحدد اهدافها الشاملة ، والتى يمكن لمشروعات تخطيط اقليمية ومحلية « فى المحافظات وفى القرى » ان تحدد اهدافها التفصيلية بالاتفاق مع من يعنيهم الأمر .

ان المصادر الداخلية للتراكم فى البلاد الافريقية التى لا زالت تحت سيطرة الامبريالية ، اما ان تكون ضعيفة جدا ومستخدمة استخداما سيئا بسبب وجود علاقات اجتماعية معينة « فى حالة الزراعة » واما ان تكون محتكرة فى يد الراسمال الاجنبى « كما هو الحال فى القطاع الراسمالى للاقتصاد » الذى يحرف فى واقع الامر عملية التراكم ويوجهها الى الخارج « تصدير رؤوس الاموال والارباح ، الخ .. »

ولا يمكن ان ينجح تخطيط التنمية الاقتصادية الوطنية الا اذا استند على اموال تراكمية هامة تتيح تمويل الاستثمارات المتوقعة فى مشروع التخطيط ، ولا يمكن لعملية التنمية الاقتصادية ان تمتد مكانا وزمانا الا اذا استندت الى عملية مستمرة للتراكم . ويصبح عندئذ لمسالة تعبئة المصادر الداخلية للتراكم اهميتها المركزية من اجل نجاح تنمية اقتصادية سريعة .

ويمكن ان تنقسم هذه المسالة نفسها الى : ا ـ ما هى اموال التراكم التى يمكن « البدء » بها ؟ ـ ب ـ كيف يمكن تامين عملية مستمرة للتراكم ؟

وفى البلاد الافريقية التى لا زالت تحت سيطرة الامبريالية وطبقات اجتماعية من طراز ما قبل الراسمالية او طراز بيروقراطى ، يضيع من الوجهة العملية جزء كبير من فائض الانتاج الاجتماعى فى اموال التراكم الانتاجى .

ويتعلق الامر هنا :

ـ بجزء من فائض الانتاج الزراعى الذى يستحوذ عليه الملاك العقاريون او الطبقات المسيطرة من طراز ما قبل الراسمالية ، الذين يستغلون مباشرة المجتمعات الريفية ، وهذا الجزء يصرف بطريقة غير انتاجية ، او يكتنز .

ـ بجزء من فائض الانتاج الزراعى الذى يستحوذ عليه الوسطاء والتجار والمرابون ، الذين يسيطرون على الدوائر التجارية والنقدية التى تربط الفلاحين الى اقتصاد التبادل . وهذه المكاسب الضخمة تستخدم بصفة عامة لشراء الاراضى ، ولمضاعفة الراسمال التجارى ، ولعمليات الاستهلاك الخاصة بالترف والكماليات ، الخ ..

ـ بجزء من فائض الانتاج الاجتماعى الذى تصدره الشركات الاجنبية الى الخارج ، والذى قد يكون كبيرا جدا .

ـ بجزء من فائض الانتاج الاجتماعى الذى

تستحوذ عليه البورجوازية البيروقراطية عن طريق مختلف الوسائل (التبذير في مصروفات الدولة ، والفساد ، الخ) والذي يتحول الى استهلاك غير انتاجي ».

ويجب ان نضيف الى ذلك انه الى جانب هذا الجزء المبدد من الفائض الحقيقي ، يوجد «فائض الطاقة» التي تستطيع بلاد متخلفة كثيرة ان تستخدمه **لو ان الاطار الاجتماعي الخاص بالمؤسسات كان قد تغير** . والحديث هنا عن طاقة العمل التي لا تستخدم نتيجة للبطالة المستترة في الريف .

وطبقا للتقديرات التي قدمناها على اساس جاد الى حد كبير ، فيما يتعلق بالمغرب ، يتضح ان « الفائض الذي يمكن تعبئته » والذي يمكن ان يشكل اموال التراكم يمكن « البدء» بها ،تصل الى حوالى ٣٠ ٪ من الانتاج القومي الخام . وعلى سبيل المثال ، كان لدينا في عام ١٩٥٨ :

	مليار فرنك
ـ جزء من الدخل الزراعي يمكن تخصيصه للاستثمار (بعد الاصلاح الزراعي)	= ٥٠
ـ الارباح والدخول الصافية للقطاعات غير الزراعية	= ١٦١
ـ اقتصاد من المصروفات المخصصة لادارة جهاز الدولة	= ٤٥
ـ تراكم نتيجة لارتفاع معدل استخدام سكان الريف	= ٤٥
المجموع بالمليار فرنك	٣٠١

فاذا تركنا جانبا التراكم بواسطة رفع معدل استخدام سكان الريف ،تكون لدينا النسبة الاتية بين هذه الامكانيات للتراكم التي يمكن « البدء » بها وبين الانتاج القومي الخام عن سنة ١٩٥٨ ،

$$\frac{\text{٢٥٦ مليار فرنك}}{\text{٧٦٦ مليار فرنك}} = \text{٣٣ ٪}$$

وليست بنا حاجة الى الالحاح لنثبت ان هذه الامكانيات ، كي تستغل استغلالا كاملا ، تتطلب انقلابا شاملا في الهياكل والعلاقات الاجتماعية ، وتنظيما اقتصاديا واجتماعيا من طراز جديد ، والسير بتصميم في طريق التنمية الرأسمالية الذي يفضى الى الاشتراكية ».

رأس المال القومي

وتمويل التصنيع بواسطة الرأسمال الداخلي ـ في نطاق الاجهزة الكاملة **التي تضمن اعادة استثمار الارباح بشكل مستمر** ـ يمكن ان يؤدي الى تنمية صناعية تتوالى تواليا هندسيا ».

ويقوم هذا التقدير على اساس ان الصناعة العصرية تتيح ـ بما أنها صناعة ذات انتاجية عالية ـ خفض التكلفة لمنتجاتها مرات كثيرة بالقياس الى صناعة مماثلة ذات اساليب فنية قديمة ، تتحدد على اساسها اسعار السوق ،ومن ثم تتوفر امكانية استعادة الراسمال المستثمر في فترات سريعة جدا ».

وهكذا فان الوحدات الراسمالية الضخمة التي تقوم باستثمارات في البلاد المتخلفة لا تستغرق سوى فترة لا تتجاوز بوجه عام عددا محدودا جدا من الاعوام (من عامين الى ثلاثة اعوام) كي تعيد تكوين الراسمال المستثمر ، **بما ان اعادة التكوين تتم بفضل المبالغ الناجمة عن فائض استهلاك المعدات والأرباح الصافية : وهذه المبالغ معدة في الحال لاستثمارات جديدة .**

وفي اطار تنمية قومية ، يمكن التسليم بنفس قواعد اعادة تكوين الراسمال المستثمر في الصناعية الكبيرة (عامان ونصف عام في المتوسط) . كما يمكن افتراض ان الراسمال الذي يعاد تكوينه يخصص لانشاء صناعات جديدة ، الامر الذي يقتضي طبعا وجود اجهزة تمنع تبذير الموارد ، ووجود تخطيط متماسك طويل الاجل يتيح استخدام هذه الموارد استخداما يحقق أعلى درجات الفعالية .

وعند ذلك يكون الاقتصاد بهذه الصورة قد اندفع حقا في طريق عملية تنمية تصون بقاءها وسيرها ذاتيا ، بفضل وجود عملية مستمرة للتراكم الداخلي .

وهذا يدل مرة اخرى على الامكانيات الضخمة للتنمية ، التي لا يستطاع استغلالها الا بالعدول نهائيا عن سلوك الطريق الراسمالي .



أن الحركات العمالية والنقابية فى كل بلاد العالم قد نشأت فى عمومها مدارس نضال ثورى للعمال — لا الدفاع عن مصالحهم فحسب بل للدفاع ايضا عن كافة الطبقات الوطنية الكادحة ضد المستغلين والمستعمرين على السواء . وهذا تعبير اصيل عن الطابع الثورى الدائم والمستمر للطبقة العاملة صاحبة التاريخ والمستقبل.

دروس من التاريخ

ساهمت النقابات الانجليزية — التى اعترف بحق وجودها القانونى فى عام ١٨٣٥ — فى قيام الحركة الميثاقية العظيمة المعروفة بانها ابرز حركة عمالية ثورية عرفتها انجلترا حتى الان . حيث كافحت بضراوة من اجل حق العمال الانجليز فى التصويت فى الانتخابات العامة ومن اجل حقهم فى الترشيحات البرلمانية بدون اى ضمان مالى — كما ساهمت الحركة — العمالية والنقابية الفرنسية فى ثورة سنة ١٨٧١ من خلال حكومة كومون باريس القائدة والمنظمة لهذه الثورة العمالية الرائدة ضد الرجعية الفرنسية وضد حكومتها المهزومة والهاربة الى فرساى بعد ان تواطأت مع الغزاة البروسيين تحت قيادة بسمارك . تاركة لهم عن طيب خاطر باريس وقلاعها ..

وكانت حكومة كومون باريس هذه اول حكومة

اشتراكية ديمقراطية في التاريخ ، فقد وصلت الى الحكم بواسطة انتخابات حرة مباشرة لجميع اهالى باريس ومارست تطبيقا اشتراكيا عادلا فى توزيع الاجور . وكان اغلب قادتها من الشخصيات الاشتراكية والعمالية فى فرنسا .. حيث كان على راسها العامل الميكانيكى **ادولف الفونس آسيه** . ولذلك كان يطلق عليها احيانا « حكومة مسيو آسيه » وكان من اعضائها ايضا العامل **يوجين فارلان** الزعيم الاول للنقابات الفرنسية الذى اسر وبترت اطرافه ثم اعدم رميا بالرصاص بعد هزيمة الثورة . والعامل **البير ثييز** سكرتير الغرف النقابية فى فرنسا ومندوب الدولية الاولى للعمال وقد سقط جريحا اثناء الثورة وحكم عليه بالاعدام ولكنه هرب . والعامل النجار **جين بيندى، وريمى زفيرين كاملينات** العامل فى صناعة البرونز والعامل النقاش **بنو مالون** والعامل **اميل فيكتور دوفال** الذى قاتل فى الثورة بشجاعة نادرة ولكنه اسر واعدم رميا بالرصاص على يد حكومة فرساى ..

وقد سجلت احداث هذه الثورة المجيدة بطولات اسطورية تفوق الوصف والخيال لعمال باريس العظام ابان معارك الشوارع والمتاريس مع جنود حكومة فرساى دفاعا عن حكومتهم وثورتهم . ولذلك علق لينين على هذه الثورة بقوله « فى مايو عام ١٨٧١ كتب مراقب بورجوازى للكومونه فى جريدة انجليزية يقول . لو ان الامة الفرنسية لا تتألف الا من النساء فأى أمة رهيبة تكون . ففى ايام الكومونة ناضلت نساء وناضل اولاد فى الثالثة عشرة من العمر الى جانب الرجال . ولا يمكن ان نتوقع غير هذا فى المعارك المقبلة »

وتتجسد بطولات الطبقة العاملة الفرنسية فى ضخامة التضحيات التى قدمتها . حيث يقدر القتلى عند المتاريس بحوالى ٢٥٠٠ ومن قتلوا بعد انتهاء الثورة بحوالى ١٤٠٠٠ واخرون يقدرون هذا العدد بحوالى ٣٠٠٠٠ من القتلى و ٤٥٠٠٠ من الاسرى ويقول هانوتو انه كان هناك ٣٥٠٠٠ اسير فى فرساى مات عدد كبير منهم وان عدد من قبض عليهم من الثوار حتى سنة ١٨٧٥ وصل الى ٤٣٥٢١ ولا يضم هذا الرقم من ذبحوا ..

وكان اغلب الضحايا فى هذه الحالات من العمال تشهد بذلك سجلات المحاكمات التى تمت بعد الثورة لمحاكمة عشرين الفا من الثوار كان من بينهم ٢٩٠١ عاملا عاديا و ٢٦٦٤ مابين ميكانيكى وصانع اقفال و ٢٢٩٣ من عمال البناء و ١٦٥٩ عاملا فى مصانع النجارة و ١٥٩٨ من العمال فى محلات تجارية و ١٤٩١ من صناع الاحذية و ١٠٦٥ من الكتبة و ٨٦٣ من النقاشين و ٨١٩ من عمال المطابع و ٧٦٦ من العمال الذين كانوا يعملون فى صقل الاحجار و ٦٨١ حائكا و ٦٣٦ من صانعى الاثاث و ٥٢٨ عمال صياغة مجوهرات و ٣٨٢ نجارين عاديين و ٣٤٧ من عمال الدباغة و ٢٨٣ نحاسا و ٢٠٧ سمكريا ..

وكذلك كان الحال فى روسيا القيصرية . فقد بدأت النقابات العمالية منذ نشأتها المبكرة مدارس للنضال العمالي لمواجهة التسلط القيصري الرهيب الذى قضي على الحريات النقابية الناشئة وحطم اتحاد عمال الشمال الذى تأسس فى الثمانيات من القرن الماضي بقيادة العامل النجار **ستيفان خالوترين** الذى اعدمه القيصر سنة ١٨٨٢ ـ ولقد ردت الجماهير العاملة فى روسيا على الارهاب القيصرى بتنظيم محاولة تمثلت فى نسف حجرة الطعام بقصر الشتاء بقصد التخلص من القيصر اسكندر الثانى الذى نجا بمحض الصدفة . وعندما نشبت الثورة الروسية الاولى سنة ١٩٠٥ اثبتت هذه النقابات بأنها مدارس نضال بحق وصدق. تشهد بذلك ايام هذه الثورة التى قد بدأت بيوم الاحد الدامى حيث ذهبت المظاهرات العمالية المسالمة بقيادة القسيس جابون فى يوم الاحد ٩ يناير سنة ١٩٠٥ لتقديم عرائضها ومطالبها الى القيصر الذى قابلهم باطلاق الرصاص عليهم بغير رحمة بواسطة عساكره الذين لم يرعوا سلمية المظاهرة التى يتقدمها حاملو الاناجيل والرايات الدينية تبركا وتضرعا لهذا القيصر . ولهذا يقول لينين قائد هذه الثورة « فحاصل الاحد الدامى فى بطرسبورج قد كان الاف الجرحى لقد انتصرت العساكر على العمال العزل والنساء والاطفال » وقد اثار هذا اليوم الدموى ثائرة كل العمال بما فيهم العمال الذين كانوا يؤمنون بالقيصر لدرجة انهم اتخذوا فورا موقفا معاديا له باجابتهم على لسان زعيمهم القسيس جابون الذى قال بعد هذا اليوم الدامي « لم يبق لدينا قيصر . فنهر من الدماء يفصل القيصر عن الشعب . عاش النضال فى سبيل الحرية » ..

ويؤكد احد معلمي الإشتراكية بأن هؤلاء العمال قد تلقوا درسا بليغا فى الحرب الاهلية . فتربية العمال تربية ثورية قد خطت الى الامام خلال يوم واحد خطوة ما كان يمكن ان تخطو مثلها خلال عدد من السنين ، ونتيجة لهذا تطور الاضراب العمالي واتسع بسرعة مذهلة حتى غطى روسيا كلها ثم تحول الي عصيان وثورة هائلة برزت فيها مواقف خالدة للعمال والعاملات الروس لدرجة قد اندفعت فتاتان عاملتان نحو جنود القيصر وهما تحملان علم الثورة وصاحتا فى وجوههم : اقتلونا . لن نسلمكم علم الثورة ونحن على قيد الحياة ــ وفى الثورة الروسية الثانية عام ١٩١٧ شاركت هذه النقابات وعمالها بدورها القيادى الثوري حتى انتصرت اول ثورة اشتراكية عظمى فى التاريخ .

وبعد نجاح الثورة تعاظم دورها على الصعيدين الاقتصادى والعسكرى على السواء ، حيث تصدت لجيوش الثورة المضادة بواسطة الفصائل العمالية المسلحة المعروفة بالحرس الاحمر التى انزلت الهزيمة تلو الهزيمة بكل جيوش التدخل الامبريالى والجيوش الخائنة والعميلة وخاصة عندما اصدر مجلس قومسيير الشعب فى ٢١ فبراير سنة ١٩١٨ نداءه الذى قال فيه « أن الوطن الاشتراكى فى خطر . ولهذا يجب على العمال والفلاحين الذين يعملون فى الاعمال الانتاجية وجميع المناضلين الشجعان ذوى الوعى الثورى ان ينضموا فورا الى صفوف الجيش الاحمر » وقد استجابت الجماهير العاملة بحماس منقطع النظير حيث انبرت للثورة المضادة حتى تمسحقها بنجاح وبذلك توقف الخطر الامبريالى الذى كان يهدد وجود الوطن الاشتراكى الاول والذى كانت تفديه الدول الاستعمارية الكبرى باعتراف واحد من منظمى الثورة المضادة هو تشرشل الذى قال فى كتابه . الازمة العالمية . « هل كان الحلفاء فى حالة حرب مع روسيا السوفييتية » واجاب على هذا السؤال قائلا « كلا » ثم استطرد يقول « ولكنهم كانوا يطلقون النار على الشعب السوفييتى طالما تقع انظارهم عليه . كانوا على ارض سوفييتية كغزاة وسلموا اعداء الحكومة السوفييتية وحاصروا موانيها واغرقوا قطعها البحرية وكانوا متحمسين فى رغبتهم فى اسقاطها ووضعوا مشروعات القضاء عليها » .

وعلى نفس المنوال استبسلت النقابات الافريقية والاسيوية وفى امريكا اللاتينية فى النضال ضد قوى الاستغلال ، وأكدت فعاليتها وثوريتها فى ثورات العالم الثالث عموما حتى قد اصبح النضال الوطنى والنقابى مزيجا ثوريا واحدا وخالصا . وترابط النضال العمالى ليكتسب افاقا دولية .

النقابات المصرية نشأت كمدارس نضال

فى اثناء الثورة العرابية خطب الشيخ **عبد الله النديم** فيلسوف الثورة وخطيبها فى مدينة كفر الدوار قائلا « لقد ساعدونا العملة والفعلة فى ميناء الاسكندرية » وهذا خير اثبات على مشاركة الطبقة العاملة المصرية الناشئة فى اعمال الثورة العرابية رغم حداثتها التى بدات متشربة بروح النضال والثورة لمواجهة القهر الذى كانت تمارسه أسرة محمد على ضد الشعب المصرى .

ولذلك كان العملة والفعلة المتشربين بالروح الثورية يمثلون اللبنات الاساسية التى شكلت النقابات المصرية على اساس نضالى وثورى بحيث اصبحت مدارس نضالية وطلائع مثالية وبحيث رفضت بحسم الافكار الاصلاحية والتعاونية التى تدعو العمال الى الوفاق والسلام الطبقيين . وذلك طبقا للادلة التالية : **أولهما** : هو انبثاق اغلب هذه النقابات من خلال زيادة حدة الصراع الطبقى المثلة فى الاضرابات الواسعة التى تمت فى نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى . **وثانيهما** : هو تشكيل هذه النقابات على شكل جبهة طبقية وثورية تضم كل المستغلين على اختلاف اديانهم من مسلمين ومسيحيين ويهود وعلى اختلاف أجناسهم من مصريين ويونانيين وارمن وطليان — وذلك لمواجهة المستغلين من اصحاب الشركات الاجنبية الذين كان يساندهم الانجليز ..

تطور النشأة الثورية

نتيجة هذه النشأة الثورية للعمال ونقاباتهم فى بلادنا فقد القوا بكل ثقلهم فى ثورة سنة ١٩١٩ . حيث وقفوا مواقف بطولية وفدائية رائعة فى كل اعمال الثورة رغم محاولة طمس هذا الواقع من جانب المؤرخين البورجوازيين — وقد بدت بعض هذه المواقف فى الاضراب الجماعى الكبير لجميع العمال المصريين الذى بدا تقريبا مع بداية الثورة فى ١١ مارس سنة ١٩١٩ والذى تحول الى عصيان مستمر ضد الانجليز وعملائهم لمدة ثمانية اسابيع حتى تم الإفراج من **سعد زغلول** من اعتقاله الاول تحت ضغط هذا العصيان الذى غطت معاركه شوارع القاهره والاسكندرية وبقية مدن وقرى القطر المصرى . ففى القاهرة قامت جماهير العمال الثائرة بتحطيم وقلب عربات الترام وتحويلها الى سدادات للطرق ، ومتاريس مانعة لوقف وتعطيل السيارات الانجليزية المتدفقة فى الشوارع مطلقة النار بغير حساب على المتظاهرين . هذا بخلاف العمليات الفدائية المنظمة لاغتيال جنود وضباط الاحتلال .

وبعد هذه الثورة ظل النضال العمالى شامخا على الدوام رغم تحديات الانجليز والسراى وحكومات الرجعية العميلة ، يؤيد ذلك احداث مرحلة الثورة الوطنية فى بلادنا فى سنوات ١٩٣١ و ١٩٣٧ و ١٩٤٦ و ١٩٥١ على التوالى . هذه المرحلة التى قد سجلت بفخر واعتزاز عددا من السمات النضالية للحركة العمالية والنقابية كان ابرزها :

● تزايد التأثير التى كانت تمارسه النقابات على جماهيرها من العمال بما فى ذلك الحرفيين الذين اشتركوا بحماس مع العمال فى الاعمال

الكفاحية ضد الاستعمار والرجعية ــ وقد يعكس اهمية هذا التأثير في استمرار الحركة النضالية رغم مقاومة السلطات الوحشية لهذه الاعمال بالفصل والسجن والتشريد والقتل ». كما حدث عندما اطلقت حكومة اسماعيل صدقي النار على عمال العنابر المضربين في سنة ١٩٣١ فقتل وجرح منهم المئات ». وقد قامت الحكومة بدفنهم سرا في اماكن مجهولة في الصحراء تهربا من جريمتها وخوفا من انفجار السخط الشعبي . وكان هذا التأثير ثمرة طيبة للثقة المتبادلة بين الجماهير وقادتها في الحركة النقابية ، ولهذا فقد كان يمثل قمة علاقات الزمالة الكفاحية في الحياة النقابية ».

● وضوح الالتزام الادبي بطاعة العمال نحو نقاباتهم وقادتهم طاعة واعية مستنيرة لا تعني الخنوع والرضوخ ولكن تعني الاقدام والتضحية من اجل مصالح العمال والشعب اذا ما صدر توجيه مناسب بذلك وتعني ايضا الانضباط والصمود والصبر في مواجهة الصعاب كما حدث اثناء معاركنا الاضرابية الطويلة المدى كاضراب عمال شركة صنادل حلق الجمل وشركة الفازوزة وشركة الغزل الاهلية بالاسكندرية الذي استمر اكثر من ثلاثة شهور في سنة ١٩٢٣ ».

● اتساع الترابط الاخوي والتضامن في الحياة العمالية عموما ». من حيث ترابط العمال بنقاباتهم ترابطا يفوق الترابط العائلي لدرجة ان العامل كان ينظر الى نقابته على انها عائلته الاساسية التي يجب تدعيمها .. ولهذا كان بعض العمال يتبرع بجميع اجره الى نقابته حتى ان السلطات الرجعية في بلادنا قد فزعت لنمو الروح التضامنية بين العمال فاصدرت القانون رقم ٢ لسنة ١٩٢١ بمنع التنازل عن الاجور الى النقابات. وقد جاء في مقدمة هذا القانون « بما انه لا يوجد الآن تشريع يتضمن الاحكام الواجب مراعاتها في تأليف النقابات ، وبما انه على الرغم من عدم وجود هذا التشريع ، فقد حدث اخيرا ان بعض الاشخاص اجتمعوا وكونوا نقابات خارجة من اي تقنين . وبما أن مثل هذه الحالة كانت في الواقع مدعاة الى سوء التصرف . وبما انه قد تبين على الاخص ان بعض أعضاء هذه الجماعات قد تنازلوا عن اجورهم تنازلا لا رجوع فيه لمصلحة النقابة التي ينتمون اليها . وبما ان مثل هذا مخالف للنظام العام والحالة تقتضي الاسراع في اتخاذ التدابير الواقية » . وبالاضافة الى ترابط العمال على المستوى المهني ، كان هناك الترابط بين عمال الصناعات والمهن المختلفة على اختلاف اديانهم وجنسياتهم يؤيد ذلك موجة الاضرابات التضامنية في القاهرة والاسكندرية التي تمت في ثلاثينات هذا القرن .

● نمو غريزة العمل الثوري لدى النقابات وعمالها بحيث كانت الجماهير العاملة تمارس نضالها الثوري في جميع المعارك الوطنية بدون توجيه من الأحزاب السياسية وبشكل مستقل رغم المحاولات المتعددة التي قامت بها هذه الاحزاب للسيطرة على النقابات وقيادتها ».

● مشاركة العمال المصريين بجدارة في العمل الفدائي ضد الخونة والانجليز لاول مرة في حياتنا العمالية . هذا العمل الفدائي الذي تمثل في نشاط تنظيم اليد السوداء الذي شكل اثناء الحرب العالمية الاولى بقصد اغتيال ضباط وجنود الاحتلال . وقد تمتع بعضوية هذا التنظيم الثوري عدد من عمال السكة الحديد كان ابرزهم البطل الشهيد ابراهيم موسى العامل بالعنابر الذي كان يخفي مسدسه في قاعدة المنجلة لممارسة العمل الفدائي ضد الانجليز حتى في وقت العمل . وقد اشترك الشهيد في تنظيم اليد السوداء منذ نشأته. دون ان يكشفه البوليس مدة طويلة رغم نشاطه المستمر حتى في اصعب المطاردات البوليسية ، فعندما قبض على اغلب أعضاء التنظيم لاتهامهم بمحاولة اغتيال السلطان حسين كامل واصل نشاطه الفدائي ضد الانجليز حتى لا يضمر التنظيم ويتفكك وحتى يوهم السلطات بأن المقبوض عليهم ليسوا من تنظيم اليد السوداء بدليل استمرار عمل التنظيم ضد الخونة والأعداء ــ ولذلك فقد ظل صامدا في نضاله حتى قبض عليه في حادث اغتيال السيردار الانجليزي حيث حكم عليه بالاعدام وتم تنفيذ هذا الحكم الوحشي دون ان يفقد صلابته كعامل وثوري بدليل انه المتهم الوحيد الذي لم يعترف في هذه القضية ــ وكان من ابرز هؤلاء العمال ايضا المناضل الشيخ احمد جاب الله الذي كان يستعين بزوجته الفاضلة الشجاعة في اعماله الفدائية لدرجة انها قد ساهمت في تنظيم قتل احد الجنود الانجليز وهي حامل في شهرها الأخير ».

الارستقراطية العمالية

تصفي مدارس النضال

تنبه الاستعمار والرجعية في شتى انحاء العالم الى الخطورة التي تمثلها الحركة العمالية المنظمة على مصالحها الاستغلالية ، فعملت طبقا لمخطط خبيث ، يهدف الى خلق أرستقراطية عمالية تضعف من فعالية الحركة وتشلها. وهكذا عرفت ظاهرة الارستقراطية العمالية كظاهرة مرضية ضارة انتكست بمعظم النقابات عن ماضيها النضالي وبددت تراثها المجيد. وبذلك فسد ضميرها الاجتماعي وبالتالي تجردت من مضمونها الثوري واصبحت وللاسف مجرد جمعيات متخلفة ، وقد تم هذا التحول

الرجعى للنقابات بفضل عناصر الارستقراطية العمالية التى تسيطر على قممها . فقد انسلخت هذه العناصر بعيدا على اصلها الطبقى واساسها الاجتماعى بحيث لم تعد تنتسب الى الطبقة العاملة فكرا وعملا — وكانت هذه « الهجرة » بمثابة نقلة اجتماعية لعناصر الارستقراطية ابعدتهم عن دائرة الفقر والفقراء على حساب الجماهير العاملة التى امتطوها وصولا انتهازيا وغير شريف الى اغراضهم الذاتية والانانية — ولهذا كان من الطبيعى قيامهم بتصفية الجانب الايجابى للنقابات لان تواجده يمثل خطرا على وجودهم فى الحياة النقابية كمنتفعين وغرباء عن الطبقة العاملة ، وذلك كما حدث فى الحركة العمالية فى انجلترا التى اصبحت خادمة مخلصة للامبريالية بفضل نفوذ عناصر الارستقراطية العمالية امثال مستر بيفن الذى كان يطلق عليه فى يوم ما فارس عمال النقل ومستر آتلى ومستر براون الوزير العمالى الحالى للخارجية البريطانية. هؤلاء الزعماء من العمال الذين اصبحوا اعداء الداء للعمال وللشعوب علما بانهم الورثة غير الصالحين للعمال الميثاقيين العظام .

وبسبب هذا تعرض النشاط النضالى للنقابات الى حالة من الركود لدرجة ان جماهير العمال لم تعد تشعر بالوجود النقابى. يؤكد ذلك حساب النتائج لدور النقابات فى مرحلتى التحول الاشتراكى والحرب العادلة التى تخوضها ضد الاستعمار والصهيونية .. ففى مرحلة التحول الاشتراكى التى بدات سنة ١٩٦١ لم تتمكن النقابات وقادتها من مسايرة الاتجاه العام والتأقلم مع مقتضيات المرحلة ومتطلباتها فى مواقع العمل والانتاج — ولهذا لم توفق النقابات فى تقوية التأثير الاشتراكى فى صفوف العمال كما لم توفق فى تفجير المثل الاشتراكية الكامنة فى نفوسهم لتواجد السلبيات التالية :

● لم تعمل النقابات على تطوير ثقافة العمال لتتمشى مع متطلبات هذه المرحلة وحتى قادتها لم تتطور ثقافتهم بعيدا عن ثقافة عقد العمل الفرد وكتاب (١) « أبو معشر الفلكى الوحيد » ولهذا فشل الكثير من ممثلى العمال فى مجلس الامة وفى مجالس ادارة الشركات وفى هيئات الحكم المحلى فى ممارسة مسئولياتهم بنجاح .

● ان عددا كبيرا من الشخصيات العمالية التى شغلت مراكز قيادية فى الحركة النقابية خلال الخمسة عشر سنة الماضية قد حققت بغير حق مكاسب شخصية كبيرة فى الاجر والوظيفة وذلك بفضل مراكزهم وحدها .

● التهاون الشديد فى الدفاع عن حقوق العمال وكذلك التهاون فى حمايتهم ضد هجمات البيروقراطية وقد سبب هذا التهاون ان نسب الاجور مثلا تباعدت بحيث أصبحت وآحدا الى خمسة وخمسين كما يؤكد أحمد فهيم رئيس الاتحاد العام للعمال ووكيل مجلس الأمة . وطبعا فالجانب الكبير من هذه النسب ليس من نصيب العمال بل من نصيب كبار الموظفين والبيروقراطيين — ويؤيد هذا كله الآن القضايا المنظورة بالمحاكم والتى يباشرها العمال حاليا وبصفة شخصية بعيدا عن نقاباتهم .

● كانت انتخابات مجالس ادارة الشركات عموما فرصة لكشف حقيقة الضمير الاجتماعى لدى الكثير من النقابيين. هذا الضمير الذى تحيز للفئات الفنية الغريبة طبقيا عن العمال التى دخلت انتخابات مجالس الادارة مستفيدة من تعريف العامل والفلاح بواسطة لجنة المائة والتى تتمثل فى كبار الموظفين وخاصة اتباع وأصحاب الشركات القدامى الذين نزلوا هذه الانتخابات تحت الشعار العاطفى الذى قاموا بترويجه « انتخبوا عزيز قوم ذل » .

● ان تفشى مرض السكوت والتخاذل عن المواجهة اصبح ظاهرة سائدة فى صفوف النقابيين وخاصة أمام انحرافات وامتيازات الكبار .

● لقد أصبح مألوفا فى الحياة النقابية ان النقد يواجه فى بعض الاحيان بارهاب التسلط الادارى لكبت النقد والتخلص من صاحب النقد من العمال البسطاء .

وازاء هذه النقائص فلم يعد هناك ثقة متبادلة أو احترام متبادل بين العمال ومعظم قادتهم النقابيين وبالتالى لم تعد هناك علاقات زمالة على المستوى الجماهيرى لدرجة أن غالبية العمال لا تعرف حتى أسماء رؤساء نقاباتهم .

ولقد اثبت يوم ٩ يونيو الماضى أن الروابط العمالية بجميع اشكالها وصورها غير موجودة الا فى سجلات النقابات . حيث خرجت جماهير العمال فى طوفان بشرى نحو القاهرة بسرعة مذهلة وبحجم مذهل لتفرض ارادتها وتعلن تمسكها الشديد بثورتها الاشتراكية من خلال بقاء المناضل عبد الناصر قائدا ورئيسا ولم يتم هذا العمل الاسطورى بفعل دعاة أو مبشرين او نقابيين ولكنه تم بدافع من الضمير الاجتماعى لعمال بلادنا .

وفى مرحلة الحرب الشعبية التى نخوضها لم يتطور نشاط النقابات ايضا بدليل انها لم تعمل على اشاعة جو الحرب ونفسية الحرب بين جماهيرها ولم تتكلف حتى عناء جمهرة الثقافة العسكرية وادب المقاومة وحرب العصابات علما بأن النقابات الاسرائيلية «الهستدروت» تعمل بجد على اشاعة الحرب نفسها حتى بين النساء العاملات . وهذا يرجع الى اهلية الهستدروت الاسرائيلى بغض النظر عن دوره كتابع وعميل للاستعمار العالمى — وتبدو هذه الاهلية من خلال نشاطه المتزايد فى

---

(١) كتاب للبخت والتنجيم يقرؤه كثير من العمال المتخلفين .

المجال الدولى وخاصة فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية. هذا النشاط الذى لم تتمكن نقاباتنا من مجاراته او التصدى لنشاطه رغم مالديها من قدرات وامكانيات ورغم السفريات العديدة لاصحاب الياقات المنشاة من عناصر الارستقراطية التى جعلت من هذه السفريات مجرد مشاوير للسياحة والنزهة ـ وقد ساعد على ذلك تواجد فكرة الحياد النقابى فى العلاقات الدولية اى الحياد بين الاتحاد العالمى للنقابات الممثل الحقيقى لعمال العالم والذى يؤيد بصدق واخلاص كل حركات التحرر فى العالم. وبين اتحاد النقابات الحرة الذى تقوده وتموله المخابرات المركزية الأمريكية وتشترك فيه اسرائيل ويدعو اعضاءه الى شراء سندات الحرب الاسرائيلية .

والحقيقة ان فكرة الحياد الخبيثة هذه كانت بمثابة فجوة تسربت من خلالها بعض نقاباتنا. وهى نقابة عمال البترول . لتنتسب بلا حياء الى بعض الاتحادات المهنية التابعة للاتحاد الحر لتجلس جنبا الى جنب مع نقابات اسرائيل. وهذا ما اكدته مجلة روز اليوسف فى ١٧ يوليو .. واخيرا فقد فضحت فكرة الحياد بانضمام اتحادات النقابات فى سوريا والسودان والعراق الى الاتحاد العالمى للنقابات فى براغ. ولهذا يقول على هاشم محسن رئيس اتحاد عمال العرب ورئيس الاتحاد العام لعمال العراق « ان حياد الحركة النقابية لم يعد ممكنا » .

مدارس النضال ومتطلبات المعركة

قال جمال عبد الناصر : « ان الهجوم الذى شنه الاستعمار وعميلته اسرائيل على قواتنا المسلحة كان يستهدف أساسا الهجوم على قوى الشعب العاملة» ان هذا التنبيه يطالبنا فورا بضرورة عودة النقابات الى سيرتها الاولى كمدارس نضال ثورى للعمال. وذلك استعدادا للصدام مع العدو الإستعمارى الذى يبغى القضاء على تحولنا الاشتراكى . واستعدادا لضمان تغذية الحرب الثورية التى نخوضها بالقوى البشرية الناضجة فكريا وسياسيا، واكثر القوى الثورية ايمانا وتمسكا ودفاعا عن التحول الاشتراكى بمعنى تعميق إيمانها بعدالة القضية التى تحارب من اجلها وتهيئتها عسكريا لممارسة الحرب وذلك بواسطة النقابات باعتبارها مدارس نضال وباعتبارها معين لاينضب لتغذية العمل الوطنى عموما بكل حاجته الفنية والثورية .. ولضمان تغذيتها ايضا اى الحرب بوقودها من آلات ومعدات وطعام .. ولكن هذا لن يتم الا بتحقيق الامور التالية :

● تسريح عناصر الارستقراطية العمالية من مراكزها النقابية ومساءلتها بشدة عن كل تغيير غير عادى فى دخولها .

● توسيع قاعدة الحريات النقابية باعطاء جماهير العمال حق الانتخابات ممنوحا بحق العزل وسحب الثقة من ممثليهم فى المراكز النقابية .

● تأكيد الرقابة العمالية تأكيدا حاسما حتى تصبح عضوية العمال فى مجالس الشركات وهيئات الحكم المحلى عضوية حقيقية وليست شرفية أو شكلية كما هو الحال تقريبا .

● الاخذ بمبدا الانتخابات فى بعض الوظائف القيادية بالشركات والمؤسسات حتى يتوقف التسلل البيروقراطى ومايصاحبه من انحرافات وامتيازات.

● تعميل بعض المراكز الهامة فى المؤسسات والشركات وهيئات الحكم المحلى بمعنى اسناد هذه المراكز الى بعض العمال الخلص من ذوى الكفاءة الثوريين .

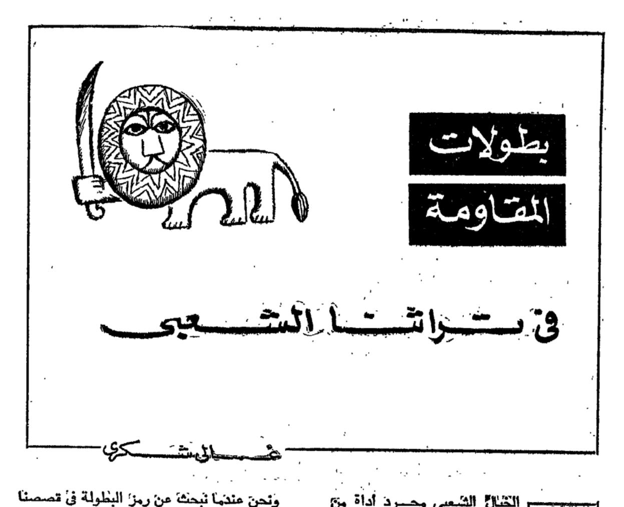
● وحدة العمل وحريته لكل العناصر الاشتراكية فى الحركة النقابية .

● تغيير تعريف العامل والفلاح بمفهوم علمى صحيح .

هذه بعض الضمانات الديمقراطية التى سوف تجعل النقابات تسترد تراثها الثورى القديم لمواجهة مهامها فى مرحلة المحنة الصعبة التى سببتها الهزيمة العسكرية المفاجئة . وتتصدر هذه المهام : المباشرة السريعة لتربية جماهير العمال تربية اشتراكية وعقائدية مصحوبة بتقديم قوة المثل الحى والقدوة فى التضحية والتعب والابداع بواسطة القادة النقابيين الملتزمين بالاشتراكية فكرا وعملا بحيث يكون الواحد منهم نموذجا طيبا للاشتراكى الثورى الذى وصفه المناضل جيفارا بقوله : « انه آخر من يأكل وآخر من ينام وأول من يموت » .

ومن خلال عملية التربية الجماهيرية التى ليست تربية مدرسية وتستطيع النقابات أن تشحن عمالها بنفسية الحرب والثورة ليندفعوا بحماس لتأكيد اشتراكية الحرب فى كل مواقع العمل والانتاج . ويتجسد هذا الاندفاع فى زيادة الانتاج من ناحية الكم والكيف وفى التصدى بشجاعة للانحرافات والامتيازات . سواء كانت تبدو فى اجور وبدلات فاحشة أو فى استعمال للمراوح وآلات التكييف طوال هذه الظروف .. ومن البديهى ان هذا التصدى الذى تمارسه الجماهير سيتطور بسرعة الى حد المطالبة الحاسمة بتخفيضات الاجور العالية والعمل على ازالة الفروق الشاسعة. وذلك باستثناء حالات اصحاب الكفاءات العبقرية وخاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا .

كما تتمكن النقابات بفضل تعميم التربية الاشتراكية ان تعمل على اشاعة روح النضال نفسها بين الرجال والنساء بجانب اشاعة التعليم العسكرى وضرب النار فى صفوف العمال الذين يمثلون رصيدا هائلا وزاخرا بالبطولات المستعدة لاى تضحية فى سبيل دحر العدوان الاستعمارى الصهيونى على بلادنا حفاظا على الاشتراكية كوطن وحفاظا على الجمهورية العربية المتحدة كفصيلة طليعية فى جيش التحرر والاشتراكية العالمى . .



بطولات المقاومة

في تراثنا الشعبي

غالي شكري

ليس الخيال الشعبي مجرد أداة من أدوات تضخيم البطولة ، لانه يعبر من زاوية رئيسية عن شخصية الشعب الجماعية ، مهما تبدت هذه الشخصية المكتملة في الاسطورة حيث يكاد البطل الاسطوري ان يخلو من اية ذاتية محققة فهو خلاصة نقية للجماعة ، وحيث تعبر الاسطورة عن ابعاد غير محددة وغير محدودة لانها تصوغ بطبيعتها صراعا بين القوى الخارقة في جانب والقوى غير المتكافئة معها في الجانب المقابل . ويجسد الخيال الشعبي شخصية الشعب في مجموعه مرة أخرى ، مهما برزت هذه الشخصية على دعائم الملحمة أو التراجيديا ، في الاولى يتميز البطل الملحمي بالعديد من سمات الفردية وان يكن متجاوبا مع روح الجماعة بل قد يكون لسانها أحيانا ، وفي الثانية يتصف البطل التراجيدي بخصائص الذات المفردة التي تكاد أن تتحول الى عالم خاص بها لا سبيل للجماعة اليها ، ومع هذا فانها لا تتخلص من « رواسب » الجماعة و « بقايا » روحها . وهكذا فالخيال الشعبي ليس مجرد سياحة وهمية في عالم الاحلام ، وانما هو أحد اشكال الروح الشعبية وقد تجسدت في بطولات تتباين رموزها كلما اختلف الاطار الفني من قالب الاسطورة الى الملحمة الى التراجيديا .

ونحن عندما نبحث عن رمز البطولة في قصصنا الشعبي ، فاننا لن نعثر على هذا الرمز في الاساطير العربية الموغلة في البدائية والقدم والبعيدة عن ان تكون المقاومة خامتها الثرية بالمعاني والدلالات ، كما اننا لن نعثر على هذا الرمز في التراجيديا التي لم يعرفها تراثنا — لاسباب ليس هنا مجال مناقشتها — ولم يعرف معها بالطبع ، ما يسمى بالبطولة التراجيدية . نحن اذن أقرب ما نكون في موضوع بحثنا من منطقة الملاحم الشعبية التي يفضل البعض ان يدعوها سيرا لابطال **(قاوموا)** بصورة من الصور التي عرفها عصرهم أو عصورهم ، والتي لا تبتعد من حيث الجوهر عن معنى البطولة في أدب المقاومة الحديث .

ولابد لنا من ان نتصدى بالمناقشة لبعض الافكار السائدة حول هذه القضية قبل ان نعرض للسير ذاتها بشيء من التفصيل .. فالشاعر الجوال الذي أنشأ ملاحم اليونان والرومان والعرب لم يعد له مكان في حياتنا الحديثة ، وقد سجل **نجيب محفوظ** في روايته « زقاق المدق » كيف أفسد الراديو على شاعر الربابة جلسته في مقهى المعلم كرشه فطرده وقطع رزقه . وبالتالي فان الابطال الذين ملاوا وجدان آبائنا واجدادنا قد انسحبوا من ميدان الخيال البشري الحديث فلم تعد

الموضوعات الخوارق التي الهبت خيال اسلافنا اية فرصة متكافئة لمنافسة خوارق العلم المعاصر ».

وانزوت « **تهاويل** » الخيال الشعبي امدا من الزمن لم يطل كثيرا أمام مجموعة من العوامل اهمها : ان الاحساس بتهديد المدنية الحديثة لموروثاتنا الشعبية قد دفع نفرا من العلماء الى الحفاظ على عنصر الاستمرار في التراث الانساني . وكذلك فان ذيوع الروح القومية قد دعا الى ان تزيد كل أمة من ارتباطها بتراثها القومي المميز . وآخر هذه العوامل هو تقدم العلوم الاجتماعية واتجاه العديد من ميادين المعرفة الى دراسة الانسان العادي في طبائعه وتقاليده الموروثة وفنونه . ولقد تجسدت هذه الموجة من الحرص على « **المخيلة الشعبية** » في الحركة الرومانسية الرائدة ابان القرن الماضي في دعوتها الى العودة الى « **نقاء حياة الريف وتمجيد الحنين الى الماضي والدفاع عن تقاليد الاباء والاجداد** » . ولما كان عصرنا الحديث هو عصر الانسان الذي تلمس كيانه الفردي في خضم حياته الجديدة ، جنبا الى جنب الامة التي راحت هي الاخرى تتلمس خصائصها الذاتية المستقلة ، فقد أصبحت الملحمة أو السيرة الشعبية هي أنسب الاشكال الادبية الموروثة للقيام بدور همزة الوصل بين الماضي والحاضر لما تحمله في تكوينها الاصيل من سمات المزاوجة بين الخيال الشعبي في مرحلة متقدمة وما يحتاج اليه الانسان الحديث من معنى « محدد » للبطولة الفردية البعيدة عن « أهوال » البطولة الاسطورية ولا محدوديتها والقريبة من صفات الامة التي ينتمي اليها بطل الملحمة أو السيرة بكل ما تشتمل عليه من « **تهاويل** » الخيال الشعبي . بل ان اصرار علماء الفولكلور على اتخاذ عيناتهم من المأثورات الشعبية في حالة «**حياة**» وترك المأثورات الشعبية الميتة لعلماء الاثار واللغة والحضارة ، انما يؤكد ضرورة ذلك « **الحبل السري** » بين هذه النماذج وبطولات عالم اليوم .. ومن هنا كان الادب الشعبي تسمية علمية دقيقة لما يضبطه منطق الاستعمال وتحفظه الرواية الشفاهية ، ومعنى هذا انه اصبح اقرب ما يكون الى التاريخ الشفهي لحياتنا العاطفية عصرا بعد عصر ، أو هو « **الهجرة الخاصة للتاريخ** » كما يقول العالم البلجيكي روجيه بينو ، فيها يضع العامة عواطفهم وخليط رؤاهم وحقائق وجودهم . اي ان ثمة فرقا جوهريا بين التاريخ بمعناه العلمي والتاريخ الذي تشتمل هذه الملاحم او السير على بعض صفحاته ، فهذه لا تعتمد على الدقة الوثائقية والمقارنات العلمية والاستقصاء ، وانما تعتمد أساسا على خيال مؤلفها المجهول — أو المعلوم في أحيان نادرة — وخيال راويها المتنقل كأجهزة الدعاية احيانا كثيرة ، والمتلقين من ابناء الشعب الذين تختلف طبائعهم من جيل الى جيل ومن بيئة الى أخرى ».

وقد لاقت هذه الملاحم أو السير عنتا شديدا من القدامى والمحدثين على السواء . أما القدماء فقد وصفوها بالكذب حينا ظنا منهم انها تدعى لنفسها كتابة التاريخ الصحيح ، ووصفوها حينا آخر انها من باب الكفر نفورا مما أبرزته من قيم تناقضت مع أهوائهم في كثير من الاحيان . هكذا يقول **السيوطي** في الجزء الثاني من الاتقان في حديثه عن العلوم المستنبطة من القرآن : « **وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم الخالية ، ونقلوا اخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا أول الاشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص** » .

وفي موضوع آخر من نفس المرجع يقول « **قال الامام احمد بن حنبل : ثلاثة ليس لها أصول : التفسير والملاحم والمغازي** » . ويورد ابن كثير في كتابه « **تفسير القرآن الكريم** » : « **وأما ما يذكره العامة عن البطال من السيرة المنسوبة الى دلهمة والامير عبد الوهاب والقاضي عقبة فكذب وافتراء ، ووضع بارد وجهل وتخبط فاحش** » . ويمكن القول أن هذا الموقف الصارم من الملاحم او السير الشعبية كان في جوهره موقفا اجتماعيا معاديا « **للعامة** » من الناس . وهو نفس الموقف الرجعي الذي اتخذته اجيال لا حصر لها من « **أساتذة** » الادب الرسمي الذين القوا في روع الناشئة عصرا بعد عصر ان فقه اللغة وآدابها المحفوظة بين جدران متاحفهم هي وحدها « **الادب** » وما عداها رجس من عمل الشيطان واتباعه من « العامة » ... على أن هنالك موقفا آخر يتسم بصفات رد الفعل العنيف الذي يعتمد على التضخيم والمبالغة ، سواء في اتجاهه القائل بأن لا تراث قصصي لنا على الاطلاق ، وأن القصة الغربية هي ميراثنا الوحيد ، أو في اتجاهه القائل بأن هذا التراث من الملاحم أو السير الشعبية هو مصدر الاصالة شبه الوحيد فيما يكتبه قصاصونا المعاصرون من قصص ، وأن هذا التراث يكاد أن يصل في اكتماله درجة لا تقل اهمية عن اكتمال قصص الغرب . ويعبر عن هذا الموقف الاخير في مثابرة ودأب جديرين بكل اعجاب وتقدير مجموعة من الشباب المتخصص يتقدمهم جميعا فاروق خورشيد في دراساته النظرية البالغة القيمة — مهما اختلفت معها — وفي تجاربه التطبيقية التي صاغت القصص القديم صياغة حديثة قادرة على توصيل النكهة الشعبية الاصيلة جنبا الى جنب الاستفادة العميقة بمنجزات التكنيك المعاصر .

والحق أننى اميل الى اعتبار هذه السير بمثابة « صياغة عربية للملحمة الشعبية » واضعا فى هذا الاعتبار أن هناك فروقا لا يستهان بهـــا بين الملحمة اليونانية والرومانية والملحمة العربية، ولكنى أعتقد فى نفس الوقت أنها فروق لا ترتفع الى مستوى الاختلاف النوعى ، وانما هى اقرب الى الاختلاف البيئى والزمنى الذى يمنح النوع الادبى مذاقا خاصا نابعا من الارض التى ولد فيها بالرغم من نسبه المشروع الى نفس النوع فى مواطن أخرى . وبالرغم من اعترافى المسبق بأن الملحمة او السيرة الشعبية تستلهم التاريخ من أحد الوجوه، الا اننى استبعد التسمية المترتبة على هذه الصلة بينها وبين التاريخ ، وهى التسمية القائلة بأن السيرة رواية تاريخيــة . كذلك فانى لا أميــل الى التسمية التى اقترحها الدكتور محمود ذهنى وفاروق خورشيد بعنوان « الرواية الام » او « الرواية السيرة » ذلك انها تسمية تقترب من حدود رد الفعل العنيف الذى احذره .. فاقامة الشرعية فى علاقة النسب او القربى بين القصـــة العربية المعاصرة والتراث القديم لا تحتاج الى ان تكون السيرة بالذات كنوع مستقل عن الملحمـــة « اما » للرواية الحديثة ، ولقد خرجت الرواية النثرية فى الادب الاوروبى من جوف الملحمـــة الشعرية .. فالبنوة لا تتطلب المشابهة التـــامة الى درجة المطابقة بين الاصل والفرع . ومــن ناحية أخرى فان هذا الالحاح على تهيئة عالم ادبى مستقل للسيرة يفصله عن الادب الشعبى، انما يحمل فى طياته شكا واضحا فى انتماء الادب « الشعبى » الى الأسرة الادبية العامة ، ويحمل ارتيابا فى قيمة المكانة التى يحتلها هذا النوع الادبى بين بقية الانواع . والسيرة أخيرا — وفى أبسط تعريفاتها — هى هذا اللون من القصص الطويل، الذى يتراوح بين النثر والشعر ويدور حـــول البطولات والفروسية فيشتمل من ثم على أشعار ملحمية كما يقول أحمد رشدى صالح ، او هى الملحمة وقد ارتدت ثيابا عربية كما يفضل الدكتور عبـــد الحميد يونس فى دراســـته الكبيرة عن « الهلالية » .

عنترة بن شداد

ويرجح بعض المؤرخين للادب الشعبى ان سيرة عنترة هى أقدم الملاحم الشعبية العربيـــة التى تصوغ رمز البطولة فى مقاومة شعوب هـــذه المنطقة من العالم صياغة اقـــرب الى التكامل القصصى بمعناه القديم . وعنترة من احد وجوهه شخصية تاريخية تواترت تنقلها كتب الاخبار والادب، واقترنت حياتهـــا بالفروسية والشـــعر وهمـــا سمـــة خصـــال العرب فى ذلك الوقت . وسيرته تحكى أحداثا تتخذ لها مكانا فى الجزيرة العربية وما يقع على حدودها من مواطن وبلدان ، وتتخذ لها زمانا سابقا على « **النبـــوة** » ولاحقا لهـــا. وسيرة عنترة هى قصة عبد حرر نفسه فحـــرر قبيلته ثم حرر أمة العرب جمعـــاء ، وهى اذن احدى ملاحم الحرية فى ذلك العصر ، وليست قصة « **الغرام** » أو « **الشهامة** » كما يذهب بعض أولئك الذين أساءوا الى دراسة الادب الشعبى. وانما تنحت السيرة منذ بدايتها الى نهايتهـــا تمثالا عظيما لمضمون بكر فى التراث الانسانى ، تنبه اليه فاروق خورشيد ومحمود ذهنى فى كتابهما المشترك « **فن كتابة السيرة** » حين قالا ان النضال ضد العبودية والتفرقة العنصرية هـــو المضمون السياسى للسيرة ، وهو مضمون رائد نادت به السيرة منذ القرن الحادى عشر الميلادى فكانت اول صرخة يجهر بهـــا ضمير الانسان بأن البشر سواء بغض النظر عن الوان جلودهم واصولهم العرقية وهى النتيجة التى توصل اليها فيمـــا بعد محمد مفيد الشوباشى فى كتابه عن « **القصة العربية القديمة** » موضحا عنصر الصراع الطبقى الذى تبدى فى كفاح عنترة من أجل الحصول على اعتراف قبيلته بشرعية نسبه الى شداد واهليته — بالفروسية والشعر وصحة النسب — للزواج من عبلة بنت عمه مالك . وهكذا لم تكن عبلـــة هدفا فى ذاتها وانما كانت اطارا فنيا لهذا الهدف الذى أراده كاتب السيرة ، وهو أن عنترة أولا، رجل مظلوم يحاول استرداد حقه فى الحياة ، وهو ثانيا رجل مصلح يحاول أن يدعم قواعد المساواة بين الناس ، وهو ثالثا فارس يطمح لان يكون فارس الفرسان أو « **أبو الفوارس** » كما كانوا يدعونه احيانا وكما صوره محمد فريد أبو حديد فى روايته المعروفة بهذا الاسم ، وهو أخـــيرا شاعر يطمح فى أعلى مراتب الشـــعر التى كان يتصارع عليها شعراء ذلك الزمان ، وهى أن تعلق قصيدته على الكعبة .

ولقد اصابت معظم الدارسين للادب الشعبى حيرة كبرى فى نسبة هذه السيرة الى مؤلف ما ، بالرغم من ان « **المؤلف المجهول** » لهذه الســـيرة أو تلك ، انما قد لا يكون فردا من الافراد ، بل قد يكون اكثر من مؤلف فى اكثر من عصر فى أكثر من مكان ، بل ان الرواة والمتلقين على السواء يضيفون الى السيرة على مر الاجيال ما يبعد بها كثيرا أو قليلا عن أصل بعينه ذى كاتب محدد . فمن قائل ان **الاصمعى** هو مؤلف هذه السيرة كما جاء فى مذيلة الطبعة الحجازية ، ومن قائل انه **ابو المؤيد بن الصايغ الملقب بالعنترى** كما جاء فى بحث للمستشرق هامر بيرجستال بالمجلة الاسيوية، ومن قائل انه **الشيخ يوسف بن اسماعيل** كما جاء

في كتاب الاب لويس شيخو «شعراء النصرانية» .
على ان المهم فيما أعتقد هو « الصياغة » التي تكاد ان تكون واحدة بين طبعة بغداد ، والطبعة الشامية والطبعة الحجازية ، لولا ((**المقدمة**)) في هذه الطبعةالأخيرة وهي تحمل نوعا من ((**التفسير**)) الروائي للاحداث ، كذلك النوع الذي تضمنه الصياغات الحديثة للسيرة كتلك التي قام بهما احمد عباس صالح في ((**روز اليوسف**)) او الصياغات الفنية كتلك التيقام بها احمد شوقي في مسرحيته الشعرية حيث يميل الى تفسير شخصية عنترة على ضوء الشهامة العربية ، أو تلك التي قام بها محمود تيمور في قصته ((**حواء الخالدة**)) حيث يميل الى تفسير السيرة على ضوء قصة الغرام الكبير بين عبلة وعنترة » .

اما نحن فنميل الى ما جاء في السيرة نفسها من ان عنترة بن شداد قد ولد لامة من الاماء التي أسرها احد فرسان بني عباس فدرج على حياة ((**العبد الاسود**)) منذ نشأته ، وكان من الممكن لحياته ان تظل في طريق سيرها التقليدي كأي عبد آخر ، لولا ما ابرزته طفولة عنترة من مظاهر القوة الجسدية وما أبرزته الايام من قوةشاعريته » . ولكن أين مكان « العبد » من سادته الاحرار في قبيلة بنت مجدها على السيادة والحرية ؟ فما كان له الا ان شارك في بعض المعارك الهينة الى جانب فرسان قبيلته ، في الذيل من ركبهم ، ولكن العين الثاقبة لفرسان بني عبس التقطت مظاهر الفروسية الكامنة في شخصية العبد فأجبوه واعرضوا عنه في وقت واحد ، نال اعجابهم وحذرهم معا . واستمرت جولاته معهم يحقق لقبيلته المجد ، ولنفسه مزيدا من الشعور بالقهر والغبن والاضطهاد ، فلقد سلطت عليه فروسيته الاضواء وكان من قبل مغمورا لا يغمزه احد بحسبه و نسبه او لون بشرته . ومن ثم آلى على نفسه ان يمحو هذا ((العار)) بفروسيته فقدمها برهانا لخصومه على انه ((**حر**)) واذا لم يعترف الجميع بحريته وشرعية نسبه الى شداد فانه لن يشترك معهم في القتال ((**فمن لا حقوق له لا مسئولية عليه**)) كما صور موقفه بدقة فاروق خورشيد في ((**اضواء على السير الشعبية**)) ، وكان كاتب السيرة يود ان يقول انه لابد من تحرير الفرد أولا حتى يتمكن من المساهمة في تحرير الجموع ،حتى اذا حارب فيصف الجموع لايهاجمه شعور المرتزق ، وانما يشعر باحساس المواطن المناضل .وحين يقترب خطوة منهدفه فيالحصول على شرعية النسب ،يعتلج صدره بمشاعر فياضة نحو ابنة عمه عبلة فتتراكم أمامه الصعاب للزواج منها .. وتظل القبيلة تراوغه لتفوز بمغانم قوته في معاركها التي لا تنتهي ، دون أن تمنحه الحق في الزواج من عبلة .ويحس انه مايزال دون ((**المقام**)) عند أهله وعشيرته ؟ خاصة وقد تقدم الى عبلة احد أشراف القبيلة عمرو الربيع بن زياد ، فينطوي على احزانه ويعتكف في بيت ابيه مؤثرا الحياة مع رعي الاغنام والابل على حياة الفروسية والشعر مع الذل والمهانة .

وتعكس هذه المرحلة في سيرة عنترة النظام الاجتماعي السيىء الذي عاش العرب في ظلاله قبيل الدعوة الاسلامية ، وما يتسبب عن هذا النظام من تفسخات وعقد نفسية تحتمها المشاعر الطبقية والسيادة الارستقراطية التي تصنف الناس الى الوان واجناس ، وتجعل للصفات الجسدية — كاللون والشكل — ومن الصفات الوراثية — كوضع الام الاجتماعي — اهمية تفوق تلك الخصائص الذاتية التي تؤهل الفرد في المجتمع السوى للحصول على ما يريد ، كمسا يذهب مؤلفا « فن كتابة السيرة الشعبية » في قولهما ان الاهداف التي يسعى اليها عنترة ليتحرر تكاد ترمز الى اهداف المجتمع العربي في التحرر من ربقة التقاليد الخاطئة والنظم التي تحد من انطلاقه وتطوره » . ولكن عنترة كما يؤرخ له صاحب السيرة قد اودعه الله ((**سرا خفيا**)) يدفعه الى القتال دون ان يحل به التعب ،بينما يسقط خصمه منهوك القوى . وهي الصفة التي يتمتع بها معظم أبطال الملاحم في الشرق والغرب ، وهي الخاصية التي تحسم « المعركة » بين البطل الشعبي وغيره من فرسان الجانب المناوىء له سواء كان قبيلة اخرى او وطنا آخر يجسد معنى الشر « دائما » لان البطل الملحمي ينتصر لمعنى « الخير » دائما ، وربما كان هذا هو السبب — والنتيجةايضا — في ان يودعه الله «سره الخفي» .

ويتمثل هذا الخير في سيرة عنترة حين ينهي اليه الفارس عمرو بن ورد العامر نبوءة عظيمة هي انه سيمهد بسيفه وفرسه لمجيء الرسول فيطهر له الارض من رجس « الاشرار » . ويعود عنترة الى امتشاق السيف امتثالا لدعوة قبيلته واعترافها بنسبه وتزويجه لعبلة ، ولكنه يضع لنفسه هدفا جديدا ، اذ لا يكفيه أن يكون فارسا لقبيلته وحدها بعد ان بزا كل فرسانها ، بل عليه ان يناضل فرسان بقية القبائل حتى يفوز بتعليق قصيدته على الكعبة فيركع لها سادة العرب وتذكره الاجيال هو وقبيلته وشعره مدى الدهر . وفي صراع هادر بالمبارزات العنيفة يعترف له الفرسان جميعا بزعامته ويعلقون قصيدته ، ولا يكاد يختتم حفل النصر حتى يسرع الى مجلسه من يخاطب الجمهور الحاشد قائلا ان فارسا من بني عبس هو الذي يشق الطريق الوعر الى من هو اعظم منه قدرا في تاريخ العرب . ويتأكد لدى الجميع انها ((**الرؤيا النبوية**)) وان عنترة هو الفارس المقصود » .

ويخوض عنترة بعدئذ معارك هائلة بينه وبين المتآمرين عليه لخطف عبلة او خطف فرســه « الابجر » أو كسر سيفه او قتل اشقائه وصحبته، وأسره هو عديدا من المرات ، ولكن مضمــون القتال يختلف من مرحلة الى أخرى فلا يعــود مضمونا ذاتيا كما كان قتاله مع قبيلته للحصول على حريته ، ولا يعود مضمونا قبليا كما كان قتاله حينا مع القبائل الاخرى حين تهم بغزو بنى عبس، وحينا آخر حين تهم بنى عبس بغزو القبـائل الاخرى ، فهو فى الحـالين مع قبيلته ظالمة او مظلومة . ولا يعود مضمونا انسانيا عاما حين يلبى صرخة امرأة مستضعفة او يخف الى نجـدة فارس مهزوم أو يستجيب الى جارة صـديق ملهوفة ، كما لا يعود مضمونا لا غاية له سوى التكسب واحراز الشهرة والمجد حين « يمنح » نفسه لمن يطلبه خارج الديار ، ملكا ضد ملك ، وامبراطورية ضد امبراطورية .. ان السيرة مليئة بالمواقف التى تصور عنترة كما لو كان «**بلطجيا**» يشهر السيف على عروس فوق هودجهـا فى الصحراء ويتزوج منها عنوة ، وتصوره مرة اخرى جنديا « **مرتزقا** » فى جيش كسرى ضد الروم .. ولكن هذه المواقف لا تتم بمعزل عما يجرى فى موطنه من احداث .. وهذه الاحداث وحدها هى التى تكفل لعنترة صورته الحقيقية كفـارس يذود عن امة العرب .. ونحن لا نتوقع بطبيعة الحال ان يكون « **مناضلا قوميا** » بالمعنى الحديث لهذه العبارة ، فلم يكن عصره عصر القوميات ، ولا نتوقع من اطاره الملحمى صياغة واقعيـة للتاريخ فالجانب الخيالى من الملحمـة يسلحه بامكانيات خارقة للانتصار على خصومه ، ولكنها ليست امكانيات اسطورية تجعل منه نطفة من روح الجماعة التى ينتمى اليها فحسب ، بل هو « فرد » يعكس روح الجماعة مستقلا بفرديته التى تنقلت من الذاتية المحض الى القبلية الضيقة الى أرض العرب كلها – اى الجزيرة العربية – ولولا ان الشام كانت ضمن مملكة الروم ، والعراق ضمن مملكة الفرس لكانت العنترية صيـاغة « جاهلية » للفكرة العربية الشاملة .. فقـد سافر الى السودان والحبشة عبر حدود اليمن بعد معارك هائلة بين الشمال والجنوب انتصر فيهـا عنترة للشـماليين من اهله . وفى الحبشـة يستدل على خاتمة مذهلة لنسبه المفقود وهـو أن امه هى بنت النجاشي ملك الاحباش وكان شداد ابوه قد حازها مع الاماء صدفة . وهكذا يتوج الاعتراف بشرعيـة نسـبه الى شـداد بشرعية هذا النسب من جهة الام الى احد الملوك، وكأن مؤلف السيرة قد خاف على بطله مظنـة الاجيال المتلقية للملحمة والمتجاوبة معها انه يحبذ « **القوة** » وحدها سبيلا الى الفروسـية سـواء تمثلت فى السيف او الشعر ، وانما هو « **يعيد** » عنترة الى الوضع « **السليم** » فى نظره ، الى الطبقة الارستقراطية فى المجتمع القديم خوفا من أن يتوارث المعاصرون والقادمون هذا «التقليد» غير الجائز، والاقرب الى أن يكون « استثناء » لا قاعدة عامة . وحين يعود عنترة من معركة طويلة ثبت فيها ملك قيصر كما سبق له ان ثبت ملك كسرى ، يلقى مصرعه بسهم قاتل من فارس لقى الهزيمة المرة ثلاث مرات على يديه فى آخرها أفقده بصره ونور عينيه .. وتتولى البقية الباقيـة من اولاده واخوته وصحابه المهمة التاريخية الاصيلة فى السيرة وهى الدخول فى الاسلام والدفاع عن الدين الجديد ، فعنيترة اذ تعتنق الاسلام انما تجسد الامتداد المفترض لعنترة الذى توغل به المقدمة الحجازية الى ابراهيم وتنتهى بمن ولدوا من صلبه فى حضن الاسلام ، وكأن الملحمة تجسـد رمزا تاريخيا للبطولة يتقلد فيها الفارس العربى مهام نضاله كبطل للمقاومة العربية فى ارضهـا البكر .. على ان النهـاية الفاجعة لعنترة ليست نهاية تراجيدية ، فهو لم يمت نتيجة بذرة سلبية كامنة فى تكوينه الذاتى الاصيل ، وهو لم يمت فانهار معه كل شىء ، وانما هـو قد مات فى « شيخوخته » اولا اى بعد ان ادى واجبه فى الحياة كاملا ، وقد مات بسهم غادر ، ثانيا ، فلم يقتل فى مبارزة مكشوفة يسقط بعدها صريع الانكسار الشخصى ، وقد مات اخيرا وهو عائد من حلبة قتال انتصر فيها لغيره بعد ان انتصر لامته انتصارا جزئيا فى البداية ، ضد اليمن تارة ، والشام اخرى ، والعراق ثالثة ، ثم انتصارا شاملا ضد الفرس والروم ..

الصحصاح والصراع العربى

وتعد سيرة « **ذات الهمة** » السـيرة التاليـة تاريخيا لسيرة عنترة بن شداد لان احداثها تمتد عبر الزمان من العصر الجاهلى حتى اواخر الدولة العباسية ، فهى من هذه الزاوية تبدأ من حيث انتهت سيرة « **عنترة** » ثم تتطور الى أن تصل فى خاتمة المطاف الى حكم الخليفـة الواثق .. وفى السيرة ما يبرهن على سبيل القطع بانها تالية لسيرة عنترة لما تتضمنه من اوصاف للبطولة تطابق اوصاف عنترة وتتخذ من اسمه آية لها وكذلك بطل السيرة يشبه فرسه الابجر فرس عنترة .. والسيرة فى جزئها الاول وهو مقدمة طويلة تدور حول الصحصاح فارس بنى كلاب جد ذات الهمة تكاد ترادف صورة عنترة ، بل ان شخصية العبد فى هذه السيرة تشبه الى حد كبير شخصية شيبوب شقيق عنترة . وهكذا لا مفر من وضعها فى المكان التالى تاريخيا لسيرة عنترة بن شداد ، خاصة

وانها تعالج فى اطارها القصصى ذلك النوع من الصراع الذى دار بين العرب فى جهة والروم فى الجهة الاخرى حول تثبيت الحدود بين الدولتين الكبيرتين والسيادة فى نفس الوقت على منطقة البحر الابيض. والصحصاح — بطل المقدمة الطويلة لسيرة الاميرة ذات الهمة — ينتهى نهاية فاجعة بعد ان يتوج ملكا للعرب على يد امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، ولذلك كان هو البطل الذى يمكن ان يجذب انظار المحدثين فقد صاغ قصته عباس خضر صياغة حديثة — هى التى نعتمد عليها فى هذا البحث — وفى تقديمه للقصة يقول « حرصت على تصحيح النظرة الاسلامية الى علاقة المسلمين بالمسيحيين واهداف الكفاح الاسلامى العربى ضد اعداء العرب والمسلمين ، وهو فى الحقيقة — وطبقا لروح الاسلام — كفاح يرمى الى ما نسميه الان بالتعايش السلمى » . ومعنى هذا ان الكاتب « **الحديث** » لهذا الجزء من السيرة قد سمح لنفسه بالتصرف فى الاصل بما لا يسىء الى هذا الاصل فى جوهره . وربما كان الاختلاف الاول بين هذه السيرة وسيرة عنترة ان شخصية عنترة التى تدور من حولها الاحداث هى شخصية تاريخية بينما تعتمد سيرة الاميرة ذات الهمة وجدها « **الصحصاح** » على شخصيات خيالية تحتل مركز الصدارة فى الملحمة ، أما الشخصيات التاريخية فتحتل المراكز الثانوية ، ولكنها — بعد ذلك — هى قصة شعبية يمتزج فيها التاريخ بالخيال الشعبى امتزاجا يصعب معه ان تمسك بالخيط الرفيع الذى يفصل بين الحقيقة والخيال .

وتبدأ قصة الصحصاح — كما اعاد صياغتها عباس خضر من الاصل الشعبى الذى يرجح الدكتور فؤاد حسنين فى كتابه الرائد « قصصنا الشعبى » ان مؤلفه هو « نجدين هشام الهاشمى الحجازى » — منذ ان تمكن الملك الغطريف من ان يهزم اباه الفارس جندبة ، وان يحصل على مهرته «مزنة» فانتهت حياة جندبة من بعدها ، ونقل زعامة قبيلته « **بنى كلاب** » الى شقيقه «عطاف» ، ومات تاركا ابنه الصحصاح وامه فى رعاية اخيه وزوجته وابنته « ليلى » . ويهيم الصحصاح منذ صباه بابنة عمه ليلى فترى امه فى هذا الغرام تطاولا من ابنها الفقير ، ولكنه يجيبها « ليس الفقر عيبا ، وان الذى سلب منا الغنى فيما سلف قادر ان يجود علينا ويعيد الينا مزنا » . ويقع عمه فى حيرة كبيرة فهو يحس نحوه بخشية أن يطالب بعرش الزعامة على القبيلة فيما بعد ، ولهذا فهو يباعد بينه وبين ابنته ويكيد له المرة بعد الاخرى ، الى ان كانت المرة الاخيرة التى تظاهر فيها بموافقته على تزويجها من الصحصاح بشرط ان يحصل على مهرها الغالى من الجواهر والانعام . ويخرج الصحصاح الى البيداء بنية أن يغير على بعض القبائل الغنية فيسلبها مهر ليلى ، ولكنه يفاجأ بنفسه يسلك فى الصحراء على نحو مختلف ، سلوك الفارس العربى الذى يثأر للضعيف المهزوم ، ويثأر لابيه من الغطريف ويسترد مزنة ، ويثأر من قبيلة من قطاع الطريق الى بيت الله الحرام كادت أن تنهب ابنة امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وهى فى طريق عودتها من الحج .ودعته الاميرة الى زيارة والدها الخليفة فى قصره بدمشق ، وقدمته الى توءمها بوصفه « **حامى الديار من الاشرار** » فاكرم عبد الملك بن مروان وفادة **الصحصاح** ومن معه، وطلب اليه أن يستعد لواجب اكبر اذا دعت الظروف ، وهو صد العدوان الرومى على دولة العرب من ملك « القسطنطينية » الذى يغير على الثغور أحيانا لكى يستولى بجيوشه على بلاد المسلمين ويستذل اهلها . وتطورت هموم الصحصاح واهتمامه ،واضحى يولى عناية خاصة لفكرة « **الجهاد فى سبيل الله وأرض المسلمين** » وينعى على العادات الجاهلية والعصبية القبلية مما لا تزال بقاياه متفشية بين قبائل العرب فى صحراء الحجاز ، وحتى يحين الحين لمواجهة « كلب الروم » قرر الخليفة ان يتولى الصحصاح امارة العرب فى البادية بدلا من مروان بن الهيثم، ليخضع القبائل العاصية ، وينشر الامن والعدل فى ربوع البادية ويؤمن طرق الحجاج بين الشام والحجاز « **وان اصعب ما سيواجهك فى مقاومة القبائل ان الامر لا يحتاج الى الشجاعة فى القتال فقط ، بل يحتاج كذلك الى الحيلة وحسن السياسة وتاليف القلوب** » . وأرسل معه ابنه « **مسلمة** » ليألف معه الحياة الجديدة ، حياة الحكام . وفى تلك الاثناء كان عمه « **عطاف** » قد خانه واتفق مع « **حريث** » من بنى كندة ان يتزوج من ليلى مادامت أخبار الصحصاح لا تنبىء عن حياته أو موته . ولكن الصحصاح يجىء ولم يكن حريث قد عانق ليلى بعد فيأخذها له زوجة ويغفر لحريث وعمه والجميع ، ويقيم المآدب ويمنح العطايا . ثم علم الامير المخلوع « **مروان بن الهيثم** » ماكان من امر الخليفة والصحصاح فقرر أن يسترد امارته بالقوة ، وحينئذ تطوع من رعيته فارس يدعى « آفة الدنيا » للقيام بهذه المهمة فقال مروان « ان التقدم على الاهوال بغير كشف الاحوال ما هو الا من فعل الجهال » ولكن آفة الدنيا لايلقى بالا الى هذا القول ، ويمتشق الحسام ويركب حصانا اشهب ويتوجه سرا الى مكان الصحصاح، وهناك يتولى الرجال تأديبه ،هو وسيده من بعده، ويقر الجميع بامارة الصحصاح . ومرة أخرى يصفح ويمنح العطايا . ويقبل اليوم الموعود فقد بعث الخليفة برسله الى مختلف الامارات بنداء موجد مؤداه ان كلب الروم اغار بجيوشه على ثغور المسلمين واعتدى على اهلها وضرب ديارها، وعلى فرسان العرب ان يهبوا الى الذود عن حياض

الاسلام والمسلمين . وفى قصر الخلافة اعلن امير المؤمنين ان مسلمة ابنه هو نائبه وان الصحصاح هو قائد جيوش المسلمين ((**وأوصيك بالصحصاح بالمشردين من أهل الديار الذين نهبت أموالهم وأخرجوا من ديارهم وأصبحوا لا مأوى لهم ولا طعام لديهم**)) . وخرج الصحصاح ومسلمة فى مائة الف مقاتل للقاء جيش ارمانوس ملك الروم الذى حشد للغزو ((**مائتى الف فارس**)) يتقدمهم أكبر قواده ((**اشمونيس**)) و ((**مقلاعوس**)) . ثم سأل الصحصاح نفسه ((**أليس الذى تفعله هذه الجيوش الغازية المعتدية المخربة مثل ما كانت تفعله بعض القبائل ، مع فارق يسير ، هو أن هذه تزاول اعتداءاتها فى محيط ضيق ، وتلك ترتكب شناعاتها فى المحيط الواسع بين الامم والدول ؟**)) واحس وهو يفصل الرقاب عن اجساد فرسانها الروم انه انما يقتل ((**لينشر الحق ويمحق** الشر)) فانتصر الحق وزهق الباطل وارتدت جيوش الروم مدحورة بعد ان لقيت حتفها فى البر والبحر ولم يتبق منها سوى القليل العاجز. ولكن الفرسان العرب لم يأمنوا للروم فتعقبوهم حتى عقر دارهم ، وسقطت بعد نضال عنيف ((**القيسارية**)) مركز مليكهم الذى استعان على العرب بكراز القرطبى أبرز فرسانه و ((**عملاق**)) **ملك** الافرنج المتوج و ((بخطوس)) ملكة الكرج . . ولم يفلح سعى ارمانوس لتسليم يحفظ ماء الوجه فلقى مصرعه هو وقواده ، ودخلت الجيوش العربية ترسى دعائم حكم عادل ، ثم عادت الى الشاطىء العربى بعد أن أمنت ثغوره من عدوان الروم وغزواتهم .

وتنتهى هنا ((**القصة**)) التى أخذها عباس خضر عن سيرة الاميرة ذات الهمة مكتفيا بسيرة جدها الصحصاح عند هذا الحد الذى يكتمل فى الأصل الشعبى بان ليلى زوجته قد انجبت له ولدا دعاه ((**ظالما**)) ثم تزوج من فتاة اخرى انجب منها ولدا دعاه ((**مظلوما**)) ثم فر والتحق بدير أقام فيه فترة من الزمن قرر بعدها العودة الى ليلى ، غير أن وحشا افترسه فى الطريق ولم ينج الا حصانه الذى واصل السير حتى جاء الى بنى كلاب ، فادركوا ان الصحصاح مات . وتنتهى قصة ((**الصحصاح**)) لتبدأ السيرة قصصا أخرى مع اولاده واحفاده. ومرة أخرى نقول انه اذا كانت سيرة عنترة تعكس صراع العرب مع الفرس والروم ، فان سيرة ذات الهمة — والصحصاح فى مقدمتها — تعكس صراع الامة العربية بكاملها تجاه الغزو الاجنبى ((**الموقف الذى يمكن تبسيطه بأنه صراع الدولة الاسلامية أمام دولة الروم المسيحية الكبرى**)) كما يقول فاروق خورشيد . ومرة أخرى كذلك ، نقول أن رمز البطولة فى مقاومة الفرسان العرب لم يكن هو الرمز القومى الذى عرفته عصور تالية للعصور التى أثمرت

الملاحم الشعبية . . وانما كان ((**الدين**)) و ((**الارض**)) و ((**اللغة**)) هى المزيج المعقد الذى يخلق شعورا واحدا مركبا فى نفسية العربى تدفعه الى النضال حتى الموت . وقد كانت هذه العناصر الثلاثة بمثابة ((**القومية**)) فى مفهومنا الحديث ، فالاسلام هو ((وطن)) الفارس وعقيدته ولغته ، ومقاومة الغزو المسيحى الرومى ، هى فى صميمها مقاومة العدوان ضد الارض التى يملكها المسلمون . ولم يكن البعد الاجتماعى فى قصة الصحصاح اقل وضوحا منه فى سيرة عنترة ، فقد نشأ فقيرا ودافع عن الفقراء وارتبط بهم فى حياته ونضاله ، ولم يكن الدفاع عن الاسلام وارض المسلمين ولغتهم الا دفاعا عن ((الفقراء)) وحياتهم . . وتلك هى القيمة الرئيسية فى قصة ((الصحصاح)) . قد تبرز فى سيرة ذات الهمة بعد ذلك قيم أخرى كالمساواة بين الرجل والمرأة فى السراء والضراء، وهى القيمة التى تثبت ريادة الملحمة العربية فى تبنى اكثر الافكار تقدما ، ولكن تظل قضية ((**الفقر**)) هى المضمون الاشمل للسيرة كلها ، ويظل الصحصاح بطلا وفارسا عربيا من أبطال وفرسان المقاومة العربية بقدر ما تجسد قصته فى سيرة ذات الهمة هذا الرمز الاجتماعى الكبير .

الظاهر بيبرس ووحدة العرب

يضع الباحثون فى الادب الشعبى سيرة ((**الظاهر بيبرس**)) فى مكان تال مباشرة لسيرة الاميرة ذات الهمة ، من ناحيتى المرحلة التاريخية التى تصورها والفترة التى كتبت فيها على السواء فالظاهر بيبرس — كملحمة شعبية — تقفز من العصر العباسى الثانى الى الايوبيين لتقف عند الحروب الصليبية فى العصر المملوكى . ولعله من المهم ان نفرق بين علاقة هذه السيرة بالتاريخ، وعلاقة غيرها به . . فعنترة مثلا شخصية تاريخية، أو واقعية ان شئنا الدقة ، اى ان له وجودا حقيقيا فى الحياة الجاهلية كواحد من الفرسان العرب . ولكن ما كان صيته ليذيع لولا ما اضفته عليه السيرة من خوارق البطولة فى الفروسية والشعر . اما سيرة ذات الهمة فابطالها الرئيسيون من ابداع الخيال الشعبى ، بينما تلعب الشخصيات التاريخية ادوارا ثانوية . فى سيرة الظاهر بيبرس يختلف الامر ، ذلك لان التاريخ ينقل لنا صورة معينة للظاهر كواحد من حكام المسلمين لا كبطل مغوار فحسب ، ومعنى هذا ان ((الصورة التاريخية)) لهذا النموذج اكثر دقة ووضوحا وتفصيلا من الصور التاريخية الاخرى التى لم يكن أصحابها من الولاة او الامراء او الملوك او الحكام . ومع هذا فان الملحمة الشعبية بطبيعتها

لا تصلح كوثيقة تاريخية وان تطابقت فى بعض اجزائها مع وثائق التاريخ . والتاريخ يقول أن مملوكا يدعى بيبرس نقل الى حلب وبيع فى القاهرة واشتراه الملك الصالح ايوب حين ظهرت مواهبه فعينه فى احدى الوظائف وظل يتدرج فى المناصب حتى اصبح قائد فرقة المماليك التى كان لها الفضل الاول فى صد حملة لويس التاسع عن مصر . ثم تولى بيبرس عرش مصر بعد موت الملك الصالح وقتل ابنه توران واغتيال أيبك التركمانى وتآمره مع بعض المماليك فى مصرع قطز اثناء ذهابه الى الصيد فى طريقه الى مصر ، وانتخب قواد الجيش والامراء بيبرس سلطانا. وحاول حاكم دمشق أن يناوىء الظاهر بيبرس مطالبا بالسلطنة ، ولكن أعوان السلطان الجديد تمكنوا من القبض عليه . وكانت الديار المصرية والشامية محاطة بالاعداء من كل جانب : ففى الشمال يربض ملك ارمينية ، وفى الغرب تكمن القوات الصليبية على الساحل الشامى ، وفى الداخل جماعة الحشاشين وفى الشرق المغل يطلبون الثأر ، والنوبيون فى جنوب مصر لايكفون عن القتال . وتمكن الظاهر بيبرس من أن يكتسح هؤلاء الاعداء جميعا ، الواحد بعد الاخر ،وكان يعود من جولاته الحربية فى الخارج ، ليصلح من حال البلد فى الداخل فاشتهر عنه العدل ومجافاة الظلم والانتصار للفقراء والمساكين الى أن مات عام ٦٧٦ هـ وكانت ولايته عام ٦٦٧ اى انه أمضى حوالى عشر سنوات فوق عرش مصر . وهنا ينتهى التاريخ لتبدأ السيرة الشعبية عملها فتجعل من هذه الشخصية التاريخية محورا قصصيا للملحمة وتصل بنسبه الى بيت ملكى من خوارزم العجم ، وتصف احواله الصحية بالضعف والعقلية بالذكاء والروحية بحفظ القرآن . وتعقد الصلات بينه وبين أولياء الله الصالحين من أمثال المغاورى والسيد البدوى والسيدة نفيسة والسيدة زينب، أحيانا يقومون له بدور البصيرة النافذة الهادية يكشفون حجب الغيب عن عينيه فيستنير بما سيجد فى حياته من صعوبات ومكائد الاعداء ، واحيانا اخرى يقومون بدور الظهير فى الحروب فهم يجيدون فنون القتال . واذا كان القصاص الشعبى قد كتب وافاض فى ذكر الحروب التى قادها الظاهر بيبرس فانه لا يذكر الجانب المظلم منسوبا الى بيبرس وانما الى اعوانه ، اما هو حين يدخل المكان غازيا او فاتحا او صادا للهجوم والعدوان فان شاغله الشاغل حينئذ هو الانتصاف لاهل الله من فقراء المسلمين حتى لقبه الرواه بالعادل . وتضيف السيرة الى صاحبها الكثير من الحوادث والشخصيات والمواقف مما لايتصل بالتاريخ فى كثير او قليل ، وانما لتنحو فى ذلك نحوا تعليميا تمجد فيه بطولة الفارس العربى الجديد الذى ينشغل بهموم الغالبية المسحوقة من الشعب العربى ، سواء تجسدت هذه الهموم فى بلاء الغزاة وكوارث الفاتحين القادمين عبر البحار او تجسدت فى بلاء المتامرين والظالمين والمفسدين فى طول البلاد وعرضها . وهكذا تدور السيرة حول شخصيتين غير الظاهر هما جوان وشيحه . اما جوان فهو جاسوس صليبى يتمكن من الوصول الى منصب قاضى القضاة فى مصر بعد أن تأهل لاعتلاء هذا المنصب بالدس والحيلة والتعلم ، وهو يرمز الى عنصر الشر القائم فى بنيان الوجود ، وتكاد القصة الشعبية أن تجسم فيه صورة ابليس ومثاله . وأما شيحه فهو الرجل الذى تسوقه الاقدار ليخلص المسلمين من دهاء القاضى الجاسوس حتى يكشف أمره على العالمين ويلقى نهايته المحتومة . وهو يرمز الى عنصر الخير القائم ايضا فى بنيان الوجود . على أن هناك شخصية أخرى تكاد أن تكون هى المقابل الموضوعى لشخصية جوان ، هى شخصية عثمان بن الحبلى الذى نعرفه فى بعض أجزاء القصة قريبا الى قلب بيبرس لا يبرم هذا أمرا دون مشورته ، يدبر له جميع شئونه ويخلصه من المآزق ، وهو يتمتع بكفاءة من نوع خاص تعينه على كشف المؤامرات والحيل والدسائس وتنير له الطريق ولايته وعلمه الباطن . ويكاد أن يكون فى نواكله المؤمن وطيبته الكاملة وفتوته وشجاعته وقدرته الباهرة على السخرية وذكائه ان يكون « رمزا مجسدا لمصر كلها » كما يقول فاروق خورشيد فى « اضواء على السير الشعبية » .

والقصة الشعبية تبدا بان حكيما يونانيا ممن يستشرفون الغيب سجل فعال أعداء الشعب العربى على صحائف من الذهب لصفرته وغلابته تجسيما لتصاريف الشر ، وجاء ابنه من بعده ، فسجل وقائع العرب والمسلمين على صحائف من الفضة لبياضها وتجسيمها لتصاريف الخير وكان هذه الصحائف كلها مذهبة ومفضضة تشبه « لوحة المقدور » فيما يقول الدكتور عبدالحميد يونس فى كتابه « الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى » . وتكاد ان تكون « حرية الانسان فى مواجهة مصيره » هى الاطار القصصى الذى تدور فى حدوده الاحداث ، فيقول الملك الظاهر لوزيره شاهين « كل شىء له أسباب ، سبحان مسبب الاسباب ، اهل السعاده مكتوبين ، ومن يعارض مولانا فى حكمه هذا الذى حكم به الاله القديم ». وهكذا يصبح جوان هو الشخصية التى تعارض **ارادة الله لتحقيق ارادة الشر ، ويتحقق الشر احيانا ، ولكن فى نطاق العلم الالهى الذى تبرزه السيرة فى رؤى الاولياء . وهكذا أيضا يصبح بيبرس هو الشخصية التى تنفذ ارادة الله لتحقيق الخير ، مهما نجح الشر فى تعويق هذه الارادة وتكبيلها بكثير من القيود والهزائم . الى ان يتآمر جوان تآمرا مباشرا على الظاهر بيبرس فيعلن بهذه المؤامرة — دون ان يدرى وبالرغم من كافة**

الاحتياطات — عن شخصيته الحقيقية كجاسوس للعدو الصليبى . ولا يخرج بيبرس لمواجهة الصليبيين الا بعد ان يطهر مجتمعه الداخلى من أدران الفساد و ((الشر)) مجسما فى الظلم الفادح الذى يقع على كاهل الفقراء ويصل الى درجة الاغتصاب .

ولا يخرج بيبرس كذلك الى ملاقاة الصليبيين الا بعد ان يرسى دعائم مفهوم جديد لمعنى العروبة والاسلام . فقد تعددت الاصول العرقية التى ينتمى اليها الحكام والولاة والامراء والملوك والسلاطين الذين تعاقبوا فى الجلوس على عرش مصر بحيث ان وحدة الجنس العربى لم تعد تعنى كما كانت فى سيرة عنترة هى وحدة ابناء الجزيرة العربية او كما أضافت اليها سيرة ذات الهمة الشام والعراق .. ان التيار الحضارى المشترك بين شعوب المنطقة التى نعرفها اليوم من الخليج الى المحيط — منذ الفتح الاسلامى — قد صهر مختلف الاصول العرقية فى بوتقة الواقع النفسى للدين الجديد واللغة الجديدة والوحدة الجغرافية والكيان الاقتصادى المتقارب . وكلها عناصر جنينية لما ندعوه اليوم بالقومية العربية . والظاهر بيبرس الذى انحدر من ((**عنصر**)) عربى هو الرمز الرائد لهذا ((**المفهوم**)) الجديد ، ولا اقول ((**الواقع**)) الجديد ، لان هذا الواقع لم يتبلور ويتخذ شكله((**القومى**))النهائى الا بعد ذلك بأزمان مديدة . اى ان رمز البطولة فى مقاومة الظاهر بيبرس هو هذه المزاوجة التى تتم بصورة ناضجة لاول مرة فى تاريخ الملحمة الشعبية؛المزاوجة بين كفالة الوحدة القومية وكفالة العدل الاجتماعى فى مواجهة الغزو الاجنبى . وتلك هى القيمة الحقيقية التى جذبت مؤلفو الملاحم ورواتها الى قصة الظاهر بيبرس فى مواجهة الصليبيين ، ولم تتجه انظارهم الى قصة بطل عظيم كصلاح الدين الايوبى .

على الزيبق : لص أم بطل ؟

تواجه الدارسين فى الادب الشعبى مشكلة حقيقية اذا تصدوا لمعالجة سيرة ((على الزيبق)) فهم يجوبون مع البطل متاهات تاريخية لا ضابط لها ولا علامات طريق يدرك بها المسافر كم من المسافات قطع ، ومن اين جاء ، والى اين يتجه . ذلك ان مؤلف السيرة شاء ان يرمزا الى احداث عصره بأسماء عصور خلت ، فاستخدم ملوكا كابن طولون وهارون الرشيد استخداما ((**روائيا**)) لا يعترف بالزمن بل يسقطه من حسابه تماما . ومن ثم يميل اغلب الدارسين الى اعتبار الشخصيات التاريخية فى السيرة مشجبا علق عليها كاتبها اوزار عصره ليتهرب من مواجهته الصريحة فحسب .

ويميلون ثانية الى القول بأن سيرة على الزيبق تاتى فى الترتيب التاريخى — بالرغم من كل هذا التشويش — بعد سيرة الظاهر بيبرس لانها تعالج بالقول والدل على مجتمع العصر المملوكى شكلا ومضمونا .

ويكاد ان يكون المرجع الرئيسى — ان لم يكن الوحيد — لسيرة على الزيبق ، هو ((**الف ليلة وليلة**)) وان كانت هناك طبعة مستقلة لقصة ((احمد الدنف وحسن شومان مع دليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة)) ويلعب فيها الدور الرئيسى **((على الزيبق المصرى بن حسن راس الغول))**. وهو الشخصية التى نسجت مضمونها الفنى فى شكل حديث الصياغة التى نشرها يوسف الشارونى فى روزاليوسف ، والصياغة التى نشرها فاروق خورشيد فى روايات الهلال .

وتكتمل لقصة على الزيبق مجموعة من المقومات التى يختلف بها اختلافا جوهريا عن بقية الابطال الشعبيين فى الملاحم العربية ، فهو لا يعتمد فى بطولته على فروسية السيف أو الشعر ، ولا يستلهم فى طموحه الحب أو الملك ، وانما هو احد ابناء الشعب المصرى الذين نشأوا فى احضان الحارة والزقاق واللصوص . وبطولته اذن هى بطولة ((الرجل العادى)) الذى طحنه الظلم والبؤس فآثر أن يحارب الطغاة بأسلحتهم فتعلم اللصوصية ليسطو على اللصوص ، سواء كانوا لصوصا من أهل الشارع أو لصوصا من أهل الحكم . ولقد كان العصر المملوكى بشكل عام نموذجا لمجتمع الظلم والظلام الذى عم مصر فى ذلك الوقت ، وكان ((اللص)) على الزيبق تجسيدا موضوعيا امينا للبطل الشعبى الذى يتوسل بالحيلة والدهاء فى النكاية بالظالمين . هكذا نراه طفلا متمردا منذ البداية يغلق أبواب الكتاب الذى تعلم فيه وابواب السوق الذى كان يعمل فيه جده . وترسله امه الى الازهر فلا يكف عن ممازحة معلمه الى ان يطرد ، ولا يجد مأواه وبغية احلامه الا فى ((الرميلة وقرة ميدان)) التى يقول عنها المؤلف : ((... وكانت تلك البقعة سهلة واسعة وهى اعجوبة من عجائب الزمان ، وفيها كانت تجتمع ارباب الشطارة والزلاقة ، وكان يوجد هناك جميع الوان الملاعب مثل لعب السيف والترس ، وضرب الرمح والدبوس ، والصراع وركوب الخيل والحرب ودواهى الشغربية والخداع)). وفى هذا المكان وحده يشعر على بالراحة النفسية العميقة ، ويبز اقرانه فى تعلم الحيلة والدهاء مستعينا بذكاء فطرى لاشك فيه . وفى هذا المكان يطلقون عليه لقب ((**الزيبق**)) اى القادر على اتيان العجائب والمراوغة والخروج من المآزق بسعة الحيلة وحدة الذكاء والتمرس على ادوات ((الشيطنة)) والدهاء . ويعلم من امه ان اباه قتل على يدى صلاح الكلبى((مقدم الدرك)) فى مصر ،

يتوجه الى أحمد الدنف فى الاسكندرية ليسلحه بما يلزم فى شئون المؤامرات والخديعة ، ويبدا تحرشه بصلاح الكلبى هينا يسيرا فى البداية فيسقط بين أنياب دهاته من الفرسان اللصوص . ولكنه ينجو بفضل أمه وشجاعتها ، ثم يعاود جولته مع مقدم درك مصر متخفيا تارة فى صورة امرأة او طبيب ، سافرا أخرى مطالبا بمكان صلاح الكلبى الى ان يحصل على المنصب فى النهاية . والسيرة تصور صلاح الكلبى هذا أقرب ما يكون الى الشر المطلق فى بغيه وظلمه وتنكيله بالمصريين ، فالشخصية المملوكية لا ترمز الى ما سبق ان رمزت به شخصية الظاهر بيبرس من انصهار للاصول العرقية التى صدرت عن بوتقة تفاعلاتها الامة العربية . ان الحاكم المملوكى هنا هو رمز الاستعمار بالمعنى الحديث ، وعلى الزيبق هو الرمز المقابل له ، رمز البطولة فى المقاومة الشعبية . ويقترب فى الشبه منه « **سعيد مهران** » فى قصة « **اللص والكلاب** » فسعيد ليس لصا بالمعنى التقليدى ، وانما هو بطل شعبى أجهضت ثورته معوقات الحرية فى وطنه فانقلب متمردا فرديا ، وان عكست فرديته بطولة الجماهير المقهورة . بهذا المعنى كان على الزيبق بطلا شعبيا ينفرد بخاصية الرجل العادى الذى لا يأتى بالخوارق وان ركب الاهوال ولكن دون مساعدة من قوى خفية ، وهى خاصية فريدة لم تعرفها السير الشعبية الاخرى « وما أشبهه بأبطال الاعمال الواقعية فى ادبنا المعاصر » كما يقول فاروق خورشيد فى مقدمة صياغته الحديثة للسيرة . ويبدا مغامرته الجديدة فى بغداد ، ولكنه يتولى فى طريقه درك الشام . وفى بغداد يلتقى بدليلة المحتالة التى عزلت ببراعتها أحمد الدنف — الرجل الذى علمه فى الاسكندرية أصول المهارة وحرفة الدهاء — واستولت هى على المنصب الذى فرغ بطرده . وهناك يداورها على الزيبق ويحاورها الى أن ينتصر عليها انتصارا ساحقا تعترف له به وتوليه على الدرك ، ولكنه يقع فى هوى ابنتها زينب النصابة فتستغل دليلة هذه الفرصة لترسل به الى المهالك — ليحصل على المهر — لعله لا يعود منها غير أنه ينجو من كافة المكايد التى دبرتها له ، وتنتهى القصة بقتل دليلة وزواجه من زينب واعتزاله لدرك بغداد تاركا مكانه لابنه .

ويبدو البعد الاجتماعى فى السيرة هو البعد الغالب على تكوينها الملحمى ، ولكنه فى الحقيقة هو الوجه الاخر لرمز البطولة فى مقاومة على الزيبق — والشعب المصرى معه — لمختلف مظاهر الغزو الاجنبى الذى يبلغ قمة طغيانه فى ظل المماليك وحكمهم الظالم . وان يكون على الزيبق لصا ، فان هذه الصفة لا تقلل من بطولته أو تضعف منها ، لان لصوصيته فوق أنها حيلة فنية أراد بها القصاص أن ينتقم من الظالم بنفس سلاحه ، فهى ايضا مضمون شعبى أصيل يتواتر فى الاداب العالمية الاخرى تحت عناوين مختلفة تلتقى كلها فى تعبير « اللص الشريف » الذى يأخذ من الاغنياء ليعطى الفقراء ويدمغ المجتمع كله بالفساد ونظام الحكم بالخلل والانهيار لانه قائم على السلب والنهب وانعدام الامانة والضمير ، خاصة اذا كان الحاكم غازيا أجنبيا فهو يمرغ كرامة الشعب المحتل فى الوحل ، ويصبح على الزيبق رمزا لبطولة هذا الشعب — ولو عن طريق ملتو كاحتراف السرقة والتآمر — فى مقاومة الفساد .

سيف بن ذى يـزن

بالرغم من ان سيرة سيف بن ذى يزن تكاد ان تكون جاهلية العصر من حيث استعارتها لاحد ملوك اليمن فى ذلك الوقت ليصبح بطلا للملحمة الشعبية ، الا ان أغلب المؤرخين للادب الشعبى وفى مقدمتهم الدكتور فؤاد حسنين يميلون الى اعتبار « **التاريخ** » فى هذه السيرة أحداثا خيالية لا علاقة لها بالواقع الذى يتناقض فيه اختيار البطل من الجاهلية واختيار غريمه « **سيف أرعد** » ملك الاحباش معاصرا لنهاية العصر المملوكى أى ان السيرة جمعت بين شخص وجد فى القرن السادس الميلادى جنبا الى جنب مع شخص وجد فى القرن الخامس عشر . ومن ثم فلا علاقة لهذا « **التاريخ الروائى** » بذلك التاريخ الواقعى للمنطقة الذى تسجله الوثائق على نحو مختلف أشد الاختلاف عن التسجيل القصصى فى سيرة الملك سيف . من هنا يميل فاروق خورشيد الذى اعاد صياغة القصة الشعبية الى موافقة الدكتور **فؤاد حسنين** فيما أورده فى كتابه « **قصصنا الشعبى** » من ان زمن الملحمة هو العصر المملوكى ، وأن بيئتها هى مصر لكثرة ما جاء فى السيرة من كلمات وأسماء مصرية بالرغم من « **الهالة الجاهلية** » التى يحيط بها المؤلف أو المؤلفون هذه الملحمة .

ولعل السيرة الشعبية قد عمدت الى اختيار سيف بن ذى يزن من ذلك التاريخ القديم ، لانه الملك اليمنى الذى اشتهر بمعاركه ضد الاحباش واجلائهم عن اليمن « **اليهودية** » فى ذلك الحين بمعاونة كسرى ملك الفرس بعد أن رفض ملك الروم مساعدته لاشتراكه فى « **المسيحية** » مع الملوك الاحباش . ولكن المضمون الحقيقى للمعارك لم يكن قط حربا بين اليهودية والمسيحية كأديان وعقائد ، وانما كانت حربا اقتصادية وسياسية فى المقام الاول ، حتى أن كسرى قد اشترط فى مساعدته تلك للملك سيف أن يحدد له شيئا شبيها بالجزية السنوية . والذى يعنينا هو أن اسم سيف بن ذى يزن اقترن على مر العصور والاجيال بهذه الحرب التى

حررت اليمن من قبضة الاحباش، والتاريخ الواقعي يلقي شبهات كثيرة على علاقة الحبشة بالحروب الصليبية قرب نهايتها ، وكيف أن علاقة الحبشة بمصر بلغت درجة عالية من السوء حين أسرفت في اضطهاد المسلمين هناك من ناحية ، وحين كررت عدوانها المسلح على صعيد مصر من ناحية أخرى. وعلى النقيض تقريبا من الفكرة المحورية في سيرة عنترة حيث تكاد أن تكون ((**توحيدا**)) عنصريا بين السامية والحامية ، اقبلت سيرة الملك سيف تحمل لواء ((**التفرقة**)) العنصرية بين الساميين والحاميين. فالسيرة تبدأ بهذه النبوءة العجيبة التي تقول على لسان وزير ذي يزن :

فان مليكا يملك الأرض كلها
يكن حميريا تبعيـا ومسلما
بدعوة نوح داعيا كل أسود
لاولاد سـام تابعين وخدما

ذلك ان نوحا كان يرقد تحت شجرة ومعه ابناه سام وحام فرفع الهواء ذيل ثوبه وبانت عورته ، فضحك حام وغضب سام واستيقظ نوح ليدلي بهذه النبوءة التي جاءت في صورة « دعاء » على حام ان تسود بشرته وأن تصير ذريته عبيدا لذرية اخيه وتحاول السيرة كما هو الحال في قصة عنترة ان ترجع « بالايمان » الى ابراهيم الخليل باعتبـاره التمهيد التاريخي للاسلام . وهكذا فالملحمة تؤرخ للصراع القـادم بين الملك اليمنى الابيض وملوك الاحباش السود من زاويتي الدين والعنصر ، ولكن مسار الاحداث يؤكد أن ارضية الصراع هي مقاومة الغزو الخارجي . ذلك ان « الدعوة » من الجهة المقابلة عبرت عنها شامة بنت الملك الفريقي افراح :

عسى الصفو يهدى الى نسل حام
ينـالون عـزا بقـدر مهـاب
عسى بطشة الدهر في نسـل سام
يصيرون فى الناس مثـل الـكلاب

فتفسيرات هـذه المواقف المتبادلة ــ كما يقول الدكتور فؤاد حسنين ــ هي هذه الحروب الطاحنة التي قامت بين الساميين والحاميين ، او بين العرب والحبشة والسودان . وعلى النقيض من فـكرة انصهار الاجناس المختلفة في بوتقة التيار الحضاري المشترك بين ابناء وبنات الامة العربية الوليدة ــ وهي الفكرة التي طرحتها سيرة الظاهر بيبرس ــ نجد ان السيرة الجديدة تؤكد على فكرة عكسية هي « وحدة الدم العربي » فتجعـل للبطل ولدين احدهما ((**مصر**)) ويحكم على مصر والاخر ((**دمر**)) ويحكم الشام. وهي ايضا فكرة تحمل جنين الترابط العربي في مواجهة الحرب الصليبية. وتعتمد سيرة الملك سيف على الخوارق الاسطورية كاطار روائي يحقق لكاتبها اقصى درجات الحرية في التثبت من صدق النبوءة القديمة التي تربط بين جهاد البطل العربي وتراث ابراهيم الخليل . والخوارق في هذه السيرة لا تتجسد في بطولة السيف وان لم تغفلها، ولا في بطولة الشعر والذكاء والمهارة وان لم تهمل توظيف هذه كلها ، وانما تجسدت بطولة سيف بن ذي يزن في خوارق السحر والجان والقوى الغيبية بمختلف الوانها .

وتقول الملحمـة ان ابا سيف كان واحـدا من اشراف اليمن في عهد احد الملوك التابعين للسلطة الحبشية في اليمن ، وان امراته الجميلة قد ولدت له غلاما هو سيف ، ولكن صاحب البلاط قد اخذ بجمال هذه المراة فتزوجها هو الاخـر وولدت له غلاما سماه « مسروقا » ونشـأ سيف مع امه في القصر الحبشي ، ولكنه عرف بعد حين انه ليس ابنا لصاحب البـلاط فخـرج عليه ثائرا على سلطان الاحباش وتجمع حوله الوطنيون في بلاده ثم تمكن بمعاونة كسرى من هزيمتهم واستقلال اليمن .

ويجتاز سيف اهوالا بعد اهوال وهو يخترق الحجب ليحصل على ادوات سام التي يستطيع بها ان يحقق المعجزة ، ان يعرف ، وان ينتصر. فلاشك ان الملحمة ترمز بشخصية سيف بن ذي يزن الى بطولة الانسان التي يحققها طموحه الى المعرفة ولو كان المـوت ــ في درجاته المتفـاوتة ــ هو النتيجة المحققة للفضول وحب الاستطلاع . ولكن شهوة المعرفة هذه تلتحم بصورة اخرى هي ((**الكتاب النيل**)) الذي لا بد من الحصول عليه حتى تفسـد على الاحباش محاولاتهم وتهديداتهم بسد مجرى النيل وقتل المصريين عطشا. ذلك ان احداث السيرة تدور في مصر ما قبل الاديان السماوية الثلاثة اذ هي حرب بين عبدة النجوم من الاحباش والمؤمنين بالله على دين **الخليـل** من العرب على الرغم من الحاح الوقائع بعد ذلك على انها انعكاس لاحداث نهاية العصر المملوكي . واحداث السيرة تقول ان مهمة سيف بن ذي يزن الاولى هي احضار كتاب النيل الذي هو في بلاد الاحبـاش وتخيلت السيرة وكاتبها أن الاحباش باستيلائهم على هذا الكتاب قد حجـزوا ميـاه النيـل عن مصر ، فاذا ما جاء سيف بن ذي يزن واستولى ــ بالحـكمة ــ على هذا الكتاب اجـرى ماء النيـل وانشا مصر التي سماها باسم ابنه البكر الذي اصبح ملكا عليها من قبله . وهذا هو رمز البطولة في مقاومة سيف بن ذي يزن ، لقد انجب ولديه : احدهما يتولى حكم مصر وانشائها والثاني يتولى حكم الشام وانشائها وهما اخوان من اب واحد يواجهان مصيرا واحدا ويربطهما تاريخ مشترك ليقودا كفاحا مشتركا ضد العدوان الخارجي على ارضهما. وكأنما اراد كاتب السيرة المصري ــ يقول فاروق خورشيد ــ أن يضع امام الشعب العربي كله صورة رمزية لمعنى وحدته واصالتها ، وكأنما اراد ان يجعل من وحدة الدم سندا للوحدة السياسية ووحدة الكفاح. وهذه

الفكرة تؤكد مرة أخرى معانى الوحـدة والترابط ضد الغـزو الصليبى فى عصر محـدد هو العصر المملوكى .

ومعنى ذلك ان بطولة سيف فى الملحمة الشعبية من ابداع الخيال الشعبى وليست نقلا حرفيا عن كتب التاريخ ، فالشخصية نفسها اقرب ما تكون الى الرمز الأسطورى الخارق ، ولا تقترب فى كثير او قليل من اسوار الواقع ، وان لم تتخل فى نفس الوقت عن استلهام هذا الواقع ومعاصرته للمضمون الفنى الشامل الذى حملته السيرة الى متلقيها فى زمانها والازمان التالية لها . اى اننا لا ينبغى ان نعير ((التاريخ)) التفاتنا اذا صادفتنا بعض أحداثه فى سيرة الملك سيف ، ولا ينبغى ايضا ان يتوهج خيالنا ويجمح مع ((الاسطورة)) اذا التفينا بنسيجها يصوغ الملحمة من اولها الى آخرها ، وانما ينبغى أن يتجه اهتمامنا كله الى رمز البطولة فى مقاومة الشعب المصرى للغزو الخارجى ممثلا فى العدوان الحبشى على العرب بتاييـد من الصليبيين قرب نهاية العصر المملوكى .

حمزة العرب .. البهلوان !

يقف الباحثـون فى الادب الشـعبى امام سيرة **((حمزة البهلوان))** موقفا شبه موحد فيضعونها فى خاتمة السـير التى وصلتنا حتى الان ، وما اقلها بالنسبة لما كتب فعلا وتواترته كتب الاخبار والادب واشـارت اليه بعض القصص التى نجت من الضياع . ويتخذ الباحثون هذا الموقف شبه الموحد من هـذه الملحمة بالذات لسبب رئيسى هو انها تكاد تخلو من اية **((ادعاءات))** تاريخية فهى لا تذكر اسما تاريخيا او حدثا او موقفا ، وانما هى اذا احتاجت الى اسم لملك ما للفرس قالت **((كسرى))** كغيرها من القصص الشـعبية التى تدعو ملوك الفرس جميعـا بكسرى وملوك الروم جميعا بقيصر . وقد صاغ **عباس خضر** هذه القصة صياغة حديثة دعاها **((حمزة العرب))** باعتبار ان حمزة البهلوان الذى تدور من حـوله احداث الملحمة هو رمز البطولة العربية فى مواجهة النير الفارسى وسطوته . وتبدا القصة كما صاغها عباس خضر بحلم لكسرى انو شروان يفسره له وزيره الحكيم **بزرجمهر** بأن فارسا يظهر فى حصن خيبر سوف يهجم بجيش جرار على هذه البلاد ــ فارس ــ فيخلع مليكها عن عرشـها ويتولى حكمها الاجنبى ، الى أن يظهر فى بلاد العرب ــ التابعة لفارس آنذاك ــ فارس اعظم منه فيخلص العرش الفارسى من الكارثة التى حلت به ويهـزم بجيش قليل العدد جيش فارس حصن خيبر ويعيد الملك الى صاحبه . ولم يشأ بزرجمهر أن يكمل تفسير الحلم لـكسرى وهو يقضى بأن الفـارس العربى سينتهز هذه الفرصة ليخلص امته ايضا من القهر الفارسي . حينئذ يوفد الملك وزيره الى النعمان ملك ملوك العرب ، وهناك يصل الى مكة بحثا عن وليد جديد سوف يجسد امل الجزيرة العربية فى الخلاص من الظلم ، ويلتقى بالأمير ابراهيم حاكم مكة الذى كانت زوجته فى شهرها الاخير من الحمل . فيتوسم بزرجمهر فى الامير العربى ان ابنه هو هذا الفارس العظيم . ويولد **حمزة** فى ذلك اليوم فيامر الوزير الحكيم بأن كل من يولد فى نفس اليوم يعد من جنود كسرى أعظم ملوك عصره منذ مولده . وهكذا يقسر عبد الامير ابراهيم اموانه على الولادة وهى ماتزال فى شهرها السابع فتلد **((عمر))** الشخصية الثانية فى السيرة . وتبدو من ((حمزة)) و ((عمر)) طوال مرحلة طفولتهما وصباهما ما يؤكد كافة النبوءات التى لاحقت حلم كسرى بما يعلن صحـة التفسير الذى ادلى به بزرجمهر فى حينه . فحمـزة يثبت فروسيته على كل الفرسان ويصرع اسدا فى الغابة ويلتقى بالخضر فى الصحراء ويسمع ان جنودا من عند كسرى واعوانه من العرب قد نصبوا الخيام بالقرب من مكة لجباية الاموال فيفرق شملهم بالرغم من كل ما قيل له من **((ان العجم كثيرو العـدد ، وكلهم يجتمعـون الى ملك واحـد ، ويوحـد كلمتهم وصفوفهم ، فلا يغير قوم على قوم ، كما تفعل العرب الذين دابوا على التفرق والشقـاق والحـروب فيمـا بينهم ، واكبر ملوكهم ــ وهو النعمان ــ منقاد لكسرى متفق معه على دينه))** .
ولم يأل جهدا فى مهاجمة النعمان فى عرينه ليحسم امره من كسرى ودينه الذى يتظاهر باعتناقه ارضاء للفرس بينما يعبد سرا اله العرب الواحد . وفى طريقه الى **((الحيرة))** مقر النعمان التقى بتجار من الفرس موثوقى الارجل والايدى يعـد ان سلبهم اموالهم قاطع الطريق **((اصفران الدربندى))** فيحل وثاقهم وينازل الاصفران الذى يعترف ببطولة حمزة ويؤكد له من جديد نبوءة الفروسية التى سبقتهم بها ملك الزمان كسرى انو شروان ويتحول الى واحد من تابعيه وفرسانه الذين ولدوا معه فى يوم واحد وكان عددهم ثمانمائة فارس . وتأتى الانباء من **المدائن** مقر كسرى بأن فارس حصن خيبر قد اقتحم العرش وحاصر الاهالى وهزم الجيش الملكى ، وعلى حمزة البهلوان وفرسانه ان يهبوا لحمـاية رب نعمتهم ومليكهم . ويصل بزرجمهر الى مكة يحمل الدعوة التى تنبأ بها منـذ عشرين عاما ، بالرغم من كل المعوقات التى وضعها الوزير المعادى للعرب بختك ابن قرقيش ليحول دون وصول الفارس العربى . ولـكن حمـزة يصـل الى المدائن مزودا بالايمان والشجاعة وعمر العـكشاف والاصفران وبقيـة الفرسان ، ولسان حاله يترنم بهذه الابيات :

تسوق تلقى منى العـداة وبالا
وترى فى حـربى امورا ثقـالا
وابيـد الطغاة بالسيف قسرا
وبرمـح يقـصر الآجـالا
فاخـوض الوغى بسيف صقيل
واسر العفـاة انسـا ومالا

ويبدى حمزة بطولة غلابة على جيش **خارتين** فارس حصن خيبر ويجليه عن المدائن ويعود كسرى الى عرشه فيزداد الوزير بختـك كراهية للعرب وضراوة . ويقع حمزة فى غرام بنت كسرى الاميرة **مهردكار** فيظن بختك ان فرصته فى الخـلاص من حمزة والعرب قد دنت فهو يوغر صدر كسرى بأن حمزة لا يعبد ((**النار**)) اله الفرس وليس جـديرا كعربى من ((**البدو**)) ان يتزوج من فتاة فارسيـة فضلا عن ان تكون هذه الفتـاة هى اميرة الزمان جمالا وحكمة . ولكن بزرجمهر يفسد خطط بختك فلا يجد بدا من استخدام الحيلة والدهاء ، ومن ثم يتظاهر بموافقته على الزواج ويطلب من حمـزة سرا ان يطلب من الملك هدية عصية على الجميـع هى جواد جامح قتل كل من حاول الاقتراب منه ، ويحصل حمزة على الجـواد فيروضه ولا يصيبه بمكروه . ويشتعل قلب بختك خقدا عليه فيوافق مرة اخرى على الزواج ويرسل اليه علنا ــ هذه المرة ــ فارسا ضخما يدعى ((**مقبـل البهلوان**)) يتحداه ان ينازله منازلة الفرسان فيسحقه حمزة ويزداد القلب الحاقد ضراما . واخيرا يتفتق الذهن المتقد بكراهية العرب على شرط غريب للزواج هو ان يقدم حمزة مهرا للاميرة هو ((**معقـل البهلوان صاحب حصن تيزان**)) . وكان كسرى فى كل مرة يطيـع وزيره الشرير لمـا يتمتـع به من تأييـد الارستقراطية الفارسية ولم يتردد حمزة فى قبول العرض ، وتوجه على راس جيشه الصغير المكون من الثمانمائة فارس فلاقاه «معقل» بترحاب شديد فخاف حمزة من ان يكون خدعة جديدة . ولكن معقل اطلعه على كتاب سرى لبختك يشير فيه عليه ان يبادر بقتل حمزة مقابل اموال كثيرة أرفقها بالكتاب . ولما كان معقل يؤمن بنفس الدين الذى يؤمن به حمزة وكان معجبا فى نفس الوقت ببطولات الفارس العربى فانه زهد فى تنفيذ اوامر بختك واغراءاته البسخية . اما حمزة فيصر على المبارزة وفاء بالقسم الذى لن يحنث به ، وبعد نضال عنيف يسقط جواد معقل على اثر ضربة من سيف حمزة فيعلن الفارسان نهاية القتال والرضوخ للامر الواقع . وتفاجا المدائن والملك والوزراء بحمزة وهو يصطحب معقل الفارس الذى طالما هددهم جميعا بقوته الجبارة ، مقيدا فى قفص . ويتدفق قلب حمزة بالنشيد :

ان كان بختك قد سعى بمذلتى
فالدهـر زاد بهيبتـى ووقارى
لولاك يا شمس الجمال ونوره
انـزلت بالاعجـام كل دمـار

ولا يجد بختـك مقرا من ان يشـير على الملك المشورة الاخيرة وهى ان يرسل حمزة الى ملوك الدول التابعة لحكم فارس لجباية الضرائب (التى حصلوا عليها من قبل) مع كتاب سرى يطلب اليهم التخلص من حمزة ومن معه ، حتى يرحل العرب عن ديار الفرس نهائيا . ويقبل حمزة هذا الشرط الجديد حتى يتزوج من حبيبته . وفى «حلب» يقابله ملكها ((**نصير**)) ويخبره بالحقيقة ويعطيه الاموال التى يريدها ، وفى ((**بيروت**)) يخرج اليه ((**كسروان**)) مليكها للحرب فيهزمه حمزة ويأخذ الاموال ، وفى ((**القسطنطينية**)) يقابله مليكها ((**اسطفانوس**)) بالود والترحاب ويعطيه الاموال ، وفى ((**مصر**)) يحاول حاكماها ((**سكاما ووقا**)) ان يعتقلا حمزة بالحيلة والخديعة ، ولكنه يتمكن من الخـروج من القلعة التى حبساه فيها ، ويتمكن جيشه من هزيمة مصر ويأخذ الاموال ويعين لها حاكما من بنيهـا لا يخضع لفارس . وفى هذه الجولات جميعها كان حمزة يسمع مر الشكوى من القهر الفارسى ولـكنه فى جميع الاحـوال كان يطمئن الملوك بأن بأمـوالهم مردودة لهم بعد ان يكشف « كسرى » تمـاما هو ووزيره الشرير ويخلص منهما العالم بأجمعه وتصل هذه الانباء الى المدائن فيغتاظ بختك ويغلى مرجل الغضب فى قلب كسرى فيحشد الجيـوش لملاقاة حمزة عند عودته ويعين قائدا للحـرب اشـتهر بقسـوته هو ((**زوبين الغدار**)) حاكم بلاد زوال وكموال ووعده بالزواج من ابنتـه على شرط ان يقتل حمزة . وتدور الحرب بين الفريقين ، ويتمكن معقل البهلوان من اختطاف بنت كسرى التى فضلت حبيبها على اهلها ، ويتمكن الغدار من جرح حمزة بسيف مسموم بعد ان تخفى فى ثياب فارس عربى ، ولكن بزرجمهر يرسل اليه الدواء الشافى ويستعد العرب للرحيل بعد ان حققوا غايتهم من الحرب . وما تكاد خيولهم ان تصل خدود مكة ويحتفل بهم الجميع حتى تلحق بهم جيوش كسرى الذى يرسل الى النعمان خطابا يطلب منـه التسليم والطاعة واعادة ابنته والاعتذار عما بدر من حمزة فيرد عليه حمزة ((**ان العرب لن يعودوا الى الطاعة بعد ان تسنى لهم ان يرفعـوا عن كواهلهم نير كسرى وظلمه هو ووزيره بختك الخائن الغدار ، وقل له ان بلاد العرب لن تخضع بعد اليوم لاجنبى مهما كان**)) فيخرج اليه فى حرب طاحنة يلقى فيها كسرى ابشع هزيمة فى تاريخه كله فلم ير امامه سوى ((**الفرار**)) طريقا للنجاة .

والقصة على هذا النحو لا تعتمـد على ركيزة تاريخية محددة ، ولا هى تزعم لنفسها ان ((**التاريخ**)) قد خطر على بال مؤلفها ، وانما ((**الخيال الشعبى**)) هو الملهم الرئيسى والاول فى ابداع هـذه البطولة التى تشترك مع بقية البطولات العربية فى كثير من السمات ، ولكنها تختلف فى هذه « الصياغة الروائية الكاملة » ان جاز التعبير عن خلوها من اية مادة واقعية او خامة تاريخيـة تملا السـكيان الدرامى

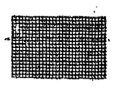
للملحمة بحكاية ذائعة لها أصلها فى ((**الحياة الحقيقية**)) أو ((**الكتب**)) . ان سيرة حمزة البهلوان تحقق هذا النموذج ((**الاكمل**)) لابداع الخيال الشعبى حيث لا يعود هناك فضل لهيكل قصصى جاهز اعده الرواة فى حلبة السباق الى تسجيل الماضى او الاشادة بالحاضر . وتلك هى ــ على وجه الدقة ــ روعة هذه السيرة واعجازها ، فقد جمعت اكثر الخصائص العربية فى بطولة الفرسان ، ثم ميزت بين البطولة التى تعتمد على الخوارق الجسدية او العقلية مهما كان الهدف ساميا وراء هذه البطولة، **وبين البطولة التى تعتمد على الحق لمجرد كونه حقا،** لا لان صاحبه قد اوتى موهبة عضلية خارقة لنواميس الطب ، او موهبة عقلية خارقة لنواميس الذكاء البشرى ، او انه اوتى معونة حاسمة من القوى الغيبية العليا .. وانما اوتى حمزة البهلوان **موهبة الحق المطلق** سواء تجسد عاطفيا فى غرامه بالاميرة ، او تجسد وطنيا فى الدفاع عن مكة ، **ولا فرق بين الحق المطلق والخير المطلق** . فحمزة هو رمز البطولة فى مقاومة الباطل، ولا فرق بين الباطل والشر مهما تجسد فى الحيلولة دون الوفاء بالوعد او تجسد فى القهر والغزو والحكم الاجنبى .

رمز البطولة فى الملاحم الشعبية

لا ريب اننا نستطيع من خلال رحلتنا مع الملحمة الشعبية العربية فى مختلف صورها ورموز بطولاتها ومضامين مقاومتها، ان نكتشف خيطا واحدا يضمها جميعا من ناحية ، وان نكتشف ملامح واضحة للتطور من ملحمة الى اخرى من الناحية المقابلة . اما الخيط الواحد ، فهو تعبير هذه الملاحم عن المجتمع العربى منذ الجاهلية الى صدر الاسلام حتى افول العصر المملوكى . وان هذا التعبير يتخذ فى معظمه مضمونا ثوريا يقف الى جانب الشعب فى مواجهة القهر الاجنبى والاستبداد الداخلى على السواء . ويفسر لنا هذا التعبير السبب او الاسباب التى دعت « الارستقراطية الفكرية » فى التاريخ القديم والحديث ان تتجاهل الادب الشعبى فقد كان موقفا طبقيا واضحا لا علاقة له بالعلم .

اما خريطة التطور التى ترسمها هذه الملاحم فى حدود الاطار العام ــ الذى ينبض بروح الشعب العربى فى مختلف الامصار وعلى مر الاجيال ــ فهى ان مقاومة هذا الشعب للغزاة قد اثمرت بطولات لا حصر لها ولا عدد . ولكن البطولة العربية فى الملحمة الشعبية اختلفت من مرحلة الى مرحلة، وانعكس هذا الاختلاف من ملحمة الى ملحمة . وعبر جميع الملاحم التى وصلت الينا كان هذا الاختلاف هو الصورة التفصيلية لتطور معنى البطولة عند العرب ورمزها فى مقاومة الغزو الخارجى . هذا المعنى الذى يعبر عن نفسه من ناحية الشكل فى البطل الملحمى الذى يوجز فى تكوينه الموضوعى كافة سمات الشعب النابع منه، ويحتفظ ايضا بسماته الفردية المميزة . هو فرد يعبر عن جماعة تعبيرا ملحميا عن صراع الخير والشر، وليس بطلا اسطوريا . ليس هو الجماعة وقد اذيب فيها واذيبت فيه وامسيا شيئا واحدا . وهو المعنى الذى يعبر عن نفسه من ناحية المضمون فى تداخل البعد الاجتماعى مع البعد القومى تداخلا يصعب فى كثير من الاحيان التفريق بينهما ، فقد تكون المقاومة الاجتماعية تمهيدا لمقاومة القهر الاجنبى ، وقد تكون مقاومة هذا القهر هى ايضا مقاومة اجتماعية . واذا كانت الملاحم الشعبية العربية قد اشتملت على بعض الابعاد الانسانية العامة كالدعوة ضد التفرقة العنصرية ومساواة المراة بالرجل او كالاستشهاد فى سبيل المعرفة ، فان هذا الوجه الانسانى ليس هو كل شىء فى الملحمة العربية ولا هو الشىء الرئيسى، لان الاصالة القومية هى المهاد التاريخى لنشأة هذه الملاحم ، هى صوت الضمير العربى الكامن فى روحنا وارضنا يخاطب العصور والاجيال .







- التعايش السلمى لا يتعارض مع الحروب العادلة للشعوب .
- برنامج منا بعد التحرر .. فى الجنوب العربى .
- مجلس الامن يقر المشروع البريطانى .. بالاجماع .
- بعد تخفيض الاسترلينى : هل دنا أجل الدولار ؟
- طه حسين .. ومولد العصر الجديد .

الجمهورية العربية المتحدة

« ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة »

يعتقد المراقبون السياسيون، ان الرئيس **جمال عبد الناصر** — فى خطابه أمام مجلس الامة عند بدء دورته الخامسة فى الشهر الماضى — قد قطع الطريق تماما على محاولات اشاعة البلبلة فى صفوف الشعب او التشكيك فى قيادته ... والتى تهدف من ورائها القوى الاستعمارية والرجعية الى تخريب الجبهة الداخلية .. فقد تناول الرئيس عبد الناصر فى خطابه كل القضايا المتعلقة باحداث ٥ — ١٠ يونيو ونتائجها وكذلك اتجاهات المستقبل وحدد ازاء كل منها موقف الجمهورية العربية المتحدة الرسمى .. ويرى المراقبون ان خطاب الرئيس عبد الناصر بعد مضى ٢٤ ساعة على قرار مجلس الامن بشأن ازمة الشرق الاوسط ، أمر لا يخلو من مغزى هام ودلالة خطيرة .

ويمكن تقسيم خطاب الرئيس عبد الناصر ، الى ثلاثة اقسام رئيسية تتعلق بالتحولات الهامة التى جرت خلال الشهور الخمسة الماضية ثم ابعاد الموقف الراهن،ثم آفاق تطور الاحداث فى المستقبل .

ويستند جمال عبد الناصر ، فى تحليله لتطور احداث الشهور الخمسة الماضية ، الى محور اساسى هو « ان الفضل فى امكان حدوث هذا التحول يعود اولا واخيرا للشعب وللشعب وحده » ويحدد هذا التحول فى عدد من الجبهات يعتبر ما جرى فيها من أهم واخطر ملامح التغيير فى تاريخ الثورة المصرية المعاصرة .

ويصف الرئيس التغييرات التى تمت فى المجال العسكرى بانها « عملية من اصعب ما تكون فى ظرف من اصعب ما يكون » .وفى هذ المجال ، تم ابعاد « العناصر التى كانت تقيم من نفسها طبقة عازلة فوق الجيش » وتلك التى اظهرت تجربة القتال عدم قدرتها على تحمل المسئولية . ويرى المراقبون ان هذه التغييرات كانت من المتطلبات الاساسية الهامة التى تستدعيها عمليات اعادة بناء القوات المسلحة التى وصلت كفاءتها اليوم — كما حددها الرئيس من موقع المسئولية — مستوى

يفوق كفاءتها عند بدء عمليات ٥ يونيو » وكان محصلة الجهود التى انجزت فى المجال ، استكمال مقدرة الدفاع للصمود أمام تربص العدو .

والاطار العام الذى اوضحه الرئيس عبد الناصر للعمل فى خلال الشهور الخمسة الماضية فى المجال السياسى والاقتصادى الداخلى ، هو المراجعة لا التراجع . وهنا أوضح الرئيس اهمية مساندة الشعب ودعمه للتغييرات ، لان مجرد الرغبة فى التغيير لا تعنى تحولها الى واقع فورى دون وضع اعتبار لعلاقات ومراكز القوى الموجودة . وفى هذا الاطار ، استعرض الرئيس عملية اسقاط دولة المخابرات التى كانت تتمثل فى انحرافات جهاز المخابرات . وكذلك القضاء على محاولة الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة ، باعتبارها « من أهم الجوانب السلبية التى تخلصنا منها فى سبيل تطهير الحياة العامة فى مصر » . مما مكن « من القضاء على خطر انقسام فى الجيش وفى الوطن » . وفى هذا الصدد ، عرض الرئيس لاهمية محاسبة المسئولين عن كارثة سلاح الطيران أمام المحكمة العسكرية التى تواصل محاكمتهم ، وكذلك تشكيل محكمة الثورة لمحاكمة المسئولين عن محاولة الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة وعن انحرافات جهاز المخابرات . وفى نفس الوقت أشار الرئيس الى قرارات الافراج عن المعتقلين والبت نهائيا فى موضوع الحراسة ورفع العزل السياسى ثم المناقشات الحرة التى تجرى فى الصحف . كذلك العمل فى مجال انهاء الامتيازات ومجال التكافؤ فى التضحيات . فضلا عن اعمال تطبيقات قانون **من اين لك هذا** على كل الذين تولوا مناصب رسمية منذ عام ١٩٥٢ وحتى اليوم . وذلك كله من أجل بناء جبهة داخلية متماسكة وقادرة على المواجهة . واكد الرئيس انه اذا كانت مقتضيات الظروف قد تطلبت اعطاء مجال اعادة البناء العسكرى الاولوية فى العمل ، فان مرحلة من العمل السياسى لابد وأن تبدأ وبشكل نشط . وفى المجال الاقتصادى ركز الرئيس بصفة خاصة على دعم الطاقة الانتاجية بتفجير كهرباء السد العالى وزيادة انتاج البترول رغم توقف آبار سيناء وتحقيق محاصيل زراعية قياسية .

وفى المجال العربى والدولى ، أشار الرئيس الى التقدم الذى تم فى مجال العمل العربى الموحد خلال مؤتمر القمة بالخرطوم . كما أشار الى تطور العلاقات العربية السوفيتية فى المجال الدولى بالاضافة الى تحركاتنا الدولية الاخرى مع الاصدقاء وفرنسا والدول الاسلامية والاسيوية والافريقية وفى الامم المتحدة . وبشأن عودة العلاقات السياسية مع بريطانيا وظروفها قال الرئيس « اننا لا يمكن أن نقف جامدين . ولن نقبل اى قيد على تحركتنا الا القيد الذى تفرضه مبادؤنا وهذه لا نفرط فيها مهما كان الثمن » .

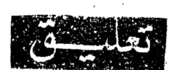
ثم انتقل الرئيس عبد الناصر بعد ذلك الى الموقف الراهن بكل تفاصيله وابعاده . وكانت هناك نقطة رئيسية فى هذا المجال تركز من حولها الحديث وهى : الحل السياسى والحل العسكرى . وقد حدد الرئيس اطارا عاما فى هذا الشأن بقوله : « هناك مبدأ اساسى أومن به ولم يتغير ايمانى وهو ان ما يؤخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » . واكد بعد ذلك انه لا تعارض بين تجربة الحل السياسى وبين الاستعداد للحل العسكرى . وفى ذلك حدد نقطا ثلاثة رئيسية هى : **اولا** : اننا نحتاج الى وقت لاتمام الاستعدادات العسكرية ، بعد أن استكملنا مقدرة الدفاع ويبقى ان نستكمل مقدرة الهجوم . **ثانيا** : فى الوقت الذى نستكمل فيه الاستعدادات العسكرية ، لا نتردد فى محاولة العمل السياسى . **ثالثا** : اذا لم يستطع العمل السياسى أن يصل الى حل يرضى اهداف نضالنا ، فنحن لم نخسر شيئا وانما نكون قد استكملنا أسباب قوتنا واثقين من فاعليتها ومطمئنين . وهنا اكد الرئيس « وفيما يتعلق بى فلن اخطو خطوة الا وانا واثق مما بعدها . ولابد لنا أن نتعلم من التجربة . لكننا لسنا على استعداد لان نتلقى دروسا من الذين يتحدثون عن الحرب الفورية وهم لم يحاربوا وهم لا ينوون ان يحاربوا » .

وعن تطورات الامور فى الامم المتحدة ، حدد الرئيس اطارا عاما بشأن هذه المسألة ، بقوله « ينبغى أن يكون واضحا أمامنا ان العمل السياسى لا يمكن أن يكون له قيمة الا بقدر القوة او احتمالات القوة التى يمكن ان تسنده » .

ووصف الرئيس عبد الناصر المشروع البريطانى الذى اقره مجلس الامن بأنه بصياغته وحتى بالتفسيرات التى أعطيت له ، ليس كافيا لحل المشكلة . واستطرد بعد ذلك مؤكدا موقف الجمهورية العربية المتحدة الذى « لا يقبل الجدل او الاخذ والعطاء » فحدد نقطتين اساسيتين : **أولاهما** : ضرورة الانسحاب الكامل من كل شبر من الاراضى العربية فى مصر او الاردن او سوريا . **ثانيهما** : انه لن نسمح لاسرائيل مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر فى قناة السويس « لان المرور فى قناة السويس جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الاصلية وليس جزءا من قضية ازالة آثار العدوان » . كما اكد من جديد الالتزام بالحدود الاربعة لقرار مؤتمر الخرطوم وهى : لا اعتراف باسرائيل ولا صلح معها ولا مفاوضة ولا تصرف بالقضية الفلسطينية لانها ملك لشعب فلسطين . وهنا دعا الرئيس جمال عبد الناصر

الى عقد مؤتمر للقمة العربى لتدارس الموقف واحتمالاته ».

وأوضح الرئيس بشأن قرار مجلس الامن ان القرار « لا يعنى فى حد ذاته شيئا » . واضاف انه « حتى لو كان المشروع الاسيوى الافريقى هو الذي صدر أو المشروع السيوفيتى ، فان هناك فارقا بين القرار وبين الحل والمهم هو ما يجري على الطبيعة » . وعن تطور الاحداث المحتملة بعد ذلك ، قال الرئيس « نحن نعتقد ان الوقت فى صالحنا . واذا لم يعط لنا الوقت الكافى فاننا نطلبه لانه لازم للضمان الوحيد الذى يعطى لاى عمل



حول تخطيط نشاطنا الدعائى

اذا قسنا المؤتمر الدولي الذى انعقد فى دلهى لتاييد الشعوب العربية بالمقاييس التقليدية ، فاننا نستطيع ان نقول انه كان مؤتمرا ناجحا .

لقد حضر مندوبون من ٥٠ قطرا من مختلف القارات . وناقشوا الموقف فى الشرق الاوسط فى كلمات الوفود ، وفى مناقشات اللجان ، ثم انتهوا الى قرارات واضحة ومحددة فى ادانة اسرائيل وتاييد الموقف العربى .

من هذه الناحية كان المؤتمر ناجحا ، وينبغى ان نشكر مجلس السلام العالمى ، الذى قدم كافة المساعدات للجنة السلام الهندية ، وللجنة التضامن الافروآسيوية . ولقد كان لحضور ايزابيل بلوم (رئيسة المجلس) وشاندرا (السكرتير العام) دور هام — ايضا — فى توجيه المناقشة وتقريب وجهات النظر ، على ضوء الخبرة المتجمعة فى اجتماعات المجلس .

ولكن .. هل حقق مؤتمر دلهى كل ماكان مطلوبا ؟

فى الحقيقة نحن نريد اكثر من ذلك .. وكان واجبا ان نكسب من مؤتمر دلهى مسالتين أخريتين :

● المسالة الاولى ان نستفيد من لقائنا بهؤلاء الاصدقاء القادمين من مختلف انحاء الارض ، كى نلمس — بشكل مباشر — طبيعة التساؤلات والتحفظات والضغوط التى يواجهها اصدقاؤنا فى بلادهم .. ان مؤتمر دلهى — كغيره من المؤتمرات الدولية — يكشف لنا كيف ان العالم لايمكن ان يفكر تماما بالطريقة التى نفكر بها ، ومؤتمر دلهى — بالتحديد — لانه متفرغ لمناقشة مشكلة الشرق الاوسط ، كان فرصة لنتعلم فيها كيف نصوغ وجهات نظرنا بالطريقة التى تبدو معقولة ومقنعة فى كل مكان .

لقد كان المؤتمر فرصة اوصلتنا الى ذلك فعلا ، ولكن لو اننا ننظر للمسائل من هذه الناحية الجادة ، لكان نصيبنا فى المناقشات اوسع ، ولكانت قدرتنا على الشرح افضل ، ولكان راينا — كمصريين — وكوفود عربية — اكثر توحدا .

● اما المسالة الثانية : فهى ان المؤتمر ينعقد فى الهند .. وهذا يعنى ان نستفيد من هذه المظاهرة لتحريك الراى العام فى هذا البلد الصديق ، وللاتصال باكبر عدد من الشخصيات العامة والسياسية . فنحن نعلم انه توجد بالهند اتجاهات غير قليلة تناهضنا . والدعايات المعادية لموقفنا وموقف الحكومة الهندية لاتكف عن العمل . ولذا كان ينبغى ان نستفيد من فرصة المؤتمر لترتيب سلسلة من المحاضرات واللقاءات مع الاصدقاء .. بل وبعض الاعداء الذين يمكن كسبهم (من الاشتراكيين مثلا) .

على ضوء ذلك يحق لنا ان نسال : هل كان الوفد المصرى (وهو وفد كبير العدد) على مستوى المسئولية التى ذكرناها ؟ لاشك ان البعض كان على المستوى المطلوب .. ولكن لاشك — ايضا — ان بعضا كبيرا لم يكن . وكان هذا ملحوظا قبل سفر الوفد ، ومنذ اللحظة الاولى التى شكل فيها .

وينبغى ان نقول ان بعض اعضاء سفارتنا — فى دلهى — قد بذل جهدا واضحا فى تحضير لقاءات بين الصحفيين المصريين وشخصيات هندية فى الصحافة وغير الصحافة ، ولكن هذا الجهد كان يمكن ان يكون اوسع ويستفيد من الطاقة (الممكنة) لاعضاء الوفد الرسمى .

ويجرنا هذا لمناقشة وضعنا الدعائى فى الهند ، فالهند تحتاج الى عمل دعائى كبير .. انها بلد متسع جدا ومتنوع ، كما وان الاحزاب اليمينية والصحافة وبعض السفارات تبذل جهودا منتظمة ضدنا .

فهل يكفى لمواجهة ذلك هذا العدد المحدود العامل فى سفارتنا ؟ وهل يعقل ان نركزهم فى دلهى وحدها ؟ وبدون امكانيات معقولة ؟

لا اعتقد ان حجة خفض المصروفات ترد على هذه الاسئلة ، فالمفهوم ان خفض المصروفات يعنى ان نحدد قائمة بالاولويات ، بالنقاط التى نركز عليها والنقاط التى نضعها فى المؤخرة . فقد نسحب بعثاتنا فى جواتيمالا وبوليفيا وما اشبه ، لكى نركز على عملنا الدبلوماسى والسياسى فى الهند وما يماثلها .

.. ثم لم لاننسق عملنا الدعائى فى مثل هذه البلاد مع الجهود الصديقة ؟ ان اسرائيل تنسق مع الولايات المتحدة ومع الاحزاب اليمينية فى بلد كالهند فلم لانفعل نحن — ايضا — نفس الشىء مع الدول الاشتراكية ومع الاحزاب والقوى التقدمية ؟ ان هذا يضاعف من امكانياتنا جدا .

على اى حال لقد كان عقد المؤتمر فى الهند ، وما اسفر عنه من قرارات شيئا هاما ومفيدا .

● وينبغى ان نذكر ان اسرائيل تحاول الان عمل نشاط مضاد فى الهند ، لكى تغطى على آثار المؤتمر ، وقد بدأت فعلا تتصل ببعض اصدقائها .

● وينبغى ان نذكر — ايضا — ان هناك امكانيات لم نستخدمها كلها فى هذا المؤتمر .. فلقد حشد المؤتمر بمجهود مجلس السلام الهندى ولجنة التضامن الاسيوى الافريقى فى الهند . وهذه التنظيمات تعنى — من الناحية السياسية — جهود حزب المؤتمر (وخاصة جناحه اليسارى) بالاضافة الى الحزب الشيوعى الهندى ، وبعض الشخصيات المستقلة .

وتوجد فى الهند قوى اخرى تؤيدنا ولم تشترك فى المؤتمر ، مثل الحزب الشيوعى الماركسى (اليسارى) والحزب الاشتراكى المتحد . وقد سالت قادة الحزبين عن سبب مقاطعتهم للمؤتمر ، وفهمت انه الصراع التقليدى بين هذه القوى اليسارية ، ولكنهم ابدوا استعدادهم للاسهام فى اعمال اخرى لتاييد الموقف العربى .

كذلك توجد بلاد لم تمثل فى المؤتمر .. وهناك بلاد اخرى لم تمثل تمثيلا جيدا ، وقد يكون عقد المؤتمر فى دلهى آثار بعض الحساسيات !. وهذا يعنى ان علينا ان نسعى لتنظيم اتصالات اخرى تكمل عمل المؤتمر حتى يكون عملنا فى كسب الراى العام العالمى متصلا ومتكاملا .

عادل حسين

سياسى قوة حقيقية واعنى به درجة استعدادنا العسكرى الهجومى » . وهنا اوضح الرئيس نقطة هامة قائلا « اريد ان اقول امامكم متحملا المسئولية الكاملةلكل ما اقول ، ان اسرائيل ليست بالعدو الرهيب الذى لا يقهر ، فتلك خرافة لا محل لها » واستشهد فى هذا الصدد ، بمعركة اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات فى المياه الاقليمية المصرية . ورداً على الدعوات التى كانت تقول بتصعيد العمليات العسكرية بعد ضرب اسرائيل لمصانع التكرير فى السويس ، قال الرئيس « وعندما نقرر التصاعد بالعمليات ، فاننا سوف نفعل ذلك حيث نريدوليس حيث يريد العدو . والمعارك سوف تدار من الآن فصاعدا على الاسس العسكرية السليمة وخذها ولا يمكن ان نقبل ادارة المعارك باستراتيجية النوادى والحفلات ومقالات الصحف » .

وفى حديثه عن آفاق المستقبل ، تحدث الرئيس باستفاضة عن الجبهة الداخلية وعن الحملة النفسية الموجهة ضد الشعب ، وعن الاشاعة التخريبية التى جرت قبل الخطاب بأيام زاعمة ان الرئيس سوف يتنحى مرة ثانية . وهنا اوضح عبد الناصر ، ان هذا الامر « لم يعد مطروحاً بالنسبة لى واى كلام فيه لم يعد جائزا قبل ازالة آثار العدوان وساعتها تعود الامور كلها الى الشعب فى استفتاء عام » .

وركز الرئيس ، على اهمية زيادة فاعلية العمل السياسى واهمية الانتهاء من وضع الدستور الدائم وتدعيم مقدرة الانتاج والاتجاه الى اقتصاد الحرب وقال « ان تطورنا الاقتصادى والاجتماعى ، لا يمكن ان توقفه صدمة ولابد ان نتحقق من ان الاعداء لا يتكالبون علينا الا لانهم يشعرون اننا نتقدم » . ثم اشار الى العقبات التى تعترض طريق النمو وبينها قصور العاملين ، ولمس دور القطاع العام والقطاع الخاص وضرورة اطلاق امكانيات العمل فى حدود الميثاق ومبادىء الثورة الاجتماعية .

■

حصاد مشروع السد العالى قلب الكهرباء النابض فى أسوان

استقبلت الجماهير الشعبية فى الجمهورية العربية المتحدة بابتهاج شديد نبأ اطلاق الشرارة الأولى للكهرباء من جسم السد العالى ، واعلان نجاح تجربة نقل التيار الكهربائى ووصوله الى القاهرة وذلك فى اليوم الثانى من نوفمبر الماضى . وفى اليوم السادس تم ادخال كهرباء السد الى شبكة خطوط القاهرة لتستقر فيها بصفة دائمة ، وقد تم ذلك قبل الموعد المحدد لها بشهرين .

ويتم حاليا نقل الكهرباء عبر الخط الكهربائى الرئيسى الذى يمتد مسافة ٩٠٠ كيلومتر من الضغط العالى بطاقة « ٥٠٠ الف فولت » الى محطة محولات القاهرة ، التى تقوم بمهمة خفض هذا الجهد العالى الى ٢٢٠ الف فولت ، ونقلها الى محطات توزيع الكهرباء بالقاهرة والوجه البحرى ، وقد تم انشاء هذا الخط قبل موعده بشهرين ونصف ، كما بلغت تكاليفه ١٧ مليون جنيه .

وكان قد تقرر ان تبدأ الاستفادة بالطاقة المولدة — ٢٠٠ الف كيلووات — تدريجيا خلال شهر ديسمبر الحالى ، للتخفيف عن محطة توليد كهرباء غرب القاهرة ، من اجل توفير كميات المازوت المستهلك « ١٢٠٠ طن يوميا » ، وهى الكمية اللازمة لتشغيل المحطة لتوليد هذا القدر من الكهرباء ، وقيمتها ١٠ آلاف جنيه من العملة الصعبة يوميا . ويرتفع الوفر الى حوالى ٩ ملايين جنيه سنويا فى اوائل العام القادم ، عندما يتضاعف استخدام الكهرباء من السد العالى ، بعد التشغيل الكامل للتوربينات الثلاث الاولى بصفة دائمة .

والمعروف انه يتم توليد الكهرباء حاليا عن طريق تشغيل التوربينين الاول والثانى ، وسيتم اطلاق الشرارة الاولى من التوربين الثالث فى اوائل ديسمبر الحالى ، كما انه من المقرر تشغيل التوربينات التسع الباقية على مراحل تبدأ فى شهر ابريل ١٩٦٨ بالنسبة للتوربين الرابع ، وتنتهى فى عام ١٩٧٠ . ويجرى حاليا استكمال تركيب اجهزة محطات محولات كهرباء السد الى القاهرة ، وعددها ١٥ محطة بعضها تم استكماله وتشغيله فى الوقت الحاضر مثل محطتى المنيا ومغاغة . وكذلك استكمال شبكة خطوط الوجه البحرى ، التى ستكون معدة لاستقبال الكهرباء فى نفس الوقت الذى يتم فيه التشغيل الكامل للتوربينات الثلاث الاولى ، حتى يمكن توجيهها جميعا الى خدمة الصناعة والزراعة والمرافق العامة وانارة كافة المدن والقرى فى الجمهورية العربية المتحدة .

ويجرى فى الوقت الحاضر تركيب الالات الخاصة بمجمع التحكم المركزى فى غرب القاهرة ، وعن طريق هذا المركز يمكن للخبراء متابعة نشاط جميع محطات الكهرباء والتحكم فى سير وتوزيع التيار الكهربائى — حسب الحاجة — على طول المسافة من اسوان الى الوجه البحرى والاسكندرية . وتبلغ تكاليف انشاءات واجهزة المركز حوالى ثلاثة ملايين جنيه .

ويقوم الخبراء العرب والسوفييت فى الوقت الحالى بعمل الترتيبات اللازمة لربط مصانع الوجه

القبلي وحلوان (٣٠٠ مصنع) بمحطة توليد الكهرباء الرئيسية بالسد العالي تمهيدا لتشغيلها بالكهرباء. كما يتولى الخبراء ايضا عمل الدراسات اللازمة لاقامة خطان كهربائيان ، يصل الاول من المنيا الى مناجم الحديد والمنشآت الصناعية بالواحات ، والثاني من قنا الى منطقة البحر الاحمر . هذا ومن المقرر ان يتم افتتاح محطة القوى الكهربائية رسميا في اسوان ، في اوائل شهر يناير القادم ، وانه من المنتظر ان يشترك في حفل افتتاح المحطة **ليونيد بريجينيف** السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وذلك اثناء زيارته الرسمية للجمهورية العربية المتحدة في نفس الفترة .

■

■ **الامم المتحدة**

مجلس الامن يقر المشروع البريطاني بالاجماع

وافق مجلس الامن بالاجماع على المشروع البريطاني لحل أزمة الشرق الاوسط الذي ينص على الآتي :

« ان مجلس الامن اذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الاوسط . واذ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب ، والحاجة الى سلام عادل ، ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة .

واذ يؤكد ايضا أن جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق :

١ ـ يعلن أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، وهذا يقتضي تطبيق المبدأين التاليين :

ا ـ انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في النزاع الاخير .

ب ـ أن تنهى كل الدول حالة الحرب وان تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة والتهديد بها .

٢ ـ ويؤكد المجلس الحاجة الى :

ا ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب ـ تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

د ـ ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح .

٣ ـ يطلب من السكرتير العام ان يعين ممثلا خاصا الى الشرق الاوسط لاقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الواردة في هذا القرار .

٤ ـ يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن .

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل :

● ان مجلس الامن لا يضم أي عضو عربي .

● ان الخلافات حول تفسير المشروع البريطاني بدأت قبل ـ بل واثناء ـ الجلسة التي أقر فيها المشروع .

وكان الاتحاد السوفيتي ممثلا بمندوبه **كوزنتيسوف** قد حاول في لقاء مع **كارادون** أن يقنعه باضافة كلمة « كل أو جميع » الى الفقرة الاولى في المشروع البريطاني ولكن كارادون رفض التعديل ، مما جعل الاتحاد السوفيتي يفاجىء العالم بتقديم مشروع سوفيتي عالج موضوع الانسحاب في لغة محددة وواضحة كقضية رئيسية. وجعل انهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل متوقفة على اتمام الانسحاب وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين واعاد الى اتفاقية الهدنة وجودها .

الا أن الامر الواضح من البداية هو أن احتمالات أن يلقى المشروع السوفيتي تأييد العدد الضروري من الاصوات لاقراره ، كانت شبه مستحيلة ، وأن المقصود به كان الضغط لتعديل المشروع البريطاني.

وكان **كارادون** قد قام قبيل تقديم مشروعه للمجلس باتصالات واسعة مع رؤساء وفود الدول الممثلة في مجلس الامن والامم المتحدة .

وتشير الدوائر السياسية الى ان غلق قناة السويس ، والخسائر الاقتصادية التي لحقت ببريطانيا نتيجة هذا ، وهي كما صرح **هارولد ويلسون** رئيس وزراء بريطانيا ٢٠ مليون جنيه في الشهر ، هي التي تحرك النشاط البريطاني داخل مجلس الامن والامم المتحدة وخارجهما .

وقد اغضب النشاط البريطاني الدوائر الاسرائيلية ، وتصريح **اشكول** رئيس وزراء اسرائيل « بأن اسرائيل لاتهمها بريطانيا وأنها لا تستطيع أن تؤثر على اسرائيل » يصور مدى ما وصلت اليه العلاقات بين بريطانيا واسرائيل .

وكانت الولايات المتحدة قد قدمت مشروعا الى مجلس الامن تجمعه بالمشروع البريطانى نقاط اتفاق هى :

● انهاء حالة الحرب واحترام السياده والحدود الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة.
● حق الدول فى ان تعيش آمنة فى نطاق حدود غير مهددة باستخدام القوة .
● ضمان الحدود والاستقلال السياسى لكل دولة عن طريق منطقة منزوعة السلاح .
● ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية فى المنطقة .
● تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .
● ايفاد ممثل خاص للسكرتير العام الى الشرق الاوسط .

وتفصل بين المشروعين «البريطانى والامريكى» نقطتا خلاف هما :

١ ــ ان المشروع الامريكى تضمن « الحد من سباق التسلح فى منطقة الشرق الاوسط » بينما لم يتضمن المشروع البريطانى مثل هذه الفقرة .

٢ ــ ان المشروع الامريكى دمج « قضية الانسحاب » ضمن قضايا اخرى تقول الفقرة الامريكية :

« .... ان تنفيذ مبادىء الميثاق المذكورة سابقا يتطلب تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ويشمل انسحاب القوات المسلحة من الاراضى المحتلة وانهاء حالة الحرب **والاعتراف المتبادل** وحق كل دولة فى المنطقة فى البقاء والسيادة وسلامة اراضيها واستقلالها السياسى وامنها وحدودها المعترف بها والتحرر من التهديد أو استخدام القوة »

بينما المشروع البريطانى يضع قضية الانسحاب فى فقرة خاصة بها .

وما جاء على لسان المندوب الامريكى يوضح مضمون ومغزى الدمج فى الفقرة الامريكية قال **جولدبرج** شارحا مشروعه .. « ان اسرائيل لا بد أن تنسحب ، فى مقابل حدود نعترف بها ويتفق عليها بين الدول العربية واسرائيل » .

« ولم تكتف امريكا بتقديم مشروعها لمجلس الامن بل حاولت ان تجعل مشروعها هو المشروع الوحيد المعروض للمناقشة والبحث امام المجلس .. مستخدمة فى ذلك جميع انواع الضغوط .. مثلا

● قامت امريكا بالضغط على البرازيل لتمنعها من تقديم مشروعها للمجلس .

● وقامت بالضغط على الهند لتسحب المشروع الاسيوى الافريقى . ومن الغريب ان جولدبرج قال لرئيس الوفد الهندى **بارتا سارتى** « اذا كانت الهند تريد مصلحة العرب فعليها أن تمتنع عن تقديم المشروع الاسيوى الافريقى » .

● ومارست اسلوب التهديد ضد اعضاء مجلس الامن ، حتى لا يقفوا الى جانب المشروع الثلاثى ، وتطور التهديد فأصبح سافرا . قال جولدبرج فى مجلس الامن « ان امريكا لن تستخدم حق الفيتو ضد المشروع الاسيوى الافريقى ولكنها لن تتحمل المسئولية فى تنفيذه اذا أصبح قرارا » .

وتمارس امريكا نوعا آخر من التهديد ضد الدول العربية عن طريق تسليح اسرائيل ، فبينما كان مجلس الامن يلتقط انفاسه استعدادا للتصويت على مشروعات القرارات المعروضة ، وبينما تذيع وكالات الانباء ان جونسون أرسل رسالة الى الرئيس جمال عبدالناصر حول أزمة الشرق الاوسط أعلن **نيكولاس كاتزنباخ** وكيل وزارة الخارجية الامريكية فى ١١/١٨ أن الولايات المتحدة ستستمر فى شحن الاسلحة الامريكية لاسرائيل . كما أعلن **جيرالد فورد** زعيم الجمهوريين بمجلس الشيوخ الامريكى فى مؤتمر صحفى « ان على الولايات المتحدة أن تدرس مسألة اقراض اسرائيل مدمرة تحل محل ايلات » فقد قامت اسرائيل ــ كما قال فورد ــ « بمهمة طيبة فى محاولة تمثيل المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط » .

اما المشروع الثالث الذى قدمته « الهند ونيجيريا ومالى » (والدول الثلاث أعضاء بمجلس الامن) ، وهو يتفق مع المشروع البريطانى فى فقراته كلها باستثناء فقرتين يختلفان فيهما :

١ ــ جاء بالمشروع الاسيوى الافريقى :

« ان احتلال او كسب الأراضى بواسطة الغزو العسكرى امر لا يقره ميثاق الامم المتحدة وبالتالى يتحتم ان تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من **جميع** الاراضى التى جرى احتلالها نتيجة للصراع الاخير » .

بينما جاء المشروع البريطانى خلوا من كلمة « جميع » التى نص عليها فى المشروع الاسيوى الافريقى .

٢ ــ جاء بالمشروع البريطانى عبارة « انشاء مناطق منزوعة السلاح » بينما المشروع الثلاثى لم ينص على ذلك .

وجمهورية « مالى » هى احدى الدول الثلاث التى تتبنى المشروع الاسيوى الافريقى ، وقد القى مندوبها فى المجلس كلمة ــ بعد أن قدم كارادون المشروع البريطانى ــ قال مندوب مالى :

« ان هذه أول مرة فى تاريخ مجلس الامن يصدر فيها قرارا بوقف القتال ثم لا يصدر بعده قرار الانسحاب . وأن على الاعضاء أن يدركوا أن العقبة التى تعثرت عليها كل الجهود هى انسحاب القوات الاسرائيلية ، وأن الانسحاب شرط لاى حل للازمة، وان المهمة الاولى للمجلس هى العمل على انسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل النزاع » .

وقد ذكر مندوب الهند فى الجلسة التى أقرت المشروع البريطانى أن وفدى مالى ونيجيريا تشد

خولاه أن يعلن عدم الالحاح فى عرض هذا المشروع لافساح الطريق أمام المشروع البريطانى .

واذا كانت المشاريع الثلاثة البريطانى والامريكى والاسيوى الافريقى هى المشاريع الاساسية التى دار حولها الصراع فى مجلس الامن وخارجه ... فماذا كان موقف الدول منها :

الجمهورية العربية المتحدة

بعد أن تقدم كارادون بالمشروع البريطانى القى **محمود رياض** خطابا بالمجلس طالب فيه بانسحاب القوات المعتدية من جميع الاراضى التى جرى احتلالها بعد ٤ يونيو ، وأكد أن الجمهورية العربية المتحدة لا تقبل حلا وسطا فى هذا الموضوع ، وسبق لها أن أكدت هذا المعنى فى كل الاتصالات والمشاورات التى قامت بها » .

وفى اجتماع مجلس الامن يوم ٦٧/١١/٩ القى رياض كلمته وجاء بها :

- ان قرار مؤتمر القمة العربى بالخرطوم بالسعى للحل السياسى ، كان قرارا للسلام وليس للاستسلام .
- أن العالم قد أدرك حقيقة اسرائيل كدولة معتدية ... الحرب بالنسبة لها سياسة قومية .
- ان اسرائيل يجب حرمانها من المساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية الى أن تسحب قواتها من كل الاراضى التى احتلتها .
- ان الشعب المصرى واجه ــ عبر آلاف السنين ــ موجات من الغزو، ولكنه أستطاع دائما أن يحمى وطنه ويتغلب على المعتدين .

وقد رفضت الجمهورية العربية المتحدة المشروع الامريكى ، وصرح رئيس الوفد الهندى فى مجلس الامن أثناء مباحثاته مع جولدبرج أن المشروع الاسيوى الافريقى يحظى بتأييد الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية .

كما استقبل السيد **أحمد حسن الفقى** يوم ٦٧/١٠/٢٩ القائم بأعمال كندا فى القاهرة وأبلغه رفض القاهرة للمشروع الكندى الدنمركى وأكد له أن أى قرار لا يتضمن النص صراحة على الانسحاب الى مواقع ٤ يونيو لن يكون مقبولا من جانب الجمهورية العربية المتحدة .

ومن المعروف أن المشروع الكندى الدنمركى كان يحظى بعطف ورعاية الامريكان .

موقف الدول العربية

من مجموعة الوفود العربية فى الامم المتحدة ، يسمح لسوريا والاردن الى جانب الجمهورية العربية ، بحضور اجتماع مجلس الامن باعتبارهما أطراف نزاع فى القضية المعروضة على مجلس الامن .

وقد أعلن **رفيق جويجاتى** مندوب سوريا فى المجلس رفضه للمشروع الاسيوى الافريقى ، والمشروعان الامريكى والبريطانى لانهما يضعا شروطا لانسحاب القوات الاسرائيلية ، وقال ان المشروع الوحيد المقبول هو المشروع الذى قدمه الاتحاد السوفيتى فى الدورة العامة للامم المتحدة . وقال ان هيئة الامم المتحدة ــ وليس مجلس الامن ــ هى المكان المناسب لمناقشة أزمة الشرق الاوسط .

والقى السيد / **عبد المنعم الرفاعى** وزير الدولة الاردنى كلمة فى المجلس طالب فيها بأن يكون انسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل حرب يونيو هو الخطوة الاولى فى ايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط .

وفى أحد اجتماعات الوفود العربية تقرر رفض المشروع الامريكى المقدم لمجلس الامن بالاجماع .

وفى الفترة الاخيرة تمت اتصالات بين عواصم الدول العربية ــ وعلى أعلى مستوى ــ لمناقشة تطورات أزمة الشرق الاوسط ــ ولتنسيق جهودها السياسية لازالة آثار العدوان ، وتوحيد الخطط العملية فيما بينها فى حالة اللجوء للحل العسكرى .

موقف اسرائيل

أعلن ابا ايبان رفضه للمشروع الاسيوى الافريقى ، وصرح بأن اسرائيل لن تنفذه اذا أصبح قرارا ، وسترفض التعاون مع مبعوث يوثانت اذا جاء للشرق الاوسط لتنفيذ مثل هذا القرار . وطلبت من أمريكا استعمال حق الفيتو ضد المشروع الاسيوى الافريقى .

وقال **ابا ايبان** ان القرار الوحيد الذى ستنفذه اسرائيل هو القرار الذى ينص على المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل لرسم « الحدود الجديدة الدائمة »

وطمأن ابا ايبان مجلس الوزراء الاسرائيلى بأن ما جاء بالمشروع الامريكى « عن الانسحاب الى حدود آمنة متفق عليها » يعنى التسوية على هوى اسرائيل ، كما يعنى المفاوضات بين العرب واسرائيل » .

موقف الدول الاشتراكية

طلب الاتحاد السوفيتى من بريطانيا اضافة كلمة « جميع » الى مشروعها ، ورفضت بريطانيا ذلك وتحدث **كوزينتسوف** نائب وزير الخارجية السوفيتى فى مجلس الامن وهاجم المشروع الامريكى باعتباره يعالج قضية الانسحاب بطريقة مائعة غامضة ، وقال ان الانسحاب هو الشرط الاول لتسوية الازمة .

واعلن كوزينتسوف تأييده للمشروع الاسيوى الافريقى بشرط أن يقبله العرب . ومدح المشروع الثلاثى قائلا « انه واضح فى مطالبته بانسحاب القوات الاسرائيلية » .

وقدم كوزينتسوف الى مجلس الامن مشروع قرار يعطى يوثانت حق زيادة عدد المراقبين على خط وقف اطلاق النار ، باعتبار ان مثل هذا الاجراء يؤكد سلطة مجلس الامن فى الاشراف على وقف اطلاق النار .

وطالبت بلغاريا الدولة الاشتراكية عضو مجلس الامن بانسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل ٥ يونيو وهاجم اسرائيل لتقليلها من دور هيئة الامم المتحدة .

وكانت احتفالات ثورة اكتوبر العظمى فى موسكو فرصة لادارة نقاش بين رؤساء الوفود الاشتراكية والاحزاب العماليه حول ازمة الشرق الاوسط ، وكانت مظاهرة رائعة لتاييد العرب فى كفاحهم ضد العدوان الاسرائيلى . ومن هنا فقد جاء بخطاب على صبرى فى موسكو « انه فى هذه الفترة القاسية من نضالنا وقفت معنا كل القوى الاشتراكية تؤيدنا وتؤازرنا » .

وقد عاد على صبرى وامين هويدى وزير الحربيه من موسكو بعد حضور احتفالات الثورة وقدما للرئيس عبد الناصر تقريرا مطولا عن محادثاتهما السياسية مع قادة الإتحاد السوفيتى ، والمحادثات العسكرية مع القادة العسكريين للاتحاد السوفيتى ، وكذلك نتائج الاتصالات السياسية مع رؤساء الوفود الاشتراكية الذين حضروا تلك الاحتفالات .

وخلال مناقشات مجلس الامن وقبلها قامت قطع من الاسطول السوفيتى بزيارة موانئ الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا زيارة ودية .

موقف فرنسا

حذر مندوب فرنسا فى مجلس الامن اسرائيل من القيام بأى محاولات للاستفادة من وضعها الحالى، لتمارس ضغطا على الدول العربية ، ورحب بفكرة ارسال مندوب للشرق الاوسط ، واكد ان انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها والاعتراف الرسمى بحق كل دولة فى المنطقة شرطان اساسيان للوصول الى حل سلمى . وقال انه لا يوجد حوار أكثر صعوبة على التصور من المحادثات المباشرة التى يدعو اليها ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل .

وجاء فى البيان المشترك بين **ديجول وايوب خان** « إن الاتفاق بين الدول الكبرى من بين الظروف التى تساعد على تسوية ازمة الشرق الاوسط » .

ومازالت فرنسا على موقفها من رفض تسليح اسرائيل ، مما أثار غضب الدوائر الاسرائيلية .

■ الاراضى المحتلة

عجز الارهاب الاسرائيلى عن قمع المقاومة العربية

تحاول اسرائيل فرض ستار كثيف على اعمال المقاومة العربية فيصرح موشى ديان « **ان سلطات اسرائيل تجد من واجبها عدم نشر الاخبار التى يمكن للعدو ان يفهم منها قدرته على ايذائنا** ».

ورغم الرقابة الاسرائيلية ، فان انباء المقاومة تتوالى دون انقطاع بحيث يصعب كتمان بعض وقائعها وآثارها ومداها منذ ٥ يونيو إلى الان . وهناك نماذج متعددة لهذه المقاومة فهى تتخذ أشكال كمائن اصطياد الجنود الاسرائيليين، واغتيال العرب الخونة المتعاونين معهم ، والقاء القنابل على معسكرات الجيش الاسرائيلى ونسف سياراته ومعداته العسكرية ومهاجمة بيت اسحاق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلى ، ومحاولة نسف بيت اشكول رئيس الوزراء ، وفى الاشتباك المباشر مع دوريات الجيش الاسرائيلى.

والى جانب المقاومة العسكرية، رفض المدرسون العرب القاء الدروس التى رسمت مناهجها الوزارة الاسرائيلية متحدين بذلك قرار « اليونسكو » الذى طالب بالابقاء على المناهج العربية ـــ كما كانت قبل العدوان .

واحتجت البلديات ، وفيها بلدية القدس، وكذلك الغرف التجارية وكبار الشخصيات العربية على استيلاء اسرائيل على الاموال والممتلكات العربية ، ورفض التجار العرب التعامل مع الاسرائيليين ، وغمرت المنشورات الثورية المناطق المحتلة ، وتم الاضراب العام الذي قام به العرب بمناسبة ذكرى وعد بلفور .

وتقابل الدوائر الاسرائيلية الحاكمة هذه المقاومة العربية بتوطين اليهود فى مستعمرات مسلحة بالمناطق العربية التى أجبر سكانها العرب على تركها ، وتفرض حظر التجول ، وتعقد المحاكمات وتصدر احكام السجن والاعتقال، وتطارد الفدائيين بطائرات الهليوكبتر ، وتطرد الموظفين العرب من وظائفهم، وتستخدم أبشع وسائل الارهاب النازى « التعذيب الوحشى وهدم البيوت وابادة القرى » .

وقد اعتمد الكنيست الاسرائيلى ٢٠٠ مليون دولار لقمع المقاومة العربية ، كما نقلت قيادة الجيش الاسرائيلى لواء مظلات من سيناء الى الضفة الغربية .

وبرغم كل الاجـــراءات الارهابية الاسرائيلية ، فالمقاومة العربية تشتد وتتزايد،فقد اعترف«ديان» فى الخطاب الذى القاه باحدى جامعـــات اسرائيل « بما يسببه الفدائيون لاسرائيـــل من خسائر فى المنطقة المحتلة » . وقاد بنفسه احـــدى عمليات الجيش الاسرائيلى ضـــد الفدائيين ، كما قام هو ومساعده رابين بالاشراف على عمليات التفتيش بحثا عن الفدائيين والاسلحة .

ووصفت جريدة « اليوم » الاسرائيلية اعمـــال الفدائيين بأنها تتم على « مستوى رفيع » لا يرقى اليه تصدى السلطات الاسرائيلية.واعلنت الدوائر الامريكية والاسرائيلية ووكالات الانباء بأن الهجمات العربية فى المناطق المحتلة تشبـــه هجمـــات ثوار فيتنام الجنـــوبية . كما حـــذرت الدوائر الغربية اسرائيل من عاقبة مواجهة حرب داخلية من اهل البلاد الشرعيين . وجاء فى تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن بأنه«رغم محاولات اسرائيل الشاقة لامتصاص القدر الكبير من سكانها العرب حاليا ، فان الوطنيين العرب سوف يعملون بنفس القوة لاشعال نار الثورة ضدها » .

وتشير الدوائر السياسية الى أن هناك عددا من العـــوامل اتاحت الفرصة أمام تزايد المقاومة العربية . منها :

● نجـــاح البحـــرية المصرية فى اغراق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » وما نتج عن هذا من ارتفاع فى الروح المعنـــوية للمقاتلين العـــرب فى المناطق المحتلة .

● التحسن الذى طرا على الموقف العربى بعد

تعـــليق

حول مشاكل الجمعيات التعاونية والتسويق

كشـــفت تجربه الجمعيات التعاونيـــة والتسويق خلال الاعوام القليلة الماضيه عن ظهور جملة حقائق هـــامة تتعلـــق بمستقبل التعاونيات الزراعية ونظـــام التسويق بصورتها الحالية .. وممـــا أدى بالتالى الى وجود حالة السخط وعدم الثقة القائمة الان بين الفـــلاحين وبين الاجهزة التنفيذية والقائمين على التعاونيات الزراعية والتسويق فى الريف ولا يرجع الاهتمام بمشاكل التعاونيات والتسويق الى حجم هذه المشكلة التى تمس مصالح قطاع كبير هام من المنتجين فى الريف ، فضلا عن مشكلة تنظيم زياده وتحسين الانتاج فى بلادنا ، بل ترجع ايضـــا فى الاســـاس الى كونها تتعلق بمستقبل تجربة ثورية رائدة فى مجتمعنا، قد توفرت لها أسس وعوامل النجاح الاكيد ، بهدف زيادة الانتـــاج الزراعى وبخاصة حماية مصالح صغار المنتجين من الفلاحين ، وتحريرهم من استغلال التجار والسماسرة والوســـطاء ، لولا وجود تلك المعقبات والمشاكل والانحرافات التى تعترض طريقها فى التطبيق ، وهذه العقبات والمشاكل والانحـــرافات قـــد أصبحت الان واضحة ومحددة تماما ، مما يمكن حصرها فى النقاط والاســـس التالية :

● مشكلة حسابات الفلاحين ،وتعقيد الاجراءات ، وزيادة النفقـــات ، التى كشفت عن الاســـاليب البيروقراطيـــة والارتجال فى معالجة المشاكل الحيوية للجماهير .

● سيطرة ونفوذ كبار الملاك على جمعيات التعاونية ،ووجود المحسوبيات والمجاملات ، وغير ذلك من العلاقـــات الطبقية والاستغلالية التى ما زالت تربط بين كبار الملاك وبين الاجهزة التنفيذيه فى الريف .

● النقص والعيوب فى تطبيق القانون وهى كثيرة ومتنوعة ، الا انها تتركز الان وبشكل أساسى فى عدم الاخذ بضمان ان يكون ٤/٥ مجلس ادارة الجمعيـــة التعاونية لمن يملكون خمسة افدنة فاقل باعتباره بشكل ضمانا يقضى على الالاعيب والانحرافات . الامر الذى وضح بالنسبة لحل عشرات مجالس ادارات التعاونيات فى المحافظات . وايضا استئثار كبـــار الملاك بمعظم الخدمات التى تمنحها الدولة عن طريق القروض بدون الفوائد للفلاحين لتمويل المحصول . بدون تفرقة بين كبار الملاك وفقرائهم ، والذين ثبت انهم هم أساسا الذين يتهربون من تسديد قيمة هذه القروض . وأيضا بالنسبة لقانون التامين على الماشية ونظام توزيع الكسب الحالى ، فهو لا يخدم أساسا ســـوى كبار الملاك والمتوسطين ، اذ ينص على ربط تسهيلات الكسب والتامين لمن يملك اكثر من خمسة رؤوس ماشية .. هذا فضلا عن مشكلة الجمعيات التعاونية الزراعية بوضعها الحالى ، التى تضم الملاك الـــكبير والفـــلاح الفقير اللذين تتعارض مصالحهما الاقتصادية ، ويفرض بالتالى علاقات اجتماعية غير متكافئة فى الريف .

ان كل هذه الامور والوقائع لابد أن تضعنا أمام سؤال هام . الا هو ماهى فلسفة التخطيط والتعاون « فى مجتمع يتجه نحو الاشتراكية » . ويهدف الى سد الطـــريق أمام النمـــو الراسمالى والطبقات الجديدة ، وتصـــفية بقـــايا العلاقات الاقطاعية والاســـتغلالية وغير المتكافئة بين المواطنين ؟ .

ان الامال الكبيره معقوده على التعاون الذى اصبح من عناصر السياسة الوطنية التقدمية فى بلادنا ، ليس من اجل زيادة وتحسين الانتاج فحسب ، بل ايضـــا كوسيلة لصياغة وخلق علاقات انسانية جديدة فى الريف .. ولكن الشىء الواضح الان . ان التعـــاون لا يمـــكن ان ينمو ويتطور بدون ان تتوفر له الديمقراطية السليمة ، من طريق المشاركة الفعالة لجماهير الفلاحين صاحبة المصـــلحة فى البناء والتقدم ، وتحقيق اشرافها على شئونها ومصالحها .

وان العمل على حل المشاكل لا يكون من وراء المكاتب المغلقة ، وانما يـــكون هناك على ارض التجربة ذاتها ، والاهتمام بمشاكل الفلاحين ومناقشـــتهم والتعرف على آرائهم ، حتى يمكن وضع الحلول السليمة ، والقضاء على أسباب الشكوى، وبذلك يتســـنى المحافظة على اكثـــر المؤسسات ديمقراطية فى بلادنا ، لانها تضم اعظم نسبة من تمثيل الفئات الفقيرة صاحبة التقدم الاشتراكى .

وديع أمين

انعقاد مؤتمر القمة في الخرطوم ، اذ تتحرك التشكيلات العسكرية والسياسية في المناطق المحتلة الان بحرية دون حساسيات كانت تقيد حركتها في الماضي .

● تمكن القوى الوطنية العربية في المناطق المحتلة من خلق جبهة فيما بينها تضم « القوميين العرب ، والناصريين ، والبعثيين والشيوعيين والفئات الوطنية المستقلة » وما ترتب على هذا من نجاح الجبهة في القيام بعدد من الاعمال مثل الاشراف على اضراب المدرسين .

● اقتناع القوى الوطنية بحتمية مقاومة العنف الاسرائيلي بعنف يماثله ويشله .

● انضمام الطلبة الفلسطينيين الذين كانوا يدرسون في الخارج الى حركة المقاومة العربية المسلحة .

ويلاحظ المعلقون السياسيون ان ازدياد المقاومة العربية في المناطق المحتلة ترك بصماته وآثاره على مجموعة من الحقائق :

فقد ارتفعت الروح المعنوية للمقاتلين العرب نتيجة احرازهم عدد من الانتصارات ، وتلاحمت صفوفهم ، بعد ان التفت الجماهير حول شعار الكفاح المسلح ضد العدو الاسرائيلي .

وينادي بعض القادة العرب بضرورة اجراء دراسة واقعية وجدية للعوامل التي تساعد على وقف الهجرة وبقاء المواطنين العرب في المناطق المحتلة بأرضهم وبيوتهم فيها ، بحيث تمثل اقامتهم بها شوكة في حلق العدو الاسرائيلي .

وقد سادت حالة من الفزع من جراء اعمال المقاومة جعلت المهاجر الى اسرائيل ــ كما تشيع الصحف ــ يفكر في العودة الى بلده الاصلي حيث يكسب هناك الامن والاطمئنان بعيدا عن المعارك والدماء.وفي الاستفتاء الذي اجري باسرائيل طلب ٤٠ ٪ من«المتطوعين»العودة الى بلادهم الاصلية. ومن الطبيعي ان تتزايد هذه النسبة مع تزايد المقاومة العربية .

وفي جو المعارك الساخنة فان نداءات اشكول والقادةالصهاينةبتهجير مزيد من اليهود الى اسرائيل بحيث يصل عدد السكان فيها الى اربعة او خمسة ملايين وتصبح اسرائيل « دولة رخاء » سوف تواجه ازمة حادة في التنفيذ .

ويقول المعلقون الغربيون ان اقتصاديات اسرائيل وبالذات « السياحة » ستتأثر بهجمات الفدائيين اذا استمرت طويلا .

ومع ازدياد المقاومة العربية في الارض المحتلة ، ومع الضائقة الاقتصادية التي تواجه اسرائيل ، ترتفع عاليا الان اصوات السكان العرب في اسرائيل وتتعرض هذه العناصر في سبيل موقفها الى اقصى حملات الارهاب والاضطهاد من السلطات الحاكمة الاسرائيلية وصلت الى حد محاولة اغتيال مايرفلز السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي .

ولا تكتفي اسرائيل بحركة القمع ضد حركة المقاومة العربية في الارض المحتلة ، بل تحاربها على المستوى الدولي بتصويرها امام الرأي العام العالمي على انها « عناصر متسللة من سوريا والاردن » وتتقدم بمذكرات الى مجلس الامن ضد سوريا والاردن لتلبس ادعائها ثوبا براقا ، وتضفي مشروعية لعدوانها المتكرر على سوريا والاردن .

وفي اتجاه نفس الهدف تذيع اسرائيل ان موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي زار نابلس وحاول الاجتماع بالعرب هناك لانشاء دولة فلسطينية عربية ترتبط باسرائيل وتخضع لها في ظل « حكم ذاتي»كما تذيع ان هناك محاولات سياسية لاجراء استفتاء في الضفة العربية وغزة .

وتخفي اسرائيل الصورة الايجابية للمقاومة العربية التي ترفض الجلوس في مائدة واحدة مع موشي ديان ، وتقدم الرفض الحاسم عمليا ضد الفكرة الاسرائيلية من « اقامة دولة فلسطينية»في اطار دولة اسرائيل .

■

■ الجمهورية العربية اليمنية

« ضد الرجعية والانتهازية والاستعمار »

يربط المراقبون السياسيون ، بين استقالةالقاضي **محمد احمد النعمان** عضو المجلس الجمهوري من منصبه ، وبين التصريح الذي ادلى به القاضي **عبد الرحمن الايرياني** رئيس المجلس ــ قبل ٢٤ ساعة من اذاعة نبأ الاستقالة ـ والذي جاء فيه « ان اليمنيين اصبحوا الان اكثر قدرة على حل مشكلاتهم بأنفسهم . ونحن لا ننكر ان اللجنة الثلاثية ، كانت تعمل لخير اليمن . ولكن امر اليمنيين قد انصلح الان . ولهذا نرى انه ليس ثمة سبيل لاكمال مهام هذه اللجنة » .

وتفيد الانباء التي وردت من صنعاء منذ حركة ٥ نوفمبر حتى كتابة هذا التقرير ، ان سياسة

الحكومة اليمنية الجديدة قد ركزت على مهمتين اساسيتين . **اولهما** : الاسراع ببناء جيش وطني قوى يستفيد من الخبرات النضالية للجيش المصرى اثناء وجوده فى اليمن لمدة خمس سنوات — بناء على طلب ثورة ٢٦ سبتمبر — للمساهمة فى حماية الثورة. بالاضافة الى المساعدات العسكرية للاتحاد السوفييتى والتى تفيد اخر انبائها عن وصول عدد من الطائرات الحربية المقاتلة الى **صنعاء** ، ومن المنتظر أن تصل أعداد أخرى قريبا. اما المهمة **الثانية** : فتتلخص فى الجهود البارزة التى تبذلها الحكومة الجديدة من اجل تحقيق **« مصالحة وطنية »** بين القبائل اليمنية سواء منها تلك التى كانت تؤيد النظام الجمهورى واختلفت مع الحكومة السابقة ، او تلك التى كانت قد انساقت — لاكثر من سبب — وراء العداء له . ونقطة البدء التى أكدتها الحكومة الجديدة لتحقيق هذه المصالحة هى انه «بالنسبة للملكية او اسرة حميد الدين ، فهذا موضوع غير قابل للمناقشة ، اذ لم يعد هناك فى اليمن كله — شماله وجنوبه — من يقبل عودة الملكية » كما جاء فى تصريحات كل من القاضى الايريانى **ومحسن العينى** رئيس الوزراء الجديد ، فى أعقاب نجاح حركة ٥ نوفمبر . هذا وتعتقد الدوائر العربية ، انه قد تم احراز نتائج ايجابية فى انجاز هاتين المهمتين .

وجدير بالذكر ، ان الحكومة اليمنية الجديدة، كانت قد اوضحت منذ اللحظات الاولى لتشكيلها، ان اتصالاتها مع شيوخ القبائل ، « سوف تؤدى نفس المهمة التى كانت ستقوم بها اللجنة الثلاثية الخاصة باليمن » ، وكان تعليق محسن العينى على تصريحات النعمان بعد الانقلاب — وانباء وجود الاخير فى بيروت — والتى دعا فيها اللجنة الثلاثية الى اداء دورها فى مجال المصالحة الوطنية ، والالتزام بقرارات مؤتمر خمر (عقد فى اعقاب اتفاقية جدة) ودعوة لجنة المتابعة التى شكلها المؤتمر .. للانعقاد ، — علق العينى على ذلك وقتها بقوله « ان هذه التصريحات لا تعنى ان هناك خلافا فى الراى بيننا . لكن السيد نعمان لم يتابع الاتصالات الاخيرة التى اجريناها — والتى حققت نتائج مشجعة — بسبب علاجه فى بيروت» . وترى الحكومة اليمنية الجديدة ان اللجنة الثلاثية « يمكن ان تؤدى عملا كبيرا لو تحملت مسئولية عودة العلاقات الطيبة بين الجمهورية اليمنية وبين المملكة السعودية وحققت النتائج المرجوة » .

وترد الدوائر العربية المطلعة ، وقوع حركة ٥ نوفمبر ، الى الخلافات التى كانت قائمة بين الفئات الجمهورية بفعل تناقضات تراكمت على امتداد سنوات خمس كان وجود الجيش المصرى ومقتضيات سلامته تمنع التفاعلات الناشئة من هذه التناقضات عن التأثير الظاهر . وتعتقد هذه الدوائر ، انه كان مؤكدا ان يؤدى خروج القوات المصرية الى ظهور هذه التفاعلات .

وقد تركزت اخر هذه الخلافات ، حول المطالب الاربعة لزعماء اليمن الجمهوريين الذين كانوا يقيمون خارج اليمن ، وبين الحكومة السابقة التى كان يراسها الرئيس السابق **عبد الله السلال** . وكانت تتلخص فى : ضرورة تشكيل حكومة جديدة تضم كل العناصر الوطنية ، وتشكيل مجلس جمهورى ، وتشكيل مجلس للشورى ، ووضع برنامج للعمل الوطنى . فقد كان هناك ادراكا واضحا لدى هؤلاء الزعماء بأن اليمن مقبل على مرحلة حرجة للغاية بعد انسحاب القوات المصرية فى منتصف ديسمبر . وان كل الظروف تفرض وقوف اليمنيين صفا واحدا لحماية النظام الجمهورى ناسين الماضى ، محاولين بناء المستقبل وبدأت فكرة ازاحة السلال عندما لم يستجب لتنفيذ هذه المطالب بشكل عملى . ولكن رئى ان تقوم الحركة اثناء سفره الى موسكو لحضور احتفالات العيد الخمسينى للثورة الاشتراكية السوفييتية « حقنا للدماء » . وبينما كان السلال فى العراق — فى طريق رحلته الى موسكو — وقعت الحركة حيث لم يكن فى اليمن سوى وزيرين فقط من حكومة السلال هما وزيرا العدل والتعليم . وبعد ساعات من نجاح الانقلاب اعلن عن تشكيل مجلس جمهورى يضم عبد الرحمن الايريانى رئيسا واحمد محمد النعمان **ومحمد على عثمان** عضوين، على ان تكون رئاسة المجلس دورية . كما اعلن عن تشكيل وزارة برئاسة **محسن العينى** وعين القاضى عبد السلام صبره نائبا لرئيس الوزراء وتضم الوزارة ١٤ وزيرا منهم ٦ وزراء من الحكومة السابقة .

وقد تابعت الجمهورية العربية المتحدة تطورات احداث اليمن باهتمام . واعتبرت ان الانقلاب « امر من صميم الشئون الداخلية لليمن التى تتعلق اولا واخيرا بارادة شعبه » . وان الذى يعنيها بالدرجة الاولى «هو الثورة اليمنية نفسها وسلامة نظامها الجمهورى ووحدة كل قوى التقدم فى اليمن » .

وجدير بالذكر ان بيانات الحركة وتصريحات المسئولين الجدد فى صنعاء ، قد حرصت على تأكيد عدد من القضايا ، منذ البداية ، وهى :

- الالتزام بمبادىء ثورة ٢٦ سبتمبر « التى اسيء استغلالها وانحرفت عن اهدافها » .
- ان حركة الجيش « عربية خالصة . وانها تمد يدها الى جميع الدول العربية وعلى راسها

الجمهورية العربية المتحدة التى لا يمكن أن تنسى تضحياتها من اجل الثورة اليمنية » .

● العداء « للرجعية والانتهازية والاستعمار »

● المحافظة على العلاقات الودية بين الشعبين اليمنى والسوفييتى وتدعيمها .

ومن المعروف ان الرئيس السابق عبد الله السلال ، لم يدل بأية تعليقات معادية للوضع الجديد فى اليمن ، وقرر ان يقيم بالعراق .■

هذا وقد جاء فى البرقية التى بعث بها الرئيس عبد الناصر الى القاضى الايريانى ردا على برقيته التى ابدى فيها تقدير الشعب اليمنى لدور القوات المصرية ، ـ « أود ان أؤكد لكم ان الباعث الاساسى لهذا الدور ، كان حق الاخوة العربية وشركة المصير الواحد » . ثم اضاف الرئيس عبد الناصر « واننا لنشعر ان التكريم الحقيقى لكل ما بذل من الجهود والتضحيات ، هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق دواما امام مسيرتها » .■

■

■ الجنوب العربى

برنامج ما بعد التحرر

تتطلع الانظار هذه الايام فى كل انحاء الوطن العربى فى أمل وترقب الى الجنوب المحتل ، حيث يمر الان بمرحلة دقيقة حاسمة فى تاريخ نضاله الثورى ، بحلول الموعد المقرر لتسلم الجبهة القومية لتحرير الجنوب السلطة من بريطانيا واعلان استقلال الجنوب بعد احتلال طويل استمر ١٢٨ عاما ، وفى انتظار مولد الدولة العربية الرابعة عشرة فى الاسرة العربية « الجمهورية اليمنية الجنوبية الشعبية » .■

وتجرى حاليا فى **جنيف** المفاوضات بين وفد الجبهة القومية للجنوب اليمنى المحتل برياسة **قحطان الشعبى** الذى يضم الى جانب وفد المباحثات السياسية عدد كبير من المستشارين من اعضاء الجبهة القومية فى الشئون الادارية والاقتصادية والقانونية والعسكرية وبين الوفد البريطانى برياسة **اللورد شاكلتون** وزير الدولة البريطانى لشئون الجنوب لتسلم السلطة من الادارة البريطانية تمهيدا لاعلان استقلال الجنوب، وذلك على اساس الشروط التى اعلنتها الجبهة القومية ، وتتفق مع أهداف الميثاق الوطنى للجبهة والاهداف التى قامت الثورة الشعبية المسلحة فى اكتوبر ١٩٦٣ من أجل تحقيقها .■

وقد اعترفت بريطانيا بسيطرة الجبهة على معظم اراضى الجنوب وأقرت مبدأ ان تكون المفاوضات قاصرة على بحث الوسائل المتصلة بتسلم السلطة من بريطانيا ، وهذه الشروط هى : وحدة كل اراضى الجنوب بما فيها امارات عدن الشرقية والغربية والجزر التابعة ، وعدم الدخول فى اى احلاف أو اتفاقات دفاعية ، واسقاط جميع الاتفاقيات والمعاهدات التى وقعتها بريطانيا باسم الجنوب ، أو مع سلاطين الجنوب ، ورفض مرابطة أية سفن حربية بريطانية فى المينناء الاقليمية للجنوب ، وعلى ان يكون الارتباط بمنطقة الاسترلينى رهن بمدة محددة ، ثم مطالبة بريطانيا بتعويضات ومساعدات اقتصادية غير مشروطة .كما يناقش وضع المؤسسات البريطانية وميناء عدن بعد الاستقلال ، مع تعهد الحكومة الجديدة بحماية الرعايا الاجانب واموالهم فى الجنوب ، تسلم المناطق والمنشآت العسكرية .■

وحتى الان كانت قد فشلت كل المؤامرات والمناورات التى لجأت اليها بريطانيا فى الشهور الاخيرة لتعطيل انسحابها من الجنوب ، حتى لم تجد أخيرا مفرا من الرضوخ والتسليم بالامر الواقع . ويقول قحطان الشعبى « ان الجبهة قامت على امتداد الاشهر القليلة الماضية بعملها التاريخى حين أجهزت على النظام السلاطينى الاقطاعى فأسقطته فى كافة الامارات وجعلته يتهاوى تحت ضربات الجماهير الشعبية المجهزة بالوعى وبالسلاح ، وكان اسقاط هذا النظام بالقوة فى عام ١٩٦٧ يوازى فى اهميته ومعناه تفجير الثورة المسلحة عام ١٩٦٣ ، اذ انه تم بذلك نسف الاساس المادى للوجود الاستعمارى فى المنطقة ، وفقدت بريطانيا ركيزتها الاساسية » .■

وكان قحطان الشعبى قد اوضح خلال احاديثه الاخيرة قبل مغادرته القاهرة الى جنيف للاجتماع بوفد المفاوضة البريطانى ، ما ستكون عليه صورة الدولة الثورية الجديدة فى الجنوب ، والاسس والمبادىء التى ستقوم عليها، وأيضا عن ارتباطها التاريخى والمصرى بالثورة العربية التقدمية التى فجرتها ثورة ٢٣ يوليو الرائدة بقيادة الرئيس عبد الناصر ، كما اعرب عن شكره وتقديره للاعباء والتضحيات التى تحملتها القيادة الثورية وشعب الجمهورية العربية المتحدة فى سبيل دعم وتأييد الثورة فى الجنوب حتى تحقق لها النصر. وسيقوم نظام الحكم فى الدولة الجديدة على أساس الديمقراطية الشعبية ، التى ترتكز على تحالف قوى الشعب ، ومن أجل تحقيق الاشتراكية .

وأوضح ان البرنامج الاقتصادى سيقوم على تطبيق الاصلاح الزراعى ومصادرة جميع أراضى وممتلكات السلاطين وتوزيعها على صغار الفلاحين ، وكذلك بالنسبة للاراضى التى تملكها

الدولة والأراضي التي سيتم استصلاحها — وتطبيق الحد الاعلى للملكية الزراعية بالنسبة للملاك الكبار — واقامة المزارع الجماعية والجمعيات التعاونية الزراعية وتعاونيات المنتجين — وسيطرة القطاع العام على المرافق العامة وتولية تنفيذ مشروعات التنمية ،والسماح للقطاع الخاص بان يأخذ دوره في خدمة اهداف التنمية ».

وكذلك من المقرر ان يكون للدولة الجديدة رئيس جمهورية ، ورئيس وزراء ، وان هناك دستورا مؤقتا سيعلن عنه فور قيام الدولة الجديدة، على أن يتولى المجلس التأسيسي المنتخب مهمة وضع الدستور الدائم للبلاد .. كما اوضح السيد قحطان الشعبي ان الحكم الجديد سيتعاون مع كل العناصر المخلصة التي ساهمت بشرف في المعركة ضد الاستعمار ، على أساس تبنيهـا لبرنامج الثورة ».

وفي مجال العلاقات مع الجمهورية اليمنية ، فقد صرح بانه لا يعترف بوجود فواصل أو حدود للتعامل بين الجنوب اليمني وشماله ، وان العلاقة بينهما هي علاقة أخوة ومصير ، وان الجبهة قد وضعت برنامجا لتحقيق الوحدة بين شطري اليمن جنوبه وشماله على مراحل ، وان تبدأ بتنسيق المصالح الاقتصادية . على ان تنتهي بدمج وتوحيد المؤسسات الشعبية ، حتى يضمن لهذه الوحدة الحماية والبقاء ».

■

■ فيتنام

« الصقور » يتشككون في النتيجة

أصدرت قيادة الثوار في جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية قرارا بالالتزام بهدنة مدتها ٤ أيام في فترتي عيد الميلاد ورأس السنة ، وبوقف اطلاق النار لمدة أسبوع في عيد رأس السنة القمرية في فبراير القادم.وقد أوضحت قيادة جبهة التحرير أنها اتخذت ذلك القرار « واضعة في الاعتبار آمال الجنود الامريكيين وجنود الدول العميلة للولايات المتحدة ، الذين يودون فسحة اكبر من الوقت للاحتفال بهذه الاعياد ، وواضعة في الاعتبار عادات وتقاليد الشعب في فيتنام الجنوبية، والعواطف الجليلة لكل المواطنين في فيتنام الجنوبية ، ورغبة في تلبية الاماني المشروعة لاغلبية الجنود في الجيش ، وموظفي حكومة سايجون العميلة ، وعائلات الضباط العملاء والجنود ، الذين يودون جميعا فسحة كبيرة من الوقت للاحتفال بهذه الاعياد والتمتع باجتماع شمل العائلات » وقد أصدرت هيئة رياسة اللجنة المركزية لجبهةالتحرير الوطني اوامرها الىالقوات المسلحة لتحرير شعب فيتنام الجنوبية بوقف الهجمات العسكرية خلال تلك الفترات .

هذا وقد اوضح البيان الذي أصدرته سكرتارية البعثة الدائمة لجبهة التحرير الوطني في القاهرة، « أن هذا القرار انما يكشف عن قوة جبهة التحرير الوطني في فيتنام الجنوبية،وعن انها تقبض بأيديها جيدا على زمام المبادرة في ميادين القتال في فيتنام الجنوبية » .

والحقيقة التي أصبحت ملموسة عن وضع القوات الامريكية والمتحالفة في الفترة الاخيرة ،انما توضح تدهور الموقف العسكري بالنسبة لهذه القوات عامة.ففي معارك التلال الوسطى وحدها خسرت القوات الامريكية حوالي ٧٠٠ قتيل ، وبلغ مجموع خسائر القوات الامريكية والمتحالفة من قتلى وجرحى خلالأكتوبرالماضيفقط ٥٥٥٥ جنديا. كذلك صرحت المصادر الامريكية بأن الثوار الفيتناميين يعملون على « فتح جبهة ثانية » في منطقة **لوك بنيه** بجوار كمبوديا ، وذلك باستخدام تكتيك الهجمات المتلاحقة الواسعة النطاق ، كذلك فان الثوار في فيتنام الجنوبية بداوا يستخدمون الطائرات في ضرب الاهداف المعادية لهم كما حدث في منطقة **داك** القريبة من سايجون نفسها ، حيث قامت طائرتين نقل تابعتين للثوار بقصفها ، كذلك بلغت قدرة الثوار على الحركة والنفاذ حد مهاجمة القصر الجمهوري نفسه في سايجون أثناء الاحتفالات بتنصيب الجنرال **نجوين فان تيو** رئيسا للجمهورية اذ ضرب القصر بأربعة قنابل من مدافع الهاون . كذلك تمكنت القوات الثورية من اسقاط هيلوكوبتر امريكي قتل فيه الجنرال **برونو هوشموت** قائد قوات مشاة الاسطول الامريكي مع ٤ أمريكيين آخرين .

هذا وفي نفس الوقت الذي تمنى فيه القوات الامريكية والمتحالفة معها بهزائم متواصلة ، تزداد معارضة الحرب عنفا في داخل الولايات المتحدة نفسها ، اذ أوضح الزعيم الزنجي **مارتن لوثر كنج** أمام ٥٠٠ من قادة النقابات العمالية أن حرب فيتنام تخوضها الولايات المتحدة دون موافقة الشعب الامريكي وأنها قضت على أسطورة الديموقراطية في المجتمع الامريكي ، ووقع ٥٠٠٠٠٠ من أفراد الشعب الامريكي بينهم عدد من كبار الفنانين والكتاب بيانا دعوا الشعب الامريكي فيه الى مقاومة الحرب بصورة ايجابية وأصدر ممثلو ٢٥٠ ناديا جامعيا في جميع انحاء الولايات المتحدة بيانا

طالبوا فيه بسحب القوات الامريكية من فيتنام الجنوبية ووقف الغارات على الشمال بدون شروط. كذلك أعلن السناتور الامريكي وين مورس فى مؤتمر صحفى بأن حرب فيتنام ستؤدى الى حرب بين الولايات المتحدة والصين الشعبية لن تنتصر فيها الولايات المتحدة حتى اذا استخدمت الاسلحة النووية » . ومن ناحية اخرى اعلن فام فان دونج رئيس وزراء فيتنام الشمالية أن بلاده لن تقبل أية شروط أو قيود من اى نوع لانهاء الحرب ، وان الشعب الفيتنامى شعب ذو كبرياء لا يتفاوض والقنابل تتساقط عليه أو وهو معرض للتهديد بالضرب » . فى حين لم يستطع وزير خارجية الولايات المتحدة دين راسك دخول فندق هيلتون بنيويورك لالقاء خطاب دفاعا عن سياسة الحكومة الامريكية الا من باب «الجاراج» تفاديا للمظاهرات المعادية من آلاف الامريكيين ضده .

هذا وقد أشارت الجارديان البريطانية الى حقيقة لها مغزاها فيما يتعلق بالنتائج التى وصلت اليها الولايات المتحدة من حرب فيتنام وهى أن دعاة الحرب و « صقور » العام الماضى وبخاصة بين الحكام الديموقراطيين الذين حضروا مؤتمر الحكام السنوى فى فيرجن ايلاند ، قد أصبحوا هذا العام على رأس المتشككين بعد ان فقدوا الثقة فى مدى فعالية القنابل على اجبار شعب فيتنام الشمالية على التسليم أو الموافقة على الدخول فى مفاوضات » .

■

■ موسكو

التعايش السلمى لا يتعارض مع الحروب العادلة للشعوب

إتجهت كل الانظار منذ بداية الاسبوع الاول من نوفمبر حتى نهايته الى عاصمة الاتحاد السوفيتى . ولم تكف صحيفة واحدة فى الغرب عن « الاجتهاد » والتكهن بماهية «المفاجآت» المتوقعة فى عاصمة البلاشفة بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

وكما ان صحافة ومصادر مخابرات الغرب لم تغير من اسلوبها فى « التوقع » و « التكهن » فان المسئولين السوفيت لم يخرجوا عن تقاليدهم الثابتة فى الاحتفال بالحدث الهام ولم « يفاجئوا » العالم بانقلابات « مثيرة » على الطريقة الغربية .

وفيما عدا نجاح الاتحاد السوفيتى فى انزال مركبة فضاء برفق فوق سطح كوكب الزهرة ، واعلانه عن امتلاك قنبلة الفضاء الجديدة الرهيبة ، وزيادة ميزانيته العسكرية لعام ١٩٦٨ بما قيمته ٨٨٠ مليون جنيه استرلينى (والاحداث الثلاثة تمت قبل نوفمبر) . وفيما عدا ذلك فان الخطوط الاساسية للسياسة السوفيتية فى الداخل والخارج لم يطرأ عليها تعديل او تبديل كما اعلنها خطاب ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى بمناسبة عيد الثورة .

وتشير كل الدلائل من واقع الوثائق السوفيتية والسلوك العملى للاتحاد السوفيتى ان التعايش السلمى لا يزال شعارا ساريا من الناحية النظرية دون ان يعنى ذلك اى تفريط فى مساعدة وفى حق حركات التحرر والشعوب المقهورة فى شن حروبها العادلة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد .ولعل الزيادة الملحوظة فى الميزانية العسكرية تؤكد هذا الاتجاه « **بسبب الحاجة الى مساعدة بلدان اخرى** » كما اعلن وزير المالية السوفيتى .ولان «**اطفاء سعار المعتدين وحماية بلادنا من امكانية حدوث الصدف السيئة ، لا تتم الا بالقدرة العسكرية التى تصل الى اوجها** » ، وذلك كما اعلن فى نفس المناسبة المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى .

وقد لخص بريجنيف فى خطابه الهدفين معا وربط بينهما فى تكامل واضح بقوله : انه « **ليس للاشتراكية هدف آخر سوى رعاية مصالح الشعب ، وهى تفترض فى الدرجة الاولى النضال ضد حرب جديدة .. والاتحاد السوفييتى يدعو حكومات البلدان البورجوازية الى الاستماع الى صوت الشعوب التى تطالب بالسلام وبامن دائم، ويؤيد التعاون المتبادل النفع بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة على اساس المبادىء المعروفة للتعايش السلمى** » .

ولكن « ليونيد بريجنيف » تحدث فى نفس الوقت عن مغامرات وعدوان الولايات المتحدة الامريكية وعملائها فى فيتنام وفى المنطقة العربية وفى غيرها مؤكدا ان الاتحاد السوفيتى « **كان ولا يزال يدافع عن المصالح العادلة للشعوب العربية فى وجه عدوان اسرائيل التى تشجعها الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية** » . واشار الى «**تقديم كل معونة وتاييد ممكن لضحايا العدوان الامبريالى**».

بل واهم من ذلك فقد اكد سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى بان « **نجاح السياسة** المعادية للامبريالية رهن بقيام تحالف بين حركة **التحرر الوطنى للدول التى ازاحت عن نفسها وطاة الاستعمار وبين العالم الاشتراكى** ، وبتدعيم

هذا التعاون» . وان « **علاقاتنا الدولية قائمة على اساس المساندة الفعالة والتأييد الوثيق للشعوب التي تخوض النضال المسلح ضد الاستعمار** » .

ويمكن اجمال اهم ما تناوله خطاب بريجنيف بعدئذ فيما يلى :

● تأكيد اهمية الدور الذى لاتزال تلعبه مقررات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى (١٩٥٦) والتى تعد اساسا للسياسة الداخلية والخارجية للاتحاد السوفيتى فى فترة ما اصطلح على تسميته « **مابعد الستالينية** » والتى لخصها بريجنيف فى « تحسين الديموقراطية الاشتراكية، وارساء ضمانات راسخة للشرعية الاشتراكية ، والدأب والمثابرة على تنفيذ القواعد والمبادىء اللينينية فى جميع ميادين الحياة » .

● ان البناء الاجتماعى الراهن ونمو القوى الانتاجية ومنجزات العلم والتكنولوجيا تخلق أفضل الامكانيات للتقدم نحو مجتمع شيوعى ، وارساء اساسه المادى . ورغم انه حتى الآن — كما قال — لا تعيش كل أسرة سوفيتية بالطريقة التى تحب ان تعيش بها ، الا ان ما حققه الاتحاد السوفيتى فى خلال خمسين عاما ينبىء بالرفاهية المطردة . فعلى مدى الخمسين عاما الماضية انخفض متوسط ساعات العمل الاسبوعية بمقدار **١٨ ساعة** ، وارتفعت الدخول الحقيقية للعمال **٦٫٥ مرة** ولفلاحى المزارع الجماعية **٨٫٥ مرة** . وفى هذا العام انتجت الصناعة السوفيتية **٧٣ مرة** قدر ما كانت تنتجه روسيا عام ١٩١٣ ، وزاد الانتاج الزراعى الى ثلاثة اضعاف رغم انخفاض العاملين فى الريف الى اكثر من النصف ، وذلك الى جانب الرعاية الطبية المجانية ، والمعاشات و**٦٠ مليون شخص** يدرسون على حساب الدولة فى مختلف المؤسسات التعليمية » .

● وبالنسبة للموقف من الحركة الشيوعية العالمية أكد « بريجنيف » مرة اخرى ان لكل حزب مهامه الخاصة وإسلوب النضال الخاص به على اساس الاستقلال الكامل ، وان كانت فعالية النضال تعتمد على نجاح الاحزاب الشقيقة الاخرى وعلى نطاق التعاون فيما بينها . ثم اشار الى تأييد الحزب السوفيتى لعقد اجتماع دولى آخر للاحزاب الشيوعية ، وهى الفكرة « التى تؤيدها الغالبية العظمى من الاحزاب الشيوعية والعمالية » .

● ولم يطرأ أى تغير فى العلاقات بين الحزبين السوفيتى والصينى ، وقد اشار « بريجنيف » بطريق غير مباشر الى الصين عند الحديث عن صفات « لينين » فقال انه (أى لينين) « لم يكن يقبل الاتجار فى العبارات الثورية الكاذبة والجامدة » .
ثم ذكر الصين صراحة بقوله « ان نهج فريق ماوتسى تونج يلحق ضررا بليغا بقضية الاشتراكية فى الصين ، ولكن قوى الشعب الطليعية تناضل هناك بعناد للحفاظ على انجازات الاشتراكية والعودة الى نهج المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى فى الصين (١٩٥٦) » .

واتهم خطاب بريجنيف موقف « فريق ماوتسى تونج » « بانه يعرقل تنسيق المعونة لفيتنام من جانب جميع الدول الاشتراكية بما فى ذلك الصين، ويعطل انتصارات الوطنيين فى الحرب » .

وفى مناسبة الذكرى الخمسين لثورة اكتوبر الاشتراكية رأس **على صبرى** نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة وفدا شعبيا وحكوميا يضم **أمين هويدى** وزير الحربية **ولبيب شقير** وزير التعليم العالى **وكمال الحناوى** امين الاتصال **وعلى السيد على** امين العمال **واحمد كامل** امين الشباب بالاتحاد الاشتراكى للتهنئة بذكرى الثورة الروسية ولاجراء محادثات هامة مع المسئولين السوفيت ومع بعض وفود الدول الصديقة التى وصلت موسكو لنفس الغرض .

وقد ابرزت الصحافة السوفيتية والعربية والعالمية خطاب على صبرى فى جلسة البرلمان السوفيتى الذى استهله بتقديم التهنئة باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وقيادته « الى شعوب الاتحاد السوفيتى وقياداتها الصديقة والى المناضلين فى كل مكان بمناسبة اعياد الثورة الاشتراكية السوفيتية الكبرى ، التى تعبر بصدق عن ارادة الحياة والانتصار لكفاح الشعوب من اجل الحرية والتقدم » .

وقد اشار على صبرى الى أهمية الثورة الروسية الاشتراكية التى دفعتها « لان تتحمل تبعات الحرية والتقدم وحمايتها ليس فوق ارضها فحسب ، ولا عند حد مساندة الدول الاشتراكية فقط ولكن .. مدت ايديها دائما بالعون والتأييد لكفاح الشعوب جميعها على طريق الحرية بغير ما هدف الا ان يستقر السلام الصحيح وان يسود العدل فى المجتمع الانسانى » .

ولذلك فمن الطبيعى ان تكون هناك « مواقف مشتركة لنضال شعوبنا دفاعا عن الحرية والتقدم والسلام العادل » بازاء « قوى الاستعمار والسيطرة والقواعد العميلة والعنصرية التى تؤلف عناصر القوى المضادة للثورة .. الامر الذى يفرض على قوى الحرية والتقدم فى عالمنا المعاصر ان تقف بكل طاقاتها معا لمواجهة القوى المعاكسة لتيار التطور التاريخى » .

وبعد ان ربط على صبرى بين « الاعمال الوحشية التى تعترفها قوى السيطرة السافرة

فى فيتنام » وبين « ما يجرى على الارض العربية من عدوان مدبر ومن تآمر وضغط للاستعمار والامبريالية المتسترة وراء اسرائيل » ، اعلن ان «شعبنا يذكر دائما بالشكر والعرفان موقف الاتحاد السوفيتى الصديق معنا — كعهدنا به دائما — شعوبه وقياداته فى كل مراحل كفاحنا الثورى فقدم لنا العون والتأييد الادبى والمادى بغير ما قيود او شروط فى جميع الميادين » .

وكان اكثر ما اثار الانتباه فى خطاب على صبرى هو تأكيد موقف الشعب والقيادة الثورية بزعامة جمال عبد الناصر فى مواجهة العدوان والتآمر . « فرغم كل ما يدبر فانه يمضى بغير ما تردد لتدعيم ثورته الاجتماعية وتأكيد اصراره على استكمال خطواته على طريق التحول الاشتراكى . لان الجماهير المناضلة لا يمكن ان تقبل سلاما بمعنى الاستسلام ، ولكنها اصبحت تؤمن اليوم اكثر من أى وقت مضى — ان النصر فى النهاية لابد وان يكون لتيار الحرية والتقدم والعدل الانسانى»

وقد جاء البيان الرسمى عن الاجتماع المشترك بين « ليونيد بريجنيف » و « على صبرى » معبرا عن « الموقف الموحد للجانبين حول الوضع فى الشرق الاوسط وطريق تسوية الازمة فى هـذه المنطقة . ولالتقاء وجهات النظر فى غير ذلك من القضايا التى دار البحث فيها » .

فمن جانب اكد على صبرى « تصميم شعب الجمهورية العربية المتحدة الحاسم على تحرير الاراضى المحتلة من قبل المعتدين الإسرائيليين تحريرا كاملا ،وشكر قيادة الجمهورية العربية وشعبها العميق للاتحاد السوفيتى على مساعداته الضخمة التى يقدمها للجمهورية العربية المتحدة فى جميع المجالات وفى نضالها ضد المعتدى وإزالة الاضرار التى سببها العدوان » .

ومن الجانب الاخر عبر « ليونيد بريجنيف » عن تأييده الكامل للجهود التى تبذلها الجمهورية العربية قيادة وحكومة وشعبا من اجل التطور الوطنى المستقل،ومواصلة السير فى طريق التطور الاجتماعى، والتعاطف العميق من جانب الحزب والحكومة والشعب بأسره نحو النضال الباسل للشعب المصرى ضد العدوان الاسرائيلى » .

وجاء فى البيان ان « اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة والشعب السوفيتى بأسره قدموا وسيواصلون تقديم المساعدات الشاملة واللازمة لمساندة هذا النضال .. »

وان الاتحاد السوفيتى يعتقد ان «اعادة السلام والامن فى الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقها بغير الإزالة التامة لآثار العدوان ، وتحرير كل اراضى الدول العربية التى يحتلها المعتدى والتعويض عن الخسائر التى سببها العدوان . وسيقف الاتحاد السوفيتى بحزم ضد اى محاولة لفرض تسوية تهدف الى مكافأة المعتدى » .

وقد جاء فى البيان المشترك ان بريجنيف قبل الدعوة الموجهة من الرئيس عبد الناصر بزيارة الجمهورية العربية المتحدة فى اوائل عام ١٩٦٨ .

وجدير بالذكر ان هذه هى المرة الاولى التى سيزور فيها « بريجنيف » مصر ، وهى اول دولة يزورها خارج المعسكر الاشتراكى . وقد ذكرت وكالة الانباء الفرنسية ان خبر زيارة بريجنيف المقبلة لمصر احتل الصفحات الاولى من الصحف السوفيتية لما له من اهمية بالغة .

■

■ بريطانيا

بعد تخفيض الاسترلينى : هل دنا أجل الدولار؟

لم يكن تخفيض قيمة الجنيه الاسترلينى مفاجأة للمشتغلين بأمور الاقتصاد ، بل كان بمثابة التطوير الدرامى المعنيف فى ازمة عمرها يقارب ربع القرن ولم تشرف على خاتمتها بعد . وتخفيض قيمة العملة ليس كارثة فى ذاته ، بل انه يمكن فى ظروف معينة أن يكون اجراء صحيا سليما ولازما . فغداة الحرب العالمية الثانية مثلا لجأت الحكومة الايطالية الى تثبيت عملتها على اساس ٢ ٪ من سعر صرف الليرة قبل الحرب . وكان هذا التخفيض الضخم نقطة تحول تدعم بعدها مركز العملة الايطالية على اساس سعرها الجديد . فالحرب وما احدثته من تدمير وما خلفته من تضخم نقدى واسع كانت تملى هذا الاجراء ، وقد تم اتخاذه فى الوقت والظروف التى سمحت للاقتصاد القومى بالمحافظة على السعر الجديد واستمرار النمو بمعدلات معقولة . **ولكن المشكلة مع الاسترلينى هى انه ليس مجرد عملة قومية لبريطانيا بل هو تقليديا عملة دولية** ، بمعنى انه يستخدم كوسيلة للدفع فى المبادلات الدولية التى لا تكون بريطانيا طرفا فيها . فمن المعروف ان الاصل فى المدفوعات الدولية كان السداد بالذهب . ولكن التطورات النقدية فى الثلث الاول من القرن الحالى ادت الى ان يشارك الذهب فى هذا الدور عملات قومية معينة فى مقدمتها الاسترلينى . وكانت تلك المكانة الممتازة للاسترلينى تستند تاريخيا الى عدة عوامل . فقد كان ، اولا ، العملة المستخدمة

بالفعل بين كافة دول الامبراطورية البريطانية والكومنولث ودول منطقة الاسترليني . وبالتالي كان من يملك الاسترليني يستطيع استخدامه لا في الشراء من بريطانيا وحدها ، وانما من مجموعة كبيرة من الدول تمثل قسطا هاما من التجارة الدولية . وكانت لندن ، من ناحية اخرى ، السوق المالية العالمية الاولى : فبنوك لندن تلعب دور الوسيط المالي في نسبة كبيرة من المعاملات الدولية ، ولندن هي العاصمة العالمية لعمليات التأمين واعادة التأمين وبصفة خاصة التأمين البحري ، وبريطانيا سيدة البحار تقوم بالنصيب الاول من عمليات النقل البحري . وكان هذا كله يغري الدول والافراد بالاحتفاظ بأرصدة استرلينية كبيرة . واخيرا كان الاسترليني ــ فيما عدا فترات قليلة ــ قابلا باستمرار للتحويل الى الذهب بالسعر الرسمي موفرا بذلك كل الضمانات لاصحاب الارصدة .

ولكن بريطانيا خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي عاجزة عن المحافظة على هذا المركز الممتاز . فحركة التحرر الوطني قد عصفت بالامبراطورية وكثير من الدول التي استقلت قد غادرت منطقة الاسترليني . والولايات المتحدة قد خرجت من عزلتها في نصف الكرة الغربي ودخلت كل الاسواق غير الاشتراكية منافسة للدول الاستعمارية القديمة ونجحت في ان تجذب الى فلكها حتى بعض دول الكومنولث الاساسية مثل كندا . واتت الحرب على معظم احتياطيات بريطانيا بحيث تحولت من دولة دائنة للعالم الى دولة مدينة تعتمد الى حد كبير على القروض الامريكية . ولم يعد لها الدور البارز في النقل البحري ، وتراجعت مكانة لندن كسوق ماليه عالمية امام نيويورك بل وحتى زيوريخ . وهكذا بدا ان تخفيض الجنيه الاسترليني ضرورة لتنشيط الصادرات البريطانية وانعاش الصناعة كما فعلت الدول الرأسمالية في غرب اوروبا . ولكن حكام بريطانيا استماتوا في مقاومة التخفيض حرصا على وضع الاسترليني الدولي . ذلك ان هذا الوضع يمنح بريطانيا ميزة عظمى في سياسة مقاومة الازمات الاقتصادية ، التي وان خفت حدة كل منها بالمقارنة الى ما وصلت اليه ازمة ١٩٢٩ــ ١٩٣٤ ، الا ان معدل تواليها قد زاد فاصبحت تحدث كل اربع سنوات في المتوسط ، بعد ان كان المتوسط عشرة اعوام . وتتلخص سياسة مقاومة الازمات على النحو التالي . كلما تأكدت بوادر الكساد سارعت الدولة الى زيادة الانفاق العام (التسليح ، مشروعات الطرق ، المباني ، ابحاث الفضاء ... الخ) وتشجيع الانفاق الخاص الانتاجي (عن طريق تخفيض الضرائب وسعر الفائدة على القروض الانتاجية) والاستهلاكي (عن طريق تيسيرات البيع بالتقسيط) . وبذلك يزيد الطلب على مختلف السلع والخدمات ويتحول الكساد الى انتعاش . ولكن الاجراءات المذكوره تعني زيادة وسائل الدفع (النقود والقروض المصرفية) قبل زيادة حجم الانتاج والمعاملات ، اي تعني التضخم . وبعد فترة معينة ينعكس اثر التضخم من ارتفاع في الاسعار . ولما كان الارتفاع في الاسعار يضر بالتصدير ، كما انه اذا تجاوز حدا معينا يهدد القوة الشرائية للنقود ويمهد لكساد حاد ، فان الدولة تسارع حينئذ باتخاذ مجموعة من الاجراءات المضادة بقصد ضغط الانفاق العام (تخفيض الميزانية) والخاص (زيادة الضرائب واسعار الفائدة) فيقل الطلب وتميل الاسعار الى الثبات ثم الانخفاض . فاذا نتج عن الانخفاض بوادر كساد جديد ، عادت الحكومة الى المجموعة الاولى من الاجراءات . واستخدام عملة قومية معينة في المدفوعات الدولية يضفي مرونة خاصة على تلك السياسة. ذلك انه يعني ان كل كمية اضافية من النقود تصدرها الدولة لن يقع تاثيرها كاملا على السوق الداخلية وحدها ، بل سيذهب جزء منها الى الاحتياطيات النقدية لدى الدول الاخرى . ولذلك يتأخر ظهور الاتجاه التضخمي في الداخل . ويكون بوسع الحكومة أن تستمر في سياسة انعاش الاقتصاد القومي امدا طويلا نسبيا قبل ان يظهر الاتجاه نحو ارتفاع الاسعار .

وقد ظل ميزان المدفوعات البريطاني يسجل عجزا خلال معظم السنوات التي تلت نهاية الحرب وظلت لندن تقاوم التخفيض ولكنها اضطرت له مرتين : في ١٩٤٩ حين خفضت الاسترليني بنسبة ٣٠ ٪ ، وفي ١٨ نوفمبر الماضي حين خفضته بنسبة ١٤٫٣٪ . وليست تلك نهاية متاعب بريطانيا . فالتخفيض اقل من المستوى الذي يضمن سلامة الاقتصاد البريطاني . وقد دفع لندن الى هذا الموقف بقية من أمل في المحافظة على الوضع الدولي للاسترليني ولكن استمرار الطلب على الذهب والمضاربة على الاسترليني بالهبوط تعني ان كثيرا من الدول والافراد قد بدأ بالفعل تخلصهم من العملة البريطانية .

ولكن المشكلة الحقيقية الان هي وضع الدولار

لقد احتلت العملة الامريكية وضع العملة الدولية الاولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وكانت وسيلة بريطانيا الاساسية في الاحتفاظ بقيمة الاسترليني هي الحصول على مزيد من الدولارات لان من يبيعون الاسترليني كانوا يقبلون الدولار بدلا منه . والجديد اليوم هو انهم لا يريدون الدولار وانما يصرون على الحصول على الذ. مما ادي الى زيادة مبيعات الذهب بشكل استثنائي وارتفاع سعره بسرعة . وهذا يعني اولا تفاقم متاعب الاسترليني ، اذ من اين ستحصل بريطانيا على الذهب . ولكنه يعني

ايضا تزايد الخطر على الدولار . لقد فرضت الولايات المتحدة على العالم بقاء سعر الذهب بالدولار على ما هو عليه (٣٥ دولار للاوقية) منذ ١٩٣٤ . وكان بوسعها ان تفرض ذلك لثلاثة اسباب رئيسية اولهما : انها كانت حتى نهاية الاربعينيات تملك اربعة اخماس الذهب النقدى فى العالم (حوالى ٢٤ الف مليون دولار) بحيث كان بامكان البنوك الامريكية دفع قيمة الدولاربالذهب عند الطلب ولو كان الطلب على كميات كبيرة . وثانيها الوضع الممتاز الذى كانت تشغله فى التجارة الدولية اذ كان نصيبها منها قرابة الخمس . وثالثها ثقة الناس بالاقتصاد الامريكي وبقيمة الدولار مما كان يحمل الدول والافراد على الاحتفاظ بكميات كبيرة منه . ولكن توالى العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى دفع بالدول الراسمالية الكبرى الى التخلص من جزء كبير من احتياطياتها الدولارية وتحويلها الى ذهب فهبط احتياطى الولايات المتحدة من الذهب خلال السنوات العشرين الاخيرة بأكثر من ٥٠ ٪ . ومن ناحية اخرى تدهور نصيب امريكا من التجارة الدولية على اثر استعادة تلك الدول لمكانتها حتى وصل الى السدس من الحجم الاجمالى للتجارة الدولية ، ومن ناحية ثالثة أدى استمرار حرب فيتنام وتزايد تكاليفها الى ظهور موجة تضخمية من الاقتصاد الامريكي نالت من القوة الشرائية للدولار فى الداخل ومن شأنها ان تحد من صادرات الولايات المتحدة . واخيرا تصر الدول الراسمالية الكبرى وفى مقدمتها فرنسا على حرمان الراسمالية الامريكية من الميزة التى اشرنا اليها فى الفقرة السابقة والتى تترتب على استخدام الدولار كعملة دولية . ولما كانت هذه الدول تمثل اكثر من نصف حجم التجارة الدولية وتحوز قرابة نصف الرصيد العالمى من الذهب النقدى فان فى وسعها فى النهاية فرض ارادتها على الدولار . والمشكلة الاساسية بالنسبة لها هى الا يتم ذلك بشكل عنيف يترتب عليه هزة كبرى للاقتصاد الامريكى تؤدى بدورها الى هزة كبرى للنظام الراسمالى العالمى كله نظرا لوزن الاقتصاد الامريكى . واذا كان ثمة خلافات فى هذا الشأن بين فرنسا والمانيا الغربية مثلا ، فهى خلافات تتعلق بالتوقيت وبمدى تخفيض الدولار وبالظروف السياسية المحيطة بالموضوع . اما من حيث الموقف من الدولار فهو لا يختلف كثيرا . وليس ادل على ذلك من انه بالرغم من الضجة المثارة حول موقف ديجول ودوره فى مجاربة الاسترلينى والدول ، نجد ان المانيا الغربية قد كدست من الذهب اكثر مما فعلت فرنسا بكثير ، ولاسيما اذا تذكرنا انها بدات بخزانة خاوية منه تقريبا .

■ أدب

طه حسين .. ومولد العصر الجديد

احتفل المثقفون العرب هذا الشهر بمرور ٧٩ عاما على ميلاد أحد رواد الثقافة العربية الحديثة ، هو الدكتور **طه حسين** ، واذا كان الاحتفال بالرواد عموما واجبا هاما ، فان الاحتفال بطه حسين يكتسب دلالة خاصة ، ذلك ان قصة حياة هذا الرائد تكاد ان تكون لها قوة الرمز الى تلك المسيرة العظيمة التى قطعتها ثقافتنا العربية خلال نصف قرن مضى .

وربما كانت البداية التى طالعتنا بمولد طه حسين وفقدان بصره فى سن مبكرة هى البداية التى تبهر الكثيرين حين يمدون الابصار عبر الازمان ليروا كيف ان فتى فقيرا اعمى استطاع ان يحقق فى مناخ القهر والتخلف ما عجز عنه المبصرون من الاغنياء . وربما يجد هذا الفريق من الناس ـ والمؤرخون منهم بصفة خاصة ـ **ان التناقض** بين الدراسة فى الأزهر ، التى بدأ بها طه حسين ، والدراسة فى السوربون التى انتهى اليها ، هو الذى ولد شرارة الخلق والاكتشاف فى تكوين هذه الشخصية الفذة ، وربما يميل آخرون الى انلقاءه بالانسة الفرنسية **فرانسواز** هو اللقاء التاريخى الاول فى حياته ، حيث اصبحت هذه الزوجة بمثابة نقطة التحول التى غيرت صفحة حياته تغييرا ماكان يحدث بدونها .

وبالرغم مما قد يكون فى هذه التأويلات جميعها من صدق يطابق الواقع احيانا او يقترب منه ، الا ان البداية الحقيقية لطه الرائد فى حقل الثقافة العربية هى ما عبر عنه بعض المستشرقين والنقاد العرب بأنه يمكن ان نؤرخ لمولد **المفكر** طه حسين باصداره كتاب « فى الشعر الجاهلى » عام ١٩٢٦ حيث لم يكن مجرد كتاب فى التراث او النقد الادبى وانما كان « **منهجا** » فى الثقافة والحياة يغاير المناهج التى سادت مصر طوال القرن التاسع عشر ، فهو يرسى دعائم بناء جديد لثقافة « **جديدة** » وفكر « **حديث** » يرتفع بالانسان العربى الى مستوى العصر ، ولو كان « فى الشعر الجاهلى » مجرد كتاب فى النقد او التراث لما أثار من خلاف الا فى اضيق الحدود الاكاديمية ، وانما صاحبت الكتاب موجة عاتية من ردود الفعل الرجعية (وهى الصفة التى استخدمها مؤرخو طه حسين ونقاده من المستشرقين والعرب) فكاد ان يطرد من الجامعة ، وانتقلت المعركة الى ابهاء البرلمان والصحف والاحزاب السياسية ، وكانت « **الدعوى** » التى اقامها على طه حسين مهاجموه ، انه بترجيحه ان هناك جزءا من التراث

العربي — ولو في العصر الجاهلي — يمكن ان يكون منتحلا لا صلة له بالاسماء التي انتمى اليها في كتب الاخبار والادب ، وان هذا **الشعر المنتحل** قد ضم الى صفحات التراث في وقت متأخر يعزوه الى صدر الاسلام ، مستشهدا في ذلك بآيات من القرآن الكريم .. فانه — تبعا لذلك — لا يدمغ التراث بالبطلان فحسب ، بل ويذهب الى ماهو ابعد ، الى التشكيك فيما هو اكثر قداسة وعزة .

وكانت هذه العبارات ترمى الى اتهام طه حسين — بغير لف او التواء — بالكفر والانحراف كما جاء في كتاب **مصطفى صادق الرافعي** وبالهرطقة والالحاد كما جاء على لسان وكيل النائب العام الذي قام بالتحقيق معه على اثر تلقيه بلاغا من بعض مشايخ الازهر ، وانتهت المعركة حينذاك بحل وسط صاغته الحكومة والمعارضة معا ، وهو ان يصادر الكتاب ويحفظ التحقيق ، وبعد عام واحد صدر الكتاب بعنوان جديد هو « **في الادب الجاهلي** » بعد ان حذف منه طه حسين فصلا واحدا واضاف اليه خمسة فصول ، على انه ما ان اشرف عام ١٩٣٣ حتى كانت علاقته بالجامعة والحكومة — وقد رقى الى عمادة كلية الآداب قبل ذلك بعامين — قد وصلت الى نقطة اللاعودة فقدم استقالته وتفرغ للعمل الصحفي الذي بداه منذ عام ١٩١٠ مع **لطفي السيد في الجريدة** واشترك في تحرير « **كوكب الشرق** » بعد استقالته مباشرة .

ولكن **طه حسين** خارج السلطة لم يكن بمعزل عما يجرى في اروقة الجامعة ومعاهد التعليم ، فاذا كانت السياسة قد تمكنت من ان تصبح شغله الشاغل ، فان **التعليم هو** النافذة التي اطل منها على السياسة ، وهكذا اقبل كتابه «**مستقبل الثقافة في مصر** » عام ١٩٣٨ تعبيرا شاملا عن ازمة الديموقراطية التي عمت البلاد بالقهر والطغيان طيلة الفترة التي تولت فيها مقاليد السلطة احزاب الاقليات وحكوماتها الائتلافية المزيفة او مجالسها المنتخبة بصورة اكثر زيفا ، وكان طه حسين قد تنقل من حزب الى آخر ، تارة يجد هنا شيئا صحيحا ، واخرى يجد هناك شيئا اكثر صوابا — فيما يقول في مذكراته — الى ان كانت خاتمة المطاف في حزب الوفد ، وان لم يكن في يوم من الايام عضوا **عاملا** او **ملتزما** بكل صغيرة وكبيرة في هذا الحزب او ذاك ، وانما كان على الدوام مستقلا في فكره يتخذ من الحزب وصحافته منبرا لارائه الحرة ، مادام الحزب اقرب الى هذه الآراء ومادامت صحافته قادرة على حمل العبء والمسئولية في مواجهة المعادين لهذه الآراء ، ومنهم من يجلس على عرش السلطة ، وكان «**مستقبل الثقافة في مصر** » بمثابة العمل السياسي الثاني بعد « في الشعر الجاهلي » في حياة طه حسين، ففي هذا الكتاب اثار قضية الديموقراطية باوسع معانيها وطبقها على قضية التعليم تطبيقا افضى به الى شعار ان يكون العلم « **كالماء والهواء** » بالنسبة للمواطنين جميعا دون تفرقة او تمييز .

ولقد عاش طه حسين حياته الادبية موزعا بين عديد من الاهتمامات الكبيرة كعنايته بالتراث العربي جنبا الى جنب التراث اليوناني واللاتيني، وعنايته بالدراسات الاسلامية جنبا الى جنب دراساته الحديثة في الادب المصري المعاصر .وكذلك استطاع طه حسين ان يزاوج بين قدرته على الخلق في اعماله القصصية « **دعاء الكروان — المعذبون في الارض — احلام شهر زاد** » وغيرها الى جانب سيرته الذاتية التي افرد لها جزءان من « **الايام** » وكتابه الذي دعاه « **اديب** » ومذكراته التي نشرها مؤخرا ،

ولقد تولى طه حسين العديد من المهام القيادية التي انجزت عديدا من المشروعات الثقافية كمجلة « **الكاتب المصري** » التي صدرت عام ١٩٤٦ وظلت عامين تقدم خلاصة الفكر الاوروبي الحديث والفكر المصري المعاصر الى ان توقفت ، وكذلك مشروع « **الاعمال الكاملة لشكسبير** » الذي قامت باعبائه الادارة الثقافية بالجامعة العربية حين تولى ادارتها .

وظل **طه حسين** طيلة حياته الخاصة والعامة — التي يحتفل بازدهارها المثقفون عاما بعد عام — نموذجا للاتساق الفكري الذي تشتمل عليه مؤلفاته كلها .. وهو الاتساق الذي يتخذ من «**الليبرالية**» عمودا فقريا تتفرع عنه كافة القيم التي دعا اليها الرائد الكبير ، وما تزال كتبه تجدد الدعوة اليها : قيم الديموقراطية في السياسة والمنهج العلمي في البحث الادبي ، والارتفاع الى مستوى العصر على الصعيد الحضاري .. على انه ستبقى **قصة حياة** طه حسين — كما قال احد النقاد — هي اروع مؤلفاته وابقاها على الزمن .

■

ذكرى مرور ١٠٠ عام على ظهور « رأس المال »

يحتفل العالم التقدمي في هذه الايام بذكرى مرور ١٠٠ عام على ظهور المجلد الاول من « رأس المال » ، ذلك العمل الكبير الذي وضعه **كارل ماركس** من اجل « اكتشاف القانون الاقتصادي لتطور المجتمع المعاصر » ممنذ ذلك الحين يحتل « رأس المال » اهميته التاريخية في الفكر الاقتصادي وفي نضال الاشتراكيين . ولم يكن ماركس اقل ادراكا لاهمية العمل الفكري الذي انجزه حين وصف « راس المال » بانه « النصب التذكاري لي » .

لكن « رأس المال » كان ايضا النصب التذكاري للراسمالية ، فقبل ظهوره لم تكن كلمة الراسمالية قد دشنت بعد لتصبح علما على « المجتمع المعاصر » . فما ان ظهر ، حتى صارت الراسمالية مثار الفكر والنضال في كل العالم المعاصر . فلقد اعلن « رأس المال » حتمية القضاء على نظام الراسمالية ، كما قضى على ما قبله من نظم اجتماعية . ومن هنا حتمية الانتقال الى الاشتراكية ، بوصفها وريثة الراسمالية بحكم « التطور التاريخي لتناقضاتها الكامنة » . ولهذا يكشف «رأس المال» اقتصاديا عن الطبقات في المجتمع الراسمالي . فبينما يحكم على البورجوازية بالزوال يمنح البروليتاريا اساسها العلمي .

ولنا اذن ان نقرر سخط البورجوازية عليه . لقد كان سخطها عليه رهيبا ، ولعل المرء ان يجزع ان يرى اقتصاديا بورجوازيا قديرا مثل **كينز** يصدر الحكم التالي على « رأس المال » فيقول : « انه كتاب اقتصادى عفى عليه الزمن ، فهو ليس خطأ فقط من وجهة النظر الاقتصادية بل هو ايضا بلا اهمية ولا تطبيق بالنسبة للعالم العصرى » !!

اما **انطونيو لابريولا** ، مؤسس الاشتراكية في ايطاليا ، فقد وصف « رأس المال » بأنه : « لم يكن الكتاب الاول في الشيوعية النقدية ، وانما الكتاب العظيم الاخير في الاقتصادالبورجوازى » . وتلك عبارة ذات مغزى عميق ، معناها ان « رأس المال » يعنى :

اولا ــ حتمية زوال الاقتصاد البورجوازى ، هذا الاقتصاد الذى كان « يرى في النظام الراسمالي لا مرحلة انتقالية في التقدم التاريخي ، وانما الشكل المطلق والنهائي للانتاج الاجتماعي » .

ثانيا ــ انقاذ الاقتصاد التقليدى من محاولة تصفيته على يدى ما اسماه ماركس « الاقتصاد المبتذل » . فعلم الاقتصاد الذى صاغه **ريكاردو** ، اى الاقتصاد التقليدى ، كان قد ابتذل فلم يعد يبحث عن الحقيقة الموضوعية ، مهما تكن ، وانما صار يبحث عما يبقى على النظام الراسمالي ، مهما يكن ، صار علم الاقتصاد علما تبريريا للدفاع عن الراسمالية ، وبينما كان الاقتصاديون التقليديون يكشفون عن الظواهر الموضوعية ، لا يعنيهم منها الا ان تكون ظواهر موضوعية ، صار الاقتصاديون المبتذلون لا يعنيهم ان تكون اكتشافاتهم سليمة او خاطئة ، وانما مفيدة لراس المال . ومن ثم اخذ ماركس على عاتقه مهمة جليلة الشأن ، هي انقاذ الاقتصاد التقليدى من التصفية ، والقيام بنقد هذا الاقتصاد . ويقول في هذا الشأن « بالقدر الذى يعبر النقد عن طبقة ما ، فانه يمثل تلك الطبقة التي تكون رسالتها في التاريخ هي الاطاحة بطريقة الانتاج الراسمالية والغاء جميع الطبقات نهائيا ، الا وهى البروليتاريا » .

لهذا كان « رأس المال » هو النقد البروليتارى للاقتصاد السياسي ، وكان ذلك يعني ان علم الاقتصاد ما زال واجب التكوين ، لقد اكتشفت البورجوازية الاقتصاد السياسي ، لكن كل ما انجزته من هذا العلم كان هو دراسة تكوين وتطور اسلوب الانتاج الراسمالي ، اى يعرض قوانينه ايجابيا . ومن اجل ان يكتمل علم الاقتصاد ، كان لابد ان ينتهي بالنقد الاشتراكى لاسلوب الانتاج الراسمالي ، اى بعرض قوانينه سلبيا . وكان هذا يتم باظهار ان تطور اسلوب الانتاج الراسمالي نفسه يتجه نحو النقطة التي يصبح عندها مستحيلا . لهذا كله يسمى ماركس كتابه تارة « **نقدا للاقتصاد السياسي** » وتارة اخرى « **تحليلا نقديا للانتاج الراسمالي** » .

ومن التجنى ان ندعى انه لم تكن هناك قبل ماركس محاولات لنقد الاقتصاد السياسي . لكنها لم تكن محاولات للنقد من ارضية البروليتاريا ، وبالتالي فلقد اصابها الفشل : لقد حاول **سميث** مثلا ان يقف ضد الراسماليين ، وحاول **ريكاردو** فضح ملاك الاراضي ، وخجل **دى تراسى** على رجال البنوك ، اما **سيسموندى** فصب جام غضبه على نظام المصنع . ولقد حاول **برودون** ايضا . فلقد كان اول ناقد لنظام الملكية الخاصة ، غير ان برودون مثلهم جميعا قام بالنقد من ارضية الاقتصاد السياسي نفسه . بعبارة اخرى ، فان النقد كله لم يكن ينفى الاقتصاد الراسمالي ، بل يبقى عليه ، او يرفضه ، ولكن ليعود بنا الى الاقطاع . اما ماركس فقد تولى نقد الاقتصاد السياسي من ارضية البروليتاريا ، اى من ارضية تخطى الراسمالية . وهذا كله هو ما يفسر هذه التسمية المتميزة التي اتخذها عنوانا لكتابه : رأس المال .

ولسوف نجد في « رأس المال » افكارا عبر عنها من قبل عشرات الكتاب من الفلاسفة والاقتصاديين والاشتراكيين . سنجد **هيجل وفويرباخ وديتزجن** في الفلسفة . وسنجد **بتى وسميث وريكاردو** في الاقتصاد . وسنجد **سان سيمون وفوربيه وبازار واوين وانفانتان وكونسيدران رولرو وبلان وبكير وكابييه** في الاشتراكية ، لكنها جميعا لم تكن عند ماركس سوى مواد اولية ، اعاد تشكيلها وصناعتها بيد معلم قادر . فالحق ان « رأس المال » ينطوى على معرفة موسوعية ، احاطت بكل الفكر الذى تميز به العصر . وفيه خلاصة ابحاث امتدت لاكثر من خمسين وعشرين سنة ، تكاملت خلالها نظرة ماركس الى الكون ، بفضل انخراطه

الكامل فى الحركة العمالية ومعايشته الحقيقية لاحوال الطبقة العاملة .

وطوال هذا العمل الشاق ، كان ماركس يعانى من شقاء العيش وقسوة القدر . كتب الى صديق العمر **انجلز** يصف حاله بعد وفاة ابنه ادجار : « لقد قاسيت جميع الوان الشقاء . ولكنى لم اعرف معنى التعاسة الحقيقى الا الان .. وفى غمار كل ما تعرضت له من بلاء فى هذه الايام ، كان التفكير فيك وفى صداقتك والامل فى انه يمكن ان يكون هناك شىء حسن نستطيع ان نحققه فى هذه الدنيا ، هو ما يشد ازرى ويحول بينى وبين الانهيار » . ومرة اخرى يكتب لانجلز ، وهو يخط آخر صفحات المجلد الاول من « رأس المال » ، يقول : « لم اكن استطيع وما انا بمستطيع الان أن استدعى الطبيب لانى لا املك ثمن الدواء . لقد كان غذاؤنا فى الايام الثمانية او العشرة الماضية قاصرا على الخبز والبطاطس . واليوم اشك فى انى سأستطيع الحصول حتى عليهما » .

ومع ذلك ، فلقد قاوم ماركس شظف العيش وقسوة القدر . وصدر المجلد الاول فى عام ١٨٦٧ . لكن ماركس لم يطل به العيش ليصدر المجلدين الثانى والثالث ، فناب عنه انجلز اذ اصدر المجلد الثانى فى عامى ١٨٨٥ ، ١٨٩٤ . ثم طوى الموت انجلز ، فقام كاوتسكى فى عام ١٩٠٥ بنشر المجلد الثالث تحت عنوان « **نظريات فائض القيمة** » .

ومع ذلك فلم يكن « رأس المال » سوى امتداد لعملين سبقاه : لكتيب مبدئى بعنوان « **العمل الاجير ورأس المال** » اصدره ماركس فى عام ١٨٤٩ ، ثم بعد ذلك بعشرة اعوام لكتاب عنوانه « **مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى** » .

وفيها جميعا يدرس ماركس اسلوب الانتاج الرأسمالى فى ظروف المناقشة الحرة فى ارضها التقليدية وهى انجلترا . وعندئذ يكشف عن القوانين الموضوعية للانتاج الرأسمالى . ان مهمة « رأس المال » هى الكشف عن القوانين التاريخية التى تحكم نشأة ووجود وتطور وزوال المجتمع الرأسمالى . ومن ثم توصل ماركس الى النتائج التالية :

أ ـ ان الرأسمالية نظام تاريخى ، لم يوجد دائما ولن يوجد للابد . انه ليس نظاما من نظم الطبيعة ، بل نظام عابر لابد ان يخلى مكانه لنظم اجتماعية اخرى .

ب ـ ان هذا النظام ليس سوى نظام استغلال طبقى ، تمارس فيه طبقة البورجوازية استغلال طبقة البروليتاريا .

ج ـ ان هذا النظام ينمى الطبقة التى تستطيع وحدها ان تضع حدا له ، وان تنهى معه كل استغلال طبقى ، الا وهى البروليتاريا .

فالبروليتاريا هى الطبقة التى لا تملك اى وسيلة انتاج ، وتنتج عن طريق بيع قوة عملها ما يسمى فائض القيمة للبورجوازية ، ولها وعى بالمكانة التى تحتلها فى المجتمع الرأسمالى وبمهمتها التاريخية .

فى « رأس المال » يدرس ماركس النظام الرأسمالى ليكشف عن قانون حركته ، وقانون فائض القيمة هو قانون حركة الرأسمالية . و « رأس المال » هو كتاب « فائض القيمة » ـ لسبب بسيط هو ان فائض القيمة هو مصدر تكوين رءوس الاموال يوميا لحساب الرأسماليين .

يقول ماركس مفتتحا المجلد الاول من « رأس المال » : « فى المجتمعات التى يسودها اسلوب الانتاج الرأسمالى ، تتمثل الثروة فى تراكم هائل من السلع ، وبالتالى فان تحليل السلعة ، وهى الشكل الاولى لهذه الثروة هو نقطة الانطلاق فى ابحاثنا » . ويواصل ماركس ابحاث التقليديين ، فبينما توصلوا هم الى قانون القيمة للسلع ، يتوصل ماركس من بعدهم الى قانون فائض القيمة ، وحول فائض القيمة يدور « رأس المال » بحثا عن مراحله الثلاث : مرحلة تكوينه ، ومرحلة تداوله ، ومرحلة تحوله الى رأس مال .

ففائض القيمة يتكون من عملية انتاج السلع . وكل سلعة هى ناتج نافع ، وصالح للمبادلة ، فاذا تركنا جانب المنفعة ، فلسوف نجد ان مايميز جميع السلع هو كونها منتجات للعمل البشرى ، مخزنا لكميات من العمل البشرى ، ولهذا تتحدد قيمة السلعة بكمية العمل المبذول فى انتاجها . ومنعا للاهمال او الكسل ، فان كمية العمل التى يعتد بها هى تلك التى تعتبر ضرورية بحكم الظروف العادية للانتاج فى الوسط الاجتماعى القائم وطبقا لدرجة المهارة المتوسطة وكثافة العمل . وتلك هى كمية العمل الضرورية اجتماعيا .

فلماذا يقدم الرأسمالى على انتاج السلعة ؟ لانه يضع فى هذا الانتاج قدرا من النقود ، ثم يحصل بعد الانتاج على قدر اكبر من النقود . ولولا هذا الفرق لما انتج ، لانه لا يلبث ان يضيف هذا الفرق الى رأسماله الاصلى . فمن اين يأتى هذا الفرق ؟ من خلال عملية انتاج السلعة ، ام من خلال عملية مبادلتها ؟

ان السلعة لا تتبادل فى السوق الا بقيمتها . ومن ثم فليست المبادلة مصدرا للفرق فى النقود . ولابد بالتالى من البحث عن هذا الفرق فى عملية الانتاج نفسها .

فالواقع انه فى عملية الانتاج ، ينصب عمل العامل على مواد الانتاج ، بمعونة وسائل

الانتاج ، تتحول فى النهاية الى السلعة المطلوبة » هنا تتكون قيمة السلعة . وبنفس العملية ، يتكون فائض القيمة ايضا . كيف ؟

ان الراسمالي يستخدم فى انتاج سلعته عدة سلع هى : قوة عمل العمال ، والمواد الاولية ، والآلات . فلابد ان توجد من بين السلع المستخدمة سلعة لها خاصية القدرة على خلق فائض القيمة . ولقد اكتشف ماركس ان هذه السلعة الفريدة هى قوة العمل . ان الصدفة السعيدة هى التى اتاحت للرأسماليين ان يكتشفوا فى السوق سلعة قيمة استعمالها تتمتع بميزة خاصة هى كونها مصدرا للقيمة بحيث ان استهلاك هذه السلعة يعنى خلق القيمة ، فاستهلاك قوة العمل هو فى الوقت ذاته انتاج للسلع ولفائض القيمة . كيف ؟ ان قانون المبادلة هو تبادل قيمة مقابل قيمة ، قيمة متساوية مقابل قيمة متساوية . والرأسمالى يشترى قوة العمل بقيمتها فى السوق . ثم هو كأى مشتر يستهلك قيمة استعمالها ، واستهلاك قوة العمل لكونه فى الوقت نفسه انتاجا للسلع ، فان الرأسمالى الذى غادر السوق كمشتر لا يلبث ان يعود اليه كبائع للسلع المنتجة . من هذه العملية المتصلة يتجمع لديه فائض . فان تحويل نقوده الى رأسمال انما يجرى فى دائرة التداول . هنا تتحول القيمة الى رأس مال ، الى قيمة حبلى بالقيمة . يقول ماركس : « ان انتاج فائض القيمة ليس سوى انتاج القيمة الممتدة فيما وراء نقطة معينة . فاذا لم تصل عملية العمل الا الى النقطة التى يعوض عندها قيمة قوة العمل المدفوعة برأس المال بمقابل جديد ، فلا يوجد اطلاقا انتاج للقيمة . فاذا ما تجاوزت هذه النقطة ، فهنا انتاج لفائض القيمة » .

ان كل سلعة تنتج تستهلك من المجتمع قدرا معينا من السلع الاخرى ، من موارد المجتمع ، وهى كذلك تستهلك قوة العمل لدى العمال وقتا معينا ، وبينما تنتقل السلع المستهلكة كما هى الى السلعة المنتجة ، وبالتالى تظل قيمتها ثابتة لم تتغير ، يتم عمل العمال فى ظروف تسمح للرأسمالى باستعمال سلعة قوة العمل استعمالا خاصا . ان هذه السلعة لها خاصية خلق قيمة اكبر مما تستهلك من قيمة ، وهنا يقع الحدث الخطير فى مجرى الانتاج الرأسمالى : هنا يتم خلق فائض القيمة من خلال استعمال سلعة قوة العمل .

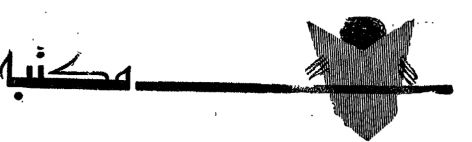
وهكذا يتحقق الاستغلال الرأسمالى من خلال حقيقة بسيطة هى كون العامل قادرا على خلق قوة عمله وعلى تجديدها وعلى العمل مدة اطول مما تسمح قوته فعلا . ولذلك تعتبر قوة العمل سلعة ممتدة ، تجعل الرأسمالى يطيل ساعات العمل او يزيد من حدة وكثافة العمل ، ليحصل على انتاج اكبر ــ بنفس الاجر . والفرق بين ما يحصل عليه العامل من اجر وما انتجه من قيمة هو فائض القيمة ، يذهب الى جيب الرأسمالى . لهذا يقول ماركس فى المجلد الاول : « ان انتاج فائض القيمة هو القانون المطلق لاسلوب الانتاج الرأسمالى » .

ذلك هو جوهر اسلوب الانتاج الرأسمالى ، وهو ما يكشف عنه « رأس المال » على ضوء المنهج الذى عرف باسم المادية الجدلية . فلم يكن من المستطاع التوصل الى قانون حركة المجتمع الرأسمالى ، بغير المنهج المادى الجدلى ، منهج المادية المتسقة مع نفسها ، منهج الجدلية النقدية ، المنهج الذى يدرس الظاهرة كحقيقة موضوعية مستقلة عن وعينا وارادتنا ، فى اكتمالها ، فى حركتها ، فى تناقضاتها ، فى تطورها ، فى صيرورتها ، ولهذا يقول لينين : « لا يمكن فهم (رأس المال) لكارل ماركس ، ولا يمكن بصفة خاصة فهم الفصل الاول من (رأس المال) بدون دراسة وفهم كل منطق هيجل » . وانما يجب القول ايضا بأن ماركس لم يتقدم بعرض منظم لمنهجه فى المادية الجدلية ، مثلما فعل غيره من الفلاسفة ، ومع ذلك ، يجب القول ايضا مع لينين بأنه اذا كان ماركس لم يترك من بعده كتابا فى المنطق ، فلقد ترك لنا منطق « رأس المال » .

فهنا فى « رأس المال » تحقق البروليتاريا طموح الفلسفة ، وعلى حد تعبير ماركس نفسه فانه « كما ان الفلسفة تجد فى البروليتاريا اسلحتها المادية ، فان البروليتاريا تجد فى الفلسفة اسلحتها الفكرية .. ان الفلسفة لا تتحقق بغير الغاء البروليتاريا ، كما ان البروليتاريا لا يمكن ان تلغى بغير تحقيق الفلسفة او تجسيدها » .

لقد كشف لنا ماركس فى « رأس المال » عن حقيقة اسلوب الانتاج الرأسمالى ، من اجل اعادة صنعه عن طريق الثورة ، ففى الاقتصاد الرأسمالى ، ما زالت عملية الانتاج تسيطر على المنتجين انفسهم . ما زالت الضرورة الموضوعية ترتدى ثياب الضرورة الطبيعية ، ومن ثم تحمل الطبيعة معنى تناقضات المجتمع ، فى ظل الرأسمالية ما زال الانسان ناقصا ، غريبا عن نفسه ، ولقد اراد ماركس فى كل اعماله ان يجعل من الانسان انسانا ، اى كاملا ، متحدا مع نفسه ــ خلاقا ، وقد عبر ماكسيم جوركى عن هذا الامل فى عبارة انسانية رقيقة ، حينما اوجز امله فى مجتمع « يصبح فيه علم الجمال هو علم الاخلاق » .

ولقد كانت تلك ، وما تزال ، غاية ماركس فى « رأس المال » .



■ العلـــم والحضـــــــارة
● تاليف : د. عبد العظيم انيس
● عرض ونقد : سعــد زهران

■ من المجـلات الفـكرية العالمية
● « المجلة المجــرية الجــديدة »
من المذهب الانساني الى الاغتراب

العــلم والحضـــــارة

● تاليف : د. عبد العظيم انيس

● عرض ونقد : سعــد زهران

عنوان

« **العلم والحضارة** » ، عنوان يعد بالكثير ، وبخاصة اذا تناوله رجل مشتغل بالعلم والكتابة ، متعدد الاهتمامات ، شامل النظرة مثل المؤلف ، « **الدكتور عبد العظيم انيس** » .

وفي مقدمة الكتاب ، كما في الصفحات العشرة الاولى ، يسوف المؤلف المنهج الذى التزمه ونطاق العمل وحدوده . يقول : « **ان دراسة المنجزات العلمية وحدها معزولة عن بقيــة العناصر المادية والفلسفية التى تؤثر في المجتمع وتتاثر به ، انما هى دراسة قاصرة لم تعد مقبوله اليــوم بعد هــذا التطور الكبير الذى اجتازته مناهج البحث وطرقه حتى كادت تستقر على اهمية الدراســة القائمة على الترابط بين العوامل المادية والفكرية المختلفة التى تتفاعل مع بعضها البعض وتشكل الظواهر** » . (ص ٥) ويعود الى نفس المعنى مرات عــديدة بشكل اكثر تحديدا احيانا : « لا سبيل لفهم تاريخ العلم القديم دون ان يوضع هذا العلم في ظل اطار اجتماعى واقتصادى معين .. اطار يحدد الحياة الاجتماعيــة والات الانتــاج ومصـــادر الغــذاء الاساسية والانقســام الطبقى في المجتمع والقيادات الفكرية السائدة فيه » . (ص ٧)

المنهج واضح اذن . وهو منهج مفيد يساعد على ربط تاريخ العلم والحضارة في نسيج مترابط ، ويعطى لجهود العلماء ابعادها الاجتماعيــة التى كثيرا ما يغفلها الباحثون في تاريخ العلم . ولا يعيب الكاتب الا انه احيانا يلح في تطبيق منهج المادية التاريخية هذا في مواضــع لا تحتمــل الالحاح ، ويستطرد الى نتائج متعجلة احيانا دون ان يورد مرجعا يعتمد على حكمه ، او يسوق حججا مقنعة يدعم بها ما يصل اليه من نتائج .

ومن امثلة ذلك ما ورد في صفحة ٩٢ ، حيث يقول : « **قاوم الكهنة فكرة توحيد الالهة التى كان من شانها توحيد المعابد في هيئة مركزية واحدة . وفيما يتعلق بمصر لا يعرف التاريخ سوى محاولة واحدة في هــذا الاتجاه هى المعروفة باسم ثورة اخناتون الدينية والتى كانت في الحقيقة تعبر عن اتجاه ارباب الصناعات والتجار ضد الاقطاعيــة الزراعية الممثلة في الكهنة** » . (؟!) .

اما عن نطاق العمل وحدوده ، فان الــكاتب يقول في المقدمة : « كنت دائما تواقا الى دراسة التراث العلمى العربى ، وجمع كل ما يقع تحت يدى منه من كتب او مخطوطات باملى ان انشر يوما من الايام كتابا قيما عن هذا الموضوع ...

(ولكن) المضي في الدراسة والبحث اقنعني بضرورة الرجوع الى الحضارة اليونانية ، اذ ان كبار العلماء من العرب كانوا على علم واسع بالانجازات اليونانية في العلوم والفلسفة ، ولذا فان من المستحيل ان نفهمهم جيدا دون ان نفهم ونقيم منجزات هذه الحضارة ولو على سبيل الاجمالي »

ويستطرد : « وعندما بدات دراستي للحضارة اليونانية ، وجدت نفسي مندفعا رغم انفي الى حضارة الوديان الثلاثة القديمة (النيل والفرات والسند) لنفهم دين الحضارة اليونانية لهذه الحضارات الثلاث . وهكذا بدا الموضوع بالتراث العربي فوجدتني مؤقتا غارقا في دراسة حضارات سابقة على هذا التراث كمقدمة ضرورية لدراسته وتقييمه » .

وهذا التحديد ايضا مفيد ، ويساعد القارئ على تبين ان الفكر الانساني نهر متصل التدفق ، تصب فيه روافد من جهود كل الامم والحضارات ، ويخلق وجدانا انسانيا عالميا في مواجهة بعض الاتجاهات الاوروبية التي تحاول « **تصوير الفكر اليوناني القديم باعتباره ثورة اصيلة لا صلة لها بما قبلها من ناحية العلم والتكنيك ولا من ناحية الفلسفة . وتلك اكذوبة كبيرة تنفيها الدراسة المنصفة لتاريخ هذه المرحلة** » . (ص ٢٥)

ولا يعيب هذا التحديد سوى ان الكاتب خرج عليه على النحو الاتي :

١ ـ انه بينما وضع اسم الهند ضمن حضارة الوديان الثلاثة في عنوان القسم الاول من الكتاب ، فان هذا القسم ، وهو حوالى نصف الكتاب ، يكاد ان يخلو تماما من اى شيء عن الهند اللهم الا الاشارة الى دور الهنود الاوائل في اكتشاف الصفر ، واثر ذلك في تطور علم الحساب . ولا شك انه كان من الانسب استبعاد الهند من العنوان ، او اعطاء الهند قدرا اوفى من العناية في البحث ذاته .

٢ ـ ان الكاتب فتح موضوعا كاملا للبحث تحت عنوان « هل كان ثمة علم قبل الحضارة » ؟ (ص ٢٧ ـ ٣٢) ، وانه استطرد فيه استطرادا يبدو واعدا لاول وهلة ، ولكن الموضوع لا يلبث ان يبتسر ويتوقف . والحق ان موضوع العلم قبل الحضارة موضوع كامل ، وموضع بحوث ودراسات عديدة ومستقلة . وكان من الانسب اما ان يتجنب الكاتب الخوض فيه على هذا النحو المبتسر ، او ان يفرد له قسما مستقلا ويعالجه علاجا شافيا ، مع اعطاء اهتمام اكبر لتعريف العلم ونشاته في المجتمعات والحضارات الاولى ، وارتباط هذا بتقسيم العمل الاجتماعي في فترات انتقال الانسان من الوحشية الى الحضارة . وفي هذا الصدد ، فان الرجوع الى علماء الانثروبولوجي (**مثل فريزر ومالينوفسكى**) يكون اكثر فائدة من الاقتصار على ما كتبه **فارنجتون وهالدين** ...

٣ ـ في الكتاب فصل كامل تحت عنوان « الدين والحضارة والعلم » (ص ٨٣ ـ ٨٥) . وفي الصفحة الاولى من هذا الفصل يقول الكاتب « **لما كان السحر في منشئه محاولة من الانسان لتطويع الطبيعة وتفسيرها باساليب وهمية ، وكان العلم في منشئه له نفس الاتجاه وان قام على اسس مادية ، كان من الطبيعي ان توجد اوجه شبه وتداخل بين العلم والسحر** » .

ويستطرد : « ولما كان الدين في تلك المرحلة هو التطور الطبيعي للسحر ، لا يكون غريبا ان نتعرض للسحر في بحثنا هذا ... » ويستطرد الكاتب بعد ذلك في الحديث عن السحر الى ان ينتقل (ص ٨٦ ـ ٨٧) الى الحديث عن انفصال الدين عن السحر ، ثم يتفرع الى موضوعين جديدين هما « الدين وتوحيد الالهة في الحضارة القديمة » ، ثم « الاخلاق والاديان البدائية » .

وهكذا يبدأ الفصل وينتهي دون كلام عن علاقة العلم بالسحر وتطوره ونشاة الاديان ... الخ . كل ذلك على الرغم من وجود كلمة العلم في عنوان الفصل ، وعلى الرغم مما توحي به تلك الفقرة في صفحته الاولى . وباختصار ، فان هذا الفصل يكاد ان يكون خارجا خروجا تاما عن موضوع البحث ، او هو الاقل منبت الصلة تماما بموضوع « العلم » .

ننتقل بعد ذلك الى تناول القسم الاول من الكتاب ، الخاص « بحضارة الوديان الثلاثة » .

اذا استبعدنا الهند التي لم يتحدث عنها الكاتب الا في اشارات عابرة ، فان هذا القسم يتناول حضارة وعلوم كل من مصر وما بين النهرين ، ويتعرض احيانا لمقارنات بين منجزات كل منهما . ونبادر هنا الى ملاحظة ان الكاتب شديد التأثر في هذا القسم بازاء جوردون تشايلد . ولا عجب . « **فجوردون تشايلد** » يعد من اقدر الباحثين الذين حاولوا ان يتوصلوا الى تفسيرات مقنعة لمحاولات الجماعات البشرية في بنائها للحضارات الاولى . وهو يربط في براعة بين الاسس المادية للمجتمعات البدائية وبين هياكلها وابنيتها العلوية الفكرية والسياسية . وهو عالم جمع بين العمل الميداني والبحث الاكاديمي الدءوب . غير ان جوردون تشايلد ، على الرغم من كل ذلك ، كان محدد النظرة بمجال تخصصه ، وهو حضارة ما بين النهرين . وظهر اثر ذلك بصفة خاصة في

التعميم غير الدقيق للجدول الزمني لمراحل الحضارة القديمة . صحيح ان الكاتب اخذ بالاحوط حين قال ان « **ثمة صعوبات عديدة تتعلق بتاريخ كل مرحلة من مراحل الحضارة القديمة والفترة التي عاشتها كل حضارة في قطر معين وقلما يتفق المؤرخون في ذلك** » . (ص ١١) واستطرد قائلا انه سيتبع « الاطار الذى قدمه تشايلد والتزم به برنال » . ولكن في رايي ان الالتزام بهذا الاطار العام لا داعي له طالما ان موضوع هذا القسم يكاد ينحصر في مقارنة بين حضارة مصر وحضارة ما بين النهرين . عندئذ كان من الاوفق ان يورد الكاتب الحدود الزمنية للمراحل الحضارية في كل من مصر وما بين النهرين . ذلك ان الحدود التي التزم بها بالنسبة لكل من العصر الحجرى الحديث (٥٠٠٠ ق.م الى ٣٠٠٠ ق.م) والعصر البرونزى من (٣٠٠٠ ق.م الى ١٢٠٠ ق.م) ـ هذه الحدود لا تتفق مع الاحداث التاريخية التي اوردها الكاتب عن الحضارة المصرية القديمة ، فهذه العصور بدأت في مصر قبل التواريخ الواردة في هذا التقدير بوقت طويل . (انظر ما كتبه عن تحول مينا لمجرى النيل الذى تم في اوائل الالف الخامس ق.م (ص ٢٨) . وكان من الاوفق الرجوع هنا الى دريوتون او غيره من الباحثين في تاريخ مصر القديمة عند التحديد الزمني لهذه العصور .

وظهر تأثير تشايلد ، غير المنصف لمنجزات الحضارة المصرية القديمة ، في مواضع عديدة ، تتمثل احيانا في ترجيح تقدم البابليين على المصريين القدماء في بعض فروع العلم مثل الحساب (ص ٤٥) ، او في القول بتوصل المصريين القدماء الى بعض مكتشفاتهم العلمية في تاريخ متأخر عما يجمع عليه الثقاة في التاريخ المصرى القديم . ومن امثلة ذلك القول بأن المصريين توصلوا الى التقويم الشمسي في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد ، بينما يذهب الثقاة في التاريخ المصرى القديم (منذ دريوتون) الى ان الاكتشاف تم في القرن الثالث والاربعين قبل الميلاد ، وحوالي عام ٤٢٤٥ على وجه التحديد .

كذلك ، هناك التردد الواضح في اعتبار المنجزات التكنيكية اساسا لمنجزات في الجانب العلمي (في الفصل المنشور تحت عنوان تكنيك الحضارة) . ولا يوجد سبب واضح لذلك سوى عدم توفر الوثائق المكتوبة التي تسجل الجانب العلمي . يتضح هذا في الفصل بين التحنيط (كتكنيك) والطب الباطني (كعلم) ، ويترتب على ذلك اعتبار ان علم الطب عند المصريين القدماء لم يحرز تقدما ملحوظا !

والحق ان تحيز تشايلد لحضارة ما بين النهرين امر مألوف في دوائر الباحثين في الحضارات القديمة ، حيث غالبا ما يميل الباحث الى انصاف الحضارة التي يعرف عنها اكثر مما يعرف عن غيرها . ولكن واجب الباحث الذى يعقد المقارنات ان يأخذ هذا النزوع في الاعتبار ، والا يعتمد في مصادره على جانب أكثر من جانب اخر .

واذا انتقلنا الى القسم الثاني من الكتاب ، وهو الذى يتناول العلم والحضارة اليونانية ، فان البحث يستوى ويتخذ مسارا اكثر وضوحا وترتيبا . ذلك ان هذا موضوع تتوفر عنه المراجع الكافية الموحدة الاتجاه الى حد كبير . غير ان الربط بين الحضارة اليونانية والحضارات القديمة ما تزال خطوطه غير كافية وغير مقنعة . ولو ان الكاتب عنى بذكر شيء من حضارة كريت المندثرة ، وحضارة الفينيقيين ، لامكنه ان يسد نقصا ملحوظا في هذا الباب . فالثابت ان المصريين القدماء كانوا على صلة بحضارة كريت ، وكان اثرهم فيها واضحا . كذلك كانت فينيقيا على صلة بحضارات الشرق القديم ، في كل من وادى النيل وما بين النهرين . ولا شك ان اسلاف الاغريق تأثروا تأثرا مباشرا بالفينيقيين الذين سبقوهم الى احتراف التجارة واقامة المستعمرات فيما وراء البحار . وفي اعتقادنا ان مؤلفات فارنجتون وبرنال تعد قديمة نوعا ، وان البحوث الحديثة يمكن ان تقدم مادة مفيدة تسد النقص في هذا المجال .

والملاحظ في هذا القسم ، كما في الكتاب عموما ، ان هناك اهتماما كبيرا بالرياضيات ، بينما الاهتمام بعلم السياسة وغيره من العلوم الانسانية عند اليونان ضئيل للغاية ، باستثناء حديث لابد منه عن الفلسفة ، بل أن الكاتب يكاد يعتذر عن الاستطراد في الحديث عن اتجاه افلاطون للعلوم الانسانية ، وذلك حين يستهل كلامه تحت عنوان « افلاطون وروح الفرد » بقوله : « **لماذا نعنى بافلاطون في بحث من هذا النوع عن العلم ؟** » (ص ٢٠١)

اما عن اطلاق صفة الرجعية على مثلث « سقراط ـ افلاطون ـ ارسطو » ، فلنا في ذلك كلمة تختلف فيها مع الكاتب . ولنأخذ ارسطو على وجه التحديد . جاء في صفحة ٢١٢ : « **اذا كان ارسطو غير مشغول باصلاح الاوضاع في اليونان ، لم يكن امامه الا محاولة تحقيق اكبر نفع من هذه الاوضاع كما هي** » . ونحن نتفق على تشخيص ارسطو على هذا النحو ، غير ان هذا التشخيص يفضي الى نتيجة ان ارسطو كان محافظا ولم يكن رجعيا ، وفي رأينا ان ثمة فارقا واضحا بين المحافظ والرجعي . وفي اعتقادنا ان صفة الرجعية تنطبق على اولئك الذين تشبثوا بالتراث الارسطي وحاولوا تجميد الفكر البشرى عنده بعد زمانه

بألفى عام ، دون أن تنطبق هذه الصفة على ارسطو نفسه . ذلك ان ارسطو لم يظهر فى زمان جاد فيه المجتمع اليونانى بمفكرين تقدميين قادرين ، تصدى ارسطو لتدمير جهودهم ، ومن ثم يمكن أن يوصف بالرجعية . كذلك فان **«محاولة تحقيق اكبر نفع ممكن من الاوضاع كما هى »** هو موقف ايجابى ، وان يكن موقفا محافظا . اما زبانية محاكم التفتيش الذين حاكموا جيوردانوبرونو وجاليلى جاليليو فأمرهم جد مختلف، ولعل كراهية الباحثين التقدميين المحدثين لمسوخ محاكم التفتيش الذين تشبثوا بأرسطو بعد أن تجاوزه الزمن بألفى عام ، لعل هذا هو الذى دفعهم لاطلاق صفة الرجعية على ارسطو حيث لا مكان لذلك .

والحق انه كلما ظهر مفكر شامل القدرة والنفوذ ، فان المشتغلين بالاعمال الفكرية بعده من تلامذته يظلون يدورون فى حلقة الحفاظ والشراح والمفسرين ، الى أن يجود الزمان (او ان شئنا الدقة ـ الى ان تجود الضرورة الاجتماعية والعبقرية الفردية) بمفكر جديد يستجيب لضرورات عصره وينجح فى التعبير عنها . وذلك هو المفكر التقدمى الذى تكون اخطر مهمة تجابهه هى انتقاد الاستاذ الاكبر وتجاوزه ، او مناقضته ، وعندئذ ينتقل جمهور الحفاظ والشراح والمفسرين الى جمهور رجعى ، وقد يبرز منهم زعيم يمكن أن نخلع عليه صفة المفكر أو الفيلسوف الرجعى .

وعلى اية حال فالخلاف بيننا وبين الكاتب هنا هو خلاف فى المنهج ، وربما يمكن اختزاله الى خلاف حول التعريفات الاساسية .

ولا يسعنا فى النهاية الا ان نحيى هذا الجهد الكبير الذى قدمه الدكتور عبد العظيم انيس اضافة الى المكتبة العربية . وسنظل ننتظر العمل الكبير الذى وعد به المؤلف فى مستهل كتابه .



من المذهب الانسانى الى الاغتراب

● « المجلة المجرية الجديدة »

تحت عنوان **«اى مذهب انسانى»** كتب **موريس لامبيلوت** يقول عن أثر العلم الحديث والثورة التكنولوجية على المذهب الانسانى Humanism ومفهوماته . ويسخر كاتب المقال من « **التقسيم الجغرافى للانسانية والثقافى الى شرق وغرب، فنحن نعيش على كوكب واحد تربطه خطوط الطيران وتسبح من حوله الاقمار الصناعية وتحيط به شبكة من الموجات التى تحمل الاصوات والصور والانباء والرسائل وليس عبثا الاعتقاد بانه سوف يأتى اليوم الذى تتحول فيه وحدة كوكبنا الى وحدة سياسية وحضارية .. وحدة انسانية من خلال التنوع والتباين** . والمذهب الانسانى يعنى محاولة الانسان او بالاحرى محاولة القلة من الناس الاكثر وعيا وتعلما والابعد نظرا للوعى بكل ما يمكن ان يساعد التقدم الانسانى على المستوى الفردى والجماعى ، ومن المستحيل اليوم اكثر من أى وقت مضى أن تفصل بين البعد الفردى والبعد الجماعى فى الانسان » .

ووراء التباين فى اللغات والثقافات والتراث يقف العلم الحديث كعامل جوهرى لبناء وحدة الانسانية الحضارية التى تعد بحق أرقى شكل لمفهوم انسانية المستقبل ، فالبحث العلمى الحديث بما يفرضه من متطلبات ومفاهيم وأهداف يوحد بين البشر وفى كلمة يعطى العلم للناس لغة مشتركة .

لقد بليت كلمة « **انسانية** » من كثرة استعمالها وتداولها ولكن الحاجة ما زالت ماسة الى مساعدة الناس على ايجاد قواعد لسلوك افضل والى أن يشعر الانسان بمسئوليته كانسان وهذا يقتضى أن تتفتح اعين الناس على واقعهم وحقائق العصر الذى يعيشون فيه .

ان عصرنا عصر التطور المذهل بسرعة ، ولقد اصبح الانسان « نصف اله » بفضل عبقريته العلمية والتكنيكية وفى المجتمع الصناعى المتقدم تتزايد سيطرة الانسان على قوى الطبيعة وتنمو كل يوم وطالما اننا الى حد ما انعكاس للظروف التى نعيش فيها فلابد ان نلائم ونكيف أنفسنا بما يتفق وما لنا من سيطرة على قوى الطبيعة حتى لاتغلبنا او ان نتحول الى قوى عمياء على غرارها .

لقد اصبحت للانسان سيطرة واسعة على عوامل الطبيعة ولكنه دفع الثمن فقد كان إكتشاف الطاقة الذرية بكل ما يحمله من احتمالات مشرقة للمستقبل

فى صورة قنابل ذرية واسلحة نووية يكفى المخزون منها اليوم لتدمير البشرية عشرين مرة وكانت مذبحة هيروشيما لازمة لبيان قوتها التدميرية الرهيبة .

ومن مفارقات عصرنا أن يتحول ميزان الرعب النووى الى تعايش سلمى ، لقد ادركت الدول الكبرى انه لا يمكن لاى ايديولوجية أن تنتصر بعد الانتحار الجماعى لكوكبنا بأسره ، غير أن الاخطار لا زالت قائمة وجسيمة والطريق لا يزال طويلا أمام نزع السلاح بصورة فعالة .

والى جانب اكتشاف الذرة وجد علم جديد هو الالكترونيات الذى ترجم على الفور الى تطبيقات عملية أهمها العقول الالكترونية والالات الحاسبة الالكترونية التى وضعت عالمنا بالفعل على أبواب ثورة تكنولوجية جديدة هى ما اصطلح على تسميته بالثورة الصناعية الثانية .

واصبحت العقول الالكترونية تستخدم فى معظم فروع الصناعة وفى عمليات التخطيط والمحاسبة . وتسيطر الالكترونيات على المواصلات البعيدة Telecomunications وتستخدم فى ارسال الصور والرسائل .

وعلم الالكترونيات يعنى أيضا الاتوميشن واختراع الانسان الالى القادر على القيام بعمليات معقدة لا يستطيع القيام بها انسان بمفرده .

وسوف تؤدى هذه الثورة التكنيكية الى تخفيض ساعات العمل وتنشأ مشكلة الفراغ . ويرى كاتب المقال وراء حضارة الفراغ Leisure Civilisation شبح الملل القاتل وصعوبة التكيف الاجتماعى للانسان الحديث وينبه الاذهان الى ضرورة البحث عن الحلول والاجابات الصحيحة لمشاكل الحضارة الالية الحديثة لانقاذ الانسان من الملل والضيق والتفاهة الجماعية والفراغ الرهيب .

ويرى كاتب المقال ان الانسانية كمذهب ينبغى أن تكون خط الدفاع الاول لحماية كل ما هو انسانى فينا ، والانسانية التى يدعو لها ليست مذهبية جامدة أنها انسانية متفتحة قوامها الوعى بأن الاخرين الذين يشبهوننا لهم آراؤهم التى تختلف عن آرائنا وهذا يتطلب أول ما يتطلب الحوار المفتوح .

ولقد اثبت الحوار فائدته بتعميق الفهم المتبادل فى تخفيف حدة التوتر الدولى وتدعيم التنافس السلمى بين الشرق والغرب .

وتحت عنوان ((**الاتوميشن والاستلاب والاشتراكية**)) كتب **امرى فاجدا** ((ان استلاب الانسان المعاصر)) اى فقدانه السيطرة على ما ينتجه من قيم مادية وفكرية وخضوعه لما تصنعه عبقريته الجهنمية هو احد الظواهر المميزة لعصرنا عصر التقدم العلمى والتكنولوجى العاصف .

فما هى علاقة الثورة العلمية والتكنولوجية باستلاب الانسان الحديث واغترابه ؟ وما هى التغيرات التى طرأت على أحوال الطبقة العاملة فى عصر الصناعة الاتوماتيكية ؟ وهل قضت الاشتراكية حقا على اغتراب الانسان ؟ هذه هى الاسئلة التى يطرحها المقال ويحاول الاجابة عليها .

لقد نجح الانسان فى تحطيم الذرة ، وابتكر تكنيك الاتوميشن وفتح بهذا آفاقا لا حد لها لتقدمه وانطلاقه ، وقد تحقق هذه الاكتشافات للانسان الجنة على الارض ، غير أنها فى ظروف اجتماعية معينة قد تهدد الجنس البشرى كله بالتدمير والفناء وهذا نموذج كلاسيكى لاستلاب الانسان الحديث . وتنعكس مشكلة الاغتراب بوضوح فى الفكر الفلسفى المعاصر فى كتابات **جين فوراستييه** أحد رواد فلسفة العصر الصناعى الجديد ، وفى مؤلفات **آدام شاف** الفيلسوف البولندى المعروف . كما يعالجها الادب الحديث الذى يصور صراع الانسان المفكر مع مخلوقاته بكل ما ينطوى عليه هذا الصراع من تشنجات وملل وحيرة فكرية وهذا ما تعبر عنه فى صدق وصفاء كتابات ارنست فيشر .

لقد ترتب على تطبيق الاتوميشن فى البلاد الرأسمالية الصناعية المتقدمة الاستغناء عن كثير من المهنيين ذوى التخصصات العالية ، الذين أصبحت معرفتهم العميقة وخبرتهم المتخصصة الضيقة لا لزوم لها وتفشت البطالة فى صفوف العمال غير المهرة وعمال المصانع التى افلست نتيجة لمنافسة المشروعات الاتوماتيكية الحديثة .

وينبه كاتب المقال الى ان المجر وغيرها من البلاد الاشتراكية قد تواجه مشاكل مماثلة مع تقدم الصناعة على طريق الاتوميشن .

ويشير المقال الى حقيقتين متعلقتين بالوضع الراهن للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية الصناعية المتقدمة ، الحقيقة الاولى : أنه لم تحدث خلال العشرين سنة الماضية أزمة اقتصادية عنيفة تزلزل اركان النظام الرأسمالى كأزمة العشرينات والثلاثينات واحتمال حدوثها يمكن استبعاده فى الوقت الحاضر .

والحقيقة الثانية انه أصبح للطبقة العاملة وزن اكبر فى تقرير مستقبلها وخاصة فيما يتعلق بالاجور وساعات العمل وذلك بحكم نمو وعيها وتنظيمها وتزايد وزنها فى الانتاج ومن ثم تزايد اهميتها السياسية كقوة جماهيرية ، ولكن هذا القول لا يصدق بالنسبة لقضايا الحرية والسلام وقضايا السياسة الدولية والمؤامرات السياسية التى تديرها الاحتكارات الرأسمالية التى لا يمكن احباطها الا ((بالبديل الديموقراطى)) اى ((بالحل الاشتراكى)) .

ثم يتناول المقال بالتحليل أثر تدخل الدولة فى الاقتصاد وفى علاقات القوى الطبقية ويبين كيف أن تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ونمو رأسمالية الدولة الاحتكارية لم يضعف مواقع الطبقة العاملة فى الصراع الطبقى وانما نقل الصراع الى مستوى ارقى يتطلب صياغة جديدة لاستراتيجية وتكتيك النضال من أجل الاشتراكية . ان رأسمالية الدولة الاحتكارية فى البلدان الصناعية المتقدمة تهيىء موضوعيا الظروف المواتية للانتقال الى الاشتراكية .

ومن ناحية أخرى يدل التحليل العلمي للتغيرات الاجتماعية الناجمة عن الثورة التكنولوجية على أن بعض التوترات والتناقضات الاجتماعية لاترجع الى علاقات الملكية وانما الى تطبيق تكنيك الاتوميشن فى الانتاج والادارة .

ولعل أبرز النتائج المترتبة على تطبيق التكنيك الحديث : تغير التركيب الاجتماعى للطبقة العاملة ودورها فى عملية الانتاج وتطور التأهيل المهنى للعمال وزوال الفوارق التقليدية بين العمل اليدوى والعمل الذهنى،وتكوين ارستقراطية جديدة للطبقة العاملة من ناحية ونشأة فئة اجتماعية دون الطبقة العاملة من العمال الاجانب وخاصة الملونين من ناحيةأخرى.وتختفى كل هذه الظواهر وراء ارتفاع مستوى المعيشة بصورة ملحوظة،وينمو الاستهلاك والانتاجية،غير ان نمو الانتاج الصناعى والزراعى فى البلاد الرأسمالية لم يصاحبه توسع فى العمالة وفى الوقت نفسه زاد الارهاق الذهنى والتوتر العصبى الذى يتطلبه التكنيك الجديد من العمال .

وليس من شك فى أن اشتداد الطلب على العمل فى (القطاع الثالث) « قطاع الخدمات والتجارة » هو ظاهرة عابرة لا تلبث أن تتضاءل اذ أن الميكنة والاتوميشن قد دخلا هذا القطاع بعد تطبيقهما فى الصناعة بوقت طويل ، ولهذا فلن يحل تدفق قوة العمل البشرى من القطاعات الانتاجية الى قطاع الخدمات مشكلة البطالة التكنولوجية . ومن ناحية أخرى عجز المجتمع الرأسمالى الحديث عن مشكلات السوق الناجمة عنارتفاع الانتاجية واتخام السوق بالمنتجات ولم تفلح الحملات الاعلانية المحمومة أو التدمير البربرى للموارد الانتاجية فى حل مشكلة السوق الرأسمالى .

ويحلل المقال ظاهرة التقدم التكنولوجى غير المتكافىء فى عالم اليوم وفى ظروف الثورة الصناعية الثانية واثر ذلك على نمو البلدان الحديثة الناشئة وعلى مستوى الاجور فيها وفى البلاد الصناعية المتقدمة ذاتها — ويبين كيف تعطى التكنولوجيا الحديثة للبلدان الرأسمالية الصناعية المتقدمة مركزا احتكاريا ، وأن عمال تلك البلاد يشاركون الرأسماليين ولو بنصيب تافه فى الارباح الفائقة ، التى لا ترجع الى ارتفاع فى الانتاجية أو النشاط النقابى وحدهما وانما أيضا الى الريع الفرقى الناشىء عن احتكار التفوق التكنولوجى وهذه الظاهرة نلمسها بوضوح فى الولايات المتحدة فى ضآلة دور الطبقةالعاملةالامريكية وضعف تأثيرها فى السياسة الدولية وفى مجال التضامن العالمى للعمال .

ويرى كاتب المقال ان « البديل الديموقراطى » اى الحل الاشتراكى هو السبيل الوحيد لحل هذه التناقضات وهو حل حتمى .

● الاستلاب فى المجتمع الاشتراكى

وينبه المقال الى انه لا بد وأن تؤخذ نتائج الثوره العلمية والتكنولوجية بعين الاعتبار فى ظل علاقات الملكية الاجتماعية خاصة،وانه لم يتم بعد التغلب على التناقضات والمشاكل الناشئة عن التصنيع فى البلاد الاشتراكية ، ففى المجر مثلا استمر العمل تحت تأثير وهم أن الملكية الاجتماعية وحدها وفى حد ذاتها سوف تضمن للانسان العامل تطورا متحررا من الاستلاب الذى ترجع جذوره الى علاقات الملكية الرأسمالية وحدها والى التناقض التاريخى بين العمل ورأس المال والى تقسيم العمل فى ظل الرأسمالية . ان تجربة الشعب المجرى جعلت من ظاهرة الاستلاب بؤرة اهتمام علماء الاجتماع .. حيث لا يزال المجتمع المجرى فى مرحلة التصنيع اى فى مرحلة منخفضة نسبيا من التطور الاقتصادى فهو لايزال بعيدا عن الثورةالعلمية بالمعنى الدقيق.

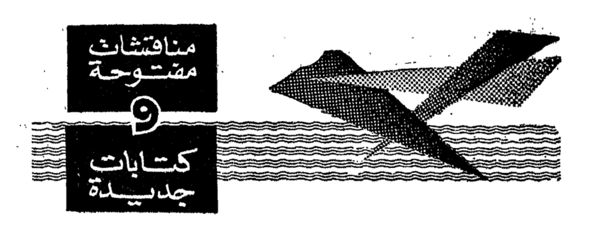
ويعبر كاتب المقال عن اتفاقه فى الراى مع البروفيسور **فرنسوا بيرو** الذى يرى أن الرأسمالية ليست المصدر الوحيد للاستلاب،فالصناعة والسلطة السياسية تعد ايضا مصدرا لاستلاب الانسان ومن ثم فلا تكفى تصفية النظام الرأسمالى للقضاء على ظاهرة الاستلاب ومهما يكن من شىء فليست هناك وصفة سحرية لوضع حد لاغتراب الانسان .

ويرى كاتب المقال ان البيروقراطية تشكل الاساس الموضوعى لظاهرة الاستلاب فى المجتمع المجرى وفى المجتمعات الاشتراكية عموما لانها تسلب الجماهير «سلطة اتخاذ القرارات» ويصبح احتكارا لها وحدها ومن هنا كان السبيل الى انهاء الاستلاب هو تصفية البيروقراطية ونقل سلطة اتخاذ القرارات الى الانسان العامل على المستوى الفردى والجماعى ولا بد وأن تعود الآلة من جديد خادما للانسان .

قد يقال أن ظاهرة الاستلاب غير قاصرة على العلاقات الاقتصادية ولكن البدء بالتصدى لها فى هذا الميدان واجراء التغيرات الاجتماعية المناسبة سوف يفتح الطريق للخلاص من الاستلاب فى الميادين الأخرى .

ان المجتمع الصناعى يولد دائما وبصورة تلقائية الاتجاهات والعلاقات البيروقراطية.غير أن النظام الاشتراكى اذا ما وعى بهذه الحقيقة فهو أقدر من النظام الرأسمالى على خلق وتنظيم القوى القادرة على تصفية البيروقراطية . أما الرأسمالية فتقف موقف العجز والاستسلام أمام ظاهرة استلاب الانسان .

والى جانب مشكلة البيروقراطية توجد مشكلة « الفراغ » الناشىء عن تخفيض ساعات العمل بصورة لم يسبق لها مثيل ، وهى مشكلة تهدد المجتمع وقيمه بالتحلل اذا ما تركت بغير حل ، والمجتمع الاشتراكى هو وحده القادر على الانتفاع بالفراغ لتطوير شخصية الانسان الفرد واثراء خبراته وتنمية مواهبه وفى ظل الاشتراكية يسهل تخطيط واعداد واعادة تأهيل القوى العاملة بما يتفق مع متطلبات الثورة الصناعية الجديدة .



كيف ؟ .. بإطلاق حركة الجماهير

سامى السلاموني

فى هذا المقال ، يبدى المواطن سامى السلامونى ، بادارة الغاز والكهرباء — رأيه فى الاجابة على « سؤال الوقت : كيف ؟ » الذى سبق ان طرحته الطليعة .

اذا كان سؤال المرحلة هو «كيف ؟» .. كيف نواجه العدوان على بلادنا ؟ .. كيف نعيد بناء كل أسس حياتنا بحيث يصبح ٥ يونيو مجرى عميقا فى تاريخنا يحمل من الدلالات والدروس ما يجعل ما بعده افضل مما قبله ؟ .. كيف نطلق ارادة التغيير الثورى الجدى والمخلص والشجاع الى اقصى طاقاتها بحيث نقلب وجه الارض فى بلادنا بكل ماتحمله فوقها من قيم وافكار وبحيث ندفع فى شرايينها مزيدا من الثورة والاشتراكية ؟ .. ان الاجابة على كل هذه الاسئلة لا يمكن ان تؤدى الا الى جواب واحد تنبع منه كل الاجابات . الجماهير .. فالجماهير هى روح الثورة ومحركها وجيشها ودماغها المفكر ويدها النشطة والخلاقة والباطشة ايضا .

ولا يمكن ان يتحقق هدف واحد من أهداف ما بعد ٥ يونيو بدون اطلاق حركة الجماهير ووضعها فى مكانها الطبيعى فى المعركة .. لان الجماهير فى النهاية هى صاحبة المصلحة

الحقيقيـــــة فى النصر .. وهى الخاسرة الحقيقية والوحيدة فى استمرار العدوان ..».

ولكن يظل هناك دائما شرطان اساسيان لابد من توافرهما لكى تؤدى حــركة الجماهير وظيفتها الفعلية والخلاقة . وهما شرطان كشفت ضرورتهما ظروف المعركة نفسها :

اولا : ان تكون الجماهير فى الصورة دائما .. وان « تعلم » دائما لماذا وكيف تتحرك ..

ثانيا : ان تقوم حركة الجماهير على المبادرة الذاتية الطليقة .. وعلى « الاقتنـــاع » بدلا من « الدفع » ..

● الجماهير اول من تعلم :

ان الحقيقة هى المحرك الاول للجماهير . من هنا فان اعلانها بكل الظروف ـ بكل مرارتها او قسوتها ـ شرط اولى واساسى لمبادرات الحركة الجماهيرية .

فتحت اى الظروف يجب الا تحجب الحقيقة من الجماهير .. واذا كان البعض يتذرعون بأن « الظروف الراهنة » لا تسمح بأن تنشر على النـاس هـذه الحقيقة او تلك .. فان الشجاعة الموضوعية يجب أن تسود .. ولقد ظلت بعض الحقـائق ـ بخيـرها وشرها ـ تحجب عن الناس حتى قبل الظروف الحاضرة وحتى بلا مبررات اطلاقا لهـذه السرية . لقد كانت بعض الاحداث تنشر على النـــاس فى سطور مقتضبة ، اولا تنشر اطلاقا ، ولا تقدم أى تفسيرات لبعض الظواهر .. وكأنها لاتهم الناس ولا تعنيهم .. وكانت التساؤلات تثور .. والتكهنات والتفسيرات تقدم من هنـا ومن هنـاك .. دون ان تتصدى جهة رسـمية واحـدة بالتدخل أو الشرح أو التفسير .. والذين تصـدوا بعد العـدوان لفلسفة « الاشاعة » و « النكتة » وتشريحهما سيكولوجيا واجتماعيا لم يحاول واحد منهم ـ ومعظمهم من الدكاترة والمتعالمين ـ أن يربط بين رواج الاشـاعة وفقـدان الحقيقـة . ان الاشـاعة هى ببساطة شديدة وبلا نظريات ـ هى البديل الموضوعى الوحيد للخبر المعلن . وعندما يفتقد المواطن الخبر فى الصحيفة او فى الاذاعة ، فانه اما ان يطلقه هو باجتهـاده الشخصى فى شـكل اشاعة ، واما ان يتلقف هـذه الاشاعة بترحاب .

ولقد عانت بلادنا طويلا من ظاهرة غريبـة ، ومغـرقة فى الشذوذ .. فكثيرا ما كان الخبر يتسرب بطريقة ما من مصـدره الفعلى الى الجماهير مبـاشرة ودون ان يمـر اليهم من خـلال اجهزة الاعلام العديدة ، وكانت هذه ظاهرة اعلامية فريدة بالنسبة لبلادنا ، فانه اذا كانت وظيفـة الاعلام فى العـالم كله هى نقل الاخبار والاراء للناس ، فقد كانت الجماهير تصل بحسهـا المرهف اللاقط الى الاخبار من مصادرها بحيث تصبح فى اليوم التالى رائجة بحيث تصبح فى اليوم التالى رائجة على السـنة النـاس جميعا ، ما عدا الصحف والراديو .

ولا احد يدرى لمصلحـة من تحجب بعض الاخبار عن الناس ؟

ولا أحد يدرى ما معنى أن تحجب بعـض الاخبـار عن الصحيفة او الراديو ، بينما هى فى الواقع على السنة كل الناس فى الشوارع وفى البيوت ؟ ..

ان التفسير الذى يمـكن ان يكون سببا هو :

اولا : عـدم الثقة بالجماهير .. والنظر اليها كمجرد قطاعات قاصرة لا تجيد تلقى الحقيقـة ولا فهمهـا ؟ ولابد بالتـالى من حجبها عنها .. او على احسن الظروف نقلها اليها فيما بعد . ولكن من خلال « فلتر » معين ، يحور فى التفاصيل ويمنحها فى النهاية شكلا اليفا وغير ضار ..

ثانيـا : الخوف من مـوقف الجماهير ازاء هذه الحقائق وهو خوف لا يبرره شىء مطلقـا فى مجتمع اشتراكى ، يقوم فى الاساس على تنظيم جماهيرى ثورى .. ويتحرك بالجماهير واليها ومن اجلها .

ان « وضـع الجمـاهير فى الصورة » هو الوضع الوحيـد المنطقى والمقبول .. لكن يمكن ان تمارس هذه الجماهير اولا سلطتها كقوة رقابة نظيفة وواعية ، ولكى تقوم ثانيا بمبادراتها التلقائيـة المفروضة والمنتظرة من جماهير ثورية .

امـا فرض الوصـاية على الجماهير فهو نظرة فوقية مترسبة من سنـوات القهر والتعـالى واسلوب العمل البيروقراطى ، لا يمكن ان تصدر من وعى ثورى .. **فلا ثورة بـلا جمـاهير .. وبالتـالى لا عمـل ثورى بدون جماهير ..**

ولا يمـكن ان نظل نطـالب الجماهير دائما بالعطاء دون أن تأخـذ دورها الطليعى . ان الجماهير سخية فى العطاء بطبعها وبحكم تاريخها النضالى ، ولكنها تحب كذلك ان تأخذ حقوقهـا الطبيعية . وهى تؤمن بثـورية النظام بقدر ما يعطيها ، مقـابل ما تقدمه . وهى تحب دائما وهى تعطى ، ان « تفهم » لماذا تعطى وان تقتنع ، وعند ذلك فانها تعطى الى اقصى الحدود .. لانها كما قلنا سخية العطاء بطبعها . ولكن العطاء بغير وضـوح الهـدف والوعى بالطريق سرعان ما يفقد الجماهير حماسهـا ، وقد تكف عنه . ولن تجـدى عنـدئذ كل الشعارات والنداءات المعلقـة على الحوائط فى « دفع » الناس الى أى مبادرة ، ما لم تكن المبادرة قائمة اساسا على « الاقتناع » لا « الدفع » ..

● بالاقناع ... لا الدفع ...

ان بعض القيادات والرئاسات الادارية — وحتى الشعبية — التى مازالت تتبنى منهجا بيروقراطيا فى التفكير والعمل تستخدم منهجا غير شعبى وغير ديمقراطى ومتعال على الجماهير وقد اتخذت الجماهير مبادرات تلقائية سليمة ومنطقية تماما فى الاساس فى كثير من القطاعات ومع ذلك استطاع هؤلاء القادة البيروقراطيون ان يحيلوا هذه المبادرات النبيلة .

— التطوع مثلا لهذا العمل او ذاك من اشكال العمل الوطنى — الى مجرد واجبات مكتبية مفروضة مثلها مثل انجاز هذا الدوسيه او ذاك .. حتى لقد فقدت هذه الاعمال مدلولها الوطنى النبيل بسبب الطريقة القاصرة والتعسفية التى يتبعها الرؤساء الاداريون — وهم فى الغالب قادة الوحدات السياسية فى نفس الوقت — فى الدعوة الى هذه الاعمال .

لقد كان بعضهم يطوف بكشوف الاسماء على موظفيه وكانه مطالب بجمع كذا « راس » منهم . وكان بعضهم يلجأ لاساليب فى الدعوة غير سياسية وغير ثورية ، بل هى اساليب ادارية فى الاساس نابعة من الخضوع الوظيفى للعاملين لهذا المدير أو ذاك ، بل لقد كادت تصدر احيانا « لائحة جزاءات للتخلف من العمل الوطنى » . وقيل كلام مشابه لهذه الصيغة بالفعل فى بعض وحدات الانتاج ...

وعلى سبيل المثال ... فقد فرضت عملية السهر ليل نهار فى وحدات الانتاج من بعض المديرين فى عملية مزايدة لتملق الرئاسات الاعلى خلال المعركة . ولكى يبدو كل مدير انشط واكثر وطنية ، وذلك بدون مامبرر حقيقى للسهر ولتشغيل وحدات الانتاج ٢٤ ساعة متصلة على ورديتين او ثلاث .. بدون انتاج فعلى على الاطلاق .. وحتى فى الوحدات المكتبية البحتة التى يدور كل عملها حول مجموعة محددة وثابتة من الاوراق لا تزيد ولا تنقص ، ولم يكن هناك فائدة حقيقية تتصل بالوطن وبالمعركة من قريب او من بعيد سوى استهلاك مزيد من الاضاءة وانهاك المرفق نفسه .

ولقد كان مألوفا طوال الشهرين الماضيين رؤية مجموعات من العاملين يقضون الليل امام مؤسساتهم وشركاتهم — فى الشارع احيانا — بالبيجامات حتى الصباح ، يتندرون على انفسهم ويتندر عليهم الناس .

ولقد قضى مدرسو وزارة التربية والتعليم الصيف كله فى مدارسهم المفتوحة يوميا ، على الفاضى ، ودون استخدام طاقاتهم المهدرة هذه استخداما حقيقيا ومجديا .

وكل هذه الاشكال المظهرية وغيرها لا تنبع من عقلية ثورية ، لانها أشكال مراهقة تماما ومنافقة من العمل الوطنى ، ولا تستهدف فى النهاية الا مصالح المديرين انفسهم ومزايداتهم على حساب المعركة من ناحية ، وعلى حساب استنزاف طاقات العاملين من ناحية اخرى !

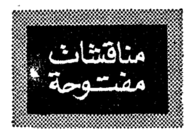
ان « ظروف المعركة » ، و « زيادة معدلات الانتاج » وهما شعاران نبيلان ، اخذا عند بعض الرئاسات شكلا تعسفيا بالنسبة للعاملين . لقد اصدروا على الفور قرارات استثنائية مستغلين مبادرة العمال انفسهم ورغبتهم المخلصة فى المشاركة . وهكذا تحولت رغبة العاملين الخالصة فى زيادة ساعات العمل الى « اوامر ادارية » بهذه الزيادة تقابلها جزاءات وخصومات .. !

ولو كانت الخسارة التى نشات عن هذه الاوامر التعسفية مجرد خسارة فى الاضاءة او انهاك المرفق ، لهان الامر . ولكن الخطير هو الاثار النفسية السلبية التى تركتها هذه الاجراءات فى نفوس العاملين التواقين فعلا للحركة والعمل .. ولكن الحركة الجادة والعمل المثمر . لقد احس هؤلاء العاملون من جراء هذه الاجراءات بان المعركة تعنى فى النهاية مزيدا من تعنت المديرين، ومزيدا من تبديد الوقت بلا جدوى، ومزيدا من الارهاق النفسى والبدنى بلا معنى ، الامر الذى يمكن ان يؤدى الى تشويه الصورة والهدف !.

ولقد كان من الواجب تنبيه هذه الرئاسات الادارية الى خطورة مبادراتهم الجوفاء هذه — التى لم ينفذوها هم انفسهم فى الغالب — وقصر العمل الوطنى على الاختيار الحر اولا ، والاقتناع الكامل ، ثم الايجابية المطلقة اولا واخيرا ، واحترام عقلية الجماهير وحريتها .

ونحن حينما نرفع شعار «زيادة معدلات الانتاج » فان هذا الانتاج يصبح واضحا تماما المقصود به، وبلادنا لا تشكو نقصا فى كمية العمل المكتبى بحيث نشغله ٢٤ ساعة على ثلاث ورديات . ان جهازنا المكتبى على العكس يشكو تضخما خطيرا بحيث لو ضغطنا وقت العمل الحكومى — حتى الى

النصف — لتخرجنا بنفس كمية العقل .. والعملية ليست مجرد محاكاة او تسابق بين المديرين . والمعركة لا تحتاج لمزيد من الاوراق وارقام الحسابات والوارد والصادر . والشعار الذى يرتفع فى المصنع لا يصلح بالضرورة للمكتب الحكومى . بل قد يكون ضرره اكثر من نفعه . وليست هناك « معدلات » للعمل الوطنى ، بحيث يمكن رفعها وخفضها .. انما الامر كله متروك الخالصة والتلقائية . والجماهير فى النهاية للمبادرات الشعبية اثبتت فى كل معاركنا انها فوق مستوى المعركة ، وانها تعرف واجبها تماما وتؤديه حتى الموت ما دام يقدم شيئا حقيقيا للوطن .



النظرية السياسية .. والوحدة الفكرية

كتب المواطن **محمد جلال الدين احمد عبد الباقى** سكرتير تنظيم لجنة شباب الواسطى — بنى سويف ، يقول :

ان التتبع الواعى لجذور النضال المصرى الممتد خلال ارضية الواقع عبر فترات زمنية بعيدة الغور ، يفرز عدة ملاحظات على مراحل هذا النضال .

اولها : أن النضال المصرى فيما قبل يوليو سنة ١٩٥٢ لم يكن يملك نظرية عمل .

وثانيها : أن النضال المصرى فيما بعد يوليو سنة ١٩٥٢ كان عليه أن يختار اما نقل نظرية عمل بكامل مواصفاتها ومحاولة زرعها بالتربة المصرية مهما تكن طبيعة التربة . واما المرور بمرحلة من الممارسة العملية يستكشف فيها ذاته داخل اطار من الشعور المتضخم بالذات فى (شرنقة نرجسية) ترفض فى تعصب كل تيار فكرى وارد ، وتصد فى عناد كل محاولة للاستفادة من خبرات الغير . واما المرور بمرحلة من الممارسة العملية المفتوحة بحيث لا تضيع الذات فتميع وبحيث لا تنعزل الذات فتصدأ .

وكان الطريق الثالث هو ما اتخذه التيار الثورى مجرى لاندفاعه وطريقا لمسيرته . واصبحت التجربة الثورية قادرة على هضم كل زاد جديد يمدها بطاقة جديدة يدفعها فى اتجاه الحركة الطبيعية والواقعية ، قادرة على هضم كل تجربة ثورية سبقت وعاشت ، لتخرجها فى النهاية وجودا ذا حظ من الاصالة والمطابقة لكل خصائص الواقع الاصيل ، وهنا جاءت « التجريبية » كأسلوب لانضاج وافراز النظرية من خلال الحركة اليومية للزحف الجماهيرى المتطلع لغده مدعمة بكل ما يحيطها من خبرات وبكل ما يوضح الرؤى ويحدد الابعاد من صدق .

جاءت التجريبية بعيدة عن « الانسلاخ » عن الواقع رافضة لمتاهات الترف والرفاهية الفكرية فحسب .

ومن خلال « التعامل » مع وخلال الواقع على كافة المستويات محليا وقوميا وعالميا تأتى التجريبية بقطبيها : العمل والفكر ، كمحورين متعامدين تأتى النظرية محصلة لهما .

ونطرح السؤال التالى : ماالنظرية ؟ وماالحاجة اليها ؟ فنقول : ان العمل الثورى فى حاجة الى فهم ما يحيط به لممارسة عمله . وكيف يتأتى له هذا الفهم الا من خلال نظرية تحلل الواقع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى . موضحة التركيب الطبقى للمجتمع ومحدداته . مبينة قواه الاجتماعية اين تلتقى واين تختلف ، ولم تلتقى ولم تختلف ونقط الالتقاء ونقط الاختلاف : محددة المواصفات العامة

للقوى صاحبة المصلحة في التغيير من عدمه. مقدرة الثقل والوزن والحجم الاجتماعي لهذه القوى . مفسرة الحركة الدافعة للتغيير وسببه ومساره . باحثة داخل النسيج الاجتماعي للعلاقات عن قيم المجتمع ومعاييره . بانية الشكل التنظيمي وابعاده الذي يجب ان تتلاقى داخله القوى. راسمة – بكل امانة – البناء الاجتماعي القائم والمنبغي ».

باختصار . تحدد النظرية « الواقع » بكل خصائصه ومؤسساته ، أرضا ، وثروة ، تاريخا ونضالا ، انسانا وقيما ، وجودا وعلاقات ، مظهرة بعلمية بالغة الدقة « الواقع كما هو » وصولا ثوريا « للواقع كما ينبغي » .

وأخيرا ، ترسم – النظرية – بواقعية – الشكل الذي يجب ان يمر به المجتمع – سلطة وثروة ومؤسسات – ليمر من مرحلة « كما هو » الى مرحلة « ما ينبغي » .

والنظرية – في النهاية – تخلق الوحدة الفكرية التي تفرز بدورها وحدة العمل . اذ يظهر الخط السياسي واضحا بوحدته الفكرية فيتبعه برنامج عمل بكل تفاصيله . وهنا تأتي قضيتنا الاساسية « الميثاق .. والحزب الطليعي » .

واذا ما كان الميثاق – كنظرية – قد عالج بموضوعية وحيدة وتفتح وسخونة قضية النكسة في عام ١٩١٩ محللا أسبابها راجعا بها الى ثالوث رهيب هو :

● اغفال القيادة – اغفالا يكاد يكون تاما – مطالب التغيير الاجتماعي .

● لم تستطع القيادة أن تلائم فيما بين أساليب نضالها وقوة المستعمر .

● لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء ... لتدرك ما يحدث وما يحيط .

واستنتاجا من هذا التحليل الميثاقي لثورة سنة ١٩١٩ ونكستها نخرج بالاتي :

ان النكسة كانت نتيجة لان طلائع النضال لم تكن « نابعة » – احساسا واملا – من الموجة الثورية بقدر ما كانت « راكبة » لها ، مفتقدة لرؤية ثورية شاملة تعبر عن واقع جماهيري أصيل . وكانت قيادات الثورة لم تتمرس بالفكر والسلوك الثوريين ، بقدرما كانت تؤمن كلاسيكيا بالمفهوم التقليدي للقيادة ، على انه « تصدر » لحركة جماهيرية وليس تعبيرا عنها .

محصلة هذا الاستنتاج البسيط ، أن نكسة ثورة ١٩١٩ قد وقعت لان القيادات لم تك طلائع حقيقية ، وثاني هذه الاستنتاجات ان الطلائع الغير حقيقية – بالتالي – لم تستطع أن تحسب بامانة القيمة والشكل الحقيقي للعدو ومن ثم نسيت او تناست أن تحسب قيمة قوتها على المستوى المحلي والقومي والعالمي .

من هذا كله ندرك أن السبب الحقيقي والاصيل والوحيد لنكسة سنة ١٩١٩ هو « الافلاس الثوري » في رصيد الطلائع الحقيقيين .

من ذلك كله ، وعلى ضوء خبرات الماضي ، نقول : ان التنظيم أو الحزب الطليعي لا بد أن يوجد بثورية وطهارة ونقاء . والحزب الطليعي – ككادر عقائدي عمالي فلاحي قومي – لا بد أن يشكل نفسه في تلك الفترة الحاسمة التي يعيشها مجتمعنا اليوم ».

فاذا كان الميثاق قد نص صراحة على ضرورة وجود جهاز سياسي يجند العناصر الصالحة ويتحسس آمال الجماهير ويبلورها ، فما هو السبب الكامن وراء الثرثرة التي لا تنتهي حول هذا الحزب الطليعي القادر على ان ينطلق خلال مرارة النكسة بكل قدرة وصلابة ؟

أرجو أن يتحول النقاش الجدلي العقيم حول « ضرورة الحزب الطليعي » الى حوار فكري ثري حول كيفية بناء هذا الجهاز وضمانات سيره ».

« الطليعة » :

انت تركز في خطابك على نقطتين جوهريتين هما : أهمية النظرية ، وأهمية الحزب الطليعي . ونحن نتفق معك تماما في أهميتهما . ولكن .. اسمح لنا أن نختلف معك في عدد من القضايا التي تضمنها خطابك ، نؤمن بأهمية مواصلة حوارك حولها .

فقولك « ان النضال المصري فيما قبل يوليو ١٩٥٢ لم يكن يملك نظرية عمل » ، يتجاهل – في رأينا – حقيقة أساسية تقتضي أمانة التاريخ الوطني .. عدم اغفالها بل وضرورة التركيز عليها . فهناك نظرة عامة لدى البعض ، مؤداها ان حركة النضال المصري قبل ثورة ١٩٥٢ لم تكن سوى ارهاصات غير مجدية . او انها – مع توفر النوايا الطيبة – لم تكن تملك مقومات حقيقية للصمود ثم الانتصار . وذلك – في تقديرنا – زعم خاطىء . وتنبع هذه النظرة – حسنة

الثية — مع أساس الخلط بين حركة الشارع في مصر — ومؤسساته وقتها — وبين حركة السلطة ومؤسساتها في ذلك الوقت.صحيح أن حركة النضال الوطني قبل ١٩٥٢ لم تكن موحدة ولم تكن تنطلق من فكر واحد . ولكن تجمعاتها — وطنية أو اشتراكية — كانت تنطلق كل منها من أساس فكرى محدد . وكانت — في مجموعها — تعرف مطالبها المحددة في الاستقلال الوطني محددة لمواقع قوى الشعب ومواقع قوى اعدائه . بل وحددت بعض أجنحتها اطار عام لبناء ما بعد الاستقلال.وتجاهل هذه الحقائق التاريخية، لا ينكر على الحركة الوطنية المصرية قبل ١٩٥٢ نضاليتها وتاريخها فحسب ، وانما ينكر — موضوعيا — على ثورة يوليو أصالتها كامتداد طبيعي ومتقدم لحركة نضالية تاريخية تمتد بجذورها الى الثورة العرابية . ومن هنا نقول أن ثورة يوليو ، ليست الا نبت شرعي لحركة النضال المصرى ضد الاستعمار وعملائه المستغلين .

اما القضية الثانية التي نختلف بشأنها ، فاسمح لنا أن نقول أنك أيها الصديق «تمجد» التجريبية وهى في رأينا فكرية غير ثورية فضلا عن تخطئتها . فنحن نزعم ان العمل الوطني بعد ثورة ١٩٥٢ كان يستند الى فكرية عامة وطنية انعكست في « فلسفة الثورة » — كاطار عام لبرنامج وطني — . ويتزاوج هذه الفكرية مع الواقع العملى ، اكتسبت خبرات صقلتها وبلورتها — مع تطور الواقع — الى الايمان بصياغة « الاشتراكية العلمية » كما حددها ميثاق العمل الوطني كأساس نظرى يسترشد به في مرحلة البناء الاشتراكي . ومن هنا نؤكد على حقيقة ذات وجهين : يفيد الاول منهما أن الممارسة العملية اذا لم تهتد بالنظرية الثورية فانها تكون بمثابة خبط في ظلام . ويفيد وجهها الاخر ، ويكمل وجهها الاول ، أن النظرية الثورية نفسها تصبح بلا فعالية ما لم ترتبط بالممارسة العملية للواقع .

وهنا نصل الى خلافنا الثالث، حيث نقول أن الميثاق نظرية .

ولا شك ان الميثاق يتضمن الكثير من المبادىء النظرية ، الا انه ايضا رأى أن يكون دليلا للعمل الثورى اى برنامج للعمل الوطني ، يحدد مهامه في مرحلة الانتقال . فبجانب الاسس النظرية العلمية الثابتة فانه يشتمل على مواقف سياسية مرحلية ، بل وقضايا متطورة متغيرة ، مثل حدود الملكية حتى عام ١٩٧٠ وغيرها من المشاكل . وهى القضايا التي سيعاد النظر فيها بعد انقضاء فترة الثماني سنوات على بدء صياغة واقرار الميثاق .

وخلافنا الرابع يكمن في قولك «والنظرية — في النهاية — تخلق الوحدة الفكرية التي تفرز بدورها وحدة العمل » . وفي رأينا انه حتى بين أعضاء حزب واحد يتبنون نظرية واحدة ، لا بد وان يختلفوا في رؤية الواقع ومتطلباته على ضوء هذه النظرية . ومن ثم نقول ، أن الممارسة العملية المشتركة والصراع الفكرى وفق مبدأ (وحدة — نقد — وحدة) في ظل قواعد الديمقراطية المركزية للحزب هي السلاح الوحيد الذي يمكن من خلق وحدة فكرية متماسكة وصلبة . وهنا لا بد من نبذ أسلوب « السلم اللامبدئى » بين مختلف الفكريات ، الذى لا يفرز في النهاية الا اشكالا قاتلة من الصراع الشخصي والشللي .

ونصل الى خلافنا الخامس . وينحصر في قولك عن ثورة ١٩١٩ «ان النكسة كانت نتيجة لان طلائع النضال لم تكن تابعة — احساسا واملا — من الموجة الثورية ، بقدر ما كانت راكبا لها » . فانت بذلك تدين قيادة ثورة ١٩١٩ تماما وهذا غير صحيح .فخطأ قيادة ثورة ١٩١٩ الاساسي يكمن في عدم تحديدها بحسم لطبيعة كل من معسكر الشعب ومعسكر أعداء الشعب.وهى تبعا لذلك — وبحكم وضعيتها الاجتماعية وفكريتها وظروفها الموضوعية — لم تدرك الابعاد الاجتماعية للثورة ولمطالب الجماهير الشعبية سند الثورة الاول . وبالتالي لم تنحاز لها كلية ، بل وظنت — خطأ — في وقت معين أن الخطر يمكن أن يواجهها من بين صفوف الجماهير . فضلا عن أنها لم تكن تدرك حقيقة أن قضية الحرية واحدة لا تتجزأ سواء داخل مصر أو خارج حدودها . بالاضافة الى رفضها مساندة الاصدقاء .

واخيرا ، فنحن نؤمن باهمية الجدل — لا الثرثرة كما تسميه — حول قضية ضرورة بناء الحزب الطليعي للاتحاد الاشتراكي ، حيث الاهمية الملحة لهذه القضية من جهة ، وحيث ان البعض يشكك في هذه الضرورة من جهة أخرى . ونحن نوافقك على أهمية أن يدور الحوار كذلك حول كيفية بناء هذا الحزب وضمانات تقدمه .

نحو كادر عقائدى

وكتب المواطن رشاد يوسف المدرب السياسى بأمانة العمال بالزقازيق ، يقول :

لقد التزم شعبنا بالميثاق كدليلا لعمله الوطنى وجعل منه — اختيارا — الاساس العقائدى لثورتنا الاشتراكية . وتمكن شعبنا المناضل بوعيه ونضاله المستمر ان يقوض نفوذ الاحتكارات الاجنبية فوق ارضه وان يهزم صرح الرجعية وان يستعيد حقوقا طال اغتصابها .

واذا اردنا لثورتنا الشعبية ان تنجح تطبيقيا فى مواجهة كل المعوقات والتحديات الداخلية والخارجية ، وان نتمكن من تصفية عدوان الاستعمار العالمى والصهيونى على ارضنا ، لا بد من اعداد جيل من الكوادر العقائدية الثورية يربط بين النظرية والتطبيق لتقود بالشعب عملية التغير الجذرى والشامل لمجتمعنا . وتمارس فى نفس الوقت عملية التطوير المستمرة للنظرية على هدى ما يسفر عنه التطبيق من نتائج ، وتعمل دون كلل على دحر العدوان الامبريالى .

فمنذ انبثاق فجر الثورة المباركة فى يوليو ١٩٥٢ ونحن نفتقر للكوادر الشعبية العقائدية التى تقود بالتنظيم الشعبى نضال امتنا ، كما نفتقر الى القيادات التنفيذية ذات الخبرة العلمية والاسلوب الثورى فى العمل والتى ادت بتقاعسها الى تعطيل مسيرتنا الشعبية وعرقلة الحلول لمشاكل الجماهير .

باختصار ان الزحف المقدس لشعبنا لم يعد اليوم فى حاجة لاهل الثقة فقط بقدر ما هو فى حاجة ايضا الى اهل الدراية والعلم الملتزم فى ظل عالم يعيش عصر الثورة التكنولوجية . كما أصبح حتميا العمل على خلق صف ثان من القيادات الثورية — العقائدية — السياسية والعسكرية والتنفيذية .

ومن هنا أصبح حتميا ان ننطلق ونخطو سريعة وجادة نحو التنقيب عن القيادات الوطنية المخلصة — وما اكثرها بين قوى الشعب — وعلى أن نتولاها بالتربية والاعداد العقائدى حتى نستطيع أن نغذى بها كلا من الجهاز العسكرى والشعبى والتنفيذى ولنضمن بها استمرار الثورة . فاذا كنا نعد العدة لازالة آثار العدوان الجاثم على ارضنا اليوم ، فان هذا لا يمنع من ان نبدا ومن الان فى اعداد هذه الكوادر وصيد النضال الوطنى واستمراره .

ولقد كان لتنظيمنا الشعبى تجربة رائدة فى اعداد هذه الكوادر السياسية رغم افتقارها للتقنين والتطوير المستمر ، وكان ثمرة هذه التجربة تخريج عدة آلاف من الدارسين السياسيين — شبابا وعمالا تخرجوا عن طريق معسكرات التدريب السياسية التى فتحتها امانة العمال والشباب وقد لعبت هذه الكوادر — رغم عدم متابعتها بجدية — دورا خطيرا فى مجال العمل الوطنى سواء فى مجالات الانتاج او الخدمات .

ان تجربة التدريب السياسى يجب أن تنطلق على أسس جديدة وبأسلوب جديد .

وضمانا لنجاح خطة التدريب على الاسس الجديدة نعرض الاتى :

١ — الاهتمام بالكيف .. لا بالكم فى عمليات التدريب السياسى .

٢ — استبعاد كل ما هو خيالى من البرنامج ومطابقة النظرية بالواقع وتوضيح الجوانب السلبية والايجابية فيها بصراحة ، وممارسة النقد والنقد الذاتى والبناء للدارسين بتوسع .

٣ — وضع برنامج عملى للتقييم داخل وخارج المعسكر ، والمتابعة المستمرة للدارس لامكان اكتشاف العناصر القيادية الحقيقية من قلب الميدان ، وعلى ان تكون المتابعة مركزية .

٤ — التوسع فى الدورات التخصصية لاعداد الكادر الفنى .

٥ — ضرورة وضع من تثبت صلاحيته فى المكان الملائم الذى يستطيع ان ينطلق منه لكى تتحقق الفائدة المرجوة من التدريب .

٦ — استمرار عملية التثقيف الذاتى عن طريق برنامج للاسئلة الموجهة والمكتوبة .

ومن هنا سنتمكن من خلق التنظيم الشعبى الطليعى وسنقضى على الارتجال فى اختيار القيادات .

وحتى يتحقق التكامل للتنظيم الشعبى نرى العمل على فتح المعسكرات السياسية الابتدائية لتغطى قطاع الجنود والفلاحين ، على ان تكون برامج التدريب التقدمية مركزية تضم القوى الشعبية الثلاث — من فلاحين وعمال وجنود — صاحبة المصلحة فى الثورة لتمكينهم من فكر وايديولوجية موحدة .

العار لتجار الموت

وجاءنا من المجلس القومى للسلام بالجمهورية العربية المتحدة ، البيان التالى نصه :

ايها المواطنون :

فى الوقت الذى ترتفع فيه صيحات الملايين من كل انحاء العالم استنكارا للعدوان الامريكى على الشعب الفيتنامى .. فى الوقت الذى يزحف فيه مئات الالوف من ابناء الشعب الامريكى الى البيت الابيض لاعلان ادانتهم لسياسة جونسون العدوانية .. وفى الوقت الذى يفقد فيه جونسون كل امل فى النجاح فى الانتخابات المقبلة بعد ان هبطت شعبيته الى الحضيض بسبب سياسته الاجرامية تجاه الشعوب .

فى هذا الوقت يتخذ جونسون خطوة جديدة نحو تصعيد الحرب فى فيتنام ، ويقرر ضرب الاحياء السكنية والمناطق الآهلة بالسكان ، وتنطلق الطائرات الامريكية لتدمر المنازل والمستشفيات والمعابد ، وتدخل الحرب الامريكية القذرة فى فيتنام مرحلة جديدة من العنف والوحشية لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ايها المواطنون :

ان تجار الحرب فىواشنطن قدافتقدهم صوابهم ذلك الصمود الشجاع للشعب الفيتنامى . انهم يدركون ان نهايتهم فى فيتنام تعنى بداية النهاية للامبرياليين جميعا . ولهذا فهم يزيدون باستمرار من حمى عدوانهم ومن وحشية جرائمهم .

انهم يتظاهرون بانهم لا يعبأون باحتجاجات الشعوب . لكن الواقع يؤكد انهم يعانون يوما بعد يوم من عزلتهم فى كل انحاء العالم ومن عزلتهم حتى عن جماهير شعبهم وتثور شعوب العالم ضدهم ، ويثور شعبهم نفسه ضد جرائمهم . ورويدا رويدا تقترب نهايتهم المحتومة .

ايها المواطنون :

ان شعبنا الذى يعانى هو ايضا من جرائم العدوان ، والذى تعرضت مدنه واحياءه السكنية ومدارسه ومستشفياته لنفس العدوان الاجرامى. ان شعبنا الذى يعرف ان المعتدين فى فيتنام هم نفس المعتدين على بلاده .. يجب ان يرفع صوته عاليا ضد هذا التصعيد الجديد للحرب فى فيتنام . يجب ان يعلن انه يقف ضد العدوان هنا وفى كل مكان من العالم .

ايها المواطنون !

ليرفع كل منا صوته احتجاجا على العدوان الامريكى الجديد ولنرسل برقيات احتجاجنا الى : السيد يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة والسيد سفير فيتنام الديمقراطية ٢١ شارع الجيزة . والسيد رئيس بعثة جبهة تحرير جنوب فيتنام ٢٤ شارع بهلوى ــ الدقى .

المجلس القومى للسلام
الجمهورية العربية المتحدة

●

النضـــال

أرسل **الطلاب العرب** فى**مدينة برمنجهام بانجلترا، الطليعة** العدد الثامن من نشرة « **النضال** » التى يصدرونها بالعربية ويناقشون فيها مشاكل وقضايا بلادهم .

ويتضمن العدد الثامن ، عددا من الموضوعات، تدور معظمها حول ظروف النكسة وتطورات احداث الشرق الاوسط . وتقول « **النضال** » فى افتتاحيتها « اننا نؤكد من جديد ان اتاحة اوسع الديمقراطية للشعب الكادح ، ووضع السلطة بيده ، هى ضمان اساسى لاستمرارية الثورة فى مصر . وذلك يتطلب ــ ضمن ما يتطلب ــ بناء المؤسسات والتقاليد الديمقراطية فورا » .

وبعد ان يناقش **بدر على محمد** قضايا العمل السياسى فى مصر تحت عنوان « **حول بناء حزب اشتراكى** » ، تفرد « **النضال** » ثلاث منصفحاتها للقاء **لطفى الخولى** بالطلبة العرب فى مقر النادى الثقافى العربى والذى دار حول التطورات الجارية فى الجمهورية العربية المتحدة . ثم تكتب « **النضال** » عن « جيفارا شهيد النضال ضد الامبريالية » وتنشر بعض مقتطفات رسالته الى منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وفى الصفحة العاشرة ، نشرت « **النضال** » ــ**خطابا مفتوحا الى السيد وزير التعليم العالى**ــ بتوقيع **فؤاد محمد الساوى** .. سانت اندوز . وبعد ان يعرض الخطاب للمبعوثين الذين يماطلون فى العودة بعد انتهاء دراستهم ، يتساءل الخطاب: « فماذا اعدت الدولة والوزارة بالنسبة لهؤلاء ؟ » ويصفهم بانهم يتكسبون « بما أهله عرق الملايين من الكادحين المصريين » . ويستطرد الخطاب قائلا « انا اعرف يا سيدى الوزير ــ كما ان سيادتك لابد وان تكون عارفا ــ ان ادارة البعثات

لاتسمح لاى عضو بعثة او اجازة دراسية بالخروج ، الا بعد ان تأخذ ضمانات — على اهله او من يقبل ضمانه — على المبعوث . وهذا الضمان ، هو اقرار بأن يتكفل الضامن بمصاريف البعثة — فضلا عن التعويض — لمن يرفض تنفيذ شروط العقد الذى ابرم بين المبعوث والبعثات . فهل يا سيادة الوزير ، هذه الضمانات والاقرارات هى من قبيل ملء الاوراق الرسمية روتينيا فقط أم ان لها أهميتها فى مثل تلك الحالات المشار اليها . لا شك ان مثل تلك الضمانات وضعت للمحافظة على حقوق الشعب فى حفظ أمواله من السرقة التى يتعرض لها عن طريق هؤلاء » .

وتحت عنوان « **من دروس النكسة** » كتب **سعيد** وجهة نظره فى ظروف النكسة واسبابها ثم انهى مقاله بقوله : « ان مصير الانظمة التقدمية فى المشرق والحركات الشعبية القائمة مرتبط برفض المنهج البرجوازى الصغير فى العمل الاجتماعى والسياسى والانطلاق من الالتزام بايديولوجية الطبقة العاملة ومعطياتها » .

وتتضمن آخر صفحات « **النضال** » عددا من الاخبار الخاصة بالطلبة العرب .

خطاب نتقدم به الى : أمين الشباب ومدير جامعة القاهرة

بعث المواطن الشاب درويش الحلوجي الطالب بكلية العلوم بجامعة القاهرة بالخطاب التالى :

نرسل الى سيادتكم فيما يلى بوقائع رفض المسئولون عن الشئون الثقافية بكلية العلوم جامعة القاهرة نشر دراسة عن « المناضل الثورى .. شى جيفارا » بالمجلة التى يصدرها اتحاد طلاب الكلية ...

١ — عند الاتصال بالسيد الدكتور رائد اللجنة الثقافية بالكلية لاخذ موافقته على نشر موضوع « شى جيفارا ... دراسة فى المناضل الثورى » .. رفض رفضا باتا ان ينشر الموضوع بالمجلة (مع العلم انه رفض ذلك دون ان يقرا مادة موضوع الدراسة !) .. قائلا : « احنا مالنا ومال جيفارا ... ومال كوبا » .. ولقد بذلنا عدة محاولات لاقناع السيد الدكتور رائد اللجنة بمجرد قراءة الدراسة حتى يستطيع ان يبنى رفضه على اساس موضوعى ، لكنه رفض ذلك ... وكان الاساس الوحيد الذى بنى عليه رفضه هو عنوان الدراسة !!

٢ — وعند الاتصال بالاستاذ الدكتور رائد الشباب بالكلية بصفته المسئول الاعلى .. وذلك لمعرفة راى سيادته قال : « ان لرائد اللجنة الراى الاول والاخير .. وحتى اذا كان فى استطاعتى ان اقرر شيئا سبق ان رفضه رائد اللجنة فاننى لا افعل ذلك ... مراعاة لراى الدكتور رائد اللجنة .. ولان هذه هى سياستى مع رواد اللجان » ...

وبعد ... ان هذه ليست مجرد قضية رفض نشر موضوع بمجلة جامعية .. وانما هى قضية « حرية الفكر » داخل الجامعة وهى بعد ذلك قضية « اجهزة الرقابة ونوعية المسئولين عنها » داخل الجامعة .

ان اى عمل ثقافى او نشاط فكرى يقوم به الطلاب يجب ان يمر على الجهات التالية :
١ — رائد اللجنة . ٢ — رائد الشباب .
٣ — مراقب الكلية . ٤ — حرس الكلية .
٥ — حرس ثم مباحث الجامعة .

هذا ، ولقد رفضت هذه الدراسة عند عرضها على اول جهة من جهات الرقابة وهو رائد اللجنة الثقافية .

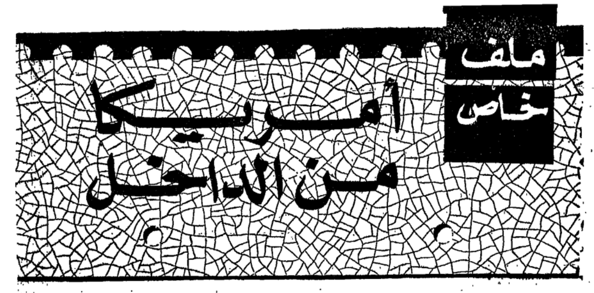
اننا نرسل الى سيادتكم بنص هذه الدراسة . ونرسل معها « القضية الحقيقية » وهى قضية « حرية الفكر » و « أجهزة الرقابة ونوعية المسئولين عنها » داخل الجامعة .

ولنا أمل كبير ان تتبنى « الطليعة » هذه القضية الهامة والخطيرة ، وان يتخذ المسئولون الاجراءات الكفيلة بتحقيق «حرية الفكر والتعبير » .. داخل الجامعة .

الطليعة : اننا ندهش — بعد قراءة موضوع الدراسة التى اعترض عليها رائد اللجنة الثقافية بكلية العلوم — من ان مثل هذا الجهد القيم ، يمكن ان يلقى تلك المعاملة الغريبة . فموضوع الدراسة يتعلق — من جهة — بحدث دولى ونضالى هام من الضرورى متابعة الشباب له والقاء الضوء على ما يعنيه من قيم نضالية تجاهد القيادة السياسية لمجتمعنا من اجل غرسها فى ارض بلادنا . وهو يتعلق — من جهة اخرى — بقضية الحركة الثورية فى العالم الثالث وبلادنا موقع اساسى من مواقعه

وتتقدم الطليعة — بنص هذا الخطاب — الى السيد احمد كامل امين الشباب بالاتحاد الاشتراكى كما تتقدم به الى الاستاذ الدكتور مدير جامعة القاهرة . وذلك لمعالجة مثل هذه المشاكل الهامة

ولا تتعلق القضية — فى راينا — بمجرد مقال اعترض على نشره ، وانما تمس قضية الفكر داخل جامعاتنا ، وبخاصة نشاط وحركة الشباب الفكرية التى تحظى بالاهتمام — كل الاهتمام — من التنظيم الشعبى لخلق قيادات جديدة متفتحة الفكر على ما يدور فى واقعنا القومى فى اتصاله الوثيق — غير القابل للفصل — مع ما يدور فى الواقع الدولى .



١ حوار مع كارمايكل

٢ أزمة اليسار

حوار مع كارمايكل

من التقاليد التى سارت عليها « الطليعة » منذ اعدادها الاولى، ان تعقد لقاءات فكرية مع ثوار العالم المعاصر ، مهما اختلفت اتجاهاتهم الايديولوجية وتباينت مدارسهم النضالية . وممارسة لهذا التقليد ، تقدم «الطليعة» هذا اللقاء مع ستوكلى كارمايكل زعيم حركة « القوة السوداء » فى الولايات المتحدة الامريكية . وهى احدى الحركات التقدمية البازغة بين صفوف الزنوج فى امريكا ولكنها تتميز بسمات خاصة اهمهاان «الكفاح المسلح» هو الوسيلة الرئيسية ليحصل الامريكيون « السود » على حقوقهم الشرعية كمواطنين . ومن اهم هذه السمات ايضا ان « الفكر الاشتراكى» هوالمضمون الايديولوجى لهذا الكفاح .

وقد اشترك فى الحوار من اسرة الطليعة محمد سيد احمد وسعد زهران ولطفى الخولى وميشيل كامل وخيرى عزيز .

الطليعة : نود لو تبدأون هذا الحوار بعرض عام لواقع حركتكم .

كارمايكل : تعلمون ان السود ـ الافريقيين الامريكان ـ كانوا قد اخذوا قسرا من افريقيا منذ ما يقرب من اربعمائة عام. وكان هذا حدثا عظيم الاهمية ، اذ انناتحولنا بعدذلك الى عبيد . ومن الناحية النظرية فقد سقطت عنا صفة العبودية ، ولكنك ما لم تحارب من اجل الحرية فلن تكون هناك حرية . ولهذا فلم نكن ـ فى الحقيقة ـ احرارا فى اى وقت من الاوقات . وكل ما تقوله الولايات المتحدة فى هذا المجال هو كذب على طول الخط .

وما يحدث فى الولايات المتحدة هو انه توجد تفرقة عنصرية بشعة ، خصوصا فى مستوى المعيشة . ففى كل مدينة تتحدد اقامة الافريقى الامريكى فى مساحة معينة من الارض لا يستطيع مغادرتها ، وهذا ما يحاربه الافريقيون الامريكان . والظاهرة الواضحة على ذلك هو تلك المظاهرات من اجل رفع مستوى المعيشة فى كل بقعة فأنت لا تستطيع الا ان تعيش داخل هذه البقاع . وفى هذه البقاع توجد مجالس مدن وشرطة وتثقيف وشئون صحية

ومؤسسات سياسية ومؤسسات عسكرية وحرس بوليسي وقومي ، والسيطرة في جميع هذه المؤسسات الموجودة داخل المجتمع الاسود تجيء من الخارج بواسطة البيض ولصالحهم فقط . وهذه المؤسسات كلها تشكل في النهاية كيانا واحدا ، فهي مندمجة . ولكنها في الحقيقة منفصلة . قد يبدو هذا القول غير واضح . فلنفترض انه توجد هنا « **ولاية نيويورك** » وهنا « **مدينة نيويورك** » . فسنجد ان مدينة نيويورك تسيطر في الواقع على جميع ولاية نيويورك لان فيها « **الشارع الخامس** » و « **وول ستريت** » ، والقلب النابض لمدينة نيويورك هو « **مانهاتن** » . وهي التي تسيطر على مدينة نيويورك بكاملها . وتعداد السكان الافريقيين الامريكان في مانهاتن هو ٨٥ ٪ . وهذا يعني ان ١٥ ٪ فقط من الناس هنا يحكمون ولاية نيويورك كلها . وواقع الامر انه لا يوجد افريقيون امريكان في اي من المؤسسات السياسية . كل ما قد نجده هو بعض الحكام الصوريين مثل ما نجده في افريقيا حيث يوجد موبوتو وباندا ، ولكنك تعلم ان هؤلاء مجرد لافتات فحسب . اما السلطة الحقيقية فهي في ايدي من يعيشون خارج البلاد . ولهذا فان الخطوة الاولى في كفاحنا يجب ان تستهدف حكم هذه البقعة بواسطة الافريقيين الامريكان .

وبداخل الاماكن التي يسكنها السود تجد قلب الانتاج النابض . فجميع المصانع توجد وسط المدن . وعندما اقام الراسماليون المدن لم يعيشوا على الاطلاق بجوار المصانع حيث الضوضاء عالية والدخان يملا الدنيا . وانما انتقلوا الى الضواحي تاركين لنا ان نعيش حول هذه الاماكن ، وليس في هذا غضاضة اذ ان الضريبة التي تجيء من هذه المصانع هي ما تعيش عليه الولاية كلها . وفي نفس الوقت ليس لنا الحق في ان نتملك داخل هذه البقاع شيئا من الارض وانما يحظى بهذه الملكية البيض الذين يعيشون خارجها .

ولهذا يهدف كفاحنا الى السيطرة على هذه البقاع .. هذه هي المعركة الاولى . المعركة التي يجب ان نشنها نحن الافريقيين الامريكان ، وهي معركتنا نحن ولا يستطيع ان يقوم بها غيرنا . ونحن نعلم ما تعنيه معركتنا تلك . انها معركة معقدة . فمثلا الماركسيون اللينينيون في العالم اجمع لا يرغبون ان يعترفوا بالعنصرية فهم يريدون ان يقولوا ان العنصرية غير موجودة وانما هناك قوانين عنصرية فقط وهذا غير صحيح . ويتعين علينا ان نواجه الحقيقة وان نعترف بوجود شيء موضوعي قائم اسمه العنصرية التي لم يواجهها لا ماركس ولا لينين في كتاباتهما . وعلينا نحن ان نواجهها اليوم .

وحيثما وجد الرجل الاسود في العالم لا يوجد الا كبروليتاري ، ولابد ان يوجد سبب لهذه الظاهرة . فلماذا لا يوجد راسماليون سود او استعماريون سود ؟ — لان لون بشرة الرجل الاسود يشير الى وجوب دخوله في زمرة البروليتاريا . وحيثما وجد — في جزر الهند الغربية وفي افريقيا وفي الولايات المتحدة وفي كوبا قبل الثورة — كان من يعاني اكثر هو الافريقي الامريكي والافريقي الكوبي : اي الرجل الاسود . نفس الشيء في الولايات المتحدة وفي بريطانيا وفي فرنسا .. في اي مكان يوجد به الرجل الاسود . وهكذا نجد ان علينا ان نخوض معركة ضد العنصرية ، معركة ضد الاستغلال . والمعركة ضد الاستغلال هي المعركة التي يمكن ان نبدا فيها باستخدام الماركسية اللينينية . اما في المعركة ضد التفرقة العنصرية فان الماركسية اللينينية لا تعمل ولا تقدم شيئا ينير الطريق للعمل امام هذه الظاهرة التي لم تعالجها من قبل .

الطليعة : يقول البيض ان هذا الموقف يخلق عنصرية في الاتجاه المضاد .

كارمايكل : هذا هراء . ومن يقول هذا الكلام يرغب في ان يضع الرجل الاسود في موضع الدفاع . وليس هناك ما يدعونا الى اثبات اننا غير عنصريين فنحن لم نكن في اي وقت من الاوقات عنصريين . والرجل الاسود لم يستعبد الرجل الابيض في اي وقت . فلم يغتصب أرضه ولم يقم بأي عمل ضده . وانا أعرف ما يقوله هذا البعض : انهم يقولون اننا اذا لم نأخذ حذرنا فسنصبح مثلهم .

الطليعة : لدينا هنا مثال : اليهود واسرائيل . من اقلية مضطهدة في العالم وبالذات العالم الاوربي الى اقلية عنصرية عدوانية مرتبطة بالاستعمار وها انت ترى ان المسألة هنا قد انعكست .

كارمايكل : الفارق الوحيد هو اننا اذ اصبحنا عنصريين فسنصبح عنصريين ضد من هم عنصريون ، فلو ان اليهود استداروا وقاموا باضطهاد الالمان — اي من اضطهدوهم . فهم في هذه الحالة سيحاربون نفس القوى التي سبق وان حاربتهم وهذا امر مشروع . واذا استدرنا نحن وقمنا باضطهاد مجموعة اخرى لم تتسبب في اي ضرر لنا مثل ما فعل اليهود بالعرب فحينئذ تكون هناك عنصرية . هل هذا مفهوم؟ على سبيل المثال . اذا استدرنا واضطهدنا البورتوريكيين او الشعوب الناطقة بالاسبانية في الولايات المتحدة فحينئذ تكون عنصريين . ولكن اذا حاربنا الرجل الابيض الذي يمارس العنصرية ضدنا فليست هذه عنصرية في الاتجاه

المضاد لاننا نكون قد حاربنا مضطهدينا فحسب والواقع ان هذا القول الذى يروجه البيض العنصريين ليس الا جدلا الهدف من طرحه هو اعاقة عملية التقدم الى الامام

هذه هى معركتنا الاولى .

اما معركتنا الثانية فهى تغيير نظام الولايات المتحدة وهو النظام الراسمالى . ولكى نقوم بهذا العمل لابد من التعاون مع العمال البيض اذ اننا خمسون مليونا فقط

الطليعة : خمســون مليـونا ؟!

كارمايكل : انهم يقولون ان تعدادنا عشرون مليونا ولكننا خمسون مليونا اى اننا نكون ربع السكان

الطليعة : تعنى انكم تكونون ربع مواطنى امريكا ؟

كارمايكل : نعم نحن ربع « السكان » اى المواطنين الذين يمارسون حقوقهم .

والسؤال المطروح هو ما اذا كان العـامل الابيض الفقير يستطيع ان يتخطى شعوره بالتمايز او التفوق العنصرى وهذا لان الفقراء البيض عنصريون ــ مع الاسف ــ الى درجة كبيرة . ومع انهم يعانون نفس الاضطهاد الذى نعانيه الا انهم يعتقدون انهم ــ بسـبب لون بشرتهم ــ افضل منا . فاذا طلبنا منهم التعاون معنا فى المعركة ضد الراسماليين فانهم يرفضون ويقولون : « انكم سود . انكم حيوانات وليس بيننا وبينكم شىء مشترك » فاذا قال الماركسيون اللينيون ان علينا ان نمد ايدينـا الى هؤلاء العمال البيض فسوف لا افعل هـذا مع من يعتقدون اننى حيوان . فهذه ليست معركتى ، انها معركة الماركسيين اللينيين فى امريكا . ان يعلموا العمال البيض اولا وقبل كل شىء . ولكن الماركسيين اللينيين فى امريكا يخشـون القيام بهـذه المهمـة لمعرفتهم بعمق التفـكير العنصرى لدى الرجـل الابيض فى الولايـات المتحدة ولهذا فهم يطلبون منا القيام بها ولكننا رفضنا . وسوف نخوض المعركة ــ اذا فرضت علينا ــ بمفردنا . فهى معركتنا وسنموت فيها واذا استطاع العامل الابيض ان يصل الى وعى ثورى ــ وهذا ما نرجوه ــ فعندئذ يمكن ان نتكلم عن العمل سويا ضـد الراسـمالية . ولكننا لن نتعـاون مع العنصريين . اننـا لا نستطيع ذلك .

الطليعة : تقول ان عليكم ان تشنوا معركة ثنائية ضد الاستغلال والعنصرية فى نفس الوقت . الا ترى ان هناك تناقضا بين المنهج المتبع فى كلا المعركتين ، بمعنى ان للاستغلال قاعدة اوسع من قاعـدة العنصرية . ولهـذا فبالنسـبة للعنصرية ستضيقون قواعد وامـكانيات شن معركتكم ضد الاستغلال ؟

ولاية نيويورك

واحدة من الولايات الاصلية (الثلاثعشر) فى الولايات المتحدة . وبرغم انها اصغر الولايات الامريكية ، الا انها اكثرها سكانا وثروة . مساحتها ٤٧,٩٤٤ ميلا مربعا بالاضـافة الى ١,٦٣٢ ميلا مربعا هى مساحة بحيراتهـا . ويبلغ عـدد سـكانها (احصائية ١٩٥٠) ١٤,٨٣٠,١٩٢ نسمة .

مدينة نيويورك

اكبر مدينة فى الولايات المتحدة . تقع على نهر الهدسون . مساحتها ٣٢٠,٣ ميل مربع . كان عدد سكانها فى عام ١٦٢٦ اقل مـن ٢٠٠ نسمة . زادوا فى عام ١٨٧١ الى ١,٠٠٠,٠٠٠ نسمة . وفى ١٨٩٨ تـكونت مدينة نيويورك الـكبرى من خمس احياء هى : مانهـاتن ، برونكس ، بروكلين ، كوينز ، ريتشموند . وفى نيويورك يقيم اكبر عدد من السكان اليهود فى امريكا كلها . ويتركزون بشكل خاص فى بروكلين وبرونكس . ويبلغ عدد سكان مدينة نيويورك (احصائية ١٩٥٠) ٧,٨٨٨,٤٠٠ نسمة .

كارمايكل : اننى افهم ما تعنى . انك لا تستطيع مقاومة الاستغلال فى مقابل العنصرية لاننـا سنعود ثانية الى ان نكون مستغلين .

الطليعة : كلا . انا اسأل عما اذا كان هناك احتمال حقيقى ــ لاننا خارج هذه المشـكلة فنحن لا نستطيع التقييم الدقيق لامور تعايشونها انتم ونحن لا ننتقد ، ولكننا نحاول ان نتفهم وان نصل الى الحقيقة ــ الا يوجد احتمال لكسب العمال البيض حتى مع وجود بعض المواقف العنصرية المتعصبة لهؤلاء البيض ؟ وهل كانت هناك محاولات فعلية لكسب ولو جزء منهم ؟

كارمايكل : نعم . لقد كانت هناك دائما محاولات فبعد الحرب الاهليـة وجد ما كان يسـمى بالحركة الشعبية فى الولايات المتحدة ، حين كان العامل الاسود والعامل الابيض يسيران جنبا الى جنب لمحاربة ملاك الارض والاغنياء وبعد ذلك وجدت المسألة العنصرية ، فقد بدأ البيض فى محاكمة السود عرفيا وفى القضاء عليهم . وعندئذ عدنا الى حالة من فقـدان القدرة على ان نفعل شيئا . وطوال المدة التى اعقبت ذلك ــ اعنى حتى الانشـقاق الا بيننا وبين اليسـار الابيض من حوالى عام ــ كان الانقسام مرة اخرى بسـبب ان البيض كانوا ما زالوا عنصريين ورغبوا فى قيادة الحركة ورفضوا ان نشارك فيها . لقد عرفونا كيف نقوم بها ومتى واين ، وكل ما راوه فينا اننا اطفال ، وهذا هو الموقف العنصرى القديم .

الطليعة : ماذا عن الاقليات الاخرى في امريكا .. البورتوريكيين وغيرهم ؟

كارمايكل : نحن نتعاون مع كل هـذه الاقليات ، واكبر اقلية خارج نطاق الافريقيين الامريكان هي البورتوريكيون والمكسيكيون الناطقون بالاسبانية .

الطليعة : ورايي ان المعركة الرئيسيـة الان ضد العنصرية وليست ضد الاستغلال ؟

كارمايكل : كلا

الطليعة : الضربة الرئيسية ـ كمافهمنا الان منك ـ هي استراتيجيا ضد العنصرية ؟

كارمايكل : كلا فالمعركة بالنسبة لنا معركة ذات شعبتين فاذا اصبت احداهما اصبت الاخـرى تصيب العنصرية اولا فتصيب الاستغلال .

الطليعة . ولكنها شيء مكون من عنصرين .

كارمايكل : بالنسبة للعامل الابيض المشكلة مجرد الاستغلال وليست العنصرية .

الطليعة : تود ان تسأل عما يلي : نستطيع ان نفرق بين شيئين اولهما ان هناك عنصرية وسـط العمال البيض والعامل الابيض يتخـذ موقفا عنصريا . وهذا عامل معوق لاي تحالف معه . ولكن من جهة اخرى طالما انكم تخوضون معركة مشتركة على ارض الاستغلال فمن الممكن في معارك فعلية ان تسيروا سويا . وهذا سوف يؤثر على موقف العمال البيض من العنصرية على المدى الطويل ، فحتى اذا قلنا بصـعوبة التغلب على الشـعور بالعنصرية في الوقت الحالي ، فعلى الاقل من خلال وجود الحقيقة التي تقول انكم تخوضون معركة ذات شقين في نفس الوقت فمن الممكن ان يؤثر ذلك ولو جزئيا على الموقف العنصري . الا تأخذون في الاعتبار هذا الاحتمال ؟

كارمايكل : لقد اخذناه فعـلا في الاعتبار ولـكن المشكلة الوحيدة هي انه من الصعوبة بمكان شرح العنصرية . لم نستطع القعود عن المحاولة ولكنهم لم يستمعوا لنـا . هل تعني انك لا تستطيع تفهم ما هي العنصرية بمجرد الكلمات لابد ان تعانيها فعلا . فاذا ذهبت اليوم الى عامل ابيض فقير وقلت له ان جونسون يرسل ابنك الى فيتنام وهو يرسلني انا الى فيتنام ، فلماذا لا نتعاون ؟ فسيقول ان ليس بيني وبينك شيء مشـترك فانت زنجي . انهـم حتى لن يخاطبونا ولهذا فمن المستحيل التعاون معهم . انهم يرفضـون ذلك . ولن يدعونا نسـكن بجوارهم فكيف نستطيع ان نخاطبهم ؟ فاذا انتقل رجل اسود الى جوارهم فسوف يحرقون بيته ويطلقـون على عائلتـه الرصاص . انهم يفعلون هذا كل الوقت فحتى صيف هذا العام كانوا يقومون بهذا . ولهذا فمن المستحيل ان نخاطبهم . كل ما في الامر اننـا لا نسـتطيع ذلك . ليست هناك وسيلة للاتصال .. اي وسـيلة .

الطليعة : انتم اذن مضطرون الى هذا الموقف . كل ما تستطيعون فعله حاليا ـ اذا سمحت الظروف ـ ان توسـعوا الجبهـة لتشـمل الاقليات الاخرى

كارمايكل . هذا صحيح ونحن نأمل اننا بمعركتنا سنفاقم التناقضات وعندئذ قد يضطرون الى خوض المعركة في اتجاهنا . وعندما يفعلـون ذلك فقد يكون من الممكن ان نتكلم سـويا عن المعارك والمصالح المشتركة . ولكن عند هذه النقطة يسـتحيل الاسـتمرار خصوصا بعد حدوث عدد من الهبات لانهم يعتبرون التمرد تهديدا لهم . وهو يصبح تهديدا لاننا « حثالة البروليتاريا Lumpen Proletariat » .

وليس هناك عمال سود في الولايات المتحدة يمكن التحـدث عنهم . ونحن في وضـع لم يواجهه اي ثوري في اي مكان في العالم والماركسي لا يتصوره . ونحن نسمي الصـناعات التي نعمل بها « صناعات الخدمات » ولان عملنـا الاساسي القيام بالخدمات للبيض ، فمنا تجد الخادمات والحمالين وعمال المصاعد ، وسائقي التاكسي ، وما شابه ذلك من اعمال ـ علاوة على البطالة . اما العمال في الولايات المتحدة فهم من البيض .

الطليعة : الا توجد ولو نسبة ضئيلة من العمال السود في الولايات المتحدة ؟

كارمايكل : نعم ولكنهم قليلون جدا .
ولان العمال في الولايات المتحـدة منظمون في اتحاد العمال الامريكي وهي منظمة عنصر ولا يسمحون حتى بأن يصبح السود اعضاء في تلك المنظمة .

الطليعة : ماذا عن طرح مسألة حكم بقاع متفرقة بواسطة الافريقيين الامريكان ؟

كارمايكل : هـذه اول خطـوة نحو ادارة هـذه المجتمعـات .

الطليعة : طبعا حينما توجد اغلبية من « الافريقيين الامريكان » ؟

كارمايكل : اي في مدينتنـا الصـناعية . فقلب الصناعة في المدن ، ونحن نعيش في المدن حاليا

بأعداد كبيرة ـ ففي واشنطن نحن اغلبية وفي نيويورك نحن اقلية . وحيث نحن لا نمثل الاغلبية لا تقل نسبتنا الى البيض عن ثلث التعداد .

الطليعة : هل هناك فروق بين فئات السود ؟

كارمايكل : نعم هناك فروق من نوع خاص في مجتمعنا ،نحن نشبه الى حدما الاقطار الافريقية قبل الاستقلال . نحن مجتمع لا طبقي . اى ان هناك قليلا من الناس يمكن اعتبارهم بورجوازية سوداء . وحتى هؤلاء الذين يكونون بورجوازية سوداء يحصلون على احتياجاتهم عن طريق السود . وعلى هذا فنحن في الحقيقة نعيش في مجتمع لا طبقي لانك مثلا قد تجد مدرسين اغنياء او ما شابه ذلك ولكنهم لا يستطيعون ان يعيشوا مع البيض المجاورين وانما عليهم ان يعيشوا مع السود .

الطليعة . وبالتالى عليهم ان يذعنوا للتيار العام او الحركة العامة للسود ؟

كارمايكل : نعم لابد ان يذعنوا ولهذا يكون مجتمعنا في صميمه مجتمعا لا طبقي .

الطليعة . اذن ما هي التوقعات التي تتصورونها الآن للمعركة الفعلية ؟ اولا نعتقد ان هناك سؤالا اخر يطرح نفسه : ما هي المناهج المطبقة في المعركة ؟ هل هي محاولة من خلال الانتخابات بالطرق السلمية أم اذا لم تكن تلك الوسائل مناسبة فستلجأون الى الكفاح من خلال طرق اخرى مختلفة ؟

كارمايكل : لقد حاولنا الطرق السلمية ولكنها لم تؤد الى نتيجة . ولاضرب لكل مثالا : اذا افترضنا ان هناك مدينة ما لسكانها من البيض خمسة ممثلين . فبمجرد ان تصبح غالبية هذه المدينة سوداء ، ويرحل البيض عنها . فانهم يقسمون هذه المنطقة الى اجزاء ويبعثرون اشتاتها انتخابيا . انهم يقدمون بما يسمى « اعادة توزيع الدوائر » بقصد اعطاء ميزات لطبقة البيض . فيجعلون كل منطقة تنتخب ممثلا لها بعد ان يكونوا قد وضعوا عددا قليلا من السود مع اغلبية بيضاء . وهكذا ينتاب الضعف قوتك مرة ثانية

الطليعة : هذه الطريقة استخدمت هنا منذ وقت طويل قبل ١٩٥٢ في مناطق العمال لتقسيمهم الى فئات مبعثرة حتى يقللوا من وزنهم الانتخابي ويظلوا دائما اقليات .

كارمايكل : ولهذا لا يمكن الحديث عن سياسات انتخابية . ويجانب الحديث عن هذه السياسات يجب أن نتحدث عمن يوجه هذه السياسات . ما هو الفرق بين « كيندى » و « جونسون » ؟ لا شيء جوهرى ، بالرغم من ان البعض قد يظن ان هناك ثمة فرقا .

الطليعة : هناك بعض الفرق ولكن داخل نفس الاطار العام .

كارمايكل : على العكس . لقد كان كيندى اكثر خبثا فهو الذى غزا كوبا وهو الذى بدأ تصعيد الحرب في فيتنام . فما هو الفرق ؟ كل ما في الامر ان كيندى كان اكثر مرونة من جونسون الفظ . وقد يكون من الانسب ان نتساءل عن تطور الوسائل السلمية الى وسائل اقل سلمية ثم الى وسائل عنيفة .

الطليعة : هل تستطيع ان تشرح لنا الصدام الداخلى في حركة السود ذاتها واذا امكن تذكر اهم الحركات وطبيعة الظروف والاتجاهات المعاصرة التى اوجدت القوة السوداء .. الخ .

كارمايكل : اود ان ابدأ بالقول بأننى اشعر بالحرج عند الكلام عن المنظمات السوداء الاخرى . ولا اود تصنيف هذه الحركات . ولهذا فساكون موضوعيا بقدر ما استطيع ، دعنا نتكلم عن تطور التعايش السلمى ، فخلال اربعمائة عام ونحن نعيش في الولايات المتحدة . مستغلين ومستعبدين .. وكانت تجيئنا اخبار عن جميع انواع المعارك ، وغالبيتها كانت معارك سلمية . واعتقد أن المعركة التى نعرف عنها اكثر من غيرها كانت تلك التى نشبت عام ١٩٥٦ ، وقادها دكتور كنج ومونتجومرى ، وحركة المقاطعة . ثم حركة احتلال الارصفة . ولابد انكم تذكرون ان الحركة الاخيرة كانت مسالمة وغير عنيفة . فقد سار السود في الشوارع مسالمين واطلق البوليس عليهم النار والكلاب ، وضربوهم وسجنوهم . واستمرت هذه المعارك اربع او خمس سنوات . ومع كل هذا العنف فقد استمر السود مسالمين ولم يحاولوا حتى ان يردوا عليه بعنف مماثل .

الطليعة : كان هذا تحت قيادة دكتور كنج ؟

كارمايكل : نعم . ومضى كل ذلك الوقت ولم تحدث اية تغييرات ذات بال ما عدا الكلام . وكان من الواضح انه لن تكون هناك تغيرات بالنسبة للسود . وعليهم بالتالى ان يحملوا البندقية . وهكذا كانت هناك تطورات في الكفاح في الولايات المتحدة وكل ما في الامر ان الكفاح لم يتقدم ونحن نتحدث من ستة اعوام من

التعذيب المستمر للسود دون ان يقابل ذلك من جانبنا بجرب أو ردع بالمرة . والى جانب ذلك كانوا يقتلون الاطفال . ورغم هذا لم يكن هناك ردع من جانب السود على الاطلاق . وهنا قال السود أنهم سيحاربون وسنرد على العنف بالعنف . وهكذا فان **« القوة السوداء »** لم تنبع من رؤوس مجنونة ولكنها نتيجة خبرة وتحليل خمسة اعوام من الكفاح الشاق الذى لم يؤد الى تغيير . وكان المجهود خلال هذه الاعوام منصبا على شعار « اننا جزء من امريكا » . اى اننا ما زلنا امريكيين « قد يعاملوننا معاملة سيئة ولكننا فى النهاية امريكيون » . فلنحارب اذن لنصبح امريكيين . لم نكن نكافح حتى فى سبيل تغيير النظام فلم يطلب **« مارتن لوثر »** فى اى وقت تغيير النظام . ان « كنج » راسمالى ، وهو لا يتحدث مطلقا عن توزيع الدخل فى الولايات المتحدة ولا ينتقد نظام الولايات المتحدة . انه يتحدث فقط عن التمييز . وهكذا فحتي داخل هذا الصراع ــ وهو ابسط شكل من الصراع ــ كان على السود ان يكونوا راسماليين ، ولو انهم سمحوا للسود بالاندماج فى هذا « الجهاز » او المجتمع الراسمالى لاصبحنا نحارب ضد كوبا وضد فيتنام . اى اننا كنا اصبحنا امريكيين . ولكن لانهم عنصريون الى تلك الدرجة فانهم لم يستطيعوا حتى ادماجنا فى هذا المجتمع . ولقد ادى هذا التحليل الى شىء آخر ، ادى الى تحليل هذا النظام على اساس انه يجب ان يتغير هذا النظام فى الولايات المتحدة كلية . فلسنا امريكيين . يجب ان نعترف بذلك . لا نستطيع ان نكون امريكيين لاننا لا نتمتع باى امتياز او حق . انا أعلم ان هذا يبدو موقفا دفاعيا للنظرة الاولى . ولكنه عند امعان النظر تتضح جذريته وثوريته الحقيقية .

والآن ما هى الصدامات الداخلية ؟

الصدام الاول : هناك خمس منظمات فى الولايات المتحدة : **الجمعية الوطنية لتقدم الشعوب الملونة** N.A.A.C.P التى يقودها **« روى ولكنز »** ، ثم هناك **« مجلس المساواة العنصرية »** ويقوده **« فلويد »** . وهناك **« رابطة المهنيين »** وعلى راسها **« ديتنى يونج »** ، وهناك **« مؤتمر المسيحيين »** الذى يقوده **« كنج »** . وهناك **« لجنة الطلبة للتعاون السلمى »** ويقودها **« رالف براون »** . (١) والاخيرة هى التى اعمل بها . وتتفق المنظمات الاربع الاولى مع نظام الولايات المتحدة ، اى النظام الراسمالى . وهذا مهم جدا فهى لا تهاجم ذلك النظام ، ومنظمتنا هى الوحيدة التى لا تتفق مع نظام الولايات المتحدة . نحن نقول انه لا يمكننا ان نكون جزءا من النظام الراسمالى . هذه هى كل التناقضات والمشاكل . وهذا هو اول انشقاق . ان جميع المنظمات ما عدا منظمتنا تتحدث من السلام . انها تريد السلام . ولكنا نقول ان السلام لا يعنينا وانما نحن نريد ان نتحدث من **العدل** فهو الاهم لنا . وانه طالما ان هناك ظلما فلن يكون سلام فلا سلام فى وجه الظلم . ان شعارهم هو **« السلام باى ثمن »** ولو مقابل الظلم . وهكذا ننفصل مرة ثانية لانهم يدعون الى عدم العنف ونحن ندعو الى حمل السلاح . وهذا تناقض وانشقاق داخلى . وتشعر هذه المنظمات ان الحركة السوداء فى الولايات المتحدة يجب أن تكون معزولة فلا ترتبط باى جزء من العالم . فهى مجرد حركة اقليمية لا يجب ان ترتبط بفيتنام او الشرق الاوسط او كوبا او افريقيا . انها مجرد مشكلة امريكية علينا ان نجلس ونحلها فيما بيننا . ونحن نقول اننا **جزء من العالم الثالث** وان كفاحنا غير منعزل . وانما هو مرتبط ارتباطا وثيقا بجميع حركات التحرر فى العالم ، وليس فقط فى افريقيا . وان من الاهمية بمكان لنا ان نكافح مع هذه الحركات لان نفس النظام يستعبدنا ويستعبدهم .

واعتقد ان الانشقاق الاكبر وهو الانشقاق الناجم عن تسميتهم ايانا بالعنصريين ، اى الخوارج عن نطاق التكامل فيما بيننا « كأمريكيين » . وهذا مهم جدا . فجميع هذه المنظمات الاربع تكافح من أجل الاندماج .. ان الرجل الابيض لا يريدنا ان نجلس بجواره ولهذا فهم يكافحون للجلوس معه . ولكننا نقول اننا لا نحارب من اجل الجلوس مع الرجل الابيض فهذا لا يعنينا . فاذا لم يرغب ان يجلس معنا فانه يخسر . وهذه مشكلته هو ، وليست مشكلتنا . فأنا اذا كنت احارب للجلوس مع الرجل الابيض فهذا ينقص من قيمتى ويمتهن كرامتي . فاذا قال الرجل الابيض اننى متفوق لاننى ابيض ولا اريد ان يجلس السود بجانبى ، ففى هذه الحالة اذا حارب السود لكى يجلسوا بجواره فهم يعطون الشرعية لهذا الشعور بالتفوق ، ويجب ان اكون متفوقا . هم يريدون ان يجلسوا بجوارى حتى لو لم ارد انا ذلك . اما نحن فنقول ان الكفاح من أجل التكامل مع

---

(١) كارمايكل ورالف براون يلعبان معا الدور القيادى فى هذه المنظمة .

نظام البيض ؟ معناه ان نضطهد في عقول شعوبنا الشعور بالحطة لانهم سيشعرون بأنهم لن يستطيعوا شيئا الا اذا جلسوا بجوار البيض . ونفس الشيء بالنسبة للاستغلال . فالبلاد التي يفترض فيها انها مستقلة تسير خلف سادتها السابقين : بريطانيا وفرنسا . ولا تقوم هذه الشعوب بعمل شيء لانها تنتظر حتى تتحرك فرنسا او بريطانيا اما هذه الاخيرة فلا تريد ان تتدخل الا لاستغلال هذه الشعوب »

لهذا نقول ان هذه المعركة من اجل الجلوس مع البيض ليست معركتنا . فلن نحارب لكي نصبح مع البيض وحدة واحدة . فاذا وضعنا الرجل الابيض في منطقة ما فليكن . ولتصبح هذه المنطقة لنا ، ولكننا سنجعلها صالحة لسكنانا . واذا اراد ان يعيش وحيدا فهذا شأنه ، ونحن لم يحدث قط اننا فرقنا او ميزنا بيننا وبين الابيض ، ولهذا لا يكون علينا ان نثبت له اننا غير عنصريين . وانما عليه هو ان يثبت لنا انه غير عنصري ، ولكنه لا يريد ذلك ولذا فنحن ايضا لن نفعل . ولاننا نرفض ان نحارب للتوحد » ، فهم يدعوننا عنصريين ، وقد يكون هذا اكبر انشقاق .

وحدة ام انفصال ؟

بالنسبة لنا ليست المسألة مسألة الوحدة ؟ وانما هي مسألة السيطرة ، مسألة القوة » مسألة التوحد هي مسألة القوة . فلو ان لدينا القوة لامكننا ان نحصل على ما نريد . فليفعل الرجل الابيض ما يحلو له . لن نخوض معركة من اجل الجلوس معه . هذا هو اكبر انشقاق »

الطليعة : على هذا فانت ترى ان من المستحيل ان تحاربوا كبروليتاريا امريكية ؟

كارمايكل : كلا ! لاننا نحن البروليتاريا . جميع السود بروليتاريا ، وفيما عدا هذا هناك امثلة قليلة :

الطليعة : كلا انني لا اتحدث عن هذا ، ولكنني اتحدث عنك عندما تقول انك لا تعتبر الزنوج امريكيين ، فهل من المستحيل — موضوعيا — ان تحاربوا كجزء من امريكا ، كطبقة بروليتارية في امريكا .. اريد ان نعود الى هذه النقطة بالذات كي نتفهم جيدا وضعكم »

كارمايكل : دعني اشرح لك : عندما اقول عند هذه النقطة اننا لسنا امريكيين فهذا يعنى اننا لا نتمتع بحقوق اي امريكي »

الطليعة : تعنى النظم ؟

كارمايكل : نعم . النظم . لان هذه النظم تحصل على ما نتمتع به من الترف من عرقنا » ولهذا نقول ان امريكا لنا نحن ايضا لان اسلافنا بنوها بعرقهم ودمائهم وما زلنا نحن نبنيها ، ولهذا فنحن نحارب من اجل تغيير امريكا ، من اجل ان نصبح جزءا منها . هل هذا مفهوم ؟ لعلني اكون قد اجبت عن السؤال »

الطليعة : نعم ، ولكن ما هي الاهداف التي تصبو اليها حركتكم ؟

كارمايكل : اننا نتطلع الى تغيير نظام الولايات المتحدة »

الطليعة : كيف تغيرونه اذا لم تكونوا جزءا منه ؟ هل تغيرونه وحدكم ؟

كارمايكل : كلا »

الطليعة : الانهم لا يفهمون التناقضين الاساسيين بين العنصرية والاستغلال ؟

كارمايكل : نحن نرى اننا على حق الان كحركة ثورية طليعية في الولايات المتحدة . ونرى ان وعيا ثوريا سيمتد من خلال حركتنا الى البروليتاريا البيضاء . ونحن نرجو هذا . واذا لم يحدث ذلك فلا مناص من ان نحارب لاننا مستغلون . والقتال مفروض علينا . وهم كذلك مستغلون ومقهورون . واذا لم يحاربوا فلن نستطيع نحن القيام بشيء من اجلهم . اعنى انه اذا استولت مثلا الصهيونية على مصر كلها او سوريا كلها ولم يحارب اي عربي فلن يستطيع اي شخص عمل شيء من اجلهما . فانت تحارب .. يجب ان تحارب واذا لم تفعل ؟ فقد نجيء نحن من الخارج ؟ ونقول دعونا نحارب لكم ولكن الواقع اننا لا نستطيع ان نحارب من اجلكم .. فعليكم وحدكم يقع عبء الحرب المفروضة عليكم . هذا هو موقفنا الان . اننا مقهورون وهم مقهورون ، فاذا لم يحاربوا فلن نستطيع ان نفعل شيئا ، ولكن يجب ان نحارب وقد صممنا على القتال ونرجو ان ينمو لديهم وعي ثوري في اثناء حركتنا وان يحاربوا هم حربهم ايضا وخلال هذا فقط نتقابل ونتفاعل »

الطليعة : لقد ذكرت الحركات الخمس بين السود في الولايات المتحدة . فهل خرج من الصدامات المتبادلة نوع من التشكيل واعادة التشكيل داخل الحركة السوداء ؟

كارمايكل : نعم ، فمثلا اخذ مؤتمر المساواة العنصرية هذا الموقف بكامله بحيث كانت النتيجة ٤ ضد ٣ . ومن المهم ان نعرف انه لا توجد خارج منظمتنا اية منظمة لها تأثير جماهيري حقيقي ولا اقول هذا لاننا نمت الى هذه المنظمة وانما لان هذا ثابت بوضوح . فنحن نستطيع

ان ننظم مظاهرة من عشرة آلاف شخص مرة واحدة ، اما هم فلا يستطيعون ذلك بالنسبة للسود . ان « مارتن لوثر كنج » يستطيع تنظيم مظاهرات من الشعب ولكنها من البيض . ومن البورجوازية . وهذا يوصلنا الى النقطة الاخرى وهى السبب في اننا نقول انه لا يمكن ان يكون هناك تعاون بيننا وبين الليبراليين في الولايات المتحدة . وهذا موقف سياسي محدد ثورى فالليبراليون في الولايات المتحدة جميعا اغنياء بالدرجة التى تجعلهم ليبراليين ».

الطليعة : اى طبقة تعنى ؟

كارمايكل : ناخذ مثلا الطلبة . فمن الذى يحرق بطاقات التجنيد ؟ انهم الطلبة . وموقفهم هذا ليس موقف **مقاومة** ، وانما هو موقف **احتجاج** لان طلبة الكليات ليسوا مضطرين الى الخدمة في الجيش . ولا يذهب احد منهم الى الجيش ، فبمجرد دخول الطالب الجامعة لا يصبح عليه ان ينضم الى الجيش ».

الطليعة : ولكن بعد دخول الجامعة ؟

كارمايكل : نعم . هذا ما يقولونه وهو يعنى انهم لا يدخلون الجيش . لأنهم بمجرد ان يتركوا الجامعة يمكنهم الالتحاق بوظيفة ، وهم يقولون ان هذه الوظيفة هامة جدا فهى جزء من الدفاع . واذا لم تجد وظيفة تؤدى الى اعفائك من التجنيد فهذا معناه انك غنى . لانه ليس هناك تعليم عال مجاني في الولايات المتحدة ، وانما هو يتكلف مثلا ١٧٠٠ دولارا سنويا للطالب ، وهذا المبلغ يكون متوسط دخل الاسرة السوداء ، فذهابك الى كلية يعني ان لديك نقودا تستطيع بها أن تعفى من الجندية . فتستطيع أن تحصل من طبيبك النفسى على تأشيرة تقرر انك غير لائق للخدمة العسكرية . فالطلبة ليس عليهم ان ينضموا الى الجيش عمليا . وقد كنت طالبا واعرف ذلك . والى ان يصبح موقفى من الجيش موقفا سياسيا فلا خوف علي . وعندما يصبح موقفى موقفا سياسيا عندئذ تتخذ الحكومة اجراء الاستدعاء الى الجيش . هؤلاء الطلبة هم من يحظى « **كنج** » بتاييدهم . ولكننا نقول انه من المستحيل يا مستر كنج أن نتحدث عن تعاوننا مع هؤلاء الاشخاص لانهم جميعا في موقف اقتصادي مضمون . اما نحن ففى موقف اقتصادى غير مأمون . وهم يحصلون على امانهم الاقتصادى من النظام القائم الذى يجعلنا نحن غير آمنين . فكيف يتسنى ان نتعاون سويا لتغيير هذا النظام ؟ ان هذا مستحيل . ان علينا ان نجارب مع اناس مهددين اقتصاديا ومستعدين للكفاح . هؤلاء هم البيض الفقراء . وهذا املنا الوحيد . والفقراء البيض ليسوا اقلية ، ولكن هنا ايضا تثور مسألة العنصرية بينهم .

ولكن الكلام عن التعاون مع هؤلاء الاشخاص لا يعنى تغيير النظام فان اقصى ما يصلون اليه هو القول : « ان معاملتهم لكم مشينة ولا يجب ان يفعلوا ذلك » . ان كفاحهم كفاح انسانى ، وليس كفاحا سياسيا . وهذا هو موقفهم من الحرب في فيتنام . انهم يقولون ان ما يحدث هناك مشين ومرعب ، ويجب الا تجعلوا هؤلاء الناس الفقراء يشتركون في حرب فيتنام . ولو ان موقفهم هذا كان موقفا سياسيا لبدأوا في تنظيم انفسهم سياسيا خارج نطاق الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة . ولكنهم لم يبدأوا في ذلك . وهم يتحدثون عن « حزب سلامى » ولا يتحدثون حتى عن « حزب سياسي » وهذا يشير الى انهم غير سياسيين على الاطلاق . ولكنهم جميعا يتخذون **موقفا انسانيا** ، غير انك عندما تشن **معركة سياسية** فلن تكون معركتك تلك معركة انسانية ، بل سياسية وانسانية معا ، فلابد لك في هذه الحالة ما يسمى بالتحليل السياسى . واذا شاهد شخصان ، احدهما ابيض والاخر اسود ، برامج التليفزيون عن فيتنام ، وكيف يضربونها بالقنابل ويحرقون شعبها واطفالها ، وعندئذ يبدى البيض الهم قائلين : « ياله من فعل مشين ! » . اما نحن السود فيستبد بنا الغضب لدرجة الجنون . هل ترى ؟ هذا هو الفرق : **انهم يشعرون بالرثاء ، اما نحن فنشعر بالغضب لدرجة الجنون** . وعلى هذا رفعنا شعار الحرب ضد الحرب . ولكنهم لم يرفعوا هذا الشعار ويكتفون بابداء السخط وبارسال بعض النقود او ما شابهها الى فيتنام ، ثم يرضون عن انفسهم . انهم لا يخوضون معركة لتغيير النظام لانهم يستمدون مستوى حسنا من المعيشة في ظل النظام القائم في الولايات المتحدة .

الطليعة : هل تعنى انهم مع لوثر كنج لانهم يتفقون ضدكم ؟

كارمايكل : نعم ، في الاساس . هذا هو ما وصلت اليه الامور الان . لم تبدأ الاوضاع هكذا ولكنها اصبحت الان واضحة . فعلى سبيل المثال يتخذ كثيرون ممن يؤيدون لوثر كنج موقفا مؤيدا لاسرائيل ، لان « كنج » اتخذ هذا الموقف . وهذا مهم جدا . **ولقد وقفنا نحن ضد اسرائيل ومع العرب** ومن هنا تبدو اهمية العمل السياسى . فجميع هؤلاء الناس يؤيدون اسرائيل ».

الطليعة : هكذا هو موقف البيض الليبراليين فماذا بالنسبة للشيوعيين البيض ؟

كارمايكل : نفس الشيء بالضبط .. من هم الشيوعيون البيض الان فى الولايات المتحدة ؟ انهم اذا رغبوا فى تنظيم مظاهرة فلن يجدوا خمسمائة شخص فى الشوارع . اننا نقول ان الحزب الشيوعى الابيض فى الولايات المتحدة هو الحزب الشيوعى الوحيد فى العالم الذى لا يضم بروليتاريا . هذه حقيقة وهى تنطبق على جميع الاحزاب الغربية البيضاء بدرجات متفاوتة ما عدا فرنسا التى يضم حزبها الشيوعى بعض البروليتاريا فى قاعدته ، ولكن يقوده المثقفون فى فرنسا . وهذا مهم جدا . اما فى الولايات المتحدة فالحزب الشيوعى يتكون من اساتذة الكليات الذين ينعمون بخيرات المجتمع الرأسمالى وجميعهم اغنياء . وبالنسبة للعمال البيض هناك اسباب تدعو الى عدم تحركهم . فالعمال البيض يتمتعون بما يسبغه عليهم المجتمع الرأسمالى الذى يستغل ثلث العالم . والسبب الذى مكن الغرب الابيض من تجنب الصدام الطبقى الحتمى الذى تحدث عنه ماركس هو ان هذه البلاد بدأت فى استغلال ثلث العالم . وعلى سبيل المثال « انجلترا » وهى بلد صغير ولا تستطيع ان تنتج منفردة ما يكفى شعبها من الطعام . ولقد كان فى انجلترا اشخاص اغنياء .. عدد قليل من الاغنياء . وهنا تحركت الجماهير . وعندما حدث ذلك قال ماركس ان دعوتهم الاولى هى لمزيد من النقود ، فاذا لم توجد هذه النقود فستصبح هذه الجماهير اكثر ثورية وتطلب توزيع الدخل . وعندئذ قال الذين فى السلطة انهم يطلبون مزيدا من النقود ، اذن فلنتجه الى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية . وفعلوها وحصلوا على مزيد من النقود ، واعطوها للجماهير التى اخذت النقود واغلقت فمها . واذن فمن اين حصل هؤلاء الناس على مزيد من النقود ؟ .. من المستعمرات . هذا هو السبب فى انها لن تصبح ثورية . وهى ستصبح كذلك فى حالة واحدة . عندما ينقطع هذا المورد عنها . وعندئذ فقط ستحدث ثورة فى الغرب الابيض . وهذا هو السبب فى انك لا تستطيع التحدث عن حركة ثورية فى اى مكان فى الغرب اليوم ، لانه عندما يكون على فرنسا ان تعيش على خيراتها فقط ، وعلى انجلترا ان تعول نفسها بنفسها ، وكذلك المانيا والولايات المتحدة .. عندئذ فقط ستوجد حركات ثورية .

الطليعة : هذه كما نرى وجهة نظرك الاستراتيجية ، ولكن ما رأيك فى التاكتيك ؟

كارمايكل : التاكتيك فى غاية البساطة .. فأولا علينا ان نجعل شعبنا يحمل السلاح لانه بمجرد ان يحمل السلاح فسيكون مستعدا للحرب .. وعندما يحدث هذا سيبدأ الرأسماليون يشعرون بأن المسألة هى : حياتنا او حياتهم . اذن فهذا هو اول واجب امامنا . دع الشعب يحمل السلاح ويحارب . وعليك ان تبدأ بتنظيم عدد من الهيئات فى جميع انحاء البلاد ، وعندما تكون الجماهير مستعدة للحرب نستطيع ان نبدأ بالتنظيم . وهذا هام جدا . لان الشعوب التى لم تتعود على الحرب يكون انخراطها فى الحرب بطيئا . وهذه هى المشكلة التى تواجه افريقيا وامريكا اللاتينية . ففى امريكا اللاتينية لم تحدث حرب حقيقية فى اى وقت . ولدينا الان حركات العصابات وسوف توقظ هذه الحركات الشعوب لتحمل السلاح . وعلينا ان نفعل المثل ولدينا حركات عصابات صغيرة لبدء عمليات تمرد توقظ الشعب للمعركة . عليك ان تجعل الشعب يحارب والطريق الى ذلك هو بدء التمرد فى مكان ما ، فلا يعرف البوليس على من يقع اللوم ، ويهاجم الجماهير كلها . فيضطر الجميع الى الحرب ، اذ لن يكون هناك بديل لذلك . فطالما كان هناك امل لدى الجماهير فهى لن تحارب . ولهذا فسنبدأ فى هذا . ويبدء الحرب نستطيع الحديث عن السيطرة على المؤسسات السياسية والحربية فى مجتمعاتنا .

الطليعة : هل هذا هو معنى السلطة السوداء ؟

كارمايكل : نعم . انه المعنى المباشر . وتجىء بعد هذا بالطبع الخطوة التالية . حيث يراودنا الامل فى اعطاء مفهوم ثورى لجميع الثوريين ، الطبقة العاملة باكملها بما فى ذلك البيض الفقراء . ويصبح مهما بالنسبة لنا فى هذه المرحلة — مرحلة الحرب التى نتحمل مخاطرها ان نتطلع الى العالم الثالث . فنقطع الموارد الاجنبية عن الولايات المتحدة على جانب عظيم من الاهمية . فالاقتصاد الامريكى يعتمد على الذهب الذى يجيئها من افريقيا الجنوبية .

مانهاتن

جزيرة تقع بين النهر الشرقى ونهر هدسون . طولها ١٢٫٥ ميل وعرضها ٢٫٥ ميل . واحدة من احياء مدينة نيويورك الخمسة .. وتضم اكثرها كثافة للسكان حيث يقيم بمانهاتن من ٢ مليون نسمة (١٩٥٠) . ويخترقها شارع من اهم واطول شوارع العالم (طوله ١٦ ميل) وهو شارع برودواى المشهور باماكن اللهو والسهر . ولكنه يضم الى جانب هذا اكبر واهم مراكز المال والعمل فى العالم .

فاذا سيطر الافريقيون على افريقيا الجنوبية ومنعوا الذهب عن الولايات المتحدة فسينهار الاقتصاد الامريكي ، وتنشب الثورة فيها . وهذا المثال يوضح أهمية كوبا ، فبمجرد أن قطعت كوبا السكر عن الولايات المتحدة تغير الموقف.وعليك ان تقطع جميع هذه المحصولات وعندئذ تحدث ثورة . فجميع دول الغرب متقدمة تكنولوجيا . ولكن جميع المواد اللازمة للمجتمع التكنولوجي لا توجد بداخل هذه المجتمعات . فالالمونيوم او الماس او اليورانيوم او البترول تجيء من الخارج . وبدونها لا تعيش هذه المجتمعات . وعند هذه النقطة ستوجد الحركات الثورية داخل الغرب. وهذا هو ما يجعلنا نتحمل التضحيات التي تفرضها علينا حركتنا ، رغم اننا نتطلع الى الحركات الثورية في العالم الثالث التي ستمكن تلك البلاد من التحكم في ثرواتها . كل هذا جزء من السلطة السوداء ونحن مازلنا بعيدين عن العمال البيض ، لان العنصرية بالنسبة لنا مهمة جدا جدا . ولا يستطيع من يعيشون خارج بلادنا ان يفهموها . كل ما علينا ان نقوله هو ان عليهم ان يتقبلوا كلامنا ويسيرون بأنفسهم اننا مستعدون للحرب مع الشعوب الثورية المستعدة لنفس الشيء . ان « جيفارا » بكل المقاييس رجل ابيض ، وهو يمثل واحدا ممن اعطونا درسا نظريا وعمليا عظيما وهو واحدا من الابطال . ولذلك فالمسالة ليست مسالة العنصرية . وانما هي مسالة الثوريين البيض. وليس هناك ثوريون بيض في الغرب الان . ارني واحدا وسوف اضع يدي في يده ..

الطليعة : هل قرأت اقوال ماوتسي تونج ؟

كارمايكل : نعم .

الطليعة : ما رأيك فيها ؟

كارمايكل : اعتقد انها عميقة . واعتقد ان ماوتسي تونج يمثل اتجاها فكريا في غاية الثورية خصوصا بالنسبة للشعب الصيني .

الطليعة : ولكن ما رأيك في مفهومه عن الثورة العالمية ؟

كارمايكل : اعتقد انه يجب ان توجد ثورة عالمية . وان هذه الثورة لا يمكن ان تكون منعزلة والا فستسحق . فنحن نرى ان الولايات المتحدة تشبه اخطبوطا رأسه داخل الولايات المتحدة ، وتمتد اذرعه لتخنق هذا البلد وذاك . ولقد كانت كوبا اول بلد استطاع قطع احد اذرع الولايات المتحدة . ولا يوجد اليوم سواها . وكل ما عداها اما خاضع للولايات المتحدة واما مرتبط بها بطريق غير مباشر . وتستطيع هذه البلدان ان تتحرك اذا هي بدأت بقطع اذرع الاخطبوط .

فعلى أي حال فالبلد الوحيد الذي تفقده امريكا هو كوبا ، اما الصين فلم تكن لها عليها سيطرة كاملة . وهناك شيء غريب بالنسبة للاخطبوط فان اذرعه تعود الى النمو بعد قطعها . فاذا سمحنا لها بذلك فستمتد الى جهة او اخرى . ولا يهم عندئذ مدى الحرب التي تنشب في وجهه . فلن تستطيع الشعوب وقفه. وهذا هو ما يحتم على كوبا أن تقوم بعملية اثارة للبلدان الاخرى . فاذا تحركت هذه البلاد سويا في اتجاه قطع هذه الاذرع فلن تجد وقتا للنمو ثانية . وسيضيع جهدها في الحرب ، ونحن نستطيع ان نقطع الراس .

الطليعة : تعني ضرورات قيام جبهات نضال عديدة ضد امريكا ؟

كارمايكل : نعم يجب ان توجد اكثر من فيتنام في العالم اجمع .

الطليعة : ما رايك الشخصي في حركتكم بين السود ؟

كارمايكل : من الصعب ابداء رايي . نحن نعرف ان جماهير شعوبنا السوداء متخلفة وهي وراءنا ، اعني انه حتى مع حدوث التمردات والهبات التي استطعنا قيادتها في وجه كنج ووليام وجميع الداعين الى السلام . ومع حقيقة انهم يمنحوننا اهتماما بالغا ، فانوزننا يزداد في الولايات المتحدة . ومع اننا ناخذ أوضاعا اكثر ثورية فان وزننا يزداد .

الطليعة : ما هي المساعدة التي تنتظرونها من شعوبنا العربية .

كارمايكل : لانطلب منكم الان اكثر من ان تحاربوا اسرائيل وان تستمروا فيمحاربتها . وازيلوها من الوجود . فعندئذ ستبعثون وعيا ثوريابين شعوبكم وبين شعوب العالم العربي . نعم اقطعوا هذا الذراع . انكم بذلك لا تصفون جيبا عنصريا فحسب بل ايضا توجهونضربة الى العدوان الامريكي الذي يساند هذا الجيب بكل قوة ويعتمد عليه في مد اذرعهالاخطبوطية ولقد اصدرنا بيانا ادنا فيه العدوانالاسرائيلي في الخامس من يونية . وهكذا فقد كنا دائما نخوض معركة دعائية ضد الصهاينة فيالولايات المتحدة وهذه في نظرنا هي الخطوة الاولى ، وهذا هو ما نستطيع ان نقوم به في الولايات المتحدة ولكي نقوم به نحتاج الى اتصالات اخوية وعلى قدم المساواة بين العرب .

الطليعة : ما هي خططكالان ..هل ستزورمناطق اخرى من العالم ؟

كارمايكل : سازور بعض البلاد قبل عودتي الى امريكا .

الطليعة : هل يجب ان تعود الى الولايات المتحدة الان ؟

كارمايكل : طبعا انها معركة . وعندما اعود الى الولايات المتحدة فلن اتركها قبل وقت طويل ان لم اعذب واقتل مثل غيرى من الزملاء وانا لا ارغب فى مغادرة الولايات المتحـدة الان . فالحرب ما زالت فى بدايتها .

الطليعة : نحن نقترح نشر هـذا الحـوار فى عدد ديسمبر القادم من الطليعة اذا لم يكن لديكم ما يمنع .

كارمايكل : لا يوجد اى مانع .

الطليعة : هل هناك اقوال معينة لا تودون لها ان تنشر حتى نقوم بحذفها .

كارمايكل : كلا . لا شىء . لكم الحق فى ان تنشروا كل ما قلته بالكامل . ليس لدى شىء اخفيه قط .

■ ■ ■

أزمــــــة اليســــــــار

يكتب هذا المقــال من امريكا اسـماعيل سراج الدين الذى يدرس حاليا بجامعة هارفارد . معبـرا عن رؤياه للمجتمـع الامـريكى الذى يعايشــه من الداخل منذ سنوات .

ويقوم اسماعيل سراج الدين بنشاط كبير وبناء بين الطلبـة والمبعوثين العــرب بالولايات المتحدة ، وهو يتولى رئاسـة اللجنة الثقافية لمنظمة الطلبة العرب بامريكا .

إســـماعيـــل ســراج الديــن

قــد يغلب على القارىء انطباع اولى مؤداه ان المجتمع الامريكى هـو حصن الراسمالية الحصين ، وانه لا يشمل — مع استثناء حركات الملونين — اى قوى تقدمية فعالة .

وهذا التحليل ، وان لم يكن خاليا من الصحة ، الا انه يتسم بالسطحية البالغة . فهناك فى الولايات المتحدة الكثير من القوى التقدمية التى تعمل على تطوير المجتمع الامريكى فى بعض الاحيان وعلى هدمه رأسا على عقب فى بعض الاحيان الاخرى .

ومع ان حركات الملونين هى اكثر هـذه القوى وضوحا وفاعلية ، الا اننا لن نتعرض لها فى هـذا البحث لان مشكلتها مرتبطة بصلة وثيقة بالعلاقات العنصرية فى المجتمع الامريكى ، ولذا سنحاول هنا ان نتفهم بعض الحقائق من الحركات التقدمية الاخرى ، ولاسيما :

- ماهى هذه القوى التقدمية ؟
- الى اى شىء تهدف هذه الحركات ؟
- لماذا فشلت هذه القوى فى احداث اى تغيير ملموس فى مجتمعها ؟
- ماذا يمكن ان نتوقعه لها فى المستقبل ؟

القوى التقدمية فى المجتمع الامريكى

اذا نظرنا الى الولايات المتحدة فى تاريخها الحديث، لوجدنا انها كانت تمثل المجتمع الراسمالى بأقصى ابعاده ومساوئه فى نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . بل اكثر من هذا ، فان اساس تكوين المجتمع الامريكى هو تقديس للملكية الخاصة انتقل من ملكية الارض الى وسائل الانتاج دون تعديل. فنهانجد الثروات الطائلة والامبراطوريات الصناعية الجبارة مثل « روكفلر » و « ديوك » و « مورجان » و « كارنيجى » .

وفى امريكا ، تماما مثل اوروبا ، ثار المثقفون على هذه الاوضاع مطالبين بتغييرها . وكان الاشتراكيون الامريكيون والراديكاليون من الانتلجنسيا فى هذه الفتره يتمتعون باحترام وتقدير العامة . وقد اسهم فى هذه النظرة وذلك الاعجاب، أن المجتمع الامريكى حينئذ كان مجتمعا مقفلا ، لا يمكن أن يوصف بالشعبية (١) بأى حال من الاحوال وكانت عامة الشعب تشارك المثقفين الراديكاليين عزلتهم عن المجتمع الفعلى .

وانطلاقا من هذا التزاوج بين الفكر اليسارى والسخط الشعبى نتجت حركات ثورية (٢) ، اطاحت لاول مرة بتقديس الملكية فى سبيل العدالة الاجتماعية . ويمكن أن نشير بصورة عابرة الى قانون شرمان لمنع الاحتكارات(١٨٩٠) Anti Trust الذى يعتبر اول خطوة فعالة فى الحد من سلطة راس المال بتدخل حكومى مباشر (٣) .

وجاءت المجابهة الاولى سنة ١٩١١ بتحطيم امبراطورية «روكفلر» (وذلك باجباره على بيع غالبية اسهمه فى شركة ستاندارد اويل وهى عماد ثروته) لتحديه السافر لكل الاعتبارات الانسانية فى معاملاته التجارية (٤) . ولكن قوانين محاربة الاحتكارات لم تتسم بالفاعلية والجدية الى عام ١٩٤٥ (٥) ، حيث جابهت الحكومة الفدرالية حقيقة معنى الاستغلال واعترفت بانه يكفى أن يكون رأس المال ضخما ليمنع تكافؤ الفرص .

الا ان التدخل الحكومى لم يظهر بصورة واضحة الى ان ثبت افلاس النظام الراسمالى البحت بسقوط بورصة نيويورك سنة ١٩٢٩ ، الامر الذى اتاح للراديكاليين فرصتهم الذهبية فى التاثير على مجتمع اطاحت النكسة بايمانه وتمسكه بالقيم البالية التى تنادى بالملكية الخاصة كوسيلة وغاية .

ومع ابعاد نكسة ١٩٢٩ لم يتمكن «الاشتراكيون» من السيطرة على الانتخابات الرئاسية ، بل وصل الى الحكم روزفلت ، وهو ليبرالى التفكير ، لايؤمن بمذهب اقتصادى معين او قيم اجتماعية واضحة (٦) وبدا ذلك التأرجح فى برامجه التى اتسمت بالمساومة السياسية والبراجمتيكية التامة .

وقد قام الحزب الاشتراكى الامريكى ، ويمثل طليعة الفكر اليسارى الامريكى فى الثلاثينات بوضع

---

(١) كان هذا المجتمع مجتمع صفوة ومختاره Elitist بالدرجة الاولى يمكن الاشاره هنا الى مقال روبرت ماكدونالد فى مجلة السياسة الجديدة New Politics المجلد الخامس : العدد الرابع ص ٧٧

(٢) حركات ثورية من حيث انها ادت الى تغييرات كيفية فى البنيان الامريكى الذى لم تطرا عليه ، الى ذلك الحين ، سوى تغييرات كمية لم تمس بصورة واضحة الهيكل العام . فالحرب الاهلية وان ازالت الرقيق رسميا الا انها لم تؤثر كثيرا على الوضع الاجتماعى والاقتصادى للملونين ولم تغير الكثير من قيم المجتمع الامريكى نفسه ، وهى تعتبر اقوى مجابهة بين القوى المتقدمة والرجعية فى امريكا .

(٣) قد اشار بعض المحللين الى قانون التحكم فى التجارة بين الولايات Interstate Commerce كاول مثال للتدخل الفعال للحكومة الفدرالية فى شئون القطاع الخاص . الا ان قانون شرمان يعتبر اول قانون كان الغرض منه العدالة الاجتماعية والاقتصادية بمحاولة ضمان تكافؤ الفرص امام الراغبين فى دخول ساحة التنافس الراسمالى ، ومن ثم اول خطوة اتخذتها الحكومة للحد من سلطة راس المال . خصوصا بعد تدعيمه بقانون كلايتون وقانون هيئة التجارة الفدرالية (١٩١٤) .

(٤) فى ذلك الوقت كان « قانون التقييم » Rule of Reason هو المعيار فى تطبيق العقوبات ومن ثم اعتبرت الحكومة الامريكية ان « الضخامة فى ذاتها لاتعتبر خرقا لقانون عدم الاحتكار » بل كان يجب اثبات ان المتهم تصرف وقام باعمال كان من نتيجتها التاثير على تكافؤ الفرص او حرية المنافسة (لعرض سريع لهذه المناقشة نقترح الرجوع الى كايفز : « الصناعة الامريكية » مطبعة برنتيس هول — نيويورك سنة ١٩٦٤) .

(٥) فى نظرتها الى قضية شركة الكوا ALCOA قررت الحكومة ان السيطره على قطاع ضخم من السوق (٩٠ ٪ من خام الالومنيوم فى حالة الكوا) يكفى لاحداث خلل بنظام التسويق والمنافسة الذى يعتبر قاعدة الاقتصاد الراسمالى .

(٦) كان روزفلت يعتبر من الطبقة العليا (الاليت) الامريكية ، ولم يكن لديه افكار اقتصادية راسخة ، بل حاول دائما العمل على ارضاء الجمهور مع اتخاذ مايحلو له من افكار اليمين واليسار على السواء . ولا تعتبر هذه الفترة ونجاح الـ New Deal فى رفع مستوى الاقتصاد الامريكى الا نجاحا جزئيا لم يهدم بل او حتى خلخل — قيم واسس المجتمع الامريكى .

برنامج شامل (٧) ، على أساس فكرى وعقائدى بمعيار ذلك العصر، كان يهدف الى أحداث — فورا — نفس التغييرات التى طرأت جزئيا على المجتمع الأمريكى فيما يقرب الان على أربعين عاما .

وفى هذه الفترة ظهرت الحركات الفكرية التى كشفت عن أخطاء ومساوىء التمسك بالديموقراطية كما تطبق (٨) ، وتقديسها ، وتجميدها .

أما عن الحزب الشيوعى الامريكى الذى طالما لاقى المقاومة والتشهير ، فكان من أسباب فشله تمسكه بمحاولة تطبيق التجربة السوفييتية فى مجتمع له ظروف أخرى متميزة، وربما لم يكن هناك تجاوب كاف بين هذه الحركات اليسارية — الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى — وبين عامة الشعب، وبدات الهوة الكبيرة بين المثقفين الراديكاليين وبين القاعدة الجماهيرية تأخذ فى الاتساع (٩) ، الامر الذى ادى الى زيادة عزلتهم وتصنيفهم « بغير اللائقين » Misfits واصبحوا اداة فى يد الحكومة، تستعملهم كلما ارادت تبرير عمل من أعمالها ، رفعت شعار « الشيوعية الجسيمة » أو « الاشتراكية المتسللة » (١٠) .

وكان نتاج ذلك التزاوج بين الفكر الراديكالى والسخط الشعبى الذى تكلمنا عنه مجتمعا شعبيا مع نظم خيرية Welfare State ، قد يتصف بالديموقراطية أكثر منه بالحكمة والعقل . وهذا ويجب أن ننبه القارىء الى اننا نتعرض هنا لمشاكل اليسار الامريكى دون تناول مشكلة الملونين التى سنخصص لها — لابعادها وتركيبها الوعر — بحثا مستقلا .

واليوم يقف امامنا المجتمع الامريكى ، مجتمع الوفرة ، عملاقا هائلا يمتد نفوذه الى العالم بأسره ولكنه مازال محتفظا بنواقصه التى لم يتمكن الفكر الليبرالى من مواجهتها ، بل ادت شعبية ذلك المجتمع الى خلق قيم متفلة أسرت الغالبية العظمى من الفكر التقدمى الامريكى .

ان المنظمات السياسية التى تعتبر بالضرورة تقدمية ، مثل **نقابات العمال** ، أصبحت تعمل يدا بيد مع جهاز **الحزب الديموقراطى** ، الذى يساند فى غالبية الاحوال رجعية فعلية (١١) مع رفع شعارات ديموقراطية تمويها بالليبرالية (١٢) . اما **الحزب الجمهورى** ، فلا يحاول حتى أن يبنى لنفسه صورة تقدمية ، مفضلا اجتذاب التراثيين Traditionalists واليمنيين بأنواعهم (١٣) .

وقد بدات حركات جديدة امام افلاس الفكر الليبرالى وتجاهله للمشكلات الحقيقية للمجتمع الامريكى ، وساد جميع هذه الحركات تحت عنوان « **اليسار الجديد** » . وهى — فى تقديرى — تمثل القوى التقدمية الجادة الوحيدة فى الميدان السياسى الامريكى اليوم .

واليسار الجديد ليس حركة واحدة محددة، ولكنه عبارة عن مجموعة من الحركات غير المتصلة لا يربطها سوى أنها — على عكس الليبراليين — تريد تغييرات جذرية فى البنيان الامريكى ، وتعتبر الاصلاح أو التطوير غير ذى جدوى .

ويجب علينا ، فى هذه المرحلة ، أن نفصل منها اقوى مجموعاتها تأثيرا وهى الحركة المسماة « **بالقوة السوداء** » Black Power ، ونقصر البحث هنا فى باقى منظمات اليسار الجديد ، لان حركات الملونين تزداد عمقا وتعقيدا ولا يجوز تحليلها فى نفس الاطار الفكرى كحركات البيض الاخرى فى اليسار الجديد .

ان هذه المجموعة الثائرة قد وقعت فريسة لشعبية الفكر الليبرالى فنجد « الطلبة لمجتمع ديمقراطى Students For a Democratic Socity وهى اكبر هذه التنظيمات ، تدعو الى الشعبية ، خالطة بين الدوافع والاعمال .

ان هذه المجموعة الثائرة ، لم تحدد لنفسها اهدافا واضحة ، الشىء الذى أطاح بها فى عيون العامة ، الذين لا يفهمون هذه الثورة ، ويصفونها

---

(٧) برنامج سنة ١٩٣٢ كان يشمل تحسينات جذرية مثل التامينات الاجتماعية وبدلات بطالة وتحديد ساعات العمل (٣٠ ساعة فى الاسبوع) وحد ادنى للاجور ومنع تشغيل الاطفال ، وتاميم الموارد الرئيسية (الغابات ، البترول ، الخ) توحيد نظام النقد والبنوك ، مضاعفة الضرائب فى الشرائح العليا وعلى التركات، وتحسينات جذرية فى حال الفلاح الأمريكى. كما اتخذ الحزب الاشتراكى مواقف ثورية تجاه مشكلة التفرقة العنصرية ، والحريات الشخصية ، وتعديل الدستور لضمان ذلك. وفى المجال الدولى قامت قيادة الحزب بالدعوة الى السلام مع تدعيم الحركة الاشتراكية العالمية ، وانهاء العزالية الولايات المتحدة ، ولكن مع عدم تدخل امريكا عسكريا فى اى مكان فى العالم فى امور الدول الاخرى وبداية ذلك بانسحاب القوات الامريكية من هايتى ونيكاراجوا . وان قيادة الحزب الاشتراكى — نورمان توماس بالذات — وان لم تنجح نجاحا ملموسا سياسيا ، كان لها الكثير من التاثير على الفكر التقدمى الامريكى .
(٨) بالذات كتابات هربرت ماركيوز واورتيجاى جاسيت .
(٩) مثال ذلك محاولة شيوعية لكسب الملونين فى الجنوب بالمطالبة بحق الخيار المضى لولايات قلب الجنوب .
(١٠) مثل محاكمات ماكارثى فى الخمسينات .
(١١) مثل السيناتور ستينس وديلى عمدة شيكاغو
(١٢) كالمساواة للملونين ، وسن قوانين الحقوق المدنية التى بقيت حبرا على ورق رغم تسلط الحزب الديمقراطى على حوالى ثلثى الجهاز الحكومى فى امريكا
(١٣) ولو ان هذا بدا يتغير فى انتخابات سنة ١٩٦٦ بعض الشىء بنجاح امثال برسى وهاتفيلد فى الوصول الى مجلس الشيوخ (السينيت) .

بالجنون أو الخبل ، الأمر الذي زاد من الهوة الكبيرة بينها وبين الشعب .

أهداف اليسار الجديد

ان ما يتميز به اليسار الجديد عن الحركات الليبرالية الاخرى ، اذن ، هو الاقدام على تغيرات جذرية في المجتمع والبنيان الاقتصادي الامريكي ، وبالطبع انعكاس ذلك على السياسة الخارجية .

الا أن اليسار الجديد لم يتمكن من بلورة فكره بصورة واضحة ، الأمر الذي يحيطه بهالة من الغموض في نظر غالبية الشعب الامريكي ، ويتيح الفرصة لاعدائه بتشويهه بشتى الوسائل .

ويمكننا ان نقول بصفة عامة ان الاهداف المشتركة بين غالبية المجموعات التي تكون اليسار الجديد هي :

١ ـ مقاومة الامبريالية الامريكية والتدخل العسكري متمثلة في حرب فيتنام .

٢ ـ القضاء على الاتجاه العسكري المتمثل في ميزانيات هائلة للدفاع .

٣ ـ القضاء على الفوارق الشاسعة في توزيع الدخل في امريكا وذلك بوسائل شتى منها التأميم (الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي) والضرائب .

٤ ـ الموقف المساند كلية لحركات الحقوق المدنية والمساند مع بعض التحفظات لحركة «القوة السوداء » .

٥ ـ اعادة النظر في أساس القيم الامريكية (النداء اليه كهدف مستقل شبه مقتصر على حركات الملونين) .

وعلينا هنا ان نتوقف قليلا ونتناول هذه الاهداف بشيء من التحليل لفهم أبعاد حركة اليسار الجديد واختلافها عن الحركات الليبرالية كقوة تقدمية هادفة مخلصة في الميدان الامريكي .

مقاومة الامبريالية الامريكية والتدخل العسكري

ان الجناح الليبرالي في امريكا ، قد وقف بشبه إجماع موقف العداء من السياسة الامريكية في فيتنام . الا أن الكثيرين ممن يعارضون هذه السياسة يتفقون مع اهدافها ، وتتحول هذه المعارضة الى اعتراض على الوسائل لتحقيق « أهداف مشروعة » . وهناك من يدعون الى طرق أكثر انسانية في التعامل ، الخ .

الا أن هناك أيضا مجموعة من المحافظين يعارضون الحرب على أساس انعزالي ، ويتمثل هذا بالذات في مجلس النواب للكونجرس بالدرجة الاولى .

اما اليسار الجديد ، فينزع قناع « الاهداف المشروعة » عن الامبريالية الامريكية ، ويواجهها على حقيقتها . ولايكتفي بطلب عدم التدخل العسكري أو مايشابه ذلك من الوسائل العدوانية ، ولكنه يطالب (في أغلب الاحيان) بمساندة الحركات الوطنية والتقدمية في العالم كله ، وبذلك يقف موقف الخصومة من الجناح الليبرالي .

ان مضمون موقف اليسار الجديد ، هو أن على الولايات المتحدة اتباع سياسة عالمية تقدمية ، وذلك بالمساندة المادية والمعنوية للقوى التقدمية في العالم الثالث مع محاولة الاتفاق مع الدول العظمى (وفي مقدمتها الصين الشعبية) للحد من الاسلحة النووية .

ومن ثم يبدو واضحا مدى كذب البيت الابيض الذي يحاول ان يخدع عامة الشعب الامريكي باتهام مقاومة اليسار الجديد (وفي هذه الحالة الجناح الليبرالي ايضا) بانها عودة الى الانعزالية (١٤) تارة والى الشيوعية تارة أخرى .

القضاء على العسكرية الامريكية

وهنا يوجه أعضاء اليسار الجديد ضربة قوية الى قلب النظام الامريكي نفسه بتحدي القيم الاساسية التي ترسم السياسة الامريكية . فالمصاريف الباهظة التي يتكلفها الشعب الامريكي للمحافظة على قوته العسكرية المتزايدة (حوالي ٦٩ بليون دولار لهذا العام) لاتتناسب بالمرة مع الميزانية التي ترصد للاصلاح الداخلي (التي لم تتجاوز ميزانيتها هذا العام بليوني دولار «لمحاربة الفقر») . ومن ثم نرى أن الدافع وراء معارضة العسكرية ليس مجرد طعن في النوايا العدوانية (١٥) وانما هو تحد قاطع للقيم التي تحدد الاولويات في السياسة الامريكية .

(١٤) من الجدير بالذكر ان وهم الانعزالية الامريكية قبل روزفلت ليس حقيقيا . فامريكا حقا اعتزلت عن الميدان الدولي في اوروبا والشرق ولكنها لم تكف من التدخل السياسي والعسكري في الامريكتين والمحيط الهادي ، ومثال ذلك الحرب الاسبانية ـ الامريكية (١٨٩٨) والحملات البوليسية تحت ثيودور روزفلت .

(١٥) من الطريف ان طالب البيت الابيض ووزارة الدفاع بمبالغ هائلة للتمكن من اعداد قوى ضاربة تتحرك بسرعة كبيرة الى اى مكان في العالم . وثارت ثورة الليبراليين واليساريين ولكنهم لم يتمكنوا من محاربة هذا الهدف ، الا ان الانعزالية الرجعية الحقيقية في مجلس النواب بالكونجرس هي التي تمكنت من ايقافه ، لا انشغالا بمبادىء انسانية ، ولكن توفيرا للميزانية !

القضاء على الفوارق الشاسعة في المجتمـــــع الامريــــــكي

طرح جونسون — بمساندة الجناح الليبرالي — « الحرب للقضاء على الفقر » كعمود الاســـاس « لمجتمعه العظيم » . والافتراضات الاســـاسية التي بني عليها البرنامج هي أن المجتمع الامريكي « مجتمع مفتوح » ، ولذا يمكن لكل عائلة أن توفر قدرا من العيش الكريم ، ولذا فان جميع العائلات التي يقل دخلها عن ٣٠٠٠ دولار سنويا (١٦) تعاني نقصا ما ، على المجتمع معالجته . وانطلاقا من هذا التعريف للفقر بأنه مجرد عدم توفر قسط معين من المال ، تحددت مجموعة كبيرة من البرامج هادفة الى رفع دخل هذه الاسر المحرومة . ومن الجدير بالذكر أن البيت الابيض قد اعرب عن آماله للقضاء على الفقر بهذه الطريقة . وهاجم اليسار الجديد هذه الافتراضات الاساسية للاسباب التالية :

ا — ان الفقر ليس نقصا في « المجتمع المفتوح » وانما هو جزء متكامل منه ، لان المجتمـــع ليس مفتوحا طالما لم يتوفر تكافؤ حقيقي للفرص .

ب — ان الفقر ليس مجرد نقص في الدخل وانما هو حالة اجتماعية ، واذا قبلنا تعريف الحكومة ، لوجدنا انها لن تمحو الفقر ابدا حتى لو نجح البرنامج كلية ، فستكون النتيجة مجرد رفع « مســـتوى الفقر » من ٣٠٠٠ دولار الى (مثلا) ٤٠٠٠ دولار . وهذا ليس حلا للمشـــكلة لانه لا يجابه الدواعي الاساسية لوجود هذه الحالة (مثل التفرقة على أساس الدخل، الخ . من القيم الاجتماعية البالية) .

وانطلاقا من السبب السابق ، يطالب اليسار الجديد بمنهاج جديد لمحاربة الفقر في أمريكا بناء على تغيير الكثير من النظم والقيم الاجتماعية التي تسمح وتشجع خلق مثل هذه الفروق ، ويصحب ذلك مساعدة مادية ومعنوية للكادحين المتكونين من الفقراء حاليا (١٧) .

حل المشكلة العنصرية

بينما وقف اليســـار الجديد مساندا لحـــركات الحقوق المدنية وعلى راسها أمثال « مارتن لوثر كنج » و « ويتني يونج » و « روي ولـــكنز » و « بايارد راستن » و « فيليب راندولف » (١٨) الا انهم ينظرون الى هـــذه الحـــركات — الليبرالية اساسا — بشيء من الضجر لانها لم تتمـــكن من تحقيق انتصارات سريعة في الاعوام السابقة ، وبدا بعض المفكرين مثل شارلز فايجر وجوليوس جاكوبسون ينتقدون فلسفتها الاساسية التي تنادي بتكوين جبهة ليبرالية موحدة مع العناصر الليبرالية (١٩) لتحقيق العدالة الاجتماعية التي يطالب بها الملونون . الا أن صيحة « القوة السوداء » التي رفعهـــا ستوكلي كارمايكل وفلويد ماكيسيك شعارا للزنوج قد لاقت موقفا مناهضا من اليسار الجديد الابيض والكثير من النقد والعتاب من قادة حركات الحقوق المدنية الملونين . ويمكن القول ان اليســـار الجديد وان كانت سنـــك SNCC وكور CORE تعتبـــر ضمنا فيه، منشق على نفسه حول هذه القضية (٢٠) وان الكثير من ذلك الموقف المبهم ناتج عن عدم بلورة فكر كارمايكل حتى الآن ، ومن ثم عدم فهم الكثير من البيض حقيقة وابعاد هذه الحركة (٢١) .

اعادة النظر في القيم الاساسية للمجتمـــــع الامريــــــكي

ان المفـــكرين جرؤوا على المنـــادا‌ة باعـــادة النظر في « القيم المقدســـة » مثل الديموقراطية الأمريكية ، الملكية الخاصة ، الدستور الامريكي الخ ... يعتبرون قلة نادرة (هذا طبعا باستثناء حركات الملونين) ولكن هذا الاتجاه المشجع قـــد بدأ في التبلور في مقالات هامة (مثل مقال ماكدونالد الذي اشرنا اليه من قبل) ولكنه إلى الان لا يصح ان نعتبره اتجاها محددا ذا قيم وفلسفة مرسومة .

---

(١٦) متوسط دخل الاسرة الامريكية حوالي ٦٥٠٠ دولار سنويا (١٩٦٥) .

(١٧) مثـــل مقـــال بول جاكوبس في « السياسة الجديدة » New Politics المجلد الخامس العدد الرابع ، ص ١٤ .

(١٨) كل هؤلاء القادة يمثلون حركات ومؤسسات مختلفـــة (وهي بالترتيب Urban League NAACP ومعهد فيليب راندولف) تعمل لتحقيق اهدافها عن طريق جبهة ليبرالية .

(١٩) هذه الجبهة مفروض لها ان تضم نقابات العمال ، الكنائس ، المفكرين والمثقفين والطلبة ، وحركات ومؤسســـات الزنوج . الا ان الكثير من هـــذه العناصر الليبرالية ليس ليبراليا بتاتا ، ومثال ذلك نقابات العمال التي — باستثناء الـ UAW تحت قيادة والتر روثر — اصبحت معاقل للرجعية الامريكية ، ولا سيما موقف جورج ميني رئيس النقابات (AFL-CIO) تجاه حرب فيتنام .

(٢٠) من قادة الفكر في اليسار الجديد من يساند هذه الحركة — مثل شارلز فايجر — ومنهم من يوجهون لها النقد مثل جوليوس جاكوبسون .

(٢١) ربما احسن ماكتب في تحليل هذه القضية كتاب شارلز فايجر ، تاملات بيضاء على القوة الملونة (مارس ١٩٦٧)

هذه اذن هي الاهداف الرئيسية التي يتسم بها اليسار الجديد في امريكا ، وهي في مجموعها ومفرداتها تمثل اتجاها تقدميا رائعا يبشر بتحقيق الكثير من التغيير المجدي في المجتمع الامريكي ، الا ان الحقائق لا تتمشى مع هذه النظرة ، فاليسار الجديد مازال (باستثناء حركات الملونين) من أضعف القوى السياسية في الميدان الامريكي ».

أسباب ضعف اليسار الجديد

من الصعب سرد أسباب ضعف اليسار الجديد لان اليسار الجديد ، كما بينا ليس حركة سياسية متكاملة ذات ايديولوجية واضحة محددة ، بل يمكننا ان نعتبر ان ذلك هو السبب الرئيسي لضعف تأثير هذه القوى اليسارية في السياسة الامريكية. الا ان هناك مجموعة من العوامل تضاعف هذا الوضع سوءا وفي مقدمتها انعزال الفكر اليساري عن الجماهير الامريكية . ومن ثم يصبح الاتجاه الشعبي الذي يتمسك به الاشتراكيون الامريكيون عاملا في ضعفهم اذ يؤدي الى انهاك قواهم في محاولة يائسة لفتح حوار مع الجماهير . وقد يكون ذلك اتجاها سليما لو لم تكن كل وسائل الاعلام في ايدى قوى يمينية رجعية (امبراطوريات رأس المال) لايمكن ان يتعدى فكرها الفكر الليبرالي المتوسط . ومن ثم لايرى الجمهور الامريكي الا صورا خاطفة تدعو الى الازدراء والسخرية بدلا من عرض موضوعي لمفاهيم هذا الفكر .

وقد أصبح التكبر عاملا كبيرا في عدم تقبل الجمهور الامريكي للجديد . التكبر الذى بنته اجهزة الإعلام بتمجيد « السبيل الامريكي للحياة » ، والمثل الامريكية ، التي تبين المجتمع الامريكي في صورة مثالية لا علاقة لها بالواقع .

ولا يخلو السرد من عامل الافلاس — أو الفقر — الفكرى الذى يتسم به مجموع اليسار الجديد . فبالرغم من أهمية وأبعاد المفاهيم التي يقدمها بعض أفراد اليسار الجديد ، الا أن مجموع المنتمين اليه — باستثناء حركات الملونين — وهم من الطلبة يتعلقون بعبارات مثل « هذا البنيان الاجتماعي فاسد » وشعارات مثل « اتركوا الشعب يقرر » (٢٢) وينطلقون بهذه الشعارات الى الساحة العامة في مظاهرات حول موضوعات شتى ».

الشارع الخامس

احدث شوارع حي مانهاتن . ويعد من اكبر شوارع العالم حيث ترتفع على جانبيه اعلى ناطحات سحاب . وبه ارقى واغلى محلات الازياء العالمية وتنتشر على جانبي الشارع الخامس أيضا ، المتاحف والمكتبات . وبه المركز الرئيسي لمؤسسة روكفلر للخدمات الاجتماعية والثقافية .

ونتيجة ذلك أن فكر اليسار الجديد ، الذي طالما تحدثنا عنه ، هو عبارة عن مجموعة من آراء أشخاص منفصلين ، لم يبدأ الحوار الفعلي الجاد بينهم الا عن قريب . ونرى أن هؤلاء الاشخاص يشكون مر الشكوى من ذلك الاتجاه الشعوبي السطحي في « اتباعهم » (٢٣) ».

وربما اسوا ما اصاب اليسار الجديد من هذا التفكك وقلة الحوار والبلورة هو انه لم يضع في صورة مخطط واضح اعتراضاته واهدافه وبرامجه المقترحة ، وهذا هو ما يجعل منه « مجموعة متظاهرين » بدلا من حركة — أو حزب — معارضة.

ان ذلك يبين بوضوح لماذا لم يتمكن اليسار الجديد من تحقيق أى تغيير في السياسة أو المجتمع الامريكي.

تطلعات الى الغد

ان كل ما سبق من سرد لنواقص حركة اليسار الجديد لا يكون في ذاته أزمة . فهذه فترة نمو لحركة راديكالية ذات جذور شعوبية ، فترة حوار وتجاذب فترة بلورة ، من الممكن أن يتوقع أن يظهر منها فكر متماسك ذات اقتراحات واقعية فعالة يجابه تحدى البنيان الامريكي القائم .

وقد بدأ بعض الناس يتحدثون عن أن الازمة التي ستتيح لليسار الجديد فرصة التفاعل مع المجتمع هي المشكلة العنصرية ، تماما مثلما اتاحت نكسة ١٩٢٩ فرصة التفاعل بين اليسار القديم والمجتمع الامريكي المنهار .

---

(٢٢) شعار « الطلبة للمجتمع الديمقراطي » S.D.S وهم اكبر مجموعة منظمة في اليسار الجديد .

(٢٣) مثلا تشارلز فايجر وروبرت ماكدونالد ، وكلاهما مبتعد عن الاخر ، يتفقان في مطالبة الشباب الراديكالي « العودة الى المدرسة » لبناء كيان فكري سليم ، قاعدة يمكن ان ينبت منها في المستقبل امثال هربرت ماركيوز بول براجان واسحق دويتشر .

وهنا تثور مشكلتان !

الاولى : انه ليس ثمة مايضمن تبلور فكر اليسار الجديد ، ثم قبوله من مجموعة كافية من الناس تجعل منه حركة ديناميكية فى السياسة الامريكية .

ولكننا نستطيع أن نستبشر من بعض الظواهر التى تساند الرأى المتفائل ، ومنها أن أعضاء اليسار الجديد بدأوا يتعارفون ويتساندون فى كتاباتهم ، وهذه هى الخطوة الاولى نحو تكوين نواة من المفكرين ترسى القواعد الفكرية والعقائدية لحركة سياسية ناضجة .

الثانية : لو تقبلنا التفاؤل بخصوص المشكلة الاولى ، فهذا تطور يحتاج الى حقبة زمنية معينة . الا أن حركات الملونين قد بدأت فى ضغطها على المجتمع الامريكى — والمثال الاعظم ثورة ديترويت — مما قد يحدث الازمة « قبل اوانها » . أى أن الازمة قد تحدث قبل تبلور اليسار الجديد وآراؤه ، وسيقف الجناح الليبرالى عاجزا أمام هذا التحدى ، الامر الذى سيحدث فى عامة الشعب الامريكى الابيض ارتدادا لليمينية والعنصرية ، والقضاء على كل من مذاهب الحقوق المدنية واليسار الجديد والقديم .

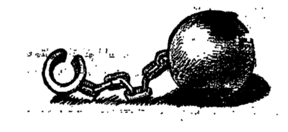
وأن هذه التأملات ليست مجرد احلام واهية ، وانما من الجائز قيام نظام فاشيستى فى أمريكا ، يغلب عليه طابع المجموعات اليمينية العنصرية المتطرفة مثل « مجموعة جون بيرسن » والمحاكمات الظالمة كالتى سادت فى عهد ماكارثى .

ولاشك اذن أن اليسار الجديد يمثل نور الامل على أفق الميدان السياسى الأمريكى . الا أن الطريق مازال طويلا وشاقا أمام من أراد أن يغير ويعدل فى المجتمع الامريكى . ومن الصعب علينا تقدير التطورات القادمة لما تمثله المشكلة العنصرية من انفجار كامن قد يغير معالم الميدان نفسه مزيلا الاوضاع التى ولدت اليسار الجديد والمشكلة العنصرية .

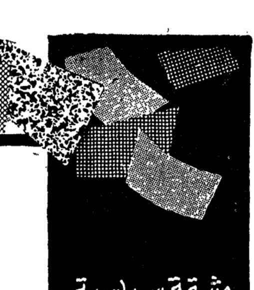
ان موقف اليسار الجديد من اسرائيل والعرب يتأرجح من مساندة تامة للقضية العربية (حركات الملونين واليسار العمالى المتطرف مثلا) الى مساندة جزئية لحقوق العرب فى فلسطين المحتلة (روبرت شير فى مجلة رامبارتس مثلا) الى موقف عدائى مبنى على جهل تام بالاهداف العربية التى كثيرا ما تصور بأنها مذابح حمراء وابادة لجميع سكان اسرائيل ، الشيء الذى يعيد المنطقة الليبرالية بدعوى للسلام ، طالبين من العرب ان « يتناسوا ويتساهلوا » فى سبيل الانسانية الخ ...

ولكننا يمكن ان نقول بالقطع ، ان نسبة المناصرين للخط العربى فى اليسار الجديد أكبر اضعاف المرات منها فى أى حركة سياسية او فكرية اخرى فى الميدان الامريكى ، وقد اتخذ اليسار الجديد فى مؤتمره الحديث بشيكاجو (نحو سياسة جديدة) قرارا يؤيد فيه العرب ويستنكر العدوان الاسرائيلى .

وبعد .. فمازال اليسار الجديد حركة مبهمة المعالم ، لم تتبلور ، وانما جمعت خيرة العناصر التقدمية الامريكية فيما يبشر بأن يكون عاملا ديناميكيا خلاقا فى ميدان السياسة الامريكية الحديثة . وقد يؤدى اليسار الجديد فى نيران الثورة العنصرية ان لم تحدث تغيرات سريعة فى كل من الموقف الليبرالى الامريكى وحركة الملونين . ان صورة دولة فاشستية عسكرية بمثل قوة وموارد الولايات المتحدة الامريكية امر رهيب يصعب على المرء تقبله . اننا لنا مصلحة فعالة فى نجاح اليسار الجديد واكتسابه لنا . ولن يتم ذلك الا عن طريق الحوار الفعلى بين فكرنا ومفكريهم ، الامر الذى بالضرورة سوف يستقطبهم حول قضية الحق . ان مصلحتنا فى نجاح اليسار الجديد ليست مجرد لان قيادة حكيمة لسلطان الولايات المتحدة امر نرغب حدوثه كما يرغب حدوثه أى شعب آخر ، ولكن من الناحية الانسانية التى لايمكن ان تغفل المشاكل الداخلية لـ ١٩٠ مليونا من البشر وان كانوا اغنى واقوى مجتمع فى العالم .







وثيقة سياسية

بيان جيش التحرير الوطني الى شعب بوليفيا

تنشر «الطليعة» البيان السياسى الذى أصدره جيش التحرير الوطنى فى بوليفيا توضيحا لحركته وأهدافه . « وجيش التحرير الوطنى » هو المنظمة العسكرية التى تؤمن بأن تحرير «بوليفيا» من الحكم الذى تسنده الولايات المتحدة الامريكية لا يتم الا من خلال الكفاح المسلح، وكان الشهيد « جيفارا » يعمل فى صفوفه عندما وقع فى أسر القوات الحكومية يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧، واغتالته بعد ذلك.

ما أطول تاريخ الفاقة والأوجاع التى تحملها ، ولا يزال يتحملها شعبنا . ان سيولا من الدم تدفقت دون انقطاع عبر مئات السنين . أما الامهات والزوجات والبنات والاخوات اللواتى ذرفن أنهارا من الدموع فانهن يحصين بالالوف ، وبالالوف أيضا الابطال الذين أحبوا بلادهم وحصدت أرواحهم حصدا .

يا سكان هذه الارض ، لقد عشنا ولا نزال نعيش كغرباء فى بلادنا ، حيث يملك كل مستعمر يانكى (١) (تحت ستار مايسميه بامتيازاته) الحق فى أن يدمر ويخرب ويحرق المساكن والحقول والممتلكات التى تخص شعب بوليفيا . ان أرضنا لم تعد ملكا لنا، وثرواتنا الطبيعية إنما تسخر لاثراء الاجانب الذين لايتركون لنا سوى السل فى صدورنا. وليس ثمة من مدارس لاطفالنا ، لا ، وليست هناك مستشفيات أيضا. أما ظروف حياتنا فتعسة ، والاجور التى نتقاضاها تعنى الجوع ، ويموت من المسغبة كل عام الالوف من الرجال والنساء والاطفال، وكم هو مخيف البؤس الذى يتردى فيه سكان الريف . وبعبارة أخرى نحن نحيا كالعبيد،

---

(١) « اليانكى » : هو الاسم الذى يطلق عادة على الامريكيين من سكان الولايات المتحدة .

محـــرومون من حقــوقنا ومن مكاسبنا، هذه الحقوق والمكاسب التى تداس بالاقدام ».

وفى عام ١٩٦٥ وتحت انظار العالم الذى استبد به الهلع ، خفضت الاجــور مرة أخـرى ، وفصل العمال ، وسجنوا، ونفوا، وذبحوا ، وقصفت بالقنابل ونهبت الاكواخ التى تأوى العـزل من النساء والاطفال .

وهذه هى الظروف التى نعيش فى غمراتها . لـكن شعبنا كان ولا يزال شعبــا من المجاهدين ، ولن يرضى أبدا بأن يسجن . وكم من الابطال ، من عمال المناجم ، والفلاحين ، وعمال المصــانع ، والمدرسين، والاساتذة، والطلاب، ومن شبابنا المجيد ـــ بوجه عام ـــ كتب بدمائه أمجد الصفحــات فى تاريخنا !

وتنهض أمام اعيننا وامام اعين العالم كله ، هذه الشخصيــات الاسطورية : شخصيات باديللا ، ولانزا ، ومينسيز ، وسورانيس ، ورافيللو ، وموريللــو ، وتوباك آمارو ، ووارنز ، كمــا تنهض ايضا بطلات من امثــال جوانا آزودوى دو باديللا ، وبارتولينا ســيزا ، وفيسنتا فيجوينــو ، وسيمونا مانزانيدا ، ومئات من الرجال والنســاء الذين ضربوا المثل لشعبنا البطل المستعد لان يحذو حذوهم .

واذا كانت الاجيال التى تقدم بها العمر من شعبنا قد تحملت عبء كفاح دموى طيلة خمســة عشر عاما لتقيم صرح وطن حر، فانه لم تمض سنوات قليلة حتى عادت قوى رأسمــالية جــديدة لتغرس مخالبها فى الوطن الذى ايقظه بوليفار(٢) وسوكره (٣) . ومنذ أن تأسست الجمهورية حتى يومنا هذا ذبح الآلاف من الفلاحين بطريقة وحشية ، وتلقى الآلاف من عمال المناجم والمصانع طلقات الرصاص ردا على مطالبهم ، غير اننا نعـد بالآلاف ايضــا هؤلاء الجنرالات « المغــاوير » الذين حصلوا على ترقياتهم ورتبهم فى معركة غير متكافئة، وهم يضربون برصــاصهم وقنــابلهم الشعب الاعزل ، الذى ينهض مرة اخرى وليس لديه سوى سلاحه الوحيد: صــورة البطل ، هــذا المتراس الذى لايتطرق اليه الوهن ، ولا يقبل الهوان ».

اننا لم نمح من ذاكرتنا ذكريات العنت ، والمذابح ، والجرائم التى كان شعب بوليفيا ضحية لها . ولكن ، أيهــا السادة من رجال الشرطة والجنرالات والامبرياليين اليانكى: تدق اليوم ساعة نهايتكم: انتم يامن صبغت مخالبهم وانيابهم دماء الشـعب البـوليفى . ومن غمــار مستنقعــات الــدم التى جعلتموها تجرى كسيل عارم ، ومن رفات هذه الآلاف من الوطنيين الذين طاردتموهم ، وسجنتموهم، ونفيتموهم ، وذبحتموهم ، ينهض اليوم جيش التحــرير الوطنى ، ويمسك بالزناد رجال من الريف والمدينــة ، من المناجم والمصانع ومن الكليات والجامعات .

وفى هذه الســـاعة يجلجل فى آذان الشعب البوليفى، فى الجبال والوديان ، فى الغابات والهضاب ذلك الصوت الاصم الخــارق ، صــوت العــدالة والرفاهيــة والحرية .

وانكم ايها السادة الجنرالات بعد أن تلقيتــم الضربات الاولى تصرخون مطالبين بثأر أمهــاتكم وأولادكم . ونحن أيضــا نحس بآلامكم، ولكن هل تظنون ان هذه الالوف من الفلاحين ، والعمال ، والمدرسين ، والطلاب ، ليس لها أبناء وأمهــات وزوجات ؟ أولئك الذين تبحثون عنهم بجبن فى شوارع المدن فى كاتاقى ، وفى كادراس ، وفى فيللا فيكتوريا، وفى ال آلتو، وفى لاباز ، وفى ميــللونى ، وفى سيجللو ؟

وأمام ارهاصات النضال الذى تخوض غمــاره ترتعــد فرائص الطغمـــة الحــاكمة وسيدتهـا الامبريالية الامريكيــة حتى لقد طفقوا يضربون فى كل اتجــاه ، ويضـــاعفون اضطهــادهم ، ويشـــعرون انهم مسوقون الى ارتكاب اشد جرائمهم نكرا ، الى انتهاك دستورهم الديموقراطى المزعوم . وان هستيريا معاداة « الجويريليروس (٤) » لتدفعهم الى استبعــاد كافة الاحــزاب السياسية اليسارية ، وذلك كما لو كان فى مقدور أى انسان ان يقتل الافكار بمرســـوم . وانهم ليطاردون ويسجنــون ويذبحون مواطنين أحــرارا (زاعمين انهم انتحروا) متهمين اياهم بأنهم من الجويريليروس ».

وانهم ليمسكون بالصحفيــين الاجانب ويعذبونهم ويزعمون ان هؤلاء من الجويريليروس . وانهم ليختــرعون التهــم البــاطلة ، وينسجون دعايتهم بأكاذيب جــد مضحكة يعرض عنها الشعب . ولسوف تبوء بالفشل كل مساعيهم التى تستهدف خنق الكفاح المسلح والحفــاظ على الســلطة . ان نهايتهم كطغمة حاكمة قد اقتربت، وانه ليؤسفنــا فى هــذا الكفاح الــلازم لتصفيــة الســرقة ، واســتغلال النفــوذ ، والظلم ، والجريمة، والمنتفعين بمخصصات الاوقاف الدينية ، ـــ هذا الكفاح اللازم لبناء مجتمع بلا طبقات ، تسوده العدالة الاجتمــاعية ، ويكون فيه للجميع حقوق وواجبات

(٢) سيمون بوليفار (١٧٨٣ ـــ ١٨٣٠) محرر البلاد والزعيم الذى قاد الثورة فى امريكا اللاتينية ضد الحكم الاسبانى واعلن اول جمهورية ، ومن اسمه اشتق اسم بوليفيا .
(٣) انتونيو جوزيه ووسوكره (١٧٩٥ ـــ ١٨٣٠) قائد بارز من قواد بوليفيا ، واول رئيس لجمهورية بوليفيا .
(٤) الجويريليروس فى امريكا اللاتينية هم مادة الثوار الذين يتبنون خط الكفاح المسلح .

متساوية ، وتستغل فيه الثروات الطبيعيـة بالشعب ولمصلحـة الشعب ــ نقول انه ليؤسفنا ان يفقد كثير من الناس حياتهم،حياة ما اشد نفعها للبلاد ، هي حياة الضباط كما هي حيـاة الجنود سواء بسواء، أما مصدر الأسف فهو اننا على يقين من أن جميع الذين يدفع بهم الى ساحة المعركة لايفـكرون على نمط العصـابة المواليـة لليانـكى والقابعة فى السلطة .

واننا لنوجه النداء الى معشر الوطنيين ، والضباط والجنود ، ليلقوا سلاحهم جانبا . ونناشد شبابنـا المجيد الا ينخـرط فى صفوف الجيش . ونحن نطلب من الامهـات الا يقـدمن أولادهن ضحايا وقرابين بينما هم يدافعون من طغمة باعت نفسها للدولار الاجنبى،وتسلم خير ما فى ثرواتنا الى الامبريالية الامريكية .

وان جيش التحـرير الوطنى ليوجه النداء الى الشعب البوليفى، والى كل محب لوطنه،ان ضموا الصفوف ، واجعلوا الوحدة تبلغ الذروة فى التحامها ، ولا تشيعوا الفرقة بين الاتجاهات السياسية المتقاربة ، وانضـموا الى جيش التحرير الوطنى . ويستطيع من يقيم فى الخارج ان يقدم المساعدات أيضا. وثمة ألف طريقة لتقديمها، ولسوف تكشف العبقرية الخلاقة لشعبنا أكثر الاشكال تنـوعا ، ابتـداء من تـكوين جمـاعات الاصـدقاء الى أشد الاشـكال امعانا فى الجسارة .

المشكلة اذن ان ينظم الناس انفسهم ، وان يشعروا الطغمة الحاكمة وسيدتهـا الامبريالية الامريكية بأن التـراب البوليفى يزلزل تحت اقدامهم .

وحتى لا تتمكن الامبرياليـة الامريكية من ان تبقى بلادنا تحت سيطرتها فاننا ننبه الشعب الى ان هذه الامبرياليـة ستلجأ الى جنرالات والى مدنيين جددا ، بل والى ثوريين مزعومين . وحتى هؤلاء جميعا سوف تستغنى عنهم الامبرياليـة الامريكيـة وتأتى بغيرهم .

ونحن ننبـه بالمثل الى ان من واجب الشـعب الا يستسلم للمباغتات والخداع ، وهو الامر الذى حدث على امتداد تاريخنا. ذلك ان الكفاح قد بدا هذه المرة، ولن يكتمل الا فى يوم يحكم فيه الشعب نفسه بنفسـه ، وتقتلع فيه السـيطرة الأمبرياليـة من جذورها .

ونحن نعلن ان جيش التحرير الوطنى سـيسهر على الالتزام الامين بمثل الشعب . ولسوف يعاقب ــ فى الوقت المناسب ــ كلّ ظالم ، وكلّ جلاد ، وكلّ نمام وخـائن ، وكل هؤلاء الذين لم يعاقبوا على ظلمهم للفقير. وان تشكيلات الدفاع المدنى هى الان تحت التكوين . ولسوف تشرع المحاكم الشعبية الثورية فى عملها فى وقت قـريب : لـكى تحـكم وتعاقب .

وفى الختـام ، يعبـر جيش التحـرير الوطنى عن ايمـانه ، وثقته ، ويقينـه ، بالنصر على المستعمـرين اليانـكى ، وعلى الغـزاة المتخفـين فى زى المستشارين ، وذلك سواء كانوا من اليانكى أو من سواهم . ولن نتركهم يذوقون أدنى طعم للراحة ما دام لم يتحرر آخـر ركن من السيطرة الامبريالية ، وما دامت لم تكتمل بعـد لشعب بوليفيـا المجيد ، أسباب الهنـاء والتقدم والسعادة .

ــ وانه لخير لنا ان نموت من ان نعيش مستعبدين !

ــ ولتحيا الجويريليروس !

ــ والموت للامبريالية الامريكية ولطغمتها العسكرية !

ــ والحرية لـكل الوطنيين المسجونين والمعتقلين !

نهانكا هوازو ــ ابريل ١٩٦٧م



الطليعة ١٩٦٧ فهرس كامل بما نشر من مقالات وتقارير ووثائق (يناير - ديسمبر ١٩٦٧)

■ الجمهورية العربية المتحدة :

سياسة عامة

تنظيم سياسى

قضايا فكرية وايديولوجية

قضايا اجتماعية

تاريخ

اقتصاد

الوطن العربي

الصراع العربي الاسرائيلي

سياسة دولية

ثقافة — أدب — فن — علوم

مكتبة الطليعة

من المجلات الفكرية العالمية

تقارير

الجمهورية العربية المتحدة :

سياسى عام :


سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام